

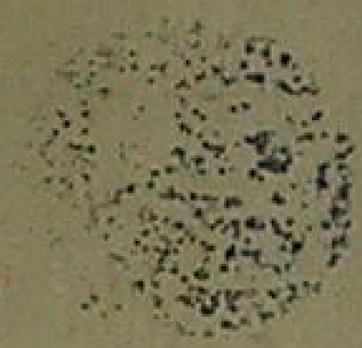














بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من ارسل رسوله بالهدى ودين الحق وبين له من معالم الشرائع كل ما جل ودق وانزل عليه ابهر بيناته
وابهج حججه قرآنا عربيا غير ذي عوج مصدقا لما بين يديه من الكتاب ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب
ناطقا بكل امر رشيد هاديا الى صراط العزيز الحميد امرا بعبادة الصمد المعبود كتابا متشابها مثاني
تقشعر منه الجلود تكاد المرآة [illegible] نور ويذوب منه الحديد ومبيع صم الصخور حقيقا بان تصدع
به الجبال ويبيض به [illegible] بحر الشعر كل مصقع من مهرة فرسان وبكت كل مفلق من سحرة البيان
بحيث لو اجتمعت الانس والجن على معارضته ومباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته نزله
عليه على فترة من الرسل ليخرج [illegible] الى النور لسبيل فهدى امما الى الحق وصرف صناد[illegible]
فاصبحا دجى الباطل وسطع نور [illegible] فمن اتبع سناه فقد فاز بمناه واما من عاند وعصاه واتبع
هواه فقد طاح في مهاوي [illegible] وتردى في مهاوي الردى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
صلى الله عليه وعلى آله الاخيار [illegible] الابرار ما تناوبت الانوار وتعاقبت الظلم والاضواء وعلى
من تبعهم باحسان [illegible] مدى الدهور [illegible]مان وبعد فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه الهادي
ابو السعود بن محمد العمادي [illegible] ان العلو[م] [illegible] من تحت [illegible] العالية وما كان حرف منها مسطورا والحكمة
الكبرى في تخمير طينة آدم وعرفان [illegible] شيئا مذكورا لبيت الامر معرفة الصانع المجيد وعبادة البارئ
المبدي المعيد [illegible] والسبيل الى ذلك [illegible] هذا التنزيل الجليل سويا الوقوف على مواقف التنزيل فانه عنوان سلطانه
وبرهانه فان سطور الآيات [illegible] ته بحقائق الاكوان ونصب رايات وحدته في صفائح الاعراض
والاعيان وجعل كل ورقة مرقومة [illegible] العالم وكل قطرة من قطرات العلم وكل نقطة جرى عليها قلم الابداع
وكل حرف رقم في لوح الاختراع [illegible] مرآة جماله ومطالعة صفات كماله حجة نيرة واضحة المكنون
وآية بينة لقوم يعقلون [illegible] ناطقا لا ريب فيه ومنهاجا سويا لا يضل من ينتحيه بل انما تلوا
آيات ربه فيه من سامع [illegible] ادقائق [illegible] تكلم الناس على قدر عقولهم وبرد جواهر
عجب منوطة بجاور [illegible] ح اخرى بالطف اشارة لكن الاستدلال بتلك الآيات
والدلائل والاخذ منها [illegible] الامارات والمخايل والتنبه لتلك الاشارات الرمزية والتفطن لمعاني
ابدع العبارات السحرية [illegible] تضاعيفها من رموز اسرار القضا والقدر وكنوز آثار التعاجيب
والعبر مما لا يطيق به عقول البشر الا بتوفيق خالق القوى والقدر فاذن مدار المرام لنيل الاكرام
رب العباد اذ هو المظهر [illegible] الدينية والمفسر لمشكلات الآيات التكوينية والكاشف
عن خفايا اخطار [illegible] والمطلع على خبايا اسرار الانس ونكت الملكات القاهرة وبه يتوصل الى سعادة
الدنيا والآخرة [illegible] ايضا من علو الشأن وسمو المكان وشاكلة الغموض والاعضال وصعوبة المأخذ

ومن



وعزة المنال في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية [illegible] من سبقنا الى توقه والبحث عن مثلها [illegible]
لا ينبغي العروج الى معارجه الرفيعة ولا ينال الرقي الى مدارجه المنيعة كيف لا وانه مع كونه متضمنا
لدقائق العلوم النظرية والعملية ومنطويا على رقائق الفنون الخفية [illegible] مناطا للاحكام الشرعية
ومحيطا بمناط الدلائل الاصلية والفرعية منبئا عن اسرار الحقائق [illegible] مخبرا باطوار الملك والملكوت
عليه يدور فلك الاوامر والنواهي واليه يستند معرفة الاشياء [illegible] فقد نسج على اغرب منوال وابدع
طراز واحتجبت طلعته بسبحات الاعجاز طويت حقائقه الابية عن العقول وزويت دقائقه الخفية عن
اذهان الفحول ترتد عيون العقول سبحانه ويخطف ابصار البصائر بريقه ولمعانه [illegible] تصدى لتفسير
غوامض مشكلاته اساطين ائمة التفسير في كل عصر من الاعصار وتولى لتحرير تبيانات معضلاته سلاطين
اساتذة التقرير والتحرير في كل قطر من الاقطار تفاوضوا في الجد وخاضوا في بحره فنظموا [illegible] في سلك التحرير
فابرزوا فوائده في معرض التقرير وصنفوا كتبا جليلة المقدار وزبرا جميلة الآثار واما المتقدمون
المحققون فاقتصروا على تمهيد المعاني وتشييد المباني وتبيين ظاهره وترتيب الاحكام حسبما
بلغهم من سيد الانام عليه شرائف التحية والسلام واما المتأخرون المدققون فراموا ذلك لما
اظهار مزاياه الرائقة وابداء خفاياه الفائقة ليعاين الناس بعض اعجازه ويشاهدوا [illegible] واستواء فضله
وامتيازه من سائر الكتب الكريمة الربانية والزبر العظيمة السبحانية فدونوا اسفارا بارعة جامعة
لفنون المحاسن الرائعة يتضمن كل منها فوائد شريفة تقر بها [illegible] الاعيان وعوائد لطيفة يهتز لها
اذان الاذهان لا سيما الكشاف وانوار التنزيل المنتمين [illegible] لمكان الجليل والنعت الجميل فان كلا
منهما قد احرز قصب السبق اي احراز كانه مرآة لاجتلاء وجه الاعجاز وصحائفهما مرايا المزايا الحسان وسطورهما
عقود الجمان وقلائد العقيان ولقد كان في سوابق الايام وسوالف الدهور والاعوام اوان اشتغالي
بمطالعتهما وممارستهما وزمان انتفاعي بملاحظتهما ومدارستهما يدور في خلدي على استمرار الليالي واطراف
النهار ان انظم درر فوائدهما في سمط دقيق وارتب غرر فرائدهما على ترتيب انيق واضيف اليهما ما الفته
في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق وصادفته في اصداف العيالم الزاخرة من زواهر
الدقائق واسلك خلالها بطريق الترصيع على نسق انيق واسلوب بديع حسبما يقتضيه جلالة شأن التنزيل
ويستدعيه جزالة نظمه الجليل ما سنح للفكر العليل بالعناية الربانية ومح به النظر الكليل
بالهداية السبحانية من عوارف معارف تمتد اليها اعناق الهمم [illegible] لبيب وغرائب رغائب
ترنو اليها احداق الامم من كل عزيز اريب وتحقيقات مبينة [illegible] الافهام في مداحض الاقدام
وتدقيقات متينة تزل بخطوات الاوهام من خواطر [illegible] يشتبه فيها الشئون وملاذ
انظار يغلط فيها الظنون وابرز من وراء استار الكنوز من دقائق [illegible] في خزائن الكتاب المكنون
ما تطمئن اليه النفوس وتقر به العيون من خفايا الرموز وخبايا [illegible] واهديها الى الخزانة العامرة
العامرة للجناب الزاهر جناب من خصه الله تعالى بالخلافة الارض و[illegible] بسلطنتها في الطول والعرض
الاوحد السلطان الاعظم والخاقان الاعدل الافخم مالك الامامة [illegible] السلطان الباهر وارث
الخلافة الكبرى كابرا عن كابر رافع رايات الدين الازهر [illegible] بلا فتور مرغم انوف الفراعنة
والجبابرة معفر جباه القياصرة والاكاسرة فاتح بلاد المشارق [illegible] العزيز وجنوده الغالب
الماهر الذي رفرف عزمه المنير فانتهى الى المشرق الاقصى وعرب [illegible]

متزاحم الافواج • وعسكر كخضم متلاطم الامواج • فاصبح ما بين افقي الطلوع والغروب • وما بين نقطتي الشمال والجنوب • منتظما في سلك ولايته الواسعة • ومنضما تحت ظلال رايته الرابعة • فاصبحت منابر الربع المسكون • مشرقة بذكر اسمه الميمون • فيا له من ملك استوعب ملكه البر البسيط • واستغرق فلكه البحر المحيط • فكانه فسطاط ضربت فيه خيامه • او صنعت عليه ابنيته واعلامه • مالك الممالك العالم ظل الله الظليل على كافة الامم • قاهر الجبابرة وقاهر [illegible] • سلطان العرب والعجم والروم • سلطان المشرقين وخاقان الخافقين • الامام المقتدر بالقدرة الربانية • والخليفة المعتز بالعزة السبحانية • خادم الحرمين الجليلين المحترمين • وحامي المقامين الجميلين المفخمين • ناشر القوانين السلطانية • عاشر الخواقين العثمانية **السلطان ابن السلطان السلطان سليمان خان** ابن السلطان المظفر المنصور والخاقان الموقر المشهور • صاحب المغازي المشهورة في اقطار الامصار • والفتوحات المذكورة في صحائف الاسفار **السلطان سليم خان ابن السلطان السعيد والخاقان المجيد السلطان بايزيد خان** لا زالت سلسلة سلطنته متسلسلة الى انتهاء سلسلة الزمان • وارواح اسلافه العظام متنزهة في روضة [illegible] من الذرى • شأن [illegible] الترقي [illegible] بين ذلك اقدام واحجام • المنصور شأن عزة المرام [illegible] الافلاك • فمنت عليه الدهور و[illegible] • وتغيرت الاطوار وتبدلت الشؤون • فابتليت بتدبير مصالح العباد • [illegible] في قضاء البلاد • و[illegible] العساكر والاجناد • فحال بيني وبين ما [illegible] • تراكم المهمات وتزاحم الاشغال • وهجوم العوائق [illegible] وهجوم الصوارف والعلائق • والتردد الى المغازي والاسفار • والتنقل من دار الى دار • وكنت في [illegible] هاتيك الامور • اقدر في نفسي ان انتهز نهزة من الدهور • وانتقل الى القرار • وتطمين الدار • واطرح [illegible] خالد • انتقل بهمه الى جناب ذي العظمة والجلال • واوجه اليه وجهي • واسلم له سري وعلانيتي • [illegible] نظر الى كل شي بعين الشهود • واعرف سر الحق في كل موجود • تداركا لما فات • واستعدادا لما هو آت • والتصدي لتحصيل ما عزمت عليه • والتولي لتكميل ما توجهت اليه • برفاهية البال وحضور قلب وفراغ جنان • فبينا انا في هذا الخيال • اذ بدا لي ما لم يخطر بالبال • تحولت الاحوال والدهر حول • توقفت في امر اشق من الامر [illegible] بحل مشكلات الانام • فيما يجري بينهم من النزاع والخصام • فليت معضلة طويلة الذيول • ومر[illegible] المطل الى السيول • فبلغ السيل الزبى وعم [illegible] عوارض ما جرى بين زيد وعمرو • فاصبحت في مضيق [illegible] الاشغال • اشهر من يضرب به الامثال • فجعلت امثل بقول من قال •

لقد كنت اشكو الحوادث برهة • واستمرض الايام وهي صحائح •

الى ان [illegible] • تحقق ان السالفات مسامح •

فلما انصرمت عرى الامال • و[illegible] رأيت ان الفرصة في اجنحة الفوات • وسهل الاسباب في سوق الشتات • و[illegible] القوى والقدر • ودنا الاجل من الحلول • واشرفت شمس الحياة على الافول • عزمت [illegible] انشا ما كنت انويه • وتوجهت الى املاء ما طالت امنيته • ناويا ان اسميه عند تمامه بتوفيق الله والعام [illegible] **ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم** • فشرعت فيه مع تفاقم [illegible] المشاغل بين يدي • متضرعا الى رب العظمة والجبروت • خلاق عالم الملك والملكوت • [illegible] الزيغ والزلل • ويقيني مصارع السوء في القول والعمل • ويوفقني لتفصيل ما اروم [illegible] ويسكني الى تكميله على احسن الوجوه • ويجعله جزء عدة وعتاد • انتفع به يوم المعاد

فيا من

فيا من توجهت وجوه الذل والابتهال الى بابه المنيع • ورفعت ايدي الضراعة والسؤال الى جنابه الرفيع • افض علينا شوارق انوار التوفيق • واطلعنا على دقائق اسرار التحقيق • وثبت اقدامنا في مناهج هداك • وانطقنا بما فيه امرك ورضاك • ولا تكلنا الى انفسنا لحظة ولا آن • وخذ بنواصينا الى الخير حيث كان • جبينا على عتبات الاستكانة ضارعين • ولابواب فضلك قارعين • انت الملاذ في كل امر مهيب • وانت المعاذ في كل امر مهم • لا رب غيرك • ولا خير الا خيرك • بيدك مقاليد الامور • لك الخلق والامر واليك النشور •

الفاتحة في الاصل اول ما من شانه ان يفتح كالكتاب والثوب لكونها واسطة في فتح الكل ثم اطلقت على اول كل شي فيه تدرج بوجه من الوجوه كالكلام الذي يحصل بالسطور والاوراق التدريجية قراءة [illegible] من الوصفية الى الاسمية او هي مصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصالته لانه [illegible] الفتح فان تعلقه به بالذات وبما في بواسطته لكن لا على معنى انه واسطة في تعلقه بالباقي ثانيا حتى يرد انه لا يقتضي في الخاتمة لما ان ختم الشي عبارة عن بلوغ آخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع الملابسة عن اجزائه الاول بل على معنى ان الفتح المتعلق بالاول فتح له اولا وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطته لكونه جزءا منه وكذا الكلام في الخاتمة فان بلوغ آخر الشي يعرض للآخر اولا وبالذات وللكل بواسطته على الوجه الذي تحققته والمراد بالاول [illegible] الاضافة في [illegible] على السورة الكريمة بتمامها باعتبار جزئها الاول والمراد بالكتاب [illegible] لا الفهم [illegible] بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح اهل الاصول • ولا يخفى في اشتهار السورة الكريمة بهذا الاسم في اوائل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية من جهة الله عز شانه او من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاذن فيكفي فيها تحصيله باعتبار تحققه في علمه عز وجل او في اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة بمعنى اللام كما في جزء الشي لا بمعنى من كما في خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئي له ومدار التسمية كونها مبدأ للكتاب على الترتيب المعهود لا في القراءة في الصلاة ولا في التعليم ولا في النزول كما قيل اما الاول فبين اذ ليس المراد بالكتاب [illegible] الصادق على ما يقرأ في الصلاة حتى يعتبر في التسمية مبدأيتها له واما الاخيران فلان اعتبار المبدائية من حيث التعليم او من حيث النزول يستدعي مراعاة الترتيب بينهما في اجزاء الكتاب من تينك الحيثيتين • ولا ريب في ان الترتيب التعليمي والترتيب النزولي ليسا على نسق الترتيب المعهود وتسمى ام القرآن لكونها اصلا [illegible] لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله عز وعلا والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده [illegible] على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب وتسمى ام الكتاب ايضا كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه اصلا لكل الكائنات والآيات الواضحة الدالة على معانيها لكونها بينة تحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر في ام القرآن لا ما اورده الامام البخاري في صحيحه من انه يبدأ بقراءتها في الصلاة فانه مما لا تعلق له بالتسمية كما اشير اليه وتسمى سورة الكنز لقوله عليه السلام انها انزلت من كنز تحت العرش او لما ذكر في ام القرآن كما انه الوجه في تسميتها الاساس والكافية والوافية وتسمى سورة الحمد والشكر

والدعا وتعليم المسألة لاشتمالها عليها وسورة الصلاة لوجوب قراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه
الصلاة والسلام هي شفاء من كل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات تثنى في الصلاة او لتكررها نزولها فانه روي
انها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة اخرى حين حولت القبلة وقد صح انها مكية
لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني فهو مكي بالنص بسم الله الرحمن الرحيم اختلفت
الائمة في شان التسمية في اوائل السور الكريمة فقيل انها ليست من القرآن اصلا وهو قول ابن مسعود
رضي الله عنه ومذهب مالك. والمشهور من مذهب قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة
والشام وفقهاؤها. وقيل انها آية فذة من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب
الحنفية. وقيل انها آية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد نسب الى ابن عمر ايضا رضي
الله عنهم وعليه يحمل اطلاق عبارة ابن الجوزي في زاد المسير حيث قال روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انها نزلت
مع كل سورة وهو ايضا مذهب سعيد بن الزبير والزهري وعطا وعبد الله بن المبارك وعليه قراء
مكة والكوفة وفقهاؤهما وهو القول الجديد للشافعي رحمه الله ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل
عن الجصاص من ان هذا القول من الشافعي لم يسبقه اليه احد. وقيل انها آية من الفاتحة مع كونها قرآنا
في سائر السور ايضا من غير تعرض لكونها جزءا لكونها او لا ولكونها آية تامة اولا وهو احد قولي الشافعي
على ما ذكره القرطبي. ونقل عن الخطابي انه قول ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم. وقيل انها آية تامة
في الفاتحة وبعض في البواقي. وقيل بعض آية في الفاتحة وكل آية في البواقي. وقيل انها بعض آية في
الكل. وقيل انها آيات من القرآن متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان يكون جزءا منها وهذا
القول غير معزي في الكتب الى احد وهناك قول آخر ذكره بعض المتأخرين ولم ينسبه الى احد وهو انها آية
تامة في الفاتحة وليست بقرآن في سائر السور ولولا اعتبار كونها آية تامة لكان ذلك احد محتملي تردد الرافعي
رحمه الله فانه قد نقل عنه انها بعض آية في الفاتحة. واما في غيرها فقوله فيها متردد فقيل بين ان يكون
قرآنا او لا وقيل بين ان يكون آية تامة او لا. قال الامام الغزالي والصحيح من الامام الشافعي رحمه الله هو
التردد الثاني. وعن احمد بن حنبل رحمه الله في كونها آية كاملة وفي كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن
الجوزي. ونقل انه مع مالك وغيره ممن يقول انها ليست من القرآن هذا والمشهور من هذه الاقاويل
هي الثلاثة الاول والاتفاق على اثباتها في المصاحف مع الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله عز وجل
ينفي القول الاول وثبوت [illegible] مشترك بين الاخيرين من غير دلالة على خصوصية احد منهما فان كونها
جزءا من القرآن لا يستدعي كونها جزءا من كل سورة منه كما لا يستدعي كونها آية منفردة منه. واما ما روي
عن ابي هريرة رضي الله عنه من انه صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن
الرحيم الحمد لله رب العالمين الآية و[illegible] كالعلم منهما على نفي القول الثاني وليس شيء منها نصا في اثبات القول
الثالث اما الاول فانه لا يدل الا على كونها آيات من كتاب الله تعالى متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير
ان يكون جزءا منها قول لم يقل به احد. واما الثاني فساكت عن التعرض لحالها في بقية السور واما الثاني فانه
على اطلاقه مع مشاركته للثاني في السكوت المذكور والباء فيها متعلقة بمضمر ينبئ عنه الفعل المصدر بها كما انها
كذلك في تسمية المسافر عند الحلول والارتحال وتسمية كل فاعل عند مباشرة الافعال ومعناها الاستعانة
او الملابسة تبركا اي بسم الله اقرأ او اتلو وتقدير المعمول للاعتناء به والقصد الى التخصيص كما في اياك
نعبد وتقديره بعد الافتتاح لانه افتتاح اظهر والتبرك على البداية نحو المقصود اعني حصول البركة للكتاب

ان فيه امتثالا بالحديث الشريف من جهة اللفظ والمعنى معا وفي تقدير اقرأ من جهة المعنى فقط لينبئ فان مدار
الامتثال هو البدء بالتسمية لا بتقدير فعلها اذ لم يقع في الحديث الكريم كل امر ذي بال لم يبدأ فيه او لم
يبدأ فيه ابدا ومنه الى آخر السورة الكريمة مقول على السنة العباد تلقينا لهم وارشادا الى كيفية التبرك
باسمه تعالى وهداية الى منهاج الحمد وسؤال الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم
المسألة وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان يفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت
لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند البصريين
من الاسماء المحذوفة الاعجاز المبنية الاوائل على السكون قد ادخلت عليها عند الابتداء همزة لان من
دأبهم البدء بالمتحرك والوقف على الساكن ويشهد له تصريفهم على اسماء وسمي كهدى لغة فيه. قال
والله اسماك سمى مباركا. آثرك الله به ايثاركا. والقلب فيه
غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفع للمسمى وتنويه له. وعند الكوفيين من السمة واصله وسم حذفت
الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلالها ورد عليه بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف
صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال بسم الذي في كل سورة سمه وانما لم يقل بالله للفرق بين اليمين
والتيمن والتحقيق ان المقصود بالاستعانة هاهنا فانها تكون تارة بذاته تعالى وحقيقتها طلب المعونة
على ايقاع الفعل واحداثه اي افاضة القدرة المفسرة عند الاصوليين من اصحابنا بما يتمكن به العبد من اداء ما
لزمه المنتهية الى مبدئه ومبدعه هي المطلوبة باياك نستعين وتارة اخرى باسمه عز وعلا وحقيقتها
طلب المعونة في كون الفعل معتدا به شرعا فان ما لم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت
كل واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم والا فالمتبادر من قولنا بالله عند الاطلاق
لا سيما عند الوصف بالرحمن الرحيم هي الاستعانة الاولى. ان قيل فليحمل الباء على التبرك وليستغن عن ذكر الاسم
لما ان التبرك لا يكون الا به. قلنا ذلك فرع كون المراد بالله هو الاسم وهو المتنازع فيه فلا بد من ذكر
الاسم لينقطع احتمال ارادة المسمى ويتعين حمل الباء على الاستعانة الثانية او التبرك وانما لم تكتب الالف
لكثرة الاستعمال. قالوا وطولت الباء عوضا عنها. والله اصله الاله فحذفت همزته على غير قياس كما ينبئ عنه
وجوب الادغام وتعويض الالف واللام عنها حيث لزماه وجردا عن معنى التعريف. ولذلك قيل يا الله بالقطع
فان المحذوف القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض. وقيل على قياس
تخفيف الهمزة فيكون الادغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد
فيه من نعوت الكمال والاله في الاصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق او باطل اي مع قطع النظر عن وصف
الحقية والبطلان لا مع اعتبار احدهما لا بعينه ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق واما الله بحذف
الهمزة فعلم مختص بالمعبود الحق لم يطلق على غيره اصلا واشتقاقه من الالاهة والالوهة والالوهية بمعنى
العبادة حسبما نص عليه الجوهري على انه اسم منها بمعنى المألوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على انه صفة منها
بدليل انه يوصف ولا يوصف به حيث يقال اله واحد ولا يقال شيء اله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال
شيء كتاب. والفرق بينهما ان الموضوع له في الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامه
بها فمدلولها مركب من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية اصلا ومن معنى معين وقيامه بها فمدلولها
مركب ناظر فيها على ان مآل الامر الى الحمل الخصوصية فبأي ذات يقوم ذلك المعنى يصح اطلاق الصفة عليها
كما في الافعال وكذلك لم يجز حملها عليها وقيل اشتقاقه من اله بمعنى تحير لانه سبحانه يحار في شأنه العقول

والانفام واما الله كعبد وزنا ومعنى فمشتق من الاله المشتق من اله بالكسر ولذا قالوا اسا له اشتقاق
استوق واستحجر من الناقة والحجر وقيل من الداله فلان اي سكن اليه لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون
الارواح اي معرفته وقيل من الداه اذا فزع من امر نزل به والهه غيره اذا اجاره اذ العائذ به تعالى يفزع اليه
وهو يجيره حقيقة او في زعمه وقيل اصله لاه على انه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع اطلق على الفاعل
مبالغة وقيل هو اسم علم للذات الجليل ابتدا وعليه مدار امر التوحيد في قولنا لا اله الا الله ولا
يخفى ان اختصاص الاسم الجليل به تعالى سبحانه بحيث لا يمكن اطلاقه على غيره اصلا كاف في ذلك ولا يقدح
فيه كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة بعد ان كان اسم جنس في الاصل وقيل هو وصف في الاصل
لكنه لما غلب عليه بحيث لا يطلق على غيره اصلا صار كالعلم ويرده امتناع الوصف به واعلم ان المراد بالمنكر
في كلمة التوحيد هو المعبود بالحق فمعناها لا فرد من افراد المعبود بالحق الا ذلك المعبود بالحق وقيل اصله
لاها بالسريانية فعرف بحذف الالف الثانية وادخال الالف واللام عليه وتفخيم لامه اذا لم ينكسر
ما قبله سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جا لغرورة
الشعر في قوله •
الا لا بارك الله في سهيل • اذا ما الله بارك في الرجال •
والرحمن الرحيم صفتان مبنيتان من رحم بعد جعله لازما بمنزلة الغرائز بنقله الى رحم بالضم كما هو
المشهور وقد قيل ان الرحيم ليس بصيغة مشبهة بل هي صيغة مبالغة نص عليه سيبويه في قولهم
هو رحيم فلانا والرحمة في اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها والمراد
ههنا التفضل والاحسان ا[illegible] بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه البعيد او
القريب فان اسما الله تعالى توخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي هي انفعالات والاول
من الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غيره تعالى وانما امتنع صرفه الحاقا له بالاغلب في بابه من غير
نظر الى الاختصاص العارض فانه كما حصل وجود فعلى حصل وجود فعلانه فاعتباره يوجب اجتماع الصرف
وعدمه فلزم الرجوع الى اصل هذه الكلمة قبل الاختصاص بان يقاس الى نظايرها من باب فعل يفعل فاذا
كان كلها ممنوعة من الصرف لتحقق وجود فعلى فيها علم ان هذه الكلمة ايضا في اصلها ما تحقق فيها وجود فعلى
فمنع من الصرف وفيه من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا
والتقديم مع كون القياس تاخيره [illegible] اسلوب الترقي الى الاعلى كما في قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل
وجواد فياض لانه باختصاصه به [illegible] صار حقيقيا بان يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالى ولانه
يدل على جلايل النعم وعظامها احق بالتقديم مما يدل على دقايقها وفروعها وافرادالوصفين الشريفين
بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة [illegible]
[illegible] وخصت بالجميل على الجميل اختياريا كان او مبدا له على وجه
يشعر بتوجيهه الى المنعوت [illegible] بيان عن المدح فانه خال عنها بينهما الى ذلك ما نرى بينهما
من الاختلاف في كيفية التعلق بمفعول في قولك حمدته ومدحته فان تعلق الثاني بمفعوله على منهاج
تعلق عامة الافعال بمفعولاتها واما الاول فتعلقه بمفعوله مبني على معنى الانها كما في قولك كلمته فانه معرب
عما يبني لامر التبليغ في قولك قلت له ونظيره شكرته وعبدته وخدمته فان تعلق كل منها مبني على
المعنى المذكور وتحقيقه ان مفعول كل فعل في الحقيقة هو الحدث الصادر عن فاعله ولا يتصور في
كيفية تعلق الفعل به اي فعل كان اختلاف اصلا واما المفعول به الذي هو محله ومتعلقه فلا
تعلقه به ووقوعه عليه على انحا مختلفة حسبما يقتضيه خصوصيات الافعال بحسب معانيها المختلفة

فان بعضها ينبغي ان يلابسه ملابسة تامة مؤثرة فيه كعامة الافعال وبعضها يقتضي ان يلابسه
ادنى ملابسة اما بالانتهاء اليه كالاعانة مثلا او بالابتداء منه كالاعانة مثلا اعتبر في كل نحو من انحا
تعلقه به كيفية لائقة به من لابك النحو مغايرة لما اعتبر في النحو الاخر فنظم القسم الاول من التعلق في
سلك التعلق بالمفعول الحقيقي مراعاة لقوة الملابسة وجعل كل واحد من القسمين الاخيرين من قبيل
التعلق بواسطة الجار المناسب له فان قولك اعنته مشعر بانتهاء الاعانة اليه وقولك استعنته
بابتداء ايماسه وقد يكون واحد معنى لا يتعلق باحدهما على الكيفية الاولى وبالاخر على الثانية
او الثالثة كما في قولك حدثني الحديث وسالني المال فان التحديث مع كونه مما لا يتعلق واحد يتعلق
به على الكيفية الثانية وبالحديث على الاولى ولا ريب في ان اختلاف هذه الكيفيات الثلاث
وتباينها واختصاص كل من الافعال المذكورة بما نسب اليه منها لا يتصور فيه تردد ولا نكير وان
كان لا يتضح حق الاتضاح الا عند الترجمة والتفسير وان منشا ذلك الاختلاف ليس الا اختلاف
الفعل واختلاف المفعول واذ الاختلاف في مفعول الحمد والمدح تعين ان اختلافهما في كيفية التعلق
لاختلافهما في المعنى قطعا ثم ان تقييد المدح مطلق عن قيد الاختيار يقال مدحت زيدا على حسنه
ورشاقة قده وايا ما كان فليس بينهما ترادف بل اخوة من جهة الاشتقاق الكبير وتناسب تام في المعنى
كالنصر والتابيد فانهما متناسبان معنى من غير ترادف لما نرى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق
بالمفعول وانما المرادف للنصر الاعانة مرادف التابيد المتقوية نعم يرشدان ما ذكر من التفسير هو المنهج
من معنى الحمد واللائق بالارادة في مقام التعظيم • واما ما ذكر في كتب اللغة من معنى الرضى مطلقا
كما في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا • وفي قولهم لهذا الامر عاقبة حميدة • وفي قول الاطبا
نحو ان محمود لا يختص بالفاعل المختار فيعزل من استحقاق الارادة ههنا استقلالا واسبابا هنا
يحمل الحمد على ما يعم الحقيقي اذ ليس في اثباته له عز وجل فايدة يعتد بها • واما الشكر فهو مقابلة النعمة
بالثواب واداب الجوارح وعقد القلب على وصف المنعم بنعت الكمال • كما قال من قال •
• افادتكم النعماء مني ثلاثة • يدي ولساني والضمير المحجبا •
فاذن هو اعم منها من جهة واخص من اخرى ونقيضه الكفر • ولما كان الحمد من شعب الشكر ادخل في
اشاعة النعمة والاعلان ادل على مكانها لما في عمل [illegible] من الخفا في اعمال الجوارح من الاحتمال
جعل الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده والتقاعد بالاثنا وخفض الطرف ونقيضه الذم كما هو
شان المصادر المنصوبة باتفاقها المضرع التي لا تكاد [illegible] معها عوضا كذا عجبا • كانه قيل نحمد الله حمدا
بنون الحكاية ليوافق ما في قوله تعالى اياك نعبد [illegible] ل[illegible] الفاعل في الكل • واما
فيه من الدلالة على الحمد سبحانه له تعالى • كانه قيل نحمده ون نعيل اياه [illegible] الله لا حاجة اليه مما لا حجة له
في نفسه فان السؤال المقدر لا بد ان يكون بحيث يقتضيه المقام انتظام الكلام وينساق اليه
الاذهان والافهام • ولا ريب في ان الحامد بعد ما ساق حمده تعالى على تلك الكيفية اللائقة لم
يخطر بال احد ان يسال عن كيفيته على ان ما قدر من السؤال لا يطابق الجواب فانه مسوق لتعيين
المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه بيانا له وبهم والاعتبار ان المختصاص بالعبادة وبه
يتبين كيفية الحمد تعليلا لامر وتحا التوفيق المنزل القدر بالموهوم المقدر وليعد الحمد لله والتي اذ
ترى السؤال الذي من جنسه عن وجه فانه تكتة لا يتعاه التي اجمع عليها السلف والخلف وان درس من

جمة العبر عن التظاهر لاتينا الجواب على خطابه تعالى وبهذا اندفع فساد ما قيل انه استينا فجوابا لقوله
تيقنتيه اجرائك الصفات العظام على الموصوف بها فكانه قيل ما شانكم معه وكيف توجهكم اليه فاجيب
بحصر العبادة والاستعانة فيه فان تنابي جانب السائل بالكلية وبني الجواب على خطابه عز وعلا ما يجب تنزيه
ساحة التنزيل عن امثاله والحق الذي لا محيص عنه انه استينا فصدر عن الحامد بمحض ملاحظة اتصافه
تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة للاقبال الكلي عليه من غير ان يتوسط بينه شي اخر كما سيحيط به
خبرا وايثار الرفع على النصب الذي هو الاصل للدلالة على ان ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات مثبت
وان ذلك امر مستمر لا حادث متجدد كما تفيده قراءة النصب وهو السر في كون تحية الخليل للملائكة
عليهم التحية والسلام احسن من تحيتهم له كما في قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه
الاشارة الى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعي لتخصيص
جميع افرادها به سبحانه على الطريق البرهاني لكن لا بناء على ان افعال العباد مخلوقة له تعالى فتكون الافراد
الواقعة بمقابلة ما صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة اليه تعالى بل بناء على تنزيل تلك الافراد ووقوعها
في المقام الخطابي منزلة العدم كما وكيفا ثم قد قيل للاستغراق الحاصل بالقصد الى الحقيقة من حيث
تحققها في ضمن افرادها حسبما يقتضيه المقام وقرئ الحمد لله بكسر الدال اتباعا لها باللام وبضم اللام
اتباعا لها بالدال بناء على تنزيلهما لكثرة استعمالهما منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل
رب العالمين بالجر على انه صفة لله فان اضافته حقيقية مفيدة للتعريف على كل حال وقد يقتضي ارادة
الاستمرار وقرئ منصوبا على المدح او بما دل عليه الجملة السابقة كانه قيل نحمد الله رب العالمين ولا مساغ
لنصبه بالحمد لقلة اعمال المصدر المحلى باللام وللزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب في الاصل مصدر
بمعنى التربية وهي تبليغ الشي الى كماله شيئا فشيئا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه
يربه مثل نمه ينمه بعد جعله لازما بنقله الى فعل بالضم كما هو المشهور سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه
ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالى فيسقي ربه خمرا وكقوله تعالى ارجع
الى ربك وما في الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم اطعم ربك وضئ ربك ولا يقل احدكم
ربي وليقل سيدي ومولاي فقد قيل ان النهي فيه للتنزيه واما الارباب فحيث لم يصح اطلاقه على الله تعالى
جاز في اطلاقه الاطلاق والتقييد كما في قوله تعالى ارباب متفرقون خير الاية والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم
والقالب غلب فيما يعلم به الصانع تعالى من المصنوعات اي في القدر المشترك بين اجناسها وبين مجموعها فانه كما
يطلق على كل جنس جنس منها في قولهم عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق
على المجموع ايضا كما في قولنا العالم [illegible] انه محدث وقيل هو اسم لاولي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله
لما سواهم بطريق الاستتباع وقيل عني به الناس فقط فان كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظائر ما في
العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم على حاله ولذلك امر بالنظر في الانفس
كالنظر في الافاق فقيل وفي انفسكم افلا تبصرون والاول هو الاحق الاظهر وايثار صيغة الجمع لبيان
شمول ربوبيته تعالى لجميع الاجناس والتعريف لاستغراق افراد كل منها باسرها اذ لو افرد لربما توهم ان المقصود
بالتعريف هو الحقيقة من حيث هي او استغراق افراد جنس واحد على الوجه الذي اشير اليه في تعريف الحمد
وحيث صح ذلك بمساعدة التعريف نزل العالم وان لم يطلق على احاده لو لم منزلة الجمع حتى قيل انه جمع لا واحد
له من لفظه فكما ان الجمع المعرف يستغرق احاد مفرده وان لم يصدق عليها كما في قوله تعالى والله يحب المحسنين

ابد

اي كل جنس كذلك العالم يشمل افراد الجنس المسمى به وان لم يطلق عليها كانها احاد مفردة التقديري ومن
فسره بما ذكر من الكتاب لم يجعله منزلة جمع الجمع فكما ان الاقوال يتناول كل واحد من احاد الاقوال
يتناول لفظ العالمين كل واحد من احاد الاجناس التي لا تكاد تحصى روي عن وهب بن منبه انه قال لله
تعالى ثمانية عشر الف عالم والدنيا عالم منها وانما جمع بالواو والنون مع اختصاص ذلك بصفات العقلاء
وما في حكمها من الاعلام لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم واعلم ان عدم
انطلاق اسم العالم على كل واحد من تلك الاحاد ليس الا باعتبار الغلبة والاصطلاح واما باعتبار
الاصل فلا ريب في صحة الاطلاق قطعا لتحقق المصداق حتما فانه كما يستدل على الله سبحانه بمجموع ما سواه
يستدل بكل فرد من افراد تلك الاجناس لتحقق الحاجة الى المؤثر الواجب لذاته في الكل فان كل ما ظهر في المظاهر
ما عز وهان وحضر في هذه المحاضر كائنا ما كان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد واما
شمول ربوبيته عز وجل للكل فما لا حاجة الى بيانه اذ لا شي مما احدق به نطاق الامكان والوجود من العلويات
والسفليات والمجردات والماديات والروحانيات والجسمانيات الا وهو في حد ذاته بحيث لو فرض انقطاع
اثار التربية عنه انا واحدا لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار الا في مطمورة العدم ومهاوي البوار
لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شانه وتقدس في كل زمان يمضي وكل ان يمر وينقضي من فنون الفيوض المتعلقة
بذاته ووجوده وصفاته وكمالاته ما لا يحيط به فلك التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير ضرورة انه كما لا
يستحق شي من الممكنات بذاته الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وعلا فكما
لا يتصور وجوده ابتداء لا يستحقه بقاء ما لم يترتب عليه جميع ما يتوقف عليه من الاسباب لا يتصور بقاؤه على الوجود
بعد تحققه بذاته ما لم يترتب عليه جميع ما يتوقف عليه البقاء لما ان الدوام من خصائص الوجود الواجبي
وظاهر ان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه وان كانت متناهية لوجوب
تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده وهي المعبر عنها بارتفاع الموانع
ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون للشي الواحد موانع غير متناهية يتوقف وجوده او بقاؤه على بقائها
اي بقائها على العدم مع امكان وجودها في انفسها فابقاء تلك الموانع التي لا تتناهى على العدم تربية لذلك الشي
من وجوه غير متناهية فالتربية عز وجل لعاينة على كل فرد من افراد الموجودات في كل ان من انات
الوجود غير متناهية فسبحانه سبحانه ما اعظم سلطانه لا تلاحظه العيون بانظارها ولا تطالعه
العقول بافكارها شانه لا يضاهى واحسانه لا يتناهى ونحن في معرفته حائرون وفي اقامة مراسم شكره
قاصرون نسالك اللهم الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك
لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك الرحمن الرحيم صفتان اخريان له تعالى ان اريد بما فيهما من الرحمة ما يختص
بالعقلاء من العالمين او ما يفيض على الكل بعد الخروج الى طور الوجود من النعم فوجه تاخيرهما عن وصف الربوبية
ظاهر وان اريد به ما يعم الكل في الاطوار كلها حسبما في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شي فوجه الترتيب
انه يقتضي المقارنة للرحمة وايرادهما في ضمنها للايذان بانه تعالى متفضل فيهما فاعل بقضية رحمته السابقة
من غير وجوب عليه وبانها افعة على حسب ما يكون والاقتصار على نعته تعالى بهما في التسمية لما انه الانسب
بحال المتوكل المستعين باسمه الجليل والاوفق لمقاصده مالك يوم الدين صفة رابعة له تعالى واخيرها
عن الصفات الاول لما لا حاجة الى بيان وجهه وقرا اهل الحرمين ملك من الملك الذي هو عبارة عن السلطان
القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلي في الامور العامة بالامر والنهي

ويكونها عند العابد اشرف المنافي والمقاصد ويكونها من مواهبه تعالى لا من اعمال نفسه ومن الملاحظة
لما تقتضيه من الدخانا لاخفى بقصور نفسه وعدم لياقته وقيل الواو للحال اي اياك نعبد مستعينين
بك واياها رشيقة العيبي في المعلمين للاتيان بقصور نفسه وعدم لياقته بالوقوف في مواقف الكبرياء
منفردا وعرض العبادة ثم استعانة بالمعونة والهداية مستعينات وان ذلك انما يتصور من عصيانه ومن
جملتهم وجماعة ممن من زمرتهم كامورين الملوك او للاشعار باشتراك سائر الموحدين له في تلك
الحالة العارضة له بناء على ما منه الادلة المنجية الى ذلك ۝ وقرئ نستعين بكسر النون على لغة بني
تميم اهدنا الصراط المستقيم افراد لمعظم افراد المعونة المسؤولة بالذكر وتعيين لما هو الاهم او
بيان لما كانه قيل كيف اعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة بلطف على ما يوصل الى البغية ولذلك اختصت
بالخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على نهج التهكم والاصل تعديتها بالى واللام ۝ كما
في قوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق فعومل معاملة اختار في قوله
تعالى واختار موسى قومه وعليه قوله تعالى لنهدينهم سبلنا ومراتب الهداية مع تنوعها الى انواع لا تكاد
تحصر منحصرة في اجناس مترتبة منها انفسية كافاضة القوى الطبيعية والحيوانية التي بها يصدر عن المرء
افاعيله الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن من اقامة
مصالحه المعاشية والمعادية ومنها افاقية واما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهي نصب
الادلة المودعة في كل فرد من افراد العالم حسبما لوح به فيما سلف واما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الاحكام
النظرية والعملية بلسان المقال بارسال الرسل وانزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات التي من جملتها
الارشاد الى مسلك الاستدلال بتلك الادلة التكوينية الافاقية والانفسية والتنبيه على مكانها
كما اشير اليه مجملا في قوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي قوله عز وعلا
ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ومنها الهداية
الخاصة وهي كشف الاسرار على قلب المهدي بالوحي والالهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب ينتحيها
وطالب يستدعيها والمطلوب اما زيادتها كما في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى ۝ واما الثبات
عليها كما روي عن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية على الوجه الاخير مجاز قطعا واما على الاول
فان اعتبر مفهوم الزيادة داخلا في المعنى المستعمل فيه كان مجازا ايضا وان اعتبر خارجا عنه مدلولا
عليه بالقرائن كان حقيقة لان الهداية الزائدة هداية كما ان العبادة الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع
بين الحقيقة والمجاز ۝ وقرئ ارشدنا والصراط الجادة اصله السين قلبت صادا لمكان الطاء كمصيطر
في مسيطر من سرط الشيء اذا ابتلعه سميت به لانها تسترط السابلة اذا سلكوها كما سميت
لقما لانها تلتقمهم وقد تشم الصاد صوت الزاي تحريا للقرب من المبدل منه وقد قرئ بهن جميعا
وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام وجمعه صرط ككتاب وكتب وهو كالطريق
والسبيل في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وهي الملة الحنيفية السمحة
المتوسطة بين التفريط والافراط صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل وهو في
حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التأكيد والتنصيص على ان طريق الذين
انعم الله عليهم وهم المسلمون هو العلم في الاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم
عنه عند ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام لقصد الشمول فان نعمة الاسلام عنوان النعم كلها

فمن

فمن فاز بها فقد حاز بمجامعها وقيل المراد بهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولعل الاظهر انهم
المذكورون في قوله عز وجل فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين بشهادة ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما ۝ وقيل هم اصحاب موسى وعيسى
عليهما السلام قبل التحريف والنسخ ۝ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل
الحالة التي يستلذها الانسان من النعمة وهي اللين ثم اطلقت على ما يستلذه الانسان من طيبات الدنيا ونعم
الله تعالى مع استحالة احصائها ينحصر اصولها في دنيوي واخروي والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي
ايضا قسمان روحاني كنفخ الروح فيه وامداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فانها مع كونها من
قبيل الهدايات نعم جليلة في انفسها وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات البهية
وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلي المرضية وحصول الجاه والمال والثاني مغفرة ما فرط منه
والرضى عنه وتبوئته في اعلى عليين مع المقربين والمطلوب هو القسم الاخير وما هو ذريعة الى نيله من القسم الاول
اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة غير المغضوب عليهم ولا الضالين صفة
للموصوف على انه عبارة عن احدى الطوائف المذكورة المشهورة بالانعام وباستقامة المسلك ومن ضرورة
هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما اضيف اليه كلمة غير من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين اعني
مطلق المغضوب عليهم والضالين فاكتسبت بذلك تعرفا مصححا لوقوعها صفة للمعرفة كما في قولك عليك
بالحركة غير السكون وصفوا بذلك تكملة لما قبله وايذانا بان السلامة مما ابتلي به اولئك نعمة جليلة
في نفسها اي الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة الايمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال
وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا باعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذا اللام اذا اريد به الجنس
في ضمن بعض الافراد لا بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهني وبالمغضوب عليهم والضالين اليهود والنصارى
كما ورد في مسند احمد والترمذي فيبقى لفظ غير على ابهامه نكرة مثل موصوفه ۝ وانت خبير بان جعل
الموصوف عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة مخل ببدلية ما اضيف اليه مما قبله فان مدارها كون
صراط المؤمنين علما في الاستقامة مشهودا له بالاستواء على الوجه الذي تحققته فيما سلف من البين
ان ذلك من حيث اضافته وانتسابه الى كلهم لا الى بعض مبهم منهم ۝ وبهذا تبين ان لا سبيل الى جعل غير
المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما عرفت من ان شأن البدل ان يفيد متبوعه مزيد تأكيد وتقرير
وفضل ايضاح وتفسير ولا ريب في ان قصارى امر ما نحن فيه ان يكتسب مما اضيف اليه نوع معرفة مصححة لوقوعه
صفة للموصول ۝ واما استحقاق ان يكون مقصودا بالنسبة مفيدا لما ذكر من الفوائد فكلا وقرئ
بالنصب على الحال والعامل انعمت او على المدح او على الاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين
والغضب هيجان النفس لارادة الانتقام وعند اسناده الى الله سبحانه يراد به غايته بطريق اطلاق
بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الى مسببه القريب ان اريد به ارادة الانتقام وعلى
مسببه البعيد ان اريد به نفس الانتقام منهم لمعاصيهم بمنزلة حال الملك اذا غضب على الذين
عصوه واراد ان ينتقم منهم لمعاصيهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول
عن اسناد الغضب اليه تعالى كالانعام جري على منهاج الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخيرات
اليه عز وجل دون اضدادها كما في قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين
واذا مرضت فهو يشفين ۝ وقوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا

ولا مزيدة لتأكيد ما افاده غير من معنى النفي كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب جواز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوي وقرئ وغير الضالين وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب عن التقاء الساكنين • امين اسم فعل معناه استجب • وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى امين فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال • ويرحم الله عبدا قال امينا • وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا

عن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل امين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب • وقال انه كالختم على الكتاب وليست من القران وفاقا ولكن يسن ختم السورة الكريمة بها • والمشهور عن ابي حنيفة رحمه الله ان المصلي يأتي بها مخافتة • وعنه انه لا يأتي بها الامام لانه الداعي • وعند الشافعي رحمه الله يجهر بها لما روي وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لأبي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقران مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته • وعن حذيفة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة • والله الهادي والموفق للصواب •

سورة البقرة مائتان وثمانون وست ايات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم • الم الفاظ يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المقطعات المرسومة في فواتح السور الكريمة اسماء لاندراجها تحت حد الاسم ويشهد به ما يعتريها من التعريف والتنكير والجمع والتصغير وغير ذلك من خصائص الاسم وقد نص على ذلك اساطين ائمة العربية وما وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة • واما ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف في رواية الترمذي والدارمي لا اقول الم ذلك الكتاب حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف والذال حرف واللام حرف والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه قطعا فان اطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعه ائمة الصناعة واما الحرف عند الاوائل ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة ايضا تجوزا واريد بالحديث الشريف دفع توهم التجوز وزيادة تعيين ارادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك ان الحسنة الموعودة ليست بعدد الكلمات القرانية بل بعدد حروفها المكتوبة في المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله او القران وليس هذا من تسمية الشيء باسم مدلوله في شيء كما قيل كيف لا والمحكوم عليه بالحرفية واستتباع الحسنة انما هي المسميات البسيطة الواقعة في كتاب الله عز وجل سواء عبر عنها باسمائها او بانفسها كما في قولك السين مهملة والشين معجمة مثلثة وغير ذلك مما لا يصدق المحمول الا على ذات الموضوع لا اسماؤها المؤلفة كما اذا قلت الالف مؤلفة من ثلاثة احرف فكان الحسنات في قراءة قوله تعالى ذلك الكتاب بمقابلة حروفه البسيطة

موافقة

موافقة لعدده وما كذلك في قراءة قوله تعالى الم بمقابلة حروفه الثلاثة المكتوبة وموافقة لعدده لما لا بمقابلة اسمائها الملفوظة والالف الموافقة في العدد اذ الحكم بان كلا منها حرف واحد مستلزم للحكم بانه مستتبع لحسنة واحدة فالعبرة في ذلك بالمعبر عنه دون المعبر به ولعل السر فيه ان استتباع الحسنة منوط بافادة المعنى المراد بالكلمات القرانية فكما ان سائر الكلمات الشريفة لا تفيد معانيها الا بتلفظ حروفها بانفسها كذلك الفواتح المكتوبة لا تفيد المعاني المقصودة بها الا بالتعبير عنها باسمائها فجعل ذلك تلفظا بالمسميات كالقسم الاول من غير فرق بينهما • الا ترى الى ما في الرواية الاخيرة من قوله عليه الصلاة والسلام والالف حرف والكاف حرف كيف عبر عن طرفي ذلك باسميهما مع كونهما ملفوظين باسميهما • ولقد روعيت في هذه التسمية نكتة رائعة حيث جعل كل مسمى لكونه من قبيل الالفاظ صدرا لاسمه ليكون المعهود منه اول شيء خلا الالف فانه لما تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها الهمزة وهي معربة اذ لا مناسبة بينها وبين مبني الاصل لكنها ما لم تلها العوامل ساكنة الاعجاز على الوقف كاسماء الاعداد وغيرها حتى خلت عن العوامل ولذلك قيل صاد وقاف مجموعا فيهما بين الساكنين ولم تعامل معاملة اين وكيف وهؤلاء وان وليها عامل مسها الاعراب وقصر ما اخره الف عند التهجي لابتغاء الخفة لا لان وزانه وزان لا تقصر تارة فيكون حرفا وتمد اخرى فيكون اسما • كما في قول حسان رضي الله عنه • ما قال لا قط الا في تشهده • لولا التشهد لم تسمع له لاء • [illegible] وقد

تكلموا في شأن هذه الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل انها من العلوم المستورة والاسرار المحجوبة وروي عن الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال في كل كتاب سر وسر القران اوائل السور • وعن علي رضي الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال عجزت العلماء عن ادراكها • وقيل للشعبي عنها فقال سر الله عز وجل فلا تطلبوه • وقيل انها اسماء الله تعالى وقيل كل حرف منها اشارة الى اسم من اسمائه تعالى او صفة من صفاته تعالى • وقيل انها صفات الافعال الالف الاؤه واللام لطفه والميم مجده وملكه • قاله محمد بن كعب القرظي • وقيل انها من قبيل الحساب • وقيل الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي انزل الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد • وقيل هي اقسام من الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات ومبادي كتبه المنزلة ومباني اسمائه الكريمة • وقيل اشارة الى انتهاء كلام الله تعالى وابتداء كلام اخر وقيل وقيل وقيل ولكن الذي عليه التعويل اما كونها اسماء للسور المصدرة بها وعليه اجماع الاكثر واليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها ايذانا بانها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الحروف والالفاظ • فلولا انه وحي من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته ويقرب منه ما قاله الكلبي والسدي وقتادة من انها اسماء للقران والتسمية بثلاثة اسماء فصاعدا انما تستنكر في لغة العرب اذا ركبت وجعلت اسما واحدا كما في حضرموت • فاما اذا كانت منثورة فلا استنكار فيها والمسمى هو المجموع لا الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد الاسم والمسمى غاية الامر دخول الاسم في المسمى ولا محذور فيه كما لا محذور في عكسه حسبما تحققته انفا وانما كتبت في المصاحف صور المسميات دون صور الاسماء لانه ادل على كيفية التلفظ بها وهي ان تكون على نهج التهجي دون التركيب ولان فيه سلامة من التطويل لا سيما في الفواتح الخماسية على ان خط المصحف مما لا يناقش فيه بمخالفة القياس واما كونها مسرودة على نمط التعديد بطريق التحدي [illegible] التحقيق • فانها لما وردت مبكتة للكفرة انها الفاظ من يحاورون بالعربية [illegible]

لهم على انه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر
لما تقاعدت قواهم ولا تساقطت قدرتهم وهم فرسان حلبة الحوار وامراء الكلام في نادي التحاور دون الاتيان
بما يدانيه فضلا عن المعارضة بما يساويه مع تظاهرهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المغازة والمعازة
او ليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة انموذجا لما في الباقي من فنون الاعجاز فان النطق
بانفس الحروف في تضاعيف الكلام وان كان على طرف الثمام يتناوله الخواص والعوام من الاعراب والاعاجم
لكن التلفظ باساميها انما يتاتى ممن درس وخط واما من لم يحم حول ذلك قط فاعز من بيض الانوق وابعد
من مناط العيوق لا سيما اذا كان على نمط عجيب واسلوب غريب منبئ عن سر سري مبني على نهج عبقري
بحيث يحار في فهمه ارباب العقول ويعجز عن ادراكه الباب الفحول كيف لا وقد وردت تلك الفواتح
في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريبا بحيث ينطوي على انصاف اصنافها
تحقيقا او تقريبا لا يستغني عنه الغوص والتنقير حسبما فصله بعض افاضل ائمة التفسير فسبحان من دقت
حكمته من ان تطالعها الانظار وجلت قدرته عن ان يناطها ايدي الافكار وايراد بعضها فرادى
وبعضها ثنائية الى الخماسية جريا على عادة الافتنان مع مراعاة ابنية الكلم وتفريقها في السور دون
ايرادها مرة لذلك ولما في التكرير والاعادة من زيادة افادة وتخصيص كل منها بسورة لما لا سبيل
الى المطالبة بوجهه وعد بعضها اية دون بعض مبني على التوقيف البحت اما الم فاية حيث وقعت وكذا
في القران المص اية والمر لم تعد اية والر ليست باية وحم اية في سورها كلها وكهيعص
اية وحم عسق ايتان وص وق ون لم تعد واحدة منها اية هذا على راي الكوفيين وقد قيل ان
جميع الفواتح ايات عندهم في السور كلها بلا فرق بينها واما من عداهم فلم يعدوا شيئا منها اية
ثم انها على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد لا تشم رائحة الاعراب ويوقف عليها وقف التمام
وعلى تقدير كونها اسما للسورة او للقران كان لها حظ منه اما الرفع على الابتداء او على الخبرية واما النصب
بفعل مضمر كاذكر او بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن واما الجر بتقدير حرفه حسبما يقتضيه
المقام ويستدعيه النظام ولا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على وجه الحكاية
ساكنة الاعجاز الا ان ما كانت منها مفردة مثل ص وق ون يتاتى فيها الاعراب اللفظي ايضا ولذلك
قرئ بالنصب على اضمار فعل اي اذكر او اقرأ صاد وقاف ونون وانما لم تنون لامتناع الصرف وكذا
ما كانت منها موازنة لمفرد نحو حم وطس وطسم الموازنة لقابيل وهابيل حيث اجاز سيبويه فيها مثل
ذلك قال في باب اسماء السور من كتابه وقد قرأ بعضهم ياسين والقران وقاف والقران وصاد
والقران فكانه جعله اسما اعجميا ثم قال اذكر ياسين انتهى وحكى السيرافي ايضا عن بعضهم قراءة
ياسين ويجوز ان يكون ذلك في الكل تحريكا لالتقاء الساكنين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم
لان ما بعدها من القران والقلم محلوف بهما وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد
قبل انقضاء الاول وهو السر في جعل ما عدا الواو الاولى في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى
وما خلق الذكر والانثى عاطفة ولا مجال للعطف ههنا للمخالفة بين الاول والثاني في الاعراب نعم
يجوز ذلك بجعل الاول مجرورا باضمار الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف وقرئ صاد وقاف
بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين ويجوز في طس ميم ان يفتح نونها وتجعل من قبيل دارابجرد كما ذكر
سيبويه في كتابه واما ما عداها من الفواتح فليس فيها الا الحكاية وسيجي تفاصيل سائر الاحكام كما هي

مشروحة

مشروحة في مواقعها باذن الله عز سلطانه اما منزلة الفاتحة الشريفة فان جعلت اسما للسورة او للقران
فمحلها الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذه الم اي مسمى به واما على الابتداء
الم ان تبعها او كلام مع ما سبق ذكره لانه باعتبار كونه بعيدا ذلك كرنا في حكم الحاضر المشاهد كما
يقال هذا ما اشترى فلان واما على انه مبتدأ اي المسمى به والاول هو الاظهر لان ما يجعل عنوان الموضوع
حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية قبل فحقها
الاخبار بها واما ما ذهب اليه باباه المبرد في ان المسمى هي السورة او كل القران ذلك ذا اسم اشارة
واللام عماد جيء به للدلالة على بعد المشار اليه هو المسمى لانه منزل منزلة المشاهد بالحس البصري
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد شانه وكونه في الغاية القاصية
من الفضل والشرف اثر تنويه بذكر اسمه وما قيل انه باعتبار التقضي او باعتبار الوصول من المرسل
الى المرسل اليه في حكم المتباعد وان كان مصححا للايراد لكنه بمعزل من ترجيحه على ايراد ما وضع
للاشارة الى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هي السورة لان المشار اليه هو المسمى بالاسم المذكور
بناء على ان التسمية لتمييزها السور بعضها من بعض فلا تلاحظ فيه ما بعد وهو على الوجه الاول مبتدأ
ثان وفي الوجه الثاني مبتدأ اول وقوله عز وعلا الكتاب اما خبر له او صفة اما اذا كان خبرا
له فالجملة على الوجه الاول مستانفة مؤكدة لما افادته الجملة الاولى من نباهة شان المسمى لا محل لها من
الاعراب وعلى الوجه الثاني في محل الرفع على انها خبر للمبتدأ الاول واسم الاشارة مغن عن الضمير
الرابط والكتاب اما مصدر سمي به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور واما فعال بني
للمفعول كاللباس من الكتب الذي هو ضم الحروف بعضها الى بعض واصله الجمع والضم في الامور المادية
للحس البصري ومنه الكتيبة للعسكر كما ان اصل القراءة الجمع والضم في الاشياء الخافية عليه واطلاقه
على المنظوم عبارة لما انه مما له الكتابة والمراد به على تقدير كون المسمى هي السورة جميع القران الكريم
وان لم يتم نزوله عند نزول السورة اما باعتبار تحققه في علم الله عز وجل او باعتبار ثبوته في اللوح او باعتبار
نزوله جملة الى السماء الدنيا حسبما ذكر في فاتحة الفاتحة واللام للعهد والمعنى ان هذه السورة هو الكتاب
اي الفرد الكامل منه كانه في احراز الفضل كل الكتاب المعهود الغني عن الوصف بالكمال لاشتهاره به
فيما بين الكتب على طريقة قوله عليه الصلاة والسلام الحج عرفة وعلى تقدير كون المسمى القران فالمراد
بالكتاب الجنس واللام للحقيقة والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بان يخص به اسم الكتاب لغاية
تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كان ما عداه من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة
اليه كما يقال هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وعليه
قول من قال   هم القوم كل القوم يا ام خالد   فالمدح كائن من جهة حصر
كمال الجنس في فرد من افراده وفي الصورة الاولى من جهة حصر كمال الكل في الجزء ولا مساغ هنا لحمل
الكتاب على الجنس لما ان فرده المعهود هو مجموع القران المقابل لكتاب اراده من الكتب السماوية لا بعضه
الذي ينطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه جزءا وهذا الفرد لا باعتبار كونه جزئيا للجنس على حياله
ولان حصر الكمال في السورة مشعر بنقصان سائر السور وان لم يكن الحصر بالنسبة اليها لتحقق المغايرة
بينها هذا في تقدير كون الكتاب خبرا لذلك واما اذا كان صفة له فالمراد بالكتاب على كل تقدير
مبتدأ ما خبره او مبتدأ اما ان خبره ما بعده والجملة خبر للاول والمشار اليه على كلا التقديرين هو المسمى

هذا كان في السورة او القرآن ومعنى البعد ما ذكر من الاشعار بعلو شانه فالمعنى ذلك الكتاب العجيب
الشان البالغ اقصى مراتب الكمال • وقيل المشار اليه هو الكتاب الموعود فمعنى البعد حينئذ ظاهر
خلا انه ان كان المسمى هي السورة ينبغي ان يراد بالوعد ما في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا
كما قيل وان كان هو القرآن فهو ما في التوراة والانجيل • هذا على تقدير كون الم اسما للسورة او
للقرآن واما على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد فذلك مبتدأ والكتاب اما خبره او صفته
والخبر ما بعده على نحو ما سلف او بعد مرتبته اي المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب ورد
الرتبة تليها الكتاب • وقوله تعالى لا ريب فيه اما في محل الرفع على انه خبر لذلك الكتاب على
الصور الثلاث المذكورة او على انه خبر ثان له او لذلك على تقدير كون الكتاب خبره او صفته
المقدر اذا على راي من يجوز كون الخبر الثاني جملة • كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى • واما في محل
النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة • واما جملة مستانفة لا محل
لها من الاعراب مؤكدة لما قبلها وكلمة لا نافية تنصب منفيها للاستغراق عاملة عمل ان لحملها
عليها لكونها نقيضا لها ولازمة للاسم لزومها وما اسمها مبني على الفتح لكونه مفردا نكرة لا مضافا ولا
شبيها به • واما ما ذكره الزجاج من انه معرب • واما حذف التنوين للتخفيف فمما لا تعويل
عليه وسبب بنائه تضمنه لمعنى من الاستغراقية لا انه ركب معها تركيب خمسة عشر كما زعم
وخبرها محذوف اي لا ريب موجود ونحوه • كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله والظرف
صفة لها لا اسمها ومعناه نفي الكون المطلق وسلبه عن الريب الموجود المعدود في الكتاب
او الخبر هو الظرف ومعناه سلب الكون فيه عن الريب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفا
وجعل المذكور خبرا ثانيا • وقرئ لا ريب فيه على ان لا بمعنى ليس • والفرق بينه وبين الاول ان ذلك
موجب للاستغراق وهذا مجوز له • والريب في الاصل مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة
وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم استعمل في معنى الشك مطلقا او مع تهمة لانه يقلق النفس
الطمانينة • وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك ومعنى نفيه من الكتاب انه في علو الشان
وسطوع البرهان • بحيث ليس فيه مظنة ان يرتاب في حقيته وكونه منزلا من عند الله تعالى لا انه
لا يرتاب فيه احد اصلا • الا يرى كيف جوز ذلك في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا الى اخره • فانه في قوة ان يقال وان كان لكم ريب فيما نزلنا الى اخره او ان ارتبتم فيما نزلنا
الى اخره الا انه خولف في الاسلوب حيث فرض كونهم في الريب لا كون الريب فيه لزيادة تنزيه
ساحة التنزيل عنه مع نوع اشعار بان ذلك انما هو من جهتهم لا من جهته العالية ولم يقصد هاهنا ذلك
الاشعار ولم يقصد ذلك الاشعار وسبق الريب في شان الكتاب لينبغي المقام تقديم الظرف
كما في قوله تعالى لا فيها غول • هدى مصدر من هداه كالسرى والبكى وهو الدلالة بلطف على
ما يوصل الى البغية اي ما من شانه ذلك • وقيل هي الدلالة الموصلة اليها بوقوع الضلالة في
مقابلته في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى • وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى
هدى او في ضلال مبين • ولا شك في ان عدم الوصول معتبر في مفهوم الضلالة فيعتبر الوصول
في مقابله • ومن ضرورة اعتباره فيه اعتباره في مفهوم الهدى المتعدي اذ لا فرق بينهما الا
بحيث التاثير والتاثر • وحاصله ان الهدى المتعدي هو التوجيه الموصل لان اللازم هو التوجه الموصل

بدليله

بدليل ان مقابله هي الضلال اي التوجه غير موصل قطعا ومعنى الكلامين مبني على اعتبار امرين اعتبار الوصول
وجوبا في مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم وجوبا في مفهوم المتعدي وكلا الامرين بمعزل من الثبوت
اما الاول فلان مدار التقابل بين الهدى والضلال ليس هو الوصول وعدمه على الاطلاق بل هما
معتبران في مفهوميهما على وجه مخصوص به يتحقق التقابل بينهما • وتفصيله ان الهدى لابد فيه من اعتبار
توجه من علم انه من شانه الايصال الى البغية كما ان الضلال لابد فيه من اعتبار الجور عن القصد الى ما
ليس من شانه الايصال قطعا وبهذه المرتبة من الاعتبار حصلت بين الطريقين وتحقق التقابل بينهما واما
النزاع في امكان الوصول الى البغية فلا يعد كافيا في تحصيل مفهوم الهدى او لابد فيه من خروج الوصول
من القوة الى الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل معتبر في مفهوم الضلال قطعا اذ انتفى زمن امتثاله فلو قال انه
اريد باعتبار الوصول بالفعل في مفهوم الهدى اعتباره مقارنا له في الوجود زمانا حسب اعتبار عدمه
في مفهوم مقابله فذلك بين البطلان لان الوصول غاية للتوجه المذكور فينتهي به قطعا لاستحالة التوجه
الى تحصيل الحاصل وما يبقى بعده ذلك فهو انما توجه الى الثبات عليه او انما توجه الى زيادته ولان التوجه
الى المقصد تدريجي والوصول اليه دفعي فيستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة • واما عدم الوصول فحيث
كان امرا مستمرا مستلزما لما يقتضيه من الضلال وجب مقارنته له في جميع ازمنة وجوده اذ لو فارقه في ان
من انات تلك الازمنة لفارقه في ذلك الان مقابله الذي هو الوصول فلم يكن ضلالا لا يكون مسالة •
والثاني اعتباره من حيث انه غاية له واجبة الترتب عليه لو لم يكن التوجه القاصر لغاية الحد في •
السلوك الى ما من شانه الوصول الى البغية عند تخلفه عنه لمانع خارجي كاخترام المنية مثلا من غير تقصير •
فلا حيود من جانب المتوجه ولا خلل من جهة المسالك فلا اولا اضطراب بينهما مع انه لا جور فيه عن القصد اصلا
فلعل اعتبار وجوب الوصول في مفهوم اللازم قطعا وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدي ضرورة
اعتبار وجود اللازم فيه وجوبا وهو الامر الثاني فبيانه مبني على تمهيد اصل وهو ان الافعال الاختيارية
هو الذي يبنيه وسيرد من قبله لكن لما لم يكن له في تحقيقه في نفسه بد من تعلقه بمفعوله اعتبر ذلك بالا
منه لو له فعل كالكل له باعتبار كيفية صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله وعند ذلك انما
شيء مترتبة عليه متمايزة في انفسها مستقلة باحكام مقتضية لافرادها باسماء خاصة وعرضت له بالقياس الى
اثر من تلك الاثار اضافة خاصة فاذا كانت هذه الاثار من الافعال فالعارضة له بالقياس الى سائرها ولانه يكاد الاثار
تابعة له في التحقق غير منفكة عنه اصلا اذ لا مؤثر لها سوى فاعله بدت من هناك واعتبرت الاضافة العارضة
له بحسبها داخلة في مدلوله كالاعتاق المتعلق بالجسم مثلا وضع له باعتبار الاضافة العارضة له من القطع
الذي هو اثر له اسم القطع الى غير ذلك من الاضافات العارضة له بالقياس الى الاثار اللازمة له •
ومعنى الامر مطرد في الاثار الطبيعية • واما الافعال التي له مدخل في وجودها في الجملة من غير ايجاب لما تبنا
عليه تخلف تارة وتارة اخرى بحسب وجود اسبابها الموجبة لها وعدمها كالامارات الاختيارية الصادرة من
سبيل انتهاؤها اسبابه كونه داعيا اليها حيث كانت مستقلة في انفسها مستندة الى موثرها غير لازمة لما تزعم
الاثار الطبيعية التابعة له لم يعتبر في مدلوله ولم يعتبر الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله
كالاضافة العارضة للامر بحسب امتثال المامور والاضافة العارضة للدعوة بحسب اجابة المدعو فان
الامتثال والاجابة وان عدا من اثار الامر والدعوة باعتبار ترتبهما عليهما غالبا لكنهما حيث كانا فعلين اختياريين
للمامور والمدعو مستقلين في انفسهما غير لازمين للامر والدعوة لم يعدا من احكامهما ولم تعتبر الاضافة

الفارقة لغا يتسبها داخلة في مدلولها مثر الامر والدعوة بل جعل اعتباره من نفس الطلب المتعلق بالمامور والمدعو
سواوجد الامتثال والاجابة او لا فاقتضاه فنقول كما ان الامتثال والاجابة فعلان مستندان الي انتهما
صادرين عن المامور والمدعو باختيارهما غير لازمين للامر والدعوة لزوم الاثار الطبيعية التابعة للافعال
الموجبة لها وان كانا مترتبين عليها في الجملة كذلك الاهتداء المطاوعي اي وجدان المراد لزوم المسالة تعل متعلق
له صادر عنه باختيار غير لازم للهداية اعني التوجيه اليه لزوم ما ذكر من الاثار الطبيعية وان كان
مترتبا عليها في الجملة فالتعريف المذكور من مقولة الامر والدعوة وكما لم تعتبرا لاضافة الطبيعية للفارقة في الاجنبية
داخلة في مدلولها فاعرابه لم يعتبر الاهتداء من متممات الهداية ● ان قيل ليس الهدي بالنسبة الي الهداية كالامتثال
والاجابة بالنسبة لما اصلها لان تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو لا يقتضي اتصافهما بكونهما مامورا ومدعوا
وليس من ضرورته اتصافها بالامتثال والاجابة او لا تلازم بينهما ذبين الاول ولين اصلا بخلاف الهدي
بالنسبة الي الهداية فان تعلقها بالمهدي يقتضي اتصافه به لان تعلق الفعل المتعدي المبني للفاعل
مقتضي لدليل علي اتصافه بمصدره المأخوذ من المبني للمفعول قطعا وهو مستلزم لاتصافه بمصدر
الفعل اللازم الذي هو الاهتداء لوجود التلازم بينه وبين المتعدي حتما ● قلنا كما ان تعلق الامر والدعوة بالمامور
والمدعو لا يستدعي الا اتصافهما بما ذكر من غير تعرض للامتثال والاجابة ايجابا وسلبا كذلك تعلق الهداية
التي هي عبارة عن الدلالة الموصلة بالمهدي لا يستدعي الا اتصافه بالمهدوية التي هي عبارة عن المصدر
المأخوذ من المبني للمفعول من غير تعرض للامتثال والاجابة لغيره لتلك الدلالة كما هو معنى الهدي اللازم
والعلم بقبوله بالهداية اعني الدعوة الي طريق الحق والاستمداد اعني الاجابة فكيف يوجد في مدلولها
واستلزام الاتصاف بمصدر الفعل المتعدي المبني للمفعول للاتصاف بمصدر الفعل اللازم مطلقا انما هو في
الافعال الطبيعية كالمكسورية والانكسار والمقطوعية والانقطاع ● واما الافعال الاختيارية فليست
كذلك لانها تختلف فيما ساغه ● ان قيل التعلم من قبيل الافعال الاختيارية مع انه معتبر في مدلول التعليم
قطعا فليكن الهدي مع الهداية كذلك ● قلنا ليس كذلك لكونه فعلا اختياريا في الاطلاق ولا
لكون التعليم عبارة عن تحصيل العلم للمتعلم كما قيل فان المعلم ليس مستقلا في ذلك في اشاده
اليه ضرب تحوز بل لان كلا منهما مفتقر في تحققه وتحصله الي الاخر فان التعليم عبارة عن القاء المبادي
العلمية الي المتعلم وسوقها الي ذهنه شيئا فشيئا علي ترتيب يقتضيه الحال بحيث لا يكاد ينساق اليه بعضها
الا بعد تلقيه لبعض اخر فكل منهما مستمر للاخر مستتبعا في مدلوله ● واما الهدي الذي هو عبارة عن التوجه المذكور
فعل اختياري يستبد به فاعله لا دخل للهداية سوي كونها داعية الي الجادة باختيار فلم يكن من متمماتها
ولا معتبرا في مدلولها ان قيل التعليم نوع من انواع الهداية والتعلم نوع من انواع الاهتداء فيكون
اعتباره في مدلول التعليم اعتبارا للهدي في مدلول الهداية ● قلنا اطلاق الهداية علي التعليم
المعبر عنه وصوغ المسائل واستعداد المتعلم يسلوكه من غيره ظلم التعليم سوي كونه داعيا اليه
وقد عرفت جلية الامر فيا ذلك التعليم ● ان قيل النبي نخلف المهدي عن الهداية كتخلف التعلم عن التعليم
حيث لم يكن ذلك تعليما في الحقيقة فلتكن الهداية ايضا كذلك ولها تسميته ما لا يستتبع الهدي بها
في الجور ● قلنا شتان بين التخلفين فان تخلف التعلم عن التعليم يكون لقصور فيه كما ان تخلف الانكسار
عن الكسر العرفي كذلك ● واما ان تخلف الهدي عن الهداية فليس لشائبة قصور من جهتها بل انما هو لفقد
سببه الموجب له من جهة المهدي بعد تكاملها بجزء من قبل الهادي وبهذا التحرير اتضح طريق الهداية وتبين

اتيانا بما هو من مطلق الدلالة لا الدلالة علي ما من شانه الايصال الي البغية بطريق مخالفة وبين مسالكه من غير ان
يشترط في مدلولها الوصول ولا القبول وان الدلالة الفارقة لما ارادها على المفارقة عنها كان ذلك للنزع فطع
النطق فيه الفارقة ومنه منها الباء حقيقية لها وان ما في قوله تعالي انك لا تهدي من احببت ● وقوله
تعالي ولو شاء لهداكم اجمعين ونحوه لك ما اعتبر فيه الوصول من قبيل المجاز وان الكشاف ان الدلالات
التكوينية المنصوبة في الانفس والافاق والبيانات التشريعية الواردة في الكتب السماوية علي الاطلاق
بالنسبة الي كافة البرية برها وفاجرها هدايات حقيقية فايضة من عند الله سبحانه وتعالي ● الحمد
لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ● للمتقين اي المتصفين بالتقوي حالا او مالا
وتخصيص الهدي بهم لما انهم المقتبسون من انواره ● المنتفعون باثاره ● وان كان ذلك شاملا لكافة العالمين من مومن
وكافر ● وبذلك الاعتبار قال الله تعالي هدي للناس ● والمتقي اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهي
فرط الصيانة والتقوي في عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي عما يضره في الاخرة ● قال عليه الصلاة والسلام
جماع التقوي في قوله تعالي ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية ● وعن عمر بن عبد العزيز انه قال
ترك ما حرم الله واداء ما افترض الله ● وعن شهر بن حوشب المتقي من يترك ما لا باس به حذرا مما به باس ● وعن
ابي يزيد ان التقوي هو التورع عن كل ما فيه شبهة ● وعن محمد بن حنيف انه مجانبة ما يبعدك
عن الله تعالي ● وعن سهل المتقي من تبرا عن حوله وقوته ● وقيل التقوي ان لا يراك الله حيث نهاك ولا
يفقدك حيث امرك ● وعن ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتي يكون اشد محاسبة لنفسه من الشريك
الشحيح والسلطان الجائر ● وعن ابي تراب بين يدي التقوي خمس عقبات لا يناله من لا يجاوزهن ايثار الشدة
علي النعمة وايثار الضعف علي القوة ● وايثار الذل علي العزة ● وايثار الجهد علي الراحة ● وايثار الموت
علي الحياة ● وعن بعض الحكماء انه لا يبلغ الرجل سنام التقوي الا ان يكون بحيث لو جعل ما في قلبه في طبق
فطيف به في السوق لم يستحي ممن نظر اليه ● وقيل التقوي ان تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق والتحقيق
ان للتقوي ثلاث مراتب ● الاولي التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الكفر ● وعليه قوله تعالي والزمهم
كلمة التقوي ● والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتي الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوي
في الشرع وهو المعني بقوله تعالي ولو ان اهل القري امنوا واتقوا ● والثالثة ان يتنزه
عن كل ما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بكليته وهو التقوي الحقيقي المامور به في قوله تعالي يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله حق تقاته ● ولهذه المرتبة عرض عريض يتفاوت فيه طبقات اصحابها حسب تفاوت درجات
استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة الالهية علي الحكم الالهية اقصاها ما انتهي اليه همم الانبياء
عليهم الصلاة والسلام حيث جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية وما عادتهم التعلق بعالم الاشباح ● من
العروج الي عالم الارواح ● ولم يعقهم الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق ● لكمال
استعداد نفوسهم الزكية ● المؤيدة بالقوة القدسية ● وهداية الكتاب المبين ● شاملة لهذه المراتب
اجمعين ● فان اريد بكونه هدي للمتقين ارشاده اياهم الي تحصيل المرتبة الاولي وما بعدها فالمراد بهم
المشارفون للتقوي مجازا لاستحالة تحصيل الحاصل ● وايثاره علي العبارة المعربة عن ذلك للايجاز
وتصدير السورة الكريمة بذكر اوليائه تعالي وتفخيم شانهم ● وان اريد به ارشاده الي تحصيل
احدي المرتبتين الاخيرتين فان عني بالمتقين اصحاب الطبقة الاولي تعينت الحقيقة ● وان عني بهم
اصحاب احدي الطبقتين الاخيرتين تعين المجاز لان الوصول اليها انما يتحقق بهدايته المترتبة ● وكذا

الاول في المرتبة الثانية والثالثة فان اريد بالهدى الاشارة الى العقبة المرتبة الثالثة كان في
بمعنى اصحاب المرتبة الثانية تعين الحقيقة الى حقيقة المرتبة الثالثة وان في بالمتقين اصحاب
المرتبة الثالثة تعين المجاز ولفظ الهداية حقيقة في جميع الصور * واما اذا اريد بكونه هدى لمن تنبيه
على ما سعر عليه او ارشادهم الى الزيادة فيجب على ان يكون مفهوما داخلا في المعنى المستعمل فيه
لا محالة ولفظ المتقين حقيقة في كل حال والكلام متعلقة بهدى او محذوف وقع صفة له او حالا منه
ومحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هو هدى او خبر مع لا ريب فيه لذلك الكتاب
او مبتدأ اخبر الظرف المقدم كما اشير اليه او النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل
معنى الاشارة او من الضمير في فيه والعامل معنى الاشارة او من الضمير في فيه والعامل فيه الجار والمجرور
من معنى الفعل المنفي * كانه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله على الكمال
اما للمبالغة كانه نفس الهدى او لجعل المصدر بمعنى الفاعل * والاولى ان الذي يستدعيه هذا التنزيل
في شان ترتيب هذه الجمل ان تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يتخلل بينها عاطف
فالم جملة برأسها على انها خبر لمبتدأ مضمر او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على ان المتحدى
به هو المؤلف من جنسها يؤلفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي دالة
عليه من كونه منعوتا بالكمال الفائق تحديا في غاية تنضله بنفي الريب فيه اذ لا نقص اتم مما للحق واليقين
على الكمال فيه كما لا يبعد تكميله او تستتبع الثانية منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول وانه لما
ثبت او لا انه الكلام المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته بالمع ظهر انه الكتاب
البالغ اقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه في غاية التزاهة من مظنة الريب اذ لا انقص مما يعتريه
الشك وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين * وفي كون كل منها من النكت الرابعة * والمزايا
الغائبة ما لا يخفى جلالة شأنه حسبما تحققه **الذين يؤمنون بالغيب** اما موصول بالمتقين ومحله الجر على انه
صفة مقيدة ان فسر التقوى بترك المعاصي فقط مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والموضحة
ان فسر بما هو المتعارف شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات معا لانها حينئذ تكون
تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصوف اجمالا وذلك لانها مشتملة على ما هو عماد الاعمال واساس الحسنات
من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة
لسائر القرب الداعية الى التجنب عن المعاصي غالبا * الا ترى الى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
وقوله عليه الصلاة والسلام الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الاسلام * واما مادحة للموصوفين بالتقوى
المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من الخصال الثلاثة بالذكر لاظهار شرفها
وانافتها على سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات او النصب على المدح بتقدير اعني او الرفع عليه
بتقدير هم او الرفع عليه بتقدير هم واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة باسم
الاشارة كما سياتي بيانه فالوقف على المتقين حينئذ وقف تام لانه وقف على مستقل مما بعده ايضا مستقل
واما على الوجوه الاول فحسن لاستقلال الموقوف عليه غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيته له اما في التقدير
ملحوظ وان خرجا من التبعية لما انهما موضوعان حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما القاطع

له

له حجتيه * الا ترى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة
مستقل من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما * قال ابو علي اذا ذكرت صفات للمدح وخولف
في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان اي للتفنن الموجب لايقاظ السامع وتحريكه الى الجد في الاستماع
تنبيه الكلام المسوق للمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشانه من المتكلم وتجلب
مزيد رغبة فيه من المخاطب * ان قيل لا ريب في ان حال الموصول عند كونه خبر المبتدأ المحذوف كحاله عند
كونه مبتدأ اخبره اولئك على هدى في انه يتسلك به جملة اسمية مستقلة لاتصاف المتقين بالصفات
الفاضلة صورة اي كان من الجهة اللفظية والموصول عبارة عن المتقين وان كان من انصافهم بالايمان
ومن معه وابن ارباب المدى والفلاح والنعوت الجليلة * فما السر في انه جعل ذلك في الصورة الاولى
من توابع المتقين وعد الوقف غير تام وفي الثانية مقتطعا عنه وعد الوقف تاما * قلنا السر فيه ان
المبتدأ في الصورتين وان كان عبارة عن المتقين لكن الخبر في الاولى لما كان تفصيلا لما تضمنه المبتدأ
اجمالا حسبما تضمنه معلوما لثبوت له بلا اشتباه بين عند السامع حري قابلية التفصيل والتوضيح نظرا الى
تلك الصفات منها عامة بحسب المعنى وان عد قطعا من اعامة بحسب اللفظ * كيف لا وقد اشتهر في الصفة
ان الخبر اذا كان معلوما لانتساب الى المخبر عنه فحقه ان يكون وصفا له كما ان الوصف اذا لم يكن كذلك
الانتساب الى الموصوف حقه ان يكون خبرا له حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم
بها صفات * واما الخبر في الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملا على ما لم يعرف المبتدأ من المعاني اللائقة
كاستحقاقه خبرا مفيدا للمخاطب فوائد رائقة جعلت الجملة مقتطعا عما قبله محافظة على الصورة والمعنى جميعا
والايمان افعال من الامن المتعدي الى واحد يقال امنته وبالنقل تعدى الى اثنين * يقال امنته غيري ثم
استعمل في التصديق لان المصدق يؤمن المصدق من تكذيبه اياه من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء
لتضمينه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا امن وطمأنينة * ومنه ما حكي عن العرب
ما امنت ان اجد صحابة اي ما وثقت ذا امن وسكون * وكلا الوجهين حسن هاهنا وهو في الشرع لا يتحقق
بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث
والجزاء ونظائرها وهل هو كاف في ذلك او لا بد من انضمام الاقرار اليه للمتمكن منه والاول
رأي الشيخ الاشعري ومن تابعه فان الاقرار عنده منشأ لاجراء الاحكام * والثاني مذهب ابي حنيفة
ومن تابعه وهو الحق فانه جعله جزءا من حكمه الا ان الاقرار محتمل للسقوط بعذر كما عند الاكراه
مجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن
اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق * ومن اخل بالاقرار فهو كافر * ومن اخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر
عند الخوارج وخارج من الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة * والذين يؤمنون بغيرهم الغيب
اما مصدر وصف به الغائب مبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة او فيعل خفف
كقيل في قيل وسيد في سيد وميت في ميت لكن لم يستعمل فيه الاصل كما استعمل في نظائره * والعرب
كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو
قسمان * قسم لا دليل عليه وهو الذي اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم
نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الشرائع والاحكام واليوم الآخر
واحواله من البعث والحساب والنشر والجزاء وهو المراد هاهنا فالباء صلة للايمان اما بتضمينه معنى

الاعتراف او عطفه عبا ذا بن الدوق ومن واقع موقع المفعول به • واما ان جعلته حالا لا للغيبة فالبا متعلقة
بمحذوف ووقع حالا من الفاعل • كما في قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب • وقوله تعالى ليعلم اني لم
اخنه بالغيب اي يومنون ملتبسين بالغيب اما عن المومن به اي غايبين • عن النبي صلى الله عليه وسلم
غير شاهدين لما فيه من شواهد النبوة لما روي ان اصحاب ابن مسعود رضي الله عنه ذكروا اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانهم • فقال علي رضي الله عنه ان امر محمد كان بينا لمن راه والذي
لا اله غيره ما امن مومن افضل من الايمان بالغيب ثم تلا هذه الاية اي واما عن الناس غايبين اي عن
المومنين لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا
معكم • وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور • والمعنى يومنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم
ما ليس في قلوبهم فالبا حينيذ للالة وترك ذكر المومن به على التقادير الثلاثة اما للقصد الى احداث
نفس الفعل • كما في قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الايمان واما للاكتفاء بما عرف فان الكتب الالهية
ناطقة بتفاصيل ما يجب الايمان به **ويقيمون الصلوة** اقامتها عبارة عن تعديل اركانها وحفظها من
ان يقع زيغ في فرايضها وسننها واداابها ماخوذ من اقامة العود اذا قومه وعدله • وقيل عن
المواظبة عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة فانها اذا حوفظ
عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه • وقيل عن التشمير لادايها من غير فتور ولا توان من قولهم
قام بالامر واقامه اذا جد فيه واجتهد • وقيل عن ادايها عبر عنه بالاقامة لاشتماله على القيام
كما عبر عنه بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح فالاول هو الاظهر لانه اشهر
والى الحقيقة اقرب والصلاة فعلة من صلى اذا دعا كالزكاة من زكى وانما كتبتا بالواو مراعاة للفظ
المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعا • وقيل اصل صلى حرك الصلوين وهما العظمان
الناتيان اعلى الفخذين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار اللفظ في المعنى الثاني دون الاول
لا يقدح في نقله عنه • وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم**
ينفقون الرزق في اللغة العطا ويطلق على الحظ المعطى نحو ذبح ورعي للمذبوح والمرعي وقيل هو
بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي العرف ما ينتفع به الحيوان والمعتزلة لما احالوا تمكين الله تعالى من
الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام • الا ترى انه تعالى اسند
الرزق الى ذاته ايذانا بانهم ينفقون من الحلال الصرف فان انفاق الحرام بمعزل من ايجاب المدح وذم المشركين
على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا
جعلوا الاسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم
بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بما روي عنه صلى الله عليه وسلم في حديث عمرو بن قرة حين
اتاه فقال يا رسول الله ان الله قد كتب علي الشقوة فلا اراني ارزق الا من دفي بكفي فاذن لي في الغنا من
غير فاحشة من انه قال صلى الله عليه وسلم لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت اي عدو الله والله
لقد رزقك الله حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم
يكن الحرام رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وقد قال الله تعالى وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها والانفاق والانفاد اخوان • خلا ان في الثاني معنى الاذهاب بالكلية دون
الاول • والمراد بهذا الانفاق الصرف في سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكاة ذكر افضل

انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها • والجملة معطوفة على ما قبلها من الصلة وتقديم
المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤوس الاي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن التبذير المنهي عنه ويجوز
ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة • ويؤيده
قوله عليه الصلاة والسلام ان علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه • واليه ذهب من قال ومما
خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون **والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك** معطوف على الموصول
الاول على تقدير وصله بما قبله وفصله عنه مندرج معهم في زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى
معا او من حيث المعنى فقط اندراج خاصين تحت عام اذ المراد بالاولين الذين امنوا بعد الشرك والغفلة
عن جميع الشرايع كما يوذن به التعبير عن المومن به بالغيب وبالاخرين الذين امنوا بالقران بعد الايمان
بالكتب المنزلة • كعبد الله بن سلام واضرابه اذ على التقدير الاول ان يراد بالاولين خاصة ويكون
تخصيصهم بوصف الايمان بالغيب لان تبين بينهم من خالفهم الاول بالكلية لما فيها من كمال المناسبة والمباينة
لشرايع كلها الموجبة للاديان باسرها بخلاف الاخرين فانهم مرتبكون لما كانوا عليه بالمرة بل متمسكون
باصول الشرايع التي لا تكاد تختلف باختلاف الاعصار • او يجوز ان على الكلام الموصوف عبارة من الكاملين
عن المتقين ولا يكون توسيط العاطف بينهما لاختلاف الذوات بل لاختلاف الصفات • كما في قوله

الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم • وقوله

يا لهف زيابة للحارث • الصابح فالغانم فالايب • للانداد

بان كلا الوصفين احب من الايمان بالنسبة اليه من الامور الغايبة والايمان بما يشهد بثبوتها من الكتب الماضية نعمة
جليلة على حيال الذات مستتبع لاحكام جمة حقيق بان تغاير له الموصوف مستقلا ولا يجعل احدهما تابعا للاخر
وقد شفع الاول باداء الصلاة والصدقة اللتين هما من جملة الشرايع المندرجة تحت تلك الامور والثاني
بما تكملة له فان كمال العلم بالعمل وقرن الثاني بالايقان بالاخرة مع كونه مندرجا تحت الاول تنبيها
على كمال حسنه وتعريضا بان اعتقاد اهل الكتابين من الخلل كما سياتي • ومعنى على تقدير تعلق الباء بالايمان
ويشعر به الحال عند تعلقها بالمحذوف كان كلا من الايمان الغيبي المشفوع بالغيب فيه من العبادة
مع قطع النظر عن المومن به والايمان بالكتب المنزلة الشارحة لتفاصيل الامور التي يجب الايمان بها
مقرون بالقرينة فضيلة بامتاع مستدعية لما ذكر والله تعالى اعلم • وقد جعلت للذي على معنى قولهم الجامعون
بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بالعبادة والعبادات البدنية والمالية وبين الايمان
بما لا طريق اليه غير السمع وتكرير الموصوف للتنبيه على تغاير القبيلين وتباين السبيلين للتامل وان يراد
بالموصول الثاني بعد اندراج الكل في الاول الذين خاصتهم ومنهم مومنوا اهل الكتاب بالنجنو ذكر
تخصيص جبريل وميكايل بعد ذكر الملائكة عليهم السلام تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم واقرانهم
في تحصيل ما احرزوا من كمال الانزال والنقل من الاعلى الى الاسفل وتعلقه بالمعاني انما هو بتوسط تعلقه
بالاعيان المستتبعة لها فنزول ما عدا المصحف من الكتب الالهية الى الرسل عليهم الصلاة والسلام
والله تعالى اعلم بان يتلقاها الملك من جنابه عز وجل تلقيا روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل
بها الى الرسل فيلقيها عليهم عليهم الصلاة والسلام • والمراد بما انزل اليك القران والشريعة
من احكامها والتعبير عنها بلفظ الماضي مع كون بعضها مترقبا حينيذ لتغليب المحقق على المقدر او لتنزيل
ما في شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع • كما في قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن ما

كانوا آمنوا بالكتاب جميعاً ولأن الجميع اذ ذاك نازلاً • وما انزل من قبلك التوراة والانجيل وسائر الكتب
السالفة وعدم التعرض لذكر من انزل اليه من الانبيا عليهم الصلاة والسلام لقصد الايجاز
مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل حسب تعلقه به في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما
انزل الى ابراهيم واسماعيل الآية • والايمان بالكل جملة فرض وبالقرآن تفصيلاً من حيث انا
متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان في وجوبه على الكل عيناً حرجاً بيناً واخلالاً بامر المعاش وبناء
الفعلين للمفعول للايذان بتعين الفاعل والجري على سنن الكبرياء وقد قرئا على البنا للفاعل وبالآخرة
هم يوقنون الايقان اتقان العلم بالشي بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك لا يوصف به علمه تعالى
يقيناً اي يعلمون علماً قطعياً مزيحاً لما كان اهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام التي من جملتها زعمهم
ان الجنة لا يدخلها الا من كان هوداً او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياماً معدودات واختلافهم في ان
نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا او لا وهل هو دائم او لا وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على الضمير
تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم في امور الآخرة بمعزل من الصحة فضلاً عن الوصول
الى مرتبة اليقين والآخرة تأنيث الآخر كما ان الدنيا تأنيث الادنى غلبتا على الدارين فجرتا مجرى الاسماء
وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام • وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة اجراء لضمة ما قبلها
مجرى ضمتها في وجوه ووقتت ونظيره ما في قوله •

احب المؤقدين الى موسى • وجعدة اذ اضاءهما الوقود •

وقوله تعالى **اولئك** اشارة الى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها وفيه دلالة على انهم
متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة • وما فيه من معنى البعد
للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ • وقوله عز وعلا **على هدى** خبره وما فيه
من الابهام المفهوم من التنكير لكمال التفخيم • كأنه قيل على اي هدى هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره •
وايراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من يعتلي الشي ويستولي عليه بحيث يتصرف
فيه كيف ما يريد او على استعارتها لتمسكهم بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلاء الراكب
واستوائه على مركوبه او على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للايذان بقوة تمكنهم
منه وكمال رسوخهم فيه • وقوله تعالى **من ربهم** متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الاضافية
اثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها اي على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته وفنون
توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف اليهم
وتشريفهما ولزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجبه ويقتضيه وقد ادغمت النون في الراء
بغنة وبغير غنة • والجملة على تقدير كون الموصولين موصولين بالمتقين مستأنفة لا محل لها من
الاعراب مقررة لمضمون قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة تأكيد له وتحقيق كيف لا وكون الكتاب
هدى فن من فنون ما منحوا واستقروا عليه من الهدى حسبما تحققته لا سيما مع ملاحظة ما
بين العنوان والفلاح • وقيل هي في موقع الجواب عن سؤال ينشأ مما سبق كأنه قيل للمنعوت
بما ذكر من النعوت اختصوا بهداية الكتاب العظيم الشان واختصاصاً بتلك الاثرة فاجيب
بانهم بسبب اتصافهم بتلك النعوت مالكون لما هو ملاك الامر الهدى الجامع لفنونه المستتبع للفوز والفلاح
ذاتي في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه • ولقد تحار عن سنن الصواب • من قال في تقرير الجواب •

ان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلاً وبالفلاح آجلاً • واما على
تقدير كونهما مفصولين عنه فهي في محل الرفع على انها خبر للمبتدأ الذي هو الموصول الاول والثاني معطوف
عليه ووسط الجملة استئناف وقع جواباً عن سؤال انساق اليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين
تلخيصاً لمبادي استحقاقهم للمنزلة كأنه قيل ما بال المتقين مخصوصين به • فأجيب بشرح ما انطوى
عليه اسمهم اجمالاً من نعوت الكمال وبيان ما استتبعته من النتيجة اي الذين هذه شؤونهم احقاء بما
اعظم من ذلك • كقولك احب الانصار الذين قارعوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجهم
في سبيل الله • اولئك سواد عيني وسويداء قلبي • واعلم ان هذا المسلك يسلك تارة باعادة اسم
من استؤنف عنه الحديث • كقولك احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان واخرى باعادة صفته •
كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك • ولا ريب في ان هذا ابلغ من الاول لما فيه
من بيان الموجب للحكم • وايراد اسم الاشارة بمنزلة اعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه
من الاشعار بكمال تميزهم بها وانتظامهم بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والايذان ببعد منزلتهم كما
مر فهو ابلغ • وجوز ان يكون الموصول الاول مجرياً على المتقين صفة له والثاني مبتدأ واولئك الخ
خبره وجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضاً بعدمهما في مؤمني اهل الكتاب حيث لا يؤمنون بالهدى
المدى ويطمعون في نيل الفلاح **واولئك هم المفلحون** تكرير اسم الاشارة لاظهار مزيد العناية بشأن
المشار اليهم وللتنبيه على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحدة من تينك الاثرتين وان
كلا منهما كاف في تمييزهم بها عمن عداهم • ويؤيده توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى
اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما يفيده
تشبيههم بالبهائم فتكون الجملة الثانية مقررة للاولى • واما الفلاح الذي هو عبارة عن الفوز
بالمطلوب فلما كان مغايراً للهدى نتيجة له وكان كل منهما في نفسه اعز مرام يتنافس فيه المتنافسون فعل ما فعل
وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ خبره
المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم
المفلحون في الآخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا • وفي بيان
اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من المراتب العالية • على فنون من الاعتبارات الرائقة اللائقة • حسبما اشير
اليه في تضاعيف الكلام من الترغيب في اقتفاء اثرهم والارشاد الى الاقتداء بسيرهم ما لا
يخفى مكانه وفقنا الله لنيل الهداية والتوفيق **ان الذين كفروا** كلام مستأنف سيق لشرح احوال الكفرة
الغواة المردة العتاة اثر بيان احوال اضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم في الحال
والمآل وانما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار
لفي جحيم لما بينهما من التنافي في الاسلوب والتباين في الغرض فان الاولى سيقت لبيان رفعة شأن الكتاب
في باب الهداية والارشاد • واما التعرض لاحوال المهتدين به فانما هو بطريق الاستطراد سواء جعل
الموصول موصولاً بما قبله او مفصولاً عنه فان الاستئناف مبني على سؤال ناشئ من الكلام المتقدم
فهو من مستتبعاته لا محالة • واما الثانية فمسوقة لبيان احوال الكفرة اصالة وترامي امرهم
في الغواية والضلال الى حيث لا يجديهم الانذار والتبشير • ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير
فهم راكبون في ثبج الغي والفساد • عن منهاج العقول • وراكبون في مسالك المكابرة والعناد • من كل

صعب وذلول • وإنما أوثرت معنى الطريقة ولم يتوسل الكلام على بيان أن الكتاب هاديا للمتقين وعيد
عليه للآخرين • لأن العنوان الأجنبي ليس لما يورثه كالأجنبي بين من لدن اشتا معتادا كالأبد • إن من الحروف
التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الأسماء ودخول نون الوقاية عليها كإنني ولعلني
ونظائرها وإعطاء معانيه والمتعدي خاصة في الدخول على اسمين ولذلك أعملت عمله الفرعي وهو نصب
الأول ورفع الثاني إيذانا بأنه فرع في العمل دخيل فيه • وعند الكوفيين لا عمل له في الخبر بل هو باق
على حاله بقضية الاستصحاب • وأجيب بأن ارتفاع الخبر مشروط بالتجرد عن العوامل وإلا لما انتصب
خبر كان وقد زال بدخولها فانتصب من أعمال الحروف وإنها لتأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم
ويصدر بها الأجوبة ويؤتى بها في مواضع الشك والإنكار لدفعه ورده • قال المبرد قولك عبد الله قائم
إخبار عن قيامه وإن عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وإن عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه •
وتعريف الموصول إما للعهد والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم
وأحبار اليهود أو للجنس وقد خص منه غير المصرين بالإسناد إليه من قوله تعالى سواء عليهم إلى آخره والكفر
في اللغة ستر النعمة • وأصله الكفر بالفتح أي الستر • ومنه قيل للزارع والليل كافر قال تعالى كمثل
غيث أعجب الكفار نباته • وقال لبيد • في ليلة كفر النجوم غمامها • ومنه المتكفر
بسلاحه وهو الشاكي الذي غطى السلاح بدنه • وفي الشريعة إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول عليه
الصلاة والسلام به وإنما عد لبس الغيار وشد الزنار بغير اضطرار ونظائرهما كفرا لأنها تدل على التكذيب
فإن من صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يكاد يجترئ على أمثال ذلك إذ لا داعي إليه كالزنا وشرب الخمر
واحتجت المعتزلة به على حدوث القرآن بأنه أخبر بلفظ الماضي على وجه الإخبار فإنه يستدعي سابقة المخبر عنه
لا محالة • وأجيب بأنه من مقتضيات التعلق وحدوثه لا يستدعي حدوث الكلام كما أن حدوث تعلق
العلم بالمعلوم لا يستدعي حدوث العلم سواء اسم بمعنى الاستواء نعت به مبالغة كما نعت بالمصادر مبالغة
قال تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم • وقوله تعالى عليهم متعلق به ومعناه عندهم وارتفاعه
على الخبر لأن • وقوله تعالى أأنذرتهم أم لم تنذرهم مرتفع به على الفاعلية لأن الهمزة وأم مجردتان عن معنى
الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الأمر والنهي لذلك عن معنييهما في قوله عز وجل استغفر
لهم أو لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة عن معنى الطلب لمجرد التخصيص • كأنه
قيل إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه • كقولك إن زيدا مختصم أخوه وابن عمه أو بأنه وما بعده
خبر لما بعده على معنى اعتناء بشأنه والجملة خبر لأن والفعل إنما يمتنع الإخبار عنه نظرا إلى حقيقته أما
لو أريد به اللفظ أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على طريقة الاتساع فهو كالاسم في الإضافة والإسناد
إليه كما في قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم • وقوله تعالى وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض
وقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه وإنما عدل ههنا عن المصدر إلى الفعل
لما فيه من إيهام التجدد وحسن دخول الهمزة وأم عليه لإفادة تقرير معنى الاستواء
وتأكيده كما مر • وقيل سواء مبتدأ وما بعده خبره وليس بذلك لأن مقتضى المقام بيان كون
الإنذار وعدمه سواء لا بيان كون المستوي الإنذار وعدمه والإنذار إعلام المخوف للاحتراز عنه وأفعاله
من إنذار إلا ... عذاب • والمراد ههنا التخويف من عذاب الله تعالى وعقابه على المعاصي والاقتصار
عليه لما أنهم ليسوا بأهل للبشارة أصلا ولأن الإنذار أوقع في القلوب وأشد تأثيرا في النفوس فإن دفع

المضار

المضار أهم من جلب المنافع فحيث لم يتأثروا به كانوا بأن لا يرفعوا للبشارة رأسا أولى • وقرئ بتوسيط ألف
بين الهمزتين مع تحقيقهما وبتوسيطها والثانية بين بين وبتخفيف الثانية بين بين بلا توسيطها
وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح • وقرئ بقلب
الثانية ألفا وقد نسب ذلك إلى اللحن لا يؤمنون جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيها من
إجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الإعراب أو حال مؤكدة له أو بدل منه أو خبر لأن والجملة قبلها اعتراض
بما هو علة الحكم أو خبران على رأي من جوزه عند كونه جملة • والآية مما احتج به من جوز التكليف
بالمحال فإنه تعالى قد أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون فظهر استحالة إيمانهم لاستلزامه المحال الذي هو
عدم مطابقة إخباره تعالى للواقع مع كونهم مأمورين بالإيمان باقين على التكليف ولأن من جملة ما كلفوه
الإيمان بعدم إيمانهم المستمر والحق أن التكليف بالممتنع لذاته وإن جاز عقلا من حيث إن الأحكام لا تستدعي
أغراضا لا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والإخبار بوقوع الشيء أو عدمه لا ينفي القدرة عليه
كإخباره تعالى عما يفعله هو أو العبد باختياره وليس ما كلفوه الإيمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى
يلزم أن يكلفوا الإيمان بعدم إيمانهم المستمر بل هو الإيمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم إجمالا
على أن كون الموصول لعيان منهم ليس معلوما لهم • وفائدة الإنذار بعد العلم بأنه لا ينجع إلزام الحجة وإحراز
الرسول عليه الصلاة والسلام فضل الإبلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة
الأصنام سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون • وفي الآية إخبار بالغيب على ما هو به إن
أريد بالموصول أشخاص بأعيانهم فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم استئناف تعليل لما سبق
من الحكم وبيان لما يقتضيه أو بيان وتأكيد له والمراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد والختم على
الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه صيانة له أو لما فيه من التعرض له كما في البيت الفارغ والكيس
المملوء الأول منها لا يليق بالمقام إذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم بل إحداث حالة تجعلها بسبب تماديهم
في الغي وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الإنذار ولا ينفذ
فيها الحق أصلا إما على طريقة الاستعارة التبعية بأن يشبه ذلك بضرب الخاتم على أبواب المنازل
الخالية المبنية للسكنى تشبيه معقول بمحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال على منع القابل عما من شأنه أن
يقبله ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي • وإما على طريقة التمثيل بأن يشبه الهيئة
المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من إحداث تلك الحالة المانعة من أن يصل إليها ما خلقت
هي لأجله من الأمور الدينية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة منتزعة من محال معدة لأن
يحل فيها ما يحلها حلولا مستتبعا لمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين ما أعدت
لأجله بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبهة بها فيكون كلاما من طريق التشبيه مركبا
من أمور عدة قد ينتزع من جانب المشبه به على ما عليه ... الأمر من تصوير تلك الهيئة والانتزاع
وهو الختم والباقي منوي مراد وتقديرا بألفاظ متخيلة بها يتحقق التركيب وتلك الألفاظ وإن كانت
مدخلا في تحقيق وجه الشبه الذي هو أمر عقلي منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما أعد له بسبب
مانع قوي لكن ليس في شيء منها على الانفراد تجوز باعتبار هذا المجاز بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة
أو مجازا أو كناية • وأما التجوز في المجموع وحيث كان معنى المجموع مجموع معاني تلك الألفاظ التي
فيها للتجوز المعهود لم يكن الهيئة المنتزعة منها مدلولا وضعيا لها ليكون ما دل على الهيئة المشبهة

بما عند استعماله في الهيئة المشبه مستعملا في غيرها ومنع له فيندرج تحت الاستعارة التي هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة في غير ما وضع له ذهب فحول المحققين كالشيخ ابي عبد القاهر وامرابه الى جعل التمثيل شاملا له ومن زاد ان ينقل عنه لا يلائم عنده تلك الهيئة المشبه بها من غير قبيل المدلولات الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند استعماله فيما يشبه بها من هيئة اخرى منتزعة من امور اخر من قبيل الاستعارة وسماه استعارة تمثيلية واسناد احداث تلك الحالة في قلوبهم الى الله تعالى لاستناد جميع الحوادث عندنا من حيث الخلق اليه سبحانه وتعالى وورود الاية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون افعالهم من حيث الكسب مستندة اليهم فان خلقها منه سبحانه ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبائح كما يعرب عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم ونحو ذلك واما المعتزلة فقد سلكوا مسلك التاويل وذكروا في ذلك عدة من الاقاويل منها ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه ومنها ان المراد به تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او بقلوب قد ختم الله عليها كما في قولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته ومنها ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر واسناده اليه سبحانه باعتبار كونه باقداره تعالى وتمكينه ومنها ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق الى تحصيل ايمانهم طريق سوى الالجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف عبر عن ذلك بالختم لانه سد لطريق ايمانهم بالكلية وفيه اشعار بتناهي امرهم في الغي والعناد وتناهي انهماكهم في الشر والفساد ومنها انه على الحكاية لما كانت الكفرة يقولونه تهكما بهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما بهم ومنها ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة يعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم **وعلى سمعهم** عطف على ما قبله داخل تحت حكم الختم لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه لا على قلوبهم ولاشتراكهما في الادراك من جميع الجوانب واعادة الجار للتاكيد والاشعار بتغاير الختمين وتعدد ختم قلوبهم للايذان بانها الاصل في عدم الايمان والاشعار بان ختمها ليس بطريق التبعية لختم سمعهم بناء على انه طريق اليها فالختم عليه ختم عليها بل هي مختومة بختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم فهو باق على حاله كحسبانه بفحوى قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون والسمع ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها وهو المراد هاهنا اذ هو المختوم عليه اصالة وتقديم ختمه على حال ابصارهم للاشتراك بينهما في تلك الحال او لان جنايتهم من حيث السمع الذي به يتلقى الاحكام الشرعية وبه يتحقق الانذار اعظم منها من حيث البصر الذي به تشاهد الاحوال الدالة على التوحيد فبيانها احق بالتقديم وانسب بالمقام قالوا السمع افضل من البصر لانه عز وجل حيث ذكرهما قدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله تعالى رسولا اصم ولان السمع وسيلة الى استكمال العقل بالمعارف التي تتلقف من اصحابها وتوحيده للامن عن اللبس واعتبار الاصل او لتقدير المضاف اي وعلى حواس سمعهم والكلام في ايقاع الختم على ذلك كما مر من قبل **وعلى ابصارهم غشاوة** الابصار جمع بصر والكلام فيه كما مر في السمع والغشاوة فعالة من التغشية اي التغطية بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة وتنكيرها للتفخيم والتهويل وهي على راي سيبويه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للايذان بدوام

مضمونها

مضمونها فان ما يدرك بالقوة الباصرة من الايات المنصوبة في الافاق والانفس حيث كانت مستمرة كان تعاميهم عن ذلك ايضا كذلك واما الايات التي تتلقى بالقوة السامعة فلما كان وصولها اليها حينا فحينا اوثر في بيان الختم عليها وعلى ما هي احد طريقي معرفته اعني القلب الجملة الفعلية وعلى راي الاخفش مرتفع على الفاعلية بما تعلق به الجار وقرئ بالنصب على تقدير فعل ناصب اي وجعل على ابصارهم غشاوة وقيل على حذف الجار وايصال الختم اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع **ولهم عذاب عظيم** وعيد وبيان لما يستحقونه في الاخرة والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال اعذب عن الشيء اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لانه يقطع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا فانه ينقخ العطش ويكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ويكسر ثم اتسع فيه فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة كون الحقير دون الصغير كون العظيم فوق الكبير ويستعملان في الجثث والاحداث تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ووصف العذاب به لتاكيد ما يفيده التنكير من التفخيم والتهويل والمبالغة في ذلك والمعنى ان على ابصارهم ضربا من الغشاوة خارجا عما يتعارفه الناس وهي غشاوة التعامي عن الايات ولهم من الالام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته اللهم انا نعوذ بك من ذلك كله يا ارحم الراحمين **ومن الناس** شروع في بيان ان بعض من حكيت احوالهم السالفة ليسوا بقنعاء على ما ذكر من محض الاصرار على الكفر والعناد بل يضمون اليه فنونا اخر من الشر والفساد وتمام تلك جنايتهم الشنيعة المستتبعة لاحوال هائلة عاجلة واجلة واصل الناس اناس كما يشهد له انسان واناسي وانس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما واما قوله

ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا

فشاذ وهو ايضا لظهورهم وتعلق الايناس بهم كما سمي الجن جنا لاجتنانهم وذهب بعضهم الى ان اصله نوس وهو الحركة انقلبت واوه الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وبعضهم الى انه ماخوذ من نسي نقلت لامه الى موضع العين فصار نيسا ثم قلبت الفا سموا بذلك لنسيانهم ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي واللام فيه اما للعهد او للجنس المقصود منه حسبما ذكر في الموصول كانه قيل ومنهم او من اولئك والعدول الى الناس لكثرتهم كما ينبئ عنه التبعيض ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ باعتبار مضمونه او بنعت لمقدر هو المبتدأ كما في قوله عز وجل وما منا الا له مقام معلوم وقوله تعالى ومنا دون ذلك اي وجمع منا دون ذلك **من يقول** موصولة او موصوفة ومحلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس الذي يقول كقوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي الاية او فريق يقول كقوله سبحانه وتعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى اخره على ان يكون مناط الافادة والمقصود بالاصالة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة وما يتعلق بها من الصفات جميعا لا كونهم ذوات اولئك المذكورين واما جعل الظرف خبرا كما هو الشايع في موارد الاستعمال فيأباه جزالة النظم الكريم لان كونهم من الناس ظاهر والاخبار به عار عن الفائدة كما قيل فان مبناه توهم كون المراد بالناس الجنس مطلقا وكذا ما قيل في الجواب عنه بان الفائدة هي التنبيه على ان الصفات المذكورة

ثبت في الاشارة فى من يجيبه بها ان لا يريد كونه من الناس المخبر به ويتعجب منه
عبارة عن المعهودين اوعن الجنس المعهود على المصرين • واياما كان فالفائدة ظاهر بالمخبر بانه اناث
الطرف لتستحق ان يكون العنوان هو الاتيان الصفات الشنيعة الموصلة في بيان عشرة اية عنوان الوضع
محصور وعامة غير مقصود بالذات ويكون مناط الافادة كونهم من اولئك المذكورين • ولاريب لاحد
في ان اندرج مال النظم الجليل على اجل المعاني واكملها وتوجيه التعبير بقول باعتبار لفظة من وجه
في قوله تعالى امنا بالله وباليوم الاخر وما بعده باعتبار معناها والمراد باليوم الاخر من وقت الحشر
الا انتها الى اوان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار اذ لا حد وراه وتخصيصهم للايمان بالذكر
مع تكرير الباء ادعاء انهم قد حازوا الايمان من قطريه واحاطوا به من طرفيه وانهم قد امنوا بكل منها
على الاصالة والاستحكام • وقد دسوا تحته ما هم عليه من العقائد الفاسدة حيث لم يكن ايمانهم
بواحد منها ايمانا في الحقيقة اذ كانوا مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الاخر بقولهم لن تمسنا
النار الا اياما معدودات وغير ذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم ودعارتهم فان ما قالوا لو
صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ذلك ايمانا فكيف وهم يقولونه
موهما على المسلمين واستهزاء بهم وما هم بمؤمنين رد لما ادعوه ونفي لما انتحلوه وما جاريه والجوار
دخول الباء في خبرها لتاكيد النفي اتفاقا في خلاف التميمية • وايثار الجملة الاسمية على الفعلية الموافقة له
لدعواهم المردودة للمبالغة في الرد بافادة الاستناع عنهم في جميع الازمنة لا في الماضي كما تفيده الفعلية
ولا يتوهم ان الجملة الاسمية الايجابية تفيد دوام الثبوت نفيه دوام النفي عليها تعكس الدلالة على نفي
الدوام وانما بمعونة المقام مرتبة لعلى دوام النفي قطعا كما ان المضارع الخالي دون حرف الامتناع يدل
على استمرار الوجود لا على امتناع الاستمرار كما في قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم
اجلهم فان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل لا لعدم استمرار التعجيل • واطلاق الايمان على ما قيدوه
به للايذان بانهم ليسوا من جنس الايمان في شيء اصلا فضلا من الايمان بما ذكروه • ولذا يجوز ان
يكون المراد ذلك ويكون الاطلاق للظهور وقد لولا الاية الكريمة ان من اظهر الايمان واعتقاده
خلافه لا يكون مؤمنا فلا حجة فيها على الكرامية القائلين بان من تفوه بكلمتي الشهادة فارغ القلب
عما يوافقه او ينافيه مؤمن يخادعون الله والذين امنوا بيان لتود ونوضيح لما نعق عنهم ما يقولون او استيناف
وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن • كانه قيل ما لهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون
الى اخره اي يخدعون وقد قرئ كذلك • وانما عبر بصيغة المفاعلة لافادة المبالغة في الكيفية فان
الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعا او في الكيفية كما في الممارسة والمزاولة فانهم كانوا مداومين على الخدع
والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب او يوهم المساعدة
على ما يريد هو به ليغتر بذلك فينجو منه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي اذا امر الحارش
بيد على باب حجره يوهمه الاقبال عليه فيخرج من بابه الاخر وكلا المعنيين مناسب للمقام • فانهم
كانوا يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار المؤمنين فيذيعوها الى المنابذين • وان يدفعوا
عن انفسهم ما يصيبهم بسائر الكفرة • واياما كان فنسبته الى الله سبحانه وتعالى • واما على طريق الاستعارة
والتمثيل لافادة كمال شناعة جنايتهم اي يعاملون معاملة المخادعين • واما على طريقة المجاز العقلي
بان ينسب اليه تعالى ما معه ان ينسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم ايانه لمكانته عنده سبحانه وتعالى

لا ينبغي عنه كقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم • وقوله تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله مع افادة كمال الشناعة كما مر • واما لجرد التوطئة والتمهيد لما بعده من نسبته الى الذين
امنوا الا يذان ان لفق اختصاصهم به تعالى • كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه • وقوله تعالى
ان الذين يؤذون الله ورسوله والمخادعة الخادعة على معناها الحقيقي فان زعمهم الفاسد وزعم
عن اعتقادهم الباطل • كانه قيل كيف يزعمون انهم خدعوا الله والله يخدعهم او على جعلها استعارة
تبعية او تمثيلا لان صورة صنعهم مع الله تعالى والمؤمنين وصنعه تعالى معهم باجراء احكام الاسلام عليهم
مع انهم عنده اخبث الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول عليه
الصلاة والسلام والمؤمنين بامر الله تعالى في ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين كما
قيل لما لا يرتضيه الذوق السليم • اما الاول فلان المنافقين لما اعتقدوا ان الله تعالى يخدعهم فقد
خدعهم لم يتصور منهم التصدي للخدع • واما الثاني فلان مقتضى المقام ايراد حالهم خاصة وتصوير
ما يليق بها من الصورة المستهجنة وبيان ان غايتها ايلاء اليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله
عز قائلا وما يخادعون الا انفسهم فالتعرض لحال الجانب الاخر ما يخل بتوفية المقام حقه • وهو حال من ضمير
يخادعون اي يفعلون ما يفعلون والحال انهم ما يضرون بذلك الا انفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم
او ما يخادعون حقيقة الا انفسهم حيث يعدونها بالاكاذيب فيلقونها في مهاوي الردى • وقرئ وما يخادعون
والمعنى هو المعنى • ومن حافظ على الحقيقة قال • قاله في قراءة وما يعاملون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة
المخادعين الا انفسهم لان ضررها لا يحيق الا بهم او ما يخادعون حقيقة الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل
ويمنونها بما يعدونهم ويمنيهم الاماني الفارغة • وقرئ وما يخدعون من التخديع وما يخدعون اي يختدعون
ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته وقد
يقال للروح لان نفس الحي به تنفس ايضا لانه محل الروح او متعلقة وللدم ايضا لان قوامها به وللقلب ايضا
لشدة حاجتها اليه والمراد ههنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم
لا يتخطاهم الى غيرهم • وقوله تعالى وما يشعرون حال من ضمير ما يخادعون اي يقتصرون على خدع
انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي يحسون بذلك لتماديهم في الغواية وحذف المفعول اما للظهور او للعموم
اي ما يشعرون بشيء اصلا جعل لحوق وبال ما صنعوا بهم في الظهور بمنزلة الامر المحسوس الذي لا يخفى الا على
موتى الحواس • في قلوبهم مرض المرض حقيقة عبارة عما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الذي يليق
به ويوجب الخلل في افاعيله ويؤدي الى الموت استعير ههنا لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي
صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من فنون الكفر المؤدي الى الهلاك الروحاني والتنكير للدلالة على كونه نوعا
مبهما غير ما يتعارفه الناس من الامراض • والجملة مقررة لما يفيده قوله تعالى وما هم بمؤمنين من عدم استمرار الايمان
او تعليل له كانه قيل ما لهم لا يؤمنون فقيل في قلوبهم مرض يمنعه فزادهم الله مرضا بان طبع على قلوبهم لعلمه
تعالى بانه لا يؤثر فيها التذكير والانذار والجملة معطوفة على ما قبلها والفاء للدلالة على ترتب مضمونها عليه
وبه اتضح كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة بيان السبب • وقيل زادهم كفرا بزيادة التكاليف
الشرعية لانهم كانوا كلما ازداد التكاليف بنزول الوحي يزدادون كفرا • ويجوز ان يكون الكفر مستعارا
مستعار الما في قلوبهم من الضعف والجبن والخور ونحو ذلك مما تعلق بهم لعزم المسلمين فزيادته تعالى اياه
مرضا بما فعل بهم من الفال الرعب وقذف الرعب في قلوبهم عند اعزاز الدين بامداد النبي صلى الله عليه وسلم

بانه الى الاية وتأسيسه لفنون النفس والتكبر فنبه له تعالى في قلوبهم مرض الى الاخر حيث استدنا في تعاليها الى قوله
تعالى يخادعون الله الى اخره ● لانه وقيل ما لهم يخادعون وهم امنون ولكن لا يحاربون باني قلوبهم من الكفر فعبر في قلوبهم مرض ضعف مضاعف بهذا
المرض في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب اليم مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة
كاني قوله ● تحية بينهم ضرب وجيع ● على طريقة جد جده فان الالم والوجع حقيقة
للمولم والمضروب كما ان الجد للجاد ● وقيل هو بمعنى المفعل المولم كالسميع بمعنى المسمع وليس في البيت كما جي
في قوله تعالى بديع السموات والارض بما كانوا يكذبون الباء للسببية او للمقابلة وما مصدرية داخلة
في الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لافادة دوام كذبهم وتجدده اي بسبب كذبهم او بمقابلة كذبهم المتجدد
المستمر الذي هو قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهم غير مؤمنين فانه اخبار باحداث الايمان فيما مضى لا انشاء
للايمان ● ولو سلم فهو متضمن للاخبار بصدوره عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبي يعني الاذعان والقبول
قطعا ● ويجوز ان يكون محمولا على الظاهر بناء على رأي من يجوز ان يكون لكان الناقصة مصدر كما صرح به في قول الشاعر
● ببذل وحلم ساد في قومه الفتى ● وكونك اياه عليك يسير ● اي لهم بذلك
التكذيب او بكونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب العذاب عليه من بين سائر موجبات العقوبة اما لان المراد به
العذاب الخاص بالمنافقين بناء على ظهور كونهم مجاهرين بما ذكر من العذاب العظيم حسب اشتراكهم فيما يوجبه من
الاصرار على الكفر كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن الناس الى اخره واما للايذان بان لهم بمقابلة سائر جناياتهم العظيمة من
العذاب ما لا يوصف ● واما للرمز الى كمال سماجة الكذب نظرا الى الظاهر العبارة المخيلة لانفراده بالسببية مع
احاطة علم السامع بان لحوق العذاب بهم من جهات شتى ● وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه
عن الصديق رضي الله عنه ويروى مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وما
روي ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات فالمراد به التعريض ● وانما سمي به لشبهه به صورة ومن ابا موصولة
والعائد محذوف اي بالذي يكذبونه ● وقرئ يكذبون والمفعول محذوف وهو اما النبي صلى الله عليه وسلم
او القرآن وما مصدرية اي بسبب تكذيبهم اياه او موصولة اي بالذي يكذبونه على ان العائد محذوف
ويجوز ان يكون صيغة التفعيل للمبالغة كما في بين بان وقلص قلص وللتكثير كما في موتت البهائم وبركت
الابل وان يكون من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه فان المنافق متوقف في امره متردد
في رأيه ولذلك قيل له مذبذب ● واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض شروع في تعديد بعض من قبائحهم المتفرعة على
ما حكي عنهم من الكفر والنفاق واذا ظرف زمان مستقبل ويلزمها معنى الشرط غالبا ولا يدخل الا في الامر المحقق
او المرجح وقوعه واللام متعلقة بقيل ومعناها الانهاء والتبليغ والقائم مقام فاعله جملة لا تفسدوا على
ان المراد بها اللفظ ● وقيل مضمر يفسره المذكور والفساد خروج الشيء عن الحالة اللائقة به والصلاح
مقابله والفساد في الارض هيج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن امور العباد واختلال
امر المعاش والمعاد ● والمراد بما نهوا عنه ما يؤدي الى ذلك مع افشاء اسرار المؤمنين الى الكفار واغرائهم عليهم
وغير ذلك من فنون الشرور ● كما يقال للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما تلك
عاقبته وهو اما معطوف على يقول فان جعلت كلمة من موصولة فلا محل له من الاعراب ولا بأس بتخلل البيان او
الاستئناف وما يتعلق بها بين اجزاء الصلة فان ذلك ليس توسيطا بالاجنبي ● وان جعلت موصوفة فمحله الرفع
والمعنى ● ومن الناس من اذا نهوا من جهة المؤمنين عما هم عليه من الافساد في الارض قالوا مراءاة للناهين
ان ذلك غير صادر عنهم مع ان مقصودهم الاصلي انكار كون ذلك افسادا وادعاء كونه اصلاحا محضا كما سيأتي

وتوجيه

توجيهها الى ان انما نحن مصلحون اي مقصورون على الاصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شائبة الافساد والفساد مشيرين
بكلمة انما الى ان ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغي ان يرتاب فيه واما قالوا مسائل سبق لتقرير شنايعهم واما
عطفه على يكذبون بمعنى ولهم عذاب اليم بكذبهم وبقولهم حين نهوا عن الافساد انما نحن مصلحون فيأباه ان
ما ذا المعنى التعليل حقه ان يكون باوصاف ظاهرة العلية مسلمة الثبوت للموصوف غنية عن البيان
لشهرة الاتصاف بها عند السامع او لسبق ذكره صريحا كما في قوله تعالى بما كانوا يكذبون فان مضمونه عبارة
عما حكي عنهم من قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر او لذكر ما يستلزمه استلزاما ظاهرا ● كما في قوله عز وجل ان الذين
يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فان ما ذكر من الضلال عن سبيل الله مما يوجب
نسيان جانب الآخرة التي من جملتها يوم الحساب وما نحن فيه ليس كذلك فانه انباء بعجيبة قصد الكافي قوله
تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات الاية ● وقوله تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب
بالحق الاية الى غير ذلك ● ولا ريب في ان هذه الشرطية وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين عليها
ليس مضمون شيء منها معلوم الانتساب اليهم عند السامعين بوجه من الوجوه المذكورة حتى تستحق الانتظام في
سلك التعليل المذكور فإن حقها ان تكون مسوقة على نهج بيانهم على احد الوجهين مفيدة لاتصافهم
بكل واحد من تلك الاوصاف قصدا او استقلالا ● الا انهم هم المفسدون رد لما ادعوه ابلغ رد
وأجليا فانه رد من جهته تعالى لدعواهم المحكية ابلغ رد وادله على سخط عظيم حيث سلك فيه مسلك الاستئناف
المؤدي الى زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع وصدرت الجملة بحرفي التأكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها فان
الهمزة الانكارية الداخلة على النفي تفيد تحقيق الاثبات قطعا كما في قوله تعالى أليس الله بكاف عبده ● ولذلك لا يكاد
يقع ما بعدها من الجملة الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من طلائع القسم ● وقيل هما حرفان
بسيطان موضوعان للتنبيه والاستفتاح وان المؤكدة للنسبة وعرف الخبر ووسط بينهما الفصل لرد ما في قصر
انفسهم على الاصلاح من التعريض بالمؤمنين ثم استدرك بقوله تعالى ولكن لا يشعرون للايذان بان كونهم
مفسدين من الامور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه ● وتركنا الكلام في الشرطيتين الاتيتين وما بعدهما
من دعوى مصالحهم ولولا ان المراد تفصيل جناياتهم وتعديد خباثاتهم لتركنا افسادهما وابطالهما
لبطلانها لمانع هذا الباب ● والله تعالى اعلم بالصواب ● واذا قيل لهم من قبل المؤمنين بطريق الامر بالمعروف
اثر نهيهم عن المنكر اتماما للنصح واكمالا للارشاد آمنوا حذف المؤمن به لظهوره او اريد افعلوا الايمان
كما آمن الناس الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف اي آمنوا ايمانا مماثلا لايمانهم فما مصدرية
او كافة كما في ربما فانها تكف الحرف عن العمل وتصحح دخولها على الجملة وتكون للتشبيه بين مضموني الجملتين اي حققوا
ايمانكم كما تحققوا ايمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان
اسم الجنس كما يستعمل في مسماه يستعمل فيما يكون جامعا للمعاني الخاصة به المقصودة منه ولذلك يسلب عما ليس
كذلك فيقال هو ليس بانسان ● وقد جمعهما من قال ● اذ الناس ناس والزمان زمان ● او للعهد
والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واضرابه ● والمعنى آمنوا
ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم قالوا مقابلين للامر بالمعروف بالانكار المنكر
والاستهزاء ... الوزان لغبيد ارضائهم الحسان انؤمن كما آمن السفهاء مشيرين باللام الى من اشير اليهم في
الناس من الكاملين او المعهودين او الى الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة
وسخافة رأي يورثهما قصور العقل ويقابله الحلم والاناة وانما نسبوهم اليه مع انهم في الغاية القاصية ...

من الرشد والرزانة والوقار وكمال تهالكهم انفسهم في السفاهة وتماديهم في الغواية وكونهم من رزانة موعملة وراءه
حسبانهم حسب الفاسد هدى ببعض الهدى لا حالة ضلالا او لعظمتهم فان كثيرا من المومنين كانوا فقراء ومنهم
موالي كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن امن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وامثاله
وايا ما كان فالذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شانه الجليل ان يكون صدور هذا القول عنهم
بمحضر من المومنين الناصحين جوابا عن نصيحتهم وحيث كان فحواه تسفيه اولئك المشاهير الاعلام والقدح
في ايمانهم لزم كونهم مجاهرين لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده السباق والسياق • وعلى هذا فالوجه ان
يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المومنين • قال الامام الواحدي انهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم
لا عند المومنين فاخبر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام والمومنين بذلك عنهم • وانت خبير بان ابراز
ما صدر عن احد المتحاورين في الخلاء في معرض ما جرى بينهما في مقام المحاورة مما لا عهد به في الكلام فضلا عما هو
في منصب الاعجاز فالحق الذي لا محيد عنه ان هذا القول وان صدر عنهم بمحضر من الناصحين لا يقتضي
كونهم مجاهرين فانه ضرب من الكفر انيق وفن في النفاق عريق مصنوع على شاكلة قولهم واسمع غير مسمع فكما انه كلام
ذو وجهين مثلهم محتمل للشر بان يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع كلاما ترضاه ونحوه وللخير بان يحمل على معنى اسمع غير
مسمع مكروها كانوا يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين ارادة المعنى الاخير وهم
مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به كذلك ... هذا الكلام محتمل للشر كما ذكر في توجيه
وللخير بان يحمل على ادعاء الايمان كايمان الناس وانكار ما اتهموا به من النفاق على معنى انؤمن كما امن السفهاء والمجانين
الذين لا اعتداد بايمانهم لو امنوا ولا نؤمن كايمان الناس حتى تأمرونا بذلك قد خاطبوا به الناصحين استهزاء
مرائين لارادة المعنى الاخير وهم معتقدون على الاول فرد عليهم ذلك بقوله عز وجل **الا انهم هم السفهاء ولكن
لا يعلمون** ابلغ رد وجهلوا اشد تجهيل حيث صدرت الجملة بحرفي التأكيد حسبما اشير اليه فيما سلف وجعلت
السفاهة مقصورة عليهم وبالغة الى حيث لا يدرون انهم سفهاء وعن هذا اتضح لك ان ما مر في تفسير قوله
تعالى انما نحن مصلحون فان حمله على المعنى الاخير كما هو راي الجمهور بيان خالهم صريح ان مشافهتهم للناصحين
بادعاء كون ما نهوا عنه من الافساد اصلاحا كما مر اظهار منهم للشقاق • وبروز باقتحامهم من نفق النفاق •
والاعتذار بان المراد بما نهوا عنه مداراتهم للمشركين كما ذكر في بعض التفاسير وبالاصلاح الذي يدعون اصلاح
ما بينهم وبين المومنين وان معنى قوله تعالى الا انهم هم المفسدون انهم في تلك المعاملة مفسدون لمصالح المومنين
لاشعارها باعطاء الدنية والمداهنة فيعلمهم المفضي الى توسط من يتصدى لاصلاح ذات البين فيلا ان كونهم
مصلحين مما لا سبيل اليه قطعا فان قوله تعالى ولكن لا يشعرون ناطق بافساده كيف لا وانه يقتضي ان يكون المنافقون
في تلك الدعوى صادقين قاصدين للاصلاح ويأتيهم الافساد من حيث لا يشعرون ولا ريب في انهم فيما كانوا يدلونه
لا يقاس بهم الا مضارة للدين وخيانة للمومنين ... لا لما اشير اليه فان قولهم
انما نحن مصلحون محتمل للحمل على الكذب وانكار صدور الافساد المنسوب اليهم عنهم على معنى انما نحن مصلحون لا
نعتمد بعينا ما نهونا عنه من الافساد وقد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم وارادة لارادة هذا المعنى وهم مصرون
على المعنى الاول فرد عليهم بقوله تعالى الا انهم هم المفسدون الاية والله سبحانه اعلم بما اودعه في تضاعيف
كتابه المكنون من السر المخزون • نسأله العصمة والتوفيق • والهداية الى سواء الطريق • وتخصيص هذه
الاية الكريمة بلا يعلمون • لما انه اكثر طباقا لذكر السفه الذي هو فن من فنون الجهل • ولان الوقوف
على ان المومنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوط بالتمييز بين الحق والباطل وذلك مما لا يتسنى الا بالنظر

والاستدلال

والاستدلال • واما النفاق وما فيه من الفتنة والفساد وما يترتب عليه من كون المنفق
به معنيا اذ من بديهي يقف عليه من له شعور ولذلك فصلت الاية الكريمة بلا يشعرون
واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا بيان لتباين احوالهم وتناقض اقوالهم في اثناء المعاملة والمخاطبة
حسب تباين المخاطبين وسياق ما صدرت الاية الكريمة في قصتهم ليس بيان مذهبهم والترجمة
عن نفاقهم ولذلك لم يسبق من هاهنا المتعلق الايمان فليس فيه شائبة التكرار روي ان عبد الله
بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فقال ابن
ابي انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فلما دنوا منهم اخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق
سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم • ثم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق
القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي كرم الله وجهه
فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله عليه
الصلاة والسلام فنزلت • وقيل قال له علي رضي الله عنه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان
المنافقين شر خلق الله تعالى فقال له مهلا يا ابا الحسن أفي تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم
وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن ابي لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاذا رأيتموهم
فافعلوا مثل ما فعلت فاثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم واخبروه بذلك فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اي
صادفته واستقبلته وقرئ اذا لاقوا • **واذا خلوا** من خلوت الى فلان اي انفردت معه وقد
يستعمل بالباء ومن خلا بمعنى مضى ومنه القرون الخالية • وقولهم خلاك ذم اي جاوزك ومعنى
عنك ويجوز كونه من خلوت به اذا استخرت منه على ان تعديته بالى في قوله تعالى **الى شياطينهم**
لتضمنه معنى الانتهاء اي واذا انهوا اليهم السخرية • وانت خبير بان تعيينه قولهم المحكي بعد الانهاء لا وجه
له والمراد بشياطينهم الماثلون منهم للشيطان في التمرد والعناد المظهرون لكفرهم واضافتهم
اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نون الشيطان تارة
اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن
واخرى زائدة على انه من شاط اي هلك او بطل ومن اسمائه الباطل • وقيل معناه
واحرى ... **قالوا انا معكم** اي في الدين والاعتقاد لا نفارقكم في حال من الاحوال وانما خاطبوهم
بالجملة الاسمية المؤكدة لان مدعاهم عندهم تحقيق الثبات على ما كانوا عليه من الدين والتأكيد
للاتباع صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لا لانكار الشياطين بخلاف معاملتهم مع المومنين فانهم
انما يدعون عندهم احداث الايمان لجزمهم بعدم رواج ادعاء الكمال او الثبات عليه **انما نحن**
في اظهار الايمان عند المومنين **مستهزءون** بهم من غير ان يخطر ببالنا الايمان حقيقة ومواسيتنا
مبني على سؤال ناشئ من ادعاء المعية كانه قيل لهم عند قولهم انا معكم فما بالكم توافقون المومنين في
الاتيان بكلمة الايمان فقالوا انما نحن مستهزءون بهم فلا يقدح ذلك في كوننا معكم بل يؤكده وقد تضمنوا
جوابهم انهم يستهزءون المومنين ويدعون ذلك مضرة لدينهم او تأكيد لما قبله فان المستهزئ بالشيء
مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر والاستهزاء السخرية منه

يقال هزئت واستهزأت بمعنى واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع ومنه هزأ مات على مكانه وتهزأ به ناقته
اي اسرعت به وخفت الله يستهزئ بهم اي يجازيهم على استهزائهم سمي جزاؤه باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما للمشاكلة
في اللفظ او للمشابهة في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة
والهوان الذي هو لازم الاستهزاء او يعاملهم معاملة المستهزئ بهم اما في الدنيا فباجراء احكام
المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الآخرة فبما يروى
انه يفتح لهم باب الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى
فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف للايذان بانهم قد بلغوا في المبالغة في استهزائهم
المؤمنين الى غاية ظهرت شناعته عند السامعين وتعاظم ذلك عليهم حتى اضطرهم الى ان يقولوا
امرهم وما غايته خاطبهم وفيه اشارة الى ان الذي يتولى امرهم ولا يحوجهم الى المعارضة بالمثل ويستهزئ
بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم عنده من باب الاستهزاء حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من
الذل والهوان ما لا يوصف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار كما يعرب عنه قوله
عز قائلا اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا خالين في اكثر الاوقات من تهتك
استار وتكشف اسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من ذلك كما انبأ عنه قوله عز وجل يحذر
المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم
اي يزيدهم ويقويهم من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت الدواة والسراج اذا
اصلحتهما بالحبر والزيت واشارة الى ما لهم من التمادي الى ان ذلك منوط بسوء اختيارهم لما انه يتحقق
عند الانشاء او ما يجري مجراه من الحاجة الداعية اليه كما في الامثلة المذكورة وقرئ يمدهم من الامداد
وهو صريح في ان القراءة المشهورة ليست من المد في العمر على انه يتعدى باللام كالاملاء قال تعالى ونمد له
من العذاب مدا وحذف الجار وايصال الفعل الى الضمير خلاف الاصل لا يصار اليه الا بدليل في طغيانهم
متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد في كل امر والمراد افراطهم في العتو وغلوهم في الكفر وفي
اضافته اليهم ايذان باختصاصه بهم وتأييد لما اشير اليه من ترتب المد على سوء اختيارهم يعمهون حال من الضمير المنصوب او المجرور لكون المضاف مصدرا
فهو مرفوع حكما والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدري اين يتوجه واسناد
هذا المد الى الله تعالى مع اسناده في قوله واخوانهم يمدونهم في الغي عنهم لما عند اهل الحق من ان جميع الاشياء
مستندة من حيث الخلق اليه سبحانه وان كانت افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم والمعتزلة
لما تعذر عليهم اجراء النظم الكريم على مسلكهم سلكوا مسلك التاويل فاحالوا لانهم لما اصروا على كفرهم
خذلهم الله تعالى ومنعهم الطافه فتزايد الرين في قلوبهم فسمي ذلك مددا في الطغيان واسند
اليه تعالى ففي المسند مجاز لغوي وفي الاسناد عقلي لانه اسند الفعل الى المسبب له وفاعله الحقيقي
هم او ابقاهم بالقسر على الطغيان نزل الاقسار والالجاء الى الايمان او في قوله تعالى ويمدهم في
طغيانهم يعمهون فالمجاز في المسند فقط وقالوا ان المراد به معناه الحقيقي وهو فعل الشيطان لكنه
اسند اليه سبحانه مجازا لانه بتمكينه تعالى واقداره اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم
بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عمن عداهم اكمل تمييز بحيث صاروا كانهم حضار مشاهدون
على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر وسوء الحال ومحله الرفع على

الابتداء

الابتداء خبره قوله تعالى الذين اشتروا الضلالة بالهدى والجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان لكمال جهالتهم
فيما حكي عنهم من الاقوال والافعال باظهار غاية سماجتها وتصويرها بصورة ما لا يكاد يتعاطاه من له ادنى
تمييز فضلا عن العقلاء والضلالة الجور عن القصد والهدى التوجه اليه وقد استعير الاول للعدول
عن الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه والاشتراء استبدال السلعة بالثمن اي اخذها
بدلا منه تصحيحا كما قيل وانه كان مستلزما لما به فان المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون
السلب المعتبر في عقد البيع ثم استعير للاخذ الرغبة فيه باعطاء ما في يده عينا كان كل منهما او معنى لا
عما في يده محصلا به غيره كما قيل ان استلزمه لما مر ومنه قوله

اخذت بالجمة راسا ازعرا * وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا حيدرا * كما اشترى المسلم اذ تنصرا

فاشتراء الضلالة بالهدى مستعار لاخذها بدلا منه اخذا منوطا بالرغبة فيها والاعراض عنه ولما
اقتضى ذلك ان يكون ما يجري مجرى الثمن حاصلا لهم قبل العقد وما يجري مجرى المبيع غير حاصل لهم حينئذ
حسبما هو في البيع ولا ريب في انهم بمعزل من الهدى مستمرون على الضلالة استدعى الحال تحقيق ما جرى
مجرى العوضين فنقول وبالله التوفيق ليس المراد بما تعلق به الاشتراء ها هنا جنس الضلالة الشاملة لجميع
اصناف الكفرة حتى تكون حاصلة لهم من قبل بل هو فردها الكامل الخاص بهؤلاء على ان اللام للعهد وهو عمههم
المقرون بالمد في الطغيان المترتب على ما حكي عنهم من القبائح وذلك انما يحصل لهم عند التياس باستهزائهم
والختم على قلوبهم وكذا ليس المراد بما في حيز الثمن نفس الهدى بل هو التمكن التام منه بتعاضد الاسباب وتآخذ
المقدمات المستتبعة له بطريق الاستعارة كانه نفس الهدى بجامع المشاركة في استتباع الجدوى
ولا مرية في ان هذه المرتبة من التمكن كانت حاصلة لهم بما شاهدوه من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة
من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وبما سمعوه من نصائح المؤمنين التي من جملتها ما حكي من النهي عن الافساد
في الارض والامر بالايمان الصحيح وقد نبذوها وراء ظهورهم واخذوا بدلها الضلالة الهائلة التي
هي العمه في تيه الطغيان وحمل الهدى على الفطرة الاصلية الحاصلة لكل احد يأباه ان اضاعتها غير مختصة
بهؤلاء ولئن حملت على الاضاعة التامة الواصلة الى حد الختم على القلوب المختصة بهم فليس في اضاعتها
فقط من الشناعة ما في اضاعتها مع ما يؤيدها من المؤيدات العقلية والنقلية على ان ذلك يفضي الى كون
ذكر ما فصل من اول السورة الكريمة الى هنا لغوا وابعد منه حمل اشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها
عليه من غير اعتبار كونه في ايديهم بناء على انه ليس بمستعمل الا في اختيار الكاملين في الشرف
الوقوع على الآخر فانه مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرة مخالف لما نقل الربيع لانه ينبئ عن رجحان
الاشتراء المذكور مبالغة من بعض ما بعده الشائعة الحكمية وهو الانسب بتجاذب اطراف النظم الكريم
واما اذا جعلت مرجحة عن حيازة اخرى من جنايتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من معرفة صحة نبوة النبي
صلى الله عليه وسلم وحقية دينه بما كانوا يشاهدونه من نعته في التوراة وقد كانوا على يقين منه
حتى كانوا يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد
نعته في التوراة ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما ذكر ولا مساغ لحمل الهدى على ما كانوا يظهرونه عند لقاء المؤمنين فانها
ضلالة مضاعفة فما ربحت تجارتهم عطف على الصلة داخل في حيزها والفاء للدلالة على ترتب مضمونها

عليها ان التجارة صناعة التجار وهو التصدي للبيع والشراء لتحصيل الربح وهو الفضل على راس المال يقال
ربح فلان في تجارته اي استشف فيها واصاب الربح واسناد عدم الربح الذي هو عبارة عن الخسران المبادر
لاربابها بناء على التوسع المبني على ما بينهما من الملابسة وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الاشعار بكثرة
الخسار وعمومه المستتبع لسرايته الى ما يلابسهم والمراد بالاشتراء المستعار للاستبدال المذكور
ترشيح للاستعارة وتصوير لما فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسار التجارة الذي يتحاشى عنه كل احد
الاشباع في التخسير والتحسر ولا ينافي ذلك ان التجارة في نفسها استعارة لانها كما فيها فياسه
من ردليات الترشيح ان يكون باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد بها الا تقويتها كما في قولك
رأيت اسدا وافي البراثن فانك لا تريد به الا زيادة تصوير للشجاع فانه اسد كامل من غير ان يريد
بلفظ البراثن معنى اخر بل فلم يكون مستعارا من ملايم الا المستعار منه ومع ذلك يكون ترشيحا
لاصل الاستعارة كما في قوله
فلما رأيت النسر عز ابن داية • وعشش في وكريه جاش له صدري
فان لفظ الوكرين مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه الطائر للتفرخ للراس
واللحية وللعذين اعني جانبي الراس ترشيح باعتبار معناه الاصلي لاستعارة لفظ النسر للشيب
ولفظ ابن داية للشعر الاسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعارا للحلول فالترشيح فيه ترشيح
لتينك الاستعارتين باعتبار المذكور • وقوي مجازا انهم ونعدد بما يعده المخادع المهرة وما كانوا
مهتدين اي الطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال والربح فان الربح في صفقة فربما
يتدارك في صفقة اخرى لبقاء الاصل • واما اتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة فقطعا هؤلاء
ما بين من طرق التجارة بالف منزل فالجملة راجعة الى الترشيح معطوفة على ما قبلها مشاركة له في الترتب
على الاشتراء المذكور الاول عطفها على اشتروا الى اخره مثلهم زيادة كشف لحالهم وتصوير لها غب
تصويرها بصورة ما يؤدي الى اظهار ذهاب المال بصورة ما ينبغي الى الخسار من حيث النفس هو بلا وارث
لشناعتها فان التمثيل الطف ذريعة الى تسخير الوهم المعاند واستنزاله من مقام الاستعصاء له
واقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل والغبي وقمع سورة الجامح الابي كيف لا وهو المعروف واظهار للوحشي
في هيئة المألوف والمثل في الاصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه
ثم اطلق على القول السائر الذي مثل مضربه بمورده ومن ثم لم يكن ذلك الا قولا فيه غرابة من ابه ضربه
حقيقا بالتسيير في البلاد وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد واستعير لكل حال او صفة او قصة
لها شان عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ بينها وبين شيء اخر تشبيه ومنه قوله عز وجل ولله المثل
الاعلى اي الوصف الذي له شان عظيم وخطر جليل • وقوله عز وجل مثل الجنة التي وعد المتقون
اي قصتها العجيبة الشان كمثل الذي اي الذي كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا
خلا انه وحد الضمير في قوله تعالى استوقد نارا نظرا الى الصورة وانما جاز ذلك مع وضع القائم مقام
التابعين لان المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة صلة له دون نفسه بل الامر وصلة لوصف
المعارف بها ولانه حقيق بالتخفيف باستطالته بصلته ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم

انتصر

انتصب على الامر في اسماء الفاعلين والمفعولين ولانه ليس باسم تام بل هو كجزئه فحقه ان لا يجمع ويستوي
فيه الواحد والمتعدد كما هو شان اخواته وليس الذين جمعه المصحح بل هو ذو زيادة زيدت لزيادة
المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة او قصة • والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو
سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا
والاستيقاد طلب وقودها اي سطوعها وارتفاع لهبها وتنكيرها للتفخيم فلما اضاءت ما حوله الاضاءة
فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي متعدية ولازمة
والفاء للدلالة على ترتبها على الاستيقاد اي فلما اضاءت النار نفسها ما حوله على ان ذلك ظرف لاشراق
النار المنزلة منزلة لا لنفسها و ما زائدة وحوله ظرف وتاويل الحول الدوران وقيل للعام حول
لانه يدور ذهب الله بنورهم النور ضوء كل نير واشتقاقه من النار والضمير للذي والجمع باعتبار
المعنى اي اطفأ الله نارهم التي هي مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون نفس النار لانه المقصود
بالاستيقاد لا الاستدفاء ونحوه كما ينبئ عنه قوله فلما اضاءت من حيث لم يقل فلما شب ضرامها او نحو ذلك وهو
جواب لما او استئناف اجيب به عن سؤال سائل يقول ما بالهم اشبهت حالهم حال مستوقد انطفأت
ناره او بدل من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف
كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز والامن من الالتباس • كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات
خابطين متحيرين خائبين بعد الكدح في احيائها واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بخلقه تعالى
واما لان الانطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر واما للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل
بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والامساك • يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه
وما اخذه الله عز وجل فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر الى
النور لان ذهاب الضوء قد يجامع بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوي لعدم الضعيف والمراد
ازالته بالكلية كما ينبئ عنه قوله تعالى وتركهم في ظلمات لا يبصرون فان الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه
بالمرة لا سيما اذا كانت متضاعفة متراكمة متراكبا بعضها على بعض كما ينبئ عنه الجمع والتنكير التفخيمي وما بعدها
من قوله تعالى لا يبصرون لا يتحقق الا بعد ان لا يبقى من النور عين ولا اثر واما لان المراد بالنور ما لا يرضى
به الله تعالى من النار المجازية التي هي نار الفتنة والفساد • كما في قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب
اطفاها الله ووصفها بامضاءة ما حوله المشتق من باب الترشيح او الحالة الحقيقية التي يوقدها الغواة
ليتوسلوا الى بعض المطامع وبينهم وبينها في طريق العسر العساد فاطفاها الله تعالى وخيب امالهم وترك وترك في
الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى مجرى افعال القلوب • قال
فتركته جزر السباع ينشنه • يقضمن حسن بنانه والمعصم • والظلمة ماخوذة
من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنعه من الرؤية • وقرئ في ظلمات
بسكون اللام وفي ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح كان الفعل غير متعد والاية مثل
ان حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي عبارة عن ظلمتي الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة
سخط الله تعالى وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
وظلمة العقاب السرمدي بالهدى الذي هو النور الفطري المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق او
بالهدى الذي كانوا حصلوه من التوراة حسبما ذكر في الاعتبار حيث كانوا اخبار المبعوث

مؤمنين المنافقين او جنس واحد بالتأويل المشهور كما في قوله تعالى اصلوها فاصبروا او لا تصبروا والحق انه مانعة من الجمع والامثلة المتلابسة ولكن الاجزاء منه الجار الاصغر والقناة الصماء والكاروره سد مشاعرهم به فقدان حاسة السمع لان سببه انسداد الصماخ واسناد مشاعر عجب لا ايجاد بدخل فيه واعطاء العيون بتوحيد والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وصفوا بها لانهم مع سلامة مشاعرهم المعدودة لانهم حيث سدوا مسامعهم من الاصاخة لما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم وابوا ان يتلقوها بالقبول وينطقوا بها السنتهم ولم يجتلوا ما شاهدوه من المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظروا الى الآيات التكوينية المنصوبة في الآفاق والانفس بعين التدبر والاعتبار على ذلك بحيث لم يبق لهم احال الا رغوا عنه مشاعر وانتقاض تلك المشاعر بالكلية وهذا عند علماء البيان من باب التمثيل البالغ المؤسس على تناسي التشبيه • كما في قول من قال •

• ويصعد حتى يظن الجهول • بان له حاجة في السماء •

لما ان المقدر في النظم في حكم الملفوظ لا من قبيل الاستعارة التي يطوى فيها ذكر المستعار له بالكلية حتى لو لم يكن ثمة قرينة لحمل على المعنى الحقيقي • كما في قول زهير •

• لدى اسد شاكي السلاح مقذف • له لبد اظفاره لم تقلم •

فهم لا يرجعون الفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون الى الهدى الذي تركوه وضيعوه او عن الضلالة التي اخذوها والآية نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فان قصارى امر التمثيل بهم في الحال من غير تعرض لعدم التبصر والنطق والاخلال لعدم الابصار وقيل الضمير للمستوقدين والمعنى باعتبار المعنى كالضمائر المتقدمة فالآية الكريمة تتمة للتمثيل وتكميلة بان ما اصابهم ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم في ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر بحالها بل اختلت مشاعرهم جميعا واتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه او الحقيقة فبقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتأخرون وكيف يرجعون الى ما ابتدأوا منه واسناد العدول الى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم • وقرئ صما بكما عميا اما على الذم كما في قوله تعالى حمالة الحطب • والمخصوص بالذم هم المنافقون او المستوقدون • واما على الحالية من الضمير المنصوب في تركهم او المرفوع في لا يبصرون • واما على المفعولية لتركهم فلا يصح الا للمستوقدين **او كصيب** تمثيل اخر لحالهم اثر تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفي حقها من التفظيع والتهويل فان تفننهم في فنون الكفر والضلال وتنقلهم فيها من حال الى حال حقيق بان يضرب في شانه الامثال • ويرخى في حلبته اعنة المقال • ويمد لشرحه اطناب الاطناب • ويعقد لاجله فصول وابواب • لما ان كل كلام له حظ من البلاغة • وقسط من الجزالة والبراعة • لا بد ان يوفى فيه حق كل من مقامي الاطناب والايجاز فما ظنك بما في ذروة الاعجاز من التنزيل الجليل ولقد نعى عليهم في هذا التمثيل تفاصيل جناياتهم وهو عطف على الاول على حذف المضاف لما ياتي من الضمائر المستدعية لذلك وكلمة او للايذان بتساوي القصتين في الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما معا والصيب فيعل من الصوب وهو النزول الذي له وقع وتأثير يطلق على المطر وعلى السحاب • قال الشماخ •

• عفا آية نسج الجنوب مع الصبا • واسحم دان صادق الرعد صيب •

والمثل

وتنكيره لما انه اريد به نوع منه شديد كما ان النار في التمثيل الاول وامد به ما فيه من المبالغات من جهة مادته الاصلية اعني الصاد المستعلية والياء المشددة والباء الشديدة ومادته الثانية اعني الصوب المنبئ عن شدة الانسكاب ومن جهة بنائه الدال على الثبات • وقرئ او كصايب **من السماء** متعلق بصيب او بمحذوف وقع صفة له والمراد بالسماء المظلة وهي في الاصل كل ما علاك من سقف ونحوه • وعن الحسن انها موج مكفوف اي ممنوع بقدرة الله عز وجل من السيلان وتعريفها للايذان بان انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من آفاقها اي كل ما يحيط به كل افق منها سماء على حدة • كما قال •

• ومن بعد ارض بيننا وسماء • كما ان كل طبقة من طباقها سماء • وقال تعالى • واوحى في كل سماء امرها • والمعنى انه صيب عام نازل من غمام مطبق آخذ بالآفاق • وقيل المراد بالسماء السحاب واللام لتعريف الماهية **فيه ظلمات** اي انواع منها وهي ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال ما يلزمه من الغمام الاسحم المطبق الآخذ بالآفاق وجعله محلا لها مع ان بعضها لغمامه كظلمتي الغمام والليل لما انهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة في شدته وتهويلا لامره وايذانا بانه من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو السر في عدم جعل الظلمات هي الاصل المستتبع والمتبوع بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام اي مع ظلمة فيها اي كظلمات فيها صيب لما افاد ان للصيب ظلمة خاصة به اذ لو قيل او كظلمات فيها صيب لما افاد ان للصيب ظلمة خاصة به **ورعد** وهو صوت يسمع من السحاب والمشهور انه صوت من اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض او من انقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح اياها سوقا عنيفا **وبرق** وهو ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اي لمع وكلاهما في الاصل مصدران ولذلك لم يجمعا وكونهما في الصيب باعتبار كونهما في اعلاه ومصبه ووصول اثرهما اليه وكونهما في الظلمات الكائنة فيه في الكل للتفخيم والتهويل كانه قيل فيه ظلمات شديدة داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وارتفاع الجميع بالظرف على الفاعلية لتحقق شرط العمل بالاتفاق وقيل بالابتداء والجملة اما صفة لصيب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعامل فيما بعده من الجار او من المستكن في الظرف الاول على تقدير كونه صفة لصيب • والضمير في قوله عز وجل **يجعلون اصابعهم في آذانهم** للمضاف الذي اقيم مقامه المضاف اليه فان معناه باق وان حذف لفظه تعويلا على الدليل كما في قوله عز وجل وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فان الضمير للاهل المدلول عليه بما قام مقامه من القرية •

• قال حسان رضي الله عنه • يسقون من ورد البريص عليهم • بردى يصفق بالرحيق السلسل •

فان تذكير الضمير المستكن في يصفق لرجوعه الى الماء المضاف الى بردى والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فكيف حالهم مع ذلك فقيل يجعلون وايثار الجعل على الادخال لما ان المتبادر من الجعل هو الادخال المطلق واستمرار الاستيلاء على الاذعان المبني لمجرد الانتقال من الخارج الى الداخل للمبالغة في بيان سد المسامع باعتبار الزمان كما في ايراد الاصابع بدل الانامل فان للابتاع بينهما مالها باعتبار الذات كانهم سدوها بجملتها لا بانامل فحسب كما هو المعتاد • ويجوز ان يكون هذا ايماء الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الى حيث لا يهتدون الى استعمال الجوارح على الوجه المعهود وكذا الحال في عدم تعيين الاصبع المعتادة اعني السبابة • وقيل ذلك لرعاية الادب والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب مبني على سؤال نشأ من الكلام • كانه قيل عند بيان احوال الهائلة لهم فماذا يصنعون في تضاعيف تلك الشدة فقيل يجعلون الخ • ومن لتعليق الفعل **من الصواعق** متعلق بيجعلون اي

من اجل الصواعق المقارنة للرعد من قولهم سقاه من الرعد والصاعقة قصفة رعد هائل ينقض معها شقة
نار لا تمر بشي الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة
الرعد او للرعد والتا للمبالغة كما في الراوية او مصدرا كالعافية وقد تطلق على كل هائل مسموع
او مشاهد يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او بشدة الصوت
والبنية على التعدية بالثاني دون الاول . وقرئ من الصواقع وليس ذلك بقلب من الصواعق
لاستوا كلا البنائين في التصرف . يقال صقع الديك وخطيب مصقع اي مجهر بخطبته حذر الموت
منصوب بيجعلون على العلة وان كان معرفة بالاضافة كقوله .

واغفر عورا الكريم ادخاره . واعرض عن شتم اللئيم تكرما .

ولا ضير في تعدد المفعول له فان الفعل يعلل بعلل شتى . وقيل هو نصب على المصدرية اي يحذرون
حذرا مثل حذر الموت والحذر والحذار هو شدة الخوف . وقرئ حذار الموت والموت زوال الحياة
وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحياة . ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام
مقدرة والله محيط بالكافرين اي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط في استحالة الفوات او شبه الهيئة
المنتزعة من شؤونه تعالى معهم بالهيئة المنتزعة من احوال المحيط مع المحاط فالاستعارة مبنية
على التشبيه الاول استعارة تبعية في الصفة متفرعة على ما في مصدرها من الاستعارة والمبنية على الثاني
تمثيلية قد اقتصر من طرف المشبه به على ما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها اعني الاحاطة
والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر تحريره في قوله عز وجل
ختم الله على قلوبهم . والجملة اعتراضية منبهة على ان ما صنعوا من سد الاذان بالاصابع لا يغني
عنهم شيئا فان القدر لا يدافعه الحذر والحيلة لا ترد باس الله عز وجل . وفائدة وضع الكافرين
موضع الضمير الراجع الى اصحاب الصيب الايذان بان ما دهمهم من الامور الهائلة المحكية بسبب
كفرهم على منهاج قوله تعالى كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته فان الاهلاك
الناشي من السخط اشد . وقيل هذا الاعتراض من جملة احوال المشبه على ان المراد بالكافرين
المنافقون وقد دل به على انه لا مدفع لهم من عذاب الله تعالى في الدنيا والاخرة وانما وسط بين احوال
المشبه به مع ان القياس تقديمه او تاخيره لاظهار كمال العناية وفرط الاهتمام بشان المشبه يكاد
البرق استئناف اخر وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك
يخطف ابصارهم اي يختلسها ويستلبها بسرعة وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر
من الوجود لتاخذ اسبابه وتعاضد مباديه لكنه لم يوجد بعد لفقد شرط او لعروض مانع ولا
يكون خبرها الا مضارعا عاريا عن ان الا من ضرورة كما في قوله .

فابت الى فهم وما كدت ايبا .

وكذا الحبيب مع ان حملا على عسى . كما في قول رؤبة . قد كاد من طول البلى ان يمصحا .
كما حملت عليه عسى بالحذف لما بينهما من المقارنة في اصل المقاربة وليس فيها شائبة الانشائية كما في عسى . وقرئ يخطف بكسر
الطا ويخطف ويخطف بفتح اليا والخا وتشديد الطا اصله يختطف فنقلت فتحة التا الى الخا وادغمت في الطا ويخطف بكسرها على اتباع
اليا الخا ويخطف بصيغة التفعيل ويتخطف بقوله تعالى ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم كلما
ظرف وما مصدرية والزمان محذوف اي كل زمان اضاءة . وقيل ما نكرة موصوفة معناها الوقت

والاية

والاية عنه وقت اي كل وقت اضا لهم فيه والعامل في محلها جوابها وهو استئناف ثالث كانه قيل ما يفعلون
في اثنا ذلك الهول ايفعلون بابصارهم ما فعلوا باذانهم ام لا فقيل كلما نور البرق لهم مسلكا في اثنا
ظلمة اخذوه والمفعول محذوف او كلما لمع لهم على انه لازم . ويؤيده قراءة كلما ضا مشوا فيه اي في ذلك المكان
او في مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف ان يخطف ابصارهم . وايثار المشي على ما فوقه من السعي والعدو
للاشعار بعدم استطاعتهم لها واذا اظلم عليهم اي خفي البرق واستتر والظلام وان كان غير لكن لما
كان الاظلام دائرا على استتاره اسند اليه مجازا تحقيقا لما اريد من المبالغة في موجبات تخبطهم
وقد جوز ان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل . ويشهد له قول ابي تمام .

هما اظلما حالي ثمت اجليا . ظلاميهما عن وجه امرد اشيب .

وقراءة اظلم على البنا للمفعول قاموا اي وقفوا في اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين
لخفقة اخرى عسى يتسنى لهم الوصول الى المقصد او الالتجا الى ملجا يعصمهم . وايراد كلما مع الاضاءة
واذا مع الاظلام للايذان بانهم حراص على المشي متشوقون الى تجدده فكلما وجدوا فرصة انتهزوها
ولا كذلك التوقف وفيه من الدلالة على كمال التحير وتطاير اللب ما لا يوصف ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم
كلمة لو لتعليق حصول امر ماض هو الجزا بحصول امر مفروض فيه هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة
او ادعاء ومن قضيتها ان يكون الشرط والجزاء فيهما منتفيين قطعا والمنازع فيه مكابر واما دلالتها
على انتفا الجزا فقد قيل والحق الذي لا محيد عنه انه ان كان ما بينهما من الدوران كليا او جزئيا
قد بني الحكم على اعتباره فهي دالة عليه بواسطة مدلولها الوضعي لا محالة ضرورة استلزام انتفا
العلة لانتفا المعلول اما في مادة الدوران الكلي كما في قوله عز وجل ولو شاء لهداكم اجمعين وقولك
لو جئتني لاكرمتك فظاهر لان وجود المشيئة علة لوجود الهداية حقيقة ووجود المجيء لوجود
الاكرام ادعاء وقد انتفيا بحكم المقدمة الاولى فانتفى معلولهما حتما واما ما قيل من انه قد يساق الكلام لتعليل انتفا
الجزا بانتفا الشرط كما في المثالين المذكورين وهو الاستعمال الشايع لكلمة لو ولذلك قيل هي لامتناع
الثاني لامتناع الاول وقد يساق للاستدلال بانتفا الثاني لكونه ظاهرا او مسلما على انتفا الاول
لكونه خفيا او متنازعا فيه كما في قوله سبحانه لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا . وفي قوله تعالى
لو كان خيرا ما سبقونا اليه فان فسادهما لتعدد الالهة حقيقة وعدم سبقهم الى الايمان لازم
لخيريته في زعم الكفرة . ولا ريب في انتفا اللازمين فيتعين انتفا الملزومين حقيقة في الاول
وادعاء في الثاني ضرورة استلزام انتفا اللازم لانتفا الملزوم لكن لا بطريق السببية
الخارجية كما في المثالين الاولين بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة الى سببية العلم بانتفا الثاني
للعلم بانتفا الاول ومن لم يتنبه له زعم انه لانتفا الاول لانتفا الثاني . واما في مادة الدوران
الجزئي كما في قولك لو طلعت الشمس لوجد الضو فلان الجزا المنوط بالشرط الذي هو طلوعها ليس
وجود اي ضو كان كضو القمر المجامع لعدم الطلوع مثلا بل انما هو وجود الضو الخاص الناشي من الطلوع
ولا ريب في انتفائه بانتفا الطلوع . هذا اذا بني الحكم على اعتبار الدوران . واما اذا بني على عدمه
فاما ان يعتبر هناك تحقق مدار اخر للجزا اولا فان اعتبر فالدلالة تابعة لحال ذلك المدار فان كان
بينه وبين انتفا الاول منافاة تعين الدلالة كما اذا قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضو فان وجود الضو
وان علق صورة بعدم الطلوع لكنه في الحقيقة معلق بسبب اخر ضرورة ان عدم الطلوع

حيث هو مدار الوجود المعنوي في الحقيقة والاوضح ان وضع المدار لكونه كالشرط في تحقيق مدار الجزاء فكأنه قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء بسبب اخر كالقمر مثلا ولا شبهة في ان هذا الجزاء منتف عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود الضوء القمري عند طلوع الشمس وان لم يكن بينهما منافاة تعين عدم الدلالة كما في قوله صلى الله عليه وسلم في بنت ابي سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة ● فان المدار المعتبر في ضمن الشرط اعني كونها ربيبته عليه السلام والحرمة الناشئة من كونها ابنة اخيه من الرضاعة فان المدار عن صاف لانتفائه الذي هو مدار الحرمة بدليل الحكم على اعتبار عدمه مع ذلك لا دلالة لها على ذلك اصلا كيف لا وسياق الكلام حينئذ لبيان ثبوت الجزاء على كل حال بتعليقه بما ينافيه ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه بالطريق الاولى كما في قوله عز وجل قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم ● وقوله عليه السلام لو كان الايمان في الثريا لناله رجال من فارس ● وقول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ● فان الاحرمة المذكورة منوطة بما ينافيها وبسبب عدم تنافيها ابدا الا بما في انفسها غير من انتفاء اسبابها او تحقق اسباب انتفائها فكيف اذا لم يكن كذلك على طريقة لو الوصلية في مثل قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وله تفاصيل وتفاريع حررناها في تفسير قوله تعالى اولو كنا كارهين ● وقول عمر رضي الله عنه ● نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ● ان حمل على تعليق عدم العصيان في ضمن عدم الخوف بما اخرجه الحياء والاجلال وعن منها الجامع الخوف كان من قبيل حديث ابنة ابي سلمة ● وان حمل على بيان استحالة عصيانه مبالغة كان من قبيل الاية الكريمة واردة على الاستعمال الشايع مفيدة لكمال فظاعة حالهم وغاية هول ما دهمهم من الهنات وانها قد بلغت من الشدة الى حيث لو تعلقت مشيئة الله تعالى بازالة مشاعرهم لزالت بتحقق ما يقتضيه اقتضاء تاما ● وقيل كلمة لو فيها لربط جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة على انتفاء احدهما لانتفاء الاخر فهي بمنزلة ان ومفعول المشيئة محذوف جريا على القاعدة المستمرة فانها اذا وقعت شرطا كان مفعولها مضمون الجزاء ولا يكاد يذكر الا ان يكون شيئا مستغربا ● كما في قوله ●

● فلو شئت ان ابكي دما لبكيته ● عليه ولكن ساحة الصبر اوسع ●

اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لفعل ولكن لم يشأ لما يقتضيه من الحكم والمصالح ● وتخريج لاذهب بما حاصلهم على زيادة الباء ● كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والافراد في المشرعية لان السمع مصدر في الاصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها من الجملة الاستئنافية ● وقوله عز وجل ان الله على كل شيء قدير تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تعالى على ازالة مشاعرهم بالطريق البرهاني والشيء بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائنا ما كان على انه في الاصل مصدر شاء اطلق على المفعول واكتفي في ذلك باعتبار تعلق المشيئة به من حيث الاعلام والاخبار عنه فقط وقد خص ههنا بالممكن موجودا كان او معدوما بقضية اختصاص تعلق القدرة به لما انها عبارة عن التمكن من الايجاد والاعدام ● وقيل هي صفة تقتضي ذلك التمكن والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير هو الفعال لما يشاء كما يشاء ولذلك لم يوصف به غير الباري جل جلاله ومعنى قدرته تعالى على الممكن الموجود حال وجوده انه ان شاء ابقاه على الوجود ابقاه عليه فان علة

الوجود

الوجود هي علة البقاء وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان شاء اعدامه اعدمه ومعنى قدرته على المعدوم حال عدمه انه ان شاء ايجاده اوجده وان لم يشأ لم يوجده وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل بمقدار ما يقتضيه ارادته او بمقدار قوته وفيه دليل على ان مقدور العبد مقدور لله تعالى حقيقة لانه شيء وكل شيء مقدور لله تعالى ● واعلم ان كل واحد من التمثيلين وان احتمل ان يكون من قبيل التمثيل المفرد كما في قوله ●

● كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ● لدى وكرها العناب والحشف البالي ●

بان يشبه المنافقون في التمثيل الاول بالمستوقدين واظهارهم الايمان بالنار وما يتبعه من حقن دمائهم وسلامة اموالهم واولادهم بالاستضاءة بها وتمكنهم التام من الانتفاع به باضاءتها ما حولهم وزواله باذهاب النور الذي واخذ الضلالة مما يحيط بهم بلا لبسهم الظلمات الكثيفة وبقائهم فيها ويشبهوا في التمثيل الثاني بالسائلة والقرآن وما فيه من العلوم والمعارف التي هي مدار الحياة الابدية بالصيب الذي هو سبب الحياة الارضية وما عرض لهم بنزوله من الغموم والاحزان والكشاف البالي بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصاممهم عما يقرع اسماعهم من الوعيد بحال من يهوله الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيسد اذنه منها ولا خلاص له منها واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يحرزونه بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم في امرهم حين عن لهم مصيبة بوقفهم اذا اظلم عليهم لكن الحمل على التمثيل المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة في جانب المشبه بما يقابله من المفردات الواقعة في جانب المشبه به بل ينتزع من المنافقين واحوالهم المفصلة في كل واحد من التمثيلين هيئة على حدة وينتزع من كل واحد من المستوقدين واصحاب الصيب واحوالهم المحكية هيئة على حدها فتشبه كل واحدة من الاوليين بما يقابلها من الاخريين هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شانه الجليل لاشتماله على التشبيه الاول اجمالا مع امر زائد هو تشبيه الهيئة بالهيئة وايذانه بان اجتماع تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة حقيقية بان تكون مثلا في الغرابة

يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم وتحزب الناس في شانه الى فرق ثلاث مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرائع والاحكام وكافرة به نابذة له وراء ظهرها بالمجاهرة والشقاق ● واخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق ● ونعت كل فرقة منها بما لها من النعوت والاحوال ● وبين ما لهم من المصير والمآل اقبل عليهم بالخطاب فامرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الاشراك به ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمة كان قول الداعي يا الله ويا رب وهو اقرب اليه من حبل الوريد استقصارا لنفسه واستبعادا لها من محافل الزلفى ومنازل المقربين واما لتنبيه على غفلته وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه على ان ما يعقبه امر خطير يعتنى بشانه واي اسم مبهم جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان الله المنادى يا ما له الا على انه صفة موضحة له مزيلة لابهامه والتزم رفعه مع انتصاب موصوف محلا اشعارا بانه المقصود بالنداء واقحمت بينهما كلمة التنبيه تاكيدا لمعنى النداء او تعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه ولما في هذا المسلك من الطريقة من ضروب من اسباب المبالغة والتاكيد كثر سلوكه في التنزيل

المجيبة كيف لا وفي ما ورد في تضاعيفه على العباد من الاحكام والشرائع وغير ذلك خطوب جليلة حقيق بان
تقشعر منها الجلود وتطمئن بها القلوب الابية • ويتلقاها باذان واعية • واكثرهم عنها غافلون • فاقتضى
الحال المبالغة والتاكيد في الايقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين الموجودين في ذلك
العصر لما ان الجموع واسماءها المحلاة باللام للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتاكيد بما يفيد
العموم كما في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين
بعمومها شائعا ذائعا واما من عداهم ممن سيوجد منهم فغير داخل في خطاب المشافهة وانما دخولهم
تحت حكمه لما تواتر من دينه صلى الله عليه وسلم ضرورة ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للموجودين
المكلفين ولمن سيوجد منهم الى قيام الساعة • ولا يحتج في العموم بما روي عن علقمة والحسن البصري رح
انه من ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي اذ ليس من ضرورة النزول بمكة شرفها الله تعالى اختصاص
حكمه باهلها ولا من قضية اختصاصه بالكفار اذ لم يكن اهلها حينئذ كلهم كفارا ولا ضير في تحقق العبادة
في بعض المكلفين قبل ورود هذا الامر لما ان المامور به القدر المشترك الشامل لانشاء العبادة
والثبات عليها والزيادة فيها مع انها متكررة حسب تكرر اسبابها ولا في انتفاء شرطها في الاكثر
منهم اعني الايمان لان الامر بها مستنظم للامر بما لا يتم الا به وقد علم من الدين ضرورة اشتراطها
به فان امر المحدث بالصلاة مستتبع للامر بالوضوء لا محالة • وقد قيل الامر بالعبادة قائم
اذ الفعل يعلم انها عبارة عن غاية التذلل والخضوع • وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ان
كل ما ورد في القران من العبادة فمعناها التوحيد • وقيل معنى اعبدوا وحدوا واطيعوا ولا
يقدح في كون البعض من الكفرة ممن لا يجدي فيهم الانذار لا يوجب القبح القاطع لما ان الاعذار ينقطع
الاعتذار وليس فيه قطعا وورود النفي بان لا يكونهم في النفس بسوء اختيارهم لكن لا لان لو نهيهم
كذلك لورود النهي الذي لا يجيء اصلا لا تغير تخصيص الخطاب بمن لم يكن وجد لطيف ستقف عليه
عند قوله تعالى وانتم تعلمون • وايراده تعالى بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد
موجب الامر بالاشعار بعليتها للعبادة الذي خلقكم صفة اجريت عليه سبحانه للتبجيل
والتعليل اثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل
الرب على ما هو اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء
واصله التقدير يقال خلق النعل اي قدرها وسواها بالمقياس • وقرئ خلقكم بادغام القاف في الكاف
والذين من قبلكم عطف على الضمير المنصوب ومنتظم لما قصد من التعظيم والتعليل فان خلق اصولهم
من موجبات العبادة كخلق انفسهم ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف اي كائنين من زمان قبل
زمانكم • وقيل تقديره من قبل خلقكم فحذف الخلق واقيم الضمير مقامه والمراد بهم من تقدمهم
من الامم السالفة ومن ضرورة عموم الخطاب بيان شمول خلقه تعالى للكل وتخصيصه بالمشركين
يؤدي الى عدم التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم واخراج هذه الجملة مخرج الصلة التي حقها
ان تكون معلومة الانتساب الى الموصول عند المخاطب مع انهم غير معترفين بغاية الخلق وان
اعترفوا بنفسه كما ينطق به قوله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله للايذان بان خلقهم للتقوى
من الظهور بحيث لا يتاتى لاحد انكاره • وقرئ وخلق من قبلكم • وقرئ والذين من قبلكم
باقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كاقحام اللام بين المتضايفين في لا ابا لك

او

او جعله موصوفا بالظرف خبر المبتدا المحذوف اي الذين هم اناس كائنون من قبلكم لعلكم تتقون المعنى
الوضعي تحليله لعل موضوعة لتوقع امر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول اما محبوب
فيسمى ترجيا او مكروه فيسمى اشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل اما من جهة المتكلم كما في قوله
تعالى لعل الله يرحمني وهو المعنى الشائع في الاستعمال لان الانشاءات قائمة به واما من جهة المخاطب تنزيلا
له منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله
يتذكر او يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز ايذانا بان ذلك الامر في نفسه مئنة للتوقع
متصف بحيثية مصححة له من غير ان يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع اصلا فان روعيت في الاية الكريمة
جهة المتكلم يستحيل ارادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب عز وجل فيصار اما الى
الاستعارة بان يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مظنة لها لتعاضد اسبابها برجاء الراجي من
منه امرا هين الحصول في كون متعلق كل واحد منهما مترددا بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول
فيستعار له كلمة لعل استعارة تبعية حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب وقرب المطلوب
من الوقوع واما الى التمثيل بان يشبه حاله تعالى في امره عباده بالتقوى وطلبه اياها منهم
وهم متمكنون منها جامعون لاسبابها وينتزع من ذلك هيئة فتشبه بهيئة منتزعة من الراجي
ورجائه من المرجو منه سهل المنال فيستعمل في الهيئة الاولى ما حقه ان يستعمل في الثانية
فيكون الكلام استعارة تمثيلية قد صرح بالفاظها ما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها
اعني كلمة الرجاء والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر مرارا •
واما حمل التشبيه على ارادته تعالى في الاستعارة والتمثيل فامر مؤسس على قاعدة الاعتزال القائلة
بجواز تخلف المراد عن ارادته تعالى فالجملة حال اما من فاعل خلقكم اي طالبا منكم التقوى او من مفعوله
وما عطف عليه بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين لانهم المامورون بالعبادة اي خلقكم واياهم
مطلوبا منكم التقوى او علة له فان خلقهم على تلك الحال في معنى خلقهم لاجل التقوى • كانه قيل
خلقكم لتتقوا او لكي تتقوا اما بناء على تجويز تعليل افعاله تعالى باغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير
من اهل السنة واما تنزيلا لترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض
له فان استتباع افعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة من غير ان تكون هي علة غائية لها
بحيث لولاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقييد خلقهم بما ذكر من الحال او العلة لتكميل
علية للمامور به وتاكيد ايجابه فان اتيانهم بما خلقوا له ادخل في الوجوب وانما ذكر تتقون على تعبدون
مع موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون للمبالغة في ايجاب العبادة •
والتشديد في الزامها لان التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا لزمتهم كان ما هو دونها
منها الزم والاتيان به اهون وان روعيت جهة المخاطب فلعل في معناها الحقيقي والجملة حال من
ضمير اعبدوا ربكم راجين الانتظام في زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على ان المراد
بالتقوى مرتبتها الثالثة التي هي التبتل الى الله عز وجل بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره
عن مراقبته وهي اقصى غايات العبادة التي يتنافس فيها المتنافسون بالاستظهار القدر
المشترك بين انشائه والثبات عليه لرجاء ارباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتي التوقي
عن العذاب المخلد والتجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك كما مر في تفسير المتقين ولعل توسيط

الحال من الفاعل يعني وضمير المفعول لما ان التنبيه من مزايا الاستشعار بكون الوصف الاول معظم احكام الربوبية
واكد دواعي ايجاب العبادة وان الثاني من زيادة طول الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقق الترجي
واما ان اعتبر تحققه بالنوع فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة المذكورة
اي خلقكم واياهم حال كونكم جميعا بحيث يرجوا منكم كل راج ان تتقوا لما انه سبحانه وتعالى لما ابرزكم
مستعدين للتقوى جامعين لمباديها الافاقية والانفسية كان حالكم بحيث يرجوا منهم كل راج ان يتقوا
لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وان لم يتحقق الرجا قطعا ۞ واعلم ان الاية الكريمة مع كونها بعبارتها
ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم عبادته على كافة الناس مرشدة لهم باشارتها الى ان مطالعة
الايات التكوينية المنصوبة في الانفس والافاق مما يقضي بذلك قضاء متقنا وقد بين فيها اولا من
تلك الايات ما يتعلق بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لما انه اقوى شهادة واظهر دلالة ثم عقب بما
يتعلق بمعاشهم فقيل **الذي جعل لكم الارض فراشا** محله النصب على انه صفة ثانية لربكم موضحة
او مادحة او على تقدير اخص او امدح او في محل الرفع على المدح والتقدير بتقدير المبتدا قال ابن
مالك رحمه الله التزموا حذف الفعل في المنصوب على المدح اشعارا بانه انشاء كالمنادى وحذف
المبتدا في المرفوع اجرا للوجهين على سنن واحد واما كونه مبتدا خبره فلا تجعلوا كما قيل
فيستدعي ان يكون مناط النهي ما في حيز الصلة فقط من غير ان يكون لما سلف من خلقهم وخلق
من قبلهم دخل في ذلك مع كونه اعظم شانا وجعل بمعنى صير والمفعولان الارض وفراشا وقيل
هو بمعنى خلق وانتصاب الثاني على الحالية والظرف متعلق به على التقديرين وتقديمه على المفعول
الصريح لتعجيل المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع المخاطبين وللتشويق اليه لان النفس عند
تاخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها
فضل تمكن او لما في المؤخر وما عطف عليه من نوع طول فلو قدم لفات تجاوب اطراف النظم الكريم
ومعنى جعلها فراشا جعل بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة
واللين صالحة للقعود عليها والنوم فيها كالبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك سطحيتها
لان كروية شكلها مع عظم حجمها مصححة لافتراشها ۞ وقرئ بساطا ومهادا **والسماء بناء** عطف على
المفعولين السابقين وتقديم حال الارض لما ان احتياجهم اليها وانتفاعهم بها اكثر واظهر
اي جعلها قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد او جمع سماءة والبناء
في الاصل مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ۞ ومنه قولهم بنى على امراته لما انهم كانوا
اذا تزوجوا امراة ضربوا عليها خباء جديدا **وانزل من السماء ماء** عطف على جعل اي انزل من جهتها او
منها الى السحاب ومنه الى الارض كما روي ذلك عنه عليه الصلاة والسلام والمراد بالسماء
جهة العلو كما ينبئ عنه الاظهار في موضع الاضمار وهي على الاولين لزيادة التقرير ومن لابتداء الغاية
متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول اي كائنا من السماء قدم عليه لكونه نكرة ۞ واما
تقديمه على الوجه الاول مع ان حقه التاخر عن المفعول الصريح فاما لان السماء اصله
ومبدؤه واما لما مر من التشويق اليه مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى **فاخرج
به** اي بسبب الماء **من الثمرات رزقا لكم** وذلك بان اودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة منفعلة
فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار او بان اجرى عادته بافاضة صور الثمار وكيفياتها المختلفة على

المادة

المادة الممتزجة منهما وان كان المؤثر في الحقيقة قدرته تعالى ومشيئته فانه تعالى قادر على ان يوجد جميع
الاشياء بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس المبادي والاسباب لكن له عز وجل في انشائها مستقلة في الاحوال
ومتنقلة في الاطوار من بدائع حكم باهرة تجدد لاولي الابصار عبرا وتزيد طمانينة الى عظيم قدرته
ولطيف حكمته ما ليس في ابداعها بغتة ۞ ومن للتبعيض بقوله تعالى فاخرجنا به ثمرات ولوقوعها
بين منكرين اعني ماء ورزقا ۞ كانه قيل فانزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض
رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج من الارض كل الثمرات ولا جعل كل
المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان له او حال منه كقولك
انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج
لانه بمعنى رزق وانما ساغ ورود الثمرات دون الثمار مع ان الموضع موضع كثرة لانه اريد بالثمرات
جماعة الثمرة في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده القراءة على التوحيد ولان الجموع يتعاور بعضها موقع
بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ۞ وقوله تعالى ثلاثة قروء ولانها محلاة باللام
خارجة عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق اي رزقا
كائنا لكم او دعامة لتقوية عمل رزقا على تقدير كونه مصدرا كانه قيل رزقا اياكم **فلا تجعلوا
لله اندادا** اما متعلق بالامر السابق مترتب عليه كانه قيل اذا امرتم بعبادة من هذا شانه من
التفرد بهذه النعوت الجليلة والافعال الجميلة فلا تجعلوا له شريكا وانما قيل اندادا باعتبار
الواقع لا لان مدار النهي هو الجمعية ۞ وقرئ ندا وايقاع الاسم الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود
بالذات اثر تعيينه بالصفات وتعليل الحكم بوصف الالوهية التي عليها يدور امر الوحدانية ۞
واستحالة الشركة والايذان باستتباعها لسائر الصفات ۞ واما معطوف عليه كما في قوله تعالى
اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والفاء للاشعار بعلية ما قبلها من الصفات الجارية عليه تعالى للنهي
او للانتهاء ولان مآل النهي هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى المترتب على ما قبلها ۞ كانه قيل
اعبدوه واخصوها به والاظهار في موضع الاضمار لما مر آنفا ۞ وقيل هو نهي منصوب باضمار
ان جوابا للامر ويأباه ان ذلك فيما يكون الاول سببا للثاني ۞ ولا ريب في ان العبادة لا تكون
سببا للتوحيد الذي هو اصلها ومبناها ۞ وقيل هو منصوب بلعل نصب فاطلع في قوله تعالى
لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه
فلا تشبهوه بخلقه وحيث كان مدار هذا المذهب تشبيه لعل في بعد المرجو بليت كان فيه
تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو القريب بمنزلة المتمنى البعيد ۞ وقيل هو متعلق بقوله تعالى
الذي جعل لكم على تقدير رفعه على المدح اي هو الذي حفظكم بهذه الآيات العظام والدلائل
النيرة نادية بالتوحيد والاشراك وفيه ما مر من لزوم ان يكون خلقهم وخلق اسلافهم بمعزل من مناط النهي
مع عراقتهما فيه وقيل هو خبر للموصول بتاويل مقول في حقه والفاء للسببية فيه مع لزوم
المصير الى مذهب الاخفش في تجويز الاسم الظاهر مقام الضمير كما في قولك زيد قام ابو عبد
الله اذا كان ذلك كنيته والند المثل المناوي من ند يند ندودا اذا نفر وناددته خالفته
خص بالمخالف المماثل بالذات كما خص المساوي بالمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون
من دون الله اندادا والحال انهم ما زعموا انها تماثله تعالى في صفاته ولا انها تخالفه في افعاله

لا انهم لا يتركوا عبادته تعالى الى عبادة ما ادعوا الهيته بناء على ما هو الحال ممن يعتقد انها ذوات واجبة
بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس الله عز وجل وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى بهم من خير فتهكم بهم وشنع
عليهم ان جعلوا انداداً لمن يستحيل ان يكون له ند قال موحد الجاهلية زيد
ابن عمرو بن نفيل • اربا واحدا ام الف رب • ادين اذا تقسمت الامور •
تركت اللات والعزى جميعا • كذلك يفعل الرجل البصير •
وقوله تعالى **وانتم تعلمون** حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقييد الى ما افاده النهي من قبح المنهي
عنه ووجوب الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كانه قيل لا تجعلوا ذلك فانه
قبيح واجب الاجتناب عنه والحال انكم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور واصابة الرأي
حسبما يقتضيه المقام او مقدر تعلمون بطلان ذلك او تعلمون انه لا يماثله شيء او تعلمون ما بينه وبينها
من التفاوت او تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كما في قوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء
او غير ذلك وحاصله تنشيط الكلام الخطابي وحملهم على الانتهاء عما نهوا عنه هذا وقد [illegible] الذي
بين عبد عموم الخطاب في النهي حمل المنهي عنه على القدر المشترك المنتظم لاتخاذ الانداد كما هو المطلوب
من الكفرة وللدوام عليه كما هو المطلوب من المؤمنين بحسب مثله في الامر واما صرف التقييد الى نفس
النهي ليتسدد في تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة اذ لا يتسنى ذلك بطريق قصر النهي على حالة العلم
ضرورة شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن من العلم بل انما يتأتى بطريق المبالغة في التوبيخ
والتقريع بناء على ان تعاطي القبائح من العالمين بقبحها اقبح وذلك انما يتصور في حق الكفرة فمن صرف
التقييد الى نفس النهي مع تعميم الخطاب للمؤمنين ايضا فقد نأى عن التحقيق فان قلت اليس في تخصيصه
بالكفرة في الامر والنهي خلاص من امثال ما مر من التكلفات وحسن انتظام بين السابق واللاحق
ولا محيد عنه في اية التحدي من تخصيص الخطاب وتخصيصه بالكفرة لا محالة مع ما فيه من [illegible]
وترفعهم عن حيز الانتظام في سلك الكفرة والايذان بانهم مستمرون على الطاعة والعبادة
حسبما يفصح عنه صدر السورة الكريمة مستغنون في ذلك عن الامر والنهي قلت بلى انه وجه سري ونهج سوي
[illegible] **وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا**
شروع في تحقيق ان الكتاب الكريم الذي من جملته ما تلي من الايتين الكريمتين الناطقتين
بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز وجل وان ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ان ما قبله
فيها من الآيات [illegible] الله [illegible] عنه تعالى لتوضيح انعامه بذكره في مطلع السورة
الشريفة من النعوت الجليلة التي من جملتها استنانه عن ان يعتريه ريب والتعبير عن اعتقادهم في حقه
بالريب مع انهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى ان كنتم صادقين اما للايذان
بان اقصى ما يمكن صدوره عنهم وان كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو الارتياب في شأنه
واما الجزم المذكور فخارج من دائرة الاحتمال كما ان تنكير ريب وتصديره بكلمة الشك للاشعار
بان حقه ان يكون ضعيفا مشكوك الوقوع واما للتنبيه على ان جزمهم ذلك بمنزلة الريب لعدم
[illegible] ووضوح دلائل الاعجاز ونهاية قوتها انما لم يقبلوه وان ارتبتم فيه [illegible] لما اشير اليه
فيما سلف من المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله
تعالى لا ريب فيه والاشعار بان ذلك ان وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار استقرارهم

فيه

فيه ان الاحاطة بهم لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته لما ان ما يقتضيه ذلك انما هو دوام ملابستهم به لا قوته
وكثرته ومن في مما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على السببية ربما يوهم
كونه محلا للريب في الجملة حاشاه ذلك وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم
لا من القدر المشترك بينه وبين ابعاضه وليس معنى كونهم في ريب منه ارتيابهم في استقامة معانيه
وصحة احكامه بل في نفس كونه وحيا منزلا من عند الله عز وجل وايثار التنزيل المنبئ عن التدريج على مطلق
التنزيل لتذكير منشأ ارتيابهم وبناء التحدي عليه ارخاء للعنان وتوسيعا للميدان فانهم كانوا يقولون
[illegible] وسيأتي [illegible] ذلك من مبادي الاعتراض به • كانه قيل ان ارتبتم
في شأن ما انزلناه على مهل وتدريج فهاتوا انتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم فرد من نجومه فانه ايسر
عليكم من ان ينزل جملة واحدة وتتحدوا بالكل وهذا من غاية ما يكون من التبكيت والازاحة
وفي ذكره صلى الله عليه وسلم بعنوان العبودية مع الاضافة الى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه
والتنبيه على اختصاصه به عز وجل وانقياده لاوامره تعالى ما لا يخفى • وقرئ على عبادنا والمراد هو عليه
السلام وامته او جميع الانبياء عليهم السلام ففيه ايذان بان الارتياب فيه ارتياب فيما انزل من
قبله لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه والامر في قوله تعالى **فاتوا بسورة** من باب التعجيز والقام الحجر
كما في قوله تعالى فات بها من المغرب والفاء للجواب وسببية الارتياب للامر والاتيان بالمأمور به
لما اشير اليه من انه عبارة عن جزمهم المذكور فانه سبب للاول مطلقا وللثاني على تقدير الصدق
كانه قيل ان كان الامر كما زعمتم من كونه كلام البشر فاتوا بمثله لانكم تقدرون على ما يقدر
عليه سائر بني نوعكم والسورة الطائفة من القرآن العظيم المترجمة واقلها ثلاث ايات
وواوها اصلية منقولة من سور البلد لانها محيطة بطائفة من القرآن محوزة [illegible] على
حيالها او محتوية على فنون من العلوم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة
قال • ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار • فان سور القرآن
مع كونها في انفسها رتبا من حيث الفضل والشرف او من حيث الطول والقصر فهي من حيث انتظامها
مع اخواتها في المصحف مراتب يرتقي اليها القاري شيئا فشيئا • وقيل واوها مبدلة من الهمزة
فمعناها البقية من الشيء ولا يخفى ما فيه ومن في قوله تعالى **من مثله** بيانية متعلقة بمحذوف وقع
صفة لسورة والضمير لما نزلنا اي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم
الرائق والبيان البديع وحيازة سائر نعوت الاعجاز وجعلها تبعيضية يوهم ان له مثلا محققا
قد ارتيد بتعجيزهم عن الاتيان ببعضه كانه قيل فاتوا ببعض ما هو مثل له فلا يلزم منه كون المماثلة
ثمة المعجز عنه فضلا عن كونها مدار التعجيز مع انه المراد وبناء الامر على المجاراة معهم بحسب حسبانهم حيث
كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا او على التهكم بهم يأباه ما سبق من تنزيله منزلة الريب فان
مبنى التهكم على التسليم ذلك منهم وتسويته [illegible] وقيل زائدة كما هو رأي الاخفش بدليل
قوله تعالى فاتوا بسورة مثله وبعشر سور مثله وقيل [illegible] ابتدائية كالتي [illegible] للمنزل
عليه حتما لما ان رجوعه الى المنزل يوهم ان له مثلا محققا ورد الامر التعجيزي بالاتيان بشيء منه
وقد عرفت ما فيه بخلاف رجوعه الى المنزل عليه فان تحقق مثله عليه السلام في البشرية
والعربية والامية بدون الحظ في الجملة خلا ان تخصيص التحدي بفرد من افراده عليه السلام

فيذكر من الصفات المنافية للاتيان بالمامور به لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم بل يابوهم
وقد تبين عجزهم انه في الجملة في اديهم او مجيبين مع انه يستدعي عدم المنزل عما هو عليه من النعوت الموجبة
لاستحالة وجود مثله فاين هذا من تحدي الامة جمعا وامرهم بان يحتشدوا في حلبة المعارضة
بخيلهم ورجلهم حسبما ينطق به قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله ويتعاونوا على الاتيان بمثل ما يتيسر
ما اتى به من صفات الكمال لما انه جملته واحد من ابناء جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي القائم
بالشهادة او الناصر ومعنى دون ادنى مكان من الشيء يقال هذا دون ذلك اذا كان احط منه
قليلا ثم استعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف والرتبة ثم اتسع
فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم من غير ملاحظة الخاط احدهما من الاخر فجرى
مجرى اداة الاستثناء وكلمة من اما متعلقة بادعوا فتكون لابتداء الغاية والظرف مستقر
والمعنى ادعوا متجاوزين الله تعالى من حضركم كائنا من كان او الحاضرين في مشاهدكم ومحافلكم من رؤسائكم
واشرافكم الذين يفزعون اليهم في الملمات ويعولون عليهم في المهمات او القائمين بشهاداتكم الجارية
فيما بينكم من امنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة او القائمين بنصرتكم
حقيقة او زعما من الانس والجن ليعينوكم او احراجه سبحانه وتعالى من حكم الدعاء الاول
مع اندراجه في الحضور ولتاكيد تناوله بجميع ما عداه لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة
على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه واما في الوجه الثاني من
اولياء الانس بزعمهم منه تعالى ولكنهم في مدى المحادة والمشاقة له قاموا استظهارهم على ما يستعان
والاستثناء لاخراج المرعة وتربية المهابة وفي نهم وقيل المعنى ادعوا من دون اولياء الله شهداءكم
الذين هم وجوه الناس فان المتناوله والمشاقة تشهد لكم انما اتيتم به مثله انما با بهم
يابون ان يرضوا لا تشهد الشهادة محض ما هو بين الشمس في الاستحالة وقيل المعنى ادعوا من دون نيه
نمول الصدي لا ولحلية الرؤساء وقيل المعنى ادعوا شهداءكم فصحح ابهم دعوا اكم ولا تستشهدوا
بالله تعالى فانه بل الله يشهد ان ما انت به حق فان ذلك ديدن المحجوج وفيه انه ان اريد بايديه حقيقة
تناسخ عليه بين الدين الباطل فلا مساغ له في مقام التحدي وان اريد مماثلة ما انزابه للمتحدى
يوقع عدم ملاحقته لابتداء التحدي بوهم انهم قد يقصد والمعارضة وان ابين منه طلبا للمشهود
بين المماثلة وعدمها وانهم ادعوها فشتهم بين ذلك بالله سبحانه اذ عند ذلك الاحتمالية
الامر بالاستشهاد بالناس والنهي من الاستشهاد به تعالى واي الحيرة ولا تساعده الرعرفة ولا تسوابت
شيئه واما متعلقة بشهداءكم والمراد بهم الاصنام ودون بمعنى التجاوز على انها ظرف مستقر وقع
حالا من ضمير المخاطبين والعامل ما دل عليه شهداءكم اي ادعوا اصنامكم الذين اتخذتموهم الهة
متجاوزين الله تعالى في اتخاذها كذلك وكلمة من ابتدائية فان الاتخاذ ابتداء من التجاوز والتعبير
عن الاصنام بالشهداء للتهكم بهم او الاستظهار بها بتحقيق ما زعموا من انها تشفع لهم عند الله تعالى واما
تشهد لهم ما تم الحراهم على الحق فان ما تقدم انا يحسب ان يكون ممالا المهرة كل امر مهم ومقابلا ووقتا
الجدفي كل خطب ولها كاندينا او لك ان حتى ينهم او عونهم لمرتبتهم لمن الى وسيكم في الثاني الاتيان بها لاتخاذ وحسبنا
حتى اثروا اتخاذها عبادة مثل ذلك الاوتبة الجلية حتى يحتج بان ادلالة عبادة مما لا احترمه وفيل لفظه دون
مستعار من معناها الوضعي الذي هو ادنى مكان من الشيء لاضده كما في قول الاعشى

ثبات التحدي من دونها في دونه
اي بلغة التحدي قد اعتادوا
تمام التحدي فتكون ظرفا لغوا متعلقا بشهداءكم لكنه لا يراد به التعلل من غير حاجة الى اعتام ولا الجار
تقدير بشهدوا اي ادعوا شهداءكم الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى ليغيثوكم في المعادة
الى ادعوا الحاضرين انهم من الاعتذار مناط الاستعانة وفي وجه الالتفات وتزيد المهابة
وترشيح ذلك المعنى فان ما يتوهم بعد الاخرة لك التقادير المخطئ انه ان يستعانوا به في ذلك لام
في امرهم بل الوجهين بانه يستطيعوا في معارضة القرآن الذي اخرس كل منطيق بالحاد من التهكم
بهم ما لا يرضى وكلمة من هاهنا تبعيضية لما انهم يقولون جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما
ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل انما يقع في بعض تلك الجهتين كما تقول جئته
من الليل تريد بعضا للنهار وقيل انه ملة من الداخلة على دون في جميع المواقع بمعنى في كما في سائر
الظروف التي لا تنصرف وتكون منصوبة على الظرفية ابدا او لا تجر الا من خاصة وقيل المراد
بالشهداء امثالهم اذ الله تعالى فيهم او وجوه المحافل والحاضرين ودون ظرف مستقر ومن ابتدائية اي
ادعوا الذين يشهدون لكم ان ما اتيتم به مثله متجاوزين الله تعالى في ذلك او ليا الله تعالى
ومحصله شهداء مغايرين لهم ان انا بالهم ابينا لا يشهدون لكم وانا قد اضاف الى الله
تعالى رعاية للمقابلة فان اولياء الله تعالى يقابلون اولياء الاصنام كما ان ذكر الله تعالى يقابل
ذكر الاصنام والعبودية الامر رخا العنان والاستدراج الى غاية التبكيت كانه قيل
تركنا الزامكم بشهداء الانسا مجرا الى احد الجانبين كما هو المعتاد واكتفينا بشهداءكم المعروفين
بالذب عنكم فانهم ايضا لا يشهدون لكم حذرا من الاية وانفة من الشهادة البينة البطلان
كيف لا وامر الاعجاز قد بلغ من الظهور الى حيث لم يبق للانكار سبيل قطعا وفيه ما مر من عدم
الملائمة لابتداء التحدي وعدم تناوله لان بيان الشهداء ابيام انهم لم يقصدوا المعارضة وقد اتوا بما
احتاجوا الى اثبات مثليته للمتحدى به اي الشهادة وشتان بينهم وبين ذلك ان كنتم صادقين
اي في زعمكم انه من كلام البشر عليه السلام وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه اي ان كنتم
صادقين فاتوا بسورة من مثله واستلزام المقدم للتالي من حيث ان صدقهم في ذلك الزعم
يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه الصلاة والسلام في البشرية
والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم
والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والايام لاشياء عند المظاهر والتعاون ولا ريب في ان القدرة
على الشيء من موجبات الاتيان به ودواعي الامر به فان لم تفعلوا اي ما امرتم به من الاتيان بالمثل
بعد ما بذلتم في السعي غاية المجهود وتجاوزتم في الحد كل حد معهود متشبثين بالذيول والكيد
متبين على كل سبب وذلول وانما لم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه بناء على كمال ظهوره كالحكم على ذلك
وانما اورد في حيز الشرط مطلق الفعل وجعل مفعوله الفعل المامور به منقولا لانه للاختصار
البديع المغني عن التطويل والتكرير مع سوسري استلزامه التمام هو الايذان بان المقصود
بالتكليف هو ايقاع نفس الفعل المامور به لاظهار عجزهم لا لتحصيل المفعول اي المامور به ضرورة
استحالته وان مناط الجواب والشرطية اعني الامر باتقاء النار هو عجزهم عن الاتيان به لا فوات
حصول المفعول فان مدلول لفظ الفعل هو نفس الافعال الخاصة لازمة كانت او متعدية

من غير اعتبار تعلقها بمفعولاتها الخاصة فاذا علق بفعل خاص بعد ما تقيد به ابتداء نحو ذلك الفعل والزم
بما تفرع الى الفعل واما تعلقه بمفعوله المخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق والاستفادة لك من
استعمال الخاص ولعل لك ان تحمل بر سلوك بتلك الى تجريد الافعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الافعال
اللازمة فيقولون مثلا يعطي فلان ويمنع بمعنى الاعطاء والمنع يوضح ان المعنى اتى لتنبيه كان
لمن اوتي به فلا يجيء الخبر عندي ولا يترتبون به قوله ابي في باخ لكم من استكبر فانه لما كان مفعولا به
عليه المتاخر لا من ومن هي عرضه بالتكليف منه استعمار بينا مبين لم يكتفه بالشرطية الداعية
لهم الى الجد في الامتثال والسعي في تحقيق المامور به بالاشارة الاجمالية الى الفعل الذي ورد به الامر
بان يقول فان لم تفعلوا بالاعادة بعينه متعلقا بمفعوله تحقيقا لمطلبه وابرازا عن متعلقه ٭ هذا
وقد قيل اطلق الفعل واريد به الاتيان مع ما يتعلق به اما على طريقة التعبير عن الاتيان الظاهرة
بالفعل الراجعة اليها حذرا من التكرار او على طريقة ذكر اللازم وارادة الملزوم لما بينهما
من التلازم المصحح للانتقال بمعونة قرائن الحال فتدبره ٭ واستدركه ان المفيد للشك على اذا
مع تحقق الجزم بعجزهم عند مرادهم بحسب حسبانهم قبل التجربة او تهكم بهم **ولن تفعلوا**
كلمة ان لنفي المستقبل كلا ان في لن زيادة تاكيد وتشديد واصلها عند الخليل لا ان وعند
الفراء لا ابدلت الالف نونا وعند سيبويه حرف مقتضب للنفي المذكور وهي احدى الروايتين عن
الخليل والجملة اعتراض بين جزئي الشرطية مقرر لمضمون مقدمها ومؤكد لايجاب العمل بتاليها وهي
معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الامر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشيء
تناقله الرواة خلفا عن سلف **فاتقوا النار** جواب الشرط على ان اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العناد
اذ بذلك يتحقق تسببه عنه وترتبه عليه ٭ كانه قيل فاذا عجزتم عن الاتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا
من انكار كونه منزلا من عند الله سبحانه فانه مستوجب للعقاب بالنار لكن اوثر عليه الكناية المبنية
على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاتصاف به عين الملابسة بها للمبالغة في تهويل شانه وتفظيع
امره واظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتنفير سمعهم وحثهم على الجد في تحقيق المكني عنه
بما فيه الايجاز البديع ما لا يخفى جعل فان الامتثال فان لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم واذا صح ذلك
كان لزومكم العناد وترككم الايمان به سببا لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا وامنوا واتقوا النار
التي وقودها الناس والحجارة صفة للنار موردة لها زيادة هول وفظاعة اعاذنا الله تعالى من ذلك
والوقود ما يوقد به وترفع من الحطب ٭ وقرئ بضم الواو وهو مصدر سمي به المفعول مبالغة كما يقال
فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى انها من الشدة بحيث انها لا تمس شيئا من رطب او يابس الا احرقته
لا كنيران الدنيا تفتقر في الالتهاب الى وقود حطب او حشيش وانما جعل هذا الوصف صلة للموصول
مقتضية تكون انتسابها الى ما نسب اليه معلوما للمخاطب بما قيل انهم سمعوا من اهل الكتاب قبل
ذلك او من الرسول صلى الله عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الاية المدنية قوله تعالى نارا وقودها الناس
والحجارة واشتهر بها هنا الى ما سمعوه اولا وكون سورة التحريم مدنية لا يستلزم كون جميع اياتها كذلك
كما هو المشهور وانما ان الصفة ايضا يجب ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب فانه
فيه ضمن لما ان المخاطب ههنا المؤمنون وظاهر انهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمراد بالحجارة الاصنام وبالناس انفسهم عبدتها حسبما ورد في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون

الله

الله حصب جهنم الاية **اعدت للكافرين** اي هيئت للذين كفروا بما نزلنا وجعلت عدة لعذابهم
والمراد اما جنس الكفار والمخاطبون داخلون فيهم دخولا اوليا واما هم خاصة ووضع الكافرين
موضع ضميرهم لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم ٭ وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة
على ان النار مخلوقة موجودة الان ٭ والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب مقرر لمضمون
ما قبلها ومؤكد لايجاب العمل به ومبينة لمن اريد بالناس اتقه لا حال العموم وقيل حال باضمار قد من
النار لا من ضميرها في وقودها لما في ذلك من الفصل بينهما بالخبر ٭ وقيل صلة بعد صلة او عطف
على الصلة بترك العاطف **وبشر الذين امنوا** اي بانه منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف
على الجملة السابقة لكن لا على ان المقصود عطف نفس الامر حتى يطلب له مشاكل يصح عطفه عليه بل
على انه عطف قصة المؤمنين بالقران ووصف ثوابهم على قصة الكافرين به وكيفية عقابهم جريا
على السنة الالهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد وكان تغيير السبك لتخييل
كمال التباين بين حالي الفريقين ٭ وقرئ وبشر على صيغة الفعل مبنيا للمفعول عطفا على اعدت
فيكون استئنافا وتعليق التبشير بالموصوف للاشعار بانه معلل بما في حيز الصلة من الايمان
والعمل الصالح لكن لا لذاتهما فانهما لا يكافئان النعم السابقة فضلا من ان تقتضيا ثوابا فيما
يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده وجعل صلته فعلا مفيدا للحدوث دعوة لاراد الكفرة
وسعة الى اعلى الخاطبين بالاقتصار على احداث الايمان وتحذير لهم من الاستمرار على الكفر والخطاب
للنبي عليه الصلاة والسلام او لكل من يتاتى منه التبشير كما في قوله عليه الصلاة والسلام
بشر المشائين الى المساجد في ظلم الليل بالنور التام يوم القيامة فانه عليه الصلاة والسلام
لم يامر بذلك واحدا بعينه بل كل احد ممن يتاتى منه ذلك وفيه رمز الى ان الامر لعظمه وفخامة
شانه حقيق بان يتولى التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذي به تظهر اثر
السرور في البشرة وتباشير الصبح اوائل ضوئه **وعملوا الصالحات** اي الاعمال الحسنة في الكتاب
بحري الاشعري كلها استثناء من الاعمال لتناول القليل والكثير واللام للجنس والجمع لافادة ان
المراد بها جملة من الاعمال الصالحة التي اشير الى امهاتها في مطلع السورة الكريمة وطائفة منها متفاوتة
حسب تفاوت احوال المكلفين في مواجب التكليف ومن عطف الاعمال على الايمان دلالة على تغايرهما
واشعار بان مدار استحقاق البشارة مجموع الامرين فان الايمان اساس والعمل الصالح كالبناء
عليه ولا غنا باس لا بناء عليه **ان لهم جنات** منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور
باضماره مثل الله لافعلن والجنة هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف
المظلل باغصانه ٭ قال زهير ٭
٭ كان عيني في غربي مقتلة ٭ من النواضح تسقي جنة سحقا ٭
اي نخلا طوالا لانها لفظ تكاثفها وتغطيتها لما تحتها بالمرة نعمل لسترته وعلى الارض
ذات الشجر ٭ قال الفرا رحمه الله الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم فحق المعنى
حينئذ ان يكون ماخوذا من الفعل المبني للمفعول وانما سميت دار الثواب بها مع ان فيها ما لا وصف
من الغرفات والقصور لما انها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لانها سبع على ما ذكر
ابن عباس رضي الله عنه جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة الماوى

ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة بحسب تفاوت الاعمال والعمال
تجري من تحتها الانهار في محل النصب على انه صفة جنات فان اريد بها الاشجار فجريان الانهار من تحتها
ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فلا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وان
اريد بها مجموع الارض والاشجار فلاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة
على الكل عن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان
بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب او عوض عن المضاف اليه كما في قوله تعالى واشتعل الرأس
شيبا او للعهد والاشارة الى ما ذكر في قوله عز وعلا فيها انهار من ماء غير آسن الاية والنهر بفتح الهاء
وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد
بها ماؤها على الاضمار او على المجاز اللغوي والمجاري نفسها وقد اسند اليها الجريان مجازا عقليا
كما في سال الميزاب **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل** صفة اخرى لجنات اخرت عن الاولى
لان جريان الانهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها وهذا وصف لها باعتبار اهلها المتنعمين بها او خبر
مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة كانه حين وصف الجنات بالذكر التفتة وقع في ذهن السامع
ان ثمارها كثمار جنات الدنيا او لا فبين حالها وكلما نصب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الاولى
والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال كانه قيل كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات
مبتدأ من ثمرة على ان الرزق مقيد بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤها منه مقيد بكونه مبتدأ
من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الثانية ضميره المستكن في الحال • ويجوز كونه من ثمرة
بيانا تقدم على المبين • كما في قولك رأيت منك اسدا وهذا اشارة الى ما رزقوا وان وقعت على
فرد معين منه كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك وان اشرت الى نعابيه بحسب
الظاهر لكنك انما تعني بذلك النوع المعلوم المستمر فالمعنى هذا مثل الذي رزقناه من قبل اي من قبل
هذا في الدنيا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وانما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتميل
النفس اليه حين تراه فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة من غير المعروف وليتبين لها مزية
النعمة فيه اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه لا يكون الا كذلك او مثل الذي رزقناه من قبل في الجنة
لان طعامها متشابه الصور كما حكي عن الحسن رضي الله عنه ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى
باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فتقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي
انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها
فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها والاول انسب لمحافظة عموم كلما فانه يدل
على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا الا فيما عدا المرة الاولى يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب
لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون كانهم قالوا هذا عين ما رزقنا
في الدنيا فمن اين له هذه الرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة
والحسن والهيئة لا لبيان ان لا تشابه بينهما اصلا كيف واطلاق الاسماء منوط بالاتحاد النوعي قطعا
هذا ولقد فسرت الاية الكريمة بان مستلذات اهل الجنة بمقابلة ما رزقوا في الدنيا من الطاعات
والابتهاج تخصيص ذلك بالثمرات فان الجنة وما فيها من فنون الكرامات من قبيل الثواب والاجر

متشابها اعتراض مقرر لما قبله والضمير على الاول راجع الى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في
الدارين كما في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق
ولهم فيها ازواج مطهرة اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة كالحيض والدرن ودنس
الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال • وقرئ مطهرات
وهما لغتان فصيحتان • يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل • قال •
واذا العذارى بالدخان تقنعت • واستعجلت نصب القدور فملت •
فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة • وقرئ مطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة
ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وما هو الا الله سبحانه وتعالى
واما التطهر فيحتمل ان يكون من قبل انفسهن كما عند اغتسالهن والزوج يطلق على الذكر والانثى
وهو في الاصل اسم لما له قرين من جنسه وليس في مفهومه اعتبار التوالد الذي هو مدار بقاء
النوع حتى لا يصح اطلاقه على اهل الجنة لخلودهم فيها واستغنائهم عن الاولاد كما ان المدار في بقاء
التولد ليست بمعتبرة في مفهوم الرزق حتى يخل ذلك باطلاقه على ثمار الجنة **وهم فيها خالدون**
اي دائمون والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار
الخوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله خلد ولو كان وضعه للدوام لما قيد بالتأبيد
في قوله عز وعلا خالدين فيها ابدا ولما استعمل حيث لا دوام فيه لكن المراد ههنا الدوام قطعا
لما ينطق به من الآيات والسنن • وما قيل من ان الابدان مؤلفة من الاجزاء المتضادة في الكيفية
معرضة للاستحالات المؤدية الى الانحلال والانفكاك مدفوع بانه قياس ذلك العالم الكامل
في عالم الكون والفساد على انه يجوز ان يعيدها الخالق تعالى بحيث لا يعتورها الاستحالة ولا
تعتريها الانحلال قطعا بان يجعل اجزاءها متعادلة في الكيفيات متساوية في القوى بحيث لا يقوى
شيء منها عند التفاعل على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض وتبقى تلك النسبة
محفوظة فيما بينها ابدا لا يعتريها التغير بالاكل والشرب والحركات وغير ذلك • واعلم ان معظم
اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح حيث كانت في شرف الزوال
حسبما يقتضيه الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان جلت حيث
كانت في شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين
بها وبدوامها تكميلا للبهجة والسرور اللهم وفقنا لمرضاتك وثبتنا على ما يؤدي اليها من
العقد والعمل **ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة** شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب
خاص اعتراهم من جهة ما وقع فيه من ضرب الامثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق اثر تنزيهها
من مطلق الريب بالتحدي والزام الحجة وافحام كافة البلغاء من اهل المدر والوبر روى ابو صالح
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المنافقين طعنوا في ضرب الامثال بالنار والظلمات والرعد والبرق
وقالوا الله اجل واعلى من ضرب الامثال • وروى عطاء رضي الله عنه ان هذا الطعن كان من المشركين
وروي عنه ايضا انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الاية وقوله
تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء الاية قالت اليهود اي قدر للذباب والعنكبوت
حتى يضرب الله بهما المثل وجعلوا ذلك ذريعة الى انكار كونه من عند الله تعالى مع انه لا يخفى على احد

لد تمييزا بين ما يحصل فيه التردد فلا يحصل التسكين بالهوى من درج ادلة كونه خارجا عن طريق البشر
نازلا من عند خلاق القوى والقدر كيف لا وان التمثيل كما مر ليس الا ابراز المعنى المعقود في معرض
الامر المشهود وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير اوابد المعاني بهيئة المألوف لا سيما لدى
الوهم واستنزال الذهن عن معارضته للعقل واستعصائه عليه في ادراك الحقائق الخفية •
وتذليل الدقائق الابية في تتابعه فيما يستقصيه وليساعد الى ما يقتضيه • ولذلك شاعت الامثال
في الكتب الالهية • والكلمات النبوية • وذاعت في عبارات البلغاء • واشارات الحكماء • وفي
تنبيه وجرت اقتالك والمناسبة في مناط التمثيل تمثيل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد
مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة ومعارضة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في عبارات البلغاء
اجمع من ذرة واجرى من الذباب واسمع من قراد واضعف من بعوضة الى غير ذلك مما لا يكاد يحصى
والحياء تغير النفس وانكسارها مما يعاب به او يذم عليه • يقال حيي الرجل يحيى وهو حيي
من الحياة اشتقاق نشي ونسي وحشي من النشا والنسا والحشا • يقال نشي الرجل ونسي وحشي
اذا اعتلت منه تلك الاعضاء فان من يعتريه الحياء يعتل قوته الحيوانية وتنتقص واستحيى بمعناه
خلا انه يتعدى بنفسه وبحرف الجر • يقال استحييته واستحييت منه والاول لا يتعدى الا
بحرف الجر وقد يحذف منه احدى اليائين • ومنه قوله •

الا تستحي منا الملوك وتتقي • محارمنا لا يبوء الدم بالدم •

وقوله

اذا ما استحين الماء يعرض نفسه • كرعن بسبت في اناء من الورد •

فكما انه اذا اسند اليه سبحانه يطلق على الايجاب في مثل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يستحيي من ذي
الشيبة المسلم ان يعذبه • وقوله عليه الصلاة والسلام ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع
اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا يراد به الترك اللازم على طريقة التمثيل حيث مثل
في الحديثين الشريفين تركه تعذيب ذي الشيبة وتخييب العبد بترك من يتركهما حياء كذلك اذا نفي
عنه تعالى في المواد الخاصة كما في هذه الاية الشريفة وفي قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق يراد
سلب ذلك الترك اللازم المضاف بترك المستحيي عنه لا سلب وصف الحياء عنه تعالى رأسا كما في قولك
الله لا يوصف بالحياء لان تخصيص السلب ببعض المواد يوهم كون الايجاب من شانه تعالى
في الجملة فالمراد ههنا عدم ترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي من ضربه وفيه رمز الى
تفنيد الدواعي الى ضربه وتأكد البواعث اليه اذ الاستحياء انما يتصور في الافعال المقبولة
للنفس المرضية عندها ويجوز ان يكون وروده على طريق المشاكلة فانهم كانوا يقولون اما يستحيي
رب محمد ان يضرب مثلا بالاشياء المحقرة • كما في قول من قال •

من مبلغ افناء يعرب كلها • اني بنيت الجار قبل المنزل •

وضرب المثل استعماله في مضربه وتطبيقه لا صنعه وانشاؤه في نفسه والا لكان انشاء الامثال
السائرة في امثالها مضروبا بها دون استعمالها بعد ذلك في مضاربها لتقدم انشائها
والامثال الواردة في التنزيل وان كان استعمالها في مضاربها غير انشائها في نفسها لكن التعبير
عنه بالضرب ليس بهذا الاعتبار الاول فتعاوره ماخوذ من ضرب الخاتم بجامع التطبيق
فكان الضرب به تطبيقه على مطالبه لذلك استعمال الامثال في مضاربها تطبيقها بها كان المضارب

قوله

قوله لتقريب الامثال عليها تواجهان افتتاحها لكافة الامثال التنزيلية ارتباطا لها كما ينبغي
الامثال الشايعة فانها وان كانت مصنوعة من قبل الا ان تطبيقها اي ايرادها منطبقة على مضاربها
انما يحصل عند الضرب واما من ضرب الطين على الجدار ليلتزق به لجامع الالصاق كان من يستعملها
يلصقها بمضاربها ويجعلها ضربة لازب لا ينفك عنها لشدة تعلقها بها ولما ان يضرب في تعديته
بنفسه النصب على المفعولية واما على تقدير تعديته بالجار فعند الخليل المنتصب باضمار من
وعند سيبويه النصب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها ومثلا مفعول ليضرب وما ابهامية
تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشيوعا كما في قولك اعطني كتابا ما كانه قيل مثلا ما من الامثال
اي مثل كان فهي صفة لما قبلها او حرفية مزيدة لتقوية النسبة وتوكيدها كما في قوله تعالى فبما رحمة من
الله وبعوضة بدل من مثلا او عطف بيان عند من يجوزه في المنكرات او مفعول ليضرب
ومثلا حال تقدمت عليها لكونها نكرة وهي مفعوله لتضمنها معنى الجعل والتصيير • وقرئ بالرفع
على انه خبر مبتدا محذوف اي هو بعوضة والجملة على تقدير كون ما موصولة صلة لها محذوف
الصدر كما في قوله تعالى تماما على الذي احسن على قراءة الرفع وعلى تقدير كونها موصوفة صفة لها
كذلك ومحلها على الوجهين النصب على انه بدل من مثلا او على انه مفعول ليضرب وعلى تقدير كونها
ابهامية صفة لمثلا كذلك واما على تقدير كونها استفهامية فهي خبرها كانه لما رد استبعاد
ضرب المثل قيل ما بعوضة واي مانع فيها حتى لا يضرب لها المثل بل له تعالى ان يمثل بما هو اصغر
منها واحقر كجناحها على ما وقع في قوله عليه الصلاة والسلام • لو كانت الدنيا تزن عند
الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء • والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع
والعضب غلب على هذا النوع كالخموش في لغة هذيل من الخمش وهو الخدش فما فوقها عطف على
بعوضة على تقدير نصبها على الوجوه المذكورة وما موصولة او موصوفة واما على تقدير
كونها استفهامية مبتدأ فهو عطف على خبرها اعني بعوضة لا على نفسها كما قيل والمعنى ما بعوضة
فالذي فوقها او فشيء فوقها حتى لا يضرب بها المثل لكنه على تقدير كونها صفة للنكرة
او ابهامية بعوضة خبر المبتدأ وذكر البعوضة فما فوقها من افراد المثل انما هو بطريق التمثيل دون التعيين
والتخصيص والمراد بالفوقية اما الزيادة في المعنى الذي اريد بالتمثيل اعني الصغر والحقارة • واما الزيادة في الجرم والجثة لكن لا بالغا
في المعنى الذي اريد بالتمثيل وبه يجوز ان تكون ما الثانية خاصة استفهامية
بل في الجملة كالذباب والعنكبوت • وعلى تقديرها بالاول يجوز ان تكون فوقها الشيء والجماد فافهمه
الكارثة • والمعنى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا بما هو دونها في الحقارة
تعالى ان يمثل بكل ما يريد ونظيره في احتمال الامرين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت
عائشة رضي الله تعالى عنها حين ذكر لها ذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك
شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الالم كعقبة
النكبة • كقوله عليه الصلاة والسلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة
وما لا يزيد عليها كالنملة • فاما الذين امنوا شروع في تفصيل ما يترتب على
ضرب المثل من الحكم المحقق بعد وما عنه من الله لا له على ما يدل عليه ما
قبله كانه قيل فيضربه فاما الذين الاية وبيان حال المؤمنين على ما يجري في الكلام

ما لا يبتر الربان السبب ذي نعته بالجملتين بأما من الحاو امر المومنين وذم الكفرة
متضمن لمعنى اسم الشرط ولذلك يجاب بالفاء ومبنى له مما لا يخفى ولذلك يجاب بالفاء فائدته توكيد ما صدر به
وتذهب بما في نفس المتكلم من الاقسام نعم نذكر جميعا وقد يستغني بذكر احد منها كما في قوله تعالى
فاما الذين في قلوبهم زيغ الآية ● قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب
لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاء حرف
الشرط فادخلوها الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا والمراد بالموصول فريق المومنين المعهود
كان المراد بالموصول الاول فريق الكفرة لانه لا يومن بعذب المثل الذي يليق به لاختلال المعنى
اي فاما المومنون فيعلمون انه الحق من ربهم كشافي ماورد منه تعالى والحق هو الثابت الذي يحق ثبوته
لا محالة بحيث لا سبيل للعقل الى انكاره لا الثابت مطلقا لا يلائم المقام لدلالة على انه مشهود بالحقية
وان له حكما ومصالح ومن لابدية الغاية وعاملها محذوف ووقع خلا من الفهم المسكن في الحق
او من المعنى العائد الى المثل او الى مرتبة اي كائنا او صادرا من ربهم والتعرض لعنوان الربوبية مع
الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم وللايذان بان ضرب المثل تربية لهم وارشاد الى ما يوصلهم
الى الكمال اللائق بهم ● والجملة سادة مسد مفعولي يعلمون عند الجمهور ومسد المفعول الاول
والثاني محذوف عند الاخفش اي فيعلمون حقيته ثابتة فعلى الاكتفاء بحكاية علمهم المذكور عن حكاية
اعترافهم وجيه كما في قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا بلا اشعار بعقوبة
ما بينهما من التلازم وطهور انتفى عن الذكر **واما الذين كفروا** من حكيت اقوالهم واحوالهم **فيقولون**
ماذا اراد الله بهذا مثلا ونوقولون على لا يعلمون حسبما يقتضيه ظاهر قرينة دلالة فيما لا يعلم
في الكفر فبيانه ما هم فيه من العتو فان مجرد عدم العلم بحقيته مثابه انكارهما والاستهزاء به صريحا
وتنبيه العقيدة وما في عليهم ومتابعة الجوابين الضالين الحقيقين ونقض العهد وغير ذلك من
شنايعهم المترتبة على ذلك المذكور على ان عدم العلم بحقيته لا يعم جميعهم فان منهم من يعلمها
وانما يقول ما يقول مكابرة وعنادا وان حمله على عدم الاذعان والقبول الشامل للجهل والعناد ونحو
الابرار ● مثلا وقد قيل ان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون لمطابقة قرينه فقيل بالمشبه
لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه
فتأمل وكن على الحق المبين ● وماذا اما مركبة من كلام استفهام وقعت مبتدأ اخبر ذا بمعنى الذي
وصلته اي ما بعده والعائد محذوف فالاحسن في جوابه الرفع والارادة نزوع النفس وميلها
الى الفعل بحيث يحملها اليه والقوة التي هي مبدأ له والاول مع الفعل والثاني قبله وكلاهما لا
يتصور اتصافه تعالى به ● ولذلك اختلفوا في ارادته عز وجل فقيل ارادته تعالى لافعاله انه غير ساه
عنها ولا مكره ولافعال غيره امره بها فلا تكون المعاصي بارادته تعالى وقيل بعلمه
بلا شك على الامر على انتظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه عبارة
عن ترجيح احد طرفي المقدور على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجبه وهي اعم
من الاختيار فانه ترجيح مع تفضيل وفي دلالته على التعيين اغترار للشارات وامتزج الاله ومثلا
نصب على التمييز او على الحال ● كما في قوله تعالى ناقة الله لكم آية ولبس من ادم بين العظمة استنهار
الحكمة في ضرب المثل ولا القدح في اشتماله على الغاية مع اعتقادهم بعيدون عنه جل وعلا بل

مرتضمر

عن ضمير النبيه باد فيما منه من الدناءة والحقارة بحيث لا يليق ان يتعلق به امر من الامور الذي اخلد عند ارادة
تعالى على استحالة ان يكون ضرب المثل به من عنده سبحانه فقوله عز من قائل **يضل به كثيرا ويهدي به**
كثيرا جواب عن تلك المقالة الباطلة ورد لها ببيان انه مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة هي كونه
ذريعة الى هداية المستعدين للهداية واضلال المنهمكين في الغواية بوضع الفعل موضع الفعل
الواقع في الاستفهام مبالغة في الدلالة على تحققها فان ارادتهما دون وقوعهما بالفعل وحكايتها
عن تكرر الاضلال مع المداية في سلك الارادة لايهامه ثباتها وبيان تعلقها وليس كذلك بل لان
المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكر والاستدلال الخافي عنه قوله تعالى وتلك الامثال نضربها
للناس لعلهم يتفكرون وتدابرهم واما الاضلال فهو ناش منه مترتب على سوء اختيارهم واقتضاء
بسبيه الاستقبال اي ابدا بالتجدد والاستمرار ● وتقديم الضلال على الهدى مع تقدم حال المهتدين وكثرة
الاعداء اضلال كثيرا وهداية كثيرا وتقدم الاضلال على الهداية مع تقدم حال المهتدين على حال
الضالين فيما قبله ليكون اول ما يقرع اسماعهم من الجواب امرا فظيعا يسوءهم ويفت في اعضادهم ومن
السر في تخصيص هذه الغاية وقيل هو بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل للعامة بان يكون
حقا صداية وان الجهل بوجه ارادته والانكار لحسن مورده مضلال وفسوق وكثرة كل منهما انما هي
بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فلا يتوجع في ذلك اولية اهل الهدى بالنسبة الى اهل
الضلال لحسبما نطق به قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وعن ذلك واعتبار كثرتهم الذاتية
دون قلتهم الاضافية فكمال دلالة ضرب المثل كما في قول من قاله ●
● ان الكرام كثير في البلاد وان ● قلوا كما غيرهم قل وان كثروا ●
واسناد الاضلال اي خلق الضلال اليه سبحانه مبني على ان جميع الاشياء مخلوقة له تعالى وان كانت
افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم وجعله من قبيل اسناد الفعل الى سببه بابانه الضرب بالسببية
المرادة من حيث الكسب ● ويضل به كثيرا ويهدي به كثيرا على البنا للمفعول وتكريره مع جواز الاكتفاء الاول لزيادة تقرير السببية
وتوكيدها **وما يضل به** اي بالمثل او بضربه **الا الفاسقين** عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد
وزيادة فيه ● وقرئ وما يضل به الا الفاسقون على البنا للمفعول والفسق في اللغة الخروج قال روبة
● فواسقا عن قصدها جوائرا ● يهوين في نجد وغورا غائرا ●
فسقت الرطبة من قشرها والفارة من جحرها اي خرجت ● وفي
الشريعة الخروج عن طاعة الله عز وجل بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الاصرار على الصغيرة وله
طبقات ثلاث الاولى التغابي وهي ارتكابها احيانا مستقبحا لها ● والثانية الانهماك في تعاطيها
والثالثة المثابرة عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب
عنه اسم المومن لاتصافه بالتصديق الذي عليه يدور الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من
المومنين اقتتلوا والمعتزلة لما ذهبوا الى ان الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل
والكفر عن تكذيب الحق وجحوده لم يتحقق لهم حال الفاسق في احكامه احد منهما فلم يبق ثمة
المومن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض احكامه ● والمراد بالفاسقين هاهنا العاتون المادون
في الكفر الخارجون عن حدوده ممن حكي عنهم ما حكي من انكار كلام الله تعالى واستهزائه وتخصيص الاضلال
بهم مترتبا على صفة الفسق وما اجري عليهم من القبائح للايذان بان ذلك هو الذي اعدهم للاضلال

وادى بهم الى الضلال فان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على الباطل صرفت وجوه انظارهم
عن التدبر في حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه
وقالوا فيه ما قالوا **الذين ينقضون عهد الله** صفة للفاسقين للذم وتقرير للفسق والنقض
فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل ونحوهما واستعماله في ابطال العهد من
حيث استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل
كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وتنبيها على مكانه
وان المذكور استعير له كما يقال شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس تنبيها على
انه اسد في شجاعته وبحر في افاضته والعهد الموثق. يقال عهد اليه كذا اذا وصاه
به ووثقه عليه والمراد ههنا اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده
الدالة على وجوده ووحدانيته وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وبه اول قوله تعالى
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى والمعنى الظاهر منه والمأخوذ من جهة الرسل
عليه الصلاة والسلام على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه
ولم يكتموا امره وذكره في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا حكمه كما ينبئ عنه قوله تعالى واذ اخذ
الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ونظائره. وقيل عهود الله تعالى
ثلاثة. الاول ما اخذ على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته. والثاني ما اخذ على
الانبياء عليهم الصلاة والسلام بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه. والثالث ما اخذ على
العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه **من بعد ميثاقه** الميثاق اما اسم لما يقع به الوثاقة والاحكام
واما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الاول ان رجع الضمير الى العهد كان المراد
بالميثاق ما وثقوا به من القبول والالتزام وان رجع الى لفظ الجلالة فالمراد به آياته وكتبه وانذار
رسله عليهم الصلاة والسلام والمضاف محذوف على الوجهين المذكورين اي من بعد تحقق ميثاقه
وعلى الثاني ان رجع الضمير الى العهد والميثاق مصدر من المبني للفاعل فالمعنى من بعد ان وثقوه
بالقبول والالتزام بعد ان وثقه الله عز وجل بانزال الكتب وانذار الرسل وان كان مصدرا
من المبني للمفعول فالمعنى من بعد كونه موثقا اما بتوثيقهم اياه بالقبول واما بتوثيقه تعالى اياه بانزال
الكتب وانذار الرسل **ويقطعون ما امر الله به ان يوصل** يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع
الرحم وموالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام والكتب في التصديق
وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع ما بين الله تعالى
وبين العبد من الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول
الطالب للفعل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور
فانه مما يؤمر به كالفعل لدلالته وهو الشأن والطلب والفعل الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول
به بالمصدر وان يوصل يحتمل النصب والجر على انه بدل من ما او من ضميره
والثاني اولى لفظا ومعنى **ويفسدون في الارض** بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل
التي عليها يدور نظام العالم وصلاحه **اولئك** اشارة الى الفاسقين باعتبار اتصافهم
بما ذكر من الصفات القبيحة وفيه ايذان بانهم متميزون بها اكمل تميز ومنتظمون بسبب ذلك

في تلك الامور الخسيسة وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الفساد **هم الخاسرون**
الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار
والطعن في الآيات بالايمان بها والنظر في حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء
والفساد بالصلاح والقطيعة بالصلة والعقاب بالثواب **كيف تكفرون بالله** التفات
الى خطاب الذين كفروا مبني على ابراز ما صدر عنهم في معرض المشافهة لتزايد السخط الموجب للمشافهة
بالتوبيخ والتقريع والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين
عهد عند الله وعند رسوله الى آخره بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجب منه وفيه
من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الكفر بان يقال اتكفرون لان كل موجود يجب
ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده على الطريق البرهاني
وقوله تعالى **وكنتم امواتا** الى آخر الآية حال من ضمير الخطاب في تكفرون لكن لا للانكار والاستبعاد
باعتبار ما فيها من الشرائط العظيمة الداعية الى الايمان الرادعة عن الكفر من حيث كونها نعمة عامة ومن
حيث دلالتها على قدرة تامة كقوله تعالى وقد خلقكم اطوارا وكيف منصوبة على التشبيه بالظرف
عند سيبويه او بالحال عند الاخفش اي في اي حال او على اي حال تكفرون بالله تعالى والحال
انكم كنتم امواتا اي اجساما لا حياة لها وعناصر اغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة
والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل واطلاقها على تلك الاجسام باعتبار عدم الحياة مطلقا
كما في قوله تعالى بلدة ميتا وقوله تعالى وآية لهم الارض الميتة **فاحياكم** بنفخ الارواح فيكم
والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء حاصل اثر كونهم امواتا وان توارد عليهم في تلك الحالة
اطوار مترتبة بعضها متراخ عن بعض كما اشير اليه آنفا **ثم يميتكم** اي عند انقضاء آجالكم
وكون الاماتة من دلائل القدرة ظاهر واما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحياة
الثانية التي هي الحياة والنعمة العظمى والتراخي المستفاد من كلمة ثم بالنسبة الى زمان
الاحياء دون زمان الحياة فان زمان الاماتة غير متراخ عنه **ثم يحييكم** بالنشور يوم
ينفخ في الصور او للسؤال في القبور وايا ما كان فهو متراخ عن زمان الاماتة وان كان ابن
ينفخ في الصور او ... الى قبح حالهم وتكريرا للتحسين
زمان الموت المستمر **ثم اليه ترجعون** بعد الحشر لا الى غيره وان كان بعضها
قبيحا وان شرافتهم واليه تنشرون من قبوركم للحساب وثمة الا الله ان كان بعضها
وبعضها مستقبلا لا يتبيني مقارنته بما هو حال منها في الزمان بل الحال في الحقيقة هو العلم
المتعلق بها كانه قيل كيف تكفرون بالله وانتم عالمون بهذه الاحوال المانعة منه وما له التعجيب
من وقوعه مع تحقق ما ينفيه وانما نظم ما يكون من الاحيا لاجل ان الترجيح في سلك ما بعده فون
من الاحيا الاولى والاماتة منزلة منزلة تمكنهم من العلم لما غابوا من الله الدلائل القاطعة منزلة
العلم بها لتمكنهم في ان احياء العقل والاعلاء والحياة حقيقة في القوة الحاسة او ما
يقتضيها وهي حياة الحيوان حيوانا مجازا في القوة النامية لكونها من طلائعها وكذا في يحيى
الانسان من العقل والعلم والايمان من حيث انه كمالها وغايتها والموت بازائها يطلق على
كل ما يقابل كلا مرتبة من تلك المراتب. قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم. وقال تعالى
اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها. وقال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي

نعم في المشاهد عنه وبعده بيانا لما يراد بها صحة النعمة انه تعالى هو العالم والقادر اللازمة لهذه
معنى فانه اي انه تعالى متفضل بذلك • وقرئ ترجعون بفتح التاء فالاول هو الاليق بالمقام هو
الذي خلق لكم ما في الارض جميعا تقرير للانكار وتاكيد لما فيه من الحيثيتين المذكورتين عن
شيئان ما قيل مع اتحادهما في المقصود ابانة لما بينهما من التفاوت فان ما يتعلق بذواتهم من الاحياء
والاماتة والحشر اد خل في الحث على الايمان والكف عن الكفر مما يتعلق بمعايشهم وما يجري مجراها
وفي جعل الضمير مبتدأ والموصول خبرا من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى • ونقل بالطرف على
المفعول للتعجيل بالمسرة ببيان كونه نافعا للمخاطب والتشويق الى المؤخر كما سلف اي خلق لاجلكم
جميع ما في الارض من الموجودات لتنتفعوا بها في اموركم دنيا كما بالذات او بالواسطة واموركم
الدينية بالاستدلال بها على شؤون الصانع تعالى شانه والاستشهاد بكل واحد منها على ما يلائمه من لذات
الاخرة والامها وما يعم جميع ما في الارض لا نفسها الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة
العلو نعم يعم كل جزء من اجزائها فانه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء في الكل وجميعا حال من
الموصول الثاني مؤكدة لما فيه من العموم فان كل فرد من افراد ما في الارض بل كل جزء من اجزاء العالم
له مدخل في استمرار ما هو عليه من النظام اللائق الذي عليه يدور انتظام مصالح الناس
اما من جهة المعاش فظاهر • واما من جهة الدين فما من شيء في العالم مما يتعلق به النظر ومما لا
يتعلق به الا وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما مر في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان لم يتصل
به احد بالفعل ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيته قصدا سويا بلا صارف يلويه
ولا عاطف يثنيه من ارادة خلق شيء اخر في تضاعيف خلقها او غير ذلك مأخوذ من قولهم استوى اليه
كالسهم المرسل • وتخصيصه بالذكر هنا اما لعدم تحققه في خلق السفليات لما روي من تخلل خلق
السموات بين خلق الارض وجعلها • عن الحسن رحمه الله خلق الله تعالى الارض في بيت المقدس كهيئة
الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط
منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما • واما لاظهار كمال العناية بابداع العلويات
على ان السفليات والتراخي الزماني فان تقدمه على خلق ما في الارض المتأخر عن وجودها لما ان ثبت
فيه تقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها • ولما روي عن الحسن رضي الله عنه والمراد بالسماء الاجرام
العلوية فان القصد اليها بالارادة تابعة الوجود واما جهات العلو فسواهن اي اتمهن وقومهن
وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج والفطور لا انه تعالى سواهن بعد ان لم يكن كذلك ولا يخفى ما في مقابلة
التسوية والاستواء من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان لا تعرفن بالنحو والدخول كما في السفليات والضمير
على الوجه الاول للسماء لانها في معنى الجنس • وقيل هي جمع سماءة او سماوة وعلى الوجه الثاني مبهم يفسره قوله
تعالى سبع سموات كما في قولهم ربه رجلا وهو على الوجه الاول بدل من الضمير وتأخير ذكر هذا الخلق
البديع عن ذكر خلق ما في الارض مع كونه اقوى منه في الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه
المنافع المنوطة بما في الارض اكثر تعلقا بمصالح الناس بذلك اظهر وان كان في ابداع العلويات ايضا من
المنافع الدينية والدنيوية ما لا يحصى منها ما قالوا وسيأتي في حم السجدة من مزيد تحقيق وتفصيل
باذن الله وهو بكل شيء عليم اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من خلق السموات والارض وما فيهما

النمط البديع المنطوي على الحكم الفائقة والمصالح اللائقة فان علمه عز وجل بجميع الاشياء ظواهرها
وبواطنها بارزها وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعي ان يخلق كل ما يخلقه على الوجه الرائق
وقرئ وهو بسكون الهاء تشبيها له بعضد واذ قال ربك بيان لامر اخر من جنس الامور المقدمة
المؤكدة للانكار والاستبعاد فان خلق آدم عليه السلام وما خصه به من الكرامات السنية
المحكية من اجل النعم الداعية لذريته الى الشكر والايمان الناهية عن الكفر والعصيان وتقرير
لمضمون ما قبله من قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا منبئ عن كيفية التصرف والانتفاع بما
فيها وتلوين الخطاب بتوجيهه الى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة للايذان بان فحوى الكلام
ليس مما يهتدي اليه بادلة العقل كالامور المشاهدة التي نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب
بل انما طريقه الوحي الخاص به عليه الصلاة والسلام وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن
التبليغ الى الكمال اللائق مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من الانباء عن تشريفه عليه الصلاة
والسلام ما لا يخفى • واذ ظرف موضوع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا
الوقت من يذيعا وادكروا ذكر واذكروا اذ جعلكم خلفاء واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم
وقوله تعالى مثله في قوله عز وجل واذكروا الى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثله و لكن وجب
اعنا فيهما نسبة مستقبلة تقع فيه اخرى كما ان اذا موضوع لزمان فيه نسبة اخرى منهما من الجواب
مع ان المقصود بالذات تذكير ما وقع فيه ذكر الوقت لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه
بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة
عيانا • وقيل ليس انتصابه على المفعولية بل على الظرفية باذكروا الحادث فيه بحذف المظروف
واقامة الظرف مقامه • واما ما كان فهو معطوف على مضمر اخر ينسحب عليه الكلام كانه قيل
له عليه الصلاة والسلام تنبيها لما اوحى اليه ما خوطب به من الكفرة من الوحي الناطق بتفاصيل
الامور السابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم بذلك واذكر لهم من النعمة لينتبهوا
بذلك لبطلان ما هم فيه وينتهوا عنه • واما ما قيل من ان المعنى وهو شكر النعمة في خلق
السموات والارض او نحو ذلك فمعتبر حتما ضرورة ان مقتضى المقام تذكير المخاطبين بما يوجب
الشكر وتنبيههم على ما يقتضيه واين ذلك من مقامه الجليل صلى الله عليه وسلم • وقيل
انتصابه بقوله تعالى قالوا وتأباه انه يقتضي ان يكون هو المقصود بالذات دون سائر القصة
وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ولا يخفى بعده • وقيل بمضمر دل عليه مضمون الاية
المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال الخ • ولا ريب في انه لا فائدة في تقييد بدء الخلق
بذلك الوقت • وقيل خلقكم او احياكم مضمرا فيه ما فيه وقيل اذ زائدة ويعزى ذلك
الى ابي عبيدة ومعمر • وقيل انه بمعنى قد واللام في قوله عليه السلام فالاولى للملائكة
للتبليغ وتقديم الجار والمجرور في هذا الباب مطرد لما ان في المقول طول غالبا مع ما فيه
من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر كما مر اراد الملائكة جمع ملاك باعتبار اصله الذي
هو ملاك على ان الهمزة مزيدة كالشمائل في جمع شمال والتاء لتأكيد تأنيث الجماعة واشتقاقه
من ملك لانه من معنى الشدة والقوة • وقيل على انه مقلوب من مألك من الالوكة وهي
الرسالة اي موضع الرسالة او مرسل على انه مصدر بمعنى المفعول فانهم وسائط بين الله تعالى

ذريته لنا بي ثم رسالة عز وجل او بمنزلة رسله عليهم الصلاة والسلام • واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد
اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المتكلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على
التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك عليهم السلام • وذهب الحكماء
الى انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وانها اكمل منها قوة واكثر علما تجري منها
مجرى الشمس من الاضواء منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال
بغيره كما نعتهم الله عز وجل بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون المقربون
وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض حسبما جرى عليه قلم القضاء الالهي وهم المدبرات امرا
فمنهم سماوية ومنهم ارضية • وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية
المفارقة للابدان • ونقل في شرح [illegible] انه عليه الصلاة والسلام قال اطت السماء وحق
لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع • وروي ان بني ادم عشر الجن وهم
عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض
الموكلين وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا الى
السماء السابعة ثم كل اولئك في مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق
واحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت
به السموات والارض وما فيها وما بينها لا يكون لها عنده قدر محسوس وما فيه من مقدار شبر
الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة
الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه
السلام والملائكة الذين هم جنود جبرائيل عليه السلام لا يحصي اجناسهم ولا مدة اعمارهم
ولا كيفيات عباداتهم الا باريهم العليم الخبير على ما قال وما يعلم جنود ربك الا هو • وروي
انه عليه الصلاة والسلام حين عرج به الى السماء راى ملائكة في موضع بمنزلة شرف يمشي بعضهم
تجاه بعض فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرائيل عليه السلام الى اين يذهبون فقال
جبرائيل عليه السلام لا ادري الا اني اراهم منذ خلقت ولا ادري واحدا منهم قد رايته قبل
ذلك ثم سالا واحدا منهم منذ كم خلقت فقال لا ادري غير ان الله تعالى يخلق في كل اربعمائة الف
سنة كوكبا وقد خلق منذ خلقني اربعمائة الف كوكب • فسبحانه من اله ما اعظم قدرته وما اوسع
ملكوته • واختلف في الملائكة الذين قالوا ما قالوا فقيل هم ملائكة الارض • وروى
الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم المختارون مع ابليس حين بعثه الله عز وجل لمحاربة
الجن حين كانوا سكان الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فقتلوهم الا قليلا قد اخرجوهم من
الارض والحقوهم بجزائر البحار وقلل الجبال وسكنوا الارض وخفف الله تعالى عنهم العبادة واعطى
ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة فكان يعبد الله تارة في الارض وتارة
في السماء واخرى في الجنة فاخذه العجب فكان من امره ما كان وقال اكثر الصحابة والتابعين رضي
الله تعالى عنهم انه مع كل الملائكة لعموم اللفظ وعدم المخصص **اني جاعل في الارض خليفة** في حيز
النصب على انه مقول قال وصيغة الفاعل بمعنى المستقبل ولذلك اعملت عمله وفيها ما ليس
في صيغة المضارع من الدلالة على انه فاعل لذلك لا محالة وهي من الجعل بمعنى التصيير المتعدي

اي

الى مفعولين فيعني اولهما خليفة • وثانيهما الظرف المقدم عليه اما هو مقتضى الصناعة فان مفعولي
التصيير في الحقيقة اسم كان وخبره اولهما الاول والخليفة ثانيهما الثاني وهما خبر مبتدا
والاصل في الارض خليفة ثم [illegible] في الارض خليفة ثم [illegible] في الارض خليفة فمعناه بعد
السياق التي اني جاعل خليفة من الخلائف او خليفة بعينه كائنا في الارض فان خبرما في الحقيقة
هو الكون المقدر العامل في الظرف ولا ريب في ذلك ليس ما يقتضيه المقام اصلا وانما الذي
يقتضيه هو الاخبار بجعل ادم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملائكة عليهم السلام فاذن قوله
تعالى خليفة مفعوله الثاني والظرف متعلق بجاعل قدم على المفعول الصريح لما مر في التسوية الى ما اخر
او بمحذوف وقع حالا لما بعده لكونه نكرة • واما المفعول الاول فمحذوف تعويلا على القرينة الدالة
عليه كما في قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما حذف فيه المفعول الاول
وهو ضمير الاموال للدلالة الحالية عليه • وكذا في قوله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله
من فضله هو خيرا لهم حيث حذف فيه المفعول الاول لدلالة يبخلون عليه اي لا تحسبن بخلهم
بخلهم هو خيرا لهم • ولا ريب في تحقق القرينة هنا اما ان جاء الحذف وقع المحكي فهي ادم
[illegible] عليه الصلاة والسلام على ما سنفصله • كانه قيل اني خالق بشرا من طين
وجاعل في الارض خليفة • واما ان جاء على انه لم يحذف [illegible] بل قيل [illegible] وجاعل اياه خليفة
في الارض لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة ما ذكر من جواب الملائكة عليهم السلام قال العلامة
الزمخشري في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين • ان قلت
كيف صح ان يقول لهم بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به • قلت وجهه ان يكون قد قال لهم
اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم [illegible] حاز الاكتفاء
عند الحكاية من ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه فانك بما نحن فيه ومعه
قرينة ظاهرة • ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو خليفة
وحال الظرف في التعلق والتقديم كما مر لحقيقة لا تكون ما سياتي من كلام الملائكة [illegible]
[illegible] فانه روي انه تعالى لما قال لهم اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا
وما يكون ذلك الخليفة قال تعالى يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل
بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ما قالوا والله اعلم والخليفة من اخلف غيره ويقوم مقامه
بمعنى الفاعل والتاء للمبالغة والمراد به اما ادم [illegible] انما اقتصر على استخلافه به عن ذريته
عن ذكرهم كما يستغني عن ذكر القبيلة بذكر ابيها كمضر وهاشم [illegible] والخلافة في قريش واما
الخلف ادم من خلفه خليفة عليه السلام وغيره من خلفاء ذريته • والمراد بالخلافة من جهته
سبحانه في اجراء الاحكام وتنفيذ اوامره بين الناس وسياسة الخلق لكن لا لحاجة به تعالى الى ذلك
بل لقصور استعداد الخلائق المستخلف عليهم وعدم لياقتهم لقبول الفيض بالذات فيفيض الجواد
من بينه • واما الخلافة ممن كان في الارض قبل ذلك فتعم الجميع **قالوا** استيناف وقع جوابا
عما ينساق اليه الاذهان • كانه قيل فماذا قالت الملائكة حينئذ فقيل قالوا **اتجعل فيها من يفسد**
فيها وهو ايضا من الجعل المتعدي الى اثنين [illegible] الاول والظاهر ان الاول كلمة من
والثاني محذوف ثقة بما ذكر من الكلام السابق كما حذف الاول ثقة بما ذكرهنا

قال قائلهم ۞ لا تغلنا عن ابائك انا طالما ... ومشى بنا الاعداء ۞ بخلاف المفعول الثاني
اي لا تجعلنا به جازعين على غرابيك والمعنى اتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الاول متعلق بتجعل
وتقديمه لما مر مرارا والثاني بيفسد وفائدته تاكيد الاستبعاد لما ان في استخلاف المفسد في
محل افساده من البعد ما ليس في استخلافه في غيره وقد جوز كونه من الجعل بمعنى الجملة المتعدية
الى مفعول واحد موكلة من ۞ وانت خبير بان من ادرجهم ليس خلق من يفسد في الارض كيف
لا وان ما يعقبه من الجملة الحالية الناطقة بدعوى احقيتهم منه تقتضي ببطلانه حتما اذ لا صحة
لدعوى الاحقية منه بالخلق وهم مخلوقون بل هي ادعاء ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها
باجراء احكام الله تعالى واوامره او يستخلف مكان المطبوعين على الطاعة من شأنهم التقى عنه
الافساد وسفك الدماء وهو عليه الصلاة والسلام وان كان منزها عن ذلك الا ان استخلافه
مستتبع لاستخلاف ذريته التي لا تخلو عنه غالبا وانما اظهروا تعجبهم استكشافا عما خفي عليهم من الحكم
التي بدت على تلك المفاسد والغتها واستخبارا عما يرشدهم ويزيح شبهتهم الى معرفة ما فيه عليه
الصلاة والسلام من الفضائل التي جعلت اهلا لذلك كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في ذهنه لا اعتراضا
على الله سبحانه ولا تشكيكا في اشتماله على الحكمة والمصلحة اجمالا ولا طعنا فيه عليه السلام ولا في
ذريته على وجه الغيبة فان منصبهم اجل من ان يظن بهم امثال ذلك ۞ قال تعالى بل عباد مكرمون
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ما قالوا اما باخبار من الله تعالى حسبما نقل من قبل
او تلقي من اللوح او باستنباط عما ركز في عقولهم من اختصاص العصمة بهم او بقياس لاحد الثقلين
على الآخر ويسفك الدماء السفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب والاول مختص
بالدم بل لا يستعمل الا في الدم الحرام اي بقتل النفوس المحرمة بغير حق والتعبير عنه بسفك الدماء
لما انه اقبح انواع القتل وافظعه ۞ وقرئ يسفك بضم الفاء ويسفك ويسفّك من اسفك وسفك
وقرئ يسفك على البناء للمفعول فحذف الراجع من موصولة او موصوفة اي يسفك الدماء فيهم **ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك** جملة حالية مقررة للتعجب السابق ومؤكدة له على طريقة قول من يجد في خدمة
مولاه وهو يأمر بها غيره اتستخدم العصاة وانا مجتهد فيها ۞ كانه قيل اتستخلف من من شأن
ذريته الفساد مع وجود من ليس من شأنه ذلك اصلا والمقصود عرض احقيتهم منه بالخلافة
واستفسار عما رجحه عليهم مع ما هو متوقع منهم من الموانع لا العجب والتفاخر فكأنهم شعروا بان فيه
من القوة الشهوانية التي رذيلتها الافراطية الفساد في الارض والقوة الغضبية التي رذيلتها
الافراطية سفك الدماء فقالوا ما قالوا وذهلوا عما اذا انضم اليها القوة العقلية ومرنتها على الخير
يحصل به لك من علو الدرجة ما يقصر عن بلوغ رتبة العقلية عند انفرادها في افاعيلها كالاحاطة
بتفاصيل احوال الجزئيات والاستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى
الفعل الى غير ذلك مما نيط به امر الخلافة والتسبيح تنزيه الله تعالى وتبعيده اعتقادا وقولا وعملا
عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري
وكذلك تقديسه تعالى من قدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ۞ ويقال قدسه اي طهره فان
مطهر الشيء مبعد له من الاقذار والباء في بحمدك متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير اي ننزهك عن
كل ما لا يليق بشأنك ملتبسين بحمدك على ما انعمت به علينا من فنون النعم التي من جملتها توفيقنا

طلع

لهذه العبادة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات الانعام واللام في
لك اما مزيدة والمعنى نقدسك واما صلة للفعل كما في نصحت لك ۞ واما للبيان كما في
سقيا لك فتكون متعلقة بمحذوف اي نقدس تقديسا لك اي نصفك بما يليق بك من العلو
والعزة وننزهك عما لا يليق بك ۞ وقيل المعنى نطهر نفوسنا من الذنوب لاجلك كأنهم قابلوا
الفساد الذي اعظمه الاشراك بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو تلويث النفس باقبح الجرائم
بتطهير النفس عن الآثام لا تمدحا بذلك ولا اظهارا للمنة بل بيانا للواقع **قال** استئناف كما
سبق **اني اعلم ما لا تعلمون** ليس المراد بيان انه تعالى يعلم ما لا يعلمونه من الاشياء كائنا ما كان فان ذلك
مما لا شبهة فيه حتى يفتقر الى التنبيه عليه لا سيما بطريق التوكيد بل بيان ان فيه عليه
السلام معاني مستدعية لاستخلافه اذ هو الذي يخفى عليهم وبنوا عليه ما بنوا من التعجب والا
ستبعاد فما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن تلك المعاني ۞ والمعنى اني اعلم ما لا تعلمونه من
دواعي الخلافة فيه وانما لم يقتصر على بيان تحققها فيه عليه الصلاة والسلام بان قيل مثلا ان فيه
ما يقتضيه من غير تعرض لاحاطته تعالى به وغفلتهم عنه تفخيما لشأنه وايذانا بابتنائه على
العلم الرصين والحكمة المتقنة وصدوره عن الخبير العليم ۞ وقيل معناه اني اعلم من المصالح
في استخلافه ما هو خفي عليكم وان هذا ارشاد للملائكة الى العلم بان افعاله تعالى كلها حسنة
وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة ۞ وانت خبير بانه مشعر بكونهم غير عالمين بذلك
من قبل وتكون تعجبهم مبنيا عليه دونهم في اشتمال فعله تعالى على الحكمة ولكونهم مندرجين
في ابتنائها ... ومن راجع الى محض حكمة الله عز وجل والى قبيلة من جهة المستخلف فيه
سبحانه وتعالى لم او لا على وجه الاجمال والابهام ان فيه فضائل غائبة عنهم ليستشرفوا اليها
ثم ابرز لهم طرفا منها ليعاينوه ويطمئن ... بديع صنعه وحكمته وتنزاح شبهتهم بالكلية **وعلم
آدم الاسماء كلها** شروع في تفصيل ما جرى بعد الجواب الاجمالي تحقيقا لمضمونه وتعيين الابهام
وهو عطف على قال لابتناء الحكاية التعليمية على ... ما مر من المقاولة المحكية اثر
جرت بعد خلقه عليه السلام بمحضر منه وهو الانسب بوقوف الملائكة على احواله عليه الصلاة
والسلام بان قيل ان نفخ الروح فيه اي جاعل بان خليفة ... ما قيل كما ... وايراد
عليه الصلاة والسلام باسمه العلمي لزيادة تعيين المراد بالخليفة ولان ذكره بعنوان الخلافة
لا يلائم مقام تمهيد مباديها وهو اسم اعجمي والاقرب ان وزنه فاعل كآزر وعابر وشالخ
وفالغ لا افعل والتصدي لاشتقاقه من الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض
بناء على ما روي عنه عليه الصلاة والسلام من انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها
وحزنها فخلق منها آدم ولذلك اختلفت الوان ذريته او من الادم والادمة بمعنى الالفة
تعسف كاشتقاق يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس والاسم باعتبار
الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال
واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى مفردا كان او مركبا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما
واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بالزمان ۞ والمراد ههنا اما الاول
او الثاني وهو مستلزم للاول اذ العلم بالالفاظ من حيث الدلالة على المعاني مسبوق بالعلم

بيان التعليم حقيقة عبارة عن تعليم تترتب عليه العلم بلا تخلف عنه ولا يحصل ذلك بمجرد افاضة العلم
بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول الفيض وتلقيه من جهته كما في تفسير المهدي وهو السر
في اشارة على الاعلام والانباء فانهما انما يتوقفان على سماع الخبر الذي يشترك فيه البشر والملائكة
نظيره احقيته بالخلافة منهم عليهم السلام لما ان جبلتهم غير مستعدة للاحاطة بتفاصيل احوال
الجزئيات الجسمانية خبرا فعنى تعليمه تعالى اياه بان يخلق فيه اذ ذاك بموجب استعداده علما ضروريا
تفصيليا باسما جميع المسميات واحوالها وخواصها اللائقة بكل منها او يلقي في روعه تفصيلا ان
هذا فرس وشأنه كيت وكيت وذاك بعير وحاله كيت وذلك الغير ذلك من احوال الموجودات
فيتلقيها عليه السلام حسبما يقتضيه استعداده ويستدعيه قابليته المتفرعة على فطرته
المنطوية على طبايع متباينة وقوى متخالفة وعناصر متغايرة • قال ابن عباس وعكرمة وابن جبير
رضي الله عنهم علمه اسما جميع الاشياء حتى القصعة والقصيعة وحتى الجفنة والمحلب وانحى منفعة كل شي
الى جنسه • وقيل اسما ما كان وما سيكون الى يوم القيامة • وقيل معنى قوله تعالى وعلم آدم الاسما
خلقه تعالى من اجزا مختلفة وقوى متباينة مستعدة لادراك انواع المدركات من
المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشيا واسمائها وخواصها
ومعارفها واصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل الاتها وكيفيات استعمالاتها فيكون ما
مر من المقاولة قبل خلقه عليه السلام • وقيل التعليم على ظاهره ولكن ثمة جمل مطوية عطف
عليها المذكور اي فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلم آدم الاسما ثم عرضهم على الملائكة الضمير للمسميات
المدلول عليها بالاسما كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا فان كل تغليب العقلا على
غيرهم • وقرئ عرضهن وعرضها اي عرض مسمياتهن ومسمياتها في الحديث انه تعالى عرضهم امثال
الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من افراد كل نوع ما يصلح ان يكون انموذجا يتعرف منه احوال البقية
واحكامها فقوله انبئوني باسماء هؤلاء ••• وقوفا على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق والايجاد ••• والانبا اخبار فيه اعلام ولذلك
يجري مجرى كل منهما والمراد هاهنا ما خلا عنه • وفي ايثاره على الاخبار للايذان برفعة شأن الاسماء
وعظم خطرها فان الانبا انما يطلق على الخبر الخطير والامر العظيم ان كنتم صادقين اي في زعمكم
انكم احقا بالخلافة ممن استخلفته كما ينبي عنه مقالكم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه
قد يتطرق اليه باعتبار ما يلزمه من الاخبار فان ذلك ادى الى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على اسما
ما في الارض • واما ما قيل من ان المعنى في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سافكين للدما
فليس مما يقتضيه المقام اولا ولجهة اخرى اذ لا تعلق له بانبائهم بالاسما وجواب الشرط محذوف
لدلالة المذكور عليه قالوا استيناف واقع موقع الجواب كانه قيل فماذا قالوا حينئذ هل خرجوا
عن عهدة ما كلفوه او لا فقيل قالوا سبحانك قيل هو علم للتسبيح والايجاد بسبعة الاعضاد او وقد
جاء منصوبا على المصدر وقد يجي منصرفا للتعريف والالف والنون الزائدتين كما في قوله •
• سبحانك من علقمة الفاخر • وكما في قوله • سبحانك ثم سبحانا نعوذ له •
فتنبيه فيه للضرورة • وقيل لانه مصدر منكر كغفران لا اسم معرّف ومعناه على الاول تسبيحا
تسبيحا نابيا عن كل ما لا يليق بشأنك الاتيان باشتمال استخلاف آدم عليه السلام على الحكم البالغة
وعلى الثاني تنزهت عن ذلك تنزها ناشيا عن ذلك واراد وابه انهم قالوا ... انهم لما لم يعلموا الاجابة

عليه

عليه السلام تخلف ما كلفوه ان تيقنوا على ما فيه عجزوا عنه انهم وقفوا عليه الخلافة وقوله عز وعلا
لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه اذ معناه لا علم لنا الا ما علمتناه حسب قابليتنا
من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة بنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا حتى لو كنا مستعدين
لذلك لافضته علينا وما في علمتنا موصولة حذف عائده او مصدرية ولعلهم انهوا منهم
بلا على وجه المبالغة حيث لم يقتصروا على بيان عجزهم بان قالوا اعلم لنا بما لا يعلمون من
جملة ما لا يعلمون واشعروا بان كونه من تمام الحمد في عن البيان انك انت العليم الذي لا يخفى
عليه خافية وهذا اشارة الى تنبيههم لقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون الحكيم اي المحكم
لمصنوعاته الفاعل لها حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة وموجب لغير حيثما او ممنة للاول
وانت ضمير الفصل لا محل له من الاعراب او له محل منه مشاركا لما قبله كما قاله الفراء او لما بعده
كما قاله الكسائي وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت • وقيل مبتدأ خبره ما
بعده والجملة خبر ان وتلك الجملة تذييل لما سبق من قصة عليهم عما علمه الله تعالى وما بينهم من ذلك
من علم آدم عليه السلام لما عن بعض من الاستعداد له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الارض
من انواع المخلوقات التي عليها يدور فلك الخلافة الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة
ومن جملة تعليمه آدم عليه السلام ما هو قابل له من العلوم الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة
بالاحكام الواردة على ما في الارض وبنا امر الخلافة عليها قال استيناف كما سلف يا آدم انبئهم
اي اعلمهم اوثر على انبئني حذوا على امر الملائكة عليهم السلام مع حصول المراد معه ايضا وهو ظهور
فضل آدم عليه السلام لابانة ما بين الامرين من التفاوت الجلي وايذانا بان علمه عليه السلام
بها امر واضح غير محتاج الى ما يجري مجرى الامتحان وانه عليه السلام حقيق بان يعلمها غيره وقرئ
بقلب الهمزة يا وبحذفها ايضا والهاء مكسورة فيهما باسمائهم التي عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر
هممهم عن بلوغ مرتبتها فلما انباهم باسمائهم الفا فصيحة عاطفة للجملة الشرطية على محذوف يقتضيه
المقام ويستدعيه نظام الكلام للايذان ان تقرره وغناه عن الذكر والاشعار بتحققه في اسرع
ما يكون كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله سبحانه انا آتيك به قبل ان يرتد
اليك طرفك واظهار الاسما في موضع الاضمار لاظهار كمال العناية بشأنها والايذان بانه
عليه الصلاة والسلام انباهم بها على وجه التفصيل دون الاجمال • والمعنى فانباهم باسمائهم
مفصلة وبين لهم احوال كل منهم وخواصه واحكامه المتعلقة بالمعاش والمعاد فعلموا ذلك
لما رأوا انه عليه الصلاة والسلام لم يتلعثم في شي من التفاصيل التي ذكرها مع مساعدة ما بين
الاسما والمسميات من المناسبات والمشاكلات وغير ذلك من القرائن الموجبة لصدق مقالاته
عليه السلام فلما انباهم بذلك قال عز وجل تقريرا لما مر من الجواب الاجمالي واستحضارا له الم اقل
لكم اني اعلم غيب السموات والارض تحقيق لا تقرير تقسيمه كما في قوله تعالى الم نربك فينا وليدا وعندنا
حسنا وتظاير بل لتقرير ما بعده من تحقق دواعي الخلافة في آدم عليه السلام بظهور مصداقه
وايراد ما لا يعلمون بعنوان الغيب مضافا الى السموات والارض للمبالغة في بيان كمال شمول علمه المحيط
وغاية سعته مع الايذان بان ما ظهر من عجزهم وعلم آدم عليه السلام من الامور المتعلقة باهل
السموات واهل الارض وهذا دليل واضح على ان المراد بما لا تعلمون فيما سبق ما اشير اليه هناك

كأنه قيل ألم أقل لكم إني أعلم فيه من دواعي الخلافة ما لا تعلمونه فيها وهذا الذي هو بيت القصيد وقوله
تعالى وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون عطف على جملة ألم أقل لكم لا على أعلم إذ هو غير داخل تحت القول
وما في الموضعين موصولة حذف عائدها أي أعلم ما تبدونه وما تكتمونه وتغيير الأسلوب
للإيذان باستمرار كتمهم فالمراد بما تبدون قولهم أتجعل إلى آخره وبما تكتمون استبطانهم
أنهم أحقاء بالخلافة وأنه تعالى لا يخلق خلقا أفضل منهم. روي أنه تعالى لما خلق آدم عليه السلام
رأت الملائكة فطرته العجيبة وقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا إلا كنا أكرم عليه منه وقيل
ما أسر إبليس في نفسه من الكبر وترك السجود فإسناد الكتمان حينئذ إلى الجميع من قبيل قولهم
بنو فلان قتلوا فلانا. والقاتل واحد من بينهم. قالوا وفي الآية الكريمة
دلالة على شرف الإنسان ومزية العلم وفضله على العبادة وأن ذلك هو المناط للخلافة وأن
التعليم يصح إطلاقه على الله تعالى وإن لم يصح إطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة بمن يحترف
به وأن اللغات توقيفية إذ الأسماء تدل على الألفاظ بخصوص أو عموم وتعليمها ظاهر في إلقائها
على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع وما هو إلا من الله تعالى وأن مفهوم
الحكمة زائد على مفهوم العلم وإلا لزم التكرار وأن علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة
والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا على ذلك قوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم وأن
آدم من الطرف الأول أفضل من الملائكة لأنه أعلم منهم وأنه تعالى يعلم الأشياء قبل حدوثها **وإذ قلنا
للملائكة** عطف على الظرف الأول منصوب بالنصب من المضمر أو بناصب مستقل معطوف على ناصبه
عطف القصة على القصة أي واذكر وقت قولنا لهم. وقيل بفعل دل عليه الكلام أي أطاعوا
وقت قولنا الخ وقد عرفت ما في أمثاله وتخصيص القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر
إيراده على منهاج ما قبله من الأقوال المحكية بعد الإيذان بأن ما في حيزه نعمة جليلة
مستقلة بالذكر والتذكير [illegible] والالتفات إلى التكلم لإظهار الجلالة وتربية المهابة
مع ما فيه من تأكيد الاستقلال وكذا إظهار الملائكة في موضع الإضمار والكلام في اللام وتقديمها
مع مجرورها على المفعول كما مر. وقرئ بضم التاء للملائكة إتباعا لضم الجيم في قوله تعالى **اسجدوا لآدم**
كما قرئ بكسر الدال في قوله الحمد لله إتباعا لكسر اللام وهي لغة ضعيفة والسجود في اللغة
الخضوع والتطامن. وفي الشرع وضع الجبهة على الأرض على قصد العبادة فقيل أمروا بالسجود
له عليه السلام على وجه التحية والتكرمة تعظيما له واعترافا بفضله وأداء لحق التعليم
واعتذارا عما وقع منهم في شأنه وقيل أمروا بالسجود له تعالى وإنما كان آدم قبلة للسجود تفخيما
لشأنه أو سببا لوجوبه فكأنه تعالى لما براه أنموذجا للمبدعات كلها ونسخة منطوية على تعلق العالم
الروحاني والعالم الجسماني وامتزاجهما على نمط بديع أمرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا من عظيم قدرته
فاللام فيه كما في قول حسان رضي الله عنه

أليس أول من صلى لقبلتكم. وأعرف الناس بالقرآن والسنن.

أو في قوله تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس. والأول هو الأظهر. وقوله عز وجل **فسجدوا** عطف
على قلنا والفاء لإفادة مسارعتهم إلى الامتثال وعدم تلعثمهم في ذلك. روي عن وهب أن أول
من سجد جبريل عليه السلام ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة عليهم السلام

وقوله

وقوله تعالى **إلا إبليس** استثناء متصل لما أنه كان جنيا مفردا مغمورا بألوف من الملائكة متصفا بصفاتهم
فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم ولأن من الملائكة جنسا يتوالدون
يقال لهم الجن كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو منهم ولأن الجن أيضا كانوا مأمورين بالسجود
لكن استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم أو منقطع وهو اسم أعجمي ولذلك لم ينصرف ومن جعله
من الإبلاس وهو اليأس قال إنه شبه بالعجمة حيث لم يسم به أحد فكان كالاسم الأعجمي. واعلم
أن الذي يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الأعراف من قوله تعالى ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم فسجدوا والآية التي في سورة بني إسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من قوله
تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية أن سجود الملائكة إنما ترتب على الأمر التنجيزي
الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة كما يلوح به حكاية امتثالهم بعبارة السجود
دون الوقوع الذي ورد به الأمر التعليقي ولكن ما في سورة الحجر من قوله عز وعلا وإذ قال
ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون. وأما في سورة ص من قوله تعالى إذ قال
ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين إلى آخر الآية يستدعي بظاهره ترتبه على ما فيهما
من الأمر التعليقي من غير أن يتوسط بينهما شيء غير ما ينبئ عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية
ونفخ الروح فيه عليه السلام. وقد روي عن وهب أنه كان السجود كما نفخ فيه الروح بلا تأخير
وتأويل الآيات السابقة بحمل ما فيها من الأمر على حكاية الأمر التعليقي بعد تحقق المعلق به إجمالا فإنه
حينئذ يكون في حكم التنجيز يأباه ما في سورة الأعراف من كلمة ثم المنادية بتأخر ورود الأمر عن
التصوير المتأخر عن الخلق المتأخر عن الأمر التعليقي والاعتذار بحمل التراخي على الرتبي أو التراخي في
الإخبار أو بأن الأمر التعليقي قبل تحقق المعلق به لما كان في عدم إيجاب المأمور به بمنزلة العدم
جعل كأنه إنما حدث بعد تحققه على صورة التنجيز يؤدي بعد اللتيا والتي إلى أن ما جرى بينهم
وبينه عليهم السلام ما تأولته وما هو إلا جرى بعد السجود المسبوق بمعرفة جلالة محله
عليها وهو لا حرج لتعينه العقل والنقل والاتفاق الناطق عنه إلى تأويل نفخ الروح كله
على ما بعد إفاضته ما به حياة النفوس التي من جملتها تعليم الأسماء ليكشف عن ضيق الحال فالذي
يقتضيه التحقيق والذي يستدعيه النظر الأنيق بعونه التعبير في مسودات الكتاب المكنون والتفحص
عما فيه من السر المخزون أن السجود مترتب له عليه السلام إنما ترتب على الأمر التنجيزي المترتب على
ظهور فضله المبني على المحاورة المسبوقة بالإخبار بخلافته المستلزم جميع ذلك في سلك ما نيط به
الأمر التعليقي من التسوية ونفخ الروح إذ ليس من قضية وجوب السجود عقيب نفخ الروح فيه
فإن الفاء الجزائية ليست بنص في وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود الشرط من غير أن يتراخى
للفتح ألا يرى وجوب السعي عقيب النداء في قوله تعالى إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الآية
ولا يعدم وجوب إقامة الصلاة عند الاطمئنان بقوله تعالى فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة بل إنما
الوجوب عند دخول الوقت كيف لا والحكمة الداعية إلى ورود ما نحن فيه من الأمر التعليقي إنما
هي إيجاب تأمل الملائكة عليهم السلام على التأمل في شأنه ليتبين [illegible] وإلى أحواله طرا ويعلموا
بأن لذلك خبرا ويستعدوا ما عسى يلتبس عليهم في أمر لا تتنافيه على حكمه الباهرة وأسراره الخفية

طويت عن علمهم بعض الجلية الحال قبل ورود الامر التنجيزي وتحتم الامتثال وقت قالوا اتجعل ذلك
ما قالوا اذ غاية امرهم عدم نظرهم لامر التنجيزي في تلك الامور المذكورة في السور حتى عند الحكاية
لا يستلزم عدم انتظامها فيه عند وقوع المحكي كما ان عدم ذكر الامر التعليقي عند حكاية الامر التنجيزي
في السور الكريمة المذكورة لا يوجب عدم مسبوقيته فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة
حسبما يقتضيه المقام • وبسبب عدم حسن الانتظام • ليست بعزيزة في الكتاب العزيز • فلا نسلك بما نقل في
توجيه قوله تعالى بشرا مع عدم سبق معرفة الملائكة عليهم السلام بذلك وحيث صيروا اليه مع انه لم
يرد به نص فما ظنك بما وقع التصريح به في مواضع عديدة فلعله قد القي اليهم ابتداء جميع ما يتوقف
عليه الامر التنجيزي اجمالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم شانه فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح
فقالوا عند ذلك ما قالوا او القي اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المعدودة بان قيل اثر نفخ الروح
فيه اني جاعل هذا خليفة في الارض فهناك ذكروا في حقه عليه الصلاة والسلام ما ذكروا فا
ايد الله عز وجل بتعليم الاسماء ما ايده وامنه مما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر التنجيزي اعتناء
بشان المامور به وتعيينا لوقته • وقد حكي بعض الامور في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء
بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن اخر • والذي يحسم مادة الاشتباه ان ما في سورة ص من قوله تعالى
اذ قال ربك للملائكة بدل من قوله تعالى اذ يختصمون فيما قبله من قوله تعالى ما كان لي من علم بالملا
الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم وقد المراد بالملا الاعلى الملائكة وآدم عليهم السلام
وابليس حسبما اطبق عليه جمهور الائمة باختصامهم ما جرى بينهم في شان خلافة آدم عليه السلام
من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه من الانباء بالاسماء • ومن قضية البدلية وقوع الاختصام
المذكور في تضاعيفه ما شرح فيه تفصيلا من الامر التعليقي وما علق به من الخلق والتسوية
ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة عليهم السلام وعناد ابليس وما تبعه من طرده
واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واو ليس كذلك لامر الاختصام بعد
سجود الملائكة ومكابرة ابليس المستتبعة لطرده من بينهم لما عرفت من انه احد المختصمين كما
انه ليس قبل الخلق من ضرورة استحالة الانباء بالاسماء قبله فهو اذن بعد نفخ الروح وقبل
السجود خطابه الطبيعي والله سبحانه اعلم بحقيقة الامر • **ابى واستكبر** استئناف مبين
لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء وانه لم يكن للتردد والتامل والاباء الامتناع باختيار
والتكبر ان يرى نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع اي امتنع عما امر به واستكبر
من ان يعظمه او يتخذه وصلة في عبادة ربه وتقديم الاباء على الاستكبار مع كونه مسببا عنه لظهوره
ووضوح اثره واقتصر في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر الاباء حيث قيل
ابى ان يكون مع الساجدين **وكان من الكافرين** اي في علم الله تعالى او كان اصله من كفرة الجن ولذلك
ارتكب ما ارتكبه على ما افصح عنه قوله تعالى وكان من الجن ففسق عن امر ربه فالجملة اعتراضية
مقررة لما سبق من الاباء والاستكبار او صار منهم باستقباحه امره تعالى اياه بالسجود لآدم عليه السلام
زعما منه انه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالخضوع للمفضول كما يفصح عنه قوله تعالى انا خير
منه حين قيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بتركه الواجب

وحده • فالجملة معطوفة على ما قبلها • وايثار الواو على الفاء للدلالة على ان كلا من الاباء والاستكبار كفر
لا انهما سببان له كما ينبئ عنه الفاء • **وقلنا** شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى وبين آدم عليه السلام
بعد تمام ما جرى بينه تعالى وبين الملائكة وابليس من الاقوال والافعال • وقد تركت حكاية توبيخ ابليس وطرده
ولعنه واستنظاره وانظاره اجتزاء بما فصل في سائر السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة • ولا يقدح
في ذلك اختلاف وقتيهما فان المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة اذ زمان ممتد واسع للقولين ومن
عطفه على اذ قلنا باضمار اذ وجعله تذكيرا لنعمة اخرى موجبة للشكر مانعة من الكفر فقد نأى بالكلام
بالنداء اي قوله تعالى **يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة** للتنبيه على الاهتمام بتلقي المامور به
وتخصيص امثال الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته في مباشرة المامور به واسكن من السكنى
وهو اللبث والاقامة والاستقرار دون السكون الذي هو ضد الحركة • وانت ضمير اكد به المستكن
ليصح العطف عليه • واختلف في وقت خلق زوجه فذكر السدي عن ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس
رضي الله عنهما وناس من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين • انه تعالى لما اخرج ابليس من
الجنة واسكنها آدم بقي فيها وحده وما كان معه من يستانس به فالقى الله تعالى عليه النوم ثم اخذ
ضلعا من جانبه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجدها عند راسه قاعدة فسالها ما انت
قالت امراة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقالت الملائكة تجربة لعلمه عليه السلام ما هذه قال امراة
قالوا لم سميت امراة قال لانها من المرء اخذت فقالوا ما اسمها قال حواء قالوا لم سميت حواء قال لانها خلقت
من شيء حي • وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان بعث الله تعالى جندا من الملائكة فحملوا آدم وحواء على سرير
من ذهب كما تحمل الملوك ولباسهما النور حتى ادخلوهما الجنة وهذا كما ترى يدل على خلقها قبل دخول الجنة
والمراد بها دار الثواب لانها المعهودة • وقيل هي جنة بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقها
الله تعالى امتحانا لآدم عليه السلام وحمل الاهباط على النقل منها الى ارض الهند • كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا
لما ان خلقه عليه السلام كان في الارض بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه الى السماء ولو وقع
ذلك لكان اولى بالذكر والتذكير لما انه من اعظم النعم ولانها لو كانت دار الخلد لما دخلها ابليس
وقيل انها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا منها ثم ان الاهباط الاول كان منها الى السماء الدنيا
والثاني منها الى الارض وقيل الكل ممكن والادلة النقلية متعارضة فوجب التوقف
وترك القطع • **وكلا منها** اي من ثمارها وانما وجه الخطاب اليهما تعميما للتشريف والترفيه ومبالغة
في ازالة العلل والاعذار وايذانا بتساويهما في مباشرة المامور به فان حواء اسوة له عليه السلام
في الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيها • **رغدا** صفة للمصدر المؤكد اي اكلا واسعا رافها
حيث شئتما اي اي مكان اردتما منها وهذا كما ترى اطلاق كلي حيث ابيح لهما الاكل منها على وجه التوسعة البالغة
المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات حتى لا يبقى لهما عذر في
تناول ما منعا منه بقوله **ولا تقربا** بفتح الراء من قرب الشيء بالكسر اذا التبس به
وتعرض له • وقال الجوهري رحمه الله قرب بالضم يقرب قربا اي دنا وقربته بالكسر قربانا دنوت
منه **هذه الشجرة** نصب على انه بدل من اسم الاشارة او نعت له بتاويلها بمشتق اي هذه الحاضرة من الشجر
اي لا تاكلا منها وانما علق النهي بالقرب منها مبالغة في تحريم الاكل ووجوب الاجتناب عنه •
والمراد بها الحنطة او العنب او التينة • وقيل هي شجرة من اكل منها احدث والاولى عدم تعيينها

بن غير قاطع وقرئ هذي بالياء وبكسر شين الشجرة وبتاء تقربا ۞ وقرئ الشيرة بكسر الشين وفتح الياء **فتكونا من الظالمين** مجزوم معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب للنهي واياما كان فالقرب اي الاكل منها سبب لكونهما من الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية او نقصوا حظوظهم بمباشرة ما يخل بالكرامة والنعيم او تعدوا حدود الله **فازلهما الشيطان عنها** اي اصدر زلتهما اي زلقهما او حملهما على الزلة بسببها ونظير عن هذه ما في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما وابعدهما عنها يقال زل عني كذا اذا ذهب عنك ويعضده قراءة ازالهما وهما متقاربان في المعنى فان الازلال اي الازلاق يقتضي زوال الزال عن موضعه البتة وازلاله قوله هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته لهما اني لكما لمن الناصحين ومن الايات مسبوق بانه عليه الصلاة والسلام لم يؤمر بسكنى الجنة على وجه الخلود بل على وجه التكرمة والتشريف لما اراده من خلافة الارض الى حين البعثة اليها ۞ واختلف في كيفية توصله اليهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انما منع من الدخول على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة عليهم السلام ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لآدم عليه السلام وحواء ۞ وقيل قام عند الباب فناداهما ۞ وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة ۞ وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به ۞ وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله سبحانه وتعالى **فاخرجهما مما كانا فيه** اي من الجنة ان كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للايذان بفخامتها وجلالتها وملابستهما له اي من المكان العظيم الذي كانا مستقرين فيه او من الكرامة والنعيم ان كان الضمير للجنة ۞ **وقلنا اهبطوا** الخطاب لآدم وحواء لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصل الجنس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او اهبط من السماء ۞ وقرئ بضم الباء **بعضكم لبعض عدو** حال استغني فيها عن الواو بالضمير اي متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله او استئناف فلا محل له من الاعراب وافراد العدو اما للنظر الى لفظ البعض ۞ واما لان وزانه وزان المصدر كالقبول **ولكم في الارض** حال استغني فيها عن الواو بالضمير التي هي محل الانبساط والظرف متعلق بما تعلق به الخبر اعني لكم من الاستقرار **مستقر** اي استقرار او موضع استقرار **ومتاع** اي تمتع بالعيش وانتفاع به **الى حين** هو حين الموت على ان المعنى تمتع كل فرد من المخاطبين او القيامة على ان تمتع الجنس يتضمن تمتع بعض الافراد والجملة كما قبلها في كونها حالا اي مستحقين للاستقرار والتمتع واستئنافا **فتلقى آدم من ربه كلمات** اي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع كلمات للدلالة على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية ۞ وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت ۞ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ فيّ من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى ۞ قال يا رب الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم والفاء للدلالة على ان التوبة حصلت عقيب الامر بالهبوط قبل تحقق المامور به والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليه عليه السلام للتشريف والايذان بعليته لتلقي الكلمات

الذين

المدلول عليه بتابعها **فتاب عليه** اي رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة والفاء للدلالة على ترتبه على تلقي الكلمات المتضمن لمعنى التوبة التي هي عبارة عن الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود اليه واكتفي بذكر شأن آدم عليه السلام لما ان حواء تبع له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر مواقع الكتاب والسنة **انه هو التواب** اي الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية ۞ واذا وصف به الباري تعالى اريد به الرجوع عن العقاب الى المغفرة **الرحيم** المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب عليه **قلنا** استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا وقع بعد توبته فقيل قلنا **اهبطوا منها جميعا** كرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى يقع في امنيته عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك واظهار النوع رأفة به عليه الصلاة والسلام لما بين الامرين من الفرق كيف لا والاول مشوب بضرب سخطة مذيل ببيان ان مهبطهم دار بلية وتعاد لا يخلدون فيها ۞ والثاني مقرون بوعد ايتاء الهدى المؤدي الى النجاة والنجاح واما ما فيه من وعيد العقاب فليس مقصودا من التكليف قصدا اوليا بل هو دائر على سوء اختيار المكلفين ۞ وقيل وفيه تنبيه على ان الحازم يكفيه في الردع عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين فكيف بالمقترن بهما ۞ وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا ۞ والثاني منها الى الارض ۞ ويأباه التعرض لاستقرارهم في الارض في الاول ورجوع الضمير الى الجنة في الثاني وجميعا حال في اللفظ تأكيد في المعنى ۞ كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي الاجتماع على الهبوط في زمان واحد ۞ كما في قولك جاءوا جميعا **فاما يأتينكم مني هدى** الفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم من الامر به واما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة المؤكدة لمعناها والفعل في محل الجزم بالشرط لانه مبني لاتصاله بنون التأكيد ۞ وقيل معرب مطلقا وقيل مبني مطلقا والصحيح التفصيل ان باشرته النون بني والا اعرب وتقديم الظرف لما مر غير مرة ۞ والمعنى ان يأتينكم مني هدى ابينه بارسال رسول وكتاب انزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى **فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** كما في قولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك وايراد كلمة الشك مع تحقق الاتيان لا محالة للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسول وانزال الكتب بل يكفي في وجوبه افاضة العقل ونصب الادلة الآفاقية والانفسية والتمكين من النظر والاستدلال او للجري على سنن العظماء في ايراد عسى ولعل في مواقع القطع والجزم ۞ والمعنى ان من تبع هداي منكم فلا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور والنشاط كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام ۞ واظهار الهدى مضافا الى ضمير الجلالة لتعظيمه وتأكيد وجوب اتباعه او لان المراد بالثاني ما هو اعم من الهدايات التشريعية وما ذكر من افاضة العقل

ونصب الادلة الآفاقية والانفسية كافة • وقرئ هديّ على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا بآياتنا عطف على من تبع الى آخره قسيم له كأنه قيل ومن لم يتبعه وانما اوثر عليه ما ذكر تغليظا لحال الضلالة واظهارا لكمال قبحها • وايراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب للايذان بتنوع الهدى الى ما ذكر من النوعين وايراد نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة واضافة الآيات اليها لاظهار كمال قبح التكذيب بها والذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم وكذبوا بآياتنا المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا بآياته التي انزلها على الانبياء واظهرها بايديهم من المعجزات • وقيل كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجها الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة • قال النابغة •

توهمت آيات لها فعرفتها • لستة اعوام وذا العام سابع •

وتقال للمصنوعات من حيث انها تدل على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل لانها علامة لانفصال ما قبلها مما بعدها • وقيل لانها جماعة كلمات منه فيكون من قولهم خرج بنو فلان بآيتهم اي بجماعتهم قال خرجنا من النقبين لا حي مثلنا • بآياتنا نزجي اللقاح المطافلا • واشتقاقها من أي لانها تبين أيا من أي او من أوى اليه اي رجع واصلها اوية او ايية فابدلت عينها الفا على غير قياس او ايية او اوية كرمكة فاعلت او آيية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه اشعار بتميزهم بذلك اكمل تميز واستحقاقهم للاشارة الحسية وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فيه وهو مبتدأ وقوله اصحاب النار اي ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول او اسم الاشارة بدل من الموصول او عطف بيان له واصحاب النار خبره • وقوله تعالى هم فيها خالدون في حيز النصب على الحالية لورود التصريح به في قوله تعالى اصحاب النار خالدين فيها وقد جوز كونه حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او في محل الرفع على انه خبر آخر لاولئك على رأي من جوز وقوع الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون والخلود في الاصل المكث الطويل وقد انعقد الاجماع على ان المراد به الدوام يا بني اسرائيل تلوين للخطاب وتوجيه له الى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي عليه الصلاة والسلام لتذكيرهم بفنون النعم الفائضة عليهم بعد توجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره بتذكيرهم بالنعمة العامة لبني آدم قاطبة بقوله تعالى واذ قال ربك الى آخره وقلنا للملائكة الى آخره لان المعنى كما اشير اليه بلغهم كلامي واذكر لهم اذ جعلنا اباهم خليفة في الارض وسجود الملائكة عليهم السلام وتشريفنا بتعليم الاسماء وقبلنا توبته والابن من البناء لانه مبني ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى الصانع فيقال ابو الحرب وبنت فكر • واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله • وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء واسرائل بهمزة مفتوحة واسرائل بهمزة مكسورة بين اللام والراء وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير لما انهم اوفر الناس نعمة واكثرهم كفرا بها اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لا انهم اهملوا شكرها فقط

والاضافة

والاضافة النعمة الى ضمير الجلالة لتشريفها وايجاب تخصيص شكرها به تعالى وتقييد النعمة بهم لما ان الانسان مجبول على حب النعمة واذا نظر الى ما فاض عليه من النعم حمله ذلك على الرضا والشكر وقيل اريد بها ما انعم به على آبائهم من النعم التي سيجيء تفصيلها وعليهم من فنون النعم التي اجلها ادراك زمن النبي صلى الله عليه وسلم • وقرئ اذكروا من الافتعال ونعمتي باسكان الياء واسقاطها في الدرج وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى كل واحد ممن يتولى طرفيه ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعد لهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدماء والاموال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم • واما ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اوفوا بعهدي في اتباع محمد عليه الصلاة والسلام اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال • وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار الى آخره • وقرئ اوفّ بالتشديد للمبالغة والتأكيد واياي فارهبون فيما تأتون وما تذرون خصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني والرهبة خوف مع تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف الا الله تعالى وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم من التوراة افراد الايمان بالقرآن بالامر به مع اندراجه تحت الامر بالوفاء بالعهد لما انه العمدة القصوى في شأن الوفاء بالعهود والتعبير عنه بما ذكر للايذان بان يعلمهم بتحقيقه لها فان المعية منه التكرار الراجعة اليها والوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه للتوراة انه نازل حسبما نعت فيها او من حيث انه موافق لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش • واما ما يتراءى من مخالفته لها في بعض جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع وليس في التوراة دلالة على ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها ما نسخها وانما تدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هي ناطقة بنسخ تلك الاحكام فان نطقها بصحة القرآن الناسخ لها نطق بنسخها فاذن مناط المخالفة في الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف العصر حتى لو تأخر نزول المتقدم لوافق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا • ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي • وتقييد المنزل بكونه مصدقا لما معهم لتأكيد وجوب الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم مما يقتضي الايمان بما يصدقه قطعا ولا تكونوا اول كافر به اي لا تسارعوا الى الكفر به فان وظيفتكم ان تكونوا اول من آمن به لما انكم تعرفون شأنه وحقيته

مطابق لما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون ابناوكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه
كما سيجي فلا تضيعوا وامنعوا ما يتوقع منكم ويجب عليكم مما لا يتوهم منه ورده عنكم من ان يكونوا اول كافر به
ن ووقوع اول كافر به خبرا عن ضمير الجمع بتاويل اول فريق او فوج او بتاويل لا يكون كل واحد اول كافر به
كقولك كسانا حلة ونهيهم عن التقدم في الكفر به مع ان مشركي العرب اقدم منهم لما ان المراد به التعريض
لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او لان المراد نهيهم عن ان يكونوا اول
كافر به من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقران فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر
من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوءل من وال
عقيبنا غير قياسي او اول من ال فقلبت همزته واوا وادغمت او اول من وال اليه اذا خلص فابدلت الهمزة واوا
بدلا منها ثمنا قليلا من الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة ولا تشتروا باياتي اي لا تاخذوا ولا تستبدلوا
عنهم من حظوظ الاخرة بترك الايمان قيل كانت لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها على الايمان والاعراض عن المشتري الذي هو المنهج في عقود
المعاوضة والمقصود فيها بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة فيها وقرنت الايات التي هي الاصل
بيناء فيها المتنافسون بالثمن التي هي الوسائل فانها تنعكس بهم حيث جعلوا ما هو المقصود
الاصل وسيلة والوسيلة مقصدا واياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن حطام الدنيا
ولما كانت الاية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الاية الثانية فصلت بالرهبة التي هي من
مقدمات التقوى او لان الخطاب بها لما عم العالم والعالم امر فيها بالتقوى الذي هو المنتهى ولا
تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين والمعنى
لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى يشتبه احدهما بالاخر او لا تجعلوا الحق ملتبسا
بسبب الباطل الذي تكتبونه في تضاعيفه او تذكرونه في تاويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم
النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء عن من لم يسمعه
او منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانه ويعضده انه في مصحف
ابن مسعود رضي الله عنه وتكتمون اي وانتم تكتمون اي كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس
لما يصحبه من كتمان الحق وتكرير الحق اما لان المراد بالاخير غير الاول بان يراد بالاول نعت الرسول صلى الله عليه
وسلم الذي يكتمونه ويكتبون مكانه غيره كما سيجي في قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم واما
لزيادة تقبيح المنهي اذا التصريح باسم الحق ما ليس في ضميره وانتم تعلمون اي لو كنتم عالمين بانكم لابسون
كاتمون او انتم تعلمون انه حق او انكم من اهل العلم وليس ايراد الحال لتقييد النهي به كما في قوله
تعالى ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل قد يعذر واقيموا الصلاة
واتوا الزكاة اي صلاة المسلمين وزكاتهم كان غيرهما بمنزلة العدم من كونه صلاة وزكاة امرهم الله
تعالى بفروع الاسلام بعد الامر باصوله واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل
على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس في المناجاة وعبر عن الصلاة بالركوع
احترازا عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال
الاضبط ابن قريع السعدي شعر
لا تهين الفقير علك ان • تركع يوما والدهر قد رفعه

اتامرون الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب للخطاب وتوجيه له الى علمائهم بعد توجيهه الى الكل والمعنى فيما تقرير به
مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر الذي هو الفضاء الواسع ويتناول جميع اصناف الخيرات
ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب
وتنسون انفسكم اي تتركونها من البر كالمنسيات عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في احبار المدينة
كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه طمعا في الهدايا والصلات
التي كانت تصل اليهم من اتباعهم وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال
السدي رحمه الله انهم كانوا يامرون الناس بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعة
ويقدمون على المعصية وقال ابن جريج رحمه الله كانوا يامرون الناس بالصلاة والزكاة وهم
يتركونهما ومدار الانكار والتوبيخ هي الجملة المعطوفة دون ما عطفت هي عليه وانتم تتلون
الكتاب تبكيت لهم وتقريع كقوله تعالى وانتم تعلمون والحال انكم تتلون التوراة الناطقة بنعت
محمد صلى الله عليه وسلم الامرة بالايمان به او بالوعد بفعل الخير والوعيد على الفساد والعناد وترك
البر ومخالفة القول والعمل افلا تعقلون اي افلا تتلونه فلا تعقلون ما فيه او قبح ما تصنعون حتى ترتدعوا
عنه فالانكار متوجه الى عدم العقل بعد تحقق ما يوجبه فالمبالغة من حيث الكيفية او الاستمرار
فلا تعقلون فالانكار متوجه الى الكل لا الى الاخير والمبالغة حينئذ من حيث الكم والعقل في الاصل المنع
والامساك ومنه العقال الذي يشد به وظيف البعير الى ذراعه لحبسه عن الحراك سمي به النور
الروحاني الذي به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية لانه يحبسه عن تعاطي ما يقبح ويعقله
على كسب والاية كالتي ناعية على من يعظ غيره ولا يعظ نفسه وعدم ما شرح وان فعله فعل
الجاهل بالشرع والاحمق الخالي عن العقل والمراد بها كما اشير اليه حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال
اليها بالتكميل لتقوم بالحق فيقيم غيرها لا منع الفاسق عن الوعظ ويروى انه كان قائما من العلماء
الكلام في المنبر في القلوب وكان كثيرا ما يموت من اهل مجلسه واحد او اثنان من شدة تاثير
وعظه وكان في بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكان تحترز عليه وتمنعه
من حضور مجلس الواعظ فحضر يوما على حين غفلة منها فوقع من امر الله تعالى ما وقع ثم ان العجوز
لقيت الواعظ يوما في الطريق فقالت شعر
اتهدي الانام ولا تهتدي • الا ان ذلك لا ينفع
فيا حجر الشحذ حتى متى • تسن الحديد ولا تقطع
فلما سمعها الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فتوفي الى رحمة الله تعالى
واستعينوا بالصبر والصلاة متصل بما قبله كانهم لما كلفوا ما فيه مشقة من ترك الرياسة والاعراض
عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى
او بالصوم الذي هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلاة
والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة
وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص
النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادتين
وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المارب وجبر المصايب وروي انه عليه السلام

كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اي الاستعانة بهما او الصلاة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر كما في قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب وانما لم تثقل عليهم لانهم يتوقعون ما اعد لهم بمقابلتها فتهون عليهم ولانهم يستغرقون في مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجري عليهم من المشاق والمتاعب • ولذلك قال عليه الصلاة والسلام وقرة عيني في الصلاة والجملة حالية او اعتراض تذييلي الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون لقاءه تعالى ونيل ما عنده من المثوبات والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للايذان بان لقاءه احسانه اليهم او يتيقنون انهم يحشرون اليه فيجازيهم وانما لم يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فثقلت عليهم كالمنافقين والمرائين والتعرض للعنوان المذكور للاشعار بعلية الربوبية والمالكية للحكم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال •

فارسلته مستيقن الظن انه • مخالط ما بين الشراسيف جائف •

وجعل خبران في الموضعين اسما للدلالة على تحقق اللقاء والرجوع وتقررهما عندهم يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم تكرير للتذكير والتاكيد والربط ما بعده من الوعيد الشديد به واني فضلتكم عطف على نعمتي عطف الخاص على العام لكماله اي فضلت اباكم على العالمين اي عالمي زمانهم بما منحتهم من الايمان والعلم والعمل الصالح وجعلتهم انبياء وملوكا مقسطين وهم اباؤهم الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا واتقوا يوما اي حساب يوم او عذاب يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تغني عنها شيئا من الحقوق والانتصاب شيئا على المفعولية او على المصدرية • وقرئ لا تجزئ اي لا تغني عنها فيتعين النصب على المصدرية وايراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلي • والجملة صفة يوما والعائد منها محذوف اي لا تجزي فيه ومن لم يجوز الحذف قال اتسع فيه بحذف الجار واجري المجرور مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف في قوله من قال •

فما ادري اغيرهم تناء • وطول العهد ام مال اصابوا •

ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها تساوي المفدي وتجري مجراه ولا هم ينصرون اي يمنعون من عذاب الله عز وعلا والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة في سياق النفي الواقعة من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد والاناسي والنصرة هنا اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او لا والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او لا والاول الشفاعة والثاني اما

ان يكون باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او باداء غيره وهو ان يعطي عنه عدلا وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية في نفي الشفاعة لاهل الكبائر والجواب انها خاصة بالكفار للايات الواردة في الشفاعة والاحاديث المروية فيها ويؤيده ان الخطاب معهم ولرد ما كانوا عليه من اعتقاد ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم واذ نجيناكم من آل فرعون تذكير لتفاصيل ما اجمل في قوله تعالى نعمتي التي انعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف الالاء • اي واذكروا وقت تنجيتنا اياكم اي اباءكم فان تنجيتهم تنجية لاعقابهم • وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لانه يصغر على اهيل وخص بالاضافة الى اولي الاخطار كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى لملك الفرس وقيصر لملك الروم وخاقان لملك الترك ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد • وقيل انه كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون فافلس فاضطر الى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام به فدخل مصر فراى في ظاهره حملا من البطيخ بدرهم فتوجه به الى السوق فكل من لقيه من المكاسين اخذ منه بطيخا فدخل البلد وما معه الا بطيخة واحدة فباعها بدرهم ومضى لوجهه وراى اهل البلد متروكين لا يتعاطى احد سياستهم وكان قد وقع بهم وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فراى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم تدفنونه حتى تعطوني خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لاخر واخر حتى جمع في مقدار ثلاثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرض له احد قط الى ان تعرض يوما لاولياء ميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك فقالوا من نصبك هذا المنصب فذهبوا به الى فرعون فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام قال لم يقمني احد وانما فعلت ما فعلت ليحضرني احد الى مجلسك فانبهك على اختلال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال فاحضره ودفعه الى فرعون فقال ولني امورك ترني امينا كافيا فولاه اياها فسار بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت احوال الرعية ولبث فيهم دهرا طويلا وترامى امره في العدل والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه فكان من امره ما كان وكان فرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم اي يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما • واصله الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب اي افظعه وافحشه بالنسبة الى سائره والسوء مصدر من ساء يسوء ونصبه على المفعولية ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لاشتمالها على ضميريهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما • وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ما فعلوا لان فرعون راى في المنام او اخبره الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قضاء الله عز وجل • وما قيل فقتلوا بتلك الطريقة تسعين الف مولود ثم اعطى الله عز وجل نفس موسى عليه السلام من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا احياء ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة وفي ذلكم اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء او الى الانجاء منه وجمع الضمير للمخاطبين على الاول بمعنى قوله تعالى بلاء محنة وبلية وكونهما محنة اي استبقاء بنيهم في الحياة محنة مع انه عفو وترك للعذاب لما ان ذلك كان للاستعمال في الاعمال الشاقة • وعلى الثاني نعمة واصل البلاء الاختبار ولكن لما كان ذلك في حقه سبحانه محالا وكان ما يجري مجرى الاختبار

لعباده تارة بالمحنة واخرى بالمنحة الطارئة عليهما وقد يجوز ان يشار بذلك الى الجملة ويراد بالبلاء القدر
المشترك الشامل لهما من ربكم من جهته تعالى بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه
لتخليصكم منهم او بهما معا عظيم صفة لبلاء وتنكيرهما للتفخيم وفي الآية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد
من السراء والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر في المسار والصبر على المضار واذ فرقنا بكم البحر
بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها اثر تذكيرها وبيان عظمها وهولها وقد بين في تضاعيف ذلك
نعمة جليلة اخرى هي الانجاء من الغرق اي واذكروا اذ فرقناه بسلوككم او ملتبسا بكم كقوله تعالى
تنبت بالدهن او بسبب انجائكم وفلقناه بين بعضه وبعض حتى حصلت مسالك وقرئ بالتشديد
للتكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم اي من الغرق باخراجكم الى الساحل كما
يلوح به العدول الى صيغة الافعال بعد ايراد التخليص من فرعون بصيغة التفعيل وكذا قوله تعالى
واغرقنا آل فرعون اريد به فرعون وقومه وانما اقتصر على ذكرهم للعلم بانه اولى به منهم وقيل
شخصه كما روي ان الحسن رضي الله عنه كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغني بذكره عن ذكر قومه
وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم وانفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم
التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى عليه الصلاة والسلام
ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده فصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى
اليه ان اضرب بعصاك البحر فضرب بها فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا نخاف ان يغرق
بعضنا ولا نعلم به ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم وصل اليه
فرعون فرآه منفلقا فاقتحمه هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم ان هذه الواقعة كما انها لموسى عليه
السلام معجزة عظيمة تخر لها صم الجبال ونعمة عظيمة لاوائل بني اسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها
على ما هي عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الابية وتنقاد لها
النفوس الغبية موجبة لاعقابهم ان يتلقوها بالاذعان فلا تأثرت اباليسهم سببا بعد تمامه وزينتها
ولانهم كانوا احرى بتذكيرها وروايتها فيا لها من عصابة ما اعصاها وطائفة ما اطغاها واذ
واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى عليه الصلاة
والسلام ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل وعد عليه الصلاة والسلام
بني اسرائيل وهم بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما
يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه فامره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة ثم زاد عشرا
من ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي وقيل على بابها
بتنزيل قبول موسى عليه السلام منزلة الوعد واربعين ليلة مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف
اي تمام اربعين ليلة وقرئ وعدنا ثم اتخذتم العجل بتسويل السامري الها معبودا وثم للتراخي
الرتبي من بعده اي من بعد مضيه الى الميقات على حذف المضاف وانتم ظالمون باشراككم
ووضعكم للشيء في غير موضعه وهو حال من ضمير اتخذتم واعتراض تذييلي اي وانتم قوم عادتكم
الظلم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفاه درسه وقد يجيء لازما قال

عرفت المنزل الخالي ۝ عفا من بعد احوال
عفاه كل حنان ۝ كثير الوبل هطال

قوله

وقوله تعالى من بعد ذلك اي من بعد الاتخاذ الذي هو متناه في القبح للايذان بكمال بعد العفو بعد تلك
المرتبة من الظلم لعلكم تشكرون لكي تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة
واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان اي التوراة اي الجامع بين كونه كتابا وحجة تفرق بين الحق
والباطل وقيل اريد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر
والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه
كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما
يحويه واذ قال موسى لقومه بيان لكيفية وقوع العفو المذكور يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل
اي معبودا فتوبوا اي فاعزموا على التوبة الى بارئكم اي الى من خلقكم بريئا من العيوب والنقصان
والتفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب الخلوص عن الغير اما بطريق
التفصي كما في برئ المريض او بطريق الانشاء كما في برأ الله آدم من الطين والتعرض لعنوان البارئية للاشعار
بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها ومن الغواية منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذي خلقهم
بلطيف حكمته بريا من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة وان من لم يعرف
حقوق منعمه حقيق بان تسترد هي منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب فاقتلوا انفسكم تماما
لتوبتكم بالبخع او بقطع الشهوات وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل بقتل
من عبده روي ان الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر على المضي لامر الله تعالى فارسل الله ضبابة وسحابة
سوداء لا يتباصرون بها فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهارون عليهما السلام فكشفت
السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم
اشارة الى ما ذكر من التوبة والقتل خير لكم عند بارئكم لما انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحياة
الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم عطف على محذوف على انه خطاب منه سبحانه على نهج
الالتفات من التكلم الذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه فان مبنى الجمع على التكلم الى الغيبة
ليكون ذريعة الى اسناد الفعل الى ضمير بارئكم المستتبع للايماء الى علية عنوان البارئية والخلق والاحيا
لقبول التوبة التي هي عبارة عن العفو عن القتل تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وانما
لم يقل فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما ان ذلك نعمة اريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم
فقط او قد يجوز ان يكون فتاب عليكم متعلقا بمحذوف على انه من كلام موسى عليه السلام لقومه
تقديره ففعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم ولا يخفى انه بمعزل من اللياقة بجلالة شأن التنزيل كيف لا
فهي حينئذ كناية عن وعد من موسى عليه السلام لقومه بقبول التوبة منه تعالى حتما وقد عرفت ان الآية
الكريمة تفصيل لكيفية القبول المحكي فيما قبل وان المراد تذكير المخاطبين بتلك النعمة انه هو
التواب الرحيم تعليل لما قبله اي الذي يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ في قبولها منهم وفي الانعام
عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك تذكير لنعمة اخرى عليهم بعدما صدر عنهم ما صدر من الجناية
العظيمة التي هي اتخاذ العجل اي لن نؤمن لاجل قولك ودعوتك او لن نقر لك والمؤمن به اعطاء الله اياه
التوراة او تكليمه اياه او انه نبي الله تعالى او انه تعالى جعل توبتهم بقتل انفسهم حتى نرى الله جهرة اي
عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح
والانكشاف الا ان الاول في المسموعات والثاني في المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع

من الرؤية او حال من الفاعل او المفعول • وقرئ بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون
حالا من الفاعل لا غير والقائلون هم السبعون المختارون لميقات التوبة عن عبادة العجل روي انهم
لما ندموا على ما فعلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين امر الله تعالى موسى عليه السلام
ان يأتيهم مع سبعين رجلا ولم يحضرهم معهم الطور بطهارة من فيه فلما خرجوا الى الطور وقع عليه عمود
من الغمام وتغشاه كله فكلم الله موسى عليه السلام يأمره وينهاه وكان كلما كلمه تعالى اوقع على جبهته
نورا ساطعا فلم يستطع احد من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى مع موسى افعل ولا تفعل فعند
ذلك طمعوا في الرؤية فقالوا ما قالوا كما سيأتي في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وقيل عشرة آلاف منهم
فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى يشبه
الاجسام ويتعلق بها الرؤية تعلقها بها على الطريقة المقابلة في الجهات والاحياز • ولا ريب في
استحالته انما الممكن في شأنه تعالى الرؤية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين في الآخرة •
وللافراد من الانبياء الذين بلغوا من صفاء الجوهر الى حيث تراهم كأنهم وهم في جلابيب من ابدانهم قد
نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم
وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة • وعن وهب انهم
لم يموتوا بل لما رأوا تلك الهيئة الهائلة اخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض
ظهورهم واشرفوا على الهلاك فعند ذلك بكى موسى عليه السلام ودعا ربه فكشف الله عز وجل عنهم
ذلك فرجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم ولم تكن صعقة موسى عليه السلام موتا بل غشية لقوله
تعالى فلما افاق وانتم تنظرون اي ما اصابكم بنفسه او باثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة
قيد البعث به لما انه قد يكون من الاغماء وقد يكون من النوم كما في قوله تعالى ثم بعثناهم الى ان قال لعلكم
تشكرون اي نعمة البعث او ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله تعالى وظللنا عليكم الغمام اي جعلناه
بحيث يلقي عليكم ظله وذلك انه تعالى سخر لهم السحاب يسير بسيرهم وهم في التيه يظلهم من الشمس
وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ وانزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين
والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع فيأخذ كل انسان صاعا وتبعث الجنوب عليهم
السماني فيذبح الرجل ما يكفيه كلوا على ارادة القول اي قائلين لهم او قيل لهم كلوا من طيبات
ما رزقناكم من مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا
كلام عدل به عن نهج الخطاب السابق للايذان باقتضاء جنايات المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد
قبائحهم عند غيرهم على طريق المباثة معطوف على مضمر قد حذف للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن
التصريح به اي فظلموا بان كفروا تلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران
اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب تهكم
بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر واذ قلنا
تعمة اخرى من جنابه تعالى وكفرة اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت قولنا لابائكم اثر ما انقذناهم
من التيه ادخلوا هذه القرية منصوبة على الظرفية عند سيبويه وعلى المفعولية عند الاخفش وهي
بيت المقدس وقيل اريحا وكلوا منها حيث شئتم رغدا اي واسعا هنيئا ونصبه على المصدرية او
الحالية من ضمير المخاطبين وفيه دلالة على ان المأمور به الدخول على وجه الاقامة والسكنى فيؤود

الى

الى ما في سورة الاعراف من قوله تعالى اسكنوا هذه القرية وادخلوا الباب اي باب القرية على ما روي
انهم دخلوا في زمن موسى عليه الصلاة والسلام كما سيجيء في سورة المائدة او باب القبة التي كانوا
يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام سجدا اي متطامنين مخبتين
او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسألتنا وامرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة
وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل
معناه امرنا حطة اي ان نحط رحالنا في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم لما تفعلون من السجود
والدعاء وقرئ بالياء والتاء على البناء للمفعول واصل خطايا خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء
الثانية همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان وابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين
الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل
الامتثال توبة للمسيء وسببا لزيادة الثواب للمحسن واخرج ذلك عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا
بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا
بما امروا به من التوبة والاستغفار بان اعرضوا عنه واوردوا مكانه قولا اخر مما لا خير فيه •
روي انهم قالوا مكان حطة حنطة • وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا
بامر الله عز وجل غير الذي قيل لهم نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة
تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فانزلنا اي عقيب ذلك على الذين ظلموا ما ذكر من التبديل
وانما وضع الموصول موضع الضمير العائد الى الموصول الاول للتعليل والمبالغة في الذم والتقريع
وللتصريح بانهم بما فعلوا قد ظلموا انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى رجزا من السماء اي عذابا مقدرا منها
والتنوين للتهويل والتفخيم بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل تعليلا لانزال الرجز بعد الاشعار بتعليله بظلمهم للايذان بان ذلك فسق وخروج
عن الطاعة وغلو في الظلم وان تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا من القبائح لا بعدم توبتهم فقط كما يشعر به
ترتيبه على ذلك الرجز في الاعراف بما يظلمون وكذلك الرجز • وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد
به الطاعون • روي انه مات به في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه
تذكير لنعمة اخرى كفروها وكان ذلك في التيه حين استولى عليهم العطش الشديد وتغيير الترتيب
لما اشير اليه مرارا من الامور المعدودة في معرض امتنان واحد التذكير والتقرير اي استسقى
لاجل قومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل وجه
منه ثلاث اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا او كان حجرا اهبطه
الله تعالى مع ادم عليه السلام من الجنة ووقع الى شعيب عليه السلام فاعطاه موسى عليه السلام
مع العصا او كان هو الحجر الذي فر بثوبه حين وضع عليه ليغتسل وبرأه الله تعالى به عما رموه به من الادرة
فاشار اليه جبريل عليه السلام ان احمله او كان حجرا من الحجارة وهو الاظهر في الحجة قيل لم يؤمر عليه
السلام بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان
يضربه بعصاه اذا نزل فيتفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله
تعالى اليه ان لا تقرع الحجر وكلمه يطعك لعلهم يعتبرون • وقيل كان الحجر من رخام حجمه ذراع والعصا
عشرة اذرع على طوله عليه السلام من اس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت عطف

في معه ينبجس عليه الحجر وقد حذف للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كأنه حصل عقيب الأمر بالضرب
أي فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً وأما تعلق الفاء بمحذوف أي فإن ضربت فقد انفجرت فغير
حقيق بجلالة شأن النظم الكريم كما لا يخفى على أحد • وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان
قد علم كل أناس كل سبط مشربهم عينهم الخاصة بهم كلوا واشربوا على إرادة القول من رزق الله
ما رزقكم من المن والسلوى والماء وقيل هو الماء وحده لأنه يؤكل ما ينبت به من الزروع والثمار وفيه ما
أن المأمور به أكل النعمة العتيدة لا ما يستطيبونه وإضافته إليه تعالى مع استناد الكل إليه خلقاً وملكاً
إما للتشريف وإما لظهوره بغير سبب عادي وإنما لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا إلخ
إيذاناً بأن الأمر بالأكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عليه السلام ولا تعثوا
في الأرض مفسدين العثي أشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد حال كونكم مفسدين وقيل
إنما قيد به لأن العثي في الأصل مطلق التعدي وإن غلب في الفساد وقد يكون في غير الفساد
كما في مقابلة الظالم المعتدي بفعله وقد يكون فيه صلاح راجح كقتل الخضر عليه السلام الغلام
وخرقه للسفينة ونظيره العيث خلا أنه غالب فيما يدرك حساً وإذ قلتم يا موسى تذكير لجناية أخرى لأسلافهم
وكفرانهم لنعمة الله عز وجل وإخلادهم إلى ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة وإسناد القول المحكي
إلى أخلافهم • وتوجيه التوبيخ إليهم لما بينهم من الاتحاد يا موسى لن نصبر على طعام واحد لعلهم لم يريدوا
بذلك جميع ما طلبوا مع ما كان لهم من النعمة ولا زوالها وحصول ما طلبوا مكانها إذ يأباه التعرض
للوحدة بل أرادوا أن يكون هذا تارة وذاك أخرى • روي أنهم كانوا فلاحة فنزعوا إلى عكرهم
فأجمعوا ما كانوا فيه من النعمة العتيدة لوحدتها النوعية واطرادها وتاقت أنفسهم إلى الشقاء
فادع لنا ربك أي سله لأجلنا بدعائك إياه لسببية عظيم العبرة لأنه يجاوز التعرض لعنوان الربوبية
لتمهيد مبادي الإجابة يخرج لنا أي يظهر لنا ويوجد والجزم لجواب الأمر مما تنبت الأرض
إسناد مجازي بإقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية والتي في قوله تعالى من بقلها وقثائها
وفومها وعدسها وبصلها بيانية واقعة موقع الحال أي كائناً من بقلها إلى آخره وقيل بدل بإعادة الجار
والبقل ما تنبت الأرض من الخضر والمراد به أطايبه التي تؤكل كالنعناع والكراث والكرفس
وأشباهها والفوم الحنطة وقيل الثوم • وقرئ قثائها بضم القاف وهو لغة فيه قال أي
الله تعالى أو موسى إنكاراً عليهم وهو استئناف وقع جواباً عن سؤال مقدر كأنه قيل فماذا قال
لهم فقيل قال أتستبدلون أي أتأخذون لأنفسكم وتختارون الذي هو أدنى أي أقرب منزلة
وأدون قدراً سهل المنال وهين الحصول لعدم كونه مرغوباً فيه وكونه تافهاً مرذولاً قليل القيمة
وأصل الدنو القرب منه في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل
بعيد المحل بعيد الهمة • وقرئ أدنأ من الدناءة وقد حملت المشهورة على أن ألفها مبدلة من الهمزة
بالذي هو خير أي بمقابلة ما هو خير فإن الباء تصحب الزائل دون الآتي الحاصل كما في
التبدل والتبديل في مثل قوله عز وجل ومن يتبدل الكفر بالإيمان • وقوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم
جنتين ذواتي أكل خمط وليس فيه ما يدل قطعاً على انفرادهم وزوال المن والسلوى بالمرة وحصول
ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال فيما بين صنوف المأكولة اهبطوا مصراً أمروا به بياناً لدناءة
مطلبهم واستعفافاً لهم أي انحدروا إليه من التيه يقال هبط الوادي وقرئ بضم الباء والمصر

البلد

البلد العظيم وأصله الحد بين الشيئين وقيل أريد به العلم وإنما ص…
بالبلد دون المدينة • ويؤيده أنه في مصحف ابن مسعود رضي…
بعلايهم منزلة فإن لكم ما سألتم تعليل للأمر بالهبوط أي فإن ذ…
من الأشياء المسؤولة بالاستحقاق بذكرها كأنه قيل فإنه كثير
شتّة وضربت عليهم الذلة والمسكنة أي جعلتا محيطتين بهم إحاطة
بهم وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم…
الاستعارة بالكناية واليهود في غالب الأمر أذلاء مساكين على…
جزيتهم وباؤوا أي رجعوا بغضب عظيم • وقوله تعالى من ال…
مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإ…
وصاروا أحقاء به من قولهم باء فلان بفلان أي صار حقيقاً…
قال • بؤ بشسع نعل كليب • وإذا…
ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم بأنهم…
بآيات الله الباهرة التي هي المعجزات الساطعة الظ…
بعده ويقتلون النبيين بغير الحق كشعيا وزكريا ويحيى عل…
الأنبياء بحيث إن تكرير… بأن ذلك عندهم…
فقتلوا منهم عليهم السلام وإنما حملهم على ذلك حب ا…
والاعتداء لا يفصح عنه قوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتد…
إلى ما ذكر من الكفر وقتل الأنبياء عليهم السلام فإن…
كبارها كما أن مداومة صغار الطاعات مؤدية إلى تحري…
على أن ما لحقهم كما أنه بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتك…
وقيل الإشارة إلى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وجوز الم…
ذكراً وتقدم • كما في قول رؤبة ابن العجاج •
• فيها خطوط من سواد وبلق • كأنه في الجلد ت…
أي كأن ما ذكر والذي حسن ذلك في المضمرات والمبهمات أن تثنيت…
على الذي يعني الذين إن الذين آمنوا أي بألسنتهم فقط وهم المـ…
الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح با…
لا يجدي بهم نفعاً أصلاً ولا ينقذهم من ورطة الكفر قطعاً والذين…
في اليهودية وهو إما عربي من هاد إذا تاب سموا به لتحرجهم تابوا من…
أو بمعرفته بمقابلة • وإما معرب يهوذا كأنهم سموا باسم أكبر أو…
جمع نصران كندامى جمع ندمان ويقال رجل نصران وامرأة نصر…
كما في أحري سموا بذلك لأنهم نصروا المسيح عليه السلام ولأنهم كانوا…
فسموا باسمها ونسبوا إليها والياء للنسبة • وقال الخليل واحد الـ…
والصابئين هم قوم بين النصارى والمجوس • وقيل أصل دينهم دين نوح عليه السلام • وقيل هم عبدة

…وسطه مؤنثاً وبلده
…سؤال وقيل مثله
…لثوه ولعل التعبير
…بالفعل أخذ بتعيد
…ضربت عليه أو الصقا
…الطين على الحائط بطريق
…وأما الخوف أن تتناعف
…ذوق مؤسسة الغضب
…الغضب كائن من الله تعالى
…بما فيه • ومنه قوله من
…ذلك إشارة إلى ما سلف من
…الذي كانوا يكفرون على الإصرار
…موسى عليه السلام كما عدو عام
…وغاية التشنيع مع أن قتل
…الحق إذ لم يكن أحد معتقداً حقيته
…اع الهوى والغلو في العصيان
…هم العصيان والتمادي في العدوان
…إذا أوهو عليها أدت إليه
…كررت الإشارة للدلالة
…واعتداءهم حدود الله تعالى
…للمتعدد بالمفرد بتأويل ما
…بما في الحقيقة والذين
…نية انتظامهم في سلك
…وإن عبر عنها بالإيمان
…دوا من هاد وإذا دخل
…خضعوا به لما كانت
…عليه السلام والنصارى
…نصراني للمبالغة
…يقال لها نصرانة
…نصري لمهري ومهارى

الابية وقيل معرفت ... وكونهم كان عربيا فمن حبا اذا خرج من دين الى اخر وفرئ بالياء اما
بالتخفيف واما لانه من حبا ... قال لما انهم مالوا من سائر الاديان الى ما هم فيه او من الحق الى الباطل
من امن بالله واليوم الاخر ... احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدا والمعاد على الوجه اللائق
وعمل صالحا حسبما يقتضيه الايمان بما ذكر فلهم بمقابلة ذلك اجرهم الموعود لهم عند ربهم اي
مالك امرهم ومبلغهم الى كمالهم اللائق فمن اما في محل الرفع على الابتدا خبره جملة فلهم اجرهم والفا لتضمن
الموصول معنى الشرط كما في قوله تعالى ان الذين فتنوا المومنين والمومنات الاية وجمع الضماير الثلثة
باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما في الصلة باعتبار لفظه والجملة كما هي خبر ان والعايد الى اسمها
محذوف اي من امن منهم الى الاخر واما في محل النصب على البدلية من اسم ان وما عطف عليه وخبر ان
فلهم اجرهم وعند متعلق به ... من معنى الثبوت وفي اضافته الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد
لطف بهم وايذان بان اجرهم ... الثبوت مامون عن الفوات ولا خوف عليهم عطف على جملة فلهم
اجرهم اي لا يخاف خوف عليهم ... الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون
على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في
الجملة الثانية مضارعا لما مر من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب
المقام هذا اذا قيل المراد بالذين ... المتمسكون بدين الاسلام المخلصون منهم والمنافقين
فحينئذ لا بد من تفسير من امن بمن اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدا والمعاد على الاطلاق سواء كان
ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كايمان المخلصين او بطريق المحدثين وانشائه كايمان من عدا هم
من المنافقين وسائر الطوائف وفي ... التعبير للمخلصين مزيد ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تاخرهم
في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين في استحقاق الاجر وما يتبعه من الامن الدائم واما
ما قيل من تفسيره من كان منهم في دينه ... قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا
سبيل اليه اصلا لان مقتضى المقام هو الترغيب في دين الاسلام واما بيان حال من مضى على دين اخر قبل
انتساخه فلا ملابسة له بالمقام ... مع ان ... مخل بتنصيصه من حيث دلالته على حقيته في زمانه في الجملة
على ان المنافقين والصابئين ... في حقهم ما ذكر اما المنافقون فان كانوا من اهل الشرك فالامر بين
وان كانوا من اهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النسخ ليسوا بمنافقين واما الصابئون فليس لهم دين يجوز رعايته
في وقت من الاوقات ... وان ... انه كان لهم دين ساوي ثم خرجوا عنه فمن مضى من اهل ذلك الدين قبل
خروجهم منه ليسوا من الصابئين فكيف يمكن ارجاع الضمير الرابط بين اسم ان وخبرها اليهم او الى المنافقين
وارتكاب ارجاعه الى المجموع ... انه من حيث هو مجموع لا الى كل واحد منها تعسفا الى درج الفريق المذكور
فيه مرور ان من كان من اهل الكتاب عاملا بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطوائف بحكم اشتماله على
اليهود والنصارى ... من المنافقين والصابئين مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله على ان
المخلصين مع انه ... ان ليس لهم ... حرجهم ... والا ... فتامل ... على الحق المبين واذ اخذنا
ميثاقكم بتذكير ... لاسلافهم اي اذكروا وقت اخذنا ميثاقكم بالمحافظة على ما في التورية
ورفعنا فوقكم الطور ... عطف على اخذنا او حال اي وقد رفعنا فوقكم الطور كانه ظلة روي ان موسى عليه
السلام لما جاءهم بالتورية وراوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل عليه
السلام فقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول لما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد

وجزية

وجزية واذكروا ما فيه اي احفظوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب ... لعلكم تتقون
لكي تتقوا المعاصي وتنجوا من هلاك الدارين او رجاء منكم ان تنتظموا ... في او طلبا لذلك وقد
مر تحقيقه ثم توليتم اي اعرضتم عن الوفاء بالميثاق من بعد ذلك اي من ... بعد ذلك الميثاق المؤكد فلولا
فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه و... ... وكم الى الحق وهدايتكم
اليه لكنتم من الخاسرين اي المغبونين وتاخير العذاب لكنتم من الهالكين ... الانسب بما بعده وكلمة
لولا اما بسيطة او مركبة من لو ولا الامتناعية وحرف النفي ومعناه ... مع النفي لوجود غيره كما ان
لولا امتناعية لامتناع غيره والاسم الواقع بعدها عند ... اخبره محذوف وجوبا
... لدلالة الحال عليه وسد الجواب مسده والتقدير لولا فضل ... وعند الكوفيين فاعل
فعل محذوف اي لولا ثبت فضل الله تعالى عليكم ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت
اللام ... فاعتدى فيه اناس منهم
... في زمن داود عليه السلام فاشتغلوا بالصيد وكانوا ... باحلا الجر بما ... الايلة
وذلك انهم امروا ان يتجردوا يوم السبت للعبادة ويتركوا ... يسطاد ونها يوم الاحد
فاذا كان يوم السبت لم يبق في البحر حوت الا برز واخرج ... فلا ... منهم ولم ينزعوا منهم الا علينا
فالمعنى وما الله لقد علمتم ... حين فعلوا من قبيل جنايتكم ما فعلوا ... ينوهموا الطرد والصغار على ان
فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي جامعين بين صورة القردة ... الطرف والحال وقيل من الضمير
خاسئين نعت لقردة وقيل حال من اسم كونوا عنه من يجيز ... ما نسخت صورهم ولكن قلوبهم
المستكن في قردة لانه في معنى ممسوخين وقال مجاهد ... ان المراد بالامر بيان سرعة التكوين
... تمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في مثل قوله تعالى كمثل الحمار ... ان وكثرة الرواة خاسئين بعيهم
وانهم صاروا كذلك لما اراده عز وجل ... ففي قردة ... منه او تبعده ومنه النكل للقيد ... لما
فجعلناها اي المسخة والعقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر ... مع الاولين والاخرين ... فقصتهم
بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت ... تباعد عنها او لا مثالها الغريبة
في الاخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من ا...
وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر ... وموعظة للمتقين من قومهم او لكل
... لبعض جنايات صدرت فيما ...
عنهم بعدها واذ قال موسى لقومه توبيخ اخر لاخلاف بني اسرائيل
اي اذكروا وقت قول موسى عليه السلام لاجدادكم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة وسببه انه كان
في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو اعمه طمعا في ميراثه فطرحوه ... المدينة ثم جاؤا يطالبون
بدمه فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى ... بهم بنباته قالوا استنبئاف
... فيخبرهم بقاتله قالوا ... الامتثال او لا
ونبحوا بالسبق ... الكلام كانه قيل فماذا صنعوا هل سارعوا ... استئناف كما سبق اعوذ
من واو ... وانبارا ... نفسه استبعادا لما قاله واستخفافا به ... لم يسند الى ... عليه
بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزو في اثنا تبليغ امر الله ... ما لا ... مكروه وبراءة
الصلاة والسلام ... من قبله على ابلغ وجه واكده ... التي نسبوه عليه
بالاستعاذة منه استعظاما له واستنكارا لما افترى مواجهة ... الامتثال فقالوا
السلام بما قالوا استئناف كما مر كانه قيل فماذا قالوا بعد ذلك ... ... يبين لنا جواب
ادع لنا ربك اي لاجلنا ربك يبين لنا ما هي ما سنه او ما حصن ...

او صفتها فاقع اما جعلها لونها ... من بقرة ميتة تعذيب بعضه
... منهوم الاسم والحقيقة كما في الشارحة والحقيقية لكنها
... ما زيد نيفا لطيب او ما لهم وقيل كان حقه ان يستشهر باه
... جايع لما غلبه الحبن اخرجه عن الحقيقة فجعلوه حبنا علي ابيه
... الامر بعد ما دعا ربه عز وجل بالبيان وأتاه الوحي انه تعالي
... بقرة لا فارض ولا بكر اي لا مسنة ولا فتية يقال فرضت
... يعني القطع لانها قطعت سنها وبلغت اخرها وتركيب البكر
... عوان اي نصف لا صغيرة ولا مرتع • قال
... الهوادي • لو اعمرين الكبار وعوان •
... ف والبكر ولذلك اضيف اليه بين لاختصاصه بالاضافة
... ية السلام متفرع علي ما قبله من بيان صفة الماموربه
... به • كما في قوله •
... ما امرتم به • فان حذف الجار فقد شاع
... ة الي مفعولين ومعني الامر منه عليه السلام لحثهم
... لم يتنقعوا به • وقوله تعالي قالوا استيناف
... الثاني والامر المذكور فقيل قالوا ادع لنا ربك
... الماموربها قال اي موسي عليه السلام بعد المناجاة
... بقرة صفراء فاقع لونها اسناد الي اللون في كل مرة الي الله
... يقولهم يبين لنا وسنة الاستقبال لاستحضار
... و لذلك يؤكد به ويقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك
... من احوال الملوك لما لابسه به مما لا يخفي من فضل التاكيد
... حب جيد • وعن الحسن رضي الله عنه سوداء شديدة
... قيل ولعلها للتعبير عن السواد بالصفرة لما انها من مقدماتها
... بقوله تعالي تسر الناظرين كما ياباه بفقوع اللون ...
... من عن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قلّ همه كما
... الناظرين بادة استكنا في خلطها كانهم سالوا بيان حقيقتها
... وكما في الاوصاف المذكورة والاحوال المشروحة في اشد
... البقر تشابه علينا يعنون ان الاوصاف المعدودة يشترك فيه
... تشخيص الماموربها ولذلك لم يقولوا ان البقرة تشابهت
... ليست مشخصة للماموربها بل صادقة علي سائر افراد الجنس
... البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء
... الثانيث عنها ومتشابه وتشبه بمعني تتشبه ويتشبه
... ومتشبه ومشتبهة وفيه دلالة علي انهم مترددون متحيرين

عنه السؤال ...
مب يبغي ...
قد تطلب بها ...
لكنهم لما راوا ...
قال اي موسي ...
يقول انها اي البقرة ...
البقرة فرضا اي ...
للاولية ومنه ال...
بين ذلك اشارة الي ...
الي المتعدد فافعلوا ...
ما تؤمرون اي ما تؤمرون ...
امر ...
في معني الفعل يحتج بالا...
علي الامتثال وزجرهم عن ...
كامر كانه قيل ماذا صنعوا ...
يبين لنا ما لونها ...
الي الله تعالي ودعي البيان ...
عز وجل للاظهار كمال ...
الفقوع والفقوع نص...
واحمر قاني وفي اسناده ...
لانه قيل صفرا اشد ...
السواد وبه فسر ...
واما لان الابل تعلو ...
لانه في الغالب ...
استيناف كنظائره ...
بحيث يمتاز عن جميع ...
البيان ولذلك ...
كثير من البقر و...
التي انا بان ا...
وقري ان الباقر ...
بطرح التاء والا...
بالتذكير ومتشـ...

ما عداه في الجملة وان ابقي اشتباه يشرف المراد كما يقتضي عنه في قوله وانا ان شاء الله لمهتدون
مؤكدا بوجوه من التاكيد اي لمهتدون ونائلنا اي البيان ... عنهما وفي الحديث
لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول ... ولا تسقي الحرث اي لم تذلل
للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعني غير ذلول ولا الثانية لتاكيد الاولي والفعلان
صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية • وقرئ لا ذلول ... بحيث يحيي كقولك مررت
برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وقرئ تسقي من اسقي مسلمة ... من العيوب او اهلها
من العمل او اخلص لها لونها من سلم له كذا اذا اخلص له ... لا شية فيها اي لا لون
فيها يخالف لون جلدها ... وظلفها وهي في الاصل مصدر ... وشيا وشية اذا خلط
بلونه لونا اخر قالوا عندما سمعوا هذه النعوت الان جئت بالحق ... نه وصف البقرة بحيث ميزتها
من جميع ما عداها ولم يبق لنا في شانها اشتباه اصلا بخلاف ... في الاولتين فان ما جئت به
فيهما لم يكن في التعيين بهذه المرتبة ولعلهم كانوا اهتدوا ... اوصافها وجد ... وصافة
لما فصل من الاوصاف المشروحة في المراتب الثلاثة من غير ... ان لها ما عداه في المرة الاخيرة
والاقرار اي عرفوا اختصاص النعوت الاخيرة بها دون غيرها ... في الان بالمد علي الاستفهام
والان ظرف لجئت ... الحاضر كما في الامر فذبحوها الفاء ... فما تعرفت اي فحصلوا البقرة
فذبحوها وما كادوا يفعلون كاد من افعال المقاربة ... بها من المفعول والجملة حال من
ضمير ذبحوا اي فذبحوها والحال انهم كانوا قبل ذلك ... واعتراض تذييلي وما لما استقال
استقصائهم واسبابهم وانهم لم يطيقوا ... انهم ما كانوا يذبحون خط انتهائهم فيها
قيل معني من اول الامر الي الامتثال الرعون سنة ... وانتهاوا ذلك لغلاء ثمنها روي
انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتي بها الغيضة ... اللهم اني استودعها لابني حتي يكبر
وكان برا بوالديه فتوفي الشيخ وشبت العجلة فكانت من احسن البقر واسمنها فتساوموها
اليتيم وامه حتي اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت ... البقرات المذكورة وكانت
البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير • واعلم انه لا خلاف في ... ظاهر النظم الكريم يقتضي مطلقة
مبهمة وان الامتثال في اخر الامر انما وقع بذبح بقرة معينة هي ... غيرها ما خرجوا عن عهدة الامر
لكن اختلف في ان المراد بالمامور به ... هو المعينة ... اخر البيان عن وقت الخطاب
او المبهمة ثم لحقها التعيين الي المعينة بسبب تشاقلهم في الامر ... تماديهم في التعنت والاستكشاف
فذهب بعضهم الي الاول تمسكا بان الظاهر في الاجوبة ... الي اخر المعينة قطعا
تعينه ان يكون في السؤال ايضا كذلك • ولا ريب في ... النامي من البقرة الماموربها
بذبحها فتكون هي المعينة وبوصفه وقع بانهم لما تعجبوا من ... يطلب بعضها عن بعض يقتضي
ظنوها معينة خارجة عما عليه الجنس من الصفات والخواص ... حيث الظاهر الي المعينة
عليهم واعتقادهم تعيينها الله تعالي تشديدا عليهم وان لهم ... المراد من اول الامر هي المعينة
والحق انها كانت في اول الامر مبهمة بحيث لو ذبحوا اية بقرة كان ... لامتثال ... لا ...
ظاهر النظر للكثير والتكرير الامر ... بيان اللون وما بعده ... مسالة الي اخره • وقد
قال صلي الله عليه وسلم لو اعترضوا ادني بقرة فذبحوها لكفتهم ... روي مثله من ...

ان تنفد مرقربته ومن حق المتقرب ان يجري الاحسن وينال بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة
اشتريها بثلثمائة دينار وان المؤثر عند الله تعالى اذ ان الاسباب امارات لا ائا نغرلها وان من اراد ان
يعرف اعدي عدوه النافي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي قوة الشهوية
حين زال عنها شرة الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائعة المنظر غير مذللة في طلب
الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها من قبائحها بحيث يتصل اثره الى نفسه فيحيى حياة طيبة ويعرف ما به
ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارء والتنازع **ثم قست قلوبكم** الخطاب لمعاصري
النبي صلى الله عليه وسلم والقسوة عبارة عن الغلظ والجفاء تسلا انما كان الجواسع صوبت سبق
قال بمعنى الناشر بالغلطات والقران التي يتبع منها الجبال ويلين بها الصخور وايراد الفعل المنبئ
حدوث القساوة مع ان قلوبهم لم تزل قاسية لما ان المراد بيان بلوغها الى مرتبة مخصوصة من مراتب
القساوة حادثة واما لان الاستمرار عليها بعد ورود ما يوجب انقلاعها عنه امر جديد ووضع حادث
وثم لاستبعاد القسوة بعد مشاهدة ما يزيلها كقوله تعالى ثم انتم تمترون بعد ما كفروا ثم ازدادوا
من بعد ذلك اشارة الى ما ذكر من احياء القتيل والى جميع ما عدد من الايات الموجبة للين القلوب
وتوجهها نحو الحق اي من بعد سماع ذلك وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته وعلو طبقته
وتوجيه حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين اما باعتبار المرتبة ولان المراد مجرد الخطاب لا
تعيين المخاطب كما هو المشهور **فهي كالحجارة** في القساوة **او اشد منها قسوة** اي هي في القسوة
مثل الحجارة او زائدة عليها فيها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده القراءة بالجر عطفا على الحجارة وايراد الجملة اسمية
مع كون ما سبق فعلية للدلالة على استمرار قساوتهم والفاء اما للتعليل مشابهتها لها في
ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه بيانا وجه الشبه في قوله احمر خده فهو كالورد او اما
للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة له حق له وانا لم يقل واقسى منها لما في التصريح بالشدة
من زيادة مبالغة ودلالة ظاهرة على اشتمال القسوتين ... واشتمال المفضل على زيادة
او للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها او من عرفها شبهها
بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة وترك المفضل عليه للامن من الالتباس **وان من الحجارة لما
يتفجر منه الانهار** بيان لاشدية قلوبهم من الحجارة في القساوة وعدم التاثر واستحالته
صدور الخير منها يعني ان الحجارة ربما تتاثر حيث كان منها ما تتفجر منه المياه العظيمة **وان منها لما يشقق**
اي يتشقق **فيخرج منه الماء** اي العيون **وان منها لما يهبط من خشية الله** اي يتردى من الاعلى الى
الاسفل بتعنيته ما اودعه الله عز وجل فيها من الثقل الداعي الى المركز وهو مجاز من الانقياد
لامر تعالى والمعنى ان الحجارة ليس منها فرد الا وهو منقاد لامره عز وعلا آت بما خلق له من غير
استعصاء وقلوبهم ليست كذلك فتكون اشد منها قسوة لا يجدد فالامر في الحالة الاولى ما
ذكر على استمرار لعدم الخير وفي ان على انها مختلفة من التعليل والاخر فارقة وفي سعة
بالعيد **وما الله بغافل عما تعملون** من متعلقة بغافل ما موصولة والعائد محذوف او مصدرية
ومعه وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الاعمال السيئة وقرئ
بالياء على الالتفات وقوله تعالى **افتطمعون** تلوين للخطاب وصرف له عن اليهود الى ما علمت منا نتم

رضي الله عنها فلم يرجع الحكم الاول منسوخا بالثاني والثاني بالثالث
... حكم المطلق بالكلية وانتقاله الى المعين بل على طريقة
... ولو لم يكن كذلك لما حدث من احتياجهم الحكمة من بعد
... الامتثال بالامر بدون الوقوف على المامور به ما لا يكاد يتفق
بالامتثال **واذ قتلتم نفسا** منصوب بمضمر كامر في نظائره والخطاب
... عليه وسلم واسناد القتل والتدارؤ اليهم لما مر من نسبة
... او نقض بها وتخصيصها بالاسناد دون ما مر من هذا لهم لظهور
... كي واوقت في زمنكم قتلكم نفسا محرمة **فاداراتم فيها**
الخصام بها اي اختصمتم فيها واتهم بعضكم بعضا بان طرح كل واحد قتلها
... الدال واجتلبت لها همزة الوصل **والله مخرج ما كنتم**
... في الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار
... عطف على فاداراتم وما بينهما اعتراض والالتفات
... ارادتها عبارة عن الرجل وبنا وتبلا للتحضيض او التنبيه
... باصغريه وقيل بلسانه وقيل بفخذها اليمنى
... بالعصعص وقيل الاذن العصبة كما بين غضب
... نفسا فاداراتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه
... التوبيخ وتنبيه التقريع فان كل واحد من قتل النفس
... والافتيات على امر وترك المسارعة الى
... حقيقا بها ولو حكيت القصة على ترتيب
... بما ترى التوبيخ وانما حكى الامر بالذبح عن موسى
... وجعل الامر بالضرب لما ان الاحياء يتم بذلك
... الافتيات على رايه **كذلك يحيي الله الموتى**
... عليه الكلام اي فضربوه فحيي وقلنا له كذلك الى آخره
... وما عطفت عليها للدلالة كذلك على ذلك فالخطاب
... القتيل ويجوز ان يكون ذلك للحاضرين عند نزول الاية
... تنتهي الحكاية عند قوله تعالى ببعضها مع ما قد يعتقد
... البعث يحيي الله الموتى يوم القيامة **ويريكم آياته** ودلائله
... يجوز ان يراد بالايات سائر الاحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله
... لمعوميت واحيان بما دله وما يلابسه من الامور الخارقة
... لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس
... الحكمة في اشتراط ما اشترط في الاحياء مع ظهور كمال قدرته على
واشتماله على التقرب الى الله تعالى واداء الواجب ونفع اليتيم
... تعالى والشفقة على الاولاد ونفع بر الوالدة ومن حق الطالب

المعشر بن عبد
تشديدا عليهم
تنبيها وتخصيصا
للجنايات بل من
تنجوه سوالا نهر
لليهود المعاصرين
جنايات الاسلاف الى
مع القتل واسناده
اي تخاصمتم في شانها
الى الاخر واصله تدارأتم
تكتمون اي مظهر ما تكتمونه
اعمل مخرج لانه حكاية حال
لزينة المهابة والتهويل
ببعضها اي ببعض البقرة اي
وقيل باذنها وقيل بعجبها
العين الراجح الى البقرة كانه
ببعضها وانما عبر بالمذنب عنه
المحرمة والاستهزاء برسول الله
الامتثال بجناية عظيمة حسب
الوقوع لما علم استقلال
عليه الصلاة والسلام
بمراجعتهم لتيه عليه ال
على زيادة في معطوفة
تختلف الفا الفصيحة
في كذلك حينئذ لا
الكريمة فلا حاجة الى
فالجملة معترضة الى
للدلالة على انه تعالى
على ما هو نسبه
للعادات **لعلكم**
كلها وتعملوا على
احيائه ابتدا
والتنبيه على

ويجب عليهم حبا بانهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين والهمزة لانكار الواقع
واستبعاده كما في قولك اتضرب اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر
يقتضيه المقام ويستدعيه نظام الكلام لكن لا على انه تعلق به الانكار او اليه المحذوف كما في
افلا يبصرون على ان المعطوف عليه منفيا اي لا يتطيرون فلا يبصرون فالمنكر كلا الامرين
بل الى ترتب الثاني مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه كما اذا قدر الاول مثبتا اي
انظرون فلا يبصرون فالمنكر ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه
اي اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم فتطمعون ومآل المعنى ابعد ان علمتم تفاصيل شؤونهم
المؤيسة عنهم فتطمعون ان يؤمنوا فانهم متمادون في شأن الشنيعة والاخلاق الذميمة لا تتأتى
من اخلافهم وان معتقد ... فيقفوها الجار والاصل في ان يومنوا في معنى ما في حيزها في محل
النصب او الجر على الخلاف المعروف واللام في لكم لتضمين معنى الاستجابة كما في قوله عز وجل
فآمن له لوط اي في ايمانهم ... لكم او لتعليلا اي في ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم
الايمان غير وفيه ان الظهور ان الايمان المراد به معناه الشرعي وستقف على ما فيه من المزية باذن الله
تعالى وقد كان فريق منهم الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم والجار والمجرور
في محل الرفع اي فريق كائن منهم ... يسمعون كلام الله خبر كان وقرئ كلم الله والجملة حالية
مؤكدة للانكار خاسمة لمادة الطمع مثل احوالهم الشنيعة المحكية فيما سلف على منهاج قوله تعالى ونحو
لحم عاد وبعد قوله تعالى افتخذونه وذريته اوليا من دوني اي والحال ان طائفة منهم قال ابن
عباس رضي الله عنهما هم قوم من السبعين المختارين للميقات كانوا يسمعون كلامه تعالى حين كلم
موسى عليه السلام بالطور وما امر به ونهي عنه ثم يحرفونه عن مواضعه لا لقصور فهمهم
من الاحاطة بتفاصيله على ما ينبغي لاستيلاء الدهشة والمهابة حسبما يقتضيه مقام الكبرياء بل
من بعد ما عقلوه اي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم في مضمونه ولا في كونه كلام رب العزة
ريبة اصلا فلما رجعوا الى قومهم ... لما دونوا اليهم كما سمعوا ما ولا قالوا سمعنا الله تعالى يقول
في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشيا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا باس وثم للتراخي
زمانا او رتبة وقال الفضال رحمه الله سمعوا كلام الله وعقلوا مراده تعالى منه واولوه تاويلا فاسدا
وقيل هم رؤساء اسلافهم الذين تولوا تحريف التوراة بعد ما احاطوا بما فيها علما وقيل هم الذين غيروا
نعت النبي عليه السلام في عصره وبدلوا آية الرجم ويأباه الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل الدال على
تحقق ذلك في عصره صلى الله عليه وسلم الا ان يحمل ذلك على تقدمه على زمان نزول الآية الكريمة لا على تقدمه
على عصره عليه السلام فالاول هو الانسب بالسماع والكلام اذ التوراة وان كانت
كلام الله عز وجل لكنها باسم الكتاب اشهر وان التحريف فيه اظهر وفي صنيع اليهود بها ونها اكثر
لسيما رؤساوهم المباشرون ... تحريف ان وطئتهم التلاوة دون السماع فكان الانسب حينئذ ان يقال
يتلون كتاب الله فالمعنى افتطمعون في ان يؤمن هؤلاء بواسطتكم ويستجيبوا لكم والحال ان اسلافهم الموافقين
لهم في خلال السوء كانوا ... يسمعون كلام الله بلا واسطة ويحرفونه من بعد ما علموه يقينا ولا يستجيبون له
مشابهات ومن ما هناك ... شار ... لكم على ذلك منهم المخالفة والجراءة وقوله عز وجل وهم يعلمون جملة
حالية من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال قباحة حالهم وذنبهم بان تحريفهم ذلك لم يكن بناء على نسيان ما عقلوه

او

او على الخطاء في بعض مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين به مستحضرين له وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون
واذا لقوا جملة مستأنفة سيقت اثر بيان ما صدر عن اشباههم لبيان ما صدر عنهم بالذات من الشنائع
المؤيسة من ايمانهم من نفاق بعض وعتاب آخرين عليهم او معطوفة على ما سبق من الجملة الحالية والضمير لليهود
كما ستقف على سره لا للمنافقين منهم خاصة كما قيل تحرزا لاتحاد الفاعل في فعل الشرط والجزاء حقيقة الذين
آمنوا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اي اللاقون لكن لا بطريق تصدي الخطاب ايضا بل القول حقيقة بل
مباشرة منافقيهم وسكوت الباقين كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وفيه اسناد الحكم في تقبيح
حال الساكتين اولا والعاتبين ثانيا لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف احوالهم وتناقض آرائهم من اسناد
القول الى المباشرين خاصة بتقدير المضاف اي قال منافقوهم آمنا لم يقتصروا على ذلك بل عللوه بانهم وجدوا
نعت النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وعلموا انه النبي المبشر به وانما لم يصرح به تعويلا على شهادة التوبيخ الآتي
واذا خلا بعضهم اي الساكتون منهم اذا فرغوا عن الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين الى بعض آخر منهم بحيث
صافين منهم حيث لم يبق معهم غيرهم وحرف من ... على اشتراك الساكتين في القاء المؤمنين كما اشير اليه اذ الخلو
انما يكون بعد الاشتغال ولان عتابهم معلق بمحض الخلو ولولا انهم حاضرون عند المقاولة لوجب ان يجعل سماعهم الحديث
من تمام الشرط ولان فيه زيادة تشنيع لهم على ما اتوا من السكوت ثم العتاب قالوا اي الساكتون موبخين لمنافقيهم
على ما صنعوا اتحدثونهم يعنون المؤمنين بما فتح الله عليكم ما موصولة والعائد محذوف اي بينه لكم خاصة في التوراة
من نعت النبي عليه الصلاة والسلام والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه احد
ويجوز كون هذا التوبيخ من جهة المنافقين لاعقابهم اراءة للتصلب في دينهم كما ذهب اليه اصابة مما لا يليق بشأن التنزيل
الجليل واللام في قوله عز وجل ليحاجوكم به متعلقة بالتحديث دون الفتح والمراد تأكيد النكير وتشديد التوبيخ
فان التحديث بذلك وان كان منكرا في نفسه لكن التحديث به لاجل هذا الغرض مما لا يكاد يصدر عن العاقل
اي اتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيبكتوكم والحال انهم لم يحوموا حول ذلك الغرض لكن فعلهم ذلك لما
كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور اظهارا لكمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم عند
ربكم اي في حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله كذا اي في كتابه وشرعه وقيل عند ذكر ربكم الى يوم القيامة ورد عليه بان
الاخفا لا يدفعه اذ هم عالمون بانهم محجوجون يومئذ حدثوا به او لم يحدثوا والاعتذار بان الزام المومنين اياهم وتبكيتهم
بان يقولوا الم تحدثونا بما في كتابكم في الدنيا من حقيقة ديننا وصدق نبينا انما هو يوم الحشر فيجوز ان يحذروا عنه هرهنا
الالزام بارجاع الضمير به الى التحديث دون المتحدث به ولا ريب في انه مدفوع بالاخفا لا يساعده الآية
الكريمة الآبية عليه باذن الله عز وجل افلا تعقلون من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف على مقدر
ينسحب عليه الكلام اي الا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطأ الفاحش او شيئا من الاشيا التي
من جملتها هذا فالمنكر عدم التعقل ابتدا او تعقلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى
تحتاجون الى التنبيه عليه فالمنكر عدم التعقل بعد الفعل هذا واما ما قيل انه خطاب من جهة
الله تعالى سبحانه للمومنين متصل بقوله تعالى افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في
ايمانهم فيأباه قوله تعالى اولا يعلمون فانه الى آخره تجهيل لهم من جهته تعالى فيما حكي عنهم فيكون توسيط خطاب
المومنين في اثنائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه على ان في تخصيص الخطاب بالمومنين من التعسف
وفي تعميمه للنبي ايضا عليه الصلاة والسلام كما في افتطمعون من سوء الادب ما لا يخفى والهمزة للانكار
والتوبيخ كما قبلها والواو للعطف على مقدر ينسا في اليه الذهن والضمير للمومنين اي يلومونهم على التحديث

المذكور بخانة الحاجة ولا يذكرون ولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون اي يسرونه فيما بينهم من المؤمنين او ما يضمرونه
في قلوبهم فيثبت الحكم في ذلك بالطريق الاولى وما يعلنون اي يظهرونه للمؤمنين ولاصحابهم حسبما سبق فحينئذ
يظهر الله تعالى للمؤمنين ما ارادوا اخفاءه بواسطة الوحي الى النبي عليه الصلاة والسلام فتحصل المحاجة ويقع
التبكيت كما وقع في آية الرجم • وتحريم بعض المحرمات عليهم وهي حاصلة في الدارين فاي فائدة في اللوم والعتاب • ومن
هنا تبين ان المحذور عندهم هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهي حاصلة في الدين حدثوا به او لم لا بالتحديث به •
حتى يندفع بالاخفاء وترك الضمير بالمنافقين فقط او لهم وللمنحجبين او لاباهم المحرفين اي يفعلون ما يفعلون
او لا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون • ومن جملته اسرارهم الكفر واظهارهم الايمان • واخفاء
ما فتح الله عليهم واظهار ما فتح غيره وكتم اسرار الله واظهار ما اظهروه فنزلوا ما قدروا الاسرار على الاعلان ۵
علما بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما في الحقيقة على الرتبة فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها
بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى • وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة
ونظيره قوله عز وعلا • قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء الذكر
من التعكيس ما وقع في قوله تعالى • وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله • فان الاصل في تعلق المحاسبة
به هو الامور البادية دون الخافية • ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من
شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى • متقدم
على تعلقه بحالته الثانية ومنهم اميون وقرئ بتخفيف الياء جمع امي وهو من لا يقدر على الكتابة والقراءة •
واختلف في نسبته • فقيل الى الام بمعنى انه شبيه بها في الجهل بالكتابة والقراءة فانهما ليستا من شؤون النساء بل
من خلال الرجال او بمعنى انه على الحالة التي ولدته امه في الخلو عن العلم والكتابة • وقيل الى الامة بمعنى انه باق
على سذاجتها خال عن معرفة الاشياء كقولهم عامي اي على عادة العامة • روي عن عكرمة والضحاك ان المراد بهم نصارى
العرب • وقيل هم قوم من اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا اميين • وعن علي رضي الله عنه
هم المجوس • والحق الذي لا محيد عنه انهم جهلة اليهود والجملة مستأنفة مسوقة لبيان قبايحهم اثر
بيان شنايع الطوائف السالفة • وقيل هي معطوفة على الجملة الحالية • فان مضمونها مناف لرجاء الخير منهم
وان لم يكن فيه ما يحسم مادة الطمع عن ايمانهم كما في مضمون الجملة الحالية وما بعدها • فان الجهل بالكتاب في منافاة
الايمان ليس بمثابة تحريف كلام الله تعالى بعد سماعه • والعلم بحقيته كما وقع في الاولين او النفاق • والنهي
عن اظهار ما في التوراة • كما وقع من الفريقين الاخيرين ومنهم طائفة جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة
لا يعلمون الكتاب اي لا يعرفون التوراة ليطالعوها ويتحققوا ما في تضاعيفها من دلائل النبوة •
فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة يأباه سباق النظم الكريم وسياقه الا اماني بالتشديد وقرئ
بالتخفيف جمع امنية اصلها امنوية افعولة من منى بمعنى قدر • والمعنى ثلاثا في قوله • تمنى كتاب
الله اول ليلة فاعلت اغلاله بيد وبيت ومعناها على الاول ما يقدره الانسان في نفسه ويتمناه
وعلى الثاني ما يتلوه • وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع اذ ليس ما يتمنى وما يتلى من جنس
علم الكتاب • اي لا يعلمون الكتاب لكن لا يتمنون اماني حسبما منتهم منها ان الله سبحانه وتعالى
يعفو عنهم • وان اباءهم الانبياء يشفعون بهم وغير ذلك من امانيهم الفارغة المستندة الى الكتاب بواسطة
على رؤسائهم او لا يعلمون الكتاب • لكن يتلقونه من غير ان يكون لهم ملابسة بالكتاب • ولا يساعده

النظم

النظم الكريم وان هم الا يظنون ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يصلوا الى رتبة العلم • فانه
يرجى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين • وما بين حال هؤلاء في تمسكهم بالاماني واتباع الظن
عقبه ببيان حال الذين اوقعوهم في تلك الورطة • ويكشف كيفية ضلالهم وتقييد مرجع الكل بالملك
بالاجرة فقيل على وجه الدعاء عليهم فويل هو وامثاله من ويح وويس وويب وويه وويك وعول من المصادر
المنصوبة بافعال من غير لفظها لا يجوز اظهارها البتة فان اضيف نصب نحو ويلك وويحك • واذا فصل
عن الاضافة رفع نحو ويل له • ومعنى الويل شدة الشر قاله الخليل • وقال الاصمعي الويل التفجع والويح الترحم
وقال سيبويه ويل لمن وقع في الهلكة وويح زجر لمن اشرف على الهلاك • وقيل الويل الحزن وهل ويح وويس
وويب بذلك المعنى او بينه وبينها فرق • وقيل ويل في الدعاء عليه وويح وما بعده في الترحم عليه • وقال
ابن عباس رضي الله عنهما الويل العذاب الاليم • وعن سفيان الثوري انه صديد اهل جهنم • وروى ابو سعيد
الخدري رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا
قبل ان يبلغ قعره • وقال ابن المسيب انه واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره
وقال ابن بريدة جبل قيح ودم • وقيل صهريج في جهنم وحكى الزهراوي انه باب من ابواب جهنم • وهو على
كل حال مبتدأ خبره قوله عز وعلا للذين يكتبون الكتاب اي المحرف او ما يكتبونه من التأويلات الزائغة بايديهم
لدفع توهم المجاز كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا اي جميعا على الاول • وبخصوصه على الثاني من عند
الله روي ان احبار اليهود خافوا ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم • حين قدم النبي عليه الصلاة والسلام
المدينة فاحتالوا في تعويق اسافل اليهود عن الايمان • فعمدوا الى صفة النبي عليه الصلاة والسلام في التوراة
وكانت هي فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال ازرق سبط الشعر
فاذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرءوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته عليه السلام • فيكذبونه وثم
للتراخي الرتبي • فان نسبة المحرف • والتأويل الزائغ الى الله سبحانه صريحا اشد شناعة من نفس
التحريف والتأويل • وانما عبر عن المشترى من نفس التحريف والتأويل ليشتروا به اي ياخذوا
لانفسهم بمقابلته ثمنا هو ما اخذوه من الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتأويل • وانما عبر عن
المشترى الذي هو المقصود بالذات في عقد المعاوضة بالثمن الذي هو وسيلة فيه ايذانا بتعكيسهم قليلا
حيث جعلوا المقصود بالذات وسيلة • والوسيلة مقصودا بالذات قليلا لا يعبأ به فان ذلك وان
جل في نفسه • فهو قليل عند ما استوجبوه من العذاب الخالد فويل لهم تكرير لما سبق للتأكيد
وتصريح بتعليله بما قدمت ايديهم بعد الاشعار به فيما سلف بايراده في حيز الصلة • وبعضه
في معرض الغرض • والفاء للايذان بترتبه عليه • ومن في قوله عز وعلا مما كتبت ايديهم تعليلية
متعلقة بويل او بالاستقرار في الخبر • وما موصولة اسمية • والعائد محذوف اي كتبته او مصدرية
والاول ادخل في الزجر عن التحريف وويل لهم مما يكسبون الكلام فيه كالذي فيما قبله • والتكرير
لما مر من التأكيد والتشديد والقصد الى التعليل بكل من الجنايتين • وعدم التعرض لقولهم هذا من
عند الله لما انه من مبادي ترويج ما كتبت ايديهم • فهو داخل في التعليل به وقالوا بيان لبعض
آخر من جناياتهم وفصله عما قبله مشعر بكونه من الاكاذيب التي اختلقوها ولم يكتبوها في الكتاب
لن تمسنا النار في الآخرة الا اياما معدودة قليلة محصورة عدد ايام عبادتهم العجل
اربعين يوما مدة غيبة موسى عليه السلام • وحكى الاصم عن بعض اليهود ان عدد ايام عبادتهم العجل

سبعة • وروي عن ابن عبا[illegible] ان اليهود قالوا عمر الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة
يوما واحدا • وروي الضحا[illegible] عباس رضي الله عنهما ان اليهود زعمت انهم وجدوا في التوراة ان ما بين
طرفي جهنم مسيرة اربعين سن[illegible] ينتهوا الى شجرة الزقوم • فانهم يقطعون في كل يوم سنة من السنين
ينكلونها قد تنكبنا وتو[illegible] باسقاط الهمزة المجتلبة لوقوعها في الدرج • وباظهار الذال
وقري بادغامها في التاء عند[illegible] خبرا ووعدا بما تزعمون فان ما تدعون لا يكون الا بناء على وعد
قوي • وذلك عبر عنه بالعهد[illegible] الله سبحانه • الفا فصيحة معربة عن شرط محذوف • كما في قول
من قال قالوا خراسان اقص[illegible] ثم القفول • فقد جينا خراسانا اي ان كان ذلك الامر
لذلك • فلن يخلفه والجملة ا[illegible] • واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم • فان عدم الاخلاف
من قضية الالوهية • واظهار[illegible] افا الى ضميره عز وجل • وعلى ما ذكر ولان المراد به جميع عهوده
ولعمومه بالاضافة • ويندرج[illegible] العهود دخولا اوليا • وفيه تجاف عن التصريح بتحقق مضمون
كلامه • وان كان متعلقا بما لم يكد يشم رايحة الوجود قطعا اعني اتخاذ العهد **ام تقولون** مفترين
على الله ما لا تعلمون وقوعه وانما علق التوبيخ باسنادهم اليه سبحانه ما لا يعلمون • وقوعه مع ان ما
اسندوه اليه تعالى من قبيل ما يعلمون عدم وقوعه للمبالغة في التوبيخ والتنكير • فان التوبيخ على الادنى
مستلزم للتوبيخ على الاعلى بالطريق الاولى • وقولهم الحكي وان لم يكن تصريحا بالافتراء عليه سبحانه لكنه
مستلزم له لا محالة لان ذلك الجزم لا يكون الا باسناد سببه اليه تعالى وام اما متصلة والاستفهام
للتقرير المودي الى التبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير كانه قيل اولم تتخذوا فيه بل تتقولون عليه تعالى
واما منقطعة والاستفهام لانكار الاتخاذ ونفيه ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ
بالانكار على اتخاذ العهد الى ما تفيده همزتها من التوبيخ على التقول على الله سبحانه كما في قوله عز وعلا
قل الله اذن لكم ام على الله تفترون **بلى** اي اخر جواب من لوطهم الحكي وابطال له من جهته تعالى •
وبيان لحقيقة الحال تفصيلا في ضمن تشريع كلي شامل لهم ولسائر الكفرة بعد اظهار كذبهم اجمالا
وتعريض ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم لما ان المحاجة والالزام من وظايفه عليه الصلاة والسلام
مع ما فيه من الايذان بانه امر بين لا يتوقف على التوقيف وبلى حرف ايجاب مختص بجواب النفي خبرا واستفهاما
من كسب سيئة فاحشة من السيئات اي كبيرة من الكباير كما هو دأب هولاء الكفرة والكسب استجلاب النفع
وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب اليم **واحاطت به** من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من
قلبه ولسانه وجوارحه الا وقد اشتملت واستولت **خطيئته** التي كسبها وصارت خاصة من خواصه
كما ينبي عنه الاضافة اليه وذلك انما يتحقق في الكافر ولذلك فسرها السلف بالكفر حسبما اخرجه
ابن ابي حاتم عن ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم وابن جرير عن ابي وائل ومجاهد وقتادة
وعطاء والربيع • وقيل السيئة الكفر • وقيل الخطيئة الكبيرة • وقيل بالعكس • وقيل الفرق
بينهما ان الاولى قد تطلق على ما يقصد بالذات والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض لانها من الخطا
وقري خطيته وخطيته على القلب والادغام فيهما وخطياته وخطاياه • وفي ذلك ايذان بكثرة فنون
كفرهم **فاولئك** مبتدا **اصحاب النار** خبره والجملة خبر للمبتدا المتضمن معنى الشرط • وايراد اسم الاشارة
المنبي عن استحضار المشار اليه بما له من الاوصاف للاشعار بعليتها لاصحاب النار • وما فيه من معنى البعد
للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والخطايا وانما اشير اليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى في كلمة من

يعد

بعد مراعاة جانب اللفظ في الضماير الثلاثة لما ان ذلك هو المناسب لما اسند اليهم في تينك الحالتين
فان كسب السيئة واحاطة الخطيئة به في حالة الافراد وصاحبية النار في حالة الاجتماع اي اولئك
الموصوفون بما ذكر من كسب السيئات واحاطة خطاياهم بهم اصحاب النار اي ملازموها في الاخرة حسب
ملازمتهم في الدنيا لما يستوجبها من الاسباب التي من جملتها ما هم عليه من تكذيب ايات الله تعالى ومن
كلامه والافتراء عليه وغير ذلك • وانما لم يتعرض لجواب الجزم بان يقال مثلا بلى انهم اصحاب النار الى اخره
لما في التعرض من التهويل وبيان الحكم بالبرهان • والدليل مع ما فيه من قضية الاعتبار بالتقليل **هم**
فيها خالدون دائما ابدا فاين هم من التفصي عنها بعد سبعة ايام او اربعين كما زعموا فلا حجة في الاية
الكريمة على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكا[illegible] حاجة الى حمل الخلود على اللبث الطويل
على ان فيه تهوين الخطب في مقام التهويل **والذين امنوا وعملوا ال**[illegible] **اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون** جرت السنة
الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما تقتضيه الحكمة في ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب
اخرى والتبشير مرة والانذار اخرى **واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل** شروع في تعداد بعض اخر من قبائح اسلاف
اليهود مما ينادي بعدم ايمان اخلافهم وكلمة اذ نصب باضمار فعل خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين
ليتوجهم التاملين في احوالهم الى قطع الطمع في ايمانهم او اليهود الموجودون في عهد النبوة توبيخا لهم
بسوء صنيع اسلافهم • اي اذكروا اذ اخذنا ميثاقهم **لا تعبدون الا الله** على ارادة القول • اي
وقلنا او قائلين لا تعبدون الى اخره وهو اخبار في معنى النهي • كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد
وكما تقول تذهب الى فلان وتقول له كيت وكيت وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي حقه
ان يسارع الى الانتهاء عما نهي عنه فكانه انتهى عنه فيخبر به الناهي • ويويده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا
عليه • وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف الناصب ورفع الفعل كما في قوله •
• الا ايها الزاجري احضر الوغى • وان اشهد اللذات هل انت مخلدي •
ويعضده قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار • وقيل انه جواب قسم
دل عليه المعنى كانه قيل وحلفنا لهم لا تعبدون الا الله • وقرئ بالياء لانهم غيب **وبالوالدين احسانا**
متعلق بمضمر اي وتحسنون او احسنوا **وذي القربى واليتامى والمساكين** عطف على الوالدين ويتامى جمع
يتيم كندامى جمع نديم ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر اسكنه من الحراك واثخنه عن التقلب
وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا سماه حسنا للمبالغة • وقرئ كذلك حسنا بضمتين وهي لغة اهل الحجاز
وحسنى كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد **واقيموا الصلاة واتوا الزكاة** مما فرض عليهم في شريعتهم
ثم توليتم ان جعل ظرفا ناصبا لاذ فخطابا للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنين فهو التفات
الى خطاب بني اسرائيل جميعا بتغليب اخلافهم على اسلافهم لجريان ذكرهم حينئذ على نهج الغيبة فان
الخطابات السابقة لاسلافهم محكية داخلة في حيز القول المقدر • وقيل لا تعبدون كانهم
استحضروا عند ذكر جناياتهم فنعيت عليهم • وان جعل خطابا لليهود المعاصرين لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فهذا التعميم للخطاب بتنزيل الاسلاف منزلة الاخلاف كما انه تعميم للتولي بتنزيل
الاخلاف منزلة الاسلاف للتشديد في التوبيخ اي اعرضتم عن المضي على مقتضى الميثاق ورفضتموه
الا قليلا منكم وهم من الاسلاف من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن الاخلاف من
اسلم كعبد الله بن سلام واضرابه **وانتم معرضون** جملة تذييلية اي وانتم قوم عادتكم

الاعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق • واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة والاقبال
الى جانب العرض • واذ اخذنا ميثاقكم خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر من التغليب ونعي عليهم اخلالهم
بموجب الميثاق المأخوذ منهم في حقوق العباد على طريقة النهي اثر بيان ما فعلوا بالميثاق المأخوذ
منهم في حقوق الله سبحانه وتعالى وما يجري مجراها على سبيل الامر • فان المقصود الاصلي من
النهي عن عبادة غير الله سبحانه وتعالى هو الامر بتخصيص العبادة به سبحانه وتعالى وما يجري مجراه
على سبيل الامر مشفوعا بنهي معين • اي واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم في التوراة • وقوله تعالى
لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم كما سبق اخبار في معنى النهي غير السيان اليه لما ذكر من
نكتة المبالغة والمراد به النهي الشديد عن تعرض بعض بني اسرائيل لبعض بالقتل والاجلاء والتعبير
عن ذلك بسفك دماء انفسهم واخراجها من ديارهم بناء على جريان كل واحد منهم مجرى انفسهم لما بينهم من
الاتصال القوي نسبا ودينا للمبالغة في الحمل على مراعاة حقوق الله تعالى الميثاق بتصوير المنهي عنه
بصورة تكرهها كل نفس وتنفر منها الطبيعة فضمير انفسكم للمخاطبين حتما اذ به يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم
كما ان ضمير دياركم للمخرجين قطعا • اذ المحذور انما هو اخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين من حيث
انهم مخاطبون كما يقع عنه ما سيأتي من قوله تعالى من ديارهم • واما الخطاب ههنا فباعتبار تنزيل ديارهم
منزلة ديار المخاطبين بناء على تنزيل انفسهم منزلتهم لتاكيد المبالغة وتشديد التشنيع واما ضمير
دماءكم فيحتمل الوجهين مفاد الاول كون المسفوك دماء غايبة للمخاطبين حقيقة ومفاد الثاني
كونه دماء حقيقية ومفاد الثاني كونه دماء حقيقية للمخاطبين ادعاء وهما متقاربان في افادة المبالغة
فتدبر واما ما قيل من ان المعنى لا تباشروا ما يؤدي الى قتل انفسكم قصاصا او ما يبيح سفك دمائكم
واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة الابدية فانه القتل في الحقيقة
ولا تقترفوا ما تحرمون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي فمما لا يساعده سياق النظم الكريم
بل هو نص فيما قلناه كما ستقف عليه • ثم اقررتم اي بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه • وانتم تشهدون
توكيد للاقرار كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه • وقيل وانتم ايها الحاضرون تشهدون اليوم على
اقرار اسلافكم بهذا الميثاق • ثم انتم هؤلاء خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ وتشديد واستبعاد قوي
لما ارتكبوه بعد ما كان من الميثاق والاقرار به والشهادة عليه • فانتم مبتدأ وهؤلاء خبره
ومناط الافادة اختلاف الصفات المنزل منزلة اختلاف الذات • والمعنى انتم بعد ذلك
هؤلاء المشاهدون الناقضون المتناقضون حسبما يعرب عنه الجمل الآتية • فان قوله عز وجل تقتلون
انفسكم بيان له وتفصيل لاحوالهم الظاهرة والباطنة المنكرة المنبئة عن خبث الاشارة
ضمنا كانهم قالوا كيف نحن فقيل تقتلون انفسكم اي الجارين مجرى انفسكم كما اشير اليه • وقرئ
تقتلون بالتشديد للتكثير • وتخرجون فريقا منكم لغيرهم اما للمخاطبين والمضاف محذوف •
واما للمقتولين • والخطاب باعتبار انهم جعلوا انفس المخاطبين والافراد لتحقق التكافؤ بين القتلى
والمخرجين في ذلك العنوان الذي عليه يدور فلك المبالغة في تاكيد الميثاق حسبما نص عليه
ولا يخل بذلك قباحة جنايتهم في نقضه • من ديارهم الضمير للفريق • وايثار الغيبة مع جواز الخطاب
ايضا بناء على اعتبار العنوان المذكور كما مر في الميثاق للاحتراز عن توهم كون المراد من الميثاق
اخراجهم من ديار المخاطبين من حيث هي ديارهم لا من حيث هي ديار المخرجين وقيل هو موصول والجملة

في

في حيز الصلة والمجموع هو الخبر • تظاهرون عليهم بحذف احدى التاءين • وقرئ باثباتها
وبالادغام وتتظاهرون بطرح احدى التاءين من تتظهرون • ومعنى الكل تتعاونون وهي حال من فاعل
تخرجون بطريق الاصالة والاستقلال دون المظاهرة والمعاونة بالاثم متعلق بتظاهرون حال من فاعل
اي ملتبسين بالاثم • وهو الفعل الذي يستحق فاعله الذم واللوم • وقيل ما هو تنفر عنه النفس
ولا يطمئن اليه القلب والعدوان وهو التجاوز في الظلم • وان ياتوكم اسارى جمع اسير وهو من يؤخذ قهرا فعيل
بمعنى مفعول من الاسر اي الشد او جمع اسرى • وهو جمع اسير كجرحى وجريح • وقد قرئ اسرى • ومحله
النصب على الحالية تفدوهم اي تخرجوهم من الاسر باعطاء الفداء • وقيل تفادوهم قال السدي ان الله
تعالى اخذ على بني اسرائيل في التوراة ان لا يقتل بعضهم بعضا • ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم • وايما عبد
او امة وجدتموه من بني اسرائيل فاشتروه واعتقوه • وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء
الخزرج • حين كان بينهما ما كان من العداوة والشنآن • فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه • فاذا غلبوا
خربوا ديارهم واخرجوهم منها ثم اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا يفدونه • فعيرتهم العرب
وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم • فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان
نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة • وهو محرم عليكم اخراجهم هو ضمير الشان وقع مبتدأ ومحرم خبره
ضمير قام مقام الفاعل وقع خبرا عن اخراجهم والجملة خبر لضمير الشان • وقيل محرم خبر لضمير الشان
واخراجهم مرفوع على انه مفعول ما لم يسم فاعله • وقيل الضمير مبهم يفسره اخراجهم او راجع الى ما يدل
عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيد او بيان والجملة حال من الضمير في تخرجون او من فريقا او منهما
كما بعد اعتبار التقييد بالحال السابقة • وتخصيص بيان الحرمة ههنا بالاخراج مع كونه قرينا للقتل
عند اخذ الميثاق لكونه مظنة للمساهلة في امره بسبب قلة خطره بالنسبة الى القتل • ولان مساق
الكلام لذمهم وتوبيخهم على جناياتهم وتناقض افعالهم معا وذلك مختص بصورة الاخراج حيث لم ينقل
عنهم تدارك القتلى بشيء من دية وهو السر في تخصيص التظاهر به فيما سبق • واما تأخيره عن الفدية
المفروضة مع ان حقه التقدم كما ذكره الواحدي فلأن نظم افاعيلهم المتناقضة في سمط واحد
من الذكر ادخل في اظهار بطلانها افتؤمنون ببعض الكتاب اي التوراة التي اخذ فيها الميثاق المذكور
والهمزة للانكار التوبيخي • والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام اي تفعلون ذلك فتؤمنون ببعض
الكتاب وهو المفاداة وتكفرون ببعض وهو حرمة القتال والاخراج مع ان من قضية الايمان ببعضه
الايمان بالباقي لكون الكل من عند الله داخلا في الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع ايمانهم بالبعض فيه
حسبما يفيده ترتيب النظم الكريم • فان التقدير يستدعي في المقام الخطابي اصالة المقدم وتقدمه بوجه
من الوجوه حتما واذ ليس ذلك ههنا باعتبار الانكار والتوبيخ عليه فهو باعتبار الوقوع قطعا لا لايمانهم وكفرهم
بالبعض وايمانهم بالبعض كما يفيده ان يقال افتجمعون بين الايمان ببعض الكتاب والكفر ببعض او بالعكس
فما جزاء من يفعل ذلك منكم ما نافية من ان جعلت موصولة فلا محل ليفعل من الاعراب • وان جعلت
موصوفة فمحله الجر على انه صفتها وذلك اشارة الى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان ببعض او الى
ما فعلوا من القتل والاجلاء مع مفاداة الاسارى منكم حال من فاعل يفعل الا خزي استثناء
وقع خبرا للمبتدا والخزي الذل والهوان مع الفضيحة والتنكير للتفخيم • وهو قتل بني قريظة واجلاء
بني النضير الى اذرعات واريحا من الشام • وقيل الجزية في الحياة الدنيا في حيز الرفع على انه صفة
خزي اي خزي كائن في الحياة الدنيا او في حيز النصب على انه ظرف لنفس الخزي ولعل بيان جزائهم

بطريق التعقيب على ما ذكر لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب واظهار انه لا اثر له اصلا
مع الكفر ببعض ويوم القيمة يردون وقرئ بالياء وتوصيفه الجمع نظرا الى معنى من بعد ما اوثر الافراد
نظرا الى لفظها لما ان الرد انما يكون بالاجتماع الى اشد العذاب لما ان معصيتهم اشد المعاصي وقيل
اشد العذاب بالنسبة الى ما لهم في الدنيا من الخزي والصغار وانما غير سبك النظم الكريم حيث لم يقل مثلا
واشد العذاب يوم القيمة للايذان بكمال التنافي بين حالي النشأتين وتقديم يوم القيمة على ذكر
ما يقع فيه لتهويل الخطب وتفظيع الحال من اول الامر وما الله بغافل عما يعملون من القبائح التي من
جملتها هذا المنكر وقرئ بالياء على ان يردون وهو تأكيد للوعيد اولئك الموصوفون بما ذكر من
الاوصاف القبيحة وهو مبتدأ قوله تعالى الذين اشتروا اي آثروا الحيوة الدنيا واستبدلوها بالآخرة
واعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فان ما ذكر من الحكم ببعض احكام الكتاب انما كان لمراعاة ذلك
جانب حلفائهم لما يعود اليهم منهم من بعض المنافع الدنية الدنيوية فلا يخفف عنهم العذاب دنيويا
كان او اخرويا ولا هم ينصرون بدفعه عنهم شفاعة او جبرا والجملة معطوفة على ما قبلها عطف الاسمية
على الفعلية او ينصرون مفسر لمحذوف قبل الضمير فيكون من عطف الفعلية على مثلها ولقد آتينا
موسى الكتاب شروع في بيان بعض آخر من جناياتهم وتصديره بالجملة القسمية لاظهار كمال
الاعتناء به والمراد بالكتاب التوراة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان التوراة لما نزلت جملة واحدة
امر الله عز وجل وعلا موسى عليه السلام بحملها فلم يطق ذلك فبعث بكل حرف منها ملكا فلم
يطيقوا حملها فخففها الله لموسى عليه السلام فحملها وقفينا من بعده بالرسل يقال قفاه به
اذا اتبعه اياه اي ارسلناهم على اثره كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترا وهم يوشع واشمويل
وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى
وغيرهم عليهم السلام وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات من احياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالسريانية ايشوع ومعناه المبارك ومريم
بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه
ضليل اهواء الصبا تندمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه اي قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس
بضم الدال وقرئ بسكونها اي بالروح المقدسة وهو روح عيسى عليه السلام كقولك حاتم الجود ورجل
صدق وانما وصفه بالقدس للكرامة او لانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث
وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما في القرآن روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم
الذي كان يحيي الموتى بذكره وتخصيصه من بين الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفه بما ذكر من ايتاء
البينات والتأييد بروح القدس لان بعثتهم كانت لتنفيذ احكام التوراة وتقريرها واما عيسى
عليه السلام فقد نسخ بشرعه كثير من احكامها ولحسم مادة اعتقادهم الباطل في حقه عليه السلام ببيان
حقيقته واظهار كمال قبح ما فعلوا به عليه الصلاة والسلام افكلما جاءكم رسول من قبل الرسل
بما لا تهوى انفسكم من الحق الذي لا محيد عنه اي لا تحبه من هوي كرضي هوى اذا احب والتعبير عنه
بذلك للايذان بان مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة لاهواء انفسهم والموافقة لها لا شيء
آخر وتوسيط الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من الافعال السابقة لتوبيخهم على تعقيبهم ذلك بهذا
وللتعجيب والتعجب من شأنهم ويجوز كون الفاء للعطف على مقدر يناسب المقام اي الم تطيعوهم فكلما جاءكم

رسول

رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم عن الاتباع والايمان بما جاء به من عند الله ففريقا منهم
كذبتم من غير ان تتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار والفاء للسببية او للتعقيب وفريقا آخر منهم تقتلون
غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام وتشويق
السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر وايثار صيغة الاستقبال في القتل لاستحضار صورته الهائلة وللايذان
بانهم بعد على تلك النية حيث هموا بالرسول لولا من جهته عليه الصلاة والسلام وسحروه وسموا له
الشاة حتى قال صلى الله عليه وسلم ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري
وقالوا بيان لفن آخر من قبائحهم على طريق الالتفات الى الغيبة اشعارا بابعادهم عن رتبة الخطاب لما
فصل من مخازيهم الموجبة للاعراض عنهم لكل من يفهم بطلانها وقبحها من اهل الحق والقائلون
هم الموجودون وحكاية نظائرها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم قلوبنا غلف جمع اغلف مستعار
من الاغلف الذي لم يختن اي هي مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم ولا تفقهه كقوله تعالى قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف ويؤيده
ما روي عن ابي عمرو من القراءة بضمتين يعنون ان قلوبنا اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره
قاله ابن عباس وعطاء رضي الله عنهما وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا لا يصل اليه حديث الا وعته
ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوه وتكذيب لهم في ذلك والمعنى
على الاول بل ابعدهم الله سبحانه عن رحمته بان خذلهم وخلاهم وشأنهم بسبب كفرهم العارض
وابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة وكونهم بحيث لا تنفعهم الالطاف اصلا بعدما خلقهم
على الفطرة والتمكن من قبول الحق وعلى الثاني بل ابعدهم من رحمته فاين لهم ادعاء العلم الذي هو
اجل آثارها وعلى الثالث بل ابعدهم من رحمته فلذلك لا يقبلون الحق المؤدي اليها فقليلا
ما يؤمنون ما مزيدة للمبالغة اي فايمانا قليلا ما يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل فزمانا
قليلا يؤمنون وهو ما قالوا آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره وكلاهما
ليس بايمان حقيقة وقيل اريد بالقلة العدم والفاء للسببية ولما جاءهم كتاب هو القرآن
وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل من عند الله اي كائن من عنده للتشريف مصدق لما معهم
من التوراة عبر عنها بذلك لما ان المعية من موجبات الوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى
العلم بكونه مصدقا لها وقرئ مصدقا على انه حال من كتاب لتخصيصه بالوصف وكانوا من قبل
اي من قبل مجيئه يستفتحون على الذين كفروا اي وقد كانوا قبل مجيئه يستنصرون به على المشركين
ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لهم
قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم قال ابن عباس وقتادة
والسدي نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل مبعثه وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم بان نبيا يبعث منهم
قد قرب اوانه والسين للمبالغة كما في استعجب اي يسألون من انفسهم الفتح عليهم او يسأل بعضهم
بعضا ان يفتح عليهم وعلى التقديرين فالجملة حالية مفيدة لكمال مكابرتهم وعنادهم وقوله
عز وعلا فلما جاءهم تكرير للاول لطول العهد بتوسط الجملة الحالية وقوله تعالى ما عرفوا
عبارة عما سلف من الكتاب لان معرفة من انزل هو عليه معرفة له والاستفتاح به استفتاح به

به وايراد الموصول دون الاكتفا بالاضمار لبيان كمال المكابرة منهم فان معرفة ما جاءهم من مبادي
الايمان به ودواعيه لا محالة والفا الثانية للدلالة على تعقيب مجيئه للاستفتاح به من غير ان يتخلل
بينهما مدة متسعة ٥ وقوله تعالى كفروا به جواب لما الاولى كما هو راي المبرد وجوابهما معا كما قاله
ابو البقاء ٥ وقيل جواب الاولى محذوف للدلالة المذكور عليه فيكون قوله تعالى وكانوا
الى اخره جملة معطوفة على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد بما عرفوا النبي صلى
الله عليه وسلم كما هو المراد بما كانوا يستفتحون به بمن انزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي
الذي عرفوه كفروا به فلعنة الله على الكافرين اللام للعهد اي عليهم ووضع المظهر موضع المضمر
للاشعار بان حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما ان الفا للايذان بترتبها عليه او للجنس
وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ الكلام فيهم وايا ما كان فهو تحقيق مضمون قوله بل لعنهم الله
بكفرهم بئس ما اشتروا به انفسهم ما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس واشتروا صفته اي بئس
شيئا باعوا به انفسهم ٥ وقيل اشتروا وهما به في زعمهم حيث يعتقدون انهم بما فعلوا خلصوا انفسهم من العقاب
وايا ما كان فلابد ان يكون المذموم ما كان خاصا لهم لا ما كان زائلا عنهم والمخصوص بالذم قوله
ان يكفروا بما انزل الله اي بالكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيقته وتبديل الانزال بالمجي
للايذان بعلو شانه الموجب للايمان به بغيا حسدا او طلبا لما ليس لهم وهو علة لان يكفروا
دون اشتروا والماقبل من الفصل بما هو اجنبي بالنسبة اليه وان لم يكن اجنبيا بالنسبة الى الزم
وفاعله ولان البغي مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعا لا سيما وهو معلل بما سياتي من تنزيل الله تعالى
من فضله على من يشاء وانما الذي يليه ويليق به عنوانه هو كفرهم بما انزل الله ٥ والمعنى بئس شيئا
باعوا به انفسهم كفرهم المعلل بالبغي الكاين ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء اي
ينافي تبعيضه من عباده المتاهلين لتحمل اعبا الرسالة ومآله تعليل كفرهم بالمنزل بحسدهم
للمنزل عليه وايثار صيغة التفعيل همنا للايذان بتجدد بغيهم حسب تجدد الانزال وتكثره حسب
تكثره فباءوا بغضب على غضب اي رجعوا ملتبسين بغضب كاين في غضب مستحقين حسبما اقترفوا من كفر على
كفر فانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه ٥ وقيل كفروا بمحمد عليه الصلاة والسلام بعد عيسى عليه السلام
او قبل بعد قولهم عزير ابن الله ٥ وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم وللكافرين اي لهم
والاظهار في موضع الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم عذاب مهين يراد به اهانتهم واذلالهم
لما ان كفرهم بما انزل الله تعالى كان مبنيا على الحسد المبني على جمع الدول عليهم وادعا الفضل على الناس
والاستهانة بمن انزل عليه عليه الصلاة والسلام واذا قيل لهم من جانب المؤمنين اي لليهود وتقديم
الجار والمجرور قد مر وجهه لا سيما في لام التبليغ امنوا بما انزل الله اي بجميع الايمان من الكتب
الالهية جميعا والمراد به الامر بالايمان بالقرآن لكن سلك مسلك التعميم ايذانا بتحتم الامتثال
من حيث مشاركته لما امنوا به فيما في حيز الصلة وموافقته له في المضمون وتنبيها على ان الايمان بما
عداه من غير ايمان به ليس بايمان بما انزل الله قالوا نؤمن اي نستمر على الايمان بما انزل علينا يعنون به
التوراة وما انزل على انبياء بني اسرائيل عليهم السلام لتقرير حكمها ويدسون فيه ان ما عداه
غير منزل عليهم ومرادهم بضمير المتكلم اما انفسهم فمعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الاحكام
واما انبياء بني اسرائيل عليهم السلام وهو الظاهر لاشتماله على مزية الايذان بان عدم ايمانهم

بالفرقان

بالفرقان لما مر من بغيهم وحسدهم فيكون وله على من ليس منهم ولان مرادهم بالموصول وان كان هو
التوراة وما في حكمها خاصة لكن عبروا عنها بمراد الانزال عليهم مبني على ادعا ان ما عداها ليس كذلك
على وجه التعريض كما اشير اليه فلو اريد بالانزال عليهم ما ذكر من تكليفهم لكثر من مخالفة المراد
لما انزل عليه حسبما يعرب عنه قوله عز وجل ويكفرون بما وراءه على كونهم مكلفين بما فيه كما
يؤذن به كونه نازلا على واحد من بني اسرائيل على الوجه الاخير وتجريد الموصول عن الانزال عليهم لتعميم
به بعنوان لا يخفى ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به
وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو امامه والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدا
اي قالوا ما قالوا وهم يكفرون بما عداه وليس المراد مجرد بيان ان ايمانهم بما انزل عليهم بل
لنفي ايمانهم بما وراءه بل بيان ان ما يدعون من الايمان ليس بايمان بما انزل عليهم حقيقة فان قوله
عز اسمه وهو الحق اي المعروف بالحقية الحقيق بان يخص به اسم الكتاب الحق على الاطلاق حال من
فاعل يكفرون ٥ وقوله تعالى مصدقا حال مؤكدة لمضمون الجملة مقررة اما فيه الحق وعاملها
ما فيه من معنى الفعل قاله ابو البقاء واما مضمر اي الجملة وعاملها فعل مضمر اي احقه مصدقا
لما معهم من التوراة والمعنى قالوا نؤمن بما انزل علينا وهم يكفرون بالقرآن والحال انه حق مصدق
لما امنوا به فيلزمهم الكفر بما امنوا به ومآله انهم ادعوا الايمان بالتوراة والحال انهم يكفرون
بما يلزم من الكفر به الكفر بها قل تبكيتا لهم من جهة الله عز وجل ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم
بعد بيان التناقض في اقوالهم فلم اصله لما حذفت عنه الالف فرقا بين الاستفهامية والخبرية
تقتلون انبياء الله من قبل الخطاب للحاضرين من اليهود والماضين على طريق التغليب وحيث
كانوا مشاركين في العقد واعل كان الاعتراض على اسلافهم اعتراضا على اخلافهم وصيغة الاستقبال
لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف اي قل لهم ان كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعمون فلاي شي
كنتم تقتلون انبياء الله من قبل وهو فيها حرام ٥ وقرئ انبياء الله مهموزا وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين
تكرير للاعتراض لتاكيد الالزام وتشديد التهديد اي ان كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم وقد حذف
من كل واحدة من الشرطيتين ما حذف ثقة بما اثبت في الاخرى ٥ وقيل لا حذف فيه بل تقدم الجواب
على الشرط وذلك لا يتاتى الا على راي الكوفيين وابي زيد ٥ وقيل ان نافية اي ما كنتم مؤمنين
والا لما قتلتموهم ولقد جاءكم موسى بالبينات من تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الامر لتكريره
لما وصى في ثنايا تعديد النعم التي من جملتها العفو عن عبادة العجل واللام للقسم اي وبالله لقد
جاءكم موسى ملتبسا بالمعجزات الظاهرة التي هي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والدم
والطوفان والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقد عد منها التوراة وليس بواضح فان المجي
بها بعد قصة العجل ثم اتخذتم العجل الها من بعده اي من بعد مجيئه بها او من بعد ذهابه الى الطور
ثم للتراخي في الرتبة والدلالة على نهاية قبح ما صنعوا وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين
بعبادته واضعين لها في غير موضعها او بالاخلال بحقوق آيات الله تعالى او اعتراض اي وانتم قوم
عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم توبيخ من جهة الله تعالى وتكذيب لهم في ادعائهم الايمان بما انزل
عليهم بتذكير جناياتهم الناطقة بتكذيبهم اي اذكروا حين اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
قائلين خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي حقا واطلاع ما امرتم به في التوراة واسمعوا اطاعة سماع طاعة

ذ قبول تعالى استئناف مبني على سؤال السائل كأنه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك
فإذا قابلوا اسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم تلك المعجزة الباهرة مع مثل هذه العظيمة
الشنعاء وكفروا بآياتي تضاعيف التوراة فكيف يتصور من اخلافهم الايمان بما فيها وأشربوا في قلوبهم العجل
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للمبالغة اي تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته
لفرط شغفهم به وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم
بيان لمكان الاشراب كما في قوله تعالى انما يأكلون في بطونهم نارا والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير
قد بكفرهم بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه
فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل توبيخا لحاضري اليهود اثر ما بين احوال رؤسائهم الذين
بهم يقتدون في كل ما يأتون وما يذرون بئسما يأمركم به ايمانكم بما انزل عليكم من التوراة حسبما تدعونه
والمخصوص بالذم محذوف اي ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفي اسناد الامر الى
الايمان تهكم بهم واضافة الايمان اليهم للايذان بأنه ليس بايمان حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى
ان كنتم مؤمنين فانه قدح في دعواهم الايمان بما انزل عليهم من التوراة وابطال لها وتقريره ان
كنتم مؤمنين بها فما امركم بها ما ذكر من القول والعمل بما فيها فبئسما يأمركم به ايمانكم بها واذ لا يسوغ
الايمان بها مثل تلك القبائح فلستم بمؤمنين بها قطعا وجواب الشرط محذوف كما اشير اليه لدلالة ما سبق
عليه قل ان لم الامر مع قرب العهد بالامر السابق لما انه امر تبكيتي غير الاول وكذبهم في فن آخر من اباطيلهم
لكنه لم يحك عنهم قبل الامر بابطاله بل اكتفي بالاشارة اليه في تضاعيف الكلام حيث قيل ان كانت
لكم الدار الآخرة اي الجنة او نعيم الدار الآخرة عند الله خالصة اي سالمة لكم خاصة بكم كما تدعون
انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى على الحالية من الدار وعند ظرف للاستقرار اي في الجنة
اي الحكم وقوله تعالى من دون الناس في محل النصب بخالصة يقال خلص لي كذا من كذا واللام للجنس اي
الناس كافة او للعهد اي المسلمين فتمنوا الموت فإن من ايقن بدخول الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول
اليها من دار البوار وقرارة الاكدار لاسيما اذا كانت له خالصة كما قال علي كرم الله وجهه لا أبالي
أسقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بن ياسر بصفين الآن ألاقي الأحبة محمدا وحزبه وقال
حذيفة بن اليمان حين احتضر وقد كان يتمنى الموت قبل جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على
التمني وقوله تعالى ان كنتم صادقين تكرير للكلام لتشديد الالزام وللتنبيه على ان ترتب الجواب
ليس على تحقق الشرط في نفس الامر فقط بل في اعتقادهم ايضا وانهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة
بدلالة ما سبق عليه اي ان كنتم صادقين فتمنوه وقوله تعالى ولن يتمنوه ابدا كلام مستأنف غير
داخل تحت الامر سيق من جهته سبحانه لبيان ما يكون منهم من الاحجام عما دعوا اليه الدال على كذبهم
في دعواهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي عليه السلام
والقرآن وتحريف الكلم ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة صنائعه ومدار اكثر
منافعه عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين اي بهم وايثار الاظهار
على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في جميع الامور التي من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه
عن غيرهم والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي
المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم

موته احد اذ لو وقع لنقل واشتهر وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان
بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض ولتجدنهم احرص الناس من الوجدان العقلي
وهو جار مجرى العلم خلا انه مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها ومفعولاه الضمير واحرص والتنكير
في قوله تعالى على حياة للايذان بان المراد بها نوع خاص منها وهي الحياة المتطاولة وقرئ
بالتعريف ومن الذين اشركوا عطف على ما قبله بحسب المعنى كأنه قيل احرص من الناس ومن
الذين اشركوا وافراده بالذكر مع دخولهم في الناس للايذان بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص
للمبالغة في توبيخ اليهود فان حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان اشد من حرص المشركين المنكرين
له دل ذلك على جزمهم بمصيرهم الى النار ويجوز ان يحمل على حذف المعطوف ثقة بانباء المعطوف عليه
عنه اي واحرص من الذين اشركوا فقوله تعالى يود احدهم بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف
ويجوز ان يكون في حيز الرفع صفة لمبتدأ محذوف خبره الظرف المتقدم على ان يكون المراد
بالمشركين اليهود لقولهم عزير ابن الله اي ومنهم طائفة يود احدهم اي كل واحد منهم
لو يعمر الف سنة وهو حكاية لودادتهم كأنه قيل ليتني اعمر وانما اجري على الغيبة لقوله تعالى يود
كما يقول حلف بالله ليفعلن ومحل النصب على انه مفعول يود اجراء له مجرى القول لانه فعل قلبي
وما هو بمزحزحه من العذاب ما حجازية والضمير العائد الى احدهم اسمها وبمزحزحه خبرها والباء مزيدة
وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه اي يبعده وينجيه من العذاب
تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من المصدر وان يعمر بدل منه وقيل هو مبهم وان يعمر
مفسره والجملة حال من احدهم والعامل يود لا من ضمير يعمر لفساد المعنى او اعتراض
واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وسنيه وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت
النخلة اذا اتت عليها السنون والله بصير بما يعملون البصير في كلام العرب العالم بكنه الشيء
الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه اي عالم بخفيات اعمالهم فهو مجازيهم بها لا محالة وقرئ
بالخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا
من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن ينزل عليه بالوحي فقال عليه السلام
جبريل عليه السلام فقال هو عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وفي بعض الروايات ورسولنا
ميكائيل فلو كان هو الذي يأتيك لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان
بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل عليه السلام
وقال ان كان ربكم امركم بهلاكه فانه لا يسلطكم عليه والا فبأي حق تقتلونه وقيل امره الله تعالى
ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على
مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله
ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لشك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله عليه وسلم
وارى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل عليه السلام فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا
وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما عند الله تعالى قالوا
جبريل اقرب منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال عمر رضي الله عنه لئن كانا
كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو للآخر ومن كان

عدواً لنا كان عدو الله سبحانه فرجع عمر ووجد جبريل عليه السلام قد سبقه الوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لقد وافقك ربك يا عمر وقال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر وقرئ جبرئيل كسلسبيل وجبريل
كجرئل وجبرئيل وجبرائيل وجبراييل كجبراعيل وجبرال كجبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه
عبد الله فإنه نزله تعليل لجواب الشرط قائم مقامه والبارز الأول لجبريل عليه السلام والثاني للقرآن
أضمر من غير ذكر إيذاناً بفخامة شأنه واستغنائه عن الذكر لكمال شهرته ونباهته لاسيما عند ذكر شيء من صفاته
على قلبك زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحي فإنه القابل الأول لجبريل عليه السلام والثاني للقرآن
أضمر من غير ذكر كأنه أنا ومحل الفهم والحفظ وإيثار الخطاب على التكلم المبني على حكاية كلام الله تعالى
بعينه كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لما في النقل بالعبارة من زيادة تقرير
لمضمون المقالة بإذن الله بأمره وتيسيره مستعار من تسهيل الحجاب وفيه تلويح إلى كمال توجه جبريل عليه
السلام إلى تنزيله وصدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله وقوله تعالى مصدقاً لما بين يديه
أي من الكتب الإلهية التي معظمها التوراة حال من فاعل نزله وكذا قوله تعالى وهدى وبشرى للمؤمنين
والعامل في الكل نزله والمعنى من عادى جبريل من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته فإنه نزل
عليك كتاباً مصدقاً لكتبهم أو فالسبب في عداوته تنزيله لكتاب مصدق لكتابهم موافق له وهم له
كارهون ولذلك حرفوا كتابهم وجحدوا موافقته له لأن الاعتراف به يوجب الإيمان به وذلك يؤدي إلى
انتكاس أحوالهم وزوال رئاستهم وقيل إن الجواب فقد خلع ربقة الإنصاف أو فقد كفر بما معه من الكتاب
أو فليمت غيظاً أو فهو عدو لي وأنا عدو له من كان عدواً لله أريد بعداوته تعالى مخالفة أمره عناداً
والخروج عن طاعته مكابرة أو عداوة أخص خواصه ومقربيه لكن صدر الكلام بذكر الجليل تفخيماً لشأنهم
وإيذاناً بأن عداوتهم عداوته عز وعلا كما في قوله عز وجل والله ورسوله أحق أن يرضوه ثم صرح بالمرام
تفصيلاً وملائكته ورسله وجبريل وميكال وإنما أفردا بالذكر مع أنهما أول من يشمله عنوان الملك
لإظهار كمال فضلهما كأنهما عليهما السلام من جنس آخر أشرف مما ذكر تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير
في الجنس وللتنبيه على أن عداوة أحدهما عداوة للآخر حسماً لمادة اعتقادهم الباطل في حقهما حيث زعموا أنهما
متعاديان وللإشارة إلى أن معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستتباع العداوة من جهة الله سبحانه
وأن من عادى أحدهم فكأنما عادى الجميع وقوله تعالى فإن الله عدو للكافرين أي لهم جواب الشرط
والمعنى من عاداهم عاداه الله ورسوله وعاقبه أشد العقاب وإيثار الاسمية للدلالة على التحقق
والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر للإيذان بأن عداوة المذكورين كفر وأن ذلك بين لا يحتاج
إلى الإخبار به وأن مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لأشد العقوبة والعذاب هو كفرهم
المذكور وقرئ ميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئيل كميكعيل وميكئل كميكعل ولقد
أنزلنا إليك آيات بينات واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله عز وجل وما يكفر
بها إلا الفاسقون أي المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده فإن من ليس على تلك الصفة
من الكفرة لا يجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات قال الحسن رضي الله عنه إذا استعمل الفسق
في نوع من المعاصي وقع على أعظم أفراد ذلك النوع من كفر أو غيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن
صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك بها فنزلت
واللام للعهد أي الفاسقون المعهودون وهم أهل الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم أو للجنس

ومنهم

وهم داخلون فيه دخولاً أولياً أوكلما عاهدوا عهداً الهمزة للإنكار والواو للعطف على
مقدر يقتضيه المقام أي أكفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما عاهدوا عهداً أو من جملة
ذلك ما أشير إليه في قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا من قولهم للمشركين
قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم وقرئ بسكون الواو
على أن تقدير النظم الكريم وما يكفر بها إلا الذين فسقوا أو نقضوا عهودهم مراراً كثيرة
وقرئ عوهدوا وعهدوا وقوله تعالى عهداً إما مصدر مؤكد لعاهدوا من غير
لفظه أو مفعول به على أنه بمعنى أعطوا العهد نبذه فريق منهم أي رموا بالزمام ورفضوه
وقرئ نقضه وإسناد النبذ إلى فريق منهم لأن منهم من لم ينبذه بل أكثرهم لا يؤمنون
أي بالتوراة وهو رد لما يتوهم من أن الناشدين هم الأقلون وأن من لم ينبذه جهاراً فهم
يؤمنون بها سراً ولما جاءهم رسول هو النبي صلى الله عليه وسلم والتنكير للتفخيم من عند
الله متعلق بجاء أو بمحذوف وقع صفة لرسول لإفادة مزيد تعظيمه بتأكيد ما أفاده التنكير
من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية مصدق لما معهم من التوراة من حيث إنه صلى
الله عليه وسلم قرر صحتها وحقق حقية نبوة موسى عليه السلام بما أنزل عليه أو من حيث إنه
عليه الصلاة والسلام جاء على وفق ما نعت فيها نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب أي التوراة
وهم الذين كانوا في عهده عليه السلام كما قيل لأن النبذ عند مجيء النبي صلى الله عليه وسلم
لا يتصور ممن مضى منهم وإفراد هذا النبذ بالذكر مع اندراجه تحت قوله عز وجل أوكلما عاهدوا عهداً
نبذه فريق منهم لأنه معظم جناياتهم ولأنه تمهيد لذكر اتباعهم لما تتلوا الشياطين وإيثارهم
له عليه والمراد بإيتائها إما إيتاء علمها بالدراسة والحفظ والوقوف على ما فيها فالموصول عبارة
عن علمائهم وأما مجرد إنزالها عليهم فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين فوضعه موضع الضمير
للإيذان بكمال التنافي بين ما أثبت لهم في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ كتاب
الله أي الذي أوتوه قال السدي لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة فاتفقت
التوراة والفرقان فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق
القرآن فهذا قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله إلى آخره وإنما عبر عنها بكتاب الله
تشريفاً لها وتعظيماً لحقها عليهم وتهويلاً لما اجترؤوا عليه من الكفر بها وقيل كتاب الله القرآن
نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول لاسيما بعدما كانوا يستفتحون به من قبل فإن ذلك قبول له
وتمسك به فيكون الكفر به عند مجيئه نبذاً له كأنه قيل كتاب الله الذي جاء به فادحى الرسول
معرب من بني الكتاب وراء ظهورهم مثل لتركهم وإعراضهم عنه بالكلية مثل بما يرمى به وراء
الظهر استغناء عنه وقلة التفات إليه كأنهم لا يعلمون جملة حالية أي نبذوه وراء ظهورهم
متشبهين بمن لا يعلمه فإن أريد بهم أحبارهم فالمعنى كأنهم لا يعلمونه على وجه الإتقان ولا يعرفون
ما فيه من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ففيه إيذان بأن علمهم به رصين لكنهم يتجاهلون
أو كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله أو لا يعلمونه أصلاً كما إذا أريد بهم الكل وفي سنن الوجهين
زيادة مبالغة في إعراضهم عما في التوراة من دلائل النبوة هذا إن أريد بالنبذ وبكتاب
الله القرآن فالمراد بالعلم المنفي في قوله تعالى كأنهم لا يعلمون هو العلم بأنه كتاب الله ففيه ما في

الوجه الاول من الاشعار بانهم مستيقنون في ذلك وانما يكفرون به مكابرة وعنادا قيل ان جملة
اليهود اربع فرق • ففرقة امنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمومني اهل الكتاب وهم المومنون المشار
اليهم بقوله عز وجل بل اكثرهم لا يومنون • وفرقة جاهروا بنبذ العهود وتعدي الحدود
تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم • وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن
نبذوها لجهلهم بها وهم الاكثرون • وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم
المتجاهلون **واتبعوا ما تتلوا الشياطين** عطف على جواب لما اي نبذوا كتاب الله واتبعوا
كتب السحرة التي كانت تقرؤها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلوا حكاية حال ماضية
والمراد بالاتباع هو التوغل والتمحض فيه والاقبال عليه بالكلية والا فاصل الاتباع كان
حاصلا قبل مجي الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يتاتي عطفه على جواب لما ولذلك قيل هو معطوف
على الجملة وقيل على اشربوا **على ملك سليمان** اي في عهد ملكه قيل كانت الشياطين يسترقون
السمع ويضمون اليها سمعوا الاكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها الناس
وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان
وما تم له ملكه الا بهذا العلم وبه تحكم الانس والجن والطير والريح التي تجري بامره • وقيل
ان سليمان عليه السلام كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله بها تحت سرير ملكه فلما مضت
على ذلك مدة توصل اليه قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك اشيا من فنون السحر تناسب تلك
الاشيا المدفونة من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموا انه من علم
سليمان عليه السلام وانه ما بلغ هذا المبلغ الا بسبب هذه الاشيا **وما كفر سليمان** تنزيه
لساحته عليه السلام عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بانه كان يعتقده ويعمل به والتعرض
لكونه كفرا للمبالغة في اظهار نزاهته عليه السلام وكذب باهته بذلك **ولكن الشياطين**
وقرئ بتخفيف ورفع الشياطين والواو عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها واو لون الخفيفة
عند الجمهور للعطف اما مع عدم الواو وكون ما بعدها مفردا **كفروا** باستعمال السحر وتدوينه
يعلمون الناس السحر اغوا واضلالا والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير كفروا او من الشياطين
فان ما في لكن من رائحة الفعل كاف في العمل في الحال او في محل الرفع على انه خبر ثان للكن او بدل
من الخبر الاول وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار التعليم وتجدده او جملة مستانفة
هذا على تقدير كون الضمير للشياطين واما على تقدير رجوعه الى فاعل اتبعوا في اما حالية
منه واما استينافية ثم اعلم ان السحر انواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في
قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها هي المدبرة ومنها تصدر الخيرات
والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى
السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابراهيم عليه السلام لابطال مقالتهم
وهم ثلاث فرق • ففرقة منهم يزعمون ان الافلاك والنجوم واجبة الوجود
لذواتها وهم الصابية • وفرقة يقولون بالهية الافلاك ويتخذون لكل واحد منها
هيكلا ويشتغلون بخدمتها وهم عبدة الاوثان • وفرقة اثبتوا للافلاك والكواكب
فاعلا مختارا لكنهم قالوا ان الله تعالى اعطاها قوة عالية نافذة في هذا العالم وفوض

تدبيرها

تدبير الهيا ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية فانهم يزعمون ان الانسان تبلغ
روحه بالتصفية في القوة والتاثير الى حيث يقدر على الايجاد والاعدام والاحيا والاماتة
وتغيير البنية والشكل ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزايم وتسخير الجن
ومنها التخيلات الاخذة بالعيون وتسمى الشعوذة ولا خلاف بين الامة في ان من اعتقد
الاول فقد كفر • وكذا من اعتقد الثاني وهو سحر اصحاب الاوهام بالنفوس القوية • واما
من اعتقد ان الانسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزايم والرقى الى حيث يخلق الله سبحانه وتعالى
عقيب ذلك على سبيل جريان العادة بعض الخوارق فالمعتزلة اتفقوا على انه كافر لانه لا يمكنه
بهذا الاعتقاد معرفة صدق الانبيا والرسل بخلاف غيرهم • ولعل التحقيق ان ذلك الانسان
ان كان خيرا متشرعا في كل ما ياتي ويذر وكان ما يستعين به من الارواح الخيرة وكانت عزايمه
ورقاه غير مخالفة لاحكام الشريعة الشريفة ولم يكن فيما ظهر في يده من الخوارق ضرر شرعي
لاحد فليس ذلك من قبيل السحر وان كان شريرا غير متمسك بالشريعة الشريفة فظاهر ان من
يستعين به من الارواح الخبيثة الشريرة لا محالة ضرورة امتناع تحقق التضام والتعاون
بينهما من غير اشتراك في الخبث والشرارة فيكون كافرا قطعا واما الشعوذة وما يجري
مجراها من اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب الالات الهندسية وخفة اليد والاستعانة
بخواص الادوية والاحجار فاطلاق السحر عليها بطريق التجوز او لما فيها من الدقة لانه في
الاصل عبارة عن كل ما لطف ماخذه وخفي سببه او من العرف عن الجهة المعتادة لما انه
في اصل اللغة الصرف فيما حكاه الازهري عن الفراء ويونس **وما انزل على الملكين** عطف على
السحر اي ويعلمونهم ما انزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او هو نوع اقوى
منه او على ما تتلو وما بينهما اعتراض اي واتبعوا ما انزل الى اخره وهما ملكان انزلا لتعليم السحر
ابتلا من الله للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر او تمييزا بينه وبين المعجزة لئلا يغتر به الناس او لان
السحر كثرت في ذلك الزمان واستنبطت ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث
الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكذابين واظهار
امرهم على الناس واما ما يحكى من ان الملائكة عليهم السلام لما راوا ما يصعد من ذنوب بني ادم
عيروهم وقالوا لله سبحانه هولاء الذين اخترتهم لخلافة الارض يعصونك فيها فقال عز وجل
لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم من الشهوة لعصيتموني قالوا سبحانك ما ينبغي لنا ان نعصيك
قال تعالى فاختاروا من خياركم ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلحهم
واعبدهم فاهبطا الى الارض بعد ما ركب فيهما ما ركب في البشر من الشهوة وغيرها من القوى
ليقضيا بين الناس نهارا ويعرجا الى السما مساء وقد نهيا عن الاشراك والقتل بغير الحق
وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهم نهارا فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم فصعدا
الى السما فاختصمت اليهما ذات يوم امراة من اجمل النسا تسمى زهرة وكانت من لخم وقيل كانت
من اهل فارس ملكة في بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما راياها افتتنا بها فراوداها
عن نفسها فابت فالحا عليها فقالت لا الا ان تقضيا لي على خصمي ففعلا ثم سالاها ما سالا فقالت
لا الا ان تشربا الخمر وتسجدا للصنم ففعلا كلا من ذلك بغية اللذة والتي فتلاها ما سالا فقالت

لا الا ان تعلماني ما تصعدان به الى السماء فعلماها الاسم الاعظم فدعت به فصعدت الى السماء فمسخها
الله سبحانه كوكبا فهما بالعروج حسب عادتهما فلم تطعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما وكان في عهد ادريس
عليه السلام فالتجآ اليه ليشفع لهما ففعل فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة
فاختارا الاول لانقطاعه عما قليل فهما معذبان ببابل قيل معلقان بشعورهما وقيل
منكوسان يضربان بسياط الحديد الى قيام الساعة فلا تعويل عليه لما ان مداره رواية اليهود
مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز التي قصد بها
ارشاد العقل اللبيب الاريب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا ملكين لصلاحهما ويعضده
قراءة الملكين بكسر اللام **ببابل** الباء بمعنى في وهي متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من الملكين او من
الضمير في انزل وهي بابل العراق وقال ابن مسعود رضي الله عنه بابل ارض الكوفة
وقيل جبل دماوند ومنع الصرف للعجمة والعلمية او للتانيث والعلمية **هاروت وماروت**
عطف بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر
لانصرفا ومن قرأ الملكين بكسر اللام قال كانا رجلين صالحين فقال [illegible] هما اسمان لهما وقيل
هما قبيلتان من الجن هما المراد من الملكين بالكسر وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت
وما يعلمان من احد من مزيدة في المفعول به لافادة تاكيد الاستغراق الذي يفيده احد
لافادة نفس الاستغراق كما في قولك ما جاءني من رجل وقرئ يعلمان من الاعلام **حتى
يقولا انما نحن فتنة** الفتنة الاختبار والامتحان وافرادها مع تعددهما لكونها مصدرا
وحملها عليهما مواطاة للمبالغة كانهما نفس الفتنة والقصر لبيان انه ليس لهما فيما يتعاطيانه
شان سواها لينصرف الناس عن تعلمه اي وما يعلمان ما انزل عليهما من السحر احدا من طالبيه حتى ينصحاه
قبل التعليم ويقولا له انما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته
كفر ومن توقى عن العمل او اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على الايمان **فلا تكفر** باعتقاد
حقيته وجواز العمل به والظاهر ان غاية التعليم [illegible] هذه المقالة فمطابقتها من جملتها الزام الحجة
بموجب النهي لكن لم يريد كونهم [illegible] وكون الكلام في بيان اعتنا الملكين بشان النصح والارشاد
والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير يعلمون لا معطوفة عليه لا قبلها اي ولكن الشياطين يعلمون
الناس ما انزل على الملكين ويحملونهم على العمل به اغراء واضلالا والحال انهما ما يعلمان من احد
حتى ينهياه عن العمل به والكفر بسببه واما ما قيل من ان ما في قوله تعالى وما انزل الخ
نافية والجملة معطوفة على قوله تعالى وما كفر سليمان جي بها لتكذيب اليهود في القصة
اي لم ينزل على الملكين اباحة السحر وان هاروت وماروت بدل من الشياطين على انهما
قبيلتان من الجن خصا بالذكر لاصالتهما ولكون باقي الشياطين اتباعا لهما وان المعنى
ما يعلمان احدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيكون مثلثا [illegible] ان مقام
الشياطين بالكفر واضلالا للناس [illegible] وصف رؤسائهم بانذار من النهي عن الكفر
مع ما فيه من الاخلال بنظام الكلام فان الابدال في حكم تنحية المبدل منه **فيتعلمون
منهما** عطف على الجملة المنفية فانها في قوة المثبتة كانه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن فتنة الخ
والضمير لاحد حملا على المعنى كما في قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين **ما يفرقون به**

اي

اي بسببه وباستعماله **بين المرء وزوجه** ويغري بحجر المتيم وكسر ما منع المرء وبعضه بالرابطة
من تزوج وتحببه بان يحدث الله تعالى بينهما التباغض والتنافر والنشوز عند ما فعلوا من الحيل على حسب
جري العادة الالهية من خلق المسبب عقيب الاسباب العادية للابتلاء لا ان السحر هو المؤثر
في ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يعملون به فراق الناس [illegible]

جهم

وما هم بضارين به اي بالتعليم والاستعمال من السحر **من احد** اي احدا ومن مزيدة كما ذكر في قوله
تعالى وما يعلمان من احد والمعهود في زيادة من [illegible] معمول فعل منفي الا انه حملت الاسمية
في ذلك على الفعلية كانه قيل وما يضرون به من احد **الا باذن الله** لانه وغيره من الاسباب
بمعزل من التاثير بالذات وانما هو بامره تعالى فقد يحدث عنده استعمالهم السحر فعلا من افعاله ابتلاء
وقد لا يحدث والاستثناء مفرغ والباء للملابسة متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او من مفعوله
وان كان نكرة لاعتماده على النفي او الضمير المجرور في به اي وما يضرون به احدا الا مقرونا
باذن الله تعالى وقرئ بضاري من على الاضافة بجعل الجار جزءا من المجرور وفصل ما بين المتضايفين
بالظرف **ويتعلمون ما يضرهم** لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا **ولا ينفعهم**
صرح بذلك ايذانا بانه من الامور المشوبة بالنفع والضر بل هو شر بحت وضر محض لانهم لا يقصدون به
التخلص عن الاغترار بكاذب من يدعي النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس
منه حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه ان الاجتناب عما لا يؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة
التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية وان قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف
الشر من الناس يقع فيه **ولقد علموا** اي اليهود الذين حكيت عنهم **لمن اشتراه** اي استبدل ما
تتلو الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الاولى جواب قسم محذوف والثانية لام الابتداء
علق به علموا عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء او شرطية [illegible] وقوله **ما له في الاخرة
من خلاق** اي من نصيب جملة من مبتدأ او خبر ومن مزيدة في المبتدأ وفي الاخرة متعلق بمحذوف
وقع حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة له والتقدير ما له خلاق في الاخرة وهذه الجملة في
محل الرفع على انها خبر الموصول والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل متعديا
الى اثنين او مفعوله الواحد ان جعل متعديا الى واحد وجملة ولقد علموا الى الاخر مقسم
عليها دون جملة لمن اشتراه الى الاخر [illegible] الجمهور [illegible] سيبويه وقال
الفراء وتبعه ابو البقاء ان اللام الاولى موطئة للقسم ومن شرطية مرتفعة بالابتداء
واشتراه خبرها وما له في الاخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف لكثرته
بجواب القسم لانه اذا اجتمع الشرط والقسم يجاب عنهما سابقهما غالبا فتكون الجملتان مقسما
عليهما **ولبئس ما شروا به انفسهم** اي باعوها والمخصوص بالذم محذوف والجملة جواب قسم محذوف
اي والله لبئسما باعوا به انفسهم السحر والكفر وفيه ايذان بانهم حيث نبذوا
كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا انفسهم للهلكة وباعوها بما لا يزيدهم الا تبارا وتجويز
كون الشراء بمعنى الاشتراء والاستبدال ليتم التناسب لان المشتري متخير وما تتلو الشياطين
ولان متعلق الذم هو الماخوذ لا المبذول كما اشير اليه في تفسير قوله تعالى بئسما اشتروا
به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله **لو كانوا يعلمون** اي يعلمون بعلمهم جعلوا اعينا لمن لعدم

علمهم موجب علمهم او لو الوا ايتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب
على ان المثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل وترتب العقاب
عليه تحقيق وجواب او محذوف اي لما فعلوا ما فعلوا ولو انهم امنوا اي بالرسول الموحى اليه في قوله تعالى
ولما جاءهم رسول من عند الله او بما انزل اليه من الايات المذكورة في قوله تعالى ولقد انزلنا
اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون او بالتوراة الجاريه بقوله تعالى
نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم فان الكفر بالقران والرسول
عليه السلام كفر بها واتقوا المعاصي المحكية عنهم لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا
مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير السبك الى ما عليه النظم
الكريم دلالة على ثبات المثوبة لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب
اليه وتنكير المثوبة للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة تشريفية لمثوبة اي لشيء ما
من المثوبة كائنة من عنده تعالى خير وقيل جواب لو محذوف اي لاثيبوا وما بعده جملة مستانفة
فان وقوع الجملة الابتدائية جوابا للو غير معهود في كلام العرب • وقيل لو للتمني ومعناه
انهم من فظاعة الحال بحيث يتمنى العارف ايمانهم واتقاءهم تلهفا عليهم • وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي
الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير نسبوا الى الجهل
لعدم العمل بموجب العلم يا ايها الذين امنوا خطاب للمؤمنين فيه ارشاد لهم الى الخير واشارة
الى بعض اخر من جنايات اليهود لا تقولوا راعنا المراعاة المبالغة في الرعي وهو حفظ الغير وتدبير
اموره وتدارك مصالحه وكان المسلمون اذا القى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من العلم
يقولون راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتان بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه وكانت
لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهي راعينا قيل معناها اسمع لا سمعت
فلما سمعوا بقول المؤمنين ذلك افترصوه واتخذوه ذريعة الى مقصدهم فجعلوا يخاطبون به
النبي صلى الله عليه وسلم يعنون به تلك المسبة او نسبته عليه الصلاة والسلام الى الرعن وهو
الحمق والهوج • روي ان سعد بن عبادة رضي الله عنه سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة
الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن
عنقه قالوا او لستم تقولونها فنزلت الاية ونهي فيها المؤمنون عن ذلك قطعا لالسنة
اليهود عن التدليس وامروا بما في معناه ولا يقبل التلبيس فقيل وقولوا انظرنا اي انظر
الينا بالحذف والايصال او انتظرنا على انه من نظره اذا انتظره • وقرئ انظرنا من النظرة
اي امهلنا حتى نحفظ • وقرئ راعونا على صيغة الجمع للتوقير وراعنا على صيغة الفاعل اي قولا
ذا رعن كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا للسب بالرعن اتصف به واسمعوا
واحسنوا سماع ما يكلمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية
واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا ما كلفتموه من النهي
والامر بجد واعتناء حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه او واسمعوا سماع طاعة وقبول ولا يكن سماعكم
مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا وللكافرين اي اليهود الذين توسلوا بقولكم المذكور
الى كفرياتهم وجعلوه سببا للتهاون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له ما قالوا

عذاب

عذاب اليم لما اجترؤوا عليه من العظيمة وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير
للمخاطبين عما نهوا عنه ما يود الذين كفروا الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما
ونفيه كناية عن الكراهة ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لعدم
ودهم ولعل تعلقه بما قبله من حيث ان القول المنهي عنه كان مما يتفوهون به عند تنزيل الوحي المعبر
عنه في هذه الاية بالخير فكانه اشير الى ان سبب تحريفهم له الى ما حكي عنهم لوقوعه
في اثناء حصول ما يكرهونه من تنزيل الخير • وقيل كان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة
ويزعمون انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم في ذلك ومن في قوله تعالى من اهل الكتاب
ولا المشركين للتبيين كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
ولا مزيدة لما استمر فيه ان ينزل عليكم في حيز النصب على انه مفعول يود وبناء الفعل للمفعول
للثقة بتعين الفاعل والتصريح الاتي وقوله تعالى من خير القائم مقام فاعله ومن مزيدة
للاستغراق والنفي وان لم يباشره ظاهرا لكنه منسحب عليه معنى والخير الوحي على ما هو الحق
وعنى من العلم والنصرة كما قيل اباه وصيغته تناسبي بالاختصاص وتقديم الظرف عليه
مع ان حقه التاخر عنه لاظهار كمال العناية به لان المدار لعدم ودهم وحسدهم في قوله تعالى
من ربكم ابتدائية والتعرض لعنوان الربوبية للاشعار بعليته للتنزيل والاضافة الى
ضمير المخاطبين لتشريفهم وليس كراهتهم لتنزيله على المخاطبين من حيث تعلقه بهم فيه
بذلك لسعادة الدارين كيف لا وهم من تلك الحيثية من جملة من نزل عليهم الخير بل من حيث
وقوع ذلك التنزيل على النبي صلى الله عليه وسلم بل وصف مشترك بين الكل وهو الخلو عن الدنيا
عند اليهود وعن الرياسة عند المشركين والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم
ويكرهون ان ينزل عليكم شيء من الوحي اما اليهود فبناء على انهم ابناء الكتاب وابناء الانبياء
الناشئون في مهابط الوحي وانتم اميون • واما المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه والمال
زعما منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذلك
قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم • ولما كانت اليهود [illegible]
اشهر لاسيما في الجناية وذكر اساليبهم لم يلزم من نفي ودهم لما ذكر نفي ودادة المشركين لذلك
كلمة لا لتاكيد النفي والله يختص برحمته جملة ابتدائية سيقت لتقرير ما سبق من تنزيل الخير
وارغام الكارهين له والمراد برحمته الوحي كما في قوله سبحانه اهم يقسمون رحمة ربك
عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار اضافته اليه تعالى بالرحمة • قال علي
رضي الله عنه يختص بنبوته محمدا صلى الله عليه وسلم فالفعل معه وصيغة الاستقبال
للانباء عن الاصطفاء واشارة على التنزيل المناسب للسياق الموافق لقوله تعالى ان ينزل الله
من فضله على من يشاء الزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم واقناطهم عما علقوا به اطماعهم
الفارغة والباء داخلة على المقصور اي يؤتي برحمته من يشاء من عباده ويجعلها مقصورة
عليه لاستحقاقه الذاتي الفائض عليه بحسب ارادته عز وعلا تفضلا لا لاستيجابه الى غيره
وقيل التعمل لان من مفعوله والضمير العائد اليه محذوف على التقديرين • وقوله
تعالى والله ذو الفضل العظيم تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه ايذان بان ايتاء النبوة

من فضله العظيم كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا والحرمان منه ومرد ذلك ليس ليصبح منا
فضله تابع مشيئته الجارية على سنن الحكمة البالغة وتصدير الجملتين بالاسم الجليل للايذان ان
بفخامة مضمونهما وكون كل منهما مستقلة بشأنها فان الاظهار في الثانية مبني على تقرر ما في الاولى
ما ننسخ من اية او ننسها كلام مستانف مسوق لبيان سر النسخ الذي هو فرد من افراد تنزيل
الوحي وابطال مقالة الطاعنين فيه اثر تحقيق حقيقة الوحي ورد كلام الكارهين له رأسا •
قيل نزلت حين قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد عليه الصلاة والسلام يأمر اصحابه
بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه والنسخ في اللغة الازالة والنقل يقال نسخت الريح الاثر
اي ازالته ونسخت الكتاب اي نقلته ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او بالحكم
المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة
به على المفعولية • وقرئ ننسخ من انسخ اي نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وننسأها من
النسأ اي نؤخرها وننسها بالتشديد وننسها وتنسها على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم
مبنيا للفاعل وللمفعول • وقرئ ما ننسخ من اية او ننسكها • وقرئ ما ننسك من اية
او ننسخها والمعنى ان كل اية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها
او حكمها او كليهما معا الى بدل او الى غير بدل نأت بخير منها اي بما هو خير للعباد بحسب
الحال في النفع والثواب من الذاهبة • وقرئ بقلب الهمزة الفا او مثلها اي فيما ذكر من النفع والثواب
وسلب الحكم غير مختص بنسخ الاية التامة فانه فيما دونها ايضا وتخصيصها بالذكر باعتبار
الغالب والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل الايات التي عليها يدور فلك الاحكام الشرعية
انما هو بحسب ما تقتضيه من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف الاحوال ويتبدل بحسب تبدل
الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش والمعاد فرب حكم تقتضيه الحكمة في حال تقتضي في حال اخرى
نقيضه فلو لم يجز النسخ لاختل ما بين الحكمة والاحكام من النظام ألم تعلم الهمزة للتقرير كما في قوله
تعالى الم نشرح لك صدرك والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله
ان الله على كل شيء قدير ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور وسد مفعوله الاول والثاني محذوف
عند الاخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه بما ذكر على قدرته تعالى على النسخ وعلى الاتيان
بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لان ذلك من جملة الاشياء المقهورة تحت قدرته
شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء علم قدرته تعالى على ذلك قطعا والالتفات تحت قدرته تعالى في علمه
الالوهية مدار احكام ملكوتها والجار والمجرور خبر مقدم والالتفات بجميع الاشياء من احكام
والجملة خبر لان وايثارها على ان يقال ان لله ملك السموات والارض وملك السموات والارض مبتدأ
لتكرير الاسناد وسواء كان مكررا للتقرير او تمادة للاستشهاد على ما ذكر وانما للتقوي الحكم •
في خبرها على ما سبق من مثلها وما لزيادة التأكيد واشعارا باستقلال العلم بكل منهما
وكفايته في الوقوف على ما هو المقصود وانما قرر مستقلا للاستشهاد على قدرته تعالى
على جميع الاشياء اي الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة
التامة على التصرف الكلي فيها ايجادا واعداما وامرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته لا معارض
لامره ولا معقب لحكمه فمن هذا شانه كيف يخرج عن قدرته شيء من الاشياء • وقوله تعالى

ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض معطوف على الجملة الواقعة خبرا لان داخل معها تحت تعلق العلم
المقرر وفيه اشارة الى تناول الخطابين السابقين للامة ايضا وانما افرده عليه السلام
بهما لما ان علومهم مستندة الى علمه عليه الصلاة والسلام ووضع الاسم الجليل موضع
الضمير الراجع الى اسم ان لتربية المهابة والايذان بمقارنة الولاية والنصرة للقوة والعز
والمراد به الاستشهاد بما تعلق به من العلم على تعلق ارادته تعالى بما ذكر من الاتيان بما هو خير
من المنسوخ او بمثله فان مجرد قدرته تعالى على ذلك لا يستدعي حصوله البتة وانما الذي
يستدعيه كونه تعالى مع ذلك وليا نصيرا لهم فمن علم انه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال
يعلم قطعا انه لا يفعل به الا ما هو خير له فيفوض امره اليه تعالى ولا يخطر بباله ريبة في
امر النسخ وغيره اصلا والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير
قد يكون اجنبيا من المنصور وما اما تميمية لا عمل لها ولكم خبر مقدم ومن ولي مبتدأ مؤخر
زيدت فيه كلمة من للاستغراق واما حجازية ولكم خبرها المنصوب عند من يجيز
تقديمه ومن ولي اسمها ومن دون الله في حيز النصب على الحالية
من اسمها لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا ومعناه سوى الله
والمعنى ان قضية العلم بما ذكر من الامور الثلاثة هو الجزم والايقان بانه تعالى لا
يفعل بهم في امر من امور دينهم او دنياهم الا ما هو خير لهم والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل
عليه وتفويض الامر اليه من غير اصغاء الى اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التي من جملتها
ما قالوا في امر النسخ • وقوله تعالى ام تريدون تجريد للخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص
له بالمؤمنين وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال عن حملهم على العمل بموجب علمهم
بما ذكر عند ظهور بعض مخايل المساهلة منهم في ذلك وامارات التأثر من اقاويل الكفرة
الى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة انكار وقوع الارادة منهم واستبعاده لما ان قضية
الايمان وازعة عنها وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها للمبالغة في انكاره واستبعاده
ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه والمعنى بل اتريدون
ان تسألوا رسولكم وانتم مؤمنون وهو في تلك الرتبة من علو الشان وتقترحوا عليه ما
تشتهون غير واثقين في اموركم بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤونه سبحانه
قيل لعلهم كانوا يطلبون منه بيان تفاصيل الحكم الداعية الى النسخ • وقيل انه
سأل قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كانت للمشركين وهي
عليه الصلاة والسلام
شجرة كانوا يعبدونها وينوطون عليها المأكول والمشروب • وقوله تعالى كما سئل موسى
مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر مؤكد محذوف وما مصدرية اي سؤالا مشبها بسؤال
موسى حيث قالوا اجعل لنا الها وارنا الله جهرة وغير ذلك ومقتضى الظاهر ان يقال
كما سأل موسى لان المشبه هو المصدر من المبني للفاعل اعني سائلية المخاطبين لا المبني
للمفعول اعني مسئولية الرسول عليه الصلاة والسلام حتى تشبه بمسئولية موسى عليه
السلام فلعله اريد التشبيه فيهما معا ولكنه اوجز النظم فذكر في جانب المشبه السائلية
وفي جانب المشبه به المسئولية واكتفى بما ذكر في كل موضع عما ترك في الموضع الآخر كما ذكر

في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله
ونحو ذلك ان يكون ما موصولة على ان العائد محذوف اي كالسؤال الذي سئله موسى
عليه السلام ۝ وقوله تعالى من قبل متعلق بسئل جيء به للتاكيد ۝ وقرئ سيل بالياء
وكسر السين وبتسهيل الهمزة بين بين ومن يتبدل الكفر اي يختره ويأخذ لنفسه بالايمان
بمقابلته بدلا منه ۝ وقرئ ومن يبدل من ابدله وكان مقتضى الظاهر ان يقال ومن
يفعل ذلك اي السؤال المذكور او اراده وحاصله ومن يترك الثقة بالايات
البينة المنزلة بحسب المصالح التي من جملتها الايات الناسخة التي هي خير محض وحق بحت
واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل اي عدل وجار من حيث لا يدري عن الطريق المستقيم
الموصل الى معالم الحق والهدى وتاه في تيه الهوى وتردى في مهاوي الردى وانما اوثر
على ذلك ما عليه النظم الكريم للتصريح من اول الامر بانه كفر وارتداد وان كونه كذلك امر
واضح غني عن البيان بانه يقال ومن يفعل ذلك يكفر حقيق بان يعد من المسلمات ويجعل
مقدم الشرطية روما للمبالغة في الزجر والافراط في الردع وسواء السبيل من باب
اضافة الصفة الى الموصوف لقصد المبالغة في بيان قوة الاتصاف كانه نفس السواء وقيل
للمشركين حين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى اخره فاضافة الرسول صلى
الله عليه وسلم اليهم على التوبيخ باعتبار انهم من امة الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالايمان
تفرعهم عن الايمان بعد معرفة قدرهم اليه مع تمكنهم من ذلك وايثارهم للكفر ود كثير من
اهل الكتاب هم نفر من احبار اليهود روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من
اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم
على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا
فقال عمار رضي الله عنه كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر
بمحمد عليه السلام ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا ۝ وقال حذيفة
رضي الله عنه اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقران اماما
وبالقبلة كعبة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال
اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت لو يردونكم حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وصيغة
الغيبة كما في قوله حلف ليفعلن وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب
وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لود والتقدير ودوا ردكم وقيل هي على
حقيقتها وجوابها محذوف تقديره لو يردونكم كفارا لسروا بذلك من بعد ايمانكم
متعلق بيردونكم ۝ وقوله تعالى كفارا مفعول ثان له على تضمين الرد معنى التصيير اي
يصيرونكم كفارا ۝ كما في قوله

رمى الحدثان نسوة آل حرب ۝ بمقدار سمدن له سمودا ۝
فرد شعورهن السود بيضا ۝ ورد وجوههن البيض سودا ۝

وقيل هو حال من مفعوله والاول ادخل لما فيه من الدلالة على ان كونهم كفارا
المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه لظهور كون المخاطبين مؤمنين

واستحالة

واستحالة تحقق الود الى الكفر بعد سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال
شناعة ما ارادوا وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته
واما للممانعة الايمان له كانه قيل من بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى
حسدا علة لود او حال اريد به نعت الجمع اي حاسدين لكم والحسد الاسف على من له خير
بخير من عند انفسهم متعلق بود اي ودوا ذلك من اجل تشهيهم وحظوظ انفسهم لا من
قبل التدين والميل مع الحق ولو على زعمهم او بحسدا اي حسدا منبعثا من اصل نفوسهم
بالغا اقصى مراتبه من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات الساطعة او بما عاينوا في التوراة من الدلائل
وعلموا انكم متمسكون به وهم منهمكون في الباطل فاعفوا واصفحوا العفو ترك المؤاخذة والعقوبة
والصفح ترك التثريب والتأنيب حتى ياتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء
بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم او الاذن في القتال ۝ وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه منسوخ باية السيف ولا يقدح في ذلك ضرب الغاية لانها لا تعلم الا شرعا
ولا يخرج الوارد بذلك من ان يكون ناسخا كانه قيل فاعفوا واصفحوا الى ورود الناسخ
ان الله على كل شيء قدير فينتقم منهم اذا حان حينه وان اوانه وهو تعليل لما دل عليه
ما قبله واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة عطف على فاعفوا امروا بالصبر والمداراة واللجأ الى
الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وما تقدموا لانفسكم من خير كصلاة او صدقة او غير ذلك
اي اي خير من الخيرات تقدموا لمصلحة انفسكم تجدوه عند الله اي تجدوا ثوابه وقرئ
تقدموا من اقدم ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده عمل فهو وعد للمؤمنين وقرئ
بالياء فهو وعيد للكافرين وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتابين جميعا لن يدخل الجنة الا
من كان هودا او نصارى اي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن
يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد كلا منهما الى قائله
ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا اوليس المراد تخييرا ولذلك من اقام اليهودية
والنصرانية قبل النسخ والتحريف على وجهها بانفسهم فلما منعت عليه لانهم انما يقولونه
لاضلال المؤمنين وردهم الى الكفر وهود جمع هائد كعوذ جمع عائذ وبزل جمع بازل
والافراد في كان باعتبار لفظ من والجمع في خبره باعتبار معناه وقرئ الا من كان يهوديا
او نصرانيا تلك امانيهم والاماني جمع امنية وهي ما يتمنى كالاعجوبة والاضحوكة والجملة
معترضة مبينة لبطلان ما قالوا وتلك اشارة اليه والجمع باعتبار صدوره عن الجميع
وقيل فيه حذف مضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم ۝ وقيل تلك اشارة اليه والى
ما قبله من ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا او يردونه قوله تعالى قل هاتوا
برهانكم ان كنتم صادقين فانها مما يطلب له البرهان ولاحتمالها الصدق والكذب
قيل هاتوا اصله آتوا قلبت الهمزة هاء اي احضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان
كنتم صادقين في دعواكم هذا ما يقتضيه المقام بحسب النظر الجليل والذي يستدعيه
اعجاز التنزيل ان يحمل الامر التبكيتي على طلب البرهان على اصل الدخول الذي يتضمنه دعوى
الاختصاص به فان قوله تعالى بلى الى اخره اثبات من جهته تعالى لما نفوه مستلزم لنفي

ما ابتدع واذ ليس الثابت به مجرد دخول غيرهم الجنة ولو معهم ليكون المنفي مجرد اختصاصهم
مع بقاء اصل الدخول على حاله بل هو اختصاص غيرهم بالدخول كما ستعرفه باذن الله تعالى
ظهر ان المنفي اصل دخولهم ومن ضرورته ان يكون معنى الذي كلفوا اقامة البرهان عليه
لاختصاصهم به ليتحد مورد الاثبات والنفي وانما عدل عن ابطال صريح ما ادعوه وسلك
هذا المسلك ابانة لغاية حرمانهم مما علقوا به اطماعهم واظهارا لكمال عجزهم عن اثبات
ما ادعوه لان حرمانهم من الاختصاص بالدخول وعجزهم عن اقامة البرهان عليه لا يقتضيان
حرمانهم من اصل الدخول وعجزهم عن اثباته واما نفي الدخول فيقتضي حرمانهم منه وعجزهم
عن اثباته فهم من الاختصاص ابعد وعن اثباته اعجز وانما الفائز به من انطبق عليه قوله سبحانه
من اسلم وجهه اي اخلص نفسه لله تعالى لا يشرك به شيئا عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء ومجمع
المشاعر وموضع السجود ومظهر اثار الخضوع الذي هو من اخص خصائص الاخلاص او توجهه
وقصده بحيث لا يلوي عزيمته الى شيء غيره وهو محسن حال من ضمير اسلم اي والحال انه محسن في
جميع اعماله التي من جملتها الاسلام المذكور وحقيقة الاحسان الاتيان بالعمل على الوجه
اللائق وهو حسنه الوصفي التابع لحسنه الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فله اجره الذي وعد له على عمله وهو
عبارة عن دخول الجنة او عما يدخل فيه دخولا اوليا واياما كان فتصويره بصورة الاجر
للايذان بقوة ارتباطه بالعمل واستحالة نيله بدونه وقوله تعالى عند ربه حال من اجره
والعامل فيه معنى الاستقرار في الظرف والعندية للتشريف ووضع اسم الرب
مضافا الى ضميره من اسمائه موضع ضمير الجلالة لاظهار مزيد اللطف به وتقرير مضمون الجملة
اي فله اجره عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه الى كماله والجملة جواب من ان كانت
شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله تعالى
بلى وحده ويجوز ان يكون من فاعلا لفعل مقدر اي بلى يدخلها من اسلم وقوله فله
اجره معطوف على ذلك المقدر واياما كان فتعليق ثبوت الاجر بما ذكر من الاسلام والاحسان
المختصين باهل الايمان واضرابهم اولئك المدعين من دخول الجنة بمعزل من الاختصاص
به بالكلية ولا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب
اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والجمع في الضمائر
الثلاثة باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار اللفظ وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء بيان لتضليل كل فريق صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله كل من
عداه على وجه العموم نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم
احبار اليهود فتناظروا فارتفعت اصواتهم فقالوا لهم لستم على شيء اي امر يعتد به من الدين
او على شيء ما منه اصلا مبالغة في ذلك كما قالوا اقل من لا شيء وكفروا بعيسى والانجيل وقالت
النصارى ليست اليهود على شيء على الوجه المذكور وكفروا بموسى والتوراة لا انهم قالوا ذلك
بناء للامر على منسوخية التوراة وهم يتلون الكتاب الواو للحال واللام للجنس اي قالوا ما قالوا
والحال ان كل فريق منهم من اهل العلم والكتاب اي كان حق كل منهم ان يعترف بحقية دين صاحبه

صاحبه

حسبما ينطق به كتابه فان كتب الله تعالى متصادقة كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به والكاف
في محل النصب اما على انها نعت لمصدر محذوف قدم على عامله لافادة القصر اي قولا مثل
ذلك القول بعينه لا قولا مغايرا له قال الذين لا يعلمون من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم
من الجهلة اي قالوا لاهل كل دين ليسوا على شيء واما على انها حال من المصدر المضمر
المعرف الدال عليه قال اي قال القول الذين لا يعلمون حال كونه مثل ذلك القول الذي
سمعت به مثل قولهم اما بدل من محل الكاف واما مفعول للفعل المنفي قبله اي مثل ذلك
القول قال الجاهلون بمثل مقالة اليهود والنصارى وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا
انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم اصلا فالله يحكم بينهم اي بين اليهود والنصارى فان
سياق النظم لبيان حالهم وانما التعرض لمقالة غيرهم لاظهار كمال بطلانها ولان القالة
المحوجة الى الحكم انما وقعت بينهم يوم القيامة متعلق بيحكم وكذا ما قبله وما بعده
ولا ضير فيه لاختلاف المعنى فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب
وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار والظرف الاخير متعلق بيختلفون وقدم
عليه للمحافظة على رؤس الاي لا لافادة القصر ومن اظلم ممن منع مساجد الله انكار واستبعاد لان يكون
احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة
ونفيها تشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم من فلان او لا
افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا الحكم
عام لكل من فعل ذلك في اي مسجد كان وان كان سبب النزول فعل طائفة معينة في مسجد
مخصوص روي ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس
ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا
وقد نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان طيطوس الرومي ملك النصارى واصحابه
غزوا بني اسرائيل وقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التوراة وخربوا بيت
المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه المسلمون
في عهد عمر رضي الله عنه وانما اوقع المنع على المساجد وان كان الممنوع هو الناس لما
ان فعلهم من طرح الاذى والتخريب وعدمه متعلق بالمسجد لا بالناس مع كونه على
وتعلق الاية الكريمة بما قبلها من حيث انها مبطلة لدعوى النصارى اختصاصهم بدخول
الجنة وقيل هو منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام
عام الحديبية فتعلقها بما قبلها من جهة ان المشركين من جملة الجهلة القائلين لكل
من عداهم ليسوا على شيء ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع تقول منعته كذا وما منع الناس ان
يؤمنوا وقوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون ويجوز
ان يكون ذلك بحذف الجار مع ان وان يكون ذلك مفعولا له اي كراهة ان يذكر
فيها اسمه وسعى في خرابها بالهدم والتعطيل بانقطاع الذكر اولئك المانعون لها
الساعون في خرابها ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية
وخشوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها او تعطيلها او ما كان الحق ان يدخلوها الا على

قال الطيب والعقاد الفرائض من جهة المومنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه فيكون الاخر الاذلين فيكون وعدا للمومنين بالنصرة واستخلاص منهم استولوا عليه منهم وقد انجز الوعد ولله الحمد روي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد ۝ واختلف الائمة في ذلك فجوزه ابو حنيفة رحمه الله مطلقا ومنعه مالك مطلقا وفرق الشافعي رضي الله عنه بين المسجد الحرام وغيره لهم اي لاولئك المانعين في الدنيا خزي اي حرق وقتل وسبي بالقتل والسبي والاذلال بضرب الجزية عليهم ولهم في الاخرة عذاب عظيم وهو عذاب النار لما ان سببه ايضا وهو ما حكي عن ظلمهم بلغ في العظم وتقديم الظرف في الموضعين للتشويق الى ما يذكر بعده من الخزي والعذاب لما مر من ان ما حقه التقديم اذا اخر موجب لتوجه النفس اليه فيتمكن فيها عند وروده فضل تمكن ۝ كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج الى غير ذلك ولله المشرق والمغرب اي كل الارض التي هي عبارة عن ناحيتي المشرق والمغرب لا يختص به من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان منها دون مكان فان منعتم من اقامة العبادة في المسجد الاقصى والمسجد الحرام فاينما تولوا اي في اي مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة فثم وجه الله ثم اسم اشارة للمكان البعيد خاصة مبني على الفتح ولا يتصرف سوى الجر بمن وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدأ والجملة في محل الجزم على انها جواب الشرط اي هناك جهته التي امر بها فان امكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد او مكان دون اخر او فثم ذاته بمعنى الحضور العلمي اي فهو عالم بما يفعل فيه وهو مثيب لكم على ذلك ۝ وفي تعميم البقاع والانحاء في اينما توجيه القبلة ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها والجملة تعليل لمضمون الشرطية ۝ وعن ابن عمر رضي الله عنهما نزلت في صلاة المسافر على الراحلة اينما توجهت ۝ وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك ۝ وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في جهة وقالوا اتخذ الله ولدا حكاية لطرف اخر من مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى وقالت اليهود لا على صلة من لما بينهما من الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقرئ بغير واو على الاستئناف نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى الا الى واحد واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف اي صير بعض مخلوقاته ولدا سبحانه تنزيه وتبرئة له تعالى عما قالوا وسبحان علم للتسبيح كعثمان لرجل وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزهه تنزيها لائقا به وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من جهة المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى ۝ وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه اي تنزه بذاته تنزها حقيقيا به فيه

مبالغة من حيث اسناد البراءة الى الذات المقدسة ۝ وان كان التنزيه اعتبارا دون ارادته تعالى عما لا يليق به لا اثباتا له تعالى ۝ وقوله تعالى بل له ما في السموات والارض رد لما زعموا وتنبيه على بطلانه وكلمة بل للاضراب عما يقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى للشيء من المخلوقات ومن سرعته المتوجه الى اتخاذ ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان والفناء لا يوجب ذلك الا ترى الى الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها بالاخرة مستغنية عن دوامها وطول بقائها عما يجري مجرى الولد من الحيوان اي ليس الامر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات التي من جملتها عزير والمسيح والملائكة كل التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما كائنا ما كان من اولي العلم وغيرهم جميعا له قانتون منقادون لا يستعصي شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان هذا شانه لم يتصور مجانسته لشيء ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد وانما جيء بما المختصة بغير اولي العلم تحقيرا لشانهم وايذانا بكمال بعدهم عما نسبوا اليه بعض منهم وصيغة جمع العقلاء في قانتون للتغليب او كل من جعلوه لله ولدا له قانتون اي مطيعون عابدون له معترفون بربوبيته كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة بديع السموات والارض اي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذي به ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبدع نص عليه اساطين اهل اللغة وقد جاء بدعه بمعنى انشأه كابتدعه كما ذكر في القاموس وغيره ۝ ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله ۝

۝ امن ريحانة الداعي السميع ۝

وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها للتخفيف بعد نصبه على تشبيهها باسم الفاعل كما هو المشهور اي بديع سمواته من بدع اذا كان على شكل فائق وحسن رائق وهو حجة اخرى لابطال مقالتهم الشنعاء تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ورفعه على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هو بديع السموات ۝ وقرئ بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الضمير في له على راي من يجوز الابدال من الضمير المجرور كما في قوله

على جوده لضن بالماء حاتم ۝

واذا قضى امرا اي اراد شيئا كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية المتعلقة بوجود الشيء لايجابها اياه البتة ۝ وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا فانما يقول له كن فيكون كلاهما من الكون التام اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة الامر والامتثال وانما هو تمثيل لسهولة تاتي المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في الباب من طاعة المامور المطيع للامر القوي المطاع وفيه تقرير لمعنى الابداع وتلويح لحجة اخرى لابطال ما زعموا بان اتخاذ الولد شان من يفتقر في تحصيل مراده الى مبادئ يستدعي ترتيبها مرور زمان وتبدل اطوار وفعله تعالى متعال عن ذلك وقال الذين لا يعلمون حكاية لنوع اخر من قبائحهم وهو قدحهم في امر النبوة بعد حكاية قدحهم في شان التوحيد بنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى ۝ واختلف في هؤلاء القائلين ۝ فقال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود ۝ وقال مجاهد رحمه الله هم النصارى ووصفهم بعدم العلم لعدم علمهم بالتوحيد والنبوة كما ينبغي او لعدم علمهم بموجب علمهم او لان ما يحكى عنهم لا يصدر عمن له شائبة علم

وقال قتادة رضي الله عنه ولعل الانسب لتفسيرهم مشركو العرب لقوله تعالى فليأتنا بآية كما ارسل الاولون وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لولا يكلمنا الله اي هلا يكلمنا بلا واسطة امرا ونهيا كما يكلم الملائكة وهلا يكلمنا تنصيصا على نبوتك او تأتينا آية حجة تدل على صدقك بلغوا من العتو والاستكبار الى حيث املوا نيل مرتبة المكالمة الالهية من غير توسط الرسول والملك ومن العناد والمكابرة الى حيث لم يعدوا ما آتاهم من البينات الباهرة التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات قاتلهم الله انى يؤفكون كذلك مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد والفساد قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم هذا الباطل الشنيع فقالوا ارنا الله جهرة وقالوا لن نصبر على طعام واحد الآية وقالوا هل يستطيع ربك الآية وقالوا اجعل لنا الها تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء واولئك في العمى والفساد والا لما تشابهت اقاويلهم الباطلة قد بينا الآيات اي نزلناها بينة بان جعلناها كذلك في انفسها كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لا انا بيناها بعد ان لم تكن بينة لقوم يوقنون اي يطلبون اليقين ويوقنون بالحقائق لا يعتريهم شبهة ولا ريبة وهذا رد لطلبهم الآية وفي تعريف الآيات وجمعها وايراد التبيين المفصح عن كمال التوضيح مكان الاتيان الذي طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى انهم اقترحوا آية فذة ونحن قد بينا الآيات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين وانما لم نتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايذانا بانه من ظهور البطلان بحيث لا حاجة له الى الرد والجواب انا ارسلناك بالحق اي ملتبسا بالقرآن كما في قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم او بالصدق كما في قوله تعالى احق هو وقوله تعالى بشيرا ونذيرا حال من المفعول باعتبار الحال الاولى اي ارسلناك ملتبسا بالقرآن حال كونك بشيرا لمن آمن بما انزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به او ارسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدق بالثواب ونذيرا لمن كذب بالعذاب ليختاروا لانفسهم ما احبوا لا لتجبرهم على الايمان فلا عليك ان اصروا او كابروا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ما بلغت ما ارسلت به وقرئ لن تسأل وقرئ لا تسأل على صيغة النهي ايذانا بكمال شدة عقوبة الكفار وتهويلها كانها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرائها على لسانه او لا يستطيع السامع ان يسمع خبرها وحمله على نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه مما لا يساعده النظم الكريم والجحيم المتأجج من النار وفي التعبير عنهم بصاحبة الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد لهم وايذان بانهم مطبوع عليهم لا يرجى منهم الايمان قطعا ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم بيان لكمال شدة شكيمة هاتين الطائفتين خاصة اثر بيان ما يعمهما والمشركين من الاصرار على ما هم عليه الى الموت وايراد لا النافية بين المعطوفين لتأكيد النفي لما مر من ان صلابة اليهود في امثال هذه العظائم اشد من النصارى والاشعار بان رضى كل منهما مباين لرضى الاخرى اي لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم وشأنهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم فاوجز النظم ثقة بظهور المراد وفيه من المبالغة في اقناطه صلى الله عليه وسلم من اسلامهم ما لا غاية وراءه فانهم حيث لم يرضوا عنه عليه الصلاة والسلام ولو خلاهم يفعلون ما يفعلون بل املوا منه صلى الله عليه وسلم ما لا يكاد يدخل تحت الامكان من اتباعه عليه السلام لملتهم

فكيف

فكيف يتوهم اتباعهم لملته عليه الصلاة والسلام وهذا حالهم في انفسهم ومقالهم فيما بينهم واما انهم خاطبوا النبي صلى الله عليه وسلم وشافهوه بذلك وقالوا لن نرضى عنك وان بالغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه فان قوله عز وجل قل ان هدى الله هو الهدى صريح في ان ما وقع منهم جوابا عنه ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم مضمونها او يلائمه من الدعوة الى اليهودية والنصرانية وادعاء ان الاهتداء فيهما كقوله عز وعلا حكاية عنهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا اي قل ردا عليهم ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يحق ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون اليه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم اي آراءهم الزائغة الصادرة عنهم بقضية شهوات انفسهم وهي التي عبر عنها فيما قبل بملتهم اذ هي التي يسمونها ملة واما ما شرعه الله تعالى لهم من الشريعة على لسان الانبياء وهو المعنى الحقيقي للملة فقد غيروه تغييرا بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من جهته العزيزة من ولي يلي امرك عموما ولا نصير يدفع عنك عقابه وحيث لم يستلزم نفي الولي نفي النصير وسط لا بين المعطوفين لتأكيد النفي وهذا من باب التهييج والالهاب والا فانى يتوهم امكان اتباعه عليه الصلاة والسلام لملتهم وهو جواب للقسم الذي وطأه اللام والنهي به عن جواب الشرط الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه يتلونه حق تلاوته بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر في معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر وما بعده خبر آخر اولئك اشارة الى الموصوفين بايتاء الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل يؤمنون به اي بكتابهم دون المحرفين فانهم بمعزل من الايمان به فانه لا يجامع الكفر ببعض منه ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ومن جملتها التوراة وذكر النعمة انما يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن جملته نعت النبي صلى الله عليه وسلم ومن ضرورته الايمان به عليه السلام واني فضلتكم على العالمين افردت هذه النعمة بالذكر مع كونها مندرجة تحت النعمة السالفة لانافتها فيما بين فنون النعم واتقوا ان لم تؤمنوا يوما لا تجزي فيه اي في ذلك اليوم نفس من النفوس عن نفس اخرى شيئا من الاشياء او شيئا من الجزاء ولا يقبل منها عدل اي فدية ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون وتخصيصهم بتكرير التذكير واعادة التحذير للمبالغة في النصح والايذان بان ذلك فذلكة القضية والمقصد من القصة لما ان نعم الله عز وجل عليهم اعظم وكفرهم بها اشد وانقح واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات شروع في تحقيق ان هدى الله هو ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم من التوحيد والاسلام الذي هو ملة ابراهيم عليه السلام وان ما عليه اهل الكتابين اهواء زائغة وان ما يدعونه من انهم على ملته عليه السلام فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن ابراهيم عليه السلام وابنائه الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الاقاويل والافاعيل الناطقة بحقية التوحيد والاسلام وبطلان الشرك وبصحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وبكونه ذلك النبي

الذي استدعاه ابراهيم واسمعيل عليهما السلام بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية فانه معطوف
على المقولة بمضمر معه خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اي اذكر لهم وقت ابتلائه
عليه السلام ليتذكروا ما وقع فيه من الامور الداعية الى التوحيد الوازعة عن الشرك فيقبلوا
الحق ويتركوا ما هم فيه من الباطل ● وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث
مع انها المقصودة بالذات قد مر وجهه في اثناء تفسير قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة
اني جاعل في الارض خليفة ● وقيل على الظرفية بمضمر مؤخر اي اذ ابتلاه كان كيت وكيت
وقيل بما سيجي من قوله تعالى قال الخ والاول هو اللائق بجزالة التنزيل ولا يبعد ان ينتصب
بمضمر معطوف على اذكروا خوطب به بنو اسرائيل ليتأملوا فيما يحكى عمن ينتمون الى ملته من ابرهيم
وابنائه عليهم السلام من الافعال والاقوال فيقتدوا بهم ويسيروا سيرتهم والابتلا في الاصل
الاختبار اي تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا فعله او تركه وذلك انما يتصور
حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد
من اختيار احد الامرين قبل ان يرتب عليه شيئا هو من مباديه العادية كمن يختبر عبده ليتعرف
حاله من الكياسة فيأمره بما يليق بحاله من مصالحه وابراهيم اسم اعجمي قال السهيلي كثيرا
ما يقع الاتفاق او التقارب بين السرياني والعربي ● الا ترى ان ابراهيم تفسيره اب راحم ولرحمته
جعل هو وزوجته سارة كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيامة على
ما روى البخاري في حديث الرؤيا ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في الروضة ابراهيم عليه
السلام وحوله اولاد الناس ● هو مفعول مقدم لاضافة فاعله الى ضميره والتعرض لعنوان
الربوبية تشريف له عليه السلام وايذان بان ذلك الابتلاء تربية له وترشيح لامر خطير
والمعنى عامله سبحانه معاملة المختبر حيث كلفه الخروج او امر ونواهي يظهر بحسن قيامه
بحقوقها قدرته على الخروج عن عهدة الامامة العظمى وتحمل اعباء الرسالة وهذه المعاملة
وتعرفهما للناس لارشادهم الى طريق اتقان الامور ببنائها على التجربة والايذان بان بعثة
النبي صلى الله عليه وسلم ايضا مبنية على تلك القاعدة الرصينة واقعة بعد ظهور استحقاقه
عليه الصلاة والسلام للنبوة العامة كيف لا وهي اجابة لدعوة ابراهيم عليه السلام
كما سيأتي ● واختلف في الكلمات فقال مجاهد رحمه الله هي المذكورة بعدها ورد بانه يأباه العطف
فانه يقتضي الاستيناف ● وقال طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه
وهي سنة في شرعنا خمس في الراس المضمضة والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك وخمس في
البدن الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء ● وفي الخبر ان ابراهيم
عليه السلام اول من قص الشارب واول من اختتن واول من قلم الاظفار ● وقال عكرمة عن ابن
عباس رضي الله عنهما لم يبتل بهذا الدين فاقامه كله الا ابراهيم عليه السلام ابتلاه الله تعالى
بثلاثين خصلة من خصال الاسلام عشر منها في سورة براءة التائبون الى آخره وعشر في الاحزاب
ان المسلمين والمسلمات الى آخره وعشر في المؤمنين وسأل سائل الى قوله عز وجل والذين هم على
صلاتهم يحافظون ● وقيل ابتلاه الله تعالى بسبعة اشياء بالشمس والقمر والنجوم والختان على
الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل ● وقيل هي محاجته قومه والصلاة والصوم والزكاة

والضيافة

والضيافة والصبر عليها ● وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف
وغيرهن ● وقيل هي قوله عليه الصلاة والسلام الذي خلقني فهو يهدين الى الآيات ● وانما
وقع ذلك الابتلاء قبل النبوة وهو الظاهر وقيل بعدها لانه يقتضي سابقة الوحي واجيب
بان مطلق الوحي لا يستلزم البعثة الى الخلق ● وقرئ برفع ابراهيم ونصب ربه اي دعاه
بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن اولا فاتمهن اي قام بهن حق القيام واداهن
احسن التأدية من غير تفريط وتوان كما في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى وعلى القراءة
الاخيرة فاعطاه الله تعالى ما سأله من غير نقص ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات
بما سأل ربه ابراهيم بقوله رب اجعل الآيات ● وقوله عز وجل قال على تقدير انتصاب
اذ بمضمر جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام فان الابتلاء مبني لامر
معظم وظهور فضيلة المبتلي من دواعي الاحسان اليه فتبعث حكايته لترقب النفس لما
وقع بعده منه كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال اني جاعلك للناس اماما او بيان
لقوله تعالى ابتلى على رأي من جعل الكلمات عبارة عما ذكر اثره من الامامة وتطهير البيت
ورفع قواعده وغير ذلك ● وعلى تقدير انتصابه باذ بقال فالجملة معطوفة على ما قبلها
عطف القصة على القصة والواو في المعنى داخلة على قال اي وقال اذ ابتلى الى آخره
والجعل بمعنى التصيير احد مفعوليه الضمير والثاني اماما واسم الفاعل بمعنى المضارع
واوكد منه للدلالة على انه جاعله البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس
متعلق بجاعلك اي لاجل الناس ويجوز ان يتعلق بمحذوف وقع حالا من اماما اذ لو تأخر عنه لكان صفة
له والامام اسم لمن يؤتم به وعلى كل نبي امام لامته وامامته عليه السلام عامة
مؤبدة اذ لم يبعث نبي بعده الا كان من ذريته مأمورا باتباعه في ملته ● قال استيناف
مبني على سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال ابراهيم عليه السلام عند ذلك فقيل قال ومن
ذريتي عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة بجاعل اي وجاعل بعض ذريتي كما تقول وزيدا
لمن يقول سأكرمك او بمحذوف اي واجعل فريقا من ذريتي اماما وتخصيص البعض بذلك
لبداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق ● وقيل العقب وما يكون من ذري
في الذرية نسل الرجل فعولة من ذرو او ذرى والاصل ذرورة او ذروية فاجتمع
في الاولى واوان زائدة واصلية فقلبت الاصلية فصارت كالثانية فاجتمعت واو
وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء فصارت ذرية
او فعلية منها والاصل ذريو فقلبت الواو ياء لما سبق من اجتماعهما وسبق
احداهما بالسكون فصارت ذرية او فعلية من الذرء بمعنى الخلق والاصل ذريئة
فخففت الهمزة بابدالها ياء كهمزة خطيئة ثم ادغمت الياء الزائدة في المبدلة او فعلية
من الذر بمعنى التفريق والاصل ذريرة قلبت الراء الاخيرة لتوالي الامثال كما في
تسري وتقضي وتظني فادغمت الياء في الياء كما مر او فعولة منه والاصل ذرورة
قلبت الراء الاخيرة ياء فجاء الادغام ● وقرئ بكسر الذال وهي لغة فيها ● وقرأ
ابو جعفر المدني بالفتح وهو ايضا لغة فيها ● قال استيناف مبني على سؤال ينساق اليه

الكنية الذين كما سبق لا ينال عهدي الظالمين ليس بمنزلة رد الدعوة عليه السلام بل اجابة خفية
لما دعا وعدة اجمالية منه تعالى بتشريف بعض ذريته عليه السلام بنيل عهد الامامة حسبما وقع
في استدعائه عليه السلام من غير تعيين لهم ووصف مميز لهم عن جميع من عداهم فان التنصيص
على حرمان الظالمين منهم بمعزل من ذلك التمييز اذ ليس معناه انه ينال كل من ليس بظالم منهم
ضرورة استحالة ذلك كما اشير اليه ولعل ايثار هذه الطريقة في تعيين الجامعين لمبادي
الامامة من ذريته اجمالا وتعيينا لتوارثها الباقين لئلا يغتر المعتدون بالانتماء الى الائمة في
تلك الحروب وفي تنصيص كل فرقة من الاصناف مما لا يخفى ما في هذه الطريقة من تخييب الكفرة
الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع اطماعهم الفارغة من نيلها وانما اوثر النيل على الجعل ايماء الى ان
امامة الانبياء من ذريته عليه السلام كاسمعيل واسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون
وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما
كثيرا ليست بجعل مستقل بل هي حاصلة في ضمن امامة ابرهيم عليه السلام ينالها كل منهم في وقت
قدره الله عز وجل ° وقرئ الظالمون على ان عهدي مفعول قدم على الفاعل اهتماما ورعاية
للفواصل ° وفيه دليل على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الكبائر على الاطلاق
وعدم صلاحية الظالم للامامة ° وقوله تعالى واذ جعلنا البيت اي الكعبة المعظمة غلب
عليها غلبة النجم على الثريا معطوف على اذ ابتلى على ان العامل فيه هو العامل فيه او مضمر مستقل
معطوف على المضمر الاول والجعل بمعنى التصيير فقوله عز وجل مثابة اي مرجعا يثوب اليه الزوار
بعد ما تفرقوا عنه وامثالهم او موضع ثواب يثابون اليه بحجه واعتماره مفعوله الثاني واما بمعنى
الابداع فهو حال من مفعوله واللام في قوله تعالى للناس متعلق بمحذوف وقع صفة لمثابة اي مثابة
كائنة للناس او بجعلنا اي جعلناه لاجل الناس ° وقرئ مثابات باعتبار تعدد الثائبين وامنا
اي امنا كما في قوله تعالى حرما امنا على ايقاع المصدر موقع اسم الفاعل للمبالغة او على تقدير المضاف
اي ذا امن او على الاسناد المجازي اي امنا من حجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله
او من دخله من التعرض له بالعقوبة وان كان جانيا حتى يخرج على ما هو راي ابي حنيفة رحمه الله ويجوز
ان يعتبر الامن بالقياس الى كل شيء كائنا ما كان ويدخل فيه امن الناس دخولا اوليا وقد اعتيد فيه
امن الصيد حتى ان الكلب كان يهم بالصيد خارج الحرم فيفر منه وهو يتبعه فاذا دخل الصيد
الحرم لم يتبعه الكلب واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى على ارادة قول هو عطف على جعلنا او حال من فاعله
اي وقلنا او قائلين لهم اتخذوا الخ ° وقيل هو بنفسه معطوف على الامر الذي يتضمنه قوله
عز وجل مثابة للناس كانه قيل توبوا اليه واتخذوا الخ ° وقيل هو بنفسه معطوف
على الامر المضمر العامل في اذ وقيل هي جملة مستانفة والخطاب على الوجوه الاخيرة له عليه
السلام ولامته والاول هو الاليق بجزالة التنزيل النظم الكريم والامر صريحا كان او مفهوما
من الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية والمقام اسم مكان وهو الحجر الذي عليه اثر قدمه عليه السلام
والموضع الذي كان فيه عليه السلام حين قام ودعا الناس الى الحج او حين رفع قواعد البيت وهو موضعه
اليوم والمراد بالمصلى اما موضع الصلاة او موضع الدعاء ° روي انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد
عمر رضي الله عنه فقال هذا مقام ابرهيم عليه السلام فقال عمر رضي الله عنه افلا نتخذه مصلى

فقال

فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت ° وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى
جابر رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه
ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي رضي الله عنه في وجوبهما قولان ° وقيل
مقام ابرهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج عرفة والمزدلفة والجمار واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب
الى الله عز وجل ° وقرئ واتخذوا على صيغة الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان
ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابرهيم
واسمعيل اي امرناهما امرا مؤكدا ان طهرا بيتي بان طهراه على ان ان مصدرية حذف منها الجار جوازا
كون صلتها امرا او نهيا كما في قوله عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونه
فعلا ماضيا او مضارعا دلالته على المصدر وهي متحققة فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول
الاسمي انما هو للتوسل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها الا اذا كانت خبرية
واما الموصول الحرفي فليس كذلك ° ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ
وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد
الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال او اي طهراه على ان ان مفسرة لتضمن العهد
معنى القول واضافة البيت الى ضمير الجلالة للتشريف وتوجيه الامر بالتطهير هنا اليهما
عليهما السلام لا ينافي ما في سورة الحج من تخصيصه بابرهيم عليه السلام فان ذلك واقع قبل
بناء البيت كما ينبئ عنه قوله تعالى واذ بوانا لابرهيم مكان البيت وكان اسمعيل عليه
السلام حينئذ بمعزل من مثابة الخطاب وظاهر ان هذا بعد بلوغه مبلغ الامر والنهي وتمام البناء
بمباشرته كما ينبئ عنه ايراده اثر حكاية جعله مثابة للناس الخ والمراد تطهيره من الاوثان
والانجاس وطواف الجنب والحائض وغير ذلك مما لا يليق به للطائفين حوله والعاكفين المجاورين
المقيمين عنده او المعتكفين او القائمين في الصلاة كما في قوله عز وعلا للطائفين والقائمين
والركع السجود جمع راكع وساجد اي للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود من
هيئات المصلين ولتقارب الاخيرين ذاتا وزمانا ترك العاطف بين موصوفيهما او اخلصاه
لهؤلاء لئلا يغشاه غيرهم وفيه ايماء الى ان ملابسة غيرهم من قوله واذ جعلنا الى اخره اما بالذات
او بعامله المضمر كما مر رب اجعل هذا بلدا امنا ذا امن لعيشة راضية او امنا اهله كليله
نائم اي اجعل هذا الوادي من البلاد الامنة وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة
كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام لما اسكن اسمعيل وهاجر
هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع وهو
لا يرد عليها جوابا حتى قالت الله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت
بذلك ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الاية
وتعريف البلد مع جعله صفة لهذا في سورة ابرهيم ان حمل على تعدد السؤال لما انه
عليه السلام سال اولا كلا الامرين البلدية والامن فاستجيب له في احدهما وتاخر
الاخر الى وقته المقدر له كما يقتضيه الحكمة الباهرة ثم كرر السؤال حسبما هو المعتاد
في الدعاء والابتهال او كان السؤال اولا البلدية وتجدد الامن المصحح للتسكين كما في سائر

للبلاد وقد اجيب اليه لكن السؤال لاستدامته والاقتصار على سؤاله مع جعل البلد صفة لهذا لانه المعتمد الاصلي او لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين وقد حكي ذلك هنا واقتصر هنا على حكاية سؤال الامن اكتفاء عن حكاية سؤال البلد بحكاية سؤاله جعل افئدة الناس تهوي اليه كما سيأتي تفصيله هنالك باذن الله عز وجل وارزق اهله من الثمرات من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم عليه السلام من آمن منهم بالله واليوم الآخر بدل من اهله بدل البعض خصهم بالدعاء اظهارا لشرف الايمان وابانة لخطره واهتماما بشأن اهله ومراعاة لحسن الادب وفيه ترغيب لقومه في الايمان وزجر عن الكفر كما ان في حكايته ترغيبا وترهيبا لقريش وغيرهم من اهل الكتاب قال استئناف مبني على السؤال كما مر مرارا وقوله تعالى ومن كفر عطف على مفعول فعل محذوف تقديره ارزق من آمن ومن كفر وقوله تعالى فامتعه معطوف على ذلك الفعل او في محل رفع بالابتداء وقوله تعالى فامتعه خبره اي فانا امتعه وانما دخلته الفاء تشبيها له بالشرط والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع المطلق لكنه يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب النار وقيل هو عطف على من آمن عطف تلقين كانه قيل وارزق من كفر فانما قيل كما يقال انه عليه الصلاة والسلام قاس الرزق على الامامة فنبهه تعالى على انه رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الامامة الخاصة بالخواص فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه قليلا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا ثم اضطره الى عذاب النار اي الجئه اليه لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقرئ ثم نضطره على وفق قراءة فنمتعه وقرئ فامتعه قليلا ثم اضطره بلفظ الامر فيهما على انهما من دعاء ابراهيم عليه السلام وفي قال ضميره وانما عطف عليه مع انه لا تناسب لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه للايذان بان الكفر سبب لاضطرارهم الى عذاب النار واما رزق من آمن فانما هو على طريقة التفضل والاحسان وقرئ بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة واطره بادغام الضاد في الطاء وهي لغة مرذولة فان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف اي بئس المصير النار او عذابها واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت عطف على ما قبله من قوله عز وعلا واذ قال ابراهيم على احد الطريقين المذكورين في واذ جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من مقابل القيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها لانه ينقلها من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة وان كان هو الذي بني عليها لكنها لما التأمت معه صارا شيئا واحدا فكانها نمت وارتفعت وقيل المراد بها ساقات البناء فان كل ساق

قاعدة لما يبنى عليه وفوقه فرفعها بناؤها بعضها فوق بعض وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهامها اولا ثم تبيينها من تفخيم شأنها ما لا يخفى واذ يرفع ابراهيم ما فعله من البيت واسقطها يعني بسببه القاعدة المسوطاة مرتفعة غالبة بالبنا روي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم عليه السلام اربعين حجة من ارض الهند الى مكة فكان على ذلك الى ان رفعه الله تعالى ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور وكان موضعه خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام فامره سبحانه ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله السكينة لتدله عليه فتبعها ابراهيم عليه السلام حتى اتيا مكة المعظمة وقيل بعث الله سبحانه على قدر البيت فسار ابراهيم في ظلها الى ان وافت مكة المعظمة فوقفت على موضع البيت فنودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاءه جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقال الفاسي في زهر العزائم في تاريخ البلد الحرام والذي يتحصل من جملة ما قيل في عدد بناء الكعبة انها بنيت عشر مرات منها بناء الملائكة عليهم السلام ذكره النووي رحمه الله في تهذيب الاسماء واللغات والازرقي في تاريخه وذكر انه كان قبل خلق آدم عليه السلام ومنها بناء آدم عليه السلام ذكره البيهقي في دلائل النبوة وروى فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعث الله تعالى جبريل الى آدم عليه السلام فقال له ولحواء ابنيا لي بيتا فخط لهما جبريل فجعل آدم عليه السلام يحفر وحواء تنقل التراب حتى اذا اصاب الماء نودي من تحته حسبك يا آدم فلما بنياه اوحى اليه ان يطوف به فقيل له انت اول الناس وهذا اول بيت وتمسك اه ذكره الازرقي في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه ومنها بناء بني آدم عليه السلام لما رفعت الخيمة التي عزى الله تعالى بها آدم عليه السلام وكانت مرتبة في موضع البيت فبنى بنوه مكانها بيتا من الطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم الى ان نسفه الغرق في عهد نوح عليه السلام ذكره الازرقي بسنده الى وهب بن منبه ومنها بناء الخليل عليه السلام وهو منصوص عليه في القرآن مشهور فيما بين قاص ودان ومنها بناء العمالقة ومنها بناء جرهم ذكرهما الازرقي بسنده الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومنها بناء قصي بن كلاب ذكره الزبير بن بكار في كتاب النسب ومنها بناء قريش وهو مشهور وبناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومنها بناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بناء الكل وانما كان لجدار من جهة الحجر وقال الحافظ السهيلي ان بناءها لم يكن في الدهر الا خمس مرات الاولى حين بناها شيث عليه السلام انتهى والله اعلم واسماعيل عطف على ابراهيم والفصل بينهما بالمفعول للايذان بان الاصل في الرفع هو ابراهيم عليه الصلاة والسلام واسماعيل تبع له قيل انه كان يناوله الحجارة وهو يبنيها وقيل كانا يبنيانه من طرفين ربنا تقبل منا على ارادة القول اي يقولان وقد قرئ به على انه حال منهما عليهما الصلاة والسلام

وقيل انه من العامل في اذ والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير ويقولان ربنا تقبل
منا اذ يرفعان اي وقت رفعهما • وقيل واسمعيل مبتدأ خبره قول محذوف وهو القائل
في ربنا تقبل منا فيكون ابراهيم هو الرافع واسمعيل هو الداعي والجملة في محل النصب
على الحالية اي واذ يرفع ابراهيم القواعد والحال ان اسمعيل يقول ربنا تقبل منا
والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة
الى ضميرهما عليهما السلام لتحريك سلسلة الاجابة وترك مفعول تقبل ذكر في قوله
تعالى ربنا وتقبل دعاي ليعم الدعاء وغيره من القرب والطاعات التي من جملتها
ما هما بصدده من البناء كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حالية انك انت السميع
لجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا العليم بكل المعلومات التي هي من زمرتها
نياتنا في جميع اعمالنا • والجملة تعليل لاستدعاء التقبل لا من حيث ان كونه تعالى سميعا
لدعائهما عليما بنياتهما مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نياتهما واخلاصهما
في اعمالهما مستدع له بموجب الوعد تفضلا • وتاكيد الجملة لغرض كمال قوة يقينهما بمضمونها
وقصر صفتي السمع والعلم عليه تعالى لاظهار اختصاص دعائهما به تعالى وانقطاع
رجائهما عما سواه بالكلية • واعلم ان الظاهر اول ما جرى من الامور المحكية هو الابتلاء
وما يتبعه من دعاء البلدية والامن وما يتعلق به من رفع قواعد البيت وما يلزم من جعله
مثابة للناس والامر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب الوقوعي في الحكاية لنظم الشؤون الصادرة
عن جنابه تعالى في سلك مستقل ونظم الامور الواقعة من جهة ابراهيم واسمعيل عليهما
السلام من الافعال والاقوال في سلك اخر • واما قوله تعالى ومن كفر الاية فلما وقع في
تضاعيف الاحوال المتعلقة بابراهيم عليه السلام لاقتضاء المقام واستجابته ما سبق من
الكلام الذي يجب لم يكن منه بد اصلا كما لا يخفى • قوله عليه السلام ومن ذريتي في خلال
كلامه سبحانه لذلك ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك ومستسلمين لك من اسلم اذا
استسلم وانقاد وايا ما كان فالمطلوب الزيادة او الثبات على ما كان عليه
من الاخلاص والاذعان • وقرئ مسلمين على صيغة الجمع بادخال هاجر معهما في الدعاء ولان
التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصاهم بالدعاء
لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح الاتباع وانما خصا به بعضهم لما علما ان منهم ظلمة
وان الحكمة الالهية لا تقتضي اتفاق الكل على الاخلاص والاقبال الكلي على الله عز وجل فان
ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا • وقيل اراد بالامة المسلمة
امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد جوز ان يكون من للتبيين وقدمت على المبين وفصل بها بين
العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى ومن الارض مثلهن والاصل وامة مسلمة لك من
ذريتنا وارنا من الرؤية بمعنى الابصار اي بصرنا او عرفنا مناسكنا اي متعبداتنا في الحج او
مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة
وقرئ ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة
دليل عليها • وقرئ بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما وحكاية عنها لترغيب الكفرة

في

في التوبة والايمان او توبة لما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما
انك انت التواب الرحيم لمن تاب وهو تعليل لما سبق من الاستدعاء للاجابة قيل اذا اراد العبد
ان يستجاب له فليدع الله عز وجل بما يناسبه من اسمائه وصفاته ربنا وابعث فيهم اي في الامة
المسلمة رسولا منهم اي من انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من
ذريتهما غير النبي صلى الله عليه وسلم فهو الذي اجيب به دعوتهما عليهما السلام • روي انه قيل
له قد استجيب لك وهو في اخر الزمان • قال عليه الصلاة والسلام انا دعوة ابي ابراهيم
وبشرى عيسى ورؤيا امي • وتخصيص ابراهيم عليه السلام بالاستجابة لما انه الاصل في الدعاء
واسمعيل تبع له عليهما الصلاة والسلام يتلو عليهم اياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه
من البينات ويعلمهم حسب قوتهم النظرية الكتاب اي القرآن والحكمة وما يكمل به نفوسهم
من احكام الشريعة والمعارف الحقة ويزكيهم حسب قوتهم العملية اي يطهرهم عن دنس
الشرك وفنون المعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم الذي لا يفعل
الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل للدعاء واجابة المسئول فان وصف الحكمة مقتض
لافاضة ما تقتضيه الحكمة من الامور التي من جملتها بعث الرسول ووصف العزة مستدع لامتناع
وجود المانع بالمرة ومن يرغب عن ملة ابراهيم انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن ملته
التي هي الحق الصريح والدين الصحيح اي لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء الا من سفه نفسه اي اذلها
واستمهنها واستخف بها • وقيل خسر نفسه • وقيل اوبق او هلك او جهل نفسه • قال المبرد
وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد في الخبر الكبر ان تسفه الحق
وتغمص الناس • وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصب على التمييز
نحو غبن رأيه والم رأسه ونحو قوله •

• ونأخذ بعده بذناب عيش • اجب الظهر ليس له سنام • وقوله
• وما قومي بثعلبة بن سعد • ولا بفزارة الشعر الرقابا •

وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه احد من العقلاء فقد بالغ في اذلال نفسه واذالتها واهانتها حيث
خالف بها كل نفس عاقلة • روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام
فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به
فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فنزلت ولقد اصطفيناه
في الدنيا اي اخترناه بالنبوة والحكمة من بين سائر الخلق واصله اتخاذ صفوة الشيء كما ان اصل
الاختيار اتخاذ خيره واللام جواب قسم محذوف والواو اعتراضية والجملة معترضة
لمضمون ما قبلها اي وبالله لقد اصطفيناه • وقوله تعالى وانه في الاخرة لمن الصالحين اي من
المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح معطوف عليها داخل في حيز القسم مؤكد
لمضمونها مقرر لما تقرر ولا حاجة الى جعله اعتراضا اخر او حالا مقدرة فان من كان صفوة
للعباد في الدنيا مشهودا له بالصلاح بالاخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا
سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والتامل وايثار [illegible]
لما ان انتظامه في زمرة صالحي اهل الاخرة امر مستمر في الدارين لا انه يحدث في الاخرة والتا

بان ذلك لما ان الامور الاخروية خفية عند المخاطبين فحاجتها الى التاكيد اشد من الامور
التي تشاهد اثارها وكلمة في متعلقة بالصالحين على ان اللام للتعريف وليست بموصولة حتى
يلزم تقديم بعض الصلة عليها مع انه قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره • كما في قوله •
ربيته حتى اذا تمعددا • كان جزائي بالعصا ان اجلدا • او بمحذوف
من لفظه اي وانه لصالح في الاخرة لمن الصالحين او من غير لفظه اي اعني في الاخرة كقولك
بعد رعيا • وقيل متعلقة باصطفيناه في الدنيا والاخرة وانه لمن الصالحين اذ قال له ظرف
لاصطفيناه لما ان المتوسط ليس باجنبي بل هو مقرر له لان اصطفاءه في الدنيا انما هو للنبوة
وما يتعلق بصلاح الاخرة او تعليل له او منصوب باذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتقف
على انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه ما نال ما نال الا بالمبادرة الى
الاذعان والانقياد لما امر به واخلاص سره على احسن ما يكون حين قال له ربه اسلم اي
قال اسلمت لرب العالمين وليس الامر على حقيقته بل هو تمثيل والمعنى اخطر بباله دلائل التوحيد
المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام من الكواكب والقمر والشمس • وقيل اسلم اي اذعن
ذالحم • وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص واستقم وفوض امورك الى الله
تعالى والامر على حقيقته والالتفات مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليه عليه
الصلاة والسلام لاظهار مزيد اللطف والاعتناء بتربيته واضافة الرب في جوابه عليه السلام
الى العالمين للايذان بكمال قوة اسلامه عليه السلام حيث ايقن حين النظر بشمول ربوبيته
للعالمين قاطبة لا لنفسه وحده كما هو المامور به ووصى بها ابراهيم بنيه شروع في بيان تكميله
عليه الصلاة والسلام لغيره اثر بيان كماله في نفسه وفيه تاكيد لوجوب الرغبة في ملته
عليه الصلاة والسلام والتوصية التقدم الى الغير بما فيه خير وصلاح للشلبين من عمل او
قول واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل
الموصى والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت لرب العالمين بتاويل الكلمة كما عبر عن قوله تعالى
انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه وقرئ اوصى
والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم اي وصى بها ايضا بنيه • وقرئ بالنصب عطفا
على بنيه يا بني على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين لانه في معنى القول
كما في قوله • رجلان من ضبة اخبرانا • انا راينا رجلا عريانا • فهو عند
الاولين بتقدير القول وعند الاخرين متعلق بالاخبار الذي هو في معنى القول • وقرئ ان
يا بني وبنو ابراهيم عليه السلام كانوا اربعة اسماعيل واسحاق ومدين ومدان • وقيل ثمانية
وقيل اربعة وعشرون وكان بنو يعقوب اثني عشر روبيل وشمعون ولاوي ويهودا ويسخر
وزبولون وزودانا ونفتونا وكودا واوشير وبنيامين عليهم السلام ان الله اصطفى لكم الدين
دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان ولا دين غيره عنده تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون
ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود الامر بالثبات على الاسلام الى
حين الموت اي فاثبتوا عليه ولا تفارقوه ابدا كقولك لا تصل الا وانت خاشع والتغيير
العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان حقه ان لا يحل بهم وانه

يجب

يجب ان يحذر غاية الحذر ونظيره مت وانت شهيد • روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ
حضر يعقوب الموت ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة والخطاب لاهل الكتاب الراغبين
عن ملة ابراهيم وشهداء جمع شهيد او شاهد بمعنى الحاضر واذ ظرف لشهداء والمراد بحضور
الموت اسبابه وتقديم يعقوب عليه السلام للاهتمام به اذ المراد بيان كيفية وصيته
لبنيه بعد ما بين ذلك اجمالا ومعنى بل الاضراب والانتقال من توبيخهم على رغبتهم عن ملة
ابراهيم عليه السلام الى توبيخهم على افترائهم على يعقوب عليه السلام باليهودية حسبما
حكي عنهم • واما تعميم الافتراء لسائر الانبياء عليهم السلام كما قيل فيأباه تخصيص يعقوب
عليه السلام بالذكر وما سيأتي من قوله عز وجل ام يقولون ان ابراهيم الاية ومعنى الهمزة
انكار وقوع الشهود عند احتضاره عليه السلام وتبكيتهم وقوله تعالى اذ قال لبنيه
بدل من اذ حضر اي ما كنتم حاضرين عند احتضاره عليه السلام وقوله لبنيه ما تعبدون
من بعدي اي اي شيء تعبدونه بعد موتي فمن اين لكم ان تدعوا عليه السلام ما تدعون رجما
بالغيب وعند مثله اثر التوبيخ والانكار والتبكيت ثم بين ان الامر قد جرى حينئذ على خلاف
ما زعموا وانه عليه السلام اراد بسؤاله ذلك تقرير بنيه على التوحيد والاسلام واخذ
ميثاقهم على الثبات عليهما اذ به يتم وصيته بقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وما بال له
به شي مما لم يعرف فما ذا اعرف حضور العقاب من اراد اسلام بنيه وان سال عن معتقد تعبيل
ما ذكره فعقبه امر طبيب فقوله تعالى قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية سؤال
يعقوب عليه السلام كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا نعبد الهك واله اباءك
ابراهيم واسماعيل واسحاق حسبما كان مراد ابيهم عليه السلام بالسؤال اي نعبد الاله المتفق على
وجوده والهيته ووجوب عبادته وعد اسماعيل من اباءه تغليب للاب والجد لقوله عليه الصلاة والسلام
عم الرجل صنو ابيه • وقوله عليه الصلاة والسلام في العباس هذا بقية ابائي وقرئ ابيك
• •
على انه جمع بالواو والنون • كما في قوله •
فلما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا • وقد سقطت النون
بالاضافة او مفرد وابراهيم عطف بيان له واسماعيل واسحاق معطوفان على ابيك الها واحدا
بدل من اله اباءك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة خاطئة وفائدته التصريح بالتوحيد
ودفع التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور او نصب على الاختصاص ونحن
له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله او منهما معا ويحتمل ان يكون اعتراضا محققا لمضمون
ما سبق تلك امة مبتدا وخبر والاشارة الى ابراهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين والامة
هي الجماعة التي تؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها قد خلت صفة للخبر اي
مضت بالموت وانفردت عمن عداها واصلها صارت الى الخلاء وهي الارض التي لا انيس
بها لها ما كسبت جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب او صفة اخرى لامة او حال
من الضمير في خلت وما موصولة او موصوفة والعائد اليها محذوف اي لها ما كسبته
من الاعمال الصالحة المحكية لا يتخطاها الى غيرها فان تقديم المسند يوجب قصر المسند اليه

عليه كما هو المشهور **ولكم ما كسبتم** عطف على ما قبله على الوجه الاول وجملة مبتدأة على الوجهين
الاخيرين اذ لابد في العطف من المقارنة في الزمان ولابد منها في الحال
اي لكم ما كسبتموه لا ما كسبه غيركم فان تقديم المسند قد يقصد به قصر المسند
اليه كما قيل في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين اي ولي ديني لا دينكم وحمل الجملة الاولى
على هذا القصر على معنى ان اولياءكم لا ينفعهم الا ما اكتسبوا كما قيل مما لا يساعده المقام اذ لا يتوهم
متوهم انتفاعهم بكسب هؤلاء حتى يحتاج الى بيان امتناعه وانما الذي يتوهم انتفاع هؤلاء
بكسبهم فبين امتناعه بان اعمالهم الصالحة مخصوصة بهم لا تتخطاهم الى غيرهم وليس
لهؤلاء الا ما اكتسبوا فلا ينفعهم انتسابهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم لهم في الاعمال كما قال
عليه السلام يا بني هاشم لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم **ولا تسألون عما كانوا
يعملون** اي اجري السؤال على ظاهره فالجملة مقررة لمضمون ما مر من الجملتين تقريرا ظاهرا
او ان اريد به مسببه اعني الجزاء فهو تتميم لما سبق جار مجرى النتيجة له وايا ما كان فالمراد
تخييب المخاطبين وقطع اطماعهم الفارغة عن الانتفاع بحسنات الامة الخالية وانما اطلق العمل
لاثبات الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة كلية سنن او قد حمل السؤال على المؤاخذة
والموصول عبارة عن السيئات فقيل اي لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم ولا
ريب في انه مما لا يليق بشأن التنزيل كيف لا وهم منزهون عن كسب السيئات فمن اين يتصور
تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لبيان امتناعه **وقالوا** شروع في بيان فن اخر من فنون كفرهم
وهو اضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالهم في انفسهم والضمير لاهل الكتابين على طريقة
الالتفات المؤذن باستيجاب حالهم لابعادهم من مقام المخاطبة والاعراض عنهم
وتعديد جناياتهم عند غيرهم اي قالوا للمؤمنين **كونوا هودا او نصارى** منصوب على القول معنى لا
لكلهم لاي طائفة كانت من الطائفتين بل على موزع عليهما على وجه خاص بتعيينه حالها اتفقنا
منبئا عن التصريح به اي قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى فقد عبر بالنظم
الكريم مما فعل بقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اعتمادا على
ظهور المرام **تهتدوا** جواب للامر اي ان تكونوا كذلك تهتدوا **قل** خطاب للنبي عليه السلام
اي قل لهم على سبيل الرد عليهم وبيان ما هو الحق لديهم وارشادهم اليه **بل ملة ابراهيم**
اي لا نكون كما تقولون بل نكون اهل ملته عليه السلام ويجوز ان يكون المعنى بل
اتبعوا انتم ملته عليه السلام او كونوا اهل ملته وقرئ بالرفع اي بل ملتنا او امرنا
ملته او نحن ملته او اهل ملته **حنيفا** اي مائلا عن الباطل الى الحق وهو حال من المضاف
اليه كما في رايت وجه هند قائمة او المضاف كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من
غل اخوانا الى اخره **وما كان من المشركين** تعريض بهم وايذان ببطلان دعواهم اتباعه عليه
السلام مع اشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله **قولوا** خطاب للمؤمنين بعد خطابه عليه
السلام برد مقالاتهم الشنعاء على الاجمال وارشادهم الى طريق التوحيد والايمان على ضرب من
التفصيل اي قولوا لهم بمقابلة ما قالوا تحقيقا وارشادا ضمنيا لهم اليه **امنا بالله وما انزل
الينا** يعني القران وقدم على سائر الكتب الالهية مع تأخره عنها نزولا لاختصاصه بنا وكونه

سببا

سببا للايمان بها **وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط** الصحف وان كانت نازلة الى ابراهيم
عليه السلام لكن من بعده عليه الصلاة والسلام حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين
تحت احكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل القران منزلا الينا والاسباط جمع سبط وهو
الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام وابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم
حفدة ابراهيم عليه السلام واسحاق **وما اوتي موسى وعيسى** من التوراة والانجيل وسائر
المعجزات الباهرة الظاهرة بايديهما حسبما فصل في التنزيل الجليل وايراد الايتاء لما اشير
اليه من التعميم وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى **وما اوتي النبيون**
اي من جملة المذكورين وغيرهم **من ربهم** من الايات البينات والمعجزات الباهرات
لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى امنوا ببعض وكفروا ببعضهم وانما اعتبر عدم
التفريق بينهم مع ان التفريق بين ما اوتوا وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن
يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول
بين عليه كما في مثل المال بين الناس ومنه ما في قوله عليه الصلاة والسلام ما احلت
الغنائم لاحد سود الرؤوس غيركم حيث وصف بالجمع واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد
وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره
اي بين احد منهم وبين غيره كما في قول النابغة

فما كان بين الخير لو جاء سالما ... ابو حجر الا ليال قلائل

اي بين الخير وبيني وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد منهم
وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بينهم والجملة حال من الضمير في امنا
وقوله عز وجل **ونحن له مسلمون** اي مخلصون له ومذعنون حال اخرى منه او عطف على امنا
فان امنوا الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما تقدم من ايمان المخاطبين على الوجه المحرر
منشأ للايمان الصادر عن الكتابيين لما انه متسبب على ما هو المقبول عندهم **بمثل ما امنتم به** اي بما
امنتم به على الوجه الذي فصل على ان المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني
اسرائيل على مثله اي عليه ويعضده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بما امنتم به وقراءة
ابي بالذي امنتم به ويجوز ان يكون للاستعانة على ان المؤمن به محذوف لظهوره [illegible]
اثنا او على ان التعليق يجري مجرى الالزام اي فان امنوا بامر مغاير اي فان فعلوا الايمان بشهادة
مثل شهادتكم وان تكون الاولى زائدة والثانية مثله لامنتم وما عبارة عنه اي فان امنوا
ايمانا ملتبسا بمثل ما امنتم ايمانا ملتبسا به من الاذعان والاخلاص وعدم ذلك مثل ما للمؤمنين
لا عينه بخلاف المؤمن فانه لا يتصور التعدد **فقد اهتدوا** الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل
بينكم الاتحاد والاتفاق واما ما قيل من ان المعنى فان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق
مثل طريقكم فقد اهتدوا فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق فيأباه ان مقام
تعيين طريق الحق وارشادهم اليه بعينه لا ما يجوز ان يكون له طريق اخر وراءه **وان
تولوا** اي اعرضوا عن الايمان على الوجه المذكور بان اخلوا بشيء من ذلك كان امنوا ببعض
وكفروا ببعض كما هو ديدنهم ودينهم **فانما هم في شقاق** المشاقة والشقاق المخالفة

والخلاف من الخلف والمعاداة والعداء من العداوة اي جانب فان احد المخالفين يعرض عن الاخر
صورة او معنى وذلك لسد خلفه وياخذ في شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم
اي هم مستقرون في خلاف عظيم بعيد من الحق وهذا الدفع ما يتوهم بسبب ايمانهم ببعض
ما آمن به المؤمنون • والجملة اما جواب الشرط كما هي على ان المراد فهم مستمرون على الشقاق الحادث بعد
عدم ايمانهم لا ان لجواب الشرط الاول وانما اوثرت الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم
واستقرارهم فيه ذلك • واما باويلي فاعلموا انما هم في شقاق معه امنوا الذي يستدعيه فخامة
شأن التنزيل الجليل • وقد قيل قوله تعالى فان آمنوا الى اخره من باب التعجيز والتبكيت
على منهاج قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله • والمعنى فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم مماثلا
له في الصحة والسداد فقد اهتدوا واذ لا امكان له فلا امكان لاهتدائهم • ولا
ريب في انه مما لا يليق بجلالة النظم الكريم عليه • ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق
وان ذلك مما يؤدي الى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتفريح المؤمنين بوعد النصر والغلبة وضمان التأييد والاعزاز بالسين
الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل فسيكفيكهم الله اي سيكفيك شقاقهم فان الكفاية
لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال وقد انجز عز وعلا وعده الكريم بقتل بني قريظة وسبيهم
واجلاء بني النضير وتلوين الخطاب بتجريده للنبي صلى الله عليه وسلم مع ان ذلك كفاية منه تعالى
للكل لما انه الاصل والعمدة في ذلك وللايذان بان القيام بامور الحروب وتحمل المؤن
والمشاق ومقاساة الشدائد في مناهضة الاعداء من وظائف الرؤساء فنعمته تعالى في
الكفاية والنصر في حقه عليه السلام اتم واكمل • وهو السميع العليم تذييل لما سبق من
الوعد وتاكيد له والمعنى انه تعالى يسمع ما تدعو به ويعلم ما في نيتك من اظهار الدين فيستجيب
لك ويوصلك الى مرادك او وعيد للكفرة اي يسمع ما ينطقون ويعلم ما يضمرونه في قلوبهم
مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تاكيد الوعد السابق فان وعيد الكفرة
وعد للمؤمنين صبغة الله الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ
عبر بها عن الايمان بالله على الوجه الذي [illegible] لكونه تطهير المؤمنين من اوضار الكفر وحلية
تزينهم باثاره الجميلة ومتداخلا في قلوبهم كما ان شأن الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك وقيل
للمشاكلة التعريضية فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويزعمون
انه تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم واضافتها الى الله عز وجل مع استناده فيما سلف الى الضمير المتكلم
للتشريف والايذان بانها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد بتحصيلها وفي اذن معه ومؤكد
لقوله تعالى آمنا داخل معه في حيز قولوا منتصب عنه انتصاب وعد الله عما تقدمه لكونه بمثابة
تعاليه كانه قيل صبغنا الله صبغته • وقيل هي منصوبة بفعل الاغراء اي الزموا صبغة الله وانما
وسطها النزول لما بعدها مما [illegible] انه الايمان الحق وبه الاهتداء او مسارعة
الى التلبس عليه الصلاة والسلام ومن احسن من الله صبغة مبتدأ وخبر والاستفهام للانكار
والنفي • وقوله تعالى صبغة نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن صبغته
احسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما اي لا صبغة احسن من صبغته

تعالى

تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما على معنى انها احسن من كل صبغة على ما اشير اليه
في قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله الى اخره حيث كان مدار التفضيل في تعميم الحسن
الحقيقي والفرض المبني على زعم الكفرة لم يلزم منه ان يكون في صبغة غيره تعالى حسن في الجملة
والجملة اعتراضية مقررة لما في صبغة الله من معنى التبجح والابتهاج ونحن له اي الله الذي
اولانا تلك النعمة الجليلة عابدون شكرا لها ولسائر نعمه وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية
الفواصل وهو عطف على امنا داخل معه تحت الامر وايثار الاسمية للاشعار بدوام العبادة
او على فعل الاغراء اي الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون فقوله تعالى ومن
احسن من الله صبغة حينئذ يجري مجرى التعليل للاغراء قل اتحاجوننا تجريد الخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم عقيب الكلام الداخل تحت الامر الوارد بالخطاب العام لما ان المامور به
من الوظائف الخاصة به عليه السلام • وقرئ بادغام النون والهمزة للانكار والتوبيخ
اي اتجادلوننا في الله اي في دينه وتدعون ان دين الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول
الجنة والاهتداء عليهما وتقولون تارة لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتارة كونوا
هودا او نصارى تهتدوا وهو ربنا وربكم جملة حالية وكذلك ما عطف عليها اي اتجادلوننا
والحال انه لا وجه للمجادلة اصلا لانه تعالى ربنا اي مالك امرنا وامركم ولنا اعمالنا اي
الحسنة الموافقة للامر ولكم اعمالكم السيئة المخالفة لحكمه ونحن له تعالى مخلصون في تلك الاعمال
لا نبتغي بها الا وجهه فاني لكم المحاجة وادعاء حقية ما انتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه
ودعوة الناس اليه • وكلمة ام في قوله تعالى ام تقولون اما معادلة للهمزة في قوله تعالى اتحاجوننا
داخلة في حيز الامر على معنى اي الامرين تاتون اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما انتم
عليه والحال ما ذكر او التشبث بذيل التقليد والافتراء على الانبياء وتقولون ان ابراهيم
واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى يعني بهم مقتدون والمراد انكار كلا الامرين
والتوبيخ عليهما واما منقطعة مقدرة ببل والهمزة دالة على الاضراب والانتقال من التوبيخ
على المحاجة الى التوبيخ على الافتراء على الانبياء عليهم السلام • وقرئ ام يقولون على صيغة
الغيبة فهي منقطعة لا غير داخلة تحت الامر واردة من جهته تعالى توبيخا لهم وانكارا عليهم
لا من جهته عليه السلام على نهج الالتفات كما قيل تعدد او اما ما قيل من ان المعنى اتحاجوننا
في شأن الله واصطفائه نبيا من العرب دونكم لما روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم
منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت ومعنى قوله تعالى وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم
انه لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد ان يكرمنا باعطائنا
كما اكرمكم بما اعطاكم كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل
من الله تعالى على من يشاء فالكل سواء • واما افاضة حق على المستعدين بها بالمواظبة على الطاعة
والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى في اعطائها • فلنا ايضا اعمال ونحن
له مخلصون اي لا انتم فمع عدم ملائمته لسياق النظم الكريم وسباقه لا يساعده نظم الكلمة ام
معادلة للهمزة غير صحيح في نفسه لما ان المراد بالاعمال من الطرفين ما اشير اليه من الاعمال الصالحة
والسيئة ولا ريب في ان امر الصلاح والسوء يدور على موافقة الدين المبني على البعثة [illegible]

لكنه تعالى يستحقوا باعتبار تلك الاعمال في استحقاق النبوة واستعدادها المتقدم على البعثة بمراتب
قل أأنتم أعلم أم الله اعادة الامر ليست لمجرد تاكيد التوبيخ وتشديد الانكار عليهم بل للايذان
بان ما يعقبه ليس متصلا بما قبله بل بينهما كلام للمخاطبين مرتب على ما سبق مستتبع لما لحق وقد حكي
عنه الله في ... ومن لعن ... بما ادعوا عليه من الافتراء على الانبياء عليهم الصلاة والسلام
كما في قوله عز وجل • قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون • قال فما خطبكم ايها المرسلون
وقوله عز قائلا قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي فان نحن نزل قال في
المؤمنين ولو ... بعض قولي فائدة للايذان بان بينهما كلاما لعالحية متعلق بالاول والثاني
بالتبعية والاستتباع كما مر في مجلسه اي كنت بهم في ذنب واجمعهم قالوا ان الله يعلم وانتم لا
تعلمون • وفيه نفي عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام كلا الامرين حيث قال ما كان ابراهيم
يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله تعالى وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده
ومن لا يعطون قلبه عليهم السلام اتباعه في الدين وفاقا فكيف تقولون ما تقولون
سبحان الله عما يصفون ومن اظلم انكار لان يكون احد اظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده كائنة من
الله وهي شهادته تعالى عليه الصلاة والسلام بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية
حسبما تلي آنفا فمن لك صفة لشهادة • وكذا من الله جيء بها لتعليل الانكار وتاكيده في ثبوت
الشهادة عنده وكونها من جناب الله عز وجل من اقوى الدواعي الى اقامتها واشد الزواجر
عن كتمانها وتقديم الاول مع انه متاخر في الوجود لمراعاة طريقة الترقي من الادنى الى الاعلى
والمعنى انه لا احد اظلم من اهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة وانتحلوا نقيضها بما ذكر
من الافتراء وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان للايذان بان مرتبة من يرد بها ويشهد بخلافها
في الظلم خارجة عن دائرة البيان او لا احد اظلم منا لو كتمنا هذه الشهادة فلم نقمها
في مقام المحاجة وفيه تعريض بغاية اظلمية اهل الكتاب على نحو ما اشير اليه وفي اطلاق الشهادة
مع ان المراد بها ما ذكر من الشهادة تعريض بكتمانهم شهادة الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم
في التوراة والانجيل وما الله بغافل عما تعملون من فنون السيئات فيدخل فيها كتمانهم شهادته
سبحانه وافتراؤهم على الانبياء عليهم الصلاة والسلام دخولا اوليا اي هو محيط بجميع ما تأتون
وما تذرون فيعاقبكم بذلك اشد عقاب • وقرئ عما يعملون على صيغة الغيبة فالضمير اما لمن
كتم باعتبار المعنى واما لاهل الكتاب • وقوله تعالى ومن اظلم الى آخر الآية مسوق من جهته
تعالى لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا
تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على اعمالهم
وقيل الخطاب السابق لهم وهذا الخطاب لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم • وقيل المراد بالامة الاولى الانبياء
عليهم السلام وبالثانية اسلاف اليهود سيقول السفهاء اي الذين خفت احلامهم واستمهنوها
بالتقليد والاعراض عن التدبر والنظر من قولهم ثوب سفيه اذا كان خفيف النسج وقيل
السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم • وقيل الظلوم الجهول • والمراد بالسفهاء
هم اليهود على ما روي عن ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما قالوا انكارا للنسخ وكراهة للتحول
حيث كانوا يأنسون بموافقته عليه السلام لهم في القبلة وقيل هم المنافقون واسوا الاثبات بقوله

عن قولها لا يهمهم السفهاء وانما قالوه لمجرد الاستهزاء والطعن لاعتقادهم حقية القبلة الاولى
وبطلان الثانية اذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون ولم يقولوه كراهة للتحويل
الى مكة بل طعنا في الدين ناسخهم كانوا يقولون رغب عن ملة آبائه ثم رجع اليها وليرجعن الى دينهم
ايضا • وقيل هم القادحون في التحويل من جميعهم فيكون قوله تعالى من الناس اي الكفرة بيانا
ان ذلك القول المحكي لم يصدر من كل فرد من افراد تلك الطوائف الثلاث بل من استغنى بهم المعاد
للخوض في تلك العبادة ... الاطهار اذ لو اريد بهم طائفة مخصوصة منهم لما كان بيان كونهم
من الناس فائدة ... وتخصيص سفهائهم بالذكر لا ينبغي تسليم الباقين للتحويل او تقبلهم
اياه بل لعدم التفوه بالقدح مطلقا او بالعبارة المحكية ما ولاهم اي اي شيء صرفهم والاستفهام
للانكار والنفي عن قبلتهم القبلة فعلة من المقابلة كالوجهة من المواجهة وهي الحالة التي
يقابل الشيء غيره عليها كالجلسة للحالة التي يجلس عليها الجلوس يقال لا قبلة له ولا دبرة اذا
لم يهتد لجهة امره غلبت في الجهة التي يستقبلها الانسان في الصلاة والمراد بها ههنا بيت
المقدس واضافتها الى ضمير المسلمين ووصفها بقوله تعالى التي كانوا عليها اي ثابتين مستمرين
على التوجه اليها ومراعاتها واعتقاد حقيتها لتاكيد الانكار فان الاختصاص بالشيء والاستمرار
عليه باعتبار حقيته مما ينافي الانصراف عنه فان اريد بالقائلين اليهود فهو الانكار لكراهتهم
للتحويل عنها وزعمهم انه خطأ وان اريد بهم المشركون فهو لمجرد القصد الى الطعن في الدين
والقدح في احكامه واظهار ان كلا من التوجه اليها والانصراف عنها واقع بغير داع اليه
لا لكراهتهم الانصراف منها او لتوجهها الى مكة وتعليق الانكار بتوليهم عنها لا بتوجههم الى
غيرها مع تلازمهما في الوجود لما ان ترك الدين القديم ابعد من العقول وانكار سببه ادخل
للاباء الله بان المنكرين هم اليهود بناء على ان المنكر عندهم التحويل من خصوصية بيت المقدس
الذي هو القبلة الحقة عندهم لا التوجه الى خصوصية قبلة اخرى او هم المشركون بناء
على ان المنكر عندهم ترك القبلة العتيقة على وجه الطعن في القدح لا التوجه الى الكعبة
لانه الحق عندهم فافهم ... في ذلك ... والمنافقين من احد الفريقين لا محالة والاخبار
به قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حيث وقع كما اخبر لتوطين النفوس واعداد ما
يبكتهم فان مفاجأة المكروه على النفس اشق واشد والجواب العتيد لشغب الخصم الالد ادحض
وقوله عز وجل لله المشرق والمغرب استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا اقول عند
ذلك فقيل قل لهم لله اي لله تعالى ناحيتا الارض اي الجهات كلها ملكا وتصرفا فلا اختصاص
لناحية منها لذاتها بكونها قبلة دون ما عداها بل انما هو بامر الله سبحانه ومشيئته
يهدي من يشاء اي هدايته مشيئة تابعة للحكمة الخفية التي لا يعلمها الا هو الى صراط مستقيم
موصل الى سعادة الدارين وهو فيما نحن فيه ما تقتضيه الحكمة من التوجه الى بيت المقدس تارة
والى الكعبة اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المقارنة لحكمته ومصالح خلقه وكذلك جعلناكم
توجيه للخطاب الى المومنين بين الخطابين المختصين بالرسول صلى الله عليه وسلم لتاييد ما في
مضمون الكلام من التشريف وذلك اشارة الى مصدر جعلناكم لا الى جعل آخر مفهوم مما سبق
كما قيل وتوحيد الكاف مع القصد الى المومنين لما ان المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي

دون تعيين المخاطبين ، وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل
وكمال تميزه بهذا الانتظام لتنزيله منزلة الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة
من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير جعلناكم امة وسطا
جعلا كائنا مثل ذلك الجعل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة
فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك الجعل البديع جعلناكم **امة وسطا** لا جعلا
اخر ادنى منه والوسط في الاصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب اليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال
المحمودة البشرية لكن لا لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعواز والاوساط محمية محوطة
كما قيل والتشبث بقول ابن اوس الطائي ،
كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا ،
فان تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار في هذا المقام اذ لا ملابسة بينها وبين اهلية الشهادة
التي جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الخصال اوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من
طرفي الافراط والتفريط كالعفة التي طرفاها الفجور والخمود وكالشجاعة التي طرفاها التهور
والجبن وكالحكمة التي طرفاها الجربزة والبلادة وكالعدالة التي هي كيفية متشابهة حاصلة
من اجتماع تلك الاوساط المحفوفة باطرافها ثم اطلق على المتصف بها مبالغة كانه نفسها وسوي
فيه بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث لرعاية الجانب الاصلي كدأب سائر الاسماء التي يوصف بها
وقد روعيت هاهنا نكتة رائقة هي ان الجعل المشار اليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى
الى الحق الذي عبر عنه بالصراط المستقيم الذي هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق
الجائرة عن القصد الى الجوانب فانا اذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين
فالخط المستقيم انما هو الخط الواقع وسط تلك الخطوط المنحنية ، ومن ضرورة كونه وسطا
بين الطرق الجائرة كون الامة المهدية اليه امة وسطا بين الامم السالكة الى تلك الطرق الزائغة
اي متصفة بالخصال الحميدة خيارا وعدولا مزكين بالعلم والعمل **لتكونوا شهداء على الناس** بان الله
عز وجل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا وذكروا فيها من هدى وهو غاية للجعل المذكور
مترتبة عليه فان العدالة كما اشير اليه حيث كانت هي الكيفية المتشابهة الحاصلة من العفة
التي هي فضيلة القوة العقلية الملكية المشار اليها بقوله عز وعلا ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا كان المتصف بها واقفا على الحقائق المودعة في الكتاب المبين المنطوي على
احكام الدين واحوال الامم اجمعين حائزا لشرائط الشهادة عليهم ، روي ان الامم يوم القيمة
يجحدون تبليغ الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيطالبهم الله تعالى بالبينة وهو اعلم اقامة للحجة
على المنكرين وزيادة لخزيهم بان كذبهم من بعدهم من الامم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم
فيشهدون ويقولون عند ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى
عند ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم ويسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك
قوله عز وعلا **ويكون الرسول عليكم شهيدا** وكلمة الاستعلاء لما في الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن
وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا تقبل فيه الشهادة الا من العدول الاخيار
وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص شهادته عليه الصلاة والسلام بهم **وما جعلنا القبلة**

التي كنت عليها جرد الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام رمزا الى ان مضمون الكلام من الاسرار
الحقيقية بان يختص معرفته به عليه الصلاة والسلام والمراد بالموصول صفة القبلة بل هو مفعول
ثان للجعل فان الجعل تحويل الشيء من حالة الى اخرى فالمتلبس بالحالة الثانية هو المفعول
الثاني كما في قولك جعلت الطين خزفا فينبغي ان يكون المفعول الاول هو الموصول والثاني هو
القبلة فكلام مناط ثانيا الى ما من حيث النظر الجليل ولكن التامل اللائق يهدي
الى العكس فان المقصود افادة ان ليس جعل الجهة قبلة لا غير كما يتبادر مما ذكر بل هو جعل القبلة
المحققة لوجود تلك الجهة دون غيرها والمراد بالموصول هي الكعبة فانه عليه الصلاة والسلام
كان يصلي اليها اولا ثم لما هاجر امر بالصلاة الى الصخرة تألفا لليهود او هي الصخرة لما روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان قبلته عليه السلام بمكة كان بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة
بينه وبينه ، وعلى هذه الرواية لا يمكن ان يراد بالقبلة الاولى الكعبة واما الصخرة
فتأتي ارادتها على الروايتين والمعنى على الاول وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اولا وهي
الكعبة وعلى الثاني وما جعلنا ما التي كنت عليها قبل هذا الوقت وهي الصخرة **الا لنعلم**
استثناء مفرغ من اعم العلل اي وما جعلنا ذلك لشيء من الاشياء الا لنمتحن الناس اي نعاملهم معاملة
من يمتحنهم ونعلم حينئذ **من يتبع الرسول** في التوجه الى ما امر به من الدين او القبلة والالتفات
الى الغيبة مع ايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للاشعار بعلة الاتباع **ممن ينقلب على عقبيه** يرتد عن دين
الاسلام او لا يتوجه الى القبلة الجديدة او لنعلم الان من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان
لعارض يزول بزواله وعلى الاول ما رددناك الى ما كنت عليه الا لنعلم الثابت على الاسلام
والناكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزاء من العلم
الحالي اي ليتعلق علمنا به موجودا بالفعل ، وقيل المراد علم الرسول صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين واسناده اليه سبحانه لما انهم خواصه او لتمييز الثابت عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز
الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذي هو مسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم
على بناء المجهول من صيغة الغيبة والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق بما في من معنى الاستفهام
او مفعوله الثاني ممن ينقلب الى اخره اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب على عقبيه **وان
كانت لكبيرة** اي شاقة ثقيلة وان هي المخففة من المثقلة دخلت على ناسخ المبتدأ والخبر واللام
هي الفارقة بينها وبين النافية ، كما في قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا ، وزعم الكوفيون
انها النافية واللام بمعنى الا اي ما كانت الا كبيرة والضمير الذي هو اسم كان راجع الى ما دل عليه
قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او من التولية او التحويلة او الردة او
القبلة ، وقرئ لكبيرة بالرفع على ان كان مزيدة ، كما في قوله ،
واخوان لنا كانوا كرام ، واصله وان هي لكبيرة كقوله ان زيد
لمنطلق **الا على الذين هدى الله** اي الى سر الاحكام الشرعية المبنية على الحكم والمصالح اجمالا
او تفصيلا وهم المهديون الى الصراط المستقيم الثابتون على اتباع الرسول عليه السلام
وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ما صح وما استقام له ان يضيع ثباتكم على الايمان بل شكر
صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ، وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلاتكم اليها

لما روي انه عليه الصلاة والسلام لما توجه الى الكعبة قالوا كيف حال اخواننا الذين مضوا وهم يصلون
الى بيت المقدس فنزلت واللام في ليضيع اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو راي البصرية وانتصاب
الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يضيع ايمانكم حتى توجه النفي
الى الارادة الفعل تاكيد ومبالغة لما في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتاكيد ناصبة للفعل
بنفسها كما هو راي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها
وقوله تعالى ان الله بالناس لرءوف رحيم تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له فان اتصافه عز وجل
بهما يقتضي لا محالة ان لا يضيع اجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء متعلقة برءوف وتقديمه على
رحيم مع كونه ابلغ منه لما مر في وجه تقديم الرحمن على الرحيم وقيل الرحمة اكثر من الرافة
في الكمية والرافة اقوى منها في الكيفية لانها عبارة عن ايصال النعم الصافية عن الالام واكثر
ايصال النعمة مطلقا وقد يكون مع الالم كقطع العضو المتاكل * وقرئ رؤف بغير مد كندس
قد نرى تقلب وجهك في السماء اي تردد وجهك وتصرف نظرك في جهتها متطلعا للوحي وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقع في روعه ويتوقع من ربه عز وجل ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابراهيم
وادعى للعرب الى الايمان مجيء بهم ومن ارسطهم ومطافهم ومخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل
عليه السلام بالوحي بالتحويل فلنولينك قبلة ترضاها الفاء لافادة سببية ما قبلها لما بعدها وهي
في الحقيقة داخلة على قسم محذوف يدل عليه اللام اي فوالله لنولينك او لنعطينكها ولنمكننك
من استقبالها من قولك وليته كذا اي صيرته واليا له او لنجعلنك تلي جهتها او لنحولنك على ان نصب
قبلة بحذف الجار وقيل هو متعد الى مفعولين ترضاها تحبها وتشتاق اليها لمقاصد دينية وافقت
مشيئته تعالى وحكمته فول وجهك الفاء لتفريع الامر بالتولية على الوعد الكريم وتخصيص التولية
بالوجه لما انه مدار التوجه ومعياره * وقيل المراد كل البدن اي فاصرفه شطر المسجد الحرام
اي نحوه وهو نصب على الظرفية من ول او على نزع الخافض وعلى انه مفعول ثان له وقيل الشطر في
الاصل اسم لما انفصل من الشيء ودار شطور اذا كانت منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه
وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع من الظلمة ان يتعرضوا له وفي
ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذان بكفاية مراعاة الجهة لان في مراعاة العين من
البعيد حرجا عظيما بخلاف القريب * روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك
في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني
سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول
الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيثما كنتم فولوا وجوهكم
شطره خص الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب تعظيما لجنابه وايذانا باسعاف مرامه ثم عمم
الخطاب للمؤمنين مع التصريح اما كنتم تاكيدا للحكم وتصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد
وحثا للامة على المتابعة وحيثما شرطية وكنتم في محل الجزم بها * وقوله تعالى فولوا جوابها
وتكون هي منصوبة على الظرفية بكنتم كقوله تعالى ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وان الذين
اوتوا الكتاب من فريقي اليهود والنصارى ليعلمون انه اي التحويل او التوجه المفهوم من التولية

الحق

الحق لا غير لعلمهم بان عادته سبحانه وتعالى جارية بتخصيص كل شريعة بقبلة ولما بينهم لما هو
مسطور في كتبهم من انه عليه الصلاة والسلام يصلي الى القبلتين كما يشعر به التعبير عنهم بالعنوان
الموصوف بايتاء الكتاب وان مع اسمها وخبرها ساد مسد مفعولي يعلمون او مسد مفعوله الواحد
على ان العلم بمعنى المعرفة * وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق اي كائنا من
ربهم او صفة له على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الكائن من ربهم وما الله
بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين والخطاب للكل تغليبا * وقرئ على صيغة الغيبة
فهو وعيد لاهل الكتاب ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب وضع الموصول موضع الضمير للايذان بكمال
سوء حالهم من العناد مع تحقق ما ينفيهم منه من الكتاب الناطق بحقية ما كابروا في قبوله
بكل اية اي حجة قطعية دالة على حقية التحويل واللام موطئة للقسم * وقوله تعالى ما تبعوا
قبلتك جواب للقسم المضمر ساد مسد جواب الشرط والمعنى انهم ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها
الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وتجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم مع تعميم الامة
لما ان المحاجة والاتيان بالاية من الوظائف الخاصة به عليه السلام * وقوله تعالى وما انت
بتابع قبلتهم جملة معطوفة على الجملة الشرطية لا على جوابها مسوقة لقطع اطماعهم الفارغة
حيث قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له
عليه السلام وطمعا في رجوعه * وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها واستمراره
وافراد قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها في البطلان ومخالفة الحق والتبعية بعد ان كان
النفي عن التعدد * وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود
تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل
فريق فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم لزيادة المخالفة من بعد ما جاءك من العلم ببطلانها وحقية
ما انت عليه والجملة الشرطية واردة على منهاج التهييج والالهاب للثبات على الحق اي ولئن
اتبعت اهواءهم فرضا انك اذا لمن الظالمين وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة الهوى
فان من ليس من شانه ذلك اذا نهي عنه ورتب عليه ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين
في الظلم فما ظنك بمن ليس كذلك واذن حرف جواب وجزاء توسطت بين اسم ان وخبرها لتقرير ما بينهما
من النسبة اذ كان حقها ان تتقدم او تتاخر فلم تتقدم لئلا يتوهم انها لتقرير النسبة التي بين
الشرط وجوابه المحذوف لان المذكور جواب القسم ولم تتاخر لرعاية الفواصل ولعل ايراد المبالغة
في التاكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا
لصدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذين اتيناهم الكتاب اي علماؤهم
بحر النهج في ايتائه ووضع الموصول موضع المضمر مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلية
ما في حيز الصلة للحكم والعهد المنصوب في قوله تعالى يعرفونه للرسول صلى الله عليه وسلم
والالتفات الى الغيبة للايذان بان المراد ليس معرفتهم له عليه الصلاة والسلام من حيث ذاته
ونسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطورا في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من جملتها انه عليه
الصلاة والسلام يصلي الى القبلتين * كانه قيل الذين اتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه
فيه وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم * وقيل هو اضمار قبل الذكر للاشعار بفخامة شانه

عليه السلام وانه علم معلوم بعض اعلامهم فسائل وقيل المضمر للعلم اي شبيه الذي هو الوحي او القران
او التحويل ويؤيد الاول قوله عز وجل كما يعرفون ابناءهم اي يعرفونه عليه الصلاة والسلام باوصافه
الشريفة المكتوبة في كتابهم لا يشتبه عليهم كما لا يشتبه ابناؤهم وتخصيصهم بالذكر دون ما
بعدها للبنات لكونه اعرف عنده منهن بسبب كونهم حاجة اليهم عن عمر رضي الله عنه انه سال عبد
الله بن سلام رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني قال ولم قال
لاني لست اشك فيه انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه رضي الله عنه وان فريقا
منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون معهم الذين كابروا وعاندوا والحق والباقون منهم الذين امنوا منهم
فانهم اظهروه والحق ولا يكتمونه واما الجهلة منهم فليس لهم معرفة بالكتاب ولا بما في تعابيره
فانهم بعيدا الاطلاع ولا يعد الكتمة وانما كفرهم على وجه التقليد الحق بالرفع على انه مبتدا
وقوله تعالى من ربك خبره واللام للعهد والاشارة الى ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم او الى
الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تعالى كالذي انت عليه لا غيره
كالذي عليه اهل الكتاب او على انه خبر مبتدا محذوف اي هو الحق وقوله تعالى من ربك اما
حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون وفي التعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام من اظهار اللطف به عليه السلام
ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين اي الشاكين في كتمانهم الحق عالمين به وقيل في انه من ربك وليس
المراد به نهي الرسول عليه الصلاة والسلام عن الشك فيه لانه غير متوقع منه عليه الصلاة والسلام
وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف
المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل اي لكل امة من الامم على ان التنوين عوض من المضاف اليه
وجهة اي قبلة وقد قرئ لكل قبلة او لكل قوم من المسلمين جانب من جوانب الكعبة هو موليها احد
المفعولين محذوف اي موليها وجهه او الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى ولكل
وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة لتاكيد ما اكده وجبر ضعف العامل وقرئ مولاها
اي مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات اي تسابقوا اليها بنزع الجار كما في قوله
● ثنائي عليكم الحرب ومن يلي سواكم فاني مهتد غير مائل ●
وهو ابلغ من الامر بالمسارعة لما فيه من الحث على احراز قصب السبق والمراد بالخيرات جميع انواعها
من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة
اينما تكونوا يات بكم الله جميعا اي في اي موضع تكونوا من موافق او مخالف مجتمع الاجزاء او متفرقها يجمعكم
الله تعالى الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما
تكونوا من الجهات المختلفة المتقابلة يجعل صلاتكم كلها صلاة الى جهة واحدة ان الله على كل شيء
قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع وهو تعليل الحكم السابق ومن حيث خرجت تاكيد لحكم التحويل
وتصريح بعدم تفاوت الامر في حالتي السفر والحضر ومن متعلق بقوله تعالى فول او بمحذوف
عطف هو عليه اي من اي مكان خرجت اليه للسفر فول وجهك عند صلاتك شطر المسجد
الحرام وافعل ما امرت به من اي مكان عليه قول الى اخره وانه اي هذا الامر للحق من
ربك اي الثابت الموافق للحكمة وما الله بغافل عما تعملون فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو وعد لكم

وقرئ

وقرئ يعملون على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين ومن حيث خرجت اليه في اسفارك ومغازيك من
المنازل القريبة والبعيدة فول وجهك شطر المسجد الحرام الكلام فيه كما مر انفا وحيث ما كنتم
من اقطار الارض مقيمين او مسافرين حسبما يعرب عنه ايثار كنتم على خرجتم فان الخطاب عام لكافة
المؤمنين المنتشرين في الافاق من الحاضرين والمسافرين فلو قيل وحيثما خرجتم لما تناول
الخطاب المؤمنين المقيمين في الاماكن المختلفة من حيث اقامتهم فيها فولوا وجوهكم من محالكم
شطره والتكرير لما ان القبلة لها شان خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالحري
ان يؤكد امرها مرة بعد اخرى مع انه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة لئلا يكون للناس عليكم حجة
متعلق بقوله تعالى فولوا وقيل بمحذوف يدل عليه الكلام كانه قيل فعلنا ذلك لئلا الخ
والمعنى ان التولية عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التوراة من اوصافه انه
يحول الى الكعبة واحتجاج المشركين بانه يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم
وهم اهل مكة اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم الذين يقولون ما تحول الى الكعبة
الا ميلا الى دين قومه او حبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وتسمية
هذه المقالة الشنعاء حجة مع انها افحش الاباطيل من حيث انها في قوله تعالى حجتهم داحضة حيث كانوا
يسوقونها مساق الحجة وقيل الحجة بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا
كما في قوله ● ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ● بهن فلول من قراع الكتائب ●
معذورة ان لا حجة للظالم وقرئ الا الذين على انه استيناف فلا تخشوهم
فان مطاعنهم لا تضركم شيئا واخشوني فلا تخالفوا امري ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة لمحذوف
لا به لعلية النظر الكبير اي وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم لما انه نعمة جليلة ولارادتي
اهتداءكم لما انه صراط مستقيم مؤد الى سعادة الدارين كما اشير اليه في قوله عز وجل يهدي من
يشاء الى صراط مستقيم وفي التعبير عن الارادة بكلمة لعل الموضوعة للترجي على طريقة
الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال العناية ما لا يخفى او عطف على علة مقدرة اي
واخشوني لاحفظكم عنهم واتم الى اخره او على قوله تعالى لئلا يكون الى اخره وتوسيط قوله
تعالى لئلا يكون الى اخره وتوسيط قوله تعالى فلا تخشوهم الى اخره للمسارعة الى التسلية
والتنبيه وفي الخبر تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله والظرف الاول متعلق بالفعل قدم على مفعوله
الصريح لما في صفاته من الطول والظرف الثاني متعلق بمضمر وقع صفة لرسولا مبينة لتمام النعمة
اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة اتماما كائنا كاتمامها بارسال رسول كائن منكم فان
ارسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة لا يكافئها نعمة قط وقيل متصل بما بعده اي كما ذكرتكم
بالارسال فاذكروني الى اخره ● وايثار صيغة المتكلم مع العظمة الموجبة لما قبله افتتان
وجريان على سنن الكبرياء يتلو عليكم اياتنا صفة ثانية لرسولا كاشفة لكمال النعمة ويزكيكم
عطف على يتلو اي يحملكم على ما تصيرون به ازكياء ويعلمكم الكتاب والحكمة صفة اخرى مترتبة في الوجود
على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها
المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصلة بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان

كائن من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى ربنا
وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم
لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره في قصة البقرة وهو السر في التعبير عن القران
تارة بالايات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه
شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث الشريفة من الشرائع • وقوله عز وجل ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون صريح في ذلك فان الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة قطعا قد عطف تعليمه على تعليمهما
وما ذلك الا لتفصيل فنون النعم في مقام يقتضيه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ
عقيب قوله تعالى نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم انه ليس من شانهم ان يعلموه
بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانحصار الطريق في الوحي فاذكروني الفاء للدلالة على ترتب
الامر على ما قبله من موجباته اي فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب وهو تحريض على الذكر
مع الاشعار بما يوجبه واشكروا لي ما انعمت به عليكم من النعم ولا تكفرون بجحدها وعصيان
ما امرت تكريره يا ايها الذين امنوا وصفهم بالايمان اثر تعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطا لهم
وحثا على مراعاة ما يعقبه من الامر استعينوا في كل ما تاتون وما تذرون بالصبر على الامور الشاقة
على النفس التي من جملتها معاداة الكفرة ومقاتلتهم المؤدية الى مقاتلتهم والصلاة التي هي ام العبادات
ومعراج المومنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين تعليل للامر بالاستعانة بالصبر
خاصة لما انه المحتاج الى التعليل واما الصلاة فحيث كانت عند المومنين كما ينبئ عنه قوله عليه
الصلاة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلاة لم يفتقر الامر بالاستعانة بها الى التعليل
ومعنى المعية الولاية الدائمة المستتبعة للنصرة واجابة الدعوة وتخصيص الصابرين لما
انهم المباشرون للصبر حقيقة فهم مستحقون من تلك الحيثية ولا تقولوا عطف على استعينوا
الخ مسوق لبيان ان لا غائلة للمامور به وان الشهادة اثر ما يؤدي اليها الصبر حياة ابدية
لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء اي بل هم احياء ولكن لا تشعرون بحياتهم
وفيه رمز الى ان حياتهم ليست مما يشعر به المشاعر الظاهرة من الحياة الجسمانية وانما هي امر روحاني
لا يدرك بالعقل بل بالوحي • وعن الحسن رحمه الله ان الشهداء احياء عند الله تعالى تعرض ارزاقهم
على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ال فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم
الالم والوجع فكنت رايت في المنام سنة تسع وثلاثين وتسعماية اني ازور قبور شهداء احد رضي
الله عنهم وانا اتلو هذه الاية وفي ما في سورة ال عمران واردد ما متفكرا في امرهم وفي نفسي ان
حياتهم روحانية لا جسمانية فبينما انا على ذلك اذ رايت شابا منهم قاعدا في قبره تام الجسد كامل
الخلقة في احسن ما يكون من الهيئة والمنظر ليس عليه شيء من اللباس قد بدا منه ما فوق السرة
والباقي في القبر خلا اني اعلم يقينا ان ذلك ايضا كالظاهر وانما لم يظهر لكونه عورة فنظرت الى
وجهه فرايته ينظر الي متبسما كانه ينبهني على ان الامر خلاف ما رايت فسبحان من علت كلمته
وجلت حكمته • وقيل الاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان
الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه
جمهور الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين وبه نطقت الايات والسنن • وعلى هذا

فتخصيص

تخصيص الشهدا لما انهم مقام التشريف على مباشرة مبادي الشهادة ولاختصاصهم
بمزيد القرب من الله عز وجل ولنبلونكم لنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم اتصبرون على البلا
وتستسلمون للقضا بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك فان ما وقاهم عنه اكثر بالنسبة
الى ما اصابهم بالف مرة وكذا ما يصيب به معانديهم • وانما اخبرهم به قبل الوقوع ليوطنوا عليه
نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم حسبما اخبر به وليعلموا انه شيء يستتبع
له عاقبة حميدة ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء • وقيل على الخوف • وعن
الشافعي رضي الله عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال
الزكاة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد •
وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم
ولد عبدي فيقولون نعم فيقول عز وجل ماذا قال والله فيقولون حمدك واسترجع
فيقول عز وجل ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين
الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب
للرسول عليه الصلاة والسلام او لكل من يتاتى منه البشارة والمصيبة ما يصيب
الانسان من مكروه • لقوله عليه الصلاة والسلام كل شيء يؤذي المومن فهو له
مصيبة وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق له وانه
راجع الى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه ويرى ان ما بقي عليه اضعاف ما استرده منه
فيهون ذلك على نفسه ويستسلم وبشر به محذوف دل عليه ما بعده اولئك اشارة
الى الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه للايذان بعلو رتبتهم
عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلاة من الله سبحانه المغفرة والرافة وجمعها
للتنبيه على كثرتها وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة كما في قوله تعالى رافة
ورحمة رؤوف رحيم والتنوين للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم
لاظهار مزيد العناية بهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم
فنون الرافة الفائضة من مالك امورهم ومبلغهم الى كمالاتهم اللائقة بهم • وعن
النبي عليه السلام من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل
له خلفا صالحا يرضاه واولئك اشارة اليهم اما باعتبار السابق والتكرير لاظهار
كمال العناية بهم واما باعتبار حيازتهم لما ذكر من الصلاة والرحمة المترتب على اعتبار
الاول فمعناه الاول • والمراد بالاهتداء في قوله عز وجل هم المهتدون هو الاهتداء
للحق والصواب مطلقا لا الاهتداء لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام خاصة
لما انه متقدم عليهما فلا بد من حمله على ما هو نتيجة لهما من داع يوجبه وليس بظاهر والجملة
اعتراض مقرر لمضمون ما قبله • كانه قيل واولئك هم المختصون بالاهتداء لكل الفوز
بالمطالب • والمعنى اولئك هم الفائزون بمباغيهم الدينية والدنيوية • فان من
نال رافة الله تعالى ورحمته لم يفته مطلب ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة
والعلم كالثهلان والمقطم من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة

من حج البيت او اعتمر الحج في اللغة القصد والاعتمار الزيارة غلبا في الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين كالبيت والنجم في الاعيان وحيث اظهر البيت وجب تجريدهما عن التعلق فلا جناح عليه ان يطوف بهما اي في ان يطوف بهما اصله يتطوف قلبت التاء طاء فادغمت في الطاء وفي ايراد صيغة التفعل ايذان بان من حق الطائف ان يتكلف في الطواف ويبذل فيه جهده وهذا الطواف واجب عندنا وعن مالك والشافعي رحمهما الله انه ركن وايراده الجناح المشعر بالتخيير لما انه كان في عهد الجاهلية صنم يقال له اساف وعلى المروة آخر اسمه نائلة وكانوا اذا سعوا بينهما مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت وقيل هو تطوع ويعضده قراءة من قرأ ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف وخيرا حينئذ نصب على انه صفة لمصدر محذوف اي تطوعا خيرا او على حذف الجار وايصال الفعل اليه او على تضمين معنى فعل وقرئ يطوع واصله يتطوع مثل يطوف وقرئ ومن يتطوع بخير فان الله شاكر اي مجاز على الطاعة عبر عن ذلك بالشكر مبالغة في الاحسان الى العباد عليم مبالغ في العلم بالاشياء فيعلم مقادير اعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من اجورهم شيئا وهو علة لجواب الشرط قائم مقامه كانه قيل ومن تطوع خيرا جازاه الله واثابه فان الله شاكر عليم ان الذين يكتمون قيل نزلت في احبار اليهود الذين كتموا ما في التوراة من نعوت النبي عليه السلام وغير ذلك من الاحكام وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والربيع والاصم انها نزلت في اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم شيئا من احكام الدين لعموم الحكم للكل والاقرب هو الاول فان عموم الحكم لا يأباه خصوص السبب والكتم والكتمان ترك اظهار الشيء قصدا مع مساس الحاجة اليه وتحقق الداعي الى اظهاره وذلك قد يكون بمجرد ستره واخفائه وقد يكون بازالته ووضع آخر في موضعه وهو الذي فعله هؤلاء ما انزلنا من البينات الواضحة الدالة على امر محمد عليه السلام والهدى اي والآيات الهادية الى كنه امره ووجوب اتباعه والايمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للاصل وهي المرادة بالبينات ايضا والعطف لتغاير العنوان كما في قوله عز وجل هدى للناس وبينات الى آخره وقيل المراد بالهدى الادلة العقلية ويأباه الانزال والكتم من بعد ما بيناه للناس متعلق بيكتمون والمراد بالناس الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة ببيناه وكذا الظرف في قوله في الكتاب فان تعلق جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى مما لا ريب في جوازه والاخير متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي كائنا في الكتاب وتبيينه لهم تلخيصه وايضاحه بحيث يتلقاه كل واحد منهم من غير ان يكون له فيه شبهة وهذا عنوان مغاير لكونه بينا في نفسه وهدى موجب للكتم او تفهيمه لهم بواسطة موسى عليه السلام والاول انسب بقوله تعالى في الكتاب والمراد بالكتاب التوراة وبكتمه ازالته ووضع غيره في موضعه فانهم محوا نعته عليه الصلاة والسلام وكتبوا مكانه ما يخالفه كما ذكرنا في تفسير قوله عز وعلا فويل للذين يكتبون

الكتاب

الكتاب الآية اولئك اشارة اليهم باعتبار ما وصفوا به للاشعار بعليته لما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفساد يلعنهم الله اي يطردهم ويبعدهم من رحمته والالتفات الى الغيبة باظهار اسم الذات الجامع للصفات لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بان مبدأ صدور اللعن عنه سبحانه صفة الجلال المغايرة لما هو مبدأ الانزال والتبيين من وصف الجمال والرحمة ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتأتى منهم اللعن اي الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومؤمني الثقلين والمراد بيان دوام اللعن واستمراره وعليه يدور الاستثناء المتصل بقوله تعالى الا الذين تابوا اي من الكتمان واصلحوا اي ما افسدوه بان ازالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا ازالوه عند التحريف وبينوا للناس معانيه فانه غير الاصلاح المذكور او بينوا لهم ما وقع منهم اولا واخرا فانه ادخل في ارشاد الناس الى الحق وصرفهم عن طريق الضلال الذي كانوا اوقعوهم فيه او بينوا توبتهم ليمحوا به سمة ما كانوا فيه ويقتدي بهم احزابهم وحيث كانت هذه التوبة المقرونة بالاصلاح والتبيين مستلزمة للتوبة عن الكفر مبنية عليها لم يصرح بالايمان وقوله تعالى فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة للاشعار بعليته للحكم والفاء لتأكيد ذلك اتوب عليهم اي بالقبول وافاضة المغفرة والرحمة وقوله وانا التواب الرحيم اي المبالغ في قبول التوبة ونشر الرحمة اعتراض تذييلي محقق لمضمون ما قبله والالتفات الى التكلم للافتنان في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز الى ما مر من اختلاف المبدأ في فعليه تعالى السابق واللاحق ان الذين كفروا جملة مستأنفة سيقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتأكيد دوامه واستمراره على غير التائبين حسبما يفيده الكلام والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة من غير تعرض لعدم التوبة والاصلاح والتبيين مبني على ما اشير اليه من ان وجود تلك الامور الحادثة للايمان الموجب لعدم الكفر لان وجود الكفر مستلزم لعدمها جميعا اي ان الذين استمروا على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة وماتوا وهم كفار لا يرعوون عن حالتهم الاولى اولئك الكلام فيه كما فيما قبله عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين اي مستقر عليهم اللعن من الله ومن يعتد بلعنهم من خلقه لما بين اولا دوامها وثبوتها بعد مماتهم دوامها الابدي وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله تعالى لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة الخ وقيل هو فاعل لفعل مقدر اي ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او في النار على انها اضمرت من غير ذكر تفخيما لشانها وتهويلا لامرها لا يخفف عنهم العذاب اما مستأنفة لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف اثر بيان كثرته من حيث الكم او حال من الضمير في خالدين على وجه التداخل او من الضمير في عليهم على طريقة الترادف ولا هم ينظرون عطف على ما قبله جار فيه ما جرى فيه وايثار الجملة الاسمية لافادة دوام النفي واستمراره اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم خطاب عام لكافة الناس اي المستحق منكم للعبادة اله واحد اي فرد في الالهية لا صحة لتسمية غيره الها اصلا

لا اله الا هو خبر ثان للمبتدا او صفة اخرى للخبر او اعتراض وايا ما كان فهو مقرر للوحدانية
ومزيح لما عسى يتوهم ان في الوجود الها لكن لا يستحق العبادة الرحمن الرحيم خبران آخران للمبتدا
او لمبتدا محذوف وهو تقرير للتوحيد فانه تعالى حيث كان موليا لجميع النعم اصولها وفروعها
جليلها ودقيقها وكان ما سواه كائنا ما كان مفتقرا اليه في وجوده وما يتفرع عليه من كمالاته
تحققت وحدانيته بلا ريب واختص استحقاق العبادة به تعالى قطعا • قيل كان للمشركين
حول الكعبة المكرمة ثلاثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت
صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض اي في ابداعهما على ما
هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدائع صنائع يعجز عن فهمها عقول البشر وجمع السموات
لما هو المشهور من انها طبقات متخالفة الحقائق دون الارض واختلاف الليل والنهار اي اعتقابهما
وكون كل منهما خلفا للاخر لقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة واختلاف كل منهما
في انفسهما ازديادا وانتقاصا على ما قدره الله تعالى والفلك التي تجري في البحر عطف على ما
قبله وتانيثه اما بتاويل السفينة او بانه جمع فان ضمة الجمع مغايرة لضمة الواحد في التقدير
اذ الاول كما في حمر والثاني كما في قفل • وقرئ بضمتين على الاصل بما ينفع الناس اي ملتبسة بالذي
ينفعهم مما يحمل فيها من انواع المنافع او بنفعهم وما انزل الله من السماء من ماء عطف على الفلك
وتاخير ذكره مع كونه اعم منها نفعا لما فيه من مزيد تفصيل • وقيل المقصود الاستدلال
بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدم
على ذكر المطر والسحاب لان منشاهما البحر في غالب الامر ومن الاولى ابتدائية والثانية بيانية
او تبعيضية وايا ما كان فتاخيرها لما مر مرارا من التشويق والمراد بالسماء الفلك او السحاب
او جهة العلو فاحيا به الارض بانواع النبات والازهار وما عليها من الاشجار بعد موتها
باستيلاء اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعتها كما يؤذن به ايراد الموت في مقابلة الاحياء وبث
فيها اي فرق ونشر من كل دابة من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة على انزل داخلة تحت
حكم الصلة • وقوله تعالى فاحيا الخ متصل بالمعطوف عليه كانا في حكم شيء واحد كانه
قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها الخ او على احيى بحذف الجار والمجرور العائد
الى الموصول وان لم يتحقق الشرائط المعهودة • كما في قوله

وان لساني شهدة يشتفى بها • ولكن من صبه الله علقم •

وقوله • لعل الذي اصعدني ان يردني • الى الارض لم يقدر الخير قادره •

على معنى فاحيا بالماء الارض وبث فيها من كل دابة فانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح
عطف على ما انزل اي تقليبها من مهب الى آخر او من حال الى اخرى وقرئ على الافراد والسحاب
عطف على تصريف او الرياح وهو اسم جنس واحده سحابة سمي به لانسحابه في الجو المسخر بين السماء
والارض صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما في قوله تعالى سحابا ثقالا
وتسخيره تقليبه في الجو بواسطة الرياح حسب ما تقتضيه مشيئة الله تعالى ولعل تاخير تصريف
الرياح وتسخير السحاب في الذكر عن جريان الفلك وانزال الماء مع انعكاس الترتيب الخارجي لما
في مقدمة البشرة من الاشعار باستقلال كل من الامور المتعددة في كونها آية ولو روعي الترتيب

الخارجي

الخارجي لربما توهم كون المجموع المترتب بعضه على بعض آية واحدة لآيات اسم ان دخلته اللام لتاخره
عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي آيات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة
والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به سبحانه لقوم يعقلون اي يتفكرون فيها وينظرون
اليها بعيون العقول وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا على النبي عليه السلام آية تصدقه في قوله
تعالى والهكم اله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول والا فمن تامل في تلك الآية وجد كلا منها
ناطقة بوجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى واستغنى
بها عن سائرها فان كل واحد من الامور المعدودة قد وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة دون ما
عداه مستتبعا لآثار معينة واحكام مخصوصة من غير ان تقتضي ذاته وجوده فضلا عن وجوده على
نمط معين مستتبع لحكم مستقل فاذن لا بد له حتما من موجد قادر حكيم يوجده حسبما
يقتضيه حكمته ويستدعيه مشيئته متعال عن معارضة الغير اذ لو كان معه اله يقدر على
ما يقدر عليه لزم اما اجتماع المؤثرين على اثر واحد او التمانع المؤدي الى فساد العالم ومن
الناس من يتخذ من دون الله بيان لحال المشركين اثر تقرير وحدانيته سبحانه
وتحرير الآيات الباهرة الملجئة للعقلاء الى الاعتراف بها الناطقة باستحالة ان يشاركه شيء من
الموجودات في صفة من صفات الكمال فضلا عن المشاركة في صفة الالوهية والكلام في اعرابه
كما فصل في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الخ ومن دون الله متعلق
بيتخذ اي من الناس من يتخذ من دون ذلك الاله الواحد الذي ذكرت شؤونه الجليلة
الجليلة • وايثار الاسم الجليل لتعيينه تعالى بالذات اثر تعيينه بالصفات اندادا اي امثالا
من رؤسائهم الذين يتبعونهم فيما ياتون وما يذرون لا سيما في الاوامر والنواهي كما يفصح عنه ما سيأتي
من وصفهم بالتبري من المتبعين • وقيل هي الاصنام وارجاع ضمير العقلاء اليها في قوله عز وعلا يحبونهم
مبني على آرائهم الباطلة في شانها من وصفهم بما لا يوصف به الا العقلاء والمحبة ميل القلب من الحب
استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها والفعل منه حب على حد مد لكن
الاستعمال المستفيض على احب حبا ومحبة فهو محب وذاك محبوب ومحب قليل وحاب اقل منه
ومحبة العبد لله سبحانه وتعالى ارادة طاعته في اوامره ونواهيه والاعتناء بتحصيل مراضيه
فمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم • والجملة في حيز النصب اما صفة لانداد او حال من فاعل يتخذ
وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد باعتبار لفظها كحب الله مصدر تشبيهي اي نعت
لمصدر مؤكد للفعل السابق ومن قضية كونه مبنيا للفاعل كونه ايضا كذلك والظاهر اتحاد فاعله
فانهم كانوا يقرون به تعالى ايضا ويتقربون اليه فالمعنى يحبونهم حبا كائنا كحب الله تعالى اي يسوون
بينه تعالى وبينهم في الطاعة والتعظيم • وقيل فاعل الحب المذكور هم المؤمنون فالمعنى حبا
كائنا كحب المؤمنين له تعالى فلا بد من اعتبار المشابهة بينهما في اصل الحب لا في وصفه
كما وكيفا لما سيأتي من التفاوت البين • وقيل هو مصدر من المبني للمفعول اي كما يحب الله
تعالى ويعظم وانما استغني عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس • والمراد بيان المشابهة بين حبهم
لانداده وبين محبوبيته تعالى فالمصير الى ما ذكرناه في تفسير قوله تعالى يغرن من قتاله كما سيأتي
موقي من قبل • واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف وابانة

كان يحب ما اتخذه **والذين آمنوا أشد حبا لله** جملة مبتدأة جيء بها توطئة لما يعقبها من بيان رخاوة
حبهم وكونه حسرة عليهم والمفضل محذوف أي المؤمنون أشد حبا لله تعالى منهم لأندادهم وما
لأن حبهم أو لنا به لله تعالى أشد من حب هؤلاء لأندادهم وفيه من الدلالة على كون الحب متعديا
من المبني للفاعل ما لا يخفى • وأما حب المفضل عليه حبهم لله تعالى لما أن المقصود بيان انقطاع
والقلة به بغتة وذلك إنما يتصور في حبهم لأندادهم وفيه من الدلالة على كون الحب متعديا من المبني
للفاعل ما لا يخفى • وأما حب المفضل عليه حبهم لله تعالى لما أن المقصود بيان انقطاعه والقلة به
بغتة وذلك إنما يتصور في حبهم لأندادهم لكونه منوطا بمبان فاسدة ومبادئ موهومة يزول بأدنى
فيه ولذلك كانوا يعدلون عنها عند الشدائد إلى الله سبحانه وكانوا يعبدون صنما زمانا
ويجدوا آخر فضحوا إليه وقد أكلت باهلة إلهها عام المجاعة وكان من حيس وأنت خبير بأن مدار
ذلك اعتبار اختلال حبهم في الدنيا وليس الكلام فيه بل في انقطاعه في الآخرة عند ظهور حقيقة
الحال ومعاينة الأهوال كما سيأتي باعتباره مخالفا لما يقتضيه مقام المبالغة في بيان كمال قبح ما ارتكبوه
وغاية عظم ما اقترفوه • وإيثار الإظهار لتفخيم الحب والإشعار بعلته **ولو يرى الذين ظلموا**
أي باتخاذ الأنداد ووضعها موضع المعبود **إذ يرون العذاب** المعد لهم يوم القيامة أي لو علموا إذ عاينوه
وإنما أوثر صيغة المستقبل لجريانها مجرى الماضي لأنه على التحقق في أخبار علام الغيوب
أن القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى **وأن الله شديد العذاب** عطف عليه وفائدته
المبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الأمر فإن اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز
تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف للإيذان بخروجه عن دائرة البيان إما لعدم
الإحاطة بكنهه وإما لضيق العبارة عنه وإما لإيجاب ذكره ما لا يستطيعه المعبر أو المستمع
من الضجر والتفجع عليه أي لو علموا إذ رأوا العذاب لما حل بهم ولم يتعلق منهم أحد من
الأنداد وعلموا أن القوة لله تعالى جميعا ولا دخل لأحد في شيء أصلا لوقعوا من الحسرة والندم
فيما لا يكاد يوصف • وقرئ ولو ترى بالتاء الفوقانية على أن الخطاب للرسول صلى الله عليه
وسلم أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب فالجواب حينئذ لرأيت أمرا لا يوصف من الهول والفظاعة
وقرئ إذ يرون على البناء للمفعول وإن الله شديد العذاب على الاستئناف أو إضمار القول إذ
تبرأ الذين اتبعوا بدل من إذ يرون أي إذ تبرأ الرؤساء **من الذين اتبعوا** من الأتباع بأن اعترفوا
ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا ويدعونهم إليه من فنون الكفر والضلال واعتزلوا
عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن • كقول إبليس إني كفرت بما أشركتمون من قبل • وقرئ بالعكس
أي تبرأ الأتباع من الرؤساء والواو في قوله عز وجل **ورأوا العذاب** حالية وقد مضمرة
وقيل عاطفة على تبرأ والضمير في رأوا للجميع **وتقطعت بهم الأسباب** والوصل
التي كانت بينهم من التبعية والمتبوعية والاتفاق على الملة الزائغة والأغراض الداعية إلى
ذلك وأصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر ونحوه والجملة معطوفة على تبرأ والواسطة
الحال بينها للتنبيه على علة التبري وقد جوز عطفها على الجملة الحالية **وقال الذين اتبعوا** حين
عاينوا تبري الرؤساء منهم وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم في الدنيا **لو أن لنا كرة**
أي ليت لنا رجعة إلى الدنيا **فنتبرأ منهم** منصوب **كما تبرءوا منا** اليوم وكذلك إشارة إلى مصدر

الفعل

الفعل الذي بعده لا إلى إراءة غيرهم كما سبق • وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجة المشار
إليه وبعد منزلته وكأنه منزل كما فيه واستطالة في سلك الأمور المشاهدة والكاف مقحمة لتأكيد ما
أفاده اسم الإشارة من الفخامة وشأنه النصب على المصدرية أي ذلك الإراء الفظيع **يريهم الله أعمالهم**
حسرات عليهم أي ندامات شديدة فإن الحسرة شدة الندم والكمد وهي ألم القلب
والتحسر مما يؤلمه واشتقاقه من قولهم بصير حسير أي منقطع القوة وهي ثالث مفاعيل يري
إن كان من رؤية القلب وإلا فهو حال والمعنى أن أعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون إلا حسرات
مكان أعمالهم **وما هم بخارجين من النار** كلام مستأنف لبيان حالهم بعد دخولهم النار والأصل
وما يخرجون والعدول إلى الاسمية لإفادة دوام نفي الخروج والضمير للدلالة على قوة أمرهم
فيما أسند إليهم كما في قوله •
• هم يفرشون اللبد في كل طمرة • وأجرد سباق يبذ المغاليا •
يا أيها الناس كلوا مما في الأرض أي بعض ما فيها من أصناف المأكولات التي من جملتها ما حرموه افتراء
على الله من الحرث والأنعام • قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في قوم من ثقيف وبني عامر بن
صعصعة وخزاعة وبني مدلج حرموا على أنفسهم ما حرموا من البحائر والسوائب والوصائل والحام
وقوله تعالى **حلالا** حال من الموصول أي كلوه حال كونه حلالا أو مفعول لكلوا على أن من ابتدائية
وقد جوز كونه صفة لمصدر مؤكد أي أكلا حلالا ويفيده الأول أن قوله تعالى **طيبا** فإنه صفة له
ووصف الأكل به غير معتاد • وقيل نزلت في قوم من المؤمنين حرموا على أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس
ويرده قوله عز وجل **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** أي لا تقتدوا به في اتباع الهوى فإنه صريح
في أن الخطاب للكفرة كيف لا وتحريم الحلال على نفسه ليس من باب اتباع خطوات الشيطان
فضلا عن كونه تقولا وافتراء على الشارع وإنما الذي يرد عليهم ما في سورة المائدة من قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآيات • وقرئ خطوات بسكون الطاء
وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي • وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كأنها
على الواو وبفتحتين على أنه جمع خطوة وهي المرة من الخطو **إنه لكم عدو مبين** تعليل للنهي أي ظاهر العداوة
عند ذوي البصيرة وإن كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سمي وليا في قوله تعالى أولياؤهم
الطاغوت **إنما يأمركم بالسوء والفحشاء** استئناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره
وإفساده وانحصار معاملته معهم في ذلك والسوء في الأصل مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة إذا
حزنه يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من أعمال الجوارح أو أفعال القلوب لاشتراك كلها في أنها تسوء
صاحبها والفحشاء أقبح أنواعها وأعظمها مساءة **وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** عطف على الفحشاء أي
وبأن تفتروا على الله بأنه حرم هذا وذاك ومعنى ما لا تعلمون ما لا تعلمون أن الله تعالى أمر به وتعليق أمره
بتقولهم على الله تعالى ما لا يعلمون وقوعه منه تعالى لا بتقولهم ما يعلمون عدم وقوعه منه تعالى مع
أن حالهم ذلك للمبالغة في الزجر فإن الظني منها لا ولم مع كونه في القبح والشناعة دون الثاني
حقيق بأن الثاني على أبلغ وجه وأكده والإيذان بأن العاقل يجب عليه أن لا يتقول على الله تعالى
ما لم يعلم وقوعه منه تعالى مع الاحتمال فضلا عن أن يتقول عليه ما علم عدم وقوعه منه
فالواو فيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا وأما اتباع المجتهد لما أدى إليه ظنه فمستند

اليه ما لا شيء يتوجه قطعي والظن بطريقته **واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله** التفات الى
الغيبة تسجيلا بكمال ضلالهم وايذانا بايجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم لصرف الخطاب
عنهم وتوجيهه الى العقلاء وتفصيل مساوي احوالهم على نهج المباثة اي اذا قيل لهم على وجه
النصيحة والارشاد اتبعوا كتاب الله الذي انزله **قالوا** لا نتبعه **بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا**
اي وجدناهم عليه اما على ان الظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من اباءنا والفينا متعد
الى واحد واما على انه مفعول ثان له قدم على الاول ونزلت في المشركين امروا
باتباع القرآن وسائر ما انزل الله تعالى من الحجج الظاهرة والبينات الباهرة فجنحوا للتقليد
والموصول اما عبارة عما سبق من اتخاذ الانداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك واما باق على عمومه
وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا • وقيل نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم
فعلى هذا يعم ما انزل الله تعالى التوراة لانها ايضا تدعو الى الاسلام وقوله عز وجل
اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون استئناف مسوق من جهته تعالى ردا لمقالتهم
الحمقاء واظهارا لبطلان ارائهم والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتعجيب منه لا لانكار
الوقوع كما في قوله تعالى اولو كنا كارهين وكلمة لو في امثال هذا المقام ليست لبيان انتفاء
الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة
ما قبلها عليه بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من
الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على
ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من
الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى
ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها
المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال
على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي • كما في قولك فلان
جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا • وقوله احسن اليه ولو اساء اليك •
ولا تهنه ولو اهانك لسابقة على خالد • واما فيما نحن فيه فنوع خفاء ناشئ من ورود الانكار
عليه لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور
قبلها وانما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق
به وان ما في حيز لو باق على ما هو عليه من الاستبعاد غالبا بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة
لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وان ما يقصد به بيان تحققه على كل حال
مدلوله لا مدلول المذكور من حيث هو مدلوله وان الجملة حال مما يتعلق به لا مما يتعلق بالمذكور
من حيث هو متعلق وان المقصود الاصلي انكار مدلوله باعتبار مقارنته للحالة المذكورة
واما تعدد مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما في حيزها لا يقصد استبعاده في نفسه
بل لا يقصد الاشعار بانه امر محقق الا انه اخرج مخرج الاستبعاد معاملة مع المخاطبين على
معتقدهم لئلا يلتبسوا في التصريح بنسبة ابائهم الى كمال الجهالة والضلالة لاجله الملزم كونوا

متن

متن الفساد مبالغة في الانكار من جهة ان اتباعهم لابائهم حيث كان منكرا مستقبحا عند احتمال كون
ابائهم كذا كان اتباعهم بعيد فلان يكون منكرا عند تحقق ذلك اولى • والمعنى ايتبعون ذلك ولو
لكن اباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا كذلك فالجملة في حيز النصب
على الحالية من اباءهم على طريقة قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كانه قيل ايتبعون ذلك
اباءهم حال كونهم غافلين وجاهلين ضالين انكارا الى افادة كلامهم من اتباع الظن على اي حالة كانت
في الحالتين غير انه اكتفي بذكر الحالة الثانية بينهما لما ينافي الواقعة في نفس الامر وتعويلا على اقتضائها
للحالة الاولى اقتضاء بينا فان اتباعهم الذي تعلق به الانكار حين تحقق مع كون ابائهم جاهلين
ضالين فلان يتحقق مع كونهم عاقلين مهتدين اولى • ان قدر الانكار المستفاد من الانكاري فيه الاستــ
بمنزلة النفي • ولا ريب في ان الاولوية في صورة النفي معتبرة بالنسبة الى النفي • الا ترى ان
الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها وهي حالة كون ابائهم عاقلين
ومهتدين انكار الاتباع لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه ايتبعون الخ فلو اخذت الحالتين فيها فلتنبه
لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء
المستفاد من الفعل المنفي المذكور • واما فيما نحن فيه فهو نفس الاتباع المستفاد من الفعل المقدر
اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم بل نتبع الخ • واما الاستفهام فخارج عنه
وارد عليه لانكاره بعد تمامه واستقباحه لا انه من تمامه كما في صورة النفي • وكذا الحال فيما اذا كانت
الهمزة لانكار الوقوع ونفيه مع كونه بمنزلة صريح النفي كما سيأتي تحقيقه في قوله تعالى اولو كنا كارهين
وقيل الواو حالية ولكن التحقيق ان المعنى يدور على معنى العطف في سائر اللغات ايضا **ومثل الذين كفروا**
جملة ابتدائية واردة كالتقرير لما قبلها بطريق التصوير وفيها مضاف قد حذف لدلالة ما نقل عليه
ووضع الموصول موضع الضمير الراجع الى ما يرجع اليه الضمائر السابقة لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار
بعليتها لما اثبت لهم من الحكم والمعنى ومثل ذلك القائل وحالته الحقيقية لغرابتها بان تسمى مثلا وتسير
في الافاق فيما ذكر من دعوته اياهم الى اتباع الحق وعدم رفعهم اليه راسا لانهماكهم في التقليد واخلادهم
الى ما هم عليه من الضلالة وعدم فهمهم من جهة الداعي الا الالة كما من غير ان يلقوا اذهانهم الى ما يلقى
عليهم **كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء** من البهائم فلا تسمع الا صوت الراعي ودعوته بها من غير فهم
لكلامه اصلا وقيل ما حذف المضاف من الموصول الثاني لدلالة كلمة ما عليه اذ انها عبارة عنه
مستحق مع ما في حيز الصلة بالعموم اي التمثيل اي مثله الذين كفروا فيما ذكر من انهماكهم فيما هم فيه
وعدم التدبر فيما القي اليهم من الايات كمثل بهائم الذي ينعق بها وهي لا تسمع منه الا جرس النغمة ودوي
الصوت • وقيل المراد تمثيلهم في اتباع ابائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت
ولا تفهم ما تحته • وقيل تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو تصويته على البهائم وهذا يغني
عن الاضمار لكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء فان الاصنام بمعزل من ذلك وقد عرفت ان حسن
التشبيه انما يتأتى بافراد الطرفين **صم بكم عمي** بالرفع على الذم اي هم الخ **فهم لا يعقلون** شيئا لان
طريق التعقل هو التدبر في مبادي الامور المعقولة والتامل في ترتيبها وذلك انما يحصل بالاتباع
ايات الله تعالى ومشاهدة حجج الواضحة والمقاومة مع من يأخذ منه العلوم فاذا كان اصم ابكم
اعمى فقد انسد عليهم ابواب التعقل وطرق الفهم بالكلية **يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات**

كما رزقنا كم اي بين مستلذ انه واشكروا لله الذي رزقكموها والالتفات لتربية المهابة ان كنتم اياه
تعبدون فان عبادته تعالى لا تتم الا بالشكر له وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اني
والانس والجن في نبإ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة
اي اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والسمك والجراد خارجان عنها بالعرف او
استثنا الشرع خروج الطحال من الدم والدم ولحم الخنزير انما خص لحمه مع ان سائر اجزائه ايضا في حكمه
لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه بمنزلة التابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به
الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة برفع الصوت
بالتكبير عنده سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستئثار
على مضطر آخر ولا عاد سد الرمق والجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا
لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي رحمه الله وقول احمد رحمه الله فلا اثم عليه في تناوله
ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة ان قيل ان كلمة انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام
لم يذكر قلنا المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حالة
الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله
من الكتاب المشتمل على فنون الاحكام التي من جملتها احكام المحللات والمحرمات حسبما ذكر انفا قال
ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رؤساء اليهود حين كتموا نعت النبي صلى الله عليه وسلم ويشترون
به اي يأخذون بدله ثمنا قليلا عوضا حقيرا وقد مر سر التعبير عن ذلك بالثمن الذي هو وسيلة
في عقود المعاوضة وقوله تعالى اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من
الوصفين الشنيعين المميزين لهم عمن عداهم اكمل تمييز الجاعلين اياهم بحيث كانهم حضار مشاهدون
على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلتهم في الشر والفساد وهو مبتدأ
خبره قوله تعالى ما يأكلون في بطونهم الا النار والجملة خبر لان او الاشارة مبتدأ ثان او بدل
من الاول والخبر ما يأكلون اي الحين ومعنى اكلهم النار انهم يأكلون في الحال ما يستتبع النار
ويستلزمها فكانه عين النار واكله اكلها كقوله

اكلت دما ان لم ارعك بضرة ° بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

او يأكلون في المآل يوم القيامة عين النار عقوبة على اكلهم الرشا في الدنيا وفي بطونهم متعلق بيأكلون
وفائدته تاكيد الاكل وتقريره ببيان مقر المأكول وقيل معناه ملء بطونهم كما في قولهم اكل في
بطنه واكل في بعض بطنه ومنه كلوا في بعض بطنكم تعفوا فلا بد من الالتجاء الى تعليقه بمحذوف
وقع حالا مقدرة من النار مع تقديمه على حرف الاستثناء لانه تعلقه بيأكلون يؤدي الى قصر
ما يأكلونه الى الشبع على النار والمقصود قصر ما يأكلونه مطلقا عليها ولا يكلمهم الله يوم القيامة
عبارة عن العقبة العظمة عليهم وتعريض بحرمانهم ما اتيح للمؤمنين من فنون الكرامات السنية
والزلفى ولا يزكيهم لا يثني عليهم ولهم مع ما ذكر عذاب اليم مؤلم اولئك اشارة الى ما اشير
اليه سابقا بالاعتبار المذكور خاصة لا مع ما يتلوه من احكامهم التفصيلية اذ لا دخل لها في الحكم
الذي يراد اثباته هنا فان المقصود تصوير ما باشروه من المعاملة بصورة قبيحة تنفر منه
الطباع ولا استقباحها فاقلا تصلا ببيان حقيقة ما نبذوه واظهار كنه ما اخذوه وابدوه

شناعته

شناعته وهو مبتدأ خبره الموصول اي اولئك المستبدلون بكتاب الله عز وعلا ثمنا قليلا المؤثرون
للتمني وان قل نيلهم الذين اشتروا الضلالة بالنسبة الى الدنيا الفانية التي ليست مما يمكن ان
يشترى قطعا بالهدى يعني من تبيينه ما يبينه بمقابلة ثمن ذلك والعذاب اي اشتروا بالنظر الى
الآخرة العذاب الذي لا يبقى مع كونه مما يشترى بالمغفرة التي يتنافس فيها المتنافسون فما اصبرهم
على النار تعجيب من حالهم الهائلة التي هي ملابستهم بما يوجب النار ايجابا قطعيا كانه عينها وما
عند سيبويه نكرة تامة مفيدة لمعنى التعجب مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص شر في شر اهر
ذا ناب خبرها ما بعدها اي شيء ما عظيم جعلهم صابرين على النار وعند الفراء استفهامية وما
بعدها خبرها اي اي شيء اصبرهم على النار وقيل هي موصولة وقيل موصوفة بما بعدها والخبر
محذوف اي الذي اصبرهم على النار اي شيء اصبرهم على النار امر عجيب فظيع ذلك العذاب بان
الله نزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق اي ملتبسا به فلا جرم يكون من رفضه بالتكذيب
او الكتمان مرتكب متن الغواية والجهل مستوجبا لمثل مثله من افانين العذاب وان الذين اختلفوا
في الكتاب اي في جنس الكتاب الالهي بان امنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها او في التوراة
بان امنوا ببعض اياتها وكفروا ببعض كالايات المعتبرة المشتملة على امر بعثة النبي صلى الله عليه
وسلم ونعوته الكريمة بمعنى الاختلاف التخلف عن الطريق الحق او الاختلاف في تاويلها او في
القرآن بان قال بعضهم انه سحر وبعضهم انه شعر وبعضهم اساطير كما حكي من المفسرين لفي
شقاق بعيد عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب ليس البر ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب البر اسم جامع لمراضي الخصال والخطاب لاهل الكتابين فانهم كانوا يخوضون
في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وذلك كالمعبر بانه يحبذ به التوجه الى قبلته من الطرفين
المذكورين وتقديم المشرق على المغرب مع تأخر زمان الملة النصرانية اما لرعاية ما بينهما
من الترتيب المتفرع على ترتيب الشروق والغروب واما لان توجه اليهود الى المغرب ليس لكونه
مغربا بل لكون بيت المقدس من المدينة المنورة واقعا في جانب الغرب فيتنبه لهم ليس البر ما ذكر
من التوجه الى تينك الجهتين بل ان البر بعض ما على اسمها ° كما في قوله

° سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم ° فليس سواء عالم وجهول °

وقوله ° وليس عظيما ان تشد ملمة ° اذ ليس عليها في الخطوب معول °

وانما اخر ذلك لما ان المصدر المؤول اعرف من المحلى باللام لانه يشبه الضمير من حيث انه
لا يوصف به ولا يوصف به والاعرف احق بالاسمية ولان في الاسم طولا فالاولى التاخير
المعهود لما انه يجاذب اطراف النظم الكريم وقرئ برفع البر على انه اسمها وهو اقوى بحسب
المعنى لان كل فريق يدعي ان البر هذا فيجب ان يكون البر موافقا لدعواهم وما ذلك
الا بكونه اسما كما ينبئ عنه جعله مخبرا عنه في الاستدراك الذي بقوله عز وجل ولكن
البر من آمن بالله وهو تحقيق للحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل لخصال البر لاخلال
باختلاف الشرائع وما يختلف باختلافها اي ولكن البر المعهود الذي يحق ان يهتم بشأنه
ويجد في تحصيله بر من آمن بالله وحده ايمانا بريئا من شائبة الاشراك لا كايمان اليهود والنصارى
المشركين بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله واليوم الآخر اي على ما هو عليه لا كما

يدعون من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فنبه تعريضا بان ايما
امتثال لكتابين حيث لم يكن كما ذكر من الوجه الصحيح لم يكن ايمانا وفي تعليق البر بهما من اول الامر عقيب
نفيه من التوجه الى المشرق والمغرب بين البر انه ما لا يخفى كانه قيل ولكن البر هو التوجه الى المبدا
والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب في الحقيقة والملائكة اي وامن بهم وبانهم عباد مكرمون
متوسطون بينه تعالى وبين انبيائه بالقاء الوحي وانزال الكتب والكتاب اي جنس الكتاب الذي
من افراده الفرقان الذي نسخ ... واظهر ... فيه تعريض بكتمانهم نعوت النبي عليه الصلاة
والسلام واشترائهم بما انزل الله تعالى ثمنا قليلا والنبيين جميعا من غير تفرقة بين احد منهم كما فعله
اهل الكتابين ووجه توسيط الكتاب بين جملة الوحي وبين النبيين واضح وسابق في قوله تعالى
كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله وآتى المال على حبه حال من الضمير اي والضمير المجرور للمال
اي اتاه كائنا على حب المال كما في قوله عليه الصلاة والسلام حين سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه
وانت صحيح شحيح وقول ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر
ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا او قيل الضمير لله تعالى اي اتاه كائنا
على حبه تعالى لا لغرض الشهوة والفساد ففيه نوع تعريض لباذلي الرشا واحدها المغيرين للتوراة
وقيل للمصدر اي كائنا على حب الايتاء ذوي القربى مفعول اول لاتى قدم عليه مفعوله الثاني اعني
المال للاهتمام به او لان في الثاني ما عطف عليه فلو اخر لو روعي الترتيب لفات تجاوب الاطراف في
الكلام وهو الذي اقتضى تقديم الحال ايضا وقيل هو المفعول الثاني واليتامى اي المحاويج
منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وتقديم ذوي القربى عليهم لان ايتاءهم صدقة وصلة والمساكين
جمع مسكين وهو الدائم السكون لما ان الخلة اسكنته بحيث لا حراك به او دائم السكون الى الناس
وابن السبيل اي المسافر سمي به لملازمته اياه كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف والسائلين
الذين الجاتهم الحاجة والفقر الى السؤال وقال عليه الصلاة والسلام اعطوا السائل
ولو جاء على فرس وفي الرقاب اي وصرفه في فك الرقاب بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل
في فك الاسارى وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وانما لما كان فاعله ولعل ذكرهم بعنوان
مصحح للمالكية كالذين من قبلهم اما للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اوتي كما في الوجهين الاولين
او لعله لتبعيته للعطف كما في الوجه الاخير واما للاشعار برسوخهم في الاستحقاق والحاجة لما ان
في للظرفية المنبئة عن تمكنهم لا توفى واقام الصلاة اي المفروضة منها واتى الزكاة اي المفروضة
على ان المراد بما مر من ايتاء المال التنفل بالصدقة فانه قدم على الزكاة مبالغة في الحث عليه او
المراد بها المفروضة والاول لبيان المصارف والثاني لبيان وجوب الاداء والموفون بعهدهم
عطف على من امن فانه في قوة ان يقال ومن اوفوا بعهدهم وايثار صيغة الفاعل للدلالة على وجوب
استمرار الوفاء والمراد بالعهد ما لا يحرم حلالا ولا يحل حراما من العهود الجارية فيما بين الناس وقوله
تعالى اذا عاهدوا لبيان ان بعدهم كونه من ضروريات الدين والصابرين نصب على الاختصاص
غير مسكنه عما قبله تنبيها على فضيلة الصبر ومزيته وهو في الحقيقة معطوف على ما قبله قال ابو
علي اذا ذكرت صفات للمدح او الذم وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف
للافتنان ويسمى ذلك قطعا لان تغيير المالوف يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور ومزيد

اهتمام

اهتمام بشانه كما في صدر السورة وقرئ والصابرون كما قرئ والموفين في البأساء اي في الفقر
والشدة والضراء اي المرض والزمانة وحين البأس اي وقت مجاهدة العدو وفي مواطن الحرب
وزيادة الحين للاشعار بوقوعه احيانا وسرعة انقضائه اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار
اتصافهم بالنعوت الجميلة المعدودة وما فيه من معنى البعد لما مر من الايذان بعلو طبقتهم
وسمو رتبتهم الذين صدقوا اي في الدين واتباع الحق وتحري البر حيث لم تغيرهم الاحوال ولم
يزلزلهم الاهوال واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه
شانهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم والآية الكريمة كما ترى جامعة لجميع الكمالات
البشرية برمتها تصريحا او تلويحا لما انها مع تكثر فنونها وتشعب شؤونها منحصرة في خلال ثلاث
صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد اشير الى الاولى بالايمان بما فصل
والى الثانية بايتاء المال والى الثالثة باقامة الصلاة الخ ولذلك وصف الحائزون لها بالصدق
نظرا الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا بمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق واليه
يشير قوله عليه الصلاة والسلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين امنوا
شروع في بيان بعض الاحكام الشرعية على وجه التلافي لما فرط من المخلين بما ذكر من اصول الدين
والقواعد التي بني عليها امر المعاش والمعاد كتب عليكم اي فرض عليكم والزم عند مطالبة
صاحب الحق فلا يقدح فيه قدرة الولي على العفو فان الوجوب انما اعتبر بالنسبة الى الحكام والقاتلين
القصاص في القتلى اي بسبب قتلهم كما في قوله صلى الله عليه وسلم ان امراة دخلت النار في هرة
ربطتها اي بسبب ربطها اياها الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين
من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى
فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فامرهم ان يتباءوا وليس فيها
دلالة على عدم قتل الحر بالعبد عند الشافعي رضي الله عنه ايضا لان اعتبار المفهوم حيث لم يظهر
للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص الحكم بالمنطوق وقد رايت الوجه هاهنا وانما تمسك
في ذلك هو ومالك رحمه الله بما روي عن علي رضي الله عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم
بذي عهد ولا حر بعبد وبان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد وبقوله تعالى ان
النفس بالنفس فان شريعة من قبلنا اذا قصت علينا من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب
على انها شريعة لنا ولان القصاص يعتمد المساواة في العصمة وهي بالدين او بالدار وهما سيان
فيهما وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القصاص فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان
عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو بمنزلة كله في اسقاط القصاص وهو الواقع ايضا في
العادة اذ كثيرا ما يقع العفو من بعض الاولياء فهو شيء من العفو وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول
به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفاه بمعنى تركه بل اعفاه وحمل العفو على المحو كما في قول من قال
ديار عفاها جور كل معاند ۝ وقوله ۝ عفاه كل حنان ۝ كثير الوابل هطال ۝
فيكون المعنى فمن محي له ذنب ... للعبادة المنبئة اولة في الكتاب والسنة عن معناها المشهود
المعهود الى ما ليس بمعهود فيها وفي استعمال الناس فانهم لا يستعملون العفو في باب الجنايات الا
فيما ذكر من قبل وعفي بمعنى الجاني والذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها

فاذا عدي الي الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كانه قيل فمن عفي له من جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم
وايراده بعنوان الاخوة الثابتة بينهما بحكم كونهما من بني ادم عليه السلام لتحريك سلسلة الرقة
والعطف عليه **فاتباع بالمعروف** فالامر اتباع او فليكن اتباع والمراد وصية العافي بالمسامحة ومطالبة
الدية بالمعروف من غير تعنيف ◦ وقوله عز وجل **واداء اليه باحسان** حث للمعفو عنه على ان
يؤديها باحسان من غير مماطلة وبخس **ذلك** اي ما ذكر من الحكم **تخفيف من ربكم ورحمة** لما فيه من التسهيل
والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية وعلى النصارى العفو
على الاطلاق وحرم عليهم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث تيسيرا عليهم وتنزيلا
للحكم على حسب المنازل **فمن اعتدى بعد ذلك** بان قتل غير القاتل بعد ورود هذا الحكم او قتل
القاتل بعد العفو او اخذ الدية **فله** باعتدائه **عذاب اليم** اما في الدنيا فبالاقتصاص بما قتله
بغير حق واما في الاخرة فبالنار **ولكم في القصاص حياة** بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لا تنال
غايته حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على ان في هذا الجنس نوعا من الحياة
عظيما لا يبلغه الوصف وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحياة نفسين ولانهم
كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون
ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص ◦ وقيل المراد بالحياة هي الاخروية فان
القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الاخرة والظرفان اما خبران لحياة او احدهما خبر
والاخر صلة له او حال من المستكن فيه ◦ وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم
القتل حياة او في القران حياة للقلوب **يا اولي الالباب** اي ذوي العقول الخالصة من شوائب
الاوهام خوطبوا بذلك بعدما خوطبوا بعنوان الايمان تنشيطا لهم الى التامل في حكمة القصاص
لعلكم تتقون اي تتقون انفسكم من المساهلة في امره والاهمال في المحافظة عليه والحكم به
والاذعان له او من القصاص فتكفوا من القتل المؤدي اليه **كتب عليكم** بيان لحكم اخر من فنون
الاحكام المذكورة **اذا حضر احدكم الموت** اي حضر اسبابه وظهر اماراته او دنا نفسه من الحضور
وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها **ان ترك خيرا** اي مالا
وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه ◦
وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك ◦ وعن عائشة رضي الله
عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد اخر
ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلاثة الاف درهم قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما
قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك **الوصية للوالدين والاقربين**
مرفوع بكتب اخر عما بينهما لما مر مرارا وايثار تذكيره لتاويله مع جواز تانيثه ايضا للفصل وعلى تاويل
ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الضمير في قوله تعالى فمن بدله بعدما سمعه واذا ظرف محض والعامل
فيه كتب لا من حيث صدوره والكتب بل من حيث تعلقه به تعلقا فعليا مستتبعا لوجوب الاداء كانه قيل عنه
البنا للمفعول وكلمة الايجاب والامتناع لحال العامل بالوصية لتقدمه عليها ◦ وقيل مبتدا
خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كما في قوله ◦
◦ من يفعل الحسنات الله يشكرها ◦ ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر ومعنى ◦

كتب

كتب فرض وكان هذا الحكم في بدء الاسلام ثم نسخ عند نزول اية المواريث بقوله عليه الصلاة والسلام
ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث فانه وان كان من اخبار الاحاد لكن حيث تلقته
الامة بالقبول انتظم في سلك المتواتر في صلاحية النسخ عند ائمتنا فان التحقيق ان الناسخ اية
المواريث وانما الحديث مبين لجهة نسخها ببيان ان الله تعالى كان قد كتب عليكم ان تؤدوا الى الوالدين
والاقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم من غير تبيين لمراتب استحقاقهم ولا تعيين لمقادير انصبائهم
بل فوض ذلك الى ارائكم حيث قال **بالمعروف** اي بالعدل ثم ان الان قد رفع ذلك الحكم عنكم وتولى
لتبيين طبقات استحقاق كل واحد منهم وتعيين مقادير حقوقهم بالذات واعطى كل ذي حق منهم
حقه الذي يستحقه بحكم القرابة من غير نقص ولا زيادة ولم يدع ثمة شيئا فيه مدخل لرايكم اصلا
حسبما يعرب عنه الجملة الاسمية المنفية بلا النافية للجنس وتعيين يرد ما يحلة التنبيه اذ تحققت
هذا ظهر لك ان ما قيل ان اية المواريث لا تعارضه بل تحققه وتؤكده من حيث انها تدل على
تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز
عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله عز وجل من توريث الوالدين والاقربين بقوله تعالى يوصيكم
الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله تعالى عليهم بمعزل من التحقيق ◦ وكذا ما قيل
من ان الوصية للوارث كانت واجبة بهذه الاية من غير تعيين لانصبائهم فلما نزلت اية المواريث
بيانا للانصباء بلفظ الايصاء فهم منها بتنبيه النبي صلى الله عليه وسلم ان المراد منه هذه الوصية
التي كانت واجبة ◦ كانه قيل ان الله تعالى وصى بنفسه تلك الوصية ولم يفوضها اليكم
فقام الميراث مقام الوصية فكان هذا معنى النسخ لا ان فيها دلالة على رفع ذلك الحكم
فان مداره لولا اية الوصية حيث كانت تفويضا للامر الى اراء المكلفين على الاطلاق وتنحي المرء
عن عهدة التكليف باداء ما ادى اليه رايه بالمعروف فتكون اية المواريث الناطقة بمراتب
الاستحقاق وتفاصيل مقادير الحقوق القاطعة بامتناع الزيادة والنقص بقوله تعالى فريضة من
الله ناسخة لها رافعة لحكمها مما لا يشتبه على احد ◦ وقوله تعالى **حقا على المتقين** مصدر مؤكد اي حق
ذلك حقا **فمن بدله** اي غيره من الاوصياء والشهود **بعدما سمعه** اي بعدما وصل اليه وتحقق لديه
فانما اثمه اي اثم الايصاء المغير او اثم التبديل **على الذين يبدلونه** لانهم خانوا وخالفوا حكم
الشرع ووضع الموصول في موضع الضمير الراجع الى من لتاكيد الاتيان بالمعنى في حيز الصلة والايذان
وايثار الجمع للاشعار بتعدد المبدلين انواعا وكثرتهم افرادا والايذان بشمول الاثم لجميع الافراد
ان الله سميع عليم وعيد شديد للمبدلين **فمن خاف من موص** اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان
يرسل السماء وقرئ من موص **جنفا** اي ميلا في الخطا في الوصية **او اثما** اي تعمدا للجنف **فاصلح
بينهم** اي بين الموصى لهم باجرائهم على منهاج الشريعة الشريفة **فلا اثم عليه** اي في هذا التبديل
لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول **ان الله غفور رحيم** وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر
الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم **يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام** بيان لحكم اخر من
الاحكام الشرعية وتكرير النداء لاظهار مزيد الاعتناء به والصيام والصوم في اللغة
الامساك عما تنازع اليه النفس ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم الاية
وقيل هو الامساك عن الشيء مطلقا ومنه صامت الريح اي امسكت عن الهبوب والفرس اي

امسك عن الشيء قال خيل صيام وغير صايمة تحت العجاج واخرى تعلك اللجما وفي الشريعة هو الامساك
نهارا عن المفطرات المعهودة التي هي معظم ما تشتهيه الانفس كما كتب في محل النصب على انه
نعت للمصدر المؤكد اي كتبا كما كتب او على انه حال من المصدر المعرفة اي كتب الصيام
الكتب مشبها بالكتب فاعلى الوجهين ما مصدرية او على انه نعت لمصدر من لفظ الصيام اي صوما مماثلا
للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة او على انه حال من الصيام اي حال كونه مماثلا لما كتب على الذين
من قبلكم من الانبيا عليهم الصلاة والسلام والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه تاكيد للحكم
وترغيب فيه وتطييب لانفس المخاطبين به فان الشاق اذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة اما المماثلة
في اصل الوجوب واما في الوقت والمقدار كما روي ان صوم رمضان كان مكتوبا على اليهود والنصارى
اما اليهود فقد تركته وصامت يوما من السنة زعموا انه يوم غرق فرعون وكذبوا في ذلك فانه كان
يوم عاشوراء واما النصارى فانهم صاموا رمضان حتى صادفوا فيه حرا شديدا فاجتمعت آراء علمائهم
على تعيين فصل واحد بين الصيف والشتاء فجعلوه في الربيع وزادوا عليه عشرة ايام كفارة لما صنعوا
فصار اربعين ثم مرض ملكهم او وقع فيهم موتان فزادوا عشرة ايام فصار خمسين لعلكم تتقون المعاصي
فان الصوم يكسر الشهوة الداعية اليها كما قال عليه الصلاة والسلام فعليه بالصوم فان الصوم
له وجاء او تتقون الاخلال باداية لاصالته او تصلون بذلك الى رتبة التقوى اياما معدودات
موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا والمراد بها اما رمضان
او ما وجب في بدء الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشورا وثلاثة ايام من كل شهر وانتصابه ليس بالصيام
لوقوع الفصل بينهما باجنبي بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه اما على الظرفية او على المفعولية اتساعا
وقيل بقوله تعالى كتب على الوجهين وفيه ان الايام ليست محلا للكتب ولا المكتوب فلا تتحقق الظرفية ولا
المفعولية المتفرعة عليها اتساعا فمن كان منكم مريضا اي مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على
سفر مستمر عليه وفيه ايماء الى ان من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة اي فعليه صوم
عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف ثقة بالظهور وقرئ
بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية
وبه قال ابو هريرة رضي الله عنه وعلى الذين يطيقونه اي وعلى المطيقين للصيام ان افطروا
فدية اي اعطاء فدية وهي طعام مسكين وهي نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق
ومد عند اهل الحجاز وكان ذلك في بدء الاسلام لما انه فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين
له فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه
او يتطوقونه او يطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه وما بعدها
دياوه فيهما ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير
بالمكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على
جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو حينئذ غير
منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن
تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو اي التطوع او الخير الذي تطوعه خير له وان تصوموا ايها المطيقون
او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار من المرضى والمسافرين

خير

خير لكم من الفدية او من تطوع الخير او منهما او من التاخير الى ايام اخر والالتفات الى الخطاب للحث
والتنشيط ان كنتم تعلمون اي ما في صومكم مع تحقق المبيح للافطار من الفضيلة والجواب محذوف
ثقة بظهوره اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان
الصوم خير من ذلك شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده او خبر مبتدأ محذوف اي ذلكم شهر رمضان
او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا
او على انه مفعول وان تصوموا او بدل من اياما معدودات ورمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء
فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب
وقوله عليه الصلاة والسلام من صام رمضان الحديث فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما
لارتماضهم فيه من الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه في ايام رمض الحر
حيث نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القرآن خبر المبتدأ على الوجه
الاول وصفة لشهر رمضان على الوجوه الباقية ومعنى انزل فيه القرآن انه ابتدئ فيه انزاله
وكان ذلك في ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض حسبما تقتضيه الحكمة
الربانية او انزل في شانه القرآن وهو قوله عز وجل كتب عليكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
نزلت صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة
لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات من
الهدى والفرقان حالان من القرآن اي انزل حال كونه هداية للناس باعجازه
وعبره وآيات واضحة مرشدة الى الحق فارقة بينه وبين الباطل لما فيه من الحكم
والاحكام فمن شهد منكم الشهر اي حضر فيه ولم يكن مسافرا ووضع الظاهر موضع
الضمير للتعظيم والمبالغة في البيان والفاء للتفريع والترتيب او لتضمن المبتدأ معنى
الشرط او زائدة على تقدير كون شهر رمضان مبتدأ والموصول صفة له ومن مع الجملة خبر
له وقيل هي جزائية كانه قيل لما كتب عليكم الصيام في ذلك الشهر فمن حضر فيه فليصمه
اي فليصم فيه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور اتساعا وقيل من شهد منكم هلال
الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون ما بعده
مخصصا له كانه قيل ومن كان مريضا ان كان مقيما او على سفر وان كان صحيحا فعدة من
ايام اخر اي فعليه صيام ايام اخر لان المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير
لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم التخفيف يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر لغاية رافته وسعة رحمته ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم
ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي ولهذه الامور شرع
ما مر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في
اباحة الفطر فقوله تعالى لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية
القضاء ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وتعدية فعل التكبير بعلى لتضمنه
معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ويجوز ان تكون معطوفة على
علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا العدة ويجوز عطفها على

اليسر اي يريد بكم لتكملوا الى اخره كقوله تعالى يريدون ليطفئوا الى اخره والمعنى بالتكبير تعظيمه تعالى
بالحمد والثناء عليه • وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الاهلال وما تحتمل
المصدرية والموصولة اي على هدايته اياكم او على الذي هداكم اليه • وقرئ ولتكملوا
بالتشديد **واذا سألك عبادي عني** في تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما لا يخفى من تشريفه وتفخيم محله **فاني قريب** اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال
علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه • روي ان اعرابيا قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت **اجيب دعوة الداع**
اذا دعان تقرير للقرب وتحقيق له ووعد للداعي بالاجابة **فليستجيبوا لي** اذا دعوتهم الى الايمان
والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم **وليؤمنوا بي** امر بالثبات والمداومة عليه **لعلهم يرشدون**
راجين اصابة الرشد اي الحق • وقرئ بفتح الشين وكسرها • ولما امرهم الله تعالى بصوم الشهر
ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الاية الكريمة الدالة على انه
تعالى خبير باحوالهم سميع باقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تأكيدا له وحثا عليه ثم شرع في بيان
احكام الصيام فقال **احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم** روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا
حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الاخرة او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه باشر
بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد
العشاء فنزلت وليلة الصيام التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو
من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء والانهاء وايثاره هنا
لاستقباح ما ارتكبوه ولذلك سمي خيانة • وقرئ الرفوث ونصب الظرف على القائم مقام الفاعل
لما مر من التشويق فان ما حقه التقديم اذا اخر بقي النفس مرتقبة اليه فيتمكن عندها وقت
وروده فضل تمكن **هن لباس لكم وانتم لباس لهن** استئناف مبين لسبب الاحلال وهو قلة
الصبر عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة بهن وجعل كل من الرجل والمرأة لباسا للاخر
لاعتناقهما واشتمال كل منهما على الاخر بالليل • قال •

• اذا ما الضجيع ثنى عطفها • تثنت وكانت عليه لباسا •

او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور **علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم** استئناف
اعتراض مبين لما ذكر من السبب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب اي كان علمكم لما تم
ما اقترفتموه ومعنى تختانون تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب **فتاب عليكم**
عطف على علم اي تاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه **وعفا عنكم** اي محا اثره عنكم **فالآن** لما نسخ
التحريم **باشروهن** المباشرة الزاق البشرة على البشرة كني بها عن الجماع الذي يستلزمها وفيه
دليل على جواز نسخ الكتاب بالسنة **وابتغوا ما كتب الله لكم** واطلبوا ما قدره الله لكم واثبته
في اللوح من الولد وفيه ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة في خلق الشهوة
وشرع النكاح لا قضاء الشهوة وقيل فيه نهي عن العزل وقيل عن غير المأتي والتقدير وابتغوا
المحل الذي كتب الله لكم **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود**
من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين

ابيض

ابيض واسود واكتفي ببيان الخيط الابيض بقوله تعالى من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته
عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان تكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض
الفجر وما روي من انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود ولم يزالوا
ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت
الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز
المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم من اصبح جنبا **ثم اتموا الصيام**
الى الليل بيان لاخر وقته **ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد** اي معتكفون فيها والمراد بالمباشرة
الجماع • وعن قتادة رضي الله عنه كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن
ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد فلا يختص بمسجد دون بعض وان الوطء فيه
حرام ومفسد له لان النهي في العبادات يوجب الفساد **تلك حدود الله** اي الاحكام
المذكورة حدود حدها الله تعالى لعباده **فلا تقربوها** فضلا عن تجاوزها نهي ان يقرب
الحد الحاجز بين الحق والباطل مبالغة في النهي عن تخطيها • كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك
حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه ويجوز ان يراد بحدود الله تعالى
محارمه ومناهيه **كذلك** اي مثل ذلك التبيين **يبين الله اياته** الدالة على الاحكام التي
شرعها **للناس لعلهم يتقون** مخالفة اوامره ونواهيه **ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل**
نهي عن اكل بعضهم لاموال بعض على خلاف حكم الله عز وجل بعد النهي عن اكل اموال انفسهم في نهار
رمضان اي لا ياكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرفية او
الحالية من اموالكم **وتدلوا بها الى الحكام** عطف على النهي او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء
اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام **لتأكلوا** بالتحاكم **فريقا من اموال الناس بالاثم** بما يوجب
اثما كشهادة الزور واليمين الفاجرة او ملتبسين بالاثم **وانتم تعلمون** انكم مبطلون فان
ارتكاب المعاصي مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة
ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا
الاية فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت • وروي انه اختصم اليه خصمان
فقال عليه الصلاة والسلام انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته
من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من نار •
فبكيا فقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل منكما صاحبه
يسألونك عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط
ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ **قل هي مواقيت للناس والحج** كانوا قد سألوه عليه
الصلاة والسلام عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله العزيز الحكيم بان يجيبهم
بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس في عباداتهم لا سيما الحج فان الوقت مراعى فيه
اداء وقضاء وكذا في معاملاتهم على حسب ما يتفقون عليه والمواقيت جمع ميقات من الوقت
والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك ومن مبدئها

الي منتهاها والزمان من مقسومه الي الماضي الحال والمستقبل والوقت للزمان المفروض لامر
وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه
وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة ورا بيوتهم ويعدون ذلك برا فبين انه ليس ببر فقال ولكن
البر من اتقي اي بر من اتقي المحارم والشهوات • ووجه اتصاله بما قبله انهم سالوا عن الامرين
او انه لما ذكر انها مواقيت للحج ذكر عقيبه ما هو من افعالهم في الحج استطرادا او انهم لما سالوا
عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة فانه عليه الصلاة والسلام مبعوث لبيان الشرائع لا لبيان
حقائق الاشيا وتركوا السوال عما يعنيهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكره جواب ما سالوا تنبيها علي ان
اللائق بهم ان يسالوا عن امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه علي تعكيسهم في السوال
وكونه من قبيل دخول البيت من وراءه والمعني وليس البر بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقي
ذلك ولم يجتر علي مثله وأتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول بر فباشروا الامور من وجوهها
واتقوا الله في تغيير احكامه او في جميع اموركم بيان لكل مخالف بيان ان البر بر من اتقي اظهارا
للزيادة اهتمام بشان التقوي وتمهيد لقوله لعلكم تفلحون اي لكي تظفروا بالبر والهدي
وقاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا لاعزاز دينه واعلاء كلمته وتقديم الظرف علي المفعول الصريح
لابراز كمال العناية بشان المتقدم الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ما امروا بقتال المشركين
كافة المقاتلين منهم والمحاجزين • وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون
غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنسا او الكفرة جميعا فان الكل بصدد قتال
المسلمين ويويد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلي الله عليه وسلم عام الحديبية
وصالحوه علي ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله تعالي ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضا فخاف
المسلمون ان لا يوفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت • ويعضده ايراده
في اثنا بيان احكام الحج ولا تعتدوا بابتدا القتال او بقتال المعاهد او المفاجاة به من غير
دعوة او بالمثلة وقتل من نهيتم عن قتله من النسا والصبيان ومن يجري مجراهم ان الله لا يحب المعتدين
اي لا يريد بهم الخير وهو تعليل للنهي واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث وجدتموهم من حل وحرم
واصل الثقف الحذق في ادراك الشي علما او عملا وفيه معني الغلبة ولذلك استعمل فيهما • قال •

• فاما تثقفوني فاقتلوني • فمن اثقف فليس الي خلود •

واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل بهم ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم من كفارها والفتنة
اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل •
لدوام تعبها وتالم النفس بها • وقيل شركهم في الحرم وصدهم لكم عنه اشد من قتالكم
اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام اي لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد
الحرام حتي يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمة لانهم الذين هتكوا حرمته واستحقوا
اشد العذاب وفي العدول عن صيغة المفاعلة التي بها ورد النهي والشرط عنه بالنصر والغلبة •
وقري لا تقتلوهم حتي يقتلوكم فان قتلوكم فاقتلوهم والمعني حتي يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد
كذلك جزاء الكافرين يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم فان انتهوا عن القتال والكفر بعد ما راوا اقدامكم
فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتي لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا

لبني

المسلمين فيه مضيق فان انتهوا بعد مقاتلتكم عن الشرك فلا عدوان الا علي الظالمين اي فلا
تعتدوا عليهم اذ لا يحسن الظلم الا لمن ظلم فوضع العلة موضع الحكم وتسمية الجزا باسم العدوان للمشاكلة
كما في قوله عز وجل فمن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وتنعكس
الحال عليكم والفا الاولي للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون
عام الحديبية في ذي القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضا في ذي القعدة ايضا وكراهتهم
القتال فيه هذا الشهر الحرام بذاك الشهر الحرام وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص
اي كل حرمة وهي ما يجب المحافظة عليه يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد
فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم ان قاتلوكم كما قال تعالي فمن اعتدي عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي عليكم وهو فذلكة مقررة لما قبلها واتقوا الله في شان الانتصار واحذروا
ان تعتدوا الي ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شانهم بالنصر والتمكين وانفقوا
في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الي التهلكة بالاسراف وتضييع وجه
المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك مما يقوي العدو ويسلطهم عليكم ويويده
الاول ما روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا
الي اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يودي الي الهلاك
المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتها الشي في الفساد والالقا طرح الشي وعدي
بالي لتضمنه معني الانتها والبا مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة مصدر كالتضرة والتسرة
والهلاك واحد اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك • وقيل معناه لا تجعلوها اخذة بايديكم او لا تلقوا
بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اي اعمالكم واخلاقكم وتفضلوا علي الفقرا ان الله يحب
المحسنين اي يريد بهم الخير وقوله تعالي واتموا الحج والعمرة لله بيان لوجوب اتمامهما لما عنت النفس في
ادائهما وارشاد للناس الي تدارك ما عسي يعرض لهم من العوارض المخلة بذلك من الاحصار ونحوه من غير
تعرض لحاليهما في انفسهما من الوجوب وعدمه كما في قوله تعالي ثم اتموا الصيام الي الليل من غير تعرض لوجوب
اصله والامر به بقوله تعالي كتب عليكم الصيام الاية كما ان وجوب الحج بقوله تعالي ولله علي الناس حج البيت
فان الامر باتمام فعل من الافعال ليس امرا باصله ولا مستلزما له اصلا فليس فيه دليل علي وجوب
العمرة قطعا وادعا ان الامر باتمامهما امر باتيانهما تامين كاملين حسبما تقتضيه قراة واقيموا الحج والعمرة
وان الامر للوجوب ما لم يدل علي خلافه دليل مما لا سداد له ضرورة ان ليس البيان مقصورا علي
افعال الحج المفروض حتي يتصور ذلك بل الحق ان تلك القراة ايضا محمولة علي المشهورة ناطقة بوجوب اقامة
افعالهما كما ينبغي من غير تعرض لحالهما في انفسهما فالمعني اكملوا اركانهما وشرائطهما وسائر افعالهما المعروفة
شرعا لوجه الله تعالي من غير اخلال منكم بشي منها • وقد قيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي
ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم • وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد
حجة كوفية وعمرة كوفية افضل • واياما كان فلا تعرض في الاية الكريمة لوجوب العمرة اصلا
واما ما روي من ان ابن عباس رضي الله عنهما قال ان العمرة لقرينة الحج • وقول عمر رضي الله عنه
هديت لسنة نبيك حين قال له رجل وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما • وفي رواية
اهللت بهما جميعا فبمعزل من افادة الوجوب مع كونه معارضا بما روي عن جابر رضي الله تعالي عنه

انه قال يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وبقوله عليه الصلاة والسلام
الحج جهاد والعمرة تطوع فان احصرتم اي منعتم من الحج يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه و
منعه من المضي لوجهه مثل صده واصده والمراد منع العدو عند مالك والشافعي رحمهما الله لقوله تعالى فاذا
امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله عنهما لا حصر الا حصر العدو وكل منع من
عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة رحمه الله لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج
فعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي اي فعليكم او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر
والمعنى ان المحرم اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة
حيث احصر عند الاكثر وعندنا يبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث بيده امارا فاذا جاء اليوم وظن انه
ذبح تحلل لقوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث
الى الحرم بلغ مكانه الذي يجب ان يحر فيه ومحل الاولين بلوغ الهدي محله ان يذبح حيث يحل ذبحه
فيه حلا كان او حرما ومن حجتهم في ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح عام الحديبية بها
وهي من الحل قلنا كان محصره عليه الصلاة والسلام طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة
وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي
الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدي
جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق
او به اذى من رأسه اي جراحة وقمل ففدية من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها
فقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله
قال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلاثة اصع
فاذا امنتم اي الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج اي فمن استمتع بالتقرب
الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل من استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة
محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي اي فعليه دم استيسر عليه بسبب التمتع
وهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا يأكل منه عند الشافعي رحمه الله وعندنا هو كالاضحية
فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلاثة ايام في الحج اي في اشهره بعد الاحرامين وقال الشافعي في ايام الاشتغال
بالحج بعد الاحرام وقبل التحلل والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر
وايام التشريق وسبعة اذا رجعتم اي نفرتم وفرغتم من اعماله وفي احد قولي الشافعي رضي الله عنه
الى اهاليكم وقرئ وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب
وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم
تفصيلا فان اكثر العرب لا يعرف الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد المخصوص دون الكثرة
كما يراد بها ذلك ايضا كاملة صفة مؤكدة لعشرة تفيد المبالغة في المحافظة على العدد او مبينة
كمال العشرة فانها اول عدد كامل اذ به تنتهي الآحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال
بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى التمتع عندنا والى الحكم المذكور عند الشافعي رضي الله عنه
لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عند الشافعي رضي الله عنه
ومن كان مسكنه وراء الميقات عندنا واهل الحل عند طاوس واهل مكة عند مالك رحمه

واتقوا

واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه لا سيما في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم
به عن العصيان واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة الحج اي وقته
اشهر معلومات معروفات بين الناس هي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عندنا وتسعة بليلة
النحر عند الشافعي وكله عند مالك رحمه الله ومدار الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه
او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة
في بقية ذي الحجة وابو حنيفة رحمه الله وان صح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي
شهران وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد وصفة جمع المذكر
في غير العقلاء يجيء بالالف والتاء فمن فرض فيهن الحج اي اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن او بالتلبية
او بسوق الهدي فلا رفث ولا فسوق اي لا جماع او فلا فحش من الكلام ولا خروج من حدود الشرع
بارتكاب المحظورات وقيل بالسباب والتنابز بالالقاب ولا جدال اي لا مراء مع الخدم والرفقة
في الحج اي في ايامه والاظهار في مقام الاضمار لاظهار كمال الاعتناء بشانه والاشعار بعلة الحكم
فان زيارة البيت المعظم والتقرب بها الى الله تعالى من موجبات ترك الامور المذكورة
وايثار النفي للمبالغة في النهي والدلالة على ان ذلك حقيق بان لا يكون فان ما كان منكرا
مستقبحا في نفسه ففي تضاعيف الحج اقبح كلبس الحرير في الصلاة والتطريب بقراءة القرآن
لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرئ الاولان بالرفع على معنى
لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان
قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا
بعرفات وما تفعلوا من خير يعلمه الله فيجزيكم به خير جزاء وهو حث على فعل الخير اثر النهي عن الشر
وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي تزودوا والمعاد كراء التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت
في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا
ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان
قضية اللب خشية الله عز وجل وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود
بها لله فيتبرءوا عن كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى
فلذلك خص بهذا الخطاب اولوا الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تبتغوا اي
تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه اي الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز
اسواقهم في الجاهلية يقيمونها ايام مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه
فنزلت فاذا افضتم من عرفات اي دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة
واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف من دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات
وانما نون وكسر وفيه علمية وتأنيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكين ولذلك
يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وههنا ليس كذلك
لان التأنيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة
جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تأبى تقديرها لانها
كالبدل منها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام

فانها تعرف بعرفة او لان ابراهيم عليه السلام كان يدور ربه في المشاعر فلما اراه قال عرفت او لان
آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وهي من الاسماء المرتجلة الا ان
يجعل جمع عارف • وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده
وهي مأمور بها بقوله تعالى ثم افيضوا او لما قال النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك عرفة
فقد ادرك الحج او مقدمة للذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق •
فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلاة العشائين **عند المشعر الحرام** جبل
يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر رضي
الله عنه انه عليه الصلاة والسلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر
الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف
بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها
موقف الا وادي محسر **واذكروه كما هداكم** اي كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم
هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة **وان كنتم من قبله** اي من قبل ما ذكر
من هدايته اياكم **لمن الضالين** اي الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي
الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كما في قوله عز وجل وان نظنك لمن الكاذبين **ثم
افيضوا من حيث افاض الناس** اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب لقريش كانوا يقفون
بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين
كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الا الى كريم • وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة
من عرفة اليها والخطاب عام • وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد ادم عليه السلام
من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه **واستغفروا الله** من
جاهليتكم من تغيير المناسك ونحوه **ان الله غفور رحيم** يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فهو تعليل
للاستغفار او للامر به **فاذا قضيتم مناسككم** عبادتكم المتعلقة بالحج وفرغتم منها
فاذكروا الله كذكركم اباءكم اي فاذكروه وذكروا الله تعالى وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر
ابائكم ومفاخرهم وايامهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون
مفاخر ابائهم **او اشد ذكرا** اما مجرور معطوف على الذكر يجعله ذاكرا على المجاز
والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى
او كذكر قوم اشد منكم ذكرا او منصوب بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او اذكروا
اشد مذكورية من اباءكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لابائكم **فمن
الناس** تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا والى مكثر يطلب به خير الدارين والمراد
به الحث على الاكثار والارشاد اليه **من يقول** اي في ذكره **ربنا اتنا في الدنيا**
اي اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا خاصة **وما له في الاخرة من خلاق** اي من حظ ونصيب
لاقتصار همه على الدنيا فهو بيان لحاله في الاخرة او من طلب خلاق فهو بيان لحاله
في الدنيا وتاكيد لقصر دعائه على المطالب الدنيوية **ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا
حسنة** يعني الصحة والكفاف والتوفيق للخير **وفي الاخرة حسنة** يعني الثواب والرحمة **وقنا**

عذاب

عذاب النار بالعفو والمغفرة • وروي عن علي كرم الله وجهه ان الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة
وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء • وعن الحسن رحمه الله ان الحسنة في الدنيا
العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب
المؤدية الى النار **اولئك** اشارة الى الفريق الثاني باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجميلة
وما فيه من معنى البعد لما مر او الاشارة الى علو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وقيل
اليهما معا فالتنوين في قوله تعالى **لهم نصيب مما كسبوا** على الاول للتعظيم وعلى الثاني للتنويع اي
لكل منهما نوع نصيب من جنس ما كسبوا او من اجله كما في قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به
نعطيهم منه ما قدرناه فتسميته الدعاء كسبا لما انه من الاعمال **والله سريع الحساب** يحاسب
العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة فاحذروا من الاخلال بطاعة من هذا شأن قدرته
او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعة واكتساب الحسنات
واذكروا الله اي كبروه في اعقاب الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها **في
ايام معدودات** هي ايام التشريق **فمن تعجل** اي استعجل النفر او النفر فان التفعل
والاستفعال يجيئان لازمين ومتعديين يقال تعجل في الامر واستعجل فيه وتعجله واستعجله
والاول اوفق للتأخر كما في قوله •

• قد يدرك المتأني بعض حاجته • وقد يكون من المستعجل الزلل •

في يومين اي في تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم القر ويوم الرؤوس واليوم بعده فنفر اذا فرغ من
رمي الجمار **فلا اثم عليه** بتعجيله **ومن تأخر** في النفر حتى رمى في اليوم الثالث قبل الزوال
او بعده وعند ابي حنيفة **فلا اثم عليه** بما صنع من التأخر والمراد التخيير بين التعجل
والتأخر ولا يقدح فيه افضلية الثاني وانما ورد بنفي الاثم تصريحا بالرد على اهل الجاهلية
حيث كانوا مختلفين فمن مؤثم للمتعجل ومؤثم للمتأخر **لمن اتقى** خبر لمبتدأ محذوف اي الذي
ذكر من التخيير او من نفي الاثم عن المتعجل والمتأخر او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة
والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما **واتقوا الله** في مجامع اموركم بفعل الواجبات
وترك المحظورات ليعبأ بكم وتنتظموا في سلك المغتنمين بالاحكام المذكورة والرخص او
احذروا الاخلال بما ذكر من الاحكام وهو الانسب بقوله عز وجل **واعلموا انكم اليه
تحشرون** اي للجزاء بعد الاحياء والبعث واصل الحشر الجمع وضم المتفرق
وهو تأكيد للامر بالتقوى وموجب للامتثال به فان من علم بالحشر والمحاسبة والجزاء
كان ذلك ادعى الدواعي الى ملازمة التقوى **ومن الناس من يعجبك قوله** والخطاب
والتوحيد له عليه الصلاة والسلام وهو كلام مبتدأ سيق لبيان تحزب الناس في
التقوى الى حزبين وتعيين ما لكل منهما ومن موصولة او موصوفة واعرابه كما بين في قوله
تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ومنهم من يروقك كلامه ويعظم
موقعه في نفسك لما تشاهد فيه من ملازمة التقوى ولطف الاداء والتعجب حيرة تعرض للانسان
بسبب عدم الشعور بسبب ما يتعجب منه **في الحياة الدنيا** متعلق بقوله اي ما يقوله في حق
الحياة الدنيا ومعناها فانها الذي يريد بادعائه من الايمان ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم

وفيه اشارة الى ان له قولا اخر ليس بهذه الصفة او يعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة
لا في الاخرة لما انه يظهر هناك قبحه وكذبه وقيل لما يرهقه من الدهشة واللكنة • وانت خبير
بانه لا يلائمه حينئذ في سوقها له فانما له بيان حسن كلامه في الدنيا وقبحه في الاخرة وقيل
معنى في الدنيا اي لا يعتقد رسنه فيها الا القول الحسن • ويشهد الله على ما في قلبه اي يحسب
ادعائه حيث يقول الله يعلم ان ما في قلبي لما في لساني وهو عطف على يعجبك • وقرى ويشهد الله فالمراد
بما في قلبه ما فيه حقيقة • ويؤيده قراءة ابن عباس رضي الله عنه والله يشهد على ما في قلبه على ان كلمة على
لكون المشهود به مضرا له فالجملة اعتراضية • وقرى ويستشهد الله • وهو الد الخصام اي شديد
العداوة والخصومة للمسلمين على ان الخصام مصدر واضافة الالد اليه بمعنى في او لم يثبت
العناد او اشد الخصوم لهم خصومة على انه جمع خصم كصعب وصعاب • قيل نزلت في الاخنس
ابن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي
الاسلام والمحبة وقيل في المنافقين والجملة حال من الضمير المجرور في قوله او من المستكن
في يشهد او عطف على ما قبلها على القراءتين المتوسطتين • واذا تولى اي من مجلسك وقيل اذا صار
واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف حيث بيتهم
واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم
حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل • وقرى ويهلك الحرث والنسل على اسناد
الهلاك اليهما عطفا على سعى • وقرى بفتح اللام وهي لغة • وقرى على البناء للمفعول من الاهلاك
والله لا يحب الفساد اي لا يرتضيه فيبغضه ويغضب على من يتعاطاه ومواعظ انه يبيل
واذا قيل له على نهج العظة والنصيحة اتق الله واترك ما تباشره من الفساد او النفاق
واحذر سوء عاقبته اخذته العزة بالاثم اي حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي
نهي عنه لجاجا وعنادا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم
مبتدأ وخبر اي كافيه جهنم • وقيل جهنم فاعل لحسبه ساد مسد خبره وهو مصدر بمعنى
الفاعل وقوي لاعتماده على الفاء الرابطة للجملة بما قبلها • وقيل حسب اسم فعل ماض اي كفته
جهنم ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف لظهوره وتعينه والمراد
والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب والجملة اعتراض ومن الناس من يشري نفسه
مبتدأ وخبر اي يبيعها ببذلها في الجهاد ومشاق الطاعات وتعريضها للمهالك في
الحروب او لامر بالمعروف ونهي عن المنكر وان ترتب عليه القتل ابتغاء مرضات الله اي
طلبا لرضاه ومعناه الكامل التقوي وايراده تتميما للاول من حيث ان ذلك يانف من الامر
بالتقوي وهذا يامر به لذلك وان ادى الى الهلاك • وقيل نزلت في صهيب ابن سنان
الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان
كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ما له واتى المدينة
فنزلت بمعنى يشتري بجريان الحال على صورة الشرى والله رؤوف بالعباد ولذلك كلفهم
التقوى وعرضهم للثواب والجملة اعتراض تذييل يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم
اي الاسلام او الطاعة وقيل الاسلام وقرى بفتح السين وهي لغة فيه وبفتح اللام ايضا

وقوله

وقوله تعالى كافة حال من الضمير في ادخلوا او من السلم او منهما معا كما في قوله •
خرجت بها نمشي تجر وراءنا • على اثرينا ذيل مرط مرحل •
وهي في الاصل اسم للجماعة تكف مخالفيها ثم استعملت في معنى جميعا وتأنيثها للتأنيث لا يحتاج الى جعل
السلم مؤنثا مثل الحرب كما في قوله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها • وقوله •
السلم تأخذ منها ما رضيت به • والحرب يكفيك من انفاسها جرع •
وانما هي للتأكيد عامة وخاصة كافة وقاطبة والمعنى استسلموا لله تعالى واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب
للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم كانوا
يراعون بعض احكام دينهم القديم بعد اسلامهم او في شرائع الله تعالى كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا
والخطاب لاهل الكتاب كلهم ووصفهم بالايمان اما على طريق التغليب واما بالنظر الى ايمانهم القديم
او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء منها والخطاب للمسلمين وانما خوطب اهل الكتاب
بعنوان الايمان مع انه لا يصح الايمان الا بالكل فكلفهم الان ابتداء بان ما يدعونه لا يعتد به ونه
ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق او بمخالفة ما امرتم به انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة او مظهرها وهو تعليل للنهي او الانتهاء فان زللتم اي عن الدخول في السلم
وقرى بكسر اللام وهي لغة فيه من بعد ما جاءتكم البينات والحجج القطعية الدالة على
حقيته الموجبة للدخول فيه فاعلموا ان الله عزيز غالب في امره لا يعجزه الانتقام منكم
حكيم لا يترك ما تقتضيه الحكمة من مؤاخذة المجرمين المستمرين على ادامة هل ينظرون
استفهام انكاري في معنى النفي اي ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة في الامتثال
بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه الا ان ياتيهم الله اي امره وباسه او ياتيهم الله بامره
وباسه فحذف المأتي به للدلالة عليه والالتفات الى الغيبة للايذان بان سوء صنيعهم
موجب للاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم من اهل الانصاف على طريق المباثة وايراد
الانتظار للاشعار بانهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة كانهم طالبون لها مترقبون
لوقوعها في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرى في ظلال كقلال جمع قلة من الغمام
اي السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب فيه لما انه مظنة الرحمة فاذا اتى منه العذاب كان افظع
وافظع للمطامع فان اتيان الشر من حيث لا يحتسب صعب فكيف بالاتيان من حيث يرجى منه الخير
والملائكة عطف على الاسم الجليل والاتيان الملائكة فانهم الوسائط في اتيان امره تعالى بل هم الآتون
بباسه تعالى على الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما للايذان بان الاتيان اولا من حيث انها بالرحمة
وترتب عليه عادة واما الملائكة وان كان اتيانهم مقارنا لما ذكر من الغمام لكن ذلك ليس بطريق
الاعتياد • وقرى بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اي اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وهو عطف
على ياتيهم داخل في حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضي دلالة على تحققه فكانه قد كان او جملة
مستانفة جيء بها ايذانا بوقوع مضمونها • وقرى وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله لا الى غيره
ترجع الامور بالتانيث على البناء للمفعول من الرجع • وقرى بالتذكير وعلى البناء للفاعل بالتانيث
من الرجوع سل بني اسرائيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل الخطاب
والمراد بالسوال تبكيتهم وتقريعهم بذلك وتقرير لمجيء البينات كم آتيناهم من آية بينة معجزة

ظاهرة على ايدي الانبيا عليهم السلام او اية ناطقة بحقية الاسلام المامور بالدخول فيه وكم خبرية
او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتدا على حذف العائد من الخبر
واية مميزها ومن يبدل نعمة الله التي هي اياته الباهرة فانها سبب للهدى الذي هو اجل نعم
الله تعالى وتبديلها جعلها سببا للضلالة وازدياد الرجس او تحريفها وتاويلها الزايغ
من بعد ما جاءته ووصلت اليه وتمكن من معرفتها والتصريح بذلك مع ان التبديل لا يتصور
قبل المجي للاشعار بانهم قد بدلوها بعد ما وقفوا على تفاصيلها كما في قوله عز وجل ثم يحرفونه من
بعد ما عقلوه وهم يعلمون ينبه تنبيه مع ذلك لوما ومن يبدل لها ناحت في للابد ان يعدم الحاجة
الى التصريح به لظهوره فان الله شديد العقاب تعليل للجواب اي فانه يعاقبه ومن يبدل نعمة الله يعاقبه
اشد عقوبة فانه شديد العقاب والاظهار في مقام الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة
زين للذين كفروا الحياة الدنيا اي حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها
وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها والتزيين من حيث الخلق والايجاد مستند الى الله سبحانه كما يعرب
عنه القراءة على البنا للفاعل اذ ما من شي الا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية
وما في الدنيا من الامور البهية والاشيا الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين امنوا عطف على
زين وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على استمرار السخرية منهم وهم فقرا المؤمنين كبلال وعمار
وصهيب كانوا يسترذلونهم ويستهزئون بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن ابتدائية
فانهم جعلوا السخرية مبتدية منهم والذين اتقوا هم الذين امنوا بعينهم وانما ذكروا بعنوان
التقوى للايذان بان اعراضهم عن الدنيا للاتقا عنها لكونها تبعدهم عن جناب القدس شاغلة عنه
فوقهم يوم القيامة لانهم في اعلى عليين وهم في اسفل سافلين او لانهم في اوج الكرامة وهم في حضيض
الذل والمهانة او لانهم يتطاولون عليهم في الاخرة فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا والجملة
معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للدلالة على دوام مضمونها والله يرزق من يشاء اي في الدارين
بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة
متفقين على كلمة الحق ودين الاسلام وكان ذلك بين ادم وادريس او نوح او بعد الطوفان فبعث
الله النبيين اي فاختلفوا فبعث الله الخ وما قراه ابن مسعود رضي الله عنه وانما حذف لدلالة
على ما بعده عليه مبشرين ومنذرين عن كعب الذي علمته من عدد الانبيا عليهم السلام مائة الف
واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القران ثمانية وعشرون
وقيل كان الناس امة واحدة متفقة على الكفر والضلال في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين
الى اخره فاختلفوا عليهم والاول هو الانسب بالنظم الكريم وانزل معهم الكتاب اي جنس الكتاب
او مع كل واحد منهم من له كتاب كتابه الخاص به لا مع كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب
وانما كانوا ياخذون بكتاب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافي خصوص الضمير العائد اليه بمعونة المقام
بالحق حال من الكتاب اي متلبسا بالحق او متعلق بانزل كقوله عز وجل وبالحق انزلناه وبالحق نزل
ليحكم اي الكتاب او الله سبحانه وتعالى او كل واحد من النبيين بين الناس اي المذكورين ووضع الظاهر
في موضع الاضمار لزيادة التعيين فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما
اختلف فيه اي في الحق او في الكتاب الملتبس به والواو حالية الا الذين اوتوه اي الكتاب

المنزل

المنزل لازالة الاختلاف وازاحة الشقاق من الامر اذا لتعبير بالايتا للتنبيه من اول الامر
على كمال تمكنهم من الوقوف على ما في تضاعيفه من الحق فان الايتا لا يتحقق بدون الفهم اي عكسوا
الامر حيث جعلوا ما انزل لازاحة الاختلاف سببا لاستحكامه ورسوخه من بعد ما جاءتهم البينات
اي رسخت في عقولهم ومن متعلقة بمحذوف يدل عليه الكلام اي فاختلفوا وما اختلف فيه الا الذين
وتعلقه بالملفوظ فيما قبله ممتنع لامتناعه كما في قولك ما قام الا زيد يوم الجمعة بغيا بينهم متعلق بما تعلق
به من اي اختلفوا فيه بغيا وحرصا على الدنيا فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه اي للحق
الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما ذكر في ابهامه ولا تفسير ما لا يخفى من التفخيم باذنه
بامره وتيسيره ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم موصل الى الحق وهو اعتراض مقرر لمضمون ما قبله
ام حسبتم خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين حثا لهم على الثبات والمصابرة
على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق في مجاهدتهم اثر بيان اختلاف الامم على الانبيا عليهم السلام وفيه بيني فيه
مال اختلافهم مع الانبيا والمؤمنين من قبلهم من مكابدة الشدايد ومقاساة الهموم وان عاقبة امرهم
النصر وام منقطعة والهمزة فيها للانكار والاستبعاد بل احسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا
من قبلكم من الانبيا ومن معهم من المؤمنين اي والحال انه لم ياتكم مثلهم بعد ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الاحوال
الهائلة التي هي مثل في الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر مستهم استيناف وقع جوابا عما ينساق اليه
الذهن كانه قيل كيف كان مثلهم فقيل مستهم البأساء اي الشدة من الخوف والفاقة والضراء اي الالام والامراض
وزلزلوا اي ازعجوا ازعاجا شديدا بما دهمهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول والذين امنوا معه اي
انتهى امرهم من الشدة الى حيث اضطرتهم الضجر الى ان يقول الرسول وهو اعلم الناس بشؤون الله تعالى واوثقهم
بنصره والمؤمنون المقتدون باثاره والمستضيئون بانواره متى ياتي نصر الله طلبا وتمنيا
له واستطالة لمدة الشدة والعنا وقرئ حتى يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية ومعنى الاتي في غاية
الغايات القاصية ونهايات النهايات النائية لان الرسل مع علو كعبهم في الثبات والاصطبار
حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضجيج علم ان الامر بلغ الى غاية لا مطمح وراءها
الا ان نصر الله قريب على تقدير القول اي فقيل لهم حينئذ ذلك اسعافا لمرامهم والمراد بالقرب
القرب الزماني وفي ايثار الجملة الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه
والتاكيد من الدلالة على تحقق مضمونها وتقرره ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد بالنصر لما انها
في حكم انجاز الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتصار على حكايتها دون حكاية نفس النصر
مع تحققه للايذان بعدم الحاجة الى ذلك لاستحالة الخلف ويجوز ان يكون ذلك واردا من
جهته تعالى عند الحكاية على نهج الاعتراض لا واردا عنده ونوع المحكي وفيه رمز الى ان الوصول
الى جناب القدس لا يتسنى الا برفض اللذات ومكابدة المشاق كما ينبي عنه قوله عليه الصلاة والسلام
حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسالونك ماذا ينفقون اي من اصناف اموالهم قل ما انفقتم
من خير ما اما شرطية واما موصولة حذف العائد اليها اي ما تنفقونه من خير اي خير كان ففيه تجويز
الانفاق من جميع انواع الاموال وبيان لما في السؤال الا انه جعل من جملته ما في حيز الشرط والصلة
وابرز في معرض بيان المصرف حيث قيل فللوالدين والاقربين للايذان بان الاهم بيان المصارف
المعدودة لان الاعتداد بالانفاق بحسب وقوعه في موقعه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه

جا فراابن الجموح وهو شيخ هرم له مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا انفق من اموالنا واين نضعها فنزلت
واليتامى اي المحتاجين منهم والمساكين وابن السبيل ولم يتعرض للسائلين والرقاب اما اكتفاء بذكرهم في
المواقع الاخر واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى وما تفعلوا من خير فانه شامل لكل خير واقع في
اي مصرف كان فان الله به عليم فيوفي ثوابه وليس في الاية ما ينافيه فرض الزكاة لينسخ به كما نقل
عن السدي كتب عليكم القتال بنا للفعل للمفعول ورفع القتال اي قتال الكفرة وقرئ ببنائه
للفاعل وهو الله عز وجل ونصب القتال وقرئ كتب عليكم القتل اي قتل الكفرة والواو
في قوله تعالى وهو كره لكم حالية اي والحال انه مكروه لكم طبعا على ان الكره مصدر وصف به المفعول
مبالغة او بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح على انه بمعنى المضموم كالضعف والضعف
او على انه بمعنى المضموم كالضعف والضعف او على انه بمعنى الاكراه مجازا كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم
له ومشقته عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة التي من جملتها القتال
فان النفوس تكرهه وتنفر عنه والجملة اعتراضية دالة على ان في القتال خيرا لهم وعسى ان تحبوا شيئا
وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه من الامور المستلذة وهو معطوف على ما قبله لاتحادهما في الاعتراض
والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون اي لا تعلمونه ولذلك تكرهونه او والله يعلم ما هو خير
وشر لكم وانتم لا تعلمونهما فلا تتبعوا اراءكم في ذلك وامتثلوا بامره تعالى يسألونك عن الشهر الحرام
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الاخرة قبل قتال بدر
بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين
واستاقوا العير بما فيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الاخرة
فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول
الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسألك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام على ان قوله عز وجل
قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وتنكيره لما ان سؤالهم كان عن مطلق القتال الواقع في الشهر
الحرام لا عن القتال المعهود ولذلك لم يقل يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وقرئ عن قتال
فيه بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن امن منهم وقرئ قتل فيه قل
في جوابهم قتال فيه كبير جملة من مبتدا وخبر محلها النصب بقل وانما جاز وقوع قتال مبتدا مع
كونه نكرة لتخصيصه اما بالوصف ان تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة له اي قتال كائن فيه
واما بالعمل ان تعلق به واعادة النكرة احترازا عن توهم التعيين وايذانا بان المراد مطلق
القتال الواقع فيه اي قتال كان عن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل
للناس ان يغزوا في الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت واكثر الائمة على انها منسوخة بقوله
تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدا تخصص بالعمل فيما بعده
اي ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله تعالى وكفر به عطف على صد عامل فيما بعده مثله
اي وكفر بالله تعالى وحيث كان الصد عن سبيل الله فردا من افراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف
المذكور في حسن عطف قوله تعالى والمسجد الحرام على سبيل الله على سبيل الاستقلال لانه ليس باجنبي محض وفيه

هو

هو ايضا معطوف على ما تقدم بتقدير المضاف وصد المسجد الحرام واخراج اهله وهو النبي صلى
الله عليه وسلم والمؤمنون منه اي من المسجد الحرام وهو عطف على كفر به اكبر عند الله خبر
للاشياء المعدودة اي كبائر السائلين اكبر عند الله مما فعلوا بالسؤال وهو ما فعلته السرية
خطأ وبناء على الظن وافعل يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اي
ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء اكبر من القتل
اي افظع من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم بيان لاستحكام عداوتهم واصرارهم على
الفتنة في الدين حتى يردوكم عن دينكم الحق الى دينهم الباطل واضافة الدين اليهم لتذكير
ما بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع الافتراق ان استطاعوا اشارة الى تصلبهم في الدين
وثبات قدمهم فيه كانه قيل وانى لهم ذلك ومن يرتدد منكم عن دينه تحذير من الارتداد اي ومن
يفعل ذلك باضلالهم واغوائهم فيمت وهو كافر بان لم يرجع الى الاسلام وفيه ترغيب بالرجوع
الى الاسلام بعد الارتداد فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من
الارتداد والموت عليه وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد
وجمع النظر الى المعنى اي اولئك المصرون على الارتداد الى حين الموت حبطت اعمالهم الحسنة
التي كانوا عملوها في حالة الاسلام حبوطا لا تلافي له قطعا في الدنيا والاخرة بحيث لم يبق لها حكم
من الاحكام الدنيوية والاخروية واولئك الموصوفون بما ذكر سابقا ولاحقا من القبائح اصحاب
النار اي ملازموها وملازموها هم فيها خالدون كدابهم الكفرة ان الذين امنوا نزلت في
اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فلا اجر لهم والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول
مع ان المراد بهما واحد لتفخيم شأن الهجرة والجهاد فكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك المعترفون
بالنعوت الجليلة المذكورة يرجون ما لهم من مبادي الفوز رحمة الله اي ثوابه اثبت لهم الرجاء
دون الفوز بالمرجو للايذان بانهم عالمون بان العمل غير موجب للاجر وانما هو على طريق التفضل
منه سبحانه لا لان في فوزهم اشتباها والله غفور مبالغ في مغفرة ما فرط من عباده خطأ رحيم
يجزل لهم الاجر والثواب والجملة اعتراض محقق لمضمون ما قبلها يسألونك عن الخمر والميسر نزلت
في شأن الخمر اربع ايات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا
حسنا فطفق المسلمون يشربونها ثم ان عمر رضي الله عنه ومعاذا ونفرا من الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين قالوا افتنا يا رسول الله في شأن الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الاية فشربها
قوم وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فقام احدهم
فقرا قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فقل
من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا
وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر
الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه
لو وقعت قطرة منها في بئر فبنيت في مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم
جف فنبت فيه الكلأ لم ارعه وعن عمر رضي الله عنه لو ادخلت اصبعي فيها لم تتبعني

وبين امر الايمان والنبي صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهم اجمعين والخمر مصدر خمره اي ستره سمي بها عصير
العنب لما غلا واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كانها تخمره كما سميت سكرا
لانها تسكرهما اي تحجزهما والميسر مصدر ميمي من يسر كالموعد والمرجع سمي به القمار
اذ اقربه واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ المال بيسر من غير كد وتعب واما من اليسار لانه سلب
له وصفته انه كانت لهم عشرة اقداح هي الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس
والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها
ويجزونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلاثة هي المنيح والسفيح والوغد للفذ
سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة
ويجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل
قدحا فمن خرج له قدح من ذوات الانصبا اخذ النصيب المعين لها ومن خرج له من تلك الثلاثة
غرم ثمن الجزور مع حرمانه وكانوا يدفعون تلك الانصبا الى الفقرا ولا ياكلون منها ويفتخرون
بذلك ويذمون من لا يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكمه جميع انواع القمار من النرد والشطرنج
ونحوها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم وهاتين اللعبتين المشومتين فانهما ميسر العجم
وعن علي كرم الله وجهه ان النرد والشطرنج من الميسر والمعنى يسالونك عن حكمهما ومن تعاطيهما
قل فيهما اثم كبير اي في تعاطيهما لما ان الاول مسلبة للعقول التي هي قطب الدين والدنيا مع
كون كل منهما متلفة للاموال ومنافع للناس من كسب الطرب واللذة ومصاحبة الفتيان وتشجيع الجبان
وتقوية الطبيعة وقرئ اثم كثير بالمثلثة وفي تقديم بيان اثمه ووصفه بالكبير وتاخير ذكر منافعه
مع تخصيصها بالناس من الدلالة على غلبة الاول ما لا يخفى على ما نطق به قوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما اي
المفاسد المترتبة على تعاطيهما اعظم من الفوائد المترتبة عليه وقرئ اقرب من نفعهما ويسالونك ماذا
ينفقون عطف على يسالونك عن الخمر الخ عطف القصة على القصة اي اي شي ينفقونه السائل هو عمرو بن
الجموح ايضا سال اولا عن اي جنس ينفق من اجناس الاموال فلما بين جواز الانفاق من جميع الاجناس سال
ثانيا من اي اصنافها ينفق امن خيارها ام من غيرها او سال عن مقدار ما ينفقه منها قل العفو
بالنصب اي ينفقون العفو او انفقوا العفو وقرئ بالرفع على ان ما استفهامية وذا موصولة
صلتها ينفقون اي الذي ينفقونه العفو قال الواحدي اصل العفو في اللغة الزيادة وقال
القفال العفو ما سهل وتيسر مما فضل من الكفاية وهو قول قتادة وعطا والسدي وكانت
الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون
بالفضل وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم
فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه فكرر ذلك مرارا حتى قال عليه الصلاة والسلام مغضبا هاتها
فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابته لشجته ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف
الناس انما الصدقة عن ظهر غنى كذلك اشارة الى مصدر الفعل الاتي وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجة المشار اليه في الفضل وكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة
والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين
باعتبار القبيل او الفريق او لعدم القصد الى تعيين المخاطب كما مر ومحله النصب على انه نعت لمصدر

محذوف

محذوف اي مثل ذلك البيان الواضح الذي مر عبارة ومعنى في اجوبة الاسولة السابقة يبين الله لكم
الايات الدالة على الاحكام الشرعية المذكورة للبيان ادنى منه وقد مر تمام تحقيقه في قوله تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا وتبيين الايات تنزيلها مبينة الفحوى واضحة المدلول لا انه تعالى
يبينها بعد ان كانت مشتبهة ملتبسة وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة لعلكم تتفكرون
لكي تتفكروا فيها وتقفوا على معانيها وتعملوا بما في تضاعيفها وقوله تعالى في الدنيا والاخرة
متعلق اما بيبين فيتعلق بالدنيا والاخرة الايات واما بمحذوف وقع حالا من الايات اي يبينها
لكم كائنة فيهما اي مبينة لاحوالكم المتعلقة بهما واما بما دل عليه التعليل بمنزلة الامتثال بالايات
التفكر واما بقوله تعالى تتفكرون اي تتفكرون في الامور المتعلقة بالدنيا والاخرة في الاحكام
الواردة في اجوبة الاسولة السابقة فتختارون منها ما يصلح لكم فيهما وتجتنبون عن غيره
واما التخصيص هو المناسب لمقام تعداد الاحكام الجزئية ويجوز التعميم لجميع الامور المتعلقة
بالدنيا والاخرة فذلك للتجنيس اشارة الى ما مر من البينات كلا وبعضا لا الى بعضه لما انه
فانه جنسية تعلم مستفيضا بعبارة من تلك البينات والمراد بالايات غير ما ذكر والمعنى
مثل ذلك البيان الوارد في الاجوبة المذكورة يبين الله لكم الايات والدلائل لعلكم تتفكرون
في اموركم المتعلقة بالدنيا والاخرة وتاخذون بما يصلح لكم وينفعكم فيهما وتذرون ما يضركم
حسبما تقتضيه تلك الايات المبينة ويسالونك عن اليتامى عطف على ما قبله من نظيره روي انه لما
نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما تحاشى الناس عن مخالطة اليتامى وتعهد اموالهم فشق
عليهم ذلك فذكروه للنبي عليه الصلاة والسلام فنزلت قل اصلاح لهم خير اي التعرض لاحوالهم
واموالهم على طريق الاصلاح خير من مجانبتهم اتقاء وان تخالطوهم وتعاشروهم على وجه ينفعهم فاخوانكم
اي فهم اخوانكم اي في الدين الذي هو اقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق الاخوة ومواجبها
المخالطة بالاصلاح والنفع وقد حمل المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح العلم بمعنى المعرفة
المتعدية الى واحد ومن لتضمينه معنى التمييز اي يعلم من يفسد في امورهم عند المخالطة ومن يقصد
بمخالطته الخيانة والفساد مميزا له ممن يصلح فيها او يقصد الاصلاح فيجازي كلا منهما بعمله ففيه
وعد ووعيد خلا ان في تقديم المفسد مزيد تهديد وتاكيد للوعيد ولو شاء الله لاعنتكم اي لو
شاء اعناتكم اي يكلفكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم
ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه امر من الامور التي من جملتها اعناتكم فهو تعليل لمضمون الشرطية
وقوله عز وجل حكيم اي فاعل لافعاله حسبما تقتضيه الحكمة الداعية الى بناء التكليف على اساس الطاقة
دليل على ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها ولا تنكحوا المشركات اي لا تتزوجوهن وقرئ بضم التاء من الانكاح
اي لا تزوجوهن من المسلمين حتى يؤمن والمراد بهن اما ما يعم الكتابيات ايضا حسبما يقتضيه عموم التعليل
الاتي لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه
عما يشركون فالاية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واما
غير الكتابيات فهي ثابتة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد
الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته
فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي قال نعم

ولكن ارجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستامره فنزلت **ولامة مومنة** تعليل للنهي عن مواصلتهن وترغيب
في مواصلة المومنات صدرت بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم في افادة التاكيد مبالغة
في الحمل على الانزجار واصل امة امو حذفت لامها على غير قياس وعوض منه تاء التانيث ودليله
كون لامها واوا رجوعها في الجمع قال الكلابي اما الاماء فلا يدعونني ولدا اذا ترامى بنو الاموان
بالعار وظهورها في المصدر يقال هي امة بينة الاموة واقرت له بالاموة وقد وقعت
مبتدا لما فيها من لام الابتداء او الوصف اي ولامة مومنة مع ما بها من خساسة الرق
وقلة الخطر **خير** بحسب الدين والدنيا **من مشركة** اي امراة مشركة مع ما بها من شرف الحرية
ورفعة الشان **ولو اعجبتكم** وقد مر ان كلمة لو في امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء الشيء
في الماضي لانتفاء غيره فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه من انسحاب المعنى على تقديره
بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة
له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عداه
من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك
لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة
لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على وجه الاجمال
كانه قيل لو لم تعجبكم ولو اعجبتكم والجملة في حيز النصب على الحالية من مشركة اذ الحال
ولامة مومنة خير من مشركة حال عدم اعجابها وحال اعجابها اياكم بجمالها ومالها ونسبها وغير
ذلك من مبادي الاعجاب وموجبات الرغبة فيها اي على كل حال وقد اقتصر على ذكر ما هو اشد
منافاة للخيرية تنبيها على انها حيث تحققت معه فلان تتحقق مع غيره اولى وقيل الواو حالية
وليس بواضح وقيل اعتراضية وليس بسديد والحق انها عاطفة مستتبعة لما ذكر من الاعتبار
اللطيف فتدبر وجوز ان تكون الجملة الاولى مع ما عطف عليها مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها فتامل
ولا تنكحوا المشركين من الانكاح والمراد بهم الكفار جميعا لاطلاق ما مر اي لا تزوجوا منهم المومنات
سواء كن حرائر او اماء **حتى يومنوا** ويتركوا ما هم فيه من الكفر **ولعبد مومن** مع ما به من ذل المملوكية
خير من مشرك مع ما به من عز المالكية **ولو اعجبكم** بما فيه من دواعي الرغبة فيه الراجعة الى ذاته
وصفاته **اولئك** استيناف مقرر لمضمون التعليلين السابقين اي اولئك المذكورون من المشركات
والمشركين **يدعون** من يقارنهم ويعاشرهم **الى النار** اي الى ما يودي اليها من الكفر والفسوق
فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم **والله يدعوا** بواسطة عباده المومنين من يقارنهم **الى الجنة**
والمغفرة اي الى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين اليهما وتقديم الجنة على ما ان حق التخلية
ان تقدم على التحلية لرعاية مقابلة النار ابتداء **باذنه** متعلق بيدعوا اي يدعوا ملتبسا
بتوفيقه الذي من جملته ارشاد المومنين لمقارنيهم الى الخير ونصيحتهم اياهم فهم احقاء بالمواصلة
ويبين اياته المشتملة على الاحكام الفائقة والحكم الرائقة **للناس لعلهم يتذكرون** اي لكي يتذكروا
ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنة والغفران هذا وقد قيل والله يدعوا اي اولياء
الله يدعون وهم المومنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تشريفا
لهم وانت خبير بان الضمير في المعطوف على الخبر قوله تعالى ويظهر ويبين الله تعالى يابى

التخييل

التخييل لتخييل معناه والله يدعوا باحكامه المذكورة الى الجنة والمغفرة فانها موصلة لمن
عمل بها اليهما وفيه انه وان كان مستتبعا لاتحاد مرجع الضميرين الكائنين في الجملتين المتعاطفتين
لو اقتضى خبر المبتدا الذي يفوت جزالة المقابلة بينه وبين قوله تعالى اولئك يدعون الى
النار ولعل الطريق الاسلم ما اومي اليه اولا وايراد التذكير ههنا كما في الاحكام السابقة
ويسالونك عن المحيض عطف على ما تقدم من مثله ولعل حكاية هذه الاسولة الثلاثة بالعطف لوقوع
الكل عند السوال عن الخمر وحكاية ما عداها بغير عطف لوقوع كل من ذلك في وقت على حدة
والمحيض مصدر من حاضت المراة كالمجيء والمبيت روي ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون
الحيض ولا ياكلون معهن كاليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك الى ان سال عن ذلك ابو
الدحداح في نفر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فنزلت **قل هو اذى** اي شيء يستقذر
منه ويوذي من يقربه نفرة منه وكراهة له **فاعتزلوا النساء في المحيض** اي فاجتنبوا مجامعتهن في حالة
الحيض قيل اخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول
الله البرد شديد والثياب قليلة فان اثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها
هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم
باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض
واليهود كانوا يفرطون في الاعتزال فامر المسلمون بالاقتصاد بين الامرين **ولا تقربوهن حتى**
يطهرن تاكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على ان المراد به عدم قربانهن لا عدم القرب منهن وبيان لغايته
وهو انقطاع الدم عند ابي حنيفة رضي الله عنه فان كان ذلك في اكثر المدة حل القربان كما
انقطع وان كان في اقل منه لابد من الاغتسال او من مضي وقت صلاة وعند الشافعي رضي الله تعالى
عنه ان يغتسلن بعد الانقطاع كما يشعر به القراءة بالتشديد ويبني عليه قوله عز
وجل **فاذا تطهرن** فان التطهر هو الاغتسال **فاتوهن من حيث امركم الله** من الماتى الذي
حلله لكم وهو القبل **ان الله يحب التوابين** مما عسى يندر منهم من ارتكاب بعض ما نهوا عنه
من سائر الذنوب **ويحب المتطهرين** المتنزهين من الفواحش والاقذار وفي ذكر التوبة
اشعار بمساس الحاجة اليها بارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر
التطهر **نساؤكم حرث لكم** اي مواضع حرث لكم شبهن بها لما بين ما يلقى في ارحامهن
وبين البذور من المشابهة من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل منه **فاتوا حرثكم**
لما عبر عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن بالاتيان وهو بيان لقوله تبارك وتعالى فاتوهن
من حيث امركم الله **انى شئتم** من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يزعمون ان
من اتى امراته في قبلها من دبرها ياتي ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت **وقدموا لانفسكم** اي ما يدخر لكم من الثواب وقيل هو طلب الولد
وقيل هو التسمية عند المباشرة **واتقوا الله** بالاجتناب عن معاصيه التي من جملتها ما عد
من الامور **واعلموا انكم ملاقوه** فتزودوا لتحصيل ما تنتفعون به حينئذ واجتنبوا اقتراف
ما تفتضحون به **وبشر المومنين** الذين تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر والنواهي بحسن القبول
والامتثال بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم او بكل ما يبشر به من الامور

التي تسر بها القلوب وتقر بها العيون • وفيه ما فيه من لطف الخطاب • وجعل المبشر رسول الله
صلى الله عليه وسلم من المبالغة في تشريف المؤمنين ما لا يخفى **ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم**
نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف أن لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين
أخته • وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح
لخوضه في حديث الإفك والعرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة تطلق على ما يعرض
دون الشيء فيصير حاجزا منه كما يقال فلان عرضة للخير وعلى المعرض للأمر • كما في قوله
• فلا تجعلوني عرضة للوائم • فالمعنى على الوجه الأول
لا تجعلوا الله مانعا للأمور الحسنة التي تحلفون على تركها وعبر عنها بالأيمان لملابستها
بها • كما في قوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن سمرة رضي الله عنه إذا حلفت على
يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك • وقوله تبارك وتعالى **أن تبروا**
وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف بيان لأيمانكم أو بدل منها لما عرفت أنها عبارة عن الأمور المحلوف
عليها واللام في قوله لأيمانكم متعلقة بالفعل أو بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض أي لا تجعلوا
الله لبركم وتقواكم وإصلاحكم بين الناس عرضة أي برزخا بأن تحلفوا به عز وجل على تركها
أو لا تجعلوه تعالى عرضة أي شيئا يعترض الأمور المذكورة ويحجزها بما ذكر من الحلف به تعالى على
تركها • ويجوز أن تكون اللام للتعليل ويتعلق أن تبروا إلى آخره بالفعل أو بعرضة
فيكون الأيمان بمعناها • وأنت خبير بأنه يؤدي إلى الفصل بين العامل ومعموله بأجنبي وعلى
الوجه الثاني لا تجعلوا الله سبحانه وتعالى معرضا لأيمانكم تبتذلونه بكثرة الحلف ولذلك
ذم من نزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين بأشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وأن تبروا
حينئذ علة للنهي • أي إرادة أن تبروا وتتقوا وتصلحوا لأن الحلاف مجترئ على الله سبحانه
وتعالى غير معظم له فلا يكون برا متقيا ثقة بين الناس فيكون بمعزل من التوسط في إصلاح
ذات البين **والله سميع** لأيمانكم **عليم** بنياتكم فحافظوا على ما كلفتموه **لا يؤاخذكم**
الله باللغو في أيمانكم اللغو ما سقط من الكلام عن درجة الاعتبار والمراد به في الأيمان ما لا
عقد له ولا قصد • كما ينبئ عنه قوله تبارك وتعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان وهو المعني
بقوله عز وجل **ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم** وقد اختلف فيه فعندنا هو أن يحلف على شيء
يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه فإنه لا قصد فيه إلى الكذب • وعند الشافعي رضي
الله تعالى عنه هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم من غير إخطار الحلف
بالبال • فالمعنى على الأول لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم أي لا يعاقبكم باليمين الذي
علقه أحدكم ظانا أنه صادق فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من إثم القصد • إلى
الكذب في اليمين وذلك في الغموس • وعلى الثاني لا يلزمكم الكفارة بما لا قصد معه إلى
اليمين ولكن يلزمكموها بما نوت قلوبكم وقصدت به اليمين ولم يكن كسب اللسان فقط **والله**
غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئا من عدم التثبت وقلة المبالاة **حليم** حيث لم يعجل
بالمؤاخذة والجملة اعتراض مقرر لمضمون قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم إلى آخره •
وفيه إيذان بأن المراد بالمؤاخذة المعاقبة لا إيجاب الكفارة وهي التي تتعلق بها المغفرة

والحكم

والحكم دونه **للذين يؤلون من نسائهم** الإيلاء الحلف وحقه أن يستعمل بعلى وإنما استعمل بمن لتضمنه
معنى البعد أي للذين يحلفون متباعدين من نسائهم • ويجوز أن يراد لهم من نسائهم **تربص**
أربعة أشهر كقولك لي منك كذا أي لهم من نسائهم • وقرئ يقسمون من نسائهم
والإيلاء من المرأة أن يقول والله لا أقربك أربعة أشهر فصاعدا على التقييد بالأشهر
أو لا أقربك على الإطلاق ولا يكون فيما دون ذلك • وحكمه أنه إن فاء إليها في المدة
بالوطء إن أمكن أو بالقول إن عجز عنه وجب الحنث في القادر ولزمته كفارة اليمين ولا
كفارة على العاجز • وإن مضت الأربعة بانت بتطليقة • والتربص الانتظار والتوقف
أضيف إلى الظرف اتساعا أي لهم أن ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفيء أو طلاق
فإن فاءوا أي رجعوا من اليمين بالحنث والفاء للتفصيل كما في قولك أنا نزيلكم هذا الشهر
فإن أحمدتكم أقمت عندكم إلى آخره • وإلا لم ألبث إلا ريثما أتحول **فإن الله غفور رحيم** يغفر
للمولي بفيئته التي هي كتوبته إثم حنثه عند تكفيره أو ما قصده بالإيلاء من ضرار المرأة **وإن عزموا**
الطلاق وأجمعوا عليه **فإن الله سميع** لما جرى منهم من الطلاق وما يتعلق به من المقدمة
والمقاولة التي لا تخلو عنها الحال **عليم** بنياتهم • وفيه من الوعيد على الإصرار وترك الفيئة
ما لا يخفى **والمطلقات** أي ذوات الأقراء من الحرائر المدخول بهن لما قد بين أن لا عدة على غير المدخول
بها وأن عدة من لا تحيض لصغر أو كبر أو حمل بالأشهر ووضع الحمل وأن عدة الأمة قرءان أو شهران
يتربصن خبر في معنى الأمر مفيد للتأكيد بإشعاره بأن المأمور به مما يجب أن يتلقى بالمسارعة
إلى الإتيان به فكأنهن امتثلن بالأمر بالتربص فيخبر به موجودا ونحوه وبناؤه على المبتدأ مفيد
لزيادة تأكيد **بأنفسهن** الباء للتعدية أي يقمعنها ويحملنها على ما تشتهيه بل يشق عليها من التربص
وفيه مزيد حث لهن على ذلك لما فيه من الإنباء عن الاستنكاف بما لا يستنكفن منه من كون نفوسهن
طوامح إلى الرجال فيحملن ذلك إلى الإقدام على الإتيان بما أمرن به **ثلاثة قروء** نصب على الظرفية
أو المفعولية بتقدير مضاف أي يتربصن مضي ثلاثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض لقوله
عليه الصلاة والسلام دعي الصلاة أيام أقرائك • وقوله عليه الصلاة والسلام طلاق
الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان • وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم
إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر • ولأن المقصود الأصلي من العدة استبراء الرحم ومداره
الحيض دون الطهر • ويقال أقرأت المرأة إذا حاضت • وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن
وهي الحيض الثلاث • وإيراد جمع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق الاتساع فإن إيراد
كل من الجمعين مكان الآخر شائع ذائع • وقرئ ثلاثة قرو بغير همزة **ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق**
الله في أرحامهن من الحيض والولد استعجالا في العدة وإبطالا لحق الرجعة • وفيه دليل على قبول
قولهن في ذلك نفيا وإثباتا **إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر** جواب الشرط محذوف لدلالة
ما قبله دلالة واضحة أي فلا يجترئن على ذلك فإن قضية الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر
الذي يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعا **وبعولتهن** البعولة جمع بعل وهو في الأصل
السيد المالك والتاء لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة أو مصدر نعت به مضاف أي أهل
بعولتهن أي أزواجهن الذين طلقوهن رجعيا كما ينبئ عنه التعبير عنهم بالبعولة فالمعنى ببعض

ان اراد المطلقات احق بردهن اي بالرجعة اليهن في ذلك اي في زمان التربص وصيغة التفضيل لافادة ان الرجل اذا اراد الرجعة والمراة تاباها وجب ايثار قوله على قولها لا ان لها ايضا حقا في الرجعة ان ارادوا اي الازواج بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن وليس المراد به شرطية قصد الاصلاح لصحة الرجعة بل الحث عليه والزجر عن قصد الضرار ولهن عليهم من الحقوق مثل الذي عليهن بالمعروف من الحقوق التي يجب مراعاتها ويحتم المحافظة عليها وللرجال عليهن درجة اي زيادة في الحقوق لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن في المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او مزية في الفضل لانهم قوامون عليهن حراس لهن ولما في ايديهن يشاركونهن فيما هو الغرض للزوج ويختصون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن يخالف احكامه حكيم تنطوي شرائعه على الحكم والمصالح الطلاق هو بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعي لما ان السابق الاقرب حكمه ولما روي انه عليه الصلاة والسلام سئل اين الثالثة فقال عليه الصلاة والسلام او تسريح باحسان وهو مبتدا بتقدير مضاف خبره ما بعده اي عدد الطلاق الذي يستحق الزوج فيه الرد والرجعة حسبما بين آنفا مرتان اي اثنتان وايثار ما ورد به النظم الكريم عليه للايذان بان حقهما ان يقعا مرة بعد مرة لا دفعة واحدة وان كان حكم الرد ثابتا حينئذ ايضا فامساك اي فالحكم بعدهما امساك لهن بالرجعة بمعروف اي بحسن عشرة ولطف معاملة او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة كما روي عنه عليه الصلاة والسلام او بعدم الرجعة الى ان تنقضي العدة فتبين وقيل المراد به الطلاق الشرعي بالمرتين مطلق التكرير لا التثنية بعينها كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة والمعنى ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع بين الطلقتين او الثلاث فان ذلك بدعة عندنا فقوله تعالى فامساك الخ حكم مبتدا وتخيير مستانف والفاء فيه للترتيب على التعليم كانه قيل اذا علمتم كيفية التطليق فامركم احد الامرين ولا يحل لكم ان تاخذوا منهن بمقابلة الطلاق مما آتيتموهن اي من الصدقات وتخصيصها بالذكر وان شاركها في الحكم سائر اموالهن اما لرعاية العادة او للتنبيه على انه اذا لم يحل لهم ان ياخذوا ما اعطوهن بمقابلة البضع عند خروجه عن ملكهم فلان لا يحل ان ياخذوا ما لا تعلق له بالبضع اولى واحرى شيئا اي نزرا يسيرا فضلا عن الكثير وتقديم الظرف عليه لما مر مرارا من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتا اليهم لانهم الآمرون بها عند المرافعة وقيل مع الازواج وما بعده مع الحكام وذلك مما يشوش النظم الكريم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو مؤيد لتفسير الخوف بالظن ان لا يقيما حدود الله اي اذ لا يراعيا مواجب احكام الزوجية وقرئ يخافا على البنا للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتا الخطاب فان خفتم ايها الحكام ان لا يقيما اي الزوجان حدود الله بمشاهدة بعض الامارات والمخايل فلا جناح عليهما اي على الزوجين فيما افتدت به

لا على

لا على الزوج في اخذ ما افتدت به ولا عليها في اعطائه اياه روي ان جميلة بنت عبد الله ابن ابي ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت ابن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شي والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخبا فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة كان اصدقها اياها تلك اي الاحكام المذكورة حدود الله فلا تعتدوها بالمخالفة والرفض ومن يتعد حدود الله فاولئك المتعدون والجمع باعتبار معنى الموصول هم الظالمون اي لانفسهم بتعريضها لسخط الله سبحانه وتعالى وعقابه ووضع الاسم الجليل في المواقع الثلاثة الاخيرة موضع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتعقيب النهي بالوعيد للمبالغة في التهديد فان طلقها اي بعد الطلقتين السابقتين فلا تحل له من بعد اي من بعد هذا الطلاق حتى تنكح زوجا غيره اي حتى تتزوج غيره فان النكاح ايضا يسند الى كل منهما وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد والجمهور على اشتراط الاصابة لما روي ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن ابن الزبير رضي الله عنه تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال عليه الصلاة والسلام لا الا ان تذوقي عسيلته ويذوق من عسيلتك وبمثله يجوز الزيادة على الكتاب وقيل النكاح بمعنى الوطي والعقد مستفاد من لفظ الزوج والحكمة في هذا التشريع الردع من المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل مكروه عندنا وروي عدم الكراهة فيما لم يكن الشرط مصرحا به وفاسد عند الاكثرين لقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل له فان طلقها اي الزوج الثاني فلا جناح عليهما اي على الزوج الاول والمراة ان يتراجعا يرجع كل منهما الى الآخر بالعقد ان ظنا ان يقيما حدود الله التي اوجب مراعاتها على الزوجين من الحقوق ولا وجه لتفسير الظن بالعلم لما ان العواقب غير معلومة ولان ان الناصبة للتوقع المنافي للعلم ولذلك لا يقال علمت ان يقوم زيد وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة الى هنا حدود الله اي الاحكام المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة يبينها بهذا البيان اللائق او سيبينها فيما ياتي بنا على ان بعضها يلحقها زيادة كشف وبيان بالكتاب والسنة والجملة خبر ثان عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او حال من حدود الله والعامل معنى الاشارة لقوم يعلمون اي يفهمون وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما انهم المنتفعون بالبيان او لان ما سيلحق بعضها من البيان لا يقف عليه الا الراسخون في العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن فان الاجل يطلق على المدة وعلى منتهاها والبلوغ هو الوصول الى الشي وقد يقال للدنو منه اتساعا وهو المراد هنا ليترتب عليه فامسكوهن بمعروف

او سرحوهن بمعروف اذ لا إمكان للإمساك بعد تحقق بلوغ الاجل اي فراجعوهن بغير ضرار او خلوهن
حتى تنقضي اجلهن باحسان من غير تطويل وهذا اعادة للحكم في بعض صوره اعتنا بشانه
ومبالغة في ايجاب المحافظة عليه ولا تمسكوهن ضرارا تاكيد للامر بالامساك بمعروف وتوضيح
لمعناه وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه اي لا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك
المعتدة حتى اذا شارفت انقضا الاجل يراجعها لا رغبة فيها بل ليطول العدة عليها فنهي عنه
بعدما امر بضده لما ذكر وضرارا نصب على العلية او الحالية اي لا تمسكوهن للمضارة او مضارين
واللام في قوله لتعتدوا متعلقة بضرارا اي لتظلموهن بالالجا الى الافتدا ومن يفعل ذلك
اي ما ذكر من الامساك المودي الى الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلته
في الشر والفساد فقد ظلم نفسه في ضمن ظلمه اي بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا ايات الله
المنطوية على الاحكام المذكورة او جميع اياته وهي داخلة فيها دخولا اوليا هزوا
اي مهزوا بها بان تعرضوا عنها وتتهاونوا في المحافظة على ما في تضاعيفها من الاحكام والحدود
من قولهم • لمن لم يجد في الامر انت هازئ • كانه نهي عن الهزء بها واريد به ما
يلازمه من الامر بضده اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا
فقد اخذتموها هزوا ولعبا • ويجوز ان يراد به النهي عن الامساك ضرارا فان الرجعة بلا رغبة
فيها عمل بموجب ايات الله بحسب الظاهر دون الحقيقة وهو معنى الهزو وقيل كان الرجل ينكح
ويطلق ويعتق ويقول انما كنت العب فنزلت • ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن
جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم حيث هداكم الى ما فيه
سعادتكم الدينية والدنيوية اي قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف
وقع حالا من نعمة الله اي كاينة عليكم او صفة لها على راي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته
اي الكاينة عليكم ويجوز ان تتعلق بنفسها ان اريد بها الانعام لانها اسم مصدر كنبات
من انبت ولا يقدح في عمله تا التانيث لانه مبني عليها كما في قوله •
• فلولا رجا النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا لنا كالموارد •
وما انزل عليكم عطف على نعمة الله وما موصولة حذف عايدها من الصلة ومن في قوله عز وجل
من الكتاب والحكمة بيانية من القران والسنة والقران الجامع للعنوانين على ان العطف
لتغاير الوصفين • كما في قوله • الى الملك القرم وابن الهمام • وفي ابهامه اولا
ثم بيانه من التفخيم ما لا يخفى • وفي افراده بالذكر مع كونه اول ما دخل في النعمة المامور بذكرها
ابانة لخطره ومبالغة في البعث على مراعاة ما فصل فيه من الاحكام يعظكم به اي بما انزل
حال من فاعل انزل او من مفعوله او منهما معا واتقوا الله في شان المحافظة عليه والقيام بحقوقه
الواجبة عليه واعلموا ان الله بكل شي عليم فلا يخفى عليه شي مما تاتون وتذرون فيواخذكم بافانين
العقاب واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ الاجل حقيقة
بعد بيان حكم ما كانوا يفعلونه عند المشارفة اليه والعضل الحبس والتضييق • ومنه عضلت
الدجاجة اذا نشب بيضها ولم يخرج والمراد المنع والخطاب اما للاوليا لما روي انها نزلت
في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلة ان ترجع الى زوجها الاول بالنكاح • وقيل نزلت

في جابر

في جابر بن عبد الله رضي الله عنه حين عضل ابنة عم له • واسناد التطليق اليهم لتسببهم فيه كما
ينبي عنه تصديه بهم للعضل • ولعل التعرض لبلوغ الاجل مع جواز التزوج بالزوج الاول قبله ايضا
لوقوع العضل المذكور عنده وليس فيه دلالة على ان ليس للمراة ان تزوج نفسها والا
لما احتيج الى نهي الاوليا عن العضل لما ان النهي لدفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن
على تزويج انفسهن يكرهن ذلك حذرا من مخالفة اللوم والقطيعة • واما للازواج حيث
كانوا يعضلون مطلقاتهن ولا يدعونهن يتزوجن ظلما وقسرا لحمية الجاهلية • واما
للناس كافة فان اسناد ما فعله واحد منهم الى الجميع شايع مستفيض • والمعنى اذا وجد
فيكم طلاق فلا يقع فيما بينكم عضل سوا كان ذلك من قبل الاوليا او من جهة الازواج
او من غيرهم وفيه تهويل لامر العضل وتحذير منه وايذان بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم
وهم ساكتون بمنزلة صدوره عن الكل في استتباع اللايمة وسراية الغايلة • ان ينكحن
اي من ان ينكحن فمحله النصب عند سيبويه والجر عند الخليل على الخلاف المشهور
وقيل هو بدل اشتمال من الضمير المنصوب عن الكلمة في استتباع اللايمة في تعضلوهن وفيه
دلالة على صحة النكاح بعبارتهن ازواجهن ان اريد بهم المطلقون فالزوجية اما باعتبار
ما كان واما باعتبار ما يكون والا فباعتبار الاخير اذا تراضوا ظرف فلا تعضلوا وصيغة
التذكير باعتبار تغليب الخطاب على النسا او النعت به لانه المعتاد ولا لتجويز المنع قبل تمام
التراضي • وقيل ظرف لان ينكحن • وقوله تعالى بينهم ظرف للتراضي مفيد لرسوخه واستحكامه
بالمعروف الجميل عند الشرع المستحسن عند الناس والبا اما متعلقة بمحذوف وقع حالا
من فاعل تراضوا او نعتا لمصدر محذوف اي تراضيا كاينا بالمعروف واما بتراضوا اي تراضوا بما
يحسن في الدين والمروة وفيه اشعار بان المنع من التزوج بغير كفو او بما دون مهر
المثل ليس من باب العضل ذلك اشارة الى ما فصل من الاحكام وما فيه من معنى البعد
لتعظيم المشار اليه والخطاب لجميع المكلفين كما في قوله والتوحيد اما باعتبار كل
واحد منهم واما بتاويل القبيل والفريق واما لان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين
الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول عليه الصلاة والسلام كما في قوله تعالى
يا ايها النبي اذا طلقتم النسا للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يعرفه احد
يوعظ به من كان منكم يومن بالله واليوم الاخر فيسارع الى الامتثال به راجيا وخايفا اجلالا
له وخوفا من عقابه • وقوله تعالى ذلكم ذلكم اي الاتعاظ به والعمل بمقتضاه ازكى لكم
اي انمى وانفع واطهر من ادناس الاثام واوضار الذنوب والله يعلم ما فيه من الزكا والطهر
وانتم لا تعلمون ذلك اي والله يعلم ما فيه صلاح اموركم من الاحكام والشرايع التي من جملتها
ما بينه هاهنا وانتم لا تعلمونها فدعوا اراكم وامتثلوا امره تعالى ونهيه في كل ما تاتون
وما تذرون والوالدات يرضعن اولادهن شروع في بيان الاحكام المتعلقة باولادهن
واشتراكا وهو امر خرج مخرج الخبر مبالغة في الحمل على تحقيقه ومعناه الندب
او الوجوب ان خص بما اذا لم يقبل الصبي ثدي الغير او فقد الظير او عجز الوالد عن
الاستيجار والتعبير عنهن بالعنوان المذكور لهز عطفهن نحو الاولاد والحكم عام

للمطلقات وغيرهن وقيل خاص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين التأكيد بصفة الكمال لبيان
ان التقدير تحقيقي لا تقريبي مبني على المسامحة المعتادة لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان لمن
يتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وفيه دلالة على جواز النقص وقيل
اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له كما يقال
ارضعت فلانة لفلان ولده وعلى المولود له اي الاب فان الولد له وينسب اليه وتغيير
العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤنة المرضعة عليه رزقهن
وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام فهو غير جائز عندنا ما دامت في النكاح
او العدة جائز عند الشافعي رحمه الله بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف
نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد
ما لا يطيقه وذلك لا ينافي امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل لما قبله وتقرير
له اي لا يكلف كل واحد منهما الآخر ما لا يطيقه ولا يضاره بسبب ولده وقرئ لا تضار
بالرفع بدلا من لا تكلف واصله على القراءتين لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل وبالفتح على
البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا يضر
الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد
على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد الى كل منهما لاستعطافهما
اليه وللتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه ولا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه
وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن الخ وما بينهما تعليل او تفسير
معترض والمراد به وارث الصبي ممن كان ذا رحم محرم منه وقيل عصباته وقال الشافعي
رحمه الله هو وارث الاب وهو الصبي اي ان مؤن المرضعة من ماله عند موت الاب ولا نزاع فيه
وانما الكلام فيما اذا لم يكن للصبي مال وقيل الباقي من الابوين من قوله عليه الصلاة والسلام
واجعله الوارث منا وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا اي
الوالدات فصالا اي فطاما عن الرضاع قبل تمام الحولين والتنكير للايذان بانه فصال غير
معتاد عن تراض متعلق بمحذوف وقع صفة لفصالا اي صادرا عن تراض منهما اي من الوالدين
لا من احدهما فقط لاحتمال اقدامه على ما يضر بالولد بان تمل المرأة الارضاع ويبخل الاب
فقط باعطاء الاجرة وتشاور في شان الولد وتفحص عن احواله واجماع كل منهما على استحقاقه
للفطام والتشاور من المشورة وهي استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته وتكرير
التنكير فلا جناح عليهما في ذلك لما ان تراضيهما لا يكون الا بعد استقرار رأيهما واجتهادهما على
ان صلاح الولد في الفطام وقلما يتفقان على الخطأ وان اردتم بيان لحكم عدم اتفاقهما
على الفطام والالتفات الى الخطاب للآباء والامهات لهزهم الى الامتثال بما امروا به وان تسترضعوا
اولادكم بحذف المفعول الاول استغناء عنه اي ان تسترضعوا المراضع اولادكم يقال
ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها اياه وقيل انما يتعدى الى الثاني بحرف الجر يقال
استرضعت المرأة للصبي اي ان تسترضعوا المراضع لاولادكم فحذف حرف الجر ايضا كما
في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم فلا جناح عليكم اي في الاسترضاع وفيه دلالة

على

على ان للاب ان يسترضع للولد ويمنع الام من الارضاع اذا سلمتم اي الى المراضع ما
آتيتم اي ما اردتم ايتاءه كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وقرئ
ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ ما اوتيتم اي من جهة الله عز وجل كما في قوله
عز وجل وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه مزيد بعث لهم الى التسليم بالمعروف متعلق
بسلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور
عليه وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو ندب الى ما هو الاليق والاولى فان
المراضع اذا اعطين ما قدر لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك ادخل في استصلاح شؤون
الاطفال واتقوا الله في شان مراعاة الاحكام المذكورة واعلموا ان الله بما تعملون بصير فيجازيكم
بذلك وفي اظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار تربية المهابة وفيه من الوعد والوعيد
والتهديد ما لا يخفى والذين على حذف المضاف اي وازواج الذين يتوفون منكم
اي يتوفين اي تقبض ارواحهم بالموت فان التوفي هو القبض يقال توفيت مالي من فلان واستوفيته
منه اي اخذته وقبضته والخطاب لكافة الناس بطريق التلوين ويذرون ازواجا يتربصن
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا او على حذف العائد الى المبتدأ في الخبر اي يتربصن بعدهم كما
في قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون
آجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يكادون
يستعملون التذكير في مثله اصلا حتى انهم يقولون صمت عشرا ومن البين
في ذلك قوله تعالى ان لبثتم الا يوما ولعل الحكمة في هذا التقدير ان الجنين اذا كان
ذكرا يتحرك غالبا لثلاثة اشهر وان كانت انثى تتحرك لاربعة فاعتبر اقصى الاجلين وزيد
عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف الحركة فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي
المسلمة والكتابية والحرة والامة في مدة الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف
في الامة وقوله عز وجل واولات الاحمال خص الحامل منه وعن علي وابن عباس رضي
الله عنهما انها تعتد بابعد الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن
فلا جناح عليكم ايها الحكام والمسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض
للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع
فعليهم ان يكفوهن من ذلك والا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فلا تعملوا خلاف
ما امرتم به ولا جناح عليكم خطاب للكل فيما عرضتم به التعريض والتلويح ابهام المقصود
بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل للمحتاج جئتك لاسلم عليك [illegible]
من نحيه الى عرض منه اي جانب والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه
كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف من خطبة النساء الخطبة بالكسر كالقعدة
والجلسة ما يفعله الخاطب من الطلب والاستلطاف بالقول والفعل فقيل هي ماخوذة
من الخطب اي الشان الذي له خطر لما انها شان من الشؤون ونوع من الخطوب وقيل
من الخطاب لانها نوع مخاطبة تجري بين جانب الرجل وجانب المرأة والمراد بالنساء
المعتدات للوفاة والتعريض بخطبتهن ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافعة ومن

عن بيان التزوج ونحو ذلك مما يوهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح
بالنكاح **او اكننتم في انفسكم** اي اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا **علم الله انكم
ستذكرونهن** ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن اظهار الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ
لهم على قلة التثبت **ولكن لا تواعدوهن سرا** استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن ولكن
لا تواعدوهن نكاحا بل اكتفوا بما رخص لكم من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لان مسببه
الذي هو الوطء مما يسر به وايثاره على اسمه للايذان بانه ينبغي ان يسر به ويكتم وحمله على
الوطء رباؤه ما الرخصة من المحظور الذي هو التصريح بالنكاح وقيل انتصاب سرا على
الظرفية اي لا تواعدوهن في السر على ان المراد بذلك المواعدة بما يستهجن وفيه ما فيه
الا ان تقولوا قولا معروفا استثناء مما يدل عليه النهي اي لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة
غير منكرة شرعا وهي ما يكون بطريق التعريض والتلويح او الا مواعدة بقول معروف
او لا تواعدوهن بشيء من الاشياء الا بان تقولوا قولا معروفا وقيل هو استثناء منقطع
من سرا وهو ضعيف لادائه الى جعل التعريض موعودا وليس كذلك **ولا تعزموا عقدة النكاح**
من عزم الامر اذا قصده قصدا جازما وحقيقته القطع بدليل قوله عليه السلام لا
صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام من الليل والنهي
عنه للمبالغة في النهي عن مباشرة عقد النكاح اي لا تعزموا عقد عقدة النكاح اي لا تقرروها
ولا تقصدوا مباشرتها فيكون نهيا عن نفس العقد لا عن قصده **حتى يبلغ الكتاب اجله** **واعلموا ان الله يعلم
ما في انفسكم** من ذوات العزم ومن جملتها العزم على ما نهيتم عنه **فاحذروه**
بالاجتناب من العزم ابتداء او الاقلاع عنه بعد تحققه **واعلموا ان الله غفور** يغفر لمن يقلع عن
عزمه خشية منه تعالى **حليم** لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتاخيرها على ان ما نهيتم
عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخذة واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال الروعة
لا جناح عليكم اي لا تبعة من مهر وهو الاظهر وقيل من وزر اذ لا بدعة في الطلاق
قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه
حرجا فنفي ذلك **ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن** اي ما لم تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء في
جميع المواقع اي مدة عدم مسيسكم اياهن على ان ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف
ونقل ابو البقاء انها شرطية بمعنى ان فيكون من باب اعتراض الشرط فيكون الثاني قيدا
للاول كما في قولك ان تأتني ان تحسن الي اكرمك اي ان تأتني محسنا الي والمعنى ان طلقتموهن
غير ماسين لهن وهذا المعنى اقعد من الاول لما ان ما الظرفية انما يصح موقعها فيما
اذا كان المظروف امرا ممتدا منطبقا على ما اضيف اليه من المدة او الزمان كما في قوله
تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا
ما دمت فيهم ولا يخفى ان الطلاق ليس كذلك وتعليق الظرف بنفي الجناح وبرايه مع
المسيس بعد الطلاق فالوجه ان يقيد الحال لامكان الزمان والمدة **او تفرضوا لهن
فريضة** اي الا ان تفرضوا لهن او حتى تفرضوا لهن عند العقد مهرا على ان فريضة فعيلة بمعنى
مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية وانتصابه على المفعولية ويجوز

ان يكون مصدرا كالفريضة واو بمعنى الا والمعنى انه لا تبعة على المطلق بمطالبة المهر اصلا اذا كان الطلاق
قبل المسيس على كل حال الا في حال تسمية المهر فان عليه حينئذ نصف المسمى وفي حال عدم تسميته
عليه المتعة لا نصف مهر المثل واما اذا كان بعد المسيس فعليه في صورة التسمية تمام
المسمى وفي صورة عدمها تمام مهر المثل وقيل كلمة او عاطفة لمدخولها على ما قبلها من
الفعل المجزوم على معنى ما لم يكن منكم مسيس ولا فرض مهر **ومتعوهن** عطف على مقدر ينسحب
عليه الكلام اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقدير
ها مفوض الى راي الحاكم حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى **على الموسع قدره وعلى المقتر قدره** اي ما يليق بحال
كل منهما وقرئ بسكون الدال وهي جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبينة لمقدار
المتعة بالنظر الى حال المطلق ايسارا واقتارا او حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط
اي على الموسع منكم الخ او على جعل الالف واللام عوضا عن المضاف اليه عند من يجوزه
اي على موسعكم الخ ومتاعا اذا لم يكن مهر مثلها اقل من ذلك فان كان اقل فلها الاقل
من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم **متاعا** اي تمتيعا **بالمعروف** اي
بالوجه الذي تستحسنه الشريعة والمروءة **حقا** صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا
على المحسنين اي الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع بالمعروف
وانما سموا محسنين اعتبارا للمشارفة ترغيبا وتحريضا **وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن** **وقد فرضتم لهن**
فريضة اي وان طلقتموهن قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن فيما سبق اي عند النكاح مهرا
على ان الجملة حال من فاعل طلقتموهن ويجوز ان يكون حالا من مفعوله لتحقق الرابط بالنسبة
اليهما وتحقق الفرض من جهة الفاعل والمفعول وان لم يقارن حالة التطليق لكن اتصاف
المطلق بالفارضية فيما سبق مما لا ريب في مقارنته لها وكذا الحال في اتصاف المطلقة بكونها
مفروضا لها **فنصف ما فرضتم** اي فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر او فالواجب عليكم
ذلك وهذا صريح في ان المنفي في الصورة السابقة انما هو تبعة المهر وقرئ بالنصب اي
فادوا نصف ما فرضتم ولعل تاخير حكم التسمية مع انها الاصل في العقد والاكثر في الوقوع
لما ان الاية الكريمة نزلت في انصاري تزوج امراة من بني حنيفة كانت مفوضة فطلقها قبل
الدخول بها فتخاصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام عند اظهار
انه لا شيء له متعها بقلنسوتك **الا ان يعفون** استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي فلهن نصف المفروض
معينا في كل حال الا حال عفوهن فانه يسقط ذلك حينئذ بعد وجوبه وظاهر الصيغة في نفسه
يحتمل التذكير والتانيث واما الفرق في الاعتبار والتحقيق فان الواو في الاول ضمير والنون علامة
الرفع وفي الثانية لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان ناصب
وقد عطف على محله قوله تعالى **او يعفو** وقرئ بالتسكين وفي سكون الواو **الذي بيده عقدة
النكاح** اي يترك الزوج المالك لعقده وحلها ما يعود اليه من نصف المهر الذي ساقه اليها
كاملا على ما هو المعتاد وتكرما فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة او سمي ذلك عفوا في صورة
عدم السوق مشاكلة او تغليبا لحال السوق على حال عدمه فمرجع الاستثناء حينئذ الى منع
الزيادة في المستثنى منه كما ان في الصورة الاولى منع النقصان فيه اي فلهن هذا القدر

بلا زيادة ولا نقصان في جميع الأحوال إلا في حال عفوهن فإن تنصيفه يكون حينئذ من الزيادة فإن ذلك
القدر متعين في التفسير الأول. وأما في التفسير الثاني فلا بد من العفو الحقيقي إلا أنه
منقطع لأن في صورة عفو الزوج لا يتصور الوجوب فليتدبر. هذا ما اعتمد عليه في القول القديم
للشافعي رضي الله عنه أن المراد هو الولي الذي بيده عقدة نكاح الصغيرة وهو ظاهر المأخذ
خلا أن الأول أنسب بقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى إلا أنه فإن إسقاط حق الصغيرة ليس
في شيء من التقوى. وعن جبير رضي الله عنه أنه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول وأكمل لها
الصداق وقال أنا أحق بالعفو. وقرئ بالياء ولا تنسوا الفضل بينكم أي لا تتركوا أن يتفضل
بعضكم على بعض كالمنسي. وقرئ بكسر الواو والخطاب في الفعلين للرجال والنساء جميعا
على التغليب إن الله بما تعملون بصير فلا يكاد يضيع ما عملتم من التفضل والإحسان حافظوا
على الصلوات أي داوموا على أدائها لأوقاتها من غير إخلال بشيء منها كما ينبئ عنه صيغة المفاعلة
المفيدة للمبالغة. ولعل الأمر بها في تضاعيف بيان أحكام الأزواج والأولاد قبل الإتمام لذلك
لأنها حقيقة بكمال الاعتناء بشأنها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها بشأنهم بل بشأن أنفسهم
أيضا كما ينبئ عنه الأمر بها في حالة الخوف ولذلك أمر بها في خلال ما يتعلق بهم من الأحكام
الشرعية المتشابكة الآخذ بعضها بحجزة بعض والصلاة الوسطى أي المتوسطة بينها أو الفضلى
منها وهي صلاة العصر لقوله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى
صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا. وقال عليه الصلاة والسلام إنها الصلاة التي شغل عنها
سليمان بن داود عليهما السلام وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم
واجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار حينئذ. وقيل هي صلاة الظهر لأنها في وسط النهار
وكانت أشق الصلاة عليهم لما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالهاجرة فكانت أفضلها
لقوله صلى الله عليه وسلم أفضل العبادات أحمزها. وقيل هي صلاة الفجر لأنها بين صلاتي
الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك بينهما ولأنها مشهورة كصلاة العصر. وقيل
صلاة المغرب لأنها متوسطة من حيث العدد ومن حيث الوقوع بين صلاتي النهار والليل
ووتر النهار ولا تنقص في السفر. وقيل هي صلاة العشاء لأنها بين الجهريتين الواقعتين في
طرفي النهار. وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم أنه صلى الله عليه وسلم قرأ والصلاة
الوسطى وصلاة العصر فيكون حينئذ إحدى الأربع قد خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما
بالفضل. وقرئ وعلى الصلاة الوسطى. وقرئ بالنصب على المدح. وقرئ الوسطى وقوموا لله
أي في الصلاة قانتين ذاكرين له تعالى في القيام لأن القنوت هو الذكر فيه. وقيل
أي إكمال الطاعة وإتمامها بغير إخلال بشيء من الأركان. وقيل خاشعين. وقال ابن المسيب
والمراد به القنوت في الصبح فإن خفتم أي من عدو أو غيره فرجالا جمع راجل كقيام وقائم أو رجل
بمعنى الراجل. وقرئ بضم الراء مع التخفيف وبضمها مع التشديد أيضا. وقرئ فرجلا أي
رجالا أو ركبانا جمع راكب أي فصلوا راجلين أو راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا تخلوا
بها ما أمكن الوقوف في الجملة. وقد جوز الشافعي رضي الله عنه أداءها حال المسايفة أيضا
فإذا أمنتم بزوال الخوف فاذكروا الله أي فصلوا صلاة الأمن عبر عنها بالذكر

لانه

لأنه معظم أركانها كما علمكم متعلق بمحذوف وقع وصفا لمصدر محذوف أي ذكرا كائنا كما علمكم
أي كتعليمه إياكم ما لم تكونوا تعلمون من كيفية الصلاة والمراد بالتشبيه أن تكون
الصلاة المؤداة موافقة لما علمه الله تعالى وإيراد ذلك العنوان لتذكير النعمة أو اشكروا
الله تعالى شكرا يوازي تعليمه إياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرائع والأحكام التي من جملتها
كيفية إقامة الصلاة حالتي الخوف والأمن. هذا وفي إيراد الشرطية الأولى بكلمة إن
المنبئة عن مشكوكية وقوع الخوف وندرته وتصدير الشرطية الثانية بكلمة إذا المنبئة عن تحقق
وقوع الأمن وكثرته مع الإيجاز في جواب الأولى والإطناب في جواب الثانية المبنيين
على تنزيل مقام وقوع المأمور فيهما به منزلة وقوع الأمر تنزيلا مستدعيا لإجراء مقتضى المقام
الأول في كل منهما مجرى مقتضى المقام في كل منهما الثاني من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة
لأولي الألباب والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا عود إلى بيان بقية الأحكام المفصلة
فيما سلف إثر بيان أحكام وسطت بينها لما أشير إليه من الحكمة الداعية إليه. كان
وصية لأزواجهم أي يوصون أو ليوصوا أو كتب الله عليكم وصية ويؤيده قراءة من قرأ
كتب الله عليكم الوصية لأزواجهم. وقرئ بالرفع على تقدير مضاف في المبتدأ أو الخبر
أي حكم الذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم أو والذين يتوفون
أهل وصية لأزواجهم أو كتب عليهم وصية أو عليهم وصية. وقرئ متاع لأزواجهم
بدل وصية متاعا إلى الحول منصوب بيوصون إن أضمرته وإلا فبالوصية أو بمتاع على
القراءة الأخيرة غير إخراج بدل منه أو مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول
أو حال من أزواجهم أي غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون أن يوصوا قبل الاحتضار
لأزواجهم بأن يمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى وكان ذلك أول الإسلام ثم
نسخت المدة بقوله تعالى أربعة أشهر وعشرا فإنه وإن كان متقدما في التلاوة متأخر
في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع أو الثمن وكذلك السكنى عندنا وعند الشافعي
رضي الله عنه هي باقية فإن خرجن عن منزل الأزواج باختيارهن فلا جناح عليكم أيها
الأئمة فيما فعلن في أنفسهن من معروف لا ينكره الشرع كالتزين والتطيب وترك الحداد
والتعرض للخطاب وفيه دلالة على أن المحظور إخراجها عند إرادة القرار وملازمة
مسكن الزوج والحداد من غير أن يجب عليها ذلك وأنها كانت مخيرة بين الملازمة
مع أخذ النفقة وبين الخروج مع تركها والله عزيز غالب على أمره يعاقب من خالفه
حكيم يراعي في أحكامه مصالح عباده وللمطلقات سواء كن مدخولا بهن أو لا متاع أي
مطلق المتعة الشاملة للواجبة والمستحبة وأوجبها سعيد بن جبير وأبو
العالية والزهري للكل. وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام للعهد
والمراد غير المدخول بها والتكرير للتأكيد بالمعروف شرعا وعادة حقا على المتقين أي
ما ينبغي كذلك أي مثل ذلك البيان الواضح يبين الله لكم آياته الدالة على أحكامه
التي شرعها لعباده لعلكم تعقلون لكي تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها ألم تر تقرير وتعجيب
بقصتهم من أهل الكتاب وأرباب الأخبار وتعجيب من شأنهم البديع فإن سماعهم لها بمنزلة

الرؤية البصرية او العلمية او لكل احد ممن له حظ من الخطاب ايذانا بان قصتهم من الشهرة
والشياع بحيث يحق لكل احد ان يحمل على الاقرار برؤيتهم وسماع قصتهم ويعجب بها وان لم يكن
ممن رآهم او سمع بقصتهم فان هذا الكلام قد جرى مجرى المثل في مقام التعجيب لما انه شبه
حال غير الرائي لشيء عجيب بحال الرائي له بناء على ادعاء ظهور امره وجلائه بحيث استوى في ادراكه
الشاهد والغائب ثم اجري الكلام معه كما يجري مع الرائي قصدا الى المبالغة في شهرته
وعراقته في التعجيب وتعدية الرؤية بالى في قوله تعالى الى الذين خرجوا من ديارهم اما لتضمينها
معنى الابصار او معنى النظر وعلى التقدير لكونها ادراكا كليا لتضمين معنى الوصول والانتهاء على
الرؤية علمية للبحر وهم الوف الوف كثيرة قيل عشرة آلاف وقيل ثلاثون وقيل
سبعون الفا والجملة حال من ضمير خرجوا وقوله عز وجل حذر الموت مفعول له روي
ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا منها هاربين فاماتهم الله
ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا مفر من حكم الله عن سلطانه وقضائه وقيل مر عليهم
حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه
تعجبا مما رأى من امرهم فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فاذا هم
قيام يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم
الى الجهاد ففروا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وقوله عز وجل فقال لهم
الله موتوا اما عبارة عن تعلق ارادته تعالى بموتهم دفعة واما تمثيل لاماتته تعالى اياهم ميتة
نفس واحدة في اقرب وقت وادناه واسرع زمان واوحاه بامر آمر مطاع لمأمور مطيع كما في
قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ثم احياهم عطف اما على مقدر يستدعيه
المقام اي فماتوا ثم احياهم وانما حذف للدلالة على الاستغناء عنه وفيه تنبيه على ان لا استحالة لتخلف
مراده تعالى عن ارادته واما على قال لما انه عبارة عن الاماتة وفيه تشجيع
للمسلمين على الجهاد والتعرض لاسباب الشهادة وان الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه
المفر فاولى ان يكون في سبيل الله تعالى ان الله لذو فضل على الناس قاطبة اما اولئك فقد احياهم
ليعتبروا وبما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى واما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم
الى مسلك الاعتبار والاستبصار ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرون فضله كما
ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار واظهار الناس في مقام الاضمار
لمزيد التشنيع وقاتلوا في سبيل الله عطف على مقدر يعينه ما قبله كأنه قيل فاشكروا فضله
بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا في سبيل الله لما علمتم ان الفرار لا ينجي من الحمام وان المقدر
لا مرد له فان كان قد حان الاجل فموت في سبيل الله عز وجل والا فنصر عزيز وثواب
واعلموا ان الله سميع يسمع مقالة السابقين والمتخلفين عليم بما يضمرونه في انفسهم وهو من
وراء الجزاء خيرا وشرا فسارعوا الى الامتثال واحذروا المخالفة والمساهلة من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبرها والموصول
صفة له او بدل منه واقراض الله تعالى اياه مثل لتقديم العمل العاجل طلبا للثواب
الآجل والمراد هاهنا اما الجهاد الذي هو عبارة عن بذل النفس والمال في سبيل الله عز وجل

ابتغا

ابتغاء لمرضاته واما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاما اوليا قرضا حسنا اي اقراضا مقرونا
بالاخلاص وطيب النفس ومقرضا حلالا طيبا فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام حملا
على المعنى لان من ذا الذي يقرض في معنى أيقرض احد وقرئ بالرفع اي فهو يضاعفه اجره وجزاءه جعل ذلك مضاعفة
له بناء على ما بينهما من المناسبة بالسببية والمسببية ظاهرا وصيغة المبالغة للمبالغة وقرئ
فيضعفه بالرفع وبالنصب اضعافا جمع ضعف ونصبه على انه حال من الضمير المنصوب
او مفعول ثان لتضمين المضاعفة معنى التصيير او مصدر مؤكد على ان الضعف
اسم للمصدر والجمع للتنويع كثيرة لا يعلم قدرها الا الله تعالى وقيل الواحد بسبعمائة
والله يقبض ويبسط اي يقتر على بعض ويوسع على بعض او يقتر تارة ويوسع اخرى حسبما تقتضيه
مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم
ولعل تأخير البسط عن القبض في الذكر للايماء الى ان يعقبه في الوجود تسلية للفقراء
وقرئ ويبصط لمجاورة الطاء واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم من الاعمال خيرا وشرا
الم تر تعجيب بعد تعجيب كما سبق قطع عنه ما قبله ايذانا باستقلاله في التعجيب مع ان له مزيد
ارتباط او سط بينهما من الامر بالقتال الى الملأ من بني اسرائيل الملأ من القوم وجوههم
واشرافهم وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم سموا بذلك لانهم
يملؤون العيون مهابة او المجالس بهاء او لانهم مليئون بما يبتغى منهم ومن تبعيضية ومن في
قوله تعالى من بعد موسى وعاملهما مقدر وقع حالا من الملأ اي كائنين من بني اسرائيل
من بعد وفاة موسى عليه السلام ولا ضير في اتحاد الحرفين لفظا عند اختلاف المعنى اذ قالوا
منصوب بمضمر يستدعيه المقام اي الم تر الى قصة الملأ او حديثهم حين قالوا لنبي لهم هو
يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام وقيل شمعون بن صفية بن علقمة من ولد
لاوي بن يعقوب عليه السلام وقيل اشمويل بن بال بن علقمة وهو بالعبرية اسماعيل
قال مقاتل هو من نسل هارون عليه السلام قال مجاهد اشمويل بن هلقايا ابعث لنا
ملكا نقاتل في سبيل الله اي انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير امر الحرب عن رأيه
وقرئ نقاتل بالرفع على انه حال مقدرة اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استئناف
مبني على السؤال وقرئ يقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الاسناد الى الملك
قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قال لهم
النبي حينئذ فقيل قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبرها بالشرط
للاعتناء به اي هل قاربتم ان لا تقاتلوا كما اتوقعه منكم والمراد تقرير المتوقع
كائن وانما ادخل في معرض الشرط ما سبق بان قيل هل عسيتم ان بعث لكم ملكا الى
آخره مع انه اظهر تعلقا بكلامهم بل ذكر كتاب القتال عليهم للمبالغة في بيان تخلفهم فانهم
اذا لم يقاتلوا عند فرضية القتال عليهم بايجاب الله تعالى فلان لا يقاتلوا عند عدم
فرضيته اولى ولان ادل على ما ذكر وذلك ان سبب تخلفهم عن القتال هو
الجبن لا نفس القتال وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة قالوا استئناف كما
سبق وما لنا الا نقاتل اي اي سبب لنا في ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا

ان لا تقاتلوا

أي والحال انه قد عرض لنا ما يوجب القتال اجابا في باخراجنا عن الديار والاوطان والافراد
من الاهل والاولاد وافراد الابنا بالذكر لمزيد تقوية اسباب القتال وذلك ان جالوت راس
العمالقة وملكهم وهو جبار من اولاد عمليق بن عاد كان هو ومن معه من العمالقة يسكنون
ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل واخذوا ديارهم وسبوا اولادهم
واسروا من ابنا ملوكهم اربعمائة واربعين نفسا فضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم فلما كتب
عليهم القتال بعد سؤال النبي عليه الصلاة والسلام ذلك وبعث الملك تولوا اي اعرضوا
وتخلفوا لكن لا في ابتدا الامر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته كما سيجي تفصيله
وانما ذكرها هنا مآل امرهم اجمالا اظهارا لما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين الا قليلا
منهم وهم الذين اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل
بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد وتنافي اقوالهم
وافعالهم والجملة اعتراض تذييلي وقال لهم نبيهم شروع في تفصيل ما جرى بينه عليه السلام
وبينهم من الاقوال والافعال اثر الاشارة الاجمالية الى مصيرهم اي قال لهم بعد ما اوحي
اليه ما اوحي ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبراني كداود وجعله فعلوتا
من الطول يأباه منع صرفه وملكا حال منه روي انه عليه الصلاة والسلام لما دعا ربه
ان يجعل لهم ملكا اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى
كاملين انى يكون له الملك علينا اي من اين يكون او كيف يكون ذلك ونحن احق بالملك منه ولم يؤت
سعة من المال الواو الاولى حالية والثانية عاطفة جامعة للجملتين في الحكم اي كيف
يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك
من المال وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من اسباط بني
اسرائيل وهو سبط لاوي بن يعقوب عليهما السلام وسبط المملكة بسبط يهودا ومنه
داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احد من السبطين بل من ولد بنيامين
قيل كان راعيا وقيل دباغا وقيل سقا قال ان الله اصطفاه عليكم لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه
وبفقره رد عليهم ذلك اولا بان ملاك الامر هو اصطفا الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو
اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان العمدة فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة
البدن ليعظم خطره في القلوب ويقدر على مقاومة الاعدا ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى
منهما بحظ وافر وذلك قوله عز وعلا وزاده بسطة في العلم اي العلم المتعلق بالملك او به وبالديانات
ايضا وقيل قد اوحي اليه ونبي والجسم قيل بطول القامة فانه كان اطول من غيره براسه ومنكبيه
حتى ان الرجل القائم كان يمد يده ان يؤتيه من يشا من عباده فيختار والله واسع يوسع على الفقير
ويغنيه عليم بمن يليق بالملك ومن لا يليق به واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وقال
لهم نبيهم توسيط قال بين قوليه المحكيين عنه عليه الصلاة والسلام للاشعار بعدم
اتصال احدهما بالاخر وتخلل كلام من جهة المخاطبين متفرع على السابق مستتبع للاحق لانهم
طلبوا منه عليه الصلاة والسلام اية تدل على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم
روي انهم قالوا ما اية ملكه فقال ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت اي الصندوق وهو فعلوت

من التوب الذي هو الرجوع لانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وتاؤه مزيدة لغير التانيث
كملكوت ورهبوت والمشهور ان يوقف بالتاء ومنهم من يقلبها هاء والمراد به
صندوق التوراة وكان قد رفعه الله عز وجل بعد وفاة موسى عليه الصلاة والسلام
سخطا على بني اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم اية تدل على ملك طالوت
قال لهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت من السما والملائكة يحفظونه فاتاهم كما وصف
والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال
ارباب الاخبار ان الله تعالى انزل على ادم تابوتا فيه تماثيل الانبيا عليهم السلام من اولاده
وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين فكان عند ادم عليه السلام الى ان
توفي فتوارثه اولاده واحدا بعد واحد الى ان وصل الى يعقوب عليه السلام ثم بقي في
ايدي بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام ثم بقي في ايدي بني اسرائيل الى ان وصل
الى موسى عليه السلام فكان عليه السلام يضع فيه التوراة وكان اذا قاتل قدمه
وكانت تسكن اليه نفوس بني اسرائيل وكان عنده الى ان توفي ثم تداولته انبيا بني
اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شي تحاكموا اليه فيكلمهم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا
القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر
ثم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وافسدوا سلط
الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه في موضع البول والغائط فلما
اراد الله تعالى ان يملك طالوت سلط عليهم البلاء حتى ان كل من بال عنده ابتلي بالبواسير
وهلكت من بلادهم خمس مدائن فعلم الكفار ان ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه
وجعلوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران وقد وكل الله تعالى بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما
حتى اتوا منزل طالوت فلما شاهدوا ابصروا البينة على ملك طالوت قال لهم النبي ان اية ملكه انكم
تجدون التابوت في داره فلما وجدوه وصدقوه ايقنوا بالملك فيه سكينة من ربكم اي في اتيانه
سكون لكم وطمانينة كائنة من ربكم او في التابوت ما يسكنون اليه وهو التوراة
الموضوعة فيه بناء على ما مر من ان موسى عليه الصلاة والسلام اذا قاتل قدمه فتسكن
اليه نفوس بني اسرائيل وقيل السكينة صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها
راس وذنب كراس الهر وذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه
فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه لها وجه كوجه
الانسان وفيها ريح هفافة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون هي رضاض الالواح وعصا موسى
وثيابه وشي من التوراة وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام والال
ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما او انبيا بني اسرائيل تحمله الملائكة حال من
التابوت اي ان اية ملكه اتيانه حال كونه محمولا للملائكة وقد مر كيفية ذلك وقيل
حمل الملائكة في الرواية الاخيرة عبارة عن سوقهم للثورين الحاملين له ان في ذلك لاية
فيما ذكر من شان التابوت فهو من تمام كلام النبي عليه السلام لقومه والى قال التنقيه
وحكايتها فهو ابتدا كلام من جهة الله تعالى جي به في نماء القصة اظهارا لكمال العناية

ثم ان اد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين في التقدير بين عباد بل الفريق او غيره كما سلف لآية
لكم دالة على ملكه طالوت او على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بها من التفاصيل على ما يعلمه
من غير سماع من البشر ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بتمليكه عليكم او بشيء من الآيات وان شرطية
والجواب محذوف ثقة بما قبله وقيل بمعنى اذ فلما فصل طالوت بالجنود اي انفصل بهم عن بيت المقدس
والاصل فصل نفسه ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر
كانفصل وقيل فصل فصولا وتجوز كونه اصلا براسه ممتازا عن المتعدي بمصدره كوقف
وقوفا ووقفه وقفا وكصد صدودا وصده صدا ورجع رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلق بمحذوف
وقع حالا من طالوت اي ملتبسا بهم ومصاحبا لهم روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم
يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامراة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط
الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسالوا ان يجري
الله تعالى لهم نهرا ما ظهر له مما تعلقت به مشيئته تعالى من جهة النبي عليه الصلاة والسلام
او بطريق الوحي عند من يقول بنبوته قال ان الله مبتليكم بنهر بفتح الهاء وقرئ بسكونها فمن
شرب منه اي ابتدا شربه من النهر بان كرع لانه الشرب منه حقيقة فليس مني اي من جملتي
واشياعي المؤمنين وقيل ليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لكمال
اختلاطهما ومن لم يطعمه اي لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا كان او مشروبا او غيرهما
قال ● وان شئت حرمت النساء سواكم ● وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا ●
اي لو ما فانه مني الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله تعالى فمن شرب منه فليس مني وانما
اخرت الجملة الثانية لابراز كمال العناية بها ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون
الكروع والغرفة ما يغرف وقرئ بفتح الغين على انها مصدر والباء متعلقة باغترف او بمحذوف
وقع صفة لغرفة اي غرفة كائنة بيده روي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته
ودوابه واما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش فشربوا منه عطف
على مقدر يقتضيه المقام اي فابتلوا به فشربوا منه الا قليلا منهم ومعنى الشرب منه
بالاستثناء من الموجب ● وقرئ الا قليل ميلا الى جانب المعنى وطرحا من عدوة اللفظ جانبا
فان قوله تعالى فشربوا منه في قوة ان يقال فلم يطيعوه حتى يكون المستثنى مرفوعا ● كما في قول
الفرزدق ● وعض زمان يا ابن مروان لم يدع ● من المال الا مسحتا او مجلف ● فان قوله
لم يدع في حكم لم يبق فلما جاوزه هو اي النهر هو اي طالوت والذين آمنوا معه عطف على الضمير
المتصل المؤكد بالمنفصل او الظرف متعلق بجاوز لا بآمنوا وقيل او حالية والظرف
متعلق بمحذوف وقع خبرا عن الموصول ● كانه قيل فلما جاوزه والحال ان الذين آمنوا كائنون معه
وهم قليلة القليل ● وفيه اشارة الى ان من عداهم بمعزل من الايمان قالوا اي بعض من معه
من المؤمنين لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده اي بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا عن ان يكون
لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة ● قيل كانوا امة العشر مقابلة
شاكي السلاح قال استيناف مبني على السؤال ● كانه قيل فماذا قال لهم مخاطبهم فقيل قال الذين
يظنون انهم ملاقوا الله اي الخلص منهم الذين يتيقنون لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه

وانزاده

وانزاده بها لما الوصف لا ينافي ايمان الباقين فان درجات المؤمنين في اليقين والتوقع
متفاوتة او الذين يعلمون انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول
عبارة عن المؤمنين كافة والضمير في قالوا للمتخلفين عنهم كانهم قالوا اعتذارا عن التخلف
والنهر بينهما كم من فئة اي فرقة وجماعة من الناس من فاوت راسه اذا شققته وفي
ذا اليه اذا رجع فوزنها على الاول فعة وعلى الثاني فلة قليلة غلبت فئة كثيرة وكم
خبرية لا نت او استفهامية مفيدة للتكثير وهي في محل الرفع بالابتداء خبرها غلبت اي كثير
من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة باذن الله اي بحكمه وتيسيره فان دوران
كافة الامور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وان قل عدده ولا يعز من خذله وان كثر
اسبابه وعدده وفي ذلك في الجواب نكتة بديعة حيث لم يقولوا انت بقية كثيرة حسبما
وقع في كلام اصحابهم مبالغة في ردها تهم وتسكين قلوبهم وهذا الكلام جواب ناش من
ثقتهم بنصر الله تعالى وتوفيقه ولا دخل في ذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث الا بالاستشهاد
فان العلم به هو ما يورث الناس من الغلبة ولا يتوقع ثواب الله تعالى ● ولا ريب في ان ما ذكر في حيز الصلة
ينبغي ان يكون مدارا للحكم الوارد على الموصول لا اقل من ان يكون مصاحبا له فلعل
المراد بلقائه تعالى لقاء نصره وتاييده عبر عنه بذلك مبالغة كما عبر عن معارفه بنصرة تعالى
بمعارنته سبحانه حيث قيل والله مع الصابرين فان المراد به معيته بنصره وتوفيقه حتما وحمله
على المعية بالاثابة كما فعله يا بابه انصرانا فانه قاله تتميما لجوابهم وتاييدا له بطريق الاعتراض
التذييلي تشجيعا لاصحابهم وتثبيتا لهم على الصبر المؤدي الى الغلبة ولا مساق له باذكر من حمله
بالاثابة مطلقا وكذا الحال اذا حمل ذلك الكلام على ابتداء الكلام من جهة الله تعالى جيء به تقريرا لكلام
والمعنى قال الذين يظنون او يعلمون من جهة النبي او من جهة التابوت والسكينة المنزلة في
نصر الله العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله تعالى فهي ايضا تغلب جالوت
وجنوده وابراده ان اسامع ان اللقا منتسب لله لا للذعل نعمة ولما برزوا اي ظهروا
طالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا الى براز من الارض في مواطن الحرب لجالوت وجنوده
وشاهدوا ما هم عليه من العدد والعدد قالوا اي جميعا متضرعين
قلوب الفريق الاول منهم بقوة الفريق الثاني متضرعين الى الله تعالى مستغيثين به ربنا افرغ
علينا صبرا اي ... عند شدائد الحرب واقتحام موارده الضيقة وفي التوسل بوصف
الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال وايثار الافراغ المعرب عن الكثرة وتنكير الصبر المفصح
عن التفخيم من الجزالة ما لا يخفى وثبت اقدامنا في مداحض القتال ومزال النزال وثبات القدم
عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة لا مجرد
التقرر في حيز واحد وانصرنا على القوم الكافرين بقهرهم وهزمهم ووضع الكافرين موضع الضمير
العائد الى جالوت وجنوده للاشعار بعلة النصر عليهم ولقد راعوا في الدعاء ترتيبا بديعا
حيث قدموا سؤال افراغ الصبر الذي هو ملاك الامر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه ثم
سؤال النصر الذي هو الغاية القصوى فهزموهم اي كسروهم بالحملة باذن الله
ومقرون اجابة الله عليهم وايثار ... الطاهرية ... قوله عز وجل فآتاهم الله ثواب الدنيا

الى اخره للواقفة في ساعتين لو طير غلبت فئة كثيرة باذن الله **وقتل داود جالوت** كان ايشى ابو داود في عسكر
طالوت معه ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله تعالى الى اشمويل انه الذي
يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة احجار قال له كل منها احملنا فانك بنا تقتل
جالوت فحملها في مخلاته فلما ابطا على ابيه خبر اخوته في المصاف ارسل داود الى ابيه ليأتيه بخبرهم
فاتاهم وهم في المصاف وقد برز جالوت بنفسه الى البراز ولا يبارزه احد وكان كالجبل
مثيلا فقال داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف فزجروه فجاء ناحية اخرى ليس فيها
اخوته فمر به طالوت وهو يحرض الناس على القتال فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل
هذا الاقلف قال طالوت انكحه ابنتي واعطيه شطر ملكي فبرز له داود فرماه بما معه من الاحجار
بالمقلاع فاصابت في صدره ونفذت الاحجار منه وقتلت بعده ناسا كثيرا وقيل انا كلها الاحجار
عند بروز جالوت في المعركة فانجز له طالوت ما وعده وقيل انه حسده واخرجه من مملكته ثم
ندم على ما صنعه فذهب يطلبه الى ان قتل وملك داود عليه السلام واعطي النبوة وذلك قوله
عز وجل **واتاه الله الملك** اي ملك بني اسرائيل في مشارق الارض المقدسة ومغاربها **والحكمة**
اي النبوة ولم يجتمع في بني اسرائيل الملك والنبوة قبله الا له بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط
اخر وما اجتمعوا قبله على ملك قط **وعلمه مما يشاء** اي مما يشاء الله تعالى تعليمه اياه لا مما يشاء داود عليه
السلام كما قيل لان معظم ما علمه الله تعالى اياه مما لا يكاد يخطر ببال احد ولا يتسنى في امنيته ليتشبث
بتمكن من طلبه ومشيئته كالسرد بالالانة الحديد ومنطق الطير والدواب ونحو ذلك من الامور
الخفية **ولولا دفع الله الناس بعضهم** الذين يباشرون الشر والفساد **ببعض** اخر منهم يردونهم عما
هم عليه بما قدره الله تعالى من القتال كما في القصة المحكية او غيره وقرئ دفاع على ان صيغة المبالغة
للمبالغة **لفسدت الارض** وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض
ويصلحها وقيل لولا ان الله تعالى ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعبثهم وقتلهم
المسلمين او لو لم تخرب فهم بالمسلمين لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل اهل الارض قاطبة
ولكن الله ذو فضل عظيم لا يقادر قدره **على العالمين** كافة وهذا اشارة الى قياس استثنائي
من وضع نقيض المقدم منتج لنقيض التالي خلا انه وضع موضعه ما يستتبعه ويستوجبه اعني
كونه تعالى ذا فضل على العالمين ايذانا بانه تعالى متفضل في ذلك الدفع من غير ان يجب عليه
ذلك وان فضله تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من افراد فضله العظيم كانه قيل ولكنه تعالى
يدفع فساد بعضهم ببعض فلا تفسد الارض وينتظم به مصالح العالم وينصلح احوال الامم
تلك اشارة الى ما سلف من حديث الالوف وخبر طالوت وتملك المرقوم وما فيه من
معنى البعد للايذان بعلو شأن المشار اليه **ايات الله** المنزلة من عنده تعالى والجملة مستأنفة
وقوله تعالى **نتلوها عليك** اي بواسطة جبريل عليه السلام اما حال من الايات والعامل معنى الاشارة
واما جملة مستقلة لا محل لها من الاعراب **بالحق** في حيز النصب على انه حال من مفعول نتلوها اي
ملتبسة باليقين الذي لا يرتاب فيه احد من اهل الكتاب وارباب التواريخ لما يجدونها موافقة
لما في كتبهم او من فاعله اي نتلوها عليك ملتبسين بالحق والصواب او من الضمير المجرور اي ملتبسا
بالحق **وانك لمن المرسلين** اي من جملة الذين ارسلوا الى الامم لتبليغ رسالاتنا واجراء اوامرنا واحكامنا

عليهم

عليهم فان نعتوه المطابقة لا تخبر عنا انت نبي بيننا فهي شهادة منه سبحانه برسالته صلى الله
عليه وسلم اثر بيان ما يستوجبها والتأكيد من ... مقام الجاحدين بها **تلك الرسل**
استئناف فيه رمز الى انه صلى الله عليه وسلم من افاضل الرسل العظام عليهم الصلاة
والسلام اثر بيان كونه من جملتهم والاشارة الى الجماعة الذين من جملتهم النبي عليه السلام واللام
في الحال للاستغراق وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم وقيل
الى الذين ذكرت قصصهم في السورة وقيل الى [illegible] ت عليه السلام بهم **فضلنا**
بعضهم على بعض في مراتب الكمال بان خصصناه بمناقب [illegible] نبينا بالمزيد خليله تخلو عنها غيره
منهم من كلم الله تفصيل للتفضيل المذكور اجمالا [illegible] كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى عليه
السلام حيث كلمه تعالى ليلة الحيرة وفي الطور [illegible] التعب وقرئ كالم الله من
المكالمة فانه كان كلم الله تعالى كما انه تعالى كلمه وقرئ [illegible] يعني مكالمة والتفات الى الاسم
الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة والرمز الى ما بين التكليمين وبين ما سبق من مطلق
التفضيل وما لحق من ايتاء البينات والتأييد بروح القدس من التفاوت **ورفع بعضهم**
درجات اي ومنهم من رفعه على غيره من الرسل المتقدم وتبين في معارج الفضل بدرجات
سامية ومراتب نابية وتغيير الاسلوب لتربية ما بينهم من اختلاف الحال في درجات الشرف
والظاهر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه الاخبار بكونه عليه السلام منهم
فان ذلك في قوة قولنا بعضهم فانه قد خص بالدعوة العامة والحجج الجلية والمعجزات المستمرة والايات
المتعاقبة فان في ذلك ما تتقاصر الوصوف عن الفضائل العلية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم
شأنه وللاشعار بانه العلم المعين عن التعيين وقيل انه ابراهيم عليه السلام حيث
خصه الله تعالى بكرامة الخلة وقيل ادريس عليه السلام حيث رفعه الله مكانا عليا وقيل
اولو العزم من الرسل عليهم السلام **واتينا عيسى ابن مريم البينات** الايات الباهرة والمعجزات
الظاهرة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل **وايدناه** اي قويناه
بروح القدس بجبريل عليه السلام وقرئ بسكونها اي بالروح المقدسة كقولك رجل صدق ومنه
روح عيسى وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب والارحام
الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام كلامن وانما ذكره عليه السلام بما ذكر لرد ما بين اهل
الكتابين في شأنه عليه السلام من التفريط والافراط والايذان بان الانبياء عليهم
السلام متفاوتة الاقدار يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع **ولو شاء الله ما اقتتل**
الذين من بعدهم اي جاءوا من بعد الرسل من الامم المختلفة اي لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا
بان جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق فمفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون
الجزاء على القاعدة المعروفة وقيل تقديره لو شاء هدى الناس جميعا ما اقتتل الى اخره
وليس بذاك **من بعدما جاءتهم** من جهة اولئك الرسل **البينات** المعجزات الواضحة والايات
الظاهرة الدالة على حقية الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الاعراض عن سننهم المؤدي
الى الاقتتال فمن متعلقة باقتتل **ولكن اختلفوا** استدراك من الشرطية اشير به الى قياس
استثنائي مؤلف من وضع نقيض مقدمها منتج لنقيض تاليها الا انه قد وضع فيه الاختلاف موضع

نعيننا للقدر المترتب عليه للامتناع اعني ان الاقتتال ناشئ من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداء كما قيل
ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم اختلفوا اختلافا فاحشا فمنهم من آمن اي بما جاءت به اولئك الرسل من
البينات وعملوا به ومنهم من كفر بذلك كفرا لا ارعواء له عنه فاقتضت الحكمة عدم مشيئته تعالى لعدم
اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء احوالهم ولو شاء الله عدم اقتتالهم بعد هذه المرتبة ايضا من الاختلاف
والشقاق المستتبعين للاقتتال بحسب العادة ما اقتتلوا وما نبض منهم عرق التطاول والتعادي
لما ان الكل تحت ملكوته تعالى فالتكرير ليس للتاكيد كما ظن بل للتنبيه على ان اختلافهم ذلك ليس
موجبا لعدم مشيئته لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضعه في الاستدراك موضعه بل هو سبحانه
مختار في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما يفصح عنه الاستدراك بقوله عز وجل
ولكن الله يفعل ما يريد اي من الامور الوجودية والعدمية التي من جملتها عدم مشيئته عدم اقتتالهم فان
الترك ايضا من جملة الافعال اي يفعل ما يريد حسبما يريد من غير ان يوجبه عليه موجب او يمنعه
مانع وفيه دليل بين على ان الحوادث تابعة لمشيئته سبحانه خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا
يا ايها الذين آمنوا انفقوا في سبيل الله مما رزقناكم اي شيئا مما رزقناكم على ان ما موصولة حذف
عائدها والتعرض لوصول ذلك منه تعالى للحث على الانفاق كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه والمراد به الانفاق الواجب بدلالة ما بعده من الوعيد من قبل ان ياتي يوم لا
بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة كلمة من متعلقة بما تعلقت به اختها ولا ضير فيه لاختلاف معنييهما فان
الاولى تبعيضية وهذه لابتداء الغاية اي انفقوا بعض ما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا
تقدرون على تلافي ما فرطتم فيه اذ لا تبايع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب
ولا خلة حتى يسامحكم به اخلاؤكم او يعينوكم عليه ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا
حتى تتوسلوا بشفعاء يشفعون لكم في حط ما في ذمتكم وانما رفعت الثلاثة مع قصد التعميم لانها في
التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقرئ بفتح الكل والكافرون اي والتاركون للزكاة
والاشارة عليه للتغليظ والتهديد كما في قوله تعالى ومن كفر مكان ومن لم يحج وللايذان بان ترك الزكاة
من صفات الكفار قال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة هم الظالمون اي
الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه الى غير وجهه
الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر اي هو المستحق للعبودية لا غير وفي اضمار خبر لا خلاف اي لا اله في الوجود او يصح
ان يوجد خلاف للنحاة معروف الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء هو اما خبر ثان
او خبر مبتدأ محذوف او بدل من لا اله الا هو او بدل من الله او صفة له ويعضده القراءة بالنصب
على المدح لاختصاصه بالنعت القيوم فيعول من قام بالامر اذا حفظه اي دائم القيام بتدبير
الخلق وحفظه وقيل هو القائم بذاته المقيم لغيره لا تاخذه سنة ولا نوم السنة ما يتقدم
النوم من الفتور قال عدي ابن الرقاع العاملي

وسنان اقصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم

والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس
الظاهرة عن الاحساس رأسا وآخر ... ايضا امر ... منهما له سبحانه لعدم كونهما من شانه تعالى
لانهما قاصران بالنسبة الى القوة الالهية فانه ... عن مقام التنزيه فلا سبيل الى حمل النظم

الكريمة على طريق المبالغة في النفي بناء على ان القادر على دفع السنة قد لا يقدر على دفع النوم القوي
كما في قولك فلان يقظ لا تغلبه سنة ولا نوم وانما جيء بالنوم لها وفقا على ترتيب الوجود الخارجي
وتوسيط كلمة لا للتنصيص على شمول النفي لكل منهما كما في قوله تعالى ولا ينفقون نفقة صغيرة
ولا كبيرة الآية واما التعبير عن عدم الاعتراء والعروض بالاخذ فلمراعاة الواقع اذ عروض السنة
والنوم لغيره تعالى انما يكون بطريق الاخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل والجملة تاكيد
لما قبلها من كونه تعالى حيا قيوما فان من يعتريه احدهما يكون مئوف الحياة قاصرا في الحفظ والتدبير
ولذا ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعدها وقيل استئناف مؤكد لما سبق وقيل حال مؤكدة من الضمير المستكن في القيوم له ما في السموات
وما في الارض تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما هو اعم
من اجزائهما الداخلة فيهما ومن الامور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه تعالى وانه لا يدانيه احد ليقدر على تغيير ما يريده
شفاعة وضراعة فضلا عن ان يدافعه عنادا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي ما قبلهم
وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور
الآخرة او بالعكس او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات
والارض بتغليب ما فيهما من العقلاء على غيرهم او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء
عليهم السلام ولا يحيطون بشيء من علمه اي من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله
لما انهما جميعا دال على تفرده تعالى بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات
والارض الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرسي الذي هو
الملبد وليس ثمة كرسي ولا قاعد ولا قعود وانما هو تمثيل لعظمة شانه عز وجل وسعة سلطانه
واحاطة علمه بالاشياء قاطبة على طريقة قوله عز قائلا وما قدروا الله حق قدره والارض
جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وقيل كرسيه مجاز عن علمه
اخذا من كرسي العالم وقيل عن ملكه اخذا من كرسي الملك فان الكرسي كلما كان اعظم يكون عظمة
القاعد اكثر او هو عبارة عن تحول عليه او عن بسطة ملكه وسلطانه وسعة كرسيه واحاطته
بالاقطار العلوية والسفلية وقيل هو جسم بين يدي العرش محيط بالسموات السبع
لقوله عليه الصلاة والسلام ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة
في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المسمى
وعن الحسن البصري رحمه الله انه العرش ولا يؤده اي لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما اي حفظ
السموات والارض وانما لم يتعرض لذكر ما فيهما لما ان حفظهما مستتبع لحفظه وهو العلي المتعالي
بذاته عن الاشباه والانداد العظيم الذي يستحقر بالنسبة اليه كل ما سواه ولما ترى
من انطواء هذه الآية الكريمة على امهات المسائل الالهية المتعلقة بالذات العالية
والصفات الجليلة فانها ناطقة بانه تعالى موجود متفرد بالالهية متصف بالحياة واجب
الوجود لذاته موجد لغيره لما ان القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيز
والحلول مبرأ من التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الاشباح ولا يعتريه ما يعتري
النفوس والارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد

لا يمنع عنه الا من اذن له فيه العالم بجميع الاشيا جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع
الملك والقدرة لكل ما من شانه ان يملك ويقدر عليه لا يشق عليه شاق ولا يشغله شان عن شان
متعال عما يناله الاوهام عظيم لا يحيط به الافهام ترددت ببعضها بذاته وحواس فابعد خلت
عنها احاطتنا • قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم اية في القران اية الكرسي من قراها بعث الله
تعالى ملكا يكتب من حسناته ويمحو سياته الى الغد من تلك الساعة • وقال عليه الصلاة
والسلام ما قرئت هذه الاية في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر
ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت اعظم منها • وقال
صلى الله عليه وسلم من قرا اية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة
الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد • ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله
تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله • وقال عليه الصلاة والسلام سيد
البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد
الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القران
وسيد القران سورة البقرة وسيد البقرة اية الكرسي • وتخصيصه صلى الله عليه
وسلم لها بالذكر لاشتمالها امهات المسائل الخاصة لا يدل على نفي ما دلت عليه الاخبار
المستفيضة وانعقد عليه الاجماع من سيادته عليه السلام جميع افراد البشر **لا اكراه
في الدين** جملة مستانفة جي بها اثر بيان تفرده سبحانه وتعالى بالشؤون الجليلة الموجبة
للايمان به وحده ايذانا بان من حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف والالزام بل يختار
الدين الحق من غير تردد وتلعثم • وقيل هو خبر في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين فقيل
منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم • وقيل خاص باهل الكتاب
حيث حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان
قد تنصرا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله
لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت **قد تبين
الرشد من الغي** استيناف تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه • كما في
قوله عز وجل قد بلغت من لدني عذرا اي اتضح وتبين بما ذكر من نعوته تعالى التي يمتنع توهم
اشتراك الغير في شي منها الايمان الذي هو الرشد الموصل الى السعادة الابدية
من الكفر الذي هو الغي المؤدي الى الشقاق السرمدي **فمن يكفر بالطاغوت** فعلوت للمبالغة
من الطغيان كالملكوت والجبروت قلب مكان عينه ولامه فقيل هو في الاصل مصدر
واليه ذهب الفارسي • وقيل اسم جنس مفرد مذكر وانما الجمع والتانيث لارادة الالهة
ومذهب سيبويه • وقيل هو جمع وهو مذهب المبرد • واياما كان يستوي فيه الافراد
والجمع والتذكير والتانيث اي فمن يكفر بما يؤثر الحق من الباطل بموجب الوهية والاناطة
البينة ويكفر بالشيطان او بالاصنام او بكل ما عبد من دون الله تعالى او صد عن عبادته
تعالى لما تبين له كونه بمعزل من استحقاق العبادة له **ويؤمن بالله** وحده لما شاهد من نعوته
الجليلة المقتضية لاختصاص الالوهية به عز وجل الموجبة للايمان والتوحيد وتقديم

الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان التخلية متقدمة على التحلية **فقد
استمسك بالعروة الوثقى** اي بالغ في التمسك بها كانه وهو متلبس به يطلب من نفسه الزيادة
فيه والثبات عليه **لا انفصام لها** لا انقطاع لكسر بغير ابانة كما ان الفصم هو الكسر بابانة
ونفي الاول يدل على انتفاء الثاني بالاولوية والجملة اما استئناف مقرر لما قبلها من وثاقة
العروة واما حال من العروة والعامل استمسك او من الضمير المستكن في الوثقى ولها
في حيز الجر اي كائن لها والكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة
الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض اصلا لثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية
المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المامون انقطاعه فلا استعارة في المفردات ويجوز ان
يكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الايمان والتوحيد لا للنظر الصحيح الموصل
اليه كما قيل فانه غير مذكور وفي حيز الشرط والاستمساك بها مستعارا لما ذكر من الملازمة او
ترشيحا للاستعارة الاولى **والله سميع** بالاقوال **عليم** بالعزائم والعقائد والجملة اعتراض تذييلي
حامل على الايمان رادع عن الكفر والنفاق بما فيه من الوعد والوعيد **الله ولي الذين امنوا** اي
معينهم او متولي امورهم والمراد بهم الذين ثبت في علمه تعالى ايمانهم في الجملة مالا او حالا
يخرجهم تفسير للولاية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة او حال من الضمير في ولي **من
الظلمات** التي هي اعم من ظلمات الكفر والمعاصي وظلمات الشبه بل ما يعتري بعض مراتب العلوم
الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بالقياس الى مراتبها القوية الجلية بل مما في جميع مراتبها
بالنظر الى مرتبة العيان كما ستعرفه **الى النور** الذي يعم نور الايمان ونور الايقان بمراتبه
ونور العيان اي يخرج بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التي وقع فيها الى ما يقابلها
من النور وافراد النور لوحدة الحق كما ان جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال **والذين كفروا**
اي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم **اولياؤهم الطاغوت** اي الشياطين وسائر المضلين عن طريق
الحق فالموصول مبتدا واولياؤهم مبتدا ثان والطاغوت خبره والجملة خبر للاول
والجملة الحاصلة معطوفة على ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت في
مقابلة الاسم الجليل ولقصد المبالغة بتكرير الاسناد مع الايماء الى التباين بين الفريقين
من كل وجه حتى من جهة التعبير ايضا **يخرجونهم** بالوساوس وغيرها من طرق الاضلال والاغواء
من النور الفطري الذي جبل عليه الناس كافة او من نور البينات التي يشاهدونها من
جهة النبي صلى الله عليه وسلم بتنزيل تمكنهم من الاستضاءة بها منزلة نفسها **الى الظلمات**
ظلمات الكفر والانهماك في الغي • وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام والجملة تفسير
لولاية الطاغوت او خبر ثان كما مر واسناد الاخراج من حيث السببية الى الطاغوت لا
يقدح في اسناده من حيث الخلق الى قدرته سبحانه وتعالى **اولئك** اشارة الى الموصول باعتبار
اتصافه بما في حيز الصلة وما يتبعه من القبائح **اصحاب النار** اي ملابسوها وملازموها
بسبب ما لهم من الجرائم **هم فيها خالدون** ماكثون ابدا **الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه** استشهاد
على ما ذكر من ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وتقرير له على طريقة قوله تعالى الم تر
انهم في كل واد يهيمون كما ان ما بعده استشهاد على ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير لها

بدي بغتة لرعاية الافتنان بينه وبين قوله ولاستقلاله بامر عجيب حقيق بان يعتد به
المقال فيما اجترأ عليه من المحاجة في الله عز وجل وما اجترأ عليه في اثنائها من العظيمة المنادية بكمال
حماقته ولان فيما بعده تعدادا لتعجيبات يورث تقديمه اسنادا للنظر الكريم على انه قصة
استقل النبيه في تضاعيفه الى منه ايد الله تعالى اولياءه واسقطه ابراهيم فان ما يحكى عنه من
الدعوة الى الحق وادحاض حجة الكافر من اثار ولايته تعالى ومعنى الاستفهام انكار المنفي وتقرير
المنفي اي الم تنظر او لم ينته علمك الى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لاضلال الناس
واخراجهم من النور الى الظلمات اي قد تحققت الرؤية وتقررت بناء على ان امره من الظهور
بحيث لا يكاد يخفى على احد ممن له حظ من الخطاب فظهر ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وفي
التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام تشريف له وايذان
بتاييده في المحاجة ان اتاه الله الملك اي لان اتاه حيث ابطره ذلك وحمله على المحاجة او حاج
لاجله وضعا للمحاجة التي هي اقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاداني
لاني احسنت اليك او وقت ان اتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك للكافر
اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من اتاه على الوجه الاخير ربي الذي يحيي ويميت بفتح ياء ربي
وقرئ بحذفها روي انه عليه الصلاة والسلام لما كسر الاصنام سجنه نمرود ثم اخرجه فقال من
ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت اي يخلق الحياة والموت في الاجساد
قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل كيف حاجه في هذه المقالة القوية فقيل قال
انا احيي واميت روي انه دعا برجلين فقتل احدهما واطلق الاخر فقال ذلك قال ابراهيم
استئناف كما سلف كانه قيل فماذا قال ابراهيم لمن لاحظ المرتبة في الحماقة وبماذا الجمه
فقيل قال فان الله ياتي بالشمس من المشرق حسبما تقتضيه مشيئته فات بها من المغرب
ان كنت قادرا على مثل ما يقدر الله تعالى لم يلتفت عليه السلام الى ابطال مقالة اللعين
لان امر بطلانها من الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد وان التصدي لابطالها
من قبيل السعي في تحصيل الحاصل واين مثال لا عنيد اللعين فيه ما لا يخفى والتصريح فبهت
الذي كفر اي صار مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل على ان الموصول مفعوله اي فغلب ابراهيم
الكافر واسكته وايراد الكفر في حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون
المحاجة كفرا والله لا يهدي القوم الظالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي لا يهدي الذين
ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم عن قبول الهداية الى مناهج الاستدلال
او الى سبيل النجاة او الى طريق الجنة يوم القيامة او كالذي مر على قرية استشهاد على ما ذكر
من ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول السابق وايثار او المفارقة على الواو
الجامعة للاحتراز عن توهم اتحاد المستشهد عليه من اول الامر والكاف اما اسمية كما اختاره
... للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر كما في قولك الفعل الماضي
مثل نمرود واما زائدة كما ارتضاه اخرون والمعنى الم تر الى مثل الذي او الى الذي مر على قرية
كيف هداه الله واخرجه من ظلمة الاشتباه الى نور العيان والشهود اي قد رايت ذلك
وشاهدته فان لا ريب في ان الله ولي الذين امنوا الى اخر ما تقدم واما حمله على ... التعجب

على

على ان يكون المعني في الاول الم تنظر الى الذي حاج الخ اي الم تنظر اليه وتعجب من امره وفي الثاني
او رايت الذي مر الى اخره اي اما رايت مثاله وما جرى عليه في الغرابة بحيث لا يرى له مثال لما اشتهر
عليه راي الجمهور فغير خليق بجزالة التنزيل وفخامة شانه الجليل فقيل هو المار عزير
ابن شرخيا قاله قتادة والربيع وعكرمة وناجية ابن كعب وسليمان ابن بريدة والضحاك
والسدي وقيل هو ارميا ابن حلقيا من سبط هارون عليه السلام قاله وهب وعبد الله بن
عبيد وقيل ارميا هو الخضر بعينه وقال مجاهد كان المار رجلا كافرا بالبعث وهو بعيد والقرية
بيت المقدس قاله وهب وعكرمة والربيع وقيل هو دير هرقل على شط دجلة وقال الكلبي
هي دير سابر اباد وقال السدي هي دير سلما باد والاول هو الاظهر والاشهر روي ان بني اسرائيل
لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد وجاوزوا في العتو والطغيان كل حد معتاد سلط الله عليهم
بخت نصر البابلي فسار اليهم في ستمائة الف راية حتى وطئ الشام وخرب بيت المقدس وجعل بني
اسرائيل اثلاثا ثلث منهم قتلهم وثلث منهم اقرهم وثلث منهم سباهم وكانوا مائة الف غلام
يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل ملك منهم اربعة اغلمة وكان عزير
منهم فلما نجاه الله تعالى منهم بعد حين مر حمار على بيت المقدس فرآه على اقطع ما يرى واوحش
منظر وذلك قوله عز وجل وهي خاوية على عروشها اي ساقطة على سقوفها بان سقطت العروش
ثم الحيطان من خوى البيت اذا سقط او من خوت الارض اي تهدمت والجملة حال من ضمير مر او
من قرية عند من يجوز الحال عن النكرة مطلقا قال اي تلهفا عليها وتشوقا الى عمارتها مع استشعار
الياس عنها انى يحيي هذه الله وهي على ما ترى من الحالة العجيبة المباينة للحياة وتقديم المفعول
للاعتناء بها من حيث ان الاستبعاد ناش من جهتها لا من جهة الفاعل واني نصب على الظرفية
اي كيف يحيي والعامل يحيي والمراد كما قيل اما عمارتها باعادة البناء والسكان فيها
اهلها الذين تفرقوا ايدي سبا ومن غبر منهم وانما عبر عنها بالاحياء الذي هو علم في البعد
عن الوقوع عادة تهويلا للخطب وتاكيدا للاستبعاد كما انه لاجله عبر عن خرابها بالموت حيث
قيل بعد موتها وحيث كان هذا التعبير معربا عن استبعاد الاحياء بعد الموت على ابلغ وجه
واكده اراه الله عز وجل ما استبعده في نفسه ... ثم اراه ما استبعده
... بالغة في ازاحة ما عسى يختلج في خلده واما حمل الاحياء على احياء اهلها ...
المتربية دون حالهم والاقتصار على ذكر موتهم دون كونهم ترابا وعظاما مع كونه ادخل في
الاستبعاد لشدة مباينته للحياة وغاية بعده عن قبولها مع ان الله لم يتعلق ارادته تعالى باحيائهم
كما تعلقت بعمارتها ومعاينة المار لها كما سيجيء فاماته الله والبثه على الموت مائة عام
روي انه لما دخل القرية ربط حماره وطاف بها ولم ير بها احدا فقال ما قال وكانت اشجارها
قد اثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فاماته الله تعالى في منامه
وهو شاب واماتت حماره وبقيت تينه او عنبه وعصيره عنده وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ...
فلم ير احد فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس
يقال له يوشك الى بيت المقدس ليعمره ومعه الف قهرمان مع كل قهرمان ثلاث مائة الف عامل
فجعلوا يعمرونه واهلك الله تعالى بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله تعالى من بقي من بني

حتي اشتاق اليه وردهم الي بيت المقدس فتراجع اليه من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلاثين سنة وكثروا
وكانوا كاحسن ما كانوا عليه فلما مات المايه من موته عمر احياه الله تعالي وذلك قوله تعالي ثم بعثه
واشار علي احياه لله لانه بعث عنه وسهولة تاتيه علي الباري تعالي كانه بعثه من النوم وللايذان
بانه اعاده كهيئته يوم موته عاقلا فاهما مستعدا للنظر والاستدلال قال استينافا مبني علي السؤال
كانه قيل فماذا قال الله له بعد بعثه فقيل قال كم لبثت ليظهر له عجزه عن الاحاطة بشؤنه تعالي
وان الاحياه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم انه تعتبر في الجملة بل بعد مدة طويلة وتحقيق مادة
استبعاده بالموت ويطلع في اخره بتتبعه علي امر من بدايع اثار قدرته تعالي وهو ابقا العذا
المتسارع الي الفساد بالطبع علي ما كان عليه دهرا طويلا من غير تغير ما وكم منصوب علي الظرفية
مميزها محذوف اي كم وقتا لبثت والقايل هو الله تعالي او ملك مامور بذلك من قبله تعالي
قيل نودي من السما يا عزير كم لبثت بعد الموت قال لبثت يوما او بعض يوم قاله بنا علي التقريب
والتخمين او استقصارا لمدة لبثه واما ما يقال من انه مات ضحي وبعث بعد المايه قبيل
الغروب فقال قبل النظر الي الشمس يوما فالتفت اليها فراي منها بقية فقال او بعض يوم
علي وجه الاضراب فيتعين له بين التحقيق اذ لا وجه لتخريج تمام اليوم ولو بنا علي حسبان الغروب
لتحقق النقصان من اوله قال استينافا كما سلف بل لبثت مائة عام عطف علي مقدر اي لبثت
ذلك القدر بل لبثت المدة فانظر لتعاين امرا اخر من دلايل قدرتنا الي طعامك وشرابك
لم يتسنه اي لم يتغير في تلك المدة المتطاولة مع تداعيه الي الفساد روي انه وجد تينه او
عنبه كما جني وعصيره كما عصر والجملة المنفية حال بغير واو كقوله تعالي بنعمة لم يمسسهم سوء اما من
الطعام والشراب وافراد الضمير لجريانهما مجري الواحد كالغذا واما من الاخير اكتفا بدلالة
حاله علي حال الاول ويويده قراة من قرا وهذا شرابك لم يتسن والها اصلية او هاء سكت
واشتقاقه من السنة علي ان لامها ها او واو وقيل اصله يتسنن من الحما المسنون فقلبت
نونه حرف علة كما في تقضي البازي ويجوز ان يكون معني لم يتسنه لم يمر عليه السنون
التي مرت لاجنبية بل بقيتها اي بقي علي حاله كانه لم يلبث مائة عام وفي ترك ادغام
التا في السين وانظر الي حمارك كيف تفرقت عظامه وتمزقت وتقطعت اوصاله وعظامه
ليتبين لك ما ذكر من اللبث المديد ويطمئن به نفسك وقوله عز وجل ولنجعلك اية للناس
عطف علي مقدر متعلق بفعل مقدر بطريق الاستيناف مقرر لمضمون ما سبق اي
فعلنا ما فعلنا من احيايك بعد ما ذكر لتعاين ما استبعدته من الاحيا بعد دهر طويل
ولنجعلك اية للناس الموجودين في هذا القرن بان يشاهدوك وانت من اهل القرون
الخالية ويا خذوا منك ما طوي عنهم منذ احقاب من علم التوراة كما سياتي او متعلق بفعل
مقدر بعده اي ولنجعلك اية فعلنا علي الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا فهو علي التقديرين دليل
علي ما ذكر من اللبث المديد ولذلك قرن بينه وبين الامر بالنظر الي الحمار وتكرير الامر
في قوله تعالي وانظر الي العظام مع ان المراد عظام الحمار ايضا لما ان المامور به اولا هو النظر
اليها من حيث دلالتها علي ما ذكر من اللبث المديد وثانيا هو النظر اليها من حيث تعتريها الحياة
ومباديها اي وانظر الي عظام الحمار لتشاهد كيفية الاحياء في غيرك بعد ما شاهدت نفسه

في نفسك كيف ننشزها بالزاي المعجمة اي نرفع بعضها الي بعض ونردها الي اماكنها من الجسد
فنركبها تركيبا لايقا بها وقال الكسائي رحمه الله نلينها ونعظمها ولعل من نشره
نحييها او ادبالاحيا بهذا المعني وكذا من قرا ننشرها بالراء من انشر الله تعالي الموتي
اي احياها لا معناه الحقيقي لقوله تعالي ثم نكسوها لحما اي نسترها به كما يستر الجسد باللباس
واما من قرا ننشرها بفتح النون وضم الشين فلعله اراد به ضد الطي كما قال الفرا رحمه الله
فالمعني كيف نبسطها والجملة اما حال من العظام اي وانظر اليها محياة كيفية مكسوة لحما
او بدل اشتمال اي وانظر الي العظام كيفية انشادها وبسط اللحم عليها ولعل عدم
التعرض لكيفية نفخ الروح لما انها لا تقتضيه الحكمة بيانه روي انه نودي ايتها العظام
البالية ان الله يامرك ان تجتمع فاجتمع كل جزء من اجزايها التي ذهب بها الطير والسباع وطارت
بها الرياح من كل سهل وجبل فانضم بعضها الي بعض والتصق كل عضو بما يليق به الضلع
بالضلع والذراع بالذراع والراس بموضعها ثم الاعصاب والعروق ثم انبسط عليه اللحم
ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قايم ينهق فلما تبين له اي ما دل
عليه الامر بالنظر اليه من كيفية الاحيا بمباديه والفاعل مضمر يفسره عنه الامر
المذكور واما حذف للايذان بظهوره غنيا عن الذكر وللدلالة علي سرعة وقوعه
كما في قوله عز وجل فلما راه مستقرا عنده بعد قوله انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك
كانه قيل فانشرها الله تعالي وكساها لحما فنظر اليها فتبين له كيفيته فلما تبين له ذلك اي النفخ
اتضاحا تاما قال اعلم ان الله علي كل شي من الاشيا التي من جملتها ما شاهد في نفسه وفي غيره من تعاجيب
الاثار قدير لا يستعصي عليه امر من الامور وايثار صيغة المضارع للدلالة علي ان علمه بذلك
مستمر نظرا الي ان اصله لم يتغير ولم يتبدل بل انما تبدل بالعيان وصفه وفيه اشعار بان
ما قاله فيما قبل لم يكن الا استبعادا العادي واستعظاما للامر وقيل فاعل تبين مضمر
يفسره مفعول اعلم اي فلما تبين له ان الله علي كل شي قدير قال اعلم ان الله علي كل شي قدير فحذف
وقري تبين له علي صيغة المجهول وقري قال اعلم وعلي الامر روي انه ركب حماره
واتي محلته وانكره الناس وانكر المنازل فانطلق علي وهم منه حتي اتي منزله فاذا هو بعجوز
عميا مقعدة قد ادركت زمن عزير فقال لها هذا منزل عزير قالت نعم وابن
ذكر عزير قد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا قال فاني عزير قالت سبحان الله
اني يكون ذلك قال قد اماتني الله مائة عام ثم بعثني قالت ان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة
فادع الله لي يرد علي بصري حتي اراك فدعا ربه ومسح بيده عينيها فصحتا فاخذ بيدها
فقال لها قومي باذن الله تعالي فقامت صحيحة كانما نشطت من عقال فنظرت اليه
فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الي محلة بني اسرايل وهم في انديتهم وكان في المجلس
ابن لعزير قد بلغ من العمر مائة وثمانيه عشر سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد
جاكم فكذبوها فقالت انظروا فاني بدعايه رجعت الي هذه الحالة فنهض الناس فاقبلوا
اليه فقال ابنه كان لابي شامه سود اكتفيه مثل الهلال فكشف فاذا هو كذلك وقد كان
قتل بخت نصر ببيت المقدس من قرا التوراة اربعين الف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة

بين التوراة ولا احد يعرف التوراة فقرأها عليهم من ظهر قلبه من غير ان يخرم منها حرفا فقال
رجل من اولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر حدثني ابي عن جدي ان التوراة دفن
يوم سبينا في خابية في كرم فان اريتموني كرم جدي اخرجتها لكم فذهبوا الى كرم
جده ففتشوها فوجدوها فعارضوها بما املى عليهم عزير من ظهر القلب فما اختلفا في حرف واحد
فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا **واذ قال ابراهيم** دليل آخر على ولايته
تعالى للمؤمنين واخراجه لهم من الظلمات الى النور وانما لم يسلك به مسلك الاستشهاد كما
قبله بأن يقال او كالذي قال رب الخ جريا على ذكره عليه السلام في اثناء المحاجة ولانه
لا دخل لنفسه عليه السلام في اصل الدليل كدأب عزير عليه السلام فيما جرى عليه
من احيائه بعد مائة عام من جملة الشواهد على قدرته تعالى واذ ظرف منصوب بمضمر صرح
بمثله في نحو قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي واذكر وقت
قوله عليه الصلاة والسلام وما وقع حينئذ من تعاجيب صنع الله عز وجل
لتقف على ما مر من ولايته تعالى ومر اتيته وتوجيه الامر بالذكر في امثال هذه
المواقع الى الوقت دون ما وقع فيه من الواقعات مع انها المقصودة بالذات لما ذكر
غير مرة من المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه
بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها مفصلة فاذا استحضر كانت حاضرة
بتفاصيلها بحيث لا يشذ عنها شيء مما ذكر عند الحكاية او لم يذكر كأنها مشاهدة عيانا
رب كلمة استعطاف قدمت بين يدي الدعاء مبالغة في استدعاء الاجابة **ارني** من
الرؤية البصرية المتعدية الى واحد وبدخول همزة النقل طلبت مفعولا آخر
هو الجملة الاستفهامية المعلقة لها فانها تتعلق كما تعلق النظر البصري اي اجعلني مبصرا
كيف تحيي الموتى بأن تحييها وانا انظر اليها وكيف في محل نصب على التشبيه بالظرف
عند سيبويه رحمه الله وبالحال عند الاخفش والعامل فيها تحيي اي في اي حال او على
اي حال تحيي قال القرطبي رحمه الله الاستفهام بكيف انما هو سؤال عن حال شيء متقرر الوجود
عند السائل والمسؤول فالاستفهام ههنا عن هيئة الاحياء المتقرر عند السائل اي
بصرني كيفية احيائك للموتى وانما سأله عليه الصلاة والسلام للمبالغة ليتأيد ايقانه
بالعيان ويزداد قلبه اطمئنانا واما ما قيل من انه لما قال نمرود انا احيي واميت قال
ابراهيم عليه السلام ان احياء الله تعالى برد الارواح الى الاجساد فقال نمرود هل عاينته
فلم يقدر على ان يقول نعم فانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ذلك فيأباه تعليله
السؤال بالاطمئنان **قال** استئناف كما مر غير مرة **اولم تؤمن** عطف على مقدر اي ألم تعلم
ولم تؤمن باني قادر على احياء الموتى واني على كل شيء قدير كيف اشاء حتى تسألني اياه
قال عز وجل وهو اعلم بانه عليه الصلاة والسلام اثبت الناس ايمانا واقواهم
يقينا ليجيب بما اجاب به فيكون ذلك لطفا للسامعين **قال بلى** علمت وآمنت
بانك قادر على الاحياء على اي كيفية شئت **ولكن** سألت ما سألت **ليطمئن قلبي** بمضامة
العيان الى الايمان والايقان وازداد بصيرة بمشاهدة تدل على كيفية معينة **قال فخذ**

الفاء جواب شرط محذوف اي اذا اردت ذلك فخذ **اربعة من الطير** قيل هو اسم لجمع طائر كركب وسفر وقيل
جمع كتاجر وتجر وقيل هو مصدر سمي به الجنس وقيل هو تخفيف طير بمعنى طائر كهين في هين
ومن متعلقة بخذ او بمحذوف وقع صفة لاربعة اي اربعة كائنة من الطير قيل هو طاووس
وديك وغراب وحمامة وقيل نسر بدل الاخير وتخصيص الطير بذلك لانه اقرب الى الانسان
واجمع لخواص الحيوان ولسهولة تأتي ما يفعل به من التجزئة والتفريق وغيرهما **فصرهن** من صاره
يصوره اي امله وقرئ بكسر الصاد من صاره يصيره اي اماله واضممهن وقرئ فصرهن
بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره اذا جمعه وقرئ فصرهن من التصرية
بمعنى الجمع اي اجمعهن **اليك** لتتأملها وتعرف شأنها مفصلة حتى تعلم بعد الاحياء ان جزءا
من اجزائها لم ينتقل من موضعه الاول اصلا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها
ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها ويمسك رؤوسها ثم امر بان يجعل اجزاءها
على الجبال وذلك قوله تعالى **ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا** اي جزئهن وفرق اجزاءهن على ما بحضرتك
من الجبال قيل كانت اربعة اجبل وقيل سبعة فجعل على كل جبل ربعا او سبعا من كل طائر وقرئ
جزءا بضمتين وجزا بالتشديد بطرح همزته تخفيفا ثم تشديده عند الوقف ثم اجراء الوصل مجرى
الوقف **ثم ادعهن** قل لهن تعالين باذن الله **يأتينك** جزم في جواب الامر ولكن بني لاتصاله بنون جمع المؤنث
سعيا اي ساعيات مسرعات او ذوات سعي طيرانا او مشيا وانما اقتصر على حكاية
اوامره عز وجل من غير تعرض لامتثاله عليه افضل الصلاة والسلام ولا لما ترتب عليه من
عجائب قدرته تعالى كما روي انه عليه السلام نادى فقال تعالين باذن الله تعالى فجعل كل
جزء منهن يطير الى صاحبه حتى صارت جثثا ثم اقبلن الى رؤوسهن فانضمت كل جثة الى راسها
فعادت كل واحدة منهن الى ما كانت عليه من الهيئة للايذان بان ترتب تلك الامور على
الاوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة الى ذكره اصلا
وناهيك بالقصة دليلا على فضل الخليل ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال
حيث اراه الله تعالى ما سأله في الحال على ايسر ما يكون من الوجوه واراه عزيرا ما اراه بعد ما اماته
مائة عام عليهما السلام **واعلم ان الله عزيز** غالب على امره لا يعجز شيئا عما يريده **حكيم** ذو حكمة بالغة
في افعاله فليس بناء افعاله على الاسباب العادية لعجزه عن ايجادها بطريق آخر خارق للعادات
بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح **مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله** اي في وجوه الخيرات من
الواجب والنفل **كمثل حبة** لا بد من تقدير مضاف في احد الجانبين اي مثل نفقتهم كمثل
حبة او مثلهم كمثل باذر حبة **انبتت سبع سنابل** اي اخرجت ساقا تشعب منها سبع شعب لكل
سنبلة **في كل سنبلة مائة حبة** ان يشاهد ذلك في الذرة والدخن في الاراضي المغلة بل اكثر من ذلك
واسناد الانبات الى الحبة مجازي كاسناده الى الارض والربيع وهذا التمثيل تصوير
للاضعاف كأنها حاضرة بين يدي الناظر **والله يضاعف** تلك المضاعفة او فوقها الى ما شاء
الله تعالى **لمن يشاء** ان يضاعف له بتفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ولذلك
تفاوتت مراتب الاعمال في مقادير الثواب **والله واسع** لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة
عليم بنية المنفق ومقدار انفاقه وكيفية تحصيل ما انفقه **الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله**

جملة مبتداة جا بها البيان كيفية الانفاق الذي بين فضله بالتمثيل المذكور ثم لا يتبعون ما انفقوا اي ما انفقوه وانفاقهم منا ولا اذى المن ان يعتد الى ما احسن اليه باحسانه ويريه انه اوجب بذلك عليه حقا والاذى ان يتطاول عليه بسبب انعامه عليه ⁕ وانما قدم المن لكثرة وقوعه وتوسيط كلمة لا للدلالة على شمول النفي لاتباع كل واحد منهما وثم لاظهار علو رتبة المعطوف ⁕ قيل نزلت في عثمان رضي الله عنه حين جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف حين اتى الى النبي عليه الصلاة والسلام باربعة الاف درهم صدقة ولم يكن يخطر بالهما من المن والاذى لهم اجرهم اي حسبما وعد لهم في ضمن التمثيل وهو جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا من الموصول ⁕ وفي تكرير الاسناد وتقييد الاجر بقوله عند ربهم من التاكيد والتشريف ما لا يخفى وتخلية الخبر عن الفا المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان بان يترتب الاجر على ما ذكر من الانفاق وترك اتباع المن والاذى امر بين لا يحتاج الى التصريح بالسببية ⁕ واما ايهام انهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا فيأباه مقام الترغيب في الفعل والحث عليه ولا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه من المكاره ولا هم يحزنون لفوات مطلوب من المطالب قلا وجلا اي لا يعتريهم ما يوجبه لا انه يعتريهم ذلك لانهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم ما يوجب خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله تعالى وهيبته واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خواص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام قول معروف اي كلام جميل تقبله القلوب ولا تنكره يرد به السائل من غير اعطا شي ومغفرة اي ستر لما وقع من السائل من الالحاف في المسألة وغيره مما يثقل على المسؤول وصفح عنه وانما صح الابتدا بالنكرة في الاول لاختصاصها بالوصف ⁕ وفي الثاني بالعطف او بالصفة المقدرة اي ومغفرة كائنة من المسؤول خير اي للسائل من صدقة لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها وخلوهما من الضرر والجملة مستانفة مقررة لاعتبار ترك اتباع المن والاذى وتغيير المغفرة بنيل مغفرة من الله تعالى بسبب الرد الجميل وبعفو السائل اعتبارا للخيرية بالنسبة الى المسؤول يؤدي الى ان يكون في الصدقة الموصوفة بالنسبة اليه خيرية في الجملة مع بطلانها بالمرة والله غني لا يحوج الفقرا الى تحمل مؤنة المن والاذى ويرزقهم من جهة اخرى حليم لا يعاجل اصحاب المن والاذى بالعقوبة لا انهم لا يستحقونها بسببهما ⁕ والجملة تذييل لما قبلها مشتمل على الوعد والوعيد مقرر لاعتبار الخيرية بالنسبة الى السائل قطعا يا ايها الذين امنوا اقبل عليهم بالخطاب اثر بيان ما بين بطريق الغيبة مبالغة في ايجاب العمل بموجب النهي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اي لا تحبطوا اجرها بواحد منهما كالذي ينفق في محل نصب اما على انه نعت لمصدر محذوف اي لا تبطلوها ابطالا كابطال الذي او على انه حال من فاعل لا تبطلوا اي لا تبطلوها مشابهين الذي ينفق اي الذي يبطل انفاقه بالريا ⁕ وقيل من الضمير المصدر المقدر على ما هو راي

يتبعها اذى

سيبويه وانتصاب ريا اما على انه علة لينفق اي لاجل رياهم او على انه حال من فاعله اي ينفق ماله مرائيا والمراد به المنافق لقوله تعالى ولا يؤمن بالله واليوم الاخر حتى يرجو ثوابا او يخشى عقابا فمثله الفا لربط ما بعدها بما قبلها فمثل المرائي في الانفاق ⁕ وحالته العجيبة كمثل صفوان اي حجر املس عليه تراب اي شي يسير منه فاصابه وابل اي مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس ليس عليه شي من الغبار اصلا لا يقدرون على شي مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا ريا اي لا يجدون له ثوابا قطعا ⁕ كقوله تعالى فجعلناه هبا منثورا والجملة استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا يكون لهم حينئذ فقيل لا يقدرون الخ ومن ضرورته كونه مثلهم كما ذكر كونه مثل من يشبهم وهم اصحاب المن والاذى ⁕ وكذلك والضمير الاخير ان للموصول باعتبار المعنى كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا لان المراد به الجنس او الجمع او الفريق كما ان الضماير الاربعة السابقة له باعتبار اللفظ والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله ⁕ وفيه تعريض بان كلا من الريا والمن والاذى من خصايص الكفار ولا بد للمؤمنين ان يجتنبوها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغا مرضات الله اي لطلب رضاه وتثبيتا من انفسهم اي وليثبتوا بعض انفسهم على الايمان فمن تبعيضية كما في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه فان المال شقيق الروح من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزا من اصل انفسهم فمن ابتدائية ⁕ كما في قوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قوله من قرا وتبيينا من انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال الذي هو راس كل خطيئة كمثل جنة بربوة الربوة بالحركات الثلاث وقد قرئ بها المكان المرتفع اي ومثل نفقتهم في الزكاة كمثل بستان كائن بمكان مرتفع مامون من ان يبطله البرد للطافة هوائه بهبوب الرياح الملطفة له فان اشجار الربى تكون احسن منظرا وازكى ثمرا واما الاراضي المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لكثافة هوائها بركود الرياح وقرئ كحبة اصابها وابل مطر عظيم القطر فاتت اكلها ثمرتها وقرئ بسكون الكاف تخفيفا ضعفين اي مثلي ما كانت تثمر في سائر الاوقات بسبب ما اصابها من الوابل ⁕ والمراد بالضعف المثل وقيل اربعة امثال ونصبه على الحال من اكلها اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اي فطل يكفيها لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوائها وقيل فيصيبها طل هو المطر الصغير القطرة وقيل فالذي يصيبها طل والمعنى ان نفقات هؤلا زاكية عند الله لا يضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من الحال ويجوز ان يعتبر التمثيل بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة وبين الجنة المعهودة باعتبار ما اصابها من المطر الكثير واليسير فكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكلها فكذلك نفقتهم جلت او قلت بعد ان يطلب بها وجه الله تعالى زاكية زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عند الله تعالى والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شي منه وهو ترغيب في الاخلاص مع تحذير من الريا ونحوه ايود احدكم الودة حب الشي مع تمنيه ولذلك يستعمل فيهما والهمزة لانكار الوقوع ⁕ كما في قوله

اسند اي لا لانكار الواقع كما في قولك اتضرب اباك على ان مناط الانكار ليس جميع ما تعلق به
الود بل انما هو اصابة الاعصار دون ما بينهما من الاحوال ان تكون له جنة وقرئ جنات من نخيل
واعناب اي كاينة منهما على ان يكون الاصل والركن فيها من بين الجنسين الشريفين الجامعين
لفنون المنافع والباقي من المستتبعات لا على ان لا يكون فيها غيرهما كما ستعرفه والجنة تطلق
على الاشجار الملتفة المتكاثفة قال زهير [illegible]
[illegible] كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا [illegible]
وعلى الارض المشتملة عليها والاول هو الانسب بقوله عز وجل تجري من تحتها الانهار اذ على
الثاني لا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وكذا لا بد من جعل اسناد الاحتراق
اليها فيما سيأتي مجازيا والجملة في محل الرفع على انها صفة جنة كما ان قوله تعالى من نخيل
واعناب كذلك او في محل النصب على انها حال منها لانها موصوفة له فيها من كل الثمرات
الظرف الاول خبر والثاني حال والثالث مبتدأ اي صفة للمبتدأ اي قائمة مقامه اي له
رزق من كل الثمرات كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا احد الا الخ وليس
المراد بالثمرات العموم بل انما هي للتكثير كما في قوله تعالى واوتيت من كل شيء واصابه الكبر
اي كبر السن الذي هو مظنة شدة الحاجة الى منافعها ومئنة كمال العجز عن تدارك اسباب المعاش
والواو حالية وقد اصابه الكبر وله ذرية ضعفاء حال من الضمير في اصابه اي اصابه الكبر
والحال ان له ذرية صغار لا يقدرون على الكسب وترتيب مبادي المعاش وقرئ
ضعاف فاصابها اعصار اي ريح عاصفة تستدير في الارض ثم تنعكس منها ساطعة الى السما
على هيئة العمود فيه نار شديدة فاحترقت عطف على فاصابها وهذا كما ترى تمثيل
الحال من يفعل اعمال البر والحسنات ويضم اليها ما يحبطها من القوادح ثم يجدها
يوم القيامة عند كمال حاجته الى ثوابها هباء منثورا في التحسر والتاسف عليها كذلك توحيد
الكاف مع كون المخاطب جمعا وقد مر سره مرارا الى مثل ذلك البيان الواضح الجاري
في الظهور مجرى الامور المحسوسة يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون كي تتفكروا فيها وتعتبروا
بما فيها من العبر وتعملوا بموجبها يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم بيان لحال ما ينفق منه
اثر بيان اصل الانفاق وكيفيته اي انفقوا من حلال ما كسبتم وجياده لقوله تعالى لن
تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات
ما اخرجنا لكم من الطيبات والثمار والمعادن فحذف لدلالة ما قبله عليه ولا تيمموا بفتح التا
اصله ولا تتيمموا وقرئ بضمها وقرئ ولا تاموا والكل بمعنى القصد اي لا تقصدوا الخبيث
اي الردي الخسيس وهو كالطيب من الصفات الغالبة التي لا تذكر موصوفاتها منه تنفقون
الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا
اي لا تقصدوا الخبيث قاصرين الانفاق عليه او من الخبيث اي مختصا به الانفاق
وايا ما كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة لا لتسويغ
انفاقه مع الطيب وعن ابن عباس رضي الله عنه انهم كانوا يتصدقون بحشف التمر
وشراره فنهوا عنه وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الخبيث والضمير للمال المذكور عليه

يجب المقام او للموصولين على طريقة قوله كانه في الجلد توليع البهق او للثاني او الثالث
وتخصيصه لما ان التفاوت فيه اكثر وتنفقون حال من الفاعل المذكور اي ولا تقصدوا
الخبيث كاينا من المال او مما كسبتم او مما اخرجنا لكم منفقين اياه وقوله تعالى ولستم باخذيه
حال على كل حال من واو تنفقون والحال انكم لا تاخذونه في معاملاتكم في وقت من الاوقات
او بوجه من الوجوه الا ان تغمضوا فيه اي الا وقت اغماضكم فيه او الا باغماضكم فيه وهو عبارة
عن المسامحة بطريق الكناية او الاستعارة يقال اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا وتغمضوا
بضم الميم وكسرها وقيل تم الكلام عند قوله تنفقون والحال انكم لا تاخذونه الا اذا اغمضتم
فيه ومآله الاستفهام الانكاري فكانه قيل امنه تنفقون الخ واعلموا ان الله غني
عن انفاقكم وانما يامركم به لمنفعتكم وفي الامر بان يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ
لهم على ما يصنعون من اعطا الخبيث وايذان بان ذلك من اثار الجهل بشانه
تعالى فان اعطا مثله انما يكون عادة عند اعتقاد المعطي ان الاخذ
محتاج الى ما لا يعطيه بل مضطر اليه حميد مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل حامد بقبول
الجيد والاثابة عليه الشيطان يعدكم الفقر الوعد هو الاخبار بما سيكون من جهة المخبر
مترتبا على شي من زمان او غيره يستعمل في الشر استعماله في الخير قال الله تعالى النار وعدها
الله الذين كفروا اي يعدكم في الانفاق الفقر ويقول ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا
وانما عبر عن ذلك بالوعد مع ان الشيطان لم يضف مجي الفقر الى جهته للايذان
بمبالغته في الاخبار بتحقق مجيه فانه نزل في تقرر الوقوع منزلة افعاله الواقعة بحسب
ارادته او لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة وقرئ بضم الفا والسكون
وبضمتين وبفتحتين ويامركم بالفحشا اي بالخصلة الفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات
اغرا الامر للمامور على فعل المامور به والعرب تسمي البخيل فاحشا قال طرفة بن العبد
ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد وقيل بالمعاصي والسيئات
والله يعدكم اي في الانفاق مغفرة لذنوبكم والجار في قوله تعالى منه متعلق بمحذوف
هو صفة لمغفرة موكدة لفخامتها التي افادها تنكيرها اي مغفرة كاينة منه عز وعلا وفضلا
صفته محذوفة لدلالة المذكور عليها كما في قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل
اي وفضلا كاينا منه تعالى اي خلفا مما انفقتم زايدا عليه في الدنيا وفي تكذيب الشيطان
وقيل ثوابا في الاخرة والله واسع قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم به من المغفرة واخلاف
ما تنفقونه عليم بالغ في العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم او يعلم ما سيكون من
المغفرة والفضل فلا احتمال للخلف في الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله يوتي الحكمة
من يشا قال مجاهد الحكمة هي القران والعلم والفقه وروي عن ابن نجيح انها الاصابة
في القول والعمل وعن ابراهيم النخعي انها معرفة معاني الاشيا وفهمها وقيل هي معرفة حقايق
الاشيا وقيل هي الاقدام على الافعال الحسنة الصايبة وعن مقاتل انها تفسر في القران
باربعة اوجه تارة بمواعظ القران واخرى بما فيه من عجايب الاسرار ومرة بالعلم والفهم واخرى
بالنبوة ولعل الانسب بالمقام ما ينتظم الاحكام المبينة في تضاعيف الايات الكريمة

من احد الوجهين الاولين ومعنى ايتائها تبيينها والتوفيق للعلم والعمل بها اي يبينها ويوفق
للعلم والعمل بها من يشاء من عباده ان يوتيه اياه بموجب سعة من فضله واحاطة علمه
ما بينه في ضمن الاية من الحكم البالغة التي يدور عليها فلك منافعكم فاغتنموها وسارعوا الى العمل
والموصول مفعول اول ليوتي قدم عليه الثاني للعناية به والجملة مستانفة مقررة لمضمون ما
قبلها ومن يوت الحكمة على بناء المفعول وقرئ على البناء للفاعل اي ومن يوتيه الله الحكمة والاظهار
والاظهار في مقام الاضمار للاعتناء بشانها وللاشعار بعلة الحكم فقد اوتي خيرا كثيرا
اي اي خير كثير فانه قد حيز الدارين وما يذكر اي وما يتعظ بما اوتي من الحكمة او ما يتفكر فيها
الا اولوا الالباب اي اولوا العقول الخالصة من شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى
وفيه من الترغيب في المحافظة على الاحكام الواردة في شان الانفاق ما لا يخفى والجملة اما حالية
او اعتراض تذييلي وما انفقتم بيان لحكم كلي شامل لجميع افراد النفقات وما في حكمها
اثر بيان حكم ما كان منها في سبيل الله وما اما شرطية او موصولة حذف عائدها من الصلة
اي وما انفقتموه من نفقة بيان لحكم شامل كانت في حق او باطل في سر او علانية من نفقة
النذر عقد الضمير على شيء والتزامه وفعله كضرب ونصر او نذرتم من نذر اي نذر كان في طاعة او معصية
بشرط او بغير شرط متعلق بالمال او بالافعال كالصيام والصلاة ونحوهما فان الله يعلمه الفا
على الاول داخلة على الجواب وعلى الثاني مزيدة في الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد
المرجع بناء على كون العطف بكلمة او كما في قولك زيدا او عمرا اكرمته ولا يقال اكرمتهما ولهذا صير الى التاويل
في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما بل لعادة الضمير تارة الى المقدم رعاية للاولوية كما في قوله
تعالى واذا راوا تجارة الاية واخرى الى الموخر رعاية للقرب كما في هذه الاية وفي قوله ومن يكسب خطيئة الاية وحمله
للنظر على تاويلها بالمذكور ونظائره او على حذف الاول ثقة بدلالة الثاني عليه كما في قوله والذين يكنزون
الاية وقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف وبخيهما ما عطف فيه بالواو الجامعة
تعسف مستغنى عنه نعم يجوز ارجاع الضمير الى ما على تقدير كونها موصولة وتقدير الجملة بان لتاكيد معنى بها لا
تحقيق الجزاء اي فانه تعالى يجازيكم عليه البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر ففيه ترغيب وترهيب ووعد ووعيد وما
للظالمين بالانفاق والنذر في المعاصي او بمنع الصدقات وعدم الوفا بالنذور او بانفاق الخبيث او بالرياء والمن
والاذى ونحو ذلك مما يتصور به معنى الظلم الذي هو عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه الذي يحق ان يوضع فيه
من انصار اي اعوان ينصرونهم من باس الله وعقابه لا شفاعة ولا مدافعة وايراد صيغة الجمع لمقابلة الظالمين اي
وما لظالم من الظالمين من نصير من الانصار والجملة استيناف مقرر لما قبله من الوعيد معنى لفظا حال من
من الظالمين ورعاية الخلاف ان تبدوا الصدقات فنعما هي نوع تفصيل لما اجمل في الشرطية وبيان له ولذلك
تنبيها منه الى العلة في المفروضة واما في صدقة التطوع فالاخفاء افضل ومنه الى اربابه بقوله
سبحانه وتعالى وان تخفوها اي تعطوها خفية وتوتوها الفقراء وتعلها لتصرح باتيانها الفقراء
مع انه واجب في الابداء ايضا مع ان الاخفا مظنة الالتباس والاشتباه فان الغني ربما
يدعي الفقر او يقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك عند الناس فهو خير لكم اي
فالاخفاء خير لكم من الابداء وهذا في التطوع ومن لم يعرف بالمال واما في الواجب فالامر بالعكس ليدفع
التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا

وصدقة

وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سياتكم
اي والله يكفر او الاخفاء ومن تبعيضية اي شيئا من سياتكم كاسرة بهنا وقيل من مزيدة
على راي الاخفش وقرئ بالنون مرفوعا ومجزوما على انه محل الفعل للصدقات وقرئ بالتاء
مرفوعا ومجزوما على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدا محذوف اي ونحن نكفر او على انها
جملة مبتدأة من فعل وفاعل وقرئ بجزمه عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط
والله بما تعملون من الاسرار والاعلان خبير فهو ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم
اي لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الاتيان بما امروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا
عنه من القبائح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد الى الخير والحث عليه والنهي
عن الشر والردع عنه بما اوحي اليك من الايات والذكر الحكيم ولكن الله يهدي
هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما من يشاء هدايته الى ذلك ممن يتذكر بما ذكر
ويتبع الحق ويختار الخير والجملة معترضة جيء بها على طريقة تلوين الخطاب وتوجيهه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الالتفات الى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة
بالمكلفين مبالغة في حملهم على الامتثال فان الاخبار بعدم وجوب تدارك امرهم على
النبي عليه الصلاة والسلام موذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية
وقيل لما كثر فقرا المسلمين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين التصدق على
المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام فنزلت اي ليس عليك هدى من
خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم في الاسلام فالالتفات حينئذ في الكلام
وضمير الغيبة لليهود من فقرا المشركين بل في الجملة تلوين فقط وقوله تعالى وما تنفقوا
من خير على الاول والالتفات من الغيبة الى الخطاب المكلفين لزيادة تربية حثهم على الامتثال
وعلى الثاني تلوين للخطاب بتوجيهه اليهم وصرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم وما شرطية
جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة
لاسم الشرط مبينة ومخصصة له اي اي شيء تنفقوا كائن من مال فلانفسكم اي فهو
لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه ولا توذوه ولا تنفقوا من الخبيث
او فنفعه الديني لكم لا لغيركم من الفقرا حتى تمنعوه مما لا ينتفع به من حطام الدنيا من
فقرا المشركين وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله استثناء من اعم العلل او اعم الاحوال اي ليست
نفقتكم لشيء من الاشيا الا لابتغاء وجه الله اي ليست في حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله
فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله تعالى وقيل هو نفي
في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم اي اجره وثوابه اضعافا مضاعفة حسبما فصل فيما
قبل فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه على احسن الوجوه واجملها فهو تاكيد وبيان
للشرطية السابقة او يوف اليكم ما يخلفه وهو من نتائج دعائه عليه السلام اللهم
اجعل للمنفق خلفا وللممسك تلفا وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها تسالها وهي
مشركة فابت ان تعطيها عن سعيد بن جبير رضي الله عنه انهم كانوا يتقون ان يرضخوا
لقراباتهم من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع

كانوا يستقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوا عليهم فنزلت وهذا في غير الواجب
واما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وان كان ذميا وانتم لا تظلمون لا تنقصون شيئا وعدم
من الثواب المضاعف او من الخلف للفقراء متعلق بمحذوف بسياق الكلام كما في قوله
عز وجل في تسع ايات الى فرعون اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم
للفقراء الذين احصروا في سبيل الله بالغزو والجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في
الارض اي ذهابا فيها للكسب والتجارة وقيل هم اهل الصفة رضوان الله عليهم اجمعين
كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد ويستغرقون اوقاتهم بالتعلم
والجهاد وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم
اغنياء من التعفف اي من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم اي ترى فيهم من الضعف واصفرار الوجه
مما تعاين منهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن
له حظ من الخطاب مبالغة في بيان وضوح فقرهم لا يسألون الناس الحافا اي الحاحا وهو ان يلازم
السائل المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده
والمعنى لا يسألون شيئا وان سألوا لحاجة اضطرتهم اليه لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين
جميعا على طريقة قوله ٭ على لاحب لا يهتدى بمناره ٭ اي لا منار ولا اهتداء ٭
وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق سيما على هؤلاء
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير والصدقة
وقيل نزلت في شان الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة الاف
منه بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية ٭ وقيل في علي كرم الله وجهه
حين لم يكن عنده الا اربعة دراهم فتصدق بكل واحد منها على وجه من الوجوه المذكورة
ولعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للايذان بمزية الاخفاء على الاظهار ٭
ولعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للايذان بمزية الاخفاء على الاظهار
وقيل في رباط الخيل والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم خبر للموصول والفاء للدلالة
على سببية ما قبلها لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف اي منهم الذين الخ ٭
ولذلك جوز الوقف على علانية ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تقدم تفسيره الذين ياكلون
الربا اي ياخذونه والتعبير عنه بالاكل لانه معظم ما قصد به ولشيوعه في المطعومات
مع ما فيه من زيادة تشنيع لهم وهو الزيادة في المقدار او في الاجل حسبما فصل في كتب الفقه
وانما كتب بالواو كالصلاة على لغة من يفخم في امثالها وزيدت الالف تشبيها بواو الجمع لا يقومون
اي من قبورهم اذا بعثوا الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي الا قياما كقيام المصروع وهو وارد
على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب بغير استواء كخبط العشواء
من المس اي الجنون ومس الجن من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن
الرجل وهو متعلق بما قبله من الفعل المنفي اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكلهم
الربا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقولهم بل لان
الله تعالى اربى في بطونهم ما اكلوا من الربا فاثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون تلك

سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف ذلك اشارة الى ما ذكر من حالهم وما في اسم الاشارة
من معنى البعد للايذان بفظاعة المشار اليه بانهم قالوا انما البيع مثل الربا اي ذلك العقاب
بسبب انهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله
وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربا اصلا
في الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق بينهما فان احد الدرهمين في الاول ضائع حتما
وفي الثاني منجبر بمساس الحاجة الى السلعة او بتوقع رواجها واحل الله البيع وحرم الربا انكار
من جهة الله تعالى لتسويتهم وابطال للقياس لوقوعه في مقابلة النص مع ما اشير اليه
من عدم الاشتراك في المناط والجملة ابتدائية لا محل لها من الاعراب فمن جاءه موعظة اي فمن
بلغه وعظ وزجر كالنهي عن الربا وقرئ جاءته من ربه متعلق بجاءه او بمحذوف وقع صفة لموعظة
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة للاشعار بكون مجيء الموعظة للتربية فانتهى
عطف على جاءه اي فاتعظ بلا تراخ وتبع النهي فله ما سلف اي ما تقدم اخذه التحريم ولا يسترد
منه وما في محل الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على راي سيبويه
لعدم اعتماد الظرف على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة
وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد اي الى تحليل الربا فاولئك
اشارة الى من عاد والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في عاد باعتبار اللفظ وما فيه من معنى
البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد اصحاب النار اي ملازموها هم فيها خالدون
ماكثون ابدا والجملة مقررة لما قبلها يمحق الله الربا اي يذهب بركته ويهلك المال الذي
يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذي اخرجت منه
الصدقة ٭ روي عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي احدكم
مهره ٭ وعنه عليه الصلاة والسلام ما نقصت زكاة من مال قط والله لا يحب اي لا يرضى
لان الحب مختص بالتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين
آمنوا بالله ورسوله وبما جاءهم به وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة تخصيصهما بالذكر
مع اندراجهما في الصالحات لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة على طريقة ذكر جبريل وميكال
عقيب الملائكة عليهم السلام لهم اجرهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لان اي اجرهم
الموعود لهم وقوله تعالى عند ربهم حال من اجرهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميرهم من مزيد اللطف والتشريف لهم ولا خوف عليهم من مكروه آت ولا هم يحزنون من محبوب
فات يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اي قوا انفسكم عقابه وذروا ما بقي من الربا اي واتركوا بقايا
ما شرطتم منه على الناس تركا كليا ان كنتم مؤمنين على الحقيقة فان ذلك مستلزم
لامتثال ما امرتم به البتة ومورث لطحن فجوابه نفعه بما قبله اي ان كنتم مؤمنين
فاتقوا وذروا الى آخره ٭ روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل
بالمال والربا فنزلت فان لم تفعلوا اي ما امرتم به من الاتقاء وترك البقايا اما
مع انكار حرمته واما مع الاعتراف بها فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن بالشيء
اذا علم به اما على الاول فكحرب المرتدين واما على الثاني فكحرب البغاة وقرئ

فاذنوا اي فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وقرئ فايقنوا
وهو يؤيد قراءة العامة وتنكير حرب للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لها وكذا
لفخامتها اي بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره كائن من عند الله تعالى ورسوله روي انه
لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء والايمان بحرمته
بعدما سمعتم من الوعيد فلكم رءوس اموالكم تاخذونها كملا لا تظلمون غرماءكم باخذ
الزيادة والجملة اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او حال من الضمير في لكم والعامل ما تضمنه
الجار من الاستقرار ولا تظلمون عطف على ما قبله اي لا تظلمون انتم من قبلهم بالمطل
والنقص ● ومن ضرورة تعليق هذا الحكم بتوبتهم عدم ثبوته عند عدمها لان عدمها
ان كان مع انكار الحرمة فهم مرتدون وما لهم المكسوب في حال الردة فيء للمسلمين
عند ابي حنيفة رحمه الله ● وكذا سائر اموالهم عند الشافعي رحمه الله وعندنا هو لورثتهم
ولا شيء لهم على كل حال وان كان مع الاعتراف بها فان كان لهم شوكة فهم على شرف القتال
لم يسلم لهم رءوسهم فكيف برءوس اموالهم والا فكذا عند ابن عباس رضي الله عنه فانه
يقول من عامل بالربا يستتاب والا ضرب عنقه ● واما عند غيره فهم محبوسون الى ان تظهر
توبتهم لا يمكنون من التصرفات اصلا فما لم يتوبوا لم يسلم اليهم شيء من اموالهم بل انما يسلم
بموتهم لورثتهم وان كان ذو عسرة اي وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة على ان كان تامة
وقرئ ذا عسرة على انها ناقصة فنظرة اي فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة
وهي الانظار والامهال ● وقرئ فناظره اي فالمستحق ناظره اي منتظره او فصاحب نظرته
على طريق النسب ● وقرئ فناظره امرا من المفاعلة اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة اي الى
يسار وقرئ بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة ● وقرئ بهما مضافين بحذف التاء
عند الاضافة ● كما في قوله ● واخلفوك عد الامر الذي وعدوا ●
وان تصدقوا بحذف احدى التائين وقرئ بتشديد الصاد اي ان الحطيط اخذوا البقي
والحروا وان تتصدقوا على معسري غرمائكم بالابراء خير لكم اي اكثر ثوابا من الانظار
او خير مما تاخذونه لمضاعفة ثوابه ودوامه فهو ندب الى ان تتصدقوا برءوس اموالكم كلها
او بعضها على غرمائكم المعسرين كقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى ● وقيل المراد
بالتصدق الانظار لقوله عليه الصلاة والسلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا
كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون جوابه محذوف اي ان كنتم تعلمون انه خير لكم
عملتم واتقوا يوما هو يوم القيامة وتنكيره للتفخيم والتهويل وتعليق الاتقاء به للمبالغة
في التحذير عما فيه من الشدائد والاهوال ترجعون فيه اي على البناء للمفعول من الرجع
وقرئ على البناء للفاعل من الرجوع والاول ادخل في التهويل ● وقرئ بالياء على طريقة الالتفات
وقرئ يردون وكذا يصيرون الى الله لمحاسبة اعمالكم ثم توفى كل نفس من النفوس والتعبير
للمبالغة في تهويل اليوم اي تعطى كملا ما كسبت اي جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون
حال من كل نفس يعني ان العاقبين وان كانت عقوباتهم مؤبدة غير مظلومين في ذلك لما انه
من قبل انفسهم وجمع الضمير لانه انسب بحال الجزاء كما ان الافراد اوفق بحال الكسب عن ابن عباس

رضي

رضي الله عنه انها اخر اية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في راس المائتين والثمانين
من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل
احدا وثمانين ● وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين
شروع في بيان حال المداينة الواقعة في تضاعيف المعاملات الجارية فيما بينهم
ببيع السلع بالنقود بعد بيان حال الربا اي اذا داين بعضكم بعضا وعامله نسيئة معطيا
او اخذا وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة والتنبيه على تنوعه
الى الحال والموجل فانه الباعث على الكتبة وتعيين المرجع للضمير المنصوب المتصل بالامر
الى اجل متعلق بتداينتم او بمحذوف وقع صفة لدين مسمى بالايام او الاشهر ونظائرهما
مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد والدياس ونحوهما مما لا يرفعها فاكتبوه اي الدين
باجله لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على استحبابه ● وعن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد
به السلم وقال لما حرم الله الربا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بيان لكيفية الكتابة
المامور بها وتعيين لمن يتولاها اثر الامر بها اجمالا وحذف المفعول اما لتعينه او للقصد
الى ايقاع نفس الفعل اي ليفعل الكتابة ● وقوله تعالى بينكم للايذان بان الكاتب ينبغي
ان يتوسط بين المتداينين ويكتب كلامهما ولا يكتفي بكلام احدهما ● وقوله تعالى بالعدل
متعلق بمحذوف هو صفة لكاتب اي كاتب كائن بالعدل اي وليكن المتصدي للكتابة
من شانه ان يكتب بالسوية من غير ميل الى احد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو امر
للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا ياب كاتب
اي ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كتاب الدين كما علمه الله على طريقة ما علمه من كتبة
الوثائق او كما بينه بقوله تعالى بالعدل او ولا ياب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله تعالى
بتعليم الكتابة كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر
بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا لها ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر على ان يكون النهي عن الامتناع
منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق الاملال هو الاملاء اي وليكن
المملي من عليه الحق لانه المشهود عليه فلا بد ان يكون هو المقر وليتق الله ربه جمع بين
الاسم الجليل والنعت الجميل للمبالغة في التحذير اي وليتق المملي دون الكاتب كما قيل
لقوله تعالى ولا يبخس منه اي من الحق الذي يمليه على الكاتب شيئا فانه الذي يتوقع منه
البخس خاصة ● واما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه النقص فلو اريد نهيه
لنهي عن كليهما وقد بولغ في ذلك حيث امر بالتقوى اثر ما استند في تكليف المملي حيث جمع
فيه بين الامر بالاتقاء والنهي عن البخس لما فيه من الدواعي الى المنهي عنه فان الانسان
مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف ما في ذمته بما امكن فان كان الذي عليه الحق صرح
بذلك في موضع الاضمار لزيادة الكشف والبيان لا لان الامر والنهي لغيره سفيها ناقص
العقل مبذرا مجازفا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع
للاملاء بنفسه لخرس او عي او جهل او غير ذلك من العوارض فليملل وليه اي الذي يلي امره
ويقوم مقامه من قيم او وكيل او مترجم بالعدل اي من غير نقص ولا زيادة لم يكلف بعين

ما كلف به من عليه الحق لانه يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه الجحد واستشهدوا شهيدين اي
اطلبوا ان يتحمل الشهادة على ما جرى بينكما من المداينة وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف
منزلة الكائن من رجالكم متعلق باستشهدوا ومن ابتدائية او بمحذوف وقع صفة لشهيدين
ومن تبعيضية اي شهيدين كائنين من رجال المسلمين الاحرار اذ الكلام في معاملاتهم
فان خطابات الشرع لا تنتظم العبيد بطريق العبارة كما بين في موضعه واما اذا كانت المداينة
بين الكفرة او كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد الكافر عندنا فان لم يكونا اي الشهيدان
جميعا على طريقة نفي الشمول لا شمول النفي رجلين اما لاعوازهما او بسبب آخر من الاسباب فرجل
وامرأتان اي فليشهد رجل وامرأتان وهذا عندنا فيما عدا الحدود والقصاص وعند الشافعي في
الاموال خاصة عند الشافعي رحمه الله ممن ترضون متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان
اي كائنون مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره في كل شهيد لقلة
اتصاف النساء به وقيل نعت لشهيدين اي كائنين ممن ترضون ورد بانه يلزم الفصل بينهما
بالاجنبي وقيل بدل من رجالكم بتكرير العامل ورد بانه يلزم الفصل وقيل متعلق بقوله
تعالى فاستشهدوا وفيه لزوم الفصل بين الشرط والجزاء وبين متعلقيه وقوله عز وجل من
الشهداء متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير الراجع الى الموصول اي ممن ترضونهم كائنين
من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم وتفكروا ادراج النساء في الشهداء بطريق التغليب
ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى تعليل لاعتبار العدد في النساء والعلة في الحقيقة
التذكير ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته كما في قولك اعددت السلاح ان يجيء
عدو فادفعه كأنه قيل لاجل ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت الشهادة بان نسيتها ولعل
ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان تضل احداهما فتذكرها الاخرى لتأكيد الابهام
والمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال باحديهما بعينها والتذكير بالاخرى وقرئ
فتذكر من الاذكار وقرئ فتذاكر وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع كقوله تعالى
ومن عاد فينتقم الله منه ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او لتحملها وتسميتهم شهداء
قبل التحمل لما مر من تنزيل المشارف منزلة الواقع وما مزيدة عن قتادة انه كان الرجل يطوف
في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد ولا تسأموا اي لا تملوا من كثرة مدايناتكم
ان تكتبوه اي الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى به عن الكسل الذي هو صفة المنافق كما
ورد في قوله تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا حال من الضمير اي حال كونه صغيرا او كبيرا اي قليلا او
كثيرا مجملا او مفصلا الى اجله متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء في تكتبوه اي مستقرا في
الذمة الى وقت الحلول الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ما امر به من الكتب
والخطاب للمؤمنين اقسط اي اعدل عند الله اي في حكمه تعالى واقوم للشهادة اي اثبت
لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام فانه قياسي عند سيبويه او من قاسط
بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى الا ترتابوا
واقرب الى انتفاء ريبكم في جنس الدين وقدره واجله وشهوده ونحو ذلك الا ان تكون

تجارة

تجارة حاضرة تديرونها بينكم استثناء منقطع من الامر بالكتابة اي لكن وقت كون تداينكم
او تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم بتعاطيهما يدا بيد فليس عليكم جناح الا تكتبوها
اي فلا بأس بان لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان وقرئ برفع تجارة على انها اسم
كان وحاضرة صفتها وتديرونها خبرها او على انها تامة واشهدوا اذا تبايعتم اي هذا التبايع
او مطلقا لانه احوط والاوامر الواردة في الآية الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب
ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد نهي عن المضارة محتمل للبناءين كما ينبئ عنه
قراءة من قرأ ولا يضارر بالكسر والفتح ومعناه على الاول نهيهما عن ترك الاجابة والتغيير والتحريف
في الكتبة والشهادة او نهي الطالب عن الضرار بهما بان يعجلهما عن مهمهما او يكلفهما
الخروج عما حد لهما ولا يعطي الكاتب جعله وقرئ بالرفع على انه نفي في معنى النهي وان
تفعلوا اي ما نهيتم عنه من الضرار فانه اي فعلكم ذلك فسوق بكم اي خروج عن الطاعة
ملتبس بكم واتقوا الله في مخالفة اوامره ونواهيه التي من جملتها نهيه عن المضارة ويعلمكم
الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم فلا يكاد يخفى عليه حالكم وهو
مجازيكم بذلك كرر لفظ الجلالة في الجمل الثلاث لادخال الروعة وتربية المهابة والتنبيه
على استقلال كل منها بمعنى على حاله فان الاول حث على التقوى والثانية وعد بالانعام
والثالثة تعظيم لشانه تعالى وان كنتم على سفر اي مسافرين او متوجهين اليه ولم
تجدوا كاتبا في المداينة وقرئ كتابا وكتابا وكتابا فرهان مقبوضة اي فالذي
يستوثق به او فعليكم او فليؤخذ او فالمشروع رهان مقبوضة وليس هذا التعليق
لاشتراط السفر في مشروعية الارتهان كما حسبه مجاهد والضحاك لانه صلى الله عليه وسلم
رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير واخذه لاهله بل لاقامة التوثق
بالارتهان مقام التوثق بالكتابة في السفر الذي هو مظنة اعوازها واما التعرض
لحال القبض لما انه في حكم الكتابة توثقا او اعوازا والجمهور على وجوب القبض
في تمام الرهن غير مالك وقرئ فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ
بسكون الهاء تخفيفا فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به واستغنى
بامانته عن الارتهان وقرئ فان اومن بعضكم اي آمنه الناس ووصفوه بالامانة
قيل فيكون انتصاب بعضا حينئذ على نزع الخافض اي على متاع بعض فليؤد الذي
اؤتمن وهو المديون وانما عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقا للاعلام وحمله على
الاداء امانته اي دينه وانما سمي امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذي
ايتمن بقلب الهمزة ياء وقرئ بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة من الهمزة لا تدغم
لانها في حكمها وليتق الله ربه في رعاية حقوق الامانة وفي الجمع بين عنوان الالوهية
وصفة الربوبية من التأكيد والتحذير ما لا يخفى ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المدينون
اي شهادتكم على انفسكم عند المعاملة ومن يكتمها فانه آثم قلبه آثم خبر ان وقلبه مرتفع
به على الفاعلية كانه قيل يأثم قلبه او مرتفع بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة
خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان من افعاله ونظيره نسبة الزنا الى العين

العين والاذن او بالقلب لانه رئيس الاعضا وافعاله اعظم الافعال كانه قيل فتمكن
الاثم في نفسه وملك اشرف مكان فيه وفاق سائر ذنوبه عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور
وكتمان الشهادة • وقرئ قلبه بالنصب كما في سفه نفسه • وقرئ
اثم قلبه اي جعله اثما والله بما تعملون عليم فيجازيكم به ان خيرا فخير وان شرا فشر
لله ما في السموات وما في الارض من الامور الداخلة في حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة
من اولي العلم وغيرهم اي كلها لله تعالى خلقا وملكا وتصرفا لا شركة لغيره في شي منها
بوجه من الوجوه وان تبدوا ما في انفسكم من السوء والعزم عليه بان تظهروه للناس بقولكم
او بفعلكم او تخفوه بان تكتموه منهم ولا تظهروه باحد الوجهين ولا يندرج فيه
ما لا يخلو عنه البشر من الوساوس واحاديث النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها
اذ التكليف بحسب الوسع يحاسبكم به الله يوم القيامة وهو حجة على منكري الحساب
من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاعتنا به • واما تقديم
الابدا على الاخفا على عكس ما في قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه
يعلمه الله فلما ان المعلق بما في انفسهم هنا هو المحاسبة والاصل فيها الاعمال البادية
واما العلم فتعلقه بها كتعلقه بالاعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه معلوماته متعال
من ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شي في نفسه من اي طور كان علم بالنسبة
اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشيا البارزة والكامنة خلا ان مرتبة
الاخفا متقدمة على مرتبة الابدا اذ ما من شي يبدى الا وهو او مباديه قبل ذلك
مضمر في النفس فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية
وقد مر في تفسير قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
فيغفر بالرفع على الاستئناف اي فهو يغفر بفضله لمن يشا ان يغفر له ويعذب بعدله
من يشا ان يعذبه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وتقديم المغفرة
على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه • وقرئ بجزم الفعلين عطفا على جواب الشرط • وقرئ
بالجزم من غير فاء على انه بدل من الجواب بدل البعض او الاشتمال ونظيره الجزم على البدلية
من الشرط في قوله •

• متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا •

وادغام الراء في اللام لحن والله على كل شي قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان كمال
قدرته تعالى على جميع الاشيا موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه
من المغفرة والتعذيب امن الرسول لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة ان ما انزل الى الرسول
صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الشان هدى للمتصفين بما فصل هناك من النعوت
الفاضلة التي من جملتها الايمان به وبما انزل قبله من الكتب الالهية وانهم حائزون
لاثرتي الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم ولا تصريح بتحقق اتصافهم بها اذ ليس
فيما يذكر في حيز الصلة حكم الفعل وعقب ذلك ببيان حال من كفر به من المجاهرين

والمنافقين

والمنافقين شرع في تفاصيلهما من فنون الشرائع والاحكام والمواعظ والحكم واخبار
سوالف الامم وغير ذلك مما يقتضي الحكمة شرحه عين في خاتمتها المتصفين بها وحكم
باتصافهم بها على طريق الشهادة لهم من جهته عز وجل بكمال الايمان وحسن الطاعة وذكره
صلى الله عليه وسلم بطريق الغيبة مع ذكره فيما سلف بطريق الخطاب لما ان حق الشهادة الباقية
على مر الدهور ان لا يخاطب بها المشهود له ولم يتعرض ههنا لبيان فوزهم بمطالبهم التي من
جملتها ما حكي عنهم من الدعوات الاتية ايذانا بانه امر متحقق غني عن التصريح به لا سيما
بعد ما نص عليه فيما سلف وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة المنبئة عن كونه عليه
السلام صاحب كتاب مجيد وشرع جديد تمهيد لما يعقبه من قوله تعالى بما انزل اليه
ومزيد توضيح لانه راجع الى الرسل المومن بهم عليهم السلام من الحق اي بما انزل اليه ما يعم
كله وكل جزء من اجزائه فيه تحقيق لحقية ايمانه صلى الله عليه وسلم وتعيين لعنوانه اي امن
عليه الصلاة والسلام بكل ما انزل اليه من ربه اما تفصيلا بجميع ما فيه من الشرائع
والاحكام والقصص والمواعظ واحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل
منه تعالى واما الايمان بحقية احكامه وصدق اخباره ونحو ذلك فمن فروع الايمان به
من الحيثية المذكورة وفي مثل هذا الاجمال المحلى عليه السلام اشعار بان تعلق ايمانه
بتفاصيل ما انزل اليه واحاطته بجميع ما انطوى عليه من الظهور بحيث لا حاجة الى
ذكره اصلا • وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
تشريف له وتنبيه على ان انزاله اليه تربية وتكميل له صلى الله عليه وسلم والمومنون
اي الفريق المعروف بهذا الاسم فاللام عهدية لا موصولة لافضائها الى خلو الكلام
عن الخبر وهي مرفوعة بقوله عز وجل كل مبتدأ ثان • وقوله تعالى امن خبره والجملة
خبر المبتدأ الاول والرابط بينهما الضمير الذي ناب عنه التنوين وتوحيد الضمير
في امن مع رجوعه الى كل المومنين لما ان المراد بيان ايمان كل فرد فرد منهم من غير اعتبار
الاجتماع كما اعتبر ذلك في قوله تعالى وكل اتوه داخرين وتغيير سبك النظم الكريم
عما قبله لتاكيد الاشعار بما بين ايمانه عليه السلام المبني على المشاهدة والعيان
وبين ايمانهم الناشي عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلي كانهما مختلفان من
كل وجه حتى في هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الاسناد لما في الحكم بايمان كل
واحد منهم امن بالله وحده من غير شريك له في الالوهية والمعبودية وملائكته اي من حيث
انهم عباد مكرمون له تعالى من شانهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقا
فان مدار الايمان بهم ليس خصوصيات ذواتهم في انفسهم بل هو اضافتهم اليه تعالى من الحيثية المذكورة
كما يلوح به الترتيب في النظم وكتبه ورسله اي من حيث مجيئها من عنده تعالى لارشاد الخلق
الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على الاطلاق بل على ان كل واحد من تلك
الكتب منزل منه تعالى على رسول معين من اولئك الرسل عليهم السلام حسبما فصل في قوله
تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم الاية ولا على ان مناط الايمان

خصوصية ذلك الكتاب او ذلك الرسول بل على ان الايمان بالكل مندرج في الايمان بالكتاب المنزل
الى الرسول صلى الله عليه وسلم ومستتبع له كما يلوح من الاية الكريمة فلا على ان احكام الكتب
السالفة وشرايعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبرة بالاضافة اليها بل على
ان احكام كل واحد منها كانت حقة ثابتة الى ورود كتاب اخر ناسخ له وان ما لم ينسخ
منها الى الان من الشرايع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب المصون عن
النسخ الى يوم القيامة واما الرسل كرهنا الايمان باليوم الاخر كما ذكر في قوله تعالى ولكن
البر من امن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين لاندراجه في الايمان
بكتبه • وقرئ كتابه على ان المراد به القران او جنس الكتاب كما في قوله تعالى فبعث الله
النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب • والفرق بينه وبين الجمع انه شايع في افراد
الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب ومعنى نوع تفصيل لما اجمل في قوله
عز وجل بما انزل اليه من ربه اقتصر عليه اي انا لكفايته في الايمان الاجمالي المتحقق في كل فرد
من افراد المومنين من غير نفي للزيادة ضرورة اختلاف طبقاتهم وتفاوت ايمانهم بالمراتب
المذكورة في مراتب التفصيل تفاوتا فاحشا فان الاجمال في الحكاية لا يوجب الاجمال في
المحكي كيف لا وقد اجمل في حكاية ايمانه عليه السلام بما انزل اليه من ربه مع بداهة كونه
متعلقا بتفاصيل ما فيه من الجلايل والدقايق تزان الامور المذكورة حيث كانت الامور الغيبية التي
لا يوقف عليها الا من جهة العليم الخبير كان الايمان بها مختصا بما ذكر في صدر السورة الكريمة من
الايمان بالغيب واما الايمان بكتبه تعالى فاشارة الى ما في قوله تعالى يومنون بما انزل اليك وما انزل من
قبلك [illegible] بان التعرض لذكر الحقيق بعد الاجمال • وقد جوز ان يكون قوله تعالى والمومنون
معطوفا على الرسول موقوف عليه والضمير الذي عوض عنه التنوين راجع الى المعطوفين معا كانه قيل
امن الرسول والمومنون بما انزل اليه من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسل والمومنين
امن بالله الخ خلا انه يلزم ان يد على المعطوف اعتنا بشانه وايذانا باصالته عليه السلام
في الايمان به ولا يخفى انه مع خلوه عما في الوجه الاول من كمال اجلال لشانه عليه الصلاة والسلام
وتفخيم ايمانه على جزالة النظم الكريم لانه حكم كل من الايمانين [illegible] يليق بشانه صلى الله عليه وسلم
من حيث الذات ومن حيث التعلق بالتفاصيل استحال اسنادهما الى غيره عليه السلام ومع
التكرار وان حمل على ما يليق بشان احد الامة كان ذلك اخطا لرتبته العلية عليه السلام واما
حملها على ما يليق بكل واحد من فئة من الاحاد ذاتا وتعلقا بالحال بالنسبة الى الرسول
صلى الله عليه وسلم على الايمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة الى احاد الامة على الايمان
المكتسب من جهته عليه السلام الاتحاد لهم في الاجمال والتفصيل فاعتساف [illegible]
تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله • وقوله تعالى **لا نفرق بين احد من رسله** في حيز النصب بقول مقدر
على صيغة الجمع رعاية لجانب المعنى منصوب على انه حال من ضمير امن او مرفوع على انه خبر اخر لكل اي
يقولون لا نفرق بينهم بان نومن ببعض منهم ونكفر باخرين بل نومن بصحة رسالة كل واحد
منهم وابه ايمانهم تعقيبا للحق وتخلية لاهل الكتابين حيث اجمعوا على الكفر بالرسول صلى الله عليه
وسلم واستقلت اليهود بالكفر بعيسى عليه السلام ايضا على ان مقصودهم الاخبار بان ايمانهم

٤٠

بالكفر واحد من رسالته صلى الله عليه وسلم لا اظهار [illegible] فيما امنوا به ومعنى [illegible]
في ان التفريق احاد المومنين خاصة اذ لا يمكن ان يسند اليه عليه السلام ان يقول لا
نفرق بين احد من رسله ومراده به اظهار ايمانه برسالة نفسه وتصديقه في دعواها
وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وانما لم يجمع تحقيق
الثلاثة من الطرفين لما ان الاصل في تفريق المفرقين هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على
كفرهم بهم • وقرئ بالياء على اسناد الفعل الى كل • وقرئ لا يفرقون حملا على المعنى كما في قوله تعالى
وكل اتوه داخرين وانما جملة نفيها حال من الضمير المذكور • وقد جرت ان لكل كما في قوله
[illegible] لما فيه من اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس اذ المراد شمول النفي لا نفي الشمول
في ضمن احد في حيز النفي [illegible] عليه [illegible] تفصيله عند قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله
وقيل من الله لا له صالحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا
من كان ما تعين في ان يقال لا نفرق بين رسله • وايثار اظهار الرسل على الاضمار الواقع مثله
في قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم اما للاحتراز عن توهم اندراج الملائكة في الحكم او للاشعار
بعلة عدم التفريق او للدلالة على عنوانه لان المعتبر عدم التفريق من حيث الرسالة دون
سائر الحيثيات الخاصة • **وقالوا** عطف على امن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى وهو حكاية
لامتثالهم بالاوامر اثر حكاية ايمانهم • **سمعنا** اي فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته **واطعنا** ما فيه
من الاوامر والنواهي وقيل سمعنا اجبنا دعوتك واطعنا امرك • **غفرانك ربنا** اي اغفر لنا
غفرانك او نسالك غفرانك ذنوبنا المتقدمة او ما لا يخلو عنه البشر من التقصير في
مراعاة حقوقك وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما ان تقديم الوسيلة على
المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول والتعرض لعنوان الربوبية من الاضافة اليهم للمبالغة
في التضرع والجؤار • **واليك المصير** اي الرجوع بالموت والبعث لا الى غيرك وهو تذييل لما
قبله مقرر للحاجة الى المغفرة لما ان الرجوع الى الحساب والجزاء • وقوله تعالى **لا يكلف
الله نفسا الا وسعها** جملة مستقلة جيء بها اثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة
اظهارا لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسن اثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال
كما سيجيء • وقد روي انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم
به الله الاية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جثوا على الركب
فقالوا يا رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والحج والجهاد وقد انزل الله
اليك هذه الاية ولا نطيقها • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا
كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا
واليك المصير فقراها القوم فانزل الله عز وجل امن الرسول بما انزل اليه من ربه
الى قوله غفرانك ربنا واليك المصير فتبعهم [illegible] الغفران الفايق مشيته عز وجل
في قوله فيغفر لمن يشاء انزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها تهوينا للخطب عليهم
ببيان ان المراد بما في انفسهم ما عزموا عليه من السيئات لا ما يعم الخواطر التي لا يستطاع
الاحتراز عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع الانسان ولا

يبتني عليه اي سنته تعالى لا يكلف نفسا من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليه
دون مدى الطاقة والمجهود فضلا منه تعالى ورحمة لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله
بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وهي وجها بالنجح ومعنا ابدل على عدم وقوع التكليف
بالمحال على امتناعه وقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت للترغيب في المحافظة على مواجب
التكليف والتحذير عن الاخلال بها ببيان ان تكليف كل نفس مع مقارنته لنعمة التخفيف
والتيسير يتضمن مراعاة منفعتها وانها تعود اليها لا الى غيرها ويستتبع الاخلال به
مضرة تحيق بها لا الى غيرها فان اختصاص منفعة الفعل بفاعله من اقوى الدواعي
الى تحصيله واقتصار مضرته عليه من اشد الزواجر عن مباشرته اي لها ثواب ما كسبت من الخير
الذي كلفت فعله لا لغيرها استقلالا او اشتراكا ضرورة شمولها لكل جزء من اجزائها وعليها
لا على غيرها باحد الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر الذي كلفت تركه وايراد
الاكتساب في جانب الشر لما فيه من اعتمال ناشئ من اعتناء النفس بتحصيل الشر وسعيها في طلبه
ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا شروع في حكاية بقية دعواتهم اثر بيان سر التكليف
اي لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الامور المؤدية الى النسيان او الخطأ من تفريط وقلة مبالاة
ونحوهما مما يدخل تحت التكليف او بانفسهما من حيث ترتبهما على ما ذكر او مطلقا اذ لا امتناع
في المؤاخذة بهما عقلا فان المعاصي كالسموم فكما ان تناولها ولو سهوا او خطأ مؤد الى
الهلاك فتعاطي المعاصي ايضا لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عن عزيمة ووعده
تعالى بعدمه لا يوجب استحالته وتوعده فان ذلك من آثار فضله ورحمته كما ينبئ عنه لفظ
الرفع في قوله عليه الصلاة والسلام رفع عن امتي الخطأ والنسيان وقد
روي ان اليهود كانوا اذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة ... بعد العلم بتحقق الموعود
للاستدامة والاعتداد بالنعمة في ذلك كما في قوله تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا
على رسلك ربنا ولا تحمل علينا اصرا عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لاظهار مزيد
الضراعة والاصر العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه مكانه والمراد به التكاليف
الشاقة وقيل الاصر الذنب الذي لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ آصارا
وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا في حيز النصب على انه
صفة لمصدر محذوف اي حملا مثل حملك اياه على من قبلنا او على انه صفة لاصرا اي اصرا
مثل الاصر الذي حملته على من قبلنا وهو ما كلفه بنو اسرائيل من بخع النفس في التوبة
وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في يوم وليلة وصرف ربع المال للزكاة وغير ذلك
من التشديدات فانهم كانوا اذا اتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام بعض ما كان حلالا
لهم قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقد عصم الله تعالى
بفضله ورحمته هذه الامة عن امثال ذلك وانزل في شأنهم ويضع عنهم اصرهم والاغلال
التي كانت عليهم وقال عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وعن
العقوبات التي عوقب بها الاولون من المسخ والخسف وغير ذلك قال عليه الصلاة والسلام
رفع عن امتي الخسف والمسخ والغرق ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به عطف على ما قبله واستعفاء

عن العقوبات التي لا تطاق بعد الاستعفاء عما يؤدي اليها من التفريط في التكاليف الشاقة
التي لا تكاد تخلو عن التفريط فيها كأنه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا
بتفريطنا في المحافظة عليها فيكون التعبير عن انزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدي
اليها وقيل هو تكرير للاول وتصوير للاصر بصورة ما لا يستطاع مبالغة وقيل هو
استعفاء عن التكاليف بما لا تفي به الطاقة البشرية حقيقة فيكون دليلا على جوازه عقلا
والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا
اي امح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤوس الاشهاد وارحمنا وتعطف
بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما ان التخلية سابقة
على التحلية انت مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا على القوم
الكافرين فان من حق المولى ان ينصر عبده ومن يتولى امره على الاعداء او المراد عامة الكفرة
وفيه اشارة الى ان اعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله تعالى حسبما امرتنا به في تضاعيف السورة الكريمة
غاية مطالبهم روي انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة
فعلت وعنه عليه الصلاة والسلام انزل الله تعالى آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن
بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه
عليه الصلاة والسلام من قرأ الآيتين من سورة البقرة كفتاه وهو حجة على من انكره ان يقول
سورة البقرة وقال ينبغي ان يقول السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه الصلاة
والسلام البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها
البطلة قيل وما البطلة قال عليه السلام السحرة والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة آل عمران مائتان وسبع آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو

قد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة كصاد وقاف ونون ولا موازنة لمفرد كحاميم
وطاسين وياسين الموازنة لقابيل وكطاسين ميم الموازنة لدار ابجرد حسبما ذكره سيبويه
في الكتاب فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسما او مسرودة
على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لما انه مغتفر في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة
ان يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها كما فعله ابو بكر رواية عن عاصم واما ما فيها من الفتح
على القراءة المشهورة فانما هي حركة همزة الجلالة القيت على الميم لتدل على ثبوتها اذ ليس اسقاطها
للدرج بل للتخفيف فهي مبقاة حكما كما في حكم الثابت المبتدأ به والميم تكون لعروضها
في حكم الوقف على السكون دون الحركة كما توهم واعترض بانه غير معهود في الكلام وقيل
هي حركة لالتقاء الساكنين التي هي الياء والميم ولام الجلالة بعد سقوط همزتها وانت خبير
بان سقوطها مبني على وصلها بالدرج وقد عرفت ان سكون الميم وقفي موجب لانقطاعها
عما بعدها مستدع لاثبات الهمزة على حالها كما في الحروف فلا المبنية على السكون فان حقها
الاتصال بما بعدها وصلا واسقطوا الا فيسقط بها همزة الوصل ويجري اعجازها لالتقاء الساكنين

ثم الحجة مسرودة على نمط التعديد بلا محل لها من الاعراب كسائر الفواتح وان جعلت
اسما للسورة فمحلها اما الرفع فعلى انها خبر مبتدأ محذوف واما النصب على اضمار فعل يليق بالمقام
كاذكر او اقرأ ونحوهما واما الرفع بالابتداء او النصب بتقدير فعل القسم او الجر بتقدير
حرف القسم فلا مساغ لشيء منها لما ان ما بعدها غير صالح للخبرية ولا للاقسام عليه فان الاسم الجليل
مبتدأ وما بعده خبره والجملة مستأنفة اي هو المستحق للعبودية لا غير ۞ وقوله عز وجل
الحي القيوم خبر آخر له او لمبتدأ محذوف اي هو الحي القيوم لا غير وقيل هو صفة للمبتدأ او بدل
منه او من الخبر الاول او هو الخبر وما قبله اعتراض بين المبتدأ والخبر مقرر لما يفيده الاسم
الجليل او حال منه ۞ وايا ما كان فهو كالدليل على استحقاق اختصاص العبودية به سبحانه
وتعالى لما مر من ان معنى الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء ومعنى القيوم الدائم
القيام بتدبير الخلق وحفظه ومن ضرورة اختصاص هذين الوصفين به تعالى اختصاص
استحقاق المعبودية به تعالى لاستحالة تحققه بدونهما ۞ وقد روي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان اسم الله الاعظم في ثلاث سور في سورة البقرة الله لا اله الا هو الحي
القيوم وفي سورة آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي سورة طه وعنت الوجوه للحي
القيوم وروي ان عيسى عليه السلام كان اذا اراد ان يحيي الموتى يدعو بيا حي يا قيوم
ويقال ان آصف بن برخيا حين اتى بعرش بلقيس دعا بذلك ۞ وقرئ الحي القيام وبعد ما روي
من ان عيسى عليه السلام كان ربا فانه روي ان وفد نجران قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم ثلاثة منهم اكابر
اليهم يؤول امرهم اميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم
ومشيرهم السيد واسمه الايهم وثالثهم حبرهم واسقفهم وصاحب مدراسهم ابو حارثة
ابن علقمة احد بني بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم شرفوه وموّلوه واكرموه لما شاع من
علمه واجتهاده في دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة
بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعسا
للابعد يريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابو حارثة بل تعست امك فقال كرز ولم
يا اخي قال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك منه وانت تعلم هذا قال لان
هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنا به لاخذوا منا كلها فوقع ذلك في قلب
كرز واضمره الى ان اسلم فكان يحدث بذلك فاتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عليهم ثياب الحبرات جبب واردية فاخر يقول بعض
من رآهم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا
يصلون في المسجد فقال عليه الصلاة والسلام دعوهم فصلوا الى المشرق فتكلم اولئك
الثلاثة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تارة عيسى هو الله لانه كان يحيي الموتى ويبرئ
الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير وتارة اخرى هو
ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلاثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو
كان واحدا لقال فعلت وقلت ۞ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا

اسلمنا قبلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم يمنعكم من الاسلام دعاؤكم لله تعالى ولدا
قالوا ان لم يكن ولد الله فمن ابوه فقال عليه الصلاة والسلام الستم تعلمون انه لا يكون
ولد الا ويشبه اباه فقالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى ياتي عليه الفناء قالوا
بلى قال عليه الصلاة والسلام الستم تعلمون ان ربنا قيوم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا
بلى قال عليه السلام فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا فقال عليه السلام الستم تعلمون ان
الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال عليه الصلاة والسلام فهل يعلم عيسى من
ذلك الا ما علم قالوا لا قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وان
ربنا لا ياكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان عيسى حملته امه
كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب
الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال عليه الصلاة والسلام فكيف يكون هذا كما زعمتم
فسكتوا الا انهم ابوا الا الجحود فانزل الله عز وجل من اول السورة الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليه
الصلاة والسلام عليهم واجاب به عن شبههم وتحقيقا للحق الذي فيه يمترون نزل عليك الكتاب اي القرآن
عبر عنه باسم الجنس ايذانا بكمال تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كانه هو الحقيق
بان يطلق عليه اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به التصريح باسمي التوراة والانجيل وصيغة
التفعيل للدلالة على التنجيم وتقديم الظرف على المفعول لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى
المؤخر والجملة اما مستأنفة او خبر آخر من الاسم الجليل او هي الخبر ۞ وقوله تعالى لا اله الا
هو الحي القيوم اعتراض او حال ۞ وقوله عز وجل الحي القيوم صفة او بدل كما مر ۞ وقرئ
نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب فالظاهر حينئذ ان تكون مستأنفة وقيل
يجوز كونها خبرا بحذف العائد اي نزل الكتاب من عنده بالحق حال من الفاعل او المفعول
اي نزل محقا في تنزيله او ملتبسا بالعدل في احكامه او بالصدق في اخباره
التي من جملتها خبر التوحيد وما يليه وفي وعده ووعيده او بالحق الذي من عند الله تعالى
من الحجج البينة ومصدقا حال من الكتاب بالاتفاق على تقدير كون قوله تعالى من فاعل نزل
واما على تقدير حاليته من الكتاب فهو عند من يجوز تعدد الحال بلا عطف وبدلية ثانية حال
منه بعد حال واما عند من لم يجوزه فقيل انه حال من محل الحال الاولى على البدلية وقيل
من المستكن في الجار والمجرور لانه حينئذ يتحمل ضميرا لنيابته مناب عامله المتحمل له فيكون
حالا متداخلة وعلى كل حال فهي حال مؤكدة وفائدتها حث اهل الكتاب
على الايمان بالمنزل وتنبيههم على وجوبه فان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه
حتما لما بين يديه مفعول لمصدقا واللام دعامة لتقوية العامل كقوله تعالى فعال لما يريد اي مصدقا
لما قبله من الكتب السالفة وفيه ايماء الى حضورها وكمال ظهورها كانها بين يدي الناس
اياها في الدعوة الى الايمان والتوحيد وتنزيه الله عز وجل عما لا يليق بشأنه الجليل والامر
بالعدل والاحسان وكذا في انباء الانبياء والامم الخالية وكذا في نزوله على النعت
الذي كونها ولما في الشرائع التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار ظاهر لا ريب فيه
واما في الشرائع المختلفة باختلافها فمن حيث ان احكام كل واحد منها واردة حسبما

شديد الحكمة التشريعية بالنسبة إلى خصوصيات الأمم المكلفة بها مشتملة على المصالح اللائقة
بشأنهم وأنزل التوراة والإنجيل تعيين لما بين يديه وتبيين لرفعة محله تأكيدا لما قبله وتمهيد
لما بعده إذ بذلك يترقى شأن ما يصدقه ويرفعه ويزداد في القلوب قبولا ومهابة
ويتفاحش حال من كفر بهما في الشناعة واستتباع ما سيذكر من العذاب الشديد والانتقام
أي أنزلهما جملة على موسى وعيسى عليهما السلام وإنما لم يذكر لأن الكلام في الكتابين لا فيمن أنزلا
عليه وهما اسمان أعجميان الأول عبراني والثاني سرياني وتعضده القراءة بفتح همزة الإنجيل
فإن أفعيل ليس من أبنية العرب والتصدي لاشتقاقهما من الوري والنجل تعسف من قبل
متعلق بأنزل أي أنزلهما من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور الأمر للمبالغة في البيان
هدى للناس في حيز النصب على أنه علة للإنزال أي أنزلهما لهداية الناس أو على أنه حال منهما
أي أنزلهما حال كونهما هاديين لهم والإفراد لما أنه مصدر جعل نفس الهدى مبالغة أو حذف منه
المضاف أي ذوي هدى ... إنهما بجمع ما فيهما من حيث هو جميع والمراد بالناس
الأمم الماضية من حين نزولهما إلى زمن نسخهما وإن أريد بهداهما على الإطلاق فهو الأعم
فالمراد بالناس على عمومه لما أن هدايتهما بما عدا الشرائع المنسوخة من الأمور التي يصدقها
القرآن فيها ومن جملته البشارة بنزوله وبمبعث النبي صلى الله عليه وسلم تعم الناس قاطبة
وأنزل الفرقان الفرقان في الأصل مصدر كالغفران أطلق على الفاعل مبالغة والمراد به
هاهنا إما جنس الكتب الإلهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر منها وما لم يذكر على طريق
التتميم بالتعميم إثر تخصيص بعض مشاهيرها بالذكر كما في قوله عز وجل فأنبتنا فيها حبا وعنبا
إلى قوله وفاكهة وأبا وإما نفس الكتب المذكورة أعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر
فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الإنزال تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير
الذاتي كما في قوله سبحانه فلما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم
من عذاب غليظ وإما الزبور فإنه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية
إلى الخير والرشاد الزاجرة عن الشر والفساد وتقديم الإنجيل عليه مع تأخره عنه
زمانا لقوة مناسبته للتوراة في الاشتمال على الأحكام والشرائع وشيوع اقترانهما في
الذكر وإما القرآن نفسه ذكر عقيب بنعت مادح له بعد ما ذكر باسم الجنس تعظيما
لشأنه ورفعا لمكانه وذلك بأن أريد بالتنزيل التدريجي إلى الأرض وثانيا الإنزال الدفعي
إلى السماء الدنيا أو أريد بالإنزال القدر المشترك العاري عن قيد التدريج وعدمه
وإما المعجزات المقرونة بإنزال الكتب المذكورة الفارقة بين المحق والمبطل
إن الذين كفروا بآيات الله وضع موضع الضمير العائد إلى ما فصل من الكتب المنزلة أو
منها ومن المعجزات الآيات مضافة إلى الاسم الجليل تعيينا لحيثية كفرهم وتهويلا
لأمرهم وتأكيدا لاستحقاقهم العذاب الشديد والإيذان بأن ذلك الاستحقاق لا
يشترط فيه الكفر بالكل إذ يكفي فيه الكفر ببعض منه والمراد بالموصول إما أهل الكتاب
وهو الأنسب بمقام المحاجة معهم أو جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا أوليا
أي إن الذين كفروا بما ذكر من آيات الله الناطقة بالحق لا سيما بتوحيده تعالى وتنزيهه

عما

عما لا يليق بشأنه الجليل كلا أو بعضا مع انتفاء المعوقات الموجبة للإيمان بها بأن كذبوا
بالقرآن أصالة وبسائر الكتب الإلهية تبعا لما أن التكذيب بالمصدق موجب للتكذيب
بما يصدقه حتما أو أصالة أيضا بأن كذبوا بآياتها الناطقة بالتوحيد والتنزيه وآياتها
المبشرة بنزول القرآن ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها لهم بسبب كفرهم
بها عذاب مرتفع إما على الفاعلية من الجار والمجرور أو على الابتداء والجملة خبر إن والتنوين
للتفخيم أي عذاب شديد لا يقادر قدره وهو وعيد جيء به إثر تقرير أمر التوحيد الذي
والوصفي والإشارة إلى ما ينطق بذلك من الكتب الإلهية حملا على القبول والإذعان
وزجرا عن الكفر والعصيان والله عزيز لا يغالب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ذو
انتقام عظيم خارج عن أفراد جنسه وهو افتعال من النقمة وهي السطوة والتسلط
يقال انتقم منه إذا عاقبه بجنايته والجملة اعتراض تذييلي مقرر للوعيد ومؤكد
له إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء استئناف سيق لبيان سعة علمه
تعالى وإحاطته بجميع ما في العالم من الأشياء التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق
سرا وجهرا إثر بيان كمال قدرته وعزته ترتيبا لما قبله من الوعيد وتنبيها على أن الوقوف
على بعض المغيبات كما كان في عيسى عليه السلام بمعزل من بلوغ رتبة الصفات الإلهية وإنما
عبر عن علمه عز وجل بما ذكر من عدم خفائه كما في قوله تعالى وما يخفى على الله من شيء في الأرض
ولا في السماء إيذانا بأن علمه تعالى بمعلوماته وإن كانت في أقصى الغايات الخفية ليس
من شأنه أن يكون على وجه يمكن أن يقارنه شائبة خفاء بوجه من الوجوه كما في علوم المخلوقين
بل هو في غاية الوضوح والجلاء والجملة المنفية خبر لأن وتكرير الإسناد لتقوية الحكم
وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه في سياق
النفي أي لا يخفى عليه شيء ما كائن في الأرض ولا في السماء أعم من أن يكون ذلك بطريق الاستقرار
فيهما أو الجزئية منهما أو متعلقة بيخفى والاقتصار عليهما مع كل العالم لأنهما قطراه وتقديم
الأرض على السماء لإظهار الاعتناء بشأن أحوال أهلها وتوسيط حرف النفي بينهما
للدلالة على الترقي من الأدنى إلى الأعلى باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت
بالنسبة إلى علومنا وقوله عز وجل هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء جملة مستأنفة ناطقة
ببعض أحكام قيوميته تعالى وإجرائه أحوال الخلق في أطوار الوجود حسب مشيئته المبنية
على الحكم البالغة مقررة لكمال علمه مع زيادة بيان لتعلقه بالأشياء قبل دخولها تحت
الوجود وتفرع علمه تعالى بالصور المختلفة المرتبة على التصوير المترتب على المشيئة تبعا
لمختلفها من أنه وكلمة في متعلقة بيصور ذكرا أو بمحذوف وقع حالا من ضمير المفعول أي يصوركم
وأنتم في الأرحام نطفا وكيف معمول ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية إما من فاعل
يصور أي يصوركم كائنا على مشيئته تعالى مريدا أو من مفعوله أي يصوركم كائنين على مشيئته
تعالى تابعين لها في قبول الأحوال المتغايرة من كونكم نطفا ثم علقا ثم مضغا مخلقة وغير
مخلقة وفي الاتصاف بالصفات المختلفة من الذكورة والأنوثة والحسن والقبح وغيرها
من الصفات وفيه من الدلالة على بطلان زعم من زعم ربوبية عيسى عليه السلام

ومن جملة ابنا النواسيه المتقلبين في تلك الاطوار على مشيئة البارى عز وعلا وكالا ركاكة
عن الهيا لا يخفى * وقرى يصوركم على صيغة الماضى من التفعل اى صوركم لنفسه وعبادته
لا اله الا هو اذ لا يتصف بشى مما ذكر من الشؤون العظيمة الخاصة بالالوهية احد سواه
العزيز الحكيم المتناهى في القدرة والحكمة ولذلك يخلقكم على ما ذكر من النمط
البديع **هو الذى انزل عليك الكتاب** شروع في ابطال شبههم الناشية عما نطق به القرآن في نعت
عيسى عليه السلام بطريق الاستيناف اثر بيان اختصاص الربوبية ومناطها به سبحانه
وتعالى تارة بعد اخرى وكون كل من عداه مقهورا تحت ملكوته تابعا لمشيته
قيل ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تزعم يا محمد ان عيسى كلمة الله
وروح منه قال عليه السلام بلى قالوا فحسبنا ذلك فنعى عليهم زيغهم وفتنتهم وبين ان
الكتاب مؤسس على اصول رصينة وفروع مبنية عليها ناطقة بالحق قاضية ببطلان
ما هم عليه من الضلال والمراد بالانزال ما ثبت للعدد المشترك المجرد عن الدلالة على قيد التدريج
وعدمه ولام الكتاب للعهد وتقديم الظرف عليه لما اشير اليه فيما قبل من الاعتنا
ببيان شارة عليه السلام بتشريف الانزال عليه ومن التشويق الى ما انزل فان
النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار برفعة شانه او منفعته تبقى مترقبة
له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن ولتفصيل به تفصيله الى قسميه **منه آيات**
الظرف خبر وآيات مبتدا او بالعكس وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ومن الناس من يقول الاية
والاول اوفق بقواعد الصناعة والثاني ادخل في جزالة المعنى اذ المقصود الاصلي انقسام
الكتاب الى القسمين المعهودين لا كونهما من الكتاب فتذكر والجملة مستانفة او في حيز النصب
على الحالية من الكتاب اي هو الذي انزل الكتاب كاينا على هذه الحالة اي منقسما الى محكم
ومتشابه او الظرف وحده حال وآيات مرتفع به على الفاعلية **محكمات** صفة
آيات اي قطعية الدلالة على المعنى المراد محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال والاشتباه
هن ام الكتاب اي اصل فيه وعمدة يرد اليها غيرها فالمراد بالكتاب كله والاضافة
بمعنى في كما في واحد العشرة لا بمعنى اللام فان ذلك يؤدى الى كون الكتاب عبارة عما عدا المحكمات
والجملة اما صفة لما قبلها او مستانفة وانما افرد الام مع تعدد الآيات لما ان المراد
بيان اصلية كل واحدة منها او بيان ان الكل بمنزلة آية واحدة كما في قوله تعالى
وجعلناها وابنها آية للعالمين * وقيل اكتفى بالمفرد عن الجمع كما في قول الشاعر
* بها جيف الحسرى فاما عظامها * فبيض واما جلدها فصليب *
اى واما جلودها **واخر** نعت لمحذوف معطوف على آيات اي وآيات اخر وهي جمع اخرى
وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر او عن آخر من **متشابهات** صفة لاخر وفي الحقيقة
صفة للمحذوف اي محتملات لمعان متشابهة لا يمتاز بعضها من بعض في استحقاق الارادة
بها ولا يتضح الامر الا بالنظر الدقيق والتامل الانيق فالتشابه في الحقيقة وصف لتلك
المعاني وصف به الآيات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول * وقيل لما كان من شان
الامور المتشابهة ان يعجز العقل عن التمييز بينها سمي كل ما لا يهتدي اليه العقل متشابها وان

لم

لم يكن ذلك بسبب التشابه كما ان المشكل في الاصل ما دخل في اشكاله وامثاله ولم يعلم
بعينه ثم اطلق على كل غامض وان لم يكن غموضه من تلك الجهة وانما جعل كذلك ليظهر
فضل العلماء ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبرها وتحصيل العلوم التي نيط بها استنباط
ما اريد بها من الاحكام الحقة فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج مقاصدها الرايقة
ومعانيها اللايقة المدارج العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين المحكمات من رتبة اليقين
والاطمينان الى المعارج القاصية * واما قوله عز وجل الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت
من اعتوار الخلل او من النسخ او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على حقيتها وجعلت حكيمة لانطوائها
على جلائل الحكم البالغة ودقائقها * وقوله تعالى كتابا متشابها معناه متشابه الاجزاء اي
يشبه بعضها بعضا في صحة المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول **فاما الذين في قلوبهم زيغ**
اي ميل عن الحق الى الاهوا الباطلة * قال الراغب الزيغ الميل عن الاستقامة الى احد
الجانبين وفي جعل قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد واصرارهم على
الشر والفساد **فيتبعون ما تشابه منه** معرضين عن المحكمات اي يتعلقون بظاهر المتشابه من
الكتاب او بتاويل باطل لا تحريا للحق بعد الايمان بكونه من عند الله تعالى بل **ابتغاء
الفتنة** اي طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه
كما نقل عن الواقدي **وابتغاء تاويله** اي وطلب ان يأولوه حسبما يشتهونه من التاويلات
الزايغة والحال انهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل **وما يعلم تاويله الا الله والراسخون
في العلم** فانه حال من ضمير يتبعون باعتبار العلة الاخيرة اي يتبعون المتشابه لابتغاء
تاويله والحال انه مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم اي
الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الاقدام وفي تعليق الاتباع بابتغاء
تاويله دون نفس تاويله وتجريد التاويل عن الوصف بالصحة او الحقية ايذان بانهم
ليسوا من التاويل في عير ولا نفير وان ما يبتغونه ليس بتاويل اصلا لا انه تاويل غير صحيح قد يعذر صاحبه
ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله عز وعلا بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت
قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل
على ما هو المراد به **يقولون آمنا به** اي بالمتشابه وعدم التعرض لايمانهم بالمحكم
لظهوره او بالكتاب والجملة على الاول استيناف موضح لحال الراسخين او حال منهم
وعلى الثاني خبر لقوله تعالى والراسخون وقوله تعالى **كل من عند ربنا** من تمام المقول
مقرر لما قبله ومؤكد له اي كل واحد منه ومن المحكم او كل واحد من متشابهه ومحكمه
منزل من عنده تعالى لا مخالفة بينهما او المتشابه وحقيته على مراده تعالى **وما يذكر
الا اولوا الالباب** اي العقول الخالصة عن الركون الى الاهوا الزايغة وهو تذييل سيق
من جهته تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما به استعدوا
للاهتدا الى تاويله من تجرد العقل عن غواشي الحس وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من
حيث انها جواب عما تشبث به النصارى من نحو قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه
في وجه الاجابة وسيجيء الجواب المحقق بقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من

ثواب من اتى الله ذكر فيكون ربنا لا تزغ قلوبنا من تمام مقالة الراسخين اي لا تزغ قلوبنا عن نهج
الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال صلى الله عليه وسلم قلب ابن ادم بين اصبعين
من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل معناه لا تبلنا ببلايا تزيغ
فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا اي الى الحق والتاويل الصحيح او الى الايمان بالقسمين وبعد نصب بلا تزغ
على الظرف واذ في محل الجر باضافته اليه خارج من الظرفية اي بعد وقت هدايتك ايانا
وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك كلا الجارين متعلق بهب وتقديم الاول لكونه مرادا
ويجوز تعلق الثاني بمحذوف هو حال من المفعول اي كائنة من لدنك ومن لابتداء الغاية
المجازية ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول الغاية زمانا او مكانا او غيرهما من الذوات
نحو من لدن زيد وليست مرادفة لعند اذ قد تكون فضلة وكذا الذي وبعضهم
يخصها بظرف المكان والزمان وتضاف الى صريح الزمان كما في قوله •
• تنتفض الرعدة في ظهيري • من لدن الظهر الى العصيري •
ولا تنقطع عن الاضافة بحال واكثر ما تضاف الى المفردات وقد تضاف الى ان وصلتها
كما في قوله • وليت فلم تقطع لدن ان وليتنا • قرابة ذي رحم ولا حق مسلم •
اي من لدن ولايتك ايانا وقد تضاف الى الجملة الاسمية كما في قوله •
• وتذكر نعماه لدن انت يافع • والى الجملة الفعلية ايضا كما في قوله •
• لزمنا لدن سالتمونا وفاقكم • فلا يك منكم للخلاف جنوح •
وقد اجتمعتا في البيتين الاخيرين رحمة واسعة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك
او توفيقا للثبات على الحق وتاخير المفعول الصريح عن الجارين لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن لديها
عند الاستشعار بكونه من المنافع بالتقديم فاذا اوردها يتمكن عندها فضل تمكن
انك انت الوهاب تعليل للسؤال او لاعطاء المسؤول وانت اما مبتدا او تاكيد
او فصل لاسم ان واطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على ان الهدى
والضلال من الله تعالى وانه متفضل بما ينعم به على عباده من غير ان يجب عليه شيء ربنا انك
جامع الناس ليوم اي لحساب يوم او لجزاء يوم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
تهويلا له وتفظيعا لما يقع فيه لا ريب فيه اي في وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر والحساب
والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم الى الرحمة وانها المقصود الاسنى عندهم
والتاكيد لاظهار كمال ما هم عليه من كمال الطمانينة واليقين باحوال الاخرة ان الله
لا يخلف الميعاد تعليل لمضمون الجملة المؤكدة او لانتفاء الريب والتاكيد لما مر والاظهار
في موقع الاضمار لابراز كمال التعظيم والاجلال الناشئ من ذكر اليوم المهيب
الهائل بخلاف ما في اخر السورة الكريمة فانه مقام طلب الانعام كما سياتي وللاشعار
بعلة الحكم فان الالوهية منافية للاخلاف وقد جوز ان تكون الجملة مسوقة
من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين والميعاد مصدر كالميقات واستدل به الوعيدية
واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو بدلائل منفصلة كما هو مشروط

بعدم

بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا اثر ما بين الدين الحق والتوحيد وذكر احوال
الكتب الناطقة به وشرح شان القران العظيم وكيفية ايمان العلماء الراسخين به
شرع في بيان حال من كفر به والمراد بالموصول جنس الكفرة الشامل لجميع الاصناف
وقيل وفد نجران او اليهود من قريظة والنضير او مشركوا العرب لن تغني عنهم اي لن تدفع عنهم
وقرئ بالتذكير وبسكون الياء في استثقال الحركة على حروف اللين اموالهم التي
يبذلونها في جلب المنافع ودفع المضار ولا اولادهم الذين بهم يتناصرون في الامور
المهمة وعليهم يعولون في الخطوب الملمة وتاخير الاولاد عن الاموال مع توسيط حرف
النفي بينهما اما لعراقة الاولاد في كشف الكروب او لان الاموال اول عدة يفزع اليها
عند نزول الخطوب من الله من عذابه تعالى شيئا اي شيئا من الاغناء وقيل كلمة من
بمعنى البدل والمعنى بدل رحمة الله او بدل طاعته كما في قوله تعالى ان الظن لا يغني من الحق
شيئا اي بدل الحق ومنه قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده بدلك
اي بدل رحمتك كما في قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا
زلفى وانت خبير بان احتمال سد اموالهم واولادهم مسد رحمة الله تعالى او طاعته
مما لا يخطر ببال احد حتى يتصدى لنفيه والاول هو الاليق بتفظيع حال الكفرة وتهويل
امرهم الاول انسب لما يعقبه من قوله تعالى واولئك هم وقود النار ومن قوله تعالى فاخذهم
الله واولئك المتصفون بالكفر حطب النار وحصبها الذي تسعر به فان اريد بيان حالهم
عند التسعير فايثار الجملة الاسمية للدلالة على تحقق الامر وتقرره والاخبار بكونهم
بالحقيقة حالهم ذلك وان اريد انهم الان كذلك فالمعنى بمنزلة المعدوم فهو كما لو نظروا الى الدنيا وقود
النار باعتبار ما يؤول اليه وفيه من الدلالة على كمال ملابستهم بالنار ما لا يخفى وهم يحتمل الابتداء
وان يكون ضمير الفصل والجملة اما مستانفة مقررة لعدم الاغناء او معطوفة على
خبر ان واياما كان ففيها تعيين للعذاب الذي بين ان اموالهم واولادهم لا تغني
عنهم منه شيئا • وقرئ وقود النار بضم الواو وهو مصدر اي اهل وقودها كداب
ال فرعون الداب مصدر داب في العمل اذا كدح فيه وتعب غلب استعماله في معنى
الشان والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف وقيل جواز
النصب بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم النار
كما توقد بهم • وانت خبير بان المذكور في تفسير الداب انما هو التكذيب والاخذ
من غير تعرض لعدم الاغناء لا سيما على تقدير كون من بمعنى البدل كما هو راي الجمهور ولا لايقاد
النار فحمله على التعليل وهو خلاف الظاهر على انه يلزم الفصل بين العامل والمعمول
بالاجنبي على تقدير النصب بلن تغني وهو قوله تعالى واولئك هم وقود النار الا
ان يجعل استئنافا لا معطوفا على خبر ان فالوجه هو الرفع على الخبرية اي داب هؤلاء في
الكفر وعدم النجاة من اخذ الله تعالى وعذابه كداب ال فرعون والذين من قبلهم
اي من قبل ال فرعون من الامم الكافرة فالموصول في محل الجر عطفا على ما قبله وقوله
تعالى كذبوا باياتنا بيان وتفسير لدابهم الذي فعلوا على طريقة الاستئناف المبني

على السنن الذي كانوا عليه كيف كان ذلك بهم عقيب ما كذبوا بآياتنا ۞ وقوله تعالى فأخذهم الله
تفسير لذلك الابهام الذي فعل بهم اي فأخذهم وعاقبهم ولم يجدوا من بأس الله تعالى محيصا فدأب
هؤلاء الكفرة ايضا كدأبهم ۞ وقيل كذبوا الى آخره حال من آل فرعون والذين من قبلهم
على اضمار قد اي دأب هؤلاء كدأب اولئك وقد كذبوا الى آخره ۞ واما لو جعل خبرا عن الموصول
كما قيل فمما لا يساعده سبكه ونسق النظم الكريم والالتفات الى التكلم اولا للجري على سنن الكبرياء
والى الغيبة ثانيا باظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة بذنوبهم ان اريد
بها تكذيبهم بالآيات فالباء للسببية جيء بها تأكيدا لما يفيده الفاء من سببية ما قبلها
لما بعدها وان اريد بها سائر ذنوبهم فالباء للملابسة جيء بها للدلالة على ان لهم ذنوبا
اخرى اي فأخذهم متلبسين بذنوبهم غير تائبين عنها كما في قوله تعالى وتزهق انفسهم وهم
كافرون والذنب في الاصل التلو والتابع وسميت الجريمة ذنبا لانها تتلو اي يتبع عقابها
فاعلها والله شديد العقاب تذييل مقرر لمضمون ما قبلها من الاخذ وتكملة له قل للذين
كفروا المراد بهم اليهود لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان يهود المدينة لما شاهدوا
غلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين يوم بدر قالوا والله انه النبي الامي الذي
بشرنا به موسى عليه السلام وفي التوراة نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى
ننظر الى وقعة له اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى اهل مكة
فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن سعيد بن جبير وعكرمة
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اصاب قريشا ببدر ورجع الى المدينة
جمع اليهود في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك لقيت
قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت
اي قل لهم ستغلبون البتة عن قريب في الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بني قريظة
واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية عليهم وهو من اوضح شواهد النبوة ۞ واما ما روي
عن مقاتل رضي الله عنه من انها نزلت قبل بدر وان الموصول عبارة عن مشركي مكة
وان المعنى قل لهم ان النبي عليه الصلاة والسلام قال لهم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم
وبئس المهاد فيؤدي الى انقطاع الآية الكريمة لنزوله بعد وقعة بدر وتحشرون الى جهنم
وقرئ الفعلان بالياء على انه عليه الصلاة والسلام امر بان يحكي لهم ما اخبره الله تعالى به
من وعيدهم بعبارته كأنه قيل اد اليهم هذا القول وبئس المهاد اما من تمام ما
يقال لهم او استئناف لتهويل جهنم وتفظيع حال اهلها والمخصوص بالذم محذوف اي
وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم جواب قسم محذوف وهو من
تمام القول المأمور به جيء به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب لليهود ايضا والظرف
خبر كان على انها ناقصة وتوسطه بينها وبين اسمها ترك التأنيث ۞ كما في قوله

۞ ان امرأ غره منكن واحدة ۞ بعدي وبعدك في الدنيا لمغرور ۞

على ان التأنيث ههنا غير حقيقي او هو متعلق بكان على انها تامة وآية فاعلها والامر ما مر

مرارا

مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي قد كان لكم ايها المغترون بعددهم
وعددهم آية عظيمة دالة على صدق ما اقول لكم انكم ستغلبون في فئتين اي فرقتين
او جماعتين فان المغلوبة منهما كانت مدلة بكثرتها معجبة بعزتها وقد لقيها ما لقيها فسيصيبكم
بتصييبكم ما يصيبكم ومحل الظرف الرفع على انه صفة لآية وقيل النصب على خبرية
كان والظرف الاول متعلق بمحذوف وقع حالا من آية التقتا في حيز الجر على انه صفة
فئتين اي تلاقتا بالقتال يوم بدر فئة بالرفع خبر مبتدأ محذوف اي احداهما فئة
كما في قوله

۞ اذا مت كان الناس صنفان شامت ۞ وآخر مثن بالذي كنت اصنع ۞

اي احدهما شامت والآخر مثن ۞ وقوله

۞ حتى اذا ما استقل النجم في غلس ۞ وغودر البقل ملوي ومحصود ۞

والجملة مع ما عطف عليها مستأنفة لتقرير ما في الفئتين من الابهام ۞ وقوله تعالى تقاتل
في سبيل الله في محل الرفع على انه صفة فئة كأنه قيل فئة مؤمنة ولكن ذكر مكانه من احكام
الايمان ما يليق بالمقام مدحا لهم واعتدادا بقتالهم وايذانا بانه المدار في تحقق الآية
وسر ورود التقليل كثيرا ۞ وقرئ يقاتل على تأويل الفئة بالقوم او الفريق واخرى نعت
لمبتدأ محذوف معطوف على ما حذف من الجملة الاولى اي وفئة اخرى وانما نكرت والقياس
تعريفها كما عرفت اختها لوضوح ان التفريق لنفي المبني المتقدم ذكره وعدم الحاجة الى التعريف
وقوله تعالى كافرة خبر المبتدأ المحذوف وانما لم توصف هذه الفئة بما يقابل صفة
الفئة الاولى اسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار وايذانا بانهم لم يتصدوا للقتال
لما اعتراهم من الرعب والهيبة ۞ وقيل كل من المتعاطفين بدل من الضمير في التقتا
وما بعده صفة فلا بد من ضمير محذوف عائد الى المبدل منه مسوغ لوصف
المبدل بالجملة العارية عن ضمير اي فئة منها تقاتل الى آخره وفئة اخرى كافرة
وقيل كل منهما مبتدأ محذوف الخبر اي منهما فئة تقاتل الى آخره ۞ وقرئ فئة بالجر
على البدلية من فئتين بدل بعض كل وقد عرفت انه لا بد من ضمير عائد الى المبدل منه
وتبعيضا لا تفصيليا ۞ كما في قول كثير عزة

۞ وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ۞ ورجل رمى فيها الزمان فشلت ۞

وقرئ فئة الى آخره بالنصب على المدح او الذم او على الحالية من ضمير التقتا مؤمنة
وكافرة فيكون فئة واخرى توطئة لما هو الحال حقيقة اذ المقصود بالذات وصفاهما
كما في قوله تعالى ان يلد رجالا صالحين يرونهم اي يرى الفئة الاخرى الفئة الاولى وايثار
صيغة الجمع للدلالة على شمول الرؤية لكل واحد من آحاد الفئة والجملة في محل الرفع
على انها صفة للفئة الاخرى او مستأنفة مبينة لكيفية الآية مثليهم اي مثلي عدد
الرائين قريبا من الفين اذ كانوا قريبا من الف كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا رأسهم
عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم ابو سفيان وابو جهل وكان فيهم من الخيل والابل
مائة فرس وسبعمائة بعير ومن اصناف الاسلحة عدد لا يحصى عن محمد بن ابي الفرات عن سعيد

ابن اوس انه قال اسر المشركون رجلا من المسلمين فسألوه كم كنتم قال ثلاثمائة وبضعة عشر
قالوا ما كنا نراكم الا تضعفون علينا او مثلي عدد المؤمنين اي ستمائة ونيفا وعشرين
حيث كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان
وستة وثلاثون من الانصار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وكان صاحب راية رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وصاحب راية الانصار
سعد ابن عبادة الخزرجي رضي الله عنه وكان في العسكر سبعون بعيرا وفرسان
احدهما للمقداد بن عمرو والآخر لمرثد ابن ابي مرثد وست اذرع وثمانية سيوف وجميع من
استشهد يومئذ من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار
رضوان الله عليهم اجمعين اذ امرهم الله عز وجل لذلك مع قلتهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم
مدد لهم منه سبحانه كما امدهم بالملائكة عليهم السلام وكان ذلك عند التقاء الفئتين
بعد ان قللهم في اعينهم عند ترائي الجمعين واغراهم ولاجترؤوا من اول الامر ليجيبهم
الرعب • وقيل يرى الفئة الاخيرة مثلي انفسهم مع كونهم ثلاثة امثالهم ليثبتوا ويطمئنوا
بالنصر الموعود في قوله تعالى ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والاول هو الاولى
لان رؤية المثلين غير متعينة من جانب المؤمنين بل وقعت رؤية المثل بل اقل منه
ايضا فانه روي ان ابن مسعود رضي الله عنه قال نظرنا الى المشركين فرايناهم يضعفون
علينا ثم نظرنا اليهم فما رايناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قللهم الله تعالى في اعينهم
حتى رايناهم عددا يسيرا اقل منا انفسهم • قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في اعيننا
يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا منهم
رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا فلو اريد رؤية المؤمنين المشركين اقل من عددهم في نفس
الامر كما في سورة الانفال لكانت رؤيتهم اياهم اقل من انفسهم احق بالذكر لكونها ابهر
من رؤيتهم مثليهم على ان ابانة اثار قدرة الله تعالى وحكمته المكرمة بان انهم القليل الكثير
والضعيف القوي والقاء الرعب في قلوبهم بسبب ذلك ادخل في كونها اية لهم وحجة عليهم
واقرب الى اعتراف المخاطبين بذلك لكثرة مخالطتهم الكفرة المشاهدين للحال وكذا
تعلق الفعل بالفاعل اشد من تعلقه بالمفعول فجعل اقرب المذكورين الى الفاعل
فاعلا وابعدهما مفعولا سواء جعل الجملة صفة او مستانفة اولى من العكس • بين انهم
بنفسه جزالة التنزيل على قراءة الجمهور ولا ينبغي جعل الخطاب لمشركي مكة كما قيل
اما ان جعل الوعيد عبارة عن هزيمتهم يوم بدر كما هو الظاهر فظاهر لا سترة به وان واما ان
جعل عبارة عن هزيمة اخرى فلان الفئة التي شاهدت تلك الاية انما هم المخاطبون
حينئذ فالتعبير عنهم بفئة مبهمة تارة وموصوفة اخرى بل اسناد المشاهدة اليهم مع
كون اسنادها الى المخاطبين اوقع في الزام الحجة وادخل في التبكيت مما لا داعي اليه
بيقين حال جعل الخطاب الثاني للمؤمنين • واما قراءة ترونهم بالخطاب فظاهرها
وان اقتضى توجيه الخطاب الثاني الى المشركين لكنه لا ينبغي ذلك لانه وان
ايد به الخطاب الاخير فلا ولا يلائم حاله فلعل رؤية المشركين نزلت منزلة رؤ

المهر

اليهود لما بينهم من الاتحاد في الكفر والاتفاق في الكلمة لا سيما بعدما وقع بينهم وبين
كعب ابن الاشرف من العهد والميثاق فاسندت الرؤية اليهم مبالغة في البيان وتحقيقا
لعروض تلك الحالة لهم ايضا • وقيل المراد جميع الكفرة ولا ريب في صحته وسداده
وقرئ يرون وترونهم على البناء للمفعول من الاراءة اي يريهم او يريكم الله تعالى كذلك
رأي العين مصدر مؤكد ليرونهم ان كانت الرؤية بصرية او مصدر تشبيهي ان كانت قلبية
اي رؤية ظاهرة مكشوفة جارية مجرى رؤية العين والله يؤيد اي يقوي بنصره من يشاء
اي يؤيده من غير توسيط الاسباب العادية كما ايد الفئة المقاتلة في سبيله بما ذكر من
النصر وهو من تمام القول المامور به ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من رؤية القليل
كثيرا المستتبعة لغلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه في الفضل لعبرة العبرة الاسم من الاعتبار
كالركبة من الركوب والجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فانه نوع من العبور
اي لعبرة عظيمة كائنة لاولي الابصار لذوي العقول والبصائر وقيل لمن ابصرهم وهو
ايضا من تمام الكلام الداخل تحت القول مقرر لما قبله بطريق التذييل فلا وارد من
جهته تعالى تصديقا لمقالته صلى الله عليه وسلم زين للناس كلام مستانف سيق
لبيان حقارة شان الحظوظ الدنيوية باصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم
الى ما عنده تعالى اثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس
الجنس حب الشهوات الشهوة نزوع النفس الى ما تريده والمراد هاهنا المشتهيات عبر
عنها بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا فيها كانها نفس الشهوات او ايذانا
بانهم انهمكوا في حبها بحيث احبوا شهواتها • كما في قوله تعالى اني احببت حب الخير او استرذالا
لها فان الشهوة مسترذلة مذمومة من صفات البهائم والمزين هو الباري سبحانه
اذ هو الخالق لجميع الافعال والدواعي والحكمة في ذلك ابتلاؤهم • قال تعالى انا
جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم الاية فانها ذريعة لنيل سعادة الدارين
عند كون تعاطيها على نهج الشريعة ووسيلة الى بقاء النوع • واثار صيغة المبني للمفعول
للجري على سنن الكبرياء • وقرئ على البناء للفاعل وقيل المزين هو الشيطان لما ان
مساق الاية الكريمة على ذمها وفرق الجبائي بين المباحات واسند تزيينها اليه تعالى
وبين المحرمات فنسب تزيينها الى الشيطان من النساء والبنين في محل النصب على انه حال من
الشهوات وهي مفسرة لها في المعنى وقيل من بيان الجنس وتقديم النساء على البنين
لعراقتهن في معنى الشهوة فانهن حبائل الشيطان وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد
في حبهن والقناطير المقنطرة جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل
ملء مسك الثور وقيل سبعون الف دينار وقيل اربعون الف مثقال وقيل الف اوقية
وقيل مائة رطل وقيل الف ومائتا مثقال • وقيل الف دينار وقيل مائة من ومائة
رطل ومائة مثقال ومائة درهم • وقيل دية النفس • واختلف في ان وزنه فعلال
او فنعال ولفظ المقنطرة ماخوذ منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة • وقيل

المقنطرة المضعفة ° وقيل الكثيرة المنضد بعضها على بعض او المدفونة وقيل المعنى وقيل
المنقوشة من الذهب والفضة بيان للقناطير او حال والخيل عطف على القناطير قيل هي جمع
لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والواحد فرس وقيل واحده خائل وهو مشتق
من الخيلاء المسومة اي المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسامها الدابة وسومها
اذا ارسلها وسيبها للرعي او المطهمة التامة الخلقة والانعام اي الابل والبقر
والغنم والحرث اي الزرع مصدر بمعنى المفعول ذلك اي ما ذكر من الاشياء المعدودة
متاع الحياة الدنيا اي ما يتمتع به في الحياة الدنيا اياما قلائل فيفنى سريعا والله عنده حسن
المآب حسن المرجع وفيه دلالة على ان ليس فيما عدد عاقبة حميدة ° وفي تكرير الاسناد
بجعل الجلالة مبتدأ واسناد الجملة الظرفية اليه زيادة تأكيد وتفخيم ومزيد اعتناء
بالترغيب فيما عند الله عز وجل من النعيم المقيم والتزهيد في ملاذ الدنيا وطيباتها الفانية
قل أؤنبئكم بخير من ذلكم اثر ما بين شأن مزخرفات الدنيا ذكر ما عنده تعالى من حسن المآب
اجمالا امر النبي صلى الله عليه وسلم بتفصيل ذلك المجمل للناس مبالغة في الترغيب والخطاب
لجميع الناس للتنبيه اي اخبركم بما هو خير مما فصل من تلك المستلذات المزينة لكم
وابهام الخير لتفخيم شأنه والتشويق اليه ° وقوله تعالى للذين اتقوا عند ربهم جنات استئناف
مبين لذلك المبهم على ان جنات مبتدأ والجار مع المجرور خبره وعلى ان جنات مرتفع به على الفاعلية
عند من لا يشترط في ذلك اعتماد الجار على ما فصل في محله والمراد بالتقوى هو التبتل الى
الله تعالى والاعراض عما سواه على ما ينبئ عنه النعوت الآتية وتعليق حصول الجنات وما
بعدها من فنون الخيرات به للترغيب في تحصيله والثبات عليه وعند نصب على الحالية من
جنات او متعلق بما تعلق به الجار من معنى الاستقرار مفيد لكمال رفعة علو الجنات وسمو
طبقتها وحيازتها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المتقين لاظهار مزيد
اللطف بهم ° وقيل اللام متعلقة بخير وكذا الظرف وجنات خبر لمبتدأ محذوف
والجملة مبينة لخير ويؤيده قراءة جنات بالجر على البدلية من خير ولا يخفى ان تعليق الاخبار
والبيان بما هو خير لطائفة ربما يوهم ان هناك خيرا آخر لآخرين جنات في محل الرفع والجر
صفة لجنات على حسب القراءتين تجري من تحتها الانهار متعلق بتجري فان اريد بالجنات نفس
الاشجار كما هو الظاهر فجريانها من تحتها ظاهر ° وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فهو
باعتبار جزئها الظاهر كما مر تفصيله مرارا خالدين فيها حال مقدرة من المستكن في الظرف
والعامل ما فيه من معنى الاستقرار وازواج مطهرة عطف على جنات اي مبرأة مما يستقذر
من النساء من الاحوال البدنية والطبيعية ورضوان من الله التنوين للتفخيم ° وقوله تعالى من
الله متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة اي رضوان واي
رضوان لا يقادر قدره كائن من الله عز وجل ° وقرئ بضم الراء والله بصير بالعباد وباعمالهم
فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها او بصير باحوال الذين اتقوا ولذلك اعد لهم ما ذكر وفيه اشعار
بانهم المستحقون للتسمية باسم العبد الذين يقولون ربنا اننا آمنا في محل الرفع على انه خبر
مبتدأ محذوف كأنه قيل من اولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين

الخ او النصب على المدح او الجر على انه صفة للمتقين او للعباد او بدل من احدهما وقوله تعالى والله
بصير بالعباد حينئذ معترضة وتأكيد والجملة لاظهار ان ايمانهم ناشئ من وفور الرغبة
وكمال النشاط وفي ترتيب الدعاء بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار على مجرد
الايمان دلالة على كفايته في استحقاق المغفرة والوقاية من النار الصابرين نصب على تقدير
كون الموصول في محل الرفع منصوب على المدح باضمار اعني واما على تقدير كونه في محل
النصب او الجر فهو نعت له والمراد بالصبر هو الصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء
والضراء وحين البأس والصادقين في اقوالهم ونياتهم وعزائمهم والقانتين المداومين
على الطاعات المواظبين على العبادات والمنفقين اموالهم في سبيل الله تعالى والمستغفرين
بالاسحار قال مجاهد وقتادة والكلبي اي المصلين بالاسحار وعن زيد بن اسلم هم
الذين يصلون الصبح في جماعة ° وقال الحسن رحمه الله مدوا الصلاة الى السحر ثم استغفروا
وقال نافع كان ابن عمر رضي الله عنه يحيي الليلة ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة
فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح ° وعن الحسن رحمه الله كانوا يصلون في اول
الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار وتخصيص الاسحار بالاستغفار
لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة اذ العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروح اجمع
لا سيما للمتهجدين وتوسيط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة على استقلال كل منها وكمالهم
فيها او لتغاير الموصوفين بها شهد الله انه بفتح الهمزة اي بانه او على انه لا اله الا هو اي بين
وحدانيته بنصب الدلائل التكوينية في الآفاق والانفس وانزال الآيات التشريعية الناطقة
بذلك عبر عنه بالشهادة على طريقة الاستعارة ° وقرئ انه بكسر الهمزة اما اجراء لشهد مجرى
قال واما بجعل الجملة اعتراضا وايقاع الفعل على قوله تعالى ان الدين الخ على قراءة
ان بفتح الهمزة كما سيأتي ° وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين او على المدح
وبالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وما له الرفع على المدح اي هم شهداء الله وهو اما
جمع شهيد كظرفاء في جمع ظريف او جمع شاهد كشعراء في جمع شاعر والملائكة عطف على الاسم
الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي شامل للاقرار والايمان بطريق عموم المجاز اي اقروا
بذلك واولو العلم اي آمنوا به واحتجوا عليه بما ذكر من الادلة التكوينية والتشريعية
قيل المراد بهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ° وقيل المهاجرون والانصار ° وقيل
علماء مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه ° وقيل جميع علماء المؤمنين الذين
عرفوا وحدانيته تعالى بالدلائل القاطعة وارتفاعهما على القراءتين الاخيرتين
قيل بالعطف على الضمير في شهداء لوقوع الفصل بينهما وانت خبير بان ذلك على قراءة النصب
على الحالية يؤدي الى تقييد حال المذكورين بشهادة الملائكة واولي العلم وليس
فيه كثير فائدة فالوجه حينئذ كون ارتفاعهما بالابتداء والخبر محذوف لدلالة الكلام
عليه اي والملائكة واولو العلم يشهدون بذلك ولكن ان يحمل القراءتين على المدح
نصبا ورفعا حينئذ حسن العطف على المستتر على كل حال قائما بالقسط اي مقيما للعدل
في جميع اموره بيان لكماله تعالى في افعاله اثر بيان كماله في ذاته وانتصابه على الحالية

من الله كالذي في قوله وهو الحق مصدقا لما معهم وانما جاز افراده مع عدم جواز جاء زيد وعمرو راكبا
لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة • ولعل تأخيره عن المعطوفين للدلالة
على علو رتبتهما وقرب منزلتهما والمسارعة الى اقامة شهود التوحيد اعتناء بشأنه ورفعا لمحله
ومع السبق بتقديمه على المعطوفين مع ما فيه من الايذان باصالته تعالى في الشهادة به كما
مر في قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه او من هو والاوجه والعامل فيها معنى الجملة
وهي معنى دواعيه لانها حال مؤكدة او على المدح • وقيل على انه صفة للمنفي اي لا اله قائما بالـ
اجز والفصل بينهما من قبيل ما يتوسط بينهما في المشهود به اذ احمل منه او حالا من
الشهيد او نصبا على المدح منه • وقرئ القائم بالقسط على البدلية من هو فيلزم الفصل بينهما
كما في الصفة او على انه خبر لمبتدأ محذوف • وقرئ قيما بالقسط لا اله الا هو تكرير للتأكيد
ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليجري عليه قوله تعالى العزيز
الحكيم فيعلم انه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته تعالى ورفعهما
على البدلية من الضمير او الوصفية لفاعل شهد او الخبرية لمبتدأ مضمر • وقد روي في فضلها انه
عليه الصلاة والسلام قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا
عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم اصول
الدين وشرف اهله • وروي عن سعيد بن جبير انه كان حول البيت ثلاثمائة وستون
صنما فلما نزلت هذه الاية الكريمة خررن سجدا وقيل نزلت في نصارى نجران • وقال الكلبي
قدم على النبي صلى الله عليه وسلم حبران من احبار الشام فلما ابصرا المدينة قال احدهما
لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخرج في اخر الزمان فلما دخلا
عليه عليه الصلاة والسلام عرفاه بالصفة فقالا له عليه السلام انت محمد قال عليه السلام
نعم قالا وانت احمد قال عليه السلام انا محمد واحمد قالا فانا نسألك عن شيء فان اخبرتنا به
امنا بك وصدقناك قال عليه الصلاة والسلام سلا فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب
الله فانزل الله عز وجل هذه الاية فاسلم الرجلان ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة
مؤكدة للاولى اي لا دين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذي هو التوحيد والتدرع بالشريعة
الشريفة • وعن قتادة رضي الله عنه انه شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند
الله • وقرئ ان الدين عند الله الاسلام • وقرئ ان الدين الى اخره على انه بدل من انه
بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وفي
انه شهد واقع عليه على تقدير قراءة انه بالكسر كما في البدل وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وانكروا
نبوته • والتعبير عنهم بالموصول وجعل ايتاء الكتاب صلة لزيادة تقبيح حالهم فان الاختلاف
ممن اوتي ما يزيله ويقطع شأفته في غاية القبح والسماجة • وقوله عز وجل الا من بعد ما جاءهم
العلم استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاوقات اي وما اختلفوا في حال من الاحوال او
في وقت من الاوقات الا بعد ان علموا بانه الحق الذي لا محيد عنه او بعد ان علموا حقيقة
الامر وتمكنوا من العلم بها بالحجج النيرة والايات الباهرة وفيه من الدلالة على ترامي حالهم في

الضلالة

الضلالة ما لا مزيد عليه فان الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل وقوله
تعالى بغيا بينهم اي حسدا كائنا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر تشنيع اثر تشنيع
ومن يكفر بآيات الله اي بآياته الناطقة بما ذكر من ان الدين عند الله هو الاسلام ولم
يعمل بمقتضاها او باية آية كانت من آياته تعالى على ان يدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا فان الله سريع
الحساب قائم مقام جواب الشرط علة له اي ومن يكفر بآياته تعالى فان الله تعالى يجازيه ويعاقبه
عن قريب فانه سريع الحساب اي يأتي حسابه عن قريب او يتم ذلك بسرعة واظهار الجلالة لتربية
المهابة وادخال الروع وعدم ترتيب العقاب على مطلق الكفر بآياته تعالى ليس لخصوصية
حالهم من كون كفرهم بعد ايتاء الكتاب وحصول الاطلاع على ما فيه وكون ذلك البغي دلالة على كمال
شدة عقابهم فان حاجوك اي في كون الدين عند الله الاسلام او جادلوك فيه بعد ما اقيمت عليهم
الحجج فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت نفسي وقلبي وجملتي له وانما عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء
الظاهرة ومظهر القوى والمشاعر ومجمع معظم ما يقع به العبادة من السجود والقراءة وبه
يحصل التوجه الى كل شيء • لا اشرك به فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج
ودعت اليه الآيات والرسل عليهم السلام ومن اتبعن عطف على المتصل في اسلمت وحسن ذلك
لمكان الفصل الجاري مجرى التأكيد بالمنفصل اي واسلم من اتبعني او مفعول معه وقل للذين اوتوا
الكتاب اي من اليهود والنصارى ووضع الموصول موضع الضمير لرعاية التقابل بين وصفي
المتعاطفين والاميين اي الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ءاسلمتم متبعين لي كما فعل المؤمنون
فانه قد اتاكم من البينات ما يوجب ذلك ويقتضيه لا محالة فهل اسلمتم وعملتم بقضيتها او انتم على كفركم
بعد كما يقول من لخص لصاحبه المسألة ولم يدع من طرق التوضيح والبيان مسلكا الا سلكه فهل
فهمتها على منهاج قوله تعالى فهل انتم منتهون اثر تفصيل الصوارف عن تعاطي الخمر والميسر وفيه من
استقصار وتعبيرهم بالمعاندة وقلة الانصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة ما لا يخفى
فان اسلموا اي كما اسلمتم وانما لم يصرح به كما في قوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به حسما لباب اطلاق
اسم الاسلام على شيء اخر بالكلية فقد اهتدوا اي فازوا بالحظ الاوفر ونجوا عن مهاوي الضلالة
وان تولوا اي اعرضوا عن الاتباع وقبول الاسلام بالكلية فانما عليك البلاغ قائم مقام الجواب
اي لم يضروك شيئا اذ ما عليك الا البلاغ وقد فعلت على ابلغ وجه • روي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما قرأ هذه الاية على اهل الكتاب قالوا اسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم لليهود
اتشهدون ان موسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال عليه السلام للنصارى
اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا وذلك قوله عز
وجل وان تولوا والله بصير بالعباد عالم بجميع احوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعيد
ان الذين يكفرون بآيات الله اي اية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالايات الناطقة بحقية
الاسلام على الوجه الذي مر تفصيله دخولا اوليا ويقتلون النبيين بغير حق هم اهل الكتاب
قتل اولوهم الانبياء عليهم السلام وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله
تعالى حائمين حول قتل النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان عصم الله عز وجل ساحته المنيعة وقد اشير
اليه بصيغة الاستقبال • وقرئ بالتشديد للتكثير والتقييد بغير حق للايذان بانه كان

عنده سر اريبا بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس اي بالعدل ولعل تكرير الفعل للاشعار بما بين القتلين من التفاوت او باختلافهما في الوقت عن ابي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قاتليهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار • وقرئ ويقاتلون الذين فبشرهم بعذاب اليم خبر ان والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فانها بالنسخ لا تغير معنى الابتداء بل تزيده تاكيدا وكذا الحال في النسخ بان المفتوحة كما في قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه ولكن النسخ بليت كما في قوله

• فوالله ما فارقتكم عن ملالة • ولكن ما يقضى فسوف يكون •

وانما يتغير معنى الابتداء في النسخ بليت ولعل • وقد ذهب سيبويه والاخفش الى منع دخول الفاء عند النسخ مطلقا فالخبر عندهما قوله تعالى اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة كما في قوله الشيطان فاحذر عدو مبين • وعلى الاول هو استئناف واخر الاشارة مبتدا او ما فيهم من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في الضلال وبعد منزلتهم في فظاعة الحال والموصول بما في حيز صلته خبره اي اولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة او المبتلون باسوأ الحال الذين بطلت اعمالهم التي عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها اثر في الدارين بل بقي لهم اللعنة والخزي في الدنيا وعذاب اليم في الاخرة وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم من باس الله وعذابه في احدى الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع في مقابلته لا لنفي تعدد الانصار من كل واحد منهم كما في قوله تعالى وما للظالمين من انصار الم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه الرؤية من حال اهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من ان اختلافهم في الاسلام انما كان بعد ما جاءهم العلم بحقيته اي الم تنظر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التوراة على ان اللام للعهد وحمله على جنس الكتب الالهية وتطويل للمسافة اذ ما لا يقرب حينئذ يكون التوراة من جملتها لان مدار التشنيع والتعجيب انما هو اعراضهم عن المحاكمة الى ما دعوا اليه وهم لا يرجعوا الى التوراة والمراد بما اوتوا منها ما بين لهم فيها من العلوم والاحكام التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب للاشعار بكمال اختصاصه بهم وكونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والعمل بموجبها وما فيه من التنكير للتفخيم وحمله على التحقير لا يساعده مقام المبالغة في تقبيح حالهم يدعون الى كتاب الله الذي اوتوا نصيبا منه هو التوراة والاظهار في مقام الاضمار لايجاب الاجابة واضافته الى الاسم الجليل لتشريفه وتاكيد وجوب المراجعة اليه والجملة استئناف مبين لمحل التعجب مبني على سؤال نشا من صدر الكلام • كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله تعالى • وقيل حال من الموصول ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدراسهم فدعاهم الى الايمان فقال له نعيم بن عمرو والحارث ابن زيد على اي دين انت قال عليه السلام على ملة

ابراهيم

ابراهيم عليه الصلاة والسلام قالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال صلى الله عليه وسلم لنا ان بيننا وبينكم التوراة فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت في الرجم • وقد اختلفوا فيه • وقيل كتاب الله القرآن فانهم قد علموا انه كتاب الله تعالى ولم يشكوا فيه • وقرئ ليحكم على بناء المجهول فيكون الاختلاف بينهم بان اسلم بعضهم كعبد الله بن سلام واضرابه وعاداهم الاخرون ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه وهم معرضون اما حال من فريق لتخصصه بالصفة اي يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم او اعتراض اي وهم قوم ديدنهم الاعراض عن الحق والاصرار على الباطل ذلك اشارة الى ما مر من التولي والاعراض وهو مبتدا خبره قوله تعالى بانهم اي حاصل بسبب انهم قالوا لن تمسنا النار باقتراف الذنوب وركوب المعاصي الا اياما معدودات وهي مقدار عبادتهم العجل ورسخ اعتقادهم في ذلك وهونوا عليهم الخطوب وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من قولهم ذلك وما اشبهه من قولهم ان اباءنا الانبياء يشفعون لنا او ان الله سبحانه وتعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح فكيف رد لقولهم المذكور وابطال لما غرهم باستعظام ما سيدهمهم وتهويل ما سيحيق بهم من الاهوال فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم ليوم اي لجزاء يوم لا ريب فيه اي في وقوعه ووقوع ما فيه روي ان اول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم الله عز وجل على رؤوس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت اي جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون وانما وضع المكسوب موضع جزائه للايذان بكمال الاتصال والتلازم بينهما كانهما شيء واحد وفيه دلالة على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية جزاء ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها وهم اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة عذاب او نقص ثواب بالعقيب كما منهم بحسب ما كسبه قل اللهم الميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص هذا الاسم الجليل كدخولها عليه مع حرف التعريف وقطع همزته ودخول تاء القسم عليه • وقيل اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا به فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك اي مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث يتصرف فيه كيف يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه رحمه الله فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك بيان لبعض وجوه التصرف الذي يستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تعالى حقيقة وكون مالكية غيره بطريق المجاز لا ينبئ عنه ايثار الايتاء الذي هو مجرد الاعطاء في التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة من تشاء اي ايتاءه اياه وتنزع الملك ممن تشاء اي نزعه منه فالملك الاول حقيقي عام والاخران مجازيان خاصان به ونسبتهما الى صاحبهما مجازية • وقيل الملك الاول عام والاخران بعضان منه فتامله • وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى اخرين وتعز من تشاء اي تعزه في الدنيا وفي الاخرة

او فيهما بالنصر والتوفيق وتذل من تشا اي تذله في احديهما او فيهما من غير ممانعة من الغير
ولا مدافعة بيدك الخير تعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص اي بقدرتك
الخير كله لا يقدر احد من غيرك تتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما تقتضيه مشيتك
وتخصيص الخير بالذكر لما انه مقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ ما من شر جزئي
الا وهو متضمن لخير كلي اولان في حصول الشر دخالا لصاحبه في الجنة لانه من اجزية اعماله
واما الخير فتفضل محض او لرعاية الادب اولان الكلام فيه فانه روي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة اربعين
ذراعا واخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل لم يعمل فيها المعاول
فوجهوا سلمان رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه الصلاة
والسلام واخذ منه المعول فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها
لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها
قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر
في ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل عليه
السلام ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم
الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون
الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت انك على كل شي قدير تعليل لما سبق
وتحقيق له تولج الليل في النهار اي تدخله فيه بتعقيبه اياه او بنقص الاول وزيادة الثاني
وتولج النهار في الليل على احد الوجهين وتخرج الحي من الميت اي تنشي الحيوانات من
موادها او من النطفة وقيل تخرج المومن من الكافر وتخرج الميت من الحي اي تخرج النطفة
من الحيوان وقيل تخرج الكافر من المومن وترزق من تشا بغير حساب قال ابو العباس المقري
ورد لفظ الحساب في القران على ثلاثة اوجه بمعنى التعب قال الله تعالى وترزق من
تشا بغير حساب وبمعنى العدد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وبمعنى
المطالبة قال تعالى فامنن او امسك بغير حساب والبا متعلقة بمحذوف وقع حالا من
فاعل ترزق او من مفعوله وفيه دلالة على ان من قدر على امثال هذه الافاعيل العظام
المحيرة للعقول والافهام فقدرته على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه
العرب ويعزهم اهون من كل هين عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الفاتحة واية الكرسي وايتين من ال عمران شهد الله انه لا اله
الا هو والملائكة الى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم الى قوله تعالى
بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله تعالى حجاب قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك
قال الله عز وجل اني حلفت ان لا يقراكن احد دبر كل صلاة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان
منه واسكنته في حظيرة القدس ونظرت له بعيني كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين
حاجة ادناها المغفرة واعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم وفي بعض الكتب انا الله
ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان

العباد

العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم
وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام كما تكونون يولى عليكم لا يتخذ المومنون الكافرين
اوليا نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما من اسباب المصادقة والمعاشرة
كما في قوله سبحانه وتعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا وقوله
لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم الا لله سبحانه وتعالى او
في الاستعانة بهم في الغزو وفي سائر الامور الدينية من دون المومنين في موضع الحال
اي متجاوزين المومنين اليهم استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة الى انهم الاحقا بالموالاة وان
في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اوليا والتعبير عنه بالفعل
للاختصار او لايهام الاستهجان بذكره فليس من الله اي من ولاية الله في شي يصح ان يطلق
عليه اسم الولاية فان موالاة المتعادين لا يكادان يجتمعان في الوقوع قال تعالى
تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب والجملة
اعتراضية وقوله تعالى الا ان تتقوا عطف على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثنا
مفرغ من اعم الاحوال والعامل فعل النهي معتبرا فيه الخطاب كانه قيل لا تتخذوهم اوليا
ظاهرا او باطنا في حال من الاحوال الا حال اتقائكم منهم اي من جهتهم تقاة اي اتقا او شيئا يجب اتقاوه
على ان المصدر واقع موقع المفعول فانه يجوز اظهار الموالاة حينئذ مع اطمينان النفس
بالعداوة والبغضا وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار ما في الضمير كما قال
عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا واصل تقاة وقية فابدلت الواو تا كتخمة وتهمة
وقلبت الياء الفا وقرئ تقية ويحذركم الله نفسه اي ذاته المقدسة فان جواز اطلاق
لفظ النفس مرادا به الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد
صرح بعض محققي المتاخرين بعدم الجواز وان اريد به الذات الا مشاكلة وفيه من التهديد
ما لا يخفى عظمه وذكر النفس للايذان بان له عقابا هائلا لا يوبه دونه بالحذر من الكفرة
والى الله المصير تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومحقق لوقوع مضمونه قل ان تخفوا ما في صدوركم
من الضماير التي من جملتها ولاية الكفرة او تبدوه فيما بينكم يعلمه الله فيواخذكم به لان
عنده سيئاتكم اليه وتقديم الاخفا على الابدا قد مر في تفسير قوله تعالى وان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه وقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ويعلم ما في السموات وما في الارض
كلام مستانف غير معطوف على جواب الشرط وهو من باب ايراد العام بعد الخاص تاكيدا له
وتقريرا والله على كل شي قدير فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه ان لم تنتهوا عما نهيتم
عنه واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وهو تذييل
لما قبله مبين لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه بان ذاته المقدسة المتميزة عن سائر الذوات
المتصفة بما لا يتصف به شي منها من العلم الذاتي المتعلق بجميع المعلومات متصفة بالقدرة
الذاتية الشاملة لجميع المقدورات بحيث لا يخرج من ملكوتها شي قط يوم تجد كل نفس
اي من النفوس المكلفة ما عملت من خير محضرا عندها بامر الله تعالى وفيه من التهويل ما
لا يخفى محضرا وما عملت من سوء عطف على ما عملت والاحضار معتبر فيه ايضا الا انه خص بالذكر

في الخير للاستغراق يكون الخير مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية
تود عاملة في الظرف والمعنى تود وتتمنى يوم تجد صحائف اعمالها من الخير والشر او جزاءها محضرة
لو ان بينها وبينه اي بين ذلك اليوم امدا بعيدا لغاية هوله وفي اسناد الودادة الى كل نفس
سواء كان لها عمل سيء او لا بل كانت متمحضة في الخير من الدلالة على كمال فظاعة ذلك اليوم
وهول مطلعه ما لا يخفى اللهم انا نعوذ بك من ذلك ويجوز ان يكون انتصاب يوم على
المفعولية باضمار اذكر وتود اما حال من كل نفس او استئناف مبني على السؤال اي اذكروا
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير وشر محضرا وادة ان بينها وبينه امدا بعيدا او كانت قائلة
فالحين امروا بذكره لك اليوم فما ذا يكون اذ ذاك فقيل تود لو ان بينها الى آخره او تجد
مقصور على ما عملت من خير وتود خبر ما عملت من سوء ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود
ومن ورود ... فحينئذ يجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانها حكاية كائن
ماضية واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه تكرير لما سبق واعادة له لكن لا للتأكيد
فقط بل لافادة ما يفيده قوله عز وجل والله رؤوف بالعباد من ان تحذيره تعالى من رأفته
بهم ورحمته الواسعة او ان رأفته لا تمنع تحقيق ما حذره من عقابه وان تحذيره ليس
مبنيا على تناسي صفة الرأفة بل هو متحقق مع تحققها ايضا كما في قوله تعالى يا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم فالجملة على الاول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم
الجليل لتربية المهابة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته
فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله
عز وجل وان كل ما يراه كمالا من نفسه او من غيره فهو من الله وبالله والى الله
لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك
فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله اي يرضى عنكم ويغفر لكم ذنوبكم اي يكشف
الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عنه
بالمحبة بطريق الاستعارة او المشاكلة والله غفور رحيم اي لمن يتحبب اليه بطاعته
ويتقرب اليه باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم فهو تذييل مقرر لما قبله مع زيادة
وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للاشعار باستتباع وصف الالوهية
للمغفرة والرحمة روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت
في وفد نجران لما قالوا انا نعبد المسيح حبا لله تعالى وقيل في اقوام زعموا على عهده
عليه السلام انهم يحبون الله تعالى فامروا ان يجعلوا لقولهم مصداقا من العمل وروى
الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قريش وهم في المسجد
الحرام يسجدون للاصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابراهيم واسمعيل
عليهما السلام فقالت قريش انما نعبدها حبا لله تعالى ليقربونا الى الله زلفى فقال الله
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله تعالى وتعبدون الاصنام

لتقربكم اليه تعالى فاتبعوني اي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله فانا رسوله اليكم
وحجته عليكم قل اطيعوا الله والرسول اي في جميع الاوامر والنواهي ويدخل في ذلك الطاعة
باتباعه عليه الصلاة والسلام دخولا اوليا وايثار الاظهار على الاضمار بطريق الالتفات
لتعيين حيثية الاطاعة والاشعار بعلتها فان الاطاعة المامور بها اطاعته عليه
السلام من حيث انه رسول الله لا من حيث ذاته ولا ريب في ان عنوان الرسالة من موجبات
الاطاعة ودواعيها فان تولوا اما من تمام مقول القول فهي صيغة المضارع المخاطب بحذف احدى التاءين
اي تتولوا واما كلام متفرع مسوق من جهته تعالى فهي صيغة الماضي الغائب وفي ترك ذكر
احتمال الاطاعة كما في قوله تعالى فان اسلموا تلويح الى انه غير محتمل منهم فان الله لا يحب الكافرين
نفي المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم اي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم
وايثار الاظهار على الاضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة والاشعار بعلته فان سخطه تعالى عليهم
بسبب كفرهم والايذان بان التولي عن الطاعة كفر وبان محبته عز وجل مخصوصة بالمؤمنين
ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين لما بين الله عز وجل ان الدين المرضي
عنده هو الاسلام والتوحيد وان اختلاف اهل الكتابين فيه انما هو للبغي والحسد
وان الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم كافة واتبعه ذكر مبدأ امر من يحبي عليه الصلاة والسلام وطاعة
شرعه في تحقيق رسالته وكونه من بيت النبوة القديمة ابتدأ ببيان احلال لله اقدار الرسل عليهم
الصلاة والسلام كافة واتبعه ذكر مبدأ امر عيسى عليه السلام وامه وكيفية دعوته للناس
الى التوحيد والاسلام تحقيقا للحق وابطالا لما عليه اهل الكتابين في شانهما من الافراط
والتفريط [illegible] ابراهيم عليه السلام وادعائهم الانتماء الى ملته ومن
ساحته العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية تنبيها على ان جميع الرسل عليهم السلام
دعاة الى عبادة الله عز وجل وحده وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة الى عبادة انفسهم
او غيرهم من الملائكة والنبيين وان اممهم كافة مامورون بالايمان بما جاءهم من رسول
مصدق لما معهم تحقيقا لوجوب الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه مصدقا لما بين
يديه من التوراة والانجيل وتحتم الطاعة له حسبما ياتي تفصيله وتخصيص آدم عليه السلام
بالذكر لانه ابو البشر ومنشأ النبوة وكذا الحال في نوح عليه السلام فانه آدم الثاني
واما ذكر آل ابراهيم فلترغيب المعترفين باصطفائهم في الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم
واستمالتهم نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من زمرتهم تمهيدا من التنبيه على كونه
عليه السلام عريقا في النبوة من زمرة المصطفين الاخيار واما ذكر آل عمران مع اندراجهم
في آل ابراهيم فلاظهار مزيد الاعتناء بتحقيق امر عيسى عليه السلام لكمال رسوخ الخلاف
في شانه فان نسبة الاصطفاء الى الاب الاقرب ادل على تحققه في الآل وهو الداعي الى
اضافة الآل الى ابراهيم دون نوح وآدم عليهم السلام والاصطفاء اخذ صفوة الشيء
[illegible] الاصطفاء اختيار الله تعالى اياهم بالنفوس القدسية وما يليق بها من الملكات
الروحانية والكمالات الجسمانية المستتبعة للرسالة في نفس المصطفى كما في كافة

لوط عليهم السلام او فيهن بالاب. وينشا منه كابن مريم. وقيل اصطفى ادم عليه السلام
بان خلقه بيده في احسن تقويم وبتعليم الاسماء واسجاد الملائكة اياه واسكانه
الجنة. واصطفى نوحا عليه السلام بكونه اول من نسخ الشرايع اذ لم يكن قبل ذلك
تزوج المحارم حراما وباطالة عمره وجعل ذريته هم الباقين واستجابة دعوته في حق
الكفرة والمومنين وحمله على متن الماء والمراد بال ابراهيم اسمعيل واسحاق والانبيا
من اولادهما الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم واما اصطفاء نفسه عليه السلام
فمفهوم من اصطفائهم بطريق الاولوية وعدم التصريح به لعدم الحاجة اليه بالعلم عنه لكمال
شهرة امره في الخلة وكونه امام الانبيا وقدوة الرسل عليهم الصلاة والسلام وكونه
اصطفاه بدعوته بقوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية ولذلك قال
عليه الصلاة والسلام انا دعوة ابي ابراهيم وبال عمران عيسى وامه مريم ابنت
عمران بن ماثان ابن العازر بن ايوذ بن زربابل بن سالتان بن يوحنا بن اوشيا بن امون
ابن منشا بن حازقا بن احاز بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن راحبعم
بن سليمان بن داود عليهما السلام ابن ايشا بن عوبد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمينا
ابن ارام بن حضرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام وقيل موسى وهارون
عليهما السلام ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام وبين
العمرانين الف وثمان مائة سنة فيكون اصطفاء عيسى عليه السلام بالاندراج في
ال ابراهيم عليه السلام والاول هو الاظهر لذكر قصة مريم عقيبه واصطفاء
موسى وهارون عليهما السلام بالانتظام في سلك ال ابراهيم عليه السلام انتظاما ظاهرا
والمراد بالعالمين اهل زمان كل واحد منهم اي اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه
ذرية نصب على البدلية من الاولين او على الحالية منهما وقد مر بيان اشتقاقها في قوله
تعالى ومن ذريتي وقوله تعالى بعضها من بعض في محل النصب على انه صفة للذرية اي
اصطفى الالين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبي
عنه التعرض لكونهم ذرية. وقيل بعضها من بعض في الدين فالاستئناف على الوجه الاول
تقريبية وعلى الثاني برهانية والله سميع لاقوال العباد عليم باعمالهم البادية والخافية
فيصطفي من يشاء منهم خدمته من يظهر استقامته قولا وفعلا على نهج قوله تعالى الله اعلم حيث
يجعل رسالاته والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها اذ قالت امراة عمران في حيز النصب
على المفعولية بفعل مقدر على طريقة الاستئناف لتقرير اصطفاء ال عمران وبيان كيفيته
اي اذكر لهم وقت قولها الخ وقد مر مرارا وجه توجيه التذكير الى الاوقات مع ان
المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث. وقيل هو منصوب على الظرفية لما قبله اي سميع
لقولها المحكي عليم بضميرها المنوي. وقيل هو ظرف بمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى
المذكور. كانه قيل واصطفى ال عمران اذ قالت الخ فكان من عطف الجملة على الجملة
دون عطف المفردات ليلزم كون اصطفاء الكل في ذلك الوقت وامراة عمران هي
حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وكان لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر

من

من موسى وهارون عليهما السلام فظن ان المراد زوجته ولعل بذلك قال كفلها زكريا
عليه السلام قاضية بانها زوجة عمران بن ماثان لانه عليه السلام كان معاصرا
له وقد تزوج ايشاع اخت حنة ام يحيى عليه السلام. واما قوله صلى الله عليه وسلم
في شان يحيى وعيسى عليهما السلام هما ابنا خالة فتاويله ان الاخت كثيرا ما تطلق
على بنت الاخت وبهذا الاعتبار جعل عليه السلام يحيى خالة. وقيل كانت ايشاع اخت
حنة من الام واخت مريم من الاب على ان عمران نكح اولا ام حنة فولدت منه ايشاع
ثم نكح حنة بناء على حل نكاح الربائب في شريعتهم فولدت مريم فكانت ايشاع اخت
مريم من الاب وخالتها من الام لانها اخت حنة من الام. روي انها كانت عجوزا عاقرا
فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته.
وقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون
من سدنته وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان ثم هلك عمران وهي حامل
فقولها رب اني نذرت لك ما في بطني لا بد من حمله على التكرير لتاكيد نذرها واخراجه
عن صورة التعليق الى هيئة التنجيز والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن اضافة
ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرها لتحريك سلسلة الاجابة ولذلك قيل
اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله بما يناسبه من اسمائه وصفاته وتاكيد
الجملة لابراز وفور الرغبة في مضمونها وتقديم الجار والمجرور لكمال الاعتنا
به وانما عبر عن الولد بما لابهام امره وقصوره عن درجة العقلا محررا اي معتقا لخدمة
بيت المقدس لا يشغله شان اخر او مخلصا للعبادة ونصبه على الحالية من الموصول
والعامل فيه نذرت. وقيل من ضميره في الصلة والعامل معنى الاستقرار فانها
في قوة ان نذرت لك ما استقر في بطني ولا يخفى ان المراد تقييد فعلها بالتحرير ليحصل به
التقرب اليه تعالى لا تقييد ما لا دخل لها فيه من الاستقرار في بطنها فتقبل مني اي ما
نذرته والتقبل اخذ الشيء على وجه الرضى وهذا في الحقيقة استدعاء للولد اذ
لا يتصور القبول بدون تحقق المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى انك انت
السميع لجميع المسموعات التي من جملتها تضرعي ودعائي العليم بكل المعلومات التي من زمرتها
ما في ضميري لا غير وهو تعليل لاستدعاء القبول لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائها
عليما بما في ضميرها مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نيتها واخلاصها
مستدع لذلك تفضلا واحسانا وتاكيد الجملة لعرض قوة يقينها بمضمونها وقصر
صفتي السمع والعلم عليه تعالى لعرض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها عما عداه
بالكلية مبالغة في الضراعة والابتهال فلما وضعتها اي ما في بطنها وتانيث الضمير
العائد اليه لما ان المقام يستدعي ظهور انوثته واعتباره في حيز الشرط اذ عليه يترتب
الجواب اعني قوله تعالى قالت رب اني وضعتها انثى لا على وضع ولد ما كانه قيل فلما وضعت بنتا قالت
الخ وقيل تانيثه لان ما في بطنها كان انثى في علم الله تعالى او لانه مؤول بالحبلة
او النفس او النسمة وانثى حال مؤكدة بان الاعتبار ... اذ ما في حيز الشرط لا يكون مدار الترتب

الجواب عليه • وقوله انثى حال مؤكدة من الضمير او بدل منه وتانيثه للمسارعة الى
من من عادته جبلة الرجا او لما من التاويل بالجبلة او النسمة فالحال حينئذ مبينة
وانما قالته تحزنا وتحسرا على خيبة رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجو ان تلده ذكرا
ولذلك نذرته محررا للسدانة والتاكيد للرد على اعتقادها الباطل ان الله يبشرك بيحيى
تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشانه وتجهيل لها بقدره اي والله اعلم بالشيء
الذي وضعته وما علق به من عظائم الامور وجعلها وابنها اية للعالمين وهي غافلة عن
ذلك والجملة اعتراضية • وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى لها اي انك لا تعلمين قدر
هذا الموهوب وما اودع الله فيه من علو الشان وسمو المقدار • وقرئ وضعت على صيغة
المتكلم مع الالتفات من الخطاب الى الغيبة اظهارا لغاية الاجلال فيكون ذلك منها
اعتذارا الى الله تعالى حيث اتت بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة او تسلية لنفسها
على معنى لعل الله تعالى فيه سرا وحكمة • ولعل هذا الانثى خير من الذكر فوجه الالتفات
حينئذ ظاهر • وقوله تعالى مصدقا بكلمة من الله اعتراض آخر مبين لما في الاول من تعظيم
الموضوع ورفع منزلته واللام في الذكر والانثى للعهد اي ليس الذكر الذي كانت تطلبه
وتتخيل فيه كمالا قصاراه ان يكون كواحد من السدنة كالانثى التي وهبت لها فان دائرة
علمها وامنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الامور هذا على القراءتين الاوليين واما
على القراءة الاخيرة فمعناه تاكيد الاعتذار ببيان ان الذكر ليس كالانثى
في الفضيلة والمزية وصلاحية خدمة المتعبد فانهن بمعزل من ذلك واللام
للجنس وقوله وسيدا وحصورا عطف على اني وضعتها انثى وغرضها من عرضها على عالم الغيوب
التقرب اليه تعالى واستدعاء العصمة لها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة • قال القرطبي
معناه خادم الرب واظهار انها غير راجعة عن نيتها وان كانت ما وضعته انثى وانها
ان لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه ونبيا من الصالحين عطف
على اني سميتها وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار اي اجيرها بحفظك • وقرئ بفتح
يا المتكلم في المواضع بعد ما همزة مضمومة الا في موضعين بعهدي اوفي افرغ
بذريتها عطف على الضمير وتقديم الجار والمجرور عليه لابراز كمال العناية به من الشيطان
الرجيم اي المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة • عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من
مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها ومعناه
ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى
عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها اي اخذ مريم ورضي بها في النذر مكان
الذكر ربها مالكها ومبلغها الى كمالها اللائق ومنه من تقبلها ما لا يخفى بقبول حسن
[illegible] والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد اي تقبلها قبولا حسنا
وانما عدل عن الظاهر للايذان بمقارنة التقبل لكمال الرضى وموافقته للعناية
الذاتية فان صيغة التفعل مشعرة بحسب اصل الوضع بالتكلف وكون الفعل على
خلاف طبع الفاعل وان كان المراد بها في حقه تعالى ما يترتب عليه من كمال قوة

الفعل

الفعل وكثرته • وقيل القبول ما يقبل به الشيء كالسعوط والوجور لما يسعط به ويوجر
وهو اختصاصه تعالى اياها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى او بان
تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشا وتصلح للسدانة • روي ان حنة حين
ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم
في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها
كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤوس بني اسرائيل وملوكهم
وقيل لانهم وجدوا امرها وامر عيسى عليه السلام في الكتب الالهية فقال زكريا
عليه السلام انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين
فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها •
وقيل هو مصدر على تقدير مضاف اي فتقبلها بذي قبول اي بامر ذي قبول
حسن • وقيل تقبل بمعنى استقبل كتقضى بمعنى استقضى وتعجل بمعنى استعجل اي استقبلها
في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها اي رباها بما يصلحها في جميع احوالها
نباتا حسنا مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد • وقيل لفعل مضمر موافق
له تقديره فنبتت نباتا حسنا وكفلها زكريا اي جعله عليه السلام كافلا لها وضامنا
لمصالحها قائما بتدبير امورها لا على طريقة الوحي بل على ما ذكر من التفصيل فان زكريا
عليه السلام بني كفالتها وطفو قلمه ورسوب اقلامهم وغير ذلك من الامور الجارية
بينهم كلها من اثار قدرته تعالى • وقرئ كفلها • وقرئ زكرياء بالنصب والمد • وقرئ
بتخفيف الفاء وكسرها ورفع زكرياء مع المد • وقرئ فتقبلها ربها وانبتها وكفلها
على صيغة الامر في الكل ونصب ربها على الدعاء اي فاقبلها يا ربها وربها تربية حسنة
واجعل زكريا كافلا لها فهو تعيين لجهة التربية • قيل بنى عليه السلام لها محرابا
في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم • وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها
وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس • وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب • روي
انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده • واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب كلما دخل
عليها زكريا المحراب تقديم الظرف على الفاعل لاظهار كمال العناية بامرها ونصب
المحراب على التوسع وكلمة كلما ظرف على ان ما مصدرية والزمان محذوف او نكرة
موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف والعامل فيها جوابها اي كل زمان دخوله
عليها او كل وقت دخل عليها فيه وجد عندها رزقا اي نوعا منه غير معتاد اذ كان ينزل
ذلك من الجنة وكان يجد عندها في الصيف فاكهة الشتاء وفي الشتاء فاكهة
الصيف ولم ترضع ثديا قط قال يا مريم انى لك هذا اي من اين يجيء لك هذا الذي
لا يشبه ارزاق الدنيا والابواب مغلقة دونك وهو دليل جواز الكرامة
للاولياء ومن انكرها جعل هذا ارهاصا وتاسيسا لرسالة عيسى عليه السلام
واما جعله معجزة لزكريا عليه السلام فيأباه اشتباه الامر عليه وانما خاطبها
عليه السلام بذلك مع كونها بمعزل من رتبة الخطاب باعتبار ما مع انها [illegible]

من عند الله تعالى فلا يطرق الفقر ثم قالت استيناف كانه قيل فماذا صنعت مريم
ومن صنيعه فلا قدرة لها على نفسها الاولى ورد الجواب فقيل قالت هو من عند الله فلا تعجب
ولا تستبعد ان الله يرزق من يشاء ان يرزقه بغير حساب اي بغير تقدير لكثرته او بغير
استحقاق تفضلا منه تعالى وهو تعليل لكونه من عند الله اما من تمام كلامها فيكون
في محل النصب واما من كلامه عز وجل فهو مستانف • روي ان فاطمة الزهراء رضي الله
عنها اهدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها
فقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا
قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب • فقال عليه السلام الحمد
لله الذي جعلك شبيهة سيدة بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين رضوان الله
تعالى عليهم اجمعين وجميع اهل بيته فاكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت
على جيرانها هنالك كلام مستانف وقصة مستقلة سيقت في تضاعيف حكاية مريم
لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما في ايرادها من تقرير ما سيقت له حكايتها
من بيان اصطفاء ال عمران فان فضائل بعض الاقرباء ادلة على فضائل الاخرين وهنا ظرف
مكان واللام للدلالة على البعد والكاف للخطاب اي في ذلك المكان حيث هو قاعد
عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان
دعا زكريا ربه لما راى كرامة مريم على الله تعالى ومنزلتها منه تعالى رغب في ان يكون
له من ايشاع ولد مثل ولد حنة في النجابة والكرامة على الله تعالى وان كانت عاقرا
عجوزا فقد كانت حنة كذلك • وقيل لما راى الفواكه تنبه لجواز ولادة العجوز
العاقر من الشيخ الفاني فاقبل على الدعاء من غير تاخير كما ينبي عنه تغيير الظرف في الفعل
لا على معنى ان ذلك كان هو الموجب للاقبال على الدعاء فقط بل كان جزءا اخيرا من
العلة التامة التي من جملتها كبر سنه عليه السلام وضعف قواه وخوف مواليه حسبما
فصل في سورة مريم قال تفسير للدعاء وبيان لكيفيته لا محل له من الاعراب رب هب لي
من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية
مجازا اي اعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد ذرية طيبة كما وهبتها لحنة ويجوز
ان يتعلق من بمحذوف وقع حالا من ذرية اي كائنة من لدنك والذرية النسل يقع
على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد هنا ولد واحد فالتانيث في الصفة
لتانيث لفظ الموصوف • كما في قول من قال •
• ابوك خليفة ولدته اخرى • وانت خليفة ذاك الكمال •
وهذا اذا لم يقصد به واحد معين • اما اذا قصد به العين امتنع اعتبار اللفظ
عن طلحة وحمزة فلا يجوز ان يقال جاءت طلحة وذهبت حمزة انك سميع الدعاء اي مجيبه
وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الاجابة فنادته الملائكة لان المنادي جبريل
عليه السلام كما نص عنه قراءة من قرأ فناداه جبريل والجمع كما في قولهم فلان يركب
الخيل ويلبس الثياب وما له غير فرس وثوب • قال الزجاج اي اتاه النداء من هذا

الجنس

الجنس الذين معهم الملائكة • وقيل لما كان جبريل عليه السلام رئيسهم عبر عنه
باسم الجماعة تعظيما له • وقيل الرئيس لا بد له من اتباع فاسند النداء الى الكل
كونه صادرا عنه خاصة • وقرئ فناداه بالامالة وهو قائم جملة حالية من مفعول
النداء مقررة لما افاده الفاء من حصول البشارة عقيب الدعاء • وقوله تعالى يصلي
اما صفة لقائما او خبر ثان عند من يرى تعدده عند كون الثاني جملة كما في قوله
تعالى فاذا هي حية تسعى او حال اخرى منه على القول بتعددها بلا عطف ولا بدلية
او حال من المستكن في قائم في المحراب اي في المسجد او في غرفة مريم متعلق بيصلي
او بقائم على تقدير كون يصلي حالا من ضمير قائم لان العامل فيه وفي الحال شيء واحد
فلا يلزم الفصل بالاجنبي كما يلزم على تقدير الباقية ان الله يبشرك بيحيى اي بان
الله • وقرئ بكسر الهمزة على تقدير القول او اجراء النداء مجراه لكونه نوعا منه •
وقرئ يبشرك من الابشار ويبشرك من الثلاثي • واياما كان ينبغي ان يكون
نقل الكلام الى الخبر محكيا بعبارته من الله عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا الاية
كما يلوح به مراجعته عليه السلام في الجواب اليه تعالى بالذات لا بواسطة
الملك والعدول عن اسناد التبشير الى نون العظمة حسبما وقع في سورة مريم للجري
على سنن الكبرياء كما في قول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك كذا وللايذان بان ما
حكي هناك من النداء والتبشير وما يترتب عليه من المحاورة كان ذلك كله بتوسط
الملك بطريق الحكاية عنه سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر وبهذا ايضا يتضح اتحاد المعنى
في السورتين الكريمتين فتامل • ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف
دون الفعل روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انما سمي يحيى لان الله تعالى احيى به عقر امه
وقال قتادة لان الله تعالى احيى قلبه بالايمان • قال القرطبي كان اسمه في الكتاب
الاول حيا ولا بد من تقدير مضاف فيه اي بولادة يحيى لان التبشير لا
يتعلق بالاعيان مصدقا حال مقدرة من يحيى بكلمة من الله اي بعيسى عليه السلام وانما
سمي كلمة لانه وجد بكلمة كن من غير اب فشابه ... قيل هو اول من امن به وصدق بانه
كلمة الله وروح منه • وقال السدي لقيت ام يحيى ام عيسى فقالت يا مريم اشعرت بحبلي
فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك
قوله تعالى مصدقا بكلمة الى اخره • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان يحيى كان اكبر من عيسى
عليه السلام بستة اشهر وقيل بثلاث سنين • وقيل قبل عيسى عليهما السلام بمدة
يسيرة • وعلى كل تقدير يكون بين ولادة يحيى وبين البشارة بها زمن مديد لما ان
مريم ولدت وهي بنت ثلاث عشرة سنة او بنت عشر سنين • وقيل بكلمة من الله
اي بكتاب الله سمي كلمة كما قيل للقصيدة كلمة وسيدا عطف على مصدقا اي رئيسا يسود
قومه ويفوقهم في الشرف وكان فائقا في الناس قاطبة • فانه لم يلم بخطيئة
ولم يهم بمعصية فيا لها من سيادة ما اسناها وحصورا عطف على ما قبله اي مبالغا

في حسن السمت وجيها في الشهوة اي منع النفس • وروي انه مر في صباه بصبيان فدعوه
الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا عطف على ما قبله مترتب على ما عدد من الخصال
الحميدة من الصالحين اي ناشئا منهم لانه كان من اصلاب الانبيا او كائنا من جملة المشهود لهم
بالصلاح كما في قوله تعالى وانه في الآخرة لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح
الذي لا بد منه في منصب النبوة البتة من اقاصي مراتبه وعليه مبني دعا سليمان عليه السلام
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين قال استيناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال
زكريا عليه السلام حينئذ فقيل قال رب لم يخاطب الملك المنادي بلا ريبة انما المباشر
للخطاب وان كان ذلك بطريق الحكاية عنه تعالى بل جرى على نهج دعائه السابق مبالغة
في التضرع والمناجاة وجدا في التبتل اليه تعالى واحترازا عما عسى يوهم خطابه للملك
من توهم ان علمه سبحانه بما يصدر عنه يتوقف على توسطه كما يتوقف علم البشر بما
يصدر عنه سبحانه على توسطه في عامة الاحوال وان لم يتوقف عنده في بعضها انى يكون
لي غلام وفيه دلالة على انه قد اخبر بكونه غلاما عند التبشير كما في قوله تعالى انا نبشرك
بغلام اسمه يحيى واني بمعنى كيف او من اين وكان تامة واني واللام متعلقتان بها وتقديم
الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي كيف او من
اين يحدث لي غلام • ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تأخر
لكان صفة له او ناقصة واسمها ظاهر وخبرها اما انى واللام متعلقة بمحذوف
كما مر ويعوق الخبر واني منصوب على الظرفية وقد بلغني الكبر حال من يا المتكلم اي ادركني
كبر السن واثر في كقولهم ادركته السن واخذت منه السن وفيه دلالة على كبر السن من حيث
كونه من طلائع الموت طالب له لا تكاد تتركه • قيل كان له تسع وتسعون سنة وقيل
مائة وعشرون سنة • وقيل ستون • وقيل خمس وستون • وقيل سبعون • وقيل
خمس وسبعون • وقيل ثمانون • وقيل خمس وثمانون • ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتي
عاقر اي ذات عقر وهو ايضا حال من يا لي على من يجوز تعدد الحال او من يا بلغني
اي كيف يكون لي ذلك والحال اني وامرأتي على حالة منافية له كل المنافاة وانما قاله
عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله تعالى عليه لاسيما
بعد مشاهدته عليه السلام للشواهد السالفة استعظاما لقدرة الله سبحانه وتعجبا
منها واعتدادا بنعمته عز وجل عليه في ذلك لا استبعادا له • وقيل كان ذلك استفهاما
عن كيفية حدوثه قال استيناف كما سلف كذلك اشارة الى مصدر يفعل وقوله
عز وجل الله يفعل ما يشاء اي يشاء ان يفعله من عجائب الافاعيل الخارقة للعادات
بيان له مبتدأ او مفعول خبره والكاف في محل النصب على انها في الاصل نعت لمصدر محذوف
اي الله يفعل ما يشاء ان يفعله فعلا مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذي
هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر وقدم على العامل لافادة القصر بالنسبة
الى ما هو ادنى من المشار اليه واعتبرت الكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة
من الفخامة وقد مر تحقيقه في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا او على

انها حال من ضمير المصدر المقدر معرفة اي يفعل الفعل كائنا مثل ذلك او في محل الرفع
على انها خبر والجلالة مبتدأ اي على نحو هذا الشأن البديع شأن الله تعالى ويفعل ما يشاء بيان له
لذلك الشأن المبهم او كذلك خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كما ذكر وقوله تعالى الله
يفعل ما يشاء بيان له قال رب اجعل لي آية اي علامة تدلني على تحقق المسؤول ووقوع الحبل
وانما سألها لان العلوق امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله تعالى عليه
ليتلقى تلك النعمة الجليلة من حين حصولها بالشكر ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادا
ولعل هذا السؤال وقع بعد البشارة بزمان مديد اذ به يظهر ما ذكر من كون التفاوت
بين سني يحيى وعيسى عليهما السلام ستة اشهر او ثلاث سنين لان ظهور العلامة كان
عقيب تحققه لقوله تعالى في سورة مريم فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم الآية
اللهم الا ان تكون المحاورة بين زكريا ومريم في حالة كبرها وقد عدت من جملة من
تكلم في المهد بموجب قولها الحكي والجعل ابداعي واللام متعلقة به والتقديم لما
مر مرارا من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف وقع حالا من آية وقيل
هو بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما لي والتقديم لانه لا مسوغ لكون آية
مبتدأ عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم الجار فلا يتغير حالهما بعد ورود
الناسخ قال آيتك ان لا تكلم الناس اي ان لا تقدر على تكليمهم ثلاثة ايام اي متوالية
لقوله تعالى في سورة مريم ثلاث ليال سويا مع القدرة على الذكر والتسبيح وانما جعلت
آيته ذلك لتخليص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة • كأنه قيل آية حصول
المطلوب ووصول النعمة ان تحبس لسانك الا عن شكرها واحسن الجواب ما اشتق من
السؤال الا رمزا اي اشارة بيد او راس ونحوهما واصله التحرك يقال ارتمز اي تحرك
ومنه قيل للبحر الراموز وهو استثناء منقطع لان الاشارة ليست من قبيل الكلام او
متصل على ان المراد بالكلام ما فهم منه المرام • ولا ريب في كون الرمز من ذلك القبيل
وقرئ رمزا بفتحتين على انه جمع رامز كخدم وبضمتين على انه جمع رموز كرسل على انه
حال منه ومن الناس معا بمعنى مترامزين • كقوله

• متى ما تلقني فردين ترجف • روانف اليتيك وتستطارا •

واذكر ربك اي في ايام الحبسة شكرا لحصول التفضل والانعام كما يؤذن به التعرض
لعنوان الربوبية كثيرا اي ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا وسبح اي سبحه او احدث
التسبيح بالعشي اي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر الى ذهاب صدر الليل
والابكار من طلوع الفجر الى الضحى • قيل المراد بالتسبيح الصلاة بدليل تقييده بالوقت
كما في قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون • وقيل الذكر اللساني
ان المراد بالذكر الذكر القلبي • وقرئ والابكار بفتح الهمزة على انه جمع بكر كسحر
واسحار واذ قالت الملائكة شروع في شرح بقية احكام اصطفاء آل عمران اثر الاشارة الى بعض
من فضائل بعضهم فان امر زكريا ويحيى عليهما السلام لاستتباعهما
القائم بامرها حسبما اشير اليه • وقرئ بتذكير الفعل والمراد بالملائكة جبريل

عليه السلام وقد من ما بينه من الكلام واذ منصوب بمضمر معطوف على المضمر السابق عطف
القصة على القصة • وقيل معطوف على الظرف السابق اعني قوله تعالى اذ قالت امراة
عمران منصوب بناصبه فتكون برأي واذكر ابتدا من شواهد اصطفائها وفي قوله عليه
السلام يا مريم وتكرير النداء لتلقي شفاها ومزيد الاعتنا بما يجيء من احكام الاصطفا التنبيه
على استبقائها وانفرادها عن الاحكام السابقة فانها من احكام التربية الجبابية اللائقة
بحال صغرها من تربيتها السلام وهذه من باب التربية الروحانية بالتكاليف الشرعية
المتعلقة بحال كبرها • وقيل كلموها شفاها كرامة لها وارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام
لحال الاجماع على ان الله تعالى لم يبعث امراة وقيل الهموها ان الله اصطفاك اولا حين تقبلك من
امك بقبول حسن ولم يتقبل قبلك انثى وربّاك في حجر زكريا ورزقك من رزق الجنة
وخصك بالكرامات السنية وطهرك اي مما يستقذر من الاحوال والافعال
ومما قذفك به اليهود بانطاق الطفل واصطفاك آخرا على نساء العالمين بان وهب لك
عيسى عليه السلام من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النسا وجعلكما آية للعالمين
فعلى هذا ينبغي ان يكون تقدم حكاية هذه المقاولة على حكاية بشارتها بعيسى عليه
السلام لما عرفت مرارا من التنبيه على ان كلا منها مستحق للاستقلال بالتذكير ولو روعي
الترتيب الخارجي لتبادر كون الكل شيئا واحدا • وقيل المراد بالاصطفائين واحد والتكرير
للتأكيد وتبيين من اصطفاها عليهن فحينئذ لا اشكال في ترتيب النظم الكريم اذ حمل
في الاصطفا على ما ذكر ولا في عدم تقدم المقاولة على بشارتها بعيسى عليه السلام ايضا ان
يكون ما بين ذلك متوفرة على الطاعات والعبادات حسبما امرت به مجتهدة فيها مقبلة
على الله تعالى متبتلة اليه تعالى منسلخة عن احكام البشرية مستعدة لفيضان الروح
عليها يا مريم تكرير النداء للايذان بان المقصود بالخطاب ما يرد بعده وان ما قبله
من تذكير النعم كان تمهيدا للذكر وترغيبا في العمل بموجبه اقنتي لربك اي قومي في
الصلاة او اطيلي القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان الربوبية لها للاشعار
بعلية وجوب الامتثال بالامر واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلاة بالجماعة
بذكر اركانها مبالغة في ايجاب رعايتها وايذانا بفضيلة كل منها واما تقديم
السجود على الركوع اما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك واما لكون السجود افضل
اركان الصلاة واقصى مراتب الخضوع ولا يقتضي ذلك كون الترتيب الخارجي كذلك
بل اللائق به الترقي من الادنى الى الاعلى واما ليقترن اركعي بالراكعين للاشعار بان
من لا ركوع في صلاتهم ليسوا مصلين • واما ما قيل من ان الواو لا توجب الترتيب فلا
يصح لانه لا يرجح وتجريد الامر بالركعتين الاخيرتين عما قيد به الاول لما ان المراد
تقييد الامر بالصلاة بذلك وقد تحقق حيث قيد به الركن الاول منها • وقيل المراد
بالقنوت ادامة الطاعات • كما في قوله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما
او بالسجود الصلاة لما مر من انه افضل اركانها وبالركوع الخشوع والاخبات •
قيل لما امرت بذلك قامت في الصلاة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا •

ذلك

ذلك اشارة الى ما سلف من الامور البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو
شان المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى من انبا الغيب اي
من الانبا المستتلة المتعلقة بالغيب والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب • وقوله
تعالى نوحيه اليك جملة مستقلة مبينة للاولى • وقيل الخبر هو الجملة الثانية ومن انبا
الغيب اما متعلق بنوحيه او حال من ضميره اي نوحيه من انبا الغيب او نوحيه حال كونه
من جملة انبا الغيب وصيغة الاستقبال للايذان بان الوحي لم ينقطع بعد وما كنت
لديهم اي عند الذين اختلفوا وتنازعوا في تربيتها وهو تقرير وتحقيق لكونه وحيا
على طريق التهكم لمنكريه • كما في قوله وما كنت بجانب الغربي الآية وما كنت ثاويا في اهل
مدين الآية فان طريق معرفة امثال هذه الانبا الخوارق والحوادث والواقعات • اما
المشاهدة واما السماع وعدمه محقق عندهم فبقي احتمال المعاينة المستحيلة ضرورة
فنفيت تهكما بهم اذ يلقون اقلامهم ظرف للاستقرار العامل في لديهم واقلامهم اقداحهم
التي اقترعوا بها وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركا ايهم يكفل
مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ينظرون او ليعلموا ايهم
يكفلها وما كنت لديهم اذ يختصمون اي في شانها تنافسا في كفالتها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير
ما كنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف اذ يختصمون على اذ يلقون كما في قوله عز وجل نحن اعلم
بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى للدلالة على ان كل واحد من عدم حضوره
صلى الله عليه وسلم عند القا الاقلام وعدم حضوره عند الاختصام مستقل بالشهادة
على نبوته عليه السلام لا سيما اذا اريد باختصامهم تنازعهم قبل الاقتراع فان تغيير الترتيب
في الذكر مؤكد له اذ قالت الملائكة شروع في قصة عيسى عليه السلام وهو بدل من واذ
قالت الملائكة منصوب بناصبه وما بينهما اعتراض جيء به تقريرا لما سبق وتنبيها على استقلاله
وكونه حقيقا بان يعد على حياله من شواهد النبوة وترك العطف بينهما بناء على اتحاد المخاطب
والمخاطب وايذانا بانتفاء تخالفهما او تباعدهما في الزمان • وقيل منصوب بمضمر
معطوف على ناصبه • وقيل بدل من اذ يختصمون • كانه قيل وما كنت حاضرا في ذلك
الزمان المتطاول الذي وقع في طرف منه الاختصام وفي طرف آخر منه الخطاب
اشعارا بان خاطبته عليه السلام تفاصيل احوالهم من اولها الى آخرها والقائل
جبريل عليه السلام وايراد صيغة الجمع لما مر يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه من لابتداء
الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة اي بكلمة كائنة منه عز وجل اسمه وتذكير
الضمير الراجع الى الكلمة لكونها عبارة عن مذكر وهو مبتدأ خبره المسيح وقوله تعالى
عيسى بدل منه او عطف بيان وقيل خبر آخر • وقيل خبر مبتدأ محذوف وقيل منصوب
باضمار اعني مدحا • وقوله تعالى ابن مريم صفة لعيسى وقيل المراد بالاسم ما به يتميز
المسمى عمن سواه فالخبر حينئذ مجموع الثلاثة اذ هو المميز له عليه السلام تميزا عن جميع
من عداه والمسيح لقبه عليه السلام وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله
بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب من ايشوع والتصدي لاشتقاقهما

من المسيح والعيسى وتعليله بانه عليه السلام مسح بالبركة او بالطهر من الذنوب او مسحه جبريل عليه
السلام او مسح الارض ولم يقم في موضع او كان عليه السلام يمسح ذا العاهة فيبرا وبانه كان في بدنه
مسيحا اي ببياض يعلوه حمرة من قبيل الرجز على الماء واما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها تنبيها
على انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلته على نساء العالمين **وجيها في الدنيا**
والآخرة الوجيه ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف وهو حال مقدرة من كلمة فانها وان
كانت نكرة لكنها صالحة لان ينتصب بها الحال وتذكيرها باعتبار المعنى والوجاهة في الدنيا
النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة **ومن المقربين** اي من
الله عز وجل وقيل اشارة الى رفعه الى السما وصحبة الملائكة وهو عطف على الحال الاول وكذا
عطف عليه قوله تعالى **ويكلم الناس في المهد وكهلا** اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبيا
من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي اي يسوى من مضجعه ۝ وقيل انه رفع شابا
والمراد وكهلا بعد نزوله وفي ذكر احواله المختلفة المتنافية اشارة الى انه بمعزل من الالوهية
ومن الصالحين حال اخرى من كلمة معطوفة على الاحوال السالفة او من الضمير في يكلم **قالت**
استيناف مبني على السؤال ۝ كانه قيل فماذا قالت مريم حين قالت لها الملائكة
ما قالت فقيل قالت متضرعة الى ربها **رب انى يكون** اي كيف يكون او من اين يكون **لي ولد**
على وجه الاستبعاد العادي والتعجب واستعظام قدرة الله عز وجل ۝ وقيل على وجه
الاستفهام والاستفسار بانه بالتزوج او بغيره ويكون اما تامة وانى واللام متعلقان
بها وتاخير الفاعل عن الجار لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ويجوز ان
تتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من ولد اذ لو تاخر لكان صفة له واما ناقصة واسمها ولد
وخبرها اما انى واللام متعلقة بمضمر وقع حالا من ضميره كما مر اوجه واني نصب على الظرفية
وقوله تعالى **ولم يمسسني بشر** جملة حالية محققة للاستبعاد اي والحال اني على حالة منافية
للولادة **قال** استيناف كما سلف والقائل هو الله تعالى او جبريل عليه السلام **كذلك الله يخلق**
ما يشا الكلام في اعرابه كما مر في قصة زكريا خلا ان ايراد يخلق ههنا مكان يفعل هناك
لما ان ولادة العذرا من غير ان يمسها بشر ابدع واغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ فان
فكان الخلق المنبي عن الاختراع انسب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك عقب ببيان كيفيته
فقيل **اذا قضى امرا** من الامور اي اراد شيئا كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا واصل القضا
الاحكام اطلق على الارادة الالهية القطعية المتعلقة بوجود الشي لايجابها اياه
البتة ۝ وقيل الامر منه قوله تعالى وقضى ربك **فانما يقول له كن فيكون** لا غير فيكون من غير
ريث وهو تمثيل لكمال قدرة الله تعالى وسهولة تاتي المقدورات حسبما تقتضيه
مشيئته وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فيها من طاعة المامور المطيع للامر القوي
المطاع وبيان لانه تعالى كما يقدر على خلق الاشيا مدرجا باسباب ومواد معتادة
يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة الى شي من الاسباب والمواد **ويعلمه الكتاب** اي الكتابة
او جنس الكتب الالهية **والحكمة** اي العلوم وتهذيب الاخلاق **والتوراة والانجيل** افرادهما
بالذكر على تقدير كون المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما وانافتهما

عن سائرها والجملة عطف على يبشرك او على وجيها او على يفعل او على يخلق وهو كلام مبتدا
سيق تطييبا لقلبها وازاحة لما اهمها من خوف اللائمة لما علمت انها تلد من غير زوج وقرى
ونعلمه بالنون **ورسولا الى بني اسرائيل** منصوب بمضمر يعود اليه المعنى معطوف على يعلمه
اي ويجعله رسولا الى بني اسرائيل اي كلهم ۝ وقال بعض اليهود انه كان مبعوثا
الى قوم مخصوصين وقيل كان رسولا حال الصبى وقيل بعد البلوغ وكان اول انبيا
بني اسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما السلام ۝ وقيل اولهم موسى وآخرهم عيسى عليهم
السلام ۝ وقوله تعالى **اني قد جئتكم** معمول لرسولا لما فيه من معنى النطق اي رسولا ناطقا
باني الخ ۝ وقيل منصوب بمضمر معطوف على يعلمه اي ويقول ارسلت رسولا باني
قد جئتكم الخ ۝ وقيل معطوف على الاحوال السابقة ولا يقدح فيه كونها في
حكم الغيبة مع كون هذا في حكم التكلم لما عرفت من ان فيه معنى النطق كانه
قيل حال كونه وجيها ورسولا ناطقا باني الخ ۝ وقرى ورسول الخ بالجر
عطفا على كلمة والثاني قوله تعالى **باية** متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل جئتكم
والتنوين للتفخيم دون الوحدة لظهور تعددها وكثرتها ۝ وقرى بايات او جئتكم
على انها للتعدية ومن في قوله تعالى **من ربكم** لابتدا الغاية مجازا متعلقة بمحذوف
وقع صفة لاية اي قد جئتكم ملتبسا باية عظيمة كائنة من ربكم او اتيتكم باية
عظيمة كائنة منه تعالى ۝ والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير
المخاطبين لتاكيد ايجاب الامتثال بما سياتي من الاوامر ۝ وقوله تعالى **اني اخلق لكم**
من الطين كهيئة الطير بدل من قوله تعالى اني قد جئتكم ومحله النصب على نزع الجار
عند سيبويه والفرا والجر على راي الخليل والكسائي او بدل من اية وقيل
منصوب بفعل مقدر اي اعني اني الخ ۝ وقيل مرفوع على انه خبر مبتدا
محذوف اي هي اني اخلق لكم ۝ وقرى بكسر الهمزة على الاستيناف اي اقدر
لكم اي لاجل تحصيل ايمانكم ودفع تكذيبكم اياي من الطين شيا مثل هيئة
الطير **فانفخ فيه** الضمير للكاف اي في ذلك الشي المماثل لهيئة الطير ۝ وقرى فانفخ
فيها على ان الضمير للهيئة المقدرة اي اخلق لكم من الطين هيئة كهيئة الطير فانفخ
فيها **فيكون طيرا** اي حيا طيارا كسائر الطيور **باذن الله** بامره تعالى اشار بذلك الى
ان احياءه من الله تعالى لا منه ۝ قيل لم يخلق غير الخفاش ۝ وروي انه عليه السلام
لما ادعى النبوة واظهر المعجزات طالبوه بخلق الخفاش فاخذ طينا وصوره ونفخ فيه
فاذا هو يطير بين السما والارض ۝ قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون
اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز من خلق الله تعالى ۝ وقيل انما طلبوا
خلق الخفاش لانه اكمل الطير خلقا وابلغ دلالة على القدرة لان له ثديا
واسنانا وهي تحيض وتطهر وتلد كسائر الحيوان وتضحك كما يضحك الانسان
ويطير بغير ريش ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وانما يرى في ساعة
ساعة بعد الغروب وساعة بعد طلوع الفجر ۝ وقيل خلق انواعا من الطير **وابرئ**

الاكمه اي الذي ولد اعمى او الممسوح العين والابرص المبتلى بالبرص لم تكن العرب تنفر من
شي نفرتها منه ونقل لهذا الوضح ايضا وتخصيص هذين بالذكر لانهما اعيا الاطبا وكانوا
في غاية الحذاقة في زمنه عليه السلام فاراهم الله تعالى المعجزة من ذلك الجنس روي
انه ربما كان يجتمع عليه عليه السلام الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق
اتاه عيسى عليه السلام وما يداويه الا بالدعا واحيي الموتى باذن الله كرره مبالغة
في دفع وهم من توهم فيه الالوهية ☉ قال الكلبي كان عليه السلام يحيي الموتى بيا حي
يا قيوم واحيى عاذر وكان صديقا له فعاش وولد له واحيى ابن العجوز ميت فدعا الله
تعالى فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وبقي وولد له وابنة العاشر احياها وولدت
بعد ذلك فقالوا انك تحيي من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا بل اصابتهم
سكتة فاحيي لنا سام بن نوح فقال لهم دلوني على قبره فخرجوا فقام على قبره فدعا الله
عز وجل فقام من قبره وقد شاب راسه فقال عليه السلام كيف شبت ولم يكن في زمانكم
شيب فقال لما سمعت النداء انزعجت فقال يا روح الله ان مرارة الموت لم تذهب من حنجرتي وكان بينه
وبين موته الى عهده من اربعة الاف سنة وقال للقوم صدقوه فانه نبي فآمن به
بعضهم وكذبه آخرون فقالوا هذا سحر فارنا آية فقال يا فلان اكلت كذا وكذا ويا
فلان خبي لك كذا وكذا وذلك قوله تعالى وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم اي بالمغيبات
من احوالكم التي لا تشكون فيها ☉ وقري تذخرون بالذال والتخفيف ان في ذلك اشارة
الى ما ذكر من الامور العظام لآية عظيمة وقرئ لآيات لكم دالة على صحة رسالتي
دلالة واضحة ان كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف لانسحاب المعنى اليه اي ان كنتم
المذكور عليه اي انتفعتم بها او ان كنتم من سابق فهم الايمان دللتكم على صحة رسالتي
والايمان بها ومصدقا لما بين يدي من التوراة عطف على المضمر الذي تعلق به قوله تعالى
باية اي قد جئتكم ملتبسا باية الخ ومصدقا لما بين الخ او على رسولا على
الاوجه الثلاثة فان مصدقا فيه معنى النطق كما في رسولا وجعله معطوفا على
ناطقا باني اخلق الخ او بيقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم الخ او حال
كونه مصدقا الخ ☉ وقوله من التوراة اما حال من الموصول والعامل مصدقا
واما من ضمير المستتر في الظرف الواقع صلة والعامل الاستقرار المضمر في الظرف
او في نفس الظرف لقيامه مقام الفعل ولاحل لكم معمول لمضمر دل عليه ما قبله
اي وجئتكم لاحل الخ ☉ وقيل عطف على معنى مصدقا كقولهم جئته معتذرا ولاجتلب
رضاه ☉ كانه قيل جئتكم لاصدق الى اخره ☉ وقيل عطف على باية اي جئتكم باية
من ربكم ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى عليه السلام من الشحوم
والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت قيل احل لهم من السمك والطير
ما لا صيصية له ☉ واختلف في احلال السبت ☉ وقرئ حرم على تسمية الفاعل
وهو ما بين يدي الله عز وجل ☉ وقرئ حرم بوزن كرم ☉ وهذا يدل على ان شرعه
كان ناسخا لبعض احكام التوراة ولا يخل ذلك بكونه مصدقا لها لما ان النسخ في الحقيقة

بيان

بيان تخصيص في الازمان وتاخير المفعول عن الجار والمجرور لما مر مرارا من المبادرة الى ما ذكر مع
المخاطبين والتشويق الى ما اخر وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي ☉ وقرئ بايات
فاتقوا الله في عدم قبولها ومخالفة مدلولها واطيعون فيما امركم به وانهاكم عنه بامر
الله تعالى وتلك الآية هي قولي ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فانه الحق الصريح الذي
اجمع عليه الرسل قاطبة فيكون آية بينة على انه عليه الصلاة والسلام من جملتهم ☉ وقرئ
ان الله بالفتح على البدل من آية او قد جئتكم باية على ان الله ربي وربكم ☉ وقوله تعالى فاتقوا الله
واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لما سبق اي قد جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم
من خلق الطين وابراء الاكمه والابرص والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن
كلامي في المهد ومن غير ذلك والاول لتمهيد الحجة ☉ والثاني لتقريبها الى الحكم
ولذلك رتب عليه بالفا قوله تعالى فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والآيات
الظاهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ومعنى قراءة من فتح ولان الله
ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى لايلاف قريش ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول
المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي
غايته التوحيد ☉ وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة
الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ☉ ثم قرر ذلك بان بين ان
الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ☉ ونظيره قوله عليه السلام
قل آمنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر شروع في بيان مآل احواله عليه السلام
اثر ما شرح الطرف منها بطريق النقل عن الملائكة والفاء فصيحة تفصح عن تحقق جميع ما قالت
الملائكة عليهم السلام وخروجه من القوة الى الفعل حسبما شرحه في قوله تعالى فلما رآه
مستقرا عنده غير بعيد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فحملت به فولدته
فكان كيت وكيت وذيت وذيت وانما قرن كون الكتفا حكاية الملائكة وايذانا بعدم الخلف
وثقة بما فصل في المواضع الاخر ☉ واما عدم ذكر بقية احواله عليه السلام السابقة
ومعاناته للهلاك والمراد بالاحساس الادراك القوي الجاري مجرى المشاهدة وبالكفر
اصرارهم عليه وعتوهم ومكابرتهم فيه مع العزيمة على قتله عليه السلام كما ينبئ عنه
الاحساس فانه انما يستعمل في امثال هذه المواقع عند كون متعلقه امرا محذورا وقال
مكروها ☉ كما في قوله تعالى فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون وكلمة من متعلقة باحس
والضمير المجرور لبني اسرائيل اي ابتدأ الاحساس من جهتهم وتقديم الجار والمجرور
على المفعول لما مر غير مرة من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل متعلقة بمحذوف وقع
حالا من الكفر قال اي لخلص اصحابه لا لجميع بني اسرائيل لقوله تعالى كما قال عيسى ابن مريم
للحواريين الآية ☉ وقوله تعالى فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة نص بتعين
في توجيه الخطاب الى الكل بل لاكتفي فيه ببلوغ الدعوة اليهم من انصاري جمع نصير
كاشراف جمع شريف الى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من الياء اي من انصاري متوجها
ملتجئا اليه او بانصاري متضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم

الى الله عز وجل سيغضبون وبقي لا يغضبون ۝ لانه قيل فاذا قالوا الى جوابه عليه السلام فقيل
قال الحواريون جمع حواري يقال فلان حواري فلان اي صفوته وخاصته من الحور وهو
البياض الخالص ۝ ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن ونقائهن سمي به اصحابه عليه
السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل لما عليهم من اثار العبادة وانوارها وقيل كانوا
ملوكا يلبسون البيض وذلك ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى
عليه السلام على قصعة لا يزال يأكل منها ولا تنقص فذكروا ذلك للملك فاستدعاه عليه
السلام فقال له من انت قال عيسى ابن مريم فترك ملكه وتبعه مع اقاربه فاولئك هم
الحواريون ۝ وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك ويلبسون الثياب البيض فيهم
شمعون ويعقوب ۝ ويوحنا فمر بهم عيسى عليه السلام فقال لهم انتم تصيدون السمك ۝
فاذا اتبعتموني صرتم بحيث تصيدون الناس عن الحياة الابدية قالوا من انت قال عيسى ابن
مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة
فما اصطاد شيئا فامره عليه السلام بالقائها في الماء مرة اخرى ففعل فاجتمع في الشبكة من السمك
ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة اخرى وملأوا السفينتين فعند ذلك امنوا
بعيسى عليه السلام ۝ وقيل كانوا اثني عشر رجلا امنوا به عليه السلام واتبعوه
وكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده الارض فيخرج منها لكل واحد
رغيفان ۝ واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج منها الماء فيشربون
فقالوا من افضل منا فقال عيسى عليه السلام افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من
كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا حواريين ۝ وقيل ان امه سلمته الى
صباغ فاراد الصباغ يوما ان يشتغل ببعض مهماته فقال عليه السلام هنا ثياب
مختلفة قد جعلت لكل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فعمد
فجعلها عليه السلام كلها في حب واحد ۝ وقال كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ
فسأله فاخبره بما صنع فقال افسدت علي الثياب فقال قم فانظر فجعل يخرج ثوبا احمر
وثوبا اخضر وثوبا اصفر الى ان اخرج الجميع على احسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه
الحاضرون وامنوا به عليه السلام وهم الحواريون قال القفال ويجوز ان يكون بعض
هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من
القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عليه
السلام واعوانه والمخلصين في طاعته ومحبته نحن انصار الله اي انصار دينه ورسوله
امنا بالله استئناف جار مجرى العلة لما قبله فان الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه
والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه واشهد بانا مسلمون مخلصون في الايمان منقادون
لما تريد منا من نصرتك طلبوا منه عليه السلام الشهادة بذلك يوم القيامة يوم
تشهد الرسل عليهم السلام لاممهم وعليهم ايذانا بان مرمى غرضهم السعادة الاخروية
ربنا امنا بما انزلت تضرع الى الله عز وجل وعرض لحالهم عليه تعالى بعد عرضها على الرسول
مبالغة في اظهار امرهم واتبعنا الرسول اي في كل ما يأتي به ويذر من امور الدين فيدخل

فيه

فيه الاتباع في النصرة دخولا اوليا فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الذين يشهدون
بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد صلى الله عليه وسلم
لانهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال من مفعول كتبنا ومكروا اي الذين علم عيسى عليه
السلام التي شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة
يجلب بها غيره الى مضرة لا يمكن اسناده اليه سبحانه الا بطريق المشاكلة ۝ روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان ملك بني اسرائيل لما قصد قتله عليه السلام قال الملك لرجل
خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقى الله عز وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم
انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه ۝ وقيل انه عليه السلام جمع الحواريين ليلة واوصاهم
ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا
وكانت اليهود تطلبه فنافق احدهم فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح
فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله عز وجل عليه شبه عيسى عليه
السلام ورفعه الى السماء فاخذوا المنافق وهو يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا الى قوله ۝
وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى ۝
فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم ۝ وقيل لما صلب المصلوب
جاءت مريم عليها السلام وامرأة ابرأها الله تعالى من الجنون بدعاء عيسى وجعلتا تبكيان على المصلوب
فانزل الله عيسى فجاءهما فقال علام تبكيان قالتا عليك فقال ان الله رفعني ولم يصبني الا
خير وان هذا شيء شبه لهم قال محمد بن اسحاق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى عليه
السلام فلقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له
ان رجلا من بني اسرائيل ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص فعل وفعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم
من ايديهم وسألهم عن عيسى فاخبروه فتابعهم على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ
الخشبة فاكرمها وصانها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية
في الروم ثم جاء بعده ملك اخر يقال له ططيوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى بنحو
من اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند
ذلك قريظة والنضير الى الحجاز ۝ قال اهل التواريخ حملت مريم بعيسى عليه السلام ولها ثلاث
عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض اوري شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر
على ارض بابل واوحى الله تعالى اليه على رأس ثلاثين سنة ورفعه اليه من بيت
المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وعاشت
امه بعد رفعه ست سنين والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم
على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب ۝ واظهار الجلالة في موقع الاضمار لتربية
المهابة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها اذ قال الله ظرف لمكر الله او لمضمر
نحو وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك
من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع

وهو نائم ● وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن أو مميتك
من الشهوات العائقة عن العروج إلى عالم الملكوت ● وقيل أماته الله تعالى سبع
ساعات ثم رفعه إلى السماء وإليه ذهبت النصارى ● قال القرطبي والصحيح أن الله رفعه
من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن
ابن عباس رضي الله عنهما وأصل القصة أن اليهود لما عزموا على قتله عليه السلام
اجتمع الحواريون وهم اثنا عشر رجلا في غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة
فأخبرهم إبليس جمع اليهود فركب منهم أربعة آلاف رجل فأخذوا باب الغرفة
فقال المسيح للحواريين أيكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة فقال له واحد منهم
أنا يا نبي الله فألقى عليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله عكازه وألقي
عليه شبه عيسى عليه السلام فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه ● وأما عيسى فكساه
الله الريش والنور وألبسه النور وقطع عنه شهوة المطعم والمشرب وذلك
قوله تعالى إني متوفيك وطار مع الملائكة ثم إن أصحابه حين رأوا ذلك تفرقوا
ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية وقالت
فرقة أخرى كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهم النسطورية وقالت
فرقة أخرى منهم كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء
هم المسلمون فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم فلم يزل الإسلام
منطمسا إلى أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم ورافعك إلي أي إلى محل كرامتي ومقر
ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا أي من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم
وجاعل الذين اتبعوك قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي هم أهل الإسلام
الذين صدقوه واتبعوا دينه من محمد صلى الله عليه وسلم دون الذين كذبوه وكذبوا
عليه من النصارى فوق الذين كفروا وهم الذين مكروا به عليه السلام ومن يسير
بسيرتهم من اليهود فإن أهل الإسلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة وقيل
هم الحواريون فينبغي أن يحمل فوقيتهم على فوقية المسلمين بحكم الاتحاد في الإسلام
والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم النصارى فالمراد بالاتباع مجرد الادعاء والمحبة
وإلا فأولئك الكفرة بمعزل من اتباعه عليه السلام إلى يوم القيامة غاية للجعل
أو للاستقرار المقدر في الظرف لا على معنى أن الجعل والفوقية ينتهيان حينئذ
ويتخلص الكفرة من الذلة بل على أن المسلمين يعلونهم إلى تلك الغاية فأما بعدها
فيفعل الله تعالى بهم ما يريد ثم إلي مرجعكم أي رجوعكم بالبعث وثم للتراخي
وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد للتأكيد في الوعد والوعيد والضمير
لعيسى وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على الغائب في ضمن
الالتفات وأنه أبلغ في التبشير والإنذار فأحكم بينكم يومئذ إثر رجوعكم
إلي فيما كنتم فيه تختلفون من أمور الدين وفيه متعلق بتختلفون وتقديمه عليه
لرعاية الفواصل فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا تفسير للحكم الواقع بين الفريقين وتفصيل

لكيفيته

لكيفيته والبداءة ببيان حال الكفرة لما أن مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم
عما هم عليه من الكفر والعناد وقوله تعالى في الدنيا والآخرة متعلق بأعذبهم ولا يخفى
إيقاع كل واحد من التعذيب في الدنيا والتعذيب في الآخرة وأحدا آتيا يوم القيامة
بل يعني أن مجموعهما يومئذ ● وقيل إن المرجع أعم من الدنيوي والأخروي ● وقوله
تعالى إلى يوم القيامة غاية للفوقية لا للجعل والرجوع متراخ عن الجعل وهو غير محدود
لا عن الفوقية المحدودة على نهج قوله فصار لكل حين ... البيت ...
... عن الإعادة لا عن الشهر وما لهم من ناصرين يخلصونهم من عذاب
الله في الدارين وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع أي ليس لواحد منهم ناصر واحد
وأما الذين آمنوا بما أرسلت به وعملوا الصالحات كما هو دأب المؤمنين فنوفيهم أجورهم
أي يعطيهم إياها كاملة ولعل الالتفات إلى الغيبة للإيذان بأن مقتضي
التعذيب والإثابة من حيث الجلال والجمال ● وقرئ فنوفيهم جريا على سنن
العظمة والكبرياء والله لا يحب الظالمين أي يبغضهم فإن محبة الكمال ناشئة في جميع
الصفات ... بجزي الخيبة وإيراد الظالمين للإشعار بأنهم بكفرهم متعدون
متجاوزون عن الحدود واضعون الكفر مكان الشكر والإيمان والجملة تذييل
لما قبله مقرر لمضمونه ذلك نتلوه إشارة إلى ما سلف من نبأ عيسى عليه السلام وما فيه من
معنى البعد للدلالة على عظم شأن المشار إليه وبعد منزلته في الشرف وعلى كونه في
ظهور الأمر ونباهة الشأن بمنزلة المشاهد المعاين وهو مبتدأ وقوله عز وعلا نتلوه
خبر وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوه وقوله من الآيات حالا من الضمير المنصوب
أو خبر بعد خبر أو هو الخبر وما بينهما حال من اسم الإشارة أو ذلك خبر لمبتدأ مضمر
أي الأمر ذلك ونتلوه حال كما مر وصيغة الاستقبال إما لاستحضار الصورة أو على
معناها إذ التلاوة لم تتم بعد والذكر الحكيم أي المشتمل على الحكم أو المحكم الممنوع
من تطرق الخلل إليه والمراد به القرآن فمن تبعيضية أو البعض مخصوص منه فمن بيانية
وقيل هو اللوح المحفوظ فمن ابتدائية إن مثل عيسى أي شأنه البديع المنتظم
لغرابته في سلك الأمثال عند الله أي في حكمه وتقديره كمثل آدم أي كحالته
العجيبة التي لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع خلقه من تراب تفسير لما أبهم
في المثل وتفصيل لما أجمل فيه وتوضيح للتماثل ووجه الشبه بينهما وحسم لمادة
شبه الخصوم فإن إنكار خلق عيسى عليه السلام بلا أب ممن اعترف بخلق آدم
عليه السلام بغير أب وأم مما لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبه من تراب ثم قال له كن
أي أنشأه بشرا كما في قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر ... ويكون ... من التراب
كونه ويجوز كون ثم للتراخي في الإخبار لا للتراخي في المخبر به فيكون حكاية حال
ماضية ● روي أن وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم
صاحبنا قال وما أقول قالوا تقول إنه عبد قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته
ألقاها إلى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت إنسانا من غير أب فحيث

خلقه انه لا اب له من البشر وجب ان يكون ابنا من الله فقيل لهم ان آدم عليه
السلام ما كان له اب ولا ام ولم يلزم من ذلك كونه ابنا لله سبحانه وتعالى فكذا حال عيسى
عليه السلام وامه والظرف اما حال اي كائنا من ذلك او خبر ثان اي كائن منه تعالى وقد
ثابت او خبر اي الحق المذكور من الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى المخاطب لتشريفه عليه السلام والايذان بان تنزيل هذه الايات الحقيقية الناطقة
بكنه الامر تربية له صلى الله عليه وسلم ولطف به فلا تكن من الممترين في ذلك الخطاب
اما للنبي صلى الله عليه وسلم على طريقة الالهاب والتهييج لزيادة الاثبات والاشعار بان
الامتراء في المحذورية بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف بمن هو بصدد
الامتراء واما لكل من له صلاحية الخطاب فمن حاجك اي من النصارى اذ هم المتصدي
للمحاجة فيه اي في شان عيسى وامه زعما منهم انه ليس على الشان المحكي من بعد ما جاءك من العلم
اي ما يوجبه ايجابا قطعيا من الايات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا عما هم عليه من
الغي والضلال فقل لهم تعالوا اي هلموا بالراي والعزيمة ندع ابناءنا وابناءكم اكتفى بهم
عن ذكر البنات لظهور كونهم اعز منهن واما النساء فتعلقهن من جهة اخرى ونساءنا ونساءكم
وانفسنا وانفسكم اي ليدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة
ويحملهم عليها وتقديمهم على النفس في اثناء المباهلة التي هي من باب المهالك ومظان
التلف مع ان الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم للايذان بكمال امنه صلى الله
عليه وسلم وتمام ثقته بامره وقوة يقينه بانه لن يصيبهم في ذلك شائبة مكروه
اصلا وهو السر في تقديم جانبه عليه السلام على جانب المخاطبين في كل من المقدم
والمؤخر رعاية للامتثال في الصيغة فان غير المتكلم تبع له في الاسناد ثم نبتهل اي
نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصلها الترك
من قولهم بهلت الناقة اي تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف على نبتهل
مبين لمعناه روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما خلوا قالوا للعاقب
وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا
نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا
نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم
عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها رضوان الله عليهم
اجمعين وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى
وجوها لو شاء الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى
على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا يا ابا القاسم راينا ان لا نباهلك
وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة
فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا قال فاني اناجزكم
فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا

عن

عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلاثين درعا عادية
من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران
ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران
واهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا ان هذا اي
ما قص من نبا عيسى وامه لهو القصص الحق دون ما عداه من اكاذيب النصارى فهو ضمير
الفصل دخلته اللام لكونه اقرب الى المبتدا من الخبر واصلها ان تدخل المبتدا
ويجوز ان يكون هو مبتدا والقصص خبره والحق صفته او مبتدا او القصص خبر والجملة
خبر لان وما من اله الا الله صرح فيه بمن الاستغراقية تاكيدا للرد على النصارى في تثليثهم
وان الله لهو العزيز القادر على جميع المقدورات الحكيم المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه
في القدرة والحكمة ليشاركه في الالوهية فان تولوا عن التوحيد وقبول الحق الذي قص عليك
بعد ما عاينوا تلك الحجج النيرة والبراهين الساطعة فان الله عليم بالمفسدين اي بهم وانما وضع موضعه
للايذان بان الاعراض عن التوحيد والحق الذي لا محيد عنه بعد ما قامت به الحجج افساد للعالم
وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى قل يا اهل الكتاب امر بخطاب اهل الكتابين وقيل بخطاب
وفد نجران وقيل بخطاب يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا تختلف فيها الرسل والكتب
وهي ان لا نعبد الا الله اي نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا
له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله بان نقول
عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا
منهم بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال
عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال عليه السلام اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون
التي من التوحيد يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال عليه السلام
هو ذاك فان تولوا عما دعوتهم اليه من التوحيد وترك الاشراك فقولوا اي قل لهم
انت والمؤمنون اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم
واعترفوا بانكم كافرون لما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم السلام تنبيه
انظر الى ما روعي في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدريج في المحاجة حيث
بين اولا احوال عيسى عليه السلام وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر كيفية
دعوته للناس الى التوحيد والاسلام فلما ظهر عنادهم دعوا الى المباهلة بنوع من الاعجاز
ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد دعوا الى ما اتفق عليه عيسى والانجيل وسائر
الانبياء والكتب ثم لما ظهر عدم اجدائه ايضا امر بان يقال لهم اشهدوا بانا مسلمون
يا اهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تحاجون في ابراهيم اي في ملته وشريعته تنازعت
اليهود والنصارى في ابراهيم عليه السلام وزعم كل منهم انه عليه السلام منهم
وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى لم تدعون انه عليه السلام
كان منكم وما انزلت التوراة على موسى عليه السلام والانجيل على عيسى عليه السلام الا
من بعده حيث كان بينه وبين موسى عليهما السلام الف سنة وبين موسى وعيسى عليهما السلام

التالية فكيف يمكن ان يكون عليهما افلا تعقلون اي الا تتفكرون افلا تعقلون بطلان
مذهبكم او تقولون ذلك فلا تعقلون بطلانه ها انتم هؤلاء جملة من مبتدأ وخبر صدرت
بحرف التنبيه ثم بينت بجملة مستأنفة مشعرة باستغرابها للغفلة تحذيرا اي انتم هؤلاء
الاشخاص الحمقى حيث حاججتم فيما لكم به علم في الجملة حيث وجدتموه في التوراة والانجيل فلم
تحاجون فيما ليس لكم به علم اصلا اذ لا ذكر لدين ابراهيم عليه السلام في ذكر احد الكتابين
قطعا وقيل هؤلاء بمعنى الذي وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أأنتم على الاستفهام
للتعجب من حماقتهم والله يعلم ما حاججتم فيه او كل شيء فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا
وانتم لا تعلمون اي بمحل النزاع او شيئا من الاشياء التي من جملتها ذلك ما كان ابراهيم يهوديا ولا
نصرانيا تصريح بما نطق به البرهان المقرر ولكن كان حنيفا اي مائلا عن العقائد الزائغة
كلها مسلما اي منقادا لله تعالى وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك
الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله
ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم عليه السلام ان اولى الناس بابراهيم اي اقربهم
اليه واخصهم به للذين اتبعوه اي في زمانه وهذا النبي والذين امنوا لموافقتهم له في اكثر
ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على
ابراهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم وتخصيص المؤمنين بالذكر
ليثبت الحكم في النبي عليه السلام بدلالة النص ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم
نزلت في اليهود حين دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا
انفسهم جملة حالية جيء بها للدلالة على كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم على ما هم عليه من الدين القويم
اي وما يتخطاهم الاضلال وما يعود وباله الا اليهم لما انه يضاعف به عذابهم وقيل
وما يضلون الا امثالهم ومن يدانيهم قوله وما يشعرون اي باختصاص وباله وضرره بهم يا اهل
الكتاب لم تكفرون بايات الله اي بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم وانتم تشهدون اي والحال انكم تشهدون انها ايات الله او بالقرآن وانتم تشهدون
نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل
وابرازه في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبّسون بالتشديد
وتلبَسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كما في قوله عليه السلام كلابس ثوبي
زور وتكتمون الحق اي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وانتم تعلمون اي حقيته
وقالت طائفة من اهل الكتاب ... امنوا بالذي انزل
على الذين امنوا اي اظهروا الايمان بالقرآن المنزل عليهم وجه النهار اي اوله على الوجه
واكفروا اي اظهروا ما انتم عليه من الكفر به اخره لعلهم اي لعل المؤمنين ... بادي الراي
من غير تأمل ... على خلاف الكفر الاول فرجعتم عنه لعلهم اي
المؤمنين يرجعون عما هم عليه من الايمان به كما رجعتم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلاة
الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة اخره لعلهم يقولون هم اعلم

منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اتفق اثنا عشر رجلا من احبار خيبر وتقاولوا بان يدخلوا في الاسلام
اول النهار ويقولوا اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا صلى الله عليه وسلم
بالنعت الذي ورد في التوراة لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا اي لا تقروا عن تصديق
قلبي الا لمن تبع دينكم اي لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينهم
من قبل فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي به من يشاء الى الايمان ويثبته
عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتموه لان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم
ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام
وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان هدى
الله بدل من الهدى وقرأ ابن كثير أأن يؤتى على الاستفهام التقريعي وهو مؤيد للوجه الاول
اي الان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها نافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان
يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو
ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم رد
وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة يختص برحمته من يشاء اي يجعل رحمته مقصورة على من يشاء والله ذو الفضل
العظيم كل ذلك تنبيه ... ومن اهل الكتاب شروع في بيان خيانتهم في المال
بعد بيان خيانتهم في الدين والجار والمجرور ... على الابتداء ... تحقيقه في تفسير
قوله تعالى ومن الناس من يقول اي خبر ... من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك على ان المقصود
بيان انهم ... كعبد الله بن سلام استودعه قرشي
الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء
استودعه قرشي اخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون
في القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما استثناء مفرغ من اعم
الاحوال والاوقات اي لا يؤده اليك في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا في
حال دوام قيامك او في وقت دوام قيامك على راسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي
واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله تعالى لا
يؤده وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال غلوهم في الشر والفساد بانهم اي بسبب
انهم قالوا ليس علينا في الاميين اي في شان من ليس من اهل الكتاب سبيل اي عتاب ومؤاخذة
ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون ... الا انهم
استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التوراة حرمة وقيل عامل اليهود
رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه
كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من
شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر

بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل وقوله تعالى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استئناف
مقرر للجملة التي سدت مسدها والضمير المجرور لمن او لله تعالى وعموم المتقين ناب مناب الراجع
من الجزاء الى من وسنعرف بان التقوى ملاك الامر عام للوفاء وغيره من اداء الواجبات
والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون اي يستبدلون ويأخذون بعهد الله اي بدل
ما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء بالامانات وايمانهم
وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك الموصوفون
بتلك الصفات القبيحة لا خلاق لا نصيب لهم في الاخرة من نعيمها ولا يكلمهم الله اي بما يسرهم
او بشيء اصلا وانما يقع ما يقع من السؤال والتوبيخ والتقريع في اثناء الحساب من الملائكة
عليهم السلام او لانهم لا ينتفعون بكلمات الله تعالى واياته والظاهر انه كناية عن شدة غضبه
وسخطه نعوذ بالله تعالى من ذلك لقوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة فانه مجاز عن الاستهانة
بهم والسخط عليهم وهو متفرع على الكناية في حق من يجوز عليه النظر لان من اعتد بالانسان
التفت اليه واعار نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان
لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر ويوم القيامة متعلق بالفعلين وفيه من
تهويل الوعيد ما لا يخفى ولا يزكيهم اي لا يثني عليهم او لا يطهرهم من اوضار الاوزار
ولهم عذاب اليم على ما فعلوا من المعاصي قيل انها نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق
وحيي بن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا نعت رسول الله عليه افضل الصلاة والسلام
واخذوا الرشوة على ذلك وقيل نزلت في الاشعث بن قيس حيث كان بينه وبين
رجل نزاع في بئر فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له شاهداك او
يمينه فقال الاشعث اذن يحلف فقال عليه الصلاة والسلام من حلف
على يمين يستحق بها مالا وهو فيها فاجر لقي الله تعالى وهو عليه غضبان وقيل
في رجل اقام سلعته في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وان منهم اي
من اليهود المحرفين لفريقا ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف واضرابهما يلوون
ألسنتهم بالكتاب اي يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها
بشبه الكتاب وقرئ يلوون بالتشديد ويلون بقلب الواو المضمومة همزة
ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه اي المحرف
المدلول عليه بقوله تبارك وتعالى يلوون الى اخره وقرئ بالياء والضمير للمسلمين
من الكتاب اي من جملته وقوله تبارك وتعالى وما هو من الكتاب حال من الضمير
المنصوب اي والحال انه ليس منه في نفس الامر وفي اعتقادهم ايضا ويقولون مع ما
ذكر من اللي والتحريف على طريقة التصريح لا بالتورية والتعريض هو اي المحرف من عند الله
اي منزل من عند الله سبحانه وتعالى وما هو من عند الله حال من ضمير المبتدأ اي الخبر والحال
انه ليس من عنده تعالى في اعتقادهم ايضا وفيه من المبالغة في تشنيعهم وتقبيح
دينهم والحاجة لهم ما لا يخفى والاظهار الاسم الجليل والكتاب في محل الاضمار لتوكيد
ما اقدموا عليه من التقول ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون

على

على الله سبحانه وتعالى وهو تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف
وغيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
اخذت قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر بيان لافترائهم
على الانبياء عليهم افضل الصلاة والسلام حيث قال نصارى نجران ان عيسى عليه
الصلاة والسلام امرنا ان نتخذه ربا حاشاه عليه الصلاة والسلام وابطال له
اثر بيان افترائهم على الله سبحانه وتعالى وابطاله اي ما صح وما استقام لاحد وانما
قيل لبشر اشعارا بعلة الحكم فان البشرية منافية للامر الذي اسندوه اليهم
ان يؤتيه الله الكتاب الناطق بالحق الآمر بالتوحيد الناهي عن الاشراك والحكم اي الفهم
والعلم او الحكمة وهي السنة والنبوة ثم يقول ذلك البشر بعد ما شرفه الله عز وجل
بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق واطلعه على شؤونه العالية للناس كونوا عبادا لي
الجار متعلق بيقول وهو صفة لعبادا اي عبادا كائنين لي من دون الله متعلق بلفظ
عبادا لما فيه من معنى الفعل او صفة ثانية وتعليقه الحالية لتخصيصها النكرة بالوصف اي
متجاوزين الله سبحانه وتعالى سواء كان ذلك استقلالا او اشتراكا فان التجاوز متحقق
فيهما حتما قيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله سبحانه وتعالى
او نأمر بعبادة غيره تعالى فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل من
المسلمين يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك فقال عليه
افضل الصلاة والسلام لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله تعالى ولكن اكرموا نبيكم
واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا اي ولكن يقول كونوا ربانيين الرباني منسوب الى الرب
بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل الشديد التمسك
بطاعة الله تعالى ودينه بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اي بسبب مثابرتكم
على تعليم الكتاب ودراسته اي قراءته فان حمل كان معنا بعد الاستمرار لافادة الاستمرار
التجددي وتكرير بما كنتم للاشعار باستقلال كل من استمرار التعليم واستمرار
القراءة بالفضل وتحصيل الربانية وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه
عليها او لان الخطاب الاول لرؤسائهم والثاني لمن دونهم وقرئ تعلمون بمعنى
عالمين وتدرسون من التدريس وتدرسون من الادراس بمعنى التدريس كاكرم
بمعنى كرم ويجوز كون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير بما تدرسونه على الناس
ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا بالنصب عطفا على ثم يقول ولا مزيدة لتأكيد
معنى النفي في قوله سبحانه وتعالى ما كان لبشر ان يستنبئه الله تعالى ثم يأمر الناس بعبادته
ولا يأمرهم باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة وقرئ بالرفع على
الاستئناف ويحتمل الحال ايأمركم بالكفر انكار لما نفي عن البشر والضمير له سبحانه
بعد اذ انتم مسلمون وهذا دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له

ليه الصلاة والسلام وإذ أخذ الله ميثاق النبيين منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه
وسلم أي اذكر وقت أخذه تعالى ميثاقهم لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم
لتؤمنن به ولتنصرنه وقيل معطوف على ما سبق وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم بذلك أولى
وأحرى • وقيل معناه أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكرهم
وقيل إضافة الميثاق إلى النبيين إضافة إلى الفاعل • والمعنى وإذ أخذ الله الميثاق الذي
وثقه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على أممهم • وقيل المراد أولاد النبيين على حذف
المضاف وهم بنو إسرائيل أو سماهم نبيين تهكما بهم لأنهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة
من محمد صلى الله عليه وسلم لأنا أهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة
للقسم لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد
جواب القسم والشرط وعبد الخبرية • وقرئ لما بالكسر على أن ما مصدرية أي لأجل
إيتائي إياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق له • وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم أو لمن أجل
ما آتيتكم على أن أصله لمن ما بالإدغام فحذف إحدى الميمات الثلاث استثقالا قال
أي الله تعالى بعدما أخذ الميثاق أأقررتم بذلك وأخذتم على ذلكم إصري أي عهدي سمي به لأنه
يؤصر أي يشد • وقرئ بضم الهمزة وهي إما لغة فيه كعبر وعبر أو جمع إصار وهو ما يشد
به قالوا استئناف مبني على السؤال • كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا أقررنا
وإنما لم يذكر أخذهم الإصر اكتفاء بذلك قال تعالى فاشهدوا أي فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار
وقيل الخطاب فيه للملائكة وأنا معكم من الشاهدين أي وأنا أيضا على إقراركم ذلك وتشاهدكم
وإنه حال من فاعل المخاطبين لأنهم المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التأكيد والتحذير ما لا
يخفى فمن تولى أي أعرض عما ذكر بعد ذلك الميثاق والتوكيد بالإقرار والشهادة فمعنى البعد في
اسم الإشارة لتفخيم الميثاق فأولئك إشارة إلى من والجمع باعتبار المعنى • كما أن الإفراد
في تولى باعتبار اللفظ • وما فيه من معنى البعد للإيذان بغاية بعد منزلتهم
في السوء وبعد منزلتهم في الشر والفساد • أي أولئك المتولون المتصفون بالصفات
القبيحة هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فإن الفاسق من
كل طائفة من كان متجاوزا عن الحد أفغير دين الله يبغون عطف على مقدر أي أيتولون
فيبغون غير دين الله وتقديم المفعول لأنه المقصود بالإنكار وفي الجملة المنفية مد والفعل
من سطه بكلمة الإنكار • وقرئ بالخطاب على تقدير قل لهم وله أسلم من في السماوات
والأرض جملة حالية مفيدة لركاكة الإنكار طوعا وكرها أي طائعين بالنظر واتباع
الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ إلى الإسلام كنتق الجبل وإدراك الغرق
والإشراف على الموت أو مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فإنهم لا
يقدرون على الامتناع عما قضي عليهم وإليه يرجعون أي من فيهما • والجمع باعتبار المعنى وقرئ
بياء الخطاب والجملة إما معطوفة على ما قبلها معطوفة على الحالية • وأما مستأنفة
سيقت للتهديد والوعيد قل آمنا بالله أمر للرسول عليه أفضل الصلاة والسلام
بأن يخبر عن نفسه ومن معه من المؤمنين بالإيمان بما ذكر وجمع الضمير في قوله تعالى وما

أنزل علينا وهو القرآن لما أنه نزل عليهم أيضا بتوسط تبليغه إليهم أو لأن المنسوب إلى
واحد من الجماعة قد ينسب إلى الكل أو عن نفسه فقط وهو الأنسب لما سيأتي • والجمع
لإظهار جلالة قدره عليه أفضل الصلاة والسلام ورفعة محله بأمره بأن يتكلم عن
نفسه على ديدن الملوك • ويجوز أن يكون الأمر عاما • والإفراد لتشريفه صلى الله
عليه وسلم والإيذان بأنه عليه الصلاة والسلام أصل في ذلك كما في قوله تبارك
وتعالى يا أيها النبي إذا طلقتم النساء
وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط
من الصحف والنزول كما يعدى بإلى لانتهائه إلى الرسل عليهم السلام يعدى بعلى لأنه
من فوق ومن رام الفرق بأن على لكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وإلى لكون الخطاب
للمؤمنين فقد تعسف • ألا ترى إلى قوله بما أنزل إلينا وقوله آمنوا بالذي أنزل على
الذين آمنوا وجه النهار • وإنما قدم المنزل على الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام
على ما أنزل على سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام مع تقدمه عليه نزولا لأنه المعرف
له والعيار عليه • والأسباط جمع سبط وهو الحافد • والمراد بهم حفدة يعقوب عليه
السلام أو أبناؤه الاثنا عشر وذراريهم فإنهم حفدة إبراهيم عليه الصلاة والسلام
وما أوتي موسى وعيسى من التوراة والإنجيل وسائر المعجزات الظاهرة بأيديهما • كما ينبئ
عنه إسناد الإيتاء إليهما خاصة • وتخصيصهما بالذكر لما أن الكلام مع اليهود
والنصارى والنبيون عطف على موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام أي وما أوتي
النبيون من المذكورين وغيرهم من ربهم من الكتب والمعجزات لا نفرق بين أحد منهم كدأب
اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة نبوة كل منهم وبحقية ما أنزل
إليهم في زمانهم • وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور إياه • وقد مر تفصيله
في تفسير قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله • وهمزة أحد إما أصلية فهو اسم موضوع لمن
يصلح أن يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين
عليه كما في مثل المال بين الناس • وإما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه
في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره أي بين أحد منهم وغيره
كما في قول النابغة • [illegible] •
فما كان بين الخير إذ جاء سالما • أبو حجر إلا ليال قلائل • أي بين الخير وبيني
ونحن له مسلمون أي منقادون أو مخلصون له سبحانه وتعالى أنفسنا لا نجعل له شريكا
فيه • وفيه تعريض بإيمان أهل الكتاب فإنه بمعزل من ذلك ومن يبتغ غير الإسلام
أي غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحا والمدعين للتوحيد
مع إشراكهم كأهل الكتابين دينا يدين به وهو نصب على أنه مفعول ليبتغ وغير
حال منه لما أنه كان صفة له فلما تقدمت عليه انتصب حالا أو هو المفعول
ودينا تمييز لما فيه من الإبهام أو بدل من غير الإسلام فلن يقبل منه أبدا بل
يرد عليه أشد رد وأقبحه • وقوله تعالى وهو في الآخرة من الخاسرين إما حال من الضمير المجرور
أو استئناف لا محل له من الإعراب أي من الواقعين في الخسران • والمعنى أن المعرض

للإسلام وهو الطالب لغيره فاقد للنفع وواقع في الخسران بإبطال الفطرة السليمة التي فطر
الناس عليها • وفي ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على أن حال من تكفر به
الإسلام وأعرض عنه أفظع وأقبح واستدل به على أن الإيمان هو الإسلام إذ لو كان
غيره لم يقبل والجواب أنه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول ما يغايره كيف يهدي الله
إلى الحق قوماً كفروا بعد إيمانهم قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد ما آمنوا ولحقوا بمكة وقيل
هم يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد
أن كانوا مؤمنين به قبل مبعثه وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لأن يهديهم الله
تعالى إلى الحق بعد ما وضح لهم منهمكين في الضلال بعيدين من الرشاد وقيل نفي وإنكار
له وذلك يقتضي أن لا تقبل توبة المرتد • وقوله تعالى وشهدوا عطف على إيمانهم باعتبار
انحلاله إلى جملة فعلية • كما في قوله تعالى إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله
أي فإنه في قوة أن يقال بعد أن آمنوا أو حال من ضمير كفروا باعتبار قد وهو دليل
على أن الإقرار باللسان خارج عن حقيقة الإيمان والله لا يهدي القوم الظالمين أي الذين
ظلموا أنفسهم بالإخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الإيمان فكيف من جاءه الحق وعرفه
ثم أعرض عنه والجملة اعتراضية أو حالية أولئك إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم
بما مر من الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد لما مر مراراً وهو مبتدأ وقوله
تعالى جزاؤهم مبتدأ ثان • وقوله تعالى أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خبره
والجملة خبر لأولئك ومنطوقه يدل على جواز لعنهم ومفهومه ينفي جواز لعن
غيرهم • ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم أنهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون من الهدى آيسون
من الرحمة رأساً بخلاف غيرهم • والمراد بالناس المؤمنون أو الكل فإن الكافر أيضاً
يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها أي في اللعنة
أو العقوبة أو النار وإن لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
أي يمهلون إلا الذين تابوا من بعد ذلك أي من بعد الارتداد وأصلحوا أي ما أفسدوا أو
دخلوا في الإصلاح فإن الله غفور رحيم فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم وهو تعليل لما
دل عليه الاستثناء • وقيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فأرسل
إلى قومه أن سلوا هل لي من توبة فأرسل إليه أخوه الجلاس بالآية فرجع إلى المدينة فتاب
إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً كاليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد الإيمان بموسى والتوراة
ثم ازدادوا كفراً بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن أو كفروا به عليه السلام بعد ما آمنوا
به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفراً بالإصرار عليه والطعن فيه والصد عن الإيمان
ونقض الميثاق أو كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفراً بقولهم نتربص بهم ريب
المنون أو نرجع إليه فننافقه بإظهاره لن تقبل توبتهم لأنهم لا يتوبون
إلا عند إشرافهم على الهلاك فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظاً في شأنهم
وإبرازاً لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة أو لأن توبتهم لا تكون إلا نفاقاً لارتدادهم
وازديادهم كفراً ولذلك لم يدخل فيه الفاء وأولئك هم الضالون الثابتون على الضلال

إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به لما كان
على الكفر سبباً لامتناع قبول الفدية زيدت الفاء ها هنا للإشعار به وملء الشيء ما يملؤه وذهباً
تمييز وقرئ بالرفع على أنه بدل من ملء أو خبر لمحذوف ولو افتدى محمول على المعنى كأنه قيل
فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهباً أو معطوف على مضمر تقديره فلن
يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً لو تصدق به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة
أو المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه والمثل
يحذف ويراد كثيراً لأن المثلين في حكم شيء واحد أولئك إشارة إلى المذكورين باعتبار
اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة لهم عذاب أليم مؤلم وإيراد اسم الإشارة مبتدأ والظرف
خبره ولا اعتماده على المبتدأ ارتفع به عذاب على الفاعلية وما لهم من ناصرين
في دفع العذاب عنهم أو في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لمراعاة الضمير أي
ليس لواحد منهم ناصر واحد لن تنالوا البر من ناله يناله إذا أصابه والخطاب للمؤمنين
وهو كلام مستأنف سيق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم إثر بيان ما لا ينفع الكفرة
ولا يقبل منهم أي لن تبلغوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا
شأوه ولن تلحقوا بزمرة الأبرار أو لن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته
حتى تنفقوا أي في سبيل الله عز وجل رغبة فيما عنده ومن في قوله تعالى مما
تحبون تبعيضية ويؤيده قراءة من قرأ بعض ما تحبون وقيل بيانية وما موصولة
أو موصوفة أي مما تهوون ويعجبكم من كرائم أموالكم وأحبها إليكم كما في قوله تعالى أنفقوا
من طيبات ما كسبتم أو مما يعمها وغيرها من الأعمال والمهجة على أن المراد بالإنفاق مطلق
البذل وفيه من الإيذان بعزة منال البر ما لا يخفى • وكان السلف رضي الله تعالى
عنهم أجمعين • إذا أحبوا شيئاً جعلوه لله عز وجل • وروي أنها لما نزلت جاء أبو طلحة
وقال يا رسول الله إن أحب أموالي إلي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال
صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح أو رائح وإني أرى أن تجعلها في الأقربين
فقسمها في أقاربه • وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل
عليها رسول الله عليه الصلاة والسلام أسامة بن زيد فكأن زيداً وجد في نفسه وقال
إنما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما إن الله تعالى قد قبلها
منك وقيل وفيه دلالة على أن إنفاق أحب الأموال على أقرب الأقارب أفضل وكتب عمر
رضي الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن يشتري له جارية من سبي جلولاء
يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت أعجبته فقال إن الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون فأعتقها • وروي أن ابن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه كانت لزوجته
جارية بارعة الجمال وكان عمر راغباً فيها وكان قد طلبها منها فلم تعطها إياه • فلما
ولي الخلافة زينتها وأرسلتها إليه فقالت قد وهبتها يا أمير المؤمنين فلتخدمك فقال
من أين ملكتيها فقالت جئت بها من بيت أبي عبد الملك ففتش عن كيفية تملكه
إياها فقيل إنه كان على فلان العامل ديون فلما توفي أخذت من تركته ففتش عن حال

العامل واحضر ورثته وارضاهم جميعا باعطا المال ثم توجه الي الجارية وكان يهواها
شديدا فقال لها انت حرة لوجه الله تعالى ❁ فقالت لم يا امير المؤمنين ومعه اثبت عن امرها كل
شهوة قال لست اذا ممن نهى النفس عن الهوى **وما تنفقوا من شيء** ما شرطية جازمة لتنفقوا
منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلق بمحذوف هو صفة لاسم الشرط اي اي
شيء تنفقوا كاين من الاشيا فان الفرد في مثل هذا واقع موقع الجمع ❁ وقيل محل الجار
والمجرور النصب على التمييز اي اي شيء تنفقوا طيب تحبونه او خبيث تكرهونه **فان الله به**
عليم تعليل لجواب الشرط واقع موقعه اي فيجازيكم بحسبه جيدا كان او رديا فانه
تعالى بكل شيء تنفقونه عالم كاملا لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته ونعتبر الخاصة والجم
لغاية التواصل وفيه من الترغيب في انفاق الجيد والتحذير عن انفاق الردي ما لا
يخفى **كل الطعام** اي كل افراد المطعوم او كل انواعه **كان حلا لبني اسرائيل** اي حلالا لهم
فان الحل مصدر نعت به ولذلك استوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث كما
في قوله تعالى لا هن حل لهم **الا ما حرم اسرائيل على نفسه** استثنا متصل من اسم كان اي
كان كل الطعام حلالا لبني اسرائيل اي يعقوب عليه السلام على نفسه وهو لحوم الابل
والبانها قيل كان به وجع النسا فنذر على نفسه لين شفي لا ياكل من احب الطعام اليه
وكان ذلك احبه اليه ❁ وقيل فعل ذلك للتداوي لاشارة الاطبا واحتج به من
جوز للنبي الاجتهاد وللمانع ان يقول انما كان ذلك باذن من الله تعالى فيه وهو كتحريمه ابتدا
من قبل ان تنزل التورية متعلق بقوله تعالى كان حلا لا بحرم في توسيط الاستثنا
بينهما ❁ وقيل متعلق بحرم وفيه ان تقييد تحريمه عليه السلام بقبلية تنزيل
التوراة ليس فيه مزيد فايدة ❁ فالمعنى اي كان ما عدا المستثنى حلالا لهم قبل ان تنزل
التوراة مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وهو رد على
اليهود في دعواهم البراءة عما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم ❁ قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الايتين بان قالوا لسنا
اول من حرمت عليه وانما كانت على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا
فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وتبكيتا لهم في منع النسخ والطعن في دعوى الرسول
صلى الله عليه وسلم موافقته لابراهيم عليه السلام بتحليل لحوم الابل والبانها **قل فاتوا**
بالتوراة فاتلوها امر عليه السلام بان يحاجهم بكتابهم الناطق بان تحريمه حادث
مترتب على ظلمهم وبغيهم كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها حرم عليهم
نوع من الطيبات عقوبة لهم ويكلفهم اخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر
كذبهم والمراد اسفار التوراة لكون الجملة كلاما مع اليهود منقطعا عما قبله وقوله
تعالى **ان كنتم صادقين** اي في دعواكم انه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة
المذكور عليه ان كنتم صادقين فاتوا بالتوراة فاتلوها فان صدقكم مما يدعوكم الى
ذلك البتة ❁ روي انهم لم يجسروا على اخراج التوراة فبهتوا وانقلبوا صاغرين ❁ وفي
ذلك من الحجة النيرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وجواز النسخ الذي يجحدونه

مالا يخفى والجملة مستانفة مسوقة لما قبلها **فمن افترى على الله الكذب** اي اختلقه عليه سبحانه
بزعمه انه حرم ما ذكر قبل نزول التوراة على بني اسرائيل ومن تقدمهم من الامم **من بعد**
ذلك من بعد ما ذكر من امرهم باحضار التوراة وتلاوتها وما ترتب عليه من التبكيت
والالزام والتقييد به للدلالة على كمال القبح **فاولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه
بما في حيز الصلة والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الصلة باعتبار لفظه وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال والطغيان اي فاولئك المصرون
على الافترا بعدما ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم حلبة المحاجة والجدال **هم**
الظالمون المفرطون في الظلم والعدوان المبعدون فيهما ❁ والجملة مستانفة لا محل
لها من الاعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم ❁ وقيل هي في محل النصب داخل
تحت القول عطفا على قوله تعالى فاتوا بالتوراة **قل صدق الله** اي ظهر وثبت صدقه
تعالى فيما انزل في شان التحريم ❁ وقيل في قوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
او في كل شان من الشوون وهو داخل في ذلك دخولا اوليا وفيه تعريض بكذبهم
فاتبعوا ملة ابراهيم اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم عليه السلام
فانكم ما كنتم متبعين لملة كما تزعمون او فاتبعوا مثل ملة ابراهيم حتى تخلصوا من اليهودية
التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة وتلفيق الاكاذيب لتسوية الاغراض الدنيئة
الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله تعالى لابراهيم عليه السلام ومن تبعه
وفيه ايذان بان دلالته على ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع وترك ما كانوا عليه **حنيفا**
اي مائلا من الاديان الزايغة كلها **وما كان من المشركين** اي في امر من امور دينهم اصلا وفرعا
وفيه تعريض باشراك اليهود وتصريح بانه عليه السلام ليس بينهم وبينه علاقة
قطعا والغرض بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام
في الاصول لانه لا يدعو الا الى التوحيد والبراءة من كل معبود سواه سبحانه وتعالى
والجملة تذييل لما قبلها **ان اول بيت وضع للناس** شروع في بيان كفرهم ببعض اخر
من شعاير ملة ابراهيم عليه السلام اثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات له حلالا
له عليه الصلاة والسلام ❁ روي انهم قالوا بيت المقدس اعظم من الكعبة لانه
مهاجر الانبيا وفي الارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة اعظم فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت اي ان اول بيت وضع للعبادة وجعل متعبدا
لهم والي امنع مثو الله تعالى ❁ وقري وضع على البنا للفاعل ❁ وقوله تعالى **للذي**
ببكة خبر ان والاخبار بالمعرفة مع كون اسمها نكرة لتخصيصها بشيئين الاضافة والوصف
بالجملة بعدها اي للبيت الذي ببكة اي فيها وفي شان الموصوف من التفخيم ما لا
يخفى ❁ وبكة لغة في مكة فان العرب تعاقب بين البا والميم كما في قولهم ضربة لازب
ولازم والنميط والنبيط في اسم موضع بالدهنا وقولهم امر راتب وراتم وسامد
راسه وسبده واغبطت الحمى واغمطت وقيل هو للبلد الحرام من بكه اذا زحمه لازدحام
الناس فيه ❁ وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا ولانها تدق اعناق الجبابرة اي

لم يقصده جبار الا قصمه الله عز وجل • وقيل بكة اسم لبطن مكة وقيل لموضع البيت • وقيل
للمسجد نفسه وفي مكة اسم للبلد كله والباء والميم اختان وسموا الازدحام فيها عند
الطواف • وقيل مكة اسم للحرم والمطاف وبكة اسم للبلد لقوله تعالى للذي ببكة
وروي انه عليه الصلاة والسلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم
بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة • وقيل اول من بناه ابراهيم عليه السلام
وقيل ادم عليه السلام وقد استوفينا ما فيه من الاقاويل في سورة البقرة • وقيل
اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف
دونه وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن في الظرف لان التقدير
للذي ببكة هو والعامل فيه ما في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه
قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة دالة على عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته كما قال
فيه ايات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار
ومخالطة ضواري السباع الصيود في الحرم من غير تعرض لها وسوء الله تعالى قهر كل جبار
قصده بسوء كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابراهيم اي اثر
قدميه عليه السلام في الصخرة التي كان يقوم عليها وقت رفع الحجارة
لبناء الكعبة عند ارتفاعه او عند غسل راسه على ما روي انه عليه الصلاة والسلام
جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسماعيل عليهما السلام انزل حتى اغسل
راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه وهو مبتدأ
محذوف خبره اي منها مقام ابراهيم او بدل من ايات بدل البعض من الكل او عطف بيان
اما وحده باعتبار كونه بمنزلة ايات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى
وعلى نبوة ابراهيم عليه السلام كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا او باعتبار اشتماله
على ايات كثيرة فان كل واحد من اثر قدميه في صخرة صماء وغوصه فيها الى الكعبين والانة بعض
الصخور دون بعض وابقائه دون سائر ايات الانبياء عليهم السلام وحفظه مع كثرة الاعداء
الوف سنة اية مستقلة ويؤيده القراءة على التوحيد واما بانضمام قوله عز وجل
ومن دخله كان امنا فانه وان كان جملة مستأنفة ابتدائية او شرطية لكنها في قوة ان يقال
وامن من دخله فتكون بحسب المعنى والمال معطوفة على مقام ابراهيم ولا يخفى ان الاثنين
نوع من الجمع فيكتفى بذلك او يحمل على انه ذكر من تلك الايات اثنتان وطوى ذكر ما عداهما
دلالة على كثرتها ومعنى امن داخله امنه من التعرض له • كما في قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا
حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد
امنا • وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب • وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت
فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه • ولذلك قال ابو حنيفة رحمه الله من لزمه
القتل في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا
يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج • وقيل امنه من النار • وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة امنا • وعنه عليه الصلاة والسلام

الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة • وهما مقبرتا مكة والمدينة • وعن ابن
مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ
مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر
ليلة البدر • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم
مسيرة مائتي عام ولله على الناس حج البيت جملة من مبتدأ هو حج البيت وخبره هو لله • وقوله تعالى
على الناس متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار او بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في
الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز ان يكون على الناس هو الخبر ولله متعلق بالتعلق
ولا يجوز ان يتعلق بمحذوف وهو حال من الضمير المستكن في الناس لاستلزامه تقديم الحال
على العامل المعنوي وذلك مما لا مساغ له عند الجمهور وقد جوزه ابن مالك رحمه الله اذا كانت
هي ظرفا او حرف جر وعاملها كذلك [illegible]
[illegible] وعلى الوجهين [illegible] وكسر الحاء لغة
نجد • وقيل هو اسم المصدر والفتح المصدر • وقرئ بهما • من استطاع اليه سبيلا في محل الجر على انه بدل
من الناس بدل البعض من الكل مخصص لعمومه والضمير العائد الى المبدل منه محذوف اي من استطاع
منهم • وقيل بدل الكل على ان المراد بالناس هم البعض المستطيع فلا حاجة الى العائد
وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هم من استطاع اليه • وقيل في محل
النصب بتقدير اعني • وقيل من موصولة بمعنى شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه • وكذا
العائد الى الناس اي من استطاع منهم اليه سبيلا فلله عليه حج البيت • وقد رجح هذا
بكون ما بعده شرطية والضمير المجرور في اليه راجع الى البيت او الى الحج والجار متعلق بالسبيل
قدم عليه اهتماما بشانه • كما في قوله عز وجل فهل الى خروج من سبيل لما فيه من معنى الافضاء والايصال
كيف لا وهو عبارة عن الوسيلة من مال او غيره فانه قد روي انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسر السبيل بالزاد والراحلة • وروي ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا
قال يا رسول الله ما السبيل فقال الزاد والراحلة وهو المراد بما روي عنه عليه الصلاة
والسلام من تفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة • وكذا روي عن ابن عباس وابن عمر رضي
الله عنهم وعليه اكثر العلماء خلا ان الشافعي رضي الله عنه اخذ بظاهره فاوجب الاستنابة
على الزمن القادر على الاجرة من ينوب عنه لان الظاهر انه عليه الصلاة والسلام
بعدما لا يكون [illegible] المعتبر في الحقيقة هو السبيل الموصل لنفس المستطيع الى
البيت [illegible] الحجة • ومن الناس من ذهب مالك الى ان الرجل
اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة • وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على
السفر • وقد يقدر عليه من لا زاد له ولا راحلة • وعن الضحاك انه اذا قدر ان يؤجر
نفسه فهو مستطيع ومن كفر وضع من كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتشديدا على تاركه
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا • ونحوه
عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه عنه عليه الصلاة والسلام
الحج على من استطاع اليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على اي حال شاء يهوديا او نصرانيا

فإن الله غني عن العالمين وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من جملتهم داخلاً فيهم دخولاً أولياً اكتفى بذلك
عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء ولقد حازت الآية الكريمة من فنون الاعتبارات المعربة عن كمال
الاعتناء بأمر الحج والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه حيث أوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقق
وأبرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار على وجه يفيد أنه حق واجب
لله تعالى في ذمم الناس لا انفكاك لهم عن أدائه والخروج عن عهدته وسلك بهم مسلك التعميم ثم
التخصيص والإبهام ثم التبيين والإجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير وعبر عن
تركه بالكفر الذي لا قبيح وراءه وجعل جزاءه استغناءه المؤذن بشدة المقت وعظم السخط
لا عن تاركه فقط فإنه قد يضرب عنه صفحاً إسقاطاً له عن درجة الاعتبار واستهجاناً بذكره بل
عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب ولذلك قال ابن عباس رضي
الله عنهما والحسن وعطاء من كفر أي جحد فرض الحج وزعم أنه ليس بواجب • وعن سعيد بن المسيب
نزلت في اليهود فإنهم قالوا الحج إلى مكة غير واجب • وروي أنه لما نزل قوله تعالى ولله
على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال
إن الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا
نؤمن به ولا نصلي إليه ولا نحجه فنزلت ومن كفر • وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن
لا تحجوا فإنه قد هدم البيت مرتين ويرفع إلى السماء في الثالثة • وروي حجوا قبل أن يمنع
البر جانبه • وعن ابن مسعود رضي الله عنه حجوا هذا البيت قبل أن تنبت في البادية
شجرة لا تأكل منها دابة إلا نفقت • وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاماً ما
نوظروا قل يا أهل الكتاب هم اليهود والنصارى وإنما خوطبوا بعنوان أهلية
الكتاب الموجبة للإيمان به وبما يصدقه من القرآن العظيم مبالغة في تقبيح
حالهم في كفرهم بها • وقوله عز وجل لم تكفرون بآيات الله توبيخ وإنكار لأن يكون
لكفرهم بها سبب من الأسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية • والمراد
بآيات الله تعالى ما يعم الآيات القرآنية التي من جملتها ما تلي في شأن الحج وغيره
وما في التوراة والإنجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم • وقوله تعالى
والله شهيد على ما تعملون حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد التوبيخ وتأكيد
الإنكار وإظهار الجلالة في موقع الإضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وصيغة
المبالغة في شهيد للتشديد في الوعيد وكلمة ما إما عبارة عن كفرهم أو هي
على عمومها وهو داخل فيها دخولاً أولياً والمعنى لأي سبب تكفرون بآياته
عز وجل والحال أنه تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع أعمالكم وفي مجازاتكم عليها
ولا ريب في أن ذلك يسد جميع أنحاء ما تأتونه ويقطع أسبابه بالكلية قل يا أهل
الكتاب أمر بتوبيخهم بالإضلال إثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة في حمله عليه
السلام على تقريعهم وتوبيخهم وترك عطفه على الأمر السابق للإيذان باستقلالهما
كما أن قطع قوله تعالى لم تصدون عن قوله تعالى لم تكفرون للإشعار بأن كل
واحد من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها مستقلة في استتباع اللائمة والتقريع

وتكرير

وتكرير الخطاب بعنوان أهلية الكتاب لتأكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فإن
ذلك العنوان كما يستدعي الإيمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي عدم صد الناس عنه فصدهم
عنه في أقصى مراتب القباحة ولكون صدهم في بعض الصور بتحريف الكتاب والتكذيب
بالآيات الدالة على نبوته عليه الصلاة والسلام • وقرئ تُصدون من أصده عن
سبيل الله أي دينه الحق الموصل إلى النعيم والسعادة الأبدية وهو التوحيد وملة
الإسلام من آمن مفعول لتصدون قدم عليه الجار والمجرور للاهتمام به كانوا يفتنون
المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم وقيل يقولون
إن صفته عليه السلام ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم • وقيل أتت
اليهود الأوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العدوان والحروب
ليعودوا إلى ما كانوا فيه تبغونها بإسقاط الجار وإيصال الفعل إلى الضمير كما في
قوله • فتولى غلامهم ثم نادى • أظليما أصيدكم أم حمارا • بمعنى
أصيد لكم أي تطلبون لسبيل الله التي هي أقوم السبل عوجاً اعوجاجاً بأن تلبسوا
على الناس وتوهموا أن فيه ميلاً عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول صلى الله عليه
وسلم عن وجهها ونحو ذلك • والجملة حال من فاعل تصدون • وقيل من سبيل الله وأنتم
شهداء حال من فاعل تصدون باعتبار تقييده بالحال الأولى أو من فاعل تبغونها
أي والحال أنكم تشهدون أنها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وأن الصد
عنها إضلال • قال ابن عباس رضي الله عنه أي شهداء أن في التوراة أن الدين الذي لا يقبل
غيره هو الإسلام أو وأنتم عدول عندهم تثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في
القضايا وعظائم الأمور وما الله بغافل عما تعملون اعتراض تذييلي فيه تشديد ووعيد
شديد لهم • قيل لما كان صدهم للمؤمنين بطريق الخفية ختمت الآية الكريمة بما يحسم
مادة حيلتهم من إحاطة علمه تعالى بأعمالهم كما أن كفرهم بآيات الله تعالى لما كان بطريق
العلانية ختمت الآية السابقة بشهادته تعالى على ما يعملون يا أيها الذين آمنوا إن
تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين تلوين للخطاب وتوجيه له
إلى المؤمنين تحذيراً لهم عن طاعة أهل الكتاب والافتتان بفتنتهم إثر توبيخهم بالإغواء
والإضلال ردعاً لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير
عن طاعتهم وإيجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فإنه في قوة أن يقال لا تطيعوا
فريقاً منهم حال لتعميم التوبيخ لتأكيد المبالغة في الزجر والنهي فعلقه على سبب النزول
فإنه روي أن نفراً من الأوس والخزرج كانوا جلوساً يتحدثون إذ مر بهم شاس بن قيس اليهودي
وكان عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين فغاظه ما رأى منهم من تألف القلوب واتحاد
الكلمة واجتماع الرأي بعد ما كان بينهم من العداوة والشنآن فأمر شاباً يهودياً كان
معه بأن يجلس إليهم ويذكرهم يوم بعاث وكان يوماً اقتتلت فيه الحيان وكان الظفر فيه
للأوس وينشدهم بعض ما قيل فيه من الأشعار ففعل فتنازع القوم وتغاضبوا وقالوا
السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله تعالى بالاسلام وقطع
به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح
واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال الامام
الواحدي اصطفوا للقتال فنزلت الآية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجاء النبي صلى الله عليه
وسلم حتى قام بين الصفين فقرأهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم
انصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجثوا يبكون
وقوله تعالى كافرين اما مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير كما في قوله

رمى الحدثان نسوة آل سعد • بمقدار سمدن له سمودا •
فرد شعورهن السود بيضا • ورد وجوههن البيض سودا •

او حال من مفعوله والاول ادخل في تنزيه المؤمنين عن نسبتهم الى الكفر لما فيه من التصريح بكون
الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة سبق الخطاب
ببيان المؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين
لاظهار كمال شناعة الكفر وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته
او لممانعة الايمان له • كانه قيل بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى وكيف
تكفرون استفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد
الآية لا بمعنى انكار الواقع كما في كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الآية • وفي توجيه الانكار
والاستبعاد الى كيفية الكفر من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال اتكفرون بان كل
موجود لا بد ان يكون وجوده على حال من الاحوال فاذا انكر ونفي جميع احوال وجوده انتفى وجوده
بالكلية على الطريق البرهاني • وقوله عز وجل وانتم تتلى عليكم آيات الله جملة وقعت حالا من ضمير
المخاطبين في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما فيها من الشئون الداعية الى الثبات
على الايمان الوازعة عن الكفر • وقوله تعالى وفيكم رسوله معطوف عليها داخل في حكمها فان تلاوة
آيات الله تعالى عليهم وكون رسوله عليه الصلاة والسلام بين اظهرهم يعظهم بالكتاب والحكمة
ويزكيهم بتحقيق الحق وازاحة الشبه من اقوى الزواجر عن الكفر وعدم اسناد التلاوة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للايذان باستقلال كل منهما في الباب ومن يعتصم بالله اي
من يتمسك بدينه الحق الذي بينه بآياته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام
والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله تعالى فقد هدي جواب للشرط لافادة معنى التحقق
كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فيه ظاهر فان المعتصم به تعالى متوقع
للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للندى الى صراط مستقيم موصل الى المطلوب
والتنوين للتفخيم والوصف بالاستقامة للتصريح بالرد على الذين يبغون له عوجا وهذا
وان كان هو دينه الحق في الحقيقة والاهتداء اليه هو الاعتصام بدينه بعينه وكان
العنوان الاخير مما يتنافس فيه المتنافسون ابرز في معرض الجواب للحث والترغيب على
طريقة قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقوله فمن زحزح عن
النار وادخل الجنة فقد فاز يا ايها الذين آمنوا تكرير للخطاب بعنوان الايمان تشريف

اثر

اثر تشريف اتقوا الله الاتقاء افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة حق تقاته اي حق
تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم كما في قوله
تعالى فاتقوا الله ما استطعتم • وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع ولا يعصى ويشكر
ولا يكفر ويذكر ولا ينسى • وقد روي مرفوعا اليه عليه الصلاة والسلام • وقيل
هو ان لا تاخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه • وقيل هو
ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة وقد مر تحقيق الحق في ذلك عند
قوله عز وجل هدى للمتقين والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتاد اصلها وقية فقلبت
واوها المضمومة تاء كما في تخمة وتهمة وياؤها المفتوحة الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي
مخلصون نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة لما سواه اصلا • كما في قوله تعالى ومن
احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تموتن على حال من الاحوال الا حال تحقق اسلامكم
وثباتكم عليه كما ينبئ عنه الجملة الاسمية ولو قيل الا مسلمين لم يفد فائدتها والعامل
في الحال ما قبل الا بعد النقض • وظاهر النظم الكريم وان كان نهيا عن الموت المقيد
بقيد هو الكون على اي حال سوى حال الاسلام لكن المقصود هو النهي عن ذلك القيد
عند الموت المستلزم للامر بضده الذي هو الكون على حال الاسلام
وحيث كان الخطاب للمؤمنين كان المراد ايجاب الثبات على الاسلام الى الموت وتوجيه النهي
الى الموت للمبالغة في النهي عن قيده المذكور فان النهي عن المقيد في امثاله نهي عن القيد
ورفع له من اصله بالكلية مفيد لما لا يفيده النهي عن نفس القيد فان قولك لا تصل الا وانت
خاشع يفيد من المبالغة في ايجاب الخشوع في الصلاة ما لا يفيده قولك لا تترك الخشوع في
الصلاة لما ان هذا نهي عن ترك الخشوع في الصلاة فقط وذلك نهي عنه وعن ما يقارنه
ومفيد لكون الخشوع هو العمدة في الصلاة وان الصلاة بدونه حقها ان لا تفعل وفيه
نوع تحذير عما وراء الموت • وقوله عز وجل واعتصموا بحبل الله اي بدين الاسلام او بكتابه
لقوله عليه الصلاة والسلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة
الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم اما
تمثيل للحالة الحاصلة من استظهارهم به ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلي
من مكان رفيع بحبل وثيق مأمون الانقطاع من غير اعتبار مجاز في المفردات واما استعارة
للحبل لما ذكر من الدين او الكتاب والاعتصام ترشيح لها او مستعار للوثوق به والاعتماد
عليه جميعا حال من فاعل اعتصموا اي مجتمعين في الاعتصام ولا تفرقوا اي لا تتفرقوا عن الحق بوقوع
الاختلاف بينكم كما فعلت اهل الكتاب او كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا او لا
تحدثوا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة التي انتم عليها واذكروا نعمة الله مصدر مضاف
الى الفاعل • وقوله تعالى عليكم متعلق به او بمحذوف وقع حالا منه • وقوله تعالى اذ كنتم
ظرف له اي للاستقرار في عليكم اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا انعامه مستقرا
عليكم وقت كونكم اعداء في الجاهلية بينكم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة
وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بين اولادهما العداوة

والبغضاء وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين سنة فالف بين قلوبكم بتوفيقكم
للاسلام فاصبحتم اي فصرتم بنعمته التي هي ذلك التأليف اخوانا خبر اصبحتم اي اخوانا
متحابين على الاخوة في الله من اجتمع متناصحين متفقين على كلمة الحق • وقيل معنى فاصبحتم
فدخلتم في الصباح فالباء حينئذ متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل وكذا اخوانا اي
فاصبحتم متلبسين بنعمته حال كونكم اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار شفا الحفرة وشفتها حرفها
اي كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحالة
لوقعتم فيها فانقذكم بالاسلام منها الضمير للحفرة او للنار او للشفا
والتأنيث للمضاف اليه كما في قوله
• وتشرق بالقول الذي قد اذعته • كما شرقت صدر القناة من الدم •
او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها جانبها كالجانب والجانبة واصله شفو
قلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك اي مثل ذلك التبيين الذي
بين • وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته
في الفضل وكمال تميزه بها عما عداه انتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف
مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها النصب على انها صفة لمصدر
محذوف اي مثل ذلك التبيين الواضح يبين الله لكم آياته اي دلائله لعلكم تهتدون
طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير من الله سبحانه
يتحببنا الخير وارشاده اياهم حين يحبب النفس وارشادها وتهذيبها قبله من
الاوامر والنواهي تثبيتا للكل على اقامة ما فيها من الاحكام بان يقوم بعضهم بمواجبها
ويحافظ على حقوقها وحدودها ويذكرها الناس كافة ويمنعهم من الاخلال بها والجمهور
على اسكان لام الامر • وقرئ بكسرها على الاصل ومن كالتامة من تبعيضية
متعلقة بالامر او بمحذوف وقع حالا من الفاعل وامة يدعون صفتها اي لتوجد
منكم امة داعية الى الخير والامة هي الجماعة التي يؤمها فرق الناس اي يقصدونها
ويقتدون بها او من الناقصة وامة اسمها ويدعون خبرها اي لتكن منكم امة داعية
الى الخير • واياما كان فتوجيه الخطاب الى الكل مع اسناد الدعوة الى البعض مع
تحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض
سقطت عن الباقين ولو اخل بها الكل اثموا جميعا لا بحيث يتحتم على الكل اقامتها على ما ينبغي
عند قوله عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية ولانها من عظائم الامور
وعزائمها التي لا يتولاها الا العلماء باحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها
فان من لا يعلمها يوشك ان يأمر بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ في مقام اللين
ويلين في مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده الانكار الا التمادي والاصرار الا
زيادة من بيانه • كما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم
الآية • والامر من كان التامة • والمعنى لتكونوا امة يدعون الآية • كقوله تعالى كنتم
خير امة اخرجت للناس الآية ولا يقتضي ذلك كون الدعوة فرض عين • فان الجهاد

من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة او الدعاء الى الخير عبارة عن الدعاء الى
ما فيه صلاح ديني او دنيوي فعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه
بقوله تعالى ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من باب عطف الخاص
على العام للايذان بفضلهما وانافتهما على سائر الخيرات كعطف جبريل وميكائيل على
الملائكة عليهم السلام وحذف المفعول الصريح من الافعال الثلاثة اما للايذان
بظهوره اي يدعون الناس ويأمرونهم وينهونهم واما للقصد الى ايجاد نفس الفعل
كما في قولك فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الدعاء الى الخير والامر بالمعروف والنهي
عن المنكر واولئك اشارة الى الامة المذكورة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت
الفاضلة وكمال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم بسببه في سلك الامور المشاهدة
وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل وافراد كاف
الخطاب اما لان المخاطب كل من يصلح للخطاب • واما لان التعيين غير مقصود اي
اولئك الموصوفون بتلك الصفات الكاملة هم المفلحون اي هم الاخصاء بالفلاح
الكامل وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص
المسند بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون • والجملة خبر اولئك ومن نفعه الفلاح
اما للجنس او للاستغراق اي ما يشمل من جنس الناس فانما لا امر بالمعروف وانما هو
عن المنكر ولتفاهم بنفسه ان ما امر اي للزجر • وعنه عليه الصلاة والسلام
والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن ان الله
ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم • وعن علي رضي الله عنه
افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله
والامر بالمعروف في الوجوب والندب تابع للمأمور به واما النهي عن المنكر فواجب كله
لان جميع ما انكره الشرع حرام والعاصي يجب عليه النهي عما ارتكبه اذ يجب عليه
تركه والانكار فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر منهما والتوبيخ في قوله تعالى
أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انما هو على ان نسيهم لا على امرهم بالبر
وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا ولا تكونوا كالذين تفرقوا هم اهل الكتاب حيث
تفرقت اليهود فرقا والنصارى فرقا واختلفوا باستخراج التأويلات الزائغة
وكتم الآيات الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية من
بعد ما جاءهم البينات اي الآيات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاتحاد
الكلمة والنهي متوجه الى المتصدين للدعوة اصالة والى اعقابهم تبعا ويجوز تعميم
المؤمنين المخاطبين من الامم السالفة المشار اليهم بقوله عز وجل وما اختلف فيه الا
الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات • وقيل هم المبتدعة من هذه الامة وقيل
هم الحرورية وعلى كل تقدير فالمنهي عنه انما هو الاختلاف في الاصول دون الفروع
الا ان يكون مخالفا للنصوص البينة او الاجماع • لقوله عليه الصلاة والسلام
اختلاف امتي رحمة • وقوله عليه الصلاة والسلام من اجتهد فاصاب فله

اجزائه ومن اخطأها صابر فله اجر واحد واولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم
بالصفة القبيحة وهو مبتدا وقوله تعالى لهم خبره وقوله تعالى عذاب عظيم مرتفع
بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او مبتدا والظرف خبره والجملة خبر
للمبتدا الاول وفيه من التاكيد والمبالغة في وعيد المتفرقين والتشديد في
تهديد المتشبهين بهم ما لا يخفى يوم تبيض وجوه اي وجوه كثيرة وقرئ تبياض وتسود
وجوه كثيرة وقرئ تسواد عن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود
وجوه بني قريظة والنضير ويوم منصوب على انه ظرف للاستقرار في لهم اي لثبوت
العذاب العظيم لهم او على انه مفعول لمضمر خوطب به المؤمنون تحذيرا لهم عن عاقبة
التفرق بعد مجيء البينات وترغيبا في الاتفاق على التمسك بالدين اي اذكروا
يوم تبيض الخ وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه
وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور
بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم تفصيل
لاحوال الفريقين بعد الاشارة اليها اجمالا وتقديم بيان حال الكفار لما ان المقام مقام التحذير
عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين الاجمال والتفصيل والافضاء الى ختم الكلام بحسن
حال المؤمنين كما بدئ بذلك عند الاجمال اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي
فيقال لهم ذلك والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم
بعد ايمانهم كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمان اسلافهم او ايمان انفسهم
به قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام او جميع الكفرة حيث كفروا بعد ما اقروا
بالتوحيد يوم الميثاق او بعد ما تمكنوا من الايمان بالنظر الصحيح والدلائل الواضحة
والايات البينة وقيل المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء والفاقون
عن وقت فذوقوا العذاب اي العذاب المعهود الموصوف بالعظم والامر للاهانة على ان الامر
بذوق العذاب على طريقة الاخبار لانه مترتب على كفرهم المذكور كما ان قوله تعالى
بما كنتم تكفرون صريح في ان ذوق العذاب بسبب ذلك والجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم او على مضيه في الدنيا واما الذين ابيضت
وجوههم ففي رحمة الله اي الجنة والنعيم المخلد عبر عنها بالرحمة تنبيها على ان المؤمن
وان استغرق عمره في طاعة الله عز وجل فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى وقرئ
ابياضت كما قرئ اسوادت هم فيها خالدون استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ
من السياق كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها
ولا يموتون وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الاي تلك اشارة الى الايات
المشتملة على تنعيم الابرار وتعذيب الكفار ومعنى البعد للدلالة على علو شانها وسمو
مكانتها في الشرف وهو مبتدا وقوله تعالى آيات الله خبره وقوله تعالى نتلوها
جملة حالية من الايات والعامل فيها معنى الاشارة او هي الخبر وايات الله بدل من
اسم الاشارة والالتفات الى التكلم بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان

جبريل

جبريل عليه الصلاة والسلام لابراز كمال العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها على اسناد
الفعل الى ضمير الله تعالى وقوله تعالى بالحق حال مؤكدة من فاعل نتلوها او من مفعوله اي
ملتبسين او ملتبسة بالحق والعدل ليس في حكمها شائبة جور بنقص ثواب المحسن او بزيادة
عقاب المسيء او بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم بالعمل بموجب
الوعد والوعيد وقوله تعالى وما الله يريد ظلما للعالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله
على ابلغ وجه وآكده فان تنكير الظلم وتوجيه النفي الى ارادته بصيغة المضارع دون
نفسه وتعليق الحكم بآحاد الجمع المعرف والالتفات الى الاسم الجليل اشعارا بعلة الحكم
بيان كمال نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه اي ما يريد فردا من افراد الظلم
لفرد من افراد العالمين في وقت من الاوقات فضلا عن ان يظلمهم فان المضارع كما يفيد
الاستمرار يفيد في النفي بحسب المقام استمرار الثبوت وعند دخول حرف النفي يفيد
عليه وارد لانتفاء على استمرار النفي وايراد في سلك الجملة نوع ايما الى التعريض بان الكفرة
ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما في قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن
الناس انفسهم يظلمون ولله ما في السموات وما في الارض اي له تعالى وحده من غير شركة اصلا
ما فيهما من المخلوقات الفانية للامر ملكا وخلقا احياء واماتة واثابة وتعذيبا
وايراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلاء على العقلاء واما للايذان بان الكل بمعزل من
الحياة بتعرفه مقام بيان عظمته تعالى والى الله اي الى حكمه وقضائه لا الى غيره شركة
واستقلالا ترجع الامور اي امورهم فيجازي كلا منهم بما وعد له واوعد من غير
دخل في ذلك لاحد قط والجملة مقررة لمضمون ما قبله ورد في جزاء المرتفعين وقيل هي
معطوفة على ما قبلها مقررة لمضمونه فان كون العالمين عبيده تعالى ومخلوقه ومرزوقه
يستدعي ارادة الخير بهم كنتم من كان الناقصة التي تدل على تحقق شيء بصفة في الزمان
الماضي من غير دلالة على عدم سابق او لاحق كما في قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل
كنتم كذلك في علم الله تعالى او في اللوح او فيما بين الامم السالفة وقيل معناه انتم
خير امة كنتم خير امة اخرجت للناس صفة لامة واللام متعلقة باخرجت اي اظهرت لهم وقيل
الخير امة اي كنتم خير الناس للناس فهو صريح في ان الخيرية بمعنى النفع للناس وان فهم ذلك
من الاخراج لهم ايضا اي اخرجت لاجلهم ومصلحتهم قال ابو هريرة رضي الله عنه معناه كنتم
خير الناس للناس تاتون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الاسلام وقال قتادة
رضي الله عنه هم امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون
الكفار فيدخلونهم في الاسلام فهم خير امة للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
استئناف مبين لكونهم خير امة كما يقال زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم
او خبر ثان لكنتم وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والخطاب للمشافهة
وان كان خاصا بمن شاهد الوحي من المؤمنين لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس رضي الله
عنهما هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج رحمه الله اصل هذا الخطاب
لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعم سائر امته وروي انه نزلت في

عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير
امة اخرجت للناس انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى وظاهره
ان المراد كل امة اوائلهم واخرهم لا اوائلهم فقط فلا بعد ان يكون اعقاب هذه
الامة ايضا اخلفه في الحكم وكذا الحال فيما روي عن مالك بن الصيف ووهب
ابن يهودا اليهوديين من انهما قالا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم ابن مسعود وابي
ابن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابي حذيفة رضي الله تعالى عنهم فقالا لهم نحن افضل
منكم وديننا خير مما تدعوننا اليه وروي سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله
عنهما كنتم خير امة الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وروي
عن الضحاك انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة الرواة والدعاة الذين
امر الله المسلمين بطاعتهم وتؤمنون بالله ايمانا متعلقا بكل ما يجب ان يؤمن به من رسول
وكتاب وحساب وجزاء وانما لم يصرح به تفصيلا لظهور انه الذي يؤمن به المؤمنون
وللايذان بانه الايمان بالله تعالى حقيقة وان ما خلا عن شيء من ذلك كايمان اهل الكتاب
ليس من الايمان به تعالى في شيء قال تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان
يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وانما اخر ذلك عن الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة لان دلالتهما على خيريتهم للناس اظهر
من دلالته عليها وليقترن به قوله تعالى ولو امن اهل الكتاب اي لو امنوا كايمانكم
لكان خيرا لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم وتمتعهم
بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين وقيل مما هم فيه من
الكفر والخيرية انما هي باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وانما لم يتعرض للمؤمن به اصلا
للاشعار بظهوره وانه الذي يطلق عليه اسم الايمان لا ينسب الى معنى الغير ولو تقيد
المؤمن به مما هو افتقد لتوهم انه لو كان لاهل الكتاب ايضا ايمانا في الجملة لكن ايمان المؤمنين
خير منه وهيهات ذلك لكان خيرا لهم جملة مستانفة سيقت جوابا عما نشأ عنه من
الشرطية التي فيها انتفاء الخيرية لانتفاء الايمان عنهم كانه قيل هل منهم من امن او كلهم
على الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بالخير كعبد الله بن سلام
واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر الخارجون عن الحدود لن يضروكم
الا اذى استثناء مفرغ من المصدر العام اي لن يضروكم ضررا ما الا ضرر اذى لا يبالى
به من طعن وتهديد لا اثر له وان يقاتلوكم يولوكم الادبار اي ينهزموا من غير ان ينالوا منكم
شيئا من قتل واسر ثم لا ينصرون عطف على الشرطية وثم للتراخي في الرتبة اي لا ينصرون
من جهة احد ولا يمنعون منكم قتلا واخذا وفيه تثبيت لمن امن منهم فانهم كانوا
يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بانهم لا يقدرون
على ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يعبأ به مع انه وعدهم الغلبة عليهم
والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل وانما لم يعطف نفي منصوريتهم
على الجزاء لان المقصود هو الوعد بنفي النصر مطلقا ولو عطف عليه لكان مقيدا

بقتالهم

بقتالهم كتوليهم الادبار وكم بين الوعدين من بون بعيد ثم شانهم الذي اخبركم
عنه وابشركم به انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعد ذلك بجناح
ولا يقومون على ساق ولا ينتظم لهم امر وكان كذلك حيث لقي بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع
ويهود خيبر ما لقوا ضربت عليهم الذلة اي هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل
اينما ثقفوا اي وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ضربت
عليهم الذلة ضرب القبة على من هي عليه في جميع الاحوال الا حال كونهم معتصمين بذمة
الله او كتابه الذي اتاهم او بذمة المسلمين او بذمة الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباءوا
بغضب من الله اي رجعوا به مستوجبين له والتنكير للتفخيم والتهويل ومن متعلقة
بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والهول اي كائن من
الله عز وجل وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود كذلك في غالب الامر
مساكين تحت ايدي المسلمين والنصارى ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة
عليهم والبوء بالغضب العظيم بانهم كانوا يكفرون بايات الله اي ذلك الذي ذكر كائن
بسبب كفرهم المستمر بايات الله الناطقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتحريفهم لها وبسائر
الايات القرانية ويقتلون الانبياء بغير حق اي في اعتقادهم ايضا والتقييد به مع انه
معا انه لم يكن لهم فيه شبهة كما كان في التحريف مع كونه من الافعال الجليلة منسوبا الى كل من
نبيهم ذلك اشارة الى ما ذكر من الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون
اي ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر
يفضي الى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة
والمسكنة في الدنيا واستيجاب الغضب في الاخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو
مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء
جملة مستانفة سيقت تمهيدا لتعداد محاسن مؤمني اهل الكتاب وتذكيرا لقوله تعالى
منهم المؤمنون والضمير في ليسوا لاهل الكتاب جميعا لا للفاسقين منهم خاصة وهو
اسم ليس وخبره سواء وانما افرد لانه في الاصل مصدر والمراد بنفي المساواة نفي المساواة
في اصل الاتصاف بالقبائح المذكورة لا نفي المساواة في مراتب الاتصاف بها مع تحقق
المشاركة في اصل الاتصاف بها اي ليس جميع اهل الكتاب متشاركين في الاتصاف
بما ذكر من القبائح والابتلاء بما يترتب عليها من العقوبات وقوله تعالى من اهل
الكتاب استئناف مبين لكيفية عدم تساويهم ومزيل لما فيه من الابهام كما ان ما
سبق من قوله تعالى تامرون بالمعروف الاية مبين لقوله تعالى كنتم خير امة الخ
ووضع اهل الكتاب موضع الضمير لتحقيق ما به الاشتراك بين الفريقين
والايذان بان تلك الامة ممن اوتي نصيبا وافرا من الكتاب لا من ارذالهم امة قائمة
مستقيمة عادلة من اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم كعبد الله
ابن سلام وثعلبة بن سعية واسيد بن عبيد واضرابهم وقيل هم اربعون رجلا
من اهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثلاثة من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا

من أهلها الصلاة والمتأخرة وكان من الأنصار فيهم عدة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم
منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وأبو قيس صرمة بن أنس كانوا موحدين
يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى بعث الله النبي صلى الله
عليه وسلم فصدقوه ونصروه. وقوله تعالى **يتلون آيات الله** في محل الرفع على أنه صفة
أخرى لأمة. وقيل في محل النصب على أنه حال منها لتخصيصها بالنعت والعامل فيه الا
ستقرار الذي تضمنه الجار أو من الضمير المستكن في الجار لوقوعه خبرا لأمة
والمراد بآيات الله القرآن. وقوله تعالى **آناء الليل** ظرف ليتلون أي في ساعاته
جمع إنى بزنة عصا أو إني بزنة معي أو إنى بزنة ظبي أو إنو بزنة جرو **وهم
يسجدون** أي يصلون إذ لا تلاوة في السجود. قال صلى الله عليه وسلم ألا إني نهيت أن
أقرأ راكعا أو ساجدا وتخصيص السجود بالذكر من بين أركان الصلاة لكونه أدل
على كمال الخضوع والتضرع وتخصيص آيات الله بالتلاوة في الصلاة مع أنها يتلونها خارجها
لزيادة تحقيق المخالفة وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وصفوا النفاق والكفر
بآيات الله في تعبيرهم بهذا النعت على نعت الإيمان. والمراد بصلاتهم التهجد أو هو داخل
في مدحهم وفيه تعريض لهم بالمخالفة فإنها في المكتوبة وظيفة الإمام واعتبار حالهم عند
الصلاة على الانفراد أو بإبانة مقام المدح وهو الانتساب بالعبد وقيل المراد بها صلاة العشاء
لأن أهل الكتاب لا يصلونها لما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرها ليلة ثم
خرج وإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله
هذه الساعة غيركم. وقرأ من الآية وإيراد الجملة الاسمية للدلالة على الاستمرار
وتكرير الإسناد لتقوية الحكم وتأكيده وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والجملة
حال من فاعل يتلون. وقيل هي مستأنفة والمعنى أنهم يقومون تارة ويسجدون أخرى يبتغون
الفضل والرحمة بأنواع ما يكون في الصلاة من الخضوع لله عز وجل كما في قوله تعالى والذين
يبيتون لربهم سجدا وقياما. والمراد بالسجود هو الخضوع كما في قوله تعالى ولله يسجد ما
في السموات وما في الأرض **يؤمنون بالله واليوم الآخر** صفة أخرى لأمة مبينة لمباينتهم اليهود
من جهة أخرى أي يؤمنون بهما على الوجه الذي نطق به الشرع والإطلاق للإيذان بالغنى
عن التقييد لظهور أنه الذي يطلق عليه الإيمان بهما لا بما في الزعم العنوع وللتعريض
بأن إيمان اليهود بهما مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر
بخلاف صفته ليس من الإيمان في شيء أصلا. ولو صرح بذكرها لتوهم أن المنفي عنهم هو المقيد
المذكور مع جواز إطلاق اسم الإيمان على إيمانهم بالأصل وهيهات **ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر** صفتان أخريان لأمة أجريتا عليهم تحقيقا لمخالفتهم لليهود في الفضائل
المتعلقة بتكميل الغير إثر بيان مباينتهم لهم في الخصائص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضا
بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم في الأمر بإضلال الناس وصدهم عن سبيل الله فإنه
أمر بالمنكر ونهي عن المعروف **ويسارعون في الخيرات** صفة أخرى لأمة جامعة لفنون المحا

المتعلقة

المتعلقة بتكميل الغير إثر بيان مباينتهم بالنفور والمسارعة في الخير إذ هي فرط الرغبة فيه
لأن من رغب في الأمر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي أي يبادرون
مع كمال الرغبة في فعل أصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض بتباطؤ اليهود
بل بمبادرتهم إلى الشرور وإيثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم
إلى آخره للإيذان بأنهم مستقرون في أصل الخيرات متقلبون في فنونها المرتبة
في طبقات الفضل وإيثار على العبد للإشعار بعلة الحكم والمدح أي **وأولئك** الموصوفون
بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها **من الصالحين** من جملة من صلحت أحوالهم عند
الله عز وجل واستحقوا رضاه وثناءه **وما تفعلوا من خير** كائنا ما كان مما ذكر أو لم يذكر
فلن تكفروه أي لن تعدموا ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر إشعارا
بكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك إثابتهم بتنزيله منزلة ما يستحيل صدوره عنه تعالى
من القبائح وتعديته إلى مفعولين بتضمينه معنى الحرمان وإيثار صيغة البناء للمفعول
للجري على سنن الكبرياء. وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب **والله عليم بالمتقين** تذييل
مقرر لمضمون ما قبله فإن علمه تعالى بأحوالهم يستدعي توفية أجورهم لا محالة والمراد
بالمتقين أولئك الأمة المعهودة وضع موضع الضمير ثناء عليهم مدحا لهم وتعيينا لعنوان
تعلق العلم بهم وإشعارا بمناط إثابتهم وهو التقوى المنطوي على الخصائص السالفة
وإما جنس المتقين عموما وهم مندرجون تحت حكمه اندراجا أوليا **إن الذين كفروا**
أي بما يجب أن يؤمن به. قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بنو قريظة والنضير فإن
معاندتهم كانت لأجل المال. وقيل هم مشركو قريش فإن أبا جهل كان كثير الافتخار
بماله. وقيل أبو سفيان وأصحابه أنفق مالا كثيرا على الكفار يوم بدر وأحد. وقيل
هم الكفار كافة فإنهم فاخروا بالأموال والأولاد حيث قالوا نحن أكثر أموالا وأولادا
وما نحن بمعذبين فرد الله عز وجل عليهم وقال **لن تغني عنهم** أي لن تدفع عنهم **أموالهم
ولا أولادهم من الله** أي من عذابه تعالى **شيئا** أي شيئا يسيرا منه أو شيئا من الإغناء **وأولئك
أصحاب النار** أي ملازموها على الدوام **هم فيها خالدون** أبدا **مثل ما
ينفقون في هذه الحياة الدنيا** بيان لكيفية عدم إغناء أموالهم التي كانوا يعولون عليها
في جلب المنافع ودفع المضار ويعلقون بها أطماعهم الفارغة وما موصولة اسمية حذف
عائدها أي حال ما ينفقه الكفرة قربة أو مفاخرة وسمعة أو المنافقون رياء وخوفا وقصته
العجيبة التي تجري مجرى المثل في الغرابة **كمثل ريح فيها صر** أي برد شديد فإنه في الأصل
مصدر وإن شاع في إطلاقه على الريح الباردة كالصرصر. وقيل كلمة في تجريدية
كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة **أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم** بالكفر
والمعاصي فيها والتعنت من الله وإنما وصفوا بذلك لأن الإهلاك عن سخط أشد وأفظع
فأهلكته عقوبة ولم ينتفع منه أصحابه لا عينا ولا أثرا والمراد تشبيه ما أنفقوا في ضياعه وذهابه
بالكلية من غير أن يعود إليهم نفع ما بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه
منفعة ما بوجه من الوجوه وهو من التشبيه المركب الذي مر تفصيله في تفسير قوله تعالى

كمثل المعنى المشوق للتأويل لأنه لا يلائم الدلالة التشبيه الريح دون الحرث ٭ ويجوز أن يراد
مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث
وقرئ تنفقون وما ظلمهم الله بما بين من ضياع ما أنفقوا ولكن أنفسهم يظلمون لما أنهم
أضاعوها بإنفاقها لا على ما ينبغي ٭ وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص إذ الكلام
في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول أي ما ظلمهم الله ولكن ظلموا أنفسهم وصيغة المضارع
للدلالة على التجدد والاستمرار ٭ ويجوز أن يكون المعنى وما ظلمهم الله أصحاب الحرث
بإهلاكه ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ٭ وقرئ ... مسند
المقصر ... ٭ وقرئ ولكن بالتشديد على أن أنفسهم اسمها ويظلمون خبرها
والعائد محذوف للفاصلة أي ولكن أنفسهم يظلمونها ٭ وأما ... الشأن فإنه
سببا إليه للتخصيص باستحضروه ٭ كما في قوله ٭ ...
٭ ... ٭ ولكن من يبصر جفونك يعشق ٭ ...
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة بطانة الرجل وليجته من يعرفه أسراره ثقة به شبه
ببطانة الثوب كما شبه بالشعار ٭ قال عليه الصلاة والسلام الأنصار شعار والناس
دثار ٭ قال ابن عباس رضي الله عنهما كان رجال من المؤمنين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة
والصداقة والحلف فأنزل الله تعالى هذه الآية ٭ وقال مجاهد رحمه الله نزلت في
قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهوا عن ذلك ٭ ويؤيده قوله عز وجل وإذا
لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ وهي صفة المنافق وأيا
ما كان فالحكم عام للكفرة كافة من دونكم أي من دون المسلمين وهو متعلق بلا
تتخذوا أو بمحذوف وقع صفة لبطانة أي كائنة من دونكم مجاوزين لكم لا يألونكم خبالا
جملة مستأنفة مبينة لحالهم داعية إلى الاجتناب عنهم أو صفة لبطانة ٭ يقال ألا في
الأمر إذا قصر فيه ثم استعمل معدى إلى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك
جهدا على تضمين معنى المنع والنقص والخبال الفساد أي لا يقصرون لكم في الفساد
ودوا ما عنتم أي تمنوا عنتكم أي مشقتكم وشدة ضرركم وهو أيضا استئناف مؤكد
للنهي موجب لزيادة الاجتناب عن المنهي عنه قد بدت البغضاء من أفواههم استئناف آخر
مفيد لزيادة الاجتناب عن المنهي عنه أي قد ظهرت البغضاء في كلامهم لما أنهم لا يتمالكون
مع مبالغتهم في ضبط أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم
للمسلمين ٭ وقرئ قد بدا البغضاء والأفواه جمع فم وأصله فوه فلامه هاء يدل على ذلك
جمعه على أفواه وتصغيره على فويه والنسبة إليه فوهي وما تخفي صدورهم أكبر مما بدا لأن بدوه
ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الإخلاص في الدين وموالاة
المؤمنين ومعاداة الكافرين إن كنتم تعقلون ما بين لكم من الآيات والجواب محذوف
لدلالة المذكور عليه ها أنتم أولاء جملة من مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه إظهارا
لكمال العناية بمضمونها أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاة الكفار ٭ وقوله تعالى تحبونهم ولا يحبونكم
بيان لخطئهم في ذلك وهو خبر ثان لأنتم أو خبر لأولاء والجملة خبر لأنتم كقولك أنت

زيد

زيد تحبه أو صلة لذا والعامل فيه معنى الإشارة ٭ ويجوز أن ينتصب أولاء بفعل
يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله أي بجنس الكتب جميعا وهو
حال من ضمير المفعول في لا يحبونكم والمعنى لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم
تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم ٭ وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم
وإذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ أي من أجله تأسفا وتحسرا
حيث لم يجدوا إلى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وازدياده
بتضاعف قوة الإسلام وأهله إلى أن يهلكوا به أو باشتداده إلى أن يهلكهم إن الله
عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدوركم من العداوة والبغضاء والحنق وهو
يحتمل أن يكون من المقول أي وقل لهم إن الله تعالى عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل
غيظا وأن يكون خارجا عنه بمعنى لا تتعجب من اطلاعي إياك على أسرارهم فإني عليم
بذات الصدور ٭ وقيل هو أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة
الرجاء والاستبشار بوعد الله تعالى أن يهلكوا غيظا بإعزاز الإسلام وإذلالهم
به من غير أن يكون ثمة قول كأنه قيل حدث نفسك بذلك إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن
تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم إلى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة
وشمتوا بما أصابهم من ضر وشدة وذكر المس مع الحسنة والإصابة مع السيئة إما للإيذان
بأن مدار مساءتهم أدنى مراتب إصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام إصابة السيئة وإما لأن
المس مستعار بمعنى الإصابة وإن تصبروا على عداوتهم أو على مشاق التكاليف وتتقوا ما حرم
الله تعالى عليكم ونهاكم عنه لا يضركم كيدهم مكرهم وحيلهم التي دبروها لأجلكم
وقرئ لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضره
يضره وضمة الراء في القراءة المشهورة للإتباع كضمة مد شيئا نصب على المصدرية أي لا
يضركم شيئا من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولأن المجد في
الأمر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون جريئا على الخصم إن الله بما يعملون في عداوتكم
من الكيد محيط علما فيعاقبهم على ذلك ٭ وقرئ بالتاء الفوقانية أي بما تعملون من الصبر
والتقوى فيجازيكم بما أنتم أهله وإذ غدوت كلام مستأنف سيق للاستشهاد بما فيه
من استتباع عدم الصبر والتقوى للضرر ولبيان وجود ما يستتبعه أو وجه من النجاة من
مضرة كيد الأعداء وإذ نصب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
خاصة مع عموم الخطاب فيما قبله وما بعده للمؤمنين لاختصاص مضمون الكلام
به عليه الصلاة والسلام أي واذكر لهم وقت غدوك ليتذكروا ما وقع فيه
من الأحوال الناشئة عن عدم الصبر فيعلموا أنهم إن لزموا الصبر والتقوى لا يضرهم
كيد الكفرة وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة
بالذات للمبالغة في إيجاب ذكرها وإحضار الحادثة بتفاصيلها كما سلف بيانه في
تفسير قوله تعالى وإذ قال ربك للملائكة الآية ٭ والمراد به خروجه عليه الصلاة والسلام
إلى أحد وكان ذلك من منزل عائشة رضي الله عنها وهو المراد بقوله تعالى من أهلك

اي حين خروجك من عند اهلك تبوئ المؤمنين اي تنزلهم او تهيء وتسوي لهم مقاعد ويؤيده قراءة من قرا
تبوي للمؤمنين والجملة حال من فاعل غدوت لكن لا على انها حال مقدرة اي ناويا وقاصدا
للتبوية كما قيل بل على ان المقصود تذكير الزمان الممتد المتسع لابتداء الخروج والتبوية
وما يترتب عليهما اذ هو المذكر للقصة وانما عبر عنه بالغدو الذي هو الخروج غدوة
مع كون خروجه عليه الصلاة والسلام بعد صلاة الجمعة كما ستعرفه اذ حينئذ وقعت
التبوية التي هي العمدة في الباب اذ المقصود بتذكير الوقت تذكير امر النبي صلى الله عليه
وسلم وترتيبه الامر على احياء ذلك ثم عند التبوية وعدم صبرهم ومعنا ينبغي حاله اي ما يحتاج
به على جيران او لمصاب بالجمعة بدل الحال والاولى قوله تعالى للقتال اما متعلقة
بتبوي اي لاجل القتال واما بمحذوف وقع صفة لمقاعد اي كائنة ومقاعد القتال
اماكنه ومواقفه وان استعمال المقعد والمقام بمعنى المكان اتساعا شايع ذايع
كما في قوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك روي
ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال
عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا
منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا
فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء
والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال آخرون يا رسول الله اخرج
بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه الصلاة والسلام اني قد
رايت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة
ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة
وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ
اخرج بنا الى اعدائنا وقال النعمان بن مالك الانصاري رضي الله عنه يا رسول الله
لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك بالحق لادخلنها فقال بم قال باني اشهد ان لا اله الا الله واني
لا افر من الزحف فلم يزالوا به عليه الصلاة والسلام حتى دخل فلبس لامته فلما راوا
ذلك ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي ياتيه وقالوا اصنع يا
رسول الله ما رايت فقال ما ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة
واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة فمشى على رجليه
فجعل يصف اصحابه للقتال فكانما يقوم بهم القدح ان راى صدرا خارجا قال تأخر وكان
نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة
وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا ولا تبرحوا من مكانكم فلن نزال غالبين
ما ثبتم مكانكم والله سميع لاقوالكم عليم بضمائركم والجملة اعتراض للايذان بانه قد
صدر عنهم هناك من الاقوال والافعال ما لا ينبغي صدوره عنهم اذ همت بدل من اذ غدوت
مبين لما هو المقصود بالتذكير او ظرف لسميع عليم على معنى انه تعالى جامع بين سماع الاقوال

والعلم

والعلم بالضمائر في ذلك الوقت اذ لا وجه لتقييد كونه تعالى سميعا عليما بذلك الوقت قال
العلامة رحمه الله معنى قولك ضربت واكرمت زيدا انه مضروب بهما وانهما مسلطان عليه
معا طائفتان منكم ان تفشلا متعلق بهمت والباء محذوفة اي بان تفشلا اي تجبنا وتضعفا
وهما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان من عسكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا الف رجل وقيل تسع مائة وخمسين وعدهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالفتح ان صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلاثة
الاف انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا
فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد
الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله تعالى فمضوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما اضمروا ان يرجعوا فعزم الله
لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس كما لا تخلو عنه النفس
عند الشدة ابدا والله وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة والجملة اعتراض
ويجوز ان تكون حالا من فاعل همت او من ضمير تفشلا مفيدة لاستبعاد فشلهما
او همهما به مع كونهما في ولاية الله عز وجل وقرئ والله وليهم كما في قوله تعالى وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا استقلالا او اشتراكا
فليتوكل المؤمنون في جميع امورهم فانه حسبهم واظهار الاسم الجليل للتبرك به
والتعليل فان الالوهية من موجبات التوكل على الله تعالى واللام في المؤمنين للجنس
فيندرج فيه الطائفتان دخولا اوليا وفيه اشعار بان وصف الايمان من دواعي التوكل
وموجباته ولقد نصركم الله ببدر جملة مستانفة لايجاب الصبر والتقوى بتذكير
ما ترتب عليهما من النصر اثر تذكير ما ترتب على فقدهما من الضرر وقيل لايجاب التوكل على
الله تعالى بتذكير ما يوجبه وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل اسمه بدر بن كلدة
فسمي باسمه وقيل سمي به لصفائه كالبدر واستدارته وقيل هو اسم للوادي
وكانت وقعة بدر في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة وانتم اذلة
حال من مفعول نصركم واذلة جمع ذليل وانما جمع جمع قلة للايذان بانهم حينئذ
بوصفي القلة والذلة اذ كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وكان ضعف حالهم في الغاية
خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد ولم يكن في العسكر الا فرس
واحد وقيل فرسان للمقداد ومرثد وتسعون بعيرا وست اذرع وثمانية سيوف وكان
العدو زهاء الف ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة فاتقوا الله اقتصر على الامر بالتقوى
مع كونه مشفوعا بالصبر فيما سبق وما لحق للاشعار باصالته وكون الصبر من مباديه اللازمة
له وفي لفظ الفاء في قوله فاتقوا دلالة على ترتب الامر بالتقوى على الاخبار بالنصر ايذانا
بان نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم اي اذا كان الامر كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم
يومئذ لعلكم تشكرون اي راجين ان تشكروا ما سينعم به عليكم بتقواكم من النصرة كما شكرتم
فيما قبل او لعلكم ينعم الله عليكم بالنصرة كما فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع سببه

الذي مع الانعام اذ تقول تلوين للخطاب بتخصيصه برسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه
والايذان بان وقوع النصر كان ببشارته عليه الصلاة والسلام واذ ظرف لنصركم قدم
عليه الامر بالتقوى لاظهار كمال العناية به والمراد به الوقت الممتد الذي وقع فيه ما وقع
بعده وما طوي ذكره ثقة بدلالة الحال فيما يتعلق به وجود النصر وصيغة المضارع
لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها اي نصركم وقت قولك للمؤمنين حين اظهروا
العجز عن المقاتلة قال الشعبي بلغ المؤمنين ان كرز بن جابر الحنفي يريد ان يمد المشركين
فشق ذلك على المسلمين فنزلت حينئذ ترجي ما معنا الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف
الكفاية سد الخلة والقيام بالامر والامداد في الاصل اعطاء الشيء حالا بعد حال
قال المفضل ما كان منه بطريق التقوية والاعانة يقال فيه امده امدادا وما كان
بطريق الزيادة يقال فيه مده مدا ومنه والبحر يمده من بعده سبعة ابحر وقيل
المد في الشر كقوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون وقوله ونمد له من العذاب
مدا والامداد في الخير كقوله تعالى امددكم باموال وبنين والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار كمال العناية
بهم والاشعار بعلية الامداد كما وعدهم بكفاية الامداد بذلك المقدار
وفيه وكله لاشعار بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم
وقوة العدو وكثرتهم من الملائكة بيان او صفة لثلاثة الاف او لما اضيف اليه اي كائنين
من الملائكة منزلين صفة لثلاثة الاف او حال من الملائكة وقرئ منزلين
بالتشديد للتكثير او للتدريج وقيل امدهم الله تعالى اولا بالف ثم صاروا ثلاثة الاف
ثم خمسة الاف وقرئ مبنيا للفاعل من الصيغتين اي منزلين النصر بلى ايجاب لما
بعد لن وتحقيق له اي بلى يكفيكم ذلك ثم وعد لهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثا
لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا على لقاء العدو ومناهضتهم وتتقوا معصية
الله ومخالفة نبيه عليه الصلاة والسلام ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا اي من
ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر من فارت القدر اي اشتد غليانها فاستعير للسرعة
ثم اطلق على كل حالة لا ريب فيها ولا تراخي ووصفه بهذا لتأكيد السرعة بزيادة تعيينه
وتقريبه ونظم اتيانهم بسرعة في سلك شرطي الامداد والمستتبعين له وجودا وعدما
اعني الصبر والتقوى مع تحقق الامداد لا محالة سواء اسرعوا او ابطأوا لتحقيق سرعة
الامداد لا لتحقق اصله او لبيان تحققه على اي حال فرض على ابلغ وجه واكده
بتعليقه بابعد التقادير ليعلم تحققه على سائرها بالطريق الاولى فان هجوم الاعداء وايتاءهم
بسرعة من مظان عدم لحوق المدد عادة فعلق به تحقق الامداد ايذانا بانه حيث تحقق مما يبعد
عادة فلان يتحقق بدونه اولى واحرى كما اذا اردت وصف درعك بغاية الحصانة تقول
ان لبسته بادرت بها الامر اي فلا يبال بانه شيء ادو سوف حداد لم يتأمل منها
قطعا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين من التسويم الذي هو اظهار سيما الشيء اي معلمين
انفسهم او خيلهم فقد روي انهم كانوا بعمائم بيض الا جبريل عليه السلام فانه كان بعمامة

صفراء على مثال الزبير بن العوام وروي انهم كانوا على خيل بلق قال عروة بن الزبير كانت
الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام بن عروة
عمائم صفر وقال قتادة والضحاك رضي الله عنهما كانوا قد علموا بالعهن في نواصي الخيل
واذنابها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت
وقرئ مسومين على لفظ المفعول بمعنى معلمين من جهته سبحانه وتعالى وقيل مرسلين
من التسويم بمعنى الاسامة وما جعله الله كلام مستأنف غير داخل في حيز القول مسوق من جنابه
تعالى لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وان حقيقة النصر مختص به عز
وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا منه عند فقد اسبابه وامارته ستعلوا على فعل
منه ويتجنب عليه الكافر ويبتني عليه النظام فان الاخبار بوقوع النصر عند الاطلاع
ونحو ذلك وفيه وحكاية الوعد بوقوعه على وجه مخصوص مثل الامداد بالملائكة مرة
بعد اخرى وتعيين وقته مما يقتضي بتحقق الوعد حقيقة قضاء قطعيا لكن قد يختلج به
تقويا على تصديقه لا لذلك ولتأكيد الامارات والحالات وادى الابطال الى عرضة بالحيرة
عن شائبة الشكوى او من احتمالات اخلاف الخلف في الوعد المحتوم كانه قيل عقيب قوله
تعالى بعد ذكر يمددكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الى آخره
والجعل متعد الى واحد هو الضمير العائد الى الفعل المقدر وما عوده الى
المصدر المذكور اعني قوله ان يمدكم ذكرا او الى المصدر المدلول عليه بقوله تعالى
يمددكم ربكم نيابة بمنزلة التنزيل لان المصدر البسيطة متقدمة على
المركبة فبيان العلة الغائية لوجود الامداد ولا ما لا المراد بالنظر الكريم حتمه
ان يكون بعد بيان وجوده في نفسه ولا ريب في ان المصدر المذكورين غير معتبرين
من حيث الوجود والوقوع كمصدر الفعل المعدى متعدي لبيان احكام وجوده ما
لا الاول لما معتبر من حيث الكفاية والثاني من حيث الوعد بل انما الامر او
بثلاثة الاف والواقع هو الامداد بخمسة الاف وقوله تعالى الا بشرى لكم استثناء
مفرغ من اعم العلل وتلوين الخطاب لتشريف المؤمنين والايذان بانهم المحتاجون
الى البشارة وتسكين القلوب بتوفيق الاسباب الظاهرة وان رسول الله صلى
الله عليه وسلم غني عنه بما له من التأييد الروحاني اي وما جعل امدادكم بانزال
الملائكة لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به اي بالامداد
وتسكن اليه كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكل منهما علة غائية للجعل وقد
نصب الاول لاجتماع شرائطه من اتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدرا مسوقا للتعليل
وبقي الثاني على حاله لفقدها وقيل للاشارة ايضا الى اصالته في العلية واهميته في
نفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد
عليهما اشعار بعدم مباشرة الملائكة عليهم السلام للقتال وانما كان امدادهم
بتقوية قلوب المباشرين وتكثير السواد ونحو ذلك كما هو راي بعض السلف رحمهم الله وقيل
الجعل متعد الى اثنين وقوله عز وجل الا بشرى لكم استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله

الله تعالى بما بين الاثنا الاثارة للكرم اللائق في قوله تعالى ولتطمئن متعلقة بمحذوف
تقديره ولتطمئن قلوبكم به فعلنا ذلك وما النصر اي حقيقة النصر على الاطلاق فيندرج
في حكمه النصر المعهود اندراجا اوليا الا من عند الله اي الا كائنا من عنده تعالى من غير ان
يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان سنته تعالى
او وما النصر المعهود الا من عنده تعالى لا من عند الملائكة فانهم بمعزل من التأثير وانما
قصارى امرهم ما ذكر من البشارة وتقوية القلوب العزيز الذي لا يغالب في حكمه
وقضيته واجراء هذا الوصف عليه تعالى للاشعار بعلة اختصاص النصر به تعالى كما
ان وصفه بقوله تعالى الحكيم اي الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة
للايذان بعلة جعل النصر بانزال الملائكة عليهم السلام اي ذلك من مقتضيات
الحكمة البالغة ليقطع متعلق بقوله تعالى ولقد نصركم الله وما بينهما تحقيق لحقيقته
وبيان لكيفية وقوعه والمقصور على التعليل بما ذكر من البشرى والاطمينان انما هو الامداد
بالملائكة على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك في تعليل اصل النصر بالقطع وما عطف عليه
او بما تعلق به الخبر في قوله عز وجل وما النصر الا من عند الله على تقدير كونه عبارة عن
النصر المعهود وقد اشير الى ان المعلل بالبشارة انما هو الامداد الصوري لا ما في
ضمنه من النصر المعنوي الذي هو ملاك الامر واما تعلقه بنفس النصر كما قيل فمع ما
فيه من الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي هو الخبر مخل بسداد المعنى كيف لا ومعناه
قصر النصر المخصوص المعلل بالعلل المعينة على الحصول من جهته تعالى وليس المراد الا قصر
حقيقة النصر او النصر المعهود على ذلك والمعنى لقد نصركم الله يومئذ او وما النصر على الوجه
الثاني النصر الظاهر عقيب امداد الملائكة الا كائنا من عنده تعالى ليقطع اي ليهلك
وينقص طرفا من الذين كفروا اي طائفة منهم بقتل واسر وقد وقع ذلك حيث قتل من
رؤسائهم وصناديدهم سبعون واسر سبعون او يكبتهم اي يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فان الكبت
شدة غيظ او وهن يقع في القلب من كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة
وقيل الكبت الاصابة بمكروه وقيل هو الصرع للوجه واليدين فالتاء غير مبدلة والكلمة
او للتنويع فينقلبوا خائبين اي فينهزموا منقطعي الامال غير فائزين مبتغاهم كما في قوله
تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ليس لك من الامر شيء اعتراض وسط
بين المعطوف عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف المتعلق بالآجل لتحقيق ان لا تأثير
للمنصور اثر بيان ان لا تأثير للناصر وتخصيص النفي برسول الله صلى الله عليه وسلم
على طريق تلوين الخطاب للدلالة على الانتفاء من غيره بالطريق الاولى وانما خص الاعتراض
بموقعه لان ما قبله من القطع والكبت مظنة ان يكون فيه لرسول الله صلى الله عليه
وسلم مدخل بناء على مباشرته للقتال ومن خلال الجملة او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على يكبتهم
والمعنى ان مالك امرهم على الاطلاق هو الله عز وجل نصركم عليهم ليهلكهم او يكبتهم او يتوب
عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مأمور بانذارهم
وجهادهم والمراد بتعذيبهم التعذيب الشديد الاخروي المخصوص باشد الكفرة كفرا

والا فمطلق التعذيب الاخروي متحقق في الفريقين الاولين ايضا وتلك التوبة والتعذيب
لا يكون في تلك العلة الناشئة للنصر المترتبة عليه في الوجود من حيث ان قبول توبتهم
فرع تحققها الناشي من علمهم بحقية الاسلام بسبب غلبة اهله المترتبة على النصر وان
تعذيبهم بالتعذيب المذكور مترتب على اصرارهم على الكفر بعد تبين الحق على الوجه المذكور
سنة او قيل ان عتبة بن ابي وقاص رضي الله عنه شج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر
رباعيته فجعل عليه الصلاة والسلام يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة
يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم
الى ربهم فنزلت ليس لك من الامر شيء الاية كانه نوع معاتبة على انكاره عليه الصلاة
والسلام لفلاحهم وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بان منهم من يؤمن
قوله تعالى او يتوب عليهم حينئذ معطوف على الامر او على شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم
او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم
ونقل الفراء عن الانباري ان او بمعنى الا ان والمعنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله
عليهم فتفرح به او يعذبهم فتتشفى بهم وايا ما كان فهو كلام مستأنف سيق لبيان بعض
الامور المتعلقة بغزوة احد اثر بيان بعض ما يتعلق بغزوة بدر وما بينهما من التناسب الظاهر
لان كلا منهما مبني على اختصاص الامر كله بالله تعالى ومبني على سلبه عن سواه واما تعلق كل
القصة بغزوة احد بناء على ان قوله تعالى اذ تقول بدل ثان من اذ غدوت وان ما حكي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما وقع يوم احد وان الامداد الموعود
كان مشروطا بالصبر والتقوى فلما لم يفعلوا لم يتحقق الموعود كما قيل فلا يساعده
النظم الكريم اما اولا فلان المشروط بالصبر والتقوى انما هو الامداد بالخمسة الاف
لا بثلاثة الاف مع انه لم يقع الامداد يومئذ ولو بملك واحد واما ثانيا فلانه كان
ينبغي حينئذ ان ينعى عليهم جنايتهم حيث فاتتهم بسببها تلك النعمة الجليلة ودعوى
ظهورها مع عدم دلالة السباق والسياق عليه بل مع دلالتهما على خلافه مما لا يكاد يصح
واما ثالثا فلانه لا سبيل الى جعل الضمير في قوله تعالى وما جعله الله الا بشرى
الى الامداد الموعود لانه لم يتحقق فكيف يبين علته الغائية ولا الى الوعد بمعنى
انه تعالى انما جعل ذلك الوعد بشارة لكم واطمئنانا فلو بكم فلا تفعلوا اما شرط فيه
من الصبر والتقوى فعدم وقوع انجاز الموعود لما ان قوله تعالى وما النصر الا من عند
الله العزيز الحكيم صريح في انه قد وقع الامداد الموعود ولكن اثره انما هو مجرد البشارة
والاطمئنان وتحصيلهما واما النصر الحقيقي فليس ذلك الا من عنده تعالى فلا يستبعد
من خالف امره بترك الصبر والتقوى اعتسافا ببعيد ينزه عنه التنزيل مع امثاله
على ان قوله تعالى ليقطع طرفا الاية متعلق بشيئية بما تعلق به قوله تعالى من عند الله من
الثبوت والاستقرار ضرورة ان تعلقه بقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر
الاية مع كون ما بينهما من التفصيل متعلقا بوقعة احد من قبيل الفصل بين الشجر
ولحائه فلا بد من اعتبار وجود النصر قطعا لان تفصيل الاحكام المترتبة على وجود

نعته وبيان امتيازه عما لا يرتبط به في كلام الناس فضلا عن الكلام المجيد فالحق الذي لا محيد
عنه ان قوله تعالى اذ تقول ظرف لنصركم وان ما حكي في اثنائه الى قوله تعالى خائبين
يتعلق بنوع ربنا في قطعا وما بينه عطف للوجهين المذكورين وقوله تعالى فانهم ظالمون
تعليل على كل حال لقوله تعالى او يعذبهم مبين لكون ذلك من جهتهم وجزاء لظلمهم ولله
ما في السموات وما في الارض كلام مستانف سيق لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات
به عز وجل اثر بيان طرف من ذلك به سبحانه تقريرا لما سبق وتكملة له وتقديم الجار
للقصد وكلمة ما شاملة للعقلاء ايضا تغليبا اي لله ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا
لا مدخل فيه لاحد اصلا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ان يغفر له مشيئة مبنية
على الحكم والمصالح ويعذب من يشاء ان يعذبه مشيئة كذلك وايثار كلمة من في الموضعين
لاختصاص المغفرة والتعذيب بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب للايذان
ان رحمته تعالى سبقت غضبه وبالنسبة بين مقتضيات ذاته فانه من مقتضيات سيئات
العصاة وفيه صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي
له والله غفور رحيم تذييل مقرر لمضمون قوله تعالى يغفر لمن يشاء مع زيادة في
تخصيص التذييل به دون ما يليه من الاعتناء بامر المغفرة والرحمة ما لا يخفى
يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا كلام مبتدأ مشتمل على ما هو ملاك الامر في كل باب لا سيما في باب
الجهاد من التقوى والطاعة وما يتعلق بها من الامور التي تكون على نهج الترغيب
والترهيب جيء به في تضاعيف القصة مسارعة الى ارشاد المخاطبين الى ما فيه وانما
بكال وجوب المحافظة عليه فيما هم فيه من الجهاد فانه ملاك النصر والغلبة كيف
لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى وطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام لما لقوا ما
لقوا ولعل ايراد النهي عن الربا في اثنائها لما ان الترغيب في الانفاق في السراء والضراء
الذي عمدته الانفاق في سبيل الجهاد متضمن للترغيب في تحصيل المال فكان مظنة
مبادرة الناس الى طرق الاكتساب ومن جملتها الربا فنهوا عن ذلك والمراد بالاكل
الاخذ وانما عبر عنه بالاكل لما انه معظم ما يقصد به الاخذ وشيوعه في المأكولات
مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله عز وجل اضعافا مضاعفة ليس لتقييد النهي به بل لمراعاة
ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك اذ كان الرجل يربي الى اجل فاذا حل قال للمدين
زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فيفعل وهكذا عند محل كل اجل فيستغرق
بالشيء الطفيف ماله بالكلية ونصبه على الحالية من الربا وقرئ مضعفة
واتقوا الله فيما نهيتم عنه من الامور التي من جملتها الربا لعلكم تفلحون راجين الفلاح
واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي ما يتعاطونه كان ابو حنيفة رحمه
الله يقول هي اخوف اية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين
ان لم يتقوه في اجتناب محارمه واطيعوا الله في كل ما امركم به ونهاكم عنه والرسول
الذي يبلغكم اوامره ونواهيه لعلكم ترحمون راجين لرحمته عقب الوعيد بالوعد
ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل ايراد لعل في الموضعين للاشعار

منال الفلاح والرحمة قال محمد بن اسحاق هذه الاية معاتبة للذين عصوا الرسول
صلى الله عليه وسلم حين امرهم بما امرهم يوم احد وسارعوا عطف على اطيعوا
وقرئ بغير واو وفيها وجه الاستئناف اي بادروا واقبلوا وفروا وسابقوا الى
مغفرة من ربكم وجنة اي الى ما يؤدي اليهما وقيل الى الاسلام وقيل الى التوبة
وقيل الى الاخلاص وقيل الى الجهاد وقيل الى اداء الواجبات وترك
جميع المنهيات فيدخل فيها ما مر من الامور المامور بها والمنهي عنها دخولا اوليا
وتقديم المغفرة على الجنة لما ان التخلية مقدمة على التحلية ومن متعلقة بمحذوف
وقع صفة لمغفرة اي كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير
المخاطبين لاظهار مزيد اللطف بهم وقوله تعالى عرضها السموات والارض اي كعرضهما
صفة لجنة وتخصيص العرض بالذكر للمبالغة في وصفها بالسعة والبسطة على
طريقة التمثيل فان العرض في العادة ادنى من الطول وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين في محل الجر على انه صفة
اخرى لجنة او في محل النصب على الحالية منها لتخصصها بالصفة اي هيئت لهم وفيه
دليل على ان الجنة مخلوقة الان وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون في
محل الجر على انه نعت للمتقين مادح لهم او بدل منه او بيان او في حيز النصب او الرفع
على المدح وحذف مفعول ينفقون اما لظهوره او للتعميم لكل ما يصلح للانفاق او مرور بالكلية
كما في قولك يعطي ويمنع في السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة واليسر والعسر
او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق
ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ عطف على الموصول والعدول الى
صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار واما الانفاق فحيث كان امرا متجددا عبر عنه
بما يفيد الحدوث والتجدد والكظم الحبس يقال كظم غيظه اي حبسه
قال المبرد رحمه الله تاويله انه كتمه على امتلائه منه يقال كظمت السقاء اذا
ملاته وشددت عليه اي الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا
وايمانا والعافين عن الناس اي التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته روي انه ينادي
مناد يوم القيامة اين الذين كانت اجورهم على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا
في الامم التي مضت وفي ذكر الوصفين اشعار بكمال حسن موقع عفوه عليه السلام
عن الرماة وترك مؤاخذتهم بما فعلوا من مخالفة امره عليه الصلاة والسلام وندبه
له عليه السلام الى ترك ما عزم عليه من مجازاة المشركين بما فعلوا بحمزة حين قال حين
رآه قد مثل به لامثلن بسبعين مكانك والله يحب المحسنين اللام اما للجنس وهم
داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد عبر عنهم بالمحسنين ايذانا بان النعوت
المعدودة من باب الاحسان الذي هو الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي

المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها والذين
مرفوع على الابتداء . وقيل مجرور معطوف على ما قبله من صفات المتقين
تعالى والله يحب المحسنين اعتراض بينهما مشير الى ما بينهما من التفاوت فان درجة
الاولين من التقوى اعلى من درجة هؤلاء وحظهم اوفى من حظهم او على نفس المتقين
فيكون التفاوت اكثر والاظهر اذا فعلوا فاحشة اي فعلة بالغة في القبح كالزنا
او ظلموا انفسهم بان اتوا ذنبا اي ذنب كان . وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس
الصغيرة او الفاحشة ما يتعدى الى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك . قيل قال
المؤمنون يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله تعالى منا كان احدهم
اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة داره افعل كذا فانزل الله تعالى
هذه الآية . وقيل ان نبهان التمار اتته امرأة حسناء تطلب منه تمرا فقال لها
هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه
وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك واتى النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر له ذلك فنزلت . وقيل جرى مثله بين انصاري وامرأة ثقفي كان
بينهما مواخاة فندم الانصاري وحثا على رأسه التراب وهام على وجهه وجعل
يسيح في الجبال تائبا مستغفرا ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت . وايا ما
كان فاطلاق اللفظ يتناول ما فعله الرماة انتظاما اوليا ذكروا الله تذكروا حقه
العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء او وعيده او حكمه او عقابه فاستغفروا
لذنوبهم بالتوبة والندم والفاء للدلالة على ان ذكره تعالى مستتبع للاستغفار
لا محالة ومن يغفر الذنوب استفهام انكاري والمراد بالذنوب جنسها كما في قولك
فلان يلبس الثياب ويركب الخيل لا كلها حتى يخل بالمعنى المقصود من استحالة صدور مغفرة
فرد منها من غيره تعالى . وقوله تعالى الا الله بدل من الضمير المستكن اي لا يغفر جنس
الذنوب احد الا الله . خلا ان دلالة الاستفهام على الانتفاء اقوى وابلغ لايذانه
بان كل احد ممن له حظ من الخطاب يعرف ذلك الانتفاء فيسارع الى الجواب به والمراد
به وصفه سبحانه بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة بين المعطوفين
اي بين الحال وصاحبها لتقرير الاستغفار والحث عليه والاشعار بالوعد بالقبول
ولم يصروا عطف على فاستغفروا وتأخيره عنه مع تقدمه عليه
رتبة لاظهار الاعتناء بشان الاستغفار واستعقابه للمسارعة اليه عقيب ذكره
تعالى او حال من فاعله اي ولم يقيموا او غير مقيمين على ما فعلوا اي ما فعلوه من الذنوب
فاحشة كانت او ظلما او على فعلهم . روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ما اصر من
استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وانه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع
الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل يصروا اي لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه
وبالنهي عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لما انه قد يعذر من لا يعلم ذلك

اذ لم يكن عن تعقيب في تحصيل العلوم به اولئك اشارة الى المذكورين اخرا باعتبار
اتصافهم بما مر من الصفات الحميدة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم
وعلو طبقتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى جزاؤهم بدل اشتمال منه وقوله
تعالى مغفرة خبر له او جزاؤهم مبتدأ ثان ومغفرة خبره والجملة خبر لاولئك
والجملة خبر لقوله تعالى والذين اذا فعلوا الى اخره على الوجه الاول وهو الاظهر
الانسب بنظم المغفرة المنبئة عن سابقة الذنب في سلك الجزاء او على الوجهين الاخيرين
تكون قوله تعالى اولئك الى اخره جملة مستأنفة مبينة لما قبلها كاشفة عن حال
كلا الفريقين المحسنين والتائبين ولم يذكر من اوصاف الاولين ما فيه شائبة الذنب
حتى يذكر في مقابلته الجزاء الشامل لهما المغفرة وتخصيص الاشارة بالاخيرين مع اشتراكهما
في حكم اعداد الجنة لهم تعسف ظاهر من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة
لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من جهته تعالى
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لاظهار مزيد اللطف بهم والتشريف
وجنات تجري من تحتها الانهار عطف على مغفرة والتنكير المشعر بكونها ادنى من
الجنة السابقة مما يؤيد رجحان الوجه الاول خالدين فيها حال مقدرة من الضمير في
جزاؤهم لانه مفعول به في المعنى لانه في قوة يجزيهم الله جنات خالدين فيها ولا مساغ
لان يكون حالا من جنات في اللفظ وهي لاصحابها في المعنى اذ لو كان كذلك لبرز الضمير
ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف اي ونعم اجر العاملين ذلك اي ما ذكر
من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما يستحقان بمقابلة العمل وان
كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي والجملة تذييل مختص
بالتائبين حسب اختصاص التذييل السابق بالاولين ولا يخفى ما بين معنى التذييلين
وبين الفريقين من التفاوت البين والتباين البين شتان بين المحسنين الفائزين بمحبة
الله تعالى وبين الحائزين لاجر عمالتهم قد خلت من قبلكم سنن رجوع الى تفصيل
بقية القصة بعد تمهيد مبادي الرشد والصلاح وترتيب ما يتعلق بها من
الفلاح والخلو المضي والسنن الوقائع . وقيل الامم والظرف اما متعلق بخلت
او بمحذوف وقع حالا من سنن اي قد مضت من قبل زمانكم او كائنة من قبلكم
وقائع سنها الله تعالى في الامم المكذبة كما في قوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة
الله في الذين خلوا الى اخره . والثاني قوله تعالى فسيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين الفاء للدلالة على سببية خلوها للسير والنظر او الامر بهما وقيل
المعنى على الشرط اي ان شككتم فسيروا الى اخره وكيف خبر مقدم لكان معلق
لفعل النظر والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض لان الاصل استعماله بالجار
هذا اشارة الى ما سلف من قوله تعالى قد خلت الى اخره بيان للناس اي تبيين لهم
على ان اللام متعلقة بالمصدر او كائن لهم على انها متعلقة بمحذوف وقع صفة
له وتعريف الناس للعهد وهم المكذبون اي هذا ايضاح لسوء عاقبة

عما هم عليه من التكذيب فان الامر بالسير والنظر وان كان خاصا بالمؤمنين لكن
العلة الموجبة له غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين ايضا على ان ينظروا
في عواقب من قبلهم من اهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينون من آثار دمارهم
وان لم يكن الكلام مسوقا لهم وهدى وموعظة اي وزيادة بصيرة وموعظة لكم
وانما قيل للمتقين للايذان بعلة الحكم فان مدار كونه هدى وموعظة لهم
انما هو تقواهم ويجوز ان يراد بالمتقين الصائرون الى التقوى والهدى والموعظة
على ظاهرهما اي هذا بيان لمآل امر الناس وسوء عاقبته ومقدمة لمن اتقى منهم وجب
لهم عما هم عليه من التكذيب وان يراد به ما يعمهم وغيرهم من المتقين بالفعل
ويراد بالهدى والموعظة ايضا ما يعم ابتداءهما والزيادة فيهما وانما قدم
كونه بيانا للمكذبين مع انه غير مسوق له على كونه هدى وموعظة للمتقين مع
انه المقصود بالسياق لان اول ما يترتب على مشاهدة آثار هلاك اسلافهم ظهور
حال اخلافهم واما زيادة الهدى واصله فامر مترتب عليه وتخصيص البيان
للناس مع عمومه للمتقين ايضا لما ان المراد به مجرد البيان العاري عن الهدى والعظة
والاقتصار عليهما في جانب المتقين مع ترتبهما على البيان لما انهما المقصد الاصلي
ويجوز ان يكون تعريف الناس للجنس اي هذا بيان للناس كافة وهدى وموعظة
للمتقين منهم خاصة وقيل كلمة هذا اشارة الى المحكي من امر المتقين
والتائبين والمصرين وقوله تعالى قد خلت الآية اعتراض لابد ان يكون مما
يحضون الحث على الايمان وما يتعلق به مما ذكر من اجر العاملين وان حمل على
الاعتراض لابد ان يكون معترضا المفصول ما وقع في خلاله ومقابلة آثار هلاك
المكذبين مما لا تعلق له بحال احد الاصناف الثلاثة للمؤمنين وان كان باعثا على
الايمان زاجرا عن التكذيب وقيل اشارة الى القرآن ولا يخفى بعده ولا تهنوا
ولا تحزنوا تشجيع للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما اصابهم يوم احد من القتل
والاسر والقرح وكان قد قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد
المطلب وعثمان بن شماس ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله عليه الصلاة
والسلام وعبد الله بن جحش ابن عمة النبي عليه الصلاة والسلام وسعد مولى
عتبة رضوان الله عليهم ومن الانصار سبعون رجلا رضوان الله عليهم اجمعين
اي لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم
الاعلون جملة حالية من فاعل الفعلين اي والحال انكم الاعلون الغالبون
دون عدوكم فان مصير امرهم الى الدمار حسبما شاهدتم من احوال اسلافهم
فهو تصريح بالوعد بالنصر والغلبة بعد الاشعار به فيما سبق او وانتم المعهودون
بغاية علو الشأن لما انكم على الحق وقتالكم لله عز وجل وقتلاكم في الجنة وهم
على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار وقيل وانتم الاعلون حالا
منهم حيث اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم ان كنتم مؤمنين متعلق

بالنهي

بالنهي او بالاعلون وجوابه محذوف لدلالة ما تعلق به عليه اي ان كنتم مؤمنين
فلا تهنوا ولا تحزنوا فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وعدم
المبالاة باعدائه او ان كنتم مؤمنين فانتم الاعلون فان الايمان يقتضي العلو لا
محالة او ان كنتم مصدقين بوعد الله تعالى فانتم الاعلون واياما كان فالمقصود تحقيق
المعلق بناء على تحقق المعلق به كما في قول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني اجري ولذلك
قيل معناه اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان بقيتم على الايمان ان يمسسكم قرح
فقد مس القوم قرح مثله القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقد قرئ
بهما وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرئ بفتحتين وقيل القرح والقرح
كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر
ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم احق بان لا
تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم احد
نال المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله عليه الصلاة والسلام
قتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا منهم صاحب لوائهم وجرحوا عددا كثيرا وعقروا عامة
خيلهم بالنبل وتلك الايام اشارة الى الايام الجارية فيما بين الامم الماضية والآتية
كافة لا الى الايام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم احد بل هي داخلة فيها
دخولا اوليا والمراد بها اوقات الظفر والغلبة نداولها بين الناس نصرفها بينهم
نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقول من قال • [illegible] •
[illegible] • فيوما علينا ويوما لنا • ويوما نساء ويوما نسر • [illegible] •
والمداولة كالمعاودة يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه اي عاودته فيهم وتداوله واسم
الاشارة مبتدأ والايام اما صفة له او بدل منه او عطف بيان له ونداولها
خبر وقد او هي خبر والايام [illegible] ما يعني اسم الاشارة او خبر بعد خبر
وصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار للايذان بان تلك المداولة
سنة مسلوكة فيما بين الامم قاطبة سابقتها ولاحقتها وفيه ضرب من التسلية
وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا اما من باب التمثيل اي ليعاملكم معاملة من يريد
ان يعلم المخلصين الثابتين على الايمان من غيرهم كما في قوله تعالى ما كان الله
ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب او هو على حقيقته معتبر
من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث انه موجود بالفعل اذ هو الذي يدور عليه
فلك الجزاء لا من حيث انه موجود بالقوة واطلاق الايمان مع ان المراد هو الرسوخ
والاخلاص فيه للايذان بان اسم الايمان لا ينطلق على غيره والالتفات
الى الغيبة باسناده الى اسم الذات المستجمع لتربية المهابة والاشعار بان صدور
كل واحد مما ذكر بصدد التعليل من افعاله تعالى باعتبار منشأ معين من صفاته
تعالى مغاير لمنشأ الآخر والجملة علة لما هو فرد من افراد مطلق العلة او لعلة اخرى تتعلق
بما قوله تعالى نداولها بين الناس من العلل او لعلة المعهودة الجارية بين فريقي المؤمنين

والمؤمنين والكافرين واللام متعلقة بما دل عليه المطلق من الفعل المقيد بالوقوع
بين الفريقين المذكورين او بمضمر لنفس المطلق باعتبار وقوعه بينهما • والجملة
معطوفة على علة اخرى لها معتبرة اما على الخصوص والتعيين محذوفة لدلالة المذكور
عليه لكونها من مباديها • كانه قيل نداولها بينكم وبين عدوكم ليظهر امركم
وليعلم الخ فان ظهور ما عليه وخروجها من القوة الى الفعل من مبادي تمييزهم
من حيث مجموع من اجله تعلق العلم الازلي بها من تلك الحيثية • ولذا الحال
في باب التمثيل فتامل واما على العموم والابهام للتنبيه على ان العلل عنده
مخصوص لما فيه من الامور وان العبد يسوءه ما يجري عليه من النوائب ولا يشعر
بان لله تعالى في ذلك من الالطاف الخفية ما لا يحيط به البيان • كانه قيل نداولها
بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم الخ وفيه من تاكيد التسلية
ومن البيان ما لا يخفى • وتخصيص البيان بعلة منها الحذر من مطلق العلة اوله
وفي سائر افرادها الجارية فيما بين بقية الامم تعيينا وابهاما لعدم تعلق الغرض
العلمي ببيانها • ولذلك ان جعلنا المحذوف الجمهور عبارة عن علل سائر افرادها للاشارة
اجمالا الى ان كل فرد من افرادها له علة داعية اليه • كانه قيل نداولها بين
الناس كافة ليكون كيت وكيت من الحكم الداعية الى تلك الافراد وليعلم الخ
فالعلم الاولى متعلقة بالفعل المطلق باعتبار تحققه في تلك الافراد والثانية
باعتبار تحققه بالفرد المعهود • وقيل هي متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره وليعلم
الله الذين امنوا فعل ذلك ويتخذ منكم شهداء جمع شهيد اي ويكرم ناسا منكم
بالشهادة ومن متعلقة بمحذوف ابتدائية او تبعيضية متعلقة بيتخذ او بمحذوف
وقع حالا من شهداء او جمع شاهد اي ويتخذ منكم شهودا معدلين بما ظهر منهم من الثبات
على الحق والصبر على الشدائد وغير ذلك من شواهد الصدق ليشهدوا على
الامم يوم القيامة خص بيانية لان تلك الشهادة وظيفة الكل دون المستشهدين
فقط • وايا ما كان ففي لفظ الاتخاذ المنبئ عن الاصطفاء والتقريب من تشريفهم
وتفخيم شانهم ما لا يخفى • وقوله تعالى والله لا يحب الظالمين اعتراض مقرر لمضمون
ما قبله ونفي المحبة كناية عن البغض وفي ايقاعه على الظالمين تعريض بمحبته تعالى
لمقابليهم والمراد بهم اما غير الثابتين على الايمان فالتعريض من حيث انه تعالى
يبغضهم ولذا اخرجهم من الخلص المصطفين للشهادة من بينهم • واما الكفرة الذين
اديل لهم فالتعريض من حيث ان ذلك ليس بطريق النصرة لهم فانها مختصة باوليائه
تعالى بل لما ذكر من الفوائد العائدة الى المؤمنين • وقوله تعالى وليمحص الله الذين امنوا
اي ليصفيهم ويطهرهم من الذنوب عطف على يتخذ وتكرير الاسم لمزيد العناية
لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض • واظهار الاسم الجليل لمزيد الاعتناء بامر الاضمار
لاعتنائه بامر التمحيص وهذه الامور الثلاثة على المداولة المعهودة باعتبار كونها
على المؤمنين قدمت في الذكر لانها المحتاجة الى البيان ولعل تاخير العلة الاخيرة

عن الاعتراض لما ان يتمحيص اهل دار المحبة تعيب في الظالمين او ليقترن بقوله تعالى
ويمحق الكافرين فان التمحيص فيه محو الاثار وازالة الاوضار كما ان المحق عبارة عن النقص
والاذهاب • قال المفضل هو ان يذهب الشيء بالكلية حتى لا يرى منه شيء ومنه قوله
تعالى يمحق الله الربا اي يستاصله وهذا علة للمداولة باعتبار كونها على الكافرين والمراد
بهم الذين حاربوا رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم احد واصروا على الكفر وقد
محقهم الله تعالى جميعا ام حسبتم كلام مستانف سيق لبيان ما هو الغاية القصوى من
المداولة والنتيجة لما ذكر من تمييز المخلصين وتمحيصهم واتخاذ الشهداء واظهار عزة
منازلهم والخطاب للذين انهزموا يوم احد وام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب
عن التسلية ببيان العلل فيما لقوا من الشدة الى تحقيق انها من مبادي الفوز بالمطلب
الاسنى والهمزة للانكار والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة وتفوزوا بنعيمها وقوله
تعالى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم حال من ضمير تدخلوا مؤكدة للانكار فان رجاء الاجر بغير
عمل ممن يعلم انه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم
لما بينهما من اللزوم المبني على ان تحقق الاول لتحقق الثاني ضرورة ان ما لا يتحقق لا
يتعلق علمه تعالى به • وايثاره على التصريح للمبالغة في تحقيق المعنى المراد فانها اثبات
لعدمه بهاد اعم البرهان والاشعار بان ترتب الجزاء على الاعمال انما هو على علمه تعالى
بها • كانه قيل والحال انه لم يوجد الذين جاهدوا منكم عن معنى ولما تجاهدوا والمبالغة
في بيان انتفاء الوصف وعدم تحققه اصلا وفي كلمة لما ايذان بان الجهاد متوقع منهم فيما
يستقبل الا انه غير معتبر في تاكيد الانكار • وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن
فحذفت النون او على طريقة اتباع الميم لما قبلها في الحركة لالتقاء الساكنين الله تعالى
ومنكم حال من الذين ويعلم الصابرين منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع كما في قولك لا
تاكل السمك وتشرب اللبن اي لا يكون منك اكل السمك وشرب اللبن والمعنى ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر اي الجمع بينهما وايثار اسم الفاعل
على الموصول للدلالة على ان المعتبر هو الاستمرار على الصبر والمحافظة على العزائم
وقيل مجزوم معطوف على المجزوم قبله قد حرك لالتقاء الساكنين • وقرئ ويعلم بالرفع
على ان الواو للحال وصاحبها الموصول والمعنى ولما يعلم الصابرين
كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي تتمنون الحرب فانها
من مبادي الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون
ان يشهدوا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر
من الكرامة فالحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج ثم ظهر منهم خلاف
ذلك من قبل ان تلقوه متعلق بتمنون مبين لسبب اقدامهم على التمني اي من قبل ان
تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته • وقرئ تلاقوه فقد رايتموه اي ما تتمنونه من اسباب
الموت او الموت بمشاهدة اسبابه • وقوله تعالى وانتم تنظرون حال من ضمير المخاطبين
وفي ايثار الرؤية على الملاقاة وتقييدها بالنظر مزيد مبالغة في مشاهدتهم له

والفا فصيحة كانه قيل ان كنتم صادقين في تمنيكم ذلك فقد رايتموه معاينين له حين
قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم
وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم لا على تمني الشهادة
بناء على تضمنها لغلبة الكفار لما ان مطلب من تمنى الشهادة نيل كرامة الشهداء من غير ان يخطر
ببالهم غرض لذلك فلا يستحق العتاب من تلك الجهة **وما محمد الا رسول** مبتدا وخبر
ولا عمل لما لانتقاض نفيه بالا وقوله تعالى **قد خلت من قبله الرسل** صفة
لرسول منبئة عن كونه في شرف الخلو فان خلو مشاركيه في منصب الرسالة من شواهد
خلوه لا محالة كانه قيل قد خلت من قبله امثاله فسيخلو كما خلوا والقصر قلبي فانهم
لما انقلبوا على اعقابهم فكانهم اعتقدوا انه عليه الصلاة والسلام رسول لا كسائر
الرسل في انه يخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك بدينهم وقيل هو افرادي
فانهم لما استعظموا عدم بقائه عليه الصلاة والسلام لهم نزلوا منزلة المستبعدين
لهلاكه كانهم يعتقدون فيه عليه السلام وصفين الرسالة والبعد من الهلاك فرد
عليهم بانه مقصور على الرسالة لا يتجاوزها الى البعد من الهلاك فلابد من جعل
قوله تعالى قد خلت الخ كلاما مبتدا مسوقا لتقرير عدم براءته عليه السلام من الهلاك
وبيان كونه اسوة لمن قبله من الرسل عليهم السلام واياما كان فالكلام خارج
على خلاف مقتضى الظاهر **افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم** انكار لارتدادهم وانقلابهم
عن الدين بخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل
الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم بعد وفاته
مع كونه سببا في الحقيقة لثباتهم على الدين وايراد الموت بكلمة ان مع العلم به
البتة لتنزيل المخاطبين منزلة المترددين فيه لما ذكر من استعظامهم اياه وهكذا
الحال في سائر الموارد فان كلمة ان في كلام الله تعالى لا تجري على ظاهرها قط ضرورة
علمه تعالى بالوقوع او اللاوقوع بل تحمل على اعتبار حال السامع او امر اخر يناسب المقام
وتقديم تقدير الموت مع ان تقدير القتل هو الذي ثار منه الفتنة وعظم فيه المحنة
لما ان الموت في شرف الوقوع فزجر الناس عن الانقلاب عنده وحملهم على التثبت هناك
اشد ولان الوصف الجامع بينه وبين الرسل عليهم السلام هو الخلو بالموت دون القتل
روي انه لما التقى الفئتان حمل ابو دجانة في نفر من المسلمين على المشركين فقاتل قتالا
شديدا وقاتل علي بن ابي طالب رضي الله عنه قتالا عظيما حتى التوى سيفه وكذا سعد
ابن ابي وقاص فقتلوا جماعة من المشركين وهزموهم فلما نظر الرماة اليهم وراوا انهم
قد انهزموا اقبلوا على النهب ولم يلتفتوا الى نهي اميرهم عبد الله بن جبير فلم يبق
منهم الا ثمانية نفر فلما راهم خالد بن الوليد قد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم في
مائتين وخمسين فارسا من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقي من الرماة ثم دخلوا
خلف اقفية المسلمين ففرقوهم وهزموهم وحملوا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقاتلوهم حتى اصيب هنالك نحو ثلاثين رجلا كل منهم يجثو بين يديه ويقول

وجهي

وجهي لوجهك الفداء ونفسي لنفسك الفداء وعليك سلام الله غير مودع وصوب عبد الله
ابن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه الكريم فذب
عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبي عليه
الصلاة والسلام فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ قيل انه ابليس الا ان محمدا قد قتل فانكفا
الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الي عباد الله قال كعب بن مالك رضي
الله عنه كنت اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين فناديت باعلى صوتي يا
معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه
حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من
ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم
فقال انس بن النضر وهو عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت
وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا
كراما على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرا اليك مما جاء به هؤلاء
ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل وتجويزهم لقتله عليه الصلاة والسلام مع قوله تعالى
والله يعصمك من الناس لما ان كل اية لم يسمعها كل احد ولا الذي سمعها يستحضرها في كل مقام
لا سيما في مثل ذلك المقام الهائل وقد غفل عمر رضي الله عنه عن هذه الاية الكريمة عند
وفاته صلى الله عليه وسلم وقام في الناس فقال ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم توفي وان رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب
موسى بن عمران فغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله وليقطعن
ايدي رجال وارجلهم يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يزل يكرر ذلك
الى ان قام ابو بكر رضي الله تعالى عنه فحمد الله عز وجل واثنى عليه ثم قال يا ايها الناس من
كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد
الا رسول الاية قال الراوي والله لكان الناس لم يعلموا ان هذه الاية نزلت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها ابو بكر وقال عمر رضي الله عنه والله ما هو الا ان سمعت
ابا بكر رضي الله عنه يتلوها فعقرت حتى ما تحملني رجلاي وعرفت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مات صلى الله تعالى عليه وسلم **ومن ينقلب على عقبيه** بادباره عما كان عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم من امر الجهاد وغيره وقيل بارتداده من الاسلام وما ارتد يومئذ
احد من المسلمين الا ما كان من المنافقين **فلن يضر الله** بما فعل من الانقلاب **شيئا** من الضرر
وانما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب **وسيجزي الله الشاكرين** اي الثابتين على دين
الاسلام الذي هو اجل نعمة واعز معروف سموا بذلك لان الثبات عليه شكر له وعرفان
لحقه وفيه ايماء الى كفران المنقلبين وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بهم الطائعون
لله تعالى من المهاجرين والانصار وعن علي رضي الله عنه ابو بكر واصحابه وعنه رضي الله
عنه انه قال ابو بكر من الشاكرين ومن احباء الله تعالى واظهار الاسم الجليل في موقع
الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشان جزائهم **وما كان لنفس** كلام مستانف سيق للتنبيه

على خطئهم فيما فعلوا حذرا من قتلهم وبناء على الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم ببيان ان الموت
كسائر الشؤون منوط بمشيئة الله عز وجل لا يكاد يقع بدون تعلقها به وان خاضت موارد الحتوف
واقتحمت مضايق كل هائل مخوف. وقد اشير بذلك الى انها لو كانت متعلقة بتحقق الوقت
الذي يحذرون فيه ذلك لم يمتنعوا حينئذ لا محالة من مباشرة القتال ولهذا كان
اسمها ان تموت وخبرها الظرف على انه متعلق بمحذوف. وقوله تعالى الا باذن الله استثناء
مفرغ من اعم الاسباب اي وما كان الموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الاسباب الا
بمشيئة الله تعالى على ان الاذن مجاز منها لكونها من لوازمه او الا باذنه لملك الموت في قبض
روحها وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة الى النفوس بصورة الافعال
الاختيارية التي لا ينبغي للفاعل ايقاعها والاقدام عليها بدون اذنه تعالى وفيه
انه لا ما[نع] لها مبادئه اي القتال بمنزلة الاقدام عليه في تحقيق المرام فان موتها
حين اشتغال وقوعه عند اقدامها عليه وقبل مبادئه وسعيها في ايقاعه فلا بد من تسببه
عنده على مراد الله او في تأخيره وفيه تحريض على القتال ما لا يخفى. كتابا مصدر مؤكد
لمضمون ما قبله اي كتبه الله كتابا مؤجلا مؤقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ولو ساعة
ومن ثم حاطبا بالوعد ومعنى الامر على التخويف بعد تحقيق ان مدار الموت والحياة
محض مشيئة الله عز وجل من غير ان يكون فيه مدخل لاحد اصلا اشير الى ان توفية ثمرات
الاعمال دائرة على دواعي نيتهم لئلا يصرفوا اعمالهم عن الاغراض الدينية الى المطالب الدنيوية فقيل ومن
يرد اي بعمله ثواب الدنيا نؤته بنون العظمة على طريقة الالتفات منها اي من ثوابها ما نشاء
ان نؤتيه اياه كما في قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهو
تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد وقد مر تفصيله ومن يرد اي بعمله ثواب الآخرة نؤته
منها اي من ثوابها ما نشاء من الاضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم وسنجزي الشاكرين نعمة
الاسلام الثابتين عليه الصارفين لما آتاهم الله تعالى من القوى والقدر الى ما خلقت هي لاجله
من طاعة الله عز وجل لا يلويهم عن ذلك صارف اصلا. والمراد بهم اما المجاهدون المعهودون
من الشهداء او غيرهم. واما جنس الشاكرين وهم داخلون فيه دخولا اوليا. والجملة اعتراض
مقرر لمضمون ما قبله ووعد بالمزيد عليه وفي تصديرها بالسين وابهام الجزاء من التأكيد
والدلالة على فخامة شأن الجزاء وكونه بحيث يقصر عنه البيان ما لا يخفى. وقرئ الافعال
الثلاثة بالياء. وكأين كلام مبتدأ ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدورهم عن سنن
الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام. وكأي لغة مركبة
من كاف التشبيه واي حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا والنون
تنوين اثبت في الخط على غير قياس وفيها خمس لغات هي احدها. والثانية كائن مثل كاعن
والثالثة كأين مثل كعين. والرابعة كيئن بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة وهي قلب
ما قبلها. والخامسة كأن مثل كعن. وقد قرئ بكل منها ومحلها الرفع بالابتداء وقوله
تعالى من نبي تمييز لها لانها مثل كم الخبرية. وقد جاء تمييزها منصوبا كما في قوله
اطرد اليأس بالرجا فكائن آلما حم يسره بعد عسر. وقوله تعالى

قتل

قتل معه ربيون كثير خبرها على ان الفعل مسند الى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه
وقرئ قتل على صيغة المبني للمفعول مخففة ومشددة والربي منسوب الى الرب
كالرباني وكسر الراء من تغييرات النسب. وقرئ بضمها وبفتحها ايضا على الاصل
وقيل منسوب الى الربة وهي الجماعة اي كثير من الانبياء قاتل معه لاعلاء كلمة الله واعزاز
دينه علماء اتقياء او عابدون او جماعات كثيرة فالظرف متعلق بقاتل وقد جعل قتل واقعا
على الامر في قاتل كما في القراءتين الاخيرتين اذ لا اختصاص له بالقتل اي قتلوا او قتلوا
ما ثبتوا معه في القتال لا في القتل. قال سعيد بن جبير رضي الله عنه ما سمعنا بنبي قتل في
القتال. وقال الحسن البصري رحمه الله وجماعة من العلماء ما قتل نبي في حرب قط
وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والظرف الاول متعلق بمحذوف
وقع حالا منه والرابط هو الضمير المجرور الراجع اليه ومعناه على التعداد المشهور
بلا خلاف اي كم من نبي قتل كائنا معه في القتال ربيون كثير. واما على القراءتين الاخيرتين
فيتعين ظاهر الاسناد على قراءة التشديد. وقد رجح ذلك بعضهم وايد بان مدار التوبيخ اعلامهم
الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم اي كم من نبي قتل كائنا معه في القتال ربيون
كثير اي اجمع. وقوله تعالى فما وهنوا عطف على قاتل على ان المراد به عدم الوهن المتوقع
من القتال كما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشيء بعد
ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة
صنع جديد مصحح لدخول الفاء المرتبة له على ما قبله اي فما فتروا وما انكسرت همتهم
لما اصابهم في اثناء القتال وهي علة للنفي دون المنفي كما مر بتعليقه. وقوله
تعالى في سبيل الله بيان لكون ذلك في سبيله عز وعلا فما يقوي قلوبهم ويزيد همتهم
وما موصولة او موصوفة فان حمل الضمير لجميع الربانيين فهو عبارة عما عدا القتل
من الجراح وسائر المكاره وان جعل للبعض الباقين بعد ما قتل الآخرون كما هو الانسب
بمقام توبيخ المنهزمين بعد ما استشهد الشهداء فهو عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل
اخوانهم من الخوف والحزن وغير ذلك. هذا على التعداد المشهور واما على القراءتين
الاخيرتين فان اسند القتل الى الربيين فالضمير للباقين منهم حتما وان اسند
الى ضمير النبي عليه الصلاة والسلام كما هو الانسب بالتوبيخ على الانخذال بسبب الارجاف
بقتله صلى الله عليه وسلم فهو للكل ان اعتبر كون الربيين مع النبي عليه السلام
في القتل والجميع ان اعتبر كونهم معه في القتال وما ضعفوا عن العدو وقيل عن الجهاد
وقيل في الدين وما استكانوا اي وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان
الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون
من الكون لانه يطلب ان يكون لمن يخضع له. وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار
عند استيلاء الكفرة عليهم والارجاف بقتل النبي عليه الصلاة والسلام وبضعفهم
عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بابن
ابي المنافق في طلب الامان من ابي سفيان والله يحب الصابرين اي على الشدائد

وما ضعفوا لما اصابهم في سبيل الله فينتقص جدهم عن بطلهم فقعدوا عن الجهاد لطايفتين اما المعهود وذلك
والاطمئنان بخضوع الاجابة للثنا عليهم بحسن العقبة والاشعار بعلة الحكم واما المختص منهم واخلون
فيه دخولا اوليا ٭ والجملة تذييل لما قبلها وما كان قولهم كلام مبين لمحاسنهم القولية
معطوف على ما قبله مبين لمحاسنهم الفعلية وقولهم بالنصب خبر لكان واسمها قوله
في قوله تعالى الا ان قالوا والاستثنا مفرغ من اعم الاشيا اي ما كان قولا لهم عند لقا
العدو واقتحام مضايق الحراب والاصابة ما اصابهم من فنون الشدايد والاهوال شيا من الاشيا
الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا اي صغايرنا واسرافنا في امرنا اي تجاوزنا الحد في ركوب الكباير
اضافوا الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين برآء من التفريط في جنب الله تعالى
هضما لها واستقصارا لهممهم واسنادا لما اصابهم الى اعمالهم وقدموا الدعا بغفرانها على ما هو
الاهم بحسب الحال من الدعا بقولهم وثبت اقدامنا اي في مواطن الحرب بالتقوية والتاييد
من عندك او ثبتنا على دينك الحق وانصرنا على القوم الكافرين تقريبا له الى حيز القبول فان الدعا
المقرون بالخضوع الصادر عن زكا وطهارة اقرب الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين
على هذا الدعا من غير ان يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والخوف
والتزلزل في مواقف الحرب ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى
وقرا ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع قولهم على ان الاسم والخبر ان وما في حيزها
ايثار الاول لان ... الاخبار الاعرف اولى ... عن كونه خاصا بالحاسبين وحينا كما ترى
ان ... المعنى ... يقتضي ... لان الاخبار يكون ... المطلق خصوصية قولهم
المحكي عنهم ... انما ... افادة للسامع من الاخبار بكون قولهم المطلق
خصوصية ... المحكي عنهم ... لما ... الغابرة ومن ثم البيان في الجملة الخبرية
هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدث وازيد اشتمالا على خاصة
تنبيه من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ٭ ولا يخفى ان ذلك ههنا في ان مع ما في حيزها
اتم واكمل ٭ واما ما تقتضيه الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية حيث كانت نسبة
الحمول لما وجدوه ههنا خالف لانها الا كلاحظ ملاحظة اجمالية ... ان الموضوع لا يعتبر
بالذات في باب البيان ٭ وانا ... والجمهور ما اختار لقاعدة صناعية هي اذا اجتمع
معرفتان فالاعرف منهما احق بالاسمية ولا ريب في اعرفية ان قالوا لدلالته على جهة النسبة
وزمان الحدث ولانه يشبه المضمر من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به وقولهم مضاف الى مضمر
فهو بمنزلة العلم فتامل فاتاهم الله بسبب دعائهم ذلك ثواب الدنيا اي النصر
والغنيمة والعز والذكر الجميل وحسن ثواب الاخرة الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد وتخصيص
وصف الحسن به للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد به عنده تعالى والله يحب المحسنين
تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان محبة الله تعالى للعبد عبارة عن رضاه عنه وارادة الخير
له فهي مبدا لكل سعادة واللام اما للعهد واما وضع المظهر موضع المضمر المعهودين
للاشعار بان ما حكي عنهم من الافعال والاقوال من باب الاحسان واما للجنس وهم داخلون
فيه دخولا اوليا ومعنى التسمية بتقرير الترغيب في تحصيل ما حكي عنهم من المناقب

الجليلة

الجليلة يا ايها الذين امنوا شروع في زجرهم عن متابعة الكفار بيان استتباعها لخسران
الدنيا والاخرة اثر ترغيبهم في الاقتدا بانصار الانبيا عليهم الصلاة والسلام ببيان
فوزهم بالنعيم العاجل والاجل ٭ وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار الاعتنا
بما في حيزه ووصفهم بالايمان لتذكير حالهم وتثبيتهم عليها باظهار مباينتها لحال اعدائهم
اي واصفا المنافقين بالكفر في قوله تعالى ان تطيعوا الذين كفروا لعله لاظهار ... الى تربية
التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم ٭ قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين
عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وقوع قوله تعالى يردوكم على اعقابكم
جوابا للشرط مع كونه في قوة ان تطيعوهم في قولهم ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا
في دينهم ... في دلالته ... على اعقابكم ... قوله تعالى فتنقلبوا خاسرين اي للدنيا
والاخرة ... في العذاب الخالد ... في انتكاس الامر ... الكرود ٭ وقيل المراد بهم اليهود والنصارى حيث كانوا يستغوون
ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه
ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما عليه ويوما له وقيل ابو سفيان
واصحابه ٭ وقيل المراد بطاعتهم استيمانهم والاستكانة لهم ٭ وقيل الموصول على عمومه والمعنى
نهي المؤمنين عن طاعتهم في امر من الامور حتى لا يستجروهم الى الارتداد عن الدين فلا حاجة
الى ... الى ... بل الله مولاكم اضراب عما يفهم من مضمون الشرطية
كانه قيل فليسوا انصاركم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره فاطيعوه واستعينوا به
عن ... ٭ وقرئ بالنصب ٭ على انه قيل فاطيعوا ... بل اطيعوا الله مولاكم
على انه صفة له وهو خير الناصرين فخصوه بالطاعة والاستعانة سنلقي نون العظمة على
طريقة الالتفات جريا على سنن الكبريا لتربية المهابة وقرئ بالياء والسين لتاكيد
الالقا في قلوب الذين كفروا الرعب بسكون العين ٭ وقرئ بضمها على الاصل وهو ما قذف
في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة
ثم لما ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيا قتلنا منهم ثم تركناهم
ونحن قاهرون ارجعوا فاستاصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله تعالى في قلوبهم الرعب فامسكوا
فلا بد من كون نزول الاية في تضاعيف الحراب او عقيب انقضائه ٭ وقيل هو ما القي
في قلوبهم من الرعب يوم الاحزاب بما اشركوا بالله متعلق بنلقي دون الرعب وما مصدرية
اي بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما في
دواعي الرعب ما لم ينزل به اي باشراكه سلطانا اي حجة سميت به لوضوحها او لتسلطها او
لقوتها او لحدتها ونفوذها وذكر عدم تنزيلها مع استحالة تحققها في نفسها من قبيل ... به
٭ ولا ترى الضب بها ينجحر ٭ اي لا ضب ولا انجحار وعند البيان بان المتبع
في معتقد الباب هو البرهان السماوي دون الاراء والاهوا الباطلة وماواهم بيان لاحوالهم
في الاخرة اثر بيان احوالهم في الدنيا وهي الرعب اي ماواهم ومثواهم في الاخرة النار لا
ملجا لهم غيرها وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم ... المظهر موضع المضمر للتغليظ

ن التعليق والاشتغال وبابهم او اثر الظهر الطرف كما يقال يتبعون الحديث في غير موضعه والحصر بالاول محذوف
اي يبين مثوى الظالمين النار ويجعلها حالي لما انه معطوف على انه ... رمى الى خلاوه ... فان
المثوى هو موضع الاقامة المنبئة عن المكث . واما المأوى فهو المكان الذي يأوي اليه الانسان
ولقد صدقكم الله وعده تنبيه على ان مفعول الثاني انه صدقكم نجاه وقيل بنزع الجار اي في وعده نزلت
حين قال ناس من المومنين عند رجوعهم الى المدينة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله تعالى
بالنصر ومن ظاهر عند هم على انه النبي صلى الله عليه وسلم من التحريض قال للرماة لا
تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم . وفي رواية اخرى لا تبرحوا من هذا المكان
فانا لا نزال غالبين ما ثبتم في هذا المكان ولما كان كذلك فان المشركين للقتال حملوا على
خيل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على اثارهم
يقتلونهم قتلا ذريعا وذلك قوله تعالى اذ تحسونهم اي تقتلونهم قتلا ذريعا ... حسه
اذا ابطل حسه ... لعنه فكم وقوله تعالى باذنه اي بتيسيره وتوفيقه ... ان فيتلهم
بالوعد هم الله تعالى من النصر . وقيل ... بقوله تعالى ان تصبروا وتتقوا الاية . وقيد
... ذلك ان كان ... لان الموعود ... نزول الملائكة فيهم
وتعقيبه ... ووعد الله تعالى ... قتلهم باذنه تعالى صرح في ان الموعود هو النصر المعنوي ...
... القتال ... عن غيب او ... في الطريق في اختلاف الروايتين . واما ما كان فلا
... لكونه نبيا بقوله تعالى حتى اذا فشلتم اي جبنتم وضعفتم ... والغنيمة
... من ضعف القلب وتنازعتم في الامر فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون ... وقفنا
هاهنا والمسلمون في اصحابهم ... فاثبتوا هاهنا ... وقال امير عبد الله بن
جبير رضي الله عنه لا نخالف امر الرسول صلى الله عليه وسلم ... مكانه ... ومن معه
اصحابه ونفر الباقون للنهب وذلك قوله تعالى وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون اي من الظفر والغنيمة وانهزام
العدو فلما راى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب وقتلوا امير الرماة ومن معه من
اصحابه ... في تعقيبه قوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ... اذ ... و
... منكم ... يعني ... الاستفهامية ... من بين ... التغيير
وقيل ... الى ... قوله تعالى منكم من يريد الدنيا وهم الذين تركوا المركز
واقبلوا على النهب ومنكم من يريد الاخرة وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة ...
... الشرطية ... على الجملة الشرطية . وقيل اذا ... في قولهم ...
... يوم ... الى ... بقوله تعالى ثم صرفكم عنهم ... الشدة
كانه قيل ... الى وقت ... قوله تعالى ثم صرفكم عنهم
عطف على ... على الجواب ... الى ...
... اي ... حتى حالت الحال ... الدولة ... للمسلمين ...
ليبتليكم اي ليعاملكم معاملة من يمتحنكم بالمصائب ... على الايمان عندها ولقد
عفا عنكم ... على المخالفة والله ذو فضل على المومنين ...
... بان ... العفو ... والاحسان ... الوجوب عليه ...

الشديدة عليهم ... العفو ... في جميع الاحوال ... لم ... بعلمه ... الابتلا
... والتسكين ... والمراد ... اما الخاطئون والخطا في موضع الاستثناء
... والاشعار ... الحكمة اما الحسن ... فيهم دخولا اوليا اذ تصعدون
متعلق ... بقوله تعالى ليبتليكم ... كما ذكر ... الاصعاد الذهاب والابعاد في
الارض . وقرئ تصعدون من ... اي في الجبل . وقرئ ...
... الثاني . وقرئ ... ولا تلوون على احد اي لا تلتفتون
... لا يقف واحد منكم لاحد . وقرئ تلوون ...
... فيما ... وقرئ ... والرسول يدعوكم كان النبي صلى الله عليه
وسلم يدعوهم الى عباد الله الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة . واراده
عليه الصلاة والسلام ... الرسالة ... عليه الصلاة والسلام
كانت ... الرسالة من جهته سبحانه ... في اخراكم في ساقتكم
وجماعتكم الاخرى فاثابكم عطف على ... تعالى ... غما موصولا بغم
من الاغتمام ... والاخبار ... الرسول عليه الصلاة ... الله
... الغنيمة ... وسلم
... لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم اي ... على الصبر في ...
... او ... والمعنى لتتاسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة
... من الجراح ...
...
...
جنس بما تعملون اي ... ثم انزل عليكم عطف على قوله تعالى ...
والخطاب للمؤمنين حقا من بعد الغم اي الغم المذكور ...
... عليهم ...
... امنة اي امنا ... فيه المفعول ... نعاسا بدل منها
او عطف بيان او ... المفعول وامنة حال منه ... او مفعول له او حال من المخاطبين
... اي ذوي امنة ... وقرئ ...
... الاتي ...
... الى ...
... المسلمين ...
الجن ... قال الله تعالى ... فاخذهم النعاس . قال ابن عباس
رضي الله عنه امنهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد الخوف ... والخايف ...
وقال الزبير رضي الله عنه ... مع النبي صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف ...
الله تعالى علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم
يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا . وقال ابو طلحة رضي الله عنه رفعت راسي يوم احد

عنه لا أرى أحدا من القوم الا وهو يميد تحت حجفته من النعاس قال وكنت ممن ألقي عليه النعاس
يومئذ فكان السيف يسقط من يدي فآخذه ثم يسقط السوط من يدي فآخذه وفيه دلالة على أن من
المؤمنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه قوله تعالى يغشى طائفة منكم وقال ابن عباس رضي
الله عنهما هم المهاجرون وعامة الأنصار ولا يقدح ذلك في عموم الإنزال للكل • والجملة في
محل النصب على أنها صفة لنعاسا • وقرئ بالتاء على أنها صفة لأمنة • وقيل [illegible]
تقدم عليها الجار دون المجرور منه وطائفة قد أهمتهم أنفسهم أي أوقعتهم في الهموم والأحزان
أو ما بهم إلا هم أنفسهم وقصد خلاصها من قولهم أهمني الشيء إذا كان من همي وقصدي والجملة
مستأنفة مسوقة لبيان حال المنافقين وطائفة مبتدأ وإنما جاز الابتداء بها مع كونها نكرة
لاعتمادها على واو الحال • كما في قوله • [illegible]
[illegible] • سرينا ونجم قد أضاء فمذ بدا • محياك أخفى ضوؤه كل شارق • [illegible]
أو لوقوعها في موقع التفصيل • كما في قوله • [illegible]
[illegible] • إذا ما بكى من خلفها انصرفت له • بشق وشق عندنا لم يحول • [illegible]
وأما مقتضاه الخبر محذوف أي ومنكم طائفة أو وهناك طائفة • وقيل تقديره ومنكم طائفة
وفيه أنه يقتضي دخول المنافقين في الخطاب بإنزال الأمنة • وأيا ما كان فالجملة حالية مبينة
لفظاعة الهول مؤكدة لعظم النعمة في الخلاص عنه كما في قوله تعالى أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا
ويتخطف الناس من حولهم • وأما مستأنفة مسوقة لبيان حال المنافقين • وقوله عز وجل
يظنون بالله حال من ضمير أهمتهم أو من طائفة لتخصصها بالصفة أو صفة أخرى لها أو خبر
بعد خبر أو استئناف مبين لما قبله • وقوله تعالى غير الحق في حكم المصدر أي يظنون به تعالى
غير الظن الحق الذي يحق أن يظن به سبحانه • وقوله تعالى ظن الجاهلية بدل منه [illegible]
كانت منافية عن الظن أي يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد يقولون هل
لنا من الأمر أي من أمر الله تعالى ووعده من النصر والظفر من شيء أي من نصيب قط وقيل أخبر
النفي [illegible] • وقوله تعالى قل إن الأمر كله لله أي الغلبة بالآخرة لله تعالى ولأوليائه فإن حزب الله
هم الغالبون أو إن التدبير كله لله سبحانه فإنه تعالى قد دبر الأمر كما جرى في سابق قضائه فلا
مرد له • وقرئ كله بالرفع على الابتداء • وقوله تعالى يخفون في أنفسهم أي يضمرون فيها أو
يقولون فيما بينهم بطريق الخفية ما لا يبدون لك استئناف أو حال من ضمير يقولون • وقوله تعالى
قل إن الأمر اعتراض بين الحال وصاحبها أي يقولون ما يقولون مظهرين أنهم مسترشدون
طالبون النصر مبطنين الإنكار والتكذيب • وقوله تعالى يقولون استئناف وقع جوابا
عن سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل أي شيء يخفون فقيل يحدثون أنفسهم أو يقول بعضهم لبعض فيما بينهم
خفية لو كان لنا من الأمر شيء كما وعد محمد عليه الصلاة والسلام من أن الغلبة لله تعالى ولأوليائه
وأن الأمر كله لله أو لو كان لنا من التدبير والرأي شيء ما قتلنا هاهنا أي ما غلبنا أو ما قتل من قتل
منا في هذه المعركة على أن النفي راجع إلى نفس القتل لا إلى وقوعه فيها فقط ولما برحنا من
منازلنا كما رآه ابن أبي ولم نبرح لتعيين مكان القتل • وكذا قوله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم
أي لو لم تخرجوا إلى أحد وقعدتم بالمدينة كما تقولون لبرز الذين كتب عليهم القتل أي في اللوح المحفوظ

بسبب من الأسباب الداعية إلى البروز إلى مضاجعهم أي إلى مصارعهم التي قدر الله تعالى قتلهم
فيها وقتلوا هنالك البتة ولم تنفع العزيمة على الإقامة بالمدينة قطعا فإن قضاء الله تعالى لا يرد
وحكمه لا يعقب • وفيه مبالغة في رد مقالتهم الباطلة حيث لم يقتصر على تحقيق نفس القتل كما
في قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت بل عين مكانه أيضا ولا ريب في تعين زمانه أيضا لقوله
تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون • روي أن ملك الموت حضر مجلس
سليمان عليه السلام فنظر إلى رجل من أهل المجلس نظرة هائلة فلما قام قال الرجل من هذا
قال سليمان عليه السلام ملك الموت قال أرسلني مع الريح إلى عالم آخر فإني رأيت منه مرأى
هائلا فأمرها عليه السلام فألقته في قطر سحيق من أقطار العالم فما لبث أن عاد ملك الموت
إلى سليمان عليه السلام فقال كنت أمرت بقبض روح ذلك الرجل في هذه الساعة في أرض
كذا فلما وجدته في مجلسك قلت متى يصل هذا إليها وقد أرسلته بالريح إلى ذلك المكان فوجدته
هنالك فقضي أمر الله تعالى في مكانه وزمانه من غير إخلال بشيء من ذلك • وقرئ كتب على البناء
للفاعل ونصب القتل • وقرئ كتب عليهم القتال • وقرئ لبرزوا بالتشديد على البناء للمفعول
وليبتلي الله ما في صدوركم أي ليعاملكم معاملة من يبتلي ما في صدوركم من الإخلاص والنفاق
ويظهر ما فيها من السرائر وهو علة لفعل مقدر معطوفة على علة له أخرى مطوية للإيذان
بكثرتها • كأنه قيل فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلي إلى آخره وجعلها علة لبرز يأباه الذوق
السليم فإن مقتضى المقام بيان حكمة ما وقع يومئذ من الشدة والهول لا بيان حكمة البروز
المفروض أو لفعل مقدر بعده أي وللابتلاء المذكور فعل ما فعل لا لعدم العناية بأمر
المؤمنين ونحو ذلك [illegible] وليمحص ما في قلوبكم
من خفيات الأمور ويكشفها أو يخلصها من الوساوس والله عليم بذات الصدور أي السرائر والضمائر
الخفية التي لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها • والجملة إما اعتراض للتنبيه
على أن الله تعالى غني عن الابتلاء وإنما يبرز صورة الابتلاء لتمرين المؤمنين وإظهار حال
المنافقين أو حال من متعلق الفعلين أي فعل ما فعل للابتلاء والتمحيص والحال أن الله تعالى غني
عنهما محيط بخفيات الأمور وفيه وعد ووعيد إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان [illegible]
يوم أحد حسبما مرت حكايتهم إنما استزلهم الشيطان أي إنما كان سبب انهزامهم أن الشيطان طلب
منهم الزلل ببعض ما كسبوا من الذنوب والمعاصي التي هي مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم وترك
المركز والحرص على الغنيمة والحياة فمنعوا التأييد وقوة القلب • وقيل استزلال الشيطان
توليهم وذلك بذنوب تقدمت لهم فإن المعاصي يجر بعضها إلى بعض كالطاعة • وقيل استزلهم
بذنوب سبقت منهم وكرهوا القتال قبل إخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله
عنهم لتوبتهم واعتذارهم إن الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والجملة
تعليل لما قبلها على سبيل التحقيق وفي إظهار الجلالة تربية للمهابة وتأكيد للتعليل يا أيها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا
هاهنا وإنما ذكر في صدر الجملة كفرهم تصريحا بمباينة حالهم لحال المؤمنين وتنفيرا عما يقولونه
[illegible] • وقوله تعالى وقالوا لإخوانهم تعيين لوجه الشبه والمماثلة التي نهوا عنها أي قالوا

لاجلهم وفي حقهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم نسبا او مذهبا اذا ضربوا في الارض اي سافروا وابعدوا
فيها للتجارة او غيرها وايثار اذا المفيدة لمعنى الاستقبال على اذ المفيدة لمعنى المضي لحكاية
الحال الماضية اذ المراد بها الزمان المستمر المنتظم للحال الذي عليه يدور امر استحضار الصورة
قال الزجاج رحمه الله اذ هاهنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل يعني انها لمجرد الوقت
او يقصد بها الاستمرار وظرفيتها لقولهم الماضي باعتبار ما وقع فيها بل التحقيق انها ظرف له لا لقولهم
كانه قيل قالوا لاجل الاحوال العارضة لاخوانهم حين ضربوا الى اخره او كانوا اي اخوانهم غزى جمع غاز كعفى
جمع عاف ● وقال ● العابد ●
● ومعنى الافاق خاشعة الصوي ● لها قلب عفى الحياض اجون ● وقرئ بتخفيف
الزاي على حذف التاء من غزاة ● وافراد كونهم غزاة بالذكر مع اندراجه تحت الضرب في الارض
لان المقصود بيانه في المقام وذكر الضرب في الارض توطئة له وتمهيد له لكثرة وقوعه
على الله وتقريب لا لان الضرب في الارض اذ المراد به السفر البعيد ● وانما لم يقل او غزوا
للاشعار باستمرار اتصافهم بعنوان كونهم غزاة او بانقضاء ذلك اي كانوا غزاة فيما مضى وقوله
تعالى لو كانوا عندنا اي مقيمين ما ماتوا وما قتلوا مفعول لقالوا ودليل على ان هناك مقدرا
يؤذن به تعلقه به اي اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا وليس المقصود بالنهي
عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في الاعتقاد بمضمونه والحكم بموجبه كما انه المقصود بما قبله
الا ترى الى قوله عز وجل ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فانه الذي جعل حسرة فيها قطعا والمراد
اسناده للنفي كما نقل من الزجاج انه اشارة الى ظنهم انهم لو لم يحضروا القتال لم يقتلوا وتعلقهم
تنبا لذلك باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام لام العاقبة
كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم ●
والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك اصلا ● وقيل هو تعليل للنهي
بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله تعالى حسرة في قلوبهم خاصة
ويصونون منها قلوبكم فذلك اشارة الى ما دل عليه قلوبهم من الاعتقاد ويجوز ان يكون
اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله تعالى انتفاء كونكم مثلهم حسرة
في قلوبهم فان مضادتكم لهم في القول والاعتقاد مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم
الباطل اثر بيان غائلته اي هو المؤثر في الحياة والممات وحده من غير ان يكون للاقامة او
السفر مدخل في ذلك فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما لموارد الحتوف ويميت
المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم
وقرئ بالياء على انه وعيد للذين كفروا وما يعملون عام متناول لقولهم المذكور ولمنشائه
الذي هو اعتقادهم ولما ترتب على ذلك من الاعمال ولذلك لم يتعرض لعنوان السمع لا لعنوان
السمع ● وايثار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والقاء الروعة والمبالغة في
التهديد والتشديد في الوعيد ولئن قتلتم في سبيل الله او متم شروع في تحقيق ان ما يحذرونه لا يترتب
على الغزو والسفر من القتل والموت في سبيل الله تعالى ليس مما ينبغي ان يحذر بل مما يجب ان يتنافس
فيه المتنافسون اثر ابطال ترتبه عليهما واللام هي الموطئة للقسم وما في قوله تعالى لمغفرة

من

من الله ورحمة خبر المبتدأ والتنوين في الموضعين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة للمبتدأ
مؤكدة لفخامته الذاتية والجملة جواب القسم سادة مسد جواب الشرط والمعنى
ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل اصلا ولئن وقع ذلك بامر الله تعالى لنفحة
يسيرة من مغفرة ورحمة كائنتين من الله تعالى بمقابلة ذلك خير مما تجمعون اي الكفرة من منافع
الدنيا وطيباتها مدة اعمارهم ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير من طلاع الارض ذهبة حمراء
وقرئ بالياء اي مما يجمعون انهم لو لم يموتوا والاقتصار على بيان خيريتها من ذلك بلا تعرض للاخبار
عن ضدها لما ان الاية الكريمة لعدم الحاجة اليه بناء على استحالة الخبر منه تعالى بعد الاطلاع ● وقوله
تعالى لابد من حذف اخر اي المغفرة لكونه من الله اولا وحيثية انما يكون احراج المقدار
الخيبة ودون الخير ما ذكر من ادعاء الظهور والعي على الاخبار به وتغيير الترتيب الواقع في
قولهم ما ماتوا وما قتلوا المبني على كثرة الوقوع وقدمه للمبالغة في الترغيب في الجهاد ببيان
زيادة مرتبة القتل في سبيل الله وانه اشد في استجلاب المغفرة والرحمة ● وفيه دلالة
واضحة على ما مر من ان المقصود بالنهي انما هو عدم مماثلتهم في الاعتقاد بمضمون القول المذكور
والعمل بموجبه لان النطق به واضافته الى الناس ولئن متم او قتلتم اي على اي وجه اتفق
هلاككم حسب تعلق الارادة الالهية ● وقرئ متم بكسر الميم من مات يمات لالى الله اي الى
المعبود بالحق العظيم الشان الواسع الرحمة الجزيل الاحسان تحشرون لا الى غيره فيوفي
اجوركم ويجزل لكم عطاياكم والكلام في لام الجلالة كما في اختها فبما رحمة من الله لنت لهم تلوين
للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما
ينبئ عنه السياق من استحقاقهم للملامة والتعنيف بموجب الجبلة البشرية او من سعة ساحة
مغفرته تعالى ورحمته وما مزيدة للتاكيد وقد دلت عليه الدلالة على ما من معنى التاكيد
او نكرة ورحمة بدل منها او صفة لابهامها والتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف
وقع صفة لرحمة ايذانا بفخامتها الذاتية بالفخامة الاضافية من الله تعالى ومرتبطة على جانبه وتخصيصه
بجلائل الاخلاق كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق والتلطف بهم حيث اغتممت لهم
بعد ما كان منهم ما كان من مخالفة امرك واسلامك للعدو ولو لم يكن كذلك بل كنت
فظا جافيا في المعاشرة قولا وفعلا ● وقال الراغب الفظ هو الكريه الخلق ● وقال
الواحدي هو الغليظ الجانب السيء الخلق غليظ القلب قاسيه ● وقال الكلبي فظا في
القول غليظ القلب في الفعل لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك
ولم يتعودوا في مهاوي الردى فاعف عنهم لترتب العفو والامر به على
ما قبله اي اذا كان الامر كذلك فاعف عنهم فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم واستغفر
لهم فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم وشاورهم في الامر اي في امر
الحرب اذ هو المعهود او فيه وفي امثاله مما تجري فيه المشاورة عادة واستظهارا برايهم
وتطييبا لقلوبهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة ● وقرئ وشاورهم في بعض الامر
فاذا عزمت اي عقيب المشاورة على شيء واطمانت به نفسك فتوكل على الله في امضاء امرك
على ما هو ارشد لك واصلح فان علمه مختص به تعالى ● وقرئ فاذا عزمت على صيغة التكلم

اي عزمت لك على شيء وارشدت فاذا ... فتوكل على الله ولا تشاور احدا بعد ذلك والالتفات لتربية
المهابة وتعليل التوكل فان الامر به ان الله يحب المتوكلين عليه فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه
خير لهم وصلاح والجملة تعليل للتوكل عليه تعالى * وقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم جملة
مستانفة سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفا للمؤمنين لايجاب توكلهم عليه تعالى وحثهم على
اللجا اليه وتحذيرهم عما يفضي الى خذلانه اي ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم على طريق
نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد الغالب ذاتا وصفة ولو قيل فلا يغلبكم احد لدل على نفي
الصفة فقط هذا المفهوم من ظاهر النظم الكريم وان كان نفي مغلوبيتهم عن غيره مستلزما لنفي
المساواة ايضا والسؤال الذي يقتضيه المقام لكن المفهوم منها قطعيا نفي المساواة
واثبات الغالبية للمخاطبين * فاذا قلت لا اكرم من فلان او لا افضل منه فالمفهوم منه
حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا امر مطرد في جميع اللغات والاختصاص
له بالنفي الصريح بل هو مطرد فيما ورد على طريق الاستفهام الانكاري كما في قوله تعالى ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا في مواقع كثيرة من التنزيل [illegible] فاما
وقع في سورة هود حيث قيل لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون فان كونهم
اخسر من كل خاسر يستدعي قطعا كونهم اظلم من كل ظالم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد وتري
عنكم من اجل انه اذا خذلكم ولا فمن ذا الذي ينصركم استفهام انكاري مفيد لانتفاء الناصر
ذاتا وصفة بطريق المبالغة من بعده اي من بعد خذلانه تعالى على معنى اذا جاوزتموه
وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقديم الجار والمجرور على الفعل لافادة قصره عليه تعالى
والفاء لترتيبه او ترتيب الامر به على ما مر من غلبة المخاطبين على تقدير نصرته تعالى
لهم ومغلوبيتهم على تقدير خذلانه لانه تعالى لما عرفوا ان العلم بذلك مما يقتضي قصر التوكل عليه
تعالى لا محالة والمراد بالمؤمنين اما الجنس والمخاطبون داخلون فيه دخولا اوليا واما هم
خاصة بطريق الالتفات * وايا ما كان ففيه تشريف لهم بعنوان الايمان لما انه [illegible]
او لاستقلاله في تعليل الامر بالتوكل عليه تعالى فان وصف الايمان مما يوجبه قطعا
وما كان لنبي اي وما صح لنبي من الانبياء عليهم السلام ولا استقام له ان يغل اي يخون
في المغنم فان النبوة تنافيه منافاة بينة * يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا
اذا اخذه خفية والمراد اما تنزيه ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روي ان الرماة
يوم احد حين تركوا المركز وافاضوا في الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال
لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا
تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه الصلاة والسلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم
بينكم * واما المبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما روي انه بعث طلائع
فغنم النبي عليه السلام فقسم بين الناس ولم يقسم للطلائع فنزلت
والمعنى ما كان لنبي ان يعطي قوما من العسكر ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بين الكل بالسوية
وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظا * واما ما قيل من ان المراد تنزيهه

عليه

عليه الصلاة والسلام عما افترى به بعض المنافقين * اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال
بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فمما لا يساعده حاله * وقرئ على البناء للمفعول
والمعنى ما صح له ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة يات بالذي غله
بعينه حاملا له على عنقه كما ورد في الحديث الشريف * وروي انه عليه الصلاة والسلام قال الا
لا اعرفن احدكم ياتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا
املك لك من الله شيئا فقد بلغتك او يات بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت اي
تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا او شرا كثيرا او قليلا ووضع المكسوب موضع جزائه تحقيقا للعدل
ببيان انه لا ينقص من جزاء الصالح [illegible] واحد وفي اسناد التوفية الى كل
وتعليقها بكل ما كسب مع ان المقصود بيان حال الغال عند اتيانه بما غله يوم القيامة
الدلالة على فخامة شان اليوم وهول مطلعه والمبالغة في بيان حال الغال فانه اذا
اتى بما غله يوم القيامة ما لا يخفى كانه قيل ثم توفى كل كاسب جزاء ما كسبه ولم ينقص منه شيء
وان كان جرمه في غاية القلة والحقارة فالغال ان يستيقن من جزاء الغال شيء وجرمه من اعظم
الجرائم اظهر واجلى وهم اي كل الناس المدلول عليه بكل نفس لا يظلمون بزيادة عقاب او
بنقص ثواب افمن اتبع رضوان الله اي سعى في تحصيله وانحى نحوه حيثما كان بفعل الطاعات
وترك المنكرات كالنبي ومن تبعه سيرته كمن باء اي رجع بسخط عظيم لا يقادر قدره كائن من
الله تعالى بسبب معاصيه كالغال ومن يدين بدينه والمراد نفي المماثلة بين النبي عليه
السلام ومن يريد تحقيق المتابعة الكلية بينه وبين الغال [illegible] وصف كل منهما بنقيض ما وصف
به الاخر فقوبل رضوان الله تعالى بسخطه والاتباع بالبوء والجمع بين الهمزة والفاء لتوجيه
الانكار الى ترتب توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حالي الغال * كانه قيل ابعد ظهور
حاله يكون من ترقى الى اعلى عليين كمن تردى الى اسفل سافلين * واظهار الاسم الجليل في
موضع الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة ومأواه جهنم اما كلام مستانف مسوق لبيان
مآل امر من باء بسخطه واما معطوف على قوله تعالى باء بسخط والجملة الاسمية على التعليلية
وايا ما كان فلا محل لها من الاعراب وبئس المصير اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف
اي وبئس المصير جهنم والفرق بينه وبين المرجع ان الاول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة
الاولى بخلاف الثاني هم راجع الى الموصولين باعتبار المعنى درجات عند الله اي طبقات متفاوتة
في علمه وحكمه شبهوا في تفاوت الاحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وايذانا بان بينهم
تفاوتا ذاتيا كالدرجات او ذوو درجات والله بصير بما يعملون من الاعمال ودرجاتها
فيجازيهم بحسبها لقد من الله جواب قسم محذوف اي والله لقد انعم الله على المؤمنين اي من قومه
عليه السلام اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم اي من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا
كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وفي ذلك شرف لهم
عظيم * كما قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك * وقرئ من انفسهم اي اشرفهم فانه عليه الصلاة
والسلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونها * وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث الى اخره
على انه خبر لمبتدأ محذوف اي منه اذ بعث الى اخره وعلى ان اذ في محل الرفع على الابتداء بمعنى لمن من الله

على المؤمنين في تخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للاسود والاحمر لما مر من مزيد انتفاعهم بها
وقوله تعالى من انفسهم صفة متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا اي كائنا من انفسهم وقوله تعالى يتلو عليهم
آياته صفة اخرى اي يتلو عليهم القرآن بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي
ويزكيهم عطف على يتلو اي يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد واوضار الاوزار ويعلمهم
الكتاب والحكمة اي القرآن والسنة وهو صفة اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما
وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع
على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كل واحد
من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر ولو روعي ترتيب الوجود كما في قوله
تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لتبادر
الى الفهم عد الجميع نعمة واحدة وهو السر في التعبير عن القرآن بالآيات تارة وبالكتاب والحكمة
اخرى رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح في ذلك شمول الحكمة لما في مطاوي الاحاديث
من الشرائع كما سلف في سورة البقرة وان كانوا من قبل اي من قبل بعثته عليه السلام
وتزكيته وتعليمه لفي ضلال مبين اي بين ظاهر لا ريب في كونه ضلالا وان هي المخففة من الثقيلة
وضمير الشان محذوف واللام فارقة بينها وبين النافية والظرف الاول لغو متعلق بكان
والثاني خبرها وهي مع خبرها خبر لان المخففة التي حذف اسمها اعني ضمير الشان وقيل هي نافية
واللام بمعنى الا اي وما كانوا من قبل الا في ضلال مبين وايا ما كان فالجملة اما حال من الضمير
المنصوب في يعلمهم او مستانفة وعلى التقديرين مبينة لكمال النعمة وتمامها اولما
اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا كلام مبتدأ مسوق لابطال بعض ما صدر عنهم من الظنون
الفاسدة والاقاويل الباطلة الناشئة منها اثر ابطال بعض آخر منها والهمزة للتقريع والتقرير
والواو عاطفة لمدخولها على محذوف ولما ظرف لقلتم مضاف الى ما بعده وقد اصبتم في محل
الرفع على انه صفة لمصيبة والمراد بها ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم وبمثليها ما اصاب
المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم واسر سبعين وانى هذا مقول قلتم وتوسيط
الظرف وما يتعلق به بينه وبين الهمزة مع ان المقصود انكاره والمعطوف بالواو حقيقته لتاكيد
النكير وتشديد التقريع فان فعل القبيح في غير وقته ابلغ والانكار على فاعله اشد
والمعنى احين اصابكم من المشركين نصف ما قد اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم
من اين اصابنا هذا وقد تقدم الوعد بالنصر على توجيه الانكار والتقريع الى صدور
ذلك القول عنهم في ذلك الوقت خاصة بناء على كونه مظنة لعدم ابتنائه بناء على كونه
داعيا الى عدم ما تذكر مصيبة عدوهم من ضعف مصيبتهم ما يهون الخطب ويورث
السلوة او تعلموا ما فعلتم ولما اصابكم ما اصابكم قلتم انى هذا على توجيه الانكار الى
استبعادهم الحادثة مع مباشرتهم لسببها وتنكير الاشارة في انى هذا مع كونه اشارة
الى المصيبة لقصد كونها عبارة عن القتل وعن تدبيرها ان اشارتهم ليست الا الى ما شاهدوه
في المعركة من حيث هو هو من غير ان يخطر ببالهم تسميته باسم المصيبة وانما هي عند الحكاية
وقوله عز وجل قل هو من عند انفسكم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عن سؤالهم الفاسد

او تحقيق فساده بالانكار والتقريع وتبكيتهم ببيان ان ما نالهم انما نالهم من جهتهم بتركهم المركز
وحرصهم على الغنيمة وقيل باختيارهم الخروج من المدينة ويأباه ان الوعد بالنصر كان بعد
ذلك كما ذكر عند قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده الاية وان الله تعالى جعل النبي صلى الله عليه وسلم
بموجبه بعد ذلك رفع الحظر عنه وخففت جنايتهم بناء على ان اختيار الخروج والاصرار عليه كان من
الكل مع وعد الله تعالى بالشهادة يومئذ وانهم من النفوس التي يتمنى الكلمة وقيل هو اخذهم الفدا
يوم بدر قبل ان يؤذن لهم والاول هو الاظهر الاقوى وفي العدول عن توسيط خطاب الرسول
صلى الله عليه وسلم بين الخطابين الموجهين الى المؤمنين وتنويعه تبكيت الله تعالى بعد الكلام
فانه لو حيل الفاعل على الفعل اذ لو كان منه تعالى عنه كان اشد ان الله على كل شيء قدير
ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن الطاعة اصابكم
منه تعالى ما اصابكم والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها داخل تحت الامر وما اصابكم
رجوع الى خطاب المؤمنين اثر خطابه عليه السلام لتنشيطهم وارشادهم الى الحكمة الخفية
فيما نالوا منه وبيان لبعض ما فيه من الحكم والمصالح ودفع لما عسى يتوهم من قوله تعالى من عند
انفسكم من استقلالهم في وقوع الحادثة والعدول عن الاضمار الى ما ذكر للتهويل وزيادة التقرير
ببيان وقته بقوله تعالى يوم التقى الجمعان اي جمعكم وجمع المشركين فباذن الله اي فهو كائن
بقضائه وتخليته الكفار سماه اذنا لكونها من لوازمه وليعلم المؤمنين عطف على قوله تعالى
فباذن الله عطف السبب على السبب والمراد بالعلم التمييز والاظهار فيما بين الناس وليعلم الذين نافقوا
عطف على ما قبله من مثله واعادة الفعل لتشريف المؤمنين وتنزيههم عن الانتظام في قرن
المنافقين وللايذان باختلاف حال العلم بحسب المتعلق فانه متعلق بالمؤمنين
على نحو تعلقه السابق وبالمنافقين على نحو جديد وهو السر في ايراد الاولين بعنوانهم
الفاعل المنبئ عن الاستمرار والآخرين بموصول فعله منبئ عن الحدوث والمعنى
وما اصابكم يومئذ فهو كائن لتمييز الثابتين على الايمان والذين اظهروا النفاق وقيل
لهم عطف على نافقوا داخل معه في حيز الصلة او كلام مبتدأ قال ابن عباس رضي الله
عنهما هم عبد الله بن ابي واصحابه حيث انصرفوا يوم احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال
وذلك قوله تعالى تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قال السدي اي فكثروا العدو وتكثير سوادنا
ان لم تقاتلوا معنا وقيل او ادفعوا عن انفسكم واهليكم واموالكم ان لم تقاتلوا في سبيل الله تعالى
وترك العطف بين تعالوا وقاتلوا لما ان المقصود بهما واحد وهو الثاني وذكر الاول توطئة
له وترغيب فيه لما فيه من الدلالة على التظاهر والتعاون قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم وانما
قالوه دلالة على التغابي لما ان التي لاحت من الخصلتين المذكورتين
فقيل لهم تعالوا قاتلوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم اي لو نحسن قتالا او نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم
عبروا عن نفي العلم بالقتال بنفي العلم به لما ان العلم في الافعال الاختيارية مستلزم
للعمل بها او لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن ما انتم بصدده ليس بقتال اصلا وانما
هو القاء النفس الى التهلكة في جعلهم الآن مجرد الاتباع دون القتال الذي هو المقصود

بالدعوة وقد بينا في كان تثبيطهم عن القتال بحيث لا ترى في نفوسهم عجلة ما لبالهم ما وقع هم
للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان اي ليستقر صحته او اقرب حينئذ الى الحيز للكفر في للايمان متعلقة
به وكذا يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد بالعطف
لان لبيته انا معنا فيكذا افعل التفضيل في قوة العوامل لانعا وجنبيته عملها وانما فعل التفضيل
من حيث انه من الفعل وزيادته تجري مجرى عاملين فانه قبل ذلك كانوا يظهرون للكفر ما يدل
على ظاهرهم للايمان حتى تعلق الجارين به لتشبيهما بالظرفين اي هم للكفر يوم اذ قالوا ما
قالوا اقرب منهم للايمان فانهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة
مؤذنة بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون
واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليل سواد المسلمين
بالانخذال تقوية للمشركين وقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم جملة مستأنفة مقررة لمضمون
ما قبلها وذكر الافواه والقلوب تصوير لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ظاهرهم لباطنهم وما عبارة عن
القول والمراد به اما نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة وفي القلب اخرى فالمثبت والمنفي
متحدان ذاتا وان اختلفا مظهرا واما القول الملفوظ فقط فالمنفي حينئذ منشؤه الذي لا ينفك
عنه القول اصلا وانما عبر عنه بها ابانة لما بينهما من شدة الاتصال اي يتفوهون بقول لا وجود
له او لمنشئه في قلوبهم من الاباطيل التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا فانهم اظهروا فيه امرين ليس
في قلوبهم شيء منهما احدهما عدم العلم بالقتال والآخر الاتباع على تقدير العلم به وقد كذبوا فيهما
كذبا بينا حيث كانوا عالمين به مصرين على عدم الاتباع على تقدير العلم به وقوله
عز وجل والله اعلم بما يكتمون زيادة تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم بما لا
خير فيه من فنون الشرور والفساد اي بما يخلو عنه افواههم وفيه اشارة الى ان يبقى
ما يكتمونه من احكام النفاق وذم المؤمنين وتخطئة آرائهم والشماتة بهم وغير ذلك مما لا يعلمه
المؤمنون على وجه الاجمال وان تفاصيله مما لا يعلمه الا الله تعالى وانه مختص بالعلم الا لمن الذي
قالوا مرفوع على انه بدل من واو يكتمون او خبر لمبتدأ محذوف وقيل مبتدأ خبره قل فادرءوا
بحذف العائد تقديره قل لهم الخ او منصوب على الذم او على انه نعت للذين نافقوا او بدل
منه وقيل مجرور على انه بدل من ضمير افواههم وقلوبهم كما في قوله
على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم
والمراد بهم عبد الله بن ابي واصحابه لاخوانهم اي لاجلهم وهم من قتل يوم احد من جنسهم
او من اقاربهم ممن درج منهم بعض الشهداء وقعدوا حال من ضمير قالوا اي قالوا وقد قعدوا
عن القتال بالانخزال لو اطاعونا اي لو اطاعونا كما قعدنا وجلسوا في القعود على ما امرنا به
اي من ترك المشاورة ومن الاقامة بالمدينة ابتداء او عدم الاطاعة عند رجوعنا
والتهكم به لكون الجملة ظاهرة في ما قتلوا كما لم نقتل وفيه ايماء الى ان ما قالوه
اي تيسير القاعد في لها لما يدري لحتمية في الطاعة باخوانهم بيان وادي باختلاف
الامر ابيضاض تحقيقا لما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم عند المشاورة فقد
تبين لهم في اصل الكلام فادرءوا عن انفسكم الموت جواب لشرط قد حذف لدلالة ما قبله عليه

من قوله تعالى ان كنتم صادقين كما انه شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه اي ان كنتم صادقين
فيما ينبئ عنه قولكم من انكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت
الذي كتب عليكم معلقا بسبب خاص موقتا بوقت معين بدفع سببه فان اسباب الموت في امكان
المداخلة بالحيلة وامتناع دفعها سواء وانفسكم اعز عليكم من اخوانكم وامرها اهم لكم من امرهم
والمعنى ان عدم قتلكم كان بسبب انه لم يكن مكتوبا عليكم لا بسبب انكم قعدتم بالقعود
كتابته عليكم فان ذلك الكائن لا يسبب البتة بل يكون القتال سببا للنجاة والقعود مؤديا
الى الموت روي انه مات يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقا وقيل انهم المراد بالكتابة
ما دونت في سورة النساء والمعنى انهم لو اطاعوهم لقعدوا ولقتلوا قاعدين
كما قتلوا مجاهدين من قوله تعالى قل فادرءوا عن انفسكم الموت حيث بينا انهم ان كنتم رجالا
دفاعين للاسباب فادفعوا جميع ما لا يؤتي لكم اذا نكرت ذلكم من السبب الخاص ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا كلام مستأنف مسوق لبيان ان القتل الذي يحذرونه ويحذرون
الناس منه ليس مما يحذر بل هو من اجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون اثر بيان ان الحذر لا يغني
ولا يجدي وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر رجلا ثمانية من الانصار وستة من المهاجرين
اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شهاب وعبد الله
ابن جحش والباقون من الانصار رضي الله عنهم اجمعين والخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقرئ بالياء على الاسناد الى ضمير عليه السلام
او ضمير من يحسب وقيل الى الذين قتلوا امواتا اي لا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا
على ان المراد بهم المذكورون بحسبه النهي اليهم تنبيه السامعين على انهم احقاء بان ينهوا وان المنهوسها
بالحياة الابدية والكرامة السنية والتعبير المقيم اي لا يحسبن جميع او قاتلهم بعدهم ولا تحسبن
القتلى اذ بعد تبين حالهم لا يبقى لاحتمال تحسبهم وتسليتهم وتشبيههم فانه يبلغ السامعين
وتذكيرهم وحده وقرئ قتلوا بالتشديد لكثرة تسيبهم وتشبيههم لكثرة المقتولين بل احياء
اي بل هم احياء وقرئ منصوبا اي بل احسبهم احياء فان الحسبان يجيء لليقين كما في
قوله حسبت التقى والجود خير تجارة رباحا اذا ما المرء اصبح ثاقلا
او على انه وارد على طريق المشاكلة عند ربهم في محل الرفع على انه خبر ثان للمبتدأ المقدر او صفة
لاحياء او في محل النصب على انه حال من الضمير في احياء وقيل هو ظرف لاحياء او للفعل بعده والمراد
بالعندية التقرب والزلفى وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ
الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تكرمة لهم يرزقون اي من الجنة وهي صفة لاحياء او خبر
ثان او حال من الضمير في الظرف وفيه تأكيد لكونهم احياء وتحقيق لمعنى حياتهم قال الامام الواحدي الاصح في حياة الشهداء ما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم من ان ارواحهم في اجواف طير خضر وانهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون
وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف
طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب
من الجنة وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وفيه دلالة على ان الروح
الانسانية جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتأله ولذاته

ومن قال بتجرد النفوس البشرية يقول المراد ان نفوس الشهداء تتعلق باجسام اخضر او تتعلق بما فيه
بمشكوة وتنبيه المراد انما تتعلق بالانوار والكواكب فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة كمال
فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والزلفى من الله عز وجل
والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي
باخوانهم الذين لم يقتلوا بعد في سبيل الله فيلحقوا بهم من خلفهم متعلق بيلحقوا والمعنى
انهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم او لحقوا ولم يقع ذلك من قابل لحقوا اي لم يلحقوا بهم خلف قوم
متخلفين عنهم باقين في الدنيا الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين بدل اشتمال مبين
لكون استبشارهم بحال اخوانهم وان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشان المحذوف
وخبرها الجملة المنفية اي يستبشرون بما تبين لهم من حسن حال اخوانهم الذين تركوهم
وهو انهم عند قتلهم يفوزون بحياة ابدية لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن فوات
مطلوب او لا خوف عليهم في الدنيا من القتل فانه عين الحياة التي يجب ان يرغب فيها فضلا عن
ان يخاف ويحذر او لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون
والمراد بيان دوام انتفاء الخوف لا بيان انتفاء دوامه كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا
فان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام يستبشرون بنعمة
كرر لبيان ان الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من نعمة
عظيمة لا يقادر قدرها وهي ثواب اعمالهم وقد جوز ان يكون الاول متعلقا بحال اخوانهم
وهذا بحال انفسهم بيانا لبعض ما اجمل في قوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله من الله متعلق
بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الاضافية اي كائنة منه تعالى
وفضل اي زيادة عظيمة كما في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وان الله لا يضيع
اجر المؤمنين عطف على فضل منتظم معه في سلك المستبشر به والمراد بالمؤمنين اما
الشهداء والتعبير عنهم بالمؤمنين للايذان بسمو رتبة الايمان وكونه مناطا لما نالوه من السعادة
واما كافة اهل الايمان من الشهداء وغيرهم ذكرت توفية اجورهم على ايمانهم وعدت من
جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم الاخوة في الدين وقرئ بالكسر على انه استئناف معترض دال
على ان ذلك اجرا لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر لها وفيه من الحث
على الجهاد والترغيب في الشهادة والبعث على ازدياد الطاعة وبشرى المؤمنين بالفلاح
ما لا يخفى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة مادحة للمؤمنين او نصب على
المدح او رفع على الابتداء والخبر قوله تعالى للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان
والمقصود من الجمع بين الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون
ومتقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا
بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه
واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا
بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال
وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين

فذهبوا

فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي
واطلاق الناس عليه لما انه من جنسه وكلامه ككلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب
وماله سوى فرس فرد وغير ثوب واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم
بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج ابو سفيان
في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله تعالى في قلبه الرعب فبدا له ان يرجع فمر به ركب من
عبد القيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل
لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل وضمنها منه
سهيل بن عمرو فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت
منكم احد الا شريد افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه الصلاة والسلام
والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا
الله ونعم الوكيل وهي الكلمة التي قالها ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين القي في النار
فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده
والمعنى انهم لم يلتفتوا الى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله تعالى وازداد اطمينانهم واظهروا
حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يتفاوت زيادة ونقصانا
فان ازدياد اليقين بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج مما لا ريب فيه ويعضده قول ابن عمر
رضي الله عنه قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة
وينقص حتى يدخل صاحبه النار وقالوا حسبنا الله اي محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه
والدليل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعرفا في قولك هذا رجل
حسبك ونعم الوكيل اي نعم الموكول اليه والمخصوص بالمدح محذوف اي الله عز وجل فانقلبوا
عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فخرجوا اليهم ووافوا الموعد روي انه عليه
الصلاة والسلام وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها
فاصابوا خيرا كثيرا والباء في قوله عز وجل بنعمة متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير في
فانقلبوا والتنوين للتفخيم اي رجعوا من مقصدهم ملتبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها
وقوله عز وجل من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لفخامتها الذاتية التي يفيدها
التنكير بالفخامة الاضافية اي كائنة من الله تعالى وهي العافية والثبات على الايمان
والزيادة فيه وحذر العدو منهم وفضل اي ربح في التجارة وتنكيره ايضا للتفخيم
لم يمسسهم سوء حال من الضمير في فانقلبوا او من المستكن في الحال كانه قيل مسلمين عما
كونهم سالمين من السوء والحال اذا كان مضارعا منفيا بلم وفيه ضمير ذي الحال جاز فيه دخول
الواو كما في قوله تعالى او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وعدمه كما في هذه الآية وفي
قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا واتبعوا في كل ما اتوا من قول وفعل
رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين والله ذو فضل عظيم حيث تفضل عليهم
بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار

الجراءة في العدو وحفظهم من كل ما يسوؤهم مع اصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وفي ذلك ايذان بانهم لو كانوا معهم لنالوا ذلك غزوا منهم فاعطاهم الله تعالى ثواب الغزو ورضي عنهم انما ذلكم اشارة الى المثبط او اليه والى من حمله في التثبيط والخطاب للمؤمنين وهو مبتدأ وقوله تعالى الشيطان اما خبر وقوله تعالى يخوف اولياءه جملة مستأنفة مبينة لشيطنته او حال منه كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا او الخبر واما صفته والجملة خبر ويجوز ان تكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان اي ابليس لعنه الله يخوف اما المفعول واما الشيطان بحذف الناجح الى العدو اي يخوفكم به والمراد باوليائه اما ابو سفيان واصحابه فالمفعول الاول محذوف اي يخوفكم اولياءه كما هو قراءة ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما ويؤيده قوله تعالى فلا تخافوهم اي اولياءه وخافون في مخالفة امري واما القاعدون فالمفعول الثاني محذوف اي يخوفهم الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى البارزين فلا تخافوهم بتثبيط الشيطان اي فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافوني فجاهدوا وسارعوا الى ما يامركم به والخطاب لفريقي الخارجين والقاعدين والفاء لترتيب النهي والامر على ما قبلها فان كون المخوف شيطانا مما يوجب عدم الخوف والنهي عنه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعي الامن من شر الشيطان واوليائه ولا يحزنك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه بتشجيعه بالتسلية والايذان باصالته فيه بما نوزا الدين والاعتبار بشؤونه الذين يسارعون في الكفر اي يقعون فيه سريعا لحرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه وايثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم الاية للاشعار باستقرارهم في الكفر ودوام ملابستهم له في مبدأ المسارعة ومنتهاها كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فان ذلك مؤذن بملابستهم للخيرات وتقلبهم في فنونها في طرفي المسارعة وتضاعيفها واما ايثار كلمة الى في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الاية فلان المغفرة والجنة منتهى المسارعة وغايتها والمراد بالموصول المنافقون من المتخلفين وطائفة من اليهود حسبما عين في قوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا وقيل قوم ارتدوا عن الاسلام والتعبير عنهم بذلك للاشارة بما في حيز الصلة الى منشئية وجود المنهي عنه واعتنائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا يحزنك لاجل مسارعتهم في الكفر ومبادرتهم الى تتبع احكامه ومكائده لاهله وتوجيه النهي الى جمعهم مع ان المقصود نهيه عليه الصلاة والسلام عن التأثر منهم للمبالغة في ذلك لما ان النهي عن التأثير نهي عن التأثر باصله ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك هاهنا وقرئ لا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاي والمعنى واحد وقيل معنى حزنه جعل فيه حزنا كما في دهنه اي جعل فيه دهنا ومعنى احزنه عرضه للحزن انهم لن يضروا الله تعليل للنهي وتكميل للتسلية بتحقيق نفي ضررهم ابدا اي لن يضروا بذلك اولياء الله البتة وتعليق نفي الضرر به

تعالى

تعالى لتشريفهم والايذان بان مضادتهم له مضادته سبحانه وفيه مزيد مبالغة في التسلية وقوله تعالى شيئا في حيز النصب على المصدرية اي شيئا من الضرر وتنكيره لتأكيد ما فيه من القلة والحقارة وقيل على نزع الجار اي بشيء ما اصلا وقيل المعنى لن ينقصوا بذلك من ملكه تعالى وسلطانه شيئا كما روى ابو ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان اولكم وآخركم وجنكم وانسكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملك الله شيئا ولو ان اولكم وآخركم وجنكم وانسكم كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص من ملك الله جناح بعوضة والاول هو الانسب بمقام التسلية والتعليل يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة استئناف مبين لسر ابتلائهم بما هم فيه من الانهماك في الكفر وفي ذكر الارادة من الايذان بكمال خلوص الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم حيث تعلقت بها ارادة ارحم الراحمين ما لا يخفى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام الارادة واستمرارها اي يريد الله بذلك الا يجعل لهم في الآخرة حظا ما من الثواب ولذلك تركهم في طغيانهم يعمهون الى ان يهلكوا على الكفر ولهم مع ذلك الحرمان الكلي عذاب عظيم لا يقادر قدره قيل لما دلت المسارعة في الشيء على عظم شأنه وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه بالعظم رعاية للمناسبة وتنبيها على حقارة ما سارعوا فيه وحالة قدره عند المسارع وما كان رعاية فيه وخساسته في نفسه والجملة اما مبتدأة مبينة لحظهم من العقاب اثر بيان ان لا حظ لهم من الثواب واما حال من الضمير في لهم اي يريد الله حرمانهم من الثواب معدا لهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اي اخذوه بدلا منه رغبة فيما اخذوا واعرضوا عما تركوا وقد مر تحقيق القول في سنن الاستعارة في تفسير قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى لن يضروا الله شيئا تشنيعهم كما هو عادته فيه تقريعا لما مر ايا اختصار العذر عليهم لانه قيل وانما يضرون انفسهم فان حمل الموصول عبارة عن المسارعين المعهودين بان يراد باشتراء الكفر بالايمان ايثاره عليه اما بأخذه بدلا من الايمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين او بالقوة القريبة منه الحاصلة بمشاهدة دلائله في التوراة كما هو شأن اليهود ومنافقيهم فالتكرير لتقرير الحكم وتأكيده ببيان علته بتغيير الموضوع وعنوانه فان ما ذكر في حيز الصلة من الاشتراء المذكور صريح في لحوق ضرره بانفسهم وعدم تعديه الى غيرهم اصلا كيف لا وهو علم في الخسران الكلي والحرمان الابدي دال على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم فكيف يتأتى منهم ما يتوقف على قوة الحزم ورزانة الرأي ورصانة التدبير من مضارة حزب الله وهو اعز من الابلق الفرد وامنع من عقاب الجو وان اجري الموصول على عمومه بان يراد بالاشتراء المذكور المعنى المشترك الشامل للجنسين المذكورين ولاخذ الكفر بدلا مما يعد لتلقي الايمان من الاستعداد القريب له الحاصل بمشاهدة الوحي الناطق وملاحظة الدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس كما هو دأب جميع الكفرة فالجملة مقررة لمضمون ما قبلها بتقرير القواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات الاحكام ويجوز كون الموصول الاول عاما للكفار والثاني خاصا

بالمؤمنين • والتعبير عنه بالتخوف مع ظهور تحققه لنكتة المذكورة • ولا يليق بجنابه شأن التسلية
لما أن مدار المسارعة في الكفر بالحق وكونها مظنة لإيراث الحزن لرسول الله صلى الله عليه
وسلم إنما هو من المنهي عنه إنما يتصور ممن علق إلى تفاقه بها • وأما ما لا يعين خالد من الخروج الكائن
في الأماكن البعيدة فإسناد المسارعة المذكورة إليهم واعتبار كونها من مبادئ حزنه عليه السلام
مما لا وجه له • وقوله تعالى ولهم عذاب أليم جملة مبتدأة مبنية لكمال فظاعة حالهم ببيان غاية
إيلام ما يعد لهم بعد بيان عظمه • قيل لما جرت العادة باغتباط المشتري بما اشتراه وسروره
بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وتألمه عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالإيلام
مراعاة لذلك • ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم عطف على قوله تعالى ولا يحزنك الذين
الآية والفعل مسند إلى الموصول وأن بما في حيزها سادة مسد مفعوليه عند سيبويه لتمام
المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبي بالنسبة بين المبتدأ والخبر وعند الأخفش أحدهما والآخر محذوف
عند الأخفش وما مصدرية أو موصولة حذف عائدها وحقها في الكتابة الانفصال
أي لا يحسبن الكافرون أن إملاءنا لهم أو أن ما نمليه لهم خير لأنفسهم أو لا يحسبن الكافرون
خيرية إملائنا لهم أو خيرية ما نمليه لهم ثابتة أو واقعة ومآله نهيهم عن السرور بظاهر
إملائه تعالى لهم بناء على حسبان خيريته لهم وتحسيرهم ببيان أنه شر بحت وضرر محض وكان
مآل المعطوف عليه نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحزن بظاهر حال الكفرة بناء على توهم ضرر
الغير من قبلهم وتسليته عليه الصلاة والسلام بتيئيسهم من ذلك بالكلية والمراد
بالموصول إما الخلص الكفرة فيندرج تحت حكمه الكلي أحكام المعهودين اندراجا أوليا • وأما
المعهودون خاصة فإيثار الإظهار على الإضمار لرعاية المناسبة العلية بين الصلة وبين الإملاء
الذي هو عبارة عن إمهالهم وتخليتهم وشأنهم دهرا طويلا فإن المتأذن له ذلك إنما هو الكفر
المستمر لا المسارعة المذكورة ولا الاشتراء المذكور فإنهما من الأحوال المتجددة المتعاقبة
في تضاعيف الكفر المستمر • وقرئ ولا تحسبن بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الأنسب بمقام التسلية أو لكل من يتأتى منه الحسبان قصدا إلى إشاعة فظاعة
حالهم والموصول مفعول وأنما نملي لهم بدل منه وحيث كان المقصود هو البدل وهو ساد مسد
المفعولين • كما في قوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون اقتصر على مفعول واحد
كما في قولك حسبت المتاع بعضه فوق بعض • وإنما مفعول ثان بتقدير مضاف أي ولا
تحسبن الذين كفروا أصحاب أن الإملاء خير لأنفسهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم • إنما
نملي لهم ليزدادوا إثما استئناف مبين لحكمة الإملاء وما كافة واللام لام الإرادة
وعند المعتزلة لام العاقبة • وقرئ بفتح الهمزة هاهنا على إيقاع الفعل عليه وكسرها
فيما سبق على أنه اعتراض بين الفعل ومعموله مفيد لمزيد الاعتناء بإبطال الحسبان ورده
على معنى لا يحسبن الكافرون أن إملاءنا لهم لازدياد الإثم حسبما هو شأنهم بل إنما هو لتلافي ما
فرط منهم بالتوبة والدخول في الإيمان • ولهم في الآخرة عذاب مهين لما تضمن الإملاء التمتع
بطيبات الدنيا وزينتها وذلك مما يستدعي التعزز والتجبر وصف عذابهم بالإهانة ليكون
جزاء وفاقا والجملة إما مستأنفة مبينة لحالهم في الآخرة إثر بيان حالهم في الدنيا وإما

حال

حال من الواو أي ليزدادوا إثما معدا لهم عذاب مهين • وهذا متعين على القراءة الأخيرة ما كان
الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه كلام مستأنف مسوق لوعد المؤمنين ووعيد المنافقين
بالعقوبة الدنيوية التي هي الفضيحة والخزي إثر بيان عقوبتهم الأخروية والمراد بالمؤمنين
المخلصون وأما الخطاب فقد قيل إنه لجمهور المصدقين من أهل الإخلاص وأهل النفاق ففيه
التفات في ضمن التلوين والمراد بما هم عليه اختلاط بعضهم ببعض واستواؤهم في إجراء الأحكام
الإسلامية عليهم إذ هو القدر المشترك بين الفريقين وقيل إنه للكفار والمنافقين • وهو
قول ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك ومقاتل والكلبي رضي الله عنهم وأكثر المفسرين
ففيه تلوين فقط وأهل النفاق فقط بطريق التغليب للكفار إذ لا قدر مشترك بين المؤمنين والكفار
في أمر من الأمور والمراد بما هم عليه ما مر من القدر المشترك فإنه كما يجوز نسبته إلى الفريقين
معا يجوز نسبته إلى كل منهما لا الكفر والنفاق كما قيل فإن المؤمنين ما كانوا مشاركين لهم في ذلك
حتى لا يتركوا عليه • وقيل إنه للمؤمنين خاصة وهو قول أكثر أهل المعاني ففيه تلوين والتفات
كما مر والتعرض لإيمانهم قبل الخطاب للإشعار بعلية الحكم والمراد بما هم عليه ما مر غير مرة والأول
هو الأنسب والذي عليه جمهور المحققين من أهل التفسير لكونه صريحا في كون المراد بما هم عليه ما ذكر
من القدر المشترك بين الفريقين من حيث هو مشترك بينهما بخلاف الوجهين الأخيرين فإنهما
بمعزل من ذلك كيف لا والمفهوم مما عليه المنافقون إنما هو الكفر والنفاق • ومما عليه المؤمنون
هو الإيمان والإخلاص لا القدر المشترك بينهما ولئن فهم من ذلك فإنما يفهم من حيث الانتساب
إلى أحدهما لا من حيث الانتساب إليهما معا وعليه يدور الاختلاط المحوج إلى الإفراز واللام
في ليذر إما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو رأي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بأن
المقدرة بعدها أي ما كان الله مريدا أو متصديا لأن يذر المؤمنين إلى آخره وفيه توجيه
النفي إلى إرادة الفعل لما كيدا ومبالغة ليست في توجيهه إلى نفسه • وإما مزيدة لتأكيد
النفي المنسبة للفعل ينتصب بعدها بأن المقدرة كما هو رأي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف
الجر في عمله • وقوله عز وجل حتى يميز الخبيث من الطيب غاية لما يفيده النفي المذكور وكأنه قيل
ما يتركهم الله على ذلك الاختلاط بل يقدر الأمور ويرتب الأسباب حتى يعزل المنافق من
المؤمن وفي التعبير عنهما بالخبيث والطيب تسجيل على كل منهما بما يليق به وإشعار بعلة
الحكم وإفراد الخبيث والطيب مع تعدد ما أريد بكل منهما وتكثره للإيذان بأن مدار إفراز
أحدهما أعني المؤمنين بصيغة الجمع للدلالة على أن مدار إفراز أحد الفريقين من الآخر
مع اتصافه بوصفها لا خصوصية ذاتها وتعدد آحادها كما في قوله تعالى ذلك أدنى أن لا
تعولوا • ونظيره قوله تعالى قد سمع قول التي حيث قصد الدلالة على
الاتصاف بالوصف من غير تعرض للحرف الموصوف من العقلاء أو غيرهم وتعليق الميز
بالخبيث المعبر به عن المنافق مع أن المتبادر مما سبق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط تعليقه
بهم وإفرازهم عن المنافقين لما أن الميز الواقع بين الفريقين إنما هو بالتصرف في المنافقين
وتغييرهم من حال إلى حال مغايرة للأولى مع بقاء المؤمنين على ما كانوا عليه من أصل الإيمان
وإن ظهر مزيد إخلاصهم لا بالتصرف فيهم وتغييرهم من حال إلى حال أخرى مع بقاء المنافقين

على ما لا خفا عليه من اصابة الايمان وان ظهر منهم اخلاصهم لا بالتعرف فيهم وتعيينهم من كان في حال
اخرى فيخرج ذلك المنافقين على ما هم عليه من الاختلاط ولان فيه من يبدو ما كتبه للوحي كما اشير اليه
في قوله تعالى ان الله يتابع الصدق من الحق [illegible] عن مراد [illegible] الا مستورا بالاختبار
بيان من نسب اليه فان المتبادر منه عدم الترك على ما له فيه مادية [illegible] وقال بعضهم
[illegible] من التمييز وقوله تعالى **وما كان الله ليطلعكم على الغيب** تمهيد لبيان الميز الموعود على
طريق [illegible] الخطاب للمخلصين [illegible] وقوله عز وجل **ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء** اشارة
الى كيفيته ونوعه على سبيل الاجمال واظهار الاسم الجليل في الموضعين لتربية المهابة والمعنى
ما كان الله ليترك المخلصين على الاختلاط بالمنافقين بل يرتب المبادي حتى يخرج المنافقين
بينهم وما يفعل ذلك باطلاعكم على ما في قلوبهم من الكفر والنفاق ولكنه تعالى يوحي الى رسوله
صلى الله عليه وسلم فيخبره بذلك وبما ظهر منهم من الاقوال والافعال حسبما حكي عنهم بعضه
فيما سلف فيفضحهم على رؤوس الاشهاد ويخلصكم من [illegible] وسوء جوارهم [illegible]
[illegible] ان يكون على الجامعين امثال تلك الاسرار والغيبية لا يأتي الا من
رحمه الله تعالى [illegible] واصطفاه على الجامعين [illegible]
[illegible] الرسل عليهم الصلاة والسلام للدلالة على ان شانه عليه السلام
في هذا الباب [illegible] سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين الرسل الخالية
عليهم السلام [illegible] في قوله تعالى **فآمنوا بالله ورسله** مع ان سوق النظم الكريم
للايمان بالنبي عليه الصلاة والسلام [illegible] بالطريق البرهاني [illegible]
للايمان بالكل لانه مصدق لما بين يديه من الرسل [illegible] عليه السلام
[illegible] الايمان [illegible] عليه السلام [illegible]
من احوال المنافقين [illegible] الكريم [illegible]
ان يكون [illegible] الخبيث من الطيب [illegible] التي
لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال
في سبيل الله [illegible]
[illegible] الا من جهته [illegible] ان ذلك [illegible] الله
تعالى [illegible] الرسل [illegible]
[illegible] في ان المراد [illegible]
[illegible] الوحي لا بطريق التكليف [illegible]
من ذلك [illegible] ان تكون مسوقة لبيان الحكمة [illegible]
[illegible] • [illegible] ما كان الله ليذر المخلصين على الاختلاط [illegible]
[illegible] المنافقين [illegible] الكفر [illegible]
[illegible] • وقيل
قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت **وان تؤمنوا** اي
بما ذكر حق الايمان **وتتقوا** اي عدم مراعاة حقوقه او النفاق **فلكم** بمقابلة ذلك الايمان والتقوى

اجر عظيم لا يقادر قدره **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم** بيان
لحال البخل وسوء عاقبته وتخطئة لاهله في توهم خيريته حسب بيان حال الاملاء وابراد
ما يحملوا به [illegible] ان ايتاء الله تعالى اياهم من فضله [illegible] في بيان سوء صنيعهم فان ذلك من موجبات
بذلهم في سبيله كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والفعل مسند الى الموصول
والمفعول الاول محذوف لدلالة الصلة عليه وضمير الفصل راجع اليه اي لا يحسبن
الباخلون بما آتاهم الله من فضله من غير ان يكون لهم مدخل فيه او استحقاق له هو خيرا لهم
من انفاقه • وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم او الى ضمير من يحسب
والمفعول الاول هو الموصول بتقدير مضاف والثاني ما ذكر [illegible] وقرئ بالتاء على الخطاب
اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم **بل هو شر لهم** التنصيص
على شريته مع انفهامها من نفي خيريته للمبالغة فيه والتنوين للتفخيم • وقوله تعالى
سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بيان لكيفية شريته اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق
على انه [illegible] لقوله مكانه للاشارة الى كمال المناسبة بينهما • روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه
يوم القيامة • وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة حية تطوقه في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه
وتقول انا مالك **ولله ميراث السموات والارض**
اي ما يتوارثه اهلهما من مال وغيره من الرسالات التي يتوارثها اهل السموات فما لهم يبخلون
عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله
تعالى [illegible] ويبقى عليهم الحسرة والندامة **والله بما تعملون** من المنع والبخل **خبير**
فيجازيكم على ذلك [illegible] الالتفات [illegible]
في الوعيد والاشعار باشتداد غضب الرحمن الناشئ من ذكر قبائحهم • [illegible]
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قالته اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا • وروي انه عليه الصلاة والسلام كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني
قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا •
فقال فنحاص ان الله فقير حين يسألنا القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه في وجهه وقال لولا
الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله
فنزلت والجمع مع كون القائل واحدا لرضا الباقين بذلك والمعنى انه لم يخف عليه
تعالى [illegible] والتعبير عنه بالسماع [illegible]
بحيث لا [illegible] للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد
سنكتب ما قالوا اي سنحكيه [illegible] في صحائف الحفظة او سنحفظه
في علمنا [illegible] والسين للتأكيد اي لن نفوته ابدا [illegible]
لكونه في غاية العظم [illegible] وكفر بالله تعالى [illegible]
[illegible] عطف عليه قوله تعالى **وقتلهم الانبياء** [illegible]
ليس باول جريمة ارتكبوها [illegible] وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه

اشياء مثل منع الصغار يرد المراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم فان قوله تعالى بغير حق متعلق
بقتلهم ومعناه لا حق لهم في قتلهم اي بغير حق في اعتقادهم ايضا كما مر في سورة البقرة وفي هذا
تنبيه على ان التكاليف قد تكون على الابناء بالمقول وقتلهم بالنبي ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي
ونتنقم منهم بعد الكتبة بان نقول لهم ذوقوا العذاب الحريق كما انتقم الله من العصاة وفيه
من المبالغات ما لا يخفى وقرئ ويقول بالياء ويقال على البناء للمفعول ذلك اشارة الى العذاب
المذكور وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شانه وبعد منزلته في الهول والفظاعة
وهو مبتدا خبره قوله تعالى بما قدمت ايديكم اي بسبب ما اقترفتم من قتل الانبياء والتفوه
بمثل تلك العظيمة وغيرها من المعاصي والتعبير عن الانفس بالايدي لان عامة افاعيلها
تزاول بهن ومحل ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدا
محذوف والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها اي والامر انه تعالى ليس بمعذب
لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس
بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته
تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك
الاثابة على الاعمال باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها
ضياعها وصيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة
المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده
وظلام لعبيده على انها للمبالغة كما وكيفا وقيل محل ان الجر بالعطف على ما قدمت
وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم مستلزم للعدل المقتضي لاثابة المحسن ومعاقبة
المسيء وفساده ظاهر فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفيه
الظلم سببا للتعذيب حسبما ذكره القائل في سورة الانفال وقيل سببية ذنوبهم
لعذابهم مقيدة بانضمام انتفاء ظلمه تعالى اليها اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم
وانت خبير بان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء
الكفرة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه فانما يحتاج الى ذلك اذ لو كان المدعى ان
جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين الذين قالوا نصب او جر على الذم وهم كعب
ابن الاشرف ومالك بن صيفي وحيي بن اخطب وفنحاص بن عازوراء ووهب بن يهودا ان الله عهد
الينا اي امرنا في التوراة واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار كما كان عليه امر
انبياء بني اسرائيل حيث كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتاكله
اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم فان اكل النار القربان لم
يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل
ان عدم ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم اتيانه بما قالوا ولو تحقق الاتيان لتحقق
الايمان رد عليهم بقوله تعالى قل اي تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم قد جاءكم رسل كثيرة
العدد من قبلي بالبينات اي المعجزات الواضحات وبالذي قلتم بعينه من القربان الذي
تاكله النار فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين اي فما بالكم لم تؤمنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم

بما تشتهيه انفسهم حتى قتلوا زكريا ويحيى وغيرهما من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقوله جاءوكم
بما قبلهم بالمعجزات ... فان كذبوك شروع في تسلية
رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر ما اوحى اليه ما عرض له عليه الصلاة والسلام من مقالات
الكفرة من المشركين واليهود وقوله تعالى فقد كذب رسل من قبلك تعليل لجواب الشرط
اي فتسل فقد كذب ... ومن متعلقة بكذب او بمحذوف هو صفة لرسل اي كائنة
من قبلك جاءوا بالبينات اي المعجزات الواضحات صفة لرسل والزبر جمع زبور وهو الكتاب
المقصور على الحكم من زبرته اذا حسنته وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته
والكتاب المنير كالتوراة والانجيل والزبور والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن
الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة المواقع والمنير
المضيء ... كل نفس ذائقة الموت وانما توفون
اجوركم اي تعطون اجزية اعمالكم على التمام والكمال يوم القيامة اي يوم قيامكم من القبور
وفي لفظة التوفية اشارة الى ان بعض اجورهم يصل اليهم قبله كما ينبئ عنه قوله عليه السلام
القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار فمن زحزح عن النار اي بوعد عنها يومئذ
ونجي والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل
المراد ... وعن النبي عليه الصلاة والسلام من احب ان يزحزح عن النار
ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه
وما الحياة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهت بالمتاع الذي يدلس به
على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن اثرها على الاخرة فاما من طلب بها الاخرة فهي له
متاع بلاغ ... لتبلون شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومن معه من المؤمنين عما سيلقونه من جهة الكفرة ... اثر تسليتهم عما وقع
ليوطنوا انفسهم على احتماله عند وقوعه ويستعدوا للقائه ويقابلوه بحسن الصبر والثبات
فان هجوم الاوجال ... ابدا ... والاستعداد للكرب مما يهون الخطب ...
الاشياء ... اي لتعاملن معاملة المختبر ...
او مفارقته ... حقيقة ...
...
...
... الحسنة ...
...
على ما اريد ... واما انفاقها في سبيل الخير ... وانفسكم بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من
اصناف المتاعب ... ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي من قبل ايتاء القرآن وهم اليهود والنصارى

عبر عنهم بذلك للاشعار بمدار الشقاق والايذان بان بعض ما يسمعونه منهم مستند الى زعمهم الى الكتاب كما في قوله تعالى ان الله عهد الينا الآية والتصريح بالقبلية لتاكيد الاشعار وتقوية المدار فان قدم نزول كتابهم مما يؤيد تمسكهم به ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من الطعن في الدين الحنيف والقدح في احكام الشرع الشريف وصد من اراد ان يؤمن وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف واضرابه من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على مضادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما لا خير فيه وان تصبروا اي على تلك الشدائد والبلوى عند ورودها وتقابلوها بحسن التحمل وتتقوا اي تتبتلوا الى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث يستوي عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه فان ذلك اشارة الى الصبر والتقوى وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهما وبعد منزلتهما وتوحيد حرف الخطاب اما باعتبار كل واحد من المخاطبين او لان المراد بالخطاب مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية احوال المخاطبين من عزم الامور اي من معزوماتها التي يتنافس فيها المتنافسون اي مما يجب ان يعزم عليه كل احد لما فيه من كمال المزية والشرف او مما عزم الله تعالى عليه وامر به وبالغ فيه يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لابد ان تصبروا وتتقوا والجملة تعليل لجواب الشرط واقع موقعه كأنه قيل وان تصبروا وتتقوا فهو خير لكم او فقد احسنتم او فقد اصبتم فان ذلك الخ ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى صبر المخاطبين وتقواهم فالجملة حينئذ جواب الشرط وفي ابراز الامر بالصبر والتقوى في صورة الشرطية من اظهار كمال اللطف بالعباد ما لا يخفى واذ اخذ الله كلام مستانف سيق لبيان بعض اذياتهم وهو كتمانهم ما في كتابهم من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وغيرها واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بطريق تلوين الخطاب وتخصيص الخطاب به عليه الصلاة والسلام دون المؤمنين لكون مضمونه من الوظائف الخاصة به عليه الصلاة والسلام وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما مر بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اي اذكر لهم وقت اخذه تعالى ميثاق الذين اوتوا الكتاب وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا بعنوان ايتاء الكتاب مبالغة في تقبيح حالهم لتبيننه حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب لقسم ينبئ عنه اخذ الميثاق كأنه قيل لهم بالله لتبيننه للناس وتظهرون جميع ما فيه من الاحكام والاخبار التي من جملتها امر نبوته صلى الله عليه وسلم وهو المقصود بالحكاية وقرئ بالياء لانهم غيب ولا تكتمونه عطف على الجواب وانما لم يؤكد بالنون لكونه منفيا كما في قولك والله لا يقوم زيد وقيل الكف بالتاكيد في الاول لانه تاكيد له وقيل هو حال من ضمير المخاطبين اما على اضمار مبتدأ بعد الواو اي وانتم لا تكتمونه واما على رأي من جوز دخول الواو على المضارع المنفي عند وقوعه حالا اي لتبيننه غير كاتمين والنهي عن الكتمان بعد الامر بالبيان اما للمبالغة في ايجاب المامور به واما لان المراد بالبيان المامور به ذكر الآيات الناطقة بنبوته عليه السلام وبالكتمان

المنهي عنه القاء التاويلات الزائغة والشبهات الباطلة ومرجع الكل الى ما قبله فنبذوه النبذ الرمي والابعاد اي طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق والموثق بفنون التاكيد والقوة وراء ظهورهم ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه اصلا فان نبذ الشيء وراء الظهر مثل في الاستهانة به والاعراض عنه بالكلية كما ان جعله نصب العين علم في كمال العناية وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علماء الدين واظهار ما علموه من العلم للناس اجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الاغراض الفاسدة او طمع في عرض من الاعراض العاجلة الخاسرة ما لا يخفى وعن النبي عليه الصلاة والسلام من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب ابن منبه اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا واشتروا به اي بالكتاب الذي امروا ببيانه ونهوا عن كتمانه فان ذكر نبذ الميثاق ينبئ عنه دلالة واضحة وايقاع الفعل على الكتاب [illegible] في الشأن مع احتياج الخطاب كما في قوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته والاشتراء استعارة لاستبدال متاع الدنيا بما كتموا اي تركوا ما امروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا اي شيئا تافها حقيرا من حطام الدنيا واعراضها وفي تصويره بصورة المعاملة بعقد المعاوضة لا سيما بالاشتراء المؤذن بالرغبة في الماخوذ والاعراض عن المعطي والتعبير عن المشتري الذي هو العمدة في العقد والمقصود بالمعاملة بالثمن الذي شأنه ان يكون وسيلة اليه وجعل الكتاب الذي حقه ان يتنافس فيه المتنافسون مصحوبا بالباء الداخلة على الآلات والوسائل من نهاية الجزالة والدلالة على كمال فظاعة حالهم وغاية قبحها بايثارهم الدني الحقير على الشريف الخطير وتعكيسهم بجعلهم المقصود الاصلي وسيلة والوسيلة مقصودا ما لا يخفى جلالة شأنه ورفعة مكانه فبئس ما يشترون ما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس ويشترون صفته والمخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يشترونه ذلك الثمن لا تحسبن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح له الذين يفرحون بما اتوا اي بما فعلوا كقوله تعالى انه كان وعده ماتيا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ بما آتوا بمعنى اعطوا وبما اوتوا اي اوتوه من علم التوراة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود حرفوا التوراة وفرحوا بذلك واحبوا ان يوصفوا بالديانة والفضل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا وقيل هم الكاتمون النصوص الناطقة بنبوته عليه الصلاة والسلام واحبوا ان يحمدوا بانهم متبعون ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فالموصول عبارة عن المذكورين وغيرهم ممن صرح موضع ضميرهم والجملة مسوقة لبيان ما يستتبعه اعمالهم المحكية من العقاب الاخروي اثر بيان قباحتها وفيه ردع لهم ببيان ان من شأنهم هو اعم عليهم ما هم عليه من العقاب ان لا يوصفوا بما ليس فيهم من الاوصاف الجميلة

وقد تطرد لذلك في سائر الصلة التي حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند المخاطب انما
يفهم ان اصحابهم بين ذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة في ذلك
واستحمدوا به وقيل هم المنافقون كافة وهو الانسب بظاهر قوله تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
فانهم كانوا يفرحون بما فعلوا من اظهار الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون الى المسلمين من
الايمان وهم عن فعله بالف منزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم في الغاية القاصية
من العداوة فالموصول عبارة عن طائفة معهودة من اهل الكفر وعن مروان ان اكثر المنافقين
كانوا من اليهود ولعل الاولى اجراء الموصول على عمومه شاملا لكل من يأتي بشيء من الحسنات فيفرح
به فرح اعجاب ويود ان يحمده الناس ويثنوا عليه بما هو عار منه من الفضائل منتظما للمعهودين انتظاما اوليا وايا ما
كان فهو مفعول اول لتحسبن • وقوله فلا تحسبنهم تأكيد له والفاء زائدة والمفعول الثاني قوله
تعالى بمفازة من العذاب اي ملتبسين بنجاة منه على ان المفازة مصدر ميمي ولا يضر تأنيثها بالتاء لما
انها مبنية عليها وليست للدلالة على الوحدة كما في قوله •
فلولا رجاء النصر منك ورهبة • عقابك قد كانوا لنا بالموارد •
ولا سبيل الى جعلها اسم مكان على ان الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها اي بمفازة كائنة
من العذاب لانها ليست من العذاب ولا تقديرها بمفازة بعد المعنى اي بمفازة منجية من العذاب
مع كونه خلاف الاصل تعسف مستغنى عنه • وقرئ بضم الباء في الفعلين على ان الخطاب شامل
للمؤمنين ايضا • وقرئ بياء الغيبة وفتح الباء فيهما على ان الفعل له عليه السلام او لكل احد ممن
يتأتى منه الحسبان ومفعولاه كما ذكر • وقرئ بضم الباء في الثاني فقط على ان الفعل للموصول
والمفعول الاول محذوف لكونه عين الفاعل والثاني بمفازة اي لا يحسبن الذين يفرحون انفسهم فائزين
وقوله تعالى فلا يحسبنهم تأكيد للاول • والفاء زائدة كما مر وجوز ان يجعل الفعل الاول على حذف
المفعولين اختصارا لدلالة مفعولي الثاني عليهما على عكس ما في قوله •
بأي كتاب ام باية سنة • ترى حبهم عارا علي وتحسب •
حيث حذف فيه مفعولا الثاني لدلالة مفعولي الاول عليهما او يجعل الفعل الاول للرسول صلى الله عليه
وسلم او لكل حاسب ومفعولاه الاول موصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الفعل الثاني
عليه والفعل الثاني مسند الى ضمير الموصول والفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانه عليه السلام
ومفعولاه الضمير المنصوب • وقوله تعالى بمفازة وتصدير الوعيد بنهيهم عن الحسبان المذكور
للتنبيه على بطلان آرائهم الركيكة وقطع اطماعهم الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ينجون بما
صنعوا من عذاب الآخرة كما نجوا به من المؤاخذة الدنيوية وعليه كان مبنى فرحهم واما نهيه صلى
الله عليه وسلم فللتعريض بحسبانهم المذكور لا لاحتمال وقوع الحسبان من جهته صلى الله عليه وسلم
ولهم عذاب أليم بعد ما اشير الى عدم نجاتهم من مطلق العذاب حقق ان لهم فردا منه لا غاية له
في المدة والشدة كما يلوح به الجملة الاسمية والتنكير التفخيمي والوصف ولله اي خاصة ملك السموات
والارض اي السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيف يشاء ويريد ايجادا واعداما
احياء واماتة تعذيبا واثابة من غير ان يكون لغيره شائبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه فالجملة
مقررة لما قبلها • وقوله تعالى والله على كل شيء قدير تقرير لاختصاص ملك العالم الجسماني العظيم

عنه الخطرية سبحانه وتعالى فان كونه تعالى قادرا على الكل بحيث لا يشذ من ملكوته شيء من الاشياء يستدعي
كون ما سواه كائنا ما كان مقدورا له ومن ضرورته اختصاص القدرة به تعالى واستحالة ان يشاركه في
شيء من الاشياء في القدرة فضلا عن المشاركة في ملك السموات والارض وفيه تقرير
لما مر من ثبوت العذاب الاليم لهم وعدم نجاتهم منه اتم تقرير واظهار الاسم الجليل في موقع
الاضمار لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية
مع ما فيه من الاستقلال بسياقه لما من الجملتين بالتقرير ان في خلق السموات جملة مستأنفة
سيقت لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان القاهر والقدرة التامة وصدرت
بكلمة التأكيد اعتناء بتحقيق مضمونها اي في انشائها على ما هي عليه في ذواتها وصفاتها من
الامور التي يحار في فهم اجلاها العقول والارض على ما هي عليه ذاتا وصفة واختلاف الليل
والنهار اي في تعاقبهما في وجه الارض وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها
التابعين لحركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس
بالنسبة الى المساكن قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما
في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها
الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض تقتضي
ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا وفي بعضها صباحا وفي بعضها ظهرا
او عصرا او غير ذلك والليل قيل انه اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء كتمر وتمرة والليالي
جمع الجمع والصحيح انه مفرد ولا يحفظ له جمع والليالي جمع ليلة وهو جمع غريب كانهم توهموا انها ليلاة
كما في كيكة وكياكي كانها جمع كيكاة والنهار ما بين طلوع الفجر وغروب الشمس • قاله الراغب
وقال ابن فارس هو ضوء ما بين طلوعها وغروبها وتقديم الليل لما انه الاصل فان غرر الشهور
تظهر في الليالي ولما لتقدمه في الخلقة حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار
اي نزيله عنه فيخلفه لآيات اسم ان دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا
اي لآيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب شؤونه التي من جملتها ما مر من اختصاص الملك
العظيم والقدرة التامة سبحانه وعدم التعرض لما ذكر في سورة البقرة من الفلك والمطر وتصريف
الرياح والسحاب لما ان المقصود ههنا بيان استبداده تعالى بما ذكر من الملك والقدرة فاكتفي بمعظم
الشواهد الدالة على ذلك • واما هنالك فمقصود في ضمن بيان اختصاصه تعالى بالالوهية
بيان اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة فنظمت دلائل الفضل والرحمة في سلك دلائل التوحيد فانها
ومع ما لمن آيات رحمته تعالى كما انها من آيات الوهيته ووحدته لاولي الالباب اي لذوي العقول
الخالصة عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق النفسانية المتخلصين من العوائق الظلمانية
المتأملين في احوال الحقائق واحكام النعوت المراقبين في انوار الملك واسرار الملكوت المتفكرين
في بدائع صنائع الملك الخلاق المتبحرين في روائع الحكم المودعة في الانفس والآفاق الناظرين الى
العالم بعين الاعتبار والشهود المتفطنين من حقيقته سر الحق في كل موجود متبادرين الى مراقبته وذكره غير
ملتفتين الى ما سواه الا من حيث انه مرآة لمشاهدة جماله ومطالعة تجليات كماله فان كل من مظاهر
مظاهر الابداع وجميع مجالي الكون والاختراع سبيل سوي الى العالم التوحيدي • ولذلك [illegible]

المجيد • ناطق بآيات قدرته • فمنها من ناطق داع ومخبر بأنباء علاه وحكمته • فسبحانه من داع • بكل ما في الناس غافل وعقولهم • ومن دعواتهم حسب عقولهم • يحاور بأن • بأوضح عبارة • ويلوح أخرى بالطف اشارة • سراع في الموارد بأمرهم ونصرتهم • وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فتأمل في ملك السموات والأرض • ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار • عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها ذات ليلة يا عائشة ائذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لأحب قربك وأحب هواك قد أذنت لك • فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الأرض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا • ثم قال وما لي لا أبكي وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار الى آخره • ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها • وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها • وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والأرض الى آخره الذين يذكرون الله الموصول اما موصول لأولي الألباب مجرور على انه نعت كاشف له بانه حسن القطع واما مقطوع عنه مرفوع او منصوب على المدح او مرفوع على انه خبر لمبتدأ محذوف وقيل مرفوع على الابتداء والخبر هو القول المقدر قبل قوله تعالى ربنا وفيه من تفكيك النظم الجليل ما لا يخفى • وأيا ما كان فقد أشير في حيز صلته ان المراد بهم الذين لا يغفلون عنه تعالى في عامة أوقاتهم لاطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق سرائرهم في مراقبته لما أيقنوا ان كل ما سواه فائض منه وعائد اليه وذلك بتأمله وتخالف الأحوال في انفسهم والى ذلك أشير بقوله تعالى قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولأن الأوقات والى ذلك أشير بما بعد الادهم يخاطبون في ذلك الشأن الى شؤونه تعالى • والمراد به ذكره تعالى مطلقا سواء كان ذلك من حيث الذات ومن حيث الصفات والأفعال وسواء قارنه الذكر اللساني اولا • واما ما حكي من ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة رضي الله عنهم من انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال له بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله تعالى على اقدامهم فليس مرادهم تفسير الآية وتحقيق مصداقها على التعيين • وانما أرادوا به التبرك بنوع موافقة لما في ضمنها الاتيان تبرؤ من انواع اهماله • وانما حمل الكل على الصلاة في هذه الأحوال حسب الاستطاعة • كما قال عليه الصلاة والسلام لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومئ ايماء فما لا يساعده سياق النظم الجليل • ولا سباقه • والقيام والقعود جمع قائم وقاعد كصيام وصوم جمع صائم وراكع واستعمالهما حاليتين منتصبين بيذكرون أي يذكرونه قائمين وقاعدين • وقوله تعالى وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف معطوف على الحالين أي وكائنين على جنوبهم أي مضطجعين والمراد تعميم الذكر للأوقات كلها وتخصيص الأحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لأنها هي الأحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الانسان غالبا ويتفكرون في خلق السموات والأرض عطف على يذكرون منتظم معه في حيز الصلة فلا محل له من الاعراب وتحمله الغيبة

انه

انه معطوف على الأحوال السابقة وليس بظاهر وهو بيان تفكرهم في افعاله سبحانه اثر بيان تفكرهم في ذاته تعالى على الاطلاق واشارة الى نتيجته التي يؤدي اليها من معرفة احوال المعاد حسبما نطقت به ألسنة الرسل وآيات الكتب فكأنها آيات تشريعية مؤدية للخلق الى معرفته تعالى ووجوب طاعته لما ان المخلوقات آيات تكوينية مرشدة لهم الى ذلك والأولى منبهات لهم الى الثانية وداعية الى الاعتناء بما فيها من الآية الكريمة ونحوها مما ورد في مواقع غير محصورة من التنزيل • والثانية مؤيدات للأولى وشواهد دالة على صحة مضمونها وحقيقة مكنونها فان من تأمل في تفاصيل خلق العالم في هذا النمط البديع وتيقن باتصاف خالقه تعالى بجميع ما نطقت به الرسل والكتب من الوجوب الذاتي والوحدة الذاتية والملك القاهر والقدرة التامة والعلم الشامل والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وجزم بان من قدر على انشائه بلا مثال يحتذى به • او قانون ينتحيه ومتوقيا اعادته ثم ادرك بان ذلك ليس الا لحكمة باهرة هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط بأعمالهم علومهم واعتقاداتهم التابعة لأنظارهم فيما نصب لهم من الحجج والدلائل • والامارات والمخايل • وسائر أعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير منحصر في عمل الجوارح بل يتناول أعمال القلب بل هو اشرف افراده لما ان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به • ومن قضية كون الأول اشرف من الثاني كون عمله ايضا اشرف من عمل الثاني لا ولا عمل بدون معرفته تعالى التي هي اول الواجبات في العباد والغاية القصوى من الخلق على ما نطق به قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أي ليعرفون كما أعرب عنه قوله عليه الصلاة والسلام كنت كنزا مخفيا فأحببت ان أعرف فخلقت الخلق لأعرف وانما طريقها النظري التفكر في مصنوعاته تعالى • وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض قالوا انما كان ذلك التفكر في أمر الله تعالى • والذي قال عليه الصلاة والسلام لا عبادة مثل التفكر • وقد عرفت انه مستتبع لتحقيق ما جاءت به الشريعة الحقة والأحكام قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم احسن عملا أي الورع عن محارم الله تعالى فان الورع من محارمه سبحانه موقوف على معرفة الحلال والحرام المنوطة بالكتاب والسنة • فيتبين مصادق الآيات التكوينية وتوافق الأدلة العقلية والسمعية وهو السر في النظم ما حكي من التفكر من الأمور المستتبعة للايمان بالشريعة في سلك نتيجة تفكرهم كما ستقف عليه • والاقتصار على خلق السموات والأرض مع كفاية الاضافة الى الحال الغائية ببيان حالهم فلا بد ان يكون تفكرهم لا لوجه التحقيق والتفصيل وفهم النعم مع دون اختلاف الملوين في سلك التفكر مع ذكره فيما سلف اما للايذان بانه ليس بطريق الاستقلال لما ان ذلك من الأحوال التابعة لأحوال السموات والأرض كما أشير اليه • واما للاشعار بما بعثهم الى الحكم بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض الآيات من غير حاجة الى غيرها في اثبات المطلوب والخلق مصدر على حاله أي يتفكرون في انشائهما وابداعهما بما فيهما من عجائب المصنوعات • وقيل بمعنى المخلوق على ان الاضافة بمعنى في أي يتفكرون فيما خلق فيهما أعم من ان يكون بطريق الجزئية منهما او بطريق الحلول فيهما او على انها بيانية ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول هذا اشارة الى السموات والأرض متضمنة لضرب من التعظيم • كما في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والتذكير لما انهما باعتبار تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق او الى الخلق على تقدير كونه بمعنى المخلوق والباطل ما لا حكمة فيه

نصبه زمنوكه محذوف او حال من المفعول به اي ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم الشان عبثا عاريا
من الحكمة خاليا عن المصلحة كما ينبئ عنه اوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم
جليلة ومصالح عظيمة من جملتها ان يكون مدارا لمعايش العباد ومنارا يرشدهم الى معرفة احوال
المبدا او المعاد حسبما افصحت عنه الرسل والكتب الالهية كما حققته مفصلا والجملة بتمامها في حيز
النصب بقول مقدر ومن تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب اسنبنا فمبنى تخصيص
التفكر ومتعلق الآيات ما في ما سبق فان المقتضي نفاع تخصيص الآيات المنصوبة في خلق
العالم باولي الالباب هو وصفهم بذكر الله تعالى والتفكر في محال تلك الآيات التي هي مترتبة
لا نطقه منهم من اثارها واحكامها • كانه قيل فاذا انكروا عند تفكرهم في ذلك وما ذا يترتب
عليه من النتيجة فقيل يقولون كيت وكيت مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق المؤدي الى معرفة
صدق الرسل وحقية الكتب الناطقة بتفاصيل الاحكام الشرعية على التفصيل الذي وقفت
عليه هذا واما جعله حالا من المستكن في الفعل كما اطبق عليه الجمهور فلا يساعده جزالة النظم
الكريم لما ان ما في حيز الصلة وما هو من تتمته حقه ان يكون من مبادي الحكم الذي اجري
على الموصول ودواعي ثبوته له كذكرهم لله عز وجل في عامة اوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات
والارض فانهما مما يؤدي الى اجتلاء تلك الآيات والاستدلال بها على المطلوب • ولا ريب
في ان قولهم ذلك ليس من مبادي الاستدلال المذكور بل من نتائجها المترتبة عليه فاعتباره
قيدا لما في حيز الصلة مما لا يليق بشان التنزيل الجليل • نعم هو حال من ذلك على تقدير
كون الموصول مرفوعا او منصوبا على المدح او مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف فانه لا اشتباه
في ان قولهم ذلك من مبادي مدحهم ومحاسن مناقبهم • وفي ايراد هذا القول في معرض
الحال دون الخبر اشعار بمقارنته لتفكرهم من غير تلعثم وتردد في ذلك • وقوله تعالى **سبحانك**
اي تنزيها لك عما لا يليق بك من الامور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه اعتراض مؤكد لمضمون
ما قبله وممهد لما بعده من قوله تعالى **فقنا عذاب النار** فان معرفة سر خلق العالم وما
فيه من الحكمة البالغة والغاية الحميدة والعائدة بما يستقيه من الاعمال الصالحة
وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعي الاستعاذة مما يحيق بالمخلين بذلك من وجهين
احدهما الوقوف على تحقق العذاب فالفاء لترتيب الدعاء على ما ذكر والثاني الاستعداد
لقبول الدعاء فالفاء لترتيب المدعو عن الوقاية على ذلك فانه قيل واذ قد عرفنا سرك
واطعنا امرك ونزهناك عما لا ينبغي فقنا عذاب النار الذي هو جزاء الذين لا يعرفون
ذلك **ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته** مبالغة في استدعاء الوقاية وبيان لسببه •
وتصدير الجملة بالنداء للمبالغة في التضرع والتصريح والجؤار وتاكيدها لاظهار كمال اليقين
بمضمونها والايذان بشدة الخوف واظهار النار في موضع الاضمار لتهويل امرها وذكر
الادخال في مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غايته وفظاعته • قال الواحدي للاخزاء
معان متقاربة • يقال اخزاه الله اي ابعده • وقيل اهانه • وقيل اهلكه • وقيل
فضحه • قال ابن الانباري الخزي لغة الهلاك بتلف او بانقطاع حجة او بوقوع في بلاء
والمعنى فقد اخزيته خزيا لا غاية وراءه • كقولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك اي المرعى

اي المرعى الذي لا مرعى بعده وفيه من الاشعار بفظاعة العذاب الروحاني ما لا يخفى وقوله
تعالى **وما للظالمين من انصار** تذييل لاظهار فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من
ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تاكيد الاستدعاء ووضع الظالمين موضع ضمير المدخلين
لذمهم والاشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الاشياء في غير مواضعها وجمع الانصار
بالنظر الى جميع الظالمين اي ما لظالم من الظالمين نصير من الانصار • والمراد بهم من ينصر
بالمدافعة والقهر فليس في الآية دلالة على نفي الشفاعة على ان المراد بالظالمين هم الكفار
ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان حكاية لدعاء اخر لهم مبني على تاملهم في الدليل السمعي بعد
حكاية دعائهم السابق المبني على التفكر في الادلة العقلية وتصدير مقدمة الدعاء بالنداء لاظهار
كمال الضراعة والابتهال والتاكيد للايذان بصدور المقال عنهم بوفور الرغبة ومزيد
النشاط والمراد بالسماع ما النداء او تعلقه بما لتضمنه معنى الانتهاء وباللام لاشتماله على معنى
الاختصاص • والمراد بالمنادي الرسول صلى الله عليه وسلم وتنوينه للتفخيم • وايثاره على الداعي
للدلالة على كمال اعتنائه بشان الدعوة وتبليغها الى الداني والقاصي لما فيه من الايذان
برفع الصوت وينادي صفة لمناديا عند الجمهور • كما في قولك سمعت رجلا يقول كيت
وكيت • ولو كان معرفة لكان حالا منه • كما اذا قلت سمعت زيدا يقول الى اخره ومفعول
ثان لسمعنا عند الفارسي واتباعه وهذا الاسلوب ابدع بيانا للمبالغة في تحقيق
السماع والايذان بوقوعه بلا واسطة عند من جعل المسموع هو الكلام وللتوسل الى تفصيله
واستحضار صورته وقد اختصر النظم الكريم في ذلك حيث عبر عن المسموع منه
بالمنادي ثم وصفه بما ذكر على طريقة قولك سمعت متكلما يتكلم بالحكمة لما ان
التفصيل بعد الابهام والتقييد بعد الاطلاق اوقع عند النفس واجدر بالقبول
وقيل المنادي القرآن العظيم **ان آمنوا** على ان ان تفسيرية او بان امنوا على انها مصدرية
بربكم بمالككم ومتولي اموركم ومبلغكم الى الكمال وفي اطلاق الايمان ثم تعليقه تفخيم
لشانه **فامنا** اي فامتثلنا بامره واجبنا نداءه **ربنا** تكرير للتضرع واظهار لكمال الخضوع وعرض
للاعتراف بربوبيته مع الايمان به والفاء في قوله تعالى **فاغفر لنا ذنوبنا** اي كبائرنا فان الايمان
يجب ما قبله **وكفر عنا سيئاتنا** اي صغائرنا فانها مكفرة عن مجتنب الكبائر **وتوفنا مع الابرار**
اي مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه اشعار بانهم كانوا يحبون
لقاء الله تعالى ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بار او بر كاصحاب وارباب
ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك حكاية لدعاء اخر لهم مسبوق بما قبله معطوف عليه لما ان
التخلية عن التحلية وتكرير النداء لما مر والمراد بالموعود الثواب وعلى اما متعلقة
بالوعد كما في قولك وعد الله الجنة على الطاعة اي وعدتنا على تصديق رسلك او محذوف وقع
صفة لمصدر مؤكد لمحذوف اي وعدتنا وعدا كائنا على السنة رسلك • وقيل التقدير
على رسلك ولا يخفى ان تكرير الافعال الخاصة في مثل هذه المواقع تعسف وجمع الرسل مع ان
المنادي هو الرسول صلى الله عليه وسلم وحده لما ان دعوته عليه الصلاة والسلام لا سيما
في باب التوحيد وما اجمع عليه الكل من الشرائع منطوية على دعوة الكل فتصديقه

تصديقٌ لهم • كيف لا وقد أخذ منهم الميثاق بالإيمان به عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى وإذ
أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية • وكذا الموعود بلسانه من الثواب
موعود على ألسنة [illegible] وإيثار الجمع لإظهار كمال الثقة بإنجاز الموعود بناءً على كثرة
الشهود **ولا تخزنا يوم القيامة** [illegible] تذكير وعده تعالى بقوله تعالى لا يخزي الله
النبي والذين آمنوا معه مظهرين أنهم ممن آمن معه رجاءً للانتظام في سلكهم يومئذ
وقوله **إنك لا تخلف الميعاد** تعليل لتحقيق ما نظموا في سلك الدعاء ومنه الدعوات
وما فيها في تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال ليست لخوفهم من إخلاف الميعاد
بل من خوفهم من أن لا يكونوا من جملة الموعودين لتغير الحال وسوء الخاتمة فمرجعها
إلى الدعاء بالتثبيت أو للمبالغة في التعبد والخشوع والميعاد الوعد • عن ابن عباس رحمه
الله أنه البعث بعد الموت • وفي الآثار من حزبه أمر فقال ربنا ربنا خمس مرات أنجاه الله مما
يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ هذه الآية **فاستجاب لهم ربهم** الاستجابة بمعنى الإجابة • وقال
تاج القراء الإجابة عامة والاستجابة خاصة بإعطاء المسؤول وتتعدى باللام وبنفسها كما في قوله
فلم يستجبه عند ذاك مجيب وهو معطوف على الاستئناف المقدر [illegible] مترتب على ما سبق من
الأدعية كما أن قوله عز وجل ثم قيل للذين ظلموا الآية عطف على قيل المقدر قبل الآن أي
قيل لهم الآن آمنتم به • ثم قيل الآية وكما أن قوله تعالى في سورة الأعراف ونطبع على قلوبهم
معطوف على ما دل عليه قوله أو لم يهد لهم كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع إلى آخره ولا
خلف في اختلافهما صيغة لما أن صيغة المستقبل هناك للدلالة على الاستمرار المناسب لمقام
الدعاء وصيغة الماضي ههنا للدلالة على تحقق الاستجابة وتقررها كما لا يخفى في الامتثال بين
قوله تعالى إذ تستغيثون ربكم وبين ما عطف عليه من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سيأتي ويجوز
أن يكون معطوفا على مضمر ينساق إليه الذهن أي دعوا بهذه الأدعية فاستجاب إلى آخره •
وأما على تقدير كون الموصول مفصولا فهو معطوف على يتفكرون باعتبار مقارنته لما وقع حالا من فاعله
أعني قوله ربنا إلى آخره فإن الاستجابة مترتبة على دعواتهم لا على مجرد تفكرهم وحيث كانت
[illegible] من أوصافهم الجميلة المترتبة على أعمالهم بالآخرة استحقت الانتظام في سلك محاسنهم
المعدودة في أثناء مدحهم • وأما على تقدير كون الموصول نعتا لأولي الألباب فلا مساغ لهذا
العطف أصلا لما عرفت من أن حق ما في حيز الصلة أن يكون من مبادي جريان الحكم على الموصوف
وقد عرفت أن دعواتهم السابقة ليست كذلك فما بال الاستجابة المتأخرة عنها وفي التعرض لعنوان
الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال اللائق مع الإضافة إلى ضميرهم من تشريفهم وإظهار
اللطف بهم ما لا يخفى **أني لا أضيع عمل عامل منكم** أي بأني وهكذا قراءة أبي رحمه الله والباء للسببية
كأنه قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب أنه لا يضيع عمل عامل منهم أي سنته السنية مستمرة على
ذلك والالتفات إلى التكلم والخطاب لإظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشريف الداعين
بشرف الخطاب والمبادرة إلى بيان سببها والإشعار بأن مدارها أعمالهم التي قدموها على
الدعاء لا مجرد الدعاء وتعميم الوعد لسائر العاملين وإن لم يبلغوا درجة أولي الألباب
لتأكيد استجابة الدعوات المذكورة والتعبير عن ترك الإثابة بالإضاعة مع أنه ليس بإضاعة

حقيقة

حقيقة إذ الأعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك
بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من القبائح وإبراز الإثابة في معرض الأمور الواجبة
عليه • وقرئ بكسر الهمزة على إرادة القول أي قائلا إني إلى آخره وقرئ لا أضيع
بالتشديد • ومنكم متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل أي عامل كائن منكم • وقوله تعالى **من ذكر أو**
أنثى بيان لعامل وتأكيد لعمومه • وقوله تعالى **بعضكم من بعض** جملة معترضة مبينة لسبب انتظام
النساء في سلك الرجال في الوعد فإن كون كل منهما من الآخر لتشعبهما من أصل واحد أو لفرط الاتصال
بينهما أو لاتفاقهما في الدين يقتضي ما ذكر من الشركة والاتحاد في ذلك • روي أن أم سلمة رضي الله
عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني أسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر
النساء فنزلت • وقوله تعالى **فالذين هاجروا** إلى آخره تفصيل لما أجمل في العموم وتعداد لبعض محاسن أفراده
على وجه المدح والتعظيم أي فالذين هاجروا الشرك أو الأوطان والعشائر للدين • وقوله
تعالى **وأخرجوا من ديارهم** على الأول عبارة عن نفس الهجرة وعلى الثاني عن كيفيتها وكونها بالقسر
والاضطرار **وأوذوا في سبيلي** أي بسبب إيمانهم بالله ومن أجله وهو متناول لكل أذية نالتهم
من قبل المشركين **وقاتلوا** أي الكفار في سبيل الله تعالى **وقتلوا** استشهدوا في القتال • وقرئ
بالعكس لما أن الواو لا تستدعي الترتيب أو لأن المراد قتل بعضهم وقتال آخرين إذ ليس المعنى على اتصاف
كل فرد من أفراد الموصول بواحد من الأوصاف المذكورة أو باثنين منها أو بأكثر منها بطريق التوزيع
أو بطريق حذف بعض الموصولات كما هو رأي الكوفيين [illegible] وقد أدير الحكم على الأصناف
كل فرد بالكل لكان [illegible] ما عمل من اتصف بالبعض • وقرئ وقتلوا بالتشديد **لأكفرن عنهم سيئاتهم**
جواب قسم محذوف أي والله لأكفرن والجملة القسمية خبر للمبتدأ الذي هو الموصول [illegible]
[illegible] بعد ما وعده عموما **ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار**
إشارة إلى ما عبر عنه الداعون فيما قبل وآتنا ما وعدتنا على رسلك • وتفسير له **ثوابا** مصدر مؤكد
لما قبله فإن تكفير السيئات وإدخال الجنة في معنى الإثابة • وقوله تعالى **من عند الله** متعلق بمحذوف
هو صفة له لشرفه أي لأثيبنهم إثابة كائنة أو تثويبا كائنا من عنده تعالى بالغا إلى المرتبة القاصية
من الشرف • وقوله تعالى **والله عنده حسن الثواب** اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والاسم الجليل
مبتدأ خبره عنده وحسن الثواب مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ أو هو مبتدأ ثان
والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول والعندية عبارة عن الاختصاص به تعالى مثل كونه بقدرته
تعالى وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره [illegible] فيجب بالاختصاص
مستفاد من التخصيص [illegible] ما لحسن الثواب [illegible]
إضافة [illegible] تعقيبه مبني [illegible] الإحسان الذي لا يقادر قدره [illegible] لطف المسلك المبني عن عظم
شأن المحسن ما لا يخفى **لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد** بيان لقبح ما أوتي الكفرة من حظوظ الدنيا
وكشف عن حقارتها وسوء عاقبتها إثر بيان حسن ما أوتي المؤمنون من الثواب والخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم على أن المراد تثبيته على ما هو عليه • كقوله تعالى ولا تطع المكذبين
أو على أن المراد نهي المؤمنين كما يوجه الخطاب إلى مداره القوم ورؤسائهم والمراد أتباعهم
أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب من المؤمنين والنهي للمخاطب وإنما جعل للتقلب تنزيلا مبالغة أي لا تنظر

في ما عليه الكفرة من السعة ووفور الحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في المكاسب والمتاجر والمزارع • روي أن بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت • وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر لمبتدأ محذوف أي هو متاع قليل لا قدر له في جنب ما أعد الله للمؤمنين من الثواب قال عليه الصلاة والسلام ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع فإنه لا يجدي وجوده لوجوب الزوال لا يعرفه إلا الله تعالى ثم مأواهم أي مصيرهم الذي يأوون إليه ولا يبرحونه جهنم التي لا يوصف عذابها • وقوله تعالى وبئس المهاد ذمًا وإيذانًا بأن مصيرهم إليها مما جنته أنفسهم وكسبته أيديهم والمخصوص بالذم محذوف أي بئس ما مهدوا لأنفسهم جهنم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بيان لكمال حسن حال المؤمنين غب بيان وبال حال الكفرة وتكرير له إثر تقرير مع زيادة خلودهم في الجنات ليتم بهم سرورهم ويزداد تحسرهم ويتكامل به سوء حال الكفرة وإيراد التقوى في حيز الصلة للإشعار بكون الخصال المذكورة من باب التقوى والمراد به الاتقاء من الشرك والمعاصي فالموصول مبتدأ والظرف خبره وجنات مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ أو الظرف خبر لجنات والجملة خبر للموصول وخالدين فيها أي في الجنات حال مقدرة من الضمير أو من جنات لتخصصها بالوصف والعامل ما في الظرف من معنى الاستقرار نزلا من عند الله وقرئ بسكون الزاي وهو ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما • قال أبو الشعر الضبي •

وكنا إذا الجبار بالجيش ضافنا • جعلنا القنا والمرهفات له نزلا •

وانتصابه على الحالية من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيه ما في الظرف من الاستقرار وقيل هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء من عند الله تعالى وما عند الله مبتدأ وخبره قوله تعالى خير للأبرار متعلق بمحذوف هو صفة خير أي ما عنده تعالى من الأمور المذكورة الدائمة خير كائن للأبرار مما يتقلب فيه الفجار من المتاع القليل الزائل والتعبير عنهم بالأبرار للإشعار بأن الصفات المعدودة من أعمال البر كما أنها من قبيل التقوى والجملة تذييل لما قبلها وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله جملة مستأنفة سيقت لبيان أن أهل الكتاب ليس كلهم كمن حكيت هناتهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة • قيل هم عبد الله بن سلام وأصحابه • وقيل هم أربعون من أهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فأسلموا • وقيل المراد به أصحمة النجاشي فإنه لما مات نعاه جبريل إلى النبي عليه السلام فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج إلى البقيع ونظر إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت وإنما دخلت لام الابتداء على اسم إن لفصل الظرف بينهما • كما في قوله تعالى وإن منكم لمن ليبطئن وما أنزل إليكم من القرآن وما أنزل إليهم من الكتابين وتأخير إيمانهم بهما عن إيمانهم بالقرآن في الذكر مع أن الأمر بالعكس في الوجود لما أنه عيار ومهيمن عليهما فإن إيمانهم بهما إنما يعتبر من حيث ثبوته بالقرآن وتعلق ما نعتقد بهما والمراد بإيمانهم بهما إيمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم كما هو دأب المحرفين وأتباعهم من العامة خاشعين لله حال من فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى

لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا تصريح بمخالفتهم للمحرفين والجملة حال كما قبله ونظمها في سلك محاسنهم ليس من حيث عدم الاشتراء فقط بل لتضمن ذلك لإظهار ما في الكتابين من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم أولئك إشارة إليهم من حيث اتصافهم بما عد من صفاتهم الحميدة • وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضيلة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى لهم وقوله أجرهم أي المختص بهم الموعود لهم بقوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين • وقوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته مرتفع بالظرف على الفاعلية أو على الابتداء والظرف خبره والجملة خبر لأولئك • وقوله تعالى عند ربهم نصب على الحالية من أجرهم والمراد به التشريف كما تفيده إن الله سريع الحساب لنفوذ علمه بجميع الأشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الأجر من غير حاجة إلى تأمل والمراد بيان سرعة وصول الأجر الموعود إليهم يا أيها الذين آمنوا إثر ما بين في تضاعيف السورة الكريمة من فنون الحكم والأحكام ختمت بما يوجب المحافظة عليها فقيل اصبروا أي على مشاق الطاعات وما يصيبكم من المكاره والشدائد وصابروا أي غالبوا أعداء الله تعالى بالصبر في مواطن الحروب وأعدى عدوكم بالصبر على مخالفة الهوى وتخصيص المصابرة بالأمر بعد الأمر بمطلق الصبر لكونها أشد منه وأشق ورابطوا أي أقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو مستعدين له • قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته إلا لحاجة واتقوا الله في مخالفة أمره على الإطلاق فيندرج فيه ما ذكر في تضاعيف السورة الكريمة اندراجا أوليا لعلكم تفلحون أي لكي تنتظموا في زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب • الناجين من كل مكروه • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أمانا على جسر جهنم • وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله والملائكة حتى تغيب الشمس • الحمد لله رب العالمين •

سورة النساء مائة وسبع وسبعون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم • يا أيها الناس خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين حينئذ والحادثين بعد ذلك إلى يوم القيامة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فإن خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين عن درجة التكليف إلا عند الحنابلة إما بطريق تغليب الفريق الأول على الآخرين • وإما بطريق تعميم حكمه لما بدليل خارجي فإن الإجماع منعقد على أن آخر الآية يخلف بالأمر بأولها كما بني منه قوله عليه الصلاة والسلام الحلال ما جرى على لساني إلى يوم القيامة والحرام ما جرى على لساني إلى يوم القيامة وقد فصل في موضعه وأما الأمم الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب لاختصاص الأوامر والنواهي بمن يتصور منه الامتثال • وأما اندراجهم في خطاب ما عداهما مما له دخل في تأكيد التكليف وتقوية الإيجاب فستعرف حاله في قوله تعالى اتقوا ربكم كالعدو ولفظ الناس ينتظم الذكور والإناث حقيقة • وأما صيغة جمع المذكر في قوله تعالى اتقوا ربكم فواردة على طريقة التغليب لعدم تناولها حقيقة للإناث عند غير الحنابلة • وأما إدخالهن في الأمر بالتقوى بما ذكر من الدليل الخارجي وإن كان فيه مراعاة جانب الصيغة لكنه يستدعي تخصيص لفظ الناس ببعض أفراده والمأمور به مطلق التقوى التي هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك • وأما

التقوى فيما يتعلق بحقوق ابناء الجنس اي اتقوه في مخالفة اوامره ونواهيه في الاطلاق او في
مخالفة تكاليفه الواردة ههنا • وايراده بعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية
والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأييد الامر وتأكيد ايجاب الامتثال به على طريقة الترغيب
والترهيب وكذا وصف الرب بقوله تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة فان خلقه تعالى اياهم على هذا
النمط البديع لانبائه عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التي من جملتها عقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة
لا يقادر قدرها من اقوى الدواعي الى الاتقاء من موجبات نقمته واتم الزواجر عن كفران نعمته •
وكذا جعله تعالى اياهم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة هي نفس آدم عليه السلام من موجبات
الاحتراز عن الاخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم للامم السالفة
ايضا مع اختصاصه فيما بعده بالمأمورين بناء على ان تذكير شمول ربوبيته تعالى وخلقه للكل من مؤكدات
الامر بالتقوى وموجبات الامتثال به تفكيك للنظم الكريم مع الاستغناء عنه لان خلقه تعالى
للمأمورين من نفس آدم عليه السلام حيث كان بواسطة ما بينهم وبينه من الآباء والامهات كان التعرض
لخلقهم متضمنا للتعرض لخلق الوسائط جميعا • وكذا التعرض لربوبيته تعالى لهم متضمن للتعرض لربوبيته
تعالى لاصولهم قاطبة لا سيما وقد نطق بذلك قوله عز وجل وخلق منها زوجها فانه مع ما عطف عليه
صريح في ذلك وهو معطوف اما على مقدر ينبئ عنه سوق الكلام لان تفريع الفروع من اصل واحد يستدعي
انشاء ذلك الاصل لا محالة • كانه قيل خلقكم من نفس واحدة خلقها اولا وخلق منها زوجها الخ
وهو استئناف مسوق لتقرير وحدة المبدأ وبيان كيفية خلقهم منه وتفصيل ما اجمل اولا او صفة
لنفس مفيدة لذلك • واما على خلقكم داخل معه في حيز الصلة مقرر ومبين لما ذكر واعادة الفعل
مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الاول كما في قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم
والذين من قبلكم الآية لاظهار ما بين الخلقين من التفاوت فان الاول بطريق التفريع من
الاصل والثاني بطريق الانشاء من المادة فانه تعالى خلق حوا من ضلع آدم عليه السلام • روي انه عز
وجل لما خلقه عليه السلام واسكنه الجنة القى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حوا من
ضلع من اضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده • وتأخير ذكر خلقها عن ذكر خلقهم لما ان تذكير خلقهم
ادخل في تحقيق ما هو المقصود من حملهم على الامتثال بالامر بالتقوى من تذكير خلقها • وتقديم الجار والمجرور
للاعتناء ببيان مبدئية آدم عليه السلام لها مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وايرادها بعنوان
الزوجية تمهيد لما بعده من التناسل وبث منهما اي نشر من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها بطريق
التوالد والتناسل رجالا كثيرا نعت لرجالا مؤكد لما افاده التنكير من الكثرة والافراد باعتبار معنى
الجمع او العدد وقيل هو نعت لمصدر مؤكد للفعل اي بثا كثيرا ونساء اي كثيرة وترك التصريح بها للاكتفاء
بالوصف المذكور وايثارهما على ذكورا واناثا لتأكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الافراد
المبثوثة لمبدئية غيره • وقرئ وخالق وباث على حذف المبتدأ اي وهو خالق وباث واتقوا الله
الذي تساءلون به تكرير للامر وتذكير لبعض آخر من موجبات الامتثال فان سؤال بعضهم بعضا بالله
تعالى بان يقولوا بالله وانشدك الله على سبيل الاستعطاف يقتضي الاتقاء من مخالفة اوامره
ونواهيه وتعليق الاتقاء بالاسم الجليل لمزيد التأكيد والمبالغة في الحمل على الامتثال بتربية
المهابة وادخال الروعة ولوقوع التساؤل به لا بغيره من اسمائه تعالى وصفاته وتساءلون اصله

تتساءلون

تتساءلون فطرحت احدى التاءين تخفيفا • وقرئ بادغام تاء التفاعل في السين لتقاربهما في الهمس
وقرئ تسألون من الثلاثي اي تسألون به غيركم وقد فسر به القراءة الاولى والثانية وحمل
صيغة التفاعل على اعتبار الجمع • كما في قولك رأيت الهلال وتراءيناه وبه ينتظم تساءلون في
وجه • وقرئ تسلون بنقل حركة الهمزة الى السين والارحام بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور
كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة تساءلون به وبالارحام فانهم كانوا يقرنونها في السؤال
والمناشدة بالله عز وجل ويقولون اسألك بالله وبالرحم او عطفا على الاسم الجليل اي اتقوا الله
والارحام وصلوها ولا تقطعوها فان قطيعتها مما يجب ان يتقى • وهو قول مجاهد وقتادة والسدي
والضحاك والفراء والزجاج رضي الله عنهم • وقد جوز الواحدي رحمه الله نصبه على الاغراء
والزموا الارحام وصلوها • وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور وبالرفع على انه مبتدأ
محذوف الخبر • تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به • ولقد نبه سبحانه وتعالى
حيث قرنها باسمه الجليل على ان صلتها بمكان منه كما في قوله تعالى ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين
احسانا • وعنه صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن
قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا اي مراقبا وهي صيغة مبالغة من رقب يرقب
رقبا ورقوبا ورقبانا اذا احد النظر لامر يريد تحققه اي حافظا مطلعا على جميع ما يصدر
عنكم من الافعال والاقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات مريدا لمجازاتكم بذلك وهو تعليل
للامر ووجوب الامتثال به • واظهار الاسم الجليل لتأكيده وتقديم الجار والمجرور لرعاية
الفواصل وآتوا اليتامى اموالهم شروع في تفصيل موارد الاتقاء ومظانه بتكليف ما يقابلها امرا
ونهيا عقيب الامر بنفسه مرة بعد اخرى وتقديم ما يتعلق باليتامى لاظهار كمال العناية بامرهم ولملابستهم
بالارحام اذ الخطاب للاولياء والاوصياء وقلما تفوض الوصاية الى الاجانب • واليتيم من مات ابوه
من اليتم وهو الانفراد • ومنه الدرة اليتيمة وجمعه على يتامى اما لانه لما جرى مجرى الاسماء جمع على
يتائم ثم قلب فقيل يتامى او لانه لما كان من وادي الآفات جمع على يتمى ثم جمع يتمى على يتامى والاشتقاق
يقتضي صحة اطلاقه على الكبار ايضا واختصاصه بالصغار مبني على العرف • واما قوله صلى الله
عليه وسلم لا يتم بعد الحلم فتعليم للشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ اي لا يجري على اليتيم بعده حكم الايتام
والمراد بايتاء اموالهم قطع المخاطبين المطامع الفارغة عنها وكف ايديهم الخاطفة عن اختزالها وتركها
على حالها غير متعرض لها بسوء حتى تأتيهم وتصل اليهم سالمة كما ينبئ عنه ما بعده من النهي عن التبدل والاكل
لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط بالبلوغ وايناس الرشد على ما ينطق به قوله تعالى حتى اذا بلغوا
النكاح الآية • وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا للايذان بانه ينبغي ان يكون مرادهم
بذلك ايصالها اليهم لا مجرد ترك التعرض لها • فالمراد بهم اما الصغار على ما هو المتبادر
والامر خاص بمن يتولى امرهم من الاولياء والاوصياء وشمول حكمه لاولياء من كان بالغا عند
نزول الآية بطريق الدلالة دون العبارة • واما من جرى عليه اليتم في الجملة مجازا اعم من ان يكون
كذلك عند النزول او بالغا فالامر شامل لاولياء الفريقين صيغة موجبة عليهم ما ذكر من حفظ
اموالهم والكف عن اخذ شيء منها مطلقا • واما وجوب الدفع الى الكبار فمستفاد مما سيأتي من الامر
به • وقيل المراد بهم الصغار وبالايتاء الاعطاء في الزمان المستقبل • وقيل اطلاق اسم اليتامى على الكبار

بطريق الاتباع لقرب عهدهم بالصغر حثا للأولياء على المسارعة لدفع أموالهم إليهم أول ما بلغوا قبل أن يزول عنهم اسمهم المعهود فالإيتاء بمعنى الإعطاء بالفعل ويأباه ما سيأتي من قوله تعالى وابتلوا اليتامى إلى آخره فإن ما فيه من الأمر بالدفع وارد على وجه التكليف الابتدائي لا على وجه تعيين وقته أو بيان شرطه كما هو مقتضى التوبيخ. وأما التعبير عن الأيتام بالصغار والكبار مجازا بطريق التغليب مع تعميم الإيتاء لما يجري حالا ومآلا وتعميم الخطاب للأولياء والمراهقين على أن من بلغ منهم تولى دفع ماله بالدفع إليه بالفعل وأن من لم يبلغ بعد تولى به مأمور بالدفع إليه عند بلوغه رشيدا فمع ما سبق تكلف لا يخفى فلا يناسب ما تقدم من حمل إيتاء أموال اليتامى على ما يؤدي من ترك التعرض لها بسوء مما يلوح به التعبير عن الإعطاء بالفعل بالدفع سواء أريد باليتامى الصغار أو ما يعم الصغار والكبار حسبما ذكر آنفا. وأما ما روي من أن رجلا من غطفان كان له معه مال كثير لابن أخ له فلما بلغ طلب منه ماله فمنعه فنزلت فلما سمعها قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فغير قادح في ذلك لما أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب **ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب** نهي عن أخذ مال اليتيم على الوجه المخصوص بعد النهي الضمني عن أخذه على الإطلاق وتبدل الشيء بالشيء واستبداله به أخذ الأول بدل الثاني بعد أن كان حاصلا له أو في شرف الحصول يستعملان أبدا بإفضائهما إلى الحاصل بأنفسهما وإلى الزائل بالباء كما في قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالإيمان، وقوله تعالى أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير. وأما التبديل فيستعمل تارة كذلك كما في قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين أي أعطيناهم بدلهما وأخرى بالعكس كما في قولك بدلت الحلقة بالخاتم إذا أذبتها وجعلتها خاتما نص عليه الأزهري وتارة أخرى بإفضائه إلى مفعوليه بنفسه كما في قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات. والمراد بالخبيث والطيب إن كان هو الحرام والحلال فالمنهي عنه استبدال مال اليتيم بمال أنفسهم مطلقا كما قاله الفراء والزجاج. ومعناه لا تذروا أموالكم الحلال وتأكلوا الحرام من أموالهم فالمنهي عنه أكل ماله مكان مالهم المحقق والمقدر ماله مكان حفظه. وأما ما كان فأما عبر عنهما بهما تنفيرا عما أخذوه وترغيبا فيما أعطوه وتقبيحا لمعاملتهم بتصويره بما لا يصدر عن العاقل. وإن كان هو الرديء والجيد فمورد النهي ما كانوا عليه من أخذ الجيد من مال اليتيم وإعطاء الرديء من مال أنفسهم. وبه قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي. وتخصيص هذه المعاملة بالنهي لخروجها مخرج العادة لا لإباحة ما عداها. وأما التعبير عنها بتبدل الخبيث بالطيب مع أنها تبديله أو تبدل الطيب بالخبيث فللإيذان بأن الأولياء حقهم أن يكونوا في المعاوضة عاملين لليتيم لا لأنفسهم مراعين لجانبه قاصدين جلب المجلوب إليهم مشتريا كان أو ثمنا لا لسلب المسلوب عنه **ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم** نهي عن منكر آخر كانوا يتعاطونه أي لا تأكلوها مضمومة إلى أموالكم ولا تسووا بينهما وبين الحلال وذا الحرام وقد خص من ذلك مقدار أجر المثل عند كون الولي فقيرا **إنه** أي الأكل المفهوم من النهي **كان حوبا** أي ذنبا عظيما وقرئ بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا وهو أيضا مصدر كقال قولا وقالا **كبيرا** مبالغة في بيان عظم ذنب الأكل المذكور كأنه قيل من كبار الذنوب العظيمة لا من أفنائها **وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى** والإقساط العدل. وقرئ بفتح التاء فهو من قسط أي جار ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم

وقيل

وقيل هو بمعنى أقسط. قال الزجاج رحمه الله حكي أن قسط يستعمل استعمال أقسط. والمراد بالخوف العلم كما في قوله سبحانه وتعالى فمن خاف من موص جنفا عبر عنه بذلك إيذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لا معناه الحقيقي لأن الذي علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور المخوف لا الخوف منه وإلا لم يجز الأمر شاملا لمن يصبر في الجور ولا يخافه وهذا شروع في النهي عن منكر آخر كانوا يباشرونه متعلق بأنفس اليتامى أصالة وبأموالهم تبعا عقيب النهي عما يتعلق بأموالهم خاصة. وتأخيره عنه لقلة وقوع المنهي عنه بالنسبة إلى الأول وتنزله منه منزلة المركب من المفرد وذلك أنهم كانوا يتزوجون من يحل لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن لا لرغبة فيهن بل في مالهن ويسيئون في الصحبة والمعاشرة ويتربصون بهن أن يمتن فيرثوهن وهذا قول الحسن رضي الله عنه. وقيل هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بأدنى من سنة نسائها فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق وأمروا أن ينكحوا ما سواهن من النساء وهذا قول الزهري رحمه الله رواه عن عروة عن عائشة رضي الله عنها وأما اعتبار اجتماع عدد كثير منهن كما أطبق عليه أكثر أهل التفسير حيث قالوا كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده منهن عشر إلى آخره فلا يساعده الأمر بنكاح غيرهن. أي وإن خفتم أن لا تعدلوا في اليتامى إذا تزوجتم بهن بإساءة العشرة أو بنقص الصداق **فانكحوا ما طاب لكم** ما موصولة أو موصوفة وما بعدها صلتها أو صفتها وأوثرت على من ذهابا إلى الوصف وإيذانا بأنه المقصود بالذات من نوع لطف في استنزالهم والتمايل في الاعتبار لا بناء على أن الإناث من العقلاء يجري مجرى غير العقلاء لإخلاله بمقام الترغيب فيهن وقرأ ابن أبي عبلة من طاب. ومن في قوله عز وجل **من النساء** بيانية وقيل تبعيضية والمراد بهن غير اليتامى بشهادة قرينة المقام أي فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الأجنبيات. وفي إيثار الأمر بنكاحهن على النهي عن نكاح اليتامى مع أنه المقصود بالذات مزيد لطف في استنزالهم عن ذلك فإن النفس مجبولة على الحرص على ما منعت منه كما أن وصف النساء بالطيب على الوجه الذي أشير إليه مبالغة في الاستمالة إليهن والترغيب فيهن. وكل ذلك للاعتناء بصرفهم عن نكاح اليتامى وهو السر في توجيه النهي الضمني إلى النكاح المترقب مع أن سبب النزول هو النكاح المحقق لما فيه من المسارعة إلى دفع الشر قبل وقوعه فرب واقع لا يرفع والمبالغة في بيان حال النكاح المحقق فإن محظورية المترقب حيث كانت للجور المترقب فيه فمحظورية المحقق مع تحقق الجور فيه أولى. وقيل المراد بالطيب الحلال أي ما حل لكم شرعا لأن ما استطابته النفس شامل للمحرمات ولا مخصص له من عقل أو غيره فلزم محذور ودفع بما هو أفظع منه لأن ما حل لهم غير معلوم وقد تقرر أن النص إذا تردد بين الإجمال والتخصيص يحمل على الثاني لأن العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل ليس بحجة قبل ورود البيان أصلا ولئن حمل على قوله تعالى حرمت عليكم إلى آخره والأعلى التفصيل بناء على ادعاء تقدمه في التنزيل فليحمل ذا لا على التخصيص **مثنى وثلاث ورباع** معدولة عن أعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين عدلها عن صيغتها وعدلها عن تكررها. وقيل للعدل والصفة فإنها بنيت صفات وإن لم تكن أصولها كذلك. وقرئ وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع. ومحلهن النصب على أنها حال من فاعل طاب لما أفاده وصف الطيب من الترغيب فيهن والاستمالة إليهن

تربيع ذاته الأول أي فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا حسبما تريدون على معنى أن لكل واحد منهم أن يختار أي عدد شاء من الأعداد المذكورة لا أن بعضها لبعض منهم وبعضها لبعض آخر كما في قولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لفهم منه تجويز الجمع بين تلك الأعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة أو لفات تجويز الاختلاف في العدد • قيل لما نزلت الآية في اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير أخذ الأولياء يتحرجون من ولايتهم خوفا من لحوق الحوب بترك الإقساط مع أنهم كانوا لا يتحرجون من ترك العدل في حقوق النساء حيث كان تحت الرجل منهم عشر منهن فقيل لهم إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لأن من تحرج من ذنب وتاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب عنه وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل إن خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات • ولا يخفى أنه لا يساعده جزالة النظم الكريم لابتنائه على تقدم نزول الآية الأولى وشيوعها بين الناس مع ظهور توقف حكمها على ما بعدها من قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء إلى قوله تعالى وكفى بالله حسيبا **فإن خفتم ألا تعدلوا** أي فيما بينهن ولو في أقل الأعداد كما خفتموه في حق اليتامى أو كما لا تعدلوا في حقهن أو كما لم تعدلوا لو أفرقتم هذه الأعداد **فواحدة** أي فالزموا أو فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية • وقرئ بالرفع أي فالمقنع واحدة أو فحسبكم واحدة **أو ما ملكت أيمانكم** أي من السراري بالغة ما بلغت في مراتب العدد وهو عطف على واحدة على أن اللزوم والاختيار فيه بطريق التسري لا بطريق النكاح فيما عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين في الموضعين بخلاف ما في قوله سبحانه وتعالى ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات الآية فإن المأمور بالنكاح هناك غير المخاطبين بملك اليمين وإنما سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السراري من غير حصر في عدد لقلة تبعتهن وخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم فيهن وقرئ أو ما ملكت أيمانكم وما في المرأة المشهورة للإيذان بقصور رتبتهن عن رتبة العقلاء **ذلك** إشارة إلى اختيار الواحدة والتسري **أدنى ألا تعولوا** أقرب من أن لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا إذا مال وعال في الحكم أي جار والمراد ههنا الميل المحظور المقابل للعدل أي ما ذكر من اختيار الواحدة والتسري أقرب بالنسبة إلى ما عداهما من أن لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه رأسا بانتفاء محله في الأول وانتفاء خطره في الثاني بخلاف اختيار العدد في المهائر فإن الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل والخطر ومن ههنا تبين أن مدار الأمر عدم العول لا تحقق العدل كما قيل وقد فسر بأن لا يكثر عيالكم على أنه من عال الرجل عياله يعولهم أي مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤنة على طريقة الكناية • ويؤيده قراءة أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر عياله • ووجه كون التسري مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السراري أنه يجوز العزل عنهن بغير رضاهن ولا كذلك المهائر والجملة مستأنفة جارية مما قبلها مجرى التعليل **وآتوا النساء** أي اللاتي أمر بنكاحهن **صدقاتهن** جمع صدقة كسمرة وهي المهر وقرئ بسكون الدال على التخفيف

وبضم

وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة **نحلة** قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن جريج وابن زيد فريضة من الله تعالى لأنها مما فرضه الله تعالى في النحلة أي الملة والشرعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات أي أعطوهن مهورهن حال كونها فريضة منه تعالى • وقال الزجاج رحمه الله تعالى تدينا فانتصابها على أنها مفعول له أي أعطوهن ديانة وشرعة • وقال الكلبي نحلة أي هبة وعطية من الله سبحانه وتعالى وتفضلا منه عليهن فانتصابها على الحالية منها أيضا • وقيل عطية من جهة الأزواج من نحله كذا أي أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا • والتعبير عن إيتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الأزواج لإفادة معنى الإيتاء عن كمال الرضى وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لأن الإيتاء والنحلة بمعنى الإعطاء • كأنه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أي أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أو على الحالية من ضمير آتوا أي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالإعطاء أو من الصدقات أي منحولة معطاة عن طيبة الأنفس فالخطاب للأزواج • وقيل للأولياء • لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك أي تعظمه **فإن طبن لكم عن شيء منه** الضمير للصدقات وتذكيره لإجرائه مجرى ذلك فإنه قد يشار به إلى المتعدد • وقد روي عن رؤبة حين قيل له في قوله • فيها خطوط من سواد وبلق • كأنه في الجلد توليع البهق • إن أردت الخطوط فينبغي أن تقول كأنها فقال لكني أردت كأن ذلك أو للصداق الواقع موقعه صدقاتهن كأنه قيل وآتوا النساء صداقهن • كما في قوله تعالى فأصدق وأكن من الصالحين حيث عطف أكن على ما دل عليه المذكور ووقع موقعه • كأنه قيل إن أخرتني أصدق وأكن واللام متعلقة بالفعل • وكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافي والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء أي كائن من الصداق وفيه بعث لهن على تقليل الموهوب **نفسا** تمييز والتوحيد لما أن المقصود بيان الجنس أي إن وهبن لكم شيئا من الصداق متجافيا عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إلى البذل من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم • ولكن عدل عن لفظ الهبة والسماحة إلى ما في النظم الكريم إيذانا بأن العمدة في الأمر إنما هو طيب النفس وتجافيها عن الموهوب بالمرة **فكلوه** أي فخذوا ذلك الشيء الذي طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص الأكل بالذكر لأنه معظم وجوه التصرفات المالية **هنيئا مريئا** صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا كان سائغا لا تنغيص فيه • وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما تحمد عاقبته • وقيل ما ينساغ في مجراه الذي هو المريء وهو ما بين الحلقوم إلى فم المعدة سمي بذلك لمرء الطعام فيه أي انسياغه ونصبهما على أنهما صفتان للمصدر أي أكلا هنيئا مريئا أو على الحالية من الضمير أي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على كلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى أنهما صفتان أقيمتا مقام المصدرين • كأنه قيل هنئا ومرئا وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الإباحة وإزالة التبعة روي أن ناسا كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيئا مما ساقه إليها فنزلت **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم** رجوع إلى بقية الأحكام المتعلقة بالنسبة أعني نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة بتعيين من الأجنبيات من حيث التمتع ومن حيث المال استطرادا والخطاب

فلاولياء منعوا ان يؤتوا المبذرين من اليتامى اموالهم مخافة ان يضيعوها وانما اضيفت اليهم وهي لليتامى لا بالنظر الى كونها تحت ولايتهم كما قيل فانه غير مصحح لاتصافها بالوصف الآتي بل تنبيها على ان اختصاصها باصحابها كاختصاصها بالاولياء فكأن اموالهم عين اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسي والنسبي مبالغة في حملهم على المحافظة عليها • كما في قوله سبحانه وتعالى ولا تقتلوا انفسكم اي لا يقتل بعضكم بعضا حيث عبر عن نوعهم بانفسهم مبالغة في زجرهم عن قتلهم فكأن قتلهم قتل انفسهم وقد ايد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش اصحابها بجعلها مناطا لمعاش الاولياء فقيل **التي جعل الله لكم قياما** اي جعلها الله شيئا تقومون به وتنتعشون على حذف المفعول الاول فلو ضيعتموها لضيعتم وذلك في المبالغة حتى جعل ما به القيام نفس القيام فكأنها في انفسها قيامكم وانتعاشكم • وقيل انما اضيفت الى الاولياء لانها من جنس ما يقيم الناس به معايشهم حيث لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التي هي معنى ما يتقوم به المعاش وتميل اليه القلوب ويدخر لاوقات الاحتياج وهي بهذا الاعتبار لا تختص باليتامى • وانت خبير بان ذلك بمعزل من حمل الاولياء على المحافظة المذكورة كيف لا والوحدة الجنسية لما ليست مختصة بما بين اموال اليتامى واموال الاولياء بل هي متحققة بين اموالهم واموال الاجانب فاذن لا وجه لاعتبارها اصلا • وقرئ اللاتي واللواتي • وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا • وقرئ قواما بكسر القاف وهو ما يقام به الشيء او مصدر قاوم • وقرئ بفتحها **وارزقوهم فيها واكسوهم** اي واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها حتى تكون نفقاتهم من الارباح لا من صلب المال • وقيل الخطاب لكل احد كائنا من كان والمراد نهيه عن ان يفوض امر ماله الى من لا رشد له من نسائه واولاده ووكلائه وغير ذلك • ولا يخفى ان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم **وقولوا لهم قولا معروفا** اي كلاما لينا تطيب به نفوسهم • وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج عدوهم عدة جميلة بان تقولوا اذا صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وكل ما سكنت اليه النفس لحسنه شرعا او عقلا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه شرعا او عقلا فهو منكر **وابتلوا اليتامى** شروع في تعيين وقت تسليم اموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بايتائها على الاطلاق والنهي عنه عند كون اصحابها سفهاء اي واختبروا من ليس منهم بين السفه • وقيل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فان كانوا من اهل التجارة فبان تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان كانوا ممن له ضياع واهل وخدم فبان تعطوهم منه ما يصرفونه الى نفقة عبيدهم وخدمهم واجرائهم وسائر مصارفهم حتى يتبين لكم كيفية احوالهم **حتى اذا بلغوا النكاح** بان يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح **فان آنستم** اي شاهدتم وتبينتم • وقرئ احستم بمعنى احسستم • كما في قول من قال •

خلا ان العتاق من المطايا • احسن به فهن اليه شوس •

منهم رشدا اي اهتداء الى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير • وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر او للاعتناء بشأنه والتنوين للدلالة على كفاية رشد في الجملة • وقرئ بفتحة الراء والشين وبضمهما **فادفعوا اليهم اموالهم** من غير تأخير عن حد البلوغ وفي ايثار الدفع على الايتاء الوارد في اول الامر ايذان بتفاوتهما وتهذيب

المعنى كما اشير اليه فيما سلف • ونظم الآية الكريمة الاتي هي التي يقع بعدها الجمل كالتي في قوله •

فما زالت القتلى تمج دماءها • بدجلة حتى ماء دجلة اشكل •

وما بعدها من الجملة الشرطية جعلت غاية للابتلاء وفعل الشرط بلغوا وجواب الشرطية الثانية • كأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم • وظاهر الآية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع اليه ماله ابدا • وبه اخذ ابو يوسف ومحمد رحمهما الله • وقال ابو حنيفة رحمه الله ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لما قال عليه الصلاة والسلام مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله اونس منه الرشد او لم يؤنس **ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا** اي مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا والجملة تأكيد للامر بالدفع وتقرير لها وتمهيد لما بعده من قوله تعالى **ومن كان غنيا فليستعفف** اي من كان من الاولياء والاوصياء غنيا فليتنزه عن اكلها وليقتنع بما آتاه الله تعالى من الغنى والرزق اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله **ومن كان** من الاولياء والاوصياء **فقيرا فليأكل بالمعروف** بقدر حاجته الضرورية واجرة سعيه وخدمته وفي لفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف ما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها • عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له عليه الصلاة والسلام ان في حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ولي اليتيم قال له أفأشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب • وعن محمد بن كعب رحمه الله يتقرم كما تتقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه • وعن الشعبي رحمه الله يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي • وعن مجاهد رحمه الله يستسلف فاذا ايسر ادى • وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل • وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني انزلت نفسي من مال الله عز وجل منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف • واذا ايسرت قضيت • واستعف [illegible] كان يطلب زيادة العفة **فاذا دفعتم اليهم اموالهم** بعدما راعيتم الشرائط المذكورة وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام به **فاشهدوا عليهم** بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لما ان ذلك ابعد من التهمة وانفى للخصومة وادخل في الامانة وبراءة الساحة وان لم يكن ذلك واجبا عند اصحابنا فان الوصي مصدق في الدفع مع اليمين خلافا لمالك والشافعي رحمهما الله **وكفى بالله حسيبا** اي محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون** شروع في بيان احكام المواريث بعد بيان احكام اموال

اليتامى المنتقلة اليهم بالارث • والمراد بالاقربين المتوارثون منهم ومن في مما متعلقة بمحذوف
وقع صفة لنصيب اي لهم نصيب كائن مما ترك وقد جوز تعلقه بنصيب وللنساء نصيب مما
ترك الوالدان والاقربون ايراد حكمهن على الاستقلال دون الدرج في تضاعيف احكامهم بان يقال
للرجال والنساء الخ للاعتناء بامرهن والايذان باصالتهن في استحقاق الارث والاشارة
من اول الامر الى تفاوت ما بين نصيبي الفريقين والمبالغة في ابطال الحكم الجاهلية فانهم ما كانوا
يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة • روي ان اوس بن ثابت
الانصاري رضي الله عنه خلف زوجته ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة
او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله تعالى فنزلت فارسل اليهما ان الله تعالى قد جعل
لهن نصيبا ولم يبين فلا تفرقا من مال اوس شيئا فنزلت يوصيكم الله في اولادكم الى
آخره فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان
عن الخطاب • وقوله تعالى مما قل منه او كثر بدل من ما الاخير باعادة الجار واليها يعود الضمير
المجرور وهذا البدل مراد في الجملة الاولى ايضا محذوف للتعويل على المذكور وفائدته دفع
توهم اختصاص بعض الاموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال وتحقيق ان لكل
من الفريقين حقا من كل ما جل ودق نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى
فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة او على الحالية اذ المعنى ثبت لهم نصيب كائن مما ترك
الوالدان والاقربون حال كونه مفروضا او على الاختصاص اي اعني نصيبا مقطوعا مفروضا
واجبا لهم • وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا حضر القسمة
اي قسمة التركة وانما قدمت مع كونها مفعولا
لانها المبحوث عنها ولان في الفاعل تعددا فلو روعي الترتيب يفوت تجاذب اطراف الكلام اولوا
القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين من الاجانب فارزقوهم منه اي اعطوهم شيئا من المال
المقسوم المدلول عليه بالقسمة وقيل الضمير لما وهو امر ندب كلف به البالغون من الورثة تطييبا
لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا عليهم وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه وقولوا لهم
قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم •
وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه في امر
اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او لمن حضر المريض من
العواد عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم
فلا يتركوا ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء
الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل
يجوزون حرمانهم او للموصين ان ينظروا الى الورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزها صلة
الذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ورثة ضعافا خافوا عليهم
الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب
لاولاد غيره ما يحب لاولاد نفسه وتهديد للمخالف بحال اولاده • وقرئ ضعفا وضعافى وضعافى

فليتقوا

فليتقوا الله في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي
هي غاية الخشية بعدما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول بدون الثاني ثم
امرهم بان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده
من الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري
القسمة عذرا ووعدا حسنا او يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى تجاوز الثلث ان الذين
يأكلون اموال اليتامى استئناف جيء به لتقرير مضمون ما فصل من الاوامر والنواهي
ظلما اي على وجه الظلم او ظالمين انما يأكلون في بطونهم اي ملء بطونهم نارا اي ما يجر الى النار
ويؤدي اليها • وعن ابي برزة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يبعث الله قوما
من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال عليه الصلاة والسلام الم تر ان الله تعالى
يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا
اي سيدخلون نارا هائلة مبهمة الوصف • وقرئ بضم اليا مخففا ومشددا من الاصلا
والتصلية • يقال صلي النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها
والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها • روي ان آكل مال اليتيم يبعث
يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه
كان يأكل مال اليتيم في الدنيا • وروي انه لما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس
فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الامر على اليتامى فنزل قوله تعالى وان
تخالطوهم فاخوانكم الآية يوصيكم الله شروع في تفصيل احكام المواريث المجملة في قوله
عز وجل للرجال نصيب الى آخره واقسام الورثة ثلاثة قسم لا يسقط بحال وهم الآباء
والاولاد والازواج فهولاء قسمان • والثالث الكلالة اي يأمركم ويعهد اليكم في اولادكم
في اولادكم واحدا منكم اي في شأن ميراثهم بدأ بهم لانهم اقرب الورثة الى الميت واكثرهم
بقاء بعد المورث للذكر مثل حظ الانثيين جملة مستأنفة جيء بها لتبيين الوصية
وتفسيرها • وقيل محلها النصب بيوصيكم على ان المعنى يفرض عليكم ويشرع لكم وهذا الحكم
وهذا اقرب بان الايصاء فانه يجري مجرى القول عند بعض النحويين لا فعال المجازاة في حكاية الجملة بعده
ونظيره قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة الآية • وقوله
تعالى للذكر لا بد من ضمير عائد الى الاولاد محذوف ثقة بظهوره • كما في قولهم السمن منوان بدرهم
اي للذكر منهم • وقيل الالف واللام قائم مقامه • والاصل لان لكم منهم وصفت صفة لموصوف
محذوف اي للولد الذكر منهم مثل حظ الانثيين والبداية ببيان حكم الذكر لاظهار مزيته
على الانثى كما انها المناط في تضعيف حظه • وايثار اسمي الذكر والانثى على ما ذكر اولا من الرجال
والنساء للتنصيص على استواء الكبار والصغار من الفريقين في الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر
في ذلك اصلا كما هو زعم اهل الجاهلية حيث كانوا لا يورثون الاطفال كالنساء فان كن اي
الاولاد والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله تعالى نساء اي خلصا ليس معهن ذكر فوق اثنتين
خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك اي المتوفى المدلول عليه
بقرينة المقام وان كانت اي المولودة واحدة اي امرأة واحدة ليس معها اخ ولا اخت وقرئ

التعرض للموصوف لظهور ما سبق فلها النصف مما ترك وقرئ واحدةٌ على كان التامة واختلف
في الثنتين فقال ابن عباس رضي الله عنه حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما
وقال الجمهور حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان
معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب
بزيادة العدد رد ذلك بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما
استحقت الثلث مع اخيها الاقوى منها في الاستحقاق فلأن تستحقه مع مثلها اولى
واحرى وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض الله تعالى لهما الثلثين حيث قال تعالى
فلهما الثلثان مما ترك ولابويه اي لابوي الميت غير النظم الكريم لعدم اختصاص حكمه
بما قبله من الصور لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وسط بين المبتدا الذي هو قوله
تعالى السدس وبين خبره الذي هو لابويه ونقل الخبرية اليه تنصيصا على استحقاق كل منهما
السدس وتاكيدا له بالتفصيل بعد الاجمال وقرئ السدس بسكون الدال تخفيفا
وكذلك الثلث والربع والثمن مما ترك متعلق بمحذوف وقع حالا من السدس
والعامل الاستقرار المعتبر في الخبر اي كائنا مما ترك المتوفى ان كان له ولد او ولد ابن ذكرا
كان او انثى واحدا او متعددا غير ان الاب في صورة الانوثة بعد ما اخذ فرضه
المذكور ياخذ ما بقي من ذوي الفروض بالعصوبة فان لم يكن له ولد ولا ولد ابن وورثه
ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك والباقي للاب وانما لم يذكر لعدم الحاجة اليه
لانه لما فرض انحصار الوارث في ابويه وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وتخصيص
جانب الام بالذكر واحالة جانب الاب على دلالة الحال مع حصول البيان بالعكس
ايضا لما ان حظها اخصر واستحقاقه اتم واوفر ولان استحقاقه بطريق العصوبة
دون الفرض هذا اذا لم يكن معهما احد الزوجين اما اذا كان معهما ذلك فللام ثلث
ما بقي بعد فرض احدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس رضي الله عنه فانه يفضي الى تفضيل
الام على الاب مع كونه اقوى منها في الارث بدليل اضعافه عليها عند انفرادهما
عن احد الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع فان كان
له اخوة اي عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من جهة الابوين او من جهة
احدهما وسواء كانوا ذكورا او اناثا او مختلطين وسواء كان لهم ميراث او كانوا محجوبين بالاب
فلامه السدس واما السدس الذي حجبوها عنه فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه
وعليه الجمهور وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه لهم على كل حال ولا خلاف في ان الجمع
لا يتحقق بما دون الثلاث وبالاخوة الخلص وقرئ فلإمه بكسر الهمزة اتباعا لما قبلها
من بعد وصية خبر مبتدا محذوف والجملة متعلقة بما تقدم جميعا لا بما يليها وحده
اي هذه الانصباء من بعد اخراج وصية يوصي بها صفة مبينة للمحذوف والجملة متعلقة
جميعا بالتقدم حتما من الميت وقرئ مبنيا للمفعول مخففا ومبنيا للفاعل مشددا وفائدة
الوصف الترغيب في الوصية والندب اليها او دين عطف على وصية الا انه غير مقيد
بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة او الاقرار في الصحة

فايثار

وايثار او المبيح للاباحة على الواو للدلالة على تساويهما في الوجوب وتقدمهما على القسمة مجموعين
او منفردين وتقديم الوصية على الدين ذكرا مع تاخرها عنه حكما لاظهار كمال العناية
بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط في ادائها ولاطرادها بخلاف الدين اباؤكم وابناؤكم لا
تدرون ايهم اقرب لكم نفعا الخطاب للورثة واباؤكم مبتدا وابناؤكم عطف عليه ولا
تدرون خبره وايهم مبتدا واقرب خبره ونفعا نصب على التمييز منه وهو منقول من
الفاعلية كانه قيل ايهم اقرب لكم نفعه والجملة في حيز النصب بلا تدرون
والجملة الكبيرة اعتراضية مؤكدة لوجوب تنفيذ الوصية اي اصولكم وفروعكم
الذين يتوفون لا تدرون ايهم انفع لكم امن يوصي ببعض ماله فيعرضكم لثواب الاخرة بتنفيذ
وصيته امن لا يوصي بشيء فيوفر عليكم عرض الدنيا وليس المراد بنفي الدراية عنهم بيان
اشتباه الامر عليهم وكون انفعية كل من الاول والثاني في حيز الاحتمال عندهم من غير
رجحان احدهما على الاخر كما في قوله عليه الصلاة والسلام مثل امتي مثل المطر لا يدرى
اوله خير ام اخره فان ذلك بمعزل من افادة التاكيد المذكور والترغيب في تنفيذ الوصية
بل تحقيق انفعية الاول في ضمن التعريض بان لهم اعتقادا في انفعية الثاني مبنيا على عدم
الدراية وقد اشير الى ذلك حيث عبر عن الانفعية باقربية النفع تذكيرا لمناط زعمهم
وتعيينا لمنشا خطئهم ومبالغة في الترغيب المذكور بتصوير الثواب الاجل بصورة العاجل
لما ان الطباع مجبولة على حب الخير الحاضر كانه قيل لا تدرون ايهم انفع لكم فتحكمون نظرا الى
ظاهر الحال وقرب المنال بانفعية الثاني مع ان الامر بخلافه فان ثواب الاخرة لتحقق
وصوله الى صاحبه ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحياة الدنيا اقرب
واحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده وفنائه ابعد واقصى وقيل الخطاب للمورثين والمعنى
لا تدرون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم عاجلا واجلا فتحروا في شانهم ما امركم الله تعالى
به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة
من الاخر في الجنة سال ان يرفع اليه صاحبه فيرفع اليه بشفاعته فالجملة الاعتراضية
حينئذ مؤكدة لامر القسمة وانت خبير بانه مشعر بان مدار الارث ما ذكر من اقربية
النفع مع انه العلاقة النسبية فريضة من الله نصب على المصدر المؤكد لما قبله لفعل محذوف
اي فرض الله ذلك فرضا او نصب لقوله تعالى يوصيكم الله فانه في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله
كان عليما اي بالمصالح والرتب حكيما في كل ما قضى وقدر فيدخل فيه الاحكام المذكورة دخولا
اوليا ولكم نصف ما ترك ازواجكم من المال شروع في بيان احكام القسم الثاني من الورثة
ووجه تقديم حكم ميراث الرجال مما لا حاجة الى ذكره ان لم يكن لهن ولد اي ولد وارث من
بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى واحدا كان او متعددا لان لفظ الولد
ينتظم الجميع منكم او من غيركم والباقي لورثتهن من ذوي الفروض والعصبات او غيرهم
ولبيت المال ان لم يكن لهن وارث اخر اصلا فان كان لهن ولد على نحو ما فصل والعالم بتبيان
ما قلنا فان ذكر عدم تقدير الولد وبيان حكمه مستتبع لتقدير وجوده وبيان حكمه
فلكم الربع مما تركن من المال والباقي لباقي الورثة من بعد وصية متعلق بكلتا الصورتين

لابابيه وختام يوصين بها في محل الجر على انه صفة لوصية وفائدتها ما مر من ترغيب الموصي المنه
في الوصية وحث الورثة على تنفيذها او دين عطف على وصية سواء كان ثبوته بالبينة
او بالاقرار وايثار او على الواو لما مر من الدلالة على تساويهما في الوجوب والتقدم على القسمة
وكذا انتفاء اجزاء الوصية على الدين ذكرا لما ذكر من ابراز كمال العناية بتنفيذها ولهن
الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد على التفصيل المذكور انفا والباقي لبقية ورثتكم من
اصحاب الفروض والعصبات او ذوي الارحام او لبيت المال ان لم يكن لكم وارث اخر
اصلا فان كان لكم ولد على النحو الذي فصل فلهن الثمن مما تركتم من المال والباقي للباقين من
بعد وصية توصون بها او دين الكلام فيه كما فصل في نظيريه فرض للرجل بحق الزواج
ضعف ما فرض للمراة كما في النسب لمزيته عليها وشرفه الظاهر ولذلك اختص بشرف الخطاب
وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد
الام والمعتق والمعتقة وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل
شروع في بيان احكام القسم الثالث من الورثة المحتمل للسقوط ووجه تاخيره عن
الاولين بين والمراد بالرجل الميت وقوله تعالى يورث على البناء للمفعول من ورث لا من
اورث خبر كان اي يورث منه كلالة الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو
ذهاب القوة من الاعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها بالاضافة
الى قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين
بمعنى ذي كلالة كما تطلق على ذي القرابة ويجوز كونها صفة كالعاجر والشانة للاحمق
ونصبها اما على انها مفعول له اي يورث منه لاجل القرابة المذكورة او على انها حال من ضمير
يورث اي حال كونه ذا كلالة ليس له والد ولا ولد ومن قرئ يورث على البناء للفاعل مخففا
ومشددا فانتصاب كلالة اما على انها حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف اي يورث
وارثه حال كونه ذا كلالة واما على انها مفعول به اي يورث ذا كلالة واما على انها مفعول له اي يورث
لاجل الكلالة او امراة عطف على رجل مقيد بما قيد به اي او امراة تورث كذلك ولعل فصل
ذكرها عن ذكره للايذان بشرفه واصالته في الاحكام وله اي للرجل وفيه تاكيد للايذان
المذكور حيث لم يتعرض لها بعد جريان ذكرها ايضا وقيل الضمير لكل منهما اخ او اخت اي من الام
فحسب وقد قرئ كذلك فان احكام بني الاعيان والعلات هي التي ذكرت في اخر السورة الكريمة
والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير يورث او من رجل على تقدير كون يورث صفة له ومساقها
لتصوير المسئلة وذكر الكلالة لتحقيق جريان الحكم المذكور وان كان مع من ذكر ورثة
اخرى بطريق الكلالة ٭ واما جريانه في صورة وجود الام او الجدة مع ان قرابتهما ليست
بطريق الكلالة فبالاجماع فلكل واحد منهما من الاخ والاخت السدس من غير تفضيل للذكر
على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة فان كانوا اكثر من ذلك اي اكثر من الاخ
او الاخت المنفردين بواحد او بالكثير والفاء لما مر من ان ذكر احتمال الانفراد مستتبع لذكر احتمال
التعدد فهم شركاء في الثلث يقتسمونه بالسوية والباقي لبقية الورثة من اصحاب الفروض والعصبات
هذا وانما جوز ان يكون يورث في القراءة المشهورة مبنيا للمفعول من اورث على ان المراد به

الوارث والمعنى وان كان رجل يجعل وارثا لاجل الكلالة او ذا كلالة اي غير والد او ولد
ولكن لذلك الوارث اخ او اخت فلكل واحد من ذلك الوارث واخيه او اخته السدس ٭ فان كانوا
اكثر من ذلك اي من الاثنين بان كانوا ثلاثة او اكثر فهم شركاء في الثلث الموزع للاثنين لا يزاد
عليه في بعول من السدس اداما اولا فان المعتبر على ذلك التقسيم انما هي الاخوة بين الوارث
وبين شريكه في الارث من اخيه او اخته لا ما بينه وبين مورثه من الاخوة التي عليها يترتب
حكم الارث وبها يتم تصوير المسئلة وانما المعتبر بينهما الوراثة بطريق الكلالة وهي عامة
لجميع صور القرابات التي لا تكون بالولاد ٭ ومن ادعى اختصاصها بالاخوة متمسكا بالاجماع
على ان المراد بالكلالة اولاد الام فقد اعترف ببطلان رايه من حيث لا يحتسب كيف لا
ومبناه انما هو الاجماع على ان المراد بالاخوة في قوله تعالى وله اخ او اخت هو الاخوة لام خاصة
حسبما شهدت به القراءة المحكية والاية الاتية في اخر السورة الكريمة ولولا ان الرجل عبارة
من الميت والاخوة معتبرة بينه وبين ورثته لما امكن كون الكلالة ولادا لام ثم ان الكلالة
كما نصت عليه باقية على اطلاقها ليس شائبة اختصاص باولاد الام فعلى ما في الاجماع في ذلك
والانفراد انما كان على حكم صورة انحصار الورثة فيهم وانما الاجماع فيما ذكر من ان المراد بالاخ
بالاخ والاخت من كان لام خاصة ٭ وانت خبير بان ذلك في حق الاجماع على ان يورث من ورث
لا من اورث فتدبر واما ثانيا فلانه ينبغي ان يكون المعتبر في استحقاق الورثة للفرض المذكور
اخوة بعضهم لبعض من جهة الام فقط لما ذكر من الاجماع مع ثبوت الاستحقاق على تقدير الاخوة
من الجهتين واما ثالثا فلان حكم صورة انفراد الوارث من الاخ والاخت يبقى حينئذ غير
مبين ٭ وليس من ضرورة كون حظ كل منهما السدس عند الاجتماع كونه كذلك عند الانفراد
الا ترى الى حظ كل من الاختين لاب الثلث عند الاجتماع والنصف عند الانفراد واما رابعا فلان
تخصيص احد الورثة بالتوريث وجعل غيره تبعا له فيه مع اتحاد الكل في الادلاء الى المورث
مما لا عهد به من بعد وصية يوصى بها او دين الكلام فيه كالذي مر في نظائره خلا
ان الدين ههنا موصوف بوصف الوصية جريا على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف
عليه لاتفاق الجمهور على اعتبار عدم المضارة فيه ايضا وذلك انما يتحقق فيما يكون ثبوته
بالاقرار في المرض ٭ كانه قيل او دين يوصى به غير مضار حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه
المذكور وما حذف من المعطوف اعتمادا عليه كما ان رجال من قوله عز وجل يسبح له فيها
بالغدو والاصال رجال على قراءة المبني للمفعول فاعل لفعل ينبئ عنه المذكور من فاعل
الفعل المذكور والمحذوف اكتفاء به على قراءة البناء للفاعل اي يوصي بما ذكر من الوصية
والدين حال كونه غير مضار للورثة بان يوصي بما زاد على الثلث او تكون الوصية لقصد
الاضرار بهم دون القربة وبان يقر في المرض بدين كاذبا وتخصيص هذا القيد
بهذا المقام لما ان الورثة مظنة لتفريط الميت في حقهم وصية من الله مصدر مؤكد لفعل
محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع صفة له مؤكدة لفخامته الذاتية بالفخامة
الاضافية اي يوصيكم بذلك وصية كائنة من الله تعالى كقوله تعالى فريضة من الله ولعل
السر في تخصيص كل منهما بمحله الاشعار بما بين الاحكام المتعلقة بالاصول والفروع وبين

الاحكام المتعلقة بعينهم من التفاوت حسب تفاوت الفريضة والوصية وان كانت كلتاهما
واجبة المراعاة او منصوب بغير مضار على انه مفعول به فانه اسم فاعل معتمد على ذي الحال او منفي
معنى فيعمل في المفعول الصريح • ويعضده القراءة بالاضافة اي غير مضار لوصية من الله
وعهده لا في شان الاولاد فقط كما قيل اذ لا تعلق لهم بالمقام بل في شان الورثة المذكورين
هيهنا فان الاحكام المفصلة كلها مندرجة تحت قوله تعالى يوصيكم الله جارية مجرى
تفسيره وبيانه ومضارتها الاخلال بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث
والوصية لقصد الاضرار دون القربة والاقرار بالدين كاذبا وايقاعها على الوصية
مع ايقاعه على الورثة حقيقة • كما في قوله • يا سارق الليلة اهل الدار •
للمبالغة في الزجر عنها باخراجها مخرج مضارة امر الله تعالى ومضارته وجعل الوصية عبارة
عن الوصية بالثلث فما دونه يقتضي ان يكون غير مضار حالا من فاعل الفعل المتعلق بالوصية
فقط وذلك يؤدي الى الفصل بين الحال وعاملها باجنبي هو المعطوف على وصية مع انه
لا تحتم مادة المضارة لتعلقها بالاقرار بالدين على اطلاقه والله عليم بالمضار وغيره حليم
لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بالامهال وايراد الاسم الجليل مع كفاية الاضمار لادخال
الروعة وتربية المهابة تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في شؤون اليتامى والمواريث
وغيرها حدود الله اي شرائعه المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله في جميع
الاوامر والنواهي التي من جملتها ما فصل هيهنا واظهار الاسم الجليل لما ذكر انفا يدخله جنات
نصب على الظرفية عند الجمهور وعلى المفعولية عند الاخفش تجري من تحتها الانهار
صفة لجنات منصوبة حسب انتصابها خالدين فيها حال مقدرة من مفعول يدخله
وصيغة الجمع بالنظر الى جمعية من بحسب المعنى كما ان افراد الضمير بالنظر الى افراده لفظا وذلك
اشارة الى ما مر من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه الخلود • وما فيه من معنى البعد
للايذان بكمال علو درجته الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه ومعنى الفوز هو الظفر بالخير
بالعظم اما باعتبار مستقبله او باعتبار ذاته فان الفوز بالمنظم عظيم والجملة اعتراض ومن
يعص الله ورسوله ولو في بعض الاوامر والنواهي • قال مجاهد رحمه الله فيما اقتص من
المواريث • وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال
الله • وقال الكلبي يعني ومن يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا واظهاره
في موقع الاضمار للمبالغة في الزجر بتهويل الامر وتربية المهابة ويتعد حدوده شرائعه
المحدودة في جميع الاحكام فيندرج فيها ما نحن فيه دخولا اوليا يدخله وقرئ بنون العظمة
في الموضعين نارا عظيمة هائلة لا يقادر قدرها خالدا فيها حال كما سبق ولعل ايثار الافراد
هيهنا نظرا الى الظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظرا الى المعنى للايذان بان الخلود في دار الثواب
بصفة الاجتماع اجلب للانس لا يخفى ان الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد اشد في استجلاب
الوحشة وله عذاب مهين اي وله عذاب الحريق الجسماني عذاب اخر مبهم لا يعرف كنهه
وهو العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه والجملة حالية واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم
شروع في بيان بعض اخر من الاحكام المتعلقة بالنساء اثر بيان احكام المواريث واللاتي

جمع

جمع التي بحسب المعنى دون اللفظ • وقيل جمع على غير قياس • والفاحشة الفعلة القبيحة اريد بها
الزنا لزيادة قبحه والاتيان الفعل والمباشرة يقال اتى الفاحشة اي فعلها وباشرها وكذا
جاءها ورهقها وغشيها • وقرئ بالفاحشة فالاتيان بمعناه المشهور ومن متعلقة بمحذوف
وقع حالا من فاعل ياتين اي اللاتي يفعلن الزنا كائنات من نسائكم اي من ازواجكم • كما في قوله
تعالى والذين يظاهرون من نسائهم • وقوله تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم بهن وبه قال السدي
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما في حيز الصلة للحكم اي
فاطلبوا ان يشهد عليهن باتيانها اربعة من رجال المؤمنين واحرارهم فان شهدوا عليهن بذلك
فامسكوهن في البيوت اي فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن اي الى ان يستوفي ارواحهن
الموت وفيه تهويل للموت وابراز له في صورة من يتولى قبض الارواح وتوفيها او يتوفاهن ملائكة
الموت او يجعل الله لهن سبيلا اي يشرع لهن حكما خاصا بهن ولعل التعبير عنه بالسبيل للايذان
بكونه طريقا مسلوكا فليس فيه دلالة على كونه اخف من الحبس كما قاله ابو مسلم واللذان ياتيانها منكم
هما الزاني والزانية بطريق التغليب • قال السدي اريد بهما البكران منهما كما ينبئ عنه كون عقوبتهما
اخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار لكن انه يبقى حكم الزاني المحصن لاختصاص العقوبة
الاولى بالمحصنات وعدم ظهور الحاجة بما لحكميهما دلالة لخفاء الشركة في المناط فآذوهما اي
بالتوبيخ والتقريع وقيل بالضرب بالنعال وظاهره ان اجراء هذا الحكم انما يكون بعد الثبوت
لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر انفا فان تابا عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر
الاذية والتوبيخ كما ينبئ عنه الفاء واصلحا اي اعمالهما فاعرضوا عنهما بقطع الاذية والتوبيخ فان
التوبة والصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب • وقد يجوز ان يكون الخطاب للشهود الواقفين
على هناتهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الولاة وبالاعراض عنهما
ترك التعرض لهما بالرفع اليهم • قيل كانت عقوبة الزانيين المذكورين في اوائل الاسلام على ما
بين ثم نسخ بالحد • لما روي ان النبي عليه الصلاة والسلام قال خذوا عني قد جعل الله لهن
سبيلا الثيب ترجم والبكر تجلد • وقيل هذه الاية سابقة على الاولى نزولا وكانت
عقوبة الزناة مطلقا الاذى ثم الحبس ثم الجلد ثم الرجم • وقد جوز ان يكون الامر بالحبس غير
منسوخ بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن في البيوت بعد اقامة
الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال • ولا يخفى انه
لا يلائم النظم الكريم • وقال ابو مسلم وقد عزاه الى مجاهد ان الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين
وما في سورة النور في الزناة والزواني متمسكا بان المذكور في الاولى صيغة الاناث خاصة
وفي الثانية صيغة الذكور • ولا ضرورة الى المصير الى التغليب على انه لا امكان له في الاولى
ويأباه الامر باستشهاد الاربعة غير معهود في الشرع فيما عدا الزنا ان الله كان توابا مبالغا في قبول
التوبة رحيما واسع الرحمة وهو تعليل للامر بالاعراض انما التوبة على الله استئناف مسوق لبيان
ان قبول التوبة من الله تعالى ليس على اطلاقه كما ينبئ عنه وصفه تعالى بكونه توابا رحيما بل هو مقيد
بما سينطق به النص الكريم فقوله تعالى التوبة مبتدا وقوله تعالى للذين يعملون السوء بجهالة
وقوله تعالى على الله متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار الكائن فيه الجار والمجرور وعلى هنا للمعنى في

لا نزاع في جوازه وكذا الظرف او محذوف وقع حالا من ضمير المستكن فيما تعلق به الخبر
على راي من جوز تقديم الحال على عاملها عند كونه ظرفا او حرف جر كما سبق في تفسير قوله تعالى
ولله على الناس حج البيت • واياما كان فمعنى كون التوبة عليه سبحانه صدور القبول عنه تعالى
وكلمة على للدلالة على التحقيق البتة بحكم جري العادة وسبق الوعد حتى كانه من الواجبات
عليه سبحانه ومنه اسناد من قال لك على بمعنى من • وبمعنى عند • وعن الحسن يعني التوبة التي يقبلها
الله تعالى • وقيل اي التوبة التي اوجب الله تعالى على نفسه بفضله قبولها وقيل انه بمعنى الى اي ان
توله تعالى منه للتوبة نفعه بمتعلقه معرفة على راي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اي
انما التوبة الكائنة على الله تعالى • والمراد بالسوء المعصية صغيرة كانت او كبيرة • وقيل الخبر على الله
وقوله تعالى للذين متعلق به الخبر محذوف وقع حالا من الضمير المستكن في متعلق الخبر ولا يقدح فيه
ما في الوجه الاول من تقديم الحال على العامل المعنوي الا ان الذي يقتضيه المقام ويستدعيه
النظام هو الاول لما ان ما قبله من وصفه تعالى بكونه توابا رحيما انما يقتضي بيان اختصاص
قبول التوبة منه تعالى بالمذكورين وذلك انما يكون بجعل قوله تعالى للذين الى آخره خبرا • الا
ترى الى قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات فانه ناطق بما قلنا كانه قيل انما التوبة
لهؤلاء لا لهؤلاء **بجهالة** متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يعملون اي يعملون السوء ملتبسين بها اي
جاهلين سفهاء او بيعملون على ان الباء للسببية اي يعملون بسبب الجهالة لان ارتكاب الذنب مما
يدعو اليه الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوءا بل عدم التفكر في العاقبة كما يفعله الجاهل
قال قتادة اجمع اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ان كل ما عصي به ربه فهو جهالة عمدا كان او
خطا • وعن مجاهد رحمه الله من عصى الله تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته • وقال الزجاج يعني
بقوله بجهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية **ثم يتوبون من قريب** اي من زمان قريب
وهو ما قبل حضور الموت كما ينبئ عنه ما سياتي من قوله تعالى حتى اذا حضر الى اخره فانه صريح في ان وقت
الاحتضار هو الوقت الذي لا يقبل فيه التوبة فبقي ما وراءه في حيز القبول • وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قبل ان ينزل به سلطان الموت • وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب • وعن
ابراهيم النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وهو مجرى النفس • وروى ابو ايوب عن النبي عليه الصلاة والسلام
ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ولو قبل موته بفواق ناقة • وعن الحسن رحمه الله
ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن ادم ما دام روحه في جسده فقال
وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر ومن تبعيضية اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمي
ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو
تائب **فاولئك** اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه من معنى البعد باعتبار
كونهم بانقضاء ذكرهم في حكم البعيد والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام او لكل احد ممن
يصلح للخطاب وهو مبتدا خبره قوله تعالى **يتوب الله عليهم** وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية
الحكم ومعناه وعد بقبول توبتهم اثر بيان ان التوبة لهم والفاء للدلالة على سببيتها للقبول **وكان
الله عليما حكيما** مبالغا في العلم والحكمة فيبني احكامه وافعاله على اساس الحكمة والمصلحة والجملة
اعتراضية مقررة لمضمون ما قبلها • واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان

الالوهية

الالوهية مناط لاتصافه تعالى بصفات الكمال **وليست التوبة للذين يعملون السيئات** تصريح
بما فهم من قصر القبول على توبة من تاب من قريب وزيادة تعيين له ببيان ان التوبة من عداهم بمنزلة
العدم وجمع السيئات باعتبار تكررها وقوعها في الزمان المديد لان المراد بها جميع انواعها وبما هي
من السوء منها **حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان** حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية بعدها
غاية لما قبلها اي ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات الى حضور موتهم وقولهم حينئذ اني تبت
الان وذكر الان لمزيد تعيين الوقت • وايثار قال على تاب لاسقاط ذلك عن درجة الاعتبار
والتحاشي عن تسميته توبة **ولا الذين يموتون وهم كفار** عطف على الموصول الذي قبله اي ليس قبول
التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء وانما ذكر هؤلاء مع انه لا توبة لهم رأسا مبالغة في بيان عدم قبول
توبة المسوفين وايذانا بان وجودها كعدمها بل في تكرير حرف النفي في المعطوف اشعار خفي بكون
حال المسوفين في عدم استتباع الجدوى اقوى من حال الذين يموتون على الكفر • والمراد
بالموصولين اما الكفار خاصة واما الفساق وحدهم وتسميتهم في الجملة الحالية كفارا للتغليظ
في قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين • واما ما يعم الفريقين جميعا فالتسمية حينئذ
للتغليب • ويجوز ان يراد بالاول الفسقة وبالثاني الكفرة فيتبينه مبالغة اخرى **اولئك**
اشارة الى الفريقين وما فيه من معنى البعد للايذان بتراخي حالهم وفي الفظاعة وبعد منزلتهم
في السوء وهو مبتدا خبره **اعتدنا لهم** اي هيانا لهم **عذابا اليما** تكرير الاسناد لما مر من تقوية
الحكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بكون العذاب معدا لهم
وتنكير العذاب ووصفه للتفخيم الذاتي والوصفي **يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا
النساء كرها** كان الرجل اذا مات قريبه يلقي ثوبه على امراته او على خبائها ويقول ارث امراته
كما ارث ماله فيصير بذلك احق بها من كل احد ثم ان شاء تزوجها بلا صداق غير الصداق الاول
وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت
من زوجها • وان ذهبت المراة الى اهلها قبل ان يلقي الثوب فهي احق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل
لهم لا يحل لكم ان تاخذوهن بطريق الارث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات
عليه • وقيل كانوا يمسكونهن حتى يمتن ويرثوا منهن فقيل لهم لا يحل لكم ذلك وهن غير راضيات
بامساككم • وقرئ لا تحل بالتاء الفوقانية على ان ان ترثوا بمعنى الوراثة • وقرئ كرها بالضم
وهو لغة كالضعف والضعف وكان الرجل اذا تزوج امراة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة
والقهر وضيق عليها لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل لهم **ولا تعضلوهن** عطفا على ان ترثوا ولا لتاكيد
النفي والخطاب للازواج والعضل الحبس والتضييق • ومنه عضلت المراة بولدها اذا اختنق
رحمها فخرج بعضه وبقي بعضه اي ولا ان تضيقوا عليهن **لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن** اي من الصداق
بان يدفعن اليكم بعضه اضطرارا فتاخذوه منهن وانما لم يتعرض لفعلهن ايذانا بكونه بمنزلة
العدم لصدوره عنهن اضطرارا وانما عبر عن ذلك بالذهاب به لا بالاخذ ولا بالاذهاب للمبالغة
في تقبيحه ببيان تضمنه لامرين كل منهما محظور شنيع الاخذ والاذهاب لانه عبارة عن الذهاب
مستصحبا به **الا ان ياتين بفاحشة مبينة** على صيغة الفاعل من بين بمعنى تبين • وقرئ على صيغة المفعول
وعلى صيغة الفاعل من ابان بمعنى تبين اي بينة القبح من النشوز وسوء الخلق وايذاء الزوج واهله

بالبذاء والسلاطة ويعضده قراءة أبي إلا أن يفحشن عليكم • وقيل الفاحشة الزنا وهو استثناء من
أعم الأحوال أو أعم الأوقات أو أعم العلل أي ولا تعضلوهن في حال من الأحوال أو في وقت
من الأوقات أو لعلة من العلل إلا في حال إتيانهن بها أو إلا لإتيانهن بها فإن السبب حينئذ
يكون من جهتهن وأنتم معذورون في طلب الخلع **وعاشروهن بالمعروف** خطاب للذين يسيئون
العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة • والمراد ههنا النصفة في المبيت
والنفقة والإجمال في المقال ونحو ذلك **فإن كرهتموهن** وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من
غير أن يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الأمور المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس
واصبروا على معاشرتهن **فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** علة للجزاء أقيمت مقامه للإيذان
بقوة استلزامها إياه • كأنه قيل فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه
خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر أي فقد قربت
كراهتكم شيئا وجعل الله فيه خيرا كثيرا فإن النفس ربما تكره ما هو أصلح في الدين وأحمد عاقبة
وأدنى إلى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم إلى ما فيه خير وصلاح دون ما تهوى
أنفسكم وذكر الفعل الأول مع الاستغناء عنه وانحصار العلية في الثاني للتوسل إلى تعميم مفعوله
ليفيد أن ترتيب الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصا بمكروه دون مكروه بل هو سنة إلهية جارية
على الإطلاق حسب اقتضاء الحكمة وأن ما نحن فيه مادة من موادها وفيه من المبالغة في الحمل
على ترك المفارقة وتعميم الإرشاد ما لا يخفى • وقرئ ويجعل مرفوعا على أنه خبر لمبتدأ محذوف
والجملة حالية وتنوين خيرا للتفخيم الذاتي والوصف بالكثرة لبيان فخامته الوصفية والمراد
به ههنا الولد الصالح **وإن أردتم استبدال زوج** أي تزوج امرأة ترغبون فيها **مكان زوج**
ترغبون عنها بأن تطلقوها **وآتيتم إحداهن** أي إحدى الزوجات فإن المراد بالزوج هو الجنس
والجملة حالية بإضمار قد لا معطوفة على الشرط أي وقد آتيتم التي تريدون أن تطلقوها **قنطارا**
أي مالا كثيرا **فلا تأخذوا منه** أي من ذلك القنطار **شيئا** يسيرا فضلا عن الكثير **أتأخذونه
بهتانا وإثما مبينا** استئناف مسوق لتقرير النهي والتنفير عن المنهي عنه والاستفهام للإنكار
والتوبيخ أي أتأخذونه باهتين وآثمين أو للبهتان والإثم فإن أحدهم كان إذا تزوج امرأة بهت
التي تحته بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك
والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك
فسر ههنا بالظلم • وقوله عز وجل **وكيف تأخذونه** إنكار لأخذه إثر إنكار وتنفير عنه غب تنفير
وقد بولغ فيه حيث وجه الإنكار إلى كيفية الأخذ إيذانا بأنه لا سبيل له إلى التحقق والوقوع
أصلا لم يكن له حظ من الوجود قطعا • وقوله عز وجل **وقد أفضى بعضكم إلى بعض** حال من فاعل
تأخذونه مفيدة لتأكيد النكير وتقرير الاستبعاد أي على أي حال أو في أي حال تأخذونه
والحال أنه قد جرى بينكم وبينهن أحوال منافية له من الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق
خدمتهن لكم وغير ذلك **وأخذن منكم ميثاقا غليظا** عطف على ما قبله داخل في حكمه أي
أخذن منكم عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة أو ما أوثق الله تعالى عليهم في شأنهن بقوله تعالى فإمساك
بمعروف أو تسريح بإحسان أو ما أشار إليه النبي عليه الصلاة والسلام أخذتموهن بأمانة الله

تعالى واستحللتم فروجهن **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم** شروع في بيان ما يحرم نكاحها من النساء ومن
لا يحرم وإنما خص هذا النكاح بالنهي عنه ولم ينتظم في سلك نكاح المحرمات الآتية مبالغة في الزجر
حيث كانوا مصرين على تعاطيه • قال ابن عباس رضي الله عنه وجمهور المفسرين كان أهل الجاهلية
يتزوجون بأزواج آبائهم فنهوا عن ذلك واسم الآباء ينتظم الأجداد فتثبت حرمة ما نكحوه
نصا وإجماعا ويستقل في إثبات هذه الحرمة نفس النكاح إذا كان صحيحا • فأما إذا كان فاسدا فلا
بد في إثباتها من الوطء أو ما يجري مجراه من التقبيل واللمس بشهوة ونحوهما بل هو المثبت في الحقيقة
حتى لو وقع شيء من ذلك بحكم ملك اليمين أو بالوجه المحرم تثبت به الحرمة عندنا خلافا للشافعي رحمه الله
في الحرام أي لا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وإيثار ما على من للذهاب إلى الوصف • وقيل ما مصدرية
على إرادة المفعول من المصدر **من النساء** بيان لما نكح على الوجهين **إلا ما قد سلف** استثناء مما نكح مفيد
للمبالغة في التحريم بإخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال على طريقة قوله •

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب •

والمعنى لا تنكحوا حلائل آبائكم إلا من ماتت منهن والمقصود سد طريق الإباحة بالكلية ونظيره
قوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط • وقيل هو استثناء مما يستلزمه النهي ويستوجبه مباشرة
المنهي عنه كأنه قيل لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فإنه موجب للعقاب إلا ما قد سلف • وقيل
هو استثناء منقطع • معناه لكن ما قد سلف لا تؤاخذون عليه لأنه معفو عنه وأما قوله تعالى **إنه
كان فاحشة ومقتا** فإنه تعليل للنهي وبيان لكون المنهي عنه في غاية القبح مبغوضا أشد البغض
وأنه لم يزل في حكم الله تعالى وعلمه موصوفا بذلك ما رخص فيه لأمة من الأمم فلا يلائم أن يتوسط بينهما ما
يهون أمره من ترك المؤاخذة على ما سلف منه **وساء سبيلا** في ساء قولان أحدهما أنها جارية مجرى
بئس في الذم والعمل ففيها ضمير مبهم يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف تقديره وساء
سبيلا سبيل ذلك النكاح كقوله تعالى بئس الشراب أي ذلك الماء وثانيهما أنها كسائر الأفعال
وفيها ضمير يعود إلى ما عاد إليه ضمير إنه وسبيلا تمييز والجملة إما مستأنفة لا محل لها من الإعراب
أو معطوفة على خبر كان محكية بقول مضمر هو المعطوف في الحقيقة • تقديره ومقولا في حقه
ساء سبيلا فإن السنة الإلهية لأمر كافة لم تزل ناطقة بذلك في الأعصار والأمصار • قيل مراتب
القبح ثلاث • القبح العقلي • والقبح الشرعي • والقبح العادي • وقد وصف الله تعالى هذا النكاح
بكل ذلك فقوله تعالى فاحشة مرتبة قبحه العقلي • وقوله تعالى ومقتا مرتبة قبحه الشرعي • وقوله
تعالى وساء سبيلا مرتبة قبحه العادي • وما اجتمع فيه هذه المراتب فقد بلغ أقصى مراتب القبح
حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت ليس المراد
تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن وما يقصد به من التمتع وبيان امتناع ورود ملك النكاح عليهن
وانتفاء محليتهن له رأسا • وأما حرمة التمتع بهن بملك اليمين في المواد التي يتصور فيها قرار الملك
كما في بعض أفراد المعطوفات فإنما هي ثابتة بدلالة النص لاتحاد المدار الذي هو عدم
محلية أبضاعهن للملك لا بعبارته لشهادة النظم الكريم وسياقه وأن لم يوجب المدار المذكور
امتناع ورود ملك اليمين عليهن رأسا ولا حرمة لسببه الذي هو العقد أو ما يجري مجراه كما
أوجب حرمة عقد النكاح وامتناع ورود حكمه عليهن لأن مورد ملك اليمين ليس هو البضع

الذي هو مورد ملك النكاح حتى يفوت بفوات محليته له كما لا النكاح فانه حيث كان مورده فلذلك
كان يفوت بفوات محليته له قطعا واما مورد الرقبة الموجودة في الرقيق فيتحقق بتحققه جامع لم يرد له
بوقوع العتق في الموارد التي سبب حرمتها على القرابة النسبية كالمذكورات وبقي في البواقي على حاله
مستتبعا لجميع احواله المعهودة منه شرعا واما حال الوطي فليس من تلك الاحكام فلا يخشى في
تخلفه عنه كما في المجوسية والامهات تعم الجدات وان علون والبنات تتناول بنات بناتهن وان
سفلن والاخوات ينتظمن الاخوات من الجهات الثلاث وكذا الباقيات العمة كل انثى ولدها
من ولد والدك والخالة كل انثى ولدها من ولد والدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات
الاخت تتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله تعالى الرضاعة
منزلة النسب حتى سمي المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه
واخته عمته وكل ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه
وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه
وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام يحرم
من الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كلي جار على عمومه واما ام اخيه لاب واخت ابنه لام
وام ام ابنه وام عمه وام خاله لاب فليست حرمتهن من جهة النسب حتى تحل بعمومه ضرورة
حلهن في صور الرضاع بل من جهة المصاهرة الاترى ان الاولى موطوءة ابيه والثانية بنت
موطوءته والثالثة ام موطوءته والرابعة موطوءة جده الصحيح والخامسة موطوءة جده
الفاسد وامهات نسائكم شروع في بيان المحرمات من جهة المصاهرة التي لها لحمة كلحمة النسب
والمراد بالنساء المنكوحات مطلقا للاطلاق سواء كن مدخولا بهن او لا وعليه جمهور العلماء وقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه لا
بأس بان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس
العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس رضي الله عنه ابهموا
ما ابهم الله الا انه روي عنه وعن علي وزيد وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم انهم قرأوا وامهات
نسائكم اللاتي دخلتم بهن وعن جابر رضي الله عنه روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد انه
اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل
اقام الموت في ذلك مقام الدخول كما قام مقامه في باب المهر والعدة ويلحق بهن الموطوءات بوجه
من الوجوه المعدودة فيما سبق والممسوسات ونظائرهن والامهات تعم الجدات حسبما ذكر
وربائبكم اللاتي في حجوركم الربائب جمع ربيبة فعيلة بمعنى مفعول والتاء للنقل الى الاسمية
والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه يربه غالبا كما يرب ولده وان لم يكن ذلك امرا مطردا
وهو المعني بكونهن في الحجور فان شأنهن الغالب المعتاد ان يكن في حضانة امهاتهن تحت حماية
ازواجهن لا كونهن كذلك بالفعل وفائدة وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة وتكميلها كما انها
النكتة في ايرادهن باسم الربائب دون بنات النساء فان كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف
التقلب في حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم مما يقوي الملابسة والشبهة بينهن وبين اولادهم
ويستدعي اجراءهن مجرى بناتهم لا تقييد الحرمة بكونهن في حجورهم بالفعل كما روي عن علي رضي الله عنه

وبه

وبه اخذ داود وهو مذهب جمهور العلماء خلا ما ذكر ولا يساعده ما في قوله تعالى من نسائكم
اللاتي دخلتم بهن فانه لتقييد ما به قطعا فان كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم
اللاتي استقررن في حجوركم كائنات من نسائكم الخ ولا مساغ لجعله حالا من امهات او نعتا لها
في الصفة خاصة وهو بين لا سترة به ولا منع ما ذكر ولا ضرورة ان حاليته من ربائبكم او من
ضميرها تستدعي كون كلمة من ابتدائية وحاليته من امهات او نسائكم تستدعي كونها بيانية
وادعاء كونها اتصالية منتظمة لمعنى الابتداء والبيان وحمل الموصول صفة للنساء مع
اختلاف عاملهما مما يجب ساحة التنزيل عن امثاله مع انه يتسنى في اشكال ما نطق به النبي
عليه الصلاة والسلام واتفق عليه الجمهور حسبما ذكر فيما قبل واما ما نقل من القراءة
فمتضعيفة بالرواية وعلى تقدير الصحة محمول على النسخ ومعنى الدخول بهن ادخالهن الستر
والباء للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفي حكمه اللمس ونظائره
كما مر فان لم تكونوا دخلتم بهن اصلا فلا جناح عليكم اي في نكاح الربائب وهو تصريح
بما اشعر به ما قبله والفاء الاولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان بيان حكم الدخول مستتبع
لبيان حكم عدمه وحلائل ابنائكم اي زوجاتهم سميت بذلك لحلها لهم او لحلولها
في محله وقيل لحل كل منهما ازار صاحبه وفي حكمهن من يباشرونهن ممن يجري مجراهن من الممسوسات
ونظائرهن وقوله تعالى الذين من اصلابكم لاخراج الادعياء دون ابناء الاولاد والابناء من
الرضاع فانهم وان سفلوا في حكم الابناء الصلبية وان تجمعوا بين الاختين في حيز الرفع عطفا
على ما قبله من المحرمات والمراد به جمعهما في النكاح لا في ملك اليمين واما جمعهما في الوطي
بملك اليمين فيلحق به بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار ولقوله عليه الصلاة والسلام من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمع ماءه في رحم اختين بخلاف نفس ملك اليمين فانه ليس في معنى الافضاء
الى الوطي ولا مستلزما له وبذلك يقع شبه المجوسية دون نكاحهما حتى لو وطئهما لا يحل
له وطي احديهما حتى يحرم عليه وطي الاخرى بسبب من الاسباب وكذا لو تزوج اخت امته
الموطوءة لا يحل له وطي احديهما حتى يحرم عليه الاخرى لان المنكوحة موطوءة حكما فكانه جمعهما
وطئا واسناد الحرمة الى جمعهما لا الى الثانية منهما بان يقال واخوات نسائكم للاحتراز
عن افادة الحرمة المؤبدة كما في المحرمات السابقة ولكونه بمعزل من الدلالة على حرمة
الجمع بينهما على سبيل المعية ويندرج في هذا الحكم الجمع بين المرأة وعمتها ونظائرها فان مدار حرمة
الجمع بين الاختين افضاؤه الى قطع ما امر الله به ان يوصل وذلك متحقق في الجمع بين هؤلاء
بل اولى فان العمة والخالة بمنزلة الام ولقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المرأة على عمتها ولا على
خالتها ولا على ابنة اخيها ولا على ابنة اختها فهو من قبيل بيان التفسير لا بيان التغيير وقيل هو
مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب الا ما قد سلف استثناء منقطع اي لكن ما قد مضى لا تؤاخذون
به ولا سبيل الى جعله متصلا لتقتضي التأكيد والمبالغة كما مر فيما سلف لما في قوله تعالى
ان الله كان غفورا رحيما تعليل لما افاده الاستثناء من الانقطاع وقال عطاء والسدي
معناه الا ما كان من يعقوب عليه السلام فانه قد جمع بين ليا ام يهوذا وبين راحيل ام يوسف
ولا يساعده التعليل لان ما فعله يعقوب عليه السلام كان حلالا في شريعته وقال ابن

عباس رضي الله عنهما كان اهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله تعالى الا امراة الاب والجمع بين الاختين • وروى هشام رحمه الله عن محمد ابن الحسن انه قال كان اهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات الا اثنتين نكاح امراة الاب والجمع بين الاختين • الا ترى انه قد عقب النهي عن كل منهما بقوله تعالى الا ما قد سلف • ولعل التشبيه لكون الاستثنائين على سنن واحد وبابه اختلاف التعليل **والمحصنات** بفتح الصاد وهن ذوات الازواج احصنهن التزوج او الازواج والاولياء اي اعففهن عن الوقوع • وقرئ على صيغة اسم الفاعل فانهن احصن فروجهن عن غير ازواجهن او احصن ازواجهن • وقيل الصيغة للفاعل في القراءة الاولى ايضا وفتح الصاد محمول على الشذوذ كما في نظيريه ملقح ومسهب من القح واسهب وقد ورد الاحصان في القران بازاء اربعة معان • الاول التزوج كما في هذه الاية الثانية العفة كما في قوله تعالى محصنين غير مسافحين • الثالثة الحرية كما في قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما في قوله تعالى فاذا احصن • قيل في تفسيره اي اسلمن وهي معطوفة على المحرمات السابقة • وقوله تعالى **من النساء** متعلق بمحذوف وقع حالا منها اي كائنات من النساء وفائدته تاكيد عمومها ودفع توهم شمولها للرجال بناء على كونها صفة للانفس كما توهم **الا ما ملكت ايمانكم** استثناء من المحصنات استثناء النوع من الجنس اي مملوكاتكم • واسناد الملك الى الايمان لما انها الغالب الة الصفقة الواقعة بها وكما انه بني ذلك بالاسيما في ايمانهم وهي المراد ان ههنا رعاية للمقابلة بينه وبين ملك النكاح الوارد على الحرائر والتعبير عنهن بما لاسقاطهن لما فيهن من قصور الرق عن رتبة العقلاء وهي اما عامة حسب عموم صلتها فالاستثناء حينئذ لاخراج جميع افرادها من حكم التحريم بطريق شمول النفي بل بطريق نفي الشمول المستلزم لاخراج بعضها اي حرمت عليكم المحصنات على الاطلاق الا المحصنات اللاتي ملكتموهن فانهن ليس من المحرمات على الاطلاق بل منهن من لا يحرم نكاحهن في الجملة وهن المسبيات بغير ازواجهن او مطلقا حسب اختلاف الرايين واما خاصة بالمذكورات فالمعنى حرمت عليكم المحصنات الا اللاتي سبين فان نكاحهن مشروع في الجملة اي لغير مالكهن واما حلهن لمالكهن بحكم ملك اليمين فمفهوم بدلالة النص لاتحاد المناط لا بعبارته لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان حرمة التمتع بالمحرمات المعدودة بحكم ملك النكاح وانما ثبوت حرمة التمتع بهن بحكم ملك اليمين بطريق دلالة النص ولذلك لم يجر فيه الاستثناء قطعا واما عدهن من ذوات الازواج مع تحقق الفرقة بينهن وبين ازواجهن قطعا بالتباين او بالسبي على اختلاف الرايين فمبني على اعتقاد الناس حيث كانوا حينئذ غافلين عن الفرقة الا يرى الى ما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه من انه قال اصبنا يوم اوطاس سبايا لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسالنا النبي عليه الصلاة والسلام وفي رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف نقع على نساء قد عرفنا انسابهن وازواجهن فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن وفي رواية اخرى عنه ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا توطا الحبالى حتى يضعن ولا الحيالى حتى يحضن فاباح وطيهن بعد الاستبراء وليس في ترتيب هذا الحكم على نزول الاية الكريمة ما يدل على كونها مسوقة له فان ذلك انما يتوقف على افادتها له بوجه من وجوه الدلالة في افادته بطريق العبارة او غيرها • هذا وقد روي عن ابي سعيد رضي الله عنه انه قال انها نزلت

في نساء كن يهاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم يقدم ازواجهن مهاجرين فنهي عن نكاحهن • والمحصنات حينئذ عبارة عن مهاجرات يتحقق او يتوقع من ازواجهن الاسلام والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم الاحصان والنهي للتحريم المحقق ولتعرف حال المتوقع والاظهر انه لا يعول في الحرمة واستحقاق اطلاق الاسم عليهن عليهما لانقطاع العلاقة بين المسبية والزوج مع اتحاد الدار فلان تنقطع بين المهاجرة والزوج اولى كما يفصح عنه قوله عز وجل فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الاية **كتاب الله** مصدر مؤكد اي كتب الله **عليكم** تحريم هؤلاء كتابا وفرضه فرضا • وقيل منصوب على الاغراء بفعل مضمر اي الزموا كتاب الله وعليكم متعلق اما بالمصدر واما بمحذوف وقع حالا منه • وقيل هو اغراء اخر مؤكد لما قبله قد حذف مفعوله لدلالة المذكور عليه او بنفسه عليكم على راي من جوز تقديم المنصوب في باب الاغراء كما في قوله •

يا ايها المائح دلوي دونكا • اني رايت الناس يحمدونكا •

وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل **واحل لكم** عطف على حرمت عليكم اي اخرج • وتوسيط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهما للمبالغة في الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة • وقرئ على صيغة المبني للفاعل فيكون معطوفا على الفعل المقدر • وقيل على حرمت الخ فانهما جملتان متناسبتان من حيث ان كلتيهما للتحريم والتحليل المنوطين باسم الله تعالى • ولا ضير في اختلافهما في المسند اليه بحسب الظاهر لاسيما بعد ما كان الاول بناء على ان المحرم هو الله تعالى **ما وراء ذلكم** اشارة الى ما ذكر من المحرمات المعدودة اي احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا او جمعا • ولعل ايثار اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط لتذكير ما في كل واحدة منهن من العنوان الذي عليه يدور حكم الحرمة فيفهم مشاركة من في معناهن لهن فيها بطريق الدلالة • فان حرمة الجمع بين المراة وعمتها وبينها وبين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة كما سلف • وقيل ليس المراد بالاحلال الاحلال مطلقا اي في جميع الاحوال حتى يرد انه يلزمه حل الجمع بين المراة وعمتها وبينها وبين خالتها بل بطريق الجمع • الا ترى ان حرمة نكاح المعتدة والمطلقة ثلاثا والخامسة ونكاح الامة على الحرة • ونكاح الملاعنة لا يقدح في حلهن بعد العدة وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة وانقضاء العدة وبعد تطليق الحرة وبعد اكذاب الملاعن نفسه • وانما خير بان الحل يجب ان يتعلق ههنا بما تعلق به الحرمة فيما سلف وهو متعلق ثمة بالجمع فلا بد ان يتعلق الحل ههنا به ايضا **ان تبتغوا** متعلق بالفعلين المذكورين على انه مفعول له لكن لا باعتبار ذاتيهما بل باعتبار بيانهما واظهارهما اي بين لكم تحريم المحرمات المعدودة واحلال ما سواهن ارادة ان تبتغوا باموالكم والمفعول محذوف اي تبتغوا النساء او متروك اي تفعلوا الابتغاء **باموالكم** بصرفها الى مهورهن او بدل اشتمال من وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول **محصنين** حال من فاعل تبتغوا والاحصان العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم

والعقاب **غير مسافحين** حال ثانية منه أو حال من الضمير في محصنين والسفاح الزنا والفجور من السفح
الذي هو صب المني سمي به لأنه الغرض منه ومفعول الفعلين محذوف أي محصنين فروجكم
غير مسافحين الزواني وهي في الحقيقة حال مؤكدة لأن المحصن غير مسافح البتة وما في قوله
عز وجل **فما استمتعتم به منهن** إما عبارة عن النساء أو عما يتعلق بهن من الأفعال وعلى التقديرين
فهي إما شرطية ما بعدها شرطها وإما موصولة ما بعدها صلتها وأيا ما كان فهي مبتدأ
خبرها على تقدير كونها شرطية إما فعل الشرط أو جوابه أو كلاهما على الخلاف المعروف وعلى
تقدير كونها موصولة قوله تعالى **فآتوهن أجورهن** والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط وعلى
تقدير كونها عبارة عن النساء فالعائد إلى المبتدأ هو الضمير المنصوب في فآتوهن سواء كانت
شرطية أو موصولة ومن بيانية أو تبعيضية محلها النصب على الحالية من الضمير المجرور في به
فالمعنى فأي فرد استمتعتم به أو فالفرد الذي استمتعتم به حال كونه من جنس النساء أو بعضهن
فآتوهن أجورهن وقد روعي تارة جانب اللفظ فأفرد الضمير وأخرى جانب المعنى فجمع ثانيا
ثالثا وأما على تقدير كونها عبارة عن النساء فالعائد إلى المبتدأ هو الضمير المنصوب وأما
على تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن فمن ابتدائية متعلقة بالاستمتاع والعائد إلى المبتدأ
محذوف والمعنى أي فعل استمتعتم به من جهتهن من نكاح أو خلوة أو نحوهما أو الفعل الذي استمتعتم
به من قبلهن من الأفعال المذكورة فآتوهن أجورهن لأجله أو بمقابلته والمراد بالأجور
المهور فإنها أجور أبضاعهن **فريضة** حال من الأجور بمعنى مفروضة أو نعت لمصدر محذوف
أي إيتاء مفروضا أو مصدر مؤكد أي فرض ذلك فريضة أي فرضا عليكم **ولا جناح عليكم فيما
تراضيتم به** أي لا إثم عليكم فيما تراضيتم به من الحط عن المهر والإبراء منه على طريقة قوله تعالى
فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا أو قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن وقوله إلا أن يعفون
وتعميم الزيادة على المسمى لا يساعده رفع الجناح عن الرجال لأنها ليست مظنة الجناح إلا أن
يحمل الخطاب على الأزواج تغليبا فإن أخذ الزيادة على المسمى مظنة الجناح فإن أخذ الزيادة
على المسمى لزوجه وقيل فيما تراضيتم به من نفقة ونحوها وقيل من مقام أو فراق ولا
يساعده قوله تعالى **من بعد الفريضة** إذ لا تعلق لهما بالفريضة إلا أن يكون الفراق بطريق
المخالعة وقيل نزلت في المتعة التي هي النكاح إلى وقت معلوم من يوم أو أكثر سميت بذلك لأن
الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمرأة واستمتاعها بما يعطى وقد أبيحت ثلاثة أيام حين فتحت مكة
شرفها الله تعالى ثم نسخت لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أباحها ثم أصبح يقول يا أيها
الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا إن الله تعالى حرم ذلك إلى يوم
القيامة وقيل أبيح مرتين وحرم مرتين وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رجع عن القول
بجوازها عند موته وقال اللهم إني أتوب إليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف **إن الله كان
عليما** بمصالح العباد **حكيما** فيما شرع لكم من الأحكام ولذلك شرع لكم هذه الأحكام اللائقة بحالكم
ومن لم يستطع منكم من إما شرطية ما بعدها شرطها أو موصولة ما بعدها صلتها والظرف متعلق
بمحذوف وقع حالا من فاعل يستطع أي حال كونه منكم وقوله تعالى **طولا** أي غنى وسعة واعتلاء
ونيلا وأصله الزيادة والفضل مفعول ليستطع وقوله عز وجل **أن ينكح المحصنات المؤمنات**

وإما مفعول لجناح لطولا فإن إعمال المصدر المنون شائع ذائع كما في قوله تعالى أو إطعام في يوم
ذي مسغبة يتيما ذا مقربة كأنه قيل ومن لم يستطع منكم أن ينال نكاحهن وإما بتقدير حرف
الجر أي ومن لم يستطع منكم غنى إلى نكاحهن أو لنكاحهن فالجار في محل النصب صفة لطولا أي
طولا موصلا إليه أو كائنا له أو في نكاحهن على أن الطول بمعنى القدرة وفي القاموس الطول
والطائل والطائلة الفضل والقدرة والغنى والرزق والسعة والعلو وعلى الأولين محل أن بعد حذف
الجار نصب عند سيبويه والفراء وجر عند الكسائي والأخفش وإما بدل من طولا لأن الطول
فضل والنكاح قدرة وإما مفعول ليستطع وطولا مصدر مؤكد له لأنه بمعناه إذ الاستطاعة
هو الطول أو تمييز أي ومن لم يستطع منكم نكاحهن استطاعة أو من جهة الطول والغنى
أي لا من جهة الطبيعة والمزاج فإن عدم الاستطاعة من تلك الجهة لا تعلق له بالمقام
والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فإن حريتهن أحصنتهن عن ذل الرق
والابتذال وغير ذلك من صفات القصور والنقصان وقوله عز وجل **فمما ملكت أيمانكم**
إما جواب للشرط أو خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط والجار متعلق بفعل مقدر حذف
مفعوله وما موصولة أي فلينكح امرأة أو أمة من النوع الذي ملكته أيمانكم وهو في الحقيقة
متعلق بمحذوف وقع صفة لذلك المفعول المحذوف ومن تبعيضية أي فلينكح امرأة كائنة
من ذلك النوع وقيل من زائدة والموصول مفعول للفعل المقدر في ملكت راجع إلى ما
وقيل هو مفعول للفعل المقدر على زيادة من ومما ملكت متعلق بنفس الفعل ومن لابتداء الغاية
أو بمحذوف وقع حالا من فتياتكم ومن للتبعيض أي فلينكح فتياتكم كائنات بعض ما ملكت أيمانكم
والمؤمنات صفة لفتياتكم على كل تقدير وقيل هو المفعول للفعل المقدر ومما ملكت على ما
تقدم من الوجوه ومن فتياتكم حال من العائد المحذوف وظاهر النظم الكريم يفيد عدم
جواز نكاح الأمة للمستطيع كما ذهب إليه الشافعي رحمه الله وعدم جواز نكاح الأمة
الكتابية أصلا كما هو رأي أهل الحجاز وقد جوزهما أبو حنيفة رحمه الله متمسكا
بالعمومات محمل الشرط والوصف هو الأفضلية ولا نزاع فيها لأحد وقد روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال وهل وسع الله على هذه الأمة نكاح الأمة واليهودية
والنصرانية وإن كان موسرا وقوله تعالى **والله أعلم بإيمانكم** جملة معترضة جيء بها
لتأنيسهم بنكاح الإماء واستنزالهم من رتبة الاستنكاف منه ببيان أن مناط التفاخر
مدار التفاضل هو الإيمان دون الأحساب والأنساب على ما نطق به قوله عز وجل يا أيها
الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم
عند الله أتقاكم والمعنى أنه تعالى أعلم منكم بمراتبكم في الإيمان الذي به ينتظم أحوال العباد
وعليه يدور فلك المصالح في المعاش والمعاد ولا تعلق له بخصوص الحرية والرق فرب أمة يفوق
إيمانها إيمان الحرائر وقوله **بعضكم من بعض** إن أريد به الاتصال من حيث الدين فهو بيان
لتناسبهم من تلك الحيثية إثر بيان تفاوتهم في ذلك وإن أريد به الاتصال من حيث النسب فهو
اعتراض مؤكد للتأنيس من جهة أخرى والخطاب في الموضعين إما لمن كان في الخطاب الذي
قبله فقد روعي فيما سبق جانب اللفظ وهاهنا جانب المعنى والالتفات للاهتمام بالترغيب والتأ

وانما تعين من المسلمين فالخطاب في السابقة لحصول الترغيب بخطابهم ايضا واياما كان فاعادة الامر
بالنكاح على وجه الخطاب في قوله تعالى فانكحوهن مع انفهامه من قوله تعالى فمما ملكت ايمانكم حسبما ذكر
لزيادة الترغيب في نكاحهن وتقييد بقوله تعالى باذن اهلهن ولتقييد شرط بالنسبة الاربابه
على ما قبله اي واذن تعتد على حلية الامر فانكحوهن باذن مواليهن ولا تزوجوهن بغير اذن مواليهن وفي اشتراط
اذن الموالي دون مباشرتهن للعقد اشعار بجواز مباشرتهن له وآتوهن اجورهن اي مهورهن بالمعروف
متعلق بآتوهن اي ادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى الاقتضاء واللز حسبما يقتضيه
الشرع والعادة ومن ضرورته ان يكون الاداء اليهن باذن الموالي فيكون ذكر ايتائهن لبيان
جواز الاداء اليهن لا لكون المهور لهن وقيل اتوا مواليهن بحذف المضاف واصله اوصل
الفعل الى المضاف اليه محصنات حال من مفعول فانكحوهن اي حال كونهن عفائف عن الزنا غير
مسافحات حال مؤكدة اي غير مجاهرات به ولا متخذات اخدان عطف على مسافحات ولا لتأكيد
ما في غير من معنى النفي والخدن الصاحب قال ابو زيد الاخدان الاصدقاء على الفاحشة والواحد
خدن وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى ان لا يكون لواحد منهن خدن لا على معنى ان لا
يكون لها اخدان اي غير مجاهرات بالزنا ولا مستترات له وكان الزنا في الجاهلية منقسما الى
هذين القسمين فاذا احصن اي بالتزويج وقرئ على البناء للفاعل اي احصن فروجهن او ازواجهن
فان اتين بفاحشة اي فعلن فاحشة وهي الزنا فعليهن فثابت عليهن شرعا نصف ما على المحصنات
اي الحرائر الابكار من العذاب من الحد الذي هو الجلد مائة فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل
الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان كتفاوت حد الحرائر فالفاء في فان الثانية
جواب اذا والثانية جواب ان والشرط الثاني مع جوابه مترتب على وجود الاول كما في قولك
اذا اتيتني فان اكرمتك فعبدي حر ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم اي لمن خاف وقوعه في الاثم
الذي يؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة
وضرر يعتري الانسان بعد صلاح حاله ولا ضرر اعظم من مواقعة المأثم بارتكاب افحش القبائح
وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها يخشى ان يواقعها فيحد والاول هو اللائق بحال المؤمن
دون الثاني لايهامه ان المحذور عنده الحد لا ما يوجبه وان تصبروا اي عن نكاحهن متعففين
كافين انفسكم عما تشتهيه من المعاصي خير لكم من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة
لما فيه من تعريض الولد للرق قال عمر رضي الله عنه ايما حر تزوج بامة فقد ارق نصفه
وقال سعيد بن جبير ما نكاح الامة من الزنا الا قريب ولان حق المولى فيها اقوى فلا تخلص
للزوج خلوص الحرائر ولان المولى يقدر على استخدامها كيفما يريد في السفر والحضر وعلى
بيعها للحاضر والبادي وفيه من اختلال حال الزوج واولاده ما لا مزيد عليه ولانها
ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة سارية الى الناكح والعزة هي اللائقة
بالمؤمنين ولان مهرها لمولاها فلا تقدر على التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينتظم امر المنزل
وقد قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله غفور مبالغ في
المغفرة فيغفر لمن لم يصبر عن نكاحهن ما في ذلك من الامور المنافية لحال المؤمنين رحيم مبالغ
في الرحمة ولذلك رخص لكم في نكاحهن يريد الله ليبين لكم استئناف مسوق لتقرير ما سبق من

الاحكام وبيان ان ذلك جارية على مناهج المهتدين من الانبياء والصالحين قيل اصل الكلام
يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول
يبين محذوف ثقة بشهادة السياق والسباق اي يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من
مصالحكم وافاضل اعمالكم وما تعبدكم به من الحلال والحرام وقيل مفعول يريد محذوف
تقديره يريد الله تشريع ما تشرعه من التحريم والتحليل لاجل التبيين لكم وهذا مذهب
البصريين ويعزى الى سيبويه وقيل ان اللام بنفسها ناصبة للفعل من غير اضمار ان وهي
وما بعدها مفعول للفعل المتقدم فان اللام قد تقام مقام ان في فعل الارادة والامر
فيقال اردت لاذهب وان اذهب وامرتك لتقوم وان تقوم قال الله تعالى يريدون
ليطفئوا نور الله وفي موضع يريدون ان يطفئوا وقال تعالى وامرنا لنسلم وفي موضع
وامرت ان اسلم وفي اخر وامرت لاعدل بينكم اي ان اعدل بينكم وهذا مذهب
الكوفيين ومنعه البصريون وقالوا ان وظيفة اللام هي الجر والنصب فيما قالوا
باضمار ان اي امرنا بما امرنا لنسلم ويريدون ما يريدون ليطفئوا وقيل هي والفعل
الذي بعد اللام بتأويل مصدر مرفوع بالابتداء وما قبله خبره كما في قوله تسمع بالمعيدي
خير من ان تراه اي ان تسمع به وتعزى هذه الآراء على بعض النحويين ويهديكم سنن
الذين من قبلكم من الانبياء والصالحين لتقتفوا آثارهم ويتوب عليكم [illegible]
التوبة لاما يقع منكم من التقصير والتفريط او من اعادة ما كانت عليه من الشرائع فان
الحلف فلما جاء امن نقمة يتسبب عن ثلاثة بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم او ملابسة لتراليها
يردعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم وليس الخطاب
لجميع المكلفين حتى تخلف مراده تعالى عن ارادته فيمن لم يتب منهم بل لطائفة معينة حصلت لهم
تلك التوبة والله عليم مبالغ في العلم بالاشياء التي من جملتها ما شرع لكم من الاحكام حكيم مراع
في جميع افعاله الحكمة والمصلحة والله يريد ان يتوب عليكم جملة مبتدأة مسوقة لبيان كمال
منفعة ما اراده الله تعالى وكمال منفعة ما يريده الفجرة لا لبيان ارادته تعالى لتوبته عليهم حتى يكون
من باب التكرير للتقرير ولذلك غير الاسلوب الى الجملة الاسمية دلالة على دوام الارادة
ولم يفعل ذلك في قوله تعالى ويريد الذين يتبعون الشهوات للاشارة الى الحدوث والى الايماء
المباينة بين مضمون الجملتين كما مر في قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا الآية والمراد بمتبعي الشهوات
الفجرة فان اتباعها الائتمار بها واما المتعاطي لما سوغه الشرع من المشتهيات دون غيره فهو
متبع له لا لها وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات
من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت الخالة
وبنت العمة مع ان الخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ وبنات الاخت ان تميلوا
عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم وقرئ
بالياء التحتانية والضمير للذين يتبعون ميلا عظيما اي بالنسبة الى ميل من اقترف خطيئة
على ندرة بلا استحلال يريد الله ان يخفف عنكم بما مر من الرخص وما في عهدتكم من مشاق [illegible]
والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وخلق الانسان ضعيفا عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر

مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات
وعن الحسن رحمه الله ان المراد ضعف الخلقة ولا يساعده المقام فان الجملة اعتراض تذييلي مسوق
لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الاما وليس لضعف البنية مدخل في ذلك وانما
الذي يتعلق به التخفيف في العبادات الشاقة وقيل المراد به ضعفه في امر النسا خاصة
حيث لا يصبر عنهن • وعن سعيد ابن المسيب ما ايس الشيطان من بني ادم قط الا اتاهم من
قبل النسا • وقرا ابن عباس وخلق الانسان على البنا للفاعل والضمير لله عز وجل • وعنه رضي الله
عنه ثماني ايات في سورة النسا هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين
لكم والله يريد ان يتوب عليكم • يريد الله ان يخفف عنكم • ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه •
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا • ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان
تك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله • ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وامنتم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل شروع في بيان بعض المحرمات
المتعلقة بالاموال والانفس اثر بيان المحرمات المتعلقة بالابضاع وتصدير الخطاب بالندا
والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه والمراد بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة
والخيانة والقمار وعقود الربا وغير ذلك مما لم يبحه الشرع اي لا ياكل بعضكم اموال بعض بغير
طريق شرعي الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثنا منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة
لتجارة اي الا ان تكون التجارة تجارة صادرة عن تراض • كما في قوله •

• اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا •

اي اذا كان اليوم يوما الخ او الا ان تكون
الاموال اموال التجارة • وقرئ تجارة بالرفع على ان كان تامة اي ولكن اعتمدوا او لكن تجارة
عن تراض اي وقوعها اي ولكن وجود تجارة عن تراض غير منهي عنه وتخصيصها بالذكر من بين
سائر اسباب الملك لكونها معظمها واغلبها وقوعا واوفقها لذوي المروة والمراد بالتراضي
مراضاة المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا وعند
الشافعي رحمه الله حالة الافتراق عن مجلس العقد ولا تقتلوا انفسكم اي من كان من جنسكم من
المومنين فان كلهم كنفس واحدة • وعن الحسن رحمه الله لا تقتلوا اخوانكم والتعبير عنهم
بالانفس للمبالغة في الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل او ولا تهلكوا
انفسكم بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضي اليه فانه القتل الحقيقي لها كما يشعر به ايراده
عقيب النهي عن اكل الحرام فيكون مقررا للنهي السابق • وقيل لا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله
بعض الجهلة او بارتكاب ما يودي الى القتل من الجنايات وقيل بالقائها في التهلكة
ويؤيده ما روي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه تاول به التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي
عليه الصلاة والسلام • وقرئ ولا تقتلوا بالتشديد للتكثير وقد جمع في التوصية
بين حفظ النفس وحفظ المال لما انه شقيقها من حيث انه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها
واستيفاء فضائلها وتقديم النهي عن التعرض له لكثرة وقوعه ان الله كان بكم رحيما تعليل
للنهي بطريق الاستئناف اي مبالغا في الرحمة والرافة ولذلك نهاكم عما نهى فان في ذلك
رحمة عظيمة لكم بالزجر عن المعاصي وللذين تعرض معرض التعرض لهم في حفظ اموالهم وانفسهم

وقيل معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما حيث امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم
وتمحيصا لخطاياهم ولم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل خاصة
او الى ما قبله من اكل الاموال وما بينهما من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفساد عدوانا
وظلما اي افراطا في التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحقه وقيل اريد بالعدوان التعدي على الغير
وبالظلم الظلم على النفس بتعريضها للعقاب ومحلهما النصب على الحالية او على العلية اي معتديا
وظالما او للعدوان والظلم • وقرئ عدوانا بكسر العين فسوف نصليه جواب الشرط اي ندخله
وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ونصليه بالياء والضمير
لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب للصلي نارا اي نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب وكان ذلك
اي اصلاوه النار على الله يسيرا لتحقق الداعي وعدم الصارف واظهار الاسم الجليل بطريق
الالتفات لتربية المهابة وتاكيد استقلال الاعتراض التذييلي ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اي
كبائر الذنوب التي نهاكم عنها الشرع مما ذكر ههنا وما لم يذكر • وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر
عنكم بنون العظمة على طريقة الالتفات • وقرئ بالياء بالاسناد اليه تعالى والتكفير اماطة المستحق
من العقاب بثواب ازيد او بتوبة اي نغفر لكم سيئاتكم صغائركم ونمحها عنكم قال عليه
الصلاة والسلام الصلاة الى الصلاة والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر اذا
اجتنب الكبائر واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد
او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك
بالله تعالى وقتل النفس التي حرمها الله تعالى وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربا والفرار
من الزحف وعقوق الوالدين • وعن ابن عمر رضي الله عنه التعرب بعد الهجرة مكان عقوق الوالدين
وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام • وعن ابن عباس رضي الله عنه ان رجلا قال له الكبائر
سبع فقال هي الى سبع مائة اقرب منها الى السبع وروي عنه الى السبعين اذ لا صغيرة مع الاصرار
ولا كبيرة مع الاستغفار • وقيل اريد به انواع الشرك • لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا • وقيل صغر الذنب وكبره بالاضافة الى ما فوقه وما
تحته ويختلف فاعلها باختلاف الاوقات والاماكن ايضا • فاكبر الكبائر الشرك واصغر
الصغائر حديث النفس فيما بينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت
نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق على اجتنابه من الثواب
وندخلكم مدخلا بضم الميم اسم مكان كريما اي حسنا مرضيا او مصدر ميمي اي ادخالا مع كرامة • وقرئ
بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثاني بفعل مقدر مطاوع للمذكور اي
ندخلكم فتدخلون مدخلا او دخولا كريما • كما في قوله •

• وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف •

اي لم يدع فلم يبق الا مسحت الخ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اي [illegible]
لاثاره عليه للتعادي من المواجهة بما يشق عليهم • قال القفال لما نهاهم الله تعالى عن اكل اموال الناس
بالباطل وقتل الانفس عقبه بالنهي عما يودي اليه من الطمع في اموالهم وتمنيها • وقيل لما نهاهم
عن التعرض لاموالهم بالجوارح نهاهم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهر اعمالهم الظاهرة والباطنة

والمعنى لا تتمنوا ما اعطاه الله تعالى بعضكم من الاحوال الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجري
فيه التنافس ويحرفان ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير لائق باحوال العباد مترتب على الاحاطة
بجلائل شؤونهم ودقايقها فعلى كل واحد من المفضل عليهم ان يرضي بما قسم له ولا يتمنى حظ المفضل
ولا يحسد عليه لما انه معارضة لحكم القدر المؤسس على الحكمة البالغة لا ان عدم تمنيه له ولا
لو ان حالاته لكان مستحسنا له كما قيل اذ لا يخفى عن الامر بالسؤال من فضله تعالى
فانه ناطق بان المنهي عنه تمني نصيب الغير لا تمني مثل ما ادعي نصيبه مطلقا ٭ سبب وقوله تعالى
لما جعل الله تعالى في الميراث للذكر مثل حظ الانثيين قالت النساء نحن احوج ان يكون لنا سهمان
وللرجال سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر على طلب المعاش فنزلت وقيل سبب النزول
تعليل للنهي بقوله عز وجل **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** وقد صرح في جريان النهي بين
فريقي الرجال والنساء وبصيغة المذكر التي لما ذكر منهن بالبعض لما ان والمعنى لكل من الفريقين
في الميراث نصيب معين المقدار مما اصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة
الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه اياه تاكيدا لاستحقاق
كل منها لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه الى غيره فان ذلك مما يوجب الانتهاء
عن التمني المذكور وقوله تعالى **واسالوا الله من فضله** عطف على النهي وتوسيط التعليل بينهما لتاكيد
الانتهاء مع ما فيه من الترغيب في الامتثال بالامر كانه قيل لا تتمنوا ما يختص بغيركم من نصيبه
المكتسب له واسالوا الله تعالى من خزاين نعمه التي لا نفاد لها وحذف المفعول الثاني للتعميم
اي واسالوا ما تريدون فان الله تعالى يعطيكموه او لكونه معلوما من السياق اي واسالوه مثله
وقيل من ذاته والنهي والسؤال من فضله ٭ وقد جاء في الحديث لا يتمنين احدكم مال اخيه
ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم اعطني مثله ٭ وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم قال اسالوا الله من فضله فانه يحب ان يسال وافضل العبادة انتظار
الفرج وحمل النصيب على الاجر الاخروي وابقاء الاكتساب على حقيقته بحمل سبب النزول
ما روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون
لنا من الاجر مثل ما لهم على ان المعنى لكل من الفريقين نصيب خاص به من الاجر مترتب على عمله فللرجال
اجر بمقابلة ما يليق بهم من الاعمال كالجهاد ونحوه وللنساء اجر بمقابلة ما يليق بهن من الاعمال
كحفظ حقوق الازواج ونحوه فلا يتمن النساء خصوصية اجر الرجال وليسالن من خزاين رحمته
تعالى ما يليق بحالهن من الاجر لا يناسب ساق النظم الكريم المتعلق بالمواريث وفضائل
الرجال **ان الله كان بكل شيء عليما** ولذلك جعل الناس طبقات ورفع بعضهم على بعض درجات
حسب مراتب استعداداتهم الفايتة عليهم من موجب المشيئة المبنية على الحكم الابية **ولكل جعلنا**
موالي مما ترك الوالدان والاقربون جملة مقررة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول ثان لجعلنا
قدم عليه تاكيدا للشمول ورفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض ٭ كما في قوله
تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي ولكل من كم جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة
يلونها ويحوزونها اقتضاء ومنهم حسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة
وما تركه بيان لكل مع فصل بينهما بما عمل فيه كما فصل في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا

فاطر

فاطر السموات والارض بين لفظ الجلالة وبين صفته بالعامل فيما اضيف اليه اعني غير او ولكل
قوم جعلنا هم موالي اي وراثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم اخرين مما ترك الوالدان والاقربون
على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدا وخبر على طريقة
قولك لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ منه ٭ واما ما قيل من ان المعنى ولكل احد
جعلنا موالي مما ترك اي وراثا منه على ان من صلة موالي لانه في معنى الوراث وفي ترك ضمير
مستكن عائد الى كل ٭ وقوله تعالى الوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي ٭ كانه
قيل من هم فقيل الوالدان الخ ففيه تفكيك للنظم الكريم لان بيان الموالي بالذكر
يفوت الابهام والمعنى لاعتبار التفاوت بينهم وبه يتحقق الانتظام كما اشير اليه في تقرير
الوجهين الاولين مع ما فيه من خروج الاولاد من الموالي اذ لا يتنا ولهم الاقربون كما لا يتنا ول
الوالدين **والذين عاقدت ايمانكم** هم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه
فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض ٭ وعند ابي حنيفة رحمه الله اذا اسلم رجل
على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله ارثه ان لم يكن له وارث
اصلا واسناد العقد الى الايمان لان المعتاد هو المماسحة بها عند العقد والمعنى عقدت
ايمانكم عهودهم فحذف المعهود واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف ٭ وقرئ عقدت بالتشديد
وعاقدت بمعنى عاقدتهم ايمانكم وما عطف عليه مبتدا متضمن معنى الشرط وقوله تعالى
فآتوهم نصيبهم بالفاء او منصوب مضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او مرفوع معطوف
على الوالدان والاقربون ٭ وقوله تعالى فآتوهم الخ جملة مبينة للجملة قبلها مؤكدة لها
والضمير للموالي **ان الله كان على كل شيء** من الاشياء التي من جملتها الايتاء والمنع **شهيدا** ففيه وعد ووعيد
الرجال قوامون على النساء كلام مستانف مسوق لبيان سبب استحقاق الرجال الزيادة في الميراث
تفصيلا اثر بيان تفاوت استحقاقهم اجمالا وايراد الجملة الاسمية والخبر على صيغة المبالغة للايذان
بعراقتهم في الاتصاف بما اسند اليهم ورسوخهم فيه اي شانهم القيام عليهن بالامر والنهي قيام
الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبي وكسبي **بما فضل الله بعضهم على بعض** الباء سببية متعلقة بقوامون
او بمحذوف وقع حالا من ضميره وما مصدرية والضمير البارز للكل اي للفريقين تغليبا اي قوامون
عليهن بسبب تفضيل الله تعالى اياهم عليهن او مستحقين بتفضيله تعالى الخ ووضع البعض موضع
الضمير للاشعار بغاية ظهور الامر وعدم الحاجة الى التصريح بالمفضل والمفضل عليه اصلا
ولذلك لم يصرح بما به التفضيل من صفات الكمال التي هي كمال العقل وحسن التدبير ورزانة
الرأي ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة
الشعائر والشهادة في جميع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحو ذلك **وبما انفقوا من اموالهم**
الباء متعلقة بما تعلقت به الاولى وما مصدرية او موصولة حذف عائدها من الصلة ومن
تبعيضية او ابتدائية متعلقة بانفقوا او بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف اي وبسبب
انفاقهم من اموالهم او وبسبب ما انفقوه من اموالهم او كائنا من اموالهم وهو ما انفقوه او كائنا
من اموالهم وهو ما انفقوه في المهر والنفقة ٭ روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه
امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا فقال الرسول عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال عليه السلام اردنا امرا

واراد الله امرا والذي اراد الله خير **فالصالحات** شروع في تفصيل احوالهن وبيان كيفية القيام عليهن
بحسب اختلاف احوالهن اي فالصالحات منهن **قانتات** اي مطيعات لله تعالى قائمة بحقوق الازواج
حافظات للغيب اي بمواجب الغيب اي لما يجب عليهن حفظه في حال غيبة الازواج من الفروج
والاموال عن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك
واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا هذه الاية وقيل لاسرارهم واضافة المال اليها
للاشعار بان ماله في حق التصرف في حكم مالها كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الاية
بما حفظ الله ما مصدرية اي بحفظه تعالى اياهن بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد
والتوفيق له او موصولة اي بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن
والذب عنهن • وقرئ بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف اي بالامر الذي حفظ حق الله وطاعته
وهو التعفف والشفقة على الرجال **واللاتي تخافون نشوزهن** خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق
القيام عليهن والخوف حالة تحصل في القلب عند حدوث امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه
وقد يراد به احدهما اي تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم من النشز وهو المرتفع من الارض
فعظوهن فانصحوهن بالترغيب والترهيب **واهجروهن** بعد ذلك ان لم ينجع الوعظ والنصيحة
في المضاجع اي في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل
المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع **واضربوهن** ان لم ينجع ما فعلتم
من العظة والهجران ضربا غير مبرح ولا شائن **فان اطعنكم** بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى
ما يعد زاجرا **فلا تبغوا عليهن سبيلا** بالتوبيخ والاذية اي فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن
كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له **ان الله كان عليا كبيرا** فاحذروه فانه
تعالى اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او الله تعالى على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب
عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم عند اطاعتهن لكم او انه تعالى يتكبر عن
ان يظلم احدا او ينقص حقه وعدم التعرض لعدم اطاعتهن لهم لكن بان ذلك ليس مما ينبغي
ان يتحقق او يفرض تحققه وان الذي يتوقع منهن ويليق بشانهن لا سيما بعد ما كان من
الزواجر هو الاطاعة ولذلك صدرت الشرطية بالفاء المنبئة عن سببية ما قبلها لما بعدها
وان خفتم شقاق بينهما تلوين للخطاب وتوجيه له الى الحكام وارد على بناء الامر على التقدير
المسكوت عنه اعني عدم الاطاعة المؤدي الى المخاصمة والمرافعة اليهم والشقاق المخالفة
اما لان كلا منهما يريد ما يشق على الاخر واما لان كلا منهما في شق اي جانب غير الشق الاخر والخوف
ها هنا بمعنى العلم قاله ابن عباس رضي الله عنه والجزم بوجود الشقاق لا ينافي بعث الحكمين لانه لرجاء
ازالته لا لتعرف وجوده بالفعل وقيل بمعنى الظن وضمير التثنية للزوجين وان لم يجر ذكرهما
لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما على اجرائه مجرى المفعول به كما في قوله
يا سارق الليلة او مجرى الفاعل كما في قولك نهاره صائم اي ان علمتم او ظننتم تاكد المخالفة
حيث لا يقدر الزوج على ازالتها **فابعثوا** اي الى الزوجين لاصلاح ذات البين **حكما**
رجلا وسطا صالحا للحكومة والاصلاح **من اهله** من اهل الزوج **وحكما** على صفة الاول **من
اهلها** فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب

ولو

ولو نصبا من الاجانب جاز واختلف في انهما يليان الجمع والتفريق الا باذن فقيل لهما ذلك
وهو المروي عن علي رضي الله عنه وبه قال الشعبي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وقال مالك
لهما ان يتخالعا ان كان الصلاح فيه **ان يريدا** اي الحكمان **اصلاحا** اي ان قصدا اصلاح ذات
البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله تعالى **يوفق الله بينهما** يوقع بين الزوجين
الموافقة والالفة والقي في نفوسهما المودة والرافة وعدم التعرض لذكر عدم ارادتهما
الاصلاح لما ذكر من الايذان بان ذلك ليس مما ينبغي ان يفرض صدوره عنهما وان الذي يليق بشانهما
ويتوقع صدوره عنهما هو ارادة الاصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين في الاصلاح وتحذير عن المساهلة
لئلا ينسب اختلال الامر الى عدم ارادتهما فان الشرطية الناطقة بدوران وجود التوفيق على وجود
الارادة منبئة عن دوران عدمه على عدمها وقيل كلا الضميرين للحكمين اي ان قصدا الاصلاح
يوفق الله بينهما فتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل كلاهما للزوجين اي ان ارادا اصلاح ما بينهما
من الشقاق اوقع الله تعالى بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتوخاه وفقه الله
لمبتغاه **ان الله كان عليما خبيرا** بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق **واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا** كلام مبتدأ مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بحقوق الوالدين والاقارب ونحوهم اثر
بيان الاحكام المتعلقة بحقوق الازواج صدر بما يتعلق بحقوق الله عز وجل التي هي آكد الحقوق
واعظمها تنبيها على جلالة شان حقوق الوالدين بنظمها في سلكها كما في سائر المواقع وشيئا نصب على انه
مفعول اي لا تشركوا به شيئا من الاشياء صنما او غيره او مصدر اي لا تشركوا به شيئا من الاشراك جليا
او خفيا **وبالوالدين احسانا** اي احسنوا بهما احسانا **وبذي القربى** اي بصاحب القرابة من اخ او عم او خال
او نحو ذلك **واليتامى والمساكين** من الاجانب **والجار ذي القربى** اي الذي قرب جواره وقيل الذي له مع
الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحق الجار ذي القربى
والجار الجنب اي البعيد او الذي لا قرابة له وعنه صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة فجار له ثلاث
حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق
واحد هو حق الجوار وهو الجار من اهل الكتاب وقرئ والجار الجنب **والصاحب بالجنب** اي الرفيق
في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك في
مسجد او مجلس او غير ذلك من ادنى صحبة التامت بينك وبينه وقيل هي المراة **وابن السبيل** هو
المسافر المنقطع به او الضيف **وما ملكت ايمانكم** من العبيد والاماء **ان الله لا يحب من كان مختالا**
اي متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم **فخورا** يتفاخر عليهم والجملة تعليل
للامر السابق **الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل** بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بفتح الاولى بفتحهما وبضمهما
والموصول بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدأ خبره محذوف
تقديره الذين يبخلون ويفعلون ويخفون احقاء بكل ملامة **ويكتمون ما آتاهم الله من فضله** اي
المال والغنى او نعوته عليه السلام التي بينها لهم في التوراة والانسب بامرهم للناس بالبخل فانهم
كانوا يكتمونها ويامرون اعقابهم بكتمها **واعتدنا للكافرين عذابا مهينا** وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا
بان من هذا شانه فهو كافر بنعمة الله تعالى ومن كان كافرا بنعمة الله تعالى فله عذاب يهينه كما اهان النعم
بالبخل والاخفاء والاية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار بطريق النصيحة لا تنفقوا

امنوا لكن ذلك نخشى على المكرر النعم * ونبايع الذين كانوا حث رسول الله صلى الله عليه وسلم الجلد اعراض
تعاليلي ممن رضا قبلها والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس اي للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء
وجه الله تعالى وهو عطف على الذين يبخلون او على الكافرين فانما شاركوهم في الذم والوعيد لان البخل
والسرف الذي هو الانفاق فيما لا ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستتباع
اللائمة والذم ويجوز ان يكون العطف بناء على اجراء التغاير بالوصف مجرى التغاير الذاتي كما في
قوله * الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم * او مبتدأ خبره
محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يكن الشيطان له قرينا * كأنه قيل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس
ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ليتحروا بالانفاق مراضيه تعالى وثوابه وهم مشركو مكة المنفقون اموالهم
في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا اي
فقرينهم الشيطان وانما حذف للايذان بالظهور واستغناء عن التصريح به فالمراد ابليس واعوانه
حيث حملوهم على تلك القبائح وزينها لهم كما في قوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر
وانفقوا مما رزقهم الله اي على ما ذكر من الطوائف ابتغاء لوجه الله وانما لم يصرح به تعويلا على التفصيل السابق
واكتفاء بذكر الايمان بالله واليوم الاخر فانه يقتضي ان يكون الانفاق لابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه
البتة اي وما الذي عليهم او اي تبعة ووبال عليهم في الايمان بالله والانفاق في سبيله وهو توبيخ
لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر
لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه
على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا كان فيه منافع لا تحصى وتقديم
الايمان بها لاهميته في نفسه وعدم الاعتداد بالانفاق بدونه واما تقديم انفاقهم رئاء
الناس على عدم ايمانهم مع كون المؤخر اقبح من المقدم فلرعاية المناسبة بين انفاقهم ذلك
وبين ما قبله من بخلهم وامرهم للناس به وكان الله بهم وباحوالهم الحقيقية عليما فهو
وعيد لهم بالعقاب او باعمالهم الخفية وتنبيه لاثابة الله تعالى اياهم لو كانوا امنوا
وانفقوا كما ينبغي عنه قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة المثقال مفعال من الثقل كالمقدار من القدر
واستعماله على انه نعت للمفعول وان مقامه سواء كان الظلم بمعنى النقص او بمعنى وضع الشيء في غير
موضعه اي لا ينقص من الاجر ولا يزيد شيئا في العقاب مقدار ذرة او على انه نعت للمصدر المحذوف
نائب منابه اي لا يظلم ظلما مقدار ذرة وهي النملة الصغيرة او كل جزء من اجزاء الهباء في الهواء
وهو الانسب بمقام المبالغة لما ان دقته في التمثيل اظهر من قلة النملة فيه وعن ابن عباس رضي
الله عنهما انه ادخل يده في التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحد من هؤلاء ذرة وان تك حسنة اي وان
تك مثقال ذرة حسنة انث لتأنيث الخبر او لاضافته الى الذرة وحذف النون من غير قياس تشبيها
بحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال * وقرئ حسنة بالرفع على ان كان تامة يضاعفها
اي يضاعف ثوابها جعل ذلك مضاعفة لنفس الحسنة تنبيها على الاتصال بينهما كأنهما واحد وقرئ يضعفها
وكلاهما واحد * وقرئ نضاعفها بنون العظمة على طريق الالتفات عن عثمان النهدي انه قال اتيت
ابا هريرة رضي الله عنه بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى

يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته صلى الله عليه وسلم يقول
يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا ويؤت من لدنه والمراد الكثرة لا التحديد اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما
سماه اجرا لكونه تابعا للاجر مزيدا عليه فكيف حالهم اما الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف واما النصب
بفعل محذوف لا على التشبيه بالحال كما هو رأي سيبويه او على التشبيه بالظرف كما هو مذهب الاخفش
اي فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم او كيف يصنعون اذا جئنا اي يوم القيمة
من كل امة من الامم بشهيد يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقائد وقبائح الاعمال وهو نبيهم
كما في قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم حيا والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من
هول الامر وعظم الشأن او الفعل المقدر ومن متعلقة بجئنا وجئنا بك يا محمد على هؤلاء اشارة الى
الشهداء المدلول عليهم بذكر شهيدا يشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم لاستجماع شرعك مجامع
قواعدهم * وقيل الى المكذبين المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما تشهد
سائر الانبياء على اممهم وقيل الى المؤمنين كما في قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول استئناف لبيان حالهم التي اشير الى شدتها
وفظاعتها بقوله تعالى فكيف فان الذين هم المكذبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم والتعبير عنهم
بالموصول للاشعار بعلية الاشارة اليهم بهؤلاء لكونهم ما في حيز الصلة والاشعار بعلية ما اقترفوه من
الحال الفظيعة والامر الهائل وايراده عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة لتشريفه وزيادة
تقبيح حال مكذبيه لان حق الرسول ان يؤمن به ويطاع لا ان يكفر ويعصى وان الذين هم جنس الكفرة
الذين كانوا في زمنه دخولا اوليا والمراد بالرسول الجنس المنتظم للنبي صلى الله عليه وسلم
انتظاما اوليا وايا ما كان فتقييده بيومئذ لاهمية الامر وتفظيع الحالة ما لا يفي بدركه وقوله تعالى
وعصوا عطف على كفروا داخل معه في الصلة والمراد معصيتهم المغايرة لكفرهم فيه دلالة على ان
الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذة وقيل حال من ضمير كفروا وقيل صلة موصول
اخر اي يود في ذلك اليوم الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول والذين كفروا والذين عصوا
الرسول او الذين كفروا والذين عصوا الرسول ولو في قوله تعالى لو تسوى بهم الارض ان جعلت
مصدرية فالجملة مفعول ليود اي يودون ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى وقيل يودون انهم
لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا والارض سواء * وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها وان
جعلت جارية على بابها فالمفعول محذوف لدلالة الجملة عليه اي يودون تسوية الارض بهم وجواب
لو ايضا محذوف ايذانا بغاية ظهوره اي لسروا بذلك وقوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا عطف على يود
اي ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يسوى
بهم الارض وحالهم لا يكتمون منه تعالى حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ
روي انهم قالوا ذلك فختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون
ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وقرئ تسوى بحذف التاء
الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة حتى تعلموا ما تقولون لما نهوا عن ان يصلوا
عن الاشتغال به تعالى نهوا عما يؤدي اليه من حيث لا يحتسبون فانه روي ان عبد الرحمن
ابن عوف صنع طعاما وشرابا حين كان الخمر مباحة فدعا نفرا من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين

وانتم سكارى

فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاءت صلاة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت
وتصديرها بالكلام بحرف النداء والتنبيه للمبالغة في ذلك وقيل المراد بالصلاة مواضعها اي المساجد
كقوله عليه الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وياباه قوله تعالى حتى تعلموا
ما تقولون فالمعنى لا تقوموا الى الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اذ تلك التجربة يظهر
انهم يعلمون ما سيقرؤونه في الصلاة وحمل ما تقولون على ما في الصلاة يستدعي تقدم الشروع
فيها مع غاية النهي دخول العلم اما بالقوة على معنى حتى تكونوا بحيث تعلمون ما ستقرؤونه في الصلاة
فلو ابطل الخطابات لان تلك الحيثية انما تتحقق بما ذكر من التجربة على ان ابا ما تقولون على ما تقرؤون
حينئذ يكون عاريا عن الداعي وقيل المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم واياما كان فليس
مرجع النهي هو القيد مع بقاء القيد مرخصا بحاله بل انما هو القيد مع بقاء المقيد على حاله لان
الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا كانه قيل يا ايها الذين امنوا لا تسكروا في اوقات الصلاة
وقد روي انهم كانوا بعدما نزلت الاية لا يشربون الخمر في اوقات الصلاة فاذا صلوا العشاء شربوها
فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما تقولون ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى
فانه في حيز النصب كانه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا والجنب من اصابته الجنابة يستوي
فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر الا عابري سبيل استثناء مفرغ من
اعم الاحوال محله النصب على انه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقييده بالحالة الثانية دون الاولى
والعامل فيه معنى النهي اي لا تقربوا الصلاة جنبا في حال من الاحوال الا حال كونكم مسافرين
على معنى ان في حالة السفر ينتهي حكم النهي لكن لا بطريق تعلق النفي بجميع صورها بل بطريق نفي
العموم في جملة من غير دلالة على انتفاء خصوصية البعض المنتفي ولا على بقاء خصوصية البعض
وثبوت نقيضه لا كليا ولا جزئيا فان الاستثناء لا يدل على ذلك عبارة بل نحو اشارة فيها بالمخالفة حكم
ما بعده لما قبله اشارة اجمالية يكتفى بها في المقامات لا في اثبات الاحكام الشرعية فان نفي
الامر في ذلك انما هو الدليل وقد وردت عقيبه على طريق البيان وقيل هو صفة لجنبا اي الا
جنبا اي الاجنبا مجتازين فابري سبيل ومن حمل الصلاة على مواضعها فسر العبور بالاجتياز وجوز
للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رحمه الله وعندنا لا يجوز ذلك الا ان يكون الماء او الطريق
فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد وكان تصيبهم الجنابة ولا يجدون
ممرا الا في المسجد فرخص لهم ذلك حتى تغتسلوا غاية للنهي عن قربان الصلاة حالة الجنابة ولعل
تقديم الاستثناء عليه للايذان بان مدار الامر بان حكم النهي في هذه الصورة ليس على الاطلاق كما
في صورة السكر تشويقا الى البيان وروما لزيادة تقرره في الاذهان وفي الاية الكريمة اشارة الى ان المصلي
يجب عليه ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يدنسها ولا يكتفي بادنى مراتب التزكية
عند امكان اعاليها وان كنتم مرضى شروع في تفصيل ما اجمل في الاستثناء وبيان ما هو في حكم المستثنى
من الاعذار والاقتصار فيما قبل على استثناء السفر مع مشاركة الباقي له في حكم الترخيص للاشعار
بانه العذر الغالب المبني على الضرورة التي عليها يدور امر الرخصة كانه قيل ولا جنبا الا معذورين
والتيمم يرجع ما قيد من الله حينئذ بعابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض ما يمنع
من استعمال الماء مطلقا سواء كان ذلك بتعذر الوصول اليه او بتعذر استعماله او على سفر عطف على مرضى

اي

اي وان كنتم على سفر ما طال او قصر واتيانه صريحا مع سبق ذكره بطريق الاستثناء لبناء الحكم الشرعي عليه
وبيان كيفيته فان الاستثناء كما اشير اليه بمعزل من الدلالة على ثبوته فضلا عن الدلالة على كيفيته
وتقديم المرضى عليه للايذان باصالته واستقلاله باحكام لا توجد في غيره كالاشتداد باستعمال
الماء ونحوه او جاء احد منكم من الغائط هو المكان المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث لان المعتاد
ان من يريده يذهب اليه ليواري شخصه عن اعين الناس واسناد المجيء منه الى واحد مبهم من
المخاطبين دونهم للتفادي عن التصريح بنسبتهم الى ما يستحيى منه او يستهجن التصريح به وكذلك
ايثار الكناية فيما عطف عليه من قوله عز وجل او لامستم النساء على التصريح بالجماع ونظمهما في سلك
سببي سقوط الطهارة والمصير الى التيمم مع كونهما سببي وجوبها ليس باعتبارهما في انفسهما بل باعتبار
قيد مما يستفاد من قوله تعالى فلم تجدوا ماء بل هو السبب في الحقيقة وانما ذكرا تمهيدا
له وتنبيها على انه سبب للرخصة بعد انعقاد سبب الطهارة الصغرى والكبرى كانه
قيل او لم تكونوا مرضى او مسافرين بل كنتم فاقدين للاسباب من الاسباب مع تحقق ما يوجب
استعماله وتخصيص ذكره بهذه الصورة مع انه معتبر في المرض والسفر ايضا لندرة وقوعها
فيهما واستغنائهما عن ذكره اما لان الجنابة معتبرة فيهما قطعا فيعلم من حكمها حكم الحدث الاصغر
بدلالة النص لان تقدير النظم لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة الا حال كونكم مسافرين فان
كنتم كذلك او مرضى الى اخره واما انما قيل من ان عموم اعواز الماء في حق المسافر غالب والعجز
عن استعمال الماء القائم معتبر في حق المريض في ذلك لفظا وما قيل من ان هذا القيد
راجع الى الكل وان فيه وجوب التطهر المكني عنه بالمجيء من الغائط والملامسة معتبر في الكل
فالا يساعده النظم الكريم فتيمموا صعيدا طيبا متعين وانما من وجه الارض من طاهر قال الزجاج
الصعيد وجه الارض ترابا او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه
ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي لا بد من ان يعلق باليد
شيء من التراب فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي الى المرفقين لما روي انه عليه الصلاة والسلام تيمم ومسح
يديه الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء فيتقدر بقدره ان الله كان عفوا غفورا تعليل
للترخيص والتيسير وتقرير لهما فان من عادته المستمرة ان يعفو عن الخطائين ويغفر للمذنبين
لا بد ان يكون ميسرا لا معسرا وقيل هو كناية عن الترخيص فان اليسر والمسامحة من روادف
العفو وتوابع الغفران الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب كلام مستأنف مسوق لتعجيب المؤمنين
من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم والخطاب لكل من يتاتى منه الرؤية من المؤمنين وتوجيه
التنبيه ها هنا مع توجيهه فيما بعد الى الكل للايذان بكمال شناعة حالهم وانها بلغت
من الظهور بحيث يتعجب منها كل من يراها والرؤية بصرية اي الم تنظر اليهم فانهم احقاء بان
تشاهدهم وتتعجب من احوالهم وتجويز كونها قلبية على ان الى لتضمنها معنى الانتهاء كما في قوله
تاباه مقام تشهير شناعتهم ونظمها في سلك الامور المشاهدة والمراد بهم احبار اليهود
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في حبرين من احبار اليهود كانا ياتيان راس المنافقين عبد
الله بن ابي ورهطه يثبطانهم عن الاسلام وعنه رضي الله عنه ايضا انها نزلت في رفاعة بن زيد
ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا لسانهما وعاباه بالكتاب

من التوراة وتعلمه في جنس الكتاب المنتظم لها انتظاما أوليا وتنويل الفائدة بالذي أوتوا ما بين طرفيه
من الأحكام والعلوم التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي عليه الصلاة والسلام وحقية الإسلام
والتعبير عنه بالنصيب المنبئ عن كونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها للإيذان بكمال ركاكة
آرائهم حيث ضيعوه تضييعا وتنوينه تفخيمي مؤيد للتشنيع عليهم والتعجيب من حالهم فالتعبير عنهم
بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على كمال شناعتهم والإشعار بمكان ما طوي ذكره من المعاملة الجالبة
لهم من الهدى الذي هو أحد الوسيلتين وكلمة من إما متعلقة بأوتوا أو بمحذوف وقع صفة
لنصيبا مبينة لفخامته الإضافية إثر بيان فخامته الذاتية أي نصيبا كائنا من الكتاب **يشترون**
الضلالة فيما هو حال مقدرة من واو أوتوا ولا ريب في أن اعتبار تقدير اشترائهم المذكور في الإيتاء
مما لا يليق بالمقام وقيل حال من الموصول لا يحتاج الى تقدير لأنهم حال الاشتراء بمحل الإيتاء والذي ينبغي به
جزالة النظم الكريم أنه استئناف مبني لمناط التشنيع ومدار التعجيب المفهومين من صدر الكلام
على وجه الإجمال والإبهام مبني على سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر إليهم فقيل يأخذون
الضلالة ويتركون ما أوتوه من الهداية وإنما طوي ذكر المتروك لغاية ظهور الأمر لا سيما بعد الإشعار
المذكور والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذي هو عبارة عن استبدال السلعة بالثمن أي أخذها بدلا منه
أخذا ناشئا عن الرغبة فيها والإعراض عنه للإيذان بكمال رغبتهم في الضلالة التي حقها أن يعرض عنها
كل الإعراض وإعراضهم عن الهداية التي هي فيها المتنافسون وفيه من التسجيل على نهاية سخافة
عقولهم وغاية ركاكة آرائهم ما لا يخفى حيث صورت حالهم بصورة ما لا يكاد يتعاطاه أحد
ممن له أدنى تمييز وليس المراد بالضلالة جنسها الحاصل لهم من قبل أن تخلصهم الاشتراء المذكور
عنه بل هو نوعها الكامل وهو عنادهم وتماديهم في الكفر بعد ما علموا أن النبي عليه السلام
هو الحق وأنه هو النبي الموعود المبشر به في التوراة ولا ريب في أن هذا المرتبة
لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وقد مر في أوائل سورة البقرة **ويريدون** عطف على يشترون
شريك له في بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة المضارع فيهما للدلالة على الاستمرار التجددي فإن
تجدد حكم اشترائهم المذكور وتكررها لعمل موجبه في قوة تجدد نفسه وتكرره أي ولا يكتفون
بضلال أنفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته صلى الله عليه وسلم **أن تضلوا** أنتم أيضا
أيها المؤمنون **السبيل** المستقيم الموصل الى الحق **والله أعلم** أي منكم **بأعدائكم** جميعا ومن جملتهم
هؤلاء وقد أخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون بكم لتكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم أو هو
أعلم بحالهم ومآل أمرهم والجملة معترضة لتقرير إرادتهم المذكورة **وكفى بالله وليا** في جميع أموركم
ومصالحكم **وكفى بالله نصيرا** في كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره
ولا تبالوا بهم وبما يأمرون بكم من السوء فإنه تعالى يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد
والباء زائدة في فاعل في التركيبين لتأكيد الاتصال الإسنادي بالاتصال الإضافي وتكرير الفعل
في الجملتين مع إظهار الجلالة في مقام الإضمار لا سيما في الثانية لتقوية استقلالهما المناسب للاعتراض
وتأكيد كفايته عز وجل في كل من الولاية والنصرة والإشعار بعلتهما فإن الألوهية موجبة
لا محالة **من الذين هادوا** قيل هو بيان للأعداء بكم وما بينهما اعتراض وفيه انحلال وجه التخصيص عليه
سبحانه بطائفة من أعدائهم لا سيما في معرض الإعتراض الذي يعتد العموم والإطلاق والانتظام

ما هو المقصود من المقام انتظاما أوليا كما أشير إليه وقيل هو صلة لنصيرا أي ينصركم من الله
هادو والكافي قوله تعالى من ينصرنا من الله وفيه ما فيه من تحجير واسع نصرته عز وجل والإيماء
إلى وضع الموصول موضع المضمر للأعداء إلا أنه ما في حيز الصلة ليس بوصف ملائم للنصرة وقيل
هو خبر مبتدأ محذوف وقع صفة قوله تعالى **يحرفون الكلم عن مواضعه** صفة له أي من الذين
هادوا قوم أو فريق يحرفون الى آخره وفيه أنه ينبغي كون الفريق السابق وهو أن التحريف الذي هو
المصداق لاشترائهم في الحقيقة فالذي يليق بشأن التنزيل الجليل أنه بيان للموصول الأول
حسب المذموم لأهل الكتابين قد وسط بينهما ما وسط لمزيد الاعتناء ببيان محل التشنيع والتعجيب
والمسارعة الى تنفير المؤمنين وتحذيرهم عن مخالطتهم والاهتمام بحملهم على الثقة بالله عز وجل
والاكتفاء بولايته ونصرته وأن قوله تعالى يحرفون وما عطف عليه بيان لاشترائهم المذكور
وتفصيل لفنون ضلالتهم وقد روعي في النظم الكريم طريقة التفسير بعد الإبهام والتفصيل
إثر الإجمال روما لزيادة تقرير يقتضيه الحال والكلم اسم جنس واحده كلمة كنبق ونبقة
وتذكير ضميره باعتبار أفراده لفظا وجمعية مواضعه باعتبار تعدده معنى وقرئ بكسر الكاف
وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد به هنا إما ما في التوراة
خاصة وإما ما هو أعم منه ومما سيحكى عنهم من الكلمات المعهودة الصادرة عنهم أثناء المحاورة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مساغ لإرادة تلك الكلمات خاصة بأن يجعل عطف قوله
تعالى **ويقولون سمعنا وعصينا** الى آخره على ما قبله عطفا تفسيريا لما ستقف عليه فإن
أريد به الأول فالمعنى على رأي الجمهور يحرفونه أي يزيلونه عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها من التوراة
كتحريفهم في نعت النبي صلى الله عليه وسلم أسمر ربعة عن موضعه في التوراة بأن وضعوا مكانه
آدم طوال وكتحريفهم الرجم بوضعهم الحد موضعه أو صرفه عن المعنى الذي أنزله الله تعالى فيه
الى ما لا صحة له بالتأويلات الزائغة الملائمة لشهواتهم الباطلة والأول أنسب بالمقام فلا
بد من أن يراد بمواضعه ما يليق به مطلقا سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحا كمواضع ما في التوراة
أو بتعين العقل والدين كمواضع غيره وأياما كان فقولهم سمعنا وعصينا ينبغي أن يجري على إطلاقه
من غير تقييده بزمان أو مكان ولا تخصيصه بمادة دون مادة بل أن يحمل على ما هو أعم من القول
الحقيقي ومما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم ليندرج فيه ما نطقت به ألسنتهم عند سماع
التوراة قالوا من لا يتبع شريعته لأنكاد لا يجاسر عليه مثل هذه المكابرة والإعجال ما قالوا
في مجلس النبي عليه الصلاة والسلام من القبائح خاصة بيت عن أخصها في محكم الشرطية الآتية
وما بعده مما يتبين من غير تعرض لتحريفهم التوراة مع أنه معظم جناياتهم المعدودة ومن هنا
تبين لك أن الموعود فتأمل أي يقولون في كل أمر مخالف لأهوائهم الفاسدة سواء كان بمحضر
النبي صلى الله عليه وسلم أو لا بلسان المقال أو الحال سمعنا وعصينا وأخلفنا القول
أي ويقولون ذلك في أثناء مخاطبته عليه الصلاة والسلام خاصة وهو كالمرد وجهين وهو
مستر بالنجاة في معنى اسمع حال كونك غير مسمع عنادا أو تحقيقا للمخالفة وقوله تعالى **واسمع**
غير مسمع عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول أي ويقولون ذلك في أثناء مخاطبته عليه
الصلاة والسلام خاصة وهو كالمرد وجهين محتمل للشر بأن يحمل على معنى اسمع حال كونك

سمع كلاما اصلا بصمم او موت اي مدعوا عليك بلا سمعت او غير مسمع كلاما ترضاه فحينئذ يجوز
ان تكون نصبه على المفعولية وللخير على ان يحمل على اسمع منا غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به النبي
عليه الصلاة والسلام استهزاء به مظهرين له عليه الصلاة والسلام ارادة المعنى الاخير وهم
مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به وراعنا عطف على اسمع غير مسمع اي ويقولون في اثناء خطابهم
له عليه الصلاة والسلام هذا ايضا وهو ذو وجهين كالاول لفظا بغير الثاني فيحتملهما ومحتملا
كلمة ذات جهتين محتملة للخير على معنى ارقبنا وانتظرنا نكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة
اي الحمق وباجرائها مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا
كانوا يخاطبونه عليه الصلاة والسلام بذلك ينوون الشتيمة والاهانة ويظهرون
التوقير والاحترام وتصييرهم الى مسلك النفاق في القولين الاخيرين مع تصريحهم بالعصيان في
الاول لما قالوا الا بجميع الكفرة كانوا لا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعا
وقيل كانوا يقولون الاول فيما بينهم ويجوز ان لا يستطيعوا بين ذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا
كانهم نطقوا به ليا بألسنتهم اي فتلا بها وصرفا للكلام عن نهجه الى نسبة السب حيث
وضعوا غير مسمع موضع لا اسمعت مكروها واجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى انظرنا او فتلا
بها وضما لما يظهرونه من الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه من السب والتحقير وطعنا في الدين
اي قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية وانتصابهما على العلية ليقولون باعتبار تعلقه بالقولين
الاخيرين اي يقولون ذلك لصرف الكلام عن وجهه الى السب والطعن في الدين او على الحالية
اي لاوين وطاعنين في الدين ولو انهم عند ما سمعوا اوامر الله ونواهيه قالوا بلسان المقال
او بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا انما اعتبر سمعنا مع انه متحقق في كلامهم
وانما الحاجة الى وضع اطعنا مكان عصينا لا للتنبيه على عدم اعتباره بل على اعتباره
عندهم كيف لا وشاعهم سماع الرد ومرادهم حكاية اهل القرآن عصيانهم للامر بعد سماعه والوقوف
عليه فلا بد من اثباته واقامة سماع القبول مقامه واسمع اي لو قالوا عند مخاطبة النبي عليه
الصلاة والسلام بدل قولهم اسمع غير مسمع وانظرنا اي ولو قالوا بدل قولهم راعنا ولم يدسوا
تحت كلامهم شرا وفسادا اي ولو ثبت انهم قالوا هذا مكان ما قالوا من الاقوال لكان قولهم ذلك
خيرا لهم مما قالوا واقوم اي اعدل واسد في نفسه وصيغة التفضيل اما على بابها واعتبار اصل الفعل
في المفضل عليه بناء على اعتقادهم او بطريق التهكم واما بمعنى اسم الفاعل وايا ما كان فالمراد البيان حاله
بالنسبة اليهم لا لحاله في نفسه لان حسنه مفقود في ما بينهم ولكن لعنهم الله بكفرهم اي
ولكن لم يقولوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله تعالى وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ذلك
فلا يؤمنون بعد ذلك الا قليلا اي الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الكتب والرسل
او الا زمانا قليلا وهو زمان الاحتضار فانهم يؤمنون بعد ذلك حين لا ينفعهم الايمان قال
تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكذا مما يتنوع ايمان قطعا وقد جوز ان
يراد بالقلة العدم بالكلية على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى
اي ان كان الايمان المعدوم ايمانا فهم يحدثون شيئا من الايمان فهو في المعنى تعليق بالمحال
وانت خبير بان المحل يأباه مما يعقبه من الامر بالايمان بالقرآن الناطق بهذا الاقتضائية

اي

اي التكليف بالمحال الذي هو ايمانهم المستمر اما في الوجه الاخير فظاهر واما في الاولين فلان
ايمانهم بالايمان المجموع بجميع الكتب والرسل بعد ايمانهم الى وقت الاحتضار فالوجدان يحيل
التعليق على من يؤمن بعد ذلك لكن لا يعتد المستثنى منه ضمنا للفاعل فلا يؤمنون لا تقتضيه
وقوع ايمان من لعنه الله تعالى وخذله مع ما فيه من نسبة القرآن الى الاتفاق في غير المختار
بل يجعله مبنيا للمفعول في لعنهم اي ولكن لعنهم الله الا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم
ينسد عليهم باب الايمان وقد امن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام واضرابه كما
يا ايها الذين اوتوا الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له الى من حكيت احوالهم واقوالهم خاصة
بطريق الالتفات ووصفهم تارة بايتاء الكتاب اي التوراة واخرى بايتاء نصيب منها للتوبيخ
بالمرتين التامين حظ فان المقصود فيما سبق بيان اخذهم الضلالة مما اوتوا مما ثبتوا بالتحريف
ولا سيما ان المقام ان كلهما حيث يؤمنوا باياته واما ههنا فان المقصود تأكيد ايجاب الامتثال
بالامر الذي يعقبه والتحذير عن مخالفته من حيث ان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه
والكفر بالثاني مقتضي للكفر بالاول قطعا ولا ريب في ان المحذور عندهم انما هو الكفر
بالتوراة نفسها لا ببعضها وذلك انما يتحقق بجعل القرآن مصدقا لكلها وان كان مناط
التصديق بعضها ضرورة ان مصدق البعض مصدق للكل المتضمن له حتما اما اليهم
والى غيرهم قاطبة ● وايا ما كان فتعقيب ما ذكر لما كان منطبقا او لا ذل من ان لم يبين (?)
ما لا بد لهم من العمل له عقب ذلك بالامر بالمبادرة الى سلوك محجة الهداية مشفوعا بالوعيد
الشديد على المخالفة فقيل آمنوا بما نزلنا من القرآن المعبر عنه بالموصول تشريفا له بالتجئة (?)
العلية وتحقيقا لكونه من عنده عز وجل مصدقا لما معكم من التوراة عبر عنها بذلك للايذان
بكمال وقوفهم على حقيقة الحال فان المعية المستدعية لها وامرارها وتكرار المراجعة اليها
من موجبات الوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكون القرآن مصدقا لها ومعنى
تصديقه اياها نزوله حسبما نعت لهم فيها او كونه موافقا لها في القصص والمواعيد والدعوة
الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفة
لها في جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الامم والاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي عين
الموافقة من حيث ان كلا منهما حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك
التشريع حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق
المتقدم قطعا ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي
من قبل ان نطمس وجوها متعلق بالامر مفيد للمسارعة الى الامتثال والجد في الانتهاء عن مخالفته
بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على ابلغ وجه واكده حيث لم يعلق وقوع الموعود به
بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيها على ان ذلك امر محقق غني عن الاخبار به وانه على
شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين وفي حسن استدعائهم الى الايمان واصل الطمس محو الآثار وازالة
الاعلام اي آمنوا من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها قال ابن عباس رضي الله عنهما
نجعلها كخف البعير او كحافر الدابة ● وقال قتادة والضحاك نعميها لقوله تعالى لطمسنا على اعينهم
وقيل نجعلها منابت الشعر كوجوه القردة فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها واقفائها

مطموسة مثلها فالفاء للتسبيب او ننكسها بعد الطمس فنردها الى موضع القفا والقفا الى موضعها وقد
اكتفى بذكر اشدهما فالفاء للتعقيب • وقيل المراد بالوجوه الوجهاء فالطمس بمعنى مطلق
التغيير اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلب اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارا وادبارا
او نردهم من حيث جاؤا منه وهي اذرعات الشام فالمراد بذلك اجلاء بني النضير ولا يخفى انه لا
يساعده مقام تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجميع فالوجه ما سبق من الوجوه وقد اختلف في
ان الوعيد هل هو كان بوقوعه في الدنيا او في الاخرة فقيل بوقوعه في الدنيا او في الاخرة •
ويؤيده ما روي ان عبد الله بن سلام واصحابه لما قدم من الشام وقد سمع هذه الاية اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان
اصل اليك حتى يحول وجهي الى قفاي • وفي رواية جاء الى النبي عليه الصلاة والسلام ويده على
وجهه واسلم وقال ما قال وكذا ما روي ان عمر رضي الله عنه قرا هذه الاية على كعب
الاحبار • فقال كعب يا رب امنت • يا رب اسلمت مخافة ان يصيبه وعيدها ثم اختلفوا
فقيل انه منتظر بعد ولا بد من طمس في اليهود وهو قول المبرد ومنه ان انحراف العذاب
الموعود من اوائلهم الذين باشروا اسباب نزوله وموجبات حلوله حيث شاهدوا ايات
النبوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعته في التوراة فحرفوها واصروا على الكفر
والضلال وتعلق بهم خطاب المشافهة في الوعيد مرتين ولله على من وجد بعد ما مات من
السنين من اعقابهم الضالين بامثالهم العاملين بما عهد واين توابع الغواية بعيد من حكمة
الله العزيز الحكيم • وقيل ان الوعيد كان مشروطا بعدم الايمان وقد امن احبارهم المذكوران
وامثالهما فلم يقع وفيه ان اسلام بعضهم ان لم يكن سببا لتاكيد نزول العذاب على الباقين
لتشددهم في محل التكبر وابائهم بعد الازدياد في الحق ووضوحه وقيام الحجة عليهم بشهادة اماثلهم
العدول فلا اقل من ان يكون سببا لرفعه عنهم • وقيل كان الوعيد بوقوع احد الامرين
كما ينطق به قوله تعالى او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت فان لم يقع الاول فلا نزاع في وقوع الثاني
كيف لا وهم ملعونون بكل لسان في كل زمان وتفسير اللعن بالمسخ ليس بمطابق للسياق • وانت خبير
بان المتبادر من اللعن المشبه بلعن اصحاب السبت هو المسخ وليس في عطفه على الطمس بكلمة او دلالة
على الادبار بالرتابة ودلالة على عدم ارادة المسخ ضرورة انه تغيير مغاير لما عطف عليه فلان
الموعود به لا بد ان يكون امرا حادثا مترتبا على الوعيد ليكون محذورا عن مخالفة الامر ولعن
بعد الله ووقع عليهم لعن بهذا الوصف انما الواقع عليهم ما كان اولئك الا لبسه من اللعن المحتم
الذي الفوه وهو بمعزل من صلاحية ان يكون حكما لهذا الوعيد او مزجرة للعنيد وقد
انما كان الوعيد بوقوع ما ذكر في الاخرة عند الحشر وسيقع فيها لا محالة احد الامرين وكلاهما
في سبيل التوزيع • واما ما روي عن عبد الله بن سلام وكعب رضي الله عنهما فمبني على الاحتياط
اللائق بشانهما والحق ان النظم الكريم ليس بنص في احد الوجهين بل المتبادر منه بحسب المقام
هو الاول لانه ادخل في الزجر وعليه مبني ما روي عن الحبرين لكن لما لم يقع وقوعه علم ان المراد
هو الثاني والله تعالى اعلم واياما كان فلعل السر في تخصيصهم بهذه العقوبة من بين
العقوبات المشاكلة بينها وبين ما اوجبها من جناياتهم التي هي التحريف والتغيير والله العليم

الحقيقة

بالحقيقة • وكان امر الله اي ما امر به كائنا ما كان او امره بايقاع شيء من الاشياء مفعولا نافذا كائنا
لا محالة فيندرج فيه ما اوعدتم به اندراجا اوليا فالجملة اعتراض تذييلي مقرر لما سبق
ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية المهابة وتقوية الحكم
ما في الاعراض من الاستفادة • ان الله لا يغفر ان يشرك به كلام مستانف مسوق لتقرير ما
قبله من الوعيد وتاكيد وجوب الامتثال بالامر بالايمان ببيان استحالة المغفرة بدونه
فانهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى فخلف من
بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا والمراد
بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاما اوليا فان الشرع قد نص على اشراك اهل
الكتاب قاطبة وقضى بخلود اصناف الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل
وهو الانسب بسياق النظم الكريم وسباقه لا يقتضي اختصاصه بكفرهم بل يكفي اندراجه
فيه قطعا بل لا وجه له اصلا فتقييد المغفرة ما دون الكل بمعرفة الشرك من انواع الكفر
اي لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلا توبة وايمان لان الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب
الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان مما يؤدي الى فتحه ولان ظلمات الكفر والمعاصي انما يسترها
نور الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
عطف على خبر ان وذلك اشارة الى الشرك وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالذكر للايذان
ببعد درجته وكونه في اقصى مراتب القبح اي ويغفر ما دون الشرك من المعاصي صغيرة كانت
او كبيرة تفضلا من لدنه واحسانا من غير توبة عنها لا لكل احد بل لمن يشاء اي لمن
يشاء ان يغفر له ممن اتصف به فقط لا بما فوقه فان مغفرتها لمن اتصف بها سواء في استحالة
العقول غير المشيئة المبنية على الحكمة التشريعية فان اختصاص مغفرة المعاصي من
غير توبة بامثال الايمان من متممات الترغيب والزجر عن الكفر ومن علق المشيئة بكلا
الفعلين وجعل الموصول الاول عبارة عن من لم يتب والثاني عن من تاب فقد ضل
سبيل الصواب كيف لا فان مساق النظم الكريم لاظهار كمال عظم جريمة الكفر
وامتيازه عن سائر المعاصي ببيان استحالة مغفرته وجواز مغفرتها فلو كان الجواز على
تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق للاجماع على مغفرتهما بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود
من الزجر البليغ عن الكفر والطغيان والحمل على التوبة والايمان ومن يشرك بالله اظهار الاسم
الجليل في موضع الاضمار لزيادة تقبيح الاشراك وتفظيع حال من يتصف به فقد افترى اثما
عظيما اي افترى واختلق مرتكبا اثما لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع الاثام فلا يتعلق به
المغفرة قطعا الم تر الى الذين يزكون انفسهم تعجيب من حالهم المنافية لما هم عليه من الكفر
والطغيان والمراد بهم اليهود الذين يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود
جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب فقال صلى الله
عليه وسلم لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل
كفر عنا بالنهار اي انظر اليهم فتعجب من ادعائهم انهم ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه
من الكفر والاثم العظيم او من ادعائهم التزكية مع استحالة ان يغفر للكافر شيء من

بل او لمنافيه و تعدي من اعجاب المرء بنفسه و بعمله بل الله يزكي من يشاء من كتبه من يشاء بما
من المرتضين من عباده المؤمنين اذ هو العليم الخبير بما ينطوي عليه البشر من المحاسن والمساوي
وقد وصفهم الله تعالى بانهم متصفون بما هو من القبائح واصل التزكية نفي ما يستقبح بالفعل او
بالقول ولا يظلمون عطف على جملة قد حذفت تعويلا على دلالة الحال وايذانا بانها غنية
من الذكر اي يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب فتيلا اي ادنى
ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة وقيل
التفسير بما به المدلول ولا ينقص من ثوابهم اصلا ولا يزاد على ما يستحقونه من العقاب انظر كيف
يفترون على الله الكذب كيف نصب على التشبيه بالظرف او بالحال على الخلاف المشهور بين سيبويه
والاخفش والعامل يفترون وبه يتعلق على اي في اي حال او على اي حال يفترون عليه
تعالى الكذب والمراد بيان شناعة تلك الحال وتفاقمها والجملة في محل النصب بعد
نزع الخافض والنظر متعلق بهما وهو تعجيب اثر تعجيب وتنبيه على ان ما ارتكبوه متضمن لامرين
عظيمين موجبين للتعجب ادعاؤهم الاتصاف بما هم متصفون بنقيضه وافتراؤهم على الله
سبحانه فان ادعاءهم الزكاء عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله وارتضاءه اياهم تعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا ولكون هذا اشنع من الاول جرما واعظم قبحا لما فيه من نسبته سبحانه الى ما
يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه لعباده ومغفرة كفر الكافر وسائر معاصيه
وجه النظر الى كيفيته تشديدا للتشنيع وتأكيدا للتعجيب والتصريح بالكذب مع ان الافتراء
لا يكون الا كذبا للمبالغة في تقبيح حالهم وكفى به اي بافترائهم هذا من حيث هو افتراء عليه
مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية انفسهم وسائر آثامهم العظام اثما مبينا ظاهرا بينا
كونه اثما والمعنى كفى ذلك وحده في كونهم اشد اثما من كل كفار اثيم او في استحقاقهم لاشد العقوبا
ت مما مر من وجعل الضمير لهم مما لا علم من الانسلاخ عنه لا يضاف اليه بتهويل امر الافتراء اقتضاء
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب تعجيب من حال اخرى لهم ووصفهم بما ذكر من اسباب التعجب
لما مر من منافاته لما صدر عنهم من القبائح وقوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت استيناف
مبين لمادة التعجب مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم
فقيل يؤمنون الخ والجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو
الذي لا خير عنده فابدل السين تاء وقيل الجبت الساحر بلغة الحبشة والطاغوت الشيطان
وقيل هو في الاصل كل ما يطغي الانسان روي ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين
خرجا الى مكة في سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم
اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى
نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما
فعلوا وقال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا
اهدى طريقا نحن ام محمد فقال ماذا يقول محمد قال يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك
قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا

افعالهم

افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا وذلك قوله تعالى ويقولون للذين كفروا اي لاجلهم وفي حقهم
هؤلاء يعنون بهم اياهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اي اقوم دينا وارشد طريقة وايرادهم بعنوان الايمان
ليس من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى تعريفا لهم بالوصف الجميل وتخطئة لمن رجح عليهم
باقبح القبائح اولئك اشارة الى القائلين وما فيه من معنى البعد للاشعار ب
بعد منزلتهم في الضلال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين لعنهم الله اي ابعدهم عن رحمته
ومن يلعن الله يبعده عن العذاب دنيويا كان او اخرويا بلا شفاعة ولا بغيرها وفيه
تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش وفي كلمة لن وتوجيه الخطاب الى كل احد ممن يتأتى له الخطاب
وتوحيد النصير منكرا والتعبير عن عدمه بعدم الوجدان المجامع للمخاطب العام من الدلالة على حرمانهم
الابدي بالكلية ما لا يخفى فلن تجد له نصيرا شروع في تفصيل بعض آخر من قبائحهم
وام منقطعة وما فيها من بل للاضراب والانتقال من ذمهم بتزكيتهم انفسهم وغيرها
مما حكي عنهم الى ذمهم بادعائهم نصيبا من الملك وبخلهم المفرط وشحهم البالغ والهمزة
لانكار ان يكون لهم ما يدعونه وابطاله وقالوا ان الملك سيصير اليهم وقوله تعالى
ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منه بسبب
انهم من البخل والدناءة بحيث لو اوتوا شيئا من ذلك لما اعطوا الناس منه اقل قليل ومن حق
من اوتي الملك ان يؤثر الغير بشيء منه فالفاء للسببية الجزائية لشرط محذوف اي لو
جعل لهم نصيب منه فاذا لا يؤتون الناس نقيرا وهو ما في ظهر النواة من النقرة يضرب به المثل
في القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كنه حالهم فاذا كان شأنهم كذلك
وهم ملوك فما ظنك بهم وهم اذلاء متفاقرون ويجوز ان لا تكون الهمزة لانكار الوقوع
بل لانكار الواقع والتوبيخ اي الهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون على ان الفاء للعطف والانكار
متوجه الى مجموع المعطوفين على معنى الهم نصيب وافر من الملك حيث كانوا اصحاب اموال
وبساتين وقصور مشيدة كالملوك ولا يؤتون الناس مع ذلك نقيرا الخ لمعنى لا اعطى
اياما كان منه اقل القليل من المال فلا يشفق على احد شيئا وفائدة اذا تأكيد الانكار
والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصيب سببا للمنع مع كونه سببا للاعطاء وهي ملغاة عن
العمل كأنه قيل فلا يؤتون الناس اذا وفي قراءة لا يؤتوا بالنصب على اعمالها ام يحسدون الناس
منقطعة ايضا معقبة للانتقال من توبيخهم بما سبق الى توبيخهم بالحسد الذي هو شر الرذائل
واقبحها لا سيما على ما هم بمعزل من استحقاقه واللام في الناس للعهد والاشارة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وحمله على الجنس لبيان الانبياء لانهم الكاملات البشرية فلجمعهم
تكاثرهم من الناس لا عبرة بانه ذكر حديث ان اي ما تسير فان ذلك لمشاركة ما بين العرب
من العلاقة الموجبة لا تسير لكمال استحقاقها لا لانكار الفعل والمعنى لا لانكار الواقع والا
لانهم كانوا يطمعون ان يكون النبي الموعود منهم فلما اختص الله تعالى بتلك الكرامة
حسدوهم اي بل ايحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب وازدياد العز
والنصر يوما فيوما وقوله تعالى فقد آتينا تعليل للانكار والاستقباح فان ايتاءه اياهم ما هو
معهود عندهم وحسدهم لما ذكر حسدهم واستقباحهم المستدعى على ما فيهم من استحقاق

المحسود لما اوتي من الفضل بيان استحقاقه له بطريق الوراثة كابرا عن كابر واجرا الكلام
على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لاظهار كمال العناية بالامر والمعنى ان حسدهم المذكور
في غاية القبح والبطلان فانا قد آتينا من قبل هذا آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد صلى
الله عليه وسلم وابناء اعمامه الكتاب والحكمة اي النبوة وآتيناهم مع ذلك ملكا عظيما
لا يقادر قدره فكيف يستبعدون نبوته صلى الله عليه وسلم ويحسدونه على ايتائها وتكرير
الايتاء لما يقتضيه مقام التفصيل مع الاشعار بما بين النبوة والملك من المغايرة فان اريد
به الايتاء بالذات فالمراد بآل ابراهيم انبياؤهم عليهم السلام خاصة والضمير المنصوب
في الفعل الثاني لبعضهم اما بحذف المضاف او بطريق الاستخدام لما ان الملك لم يؤت
كلهم. قال ابن عباس رضي الله عنهما الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود
وسليمان عليهم الصلاة والسلام وان اريد به ما يعمه وغيره من الايتاء بالواسطة وهو
اللائق بالمقام والاوفق لما قبله من نسبة ايتاء الفضل الى الناس فالمراد بآل ابراهيم
كلهم فان تشريف البعض بما ذكر من ايتاء النبوة والملك تشريف للكل لاعتنائهم بآثاره
واقتباسهم من انواره وفي تفصيل ما اوتوه وتكرير الفعل ووصف الملك بالعظم
وتنكيره التفخيمي من تأكيد الالزام وتشديد الانكار ما لا يخفى. فمن اهم المتبادر
الى النظر الكبير واليه جنح جمهور ائمة التفسير. لكن الظاهر حينئذ ان يكون قوله
تعالى فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه حكاية لما صدر عن اسلافهم عقيب وقوع المحكي من غير
ان يكون له دخل في الالزام الذي سيق له الكلام اي فمن جنس هؤلاء الحاسدين وآبائهم
من آمن بما اوتي آل ابراهيم ومنهم من اعرض عنه وانما جعل الضمير لما ذكر من حديث آل ابراهيم
فيستدعي تأخر الآية الكريمة عما قبلها نزولا وايضا فلا حكاية ايمانهم بالحديث المذكور
واعراضهم عنه بصيغة الماضي اعلى صورة بعد وقوع الايمان والاعراض من الناس عن سماع الحديث
الناس من قوله ولعل لك جعلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ الظاهر بيان حالهم بعد
هذا الالزام وحمله على حكاية حالهم السابقة لا يلائمه الفاء المرتبة لما بعدها على ما قبلها
ولا بعد كل البعد ان يكون المراد لشرح حسد محدودين منهم لذلك ويكون قوله تعالى
فقد آتينا الآية تعليلا له بدلالته على اعراضهم عما اوتي آل ابراهيم وان لم يذكر كونه بطريق
الحسد. كانه قيل بل يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يؤمنون في ذلك
دين نهجهم المستمر فانا قد آتينا آل ابراهيم ما آتيناهم فمنهم اي من جنسهم من آمن بما آتيناهم
ومنهم من اعرض عنه ولم يؤمن به والله سبحانه اعلم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعرة يعذبون بها والجملة تذييل ان الذين كفروا بآياتنا
ان اريد بهم الذين كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد بالآيات اما القرآن او ما
يعم كله وبعضه او ما يعم سائر معجزاته ايضا وان اريد بهم الجنس المتناول لهم تناولا
اوليا فالمراد بالآيات ما يعم المذكورات وسائر الشواهد التي اوتيها الانبياء عليهم
الصلاة والسلام سوف نصليهم نارا قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد
وينوب عنها السين وقد يذكران في الوعد فيفيدان التأكيد اي ندخلهم نارا عظيمة هائلة

كلما

كلما نضجت جلودهم اي احترقت وكلما ظرف زمان والعامل فيه بدلناهم جلودا غيرها من قبل بدله
عوضه انشاء لا من قبيل بدل الشيء بغيره اي اعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه
جلدا جديدا مغايرا للمحترق صورة وان كان عينه مادة بان يزول عنه الاحتراق
ليعود احساسه للعذاب والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير نصليهم وقد يجوز كونها
صفة لنارا او على حذف العائد اي كلما نضجت فيها جلودهم ومعنى قوله تعالى ليذوقوا العذاب
ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب
للنفس العاصية لا لآلة ادراكها. قال ابن عباس رضي الله عنهما يبدلون جلودا بيضا كامثال
القراطيس. روي ان هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله عنه فقال للقارئ اعدها
فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل
في ساعة مائة مرة فقال عمر رضي الله عنه هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما
كانوا. وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بين منكبي الكافر
مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع. وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر او ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة
ايام. والتعبير عن ادراك العذاب بالذوق ليس لبيان قلته بل لبيان ان احساسهم
بالعذاب في كل مرة كاحساس الذائق بالذوق من حيث انه لا يدخله نقصان بدوام
الملابسة او للاشعار بمرارة العذاب مع ايلامه او للتنبيه على شدة تأثيره من حيث
ان القوة الذائقة اشد الحواس تأثرا او على سرايته للباطن ولعل السر في تبديل الجلود
مع قدرته تعالى على ابقاء ادراك العذاب وذوقه بحالها مع الاحتراق او مع ابقاء ابدانهم
على حالها مصونة من الاحتراق ان النفس ربما تتوهم زوال الادراك بالاحتراق ولا
تستبعد كل الاستبعاد ان تكون مصونة عن التألم والعذاب صيانة بدنها من
الاحتراق ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده ولا يمانعه احد حكيما يعاقب من يعاقبه
على وفق حكمته والجملة تعليل لما قبلها من الاصلاء والتبديل واظهار الاسم
الجليل بطريق الالتفات لتهويل الامر وتربية المهابة وتعليل الحكم فان عنوان
الالوهية مناط لجميع صفات كماله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات عطف بيان لسوء حال
الكفرة ببيان حسن حال المؤمنين تكملة لمساءة الاولين ومسرة الآخرين اي الذين
آمنوا بآياتنا وعملوا بمقتضياتها ومعرفته اخبر قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار
وقرئ سيدخلهم بالياء رداً على الاسم الجليل وفي السين تأكيد للوعد خالدين فيها ابدا حال
مقدرة من الضمير المنصوب في سندخلهم وقوله عز وجل لهم فيها ازواج مطهرة اي مما في نساء الدنيا من
الاحوال المستقذرة التي ينبو عنها الطبيعة في محل النصب على انه حال من جنات او حال ثانية
من الضمير المنصوب او على انه صفة لجنات بعد صفة او في محل الرفع على انه خبر للموصول
وندخلهم ظلا ظليلا اي ... لا حر فيه ولا ... اللهم ارزقنا ذلك بفضلك وكرمك
يا ارحم الراحمين والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيده كما في ليل اليل ويوم ايوم

وفيه ايذان بخلودهم بالنار وهو معطوف على سبب خلودهم لا على انه غير الادخال الاول بالذات بل بالعنوان
كما في قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ
ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها في تصدير الكلام بكلمة التحقيق واظهار
الاسم الجليل وايراد الامر على صورة الاخبار من الفخامة وتاكيد وجوب الامتثال به والدلالة
على الاعتناء بشانه ما لا مزيد عليه وهو خطاب يعم حكمه المكلفين قاطبة كما ان الامانات
تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد سواء كانت فعلية
او قولية او اعتقادية وان ورد في شان عثمان بن طلحة ابن عبد الدار بواب الكعبة المعظمة
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة
وصعد الى السطح وابى ان يدفع المفتاح وقال لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم امنعه فلوى علي ابن ابي طالب رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح ودخل النبي صلى الله عليه
وسلم وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة
فنزلت فامر عليا رضي الله عنه ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي رضي الله
عنه اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرانا وقرا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الاية • فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فهبط
جبريل عليه السلام فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان
ابدا • وقرئ الامانة على التوحيد والمراد الجنس لا المعهود • وقيل هو امر للولاة باداء
الحقوق المتعلقة بذممهم من المناصب وغيرها الى مستحقيها كما ان قوله تعالى واذا حكمتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل امر لهم بايصال الحقوق المتعلقة بذمم الغير الى اصحابها وحيث
كان المامور به ههنا مختصا بوقت المرافعة قيد به بخلاف المامور به اولا فانه لما لم يتعلق بوقت
دون وقت اطلق اطلاقا فقوله تعالى ان تحكموا بالعدل عطف على ان تؤدوا وقد فصل بين العاطف
والمعطوف بالظرف المعمول له عند الكوفيين ولمعمول مقدر يدل عليه عند البصريين لان ما بعد
ان لا يعمل فيما قبلها عندهم وان تحكموا اذا حكمتم • وقوله تعالى بالعدل متعلق بتحكموا
او بمحذوف وقع حالا من فاعله اي متلبسين بالعدل والانصاف ان الله نعما يعظكم به
ما اما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم
الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذلك وهو المامور به من اداء الامانات
والعدل في الحكومات • وقرئ بفتح النون والجملة مستانفة مقررة لما قبلها متضمنة
لمزيد لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الامتثال بالامر واظهار الاسم الجليل لتربية
المهابة ان الله كان سميعا لاقوالكم بصيرا بافعالكم فهو وعد ووعيد واظهار الجلالة
لما ذكر فيما قبله وتاكيد كل من الوعد والوعيد يا ايها الذين امنوا بعد ما امر الولاة بطريق
العموم او بطريق الخصوص باداء الامانات والعدل في الحكومات امر سائر الناس بطاعتهم لكن لا
مطلقا بل في ضمن طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قيل اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وهم امراء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن
يقتدي بهم من المهتدين • واما امراء الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله تعالى والرسول

صلى الله عليه وسلم في وجوب الطاعة لهم وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول
والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم • وقوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله
اذ ليس للعلماء ان ينازع المجتهد في حكمه الا ان يجعل الخطاب لاولي الامر بطريق الالتفات وفيه
بعد وتصديره بالفاء لترتيبها على ما قبلها فان بيان حكم طاعة اولي الامر عند موافقتها
لطاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يستدعي بيان حكمها عند المخالفة اي
ان اختلفتم انتم واولو الامر منكم في امر من امور الدين فراجعوا فيه الى كتاب الله والى الرسول
اي الى سنته • وقد استدل به منكرو القياس وهو في الحقيقة دليل على حجيته • كيف لا
ورد المختلف فيه الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعني بالقياس ويؤيده
الامر به بعد الامر بطاعة الله تعالى وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يدل على ان الاحكام
ثلاثة ثابت بالكتاب والسنة • وثابت بالسنة • وثابت بالرد اليهما بالقياس ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الاخر متعلق بالامر الاخير الوارد في محل النزاع اذ هو المحتاج الى التحذير من المخالفة
وجواب الشرط محذوف عند جمهور البصريين ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الاخر فردوه فان الايمان بهما يوجب ذلك اما الايمان بالله تعالى فظاهر
واما الايمان باليوم الاخر فلما فيه من العقاب على المخالفة ذلك اي الرد المامور به
خير لكم واصلح واحسن في نفسه تاويلا اي عاقبة ومالا وتقديم خيريته لهم على احسنيته
في نفسه لما ان مدار ترغيبهم والمراد بيان اتصافه في نفسه بالخيرية الكاملة
والحسن الكامل في ذاته من غير اعتبار فضله على شيء يشاركه في اصل الخيرية والحسن كما ينبئ عنه
التحذير السابق الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك تلوين
للخطاب وتوجيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجيبا من احوال الذين يخالفون ما امروا به من
الامر المحتوم ولا يطيعون الله ولا رسوله ووصفهم بادعاء الايمان بالقران وما انزل اليه
من قبله اعني التوراة لتاكيد التعجب وتشديد التوبيخ والاستقباح ببيان كمال المباينة
بين دعواهم وبين ما صدر عنهم • وقرئ الفعلان مبنيا للفاعل قوله تعالى يريدون
ان يتحاكموا الى الطاغوت استئناف سيق لبيان محل التعجب مبني على سؤال نشا من صدر الكلام
كانه قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون الى اخره • روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا
خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن
الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض به المنافق وقال
الى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقال اليهودي قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض
بقضائه فقال عمر رضي الله عنه للمنافق اكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما
فدخل فاشتمل سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت • وقال جبريل عليه السلام ان عمر رضي الله عنه فرق بين
الحق والباطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف
سمي به لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان
والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير النبي صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى

الشيطان • وقال القفال المراد بالطاغوت كهنة اليهود وسحرتهم • قال الشعبي ان المنافق دعا
خصمه الى كاهن في جهينة فتحاكما اليه • وعن السدي ان الحادثة وقعت في قتيل بني قريظة والنضير
فتحاكم المسلمون من الفريقين الى النبي صلى الله عليه وسلم وابى المنافقون منهما الا التحاكم الى ابي برزة
الكاهن الاسلمي فتحاكموا اليه فيكون الانتقال حينئذ في معرض التعجب والاستقباح على ذكر ارادة
التحاكم دون نفسه مع وقوعه ايضا للتنبيه على ان ارادته مما يقضي منه العجب ولا ينبغي ان يدخل تحت
الوقوع فما ظنك بنفسه ومعنى التعجب بوصف المنافقين بادعاء الايمان بالتوراة فانه كما يقتضي كونهم
منافقي اليهود يقتضي كون ما صدر عنهم من التحاكم مما ينافي لادعاء الايمان بالتوراة وليس التحاكم
الى كعب ابن الاشرف بهذه المثابة من الظهور وايضا فالمتبادر من قوله تعالى وقد امروا ان يكفروا
به كونهم مامورين بكفره في الكتابين وما ذاك الا الشيطان واولياؤه المشهورون بولايته
كالكهنة ونظائرهم لان ما عداه اسر من لم تشتهر بذلك • وقد قرئ ان يكفروا بها بل ان الطاغوت
جمع كما في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم • والجملة حال من ضمير يريدون مفيدة
لتاكيد التعجب وتشديد الاستقباح كالوصف السابق • وقوله عز وعلا ويريد الشيطان
ان يضلهم ضلالا بعيدا عطف على يريدون داخل في حكم التعجب فان اتباعهم لمن يريد اضلالهم
واعراضهم عمن يريد هدايتهم اعجب من كل عجيب • وضلالا اما مصدر مؤكد لفعله المدلول عليه بالمذكور
اي فيضلون ضلالا • واياما كان فوصفه بالبعد الذي هو نعت موصوفه للمبالغة • وقوله تعالى
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول تكملة لمادة التعجب ببيان اعراضهم صريحا
عن التحاكم الى كتاب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم اثر بيان اعراضهم عن ذلك في ضمن التحاكم الى
الطاغوت • وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل تخفيفا كما في قولهم ما باليت به بالة اصلها
بالية فحذفت اللام ووقعت واو الجمع بعد اللام في تعالى فضمت فصار تعالوا ومنه قول اهل مكة
للمراة تعالي بكسر اللام • وعليه قول ابي فراس الحمداني •

• ايا جارتا ما انصف الدهر بيننا • تعالي اقاسمك الهموم تعالي •

رايت المنافقين اظهار في مقام الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم به والاشعار
بعلة الحكم والرؤية بصرية • وقوله تعالى يصدون عنك حال من المنافقين وقيل الرؤية
قلبية والجملة حال مفعول ثان لها والاول انسب لظهور حالهم • وقوله تعالى صدودا •
مصدر مؤكد لفعله اي يعرضون عنك اعراضا واي اعراض • وقيل هو اسم للمصدر الذي هو الصد
والاظهر انه مصدر لصد اللازم والصد مصدر للمتعدي يقال صد عنه صدودا اي اعرض عنه
وصده عنه صدا اي منعه منه • وقوله تعالى فكيف شروع في بيان غائلة جناياتهم
المحكية ووخامة عاقبتها اي كيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة اي وقت اصابتهم المصيبة
ايام بافتضاحهم بظهور نفاقهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من الجنايات التي من جملتها التحاكم
الى الطاغوت والاعراض عن حكمك ثم جاؤوك للاعتذار عما صنعوا من القبائح وهو عطف على اصابتهم
والمراد تفظيع حالهم وتهويل ما دهمهم من الخطب واعتراهم من شدة الامر عند اصابة المصيبة •
وعند المجيء للاعتذار يحلفون بالله حال من فاعل جاؤوك ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اي
ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا

لحكمك

لحكمك فلا تؤاخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم
ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدر الله دمه فقالوا ما اردنا
بطلب المقتول بالتحاكم الى عمر رضي الله عنه الا ان يحسن اليه ويوفق بينه وبين خصمه اولئك اشارة الى
المنافقين وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والنفاق وهو مبتدأ خبره
الذين يعلم الله ما في قلوبهم اي من فنون الشرور والفساد المنافية لما اظهروا لك من الاكاذيب
فاعرض عنهم جواب شرط محذوف اي اذا كان حالهم كذلك فاعرض عن قبول معذرتهم او اعرض عن عقابهم
لمصلحة في استبقائهم ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم ولا تهتك سترهم حتى يبقوا على وجل وحذر وعظهم
اي ازجرهم عن النفاق والكيد وقل لهم في انفسهم اي في حق انفسهم الخبيثة وقلوبهم المنطوية على
الشرور التي يعلمها الله تعالى او في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا بالنصيحة لانها في النجع
قولا بليغا مؤثرا واصلا الى كنه المراد مطابقا لما سيق له من المقصود والظرف على التقديرين
متعلق بالامر وقيل متعلق ببليغا على راي من يجوز تقديم معمول الصفة على الموصوف اي قل لهم
قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق ليمسهم الخوف اي ان الله سيعاجلهم
العقاب وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله كلام مبتدأ جيء به تمهيدا لبيان خطائهم
في الاشتغال بستر جناياتهم بالاعتذار بالاباطيل وعدم تلافيها بالتوبة اي وما ارسلنا رسولا من الرسل
لشيء من الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى في طاعته وامره المرسل اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد
عنه تعالى وطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصية الله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله او بتيسير
الله تعالى وتوفيقه لطاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بتعريضها لعذاب النفاق بترك طاعتك
والتحاكم الى غيرك جاؤوك من غير تأخير كما يفصح عنه تقديم الظرف متوسلين بك في التنصل
من جناياتهم التي من جملتها هذه الحادثة ولم يزدادوا جناية على جناية بالقصد الى سترها بالاعتذار الباطل والايمان
الفاجرة فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص وبالغوا في التضرع اليك حتى انتصبت لهم شفيعا الى
الله تعالى واستغفرت لهم وانما قيل واستغفر لهم الرسول على طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعته في حيز القبول لوجدوا الله توابا
رحيما لعلموا مبالغا في قبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة وان فسر الوجدان بالمصادفة كان قوله
تعالى توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه واياما كان ففيه فضل ترغيب للسامعين
في المسارعة الى التوبة والاستغفار ومزيد تنديم وتوبيخ للمنافقين على ما صنعوا المار ذكره
ساير قبول التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لاثار شفاعته صلى الله عليه وسلم موجبة لكمال
في تحسيرهم وتمام الحسرة على فواتها فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم
لا لتاكيد النفي في جوابه اعني قوله تعالى لا يؤمنون لانها تزاد في الاثبات ايضا كما في قوله
تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم ونظائره حتى يحكموك اي يتحاكموا اليك ويترافعوا اليك وانما
جيء بصيغة التحكيم مع انه صلى الله عليه وسلم حاكم بامر الله سبحانه وتعالى ايذانا بان حقهم ان يجعلوه
صلى الله عليه وسلم حكما فيما بينهم ويرضوا بحكمه وان قطع النظر عن كونه حاكما على الاطلاق فيما
شجر بينهم اي فيما اختلف بينهم من الامور واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا
يجدوا عطف على مقدر ينساق اليه الكلام اي فتقضي بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت

اي مما قضيت به او من قضائك • وقيل شكا من اجله اذ الشاك في ضيق من امره ويسلموا اي
ينقادوا والامر له فيه حقوا له تسليما تاكيد للفعل بمنزلة تكريره اي تسليما تاما بظاهرهم
وباطنهم بحيث لا يبقى لهم لامر الله وسلموا له بحقي وحقيقة سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له
خالصة اي ينقادوا والحكم انقيادا لا شبهة فيه لظاهرهم وباطنهم • قيل نزلت في شان المنافق
واليهودي • وقيل في شان الزبير ورجل من الانصار حين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم ارسل
الماء الى جارك فغضب الانصاري وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك
كان قد اشار على الزبير براي فيه سعة له وللانصاري فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
استوفى للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الانصاري
قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم
يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا الى التوبة منه
وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال
ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها
وروي انه قال ذلك ثابت بن قيس وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان في قلوبهم اثبت من الجبال الرواسي فنزل في شان
هؤلاء **ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم** اي لو اوجبنا عليهم
مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتل انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتابهم من عبادة
العجل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا **ما فعلوه** اي المكتوب المدلول عليه
بما او احد مصدري الفعلين **الا قليل منهم** الا اناس قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين
وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك
وقيل معنى اقتلوا انفسكم عرضوها للقتل بالجهاد وهو بعيد • وقرئ الا قليلا بالنصب
على الاستثناء او الا فعلا قليلا **ولو انهم فعلوا ما يوعظون به** من متابعة الرسول صلى الله عليه
وسلم وطاعته والانقياد لما يحكم به ظاهرا وباطنا وسميت اوامر الله تعالى ونواهيه مواعظ لاقترانها
بالوعد والوعيد **لكان** اي فعلهم ذلك **خيرا لهم** عاجلا واجلا **واشد تثبيتا** لهم على الايمان وابعد
من الاضطراب فيه واشد تثبيتا لثواب اعمالهم **واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما** جواب لسؤال
مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا لآتيناهم فاذا جواب وجزاء **ولهديناهم
صراطا مستقيما** يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح لهم ابواب الغيب • قال صلى الله عليه
وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم **ومن يطع الله والرسول** كلام مستانف فيه
فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان ان نتيجتها اقصى ما ينتهي اليه همم الامم
وارفع ما تمتد اليه اعناق عزائمهم من مجاورة اعظم الخلائق مقدارا وارفعهم منارا
متضمن لتفسير ما ابهم في جواب الشرطية السابقة وتفصيل ما اجمل فيه والمراد بالطاعة هو
الانقياد التام والامتثال الكامل لجميع الاوامر والنواهي **فاولئك** اشارة الى المطيعين

باعتبار

باعتبار معنى من كما ان الافراد في فعل الشرط باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع القرب
في الذكر للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدأ خبره **مع الذين انعم
الله عليهم** والجملة جواب للشرط وترك ذكر المنعم به للاشعار بقصور العبارة عن تفصيله
وبيانه **من النبيين** بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر الانبياء عليهم السلام مع ان الكلام
في حكم طاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لجريان ذكرهم في سبب النزول مع ما فيه من الاشارة الى
ان طاعته صلى الله عليه وسلم متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم التي لا تتغير بتغير الاعصار
روي ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله ان صرنا الى الجنة تفضلنا
بدرجات النبوة فلا نراك • وقال الشعبي جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي
فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله والذي لا اله الا هو لانت احب الي من نفسي
واهلي ومالي وولدي واني لاذكرك وانا في اهلي فيأخذني مثل الجنون حتى اراك وذكرت
موتي وموتك فعرفت انك سترفع مع النبيين واني اذا دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك فلم
يرد النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت • وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان شديد الحب له صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه
وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير
اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الاخرة فخفت ان
لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين واذا دخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك
وان لم ادخل فذلك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا
يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة
من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين • وروي ان نفرا قالوا يا رسول الله الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم قال
صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب **والصديقين** اي المبالغين في الصدق والاخلاص
في الاقوال والافعال وهم افاضل اصحاب الانبياء عليهم الصلاة والسلام واماثل خواصهم المقربين
كابي بكر الصديق رضي الله عنه **والشهداء** الذين بذلوا ارواحهم في طاعة الله تعالى واعلاء كلمته
والصالحين الصارفين اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد في الدرجة
ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الاخر وزيارته
متى اراد وان بعد ما بينهما من المسافة **وحسن اولئك رفيقا** الرفيق الصاحب مأخوذ من الرفق وهو لين
الجانب واللطافة في المعاشرة قولا وفعلا فان جعل اولئك اشارة الى النبيين ومن بعدهم على
ان ما فيه من معنى البعد لما مر فرفيقا اما تمييز او حال على معنى انهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم
رفقاء للمطيعين او حال كونهم رفقاء لهم وافراده لما انه كالصديق والخليط والرسول يستوي فيه
الواحد والمتعدد او لانه اريد حسن كل واحد منهم رفيقا وان جعل اشارة الى المطيعين فهو تمييز
يعني انهم وصفوا بحسن الرفيق من النبيين ومن بعدهم لا بنفس الحسن فلا يجوز دخول من
عليه كما يجوز في الوجه الاول والجملة تذييل مقرر لما قبله مؤكد للترغيب والتشويق قيل فيه
معنى التعجب • كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون
السين **ذلك** اشارة الى المطيعين بعظيم الاجر ومزيد الهداية وموافقة هؤلاء المنعم عليهم

او الى نفسه او من بينهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته من الشرف
وبين له تعالى الفضل صفته وقوله تعالى من الله خبره اي ذلك الفضل العظيم من الله تعالى لا من غيره
او الفضل خبره ومن الله متعلق بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى الاشارة اي ذلك الذي
ذكر فضل كائنا من الله تعالى لان اعمال المكلفين توجبه وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل
واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم الحذر والحذار واحد كالاثر والاثر
والشبه اي تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز
من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه وقيل هو ما يحذر به من السلاح والحذر اي تسعدوا
للعدو فانفروا بكسر الفاء وقرئ بضمها اي اخرجوا الى الجهاد وعند خروجكم ثبات جمع ثبة وهي
الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها فعلة كحطمة حذفت لامها وعوض منها
هاء التانيث وهل هي واو او ياء فيه قولان قيل انها مشتقة من ثاب يثوب من عجزة وقيل من ثبيت
على الرجل اذا اثنيت عليه كانك جمعت محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه وعليها النصب
على الحالية اي انفروا جماعات متفرقة سرية بعد سرية او انفروا جميعا اي مجتمعين كوكبة
واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بايديكم الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن اي ليتثاقلن وليتخلفن عن
الجهاد من بطأ بمعنى بطؤ كعتم بمعنى اعتم والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم المؤمنين
منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد او ليبطئن غيره وثبطه
من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل كما بطأ ابن ابي ناسا يوم احد والاول انسب لما بعده واللام
الاولى للابتداء دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه
صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم
مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ فرحا بصنعه وحامدا لرأيه قد انعم الله علي اي بالقعود
اذ لم اكن معهم شهيدا اي حاضرا في المعركة فيصيبني ما اصابهم والفاء في الشرطية لترتيب
مضمونها على ما قبلها فان ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب عليها كما ان نفس التبطئة
مستدعية لشئ ينتظر المبطئ وقوعه ولئن اصابكم فضل فتح وغنيمة من الله متعلق باصابكم
او بمحذوف وقع صفة لفضل اي فضل كائن من الله ونسبة اصابة الفضل الى جناب الله تعالى دون
اصابة المصيبة من العادات الشريفة التنزيلية كما في قوله سبحانه وتعالى واذا مرضت فهو
يشفين وتقديم الشرطية الاولى لما ان مضمونها لمقصدهم اوفق واثر نفاقهم فيها اظهر
ليقولن ندامة على ما فاته من الغنيمة لا لطلب المثوبة وهذا لكمال حطام الدنيا وتحسرا على فواته وقرئ ليقولن
بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من وقوله تعالى كان لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض
وسط بين الفعل ومفعوله الذي هو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما لئلا يتوهم من
مطلع كلامه ان تمنيه لمعية المؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما يقتضيه ما في البين من المودة
بل هو للحرص على المال كما ينطق به آخره وليس في اثبات المودة في البين بطريق التحقيق بل بطريق
التهكم وقيل الجملة التشبيهية حال من ضمير ليبطئن بين المنافقين وضعفة المؤمنين
كان لم يكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستصحبكم في الغزو حتى تفوزوا
بما فاز يا ليتني كنت معهم وغرضه القاء العداوة بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم وتاكيدها

وكان

وكان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وهو محذوف وقرئ لم يكن بالياء والمنادى في يا ليتني
محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع وقوله تعالى فافوز نصب على جواب
التمني وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي فانا افوز في ذلك الوقت او على انه
معطوف على كنت داخل معه تحت التمني فليقاتل في سبيل الله قدم الظرف على الفاعل للاهتمام
الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة اي يبيعونها بها وهم المؤمنون فالفاء جواب شرط مقدر
اي ان لم يقاتل هؤلاء المذكورون فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين
يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون والفاء للتعقيب اي ليتركوا ما كانوا عليه
من التثبيط والنفاق وليعقبوه بالقتال في سبيل الله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او
يغلب فسوف نؤتيه بنون العظمة التفاتا اجرا عظيما لا يقادر قدره وتعقيب القتال باحد الامرين
للاشعار بان المجاهد حقه ان يوطن نفسه باحدى الحسنيين ولا يخطر بباله القسم الثالث
اصلا وتقديم القتل للايذان بتقدمه في استيجاب الثواب وروى ابو هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله لمن جاهد في سبيل الله لا يخرجه الا جهاد في سبيله
وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من اجر وغنيمة
وما لكم خطاب للمأمورين بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة في التحريض عليه وتاكيدا
لوجوبه وهو مبتدأ وخبره وقوله عز وجل لا تقاتلون في سبيل الله حال عاملها ما في الظرف
من معنى الفعل والاستفهام للانكار والنفي اي اي شئ لكم غير مقاتلين اي لا عذر لكم في ترك
المقاتلة والمستضعفين عطف على اسم الله تعالى اي في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر
وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي في خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على
الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المؤمنين من ايدي الكفرة اعظمها
واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين او حال منهم وهم المسلمون الذين
بقوا بمكة لصد المشركين او لعجزهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة
للاستعطاف واستجلاب المرحمة وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان ارغاما
لآبائهم وامهاتهم وايذانا باجابة الدعاء الآتي واقتراب زمان الخلاص ببيان شركتهم في التضرع
الى الله تعالى كل ذلك للمبالغة في الحث على القتال وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء اذ يقال للعبد
والامة وليد ووليدة وقد غلب الذكور على الاناث فاطلق الولدان على الولائد ايضا الذين محله الجر
صفة للمستضعفين او لما في حيز البيان او النصب على الاختصاص يقولون ربنا اخرجنا من هذه
القرية الظالم اهلها بالشرك الذي هو ظلم عظيم وباذية المسلمين وهي مكة والظالم صفة
للقرية وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا جرى على غير من هو له
كالفعل في التذكير والتانيث بحسب ما عمل فيه واجعل لنا من لدنك وليا كلا الجارين متعلق
متعلق باجعل لاختلاف معنييهما وتقديم المجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما
وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تاخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة
فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة
وتقديم اللام على من للمسارعة الى ابراز كون المسؤول نافعا لهم مرغوبا فيه لديهم وعونا لهم

يتعلق قلبه من بعد فوت ذلك الامن وليا تقدمت عليه لكونه نكرة وكذا الكلام في قوله تعالى **واجعل
لنا من لدنك نصيرا** قال ابن عباس رضي الله عنهما اي ول علينا والياً من المؤمنين يوالينا ويقوم
بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا وشرعنا وينصرنا على اعدائنا ولقد استجاب الله تعالى دعاءهم
حيث يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي واعز ناصر ففتح مكة على يدي
نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم اي تولى نصرهم اي نصر ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم
ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها ٭ وقيل المراد واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة اي كن انت ولينا
وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقيه للمبالغة في التضرع والابتهال **الذين امنوا يقاتلون
في سبيل الله** كلام مبتدأ سيق لترغيب المؤمنين في القتال وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم
بامداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف اعدائهم اي المؤمنون انما يقاتلون في دين الله الحق
الموصل لهم الى الله عز وجل وفي اعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة **والذين كفروا يقاتلون
في سبيل الطاغوت** اي فيما يوصلهم الى الشيطان فلا ناصر لهم سواه فالفاء في قوله تعالى **فقاتلوا اولياء
الشيطان** لبيان استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة على ان ذلك نتيجة
لتناهيهم في سبيل الشيطان والاشعار بان المؤمنين اولياء الله لما ان قتالهم في سبيله وكل
ذلك لتاكيد رغبة المؤمنين في القتال وتقوية عزائمهم عليه فان ولاية الله تعالى علم في
العزة والعزة كما ان ولاية الشيطان مثل في الذل والضعف ٭ كانه قيل اذا كان الامر
كذلك فقاتلوا اولياء الشيطان ثم صرح بالتعليل فقيل **ان كيد الشيطان كان ضعيفا**
اي في حد ذاته فكيف بالقياس الى قدرة الله عز وجل ولم يتعرض لبيان قوة جنابه تعالى ايذانا
بظهورها ٭ فائدة ادخال كان في امثال هذه المواضع لتاكيد بيان انه منذ كان كذلك
فالمعنى ان كيد الشيطان منذ كان موصوفا بالضعف **الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم**
تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من احجامهم عن القتال مع انهم كانوا قبل ذلك راغبين فيه حراصا
عليه بحيث كادوا يباشرونه كما ينبئ عنه الامر بكف الايدي فان ذلك مشعر بكونهم بصدد بسطها
الى العدو بحيث يكادون يسطون بهم ٭ قال الكلبي ان جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
منهم عبد الرحمن ابن عوف الزهري والمقداد ابن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون
الجمحي وسعد ابن ابي وقاص الزهري رضي الله عنهم كانوا يلقون من مشركي مكة قبل الهجرة اذى كثيرا
فيشكون ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ائذن لنا في قتالهم فيقول لهم النبي صلى الله عليه
وسلم كفوا ايديكم **واقيموا الصلاة واتوا الزكاة** فاني لم اومر بقتالهم وفي التعبير عن المامور
به بالقول المعبود مع ان القائل هو النبي صلى الله عليه وسلم للايذان بكون ذلك بامر الله سبحانه ولان المقصود
بالذات والمقصود في التعجيب انما هو كمال رغبتهم في القتال وكونهم بحيث احتاجوا الى النهي عنه وانما
ذكر في حيزه الصلاة الامر بكف الايدي لتحقيقه وتوضيحه على طريقة الكناية فلا يتعلق ببيان
خصوصية الامر غرض وكانوا في مدة اقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة فلما هاجروا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المدينة وامروا بالقتال في وقعة بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه
لكن لا لشك في الدين ولا رغبة عنه بل نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت بموجب
الجبلة البشرية وذلك قوله تعالى **فلما كتب عليهم القتال** الى اخره وهو عطف على قيل لهم كفوا

ايديكم

ايديكم باعتبار معناه لولا الداء اذ حينئذ تحقق التباين بين مدلولي المعطوفين وعليه يدور التعجيب
كانه قيل الم تر الى الذين كانوا حراصا على القتال فلما كتب عليهم كرهه بعضهم وقوله تعالى ٭
اذا فريق منهم يخشون الناس جواب لما على ان فريق مبتدأ ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة
له ويخشون خبره وتصديره باذا المفاجاة لبيان مسارعتهم الى الخشية اثر ذي اثير من غير تلعثم
وتردد اي فاجا فريق منهم ان يخشوا الكفار ان يقتلوهم ٭ ولعل توجيه التعجيب
الى الكل مع صدور الخشية عن بعضهم للايذان بانه ما كان ينبغي ان يصدر عن احد منهم
ما ينافي حالتهم الاولى قوله تعالى **كخشية الله** مصدر مضاف الى المفعول محله النصب
على انه حال من فاعل يخشون اي يخشونهم متشبهين لاهل خشية الله ٭ وقوله تعالى **او
اشد خشية** عطف عليه بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله او على انه مصدر
مؤكد على جعل الخشية ذات خشية مبالغة كما في جد جده اي يخشونهم خشية مثل خشية
الله او خشية اشد خشية من خشية الله ٭ واياما كان فكلمة او اما للتنويع على معنى ان
خشية بعضهم كخشية الله وخشية بعضهم اشد منها واما للابهام على السامع وهو قريب
مما في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون **وقالوا** عطف على جواب لما اي فلما
كتب عليهم القتال فاجا فريق منهم خشية الناس وقالوا **ربنا لم كتبت علينا القتال**
في هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والانكار لايجابه بل على طريقة تمني التخفيف
لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت اخر حذرا
من الموت ويجوز ان يكون هذا مما نطقت به السنة حالهم من غير ان يتفوهوا به
صريحا **قل** اي تزهيدا لهم فيما يؤملونه بالقعود من المتاع الفاني وترغيبا فيما ينالونه
بالقتال من النعيم الباقي **متاع الدنيا** اي ما يتمتع به وينتفع به في الدنيا **قليل** سريع
التقضي وشيك الانصرام وان اخرتم الى ذلك الاجل **والاخرة** اي ثوابها الذي من جملته
الثواب المنوط بالقتال **خير** اي لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته وعدم انقطاعه
وصفائه عن الكدورات وانما قيل **لمن اتقى** حثا لهم على اتقاء العصيان والاخلال
بمواجب التكليف **ولا تظلمون فتيلا** عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي تجزون
فيها ولا تنقصون ادنى شيء من اجور اعمالكم التي من جملتها مساعيكم في شأن القتال
فلا ترغبوا عنه والفتيل ما في شق النواة من الخيط يضرب به المثل في القلة والحقارة
وقرئ يظلمون بالياء اعادة للضمير الى الظاهر في **اينما تكونوا يدرككم الموت** كلام مبتدا
مسوق من قبله تعالى بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المخاطبين اعتناء بالزامهم اثر بيان حقارة الدنيا وعلو شان الاخرة بواسطته
صلى الله عليه وسلم فلا محل له من الاعراب او في محل النصب داخل تحت القول المامور به
اي اينما تكونوا في الحضر والسفر يدرككم الموت الذي تكرهون القتال لاجله زعما منكم
انه من مظانه وتحبون القعود عنه على زعم انه منجاة منه وفي لفظ الادراك اشعار
بانهم في الهرب من الموت وهو مجد في طلبهم ٭ وقرئ يدرككم بالرفع على حذف الفاء
كما في قوله ٭ من يفعل الحسنات الله يشكرها ٭ او على انه اعتبار

ووقوع ما تستكرهونه من نحو اينما تكونوا او على انه كلام مبتدا وانه متصل بلا تظلمون اي لا تنقصون
شيئا مما كتب من آجالكم اينما تكونوا في ملاحم الحروب ومعارك الخطوب ولو كنتم في بروج مشيدة
في حصون رفيعة او قصور محصنة وقال السدي وقتادة بروج السماء يقال شاد البناء
واشاده وشيده رفعه وقرئ بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما في قصيدة شاعرة
ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وجواب لو محذوف اعتمادا
على دلالة ما قبله عليه اي لو كنتم في بروج مشيدة يدرككم الموت والجملة معطوفة على
اخرى مثلها اي لو لم تكونوا في بروج مشيدة ولو كنتم الخ وقد اطرد حذفها لدلالة
المذكور عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع فلان يتحقق عند عدمه
اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو الوصلية وان الوصلية من التاكيد والمبالغة وقد
مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وان تصبهم
حسنة يقولوا هذه من عند الله كلام مبتدا جيء به عقيب ما حكي عن المسلمين لما بينهما من المناسبة
في الاشتمال على الارشاد لما يكرهونه الى بعض الامور وكراهتهم بسبب ذلك والضمير لليهود
والمنافقين روي انه كان قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فدعاهم
الى الايمان فكفروا امسك عنهم بعض الامساك فقالوا ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا
منذ قدم علينا هذا الرجل واصحابه وذلك قوله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك
اي وان تصبهم نعمة ورخاء نسبوها الى الله تعالى وان تصبهم بلية من جدب وغلاء اضافوها
اليك كما حكي عن اسلافهم بقوله تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه قل امر
النبي صلى الله عليه وسلم بان يرد زعمهم الباطل ويرشدهم الى الحق ببيان اسناد
الكل اليه تعالى على الاجمال اذ لا يجترئون على معارضة امر الله عز وجل فقيل كل من عند
الله اي كل واحد من النعمة والبلية من جهة الله تعالى خلقا وايجادا من غير ان يكون في وقوع
شيء منها بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الاولى منه تعالى بالذات تفضلا ووقوع
الثانية بواسطة ذنوب من ابتلي بها عقوبة كما سياتي بيانه وهذا الجواب المجمل في معنى ما قيل ردا
على اسلافهم من قوله تعالى الا انما طائرهم عند الله اي انما سبب خيرهم وشرهم اي سبب اصابة السيئة
التي يطيرون بها عند الله تعالى لا عند غيره حتى يسندوها اليه ويطيروا به وقوله تعالى فمال هؤلاء
القوم الى اخره كلام معترض بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى لتعييرهم بالجهل وتقبيح
حالهم والتعجيب من كمال غباوتهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وقوله تعالى لا يكادون
يفقهون حديثا حال من هؤلاء والعامل فيها ما في الظرف من معنى الاستقرار اي وحيث كان الامر
كذلك فاي شيء حصل لهم حال كونهم بمعزل من ان يفقهوا حديثا او استئناف مبني على سؤال نشا من
الاستفهام كانه قيل ما بالهم وماذا يصنعون حتى يتعجب منه او سال عن سببه فقيل لا يكادون
يفقهون حديثا من الاحاديث اصلا فيقولون ما يقولونه اذ لو فقهوا شيئا من ذلك لفهموا هذا
النص وما في معناه وما هو اوضح منه من النصوص القرانية الناطقة بان الكل فائض من عند الله
تعالى وان النعمة منه تعالى بطريق التفضل والاحسان والبلية بطريق العقوبة على
ذنوب العباد لا سيما النص الوارد عليهم في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة

وزر اخرى ولو فقهوه واستبانوه [illegible] الخبيثة وقوله تعالى ما اصابك من حسنة الى اخره
بيان للجواب المجمل المامور به واجراؤه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم من سوق البيان
من جهته عز وجل بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى كل احد من الناس والالتفات لمزيد
الاعتناء والاهتمام برد مقالتهم الباطلة والايذان بان مضمونه مبني على حكمة دقيقة
حقيقة بان يتولى بيانها علام الغيوب وتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم دون كلهم كما في
قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم للمبالغة في التحقيق بقطع احتمال
سببية معصية بعضهم لعقوبة الاخرين اي ما اصابك من نعمة من النعم فمن الله اي فهي منه
تعالى بالذات تفضلا واحسانا من غير استيجاب لها من قبلك كيف لا وان كل ما تفعله من
الطاعات التي يرجى كونها ذريعة الى اصابة نعمة ما فهي بحيث لا تكاد تكافي نعمة الوجود
او نعمة الاقدار عليها فضلا عن ان تستوجب نعمة اخرى ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال
ولا انا وما اصابك من سيئة اي بلية من البلايا فمن نفسك اي فهي منها بسبب اقترافها
المعاصي الموجبة لها وان كانت من حيث الايجاد منتسبة اليه تعالى نازلة من عنده عقوبة كقوله
تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها
ما من مؤمن يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما
يعفو الله اكثر وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبله وما بعده لكن لا لبيان
حاله صلى الله عليه وسلم بل لبيان حال الكفرة بطريق التصوير ولعل ذلك لاظهار كمال
السخط والغضب عليهم والاشعار بانهم لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل من استحقاق الخطاب
لا سيما بمثل هذه الحكمة الانيقة وارسلناك للناس رسولا بيان لجلالة منصبه صلى الله عليه وسلم
ومكانته عند الله عز وجل بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه صلى الله عليه وسلم بناء
على جهلهم بشانه الجليل وتعريف الناس للاستغراق والجار اما متعلق برسولا وتقديمه عليه للقصر
الناظر الى قيد العموم اي مرسلا لكل الناس لا لبعضهم فقط كقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة
للناس واما بالفعل ورسولا حال مؤكدة وتجوز ان يكون مصدرا كما في قوله

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول

اي بارسال بمعنى رسالة وكفى بالله شهيدا اي على رسالتك بنصب المعجزات التي من جملتها هذا
النص الناطق والوحي الصادق والالتفات لتربية المهابة وتقوية الشهادة والجملة
اعتراض تذييلي من يطع الرسول فقد اطاع الله بيان لاحكام رسالته صلى الله عليه وسلم
اثر بيان تحققها وثبوتها وانما كان كذلك لان الآمر والناهي في الحقيقة هو الله عز وجل وانما
هو صلى الله عليه وسلم مبلغ للامر والنهي فمرجع الطاعة وعدمها هو الله سبحانه روي انه صلى
الله عليه وسلم قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا
تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه
ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت والتعبير عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالرسول دون الخطاب للايذان بان مناط كون طاعته صلى الله عليه وسلم

طاعة لله تعالى ليس خصوصية ذاته صلى الله عليه وسلم بل من حيثية رسالته واظهار الجلالة لتربية
المهابة وتاكيد وجوب الطاعة بذكر عنوان الالوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له صلى
الله عليه وسلم انتظاما اوليا ياباه تخصيص الخطاب به صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى **ومن تولى**
فما ارسلناك عليهم حفيظا وجواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له اي ومن اعرض عن الطاعة
فاعرض عنه انما ارسلناك رسولا مبلغا لا حفيظا مهيمنا عليهم تحفظ اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم
بحسبها وحفيظا حال من الكاف وعليهم متعلق به قدم عليه رعاية للفاصلة وجمع الضمير باعتبار
معنى من كما ان الافراد في تولى باعتبار لفظه **ويقولون** شروع في بيان معاملتهم مع الرسول صلى
الله عليه وسلم بعد بيان وجوب طاعته اي يقولون اذا امرتهم بشيء **طاعة** اي امرنا وشاننا طاعة
اي منا طاعة والاصل النصب على المصدر والرفع للدلالة على الثبات كسلام **فاذا برزوا**
من عندك اي خرجوا من مجلسك **بيت طائفة منهم** اي من القائلين المذكورين وهم رؤساؤهم
غير الذي تقول اي زورت طائفة منهم وسوت خلاف ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة
لانهم مصرون على الرد والعصيان وانما يظهرون ما يظهرون على وجه النفاق او خلاف ما قلت
لها والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل يقال هذا امر بيت بليل
واما من بيت الشعر لان الشاعر يدبره ويسويه وتذكير الفعل لان تانيث الطائفة غير حقيقي
وقرئ بادغام التاء في الطاء لقرب المخرج واسناده الى طائفة منهم لبيان انهم المتصدون له بالذات
والباقون اتباع لهم في ذلك لا لان الباقين ثابتون على الطاعة **والله يكتب ما يبيتون** اي يكتبه
في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان مكرهم يخفى عليك فيجدون بذلك الى
الاضرار بك سبيلا اي يثبته في صحائفهم ليجازيهم عليه واياما كان فالجملة اعتراضية **فاعرض**
عنهم اي لا تبال بهم وبما صنعوا او تجاف عنهم ولا تتصد للانتقام منهم والفاء لسببية ما قبلها
لما بعدها **وتوكل على الله** في كل ما تاتي وما تذر لا سيما في شانهم واظهار الجلالة في مقام الاضمار للاشعار
بعلة الحكم **وكفى بالله وكيلا** فيكفيك معرتهم وينتقم لك منهم والاظهار ههنا ايضا لما مر وللتنبيه
على استقلال الجملة واستغنائها عما عداها من كل وجه **افلا يتدبرون القرآن** انكار واستقباح
لعدم تدبرهم القرآن واعراضهم عن التامل فيما فيه من موجبات الايمان وتدبر الشيء تامله
والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تفكر ونظر والفاء للعطف
على مقدر اي ايعرضون عن القرآن العظيم فلا يتاملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة
ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق والنص الناطق بنفاقهم المحكي على ما هو عليه **ولو**
كان اي القرآن **من عند غير الله** كما يزعمون **لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** بان يكون بعض اخباره
غير مطابق للواقع اذ لا علم بالامور الغيبية ماضية كانت او مستقبلة لغيره سبحانه
وحيث كانت كلها مطابقة للواقع تعين كونه من عنده تعالى . قال الزجاج ولولا انه
من عند الله تعالى لكان ما فيه من الاخبار بغيب مما يسره المنافقون وما يبيتونه مختلفا
بعضه حق وبعضه باطل لان الغيب لا يعلمه الا الله . قال ابو بكر الاصم ان هؤلاء المنافقين
كانوا يتواطئون في السر على انواع كثيرة من الكيد والمكر فكان الله سبحانه وتعالى يطلع
الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك ويخبره بها مفصلة فيعلمون ان ذلك لو لم يحصل باخبار

الله تعالى لما اطرد الصدق فيه ولو وقع فيه الاختلاف فلما لم يقع ذلك قط علم انه باعلامه
تعالى هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم . واما حمل الاختلاف على التناقض
وتفاوت النظم في البلاغة بان كان بعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه
على معنى فاسد غير ملتئم وبعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته
كما جنح اليه الجمهور فمما لا يساعده السباق ولا السياق من نظام التنزيل وقال لعل ذكره
ههنا للتنبيه على ان ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم والمصالح المقتضية
لذلك فقد بعد عن الحق بمراحل **واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به** يقال اذاع
السر واذاع به اي اذاعه وافشاه وقيل معناه اذاعوا به فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من
اذاعوه وهو كلام مسوق لدفع ما عسى يتوهم في بعض المواد من شائبة الاختلاف بناء على عدم
فهم المراد ببيان ان ذلك لعدم وقوفهم على معنى الكلام لا لتخلف مدلوله عنه وذلك ان ناسا
من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالاحوال كانوا اذا اخبرهم الرسول صلى الله عليه
وسلم بما اوحي اليه من وعد الظفر او تخويف من الكفرة يذيعونه من غير فهم لمعناه ولا ضبط
لفحواه على حسب ما كانوا يفهمونه ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك
مشروطا بامور تفوت بالاذاعة فلا يظهر اثره المتوقع فيكون ذلك منشأ لتوهم الاختلاف
فنعى عليهم ذلك وقيل **ولو ردوه** اي ذلك الامر الذي جاءهم **الى الرسول** اي عرضوه على رايه
صلى الله عليه وسلم مستكشفين لمعناه وما ينبغي له من التدبير والالتفات لما ادعوا
ان الرسالة من موجبات الرد والمراجعة اليه صلى الله عليه وسلم **والى اولي الامر منهم**
وهم كبار الصحابة البصراء في الامور رضي الله عنهم **لعلمه** اي لعلم المراد من معناه الذي
وانما وضع موضع ضميرهم الموصول فقيل **الذين يستنبطونه منهم** للايذان بانه ينبغي ان
يكون قصدهم برده اليهم استكشاف معناه واستيضاح فحواه اي لعلمه اولئك المرادون
الذين يستنبطونه اي يستخرجون علمه وتدبيره منهما اي من جهة الرسول صلى الله
عليه وسلم واولي الامر منهم من صحابته رضوان الله عليهم اجمعين ولما فعلوا بحقه ما فعلوه
فلم يقع فيه ما وقع من الاشتباه وتوهم الاختلاف . وقيل لعلمه الذين يستخرجون تدبيره
بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها ومن في منهم بيانية . وقيل انهم كانوا
اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة او خوف اذاعوا به وكانت
اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر .
لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه منهم الذين اي يستخرجون تدبيره بفطنتهم و
كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض
الاعداء او على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه
الى الرسول والى اولي الامر منهم وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين
يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون وما يذرون فيه . وقيل كانوا يسمعون
من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك
وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر وقالوا

نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلمهم بحسنه وسلم هو مما يذاع او لا يذاع منه لا
المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول صلى الله عليه وسلم واولي الامر اي يتلقونه منهم
ويستخرجون علمه من جهتهم مساق النظم الكريم حينئذ لبيان جناية تلك الطائفة وسوء تدبيرهم
اثر بيان جناية المنافقين ومكرهم والخطاب في قوله تعالى **ولولا فضل الله عليكم ورحمته**
للطائفة المذكورة على طريقة الالتفات اي لولا فضله تعالى ورحمته بارشادكم الى الطريق الحق الذي
هو المراجعة في مظان الاشتباه الى الرسول صلى الله عليه وسلم واولي الامر **لاتبعتم الشيطان**
وعملتم بآراء المنافقين فيما تأتون وما تذرون ولم تهتدوا الى سنن الصواب **الا قليلا**
وهم اولي الامر الواقفون على اسرار الكتاب الراسخون في معرفة احكامه فالاستثنا منقطع
وقيل لولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان
وبقيتم على الكفر والضلالة الا قليلا منكم قد تفضل عليه بعقل راجح اهتدى به الى طريق الحق
والصواب وعصمه من متابعة الشيطان كقس بن ساعدة الايادي وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة
ابن نوفل واضرابهم فالخطاب للكل والاستثنا متصل وقيل المراد بالفضل والرحمة النصرة
والظفر بالاعداء اي ولولا حصول النصر والظفر على التواتر والتتابع لاتبعتم الشيطان وتركتم
الدين الا قليلا منكم وهم اولوا البصائر النافذة والنيات القوية والعزائم الماضية من افاضل
المؤمنين الواقفين على حقيقة الدين البالغين الى درجة حق اليقين المستغنين عن مشاهدة آثار حقيته
من الفتح والظفر وقيل الا اتباعا قليلا **فقاتل في سبيل الله** تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بطريق الالتفات وهو جواب شرط محذوف ينساق اليه النظم الكريم اي اذا
كان الامر كما حكي من عدم طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير الآخرين في مراعاة احكام
الاسلام فقاتل انت وحدك غير مكترث بما فعلوا وقوله عز وجل **لا تكلف الا نفسك** اي الا فعل
نفسك استئناف مقرر لما قبله فان اختصاص تكليفه صلى الله عليه وسلم بفعل نفسه من موجبات
مباشرته للقتال وحده وفيه دلالة على ان ما فعلوا من التثبط لا يضره صلى الله عليه وسلم ولا
يؤاخذ به وقيل حال من فاعل فقاتل اي فقاتل غير مكلف الا نفسك وقرئ لا تكلف بالجزم
على النهي وقيل على جواب الامر وقرئ بنون العظمة اي لا نكلف الا فعل نفسك لا على معنى لا نكلف
احدا الا نفسك **وحرض المؤمنين** عطف على الامر السابق داخل في حكمه فان كون حال الطائفتين
كما حكي سبب للامر بالقتال وحده وبتحريض المؤمنين التحريض على الشيء الحث عليه والترغيب فيه
قال الراغب كانه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به اي رغبهم في القتال ولا
تعنف بهم وانما لم يذكر المحرض عليه لغاية ظهوره وقوله تعالى **عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا**
عدة منه سبحانه محققة الانجاز بكف شدة الكفرة ومكروههم فان ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع
من جهته عز وجل وقد كان كذلك روي انه صلى الله عليه وسلم واعد ابا سفيان بعد حرب احد موسم
بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا ووافوا الموعد والقى الله تعالى في قلوب الكفرة الرعب فرجعوا
من مر الظهران وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال
وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا وقد مر في سورة آل عمران **والله اشد بأسا**

اي من قريش **واشد تنكيلا** اي تعذيبا وعقوبة تنكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدي اليها
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها فاظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم
وتقوية استقلال الجملة وتكرير الخبر لتأكيد التشديد وقوله تعالى **من يشفع شفاعة حسنة**
يكن له نصيب منها ابتداء جملة مستأنفة سيقت لبيان ان له صلى الله عليه وسلم فيما امر به
من تحريض المؤمنين على القتال حظا موفورا فان الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول شخص الى منفعة
من المنافع الدنيوية والاخروية او خلاصه عن مضرة ما كذلك من الشفع كأن المشفوع له كان فردا
فجعله الشفيع شفعا والحسنة منها ما كانت في امر مشروع روعي بها حق مسلم ابتغاء لوجه الله تعالى
من غير ان يتضمن غرضا من الاغراض الدنيوية واي منفعة اجل مما قد حصل للمؤمنين بتحريضه صلى
الله عليه وسلم على الجهاد من المنافع الدنيوية والاخروية واي مضرة اعظم مما تخلصوا منه بذلك
من التثبط ويندرج فيها الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى الله تعالى وعليه مساق آية التحية الآتية
روي انه صلى الله عليه وسلم قال من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك
مثل ذلك والنصيب ما يتعلق بها من الثواب **ومن يشفع شفاعة سيئة** وهي ما كانت بخلاف الحسنة
يكن له كفل منها اي نصيب من وزرها مساو لها في المقدار من غير ان ينقص منه شيء **وكان الله على**
كل شيء مقيتا اي مقتدرا من اقات على الشيء اذا اقتدر عليه او شهيدا حفيظا واشتقاقه من القوت
فانه يقوي البدن ويحفظه والجملة تذييل مقرر لما قبلها على كلا المعنيين **واذا حييتم بتحية**
ترغيب في فرد شائع من افراد الشفاعة الحسنة اثر ما رغب فيها على الاطلاق وحذر عما يقابلها من
الشفاعة السيئة وارشاد الى توفية حق الشفيع وكيفية ادائه فان تحية الاسلام من المسلم شفاعة
منه لاخيه الى الله عز وجل والتحية مصدر حيى اصلها تحيية كتسمية من سمى واصل الاصل تحيية بثلاث
ياءات فحذفت الاخيرة وعوض عنها التاء وادغمت الاولى في الثانية بعد نقل حركتها الى الحاء قال
الراغب اصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت في كل دعاء وكانت العرب اذا لقي بعضهم
بعضا تقول حياك الله ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الاسلام قال تعالى تحيتهم
فيها سلام وقال تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال تعالى فسلموا على انفسكم تحية من عند
الله قالوا في السلام مزية على التحية لما انه دعاء بالسلامة من الآفات الدينية والدنيوية
وهي مستلزمة لطول الحياة وليس في الدعاء بطول الحياة ذلك ولان السلام من اسمائه تعالى
فالبداية بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته اي اذا سلم عليكم من جهة المؤمنين **فحيوا باحسن**
منها اي بتحية احسن منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ان اقتصر المسلم على الاول
وبان تزيد وبركاته ان جمعهما المسلم وهي النهاية لاستجماعها لجميع فنون المطالب التي
هي السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها ونماؤها **او ردوها** اي اجيبوها بمثلها روي ان
رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله
وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ورحمة
الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال صلى الله عليه وسلم
وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال صلى الله عليه وسلم انك
لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وجواب التسليم واجب والتخيير بين الزيادة وتركها

وعن النخعي أن السلام سنة والرد فريضة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما الرد واجب وما من رجل يمر على
قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه إلا نزع عنه روح القدس وردت عليه الملائكة. ولا يرد
في الخطبة وتلاوة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند دراسة العلم والأذان والإقامة. ولا
يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري في الحمام وغيره.
ويسلم الرجل على امرأته لا على الأجنبية. والسنة أن يسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي
وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير فإذا التقيا ابتدرا.
وعن أبي حنيفة رحمه الله لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير. وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا سلم عليكم
أهل الكتاب فقولوا وعليكم أي وعليكم ما قلتم حيث كان يقول بعضهم السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهود
بالسلام وإن بدأك فقل وعليك. وعن الحسن أنه يجوز أن يقول للكافر وعليك السلام دون
الزيادة. وقيل محل التحية بالأحسن عند كون المسلم مسلما ورد مثلها عند كونه كافرا **إن الله كان
على كل شيء حسيبا** أي يحاسبكم على كل شيء من أعمالكم التي من جملتها ما أمرتم به من التحية فحافظوا على مراعاتها
حسب ما أمرتم به **الله لا إله إلا هو** مبتدأ وخبر وقوله تعالى **ليجمعنكم إلى يوم القيامة** جواب قسم
محذوف أي والله ليحشرنكم من قبوركم إلى حساب يوم القيامة. وقيل إلى بمعنى في. والجملة القسمية إما
مستأنفة لا محل لها من الإعراب أو خبر ثان للمبتدأ أو هي الخبر ولا إله إلا هو اعتراض. وقوله تعالى
لا ريب فيه أي في يوم القيامة أو في الجمع حال من اليوم أو صفة للمصدر أي جمعا لا ريب فيه **ومن
أصدق من الله حديثا** إنكار لأن يكون أحد أصدق منه تعالى في وعده وسائر أخباره وبيان
لاستحالته كيف لا والكذب محال عليه تعالى دون غيره **فما لكم** مبتدأ وخبر والاستفهام للإنكار
والنفي والخطاب لجميع المؤمنين لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجه إلى بعضهم وقوله تعالى **في المنافقين**
متعلق إما بما تعلق به الخبر أي أي شيء كائن لكم فيهم أي في أمرهم وشأنهم فحذف المضاف وأقيم المضاف
إليه مقامه وإما بما يدل عليه قوله تعالى **فئتين** من معنى الافتراق أي فما لكم تفترقون في المنافقين
وإما بمحذوف وقع حالا من فئتين أي كائنتين من المنافقين لأنه في الأصل صفة فلما قدمت انتصبت
حالا كما هو شأن صفات النكرات على الإطلاق أو من الضمير في تفترقون. وانتصاب فئتين عند البصريين
على الحالية من المخاطبين والعامل ما في لكم من معنى الفعل كما في قوله عز وجل فما لهم عن التذكرة
معرضين. وعند الكوفيين على الخبرية لكان مضمرة أي ما لكم في المنافقين كنتم فئتين والمراد إنكار أن
يكون للمخاطبين شيء يصحح الاختلاف منهم في أمر المنافقين وبيان وجوب القول بكفرهم وإجرائهم
مجرى المجاهرين بالكفر في جميع الأحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار وصفهم السابق روي
أنهم قوم من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى البدو معتلين باجتواء
المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة فمرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في
أمرهم. وقيل هم قوم هاجروا من مكة إلى المدينة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم إنا على دينك وما أخرجنا إلا اجتواء المدينة والاشتياق إلى بلدنا. وقيل هم
ناس أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرة. وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
أحد ثم رجعوا ويأباه ما سيأتي من جعل هجرتهم غاية للنهي عن توليهم. وقيل هم العرنيون الذين
أغاروا على السرح وقتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده ما سيأتي من الآيات

الناطقة بكيفية المعاملة معهم من السلم والحرب وبناؤه لا قد اختفوا وادعوا بهم ما فعل من المثلة والقتل
ولم يتعد في أمرهم اختلاف المسلمين **والله أركسهم** حال من المنافقين مفيدة لتأكيد الإنكار
السابق واستبعاد وقوع المنكر ببيان وجود الصارف بعد بيان عدم الداعي وقيل من ضمير المخاطبين
والرابط هو الواو أي أي شيء يدعوكم إلى الاختلاف في كفرهم مع تحقق ما يوجب اتفاقكم
على كفرهم وهو أن الله تعالى قد ردهم في الكفر كما كانوا **بما كسبوا** بسبب ما كسبوا من الارتداد
واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلى الله عليه وسلم والغائب إلى المؤمنين لمحذوف
وقيل ما فعلوا ردهم أي نكسهم. وقيل معنى أركسهم نكسهم بأن صيرهم للنار وأصل الركس رد
الشيء مقلوبا. وقرئ ركسهم مشددا وركسهم أيضا مخففا **أتريدون أن تهدوا من أضل
الله** تجريد للخطاب وتخصيص له بالقائلين بإيمانهم من الفئتين وتوبيخ لهم على زعمهم ذلك وإشعار
بأنه يؤدي إلى محاولة المحال الذي هو هداية من أضله الله تعالى وذلك لأن الحكم بإيمانهم وادعاء
اهتدائهم وهم بمعزل من ذلك سعي في هدايتهم وإرادة لها. ووضع الموصول موضع ضمير المنافقين
لتشديد الإنكار وتأكيد استحالة الهداية بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الإنكار إلى الإرادة
لا إلى متعلقها بأن يقال أتهدون للمبالغة في إنكاره ببيان أنه مما لا يمكن إرادته فضلا
عن إمكان نفسه وجملة الهداية فالإضلال لمحل التكرير بأباه قوله عز وجل **ومن يضلل الله فلن
تجد له سبيلا** أي ومن يخلق فيه الضلال كائنا من كان فلن تجد له سبيلا من السبل فضلا عن أن
تهديه إليه وفيه من الإفصاح عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من
هاد ونظائره. وحمل إضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالضلال يخل بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء
وتوجيه الخطاب إلى كل واحد من المخاطبين للإشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل
والجملة إما حال من فاعل تريدون أن تهدوا والرابط هو الواو وإما اعتراض تذييلي مقرر
للإنكار السابق ومؤكد لاستحالة الهداية. ويجوز أن يكون الخطاب لكل أحد ممن يصلح
له من المخاطبين أولا ومن غيرهم **ودوا لو تكفرون** كلام مستأنف مسوق لبيان غلوهم وتماديهم
في الكفر وتصديهم لإضلال غيرهم إثر بيان كفرهم وضلالهم في أنفسهم وكلمة لو مصدرية غنية
عن الجواب وهي مع ما بعدها نصب على المفعولية أي ودوا أن تكفروا وقوله تعالى **كما كفروا** نصب
على أنه نعت لمصدر محذوف أي كفرا مثل كفرهم أو حال من ضمير ذلك المصدر كما هو رأي سيبويه وقوله
تعالى **فتكونون سواء** عطف على تكفرون داخل معه في حكمه أي ودوا أن تكفروا فتكونوا
مستوين في الكفر والضلال. وقيل كلمة لو على بابها وجوابها محذوف لدلالة ما قبله عليه
وودوا كفركم لو تكفرون لسروا بذلك **فلا تتخذوا منهم أولياء** الفاء جواب شرط محذوف
وجمع أولياء لمراعاة جمعية المخاطبين فإن المراد نهي أن يتخذ واحد من المخاطبين وليا واحدا منهم
أي إذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم فلا توالوهم **حتى يهاجروا في سبيل الله** أي حتى يؤمنوا
ويحققوا إيمانهم بهجرة كائنة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لا لغرض من أغراض الدنيا
فإن تولوا أي عن الإيمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة **فخذوهم** إذا قدرتم عليهم
واقتلوهم حيث وجدتموهم من الحل والحرم فإن حكمهم حكم سائر المشركين أسرا وقتلا
ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا أي جانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة

ابدا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يصلون الى وينتهون الى قوم عاهدوكم وهم خزاعة او بنو بكر او هم الاسلميون كان رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة قد وادع هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجا اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل هم بنو بكر بن زيد مناة وقيل هم خزاعة او جاؤكم عطف على الصلة اي الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثني من المامور باخذهم وقتلهم فريقان احدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين والاخر من اتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول هو الاظهر لما سياتي من قوله تعالى فان اعتزلوكم الى اخره فانه صريح في ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض لهم وقرئ جاؤكم بغير عاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار قد بدليل انه قرئ حصرة صدورهم وحاصرات صدورهم وحصرات صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف هو حال من فاعل جاؤا اي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اي عن ان يقاتلوكم او لان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم الى اخره ولو شاء الله لسلطهم عليكم جملة مبتداة جارية مجرى التعليل لاستثناء الطائفة الاخيرة من حكم الاخذ والقتل ونظمهم في سلك الطائفة الاولى الجارية مجرى المعاهدين مع عدم تعلقهم بالذين عاهدوا كالطائفة الاولى اي ولو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وازالة الرعب عنها فلقاتلوكم عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب لو على التكرير او الابدال من الاولى وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم ولم يتعرضوا لكم فلم يقاتلوكم مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشية الله عز وجل والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا طريقا بالاسر او القتل فان مكافهم عن قتالكم وترك مقاتلة قومهم ايضا والقاءهم اليكم السلم وان لم يعاهدوكم كافية في استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليامنوا قومهم وقيل هم بنو عبد الدار وكان ديدنهم ما ذكر كلما ردوا الى الفتنة اي دعوا الى الكفر وقتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا فيها شرا من كل عدو فان لم يعتزلوكم بالكف عن التعرض لكم بوجه ما ويلقوا اليكم السلم اي لم يلقوا اليكم الصلح والعهد بل نبذوه اليكم ويكفوا ايديهم اي لم يكفوها عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي تمكنتم منهم واولئكم المتصفون بما عدد من الصفات القبيحة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في الايقاع بهم قتلا وسبيا لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في اخذهم وقتلهم وما كان لمؤمن اي وما صح له ولا لاق بحاله ان يقتل مؤمنا بغير حق فان الايمان زاجر عن ذلك الا خطا فانه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية وانتصابه اما على انه حال اي ما كان له ان يقتل مؤمنا في حال

من الاحوال الا حال الخطا او على انه مفعول له اي ما كان له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطا او على انه صفة للمصدر اي الا قتلا خطا وقيل الا بمعنى ولا والتقدير وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا عمدا ولا خطا وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطا فجزاؤه ما يذكر والخطا ما لا يقارنه القصد الى الفعل او الى الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة روي ان عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر الى المدينة خوفا من اهله وذلك قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل في الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا من المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل بلسانه مكرها ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة اي اعتاق نسمة عبر عنها بها كما يعبر عنها بالراس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها الا ان يصدقوا اي يتصدق اهله عليه سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرئ الا ان يتصدقوا وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية او يسلمها الى اهله الا وقت تصدقهم عليه فهو في محل النصب على الظرفية او الا حال كونهم متصدقين عليه فهو حال من الاهل او من القاتل فان كان اي المقتول من قوم عدو لكم كفار محاربين وهو مؤمن ولم يعلم به القاتل لكونه بين اظهر قومه بان اسلم فيما بينهم ولم يفارقهم او اتاهم بعد ما فارقهم لمهم من المهمات فتحرير رقبة مؤمنة اي فعلى قاتله الكفارة دون الدية اذ لا وراثة بينه وبين اهله ولانهم محاربون وان كان اي المقتول المؤمن من قوم كفرة بينكم وبينهم ميثاق اي عهد مؤقت او مؤبد فدية اي فعلى قاتله دية مسلمة الى اهله من اهل الاسلام ان وجدوا ولعل تقديم هذا الحكم ههنا مع تاخيره فيما سلف للاشعار بالمسارعة الى تسليم الدية تحاشيا عن توهم نقض الميثاق وتحرير رقبة مؤمنة كما هو حكم سائر المسلمين ولعل افراده بالذكر مع اندراجه في حكم ما سبق من قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطا الى اخره لبيان ان كونه فيما بين المعاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منعه كونه فيما بين المحاربين وقيل المراد بالمقتول الذمي او المعاهد لئلا يلزم التكرار بلا فائدة ولا التوارث بين المسلم والكافر وقد عرفت عدم لزومهما فمن لم يجد اي رقبة لتحريرها بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها من الثمن فصيام اي فعليه صيام شهرين متتابعين لم يتخلل بينهما يوم من ايامها او كان توبة نصب على انه مفعول له اي شرع ذلك لكم توبة اي قبولا لها من الله

عليه إذا قبل توبته أو مصدر مؤكد لفعل محذوف أي تاب عليكم توبة • وقيل على أنه حال من
الضمير المجرور في عليه بحذف المضاف أي فعليه صيام شهرين متتابعين ذا توبة • وقوله تعالى
من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لتوبة أي كائنة منه تعالى وكان الله عليما بجميع الأشياء التي من
جملتها حاله حكيما في كل ما شرع وقضى من الشرائع والأحكام التي من جملتها ما شرعه في شأنه
ومن يقتل مؤمنا متعمدا لما بين حكم القتل خطأ وبعض أقسامه الثلاث عقب ذلك ببيان القتل
عمدا لأن حكمه الدنيوي لما بين في سورة البقرة اقتصر ههنا على حكمه الأخروي • روي أن
مقيس بن صبابة الكناني وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه قتيلا في بني النجار
فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له القصة فأرسل معه صلى الله عليه وسلم زبير بن
عياض الفهري وكان من أصحاب بدر إلى بني النجار يأمرهم بتسليم القاتل إلى مقيس ليقتص
منه إن علموه وبأداء الدية إن لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه
وسلم ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته فأتوه بمائة من الإبل فانصرفا راجعين إلى المدينة
حتى إذا كانا ببعض الطريق أتى الشيطان مقيسا فقال أتقبل دية أخيك فتكون سبة عليك
اقتل الذي معك فتكون نفس بنفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فشدخه ثم
ركب بعيرا من الإبل فاستاقه واستاق بقيتها راجعا إلى مكة كافرا وهو يقول قتلت به فهرا
وحملت عقله سراة بني النجار أرباب فارع • وأدركت ثأري واضطجعت موسدا • وكنت إلى الأوثان
أول راجع • فنزلت وهو الذي استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ممن أمنه
فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة قوله تعالى متعمدا حال من فاعل يقتل • وروي عن الكسائي
سكون التاء كأنه فر من توالي الحركات فجزاؤه الذي يستحقه بجنايته جهنم وقوله تعالى
خالدا فيها حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل فجزاؤه أن يدخل جهنم
خالدا فيها وقيل هو حال من ضمير يجزاها وقيل من مفعول لجازاه وأيد ذلك بأنه انعطف
ما بعده عليه لموافقته له صيغة ولا يخفى أن ما يقدر للحال أو للعطف عليه حقه أن يكون
ما يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا أو يدل عليه الكلام دلالة بينة وظاهر أن كون جزائه
ما ذكر لا يقتضي وقوع الجزاء البتة كما ستقف عليه حتى يقدر يجزاها أو جزاه بطريق الإخبار
عن وقوعه • وأما قوله تعالى وغضب الله عليه فعطف على مقدر يدل عليه الشرطية دلالة
واضحة كأنه قيل بطريق الاستئناف تقريرا وتأكيدا لمضمونها حكم الله بأن جزاءه ذلك وغضب
عليه أي انتقم منه ولعنه أي أبعده عن الرحمة بجعل جزائه ما ذكر وقيل هو وما بعده معطوف
على الخبر بتقدير أن وحمل الماضي على معنى المستقبل • كما في قوله تعالى يوم ينفخ في الصور ففزع
أي يجزاه وأن يغضب الله عليه إلخ وأعد له في جهنم عذابا عظيما لا يقادر
قدره ولما في الآية الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الأكيد وفنون الإبراق
والإرعاد • وقد تأكدت بما روي من الأخبار الشداد • كقوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن • وقوله صلى الله عليه وسلم لو أن رجلا
قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لأشرك في دمه • وقوله صلى الله عليه وسلم من أعان على
قتل مؤمن بشطر كلمة جاء مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ونحو ذلك من القوارع تمسكت

الخوارج والمعتزلة بها في خلود من قتل المؤمن متعمدا في النار ولا متمسك لهم فيها لما لا يخفى من أنها
في حق المستحل كما هو رأي عكرمة وأضرابه بدليل أنها نزلت في مقيس بن صبابة الكناني المرتد
حسبما مر حكايته فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب بل لأن المراد بالخلود هو المكث
الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص الناطقة بأن عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم • وما روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لا توبة لقاتل المؤمن عمدا • وكذا ما روي عن سفيان أن
أهل العلم كانوا إذا سئلوا قالوا لا توبة له فمحمول على الاقتداء بسنة الله تعالى
في التشديد والتغليظ • وعليه يحمل ما روي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة • وسأله آخر ألقاتل المؤمن توبة فقال
نعم فقيل له قلت كذا لذاك وقلت كذا لهذا فقال كان الأول لم يقتل بعد فقلت له ما قلت
لئلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له ما قلت لئلا ييأس • وقد روي عنه جواز المغفرة
بلا توبة أيضا حيث قال في قوله تعالى فجزاؤه جهنم الآية هي جزاؤه فإن شاء عذبه وإن شاء غفر له وروي
مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم هي جزاؤه إن جازاه وبه قال عون بن عبد الله وبكر بن عبد الله وأبو صالح
قالوا قد يقول الإنسان لمن يزجره عن أمر إن فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم إن لم يجازه بذلك
لم يكن ذلك منه كذبا • قال الواحدي والأصل في ذلك أن الله تعالى يجوز أن يخلف الوعيد وإن امتنع
أن يخلف الوعد وبهذا وردت السنة من النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من وعده الله على عمله ثوابا فهو منجزه ومن أوعده على عمله عقابا فهو بالخيار • والتحقيق
أنه لا خلف ولا كذب أي مما يتحرج عنه على الاحتمال المذكور لأنه إخبار منه تعالى بأن جزاءه ذلك لا بأنه يجزيه
بذلك كيف لا وقد قال الله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها • ولو كان هذا إخبارا بأنه تعالى يجزي
كل سيئة بمثلها لعارضه قوله تعالى ويعفو عن كثير يا أيها الذين آمنوا إلخ لما بين حكم القتل بقسميه
وأنه ليس مما يصدر عن المؤمن إلا خطأ شرع في التحذير عما يؤدي إليه من قلة المبالاة في
الأمور إذا ضربتم في سبيل الله إذا سافرتم للغزو والماضي ههنا بمعنى المستقبل • وقوله تعالى
فتبينوا بالفاء أي فاطلبوا بيان الأمر في كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وروية • وقرئ
فتثبتوا أي اطلبوا إثباته • وقوله عز وجل ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام نهي عما هو نتيجة لترك المأمور
به وتعيين لمادة مهمة من المواد التي يجب فيها التبيين • وقرئ السلم بغير ألف وبكسر السين
وسكون اللام أي لا تقولوا لمن حياكم بتحية الإسلام أي لمن ألقى إليكم مقاليد
الاستسلام والانقياد لست مؤمنا وإنما أظهرت ما أظهرت متعوذا بل اقبلوا منه ما أظهره
وعاملوه بموجبه • وقرئ مؤمنا بالفتح أي مبذولا لك الأمان وهذا أنسب بالقراءتين الأخيرتين
والاقتصار على ذكر تحية الإسلام في القراءة الأولى مع كونها مقرونة بكلمتي الشهادة كما سيأتي
في سبب النزول للمبالغة في الزجر والنهي عنه والتنبيه على ظهور كمال خطئهم ببيان أن
تحية الإسلام كانت كافية في المكافاة والانزجار عن التعرض لصاحبها فكيف وهي مقرونة
بها قوله تعالى تبتغون عرض الحياة الدنيا حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة
وترك التأني لكن لا على أن يكون النهي راجعا إلى القيد فقط كما في قولك لا تطلب العلم
تبتغي به الجاه بل إليهما جميعا أي لا تقولوا له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذي هو حطام سريع

التنايا • وقوله تعالى فعند الله مغانم كثيرة تعليل للنهي عن ابتغاء ماله بما فيه من الوعد الضمني • كأنه قيل
لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها فيغنيكم عن ارتكاب ما ارتكبتموه • وقوله تعالى
كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم تعليل للنهي عن القول المذكور ولعل تأخيره لما فيه من
نوع تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين التعليل
السابق وبين ما علل به كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية وتقديم خبر كان للقصر
المفيد لتأكيد بين طرفي التشبيه وذلك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والفاء
للعطف على كنتم أي مثل الذي ألقى إليكم السلام كنتم أنتم أيضا في مبادي إسلامكم
لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الإسلام ونحوها فمن الله عليكم بأن قبل منكم
تلك المرتبة وعصم بها دماءكم وأموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم • والفاء في قوله تعالى
فتبينوا فصيحة أي إذا كان الأمر كذلك فاطلبوا بيان هذا الأمر البين وقيسوا حاله بحالكم
وافعلوا به ما فعل بكم في أوائل أموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطئ الظاهر والباطن
هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل • ويستدعيه فخامة شأنه الجليل • ومن حسب أن المعنى
أول ما دخلتم في الإسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم وأموالكم من غير
انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالإيمان
والتقدم فيه وأن صرتم أعلاما فيه فعليكم أن تفعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل بكم
وأن تعتبروا ظاهر الإسلام في المكافأة ولا تقولوا إلخ فقد أبعد عن الحق لأن المراد كما عرفت
بيان أن تحصين الدماء والأموال حكم مترتب على ما فيه المماثلة بينهم وبينهم من مجرد التفوه بكلمة
الشهادة وإظهار أن ترتبه عليه في حقهم يقتضي ترتبه عليه في حقهم أيضا إلزاما لهم وإلجاما
لخطابهم ولا يخفى أن ذلك إنما يتأتى بتذكير منه تعالى عليهم المترتب على ما يدل على تحقق دما
وأموالهم على ما ذكر في أن لا يقول حصنت دماكم وأموالكم حتى يأتي البيان وارتكاب تقدير
ما على اقتضاء ما ذكر في تفسير المن إياه بما على الأساس فإن كيف وإن ما ذكر بصدد التعيين وإن كان
إنما منعت ما على ما فيه المماثلة مبنيا عليه في حقهم لكنه ليس بحكم أدب إشارة في حقه بما فيه نوع
في حقهم كالتحصين المذكور حتى ينبغي أن يترتب عليه ولا إمام له دخل في وجوب اعتبار ظاهر الإسلام من
الداخلين فيه حتى يجب نظمه في سلك ما فرع عليه قوله فعليكم أن تفعلوا إلخ وحمل الكلام على معنى
الكمي إذا الأمر كنتم مثله في ... رتبة في الإسلام فمن الله عليكم وبلغكم منه الرتبة
العالية منه فلا تقتصروا الحالة نظرا إلى حالكم منذ بلاغة وإنما إلى حالكم السابقة
برأسه فيه لم يكن لاستنقاص إسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه فإن الآية الكريمة
نزلت في شأن مرداس بن نهيك من أهل فدك وكان قد أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم عليهم • قال ابن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته بإسلامه فلما رأى
الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل • وقال لا إله إلا الله محمد
رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه إرادة ما معه فقال أسامة إنه قال بلسانه
دون قلبه • وفي رواية إنما قالها خوفا من السلاح فقال صلى الله عليه وسلم هلا شققت

عن

عن قلبه • وفي رواية أفلا شققت عن قلبه • ثم قرأ الآية على أسامة فقال يا رسول الله استغفر
لي فقال فكيف بلا إله إلا الله قال أسامة فلم يزل صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت أني لم أكن
أسلمت إلا يومئذ ثم استغفر لي وقال أعتق رقبة • وقيل نزلت في رجل قال يا رسول الله كنا
نطلب القوم وقد هزمهم الله تعالى فقصدت رجلا فلما أحس بالسيف قال إني مسلم فقتلته
فقال له صلى الله عليه وسلم قتلت مسلما قال إنه كان متعوذا فقال صلى الله عليه وسلم أفلا شققت
عن قلبه إن الله كان بما تعملون من الأعمال الظاهرة والخفية خبيرا فيجازيكم بحسبها إن خيرا
فخير وإن شرا فشر فلا تتهاونوا في القتل واحتاطوا فيه والجملة تعليل لما قبلها بطريق
الاستئناف • وقرئ بفتح أن على أنها معمول لتبينوا أو على حذف لام التعليل لا يستوي
القاعدون بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد بعد ما مر
من الأمر به وتحريض المؤمنين عليه ليأنف القاعد عنه ويرفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيهتز له
رغبة في ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين أذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم • قال ابن
عباس رضي الله عنهما هم القاعدون عن بدر والخارجون إليها وهو الظاهر الموافق
لتاريخ النزول لا ما روي عن مقاتل من أنهم الخارجون إلى تبوك فإنه مما لا يوافقه التاريخ
والآية عامة للحال إذ الزمن للمتخلفين يومئذ بعد الرخصة • قوله تعالى من المؤمنين متعلق
بمحذوف وقع حالا من القاعدين أي كائنين من المؤمنين وفائدتها الإيذان من أول الأمر
بعدم إخلال وصف القعود بإيمانهم والإشعار بعلة استحقاقهم لما سيأتي من الحسنى غير أولي
الضرر بالرفع صفة للقاعدين لجريانه مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم بأعيانهم أو بدل منه
وقرئ بالنصب على أنه حال منه أو استثناء وبالجر على أنه صفة للمؤمنين أو بدل منه والضرر
المرض أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها وفي معناه العجز عن الأهبة عن زيد
ابن ثابت رضي الله عنه قال كنت إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت
فخذه على فخذي حتى خشيت أن ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت لا يستوي القاعدون
من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن أم مكتوم وكان أعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع
الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون
من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون إيرادهم بهذا العنوان دون الخروج المقابل للوصف
المعطوف عليه كما وقع في عبارة ابن عباس رضي الله عنه وكذا التقييد المجاهدة بكونها في
سبيل الله بأموالهم وأنفسهم لمدحهم بذلك وللإشعار بعلة استحقاقهم لعلو الرتبة مع ما فيه
من حسن موقع السبيل في مقابلة القعود وتقديم القاعدين في الذكر للإيذان من أول الأمر
بأن القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فإن مفهوم عدم
الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وإن جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد
لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان القاصر وعليه قوله تعالى هل يستوي الأعمى والبصير
أم هل تستوي الظلمات والنور إلى غير ذلك • وأما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لأن صلته ملكة لصلة المفضول • وقوله عز وجل فضل
الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة استئناف مسوق لتفصيل ما بين

الرتبتين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهم اجمالا ببيان كميته وكيفيته مبني على سؤال ينساق
اليه المقال كانه قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله الخ وانما لم يعد ما ظهر لا يستوون كما يليق
بحال الاستئناف تعليلا لعدم الاستواء بسوق الابانة وفيه تفكيك للنظم فان الذي يستحق
ان يكون مقصودا بالذات انما هو بيان تفاضل الفريقين على درجات متفاوتة واما عدم استوائهما
فتمهيد امره ان يكون توطئة لذكره ولام المجاهدين والقاعدين للعهد فقيد كون الجهاد
في سبيل الله معتبر في الاول كما ان قيد عدم الضرر معتبر في الثاني ودرجة نصب على المصدرية
لوقوعها موقع المرة من التفضيل اي فضل الله تفضيلة او على نزع الخافض اي بدرجة وقيل على
التمييز وقيل على الحالية من المجاهدين اي ذوي درجة وتنوينها للتفخيم وقوله تعالى وكلا
مفعول اول لما يعقبه قدم عليه لافادة القصر تاكيدا للوعد اي كل واحد من المجاهدين
والقاعدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا احدهما فقط كما في قوله تعالى
وارسلناك للناس رسولا فان اللام متعلقة برسولا والجملة اعتراض جيء به تداركا لما عسى
يوهمه تفضيل احد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول وقوله عز وجل وفضل الله المجاهدين
على القاعدين عطف على قوله تعالى فضل الله الخ واللام في الفريقين مغنية لها عن ذكر
القيود التي تركت في سبيل الله الخ وقوله تعالى اجرا عظيما مصدر من فضل لان التفضيل
ايه بمعنى اجر واثابة على ان ما هو مقصود بمثله للاشعار بكون ذلك التفضيل اجرا لاعمالهم
او مفعول ثان له بتضمينه معنى الاعطاء اي اعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما وقيل
هو منزوع منصوب بنزع الخافض اي فضلهم باجر عظيم وقوله تعالى درجات بدل من اجرا بدل
الكل مبين لكمية التفضيل وقوله تعالى منه متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات دالة على فخامتها
وجلالة قدرها اي درجات كائنة منه تعالى قال ابن محيريز هي سبعون درجة ما بين كل درجتين
عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا وقال السدي هي سبعمائة درجة وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله تعالى للمجاهدين
في سبيله بين الدرجتين كما بين السماء والارض ويجوز ان يكون انتصاب درجات على المصدرية
كما في قولك ضربته اسواطا اي ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات وقوله تعالى ومغفرة بدل
من اجرا بدل البعض لان بعض الاجر ليس من باب الفضل اي مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب
التي لا يكفرها سائر الحسنات التي ياتي بها القاعدون ايضا حتى تعد من خصائصهم وقوله
تعالى ورحمة بدل الكل من اجرا مثل درجات ويجوز ان يكون انتصابهما باضمار فعلهما اي
غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبئ عن المغايرة
وتقييده تارة بدرجة واخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه
ظاهر النظم ويستدعيه حسن الانتظام اما لتنزيل الاختلاف العنواني بين التفضيلين
وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف الذاتي تمهيدا لسلوك طريقة الابهام ثم التفسير
روما لزيادة التحقيق والتقرير كما في قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه
برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كانه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة
لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها وحيث كان تحقق هذا البون البعيد بينهما موهما لحرمان

القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم اريد تفسير ما افاده بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال
كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شأن التنزيل واما للاختلاف بالذات بين التفضيلين
وبين الدرجة والدرجات على ان المراد بالتفضيل الاول ما خولهم الله تعالى عاجلا في الدنيا من
الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالثاني ما خولهم في الآخرة من درجات لا تحصى وقد
وسط بينهما في الذكر ما هو متوسط بينهما في الوجود اعني الوعد بالجنة توضيحا لحال تفاوتهما
المفعول والله سبحانه اعلم ثم ان اريد بالمجاهدين وبالقاعدين غير اولي الضرر فاما اولوا
الضرر فهم مساوون للمجاهدين في الثواب بمفهوم القضية وبدلالة الاستثناء من النفي اثبات
واما عند من لا يقول بذلك فللحاجة والدلالة العبارة النبوية وقد روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا
معكم هم الذين صدقت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وما منعهم من
المسير الا ضرر او عذر وفي عبارة اخرى ان بالمدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم
من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة
حبسهم العذر وقد قالوا ان المساواة مشروطة بشريطة اخرى سوى الضرر قد ذكرت في قوله
تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله تعالى اذا نصحوا لله ورسوله وقيل القاعدون
الاول هم الاضراء والثاني غيرهم وفيه من تفكيك النظم الكريم ما لا يخفى ولا ارتياب
في ان الاضراء افضل من غيرهم درجة كما لا ارتياب في انهم دون المجاهدين بحسب الدرجة الدنيوية
وكان الله غفورا رحيما تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة ان الذين توفاهم الملائكة
بيان لحال القاعدين عن الهجرة اثر بيان حال القاعدين عن الجهاد وتوفاهم يحتمل ان يكون
ماضيا ويؤيده قراءة من قرأ توفتهم وان يكون مضارعا قد حذف منه احدى التاءين
واصله تتوفاهم على حكاية الحال الماضية والقصد الى استحضار صورتها ويعضده قراءة من
قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من
استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم حال من ضمير توفاهم فانه وان كان مضافا الى المعرفة
الا انه نكرة في الحقيقة لان المعنى على الانفصال وان كان موصولا في اللفظ كما في قوله
تعالى غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة وثاني عطفه اي محلين الصيد وبالغا الكعبة
وثانيا عطفه كانه قيل ظالمين انفسهم وذلك بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة
للاخلال بامور الدين فانها نزلت في ناس من مكة قد اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة
فريضة قالوا اي الملائكة للمتوفين تقريرا لهم بتقصيرهم في اظهار اسلامهم
واقامة احكامه من الصلاة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من
امور دينكم قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كانه قيل
فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا متجانفين عن الاقرار الصريح بما هم فيه من التقصير
متعللين بما يوجبه على زعمهم كنا مستضعفين في الارض اي في ارض مكة عاجزين عن
القيام بمواجب الدين فيما بين اهلها قالوا ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر منها تقدرون فيه على اقامة امور الدين كما فعله من

مهاجرا الى المدينة والى الحبشة واما حمله على تعللهم بالعجز عن الهجرة وحمل جواب الملائكة
على تكذيبهم في ذلك فيرده ان سبب العجز عنها لا ينحصر في فقدان ذات اليد بل قد يكون
لعدم الاستطاعة للخروج بسبب العدو او لعدم تمكين الكفرة فلا يكون بيان سعة الارض
تكذيبا لهم وردا عليهم بل لابد من بيان استطاعتهم ايضا حتى يتم التبكيت • وقيل
كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا الى بدر مع المشركين منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة
وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فقتلوا فيها وضربت الملائكة وجوههم وادبارهم
وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريعا لهم وتوبيخا بما كانوا فيه من مساعدة
الكفرة بانتظامهم في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بانهم كانوا مقهورين
تحت ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين فرد عليهم بانهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين
من المهاجرة فاولئك الذين حكيت احوالهم الفظيعة مأواهم في الاخرة جهنم كما ان مأواهم
في الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة المحتومة فمأواهم مبتدأ وجهنم خبره • والجملة
خبر لاولئك وهذه الجملة خبر ان والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط • وقوله تعالى قالوا
فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد عند من يشترطه او هو الخبر والعائد منه محذوف
اي قالوا لهم • والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه مستنتجة منه ومما في حيزه وساءت
مصيرا اي مصيرهم او جهنم وفي الآية الكريمة ارشاد الى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن
الرجل من اقامة امور دينه باي سبب كان • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من
ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابراهيم ونبيه
محمد عليهما الصلاة والسلام الا المستضعفين استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول
وضميره والاشارة اليه وقوله تعالى من الرجال والنساء والولدان متعلقة
بمحذوف وقع حالا من المستضعفين اي كائنين منهم وذكر الولدان ان اريد بهم المماليك
والمراهقون فظاهر • واما ان اريد بهم الاطفال فللمبالغة في امر الهجرة وايهام انها بحيث
لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة تجب عليهم
اذا بلغوا كأنها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا
بهم متى امكنت • وقوله تعالى لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين
وان ما فيه من اللام ليس للتعريف او حال منه او من المستكن فيه وقيل تفسير لنفس
المستضعفين لكثرة وجوه الاستضعاف واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة ومباديها
واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه بنفسه او بدليل فاولئك اشارة
الى المذكورين باذكر من صفات العجز عسى الله ان يعفو عنهم جيء بكلمة الاطماع ولفظ العفو
ايذانا بان الهجرة من تأكد الوجوب بحيث ينبغي ان يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنبا
يجب طلب العفو عنه رجاء وطمعا لا جزما وقطعا وكان الله عفوا غفورا تذييل مقرر
لما قبله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا ترغيب في المهاجرة وتأنيس
لها اي يجد فيها متحولا ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تأكيدا للترغيب بما فيه من الاشعار
بكون ذلك المتحول بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة الى ما يكون سببا لرغم

انف قومه

انف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب
وقيل يجد فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم وسعة اي من الرزق
ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت اي قبل ان يصل الى المقصد
وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة وهو معطوف على
فعل الشرط • وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف • وقيل هو حركة الهاء نقلت الى
الكاف على نية الوقف كما في قول من قال من عنزي سبني لم اضربه • وقرئ بالنصب على اضمار ان كما في
قوله • والحق بالحجاز فاستريحا • فقد وقع اجره على الله اي ثبت ذلك عنده
ثبوت الامر الواجب • روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث بالآيات المتقدمة
الى مسلمي مكة • قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من
المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها
الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك
وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا فنزلت • قالوا كل هجرة في غرض
ديني من طلب علم او حج او جهاد او نحو ذلك فهي هجرة الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه
وسلم وكان الله غفورا مبالغا في المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التي من جملتها
القعود عن الهجرة الى وقت الخروج رحيما مبالغا في الرحمة فيرحمه باكمال ثواب هجرته واذا
ضربتم في الارض شروع في بيان كيفية الصلاة عند الضرورات من السفر ولقاء العدو
والمرض والمطر وفيه تأكيد لعزيمة المهاجر على المهاجرة وترغيب له فيها لما فيه من تخفيف
المؤنة اي اذا سافرتم اي مسافرة كانت ولذلك لم يقيد بما قيد به المهاجرة فليس عليكم
جناح اي حرج ومأثم ان تقصروا اي في ان تقصروا والقصر خلاف المد يقال قصرت الشيء
اي جعلته قصيرا بحذف بعض اجزائه او اوصافه فمتعلق القصر انما هو ذلك الشيء لا بعضه
فانه متعلق بالحذف دون القصر • وعلى هذا فقوله تعالى من الصلاة ينبغي ان يكون
مفعولا لا تقصروا على زيادة من حسبما رآه الاخفش • واما على تقدير ان تكون تبعيضية
ويكون المفعول محذوفا كما هو رأي سيبويه اي شيئا من الصلاة فينبغي ان يصار الى وصف
الجزء بصفة الكل او يراد بالقصر معنى الحبس يقال قصرت الشيء اذا حبسته او يراد
بالصلاة الجنس ليكون المقصود بعضا منها وهي الرباعيات اي فليس عليكم جناح في ان
تقصروا البعض للصلاة بتنصيفها • وقرئ تقصروا من الاقصار وتقصروا
التقصير والكل بمعنى واحد وادنى مدة السفر الذي يتعلق به القصر عند ابي حنيفة
مسيرة ثلاثة ايام ولياليها بسير الابل ومشي الاقدام بالاقتصاد • وعند الشافعي
رحمه الله مسيرة يومين • وظاهر الآية الكريمة تخيير وافضلية الاتمام وبه تعلق
الشافعي رحمه الله وبما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اتم في السفر • وعن عائشة
رضي الله عنها انها اتمت وقصرت اجزي • وعن عثمان رضي الله عنه انه كان يتم ويقصر
وعندنا يجب القصر لا محالة • خلا ان بعض مشايخنا سماه عزيمة وبعضهم رخصة اسقاط

يجب لامتناع للاتمام لا رخصة ترفيه اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل • وهو قول عمر
وعلي وابن عباس وابن عمر وجابر رضوان الله عليهم اجمعين • وبه قال الحسن وعمر بن عبد
العزيز وقتادة وهو قول مالك • وقد روي عن عمر رضي الله عنه صلاة السفر
ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم • وعن انس رضي الله عنه
خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين
حتى رجعنا الى المدينة • وعن عمران بن حصين ما رايت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي
في السفر الا ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قال اتموا فانا قوم سفر • وحين سمع ابن مسعود
رضي الله عنه ان عثمان رضي الله عنه صلى بمنى اربع ركعات استرجع ثم قال صليت مع
النبي صلى الله عليه وسلم ركعتين بمنى وصليت مع ابي بكر رضي الله عنه ركعتين بمنى
وصليت مع عمر رضي الله عنه بمنى ركعتين فليت حظي من اربع ركعات ركعتان متقبلتان
وقد اعتذر عثمان رضي الله عنه عن اتمامه بانه تاهل بمكة • وعن الزهري رحمه الله
انه انما اتم لانه ازمع الاقامة بمكة • وعن عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلاة
فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر • وفي صحيح البخاري انها
قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلاة السفر وزيد
في صلاة الحضر • واما ما روي عنها من الاتمام فقد اعتذرت عنها عنده وقالت انا
ام المومنين فحيث حللت فهي داري واما ورود ذلك بنفي الجناح لما انهم الفوا الاتمام
فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى الجناح لتطيب به
نفوسهم ويطمئنوا اليه كما في قوله تعالى فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف
بهما مع ان ذلك الطواف واجب عنده وركن عند الشافعي رحمه الله • وقوله تعالى ان
خفتم ان يفتنكم الذين كفروا جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان خفتم ان
يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم جناح الى اخره وهو شرط
معتبر في شرعية ما ذكر بعده من صلاة الخوف المؤداة بالجماعة • واما في حق مطلق
القصر فلا اعتبار له اتفاقا على تظاهر السنن في مشروعيته حسبما عرفت على
تفاصيلها • وقد ذكر الطحاوي في شرح الاثار مسندا الى يعلى بن امية انه قال قلت
لعمر بن الخطاب رضي الله عنه انما قال الله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد امن الناس • فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما عجبت منه
فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته
وفيه دليل على عدم جواز الاكمال لان التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد
كالعفو في موضعه ولا يتوهم انه مخالف للكتاب لان التقييد بالشرط عندنا انما يدل
على ثبوت الحكم عند وجود الشرط واما عند عدمه فمسكوت عنه فان وجد له دليل
ثبت عنده ايضا والا يبقى على حاله لعدم تحقق دليله لا لتحقق دليل عدمه وهنا مسانده
من الادلة الواضحة • واما عند القائلين بالمفهوم فلانه انما يدل على نفي الحكم عند عدم
الشرط اذا لم يكن له فائدة اخرى وقد خرج الشرط هنا مخرج الاغلب كما في قوله

تعالى

تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا بل نقول ان الاية الكريمة مجملة في حق
مقدار القصر وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من الصلوات وفي مقدار مدة الضرب
الذي نيط به القصر فكلما ورد منه صلى الله عليه وسلم من المقدار وفي حال الامن
وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف وفي الضرب بالمدة المعينة بيان لاجمال الكتاب
وقيل ان قوله تعالى ان خفتم الى اخره متعلق بما بعده من صلاة الخوف منفصل عما
قبله • فانه روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى واذا
ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ثم سالوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد حول فنزل قوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم
جناح الى اخره وقد قرئ من الصلاة ان يفتنكم بغير ان خفتم على انه مفعول له لما دل عليه
الكلام • كانه قيل شرع لكم ذلك كراهة ان يفتنكم الى اخره فان استمرار الاشتغال
بالصلاة مظنة لاقتدارهم على ايقاع الفتنة • وقوله تعالى ان الكافرين كانوا لكم عدوا
مبينا تعليل لذلك باعتبار تعلقه بما ذكرنا ولما بينهم من العداوة تكون فتنتهم متوقعة
فان العاقل [illegible] من موجبات التعرض [illegible] • وقوله تعالى واذا كنت
فيهم بيان لما قبله من النص المجمل الوارد في شرعية القصر بنوع تفصيل لحالها [illegible]
وكيفيته عند الضرورة التامة • وتخصيص البيان بهذه الصورة مع الاكتفاء فيما عداها
بالبيان بطريق السنة لمزيد حاجتها اليه لما فيها من كثرة التغييرات عن الهيات الاصلية
ومن ها هنا ظهر لك ان مورد النص الشريف هي المعهودة وحكم ما عداها مستفاد
من حكمها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد [illegible] يتعلق
من لا يرى صلاة الخوف [illegible] لانه [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] ان يقوم
فيتناولهم حكم الخطاب الوارد له صلى الله عليه وسلم • كما في قوله تعالى خذ من اموالهم
صدقة • وقد روي عن سعيد بن العاص انه اراد ان يصلي بطبرستان صلاة الخوف •
فقال ايكم شهد منكم صلاة الخوف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حذيفة بن اليمان
فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان ذلك بحضرة الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكر
احد فحل محل الاجماع • وروي في السنن انهم غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة كابل فصلى بهم صلاة
الخوف فاقمت لهم الصلاة اي اردت ان تقيم بهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك
بعد ان جعلتهم طائفتين ولتقف الطائفة الاخرى بازاء العدو ليحرسوكم منهم وانما لم يصرح
به لظهوره وليأخذوا اي الطائفة القائمة معك اسلحتهم اي لا يضعوها ولا يلقوها
وانما عبر عن ذلك بالاخذ للايذان بالاعتناء باستصحابها كانهم ياخذونها ابتداء فاذا سجدوا
اي القائمون معك واتموا الركعة فليكونوا من ورائكم اي فلينصرفوا الى مقابلة العدو
للحراسة وانما لم يصرح به لانه [illegible] ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا وهي الطائفة
الواقفة تجاه العدو للحراسة وانما لم يصرح [illegible] فليصلوا معك الركعة الثانية
ولم يبين في الاية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة
حيث روي عن ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى صلاة الخوف

صلى بالطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة كان الامة ترجانا لطائفة الاولى وذهبت
الى المقاتلة العدو حتى تقضي الركعة الاخرى بلا قراءة وتسلموا ثم جاءت الطائفة الاخرى
وقضوا الركعة الاولى بقراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان وليأخذوا اي هذه الطائفة
حذرهم واسلحتهم لعل زيادة الامر بالحذر في هذه المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على
كون الطائفة القائمة مع النبي صلى الله عليه وسلم في شغل شاغل واما قبلها فربما يظنونهم
قائمين للحراب وتكليف كل من الطائفتين بما ذكر لان الاشتغال بالصلاة مظنة لالقاء السلاح
والاعراض عن غيرها ومئنة لهجوم العدو كما ينطق به قوله تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون عن
اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة فانه استئناف مسوق لتعليل الامر المذكور
والخطاب للفريقين بطريق الالتفات اي تمنوا ان ينالوا منكم غرة وسهوا واذ قمتم فيشدوا
عليكم شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع به في الحرب لا مطلقا وهذا الامر للوجوب
لقوله تعالى ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم
حيث رخص لهم في وضعها اذا ثقل عليهم استصحابها بسبب مرض او مطر وامر مع ذلك بالتيقظ
والاحتياط فقيل وخذوا حذركم لئلا يهجم العدو عليهم غيلة روى الكلبي عن ابي صالح
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزى محاربا وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع
الناس اسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادي
والسماء ترش فحال الوادي بينه صلى الله عليه وسلم وبين اصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف
فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على راسه صلى الله عليه وسلم وقد سل
سيفه الحرث ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه ثم اكب لوجهه
من زلخة زلخها بين كتفيه فندر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذه ثم قال يا
غورث من يمنعك مني الان قال لا احد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد ان لا اله الا
الله واني محمد عبده ورسوله واعطيك سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين
عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث والله لانت خير مني
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقص عليهم
قصته فآمن بعضهم قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم ...
الى اصحابه ... وقيل لما كان الامر بالحذر من العدو موهما لتوقع غلبته واعتزازه نفي
ذلك الايهام بان الله سيغنيهم ويهين عدوهم لتقوى قلوبهم فاذا قضيتم الصلاة صلاة
الخوف اي اديتموها على الوجه المبين وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم
اي فداوموا على ذكره تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الاحوال حتى في حال
المسايفة والقتال كما في قوله تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون
فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف وامنتم بعدما وضعت الحرب اوزارها فاقيموا الصلاة
اي الصلاة التي دخل وقتها اي ادوها تامة بتعديل اركانها ومراعاة شرائطها وقيل المراد بالذكر
في الاحوال الثلاثة الصلاة فيها اي فاذا اردتم اداء الصلاة فصلوا قياما عند المسايفة

وقعودا

وقعودا جاثين على الركب عند المراماة وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم في الجملة فاقضوا
ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج وهو راي الشافعي رضي الله عنه وفيه
من البعد ما لا يخفى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي فرضا منجما موقتا قال مجاهد
اي مقدرا وقته الله تعالى عليهم فلا بد من اقامتها في حال الخوف ايضا على الوجه المشروع وقيل
مفروضا مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر ركعتين فلا بد ان تؤدى في كل وقت حسبما قدر فيه
ولا تهنوا في ابتغاء القوم اي لا تضعفوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بالحراب
وقوله تعالى ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون تعليل
للنهي وتشجيع لهم اي ليس ما تقاسونه من الالام مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم
انهم يصبرون على ذلك فما لكم لا تصبرون مع انكم اولى به منهم حيث ترجون من الله اظهار دينكم
على سائر الاديان ومن الثواب في الاخرة ما لا يخطر ببالهم وقرئ ان تكونوا بفتح الهمزة اي لا تهنوا
لان تكونوا تألمون وقوله تعالى فانهم تعليل للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى
وكان الله عليما حكيما في الامر والنهي فجدوا في الامتثال بذلك فان فيه عواقب حميدة انا انزلنا
اليك الكتاب بالحق روي ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا
من جار له قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخبأها عند زيد بن السمين
اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا
اثر الدقيق حتى انتهوا الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت
بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجادل عنه فنزلت وروي ان طعمة هرب الى
مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل نزل على رجل
من بني سليم من اهل مكة يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع الخروج
ولا الدخول فاخذ ليقتل فقيل دعوه فانه قد لجأ اليكم فتركوه فاخرجوه من مكة فلحق بتجار من
قضاعة نحو الشام فنزل منزلا فسرق بعض متاعهم وهرب فاخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه
وقيل انه ركب سفينة الى جدة فسرق فيها كيسا فيه دنانير فاخذ والقي في البحر لتحكم بين الناس
بما اراك الله اي بما عرفك واوحى به اليك ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم وهو طعمة
ومن يعينه من قومه او هو ومن يسير بسيرته خصيما مخاصما للبرآء اي لا تخاصم اليهود لاجلهم والنهي
معطوف على امر ينسحب عليه الكلام النظم الكريم كانه قيل فاحكم ولا تكن الى اخره واستغفر الله
مما هممت به تعويلا على شهادتهم ان الله كان غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يستغفره
ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم اي يخونونها بالمعصية لقوله تعالى علم الله انكم كنتم
تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لرجوع ضررها
اليهم والمراد بالموصول اما طعمة وامثاله واما هو ومن يعاونه ويشهد ببراءته من قومه فانهم
شركاء في الاثم والخيانة ان الله لا يحب من كان خوانا مفرطا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا
فيه وتعليق عدم المحبة الذي هو كناية عن البغض والسخط بالمبالغ في الخيانة والاثم ليس لتخصيصه
بل لبيان افراط طعمة وقومه فيها يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا من ضررهم ولا
يستخفون من الله اي لا يستحيون منه سبحانه وهو احق بان يستحيى منه ويخاف من عقابه وهو معهم

عالم بهم وباحوالهم فلا طريق الى الاستخفاء منه سوى ترك ما يستقبح ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون
ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون
من الاعمال الظاهرة والخافية محيطا لا يعزب عنه شيء منها ولا يفوت ها انتم هؤلاء تلوين للخطاب
وتوجيه لهم بطريق الالتفات ايذانا بان تعدادهم جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع
والجملة مبتدأ وخبر وقوله تعالى جادلتم عنهم في الحياة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا ويجوز
ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمجادلة المخاصمة والمعنى هبوا انكم خاصمتم
عن طعمة وامثاله في الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة فمن يخاصم عنهم يومئذ عند تعذيبهم وعقابهم
ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله تعالى وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به
غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون
الشرك والظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة الصادقة
يجد الله غفورا لذنوبه كائنة ما كانت رحيما متفضلا عليه وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه في التوبة
والاستغفار لما ان شهادة التائب لابتار المغفرة والرحمة تعد زائدة كلام ومن يكسب اثما
فانما يكسبه على نفسه بحيث لا يتعدى ضرره ووباله الى غيره فليحترز عن تعريضها للعذاب
والعقاب عاجلا وآجلا وكان الله عليما مبالغا في العلم حكيما مراعيا للحكمة في كل ما قضى وقدر ولذا
لا تحمل وازرة وزر اخرى ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه من الذنوب وقرئ ومن
يكسب بكسر الكاف وتشديد السين اصله يكتسب او اثما كبيرة وما كان من عمد ثم يرم به بريئا كما قذف به
… وتوحيد الضمير مع تعدد المرجع لمكان او … لتغليب الاثم على الخطيئة كانه قيل
ثم يرم باحدهما … وقيل الضمير للكسب المدلول عليه بقوله تعالى يكسب …
للتراخي في الرتبة بريئا اي ما رماه به ليخلع عقوبته العاجلة كما فعل طعمة بزيد فقد احتمل اي ما ثقل
من تحمل جريرته على البريء بهتانا وهو الكذب على الغير بما يبهت منه ويتحير عند سماعه لفظاعته وقيل
وقيل هو الكذب الذي يتحير في عظمه واثما مبينا اي بينا عظيما فاحشا وفيما كفى في بيان عظم
البهتان التنكير التفخيمي كانه قيل بهتانا لا يقادر قدره واثما مبينا على ان وصف الاثم بذلك يلزمه
وصف البهتان به لانه عبارة عن اثر واحد هو رمي البريء بجناية نفسه …
وتشنيعا لحاله في العظم والفخامة كون المرمي به للرامي فان رمي البريء بجناية ما خطيئة كانت او
اثما بهتان واثم في نفسه اما كونه بهتانا فظاهر واما كونه اثما فلان كون الذنب بالنسبة الى من
فعله خطيئة لا يخرجه كونه بالنسبة الى من نسبه الى البريء منه اثما كذلك لا يجوز ذلك قطعا
كيف لا وهو كذب محرم في جميع الاديان فهو في نفسه بهتان واثم لا محالة وبكون تلك الجناية
للرامي يتضاعف ذلك منه ويزداد قبحا لكونه انضمام جنايته المكسوبة الى رمي البريء والانكار
الرامي في جناية مثله في العظم ولا يجرد اشتماله على براءة نفسه الخاطئة والانكار الرحيم
جناية مع براءة نفسه كذلك في العظم لاشتماله على قصد تحميل جنايته على البريء واجراء عقوبتها
عليه لا ينفي عنه آثار الاجهاد على الاكتساب ونحوه لما فيه من الاذلال بالفكاك … مع ما فيه
من الاشتغال بفعل المراوغة وصعوبة الامر … انضمام كسبه وتبرئة نفسه الى رمي البريء وزاد
الجناية فطالما ترك الزيادة ومعنى المجموع لا للاثم ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هم

عليه بالوحي وتنبيهك على الحق وقيل بالنبوة والعصمة لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر وهم الذابون
عن طعمة وقد يجوز ان يكون المراد بالطائفة كلهم ويكون الضمير راجعا الى الناس وقيل المراد
وفد بني ثقيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا جئناك لنبايعك على ان لا تكسر
اصنامنا ولا تعشرنا فرد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضلوك اي بان يضلوك عن القضاء
بالحق مع علمهم بحقيقة الامر والجملة جواب لولا وانما نفى همهم مع ان المنفي انما هو تأثيره نفيا لتأثيره
رأسا بالكلية وقيل المراد نفي الهم المؤثر ولا ريب في انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف
اي لاضلوك وقوله عز وجل لهمت جملة مستأنفة اي لقد همت طائفة منهم وما يضلون الا انفسهم
لاقتصار وباله مكره عليهم من غير ان يصيبك منه شيء والجملة اعتراض وقوله تعالى وما يضرونك
من شيء عطف عليه ومحله الجر او النصب على المصدرية اي وما يضرونك شيئا من الضرر
لانه تعالى عاصمك وانما خطر ببالك ما خطر عملا بظاهر الحال ثقة باقوال القائلين من غير ان
يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي القرآن الجامع
بين العنوانين وقيل المراد بالحكمة السنة وعلمك بالوحي من خفيات الامور التي من جملتها وجوه
ابطال كيد المنافقين او من امور الدين واحكام الشرع ما لم تكن تعلم ذلك الى الوقت الغابر
وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة العامة والرياسة التامة لا خير في كثير
من نجواهم اي في كثير من تناجي الناس الا من امر بصدقة او معروف وقيل
المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاز وقيل النجوى جمع نجي نقله الكرماني والاستثناء
متصل ويجوز الانقطاع ايضا على معنى لكن من امر بصدقة الى آخره ففي نجواه الخير والمعروف
كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم اصناف الجميل وفنون اعمال البر وقد فسر هنا
بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع على ان المراد بالصدقة الصدقة الواجبة او اصلاح
بين الناس عند وقوع المشاجرة والمعاداة بينهم من غير ان يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف
وبين اما متعلقة بنفس اصلاح يقال اصلحت بين القوم او محذوف هو صفة له كما في حديث عن
ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ادلك على صدقة
خير لك من حمر النعم قال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا
تباعدوا والوا لعل السر في افراد هذه الاقسام الثلاثة بالذكر ان عمل الخير المتعدي الى الناس
اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال واليه الاشارة بقوله تعالى
الا من امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر فقد اشير
اليه بقوله تعالى او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك اشارة الى الامور المذكورة اعني الصدقة
والمعروف فانه … اليه سبحانه … وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لبيان بعد
منزلتها ورفعة شانها وترتيب الوعد على فعلها اثر بيان خيرية الامر بها لما ان المقصود الاصلي
هو الترغيب في الفعل وبيان خيرية الامر به للدلالة على خيريته بالطريق الاولى لما ان مدار
حسن الامر وخيره حسن المأمور به وخيريته فحيث ثبت خيرية الامر بالامور المذكورة ثبت خيرية فعلها
… عن الامر بها … في الخيرية فان استتباع الامر بها للاجر العظيم
لكونه ذريعة الى فعلها … او لدواعي ابتغاء مرضات الله علة للفعل والتقييد

به لأن الأعمال بالنيات وأن من خالف نهيه الخير في ذلك لم يستحق به غير الحرمان فسوف نؤتيه بنون العظمة
على الالتفات وقرئ بالياء أجرا عظيما يقصر عنه الوصف ومن يشاقق الرسول التعرض لعنوان
الرسالة لإظهار كمال الشناعة ما أخبروا النهي من المشاقة والمخالفة وتعليل الحكم الآتي بذلك من بعد
ما تبين له الهدى أي ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته ويتبع غير سبيل المؤمنين
أي غير ما هم مستمرون عليه من عقد وعمل وهو الدين القيم نوله ما تولى أي نجعله واليا لما
تولاه من الضلال ونخل بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم أي ندخله إياها وقرئ
بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا أي جهنم وفيه دلالة على حجية الإجماع وحرمة مخالفته إن
الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء تكرير لتقرير ما سبق وتأكيد [illegible]
والتشديد أو لقصة طعمة وقتله مرتدا كافرا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن شيخا من
العرب جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله
شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أواقع المعاصي جراءة على الله تعالى وما توهمت
طرفة عين أني أعجز الله هربا وإني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله
فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فإن الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة
كما أنه افتراء إثم عظيم ولذلك جعل الجزاء في هذه الشرطية فقد ضل وفيما سبق فقد افترى
إثما عظيما حسبما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه إن يدعون أي ما يعبدون من دونه تعالى إلا
إناثا هي اللات والعزى ومناة ونحوها عن الحسن أنه لم يكن حي من أحياء العرب إلا كان لهم صنم
يعبدونه يسمونه أنثى بني فلان فقيل لأنهم كانوا يقولون في أصنامهم هن بنات الله وقيل لأنهم
كانوا يلبسونها أنواع الحلي ويزينونها على هيئات النسوان وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة
بنات الله وقيل سميت إناثا لتأنيث أسمائها أو لأنها في الأصل جماد والجماد تؤنث من حيث إنها
مناسبة الإناث لانفعالها وإيرادها بهذا الاسم للتنبيه على فرط حماقة عبدتها وتناهي جهلهم
والإناث جمع أنثى كرباب وربى وقرئ على التوحيد وأنثا أيضا على أنه جمع أنيث ككليب وقليب
أو جمع إناث كثمار وثمر وقرئ وثنا ووثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك أسد وأسد وأثنا على قلب
الواو همزة والمعنى واحد في وجوه وإن يدعون وما يعبدون بعبادتها إلا شيطانا مريدا
إذ هو الذي أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها فكانت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو
العاتي الذي لا يعلق بخير وأصل التركيب للملابسة ومنه صرح ممرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها
لعنه الله صفة ثانية لشيطانا وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف على الجملة
المتقدمة أي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا القول الشنيع الصادر عنه
اللعين ولعله يرمز إلى أن عبادة الأصنام غاية الضلال بطريق التعليل بأن ما يعبدونه ينفعل
ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الألوهية غاية المنافاة ثم استدل عليه بأن ذلك عبادة
للشيطان وهو أفظع الضلال من وجوه ثلاثة الأول أنه منهمك في الغي لا يكاد يعلق بشيء من الخير
والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الحق والثاني أنه ملعون لضلاله فلا يستتبع مطاوعته
سوى اللعن والضلال والثالث أنه في غاية السعي في إهلاكهم وإضلالهم فموالاة من هذا
شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمراد من المفروض أي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم

فرض

فرض له في العطاء ولأضلنهم ولأمنينهم الأماني الباطلة كطول الحياة وأن لا بعث ولا عقاب
ونحو ذلك ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام أي فليقطعنها بموجب أمري ويشقنها من غير تلعثم
في ذلك ولا تأخير وذلك ما كانت العرب تفعله بالبحائر والسوائب ولآمرنهم فليغيرن
خلق الله عن نهجه صورة أو صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم
ونحو ذلك وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في البهائم لمكان الحاجة وهذه
الجمل المحكية عن اللعين مما نطق به لسانه مقالا أو حالا وما فيها من اللامات كلها للقسم
والمأمور به في الموضعين محذوف ثقة بدلالة النظم عليه ومن يتخذ الشيطان وليا من
دون الله بإيثاره ما يدعوه إليه على ما أمره الله تعالى به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى إلى طاعته
فقد خسر خسرانا مبينا لأنه ضيع رأس ماله بالكلية واستبدل بمكانه من الجنة مكانه من النار
يعدهم ما لا يكاد ينجز ويمنيهم أي الأماني الفارغة أو يفعل بهم الوعد والتمنية على طريقة
فلان يعطي ويمنع والضميران لمن والجمع باعتبار معناها كما أن الإفراد في يتخذ وخسر باعتبار لفظها
وما يعدهم الشيطان إلا غرورا وهو إظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد إما بالخواطر
الفاسدة أو بلسان أوليائه وغرورا إما مفعول ثان للوعد أو مفعول لأجله أو نعت
لمصدر محذوف أي وعدا ذا غرور أو مصدر على غير لفظ المصدر لأن يعدهم في قوة يغرهم بوعده
والجملة اعتراض وعدم التعرض للتمنية لأنها من باب الوعد أولئك إشارة إلى أولياء الشيطان
وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلتهم في الخسران وهو مبتدأ وقوله تعالى مأواهم
مبتدأ ثان وقوله تعالى جهنم خبر للثاني والجملة خبر للأول ولا يجدون عنها محيصا أي
معدلا ومهربا من حاص الحمار إذا عدل وقيل خلص ونجا وقيل المحيص هو الروغان وعنها متعلق
بمحذوف وقع حالا من محيصا أي كائنا عنها ولا مساغ لتعلقه بمحيصا أما إذا كان اسم مكان فظاهر
وأما إذا كان مصدرا فلأنه لا يعمل فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره
قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قرن وعيد الكفرة بوعد
المؤمنين زيادة لمسرة هؤلاء ومساءة أولئك وعد الله حقا أي وعده وعدا وحق ذلك حقا
فالأول مؤكد لنفسه لأن مضمون الجملة الاسمية وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز أن ينتصب
الموصول بفعل يفسره ما بعده وينتصب وعد الله بقوله تعالى سندخلهم لأنه في معنى نعدهم إدخال
جنات الآخرة وحقا على أنه حال من المصدر ومن أصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود
من الآية معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله تعالى الصادق لأوليائه والمبالغة
في تأكيده ترغيبا للعباد في تحصيله والقيل مصدر كالقول والقال وقال ابن السكيت
القال والقيل اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز وقرئ بإشمام الصاد زايا وكذا كل صاد ساكنة
بعدها دال ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب أي ليس ما وعد الله تعالى من الثواب يحصل
بأمانيكم أيها المسلمون أمثاله كما في قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار والعطف على الإيمان
والعمل الصالح ولعل نظم أماني أهل الكتاب في سلك أماني المسلمين مع ظهور حالها للإيذان
بعدم إجداء أماني المسلمين أصلا كما في قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار كما سلف وعن
الحسن ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل إن قوما ألهتهم أماني المغفرة

خير من جوامع الدنيا ولا حسد لهم وقالوا لو أحسنا الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل
وقيل إن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم
ونحن أولى بالله منكم فقال المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة
فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم أي ليس الأمر بأماني المشركين وهو قولهم
لا جنة ولا نار وقولهم إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا وقولهم لأوتين
مالا وولدا ولا أماني أهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى
وقولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به عاجلا
وآجلا لما روي أنه لما نزلت قال أبو بكر رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال صلى الله
عليه وسلم أما تحزن أو ما تمرض أما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك ولا يجد له من دون
الله أي مجاوزا موالاة الله ونصرته وليا يواليه ولا نصيرا ينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من
الصالحات أي بعضها أو شيئا منها فإن كل أحد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر أو أنثى في
موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان أو من الصالحات ومن للابتداء أي كائنة من ذكر إلخ
وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على أنه لا اعتداد به دونه
فأولئك إشارة إلى من باعتبار اتصافه بالإيمان والعمل الصالح والجمع باعتبار معناها وما فيه من معنى
البعد لما مر غير مرة من الإشعار بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته في الشرف يدخلون الجنة
وقرئ يدخلون مبنيا للمفعول من الإدخال ولا يظلمون نقيرا أي لا ينقصون شيئا حقيرا من ثواب
أعمالهم فإن النقير علم في القلة والحقارة وإذا لم ينقص ثواب المطيع فلأن لا يزاد عقاب العاصي
أولى وأحرى كيف لا والمجازي أرحم الراحمين وهو السر في الاقتصار على ذكره عقيب الثواب ومن
أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله أي أخلص نفسه له تعالى لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له
في السجود وقيل أخلص عمله له عز وجل وقيل فوض أمره له تعالى وهو مع الإنكار استبعاد لأن يكون
أحد أحسن دينا ممن فعل ذلك أو مساويا له وإن لم يكن سبك التركيب متعرضا لإنكار المساواة
ونفيها يرشدك إليه العرف المطرد والاستعمال الفاشي فإنه إذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل
من فلان فالمراد به حتما أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل وعليه مساق قوله تعالى ومن
أظلم ممن افترى ونظائره ونصب دينا على التمييز من أحسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن دينه أحسن
من دين من أسلم إلخ فالتفضيل في الحقيقة جار بين الدينين لا بين صاحبيهما ففيه تنبيه على أن
ذلك أقصى ما تنتهي إليه القوة البشرية وهو محسن أي آت بالحسنات تارك للسيئات وآت بالأعمال الصالحة
على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله
أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك والجملة حال من فاعل أسلم واتبع ملة إبراهيم
الموافقة لدين الإسلام المتفق على صحتها وقبولها حنيفا مائلا عن الأديان الباطلة الزائغة
وهو حال من فاعل اتبع أو من إبراهيم واتخذ الله إبراهيم خليلا اصطفاه وخصه بكرامات
تشبه كرامات الخليل عند خليله وإظهاره عليه الصلاة والسلام في موضع الإضمار لتفخيم شأنه
عليه الصلاة والسلام والتنصيص على أنه الممدوح وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية والخلة
من الخلال فإنه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فإن كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر

ومن الخل وهو الطريق في الرمل فإنهما يترافقان في الطريقة أو من الخلة بمعنى الخصلة فإنهما يتوافقان في الخصال
وفائدة الاعتراض جمة من جملتها الترغيب في اتباع سنته صلى الله عليه وسلم فإنه نبي من بلغ من الزلفى
عند الله عز وجل مبلغا مصححا لتسميته خليلا حقيق بأن يكون اتباع طريقته أهم ما تمتد إليه
أعناق الهمم وأشرف ما يرمق نحوه أحداق الأمم قيل إنه صلى الله عليه وسلم بعث إلى خليل له
بمصر في أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان إبراهيم يريد الميرة لنفسه
لفعلت ولكنه يريد للأضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس من الشدة فرجع غلمانه عليه
السلام فاجتازوا ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فجاؤوا بها إلى منزل إبراهيم
عليه السلام وألقوها وتفرقوا وجاء أحدهم فأخبر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالقصة
فاغتم لذلك لا سيما لأجل الناس ببابه رجاء الطعام فغلبته عيناه وعمدت سارة إلى
الغرائر وإذا فيها أجود ما يكون من الحواري فاختبزت وفي رواية فأطعمت الناس فانتبه إبراهيم
فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم فقالت سارة من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي
الله عز وجل فسماه الله تعالى خليلا ولله ما في السموات وما في الأرض جملة مبتدأة سيقت لتقرير
وجوب طاعته تعالى على أهل السموات والأرض ببيان أن جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى
خلقا وملكا لا يخرج عن ملكوته شيء منها فيجازي كلا بموجب أعماله خيرا أو شرا وقيل لبيان أن اتخاذه
تعالى لإبراهيم خليلا ليس لاحتياجه سبحانه إلى ذلك في شأن من شؤونه كما هو دأب الآدميين
فإن مدار خلتهم افتقار بعضهم إلى بعض في مصالحهم بل لمجرد تكرمته وتشريفه وقيل لبيان أن الخلة
لا تخرجه عن رتبة العبودية وقيل لبيان أن اصطفاءه عليه الصلاة والسلام للخلة بمحض
مشيئته تعالى أي له تعالى ما فيهما جميعا يختار منهما ما يشاء ومن يشاء وقوله تعالى وكان الله بكل شيء محيطا
تذييل مقرر لمضمون ما قبله على الوجوه المذكورة فإن إحاطته تعالى علما وقدرة بجميع الأشياء التي
من جملتها ما فيهما من المكلفين وأعمالهم مما يقرر ذلك أحسن تقرير ويستفتونك في النساء أي في حقهن
على الإطلاق كما ينبئ عنه الأحكام الآتية لا في حق ميراثهن خاصة فإنه صلى الله عليه وسلم قد سئل
عن أحوال كثيرة مما يتعلق بهن فما بين حكمه فيما سلف أحيل بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب
ولم يبين حكمه بعد بين هنا وذلك قوله تعالى قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب
بإسناد الإفتاء الذي هو تبيين المبهم وتوضيح المشكل إليه تعالى وإلى ما يتلى من الكتاب فيما سبق
باعتبارين على طريقة قولك أغناني زيد وعطاؤه بعطفه على المبتدأ أو ضميره في الخبر لمكان الفصل
بالمفعول والجار والمجرور وإيثار صيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي وفي
الكتاب إما متعلق بيتلى أو بمحذوف وقع حالا من المستكن فيه أي يتلى كائنا فيه ويجوز أن يكون
ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على أن المراد به اللوح المحفوظ والجملة معترضة
مسوقة لبيان عظم شأن المتلو عليهم فإن العدل في الحقوق المبينة فيه من عظائم الأمور
التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها والإخلال بها ظلم عظيم وما يتلى يجوز أن يكون مجرورا
على القسم المنبئ عن تعظيم المقسم به وتفخيمه كأنه قيل قل الله يفتيكم فيهن وأقسم بما يتلى
عليكم في الكتاب فالمراد بقوله تعالى يفتيكم بيانه السابق واللاحق ولا مساغ لعطفه على
المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى وقوله تعالى في يتامى النساء على الوجه الأول وهو الأ...

متعلق بيتلى اي ما يتلى عليكم في شانهن وعلى الاخرى بدل من فيهن والاضافة بمعنى من لانها المضافة
الشيء الى جنسه ● وقرئ ييامى على قلب همزة ايامى ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث
وغيره وترغبون عطف على الصلة عطف جملة مثبتة على جملة منفية او حال من فاعل تؤتونهن باضمار مبتدا اي وانتم
ترغبون ولا ريب في انه لا تعلق لتنبيه عدم الايتاء بذلك فائدة الا اذا اريد بما كتب لهن صداقهن
ان تنكحوهن لكن لا لاجل التمتع بهن بل لاجل ما لهن او في ان تنكحوهن بغير اكمال الصداق وذلك لما
روي عن عائشة رضي الله عنها اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من
سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وعن ان ينكحوهن وذلك لما روي
عنها رضي الله عنها انها اليتيمة يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها طمعا في ميراثها وفي رواية
عنها رضي الله عنها انها هو الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها ووارثها قد شركته في المال حتى في العذق فيرغب
ان ينكحها او يكره ان يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها ● والمراد بما كتب لهن على الوجه
الاول والاخير ميراثهن وما يتلى في حقهن قوله تعالى واتوا اليتامى اموالهم ● وقوله تعالى ولا تاكلوها
ونحوهما من النصوص الدالة على عدم التعرض لاموالهم وعلى الوجه الثاني صداقهن وما يتلى في حقهن قوله تعالى
وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى الاية والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء وما يتلى
في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم الخ وقد كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويورثون الرجال القوام
بالامور ● روي ان عيينة بن حصن الفزاري جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك
تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال صلى الله
عليه وسلم كذلك امرت وان تقوموا لليتامى بالقسط بالجر عطف على ما قبله وما يتلى في حقهم قوله تعالى
ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ونحو ذلك مما لا يكاد يحصر هذا على تقدير
كون في يتامى النساء متعلقا بيتلى ● واما على تقدير كونه بدلا من فيهن فالوجه نصبه عطفا على موضع فيهن
اي ويبين لكم ان تقوموا او نصبه باضمار فعل اي ويامركم وهو خطاب للولاة والاولياء والاوصياء
وما تفعلوا في حقوق المذكورين من خير حسبما امرتم به او ما تفعلوا من خير على الاطلاق فيندرج فيه
ما يتعلق بهم اندراجا اوليا فان الله كان به عليما فيجازيكم بحسبه وان امراة خافت
شروع في بيان ما لم يبين فيما سلف اي فان توقعت امراة من بعلها نشوزا اي تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها
كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومؤانستها لما يقتضي ذلك من الدواعي والاسباب
فلا جناح عليهما حينئذ ان يصلحا بينهما صلحا اي في ان يصلحا بينهما بان تحط له المهر او بعضه او
القسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبت
يومها لعائشة رضي الله عنها او بان تهب له شيئا تستميله ● وقرئ يصالحا من يتصالحا ويصلحا
من يصطلحا ويصالحا من المفاعلة ● صلحا اما منصوب بالفعل المذكور على كل تقدير على انه مصدر
منه بحذف الزوائد ● وقد يعبر عنه باسم المصدر ● كما في قوله تعالى انبتها نباتا او اصلحها فصالحا او
بشرط اجتماعا في الفعل او بفعل مترتب على المذكور اي فيصلح حالهما صلحا وبينهما ظرف للفعل
او حال من صلحا ● والتعرض لنفي الجناح عنهما مع انه ليس من جانبهما الا الاخذ الذي هو مظنة للجناح
لبيان ان هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للمعطي والاخذ والصلح خير اي من الفرقة
او من سوء العشرة او من الخصومة واللام للعهد او خير من الخيور فاللام للجنس والجملة اعتراض

معترضة

معترضة لما قبله وكذا قوله واحضرت الانفس الشح اي جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك عنه ابدا فلا
المراة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها او كبر سنها وعدم حصول
للصلح ودعت بما له من كل منهما عليه بحيث لا يكاد يترك الحال نفسه فان ذلك ليس بغريب في المكايسة
في المهاجرة والشقاق بل بالنظر الى حال صاحبه فان شح نفس الرجل وعدم ميلها عن حالتها الجبلية
بغير استمالة مما يحمل المراة على بذل بعض حقوقها اليه لاستمالته وكذا شح نفسها بحقوقها مما يحمل الرجل
ان يقنع من قبلها بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك الصلح وان تحسنوا في العشرة وتتقوا
النشوز والاعراض وان تظاهرت الاسباب الداعية اليهما وتصبروا على ذلك مراعاة لحقوق الصحبة ولم
تضطروهن الى بذل شيء من حقوقهن فان الله كان بما تعملون اي من الاحسان والتقوى او بجميع ما تعملون
جميعا ويدخل فيه ذلك دخولا اوليا خبيرا فيجازيكم ويثيبكم عليه البتة لاستحالة ان يضيع
اجر المحسنين وفي خطاب الازواج بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية حقوقهن بالاحسان ولفظ
التقوى المنبئ عن كون النشوز والاعراض مما يتوقى منه وترتيب الوعد الكريم عليه من لطف
الاستمالة والترغيب في حسن المعاملة ما لا يخفى ● روي انها نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها
سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة واثرها عليها وجفاها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشكت اليه ذلك ● وقيل نزلت في ابي السائب كانت له امراة قد كبرت وله منها اولاد فاراد
ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني على اولادي واقسم لي من كل شهرين ان شئت
وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر
له ذلك فنزلت ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء اي محال ان تقدروا على ان تعدلوا بينهن بحيث
لا يقع ميل ما الى جانب احداهن في شان من الشؤون البتة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما
تملك ولا املك ● وفي رواية وانت اعلم بما لا املك يعني فرط محبته لعائشة رضي الله تعالى عنها
ولو حرصتم اي على اقامة العدل وبالغتم في ذلك فلا تميلوا كل الميل اي فلا تجوروا على المرغوب عنها
كل الجور واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل لا يمنع عنه تكليفكم بما دونها من المراتب
التي اخلفت استطاعتكم فتذروها اي التي ملتم عنها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة
وقرئ كالمسجونة ● وفي الحديث من كانت له امراتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه
مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا الميل فيما يستقبل فان الله كان غفورا
يغفر لكم ما فرط منكم من الميل رحيما يتفضل عليكم برحمته وان يتفرقا وقرئ يتفارقا اي وان
يفارق كل واحد منهما صاحبه بان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح وغيره يغن الله كلا
اي يجعله مستغنيا عن الاخر ويكفه مهماته من سعته من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن المفارقة
رغما لصاحبه وكان الله واسعا حكيما مقتدرا مستغنيا في افعاله واحكامه ولله ما في
السموات وما في الارض اي من الموجودات كائنا ما كان من الخلائق وارزاقهم وغير ذلك والجملة
مستانفة مبنية على كمال سعته وعظيم قدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم اي امرناهم في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام في الكتاب
للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الموصول ان اتقوا الله اي وصيناهم

ولا نكره ومنهم بان اتقوا الله على ان معنى التقوى حذف منها الجار ويجوز ان تكون ان مفسرة لان
التوصية في معنى القول فقوله تعالى وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض حينئذ
من تتمة القول المحكي اي ولقد قلنا لكم ولهم اتقوا الله وان تكفروا الى اخره وعلى تقدير كون ان
مصدرية مبني على اضمار ارادة القول اي امرناهم واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا الاية
وقيل هي جملة مستانفة خوطب بها هذه الامة وايا ما كان فالمترتب على كفرهم ليس مضمون قوله
تعالى فان لله الاية بل ما يفهم منه كانه قيل وان تكفروا فاعلموا ان لله ما في السموات وما
في الارض من الخلائق قاطبة مفتقرون اليه في الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون
عن فيضه طرفة عين فحقه ان يطاع ولا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك بقوله تعالى
وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا محمودا في ذاته حمدوه او لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم
ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم وتقواهم وانما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته ولله ما في
السموات وما في الارض كلام مبتدا مسوق للمخاطبين توطئة لما بعده من الشرطية غير داخل تحت
القول المحكي اي له سبحانه ما فيهما من الخلائق خلقا وملكا يتصرف فيهم كيف يشاء ايجادا واعداما
احياء واماتة وكفى بالله وكيلا في تدبير امور الكل وكل الامور فلا بد من ان يتوكل عليه
لا على احد سواه ان يشا يذهبكم ايها الناس اي يفنكم ويستاصلكم بالمرة ويات باخرين
اي ويوجد دفعة مكانكم قوما اخرين من البشر او خلقا اخرين مكان الانس ومفعول المشيئة محذوف
لكونه مضمون الجزاء اي ان يشا افناءكم وايجاد اخرين يذهبكم الخ يعني ان ابقاءكم على ما انتم
عليه من العصيان انما هو لكمال غناه عن طاعتكم ولعدم تعلق مشيئته المبنية على الحكم البالغة
بافنائكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وكان الله على ذلك اي افنائكم وايجاد اخرين
دفعة مكانكم قديرا بليغ القدرة وفيه لا سيما في توسيط الخطاب بين الجزاء وما عطف عليه من
تشديد التهديد ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب
اي ان يشا يمتكم ويات باناس اخرين يوالونه فمعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم
ثم لا يكونوا امثالكم ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان
وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند
الله ثواب الدنيا والاخرة اي فعنده تعالى ثوابهما له ان اراده فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن
يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة او ليطلب اشرفهما فان من جاهد خالصا
لوجه الله لم تخطئه الغنيمة وله في الاخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي
كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه الاية وكان الله سميعا بصيرا عالما
بجميع المسموعات والمبصرات فيندرج فيها ما صدر عنهم من الاقوال والاعمال المتعلقة بمراداتهم اندراجا
اوليا يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط مبالغين في العدل واقامة
القسط في جميع الامور مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله
تعالى وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم اي ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة
عبارة عن الاخبار بحق الغير سواء كان ذلك عليه او على ثالث او بان تكون الشهادة مستتبعة لضرر
ينالكم من جهة المشهود عليه او الوالدين والاقربين اي ولو كانت على والديكم واقاربكم

ان

ان يكن اي المشهود عليه غنيا يبتغى في العادة رضاه ويتقى سخطه او فقيرا يترحم عليه وقرئ ان يكن
غني او فقير على ان كان تامة وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى فالله اولى بهما عليه
اي فلا تمتنعوا عن اقامتها طلبا لرضى الغني او ترحما على الفقير فان الله تعالى اولى بالغني والفقير بالنظر
لهما بما ذكر ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وقرئ اولى بهم فلا تتبعوا الهوى
ان تعدلوا اي مخافة ان تعدلوا عن الحق فان اتباع الهوى من مظان الجور الذي حقه ان يخاف ويحذر
وقيل كراهة ان تعدلوا بين الناس وارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا اي السنتكم عن شهادة
الحق او حكومة العدل بان تاتوا بها لا على وجهها وقرئ وان تلوا من الولاية والتصدي
اي وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا اي عن اقامتها راسا فان الله كان بما تعملون خبيرا
اي من لي الالسنة والاعراض بالكلية او من جميع الاعمال التي من جملتها ما ذكر خبيرا فيجازيكم لا محالة
على ذلك فهو على القراءة المشهورة وعيد محض وعلى القراءة الاخيرة متضمن للوعد يا ايها الذين امنوا
خطاب لكافة المسلمين فمعنى قوله تعالى امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله
والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه وازدادوا فيه طمأنينة
ويقينا او امنوا بما ذكر مفصلا بناء على ان ايمان بعضهم اجمالي والمراد بالكتاب الثاني الجنس المنتظم
لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه والايمان به الايمان بان كل كتاب من تلك الكتب منزل
منه تعالى على رسول معين لارشاد امته الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على ان مدار
الايمان بكل واحد من تلك الكتب خصوصية ذلك الكتاب ولا على ان احكام تلك الكتب
وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان الايمان بالكل مندرج
تحت الايمان بالكتاب المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وان احكام كل منها كانت حقة ثابتة الى ورود ما نسخها
وان ما لم ينسخ منها الى الان من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب
الجليل المصون عن النسخ والتبديل كما مر في تفسير خاتمة سورة البقرة وقرئ نزل وانزل على البناء للمفعول
وقيل هو خطاب لمؤمني اهل الكتاب لما ان عبد الله بن سلام وابن اخته سلامة وابن اخيه سلمة واسدا
واسيدا ابني كعب وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول
الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام
بل امنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القران وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فامنوا كلهم
فامرهم بالايمان بالكتاب المتناول للتوراة مع انهم يؤمنون بها من قبل لكن المراد بالايمان
ما يعم انشاءه والثبات عليه ولان متعلق الامر حقيقة هو الايمان بما عداها لانه قيل امنوا بالكل
ولا تخصوا بالبعض بل لان المامور به انما هو الايمان بها في ضمن الايمان بالقران على الوجه الذي اشير
اليه انفا لا ايمانهم السابق ولان فيه حملا لهم على التسوية بينها وبين سائر الكتب في التصديق
لاشتراك الكل فيما يوجبه وهو النزول من عند الله تعالى وقيل هو خطاب لاهل الكتابين فالمعنى
ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اي بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا
عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه وزيادة الملائكة واليوم الاخر في جانب الكفر لما ان
الكفر باحدهما لا يتحقق الايمان اصلا وجمع الكتب والرسل لما ان الكفر بكتاب او برسول كفر بالكل
وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا عليه … ان الذين امنوا ثم كفروا

ببني عليه السلام والانجيل ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم قوم تكرر منهم
الارتداد واصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ
يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم قد ضريت على الكفر وتمرنت على
الردة فان الايمان عندهم اهون شيء وادونه لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم
وخبر كان محذوف اي مريدا ليغفر لهم وقوله تعالى بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان
المراد بالمذكورين الذين آمنوا في الظاهر نفاقا وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا كفرا ونفاقا
ووضع بشر موضع انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء في محل النصب والرفع على الذم
بمعنى اريد بهم الذين او هم الذين وقيل نصب على انه صفة للمنافقين وقوله تعالى من دون المؤمنين
حال من فاعل يتخذون اي يتخذون الكفرة انصارا متجاوزين ولاية المؤمنين وكانوا يوالونهم ويقول
بعضهم لبعض لا يتم امر محمد صلى الله عليه وسلم فتولوا اليهود ايبتغون عندهم العزة انكار لرايهم وابطال
له وبيان لخيبة رجائهم وقطع لاطماعهم الفارغة والجملة معترضة مقررة لما قبلها اي ايطلبون
بموالاة الكفرة القوة والغلبة قال الواحدي اصل العزة الشدة ومنه قيل للارض الصلبة
العزاز وقوله تعالى فان العزة لله جميعا تعليل لما يفيده الاستفهام الانكاري من بطلان
رايهم وخيبة رجائهم فان انحصار جميع افراد العزة في جنابه تعالى بحيث لا ينالها الا اولياؤه الذين
كتب لهم العزة والغلبة قال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين يقتضي بطلان التعزز بغيره سبحانه
واستحالة الانتفاع به وقيل هو جواب شرط محذوف كانه قيل ان يبتغوا عندهم عزة فان العزة لله جميعا
حال من المستكن في قوله لله لاعتماده على المبتدا وقد نزل عليكم خطاب للمنافقين بطريق الالتفات
مبني لتشديد التوبيخ الذي يستدعيه تعداد جناياتهم وقرئ مبنيا للفاعل من التنزيل والانزال
وقرئ نزل ايضا مخففا والجملة حال من ضمير يتخذون ايضا مفيدة لكمال قباحة حالهم وتعاضد استحقاقهم
عليه سبحانه ببيان انهم فعلوا ما فعلوا من موالاة الكفرة مع تحقق ما يمنعهم من ذلك وهو ورود النهي الصريح
عن مجالستهم المستلزمة للنهي عن موالاتهم على ابلغ وجه وآكده اثر بيان انتفاء ما يدعوهم اليه بالجملة
المعترضة كانه قيل تتخذونهم اولياء والحال انه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بمكة في الكتاب
اي القرآن الكريم ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا وذلك
في حديث غيره قوله تعالى واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم الآية وهذا يقتضي
الانزجار عن مجالستهم في تلك الحالة القبيحة فكيف بموالاتهم والاعتزاز بهم وان هي المخففة من ان والضمير
الشان الذي هو اسمها محذوف والجملة الشرطية خبرها وقوله يكفر بها حال من آيات الله وقوله تعالى
ويستهزأ بها عطف عليه داخل في حكم الحالية واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتشريفها وابانة خطرها
وتهويل امر الكفر بها اي نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها وفيه
دلالة على ان المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وان خوطب به خاصة منزل على الامة وان مدار الاعراض
عنهم هو العلم بخوضهم في الآيات ولذلك عبر عن ذلك تارة بالرؤية واخرى بالسماع وان المراد بالاعراض
اظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الاعراض بالقلب او بالوجه فقط والضمير في معهم للكفرة المدلول
عليهم بقوله تعالى يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم جملة مستأنفة سيقت لتعليل النهي غير داخلة
تحت التنزيل واذا ملغاة عن العمل لوقوعها بين المبتدأ والخبر اي لا تقعدوا معهم في ذلك

الوقت

الوقت انكم ان فعلتموه كنتم مثلهم في الكفر واستتباع العذاب وافراد المثل لانه كالمصدر او للاستغناء
بالاضافة الى الجمع وقرئ شاذا مثلهم بالفتح لاضافته الى غير متمكن كما في قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون وقيل هو
منصوب على الظرفية اي في مثل حالهم وقوله تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا
تعليل لكونهم مثلهم في الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم في العذاب والمراد بالمنافقين اما
المخاطبون ونصب جميعا مثل ما قبله الذين يتربصون بكم بدل من الخطاب وتوجيهه الى المؤمنين بوقوع
بعض آخر من جنايات المنافقين وقبائحهم وهو اما بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين فقط
اذ هم المتربصون دون الكافرين وقبائحهم وموالاتهم لهم من الذين او مرفوع او منصوب على الذم اي
ينتظرون امركم وما يحدث لكم من ظفر او اخفاق والفاء في قوله تعالى فان كان لكم فتح من الله لترتيب
مضمونه على ما قبلها فان حكاية تربصهم مستتبعة لحكاية ما يقع بعد ذلك كما ان نفس التربص يستدعي
شيئا ينتظر المتربص وقوعه قالوا اي لكم ألم نكن معكم اي مظاهرين لكم فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان
للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا اي للكفرة ألم نستحوذ عليكم اي ألم نغلبكم ونتمكن
من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت
به قلوبهم وتوانوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتكم والا لكنتم نهبة للنوائب فهاتوا نصيبا لنا مما
اصبتم وتسمية ظفر المؤمنين فتحا وتخسيس حظ الكافرين ونمنعكم ... فالله يحكم بينكم يوم
القيامة حكما يليق بشأن كل منكم من الثواب والعقاب واما في الدنيا فقد اجرى على من تفوه بكلمة
الاسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقا ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا
حينئذ كما قد يجعل ذلك في الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج او في الدنيا على ان المراد بالسبيل
الحجة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم كلام مبتدأ سيق لبيان طرف آخر من قبائح اعمالهم
اي يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان نقيضه والله فاعل بهم ما يفعل الغالب
في الخداع حيث تركهم في الدنيا معصومي الدماء والاموال واعد لهم في الآخرة الدرك الاسفل
من النار وقد مر التحقيق في صدر سورة البقرة وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون
فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادونهم انظرونا نقتبس من نوركم واذا قاموا الى الصلاة
قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما جمعا كسلان يراءون الناس ليخيلوا
انهم مؤمنون والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه
والجملة اما استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا يريدون بقيامهم اليها كسالى فقيل
يراءون الناس او حال من ضمير قاموا ولا يذكرون الله الا قليلا عطف على يراءون اي لا يذكرونه
سبحانه الا ذكرا قليلا وهو ذكرهم باللسان فانه بالاضافة الى الذكر بالقلب قليل او الا زمانا قليلا
او لا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون الا بمرأى من الناس وذلك قليل وقيل لا يذكرون الله
في الصلاة الا قليلا عند التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من فاعل يراءون او منصوب
على الذم وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام اي مترددين بينهما متحيرين قد ذبذبهم
الشيطان وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد اخرى وقرئ بكسر
الذال اي مذبذبين قلوبهم او دينهم او رأيهم او متذبذبين كما جاء صلصل بمعنى تصلصل وقرئ
وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه متذبذبين وقرئ مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى اخذ

بانه في دمه واحري في احري لا الي هولاء ولا الي هولاء اي لا منسوبين الي المومنين ولا منسوبين الي
الكافرين او لا صايرين الي الاولين ولا الي الاخرين لحلول الغضب عليهم من الله خالص منهم من يذبذب او علي
الله لانه منه او بيان وتعسر له ومن يضلل الله لعدم استعداده للهداية والتوفيق فلن
تجد له سبيلا موصلا الي الحق والصواب فضلا عن ان تهديه اليه والخطاب لكل من يصلح له كما
مر كان يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المومنين نهي عن موالاة الكفرة
صريحا وان كان في بيان حال المنافقين ضمن ذلك مبالغة في الزجر والتحذير اتريدون
ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اي اتريدون بذلك ان تجعلوا الله عليكم حجة بينة علي انكم منافقين
فان موالاتهم اوضح ادلة النفاق او سلطانا تسلط عليكم عقابه وتوجيه الانكار الي الارادة دون
متعلقها بان يقال اتجعلون الي اخره للمبالغة في انكاره وتهويل امره ببيان انه مما لا ينبغي ان
يتعلق به الارادة فضلا عن صدوره ونفسه كما في قوله تعالى ام تريدون ان تسالوا رسولكم الي اخره ان
المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان ذلك لانهم اخبث الكفرة
حيث ضموا الي الكفر الاستهزا بالاسلام واهله وخداعهم ۰ واما قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن
فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف
واذا اؤتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها
السبع دركات لكونها متداركة متتابعة بعضها تحت بعض وقري بفتح الراء وهو لغة كالسطر والسطر
ويعضده ان جمعه ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخلصهم منه الا الذين تابوا اي عن النفاق وهو
استثنا من المنافقين بل من ضميرهم في الخبر واصلحوا ما افسدوا من احوالهم في حال النفاق واعتصموا
بالله اي وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه
فاولئك اشارة الي الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد المنزلة وعلو الطبقة مع المومنين اي المومنين المعهودين الذين لم يصدر عنهم نفاق اصلا
منذ امنوا ولانهم ابدا مومنون اي معهم في الدرجات العالية من الجنة وقد بين ذلك
بقوله تعالى وسوف يوت الله المومنين اجرا عظيما لا يقادر قدره فيساهمونهم فيه ما يفعل الله
بعذابكم ان شكرتم وامنتم استيناف مسوق لبيان ان مدار تعذيبهم وجودا وعدما انما هو كفرهم
لا شي اخر فيكون مقررا لما قبله من اثابتهم عند توبتهم وما استفهامية مفيدة للنفي علي ابلغ وجه واكده
اي اي شي يفعل الله سبحانه بعذابكم ايتشفي به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع
به ضررا كما هو شان الملوك وهو الغني المتعالي عن امثال ذلك وانما هو امر يقتضيه كفركم فاذا زال
ذلك بالايمان والشكر انتفي التعذيب لا محالة وتقديم الشكر علي الايمان لما انه طريق موصل اليه فان
الناظر يدرك اولا ما عليه من النعم الانفسية والافاقية فيشكر شكرا مبهما ثم يترقي الي معرفة المنعم
فيومن به وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وكان الله شاكرا الشكر من الله سبحانه هو الرضا
باليسير من طاعة عباده واضعاف الثواب بمقابلته عليما مبالغا في العلم بجميع المعلومات التي من جملتها
شكركم وايمانكم فيستحيل ان لا يوفيكم اجوركم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول عدم محبته تعالى لشي كناية
عن سخطه والباء متعلقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا من السوء اي لا يحب الله تعالى ان يجهر احد بالسوء كائنا
من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بان يدعو علي ظالمه او يتظلم منه ويذكره بما فيه من السوء فان

ذلك غير مسخوط عنده سبحانه ۰ وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد علي الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه الاية
وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب علي الشكاية فنزلت ۰ وقري الا من ظلم علي البنا للفاعل
فالاستثنا منقطع اي ولكن الظالم يرتكب ما لا يحبه الله تعالى فيجهر بالسوء وكان الله سميعا لجميع المسموعات
فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم عليما بجميع المعلومات التي من جملتها حال المظلوم والظالم فالجملة
تذييل مقرر لما يفيده الاستثنا ان تبدوا خيرا اي خير كان من الاقوال والافعال او تخفوه او تعفوا
عن سوء مع ما سوغ لكم من مؤاخذة المسيء والتنصيص عليه مع اندراجه في ابدا الخير واخفائه لما
انه الحقيق بالبيان وانما ذكر ابدا الخير واخفاؤه بطريق التسبيب له كما ينبئ عنه قوله عز وجل فان الله
كان عفوا قديرا فان ايراده في معرض جواب الشرط يدل علي ان العمدة هو العفو مع القدرة اي كان مبالغا
في العفو مع كمال قدرته علي المؤاخذة ۰ وقال الحسن يعفو عن الجانين مع قدرته علي الانتقام فعليكم ان
تقتدوا بسنة الله تعالى ۰ وقال الكلبي هو اقدر علي عفو ذنوبكم منكم علي عفو ذنوب من ظلمكم وقيل عفوا
عمن عفا قديرا علي ايصال الثواب اليه ان الذين يكفرون بالله ورسله اي يودي اليه مذهبهم وتقتضيه
رايهم لا انهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله اي بان يومنوا
به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بان يصرحوا بالايمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة بل بطريق الايمان
بالحكمة قوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض اي نؤمن ببعض الانبيا ونكفر ببعض يعنون بذلك ما قالت اليهود
نؤمن بموسى والتوراة وعزير ونكفر بما ورا ذلك وما ذلك الا كفر بالله تعالى ورسله وتفريق بين الله
ورسله في الايمان لانه تعالى قد امرهم بالايمان بجميع الانبيا وما من نبي من الانبيا الا وقد اخبر قومه
بحقية دين نبينا محمد صلى الله عليه وعليهم اجمعين فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى ايضا من
حيث لا يحتسب ويريدون بقولهم ذلك ان يتخذوا بين ذلك اي بين الايمان والكفر سبيلا يسلكونه مع انه
لا واسطة بينهما اذ الحق لا يختلف وماذا بعد الحق الا الضلال اولئك الموصوفون بالصفات القبيحة
هم الكافرون الكاملون في الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه ايمانا اصلا حقا مصدر موكد لمضمون الجملة
اي حق ذلك اي كونهم كاملين في الكفر حقا او صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا
اي ثابتا يقينا لا ريب فيه واعتدنا للكافرين اي لهم وانما وضع المظهر مكان المضمر ذما لهم وتذكيرا
لوصفهم او لجميع الكافرين وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا عذابا مهينا سيذوقونه عند
حلوله والذين امنوا بالله ورسله علي الوجه الذي بين في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
امنوا بالله ورسوله الاية ولم يفرقوا بين احد منهم بان يومنوا ببعضهم ويكفروا بالاخرين كما فعله
الكفرة ودخول بين علي احد قد مر تحقيقه في سورة البقرة بما لا مزيد عليه اولئك المنعوتون بالنعوت
الجليلة المذكورة سوف يوتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتاكيد الوعد والدلالة علي
انه كاين لا محالة فان تاخر وقري نوتيهم بنون العظمة وكان الله غفورا لما زل منهم رحيما مبالغا في الرحمة
عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما نزلت في احبار اليهود
حين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فاتنا بكتاب من السما جملة كما اتى به موسى عليه السلام
وقيل كتابا بحروف بخط سماوي علي اللوح كما نزلت التوراة او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا
باعياننا بانك رسول الله وما كان مقصدهم بهذه العظيمة الا التحكم والتعنت قال الحسن ولو سالوه
لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية فقد سالوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي ان

استكبرته ما سألوا منك فقد سألوا موسى اكبر منه ۞ وقيل تعليل للجواب اي فلا تبال بسؤالهم فقد سألوا
موسى اكبر منه وهذه المسألة وان صدرت عن اسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم في كل ما يأتون وما
يذرون اسندت اليهم والمعنى ان لهم في ذلك عرقا راسخا وان ما اقترحوا عليك ليس اول جهالاتهم
فقالوا ارنا الله جهرة اي ارناه نره جهرة اي عيانا او مجاهرين معاينين له وانها تفسير فأخذتهم
الصاعقة بظلمهم اي النار التي جاءتهم من السماء فاهلكتهم وقرئ الصعقة بظلمهم اي بسبب ظلمهم وهو تعنتهم
وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحالة التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا
العجل من بعد ما جاءتهم البينات اي المعجزات التي اظهرها لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق
البحر وغيرها لا التوراة لانها لم تنزل عليهم بعد فعفونا عن ذلك ولم نستأصلهم وكانوا احقاء
به وهذا استدعاء الى التوبة كانه قيل ان اولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا انتم
ايضا حتى نعفو عنكم وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حيث امرهم بان يقتلوا انفسهم
توبة عن معصيتهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم اي بسبب ميثاقهم ليعطوه على ما روي انهم امتنعوا
عن قبول شريعة التوراة فرفع الله تعالى عليهم الطور فقبلوها او ليخافوا فلا ينقضوه على ما روي
انهم هموا بنقضه فرفع الله تعالى عليهم الجبل فخافوا واقلعوا عن النقض وهو الانسب بما يأتي
من قوله تعالى واخذنا منهم ميثاقا غليظا وقلنا لهم على لسان موسى عليه السلام والطور مظل عليهم ادخلوا
الباب قال قتادة كنا نحدث انه باب من ابواب بيت المقدس وقيل هو ايليا وقيل هو
اريحا وقيل هو اسم قرية ۞ وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس
في حياة موسى عليه السلام سجدا اي متطامنين خاضعين وقلنا لهم لا تعدوا اي لا تعتدوا باصطياد
الحيتان في السبت وقرئ لا تعدّوا ولا تعدوا بفتح العين وتشديد الدال على ان اصل تعدوا
فادغمت التاء في الدال لتقاربهما في المخرج بعد نقل حركتها الى العين واخذنا منهم على الامتثال لما
كلفوا ميثاقا غليظا مؤكدا وهو العهد الذي اخذ الله عليهم في التوراة ۞ وقيل انهم اعطوا الميثاق
على انهم اذا هموا بالرجوع عن الدين فالله تعالى يعذبهم باي انواع العذاب اراد فبما نقضهم ميثاقهم
ما مزيدة للتأكيد او نكرة تامة ونقضهم بدل منها والباء متعلقة بفعل محذوف اي فبسبب نقضهم
ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم او على عقابهم
روي انهم اعتدوا في السبت في عهد داود عليه السلام فلعنوا ومسخوا قردة وقيل متعلقة
بحرمنا على ان قوله تعالى فبظلم بدل من قوله تعالى فبما وما عطف عليه فيكون التحريم متعلقا
بالكل ولا يخفى ان قولهم انا قتلنا المسيح وقولهم على مريم بهتانا متأخر عن التحريم والانساخ
بما دل عليه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة قوله
تعالى وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله اي بالقرآن او بما في كتابهم
وقتلهم الانبياء بغير حق كزكريا ويحيى عليهما السلام وقولهم قلوبنا غلف جمع اغلف وهي مغشاة
باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم او هي بتخفيف غلف جمع غلاف
اي هي اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره ۞ قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء و
الكلبي يعنون ان قلوبنا بحيث لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا
بل طبع الله عليها بكفرهم كلام معترض بين المعطوفين جيء به على وجه الاستطراد مسارعة الى

رد

رد لزعمهم الفاسد اي ليس كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلة بل الامر
بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم او ليست قلوبهم كما زعموا بل هي مطبوع عليها بسبب كفرهم فلا
يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه او الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وبكفرهم اي بعيسى
عليه السلام وهو عطف على قولهم واعادة الجار لطول ما بينهما بالاستطراد ويجوز عطفه
على كفرهم فيكون هو وما عطف عليه من اسباب الطبع وقيل هذا المجموع معطوف على مجموع
ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر للايذان بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه
وسلم وعليهم اجمعين وقولهم على مريم بهتانا عظيما لا يقادر قدره حيث نسبوها الى ما هي عنه
بالف بمعزل وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله نظم قولهم هذا في سلك سائر جناياتهم
التي نعيت عليهم ليس لمجرد كونه كذبا بل لتضمنه ابتهاجهم بقتل النبي والاستهزاء به فان وصفهم
له عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة انما هو بطريق التهكم كما في قوله تعالى يا ايها الذي نزل
عليه الذكر الآية ولا بد من ذكرهم له عليه السلام بالوجه القبيح على ما قيل من ان ذلك وضع
الذكر الجميل من جهته تعالى مكان ذكرهم القبيح ۞ وقيل هو نعت له عليه السلام من جهته تعالى مدحا
له عليه السلام ورفعا لمحله واظهارا لغاية جراءتهم في تصديهم لقتله ونهاية وقاحتهم في افتخارهم
بذلك وما قتلوه وما صلبوه حال او اعتراض ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه عليه
السلام وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه
الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى بان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل انا
فالقى الله تعالى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى عليه السلام فلما ارادوا قتله قال انا
ادلكم عليه فدخل بيت عيسى عليه السلام فرفع عليه السلام والقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه
وهم يظنون انه عيسى عليه السلام وقيل ان طططيانوس اليهودي دخل بيتا كان فيه فلم يجده والقى الله
تعالى عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وقتل وامثال هذه الخوارق لا تستبعد في عصر النبوة
وقيل ان اليهود لما هموا بقتله عليه السلام رفعه الله تعالى الى السماء فخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة
بين عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس واظهروا انه هو المسيح وما كانوا يعرفونه
الا بالاسم اذ لم يخالطه عليه السلام الا قليلا وشبه مسند الى الجار والمجرور كانه قيل ولكن
وقع التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع
بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمة مقتولا وان الذين اختلفوا فيه
اي في شان عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه
كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون ۞ وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم
الوجه وجه عيسى عليه السلام والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى
السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد
والشك كما يطلق على ما لم يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم
ولذلك اكده بقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون
الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما
كان او غيره فالاستثناء حينئذ متصل وما قتلوه يقينا كما ادعوا بقولهم انا قتلنا المسيح وقيل

معناه ما علمن يقينا كما في قول من قال

كذاك تخبر عنها العالمات بها ... وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا

من قولهم قتلت الشيء علما اذا تبالغ علمك فيه وفيه تهكم بهم لاشعاره بعلمهم في الجملة وقد نفي عنهم بالكلية **بل رفعه الله اليه** رد وانكار لقتله واثبات لرفعه **وكان الله عزيزا** لا يغالب فيما يريد **حكيما** في جميع افعاله فيدخل فيها تدبيراته تعالى في امر عيسى عليه السلام دخولا اوليا **وان من اهل الكتاب** اي من اليهود والنصارى وقوله تعالى **الا ليؤمنن به قبل موته** جملة قسمية وقعت صفة لموصوف محذوف اليه يرجع الضمير الثاني والاول لعيسى عليه السلام اي وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل ان تزهق روحه بانه عبد الله ورسوله ولا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف ويعضده انه قرئ ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لما ان احدا في معنى الجمع وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال فان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهوا ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وعن شهر بن حوشب قال قال لي الحجاج آية ما قراتها الا تخالج في نفسي منها شيء يعني هذه الآية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالوا يا عدو الله اتاك موسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت به انه عبد نبي ويقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن سمعت قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية رضي الله عنه فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية والاخبار بحالهم هذه وعيد لهم وتحريض على المسارعة الى الايمان به قبل ان يضطروا اليه مع انتفاء جدواه وقيل كلا الضميرين لعيسى عليه السلام والمعنى وما من اهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى احد الا ليؤمنن به قبل موته روي انه عليه الصلاة والسلام ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله تعالى في زمانه الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه وقيل الضمير الاول يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم **ويوم القيامة يكون** اي عيسى عليه السلام **عليهم** اي على اهل الكتاب **شهيدا** فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا **فبظلم من الذين هادوا** لعله لتذكيرهم بهذا العنوان للايذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعد ما هادوا اي تابوا من عبادة العجل مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة ببخع النفوس ايذانا بان عظمه في حد ذاته بالتنوين التفخيمي اي بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال صادر عنهم **حرمنا عليهم طيبات احلت لهم** ولمن قبلهم لا لشيء غيره كما زعموا فانهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات التي كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك يفترون على الله سبحانه ويقولون لسنا باول من حرمت عليه وانما كا

محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا فكذبهم الله تعالى في مواضع كثيرة وبكتهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين اي في ادعائكم انه تحريم قديم روي انه عليه السلام لما كلفهم اخراج التوراة لم يجسر احد على اخراجها لما ان كون التحريم بظلمهم كان مسطورا فيها فبهتوا وانقلبوا صاغرين **وبصدهم عن سبيل الله كثيرا** اي ناسا كثيرا او صدا كثيرا **واخذهم الربا وقد نهوا عنه** فان الربا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على ان النهي يدل على حرمة المنهي عنه **واكلهم اموال الناس بالباطل** بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة عليهم **واعتدنا للكافرين منهم** اي المصرين على الكفر لا لمن تاب وآمن من بينهم **عذابا اليما** سيذوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم **لكن الراسخون في العلم منهم** استدراك من قوله تعالى واعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم على خلاف حالهم عاجلا وآجلا اي لكن الثابتون في العلم منهم المتقنون المستبصرون فيه غير التابعين للظن كاولئك الجهلة والمراد به عبد الله بن سلام واضرابه **والمؤمنون** اي منهم وصفوا بالايمان بعد ما وصفوا بما يوجبه من الرسوخ في العلم بطريق العطف المنبئ عن المغايرة بين المعطوفين تنزيلا للاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي وقوله تعالى **يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك** حال من المؤمنين مبينة لكيفية ايمانهم وقوله تعالى **والمقيمين الصلاة** نصب على المدح بتقدير اعني او امدح المقيمين الصلاة على ان الجملة معترضة بين المبتدا والخبر وقيل هو عطف على ما انزل اليك على ان المراد بهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقيل بالملائكة قال مكي اي ويؤمنون بالملائكة الذين صفتهم اقامة الصلاة لقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقيل عطف على الكاف في اليك اي يؤمنون بما انزل اليك والى المقيمين الصلاة الانبياء وقيل على الضمير المجرور في منهم اي لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة وقرئ بالرفع على انه معطوف على المؤمنين بناء على ما مر من تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي وكذا الحال فيما بين المعطوفين فان قوله تعالى **والمؤتون الزكاة** معطوف ايضا مع اتحاد الكل ذاتا وكذا الحال في قوله تعالى **والمؤمنون بالله واليوم الآخر** فان المراد بالكل مؤمنو اهل الكتاب قد وصفوا اولا بكونهم راسخين في علم الكتاب ايذانا بان ذلك موجب للايمان حتما وان من عداهم انما بقوا مصرين على الكفر لعدم رسوخهم فيه ثم بكونهم مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على الانبياء عليهم السلام ثم بكونهم عاملين بما فيها من الشرائع والاحكام واكتفي من بينها بذكر اقامة الصلاة وايتاء الزكاة المستتبعين لسائر العبادات البدنية والمالية ثم بكونهم مؤمنين بالمبدا والمعاد تحقيقا لحيازتهم الايمان بقطريه واحاطتهم به من طرفيه وتعريضا بان من عداهم من اهل الكتاب ليسوا بمؤمنين بواحد منهما حقيقة فانهم بقولهم عزير ابن الله مشركون بالله سبحانه وبقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة كافرون باليوم الآخر وقوله تعالى **اولئك** اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما عدد من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى **سنؤتيهم اجرا عظيما** خبره والجملة خبر للمبتدا الذي هو الراسخون وما عطف عليه والسين لتاكيد الوعد وتنكير الاجر للتفخيم وهذا الاعراب انسب بتجاوب طرفي الاستدراك حيث اوعد الاولون بالعذاب الاليم ووعد الآخرون بالاجر العظيم كانه قيل اثر قوله تعالى واعتدنا للكافرين

منهم عدا ابا الباقين المؤمنون منهم سنؤتيهم اجرا عظيما وانما ما نحى اليه الجمهور من جعل قوله تعالى يؤمنون
بما انزل اليك الخ خبرا للمبتدأ الذي هو الراسخون فلا سداد له خلا انه غير متعرض لتقابل الطرفين وفوت [illegible]
مراعاة لنظائر وقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب
عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بانه شانه
من الرسل وانما انه في حقيقة الارسال واصل الوحي كشان سائر مشاهير الانبياء الذين لا ريب لاحد
في نبوتهم والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ايحاء مثل ايحائنا الى نوح او على انه حال من
ذلك المصدر المقدر معرفا كما هو رأي سيبويه اي اوحينا الايحاء حال كونه مشبها بايحائنا الى نوح
ومن بعده متعلق باوحينا وهو اول نبي عذبت امته لردهم دعوته وقد اهلك الله تعالى بدعائه
اهل الارض واوحينا الى ابراهيم عطف على اوحينا الى نوح داخل معه في حكم التشبيه اي وكما اوحينا
الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب عليهم السلام وعيسى
وايوب ويونس وهارون وسليمان خصوا بالذكر مع ظهور انتظامهم في سلك النبيين تشريفا لهم
واظهارا لفضلهم كما في قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال [illegible]
من الانبياء وتكرير الفعل لمزيد تقرير الايحاء والتنبيه على انهم طائفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص
من الوحي وآتينا داود زبورا قال القرطبي كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام
والجملة عطف على اوحينا داخل في حكمه لان ايتاء الزبور من باب الايحاء اي وكما آتينا داود زبورا
وايثاره على واوحينا الى داود لتحقيق المماثلة الخاص هو ايتاء الكتاب بعد تحقيقها في مطلق الايحاء
ثم اشير الى تحقيقها في امر لازم لهما وما قبلها وهو الارسال فان قوله تعالى ورسلا نصب بمضمر يدل
عليه اوحينا داخل معه في حكم التشبيه كما قبله اي وكما ارسلنا رسلا لا بما يفسره قوله تعالى قد قصصناهم
عليك اي وقصصنا رسلا كما قالوا وفرعوا عليه ان قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه الاول منصوب
على انه صفة لرسلا وعلى الوجه الثاني لا محل له من الاعراب فانه من الاستيناف كما ستقف عليه وقرئ
برفع رسل وقوله تعالى من قبل متعلق بقصصنا اي قصصناهم من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا
لم نقصصهم عليك عطف على رسلا منصوب بناصبه وقيل كلاهما منصوب بنزع الخافض والتقدير
كما اوحينا الى نوح والى رسل الى آخره والحق ان يكون انتصابهما بارسلنا لان فيه تحقيقا للمماثلة بين شانه
صلى الله عليه وسلم وبين شؤون من يعترفون بنبوته من الانبياء عليهم الصلاة والسلام في مطلق
الايحاء ثم في ايتاء الكتاب ثم في الارسال فان قوله تعالى انا اوحينا اليك الخ منزل منزلة انا اوحينا الى نوح
ومثل ما اوحينا الى ابراهيم من بعده وآتيناك الفرقان كما آتينا داود زبورا وارسلناك
ارسالا مثل ما ارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك ورسلا آخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت
بينك وبينهم في حقيقة الايحاء واصل الارسال فما للكفرة يسألونك شيئا لم يعطه احد من هؤلاء الرسل
عليهم السلام ومن ههنا اتضح ان رسلا لا يمكن نصبه بقصصنا فان ناصبه يجب ان يكون معطوفا
على اوحينا داخلا معه في حكم التشبيه الذي عليه يدور فلك الاحتجاج على الكفرة ولا ريب في
ان قصصنا لا تعلق له بشيء من الايحاء والايتاء حتى يمكن اعتباره في ضمن قوله تعالى انا اوحينا اليك ثم
يعتبر بينه وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على ان التقدير في رسلا الاول يقتضي [illegible] في الثاني
وذلك اشد استحالة واظهر بطلانا وكلم الله موسى برفع الجلالة ونصب موسى وقرئ على العكس وقوله

تعالى

تعالى تكليما مصدر مؤكد رافع لاحتمال المجاز قال الفراء العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاما باي
طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر واذا اكد به لم يكن الا حقيقة الكلام والجملة اما معطوفة
على قوله تعالى انا اوحينا اليك عطف القصة لا على آتينا وما عطف عليه واما نصب بتقدير قد
كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات والمعنى ان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خص به
منهم موسى فلم يكن ذلك قادحا في نبوة سائر الانبياء فكيف يتوهم كون نزول التوراة عليه عليه السلام
جملة قادحا في صحة نبوة من انزل عليه الكتاب منجما مع ظهور ان نزولها كذلك لحكم مقتضية
لذلك من جملتها ان بني اسرائيل كانوا في العناد والشدة [illegible] بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما
امنوا بها ومع ذلك ما امنوا بها الا بعد اللتيا والتي وقد فضل الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم صلى الله عليهم وسلم تسليما كثيرا رسلا مبشرين ومنذرين
نصب على المدح او بمضمر اي ارسلنا او على الحالية بان يكون رسلا موطئا لما بعده او على البدلية من
رسلا الاول اي مبشرين لاهل الطاعة بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار لئلا يكون للناس
على الله حجة اي معذرة يعتذرون بها قائلين لولا ارسلت الينا رسولا فيبين لنا شرائعك
ويعلمنا ما لم نكن نعلم من احكامك لقصور القوة البشرية عن ادراك جزئيات المصالح وعجز
اكثر الناس عن ادراك كلياتها كما في قوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبع آياتك الآية وانما سميت حجة مع استحالة ان يكون لاحد عليه سبحانه حجة في فعل من
افعاله بل له ان يفعل ما يشاء كما يشاء للتنبيه على ان المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته
لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها ولذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
قال النبي صلى الله عليه وسلم ما احد اغير من الله تعالى لذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما
بطن ولا احد احب اليه المدح من الله تعالى لذلك مدح نفسه وما احد احب اليه العذر
من الله تعالى لذلك ارسل الرسل وانزل الكتب واللام متعلقة بارسلنا او بمبشرين
ومنذرين وحجة اسم كان وللناس خبرها وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة اي كائنة على الله
او هو الخبر وللناس حال على الوجه المذكور ويجوز ان يتعلق كل منهما بما تعلق به الآخر الذي هو الخبر
ولا يجوز تعلقه بحجة لان معمول المصدر لا يتقدم عليه وقوله تعالى بعد الرسل اي بعد ارسالهم
وتبليغ الشرائع الى الامم على السنتهم متعلق بحجة او بمحذوف وقع صفة لها لان الظروف يوصف بها
الاحداث كما يخبر عنها كالقتال يوم الجمعة وكان الله عزيزا اي لا يغالب في امر من اموره ومن قضيته
الامتناع عن الاجابة الى مسألة المتعنتين حكيما في جميع افعاله التي من جملتها ارسال الرسل وانزال
الكتب فان تعدد الرسل والكتب واختلافها في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرائع
والاحكام انما هو لتفاوت طبقات الامم في الاحوال التي عليها يدور فلك التكليف فهو سبحانه
وتعالى برأهم على الخواص والطبائع المتباينة حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية لذلك شرع لهم ما يليق
بشأنهم ويقتضيه احوالهم المختلفة واستعداداتهم المتغايرة من الشرائع والاحكام حسبما
تستدعيه الحكمة التشريعية ومن جملة ذلك ارسال الرسل وانزال الكتب وغيرها من الامور المتعلقة
بمعاشهم ومعادهم مما فيه مصلحتهم فسؤال تنزيل الكتاب جملة اقتراح فاسد اذ ترتيب نظام التكاليف
فيتعذر على المكلف قبولها والخروج عن عهدتها واما التنزيل المنجم الواقع حسبما للامور الداعية اليه

نهي السبيل قبولا وانتهاء امتثالا لكن الله يشهد بتخفيف النون ورفع الجلالة وقرئ بتشديد النون ونصب
الجلالة وهو استدراك عما يفهم مما قبله كأنه لما تعنتوا عليه بأسئلة من السؤال واحتج عليهم بقوله تعالى إنا أوحينا
اليك قيل انهم لا يشهدون بذلك ولكن الله يشهد بما أنزل اليك على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول
والباء صلة للشهادة أي يشهد بحقية ما أنزل اليك من القرآن المعجز الناطق بنبوتك وقيل لما نزل
قوله تعالى إنا أوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد أنزله بعلمه أي ملتبسا
أي ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ أو بعلمه بحال من أنزل اليه
واستعداده لاقتباس أنواره العكسية أو بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار
والمجرور على الاول حال من الفاعل وعلى الثاني من المفعول والجملة في موضع التفسير لما قبلها وقرئ
نزله وقوله تعالى والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا أي على صحة نبوتك حيث نصب المعجزات بأمره
وحججا ظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها إن الذين كفروا أي بما أنزل الله تعالى وشهد به أو بكل ما يجب
الايمان به وهو داخل فيه دخولا أوليا والمراد بهم اليهود حيث كفروا وصدوا عن سبيل الله وهو دين
الاسلام من أراد سلوكه بقولهم ما نعرف صفة محمد في كتابنا وقرئ صدوا مبنيا للمفعول قد ضلوا بما فعلوا
من الكفر والصد عن طريق الحق ضلالا بعيدا لأنهم جمعوا بين الضلال والإضلال ولأن المضل يكون
أغرق في الضلال وأبعد من الانقلاع عنه إن الذين كفروا أي بما ذكر آنفا وظلموا أي محمدا صلى الله عليه
وسلم بانكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها أو الناس بصدهم عما فيه صلاحهم في المعاش
والمعاد لم يكن الله ليغفر لهم لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم لعدم
استعدادهم للهداية الى الحق والأعمال الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء
بطريق الاشارة خلقه تعالى لأعمالهم السيئة المؤدية بهم الى جهنم عند صرف قدرتهم واختيارهم الى اكتسابها
أو سوقهم اليها يوم القيامة بواسطة الملائكة والطريق على عمومه والاستثناء متصل خالدين فيها حال
مقدرة من الضمير المنصوب والعامل فيها ما دل عليه الاستثناء دلالة واضحة كأنه قيل يدخلهم جهنم
خالدين فيها أبدا وقوله أبدا نصب على الظرفية رافع لاحتمال الخلود على المكث الطويل وكان ذلك
أي جعلهم خالدين في جهنم على الله يسيرا لاستحالة أن يتعذر عليه شيء من مراداته تعالى يا أيها الناس بعد ما حكى
لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعلل اليهود بالأباطيل واقتراحهم الباطل تعنتا ورد عليهم ذلك بتحقيق نبوته
صلى الله عليه وسلم وتقرير رسالته ببيان أن شأنه صلى الله عليه وسلم في أمر الوحي والارسال كشؤون من
تقررت نبوته من مشاهير الأنبياء عليهم السلام وأكد ذلك بشهادته تعالى وشهادة الملائكة أمر المكلفين
كافة على طريق تلوين الخطاب بالايمان بذلك أمرا مشفوعا بالوعد بالاجابة والوعيد تنبيها على الرد
تنبيها على أن الحجة قد لزمت ولم يبق لأحد بعده عذر في عدم القبول وقوله عز وجل قد جاءكم
الرسول بالحق من ربكم تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود به وتمهيد لما يعقبه من الأمر
بالايمان وايراده عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة لتأكيد وجوب طاعته والمراد
بالحق هو القرآن الكريم والباء متعلقة بجاءكم فهي للتعدية أو بمحذوف وقع حالا من الرسول أي
ملتبسا بالحق ومن ابتدائية متعلقة اما بالفعل أو بمحذوف هو حال من الحق أي جاءكم به من عنده
تعالى وجاءكم بالحق كائنا من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين
للايذان بأن ذلك لتربيتهم وتبليغهم الى كمالهم اللائق بهم ترغيبا لهم في الامتثال بما يعقبه من الأمر والفاء

في

في قوله عز وعلا فآمنوا للدلالة على ايجاب ما قبلها لما بعدها فآمنوا به وبما جاءكم به من الحق وقوله تعالى
خيرا لكم منصوب على أنه مفعول لفعل واجب الاضمار كما هو رأي الخليل وسيبويه أي اقصدوا وأتوا
أمرا خيرا لكم أو على أنه خبر كان المضمرة الواقعة جوابا للأمر لا جزاء للشرط الصناعي وهو رأي الكسائي
وأبي عبيدة أي يكن الايمان خيرا لكم وان تكفروا أي تصروا وتستمروا على الكفر به فان لله ما في
السموات والارض من الموجودات سواء كانت داخلة في حقيقتهما وبذلك يعلم حال أنفسهما على أبلغ وجه
وآكده أو خارجة عنهما مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل في جملتهم المخاطبون دخولا أوليا
أي كلها له خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته وقهره شيء منها فمن هذا شأنه فهو قادر
على تعذيبكم بكفركم لا محالة ومن كان كذلك فهو غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم
وقيل من كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادون لأمره وكان الله عليما مبالغا في العلم فهو
عالم بأحوال الكل فيدخل في ذلك علمه تعالى بكفرهم دخولا أوليا حكيما مراعيا للحكمة في جميع أفعاله
التي من جملتها تعذيبه تعالى اياهم بكفرهم يا أهل الكتاب تجريد للخطاب وتخصيص له بالنصارى زجرا لهم
عما هم عليه من الكفر والضلال لا تغلوا في دينكم بالافراط في رفع شأن عيسى عليه السلام وادعاء الوهيته
وأما غلو اليهود في حط رتبته عليه السلام ورميهم اياه بأنه ولد لغير رشدة فقد نعي عليهم ذلك فيما سبق
ولا تقولوا على الله الا الحق أي لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة
والولد بل نزهوه عن جميع ذلك إنما المسيح قد مر تفسيره في سورة آل عمران بكسر الميم وتشديد
السين كالسكيت على صيغة المبالغة وهو مبتدأ وقوله تعالى عيسى بدل منه أو عطف بيان له وقوله
تعالى ابن مريم صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه عليه السلام به من بنوته وقوله تعالى رسول الله خبر
للمبتدأ والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهي عن القول الباطل المستلزم للأمر بضده أعني الحق أي
أنه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها وكلمته عطف على رسول الله أي مكون بكلمته وأمره الذي هو كن
من غير واسطة أب ولا نطفة ألقاها الى مريم أي أوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام
وقيل أعلمها اياها وأخبرها بطريق البشارة وذلك قوله تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح
عيسى ابن مريم وقيل الجملة حال من ضمير عليه السلام المستكن فيما دل عليه وكلمته من معنى المشتق الذي
هو العامل فيها وقد مقدرة معها وروح منه قيل هو الذي نفخ جبريل عليه السلام في درع مريم فحملت
باذن الله تعالى سمي النفخ روحا لأنه ريح يخرج من الروح ومن لابتداء الغاية مجازا لا تبعيضية كما زعمت
النصارى يحكى أن طبيبا حاذقا نصرانيا للرشيد ناظر علي بن الحسين الواقدي المروزي ذات يوم
فقال له ان في كتابكم ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء منه تعالى وتلا هذه الآية فقرأ الواقدي
وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فقال اذا يلزم أن يكون جميع تلك الأشياء جزءا منه
سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا فانقطع النصراني وأسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل
الواقدي بصلة فاخرة وهي متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح أي كائنة من جهته تعالى وجعلت منه
تعالى وان كانت بنفخ جبريل عليه السلام لكون النفخ بأمره تعالى وقيل سمي روحا لاحيائه
الأموات وقيل لاحيائه القلوب كما سمي به القرآن لذلك في قوله تعالى وكذلك أوحينا اليك
روحا من أمرنا وقيل أريد بالروح الوحي الذي أوحي الى مريم بالبشارة وقيل جرت العادة
بأنهم اذا أرادوا وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح فلما كان عيسى عليه السلام

مدّ بها من النفخ لا من النطفة وصف بالروح ونعته بكونه عليه السلام رسول الله تعالى في الذكر مع تأخره
من كونه كلمته تعالى وروحا منه في الوجود لتحقيق الحق من اول الامر بانه سولنقيه عن حمل الناو بدل و تعيين
مال ما يحتمله وسد باب التاويل الزايغ **فآمنوا بالله** وخصوه بالالوهية **ورسله** اجمعين وصفوهم بالرسالة
ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه بالالوهية **ولا تقولوا ثلاثة** اي الالهة ثلاثة الله والمسيح ومريم
كما ينبي عنه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون
الله جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات
وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحياة **انتهوا** عن التثليث **خيرا لكم** قد مر وجوه انتصابه **انما**
الله اله واحد اي بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدا واله خبره وواحد نعت
اي منفرد في الالهية **سبحانه ان يكون له ولد** اي اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد او سبحوه
تسبيحا من ذلك فان ذلك انما يتصور فيمن يماثله شيء ويتطرق اليه فناء والله سبحانه وتعالى منزه عن امثاله
وقرئ ان يكون اي سبحانه ما يكون له ولد وقوله تعالى **له ما في السموات وما في الارض** جملة
مستانفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا
يخرج من ملكوته شيء من الاشياء التي من جملتها عيسى عليه السلام فكيف يتوهم كونه ولدا له تعالى **وكفى**
بالله وكيلا اليه يكل الخلق امورهم وهو غني عن العالمين فانى يتصور في حقه تعالى اتخاذ الولد
الذي هو شان العجزة المحتاجين في تدبير امورهم الى من يخلفهم ويقوم مقامهم **لن يستنكف المسيح**
استيناف مقرر لما سبق من التنزيه والاستنكاف الانفة والترفع من نكفت الدمع اذا نحيته عن
خدك بالاصبع اي لن يانف ولن يترفع **ان يكون عبدا لله** اي عن ان يكون عبدا له تعالى مستمرا
على عبادته وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وان ذلك اقصى مراتب الشرف والاقتصار على
ذكر عدم استنكافه عليه السلام عنه مع ان شانه عليه السلام المباهاة به كما تدل عليه احوال التي شرحه
منه اقواله ولا ترى الى اول مقالة قالها للناس قوله اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا لوقوعه
في مقالة الكفرة روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن
صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله
قالوا بلى فنزلت ومن السر في جعل المستنكف عنه كونه عليه السلام عبدا لله تعالى دون ان يقال عن عبادة
الله تعالى ونحو ذلك التنبيه على افادة ان ذلك حلية لنبينا صلى الله عليه وسلم عن الاستنكاف الكلية
فان كونه عبد الله تعالى حالة مستمرة مستتبعة لدوام العبادة قطعا فعدم الاستنكاف عنه
مستلزم لعدم الاستنكاف عن عبادته البتة كما اشير اليه بخلاف عبادته فانها حالة متجددة غير
مستلزمة للدوام يكفي في اتصاف موصوفها بها تحققها مرة فعدم الاستنكاف عنها لا يستلزم عدم
الاستنكاف عن دوامها **ولا الملائكة المقربون** عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون
ان يكونوا عبيدا لله وقيل ان اريد بالملائكة كل واحد منهم لم يحتج الى التقدير واحتج بالاية من زعم
فضل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك
يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم مستلزما لعدم
استنكافه عليه السلام واجيب بان مناط كفر النصارى ورفعهم له عليه السلام عن رتبة العبودية لما
كان اختصاصه عليه السلام وامتيازه عن سائر افراد البشر بالولادة من غير اب وبالعلم بالغيبات

وبالرفع

وبالرفع الى السماء علق على عدم استنكافه عن عبوديته تعالى عدم استنكاف من هو اعلى درجة منه فيما
ذكر فان الملائكة مخلوقون من غير اب ولا ام وعالمون بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقارهم السموات
العلى ولا نزاع لاحد في علو درجتهم من هذه الحيثية وانما النزاع في علوها من حيث كثرة الثواب
على الطاعات وان الاية ليست للرد على النصارى فقط بل على عبدة الملائكة ايضا فلا اتجاه
لما قالوا حينئذ وان سلم اختصاصها بالرد على النصارى فلعله اريد بالعطف المبالغة
باعتبار التكثير والتفخيم لا باعتبار التكبير والتفضيل كما في قولك اصبح الامير لا يخالفه
رئيس ولا مرؤوس ولئن سلم ارادة التفضيل فغايته الدلالة على افضلية المقربين منهم
وهم الكروبيون الذين هم حول العرش ومن هو اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء
عليهم السلام وليس يلزم من ذلك فضل احد الجنسين على الاخر مطلقا وهو محل التشاجر لانه
ومن يستنكف عن عبادته اي عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى وانما جعل المستنكف
عنه هنا عبادته تعالى لا ما سبق لتعليق الوعيد بوصف ظاهر الثبوت للكفرة فان عدم طاعتهم
له تعالى ليس لاستيلائهم الا انكارا ذا ما ثم به ان يقال لم عبر عن عدم طاعتهم له تعالى بالاستنكاف منها مع
ان ذلك منهم كان بطريق انكار الامر من جهته تعالى لا بطريق الاستنكاف قلنا بانهم كانوا يستنكفون
عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بعينها الاستنكاف عن طاعة الله عز وجل اذ الامر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم سوى امره تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله **ويستكبر** الاستكبار الانفة عما لا ينبغي ان
يوقف عنه واصله طلب الكبر لنفسه بغير استحقاق له لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله
فيه بل بمعنى عده نفسه كبيرا واعتقاده كذلك وانما عبر عنه بما يدل على الطلب للايذان بان مآله
محض الطلب بدون حصول المطلوب وقد عبر عن ذلك بمعنى الطلب في قوله تعالى يصدون عن
سبيل الله من آمن يبغونها عوجا فانهم ما كانوا يطلبون ثبوت العوج لسبيل الله مع اعتقادهم
لذلك لاستقامتها بل كانوا يعيبونها ويعتقدونها معوجة ويحكمون بذلك ولكن عبر عن ذلك
بالطلب لما ذكر من الاشعار بان ليس هناك شيء سوى الطلب والاستكبار دون الاستنكاف
المنبي عن توهم لحوق العار والنقص من المستنكف منه **فسيحشرهم اليه جميعا** اي المستنكفين
ومقابليهم المدلول عليهم بذكر عدم استنكاف المسيح والملائكة عليهم السلام وقد ترك ذكر
احد الفريقين في التفصيل عند قوله تعالى فاما الذين آمنوا بالله الاية مع عموم الخطاب لهما اعتمادا
على ظهور اقتضاء اثابة احدهما لعقاب الاخر ضرورة شمول الجزاء للكل وقيل الضمير للمستنكفين ومن
معهم مقدر معطوف عليه والتقدير فسيحشرهم وغيرهم وقيل المعنى فسيحشرهم اليه يوم يحشر العباد لمجازاتهم
وفيه انه لا يناسب التفصيل الاتي اعتبار رجحانه لكونه في الاجمال على نمط واحد وقرئ فسيحشرهم
بكسر الشين وبنون العظمة وقرئ فسنحشرهم بنون العظمة بطريق الالتفات **فاما الذين آمنوا وعملوا**
الصالحات بيان لحال الفريق المطوي ذكره في الاجمال قدم على بيان حال ما يقابله ابانة لفضله
ومسارعة الى بيان كون حشره ايضا معتبرا في الاجمال وايراد الايمان والعمل الصالح
في مقابلة الاستنكاف المناسب لما قبله ومما بعده للتنبيه على انه المستتبع لما يعقبه من الثمرات
فيوفيهم اجورهم من غير ان ينقص منها شيئا اصلا **ويزيدهم من فضله** بتضعيفها اضعافا مضاعفة وباعطاء
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **واما الذين استنكفوا** اي عن عبادته تعالى **واستكبروا**

فيعذبهم بسبب استنكافهم واستكبارهم عذابا اليما لا يحيط به الوصف ولا يجدون لهم من دون
الله وليا يلي امورهم ويدبر مصالحهم ولا نصيرا ينصرهم من باسه تعالى وينجيهم من عذابه يا ايها الناس
تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة المكلفين اثر بيان بطلان ما عليه الكفرة من فنون الكفر والضلال
والزامهم بالبراهين القاطعة التي تخر لها صم الجبال وازاحة شبههم الواهية بالبينات الواضحة
وتنبيه لهم على ان الحجة قد تمت فلم يبق بعد ذلك علة لمتعلل ولا عذر لمعتذر قد جاءكم اي
وصل اليكم وتقرر في قلوبكم بحيث لا سبيل لكم الى الانكار برهان البرهان ما يبرهن به على المطلوب
والمراد به القرآن الذي دل على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم المثبت لما فيه من الاحكام التي من جملتها
ما اسند اليه مما ابتدأه الايات الكريمة من حقية الحق وبطلان الباطل وروي عن ابن عباس رضي
الله عنهما ان النبي عليه السلام عبر عنه به لما معه من المعجزات التي تشهد بصدقه وقيل هي المعجزات
التي اظهرها وقيل هو دين الحق الذي اتى به • وقوله تعالى من ربكم اما متعلق بجاءكم او بمحذوف وقع
صفة مشرفة لبرهان مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائن منه
تعالى على ان من لابتداء الغاية مجازا او قد يجوز على الثاني كونها تبعيضية بحذف المضاف اي كائن من
براهين ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار اللطف بهم
والايذان بان مجيئه لتربيتهم وتكميلهم وانزلنا اليكم نورا مبينا اريد به ايضا القرآن الكريم
عبر عنه تارة بالبرهان لما اشير اليه انفا واخرى بالنور المنير بنفسه المنور لغيره ايذانا بانه بين بنفسه
مستغن في ثبوت حقيته وكونه من عند الله تعالى باعجازه غير محتاج الى غيره مبين لغيره من الامور
المذكورة واشعار بهدايته للخلق واخراجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وقد سلك به مسلك
العطف المبني على تغاير الطرفين تنزيلا للمغايرة العنوانية منزلة المغايرة الذاتية وعبر عن ملابسته
للمخاطبين تارة بالمجيء المسند اليه المنبئ عن كمال قوته في البرهانية كانه يجيء بنفسه فيثبت احكامه من
غير ان يجيء به احد ويجيء على شبه الكفرة بالابطال واخرى بالانزال الموقع عليه الملابس بحيثيته
كونه نورا توفيرا له باعتبار كل واحد من عنوانيه حظه اللائق به واسناد انزاله اليه تعالى بطريق
الالتفات لكمال تشريفه هذا على تقدير كون البرهان عبارة عن القرآن العظيم واما على تقدير
كونه عبارة عن الرسول صلى الله عليه وسلم او عن المعجزات الظاهرة على يديه او عن الدين الحق فالامر
بين • وقوله تعالى اليكم متعلق بانزلنا فان انزاله بالذات وان كان الى النبي صلى الله عليه وسلم
لكنه منزل اليهم ايضا بواسطته عليه الصلاة والسلام وانما اعتبر حاله بالواسطة دون
حاله بالذات كما في قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس ونظايره لاظهار
كمال اللطف بهم والتصريح بوصوله اليهم مبالغة في الاعذار وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه
التاخر عنه لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وللمحافظة على فواصل الاية الكريمة
فاما الذين امنوا بالله حسبما يوجبه البرهان الذي اتاهم واعتصموا به اي عصموا به انفسهم مما يرديها
من زيغ الشيطان وغيره فسيدخلهم في رحمة منه وفضل قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الجنة
وما يتفضل عليهم مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وعبر عن اثابة الثواب بالادخال
على طريقة قوله • علفتها تبنا وماء باردا • وتنوينه رحمة وفضل تفخيمي ومنه متعلق بمحذوف
وقع صفة مشرفة لرحمة ويهديهم اليه اي الى الله عز وجل وقيل الى الموعود وقيل الى عبادته صراطا

مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الاخرة وتقديم ذكر الوعد بادخال الجنة
على الوعد بالهداية اليها على خلاف الترتيب في الوجود بين الموعودين للمسارعة الى التبشير بما هو
المقصد الاصلي وفيما انتصاب صراطا على انه مفعول لفعل محذوف ينبئ عنه يهديهم اي يعرفهم
صراطا مستقيما يستفتونك اي في الكلالة استغنى عن ذكره بوروده في قوله تعالى قل الله
يفتيكم في الكلالة وقد مر تفسيرها في مطلع السورة الكريمة والمستفتي جابر بن عبد الله
رحمه الله يروى انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فقال ان لي اختا
فكم اخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة
فكيف اصنع في مالي • وروي عنه رضي الله عنه انه قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا مريض لا اعقل فتوضا وصب من وضوئه فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث وانما يرثني
كلالة فنزلت • وقوله تعالى ان امرؤ هلك استيناف مبين للفتيا وارتفع امرؤ بفعل يفسره
المذكور وقوله تعالى ليس له ولد صفة له وقيل او حال من المضمر في هلك ورد بانه مفسر
لمحذوف غير معمول في الكلام اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد ذكرا كان او انثى واقتصر على ذكر
عدم الولد مع ان عدم الوالد ايضا معتبر في الكلالة ثقة بظهور الامر ودلالة تفصيل الورثة
عليه وقوله تعالى وله اخت عطف على قوله ليس له ولد او حال والمراد بالاخت من ليست
لام فقط فان فرضها السدس وقد مر بيانه في صدر السورة الكريمة فلها نصف ما ترك
اي بالفرض والباقي للعصبة او لها بالرد ان لم يكن له عصبة وهو اي المرء يرثها اي
اخته المذكورة ان فرض هلاكها مع بقائه ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى فالمراد
بارثه لها احراز جميع مالها اذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا ارثه لها في الجملة فانه يتحقق مع وجود البنت...
والما دل على سقوطهم مع الاب السنة الشريفة فان كانتا اثنتين عطف على الشرطية الاولى
اي اثنتين فصاعدا فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتانيثه وتثنيته
باعتبار المعنى • وقيل فائدة الاخبار عنها بالاثنتين مع دلالة الف التثنية على الاثنينية
التنبيه على ان المعتبر في اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اي
من يرث بطريق الاخوة اخوة اي مختلطة رجالا ونساء بدل من اخوة والاصل وان كانوا اخوة واخوات
فغلب المذكر على المؤنث فللذكر اي فللذكر منهم مثل حظ الانثيين يقتسمون التركة على طريقة
التعصيب وهذه اخر ما نزل من كتاب الله تعالى في الاحكام روي ان الصديق رضي الله عنه
قال في خطبته ان الاية التي انزلها الله تعالى في سورة النساء في الفرائض فاولها في الولد والوالد
وثانيها في الزوج والزوجة والاخوة من الام والاية التي ختم بها السورة في الاخوة
والاخوات لابوين او لاب والاية التي ختم بها سورة الانفال انزلها في اولي الارحام يبين
الله لكم اي حكم الكلالة او احكامه وشرايعه التي من جملتها احكامه ان تضلوا
اي كراهة ان تضلوا في ذلك وهذا راي البصريين صرح به المبرد وذهب الكسائي والفراء
وغيرهما من الكوفيين الى تقدير اللام ولا في طرفي ان اي لئلا تضلوا • كما قال الزجاج وهو
مثل قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا • وقال ابو عبيد رويت للكسائي
حديث ابن عمر رضي الله عنه وهو لا يدعون احدكم على ولده ان يوافق من الله اجابة اي لئلا

في اني فاستفتيه وليس ما ذكر من الاية والحديث نصا فيما ذهب اليه الكسائي واضرابه فان التقدير
فيهما عند البصريين كراهة ان تضلوا وكراهة ان يوافق الجزء وقيل ليس هناك حذف ولا تقدير وانما
هو مفعول مبين اي يبين لكم ضلالكم الذي هو من شأنكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا
خلافه • وانت خبير بان ذلك انما يليق بما اذا كان بيانه تعالى على طريقة تعيين مواقع الخطأ والضلال
من غير تعرض لما هو الحق والصواب وليس كذلك والله بكل شيء من الاشياء التي من جملتها احوالكم
المتعلقة بمحياكم ومماتكم عليم مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم • عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا
من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشية الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم والحمد لله وحده

سورة المائدة مائة وثلث وعشرون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم • يا ايها الذين آمنوا
اوفوا بالعقود الوفاء القيام بموجب العقد وكذا الايفاء والعقد هو العهد الموثق المشبه
بعقد الحبل ونحوه • والمراد بالعقود ما يعم جميع ما الزمه الله تعالى عباده وعقد عليهم من التكاليف
والاحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب
الوفاء به او يحسن دينا بان يحمل الامر على معنى يعم الوجوب والندب امر بذلك اولا على وجه الاجمال
ثم شرع في تفصيل الاحكام التي امر بالايفاء بها وبدئ بما يتعلق بضروريات معايشهم فقيل احلت
لكم بهيمة الانعام البهيمة كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كثوب الخز وافرادها
لارادة الجنس اي احل لكم اكل البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية
المعدودة في سورة الانعام والحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هي المرادة بالبهيمة ههنا لبعد
بيان حل الانعام والاضافة لما بينهما من المشابهة والمماثلة في الاجترار وعدم الانياب وفائدتها
الاشعار بعلة الحكم المشتركة بين المتضايفين • كانه قيل احلت لكم البهيمة الشبيهة بالانعام التي
بين احلالها فيما سبق المماثلة لها في مناط الحكم • وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل
لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر فان ما حقه
التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها فضل تمكن الا ما يتلى عليكم استثناء
من بهيمة الانعام اي الا محرم ما يتلى عليكم من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ونحوه الا ما يتلى
عليكم آية تحريمه غير محلي الصيد اي الاصطياد في البر او اكل صيده وهو نصب على الحالية من
ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تقرير حرمته عملا واعتقادا وهو شائع في الكتاب والسنة وقوله
تعالى وانتم حرم اي محرمون حال من الضمير في محلي وفائدة تقييد احلال بهيمة الانعام بما ذكر
من عدم احلال الصيد حال الاحرام على تقدير كون المراد بها الظباء ونظائرها ظاهر لما ان احلالها
غير مطلق كانه قيل احل لكم الصيد حال كونكم ممتنعين عنه عند احرامكم واما على التقدير
الاول فقضاؤه اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم اليه فان حرمة
الصيد في حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال غيره حينئذ • كانه قيل احلت لكم الانعام
مطلقا حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض الاوقات محتاجين الى احلالها • وفي

اسناد

اسناد عدم الاحلال اليهم بالمعنى المذكور مع حصول المراد بان يقال غير محلل لكم او محرما عليكم الصيد
حال احرامكم من تربية للامتنان وتقرير الحاجة ببيان عليهم القرينية فان تحريم الصيد عليهم
انما يوجب حاجتهم الى احلال ما يغنيهم عنه باعتبار تحريمهم له عملا واعتقادا ثاني ذلك من
وصفهم بما هو اللائق بهم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على
الحكم البالغة فيدخل فيها ما ذكر من التحليل والتحريم دخولا اوليا ومعنى الايفاء بها الجريان
على موجبها عقدا او عملا والاجتناب عن تحليل المحرمات كالعكس ونظائرها التي سيأتي بيانها
يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله لما بين حرمة احلال الاحرام الذي هو من شعائر الحج عقب
ذلك ببيان حرمة احلال سائر الشعائر واضافتها الى الله عز وجل لتشريفها وتهويل الخطب
في احلالها وهي جمع شعيرة وهي اسم لما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي
الجمار والطواف والسعي والافعال التي هي من علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف
والسعي والحلق والنحر واحلالها ان يتهاون بحرمتها ويحال بينها وبين المتنسكين بها ويحدث في
اشهر الحج ما يصد به الناس عن الحج • وقيل المراد بها دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله اي دينه
وقيل حرمات الله • وقيل فرائضه التي حدها لعباده واحلالها الاخلال بها والاول انسب بما بعده
ولا الشهر الحرام اي لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسيء والاول هو الاولى بحال المؤمنين والمراد به
شهر الحج وقيل الاشهر الاربعة الحرم والافراد لارادة الجنس ولا الهدي بان يتعرض له بالغصب
او بالمنع من بلوغ محله وهو ما يهدى الى الكعبة من ابل او بقر او شاة جمع هدية كجدي وجدية
ولا القلائد جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدي من نعل او لحاء شجر ليعلم به انه هدي فلا
يتعرض له والمراد النهي عن التعرض لذوات القلائد من الهدي وهي البدن وعطفها على
الهدي مع دخولها فيه لمزيد التوصية بها لمزيتها على ما عداها كانها جبريل وميكائيل على الملائكة
عليهم السلام كانه قيل والقلائد منه خصوصا او النهي عن التعرض لنفس القلائد مبالغة في النهي
عن التعرض لاصحابها على معنى لا تحلوا قلائدها فضلا عن ان تحلوها كما نهي عن ابداء الزينة بقوله تعالى
ولا يبدين زينتهن مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا آمين البيت الحرام اي لا تحلوا قوما قاصدين
زيارته بان تصدوهم عن ذلك باي وجه كان وقيل هناك مضاف محذوف اي قتال قوم او
اذى قوم آمين الى آخره • وقرئ ولا آمي البيت الحرام بالاضافة وقوله عز وجل يبتغون فضلا
من ربهم ورضوانا حال من المستكن في آمين لا صفة له لان المختار ان اسم الفاعل اذا وصف
بطل عمله اي قاصدين زيارته حال كونهم طالبين ان يثيبهم الله تعالى ويرضى عنهم وتنكير
فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق بنفس الفعل او بمحذوف وقع صفة لفضلا مغنية
عن وصف ما عطف عليه بها اي فضلا كائنا من ربهم ورضوانا كذلك والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والاشعار بحصول مبتغاهم • وقرئ تبتغون
على الخطاب • فالجملة حينئذ حال من ضمير المخاطبين وفي ذلك من تعليل النهي
وتأكيد المبالغة في استنكار المنهي عنه ما لا يخفى ومن ههنا قيل ان المراد بالآمين هم
المسلمون خاصة وبه تمسك من ذهب الى ان الآية محكمة • وقد روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها • وقال الحسن

رحمه الله ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هم
المشركون خاصة لانهم المحتاجون الى نهي المؤمنين عن احلالهم على ان حرمة احلالهم ثبتت بطريق دلالة
النص ويؤيده ان الآية نزلت في الحطم بن ضبيعة البكري وقد كان اتى المدينة فخلف خيله خارجها
فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وحده وقد وعد بان يأتي باصحابه فيسلموا ثم خرج من عنده صلى الله
عليه وسلم فمر بسرح المدينة فاستاقه فلما كان في العام القابل خرج من اليمامة حاجا في حجاج
بكر بن وائل ومعه تجارة عظيمة وقد قلده الهدي فسأل المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم
ان يخلي بينهم وبينه فأباه النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحلوا
شعائر الله الآية وقد فسر ابتغاء الفضل وطلب الرزق بالتجارة وابتغاء الرضوان بانهم
كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله تعالى فوصفهم الله تعالى
بظنهم ذلك الظن الفاسد وان كان ذلك بمعزل من ابتغاء رضوانه تعالى لكن لا بعد في
كونه من ابتغاء الحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم عن المكاره العاجلة لا سيما
في ضمن مراعاة حقوق الله تعالى وتعظيم شعائره ؞ وقال قتادة هو ان يصلح معايشهم في الدنيا
ولا يعجل لهم العقوبة فيها ؞ وقد يعم المسلمون والمشركون لما روي عن ابن عباس رضي الله
عنه ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج
البيت بقوله تعالى لا تحلوا الآية ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس فلا يقربوا
المسجد الحرام ؞ وقال تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله ؞ وقال مجاهد
والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا ريب في نسخ
الامن للمشركين قطعا اما استقلالا واما استتباعا لما يأتي من قوله تعالى ولا يجرمنكم
شنآن قوم الخ فيتعين النسخ كلا او بعضا ولا بد في الوجه الاخير من تفصيل الفضل
والرضوان بما يناسب الفريقين بتقدير ابتغاء الفضل اي الرزق للمؤمنين والمشركين
عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة ؞ ويجوز ان يكون الفضل على اطلاقه شاملا للفضل
الاخروي ايضا ويختص ابتغاؤه بالمؤمنين **واذا حللتم فاصطادوا** تصريح بما اشير اليه
بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتفاء موجبها والامر للاباحة بعد الحظر
كانه قيل اذا حللتم فلا جناح عليكم في الاصطياد وقرئ احللتم وهو لغة في حل وقرئ
بكسر الفاء بالقاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا **ولا يجرمنكم** نهي عن احلال
قوم من الآمين خصوا به مع اندراجهم في النهي عن احلال الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما
يتوهم كونها مصححة لاحلالهم داعية اليه وجرم جار مجرى كسب في المعنى وفي التعدي الى
مفعول واحد والى اثنين يقال جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه خلا
ان جرم يستعمل غالبا في كسب ما لا خير فيه وهو السبب في ايثاره ههنا على الثاني وقد
ينقل الاول من كل منهما بالهمزة الى المعنى الثاني فيقال اجرمته ذنبا واكسبته اياه وعليه
قراءة من قرأ يجرمنكم بضم الياء **شنآن قوم** بفتح النون وقرئ بسكونها وكلاهما مصدر
اضيف الى مفعوله لا الى فاعله كما قيل وهو شدة البغض وغاية المقت **ان صدوكم**
متعلق بالشنآن باضمار لام العلة اي بان صدوكم عام الحديبية **عن المسجد الحرام** عن زيارته

والطواف

والطواف به للعمرة وهذا ابين في عموم الامن للمشركين قطعا ؞ وقرئ ان صدوكم
على انه شرط معترض اغني عن جوابه ولا يجرمنكم فانه ابرز الصد المحقق فيما سبق في معرض المفروض
للتوبيخ والتنبيه على ان حقه ان لا يكون ووقوعه لا يصلح سببا للعدوان والتعدي **ان تعتدوا**
اي عليهم وانما حذف تعويلا على ظهوره وايماء الى ان المقصود الاصلي من النهي منع صدور
الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيم الشعائر لا منع وقوعه على القوم مراعاة لجانبهم
وهو ثاني مفعولي يجرمنكم اي لا يكسبنكم شنآن بغضكم اياهم لصدهم اياكم عن المسجد الحرام
اعتداءكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفي ومنعه وان كان بحسب الظاهر نهيا للشنآن عن
كسب الاعتداء للمخاطبين لكنه في الحقيقة نهي لهم عن الاعتداء على ابلغ وجه وآكده فان
النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية و
بتوجيه النهي الى المسبب ويراد النهي الى السبب من السبب ؞ كما في قوله لا اريتك ههنا يريد
به نهي المخاطب عن الحضور لديه ؞ وقيل تاخير هذا النهي عن قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا
مع ظهور تعلقه بما قبله للايذان بان حرمة الاعتداء لا تنتهي بالخروج من الاحرام كانتهاء
حرمة الاصطياد به بل هي باقية ما لم تنقطع علاقتهم عن الشعائر بالكلية وبذلك
يعلم بقاء حرمة التعرض لسائر الآمين بالطريق الاولى **وتعاونوا على البر والتقوى** لما
كان الاعتداء غالبا بطريق التظاهر والتعاون امروا اثر ما نهوا عنه بان يتعاونوا
على كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة الامر ومجانبة الهوى فيدخل فيه ما نحن فيه
من التعاون على العفو والاغضاء عما وقع منهم دخولا اوليا ثم نهوا عن التعاون في كل ما
هو من مقولة الظلم والمعاصي بقوله تعالى **ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** فاندرج
فيه النهي عن التعاون على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهاني واصل لا تعاونوا
لا تتعاونوا فحذف منه احدى التاءين تخفيفا وتقديم النهي عن الامر لتقديم التخلية
على التحلية مسارعة الى ايجاب ما هو المقصود بالذات فان المقصود من ايجاب ترك
التعاون على الاثم والعدوان الامر بتحصيل التعاون على البر والتقوى ثم امروا
بقوله تعالى **واتقوا الله** بالاتقاء في جميع الامور التي من جملتها مخالفة ما ذكر من الاوامر والنواهي
فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهاني ثم علل ذلك بقوله تعالى **ان الله شديد
العقاب** لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة ان لم تتقوه ؞ واظهار الاسم الجليل لما مر
من ادخال الروعة وتربية المهابة وتقوية استقلال الجملة **حرمت عليكم الميتة**
شروع في بيان المحرمات التي اشير اليها بقوله تعالى الا ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه
الروح من غير ذبح **والدم** اي المسفوح منه لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية
يصبونه في الامعاء ويشوونه ويقولون لم يحرم من فزد له اي فصد له **ولحم الخنزير وما
اهل لغير الله به** اي رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى **والمنخنقة**
اي التي ماتت بالخنق **والموقوذة** اي التي ماتت بالضرب بالخشب ونحوه من وقذه اذا
ضربه **والمتردية** اي التي تردت من علو الى سفل فماتت **والنطيحة** اي التي نطحتها اخرى
فماتت بالنطح والتاء للنقل وقرئ المنطوحة **وما اكل السبع** اي ما اكل منه السبع فمات

دون سكون الباء وهي اداة لسبع وفيه دليل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصادته
لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه بقية حياة يضطرب اضطراب المذبوح
وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع وفيه دليل على ان جوارح الصيد والذكاة في الشرع
بقطع الحلقوم والمريء بمحدد وما ذبح على النصب قيل هو مفرد وقيل هو جمع نصاب وقرئ
بسكون الصاد وانما ما كان هو واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول
البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وان تستقسموا
بالازلام جمع زلم وهو القدح اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم كانوا اذا
قصدوا فعلا ضربوا على ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الثاني نهاني
ربي وعلى الثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي اجتنبوا ذلك
وان خرج الغفل اجالوها مرة اخرى فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم بالازلام
وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة ذلكم اشارة الى الاستقسام
بالازلام ومعنى البعد فيه للاشارة الى بعد منزلته في الشر فسق تمرد وخروج من الحدود ودخول
في علم الغيب وضلال باعتقاد انه طريق اليه وافتراء على الله سبحانه ان كان مراده بربي
الله وشرك وجهالة ان كان وقيل ذلكم اشارة الى تناول المحرمات المعدودة
ان عرفها حرمتها وهنا اليوم اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من
الازمنة الماضية والاتية وقيل يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة في عرفة حجة
الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على العضباء فكادت عضد الناقة تندق بثقله
فبركت واما ما كانت فهي منصوب على انه ظرف لقوله تعالى يئس الذين كفروا من دينكم
اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث او غيرها او من ان يغلبوكم عليه لما شاهدوا
من ان الله عز وجل وفى بوعده حيث اظهره على الدين كله وهو المراد بقوله تعالى فلا
تخشوهم اي ان يظهروا عليكم واخشون في اي واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم
بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول
الشرائع وقوانين الاجتهاد وتقديم الجار والمجرور للايذان من اول الامر بان الاكمال
لمنفعتكم ومصلحتكم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وعليكم في قوله تعالى واتممت
عليكم نعمتي متعلق باتممت لا بنعمتي لان المصدر لا يتقدم عليه معموله وتقديمه على المفعول
الصريح لما مر مرات اي اتممتها بفتح مكة ودخولها امنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية
ومناسكها والنهي عن حج المشرك وطواف العريان او باكمال الدين والشرائع او بالهداية
والتوفيق قيل معنى اتممت عليكم نعمتي انجزت لكم وعدي بقولي ولاتم نعمتي عليكم
ورضيت لكم الاسلام دينا اي اخترته لكم من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير
عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا من اليهود قال له يا امير المؤمنين اية تقرؤونها
في كتابكم لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال اي اية قال اليوم
اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الاية قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قد عرفنا
ذلك اليوم والمكان الذي انزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة

اشار رضي الله عنه الى ان ذلك اليوم عيد لنا وروي انه لما نزلت هذه الاية بكى عمر رضي الله عنه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاذا اكمل لم
يكمل شيء الا نقص فقال صلى الله عليه وسلم صدقت فكانت هذه الاية نعي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانه ما عاش بعد ذلك الا احدا وثمانين يوما فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض
بما يوجب ان يجتنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة
والاسلام المرضي اي فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة اي مجاعة يخاف معها
الموت او مباديه غير متجانف لاثم غير مائل ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد
الرخصة او ينتزعها من مضطر اخر كما في قوله تعالى غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه
بذلك يسألونك ماذا احل لهم شروع في تفصيل المحللات التي ذكر بعضها على وجه الاجمال
اثر بيان المحرمات لما تضمن السؤال معنى القول اوقع
على الجملة وماذا مبتدأ واحل لهم خبره وضمير الغيبة لما ان يسألون بلفظ الغيبة فان كان بصيغة
حال المحكي عنه فيقال اقسم زيد لا فعلن بصيغة حال الحاكي فيقال اقسم زيد ليفعلن والمسؤول
ما احل لهم من المطاعم قل احل لكم الطيبات اي ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر
عنه كما في قوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وما علمتم من الجوارح عطف على
الطيبات بتقدير المضاف على ان ما موصولة والعائد محذوف اي وصيد ما علمتم او مبتدأ
على ان ما شرطية والجواب فكلوا وقد جوز كونها مبتدأ على تقدير كونها موصولة ايضا والخبر
فكلوا وانما دخلته الفاء تشبيها للموصول باسم الشرط ومن الجوارح حال من الموصول او الضمير
المحذوف والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير وقيل سميت بها لانها تجرح الصيد
غالبا مكلبين معلمين لها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب
لان التاديب اكثر ما يقع به او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله صلى الله عليه وسلم في حق عتبة
ابن ابي لهب حين اراد سفر الشام فدعا النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فاكله الاسد وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم لما ان اسم
المكلب لا يقع الا على النحرير في علمه وقرئ مكلبين بالتخفيف والمعنى واحد تعلمونهن حال
ثانية منه او حال من ضمير مكلبين او استئناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التعليم والتاديب
كان العلم به الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او بما عرفكم ان تعلموه
من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد
وعدم اكله منه فكلوا مما امسكن عليكم قد مر فيما سبق ان هذه الجملة على تقدير كون ما شرطية
جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصولة مرفوعة على الابتداء خبر لها واما على تقدير كونها
معطوفة على الطيبات فهي جملة متفرعة على بيان حل صيد الجوارح المعلمة مبينة للمضاف المقدر
الذي هو المعطوف وبه يتعلق الاحلال حقيقة ومشيرة الى نتيجة التعليم واثره وكلمة
بعض الامر فالفاء فيها كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ومن تبعيضية لما ان
البعض ما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك وما موصولة او موصوفة
حذف عائدها او ما مصدرية متعلقة بامسكن اي فكلوا بعض ما امسكنه عليكم وهو الذي لم ياكلن منه

منه • وانما نهى عما امسكه على نفسه لقوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم وان اكل
منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقها • وقال بعضهم لا يشترط عدم
الاكل في سباع الطير لان تاديبها الى هذا الحد متعذر • وقال آخرون لا يشترط ذلك
مطلقا فقد روي عن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنهم انه اذا اكل الكلب ثلثيه
وبقي ثلثه وقد ذكرت اسم الله تعالى عليه **واذكروا اسم الله عليه** الضمير لما علمتم
اي سموا عليه عند ارساله او لما امسكن اي سموا عليه اذا ادركتم ذكاته **واتقوا الله** في
محرماته **ان الله سريع الحساب** اي سريع اتيان حسابه او سريع تمامه اذا شرع فيه يتم في اقرب
ما يكون من الزمان والمعنى على التقدير ان الله يؤاخذكم سريعا في كل ما جل ودق واظهار
الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم **اليوم احل لكم الطيبات**
قيل المراد بالايام الثلاثة وقت واحد وانما ذكرها تاكيدا لاختلاف الاحداث الواقعة
فيه حسن تكريره والمراد بالطيبات ما مر **وطعام الذين اوتوا الكتاب** اي اليهود والنصارى
واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب
الخمر وبه اخذ الشافعي رضي الله عنه والمراد بطعامهم ذبائحهم وغيرها **حل لكم**
اي حلال • وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا باس
وهو قول عامة التابعين • وبه اخذ ابو حنيفة رضي الله عنه واصحابه وحكم الصابئين حكم
اهل الكتاب عنده • وقال صاحباه هما صنفان صنف يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة
وصنف لا يقرؤون كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب • واما المجوس فقد
سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم ولا الى ذبائحهم **وطعامكم حل لهم** فلا عليكم
ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز عليهم ذلك **والمحصنات من المؤمنات**
رفع على انه مبتدأ اخبر حذف لدلالة ما تقدم عليه اي حل لكم ايضا والمراد بهن الحرائر
او العفائف وتخصيصهن بالذكر للبعث على ما هو الاولى لا لنفي ما عداهن فان نكاح الاما المسلمات
صحيح بالاتفاق وكذا النكاح غير العفائف منهن • واما الاما الكتابيات فهن كالمسلمات
عند ابي حنيفة رحمه الله خلافا للشافعي رحمه الله **والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم** اي من ادنيا ... وان كن حربيات • وقال ابن عباس رضي الله عنه لا تحل الحربيات
اذا آتيتموهن اجورهن اي مهورهن وتقييد الحل بايتائها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى
وقيل المراد بايتائها التزامها واذا ظرفية عاملها المحذوف وقيل ظرفية شرطية حذف جوابها
اي اذا آتيتموهن اجورهن حللن لكم **محصنين** حال من فاعل آتيتموهن اي حال كونكم اعفاء بالنكاح
وكذا قوله تعالى **غير مسافحين** وقيل هو حال من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين اي غير مجاهرين
بالزنا **ولا متخذي اخدان** اي ولا مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى
وهو اما مجرور عطفا على مسافحين وزيد لا لتاكيد النفي المستفاد من غير او منصوب عطفا
على غير مسافحين باعتبار اوجهه الثلاثة **ومن يكفر بالايمان** اي ومن ينكر شرائع الاسلام التي من
جملتها ما بين ههنا من الاحكام المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها **فقد حبط عمله** الصالح
الذي عمله قبل ذلك **وهو في الآخرة من الخاسرين** هو مبتدأ من الخاسرين خبره وفي متعلقة

بالخاسرين

بالخاسرين وما تعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل بمحذوف دل عليه المذكور اي خاسر في الآخرة
وقيل بالخاسرين على ان الالف واللام للتعريف لا موصولة لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وقد
يتسع في الظرف ما لا يتسع في غيره • كما في قوله •

• ربيته حتى اذا تمعددا • كان جزائي بالعصا ان اجلدا •

يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان الشرائع المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم **اذا قمتم
الى الصلاة** اي اردتم القيام اليها كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة
الفعل بالفعل المسبب عنها مجازا للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها
بحيث لا ينفك عن ارادتها او اذا قصدتم الصلاة اطلاقا لاحد لازميها على الآخر
وظاهر الآية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم اليها وان لم يكن محدثا لما ان الامر للوجوب
قطعا والاجماع على خلافه • وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات الخمس
يوم الفتح بوضوء واحد فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز وحمل الامر بالنسبة الى غير المحدث على الندب مشكل
لما لا يوجد ان الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط الحدث في التيمم الذي
هو بدله وما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفا من انهم كانوا يتوضؤون لكل صلاة فلا دلالة
فيه على انهم كانوا يفعلونه بطريق الوجوب اصلا • كيف لا وما روي عنه صلى الله عليه وسلم
من قوله من توضا على طهر كتب الله له عشر حسنات صريح في ان ذلك كان منهم بطريق الندب •
وما قيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ يرده قوله صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا
فاحلوا حلالها وحرموا حرامها **فاغسلوا وجوهكم** اي امروا عليها الما ولا حاجة الى
الدلك خلافا لمالك رحمه الله **وايديكم الى المرافق** الجمهور على دخول المرفقين في المغسول
ولذلك قيل الى بمعنى مع كما في قوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم • وقيل انما تفيد معنى الغاية
مطلقا • واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما هو امر يدور على
الدليل الخارجي كما في حفظت القرآن من اوله الى آخره • وقوله تعالى فنظرة الى ميسرة فان
الدخول في الاول والخروج في الثاني متيقن لما تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك في
الآية وكانت الايدي متناولة للمرافق حكم بدخولها فيها احتياطا • وقيل الى من حيث افادتها
للغاية تقتضي خروجها لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا **وامسحوا
برؤوسكم** الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل
وتحقيقه انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل فالصقوا المسح برؤوسكم وذلك
لا يقتضي الاستيعاب ولا عدمه بخلاف ما لو قيل فامسحوا رؤوسكم فانه كقوله تعالى فاغسلوا
وجوهكم • واختلف العلما رحمهم الله في القدر الواجب فاوجب الشافعي رحمه الله اقل ما
ينطلق عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث مسح
على ناصيته وقدرها بربع الراس • ومالك رحمه الله مسح الكل اخذا بالاحتياط **وارجلكم الى
الكعبين** بالنصب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة
والتحديد اذ المسح لم يحد • وقرئ بالجر على الجوار ونظيره في القرآن كثير كقوله

تعالى تحت باب قول الشيم والنحاة في ذلك باب سد وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب
الماء عليهما فيغسلهما غسلا قريبا من المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايما الى افضلية الترتيب ٭
وقرئ بالرفع اي وارجلكم مغسولة **وان كنتم جنبا فاطهروا** اي فاغتسلوا وقرئ فاطهروا اي
فطهروا ابدانكم وفي تعليق الامر بالطهارة الكبرى بالحدث الاكبر اشارة الى اشتراط الامر
بالطهارة الصغرى بالحدث الاصغر **وان كنتم مرضى** مرضا يخاف به الهلاك او ازدياده باستعمال
الماء **او على سفر** اي مستقرين عليه **او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم**
تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه من لابتداء الغاية وقيل
للتبعيض وهي متعلقة بامسحوا وقرئ فامموا صعيدا وقد مر تفسير الاية الكريمة في
سورة النساء فلعل اجمع البدل وذلك التكرير ليتصل الكلام في انواع الطهارة **ما يريد الله**
اي ما يريد بالامر بالطهارة بالصلاة او بالامر بالتيمم **ليجعل عليكم من حرج** من ضيق في الامتثال
به **ولكن يريد** بما يريد ذلك **ليطهركم** اي لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء مكفر
لها او ليطهركم بالتراب اذا عوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام
للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص
لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء **وليتم** بشرعه ما هو
مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم **نعمته عليكم** في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم
بعزائمه **لعلكم تشكرون** نعمته من لطائف الاية الكريمة انها مشتملة على سبعة امور كلها
مثنى طهارتان اصل وبدل واثنان مستوعب وغير المستوعب باعتبار غسل ومسح وباعتبار
المحل محدود وغير محدود وان الهما مايع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول
الى البدل او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة **واذكروا نعمة الله عليكم**
بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره **وميثاقه الذي واثقكم به** اي عهده الذي
اخذه عليكم وقوله تعالى **اذ قلتم سمعنا واطعنا** ظرف لواثقكم به او لمحذوف وقع
حالا من الضمير المجرور في به او من ميثاقه اي كائنا وقت قولكم سمعنا واطعنا وفائدة التقييد
به تاكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذي اخذه
على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال العسر واليسر
والمنشط والمكره ٭ وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان واضافته
اليه تعالى مع صدوره عنه صلى الله عليه وسلم لكون المرجع اليه تعالى كما نطق به قوله تعالى ان
الذين يبايعونك انما يبايعون الله ٭ وقال مجاهد هو الميثاق الذي اخذه الله تعالى على عباده
حين اخرجهم من صلب ادم عليه السلام **واتقوا الله** في نسيان نعمته ونقض ميثاقه او في كل ما
تاتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا **ان الله عليم بذات الصدور** اي
بخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لاطلاق الصاحب عليها فيجازيكم عليها فما ظنكم
بجليات الاعمال وامثال الاعمال بالالتفات واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة
وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة **يا ايها الذين امنوا** شروع في بيان الشرائع المتعلقة بما جرى
بينهم وبين غيرهم اثر بيان ما يتعلق بانفسهم **كونوا قوامين لله** مقيمين اوامره ممتثلين لها معظمين

لها مراعين لحقوقها **شهداء بالقسط** اي بالعدل **ولا يجرمنكم شنآن قوم** اي لا يحملنكم بغضكم لهم **على ان لا تعدلوا** فلا
تشهدوا في حقوقهم بالعدل او فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية
ونقض عهد تشفيا وغير ذلك **اعدلوا هو** اي العدل **اقرب للتقوى** الذي امرتم به صرح
لهم بالامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى
واذا كان وجوب العدل في حق الكفار بهذه المثابة فما ظنك بوجوبه في حق المسلمين **واتقوا**
الله امر بالتقوى اثر ما بين ان العدل اقرب له اعتناء بشانه وتنبيها على انه ملاك الامر
ان الله خبير بما تعملون من الاعمال فيجازيكم بذلك وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب
كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة
في اطفاء ثائرة الغيظ والجملة تعليل لما قبلها واظهار الجلالة لما مر مرارا وحيث كان مضمونها
منبئا عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقيل
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات التي من جملتها العدل والتقوى **لهم مغفرة واجر**
عظيم حذف ثاني مفعولي وعد استغناء عنه بهذه الجملة فانها استئناف مبين له وقيل
الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكانه قيل وعدهم هذا القول **والذين كفروا**
وكذبوا باياتنا التي من جملتها ما تلي من النصوص الناطقة بالامر بالعدل والتقوى **اولئك**
الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب **اصحاب الجحيم** ملابسوها ملابسة مؤبدة وفي
الجملة السنية التراثية سعة الوعد والوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب ايفاء لحق الدعوة
بالتبشير والانذار **يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم** تذكير لنعمة الانجاء من
الشر اثر تذكير نعمة ايصال الخير الذي هو نعمة الاسلام وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق
بنعمة الله او بمحذوف وقع حالا منها وقوله تعالى **اذ هم قوم** ظرف على الاول لنفس النعمة وعلى
الثاني لما تعلق به عليكم ولا سبيل الى كونه ظرفا لاذكروا لتنافي زمانيهما اي اذكروا انعامه تعالى
عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم في وقت همهم **ان يبسطوا اليكم ايديهم** اي بان يبطشوا
بكم بالقتل والاهلاك والاستيلاء لكونه ظرفا يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه
لسانه اذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة الى بيان رجوع ضرر البسط
وغائلته اليهم حماة لهم من اول الامر على الاعتناء بشانه كما ان تقديم لكم في قوله عز وجل
هو الذي خلق لكم ما في الارض للمبادرة الى بيان كون المخلوق من منافعهم تعجيلا للمسرة **فكف**
ايديهم عنكم عطف على هم وهو النعمة التي اريد تذكيرها وذكر الهم للايذان بوقوعها عند
مزيد الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها واظهار ايديهم في موقع الاضمار لزيادة
التقرير اي منع ايديهم ان تمد اليكم عقيب همهم بذلك لا انه كفها عنكم بعد ما مدوها اليكم
وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذي
قلما يعرى عنه الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه ٭ وذلك ما روي ان المشركين راوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان في غزوة ذي انمار وهي غزوة ذات الرقاع وهي
السابعة من مغازيه صلى الله عليه وسلم قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركون الا
كانوا اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من ابائهم وابنائهم يعنون

صلاة العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا عليها فرد الله تعالى كيدهم بان انزل صلاة الخوف وقيل
هو ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم
يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم
اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سألت فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة
يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده ونزل جبريل عليه السلام واخبره فخرج صلى الله عليه
وسلم وقيل هو ما روي انه صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق اصحابه في العضاه يستظلون
بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة فجاء اعرابي فاخذ سيفه فقال من يمنعك
مني فقال صلى الله عليه وسلم الله تعالى فاسقطه جبريل عليه السلام من يده فاخذه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله واتقوا الله عطف على اذكروا اي اتقوه في رعاية حقوق نعمته ولا تخلوا بشكرها او في كل ما
تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وعلى الله اي عليه تعالى خاصة دون غيره
استقلالا واشتراكا فليتوكل المؤمنون فانه يكفيهم في ايصال كل خير ودفع كل شر والجملة
تذييل مقرر لما قبله وايثار صيغة امر الغائب واسنادها الى المؤمنين لايجاب التوكل على المخاطبين
بالطريق البرهاني وللايذان بان ما وصفوا به عند الخطاب من وصف الايمان داع الى ما امروا
به من التوكل والتقوى وازع من الاخلال به واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل
الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييلية ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل كلام مستأنف مشتمل
على ذكر بعض ما صدر عن بني اسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق وما ادى اليه ذلك من التبعات سوق
لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة حق الميثاق الذي واثقهم به وتحذيرهم من نقضه
او لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه على تقدير كون ذلك من بني قريظة حسبما مر من الرواية
ببيان ان الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها من اسلافهم واظهار الاسم الجليل
لتربية المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل الخطب في نقضه مع ما فيه من رعاية حق الاستئناف
المستدعي للانقطاع عما قبله والالتفات في قوله عز وجل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا
للجري على سنن الكبرياء او لان البعث كان بواسطة موسى عليه الصلاة والسلام كما سيأتي
وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر
والنقيب فعيل بمعنى فاعل من نقب النقب ومنه قوله تعالى فنقبوا في البلاد سمي بذلك لتنقيبه
عن احوال القوم واسرارهم ٭ قال الزجاج رحمه الله واصله من النقب وهو الثقب الواسع
سمي به ٭ روي ان بني اسرائيل لما استقروا بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله عز وجل بالمسير
الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا
فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى عليه السلام ان ياخذ من كل
سبط نقيبا امينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء ٭
واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء
اليهم يتجسسون فرأوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم بما
رأوا وقد نهاهم موسى عن ذلك فنقضوا الميثاق الا كالب بن يوفنا نقيب سبط يهوذا ويوشع

ابن

ابن نون نقيب سبط افرائيم بن يوسف الصديق عليه السلام وقيل لما توجه النقباء الى ارضهم للتجسس
لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وقد عاش ثلاثة آلاف
سنة وكان على رأسه حزمة حطب فاخذهم وجعلهم في الحزمة وانطلق بهم الى امرأته وقال
انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم
برجلي فقالت لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعلوا فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل
عنقود عنبهم الا خمسة رجال او اربعة فلما خرج النقباء قال بعضهم لبعض ان اخبرتم بني اسرائيل ٭
بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموا الا عن موسى وهارون عليهما السلام فيكونان هما يريان
رأيهما فاخذ بعضهم على بعض الميثاق ثم انصرفوا الى موسى عليه الصلاة والسلام وكان معهم
حبة من عنبهم وقر رجل فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأوا الا كالب
ويوشع وكان معسكر موسى فرسخا في فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى الجبل فقور منه صخرة عظيمة
على قدر العسكر وحملها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقور من الصخرة وسطها
المحاذي لرأسه فانتقبت فوقعت في عنق عوج وطوقته فصرعته واقبل موسى عليه السلام
وكان طوله عشرة اذرع وكذا طول العصا فنزا في السماء عشرة اذرع فما اصاب العصا الا كعب
عوج وهو مصروع فقتله قالوا فاقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى حزوا رأسه وقال الله اي
لبني اسرائيل فقط اذ هم المحتاجون الى ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات مع
ما فيه من تربية المهابة لتأكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد اني معكم اي بالعلم والقدرة
والنصرة لا بالنصرة فقط فان تنبيههم على علمه تعالى بكل ما يأتون وما يذرون وعلى كونه
عن تنبيههم وسياقه ما يحملهم على الجد في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه
كأنه قيل اني معكم اسمع كلامكم وارى اعمالكم واعلم ضمائركم فاجازيكم بذلك وقيل
المراد بالميثاق الميثاق بالايمان والتوحيد وبالنقباء ملوك بني اسرائيل الذين ينقبون
احوالهم ويكونون امورهم بالامر والنهي واقامة العدل وقوله تعالى لئن
اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي اي بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف
وتأخير الايمان عن اقامة الصلاة وايتاء الزكاة مع كونهما من الفروع المترتبة عليه لما انهم كانوا
معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم تكذيب بعض الرسل عليهم الصلاة والسلام ومراعاة المقارنة بينه
وبين قوله تعالى وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب وتارة للتعظيم والتوقير
ان الساعين فيه اعز دعوتهم بالتعظيم واقرضتم الله بالانفاق في سبيل الخير او بالصدقة
وبالصدقات المندوبة ٭ وقوله عز وعلا قرضا حسنا اما مصدر بحذف الزوائد على غير
صيغة المصدر كما في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا او مفعول
ثان لاقرضتم على انه اسم للمال المقرض ٭ وقوله تعالى لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب
للقسم المدلول عليه باللام ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري
من تحتها الانهار عطف على ما قبله داخل معه في حكم الجواب متأخر عنه في الحصول ضرورة
تقدم التخلية على التحلية فمن كفر اي برسلي او بشيء مما عدد في حيز الشرط والفاء
لترتيب بيان حكم من كفر على بيان حكم من آمن تقوية للترغيب بالترهيب بعد ذلك الشرط

المؤكد المعانق به الوعد العظيم المعلق الموجب للايمان قطعا منكم متعلق بمضمر وقع حالا من
فاعل كفر ولعل تعيين حال لسان حيث لم يقل ان كفر بعد عطفا على الشرطية السابقة اخراج
كفر الكل من حيز الاحتمال واسقاطهم عن رتبة الخطاب وليبين ان المراد احداث الكفر
بعد الايمان بل ما يعم الاستمرار عليه ايضا كانه قيل فمن اتصف بالكفر بعد ذلك خلا انه
قصد بايراد ما يدل على الحدوث بيان ترقيهم في مراتب الكفر فان الاتصاف به بعد
ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع
حادث فقد ضل سواء السبيل اي وسط الطريق الواضح ضلالا بينا واخطأ خطأ فاحشا
لا عذر معه اصلا بخلاف من كفر قبل ذلك اذ ربما يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة
فبما نقضهم ميثاقهم الباء سببية وما مزيدة لتأكيد الكلام وتمكينه في النفس اي فبسبب
نقضهم ميثاقهم المؤكد لا لشيء اخر استقلالا او انضماما لعناهم طردناهم وابعدناهم من
رحمتنا او مسخناهم قردة وخنازير او اذللناهم بضرب الجزية عليهم وتفسيره بالبيان
مع ما ذكر من انه ان يبين بعد بيان تحقق نفس اللعن والمتعين ان يبين ان ما لعنا نقضوا
ميثاقهم فلعناهم مرتبة تقريرا لما علمته البسيطة على هيئة المركبة للايذان بان
تحققهما امر جلي غني عن البيان وانما المحتاج اليه ذلك ما بينهما من السببية والمسببية وجعلنا
قلوبهم قاسية بحيث لا تتأثر عن الآيات والنذر وقيل املينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة
حتى قست واخذ لنا منه وسعنا من الالطاف حتى مادت كل الامري وقرئ قسية وهي اما مبالغة
قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اي ردي اذا كان مغشوشا له يبس وخشونة وقرئ
بكسر القاف اتباعا لها بالسين يحرفون الكلم عن مواضعه استئناف لبيان مرتبة قسوة
قلوبهم فانه لا مرتبة اعظم مما يصح الاجتراء على تغيير كلام الله عز وجل والافتراء عليه وصيغة
المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقيل حال من مفعول لعناهم ونسوا حظا اي
تركوا نصيبا وافرا مما ذكروا به من التوراة او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل حرفوا
التوراة وزلت اشياء منها من حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم
بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم اي خيانة على انها مصدر كالعافية
والكاذبة او فعلة خائنة اي ذات خيانة او طائفة خائنة او شخص خائن على ان التاء للمبالغة
ونفس خائنة ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة لخائنة خلا ان من على الوجهين الاولين ابتدائية اي
على خائنة او على فعلة خائنة منهم صادرة عنهم وعلى الوجوه الباقية تبعيضية والمعنى ان الغدر
والخيانة عادة مستمرة لهم ولاسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها او يكتمونها فلا تزال ترى ذلك
منهم الا قليلا منهم استثناء من الضمير المجرور في منهم على الوجوه كلها وقيل من خائنة على الوجه
الاول وقيل من خائنة على الوجوه الثلاثة الاخيرة والمراد بهم الذين امنوا منهم كعبد الله بن
سلام واضرابه وقيل من خائنة على الوجه الثاني فالمراد بالقليل الفعل القليل من ابنائه
اي الا فعلا قليلا كائنا منهم فاعف عنهم واصفح اي ان تابوا وامنوا او عاهدوا والتزموا
الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر وحث على الامتثال به وتنبيه
على ان العفو على الاطلاق من باب الاحسان ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم

بيان

بيانا لقبائح النصارى وجناياتهم اثر بيان قبائح اليهود وجناياتهم ومن متعلقة باخذنا والتقدير
واخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم فتقديم الجار والمجرور للاهتمام به لان ذكر
حال احدى الطائفتين مما يوقع في ذهن السامع ان حال الاخرى ماذا فكانه قيل ومن الطائفة
الاخرى ايضا اخذنا ميثاقهم وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع خبرا لمبتدأ محذوف قامت صفته
او صلته مقامه اي ومنهم قوم اخذنا ميثاقهم او من اخذنا ميثاقهم فضمير ميثاقهم راجع
الى الموصوف المقدر واما في الوجه الاول فراجع الى الموصول وقيل راجع الى بني اسرائيل
اي اخذنا من هؤلاء مثل ميثاق اولئك اي مثل ميثاقهم من الايمان بالله والرسل وما يتفرع على
ذلك من افعال الخير وانما نسب تسميتهم نصارى الى انفسهم دون ان يقال ومن النصارى ايذانا
بانهم في قولهم نحن نصارى بمعزل من الصدق وانما هو تقول محض منهم وليسوا من نصرة الله تعالى
في شيء او اظهارا لكمال سوء صنيعهم ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم فان ادعاءهم لنصرته تعالى
يستدعي ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه فنسوا عقيب اخذ الميثاق من غير تلعثم حظا
وافرا مما ذكروا به في تضاعيف الميثاق من الايمان بالله تعالى وغيره من الاحكام
وقيل هو ما كتب عليهم في الانجيل من ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فنسوه ونبذوه وراء
ظهورهم واتبعوا اهواءهم فاختلفوا وتفرقوا نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان
فاغرينا اي الزمنا والصقنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء
وقوله تعالى بينهم اما ظرف لاغرينا او متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي اغرينا العداوة
والبغضاء كائنة بينهم ولا سبيل الى جعله ظرفا لهما لان المصدر لا يعمل فيما قبله وقوله تعالى الى
يوم القيامة اما غاية للاغراء او للعداوة والبغضاء اي يتعادون ويتباغضون الى يوم القيامة
حسبما تقتضيه اهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزائغة المؤدية الى الفرق الثلاث وضمير بينهم
لهم خاصة وقيل لهم ولليهود اي اغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى
وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده
ساخبرك بما فعلت اي يجازيهم باعمالهم على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا
به وسوف لتأكيد الوعيد والالتفات الى ذكر الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة
لتشديد الوعيد والتعبير عن العمل بالصنع للايذان برسوخهم في ذلك وعن المجازاة بالتنبئة
للتنبيه على انهم لا يعلمون حقيقة ما يعملونه من الاعمال السيئة واستتباعها للعذاب فيكون
ترتيب العذاب عليها في افادة العلم بحقيقتها بمنزلة الاخبار بها يا اهل الكتاب
التفات الى خطاب الفريقين على ان الكتاب جنس شامل للتوراة والانجيل اثر بيان احوالهما من
الخيانة وغيرها من فنون القبائح ودعوة لهم الى الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم
والقرآن وايرادهم بعنوان اهلية الكتاب لانطواء الكلام المصدر به على ما يتعلق بالكتاب
وللمبالغة في التشنيع فان اهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان ما
فيه من الاحكام وقد فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوا وهم يعلمون قد جاءكم رسولنا
الاضافة للتشريف وللايذان بوجوب اتباعه وقوله تعالى يبين لكم حال من رسولنا
وايثار الجملة الفعلية على مفردها للدلالة على تجدد البيان اي قد جاءكم رسولنا حال كونه مبينا

ذكر في المتدرج حسبما تقتضيه المصلحة **يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب** اي التوراة والانجيل كنعت
محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم في التوراة وبشارة عيسى باحمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل
وتاخيره كثيرا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة
والتشويق الى المؤخر لما ان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما عند الاشعار بكونه من منافع المخاطب
تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها اذا ورد فضل تمكن ولان في المؤخر نوع تفصيل ربما
يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان مما يتعلق بمحذوف هو حال من العائد المحذوف والجمع
بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم على الكتم والاخفاء اي يبين لكم كثيرا من الذي
تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب الذي انتم اهله والمتمسكون به **ويعفو عن كثير**
اي ولا يظهر كثيرا مما تخفونه اذا لم تدع اليه داعية دينية صيانة لكم من زيادة الافتضاح
كما يفصح عنه التعبير عن عدم الاظهار بالعفو وفيه حث لهم على عدم الاخفاء ترغيبا وترهيبا
والجملة معطوفة على الجملة الحالية داخلة في حكمها وقيل يعفو عن ذنب منكم • وقوله تعالى
قد جاءكم من الله نور جملة مستانفة مسوقة لبيان ان فائدة مجيء الرسول ليست منحصرة فيما ذكر من
بيان ما كانوا يخفونه بل له منافع لا تحصى ومن الله متعلق بجاء ومن لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف
وقع حالا من نور واياما كان فهو تصريح بما اشعر به اضافة الرسول اليه من مجيئه من جنابه عز وجل وتقديم
الجار والمجرور على الفاعل للمسارعة الى البيان كون المجيء من جهته عز وجل الى الغاية والتشويق الى الجائي
ولان فيه نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم • كما في قوله تعالى وجاءك في هذه الحق
وموعظة وذكرى للمؤمنين • وتنوين نور للتفخيم • والمراد به وبقوله **وكتاب مبين** القرآن
لما فيه من كشف ظلمات الشرك والشك والابانة ما خفي على الناس من الحق والاعجاز البين والعطف
لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات • وقيل المراد بالاول هو الرسول صلى الله عليه
وسلم وبالثاني القرآن **يهدي به الله** توحيد الضمير المجرور لاتحاد المرجع بالذات او لكونهما في حكم
الواحد او اريد يهتدي بما ذكر وتقديم الجار والمجرور للاهتمام واظهار الجلالة لاظهار
كمال الاعتناء بامر الهداية ومحل الجملة الرفع على انها صفة ثانية لكتاب او النصب على انه حال منه لتخصيصه
بالصفة **من اتبع رضوانه** اي رضاه بالايمان به ومن موصولة او موصوفة **سبل السلام** اي
طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب او سبل الله تعالى وهي شريعته التي شرعها للناس
وقيل هو مفعول ثان ليهدي والحق ان انتصابه بنزع الخافض على طريقة قوله تعالى واختار موسى
قومه سبعين رجلا وانما يتعدى الى الثاني بالى وباللام كما في قوله تعالى ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم **ويخرجهم** الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى **من الظلمات** اي ظلمات
فنون الكفر والضلال **الى النور** الى الايمان **باذنه** اي بتيسيره او بارادته **ويهديهم الى صراط
مستقيم** هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤد اليه لا محالة وهذه الهداية عين الهداية الى سبل السلام
وانما عطف عليها تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي • كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا
نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ **لقد كفر الذين قالوا ان
الله هو المسيح ابن مريم** اي لا غيره قال الكرمي هذا التعوي وقيل هم اليعقوبية القائلون بانه تعالى
قد يحل في بدن انسان معين او في روحه وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن حيث اعتقدوا ما اقتضاه

بصفات

بصفات الله الخاصة وقد اعترفوا بان الله تعالى موجود فلزمهم القول بانه المسيح لا غيره •
وقيل لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا الله تعالى موجود واحد لزمهم ان يكون هو
المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم **قل** اي تبكيتا لهم
واظهارا لبطلان قولهم الفاسد والقاما لهم الحجر الى ثاني قوله تعالى **فمن يملك من الله شيئا**
الفاء فصيحة ومن استفهامية للانكار والتوبيخ والملك الضبط والحفظ التام عن حزم ومن
متعلقة به على حذف المضاف اي ان كان الامر كما تزعمون فمن يمنع من قدرته تعالى وارادته
شيئا وحقيقته فمن يستطيع ان يملك شيئا منها **ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في
الارض جميعا** ومن حق من يكون الها ان لا يتعلق به ولا بشان من شؤونه بل بشيء من الموجودات قدرة
غيره بوجه من الوجوه فضلا عن ان يعجز عن دفع شيء منها عند تعلقها بهلاكه فلما كان عجزه بينا
لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل مما تقولون في حقه والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام مطلقا
لا بطريق السخط والغضب واظهار المسيح على الوجه الذي نسبوا اليه الالوهية في مقام
الاضمار لزيادة التقرير والتنصيص على انه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قهره وملكوته
ونفي المالكية المذكورة بالاستفهام الانكاري مع اختصاص تحقق الالزام والتبكيت بتنبيها ان
المسيح منفصل بان يقال فمن يملك من الله شيئا ان اراد الى اخره لتحقيق الحق بنفي الالوهية عن كل ما سواه
سبحانه واثبات المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني فان انتفاء المالكية المستلزم لاستحالة
الالوهية متى ظهر بالنسبة الى المسيح على ابلغ وجه واكد فظهر استحالة الالوهية قطعا
وتعميم ارادة الاهلاك للكل مع حصول ما ذكر من تحقيق قصر الغلبة بان يقال فمن يملك من
الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح لتهويل الخطب واظهار كمال العجز ببيان ان الكل تحت قهره
وملكوته تعالى لا يقدر احد على دفع ما اريد به فضلا عن دفع ما اريد بغيره والايذان
بان المسيح اسوة بسائر المخلوقات في كونه عرضة للهلاك كما انه اسوة لهم فيما ذكر من العجز وعدم
استحقاق الالوهية وتخصيص امه بالذكر مع اندراجها في ضمن من في الارض لزيادة تاكيد
عجز المسيح لعل نظمها في سلك من فرض ارادة اهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك لتاكيد
التبكيت ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا وقد اهلك امه فهل
احد فكك الخالص عنها بين الموجودين • وقوله **ولله ملك السموات والارض وما بينهما**
اي ما بين قطري العالم الجسماني لا بين وجه الارض ومقعر فلك القمر فقط فيتناول ما في
السموات من الملائكة وما في اعماق الارض والهواء من المخلوقات تنصيص على كون الكل تحت
قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة الى كون البعض اي من في الارض كذلك اي له تعالى وحده
جميع الموجودات والتصرف المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة لا لاحد سواه
ولا اشتراكا وهو تحقيق لاختصاص الالوهية به تعالى اثر بيان انتفائها عن كل ما سواه • وقوله
تعالى **يخلق ما يشاء** جملة مستانفة مسوقة لبيان بعض احكام الملك والالوهية على وجه يزيح
ما اعتراهم من الشبهة في امر المسيح لولادته من غير اب وخلق الطير واحياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص اي يخلق ما يشاء من انواع الخلق والايجاد على ان ما نكرة موصوفة كلها النفيد
على المعتدة ربية لا على المعقولية • كانه قيل يخلق اي خلق يشاء فتارة يخلق من غير اصل كخلق

السموات والارض واخرى من اصل كخلق ما بينهما فينشي من اصل ليس من جنسه كخلق ادم وكثير من الحيوانات
ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حوى او انثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام او منهما كخلق سائر
الناس ويخلق بلا توسط شي من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق اخر كخلق الطير على يد
عيسى عليه السلام معجزة له واحيا الموتى وابرا الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب كله اليه تعالى
لا الى من اجرى ذلك على يده والله على كل شي قدير اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والاظهار في
الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة وقالت اليهود والنصارى نحن ابنا الله واحباؤه
حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ما ذكر ما صدر عن
احدهما وبيان بطلانه اي قالت اليهود نحن اشياع ابنه عزير وقالت النصارى نحن اشياع ابنه
المسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله ابن الزبير الخبيبون كما تقول اقارب الملوك عند
المفاخرة نحن الملوك وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود
الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا به ونحن ابنا الله واحباؤه وقيل
ان النصارى يتلون في الانجيل ان المسيح قال لهم اني ذاهب الى ابي وابيكم وقيل ارادوا ان
الله تعالى كالاب لنا في الحنو والعطف ونحن كالابناء له في القرب والمنزلة وبالجملة انهم كانوا يدعون
ان لهم فضلا ومزية عند الله تعالى على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم قل اي الزاما لهم وتبكيتا فلم يعذبكم بذنوبكم اي ان صح ما زعمتم فلاي شي يعذبكم في
الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانه تعالى سيعذبكم في الاخرة بالنار اياما معدودة
ايام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع وقوله
تعالى بل انتم بشر عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي لستم كذلك بل انتم بشر ممن خلق اي
من جنس من خلقه الله تعالى من غير مزية لكم عليهم يغفر لمن يشا ان يغفر له من اولئك المخلوقين
وهم الذين امنوا بالله تعالى وبرسله مثلكم ويعذب من يشا ان يعذبه منهم وهم الذين كفروا
به وبرسله مثلكم ولله ملك السموات والارض وما بينهما من الموجودات لا ينتمي اليه سبحانه
شي منها الا بالمملوكية والعبودية والمقهورية تحت ملكوته يتصرف فيهم كيف يشا ايجادا واعداما
احياء واماتة واثابة وتعذيبا فاني لهم ادعا ما زعموا واليه المصير في الاخرة خاصة
لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازي كلا من المحسن والمسي بما يستدعيه عمله من غير صارف
يثنيه ولا عاطف يلويه يا اهل الكتاب تكرير للخطاب بطريق الالتفات ولطف في الدعوة
قد جاكم رسولنا يبين لكم حال من رسولنا وايثاره على مبينا لما مر فاسبقي لن يبين لكم الشرائع والاحكام
الدينية المقرونة بالوعد والوعيد ومن جملتها ما بين في الاية السابقة من بطلان ما قالوا وما وصفهم
الشنعاء وما سيأتي من اخبار الامم الخالية وانما حذف تعويلا على ظهور ان مجي الرسل انما هو لذلك
او ينزل منزلة اللازم اي يبذل لكم البيان ويبينه لكم في كل ما تحتاجون فيه الى البيان من امور الدين واما تقدير مثل
ما سبق في قوله تعالى كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كما قيل فمع كونه تكريرا من غير فائدة يرده
قوله عز وجل على فترة من الرسل فان فترة الرسل انما تحوج الى بيان الشرائع
والاحكام لا الى بيان ما كتموه وعلى فترة متعلق بجاكم على الظرفية كما في قوله عز وجل واتبعوا ما تتلو
الشياطين على ملك سليمان اي جاكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي ومزيد احتياج

اي

الى بيان الشرائع والاحكام او بمحذوف وقع حالا من ضمير يبين لكم اي يبين لكم ما ذكر
حال كونه على فترة من الرسل اي حال كونكم عليها احوج ما كنتم الى البيان ومن الرسل متعلق
بمحذوف وقع صفة لفترة اي كائنة من الرسل مبتدئة من جهتهم وقوله تعالى ان تقولوا
تعليل لمجي الرسول بالبيان على حذف المضاف اي كراهة ان تقولوا معتذرين عن تفريطكم
في مراعاة احكام الدين ما جانا من بشير ولا نذير وقد انطمست اثار الشرائع السابقة وانقطعت
اخبارها وزيادة من في الفاعل للمبالغة في النفي وتنكيرهما للتقليل ومعلوم ان الكل
منفي ينبغي ان المنفي هو المبعوث بالشرائع والاحكام لا كيف ما كان ما ذكر
من الوعد والوعيد وقوله تعالى فقد جاكم بشير ونذير متعلق بمحذوف ينبي عنه الفا الفصيحة
ويبين انه معلل به وتنوين بشير ونذير للتفخيم اي لا تعتذروا بذلك فقد جاكم بشير اي
بشير ونذير اي نذير والله على كل شي قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى
وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال بعد الفترة
كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام حيث كان بينهما ستمائة سنة او خمسمائة وتسع
وستون سنة او خمسمائة وست واربعون سنة واربعة انبياء على ما روى الكلبي ثلاثة
من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وقيل لم يكن بعد عيسى الا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بما في تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بان
الرسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم اليه بسبب مضي دهر طويل بعد انقطاع الوحي
ليعدوا البعثة ويعدوها اعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا
بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم واذ قال موسى لقومه كلام مستانف مسوق لبيان ما
فعلت بنو اسرائيل بعد اخذ الميثاق منهم وتفصيل كيفية نقضهم له وتعلقه بما قبله من
حيث ان ما ذكر فيه من الامور التي وصف النبي صلى الله عليه وسلم ببيانها ومن انشائه على اشتمالها
فترة الرسل فتبينهم واذ نصب على انه مفعول لفعل مضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن اهل الكتاب ليعدد ما صدر عنهم من تفصيلهم من الجنايات
اي واذكر لهم وقت قول موسى لقومه ناصحا لهم ومستميلا لهم باضافتهم اليه يا قوم اذكروا
نعمة الله عليكم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها
المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع
فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها وقع فيه تفصيلا فاذا استحضر كان ما وقع
فيه حاضرا بتفاصيله كانه مشاهد عيانا وعليكم متعلق بنفس النعمة اذا جعلت مصدرا او بمحذوف
وقع حالا منها اذا جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم ولذا
اذ في قوله تعالى اذ جعل فيكم انبيا اي اذكروا انعامه تعالى عليكم في وقت جعله اي
واذكروا نعمته تعالى كائنة عليكم في وقت جعله فيما بينكم من اقربائكم انبياء ذوي
عدد كثير واولي شان خطير حيث لم يبعث في امة من الامم ما بعث في بني اسرائيل من الانبيا
وجعلكم ملوكا عطف على جعل فيكم اي جعل منكم او فيكم ملوكا كثيرة فانه قد تكاثر فيهم الملوك
تكاثر الانبيا وانما حذف الظرف تعويلا على ظهور الامر وجعل الكل في مقام الامتنان

مكنهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يقولون عند المفاخرة نحن الملوك وانما لم يسلك به
المسلك فيما قبله لما ان منصب النبوة من عظم الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال ليس
بحيث يليق ان ينسب اليه الا من اصطفاه الله له وقيل كانوا مملوكين في ايدي
القبط فانقذهم الله فسمي انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل
من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق وآتاكم ما لم يؤت احدا من
العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك
مما آتاهم الله تعالى من الامور العظام والمراد بالعالمين الامم الخالية الى زمانهم وقيل
من عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة كرر النداء بالاضافة التشريفية اهتماما
بشان الامر ومبالغة في حثهم على الامتثال به والارض هي ارض بيت المقدس سميت بذلك
لانها كانت قرار الانبيا ومسكن المومنين وقيل هي الطور وما حوله وقيل دمشق
وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي الشام التي كتب الله لكم اي كتب في اللوح انها تكون
مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم وقوله تعالى
ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فان ترتيب الخيبة والخسران على الارتداد يدل
على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على الايمان والطاعة قطعا اي لا ترجعوا مدبرين
خوفا من الجبابرة والجار والمجرور متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ترتدوا ويجوز ان
يتعلق بنفس الفعل قيل لما سمعوا احوالهم من النقبا بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل
لنا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى فتنقلبوا
اما مجزوم عطفا على ترتدوا او منصوب على جواب النهي والخسران خسران الدين والدنيا لاسيما
دخول ما كتب لهم قالوا استيناف مبني على سوال نشا من سياق الكلام كانه قيل فماذا قالوا مقابلة
امره عليه السلام ونهيه فقيل قالوا غير ممتثلين بذلك يا موسى ان فيها قوما جبارين
متغلبين لا تتاتى منازعتهم ولا يتسنى مناصبتهم والجبار العاتي الذي يجبر الناس ويقسرهم
كائنا من كان على ما يريده كائنا ما كان فعال من جبره على الامر اي اجبره عليه وانا لن ندخلها
حتى يخرجوا منها من غير صنع من قبلنا وانه لا طاقة لنا باخراجهم منها فان يخرجوا منها
بسبب من الاسباب التي لا تعلق لنا بها فانا داخلون حينئذ اتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها
مفهوما مما سبق بحيث توقيت عدم الدخول بخروجهم منها تصريحا بالمقصود وتنصيصا على ان امتناعهم
من دخولها ليس الا لمكانهم فيها واتوا في الجزاء بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التحقيق دلالة
على تقرر الدخول وثباته عند تحقق الشرط لا محالة واظهارا لكمال الرغبة فيه وبالامتثال
بالامر قال رجلان استيناف كما سبق كانه قيل فهل اتفقوا على ذلك او خالفهم البعض
فقيل قال رجلان من الذين يخافون اي يخافون الله تعالى دون العدو ويتقونه في
مخالفة امره ونهيه وبه قرا ابن مسعود رضي الله عنه وفيه تعريض بان من عداهما
لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو وقيل من الذين يخافون العدو اي منهم في النسب
لا في الخوف وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا من النقبا وقيل هما رجلان من الجبابرة
اسلما وصارا الى موسى عليه السلام قالوا وحسد بني اسرائيل الموصول عبارة عن

الجبابرة

الجبابرة والضمير في يخافون والعائد المحذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويعضده قراءة من
قرا يخافون من الله تعالى بالتقوى او بخوفهم لو عبد انعم الله عليهما اي بالتثبيت وربط الجاش
والوثوق بوعده تعالى والثقة بوعده او بالايمان وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض
وقيل حال من الضمير في يخافون او من رجلان لتخصصه بالصفة اي قالا مخاطبين لهم
ومشجعين ادخلوا عليهم الباب اي باب بلدهم وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به
لان المقصود انما هو دخول الباب وهم في بلدهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق
وامنعوهم من البروز الى الصحرا لئلا يجدوا للحرب مجالا فاذا دخلتموه اي باب بلدهم
وهم فيه فانكم غالبون من غير حاجة الى القتال فانا قد رايناهم وشاهدنا ان قلوبهم
ضعيفة وان كانت اجسادهم عظيمة فلا تخشوهم واهجموا عليهم في المضايق فانهم لا يقدرون
فيها على الكر والفر وقيل انما حكما بالغلبة لما علماها من جهة موسى عليه السلام ومن قوله
تعالى كتب الله لكم اي لما علما من سنته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه تعالى
لموسى عليه السلام من قهر اعدائه والاول انسب بتعليق الغلبة بالدخول وعلى الله تعالى
خاصة فتوكلوا بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانها بمعزل من التاثير وانما التاثير
من عند الله العزيز الحكيم ان كنتم مومنين اي مومنين به تعالى مصدقين بوعده فان ذلك
مما يوجب التوكل عليه حتما قالوا استيناف كما سبق اي قالوا غير مبالين بهما وبمقالتهما مخاطبين لموسى
عليه السلام اظهارا لاصرارهم على القول الاول وتصريحا بمخالفتهم له عليه السلام يا موسى انا
لن ندخلها اي ارض الجبابرة فضلا عن دخولهم باب بلدهم ابدا اي دهرا طويلا
ما داموا فيها اي في ارضهم وهو بدل من ابدا بدل البعض او عطف بيان فاذهب انت
اي فاذا كان الامر كذلك فاذهب انت وربك فقاتلا اي فقاتلاهم وانما قالوا ذلك استهانة
واستهزاء به سبحانه وبرسوله وعدم مبالاة بهما وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبئ عنه غاية
جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل ان اذهبا اي اريدا وقصدا كما تقول كلمته فذهب يجيبني
كانهم قالوا اريدا قتالهم واقصدا ايهم وقيل التقدير فاذهب انت وربك يعينك ولا
يساعده قوله تعالى فقاتلا ولعلهم لم يذكروا هارون ولا الرجلين كانهم لم يجزموا بذهابهم
او لم يعبؤوا بقتالهم وقوله تعالى انا هاهنا قاعدون يريد الوجه الاول وارادوا بذلك
عدم التقدم لا عدم التاخر قال عليه السلام لما رأى منهم ما رأى من العناد على طريقة
البث والحزن والشكوى الى الله تعالى مع رقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل
النصر رب اني لا املك الا نفسي واخي عطف على نفسي وقيل على الضمير في اني على معنى
اني لا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه وقيل على الضمير في لا املك للفصل
فافرق بيننا يريد نفسه واخاه والفاء لترتيب الفرق او الدعاء به على ما قبله وبين
القوم الفاسقين الخارجين عن طاعتك المصرين على عصيانك بان تحكم لنا بما نستحقه
وعليهم بما يستحقونه وقيل بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها اي
الارض المقدسة والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الدعاء محرمة عليهم تحريم
منع لا تحريم تعبد ولا يدخلونها ولا يملكونها لان كتابتها لهم كانت مشروطة بالايمان

والجبابرة وحيث نكصوا على ادبارهم وحرموا ذلك وانقلبوا خاسرين. وقوله تعالى اربعين
سنة ان جعل ظرفا لمحرمة يكون التحريم موقتا لا مؤبدا فلا يكون مخالفا لظاهر قوله
تعالى كتب الله لكم والمراد بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم في هذه المدة لكن لا بمعنى
ان كلهم يدخلونها بعده بل بعضهم ممن بقي حسبما روي ان موسى عليه السلام سار بمن
بقي من بني اسرائيل الى اريحا وكان يوشع بن نون على مقدمته ففتحها واقام بها ما شاء
الله تعالى ثم قبض عليه السلام وقيل لم يدخلها احد ممن قال لن ندخلها ابدا ما داموا
فيها وانما دخلها مع موسى عليه السلام اولاد ذراريهم فالموقت بالاربعين في الحقيقة
تحريمها لاولاد ذراريهم وانما جعل مضافا اليهم لما بينهما من العلاقة التامة المناجية للاتحاد
وقوله تعالى يتيهون في الارض اي يتحيرون في البرية استئناف لبيان كيفية حرمانهم
او حال من ضمير عليهم وقيل الظرف متعلق بيتيهون فيكون التيه موقتا والتحريم مطلقا
قيل كانوا ستمائة الف مقاتل وكان طول البرية تسعين فرسخا وقد تاهوا في ستة فراسخ
او تسعة في ثلاثين فرسخا وقيل في ستة فراسخ في اثني عشر فرسخا وروي انهم كانوا كل
يوم يسيرون جادين حتى اذا امسوا اذا هم بحيث ارتحلوا وكان الغمام يظلهم من حر الشمس
ويطلع بالليل عمود من نور يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا
ولد لهم مولود. وقيل كان موسى وهارون معهم لكن كان ذلك لهما روحا وسلامة
كالنار لابراهيم وملائكة العذاب. وروي ان هارون مات في التيه وموسى
مات بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ولا يساعده ظاهر النظم
الكريم فانه تعالى بعدما قبل دعوته على بني اسرائيل وعذبهم بالتيه يبعد ان يبقى بعض المدة
عليهما او يزاد في زمرتهما ولئن دوفاتهما في محل العقوبة ظاهرا ان ذلك لهما نزول روح وراحة
وقد قيل انهما لم يكونا معهم في التيه وهو الانسب بتسبب الفرق بالمباعدة ومن
قال بانهما كانا معهم فيه فقد فسر الفرق بما ذكر من الحكم وبما يستحقه كل فريق فلا تأس
فلا تحزن على القوم الفاسقين روي انه صلى الله عليه وسلم ندم على دعائه عليهم فقيل
لا تندم ولا تحزن عليهم فانهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم عطف على مضمر تعلق به
قوله تعالى واذ قال موسى الى آخره وتعلقه به من حيث انه تمهيد لما يأتي من جنايات
بني اسرائيل بعدما كتب عليهم ما كتب وجاءتهم الرسل بالآيات من البينات نبأ ابني آدم
هابيل وقابيل ونقل عن الحسن والضحاك انهما رجلان من بني اسرائيل بعدما كتب
عليهم ما كتب بعرشه آخر القصة وليس كذلك اوحى الله عز وجل الى آدم ان يزوج
كلا منهما توأمة الآخر وكان توأمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد اخاه وسخط وزعم
ان ذلك ليس من عند الله تعالى بل من جهة آدم عليه السلام فقال لهما آدم عليه السلام
قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبلت قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته ولم
تتعرض لقربان قابيل فازداد قابيل حسدا وسخطا وفعل ما فعل بالحق متعلق بمحذوف وقع
صفة لمصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او حالا من فاعل اتل او من مفعوله
او ملتبسا انا وتلاوتنا بالحق والصدق حسبما تقرر في كتب الاولين اذ قربا قربانا

منصوب بالنبأ فالعامل فيه النبأ اي اتل عليهم نبأهما الواقع في ذلك الوقت وقيل بدل منه على حذف المضاف
اي اتل عليهم نبأ ذلك الوقت ورد عليهم بان اذ لا يضاف اليها غير الزمان كوقت وحين
والقربان اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من نسيكة او صدقة كالحلوان لما يحلى اي يعطى
وتوحيده لما انه في الاصل مصدر وقيل تقديره اذ قرب كل منهما قربانا فتقبل من
احدهما هو هابيل قيل كان صاحب ضرع وقرب اسمن ما عنده من الغنم فلم يتقبل من الآخر
امثاله قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سياق الكلام كأنه قيل فماذا قال من لم يتقبل
قربانه فقيل قال لاخيه لتضاعف سخطه وحسده لما ظهر فضله عليه عند الله عز وجل
لاقتلنك اي والله لاقتلنك بالنون المشددة وقرئ بالمخففة قال استئناف كما سبق
اي قال الذي تقبل قربانه لما ان اي الحسد لقبول قربانه وعدم قبول قربانه نفسه
انما يتقبل الله اي القربان من المتقين لا من غيرهم وانما تقبل قرباني ورد قربانك لما فيك
من التقوى وعدمها اي انما اتيت من قبل نفسك لا من قبلي فلم تقتلني خلا ان الله لم يصرح
بذلك بل سلك مسلك التعريض حذرا من تهييج غضبه وحملا له على التقوى والاقلاع عما نواه
ولذلك اسند الفعل الى الاسم الجليل لتربية المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يتضمن تسكين
غيظه لو كان له عقل وازع حيث قال بطريق التوكيد لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا
بباسط يدي اليك لاقتلك حيث صدر الشرطية باللام الموطئة للقسم وقدم الجار والمجرور
على المفعول الصريح ايذانا من اول الامر برجوع ضرر البسط وعائدته اليه ولم يجعل جواب
القسم المضمر جواب الشرط جملة فعلية موافقة لما في الشرط بل اسمية مصدرة بما الحجازية
المفيدة لتأكيد النفي بما في حيزها من الباء المؤكدة للمبالغة في اظهار براءته عن بسط اليد ببيان
استمراره على نفي البسط كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين. وقوله تعالى وما هم بخارجين منها
فان الجملة الاسمية الايجابية كما تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية تدل
بمعونته على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار
النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد بالدوام فيرفع قيده اي والله لئن باشرت قتلي حسبما
اوعدتني به وتحقق ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك في وقت من الاوقات ثم علل ذلك بقوله
اني اخاف الله رب العالمين وفيه من ارشاد قابيل الى خشية الله تعالى على ابلغ وجه
واكده ما لا يخفى. كأنه قال اني اخافه تعالى ان بسطت يدي اليك لاقتلك ان يعاقبني وان
كان ذلك مني لدفع عداوتك عني فما ظنك بحالك وانت البادي العادي وفي وصفه تعالى بربوبية
العالمين تأكيد للخوف. وقيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج من قتله واستسلم خوفا
من الله تعالى لان القتل للدفع لم يكن مباحا حينئذ وقيل تحريا لما هو الافضل حسبما
قال صلى الله عليه وسلم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ويأباه التعليل
بخوفه تعالى الا ان يدعى ان ترك الاولى عنده بمنزلة المعصية في استتباع الغائلة مبالغة
في التنزه. وقوله تعالى اني اريد ان تبوء باثمي واثمك تعليل آخر لامتناعه عن المبادرة
على انه غرض متأخر عنه كما ان الاول باعث متقدم عليه وانما لم يعطف عليه تنبيها
على كفاية كل منهما في العلية والمعنى اني اريد باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك ان

ترجع بانجي اي مثل اثمك لو قتلتني ومثل اثمك لا قتلك وبايثك بسط يدك الي كما في قوله
صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم اي على البادي عين
اثم سبه ومثل اثم صاحبه بحكم كونه سببا له وقيل معنى بانجي اي اثم قتلي ومعنى باثمك
اثمك الذي لاجله لم يتقبل قربانك وكلاهما نصب على الحالية اي ترجع ملتبسا بالاثمين
حاملا لهما ولعل مراده بالذات انما هو ملابسة للاثم لا ملابسة اخيه له وقيل المراد
بالاثم عقوبته ولا ريب في جواز ارادة عقوبة العاصي ممن علم انه لا يرعوي عن المعصية
اصلا وبايا قوله عز وعلا فتكون من اصحاب النار فانه لو كان متهما انما يترتب على
رجوعه بالاثمين لا على ارادته بعقوبتهما وحال العقوبة على نوع احتراب على العقوبة
الناريه بقوله تعالى وذلك جزاء الظالمين فانه صريح في ان كونه من اصحاب النار
تمام العقوبة وكمالها والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ولعل سلك في صرفه عما
نواه من الشر كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة والترهيب اخرى فما
اورثه ذلك الا الاصرار على الغي والانهماك في الفساد فطوعت له نفسه قتل اخيه
اي وسعته وسهلته من طاع له المرعى اذا اتسع وترتيب التطويع على ما حكي من مقالاته
ما بيل مع تحققه قبلها ايضا كما يفصح عنه قوله لاقتلنك لما ان بقاء الفعل بعد تقرر
ما يزيله من الدواعي القوية وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه في الحقيقة
امر حادث وصنع جديد كاني قولك وعظته فلم يتعظ وزجرته فلم ينزجر ولان تلك
المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على تردده في قدرته على القتل لما انه
كان اقوى منه وانما حصلت بعد وقوفه على استسلام هابيل وعدم معارضته له والتصريح
باخوته لكمال تقبيح ما سولته نفسه وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل
اخيه كان يدعوه الى الاقدام والنفس تطاوعه وله لزيادة الربط
كقولك حفظت لزيد ماله فقتله قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل له ابليس واخذ
طائرا ووضع راسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر فتعلم منه فرضخ راس هابيل بين حجرين وهو
مستسلم لا يستعصي عليه وقيل اغتاله وهو نائم فكان في موضع المسجد الاعظم
وقيل في جبل ثور وقيل عند عقبة حراء ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع
فحمله في جراب على ظهره اربعين يوما وقيل سنة حتى اروح وعكفت عليه الطيور والسباع
تنتظر متى يرمي به فتاكله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا فبعث الله غرابا يبحث في
الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي ان الله تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما
الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة فالقاه فيها والمستكن في يريه لله تعالى او للغراب واللام
على الاول متعلقة ببعث حتما وعلى الثاني بيبحث ويجوز تعلقها ببعث ايضا وكيف حال من
ضمير يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوءة اخيه جسده الميت قال استئناف
مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل
قال يا ويلتى هي كلمة جزع وتحسر والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري
فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون اي عن ان اكون مثل هذا
الغراب فاواري سوءة اخي تعجب من عدم اهتدائه الى ما اهتدى اليه الغراب وقوله

تعالى فاواري بالعطف على اكون وقرئ بالنصب اي كانا اواري فاصبح من النادمين
اي على قتله لما كابده فيه من التحير في امره وحمله على رقبته مدة طويلة وروي انه لما قتله
اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك
اسود جسدك ومكث آدم بعده مائة سنة لا يضحك وقيل لما قتل قابيل هابيل هرب
الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدمها
ويعبدها فان عبدتها انت ايضا حصل مقصودك فبنى بيت نار فهو اول من عبد النار
من اجل ذلك شروع فيما هو المقصود بتلاوة النبأ من بيان بعض آخر من جنايات بني
اسرائيل ومعاصيهم وذلك اشارة الى عظم شأن القتل وافراط قبحه المفهومين مما ذكر
في تضاعيف القصة من استعظام هابيل له وكمال اجتنابه من مباشرته وان كان ذلك بطريق
الدفع عن نفسه واستسلامه لان يقتله خوفا من عقابه وبيان استتباعه لتحمل القاتل لاثم
المقتول ومن كون قابيل بمباشرته من جملة الخاسرين دينهم ودنياهم ومن ندامته على فعله
مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقساوة القلب والاجل في الاصل مصدر اجل شرا
اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كما في قولهم من جرائك فعلته اي من ان جررته وجنيته
ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل وقرئ من اجل بكسر الهمزة وهي لغة فيه وقرئ من اجل
بحذف الهمزة والقاء فتحتها على النون ومن لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى كتبنا على بني
اسرائيل وتقديمها عليه للقصر اي من اجل ذلك ابتداء الكتب ومنه نشأ لا من شيء آخر اي قضينا
عليهم وبينا انه من قتل نفسا واحدة من النفوس بغير نفس اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص
او فساد في الارض اي فساد يوجب اهدار دمها ومن عطف على ما اضيف اليه غير على معنى نفي كلا
الامرين معا كما في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلاته لا نفي احدهما كما في قولك من صلى
بغير وضوء او ثوب بطلت صلاته ومداره على الاستعمال في اعتبار ورود النفي على ما يستفاد من كلمة او
من الترديد بين الامرين المبني على التخيير والاباحة او اعتبار العكس ومناط الاعتبارين اختلاف
حال ما اضيف اليه غير من الامرين بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقق احدهما واشتراطه بتحققهما
معا ففي الاول يرد النفي على ما يفيده الترديد بين الامرين قبل وروده فيفيد نفيهما معا
وفي الثاني يرد الترديد على النفي فيفيد نفي احدهما اذ ليس معناه ورود النفي ثم ورود الترديد
عكسه وتوضيحه ان كل حكم نيط بتحقق احد شيئين مثلا فنقيضه مشروط بانتفائهما معا
وكل حكم نيط بتحققهما معا فنقيضه مشروط بانتفاء احدهما ضرورة ان نقيض كل شيء مشروط بنقيض
شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب الجزئي كما في الحكم هو السلب الكلي ونقيض الايجاب
الكلي كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب الجزئي فثبت اشتراط نقيض الاول بانتفائهما
معا واشتراط نقيض الثاني بانتفاء احدهما ولما كان الحكم في قولك من صلى بغير وضوء
او تيمم بطلت صلاته مشروطا بنقيض الشرط المذكور اليه وهو انتفاؤهما جميعا لزم
ورود النفي المستفاد من غير على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة او فانتفى تحققهما
معا من وزنه عموم النفي الوارد على المبهم وفي مثل ابدا وربما قالوا انه اذا قيل جالس العلماء او الزهاد
تراد دخل عليه لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو لا تطع منهم آثما او كفورا اذ المعنى لا تفعل احدهما

ما بها تتعلق بقوله احدهما * واما قولك من صلى بوضوء وثوب صحت صلاته بحيث كان الحكم فيه مترتبا
على كلا الامرين كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب تبطل صلاته بتحقق الشرط
المذكور فيهما انتفاء احدهما فيتعين ورود النهي على النفي فاذا احدهما * ولا يخفى ان اباحة
القتل مشروطة باحد ما ذكر من القتل والفساد * ومن ضرورته اشتراط حرمته بانتفائهما
معا فيتعين ورود النفي على الترديد لا محالة * كانه قيل من قتل نفسا بغير احدهما فكانما قتل
الناس جميعا من قال في تفسيره او بغير فساد فقد ابعد عن توجيه النظم الكريم برمته وما في كانما
كافة منية لوقوع الفعل بعدها وجميعا حال من الناس او تاكيد ومناط التشبيه اشتراك
الفعلين في هتك حرمة الدماء والاستعصاء على الله تعالى وتجسير الناس على القتل وفي
استتباع القود واستجلاب غضب الله تعالى والعذاب العظيم ومن احياها اي تسبب لبقاء
نفس واحدة موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد في الارض اما بنهي قاتلها عن قتلها
او استنقاذها من سائر اسباب الهلكة بوجه من الوجوه فكانما احيا الناس جميعا ووجه التشبيه
ظاهر والمقصود تهويل امر القتل وتفخيم شان الاحيا بتصوير كل منهما بصورة لائقة به في
ايجاب الرهبة والرغبة ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشان المنبئ عن كمال شهرته
ونباهته وتبادره الى الاذهان عند ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرير ما بعده في الذهن
فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه
فيتمكن عند وروده فضل تمكن * كانه قيل ان الشان الخطير هذا * ولقد جاءتهم رسلنا
بالبينات جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا ناطقة بالتوكيد القسمي وحرف التحقيق
كمال العناية بتحقق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلنا الخ للتصريح بوصول
الرسالة اليهم فانه ادل على تناهيهم في العتو والمكابرة اي وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما
ارسلناهم بالايات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تاكيدا لوجوب مراعاته وتاكيدا
لتحتم المحافظة عليه ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك اي بعد ما ذكر من الكتب وتاكيد الامر
بارسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد اخرى * ووضع اسم الاشارة موضع الضمير
للايذان بكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة * وما فيه من
معنى البعد للايماء الى علو درجته وبعد منزلته في عظم الشان وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد
في الارض متعلق بقوله تعالى لمسرفون وكذا الظرف المتقدم ولا يقدح فيه توسط لام
الابتداء بينه وبينها لانها لام الابتداء وحقها الدخول على المبتدا وانما دخولها على الخبر
لان فهي في حيزها الاصلي حكما والاسراف في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة
به اي مسرفون في القتل غير مبالين به ولما كان اسرافهم في امر القتل مستلزما لتفريطهم
في شان الاحياء وجودا وعدما وكان من اوقع الامرين وافظعهما اكتفى بذكره في مكان التشنيع
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله كلام مستانف سيق لبيان حكم نوع من انواع القتل
وما يتعلق به من الفساد باخذ المال ونظائره وتعيين موجبه واجلاله ببيان عظم شان القتل
بغير حق وادرج فيه بيان ما اشير اليه اجمالا من الفساد المبيح للقتل فقيل اي يحاربون اولياءهما
وذكره تعالى للتمهيد والتنبيه على رفعة محله عنده عز وجل ومحاربة اهل شريعته

وسالكي طريقته من المسلمين محاربة له صلى الله عليه وسلم فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد اعصاره بطريق
العبارة دون الدلالة والقياس لان ورود النص ليس بطريق خطاب المشافهة حتى يختص حكمه
بالمكلفين عند النزول فيحتاج في تعميمه لغيرهم الى دليل اخر * وقيل جعل محاربة المسلمين
محاربة لله تعالى ولرسوله تعظيما لهم والمعنى يحاربون اولياءهما * واصل الحرب السلب والمراد
ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة بطريق اللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض
عطف على يحاربون والجار متعلق به وقوله تعالى فسادا اما مصدر وقع موقع الحال من فاعل
يسعون او مفسدين او مفعول له او للفساد او مصدر مؤكد ليسعون لانه في معنى يفسدون
على انه مصدر من افسد بحذف الزوائد او اسم مصدر * نزلت الاية في قوم هلال بن عويمر
الاسلمي وكان وادعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن
اتاه من المسلمين فهو امن لا يهاج ومن مر بهلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو امن لا يهاج
فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهدا فشدوا
عليهم فقتلوهم واخذوا اموالهم * وقيل نزلت في العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل
في قوم من اهل الكتاب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا
السبيل وافسدوا في الارض * ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه
شتى من القتل بدون اخذ المال ومن القتل مع اخذه ومن اخذه بدون قتل ومن الاخافة
بدون قتل واخذ شرعت لكل مرتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل
ان يقتلوا اي حدا من غير صلب ان افردوا القتل ولو عفا الاولياء لا يلتفت الى ذلك لانه
حق الشرع ولا فرق بين ان يكون القتل بالة جارحة او لا او يصلبوا اي مع القتل ان
جمعوا بين القتل والاخذ بان يصلبوا احياء وتبعج بطونهم برمح الى ان يموتوا * وفي ظاهر
الرواية ان الامام مخير ان شاء اكتفى بذلك وان شاء قطع ايديهم وارجلهم من خلاف وقتلهم
وصلبهم * وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئ بالتخفيف فيهما او تقطع ايديهم
وارجلهم من خلاف اي ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اقتصروا على اخذ المال من مسلم
او ذمي وكان في المقدار بحيث لو قسم عليهم اصاب كلا منهم عشرة دراهم او ما يساويها
قيمته اما قطع ايديهم فلاخذ المال واما قطع ارجلهم فلاخافة الطريق بتفويت امنه
او ينفوا من الارض ان لم يفعلوا غير الاخافة والسعي للفساد والمراد بالنفي عندنا هو الحبس
فانه نفي عن وجه الارض بدفع شرهم عن اهلها ويعزرون ايضا لمباشرتهم منكر الاخافة وازالة
الامن وعند الشافعي رضي الله عنه النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل
هو النفي عن بلده فقط وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد
الحبشة ذلك اي ما فصل من الاحكام والاجزية وما فيه هو مبتدا وقوله لهم خزي جملة
من خبر مقدم على المبتدا * وقوله تعالى في الدنيا متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي او متعلق بخزي
على الظرفية والجملة في محل الرفع على انه خبر لذلك * وقيل خزي خبر لذلك ولهم متعلق بمحذوف
وقع حالا من خزي لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا وفي الدنيا اما صفة
لخزي او متعلق به على ان الخزي الذل والفضيحة ولهم في الاخرة غير هذا عذاب

فخيم لا يبادر قدره لغاية عظم جناياتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وفي الآخرة
متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب لأنه في الأصل صفة له فلما قدم انتصب حالا أي كائنا في
الآخرة إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله عز
وجل كما ينبئ عنه قوله فاعلموا أن الله غفور رحيم أما ما هو من حقوق الأولياء من القصاص ونحوه
فإليهم ذلك إن شاءوا عفوا وإن أحبوا استوفوا وإنما يسقط بالتوبة وجوب استيفائه لا جوازه ●
وعن علي رضي الله عنه أن الحارث بن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ
عنه العقوبة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله لما ذكر عظم شأن القتل والفساد وبين حكمهما
وأشير في تضاعيف ذلك إلى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته أمر المؤمنين بأن يتقوه تعالى في
كل ما يأتون وما يذرون بترك ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل
والفساد وبفعل الطاعات التي من زمرتها السعي في إحياء النفوس ودفع الفساد والمبادرة
إلى التوبة والاستغفار وابتغوا أي اطلبوا لأنفسكم إليه أي إلى ثوابه والزلفى منه الوسيلة
هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب به إلى الله عز وجل من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل
إلى كذا أي تقرب إليه بشيء وإليه متعلق بها قدم عليها للاهتمام وليست بمصدر حتى لا تعمل
فيما قبلها ولعل المراد بها الاتقاء المأمور به فإنه ملاك الأمر كله كما أشير إليه والذريعة لكل
خير والمنجاة من كل ضير فالجملة حينئذ جارية مما قبلها مجرى البيان والتأكيد أو مطلق الوسيلة
وهو داخل فيها دخولا أوليا ● وقيل الجملة الأولى أمر بترك المعاصي والثانية أمر بفعل الطاعات
وحيث كان في كل من ترك المعاصي المشتهاة للنفس وفعل الطاعات المكروهة لها كلفة ومشقة
عقب الأمر بهما بقوله تعالى وجاهدوا في سبيله محاربة أعدائه البارزة والكامنة لعلكم
تشكرون لعلكم تفلحون بنيل مرضاته والفوز بكرامته إن الذين كفروا كلام مبتدأ
مسوق لتأكيد وجوب الامتثال بالأوامر السابقة وترغيب المؤمنين في المسارعة إلى تحصيل
الوسيلة إليه عز وجل قبل انقضاء أوانه ببيان استحالة توسل الكفار يوم القيامة بأقوى الوسائل
إلى النجاة من العذاب فضلا عن نيل الثواب لو أن لهم أي لكل واحد منهم كما في قوله تعالى ولو أن
لكل نفس ظلمت ما في الأرض إلخ لا لجميعهم إذ ليس في ذلك مزيد مبالغة في تهويل الأمر وتفظيع
الحال ما في الأرض جميعا أي من أصناف أموالها وذخائرها وسائر منافعها قاطبة وما اسم
أن ولهم خبرها ومحلها الرفع بلا خلاف خلا أنه عند سيبويه رفع على الابتداء ولا حاجة فيه إلى
الخبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند إليه وقد اختصت من بين سائر ما يؤول بالاسم
بالوقوع بعد لو وقيل الخبر محذوف بمقدر مقدما أي لو ثابت كون ما في الأرض
لهم ثابت ● وعند المبرد والزجاج والكوفيين رفع بالفاعلية والفعل مقدر بعدها أي لو
ثبت أن لهم ما في الأرض وقوله تعالى جميعا تأكيد للموصول أو حال منه ومثله بالنصب
عطفا عليه ● وقوله تعالى معه ظرف وقع حالا من المعطوف والضمير راجع إلى الموصول
وفائدته التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق المعية لا بطريق التعاقب تحقيقا لكمال فظاعة
الأمر مع ما فيه من نوع إشعار بكونهما شيئا واحدا وتمهيد لإفراد الضمير الراجع إليهما واللام
في قوله تعالى ليفتدوا به متعلقة بما تعلق به خبر أن أعني الاستقرار المقدر في لهم وبه

المقدر

المقدر معنى من غير تقدير في الخبر سواء قدم أو أخر أو بالفعل المقدر بعد لو على رأي المبرد
ومن تابعه ولا ريب في أن مدار الافتداء بهما هو كونهما لهم لا ثبوت كونهما لهم وإن كان
مستلزما له والباء في به متعلقة بالافتداء والضمير راجع إلى الموصول ومثله معا وتوحيده إما
لما أشير إليه وإما لإجرائه مجرى اسم الإشارة فإنه قد يشار به إلى الكثير كما في قوله ●
● كأنه في الجلد توليع البهق ●
أي كأن ذلك ● وقيل الضمير راجع إلى
الموصول والعائد إلى المعطوف أعني مثله محذوف كما حذف الخبر من قيار في قوله ● وإني وقيار
بها لغريب ● أي وقيار بها لغريب ● وقد جوز أن يكون نصب ومثله على أنه مفعول معه ●
ناصبه الفعل المقدر بعد لو تفريعا على مذهب المبرد ومن رأى رأيه ● واستضعف
بأنه يؤدي إلى كون الرافع للفاعل غير الناصب للمفعول معه لأن المعنى على اعتبار المعية
بين ما في الأرض ومثله في الكينونة لهم لا في ثبوت تلك الكينونة وتحققها ولا
مساغ لجعل ناصبه الاستقرار المقدر في لهم لما أن سيبويه قد نص على أن اسم الإشارة
وحرف الجر المتضمن للاستقرار لا يعملان في المفعول معه وأن قوله هذا لك وأباك قبيح
وإن جوزه بعض النحاة في الظرف وحرف الجر وقوله تعالى من عذاب يوم القيامة متعلق
بالافتداء أيضا أي لو أن ما في الأرض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية لأنفسهم من العذاب
الواقع يومئذ ما تقبل منهم ذلك وهو جواب لو وترتيبه على كون ذلك لهم لأجل افتدائهم به
من غير ذكر الافتداء بأن يقال فافتدوا به مع أن الرد إنما يترتب عليه لا على
مباديه للإيذان بأنه أمر محقق الوقوع غني عن الذكر وإنما المحتاج إلى الفرض تقدير كونهم
على ما ذكر وللمبالغة في تحقق الرد وتخييل أنه وقع قبل الافتداء على منهاج ما في قوله تعالى
أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده حيث لم يتعرض لإتيانه به وإراءته
إلى آخره ● وما في قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه وغيره ذكر وجه عليه العلامة ذو اللام
عليهن ورؤيتهن له والجملة الامتناعية في محل الخبر لأن الذين كفروا والمراد تمثيل لزوم العذاب
لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة ● وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يقال للكافر أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد
سئلت أيسر من ذلك ● وهو كلمة الشهادة انتهى ● قوله تعالى ولهم عذاب أليم تصريح بالمقصود
البتة بعد ما تم بقوله قد تم لزيادة تقريره وبيان هوله وشدته وقيل لتحصيل التصريح بالإيلام
وقيل الرفع عطفا على خبر أن ● وقيل عطف على أن الذين فلا محل له كالمعطوف عليه يريدون
أن يخرجوا من النار استئناف مسوق لبيان حالهم في أثناء مكابدة العذاب مبني على سؤال
نشأ مما قبله ● كأنه قيل فكيف يكون حالهم أو ماذا يصنعون فقيل يريدون إلخ وقد بين
في تضاعيفه أن عذابهم عذاب النار ● وقيل إنهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب
النار فيرفعهم إلى فوق فهنالك يريدون الخروج ولات حين مناص ● وقيل يكادون يخرجون
منها لقوة النار وزيادة دفعها إياهم ● وقيل يتمنونه ويريدونه بقلوبهم ● وقوله تعالى وما
هم بخارجين منها إما حال من فاعل يريدون أو اعتراض وأيا ما كان فإيثار الجملة الاسمية على
الفعلية مصدرة بما الحجازية الدالة بما في خبرها من الباء على تأكيد النفي لبيان كمال سوء حالهم

باستمرار عذابهم وحبسهم فيها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت
تفيد السلبية ايضا بمعونته دوام النفي لا نفي الدوام كما في قوله تعالى ما انا بباسط الي
لجزم • وقرئ ان يخرجوا على البناء للمفعول من الاخراج ولهم عذاب مقيم تصريح بابدية العذاب
بعد ترشيحه ببعدية بيان شدته والسارق والسارقة شروع في بيان حكم السرقة
الصغرى بعد بيان احكام الكبرى وقد عرفت اقتضاء الحال لايراد توسط ما بينهما من المقال
ولما كانت السرقة معهودة من النساء كالرجال صرح بالسارقة ايضا مع ان المعهود في الكتاب
والسنة ادراج النساء في الاحكام الواردة في شان الرجال بطريق الدلالة لمزيد الاعتناء
بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتدأ خبره عند سيبويه محذوف تقديره وفيما يتلى
عليكم اي وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وعند المبرد قوله تعالى فاقطعوا
ايديهما وانما دخل الفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ المعنى الذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب
وفضلها سيبويه على قراءة الرفع لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل والسرقة
اخذ مال الغير خفية وانما يوجب القطع اذا كان الاخذ من حرز والماخوذ يساوي عشرة
دراهم فما فوقها مع شروط فصلت في موضعها والمراد بايديهما ايمانهما كما ينطق به قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم ولذلك ساغ وضع الجمع
موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام
الجارحة ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه صلى الله
عليه وسلم اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء نصب على انه مفعول له اي فاقطعوا للجزاء
او مصدر مؤكد لفعله الذي يدل عليه فاقطعوا اي فجازوهما جزاء وقوله تعالى بما كسبا
على الاول متعلق بجزاء وعلى الثاني بفاقطعوا وما مصدرية اي بسبب كسبهما او موصولة اي بسبب
ما كسباه من السرقة التي تباشر بالايدي • وقوله تعالى نكالا مفعول له ايضا على البدلية
من جزاء لانهما من نوع واحد • وقيل القطع معلل بالجزاء والقطع معلل بالنكال • وقيل
منصوب بجزاء على طريقة الاحوال المتداخلة فانه علة للجزاء والجزاء علة للقطع كما اذا قلت ضربته
تاديبا له احسانا اليه فان الضرب معلل بالاحسان وقد اجاز ذلك في قوله تعالى ان
يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ان يكون بغيا مفعولا له
ناصبه ان يكفروا بما انزل الله بغيا ثم قالوا ان قوله تعالى ان ينزل الله مفعول له ناصبه
بغيا على ان التنزيل علة للبغي والبغي علة للكفر • وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف
وقع صفة لنكالا اي نكالا كائنا منه تعالى والله عزيز غالب على امره يمضيه كيف يشاء من غير
ند ينازعه ولا ضد يمانعه حكيم في شرائعه لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة والمصلحة
فلذلك شرع هذه الشرائع المنطوية على فنون الحكم والمصالح فمن تاب اي من السراق
الى الله تعالى من بعد ظلمه الذي هو سرقته والتصريح به مع ان التوبة لا تتصور قبله لبيان
عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته واصلح اي امره بالتفصي عن تبعات ما باشره والعزم على ترك
المعاودة اليها فان الله يتوب عليه اي يقبل توبته فلا يعذبه في الاخرة واما القطع فلا
يسقط بالتوبة عندنا لان فيه حق المسروق منه ويسقط عند الشافعي في احد قوليه

ان

ان الله غفور رحيم اي مبالغ في المغفرة والرحمة ولذلك يقبل توبته وهو تعليل لما قبله
واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم وتاكيد استقلال الجملة وكذا في قوله تعالى
الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض لان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما
والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدأ والجملة خبر لان وهي
مع ما في خبرها ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية
الحكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين • وقيل لكل احد صالح للخطاب
والاستفهام الانكاري لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى على ما
سياتي من التعذيب والمغفرة على ابلغ وجه واتمه اي الم تعلم ان الله له السلطان القاهر
والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما
ايجادا واعداما واحياء واماتة الى غير ذلك حسبما تقتضيه مشيئته يعذب من يشاء ان يعذبه
ويغفر لمن يشاء ان يغفر له من غير ند يساهمه ولا ضد يزاحمه وتقديم التعذيب على المغفرة
لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب والجملة اما تقرير لكون ملكوت السموات والارض له
سبحانه واخبر اخر لان والله على كل شيء قدير فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة والجملة
في موقع التذييل لما مر مقررة لما قبلها يا ايها الرسول لا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر خوطب صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة للتشريف والاشعار بما يوجب
عدم الحزن والمسارعة في الشيء الوقوع فيه بسرعة ورغبة وايثار كلمة في على كلمة الى الواقعة
في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الخ للايذان بانهم مستقرون في الكفر
لا يبرحونه وانما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه واحكامه الى بعض اخر منها كاظهار موالاة
المشركين وابراز اية الكيد للاسلام وغير ذلك • كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات
فانهم مستمرون على الخير مسارعون في فنونه وافراده والتعبير عنهم بالموصول للاشارة بما
في حيز صلته الى علة الحزن ومعناه وان كان بحسب الظاهر نهيا للكفرة عن ان يحزنوه صلى
الله عليه وسلم بمسارعتهم في الكفر لكنه في الحقيقة نهي له صلى الله عليه وسلم عن التاثر من
ذلك والمبالاة بهم على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه
نهي عنه بالطريق البرهاني وقلع له من اصله وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد به
النهي عن السبب • كما في قوله لا ارينك ههنا يريد به نهيه مخاطبه عن الحضور لديه • وقرئ
لا يحزنك من احزنه منقولا من حزن بكسر الزاي وقد يسرعون يقال اسرع فيه الشيء
اي وقع فيه سريعا اي لا تحزن ولا تبال بتهافتهم في الكفر بسرعة • وقوله تعالى من الذين قالوا
امنا بافواههم بيان للمسارعين في الكفر وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يسارعون
وقيل من الموصول اي كائنين من الذين الخ والباء متعلقة بقالوا لا بامنا • وقوله تعالى
ولم تؤمن قلوبهم جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا • وقوله تعالى ومن الذين
هادوا عطف على من الذين قالوا الخ وبه يتم بيان حال المسارعين في الكفر
بتقسيمهم الى قسمي المنافقين واليهود فقوله تعالى سماعون للكذب خبر لمبتدأ محذوف
راجع الى الفريقين او الى المسارعين واما رجوعه الى الذين هادوا فمخل بعموم الوعيد

الاي ومبادئه للكمال فاستحق عليه وكذا الجار في قوله ومن الذين الى اخره خبر اعيال سماعون مبتدا
محذوف اي ومنهم قوم سماعون الخ لادائه الى اختصاص ما عدده من القبائح وما يترتب عليها من الفوايد
الدينية والاخروية بهم فالوجه ما ذكر اولا اي هم سماعون والاظهار التنوية النهاية واما التحقيق للاع
معنى القبول واما لام او المفعول محذوف والمعنى هم مبالغون في سماع الكذب او في قبوله فالمراد به
اخبارهم من الكذب على الله سبحانه وتحريف كتابه او سماعون اخبارك كرواد ليشكر لنكذبوا عليكم
بان يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير او اخبار الناس واقاويلهم الدائرة فيما بينهم
ليكلفوا فيها بان يرجفوا بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم ونحو ذلك مما فيه ضرر بهم وايا ما كان
فالجملة مستانفة جارية مجرى التعليل للنهي فان كونهم سماعين للكذب على الوجوه المذكورة
مما لا احتمال له من الاباطيل والاخف مما يقتضي عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بايمانهم وما
يضمرون للقطع بظهور بطلان اكاذيبهم واضلال ما بنوا عليه من الافاعيل الفاسدة المؤدية
الى الخزي والعذاب مما ساء في وقيل سماعون الكذب بالنصب على الذم وقوله تعالى سماعون
لقوم اخرين خبر ثان للمبتدا المقدر مقرر للاول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجه
الاولين واللام مثلها في سمع الله لمن حمده في الرجوع الى المعنى من اي قبل جماعة منه النبي
مبالغون في ذلك لاجل قوم اخرين واما كونها لام التعليل بمعنى سماعون منه عليه السلام لاجل قوم
اخرين وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه صلى الله عليه وسلم او كونها متعلقة بالكذب على ان
سماعون الثاني مكرر للتاكيد بمعنى سماعون ليكذبوا القوم الاخرين فلا يكاد يساعده النظم الكريم
اصلا وقوله تعالى لم ياتوك صفة اخرى لقوم اي لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا
وافراطا في البغضاء قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة يحرفون الكلم
من بعد مواضعه صفة اخرى لقوم وصفوا ولا يخاطبهم للسامعين تنبيها على استقلالهم واصالتهم
في الراي والتدبير يحرفون حضورهم مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ايذانا بكمال طغيانهم
في الضلال باسمائهم على التحريف بيانا لافراطهم في العتو والمكابرة والاجتراء على الافتراء على
الله عز وجل وتعيينا للكذب الذي سمعه السماعون اي يميلونه ويزيلونه عن مواضعه
بعد ان وضعه الله تعالى فيها اما لفظا باهماله وتغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه
في غير مورده وقيل الجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب ناعية عليهم شنائعهم وقيل
خبر مبتدا محذوف راجع الى القوم وقوله تعالى يقولون كالجملة السابقة في الوجوه المذكورة
ويجوز ان يكون حالا من ضمير يحرفون واما تجويز كونها صفة لسماعون او حالا من الضمير فيه فلا سبيل
اليه اصلا كيف لا وان تقول القول ناطق بان قائله ممن لا يحضر مجلس الرسول صلى الله عليه
وسلم والمخاطب به من يحضره فكيف يمكن ان يقوله السماعون المترددون اليه صلى الله عليه
وسلم لمن لا يحضر حوله عليه السلام وادعاء او ادعاء قول السامعين لاعقابهم المخالطين للمسلمين
تعسف ظاهر مخل بجزالة النظم الكريم والحق الذي لا محيد عنه ان المحرفين والقائلين هم اليهود
الاخرون اي يقولون لاتباعهم السامعين لهم عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة مشيرين الى
كلامهم الباطل ان اوتيتم من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم هذا فخذوه واعملوا بموجبه فانه
الحق وان لم تؤتوه اي بل افتاكم بغيره فاحذروا اي فاحذروا قبوله واياكم واياه وفي ترتيب

الامر

الامر بالحذر في الجزء على ترتيبا الحوف من المبالغة في التحذير ما لا يخفى روي ان شريفا من خيبر
زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم
الى بني قريظة ليسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم
فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان
ياخذوا به فقال جبريل صلى الله عليه وسلم اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له
فقال صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا
نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض بما انزل الله على موسى ابن عمران في التوراة قال فارسلوا
اليه ففعلوا فاتاهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم فقال له صلى
الله عليه وسلم وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال اترضون به حكما قالوا نعم فقال له
صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر وانجاكم واغرق ال فرعون
وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم الطور وانزل عليكم التوراة
فيها حلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم والذي ذكرتني به
لولا خشية ان تحرقني التوراة ان كذبت او غيرت ما اعترفت ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال
صلى الله عليه وسلم اذا شهد اربعة عدول انه ادخل فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب
عليه الرجم قال ابن صوريا والذي انزل التوراة على موسى هكذا انزل الله في التوراة
على موسى فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول
الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون فامر صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند
باب المسجد ومن يرد الله فتنته اي ضلاله او فضيحته كائنا من كان فيندرج فيه المذكورون
اندراجا اوليا وعدم التصريح بكونهم كذلك للايذان بالظهور والاستغناء عن ذكره فلن تملك له
فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها والجملة مستانفة مقررة لما قبلها ومبينة لعدم التعرض لهم
في العتاب المذكور اولئك اشارة الى المذكورين من المنافقين واليهود وما في اسم
الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفساد وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين
لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اي من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم فيها واصرارهم عليها
واعراضهم عن صرف اختيارهم الى تحصيلها الهداية بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة في الكفر
اولا وسوق فنون الكلام ثانيا والجملة استئناف مبين لكون ارادته تعالى لفتنتهم منوطة
بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجبة لها لا واقعة منه تعالى ابتداء لهم في الدنيا خزي اما المنافقون
فخزيهم فضيحتهم وهتك استارهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما خزي اليهود فالذلة والجزية
والافتضاح بظهور كذبهم في كتمان نص التوراة وتنكير خزي للتفخيم وهو مبتدا خبره قوله
تعالى الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم وهو مبتدا او لهم خبره وفي الدنيا متعلق بما تعلق به
الخبر من الاستقرار وكذا الحال في قوله تعالى ولهم في الاخرة اي مع الخزي الدنيوي
عذاب عظيم هو الخلود في النار وضمير لهم في الجملتين للمنافقين واليهود جميعا لا لليهود خاصة
كما قيل وتكرير لهم مع اتحاد المرجع لزيادة التاكيد والتقرير والجملتان استئناف مبني على

سؤال نشأ من تعقيب احوالهم وافعالهم الموجبة للعقاب كأنه قيل فما لهم من العقوبة فقيل لهم في الدنيا
الاية **سماعون للكذب** خبر آخر للمبتدأ المقدر وتأكيد لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله تعالى
اكالون للسحت وهو ايضا خبر آخر للمقدر واورد على طريقة الذم او بناء على ان المراد بالكذب ما
يفتعله الراشون عند الاكالين والسحت بضم السين وسكون الحاء في الاصل كل ما لا يحل
كسبه وقيل هو الحرام مطلقا من سحته اذا استأصله سمي به لانه مسحوت البركة والمراد به ههنا
اما الرشا التي كان ياخذها المحرفون على تحريفهم وسائر احكامهم الزائغة وهو المشهور او ما كان
ياخذه فقراؤهم من اغنيائهم من المال ليقيموا على اليهودية كما قيل واما مطلق الحرام المنتظم لما ذكره
انتظاما اوليا ويقرأ السحت بفتح السين والحاء وبضمهما وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر
السين وسكون الحاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به **فان جاؤك**
لما بين تفاصيل امورهم الواهية واحوالهم المختلة الموجبة لعدم المبالاة بهم وبافاعيلهم حسبما
امر به صلى الله عليه وسلم حيث طيب صلى الله عليه وسلم ببعض ما ينبني عليه من الاحكام بطريق
التفريع والتفصيل وان كان لهم كما شرح فان جاؤك متحاكمين اليك فيما شجر بينهم من
الخصومات **فاحكم بينهم او اعرض عنهم** غير مبال بهم ولا خائف من جهتهم اصلا وهذا تخيير
له صلى الله عليه وسلم بين الامرين فقيل هو في امر خاص هو ما ذكر من زنا المحصن
وقيل في قتيل قتل من اليهود في بني قريظة اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد ونبينا
واحد واذا قتلوا منا قتيلا لم يرضوا بالقود واعطونا سبعين وسقا من تمر وان كان القتيل
امرأة قتلوا واذا قتلنا منهم قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقا من تمر
وان كان القتيل امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد منهم الحر منا
فاقض بيننا فجعل صلى الله عليه وسلم الدية سواء وقيل هو عام في جميع الحكومات ثم اختلفوا فيه
فقيل انه ثابت وهو المروي عن عطاء والنخعي والشعبي وقتادة وابي بكر الاصم وابي مسلم
وقيل انه منسوخ وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة قال ابن عباس لم ينسخ
من المائدة الا آيتان قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله وعليه مشايخنا **وان تعرض**
عنهم بيان لحال الامرين اثر تخييره صلى الله عليه وسلم بينهما او تقرير لحال الاعراض المسارعة
الى بيان ان لا ضرر فيه حيث كان مظنة الضرر لما انهم كانوا لا يتحاكمون اليه صلى الله عليه
وسلم الا لطلب الايسر والاهون عليهم واذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم
فتشتد عداوتهم ومضارتهم له صلى الله عليه وسلم فامنه الله عز وجل بقوله **فلن يضروك شيئا**
من الضرر فان الله عاصمك من الناس **وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط** بالعدل الذي
امرت به كما حكمت بالرجم **ان الله يحب المقسطين** ومن ضرورته ان يحفظهم من كل مكروه
وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الايمان به وتنبيه على انهم
ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو اهون عليهم وان لم يكن ذلك
من حكم الله على زعمهم فقوله تعالى وعندهم التوراة حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى
فيها حكم الله حال من التوراة ان جعلت مرتفعة بالظرف وان جعلت مبتدأ فهو حال من ضميرها
المستكن في الخبر وقيل استئناف مسوق لبيان ان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم وتأنيثها

لكونها

وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به

لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم كموماة ودوداة **ثم يتولون** عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجب
وثم للتراخي في الرتبة وقوله تعالى **من بعد ذلك** اي من بعد ما حكموك تصريح بما علم قطعا
لتأكيد الاستبعاد والتعجب اي ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا
بحكمك وقوله تعالى **وما اولئك بالمؤمنين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله ووضع اسم
الاشارة موضع ضميرهم للقصد الى احضارهم في الذهن بما وصفوا به من القبائح ايماء الى علة
الحكم اي انهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم اكمل تميز حتى انتظموا في سلك الامور
المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في العتو والمكابرة
اي وما اولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعن حكمك الموافق
ثانيا او بهما وقيل وما اولئك بالكاملين بالايمان تسكيتا بهم **انا انزلنا التوراة** كلام
مستأنف سيق لبيان علو شان التوراة ووجوب مراعاة احكامها وانها لم تزل مرعية
فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم كابرا عن كابر مقبولة لكل احد من الحكام والمتحاكمين محفوظة
عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصف به المحرفون من عدم ايمانهم بها وتقريرا لكفرهم
وظلمهم وقوله تعالى **فيها هدى ونور** حال من التوراة فان فيها بيان الشرائع والاحكام
من حيث ارشادها للناس الى الحق الذي لا محيد عنه هدى ومن حيث اظهارها وكشفها
ما استبهم من الاحكام وما يتعلق بها من الامور المستورة بظلمات الجهل نور وقوله
تعالى **يحكم بها النبيون** اي انبياء بني اسرائيل الذين بعثوا قبل موسى ومن بعده من الانبياء جملة
مستأنفة مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز كونها حالا من التوراة فتكون حالا
مقدرة اي يحكمون باحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك من ذهب الى ان شريعة
من قبلنا شريعة لنا ما لم ينسخ وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر ولان في المؤخر ما يتعلق به نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب
اطراف النظم الكريم وقوله تعالى **الذين اسلموا** صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح دون
التخصيص والتوضيح لكن لا للقصد الى مدحهم بذلك حقيقة فان النبوة اعظم من الاسلام
قطعا فيكون وصفهم به تنزيلا لهم من الاعلى الى الادنى بل لتنويه شان الصفة فان ابراز وصف في معرض
مدح العظماء منبئ عن عظم قدر الوصف لا محالة كما في وصف الانبياء بالصلاح ووصف الملائكة
عليهم السلام بالايمان ولذلك قيل اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف وفيه رفع لشأن المسلمين
وتعريض باليهود وانهم بمعزل من الاسلام والاقتداء بدين الانبياء عليهم السلام لاسيما
مع ملاحظة ما وصفوا به في قوله تعالى **للذين هادوا** وهو متعلق بيحكم اي يحكمون فيما بينهم
واللام اما لبيان اختصاص الحكم بهم اعم من ان يكون لهم او عليهم كأنه قيل لاجل الذين هادوا
واما للايذان بنفعه للمحكوم عليه ايضا باسقاط التبعة عنه واما للاشعار بكمال رضاهم به
وانقيادهم له كأنه امر نافع لكلا الفريقين ففيه تعريض بالمحرفين وقيل اللام للتعدية الى الذين هادوا
وعليهم فحذف ما حذف لدلالة ما ذكر عليه وقيل هو متعلق بانزلنا وقيل بهدى ونور
وفيه فصل بين المصدر ومعموله وقيل متعلق بمحذوف وقع صفة لهما اي هدى ونور
كائنان للذين هادوا **والربانيون والاحبار** اي الزهاد والعلماء من ولد هارون

الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس رضي الله عنهما الربانيون الذين يربون
الناس بالعلم ويربونهم بصغاره قبل كباره والاحبار هم الفقهاء واحدهم حبر بالفتح والكسر والثاني
افصح وهو اي العالم ماخوذ من التحبير والتحسين فانهم يحبرون العلم اي يزينونه ويبينونه وهو عطف
على النبيون اي هم ايضا يحكمون باحكامها وتوسيط المحكوم لهم بين المعطوفين للايذان بان الاصل
في الحكم بها وحمل الناس على ما فيها هم النبيون وانما الربانيون والاحبار خلفاء ونواب لهم في ذلك
كما ينبئ عنه قوله تعالى بما استحفظوا اي بالذي استحفظوه من جهة النبيين وهو التورية
حيث سألوهم ان يحفظوها من التغيير والتبديل على الاطلاق ولا ريب في ان ذلك منهم
عليهم السلام استخلاف لهم في اجراء احكامها من غير اخلال بشئ منها وفي ابهامها اولا ثم بيانها
بقوله تعالى من كتاب الله من تفخيمها واجلالها ذاتا واضافة وتاكيد ايجاب حفظها والعمل
بما فيها ما لا يخفى وايرادها بعنوان الكتاب لايجاب حفظها عن التغيير من جهة الكتابة والباء الداخلة
على الموصول متعلقة بيحكم لا على انها صلة له كالتي في قوله تعالى بها لتعلق حرفي جر متحدي
المعنى بفعل واحد بل على انها سببية اي ويحكم الربانيون والاحبار ايضا بسبب ما حفظوه من
كتاب الله تعالى حسبما وصاهم به على ما في حيز الصلة من الاستحفاظ وقيل الباء صلة لفعل
مقدر معطوف على قوله تعالى يحكم بها النبيون عطف جملة على جملة اي ويحكم الربانيون والاحبار
بحكم كتاب الله تعالى الذي سألهم انبياؤهم ان يحفظوه من التغيير وكانوا عليه شهداء اي رقباء
يحمونه من ان يحوموا حوله بالتغيير والتبديل بوجه من الوجوه فتغيير الاسلوب لما ذكر من المزايا
وقيل بما استحفظوا بدل من قوله تعالى بها باعادة العامل وهو بعيد ولكن الجوهري كون الضمير
في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا على ان الاستحفاظ من جناب الله عز وجل
اي كلفهم الله عز وجل ان يحفظوه ويكونوا عليه شهداء وقوله تعالى فلا تخشوا الناس خطاب
لرؤساء اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات واما حكام المسلمين فيتناولهم النهي بطريق الدلالة
دون العبارة والفاء لترتيب النهي على ما فصل من حال التوراة وكونها معتنى بشانها فيما بين
الانبياء ومن يقتدي بهم من الربانيين والاحبار المتقين عملا وحفظا فان ذلك مما يوجب
الاجتناب عن الاخلال بوظائف مراعاتها والمحافظة عليها باي وجه كان فضلا عن التحريف
والتغيير ولما كان مدار اجترائهم على ذلك خشية ذي سلطان او رغبة في الحظوظ الدنيوية
نهوا عن كل منهما صريحا اي اذا كان شانها كما ذكر فلا تخشوا الناس كائنا من كان واقتدوا في مراعاة
احكامها وحفظها بمن قبلكم من الانبياء واشياعهم واخشوني في الاخلال بمراعاة حقوقها
فكيف بالتعرض لها بسوء ولا تشتروا باياتي الاشتراء استبدال السلعة بالثمن اي باخذها
بدلا منه لا بذل الثمن لتحصيلها كما قيل وان استلزمه ثم استعير لاخذ شئ بدلا مما كان له عينا كان او
معنى اخذا منوطا بالرغبة فيما اخذ والاعراض عما اعطى ونبذ كما فصل في قوله تعالى اولئك الذين
اشتروا والعلة له بالهدى والمعنى لا تستبدلوا باياتي التي فيها بان تخرجوها منها او تتركوا
العمل بها وتاخذوا لانفسكم بدلا منها ثمنا قليلا من الرشوة والجاه وسائر الحظوظ
الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة في نفسها لا سيما بالنسبة الى ما فات عنهم بترك
العمل بها وانما عبر عن المشتري الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصد الاصلي بالثمن

الذي

الذي شانه ان يكون وسيلة لتحصيله وابرز الايات التي حقها ان يتنافس فيها المتنافسون
في معرض الالات والوسائط حيث قرنت بالباء التي تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم
بان جعلوا المقصد الاقصى وسيلة والوسيلة الادنى مقصدا ومن لم يحكم بما انزل الله
كائنا من كان دون المخاطبين خاصة فانهم مندرجون فيه اندراجا اوليا اي من لم يحكم
بذلك مستهينا به منكرا له كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف ايات الله تعالى اقتضاء بينا فاولئك
اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها هم الكافرون
لاستهانتهم به وهم اما ضمير الفصل او مبتدأ ما بعده خبر والجملة اما خبر لاولئك
وقد مر تفصيله في مطلع سورة البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ابلغ تقرير
وتحذير عن الاخلال به اشد تحذير حيث علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما انزل الله
تعالى فكيف وقد انضم اليه الحكم بخلافه لا سيما مع مباشرة ما نهوا عنه من تحريفه ووضع غيره
موضعه وادعاء انه من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا وكتبنا عطف على انزلنا التورية
عليهم اي على الذين هادوا وقرئ وانزل الله على بني اسرائيل فيها اي في التورية
ان النفس بالنفس اي تقاد بها اذا قتلتها بغير حق والعين تفقأ بالعين اذا فقئت بغير حق والانف
يجدع بالانف المقطوع بغير حق والاذن تصلم بالاذن المقطوعة ظلما والسن تقلع بالسن المقلوعة
بغير حق والجروح قصاص اي ذات قصاص اذا كانت بحيث تعرف المساواة وعن ابن عباس رضي
الله عنه انهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمراة فنزلت وقرئ فان الجروح قصاص وقرئ
والعين الى اخره بالرفع عطفا على محل ان النفس لان المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء
كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قوله النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما تقع
عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرات سورة انزلناها فمن تصدق اي من المستحقين به اي
بالقصاص اي فمن عفى عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة في الترغيب فيه فهو اي التصدق
كفارة له اي للمتصدق يكفر الله تعالى به ما تقدم من ذنوبه وقيل للجاني اذا عفا عنه صاحب الحق
سقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق
له لا ينقص منها شئ وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى فاجره على الله ومن لم يحكم كائنا من كان
فيتناول من لا يرى قتل الرجل بالمراة من اليهود تناولا اوليا بما انزل الله من الاحكام
والشرائع كائنا ما كان فيدخل فيها الاحكام المحكية دخولا اوليا فاولئك هم الظالمون
اي المبالغون في الظلم المتعدون لحدوده تعالى الواضعون للشئ في غير موضعه والجملة تذييل
مقرر لايجاب العمل بالاحكام المذكورة وقفينا على اثارهم شروع في بيان احكام الانجيل
اثر بيان احكام التوراة وهو عطف على انزلنا التورية اي اثار النبيين المذكورين يقال قفيته
بفلان اذا اتبعته اياه فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه اي قفيناهم بعيسى ابن مريم
اي ارسلناه عقيبهم مصدقا لما بين يديه من التوراة حال من عيسى عليه السلام واتيناه الانجيل
عطف على قفينا وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور كما في التوراة وهو في محل النصب على انه حال
من الانجيل اي كائنا فيه ذلك كانه قيل مشتملا على هدى ونور وتنوين هدى ونور للتفخيم
ويندرج في ذلك شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم ومصدقا لما بين يديه من التورية

عطف عليه داخل في حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التوراة لزيادة التقرير **وهدى وموعظة للمتقين**
عطف على مصدقا منتظم معه في سلك الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل مشتملا عليه حيث قيل فيه هدى
وتخصيص كونه هدى وموعظة بالمتقين لانهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه **وليحكم**
اهل الانجيل بما انزل الله فيه امر مبتدأ لهم بان يحكموا ويعملوا بما فيه من الامور التي من جملتها دلائل
رسالته صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته وما قررته الشريعة الشريفة من احكامه واما
احكامه المنسوخة فليس الحكم بها حكما بما انزل الله فيه بل هو ابطال وتعطيل له اذ هو شاهد بنسخها
وانتهاء وقت العمل بها لان شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخه وان احكامه ما
قررته تلك الشريعة التي شهد بصحتها بعضها كما سيأتي في قوله تعالى يا اهل الكتاب لستم على شيء
حتى تقيموا التوراة والانجيل الاية وقيل هو حكاية للامر الوارد عليهم بتقدير فعل
معطوف على اتيناه اي وقلنا ليحكم اهل الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل اي امرهم وقرئ
وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كما في قولك امرته بان قم كانه قيل واتيناه الانجيل
وامرنا بان يحكم اهل الانجيل الخ وقرئ على صيغة المضارع ولام التعليل على انها متعلقة
بمقدر كانه قيل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه اتيناه اياه وقيل عطف على هدى وموعظة
على انهما مفعول لهما كانه قيل وللهدى والموعظة اتيناه اياه وللحكم بما انزل الله فيه **ومن لم يحكم**
بما انزل الله منكرا له مستهينا به **فاولئك هم الفاسقون** المتمردون الخارجون عن الايمان
والجملة تذييل مقرر لمضمون الجملة السابقة ومؤكد لوجوب الامتثال بالامر وفيه دلالة على ان
الانجيل مشتمل على الاحكام وان عيسى عليه السلام كان مستقلا بالشرع مامورا بالعمل بما فيه من
الاحكام قلت او كثرت لا بما في التوراة خاصة وحمله على معنى وليحكم بما انزل الله فيه من ايجاب العمل
باحكام التوراة خلاف الظاهر **وانزلنا اليك الكتاب** اي الفرد الكامل الحقيق بان يسمى كتابا
على الاطلاق لحيازته جميع الاوصاف الكمالية لجنس الكتاب السماوي وتفوقه على بقية افراده
وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على انزلنا وما عطف عليه وقوله تعالى
بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا حيث انه نازل لحسا بعث فيه او انه موافق له في القصص
والمواعيد والدعوة الى الحق والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى
من مخالفته له في بعض جزئيات الاحكام المتغيرة بسبب تغير الاعصار وليست بمخالفة في الحقيقة
بل هي موافقة لها من حيث ان كلا من تلك الاحكام حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها
يدور امر الشريعة وليس في المتقدم دلالة على ابدية احكامه المنسوخة حتى يخالفه
الناسخ المتاخر وانما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق
بزوالها لما ان النطق بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تعالى **من الكتاب** بيان
لما واللام للجنس اذ المراد هو الكتاب السماوي وهو بهذا العنوان جنس برأسه وان كان في نفسه
نوعا مخصوصا من مطلق الكتاب ومن ههنا قالوا اللام للعهد لان ذلك لا ينتهي الى
خصوصية الفردية بل الى خصوصية النوعية التي هي اخص من مطلق الكتاب وهو ظاهر ومن
الكتاب السماوي ايضا حيث خص بما عدا القرآن **ومهيمنا عليه** اي رقيبا على سائر الكتب المحفوظة
عن التغيير لانه يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر اصول شرائعها وما يتأبد من فروعها ويعين

احكامها

احكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب
في ان تمييز احكامها الباقية على المشروعية ابدا عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها من احكام
كونه مهيمنا عليها وقرئ ومهيمنا عليه على صيغة المفعول اي هو من عليه وحفظ من التغيير
والتبديل كقوله عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والحافظ اما من
جهته تعالى كما في قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او الحافظ في الاعصار والامصار
والثاني قوله **فاحكم بينهم** لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كون القرآن العظيم حقا مصدقا
لما قبله من الكتب المنزلة على الامم مهيمنا عليه من موجبات الحكم المامور به اي اذا كان شان
القرآن كما ذكر فاحكم بين اهل الكتابين عند تحاكمهم اليك **بما انزل الله** اي بما انزل اليك
فانه مشتمل على جميع الاحكام الشرعية الباقية في الكتب الالهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيان
تعميم الحكم لهم ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على علية ما في حيز الصلة للحكم والالتفات
باظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم **ولا تتبع اهواءهم** الزائغة **عما جاءك**
من الحق اي لا تعدل عنه وعن معكسه بل تتبع في تضمين معنى العدول ونحوه كانه قيل ولا تعدل
عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم وقيل بمحذوف وقع حالا من فاعله اي لا تتبع اهواءهم
عادلا عما جاءك وفيه ان ما وقع حالا لا بد ان يكون فعلا عاما وفي وضع الموصول موضع ضمير الموصول
الاول للايذان بما في حيز الصلة من مجيء الحق الى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الاهواء وقوله
تعالى **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** كلام مستأنف جيء به لحمل اهل الكتابين من معاصريه
صلى الله عليه وسلم على الانقياد لحكمه صلى الله عليه وسلم بما انزل اليه من القرآن الكريم ببيان
انه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره من الكتابين وانما الذين كلفوا العمل بهما من مضى قبل
نسخهما من الامم السالفة والخطاب بطريق التلوين للالتفات للناس كافة لكن لا للموجودين
خاصة بل للماضين ايضا بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدي لواحد وهو اخبار
بجعل ماض لا انشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين
كل ولا ضير في توسط جعلنا بين الصفة والموصوف كما في قوله تعالى اغير الله اتخذ وليا
فاطر السموات والارض الخ والمعنى لكل امة كائنة منكم ايها الامم الباقية والخالية
جعلنا اي عينا ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الامة لا تكاد امة تتخطى شرعتها التي عينت
لها فالامة التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما الصلاة والسلام شرعتهم التوراة والتي
كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم شرعتهم الانجيل واما انتم ايها الموجودون
فشرعتكم القرآن فامنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هي الطريقة الى الماء شبه
بها الدين لكونه سبيلا موصلا الى ما هو سبب للحياة الابدية كما ان الماء سبب للحياة الفانية
والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الامر اذا وضح وقرئ شرعة بفتح الشين وفيه
دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا والتحقيق انا متعبدون باحكامها الباقية
من حيث انها احكام شرعتنا لا من حيث انها شرعة للاولين **ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة**
متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الامم في شيء من
الاحكام الدينية ولا نسخ ولا تحويل ومفعول المشيئة محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه اي ولو شاء

الله ان يجعلكم امة واحدة جميعكم وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه **ولكن**
ليبلوكم متعلق بمحذوف يستدعيه النظام اي ولكن لم يشأ ذلك اي ان يجعلكم امة واحدة
بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية فيما بين الامم ليعاملكم معاملة من يبتليكم **فيما آتاكم** من
الشرائع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين
ان اختلافها بمقتضى المشيئة الالهية المبنية على اساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم في
معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون
الضلالة بالهدى • وبهذا اتضح ان مدار عدم المشيئة المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل العمدة في
ذلك ما اشير اليه من انطواء الاختلاف على ما فيه مصلحتهم معاشا ومعادا كما ينبئ عنه قوله عز وعلا
فاستبقوا الخيرات اي اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير لكم في الدارين من العقائد
الحقة والاعمال الصالحة المندرجة في القرآن الكريم وابتدروها انتهازا للفرصة واحرازا
لسابقة الفضل والتقدم ففيه من تأكيد الترغيب في الاذعان للحق وتشديد التحذير عن
الزيغ ما لا يخفى • وقوله تعالى **الى الله مرجعكم** استئناف مسوق مساق التعليل لاستباق الخيرات
بما فيه من الوعد والوعيد وقوله تعالى **جميعا** حال من ضمير الخطاب والعامل فيه اما المصدر
المنحل الى حرف مصدري وفعل مبني للفاعل او مبني للمفعول واما الاستقرار المقدر في الجار **فينبئكم**
بما كنتم فيه تختلفون اي فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه
شائبة شك فيما كنتم تختلفون فيه في الدنيا وانما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف
التي هي وظيفة الاخبار **وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم** عطف على الكتاب
اي انزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه وقد تعرض لعنوان انزاله تعالى اياه تأكيدا لوجوب
الامتثال بالامر او على الحق اي انزلناه بالحق وبأن احكم وحكاية الامر بهذا الحكم بعد ما مر
من الامر الصريح تأكيد له وتمهيد لما بعده من قوله تعالى **واحذرهم ان يفتنوك عن بعض**
ما انزل الله اليك اي يصرفوك عنه ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق والاظهار في
الاسم الجليل لتأكيد الامر بتهويل الخطب وان بصلته بدل اشتمال من ضميرهم اي احذر فتنتهم
او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك واعادة ما انزل الله لتأكيد التحذير بتهويل الخطب
روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا اليه صلى
الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك
اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك
ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم **فان تولوا** اي عن الحكم بما انزل الله تعالى
وارادوا غيره **فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم** اي بذنب توليهم عن حكم الله عز
وجل وانما عبر عنه بذلك ايذانا بان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع كمال عظمه واحد من جملتها وفي
هذا الابهام تعظيم للتولي • كما في قول لبيد • او يرتبط بعض النفوس حمامها •
يريد به نفسه اي نفسا كبيرة ونفسا اي نفس **وان كثيرا من الناس لفاسقون** اي متمردون في
الكفر مصرون عليه خارجون عن الحدود المعهودة وهو اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله
افحكم الجاهلية يبغون انكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه

الحكم

المقام اي ايتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتأكيد الانكار
والتعجيب لان التولي عن حكمه صلى الله عليه وسلم وطلب حكم آخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية
اقبح واعجب • والمراد بالجاهلية اما الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة
في الاحكام فيكون تعييرا لليهود بانهم مع كونهم اهل كتاب وعلم يبغون حكم الجاهلية التي هي هوى
وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحي • واما اهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا عليه من التفاضل
فيما بين القتلى روي ان بني النضير لما تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومة قتل
وقعت بينهم وبين بني قريظة طلبوا اليه صلى الله عليه وسلم ان يحكم بينهم بما كانوا عليه اهل
الجاهلية من التفاضل • فقال صلى الله عليه وسلم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك
فنزلت وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف وحذف في قوله تعالى
اهذا الذي بعث الله رسولا وقد استضعف ذلك في غير الشعر وقرئ بتاء الخطاب اما بالالتفات
لتشديد التوبيخ واما بتقدير القول اي قل لهم افحكم الجاهلية تبغون • وقرئ بفتح الحاء والكاف
اي افحكاما كحكام الجاهلية يبغون **ومن احسن من الله حكما** انكار لان يكون احد حكمه احسن من حكمه تعالى
او مساو له وان كان ظاهر السبك غير متعرض لنفي المساواة وانكارها وقد مر تفصيله في قوله
تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله **لقوم يوقنون** اي عندهم واللام كما في هيت لك اي هذا
الاستفهام لقوم فانهم الذين يتدبرون الامور بانظارهم فيعلمون يقينا ان حكم الله عز وجل احسن
الاحكام واعدلها **يا ايها الذين آمنوا** خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم وان
كان سبب وروده بعضا منهم كما سيأتي ووصفهم بعنوان الايمان لحملهم من اول الامر على الانزجار
عما نهوا عنه بقوله عز وجل **لا تتخذوا اليهود والنصارى** فان تذكير اتصافهم بضد صفات الفريقين
من اقوى الزواجر عن موالاتهما اي لا يتخذ احد منكم احدا منهم وليا بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشروهم
مصافاة الاحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم اولياء لكم حقيقة فانه امر ممتنع في نفسه لا يتعلق به
النهي **بعضهم اولياء بعض** اي بعض كل فريق من ذينك الفريقين اولياء بعض آخر من ذلك الفريق لا من الفريق
الآخر وانما اوثر الاجمال في البيان تعويلا على ظهور المراد لوضوح انتفاء الموالاة بين فريقي اليهود والنصارى
رأسا والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهي وتأكيد ايجاب الاجتناب عن المنهي عنه ان بعضهم اولياء بعض
متفقون على كلمة واحدة في كل ما يأتون وما يذرون ومن ضرورته اجماع الكل على مضادتكم فكيف يتصور
بينكم وبينهم موالاة وقوله تعالى **ومن يتولهم منكم فانه منهم**
حكم مستنتج منه فان انحصار الموالاة فيما بينهم يستدعي كون من يواليهم منهم ضرورة ان الاتحاد في
الدين الذي عليه يدور امر الموالاة حيث لم يكن بكونهم ممن يواليهم من المؤمنين تعين ان يكون
ذلك بكون من يواليهم منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن اظهار صورة الموالاة لهم وان لم تكن
موالاة في الحقيقة وقوله تعالى **ان الله لا يهدي القوم الظالمين** تعليل لكون من يتولاهم منهم اي لا يهديهم
الى الايمان بل يخليهم وشأنهم فيقعون في الكفر والضلالة وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تنبيها على ان
توليهم ظلم لانه تعريض لانفسهم للعذاب الخالد ووضع للشيء في غير موضعه وقوله تعالى **فترى**
الذين في قلوبهم مرض بيان لكيفية توليهم واشعار بسببه وبما يؤول اليه امرهم والفاء للايذان
بترتبه على عدم الهداية والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين واما لكل

احد من لدا شائبة وفيه مزيد تشنيع للتشنيع اي لا يهديهم بابتدائهم وشانهم فرايهم الى الاخر فانا وضع
موضع الضمير الموصول لتشارك في حيز صلته الى ان ما ارتكبوه من التولي بسبب ما في قلوبهم من مرض
النفاق ورخاوة العقد في الدين • وقوله تعالى يسارعون فيهم حال من الموصول والرؤية
بصرية • وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول هو الانسب لظهور نفاقهم اي تراهم مسارعين
في موالاتهم وانما قيل فيهم مبالغة في بيان رغبتهم فيها وتهالكهم عليها وايثار كلمة في على كلمة الى
للدلالة على انهم مستقرون في الموالاة وانما مسارعتهم من بعض مراتبها الى بعض اخر منها
كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها كما في قوله
تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة • وقرئ فيرى بالياء التحتية على ان الضمير لله سبحانه
وقيل لمن يصح منه الرؤية • وقيل الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف ان
المصدرية والرؤية قلبية اي ويرى القوم الذين في قلوبهم مرض ان يسارعوا فيهم فلما
حذفت ان انقلب الفعل مرفوعا • كما في قول من قال •
• الا ايهذا الزاجري احضر الوغا • والمراد بهم عبد الله بن ابي واضرابه
الذين كانوا يسارعون في موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون الى المؤمنين بانهم لا
يؤمنون ان يصيبهم صرف الزمان وذلك قوله تعالى يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة وهو حال من
ضمير يسارعون والدائرة من الصفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها اي يدور علينا دائرة
من دوائر الدهر ودولة من دوله بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار • وقيل
نخشى ان يصيبنا مكروه من مكاره الدهر كالجدب والقحط فلا يعطون الميرة والقرض
روي ان عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي
من اليهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال
عبد الله ابن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي اليهود وهم يهود بني قينقاع
ولعله يظهر للمؤمنين انه يريد بالدوائر المعنى الاخير ويضمر في نفسه المعنى الاول • وقوله
عز وجل فعسى الله ان ياتي بالفتح رد من جهته تعالى لعللهم الباطلة وقطع لاطماعهم الفارغة
وتبشير للمؤمنين بالظفر فان عسى منه سبحانه وعد محتوم لما ان الكريم اذا اطمع اطمع
لا محالة فما ظنك باكرم الاكرمين • وان ياتي في محل النصب على انه خبر عسى وهو راي
الاخفش او على انه مفعول به وهو راي سيبويه لئلا يلزم الاخبار عن الجثة بالحدث في
قولك عسى زيد ان يقوم • والمراد بالفتح فتح مكة • قاله الكلبي والسدي • وقال الضحاك
فتح قرى اليهود من خيبر وفدك • وقال قتادة ومقاتل هو القضاء الفصل بنصره
صلى الله عليه وسلم على من خالفه واعزاز الدين او امر من عنده يقطع شأفة اليهود من
القتل والاجلاء فيصبحوا اي اولئك المنافقون المتعللون وهو عطف على ياتي داخل
معه في حيز خبر عسى وان لم يكن فيه ضمير يعود الى اسمها فان فاء السببية مغنية عن
ذلك فانها تجعل الجملتين كجملة واحدة على ما اسروا في انفسهم نادمين وهو ما كانوا يكتمونه
في انفسهم من الكفر والشك في امره صلى الله عليه وسلم وتعليق الندامة به لا بما كانوا يظهرونه
من موالاة الكفرة لما انه الذي كان يحملهم على الموالاة ويغريهم عليها فدل ذلك على ندمهم

عليها

عليها باصلها وسببها ويقول الذين امنوا كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة
المذكورة وقرئ بغير واو على انه جواب سؤال نشأ مما سبق • كانه قيل فماذا يقول المؤمنون
حينئذ • وقرئ ويقول بالنصب عطفا على فيصبحوا او على ياتي باعتبار المعنى • كانه قيل
عسى الله ان ياتي بالفتح • ويقول الذين امنوا والاول اوجه لان هذا القول انما يصدر
عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند اتيان الفتح فقط والمعنى ويقول الذين
امنوا مخاطبين لليهود مشيرين الى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون
لهم غاية المحبة وعدم المفارقة عنهم في السراء والضراء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس
تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون به تعجيبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم
اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم اي بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكي عنهم وان
قوتلتم لننصرنكم فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده خبره والمعنى انكار ما فعلوه واستبعاده
وتخطئتهم في ذلك او يقول بعض المؤمنين لبعض فالتعجيب في الاول من جهة المؤمنين
وفي الثاني من جهة المقسمين • وهذه الجملة لا محل لها من الاعراب لانها تفسير وحكاية
لمعنى اقسموا لكن لا بالفاظهم والا لقيل انا معكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل
مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم
المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة لفظا لانه مؤول بنكرة اي مجتهدين في ايمانهم او على المصدر
اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين • وقوله تعالى حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما جملة
مستأنفة مسوقة من جهته تعالى لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاية والاقسام على المعية
في المنشط والمكره اثر الاشارة الى بطلانها بالاستفهام الانكاري • واما خبر ثان للمبتدأ
صفة لاسم الاشارة فالاستفهام حينئذ للتقرير وفيه معنى التعجب • كانه قيل ما احبط
اعمالهم فما اخسرهم • والمعنى بطلت اعمالهم التي عملوها في شأن موالاتكم وسعوا في ذلك سعيا
بليغا حيث لم يكن لكم دولة فينتفعوا بما صنعوا من المساعي وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه
من الاستهزاء بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى • وقيل قاله بعض المؤمنين مخاطبا
لبعض تعجبا من سوء حال المنافقين واغتباطا بما من الله تعالى عليهم من التوفيق للاخلاص
اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار بطلت اعمالهم
التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين الناس • وانت خبير بان ذلك الكلام من المؤمنين انما يليق
بان اظهر المنافقون حينئذ خلاف ما كانوا يدعونه ويقسمون عليه من ولاية المؤمنين
ومعاضدتهم على الكفار واظهروا كذبهم وافتضحوا بذلك على رؤوس الاشهاد وبطلت اعمالهم
التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين المؤمنين • ولا ريب في انهم يومئذ اشد ادعاء واكثر
اقساما منهم قبل ذلك فمن اين ان يظهر خلاف ذلك وانما الذي يظهر منهم الندامة
على ما صنعوا وليس ذلك علامة ظاهرة الدلالة على كفرهم وكذبهم في ادعائهم فانهم
يدعون انه ليست ندامتهم الا على ما ظهر من موالاة الكفرة خشية اصابة الدائرة
يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه وقرئ من يرتدد بالفك على لغة الحجاز والادغام لغة
تميم لما نهى فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى وبين ان موالاتهم مستدعية للارتداد

من الدين وفيه ما هو أمر من يوالي من المنافقين شرع في بيان أحوال المرتدين على الإطلاق
وهذا من الكائنات التي أخبر عنها القرآن قبل وقوعها • روي أنه ارتد عن الإسلام إحدى
عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو
الأسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده فأخرج منها عمال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكتب صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن فأهلكه الله تعالى
على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة قتل فسر
به المسلمون وقبض صلى الله عليه وسلم من الغد وأتى خبره في آخر ربيع الأول وبنو حنيفة
قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله إلى محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فأجاب صلى الله
عليه وسلم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء
والعاقبة للمتقين فحاربه أبو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين • وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة
رضي الله عنه وكان يقول قتلت في جاهليتي خير الناس وفي إسلامي شر الناس وبنو أسد قوم
طليحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد فانهزم بعد القتال
فأسلم وحسن إسلامه وسبع في عهد أبي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن
وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم
مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة
الكذاب وفيها يقول أبو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري أمت سجاح ووالاها
مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب وكندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم
ابن زيد وكفى الله تعالى أمرهم على يدي أبي بكر رضي الله عنه وفرقة واحدة في زمن عمر رضي الله
عنه غسان قوم جبلة بن الأيهم نصرته اللطمة وسيرته إلى بلاد الروم وقصته مشهورة • وقوله
عز وجل **فسوف يأتي الله** جواب الشرط والعائد إلى اسم الشرط محذوف أي فسوف يأتي الله مكانهم
بعد إهلاكهم **بقوم يحبهم** أي يريد بهم خير الدنيا والآخرة ومحل الجملة الجر على أنها صفة
لقوم • وكذا قوله تعالى **ويحبونه** أي يريدون طاعته ويتحرزون عن معاصيه معطوف عليه
داخل في حكمها • قيل هم أهل اليمن لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى أبي موسى
الأشعري • وقال قوم هذا وقيل هم الأنصار رضي الله تعالى عنهم • وقيل هم الفرس لما روي
أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عنهم فضرب بيده الكريمة على عاتق سلمان وقال هذا وذووه
ثم قال • لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس • وقيل هم ألفان من
النخع • وخمسة آلاف من كندة • وثلاثة آلاف من أفناء الناس جاهدوا يوم القادسية
أذلة على المؤمنين جمع ذليل لا ذلول فإن جمعه ذلل أي أرقاء رحماء متذللين ومتواضعين لهم
واستعماله بعلى إما لتضمين معنى العطف والحنو أو للتنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على
المؤمنين خافضين لهم أجنحتهم أو لرعاية المقابلة بينه وبين ما في قوله تعالى **أعزة على
الكافرين** أي أشداء متغلبين عليهم من عزه إذا غلبه • كما في قوله عز وعلا أشداء على الكفار
رحماء بينهم وهما صفتان أخريان لقوم ترك بينهما العاطف للدلالة على استقلالهم بالاتصاف

بكل

بكل منهما وفيه دليل على صحة تأخير الصفة المفردة عن الجملة والظرف كما في قوله تعالى وهذا كتاب
أنزلناه مبارك • وقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث • وقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر
من الرحمن محدث • وما نسب إليه من لا يجوزه من أن قوله تعالى يحبهم ويحبونه كلام معترض
وأن مبارك خبر بعد خبر لهذا أو خبر لمبتدأ محذوف وأن من ربهم ومن الرحمن حالان مقدمتان
من ضمير محدث تكلف لا يخفى • وقرئ أذلة أعزة بالنصب على الحالية من قوم لتخصصه بالصفة
يجاهدون في سبيل الله صفة أخرى لقوم مترتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعدها
لكيفية عزتهم أو حال من الضمير في أعزة **ولا يخافون لومة لائم** عطف على يجاهدون بمعنى
أنهم جامعون بين المجاهدة في سبيل الله وبين التصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين
فإنهم إذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا أولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون شيئا يلحقهم
فيه لوم من جهتهم • وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى أنهم يجاهدون وحالهم خلاف
حال المنافقين • واعترض عليه بأنهم نصوا على أن المضارع المنفي بلا أو بما كالمثبت في عدم
جواز مباشرة واو الحال له • واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة
لا تخفى **ذلك** إشارة إلى ما تقدم من الأوصاف الجليلة • وما فيه من معنى البعد للدلالة
على بعد منزلتها في الفضل **فضل الله** أي لطفه وإحسانه لا أنهم مستقلون في الاتصاف بها
يؤتيه من يشاء إيتاءه إياه ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة **والله
واسع** كثير الفواضل والألطاف **عليم** مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها من هو أهله
للفضل والتوفيق • والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله • وإظهار الاسم الجليل للإشعار
بالعلة وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا** لما نهاهم الله
عز وجل عن موالاة الكفرة وعلله بأن بعضهم أولياء بعض لا يتصور ولايتهم للمؤمنين وبين
أن من يتولاهم يكون من جملتهم بين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية عليه • كأنه قيل
لا تتخذوهم أولياء لأن بعضهم أولياء بعض وليسوا بأوليائكم إنما أولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون
فاختصوهم بالموالاة ولا تتخطوهم إلى الغير • وإنما أفرد الولي مع تعدده للإيذان بأن الولاية
أصالة لله تعالى وولايته صلى الله عليه وسلم وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية لولايته
عز وعلا **الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة** صفة للذين آمنوا جرى مجرى الاسم أو بدل منه
أو نصب على المدح أو رفع عليه **وهم راكعون** حال من فاعلي الفعلين أي يعملون ما ذكر من إقامة
الصلاة وإيتاء الزكاة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى • وقيل هو حال مخصوصة بإيتاء
الزكاة والركوع ركوع الصلاة • والمراد بيان كمال رغبتهم في الإحسان ومسارعتهم إليه
وروي أنها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع فطرح إليه خاتمه كأنه
كان مرجا في خنصره غير محتاج في إخراجه إلى كثير عمل يؤدي إلى فساد الصلاة ولفظ
الجمع حينئذ لترغيب الناس في مثل فعله رضي الله عنه • وفيه دلالة على أن صدقة التطوع
تسمى زكاة **ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا** أوثر الإظهار على أن يقال ومن يتولهم رعاية لما مر
من نكتة بيان أصالته تعالى في الولاية كما ينبئ عنه قوله تعالى **فإن حزب الله هم الغالبون** حيث
أضيف الحزب إليه تعالى خاصة وهو من باب وضع الظاهر موضع المضمر العائد إلى من

أي فإنهم الغالبون لكنهم جعلوا حزب الله تعظيما لهم وإثباتا لغلبتهم بالطريق البرهاني كأنه قيل
ومن يتول هؤلاء فإنهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين
اتخذوا دينكم هزوا ولعبا روي أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث أظهرا الإسلام ثم
نافقا وكان رجال من المؤمنين يوادونهما فنهوا عن موالاتهما وترتيب النهي على وصف يعمهما وغيرهما
تعميما للحكم وتنبيها على العلة وإيذانا بأن من هذا شأنه جدير بالمعاداة فكيف
بالموالاة من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان إيتاء
الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية ضلالتهم لما أن إيتاء الكتاب وازع لهم عن استهزاء الدين
المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم والكفار أي المشركين خصوا به لتضاعف كفرهم وهو
عطف على الموصول الأول فعبر به إشعارا بأنهم ليسوا بمستهزئين كما يعرب عنه تخصيص الخطاب بأهل
الكتاب في قوله تعالى يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الآية وقرئ بالجر عطفا على الموصول
الأخير ويعضده قراءة أبي ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين أشركوا فهم
أيضا من جملة المستهزئين أولياء وجانبوهم كل المجانبة واتقوا الله في ذلك بترك موالاتهم
أو بترك المناهي على الإطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا أوليا إن كنتم مؤمنين أي
حقا فإن قضية الإيمان توجب الاتقاء لا محالة وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها أي الصلاة
أو المناداة وفيه دلالة على شرعية الأذان هزوا ولعبا بيان لاستهزائهم بحكم خاص من
أحكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الإطلاق إظهارا لكمال شقاوتهم روي
أن نصرانيا بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله يقول أحرق
الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله نيام فتطايرت منها شرارة فأحرقته
وأهله جميعا ذلك أي الاستهزاء المذكور بأنهم بسبب أنهم قوم لا يعقلون فإن السفه
يؤدي إلى الجهل بمحاسن الحق والهزء به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترءوا على تلك العظيمة
قل أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب بعد نهي المؤمنين عن موالاة المستهزئين
بأن يخاطبهم ويبين أن الدين منزه عما يصحح صدوره عنهم من الاستهزاء ويظهر لهم سبب
ما ارتكبوه ويلقمهم الحجر أي قل لأولئك الفجرة يا أهل الكتاب وصفوا بأهلية الكتاب
لما سابق من تبكيتهم وإلزامهم بكفرهم بكتابهم هل تنقمون منا من نقم منه كذا إذا عابه
وأنكره وكرهه بابه من حد ضرب وقرئ بفتح القاف من حد علم وهي لغة أي ما
تعيبون وما تنكرون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا من القرآن المجيد وما أنزل من قبل
أي من قبل إنزاله من التوراة والإنجيل المنزلين عليكم وسائر الكتب الإلهية وأن أكثركم
فاسقون أي متمردون خارجون عن الإيمان والإنجيل المنزلين عليكم كما ذكر فإن الكفر
بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدقه لا محالة وهو عطف على أن آمنا على أنه مفعول له لتنقمون
والمفعول الذي هو الدين محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه دلالة واضحة
فإن اتخاذ الدين هزوا ولعبا عين نقمه وإنكاره والإيمان بما فصل عين الدين الذي
يزعمون خلافه أبرز في معرض علة نقمهم له تسجيلا عليهم بكمال المكابرة والتعكيس حيث
جعلوا موجبا للنقم مع كونه في نفسه موجبا لقبوله وارتضائه فالاستثناء من أعم العلل

أي

أي ما تنقمون منا دينا لعلة من العلل إلا لأن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل من
كتبكم ولأن أكثركم متمردون غير مؤمنين بواحد مما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق
بصحة كتابنا لآمنتم به وإسناد الفسق إلى أكثرهم لأنهم الحاملون لأعقابهم على التمرد والعناد
وقيل عطف على أنه مفعول لتنقمون لكن لا على أن المستثنى مجموع المعطوفين بل على معنى ما يلزمهما
من المخالفة كأنه قيل ما تنقمون منا إلا المخالفة حيث دخلنا الإيمان وأنتم خارجون
عنه وقيل على حذف المضاف أي واعتقاد أن أكثركم فاسقون وقيل عطف على
علة محذوفة أي لقلة إنصافكم ولأن أكثركم فاسقون وقيل الواو بمعنى مع أي ما تنقمون
منا إلا الإيمان مع أن أكثركم على خلافه وقيل هو منصوب بفعل مقدر يدل عليه
هل تنقمون أي ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر محذوف
أي وفسقكم معلوم أي ثابت والجملة حالية أو معترضة وقرئ بالكسر فالجملة
مستأنفة مبينة لكون أكثرهم فاسقين متمردين قل هل أنبئكم بشر من ذلك لما أمر صلى
الله عليه وسلم بإلزامهم وتبكيتهم ببيان أن مدار نقمهم للدين إنما هو اشتماله على ما يرتضونه
عندهم أيضا وكفرهم بما هو مسلم لهم أمر صلى الله عليه وسلم عقيبه بأن يبكتهم ببيان
أن الحقيق بالنقم والعيب حقيقة ما هم عليه من الدين المحرف ويبين لهم في تضاعيف البيان
جناياتهم وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها على منهاج التعريض لئلا يحملهم التصريح بذلك
على ركوب متن المكابرة والعناد ويخاطبهم قبل البيان بما ينبئ عن عظم شأن المبين ويستدعي
إقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية المشوقة إلى المخبر به والتنبيه المشعر بكونه أمرا
خطيرا لما أن النبأ هو الخبر الذي له شأن وخطر وحيث كان مناط النقم شرية المنقوم
حقيقة أو اعتقادا وكان مجرد النقم غير مفيد لشريته البتة كان مناط النقم شرا له
قيل بشر من ذلك ولم يقل بأنقم من ذلك تحقيقا لشرية ما سيذكر وتقريرا لها وقيل إنما قيل
ذلك لوقوعه في عبارة المخاطبين حيث أتى نفر من اليهود فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن دينه فقال صلى الله عليه وسلم أومن بالله وما أنزل إلينا إلى قوله ونحن له مسلمون فحين
سمعوا ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم شرا من دينكم وإنما اعتبرت الشرية بالنسبة إلى
الدين وهو منزه عن شائبة الشرية بالكلية مجاراة معهم على زعمهم الباطل المنعقد على كمال شرية
ليثبت أن دينهم شر من كل شر أي هل أخبركم بما هو شر في الحقيقة مما اعتقدتموه شرا وإن
كان في نفسه خيرا محضا مثوبة عند الله أي جزاء ثابتا في حكمه وقرئ مثوبة وهي لغة فيها كمشورة
ومشورة وهي مختصة بالخير كما أن العقوبة مختصة بالشر وإنما وضعت ههنا موضعها على
طريقة قوله ● تحية بينهم ضرب وجيع ● ونصبها على التمييز من بشر
وقوله عز وجل من لعنه الله وغضب عليه خبر لمبتدأ محذوف بتقدير مضاف قبله مناسب لما
أشير إليه بكلمة ذلك أي دين من لعنه الله إلخ أو بتقدير مضاف قبل ما مناسب لمن أي أهل
من أهل ذلك من لعنه الله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة
وإدخال الروعة وتهويل أمر اللعن وما تبعه والموصول عبارة عن المخاطبين حيث أبعدهم
الله تعالى عن رحمته وغضب عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات وشروح البينات

وجعل منهم القردة والخنازير اي مسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار
مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم
خنازير وجمع الضمير الراجع الى الموصول في منهم باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين الاولين
باعتبار لفظه والاسناد وصيغة موضع ضمير الخطاب المناسب لانبئكم للقصد الى اثبات
الشرية بما عدد في حيز صلته من الامور الهائلة الموجبة لها على الطريقة البرهانية
مع ما فيه من الاحتراز عن تصريح خطابهم وعبد الطاغوت عطف على صلة من وافراد الضمير
لمراعاة لفظ من وكذا اعبد الطاغوت على قراءة ابي بالبناء للمفعول ورفع الطاغوت وكذا اعبد الطاغوت
بمعنى صار معبودا فالراجع الى الموصول محذوف على القراءتين اي عبد فيهم او بينهم وتعليق
او ما فيهم المذكورة بعبده اثبات شرية دينهم على وصفهم بذلك مع انه الاصل المستتبع لها
في الوجود وان دلالته على شريته بالذات لان عبادة الطاغوت عين دينهم الباطل
ودلالتها عليها بطريق الاستدلال لا لشرية الاثار على شرية ما يوجبها من الاعتقاد والعمل
اما للقصد الى تبكيتهم من اول الامر بوصفهم بالاسناد اليهم الى الجحود لا لشريته وفظاعته
ولا بانقامهم به واما للايذان باستقلاله لكلا من المتقدم والمؤخر بالدلالة على ما ذكر
من الشرية ولو روعي ترتيب الوجود وقيل من عبد الطاغوت ولعنه الله وغضب
عليه الخ لربما فهم ان علية الشرية المجموع وقد قرئ عابد الطاغوت وكذا
عبد الطاغوت بالاضافة على انه جمع نعت كنعط ونقط وكذا اعبدة الطاغوت وكذا
عبد الطاغوت بالاضافة على انه جمع عابد كخدم او على ان اصله عبدة حذفت تاؤه للاضافة
بالنصب في الكل عطفا على القردة والخنازير وقرئ عبد الطاغوت بالجر عطفا على
من بنا على انه مجرور تقديرا بالمضاف وقد قيل ان من مجرور على انه بدل من شر على احد
الوجهين المذكورين في تقدير المضاف وانت خبير بان ذلك مع اقتضائه اخلال النظم
الكريم عن المزايا المذكورة بالمرة بالاستبدال لنفسه وقطعا ضرورة ان المقصود الاصلي
ليس مضمون الجملة الاستفهامية بل هي كلام مخصوص سيقت امام المقصود لهز المخاطبين
نحو تحبيبه اذهانهم عن تلقي ما يلقى اليهم عقيبها بجملة خبرية موافقة في الكيفية للسؤال الثاني
منها وهو المقصود افادته وعليه يدور [illegible] الالزام والتبكيت حسبما شرح فاذا جعل
الموصول بالخفض جملة من تتمة الجملة الاستفهامية فاين الذي يلقي اليهم عقيبها جوابا
عما امنها من الجواب لحصول الالزام والتبكيت واما الجملة الاتية فبمعزل من ذلك
الجواب كيف لا ولا بد من موافقته في الكيفية للسؤال الثاني من الجملة الاستفهامية
وقد عرفت ان السؤال الثاني منها [illegible] وقوع الشر من تتمة الخبر لا خبر كما في الجملة
المذكورة وسيتضح لك مزيد اتضاح باذن الله تعالى والمراد بالطاغوت العجل وقيل
هم الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله تعالى فيعم الحكم دين النصارى ايضا وتخصيص
تاخير ذكر عبادته عن العقوبات المذكورة اذ لو قدمت عليها لتوهم اشتراك الكل في
في تلك العقوبات ولما كان ما ذكر من عيوبهم اما هو بعض ما ذكر التبكيت اما مع نعتهم بهم
اوان من سوء من اسلافهم انفسهم حسب ما قدر من المنافين وكانت الشرية على كلا

الوصفين

الوصفين من تتمة الموضوع غير مقصود ذاتا للاثبات لديهم او لانفسهم عقب ذلك باثبات لهم على وجه
يشعر بعلية ما ذكر من القبائح لثبوت ما لهم بجملة مستانفة مسوقة من جهته سبحانه شهادة عليهم
بكمال الشرارة والضلال وداخلة تحت الامر لكيلا الالزام وتشديد التبكيت فقيل
اولئك شر مكانا فاسم الاشارة عبارة عمن ذكرت صفاتهم الخبيثة وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة اي اولئك الموصوفون بتلك القبائح والفضائح شر مكانا
جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل شر مكانا اي منصرفا واضل
عن سواء السبيل عطف على شر مقرر له اي اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم وفيه دلالة
على كون دينهم شرا محضا بعيدا عن الحق لان ما يسلكونه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان
دينهم ضلالا مبينا لا غاية وراءه وصيغة التفضيل في الوصفين للزيادة مطلقا لا بالاضافة
الى من يشاركهم في اصل الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا امنا نزلت في ناس من اليهود
كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيظهرون له الايمان نفاقا فالخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم او له مع من عنده من المسلمين اي اذا جاؤكم اظهروا
الاسلام وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك ملتبسين بالكفر كما دخلوا لا
يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان لان في
دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها
من معنى التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يظنه
ويتوقع ان يظهره الله تعالى ولذلك للتاكيد والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد
شديد لهم وترى خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب
والرؤية بصرية كثيرا منهم من اليهود والمنافقين وقوله تعالى يسارعون في الاثم حال
من كثيرا وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول انسب بالمقام وظهور نفاقهم والمسارعة
المبادرة والمباشرة للشيء بسرعة وايثار كلمة في على الواقعة في قوله تعالى وسارعوا
الى مغفرة من ربكم الى اخر ما ذكر في قوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون فيهم والمراد
بالاثم الكذب بقرينة الاطلاق وقيل الحرام وقيل الشرك وقيل لم عز من الله وقيل
هو ما يختص بهم من الاثام والعدوان اي الظلم المتعدي الى الغير او مجاوزة الحد في المعاصي
واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر مع اندراجه في الاثم للمبالغة في التقبيح لبئس ما كانوا
يعملون اي لبئس شيئا كانوا يعملونه والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار
لولا ينهاهم الربانيون والاحبار قال الحسن رحمه الله الربانيون علماء الانجيل والاحبار علماء التورية
وقيل كلاهم لليهود وهو تخصيص للذين يقتدى بهم افتاء وحكما ويقبلون فتاويهم ما غير به ونهي
معصية على نهي اسافلهم عن ذلك مع توجيه لهم على تركه عن قولهم الاثم واكلهم السحت مع علمهم
بقبحها ومشاهدتهم لمباشرتهم لها لبئس ما كانوا يصنعون وهذا ابلغ مما قيل في حق عامتهم
لما ان الفعل لا يبلغ درجة الصنع ما لم يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة
ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها
وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ ذم وفيه مما ينعى على العلماء

وأبلغ في النهي عن المنكرات ما لا يخفى • وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها أشد آية في القرآن • وعن الضحاك
ما في القرآن آية أخوف عندي منها • وقالت اليهود قال ابن عباس رضي الله عنهما إنها أشد آية في القرآن
وإن الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالاً وأخصبهم ناحية فلما عصوا الله
تعالى بأن كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف عنهم ما بسط عليهم فعند ذلك قال
فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ولم ينكر عليه الآخرون ورضوا به نسبت تلك العظيمة
إلى الكل كما يقال بنو فلان قتلوا فلاناً وإنما القاتل واحد منهم وأرادوا لعنهم الله تعالى
أنه سبحانه ممسك يقتر بالرزق فإن كلاً من غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير
قصد في ذلك إلى إثبات يد وغل وبسط ألا ترى أنهم يستعملونه حيث لا يتصور فيه ذلك كما
في قوله • جاد الحمى بسط اليدين بوابل • شكرت نداه تلاعه ووهاده • ولقد
جعل لبيد للشمال يداً حيث قال •
• وغداة ريح قد شهدت وقرة • إذ أصبحت بيد الشمال زمامها •
فإنه إنما أراد بذلك إثبات القدرة التامة للشمال على التصرف في القرة كيف ما شاء على طريقة
التمثيل من غير أن يخطر بباله أن يثبت لها يداً أو للقرة زماماً وأمثالها لما يخفى وقد يجوز عليه
إرادة المعنى الحقيقي كما في قوله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيامة في سورة آل عمران
وقيل أرادوا وإنما حكي عنهم بقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء
غلت أيديهم دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكنة أو بالفقر والنكد أو بغل الأيدي
حقيقة بأن يكونوا أسارى مغلولين في الدنيا ويسحبوا إلى النار بأغلالها في الآخرة فتكون
المطابقة حينئذ من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الأصلي كما في سبني سب الله دابره ولعنوا
عطف على الدعاء الأول أي أبعدوا من رحمته تعالى بما قالوا أي بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء
وقيل كلامهم بل يداه مبسوطتان عطف على مقدر يقتضيه المقام أي كلا ليس كذلك بل
هو في غاية ما يكون من الجود وإليه أشير بتثنية اليد فإن أقصى ما تنتهي إليه همم الأسخياء أن
يعطوا ما يعطونه بكلتا أيديهم • وقيل التثنية للتنبيه على منحه تعالى لنعمتي الدنيا والآخرة •
وقيل على إعطائه إكراماً وعلى إعطائه استدراجاً ينفق كيف يشاء جملة مستأنفة واردة
لتأكيد كمال جوده وللتنبيه على سر ما ابتلوا به من الضيق الذي اتخذوه من غاية جهلهم وضلالهم
ذريعة إلى الاجتراء على تلك الكلمة العظيمة والمعنى أن ذلك ليس لقصور في فيضه بل لأن إنفاقه
تابع لمشيئته المبنية على الحكم التي يدور عليها أمر المعاش والمعاد وقد اقتضت الحكمة بسبب
ما فيهم من شؤم المعاصي أن يضيق عليهم كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله عز وعلا ولو أنهم أقاموا
التوراة والإنجيل الآية وكيف ظرف ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير ينفق أي ينفق
كائناً على أي حال شاء أي كائناً على مشيئته أي مريداً وترك ذكر ما ينفقه لقصد التعميم وليزيدن
كثيراً منهم وهم علماؤهم ورؤساؤهم ما أنزل إليك من القرآن المشتمل على هذه الآيات وتقديم
المفعول للاعتناء به وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم لما أن بعضهم ليسوا كذلك من ربك متعلق
بأنزل كما أن إليك كذلك وتأخيره عنه مع أن حق المبدأ أن يتقدم على المنتهى لاقتضاء مقام
الاهتمام ببيان المنتهى لأن مدار الزيادة هو النزول إليه صلى الله عليه وسلم كما في قوله

تعالى

تعالى وأنزل إليك الذكر لتبين للناس والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره صلى الله عليه
وسلم لتشريفه صلى الله عليه وسلم طغياناً وكفراً مفعول ثان للزيادة أي ليزيدن طغيانهم
إلى طغيانهم وكفرهم إلى كفرهم حسب المقدار كما أن الطعام الصالح للأصحاء يزيد المرضى مرضاً وألقينا
بينهم أي بين اليهود فإن بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة العداوة
والبغضاء فلا تكاد تتوافق قلوبهم ولا تتطابق أقوالهم • والجملة مبتدأة مسوقة لإزاحة ما عسى يتوهم
من ذكر طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما أن الطعام الصالح للأصحاء يزيد المرضى مرضاً والاجتماع
على أمر بحيث يؤدي إلى الإضرار بالمسلمين وقيل العداوة أخص من البغضاء لأن كل عدو مبغض بلا عكس
كلياً إلى يوم القيامة متعلق بألقينا وقيل بالبغضاء كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله تصريح بما أشير إليه
من عدم وصول غائلة ما ذكر للمسلمين أي كلما أرادوا محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم ورتبوا
مبادئها وركبوا في ذلك متن كل صعب ردهم الله تعالى وقهرهم أو كلما أرادوا حرب أحد غلبوا
فإنهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله عليهم بخت نصر ثم أفسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي
ثم أفسدوا فسلط عليهم المجوس ثم أفسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب إما صلة لأوقدوا
أو متعلق بمحذوف وقع صفة لناراً أي كائنة للحرب ويسعون في الأرض فساداً أي يجتهدون في الكيد
للإسلام وأهله وإثارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغاير ما عبر عنه بإيقاد نار الحرب وفساداً
إما مفعول له أو في موقع المصدر أي يسعون للفساد أو يسعون سعي فساد والله لا يحب المفسدين
ولذلك أطفأ نائرة إفسادهم واللام إما للجنس وهم داخلون فيه دخولاً أولياً وإما للعهد
ووضع المظهر مقام المضمر للتعليل وبيان كونهم راسخين في الإفساد ولو أن أهل الكتاب
أي اليهود والنصارى على أن المراد بالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والإنجيل وإيراد
العنوان لتأكيد التشنيع فإن أهلية الكتاب توجب إيمانهم به وإقامتهم له لا محالة فكفرهم به
وعدم إقامتهم له وهم أهله أقبح من كل قبيح وأشنع من كل شنيع فمفعول قوله تعالى آمنوا محذوف
ثقة بظهوره مما سبق من قوله تعالى هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل
من قبل وأن أكثركم فاسقون وما لحق من قوله تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل إلى
آخره أي لو أنهم مع ما عدد من سيئاتهم من فنون الجنايات قولاً وفعلاً آمنوا بما يجب الإيمان به
فيندرج فيه إيمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وأما إرادة إيمانهم به صلى الله عليه وسلم
خاصة فيأباه المقام لأن ما ذكر فيما سبق وما لحق من كفرهم به صلى الله عليه وسلم إنما يستلزم
كفرهم بجنابهم بمحل الإيمان به صلى الله عليه وسلم خاصة عما يجاريه من أطراف النظم
الكريم واتقوا ما عددنا من معاصيهم التي من جملتها مخالفته لكفرنا عنهم سيئاتهم التي اقترفوها
وإن كانت في غاية العظم ونهاية الكثرة ولم نؤاخذهم بها ولأدخلناهم مع ذلك جنات النعيم
وتكرير اللام لتأكيد الوعيد وفيه تنبيه على كمال عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم وأن الإسلام
يجب ما قبله من السيئات وإن جلت وجاوزت كل حد معهود ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل
بمراعاة ما فيهما من الأحكام التي من جملتها شواهد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومبشرات بعثته
فإن إقامتهما بذلك إنما يكون بذلك لا بمراعاة جميع ما فيهما من الأحكام لانتساخ بعضها بنزول
القرآن فليست مراعاة الكل من إقامتهما في شيء وما أنزل إليهم من ربهم من القرآن المجيد المصدق

لكتبهم وأريد بهذا العنوان للإيذان بوجوب إقامتها عليهم لنزولها إليهم والتصريح ببطلان ما كانوا
يدعونه من عدم نزوله إلى بني إسرائيل وتقديم إليهم لما مر من قبل وفي إضافة الرب إلى ضميرهم
مزيد لطف بهم في الدعوة إلى الإقامة وقيل المراد بما أنزل إليهم كتب أنبياء بني إسرائيل مثل كتاب
شعيا وكتاب حبقوق وكتاب دانيال فإنها مملوءة بالبشارة بمبعثه صلى الله عليه وسلم **لأكلوا من**
فوقهم ومن تحت أرجلهم أي لوسع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات السماء والأرض وبأن يكثر
ثمرات الأشجار وغلال الزروع أو بأن يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنوا ما تهدل منها من رؤوس
الأشجار ويلتقطوا ما تساقط منها على الأرض وقيل المراد المبالغة في شرح السعة والخصب
لا تعيين الجهتين كأنه قيل لأكلوا من كل جهة ومفعول أكلوا محذوف لقصد التعميم أو القصد
إلى نفس الفعل كما في قوله فلان يعطي ويمنع ومن في الموضعين لابتداء الغاية وفي ما بين الشرطيتين
من حثهم على ما ذكر من الإيمان والتقوى والإقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين وزجرهم
عن الإخلال به ببيان إفضائه إلى الحرمان منها وتنبيههم على أن ما أصابهم من الضنك
والضيق إنما هو من شؤم جناياتهم لا لقصور في فيض الفياض ما لا يخفى **منهم أمة مقتصدة** جملة مستأنفة
مبنية على سؤال نشأ من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف الامتناع الدالتين على انتفاء الإيمان والا
والإقامة الكتب المنزلة من أهل الكتاب كأنه قيل هل كلهم كذلك مصرون على عدم الإيمان
إلى الآن فقيل منهم أمة مقتصدة أما على أن منهم مبتدأ باعتبار مضمونه أي بعضهم أمة وإما
بتقدير الموصوف أي بعض كائن منهم كما في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية
أي طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه وثمانية وأربعون من النصارى
وقيل طائفة حالهم أمم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم **وكثير منهم** مبتدأ تخصصه بالصفة
خبره **ساء ما يعملون** أي مقول في حقهم هذا القول أي بئسما يعملون وفيه معنى
التعجب أي ما أسوأ عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والإعراض عنه والإفراط في العداوة
وهم الأجلاف المتعصبون ككعب بن الأشرف وأشباهه والروم **يا أيها الرسول** نودي عليه
الصلاة والسلام بعنوان الرسالة تشريفا له وإيذانا بأنها من موجبات الإتيان بما أمر به من
تبليغ ما أوحي إليه **بلغ ما أنزل إليك** أي جميع ما أنزل إليك من الأحكام وما يتعلق بها كائنا ما كان
وفي قوله تعالى **من ربك** أي مالك أمورك ومبلغك إلى كمالك اللائق بك عدة ضمنية بحفظه عليه
الصلاة والسلام وكلاءته أي بلغه غير مراقب في ذلك أحدا ولا خائف أن ينالك مكروه **وإن لم تفعل**
أي ما أمرت به من تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبئ عنه قوله تعالى **فما بلغت رسالته** فإن ما
لا يتعلق به من الأحكام أصلا من الأسرار الخفية ليس مما يتعذر تبليغه إلى الناس أي فما بلغت
شيئا من رسالته والتعبير عن ذلك بعنوان الرسالة بالمرة لما أن بعضها ليس أولى بالأداء من
بعض فإذا لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعا كما أن من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم
يؤمن بكلها لإدلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها كذلك في حكم شيء واحد ولا ريب في أن الواحد
لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به ولأن كتمان بعضها إضاعة لما أدي منها كترك بعض أركان
الصلاة فإن غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل فكأنك ما بلغت شيئا منها كقوله تعالى
فكأنما قتل الناس جميعا من حيث إن كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب

وقري

وقرئ فما بلغت رسالاته وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا فأوحى الله إلي إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك
وضمن لي العصمة فقويت وذلك قوله تعالى **والله يعصمك من الناس** فإنه كالتي عدة كريمة
بعصمته من لحوق ضررهم به وحسما للعذر باعثه له صلى الله عليه وسلم كان يحرس حتى نزلت فأخرج
رأسه من قبة أدم فقال انصرفوا أيها الناس فقد عصمني الله تعالى من الناس وقوله تعالى **إن**
الله لا يهدي القوم الكافرين تعليل لعصمته تعالى له صلى الله عليه وسلم أي لا يمكنهم مما يريدون
بك من الإضرار وإيراد الآية الكريمة في تضاعيف الآيات الواردة في حق أهل الكتاب
لما أن الكل نوع بيان لكفرهم وشناعاتهم في حق الرسول صلى الله عليه وسلم ومناصبتهم بما
وخصوصا ما نابت لوسا من التبليغ النافي عليهم كما لهم ولذلك أعيد الأمر فقيل **قل يا أهل**
الكتاب مخاطبا للفريقين **لستم على شيء** أي دين يعتد به ويليق بأن يسمى شيئا لظهور بطلانه
ووضوح فساده وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه **حتى تقيموا التوراة**
والإنجيل أي تراعوهما وتحافظوا عليهما على ما فيهما من الأمور التي من جملتها دلائل رسالة الرسول
صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته فإن إقامتهما إنما تكون بذلك وأما مراعاة أحكامهما
المنسوخة فليست من إقامتهما في شيء بل هو تعطيل لهما ورد لشهادتهما لأنهما شاهدان بنسخها وانتهاء
وقت العمل بها لأن شهادتهما بصحة ما ينسخها شهادة بنسخها وخروجها عن كونها من أحكامهما
وأن أحكامهما ما قرره النبي الذي بشر فيهما ببعثته وذكر في تضاعيفهما نعوته فإذا إقامتهما
بيان لشهادة النبوة والعمل بما قرره الشريعة من الأحكام كما يفصح عنه قوله تعالى **وما أنزل**
إليكم من ربكم أي القرآن المجيد بالإيمان به فإن إقامة الجميع لا تتأتى بغير ذلك وتقديم
إقامة الكتابين في إقامته مع أنها المقصودة بالذات لرعاية حق الشهادة واستنزالهم عن
رتبة الشقاق وإيراده بعنوان الإنزال إليهم لما مر من التصريح بأنهم مأمورون بإقامته
والإيمان به لا كما يزعمون من اختصاصه بالعرب وفي إضافة الرب إلى ضميرهم ما أشير
إليه من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما أنزل إليهم كتب أنبياء بني إسرائيل كما مر وقيل
الكتب الإلهية فإنها بأسرها آمرة بالإيمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن جماعة من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ألست تقر أن التوراة حق من عند الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم بلى فقالوا فإنا نؤمن بها
ولا نؤمن بغيرها فنزلت وقوله تعالى **وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا**
جملة مستأنفة مبينة لشدة شكيمتهم وغلوهم في المكابرة والعناد وعدم إفادة التبليغ
نفعا وتصديرها بالقسم لتأكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد بالكثير المذكور علماؤهم
ورؤساؤهم ونسبة الإنزال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسبته فيما مر إليهم
للإيذان بأن مدار الزيادة من تلك الحيثية **فلا تأس على القوم الكافرين** أي لا تتأسف ولا تحزن
عليهم لإفراطهم في الطغيان والكفر بما تبلغه إليهم فإن غائلته آيلة إليهم وتبعته حائقة بهم
لا تتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ
في الكفر **إن الذين آمنوا** كلام مستأنف مسوق لترغيب من عدا المذكورين في الإيمان والعمل

الصالح اي الذين امنوا بالسنتهم فقط وهم المنافقون وقيل اعم من ان تواطيها قلوبهم اولا
والذين هادوا اي دخلوا في اليهودية والنصارى جمع نصران وقد مر تفصيله في سورة البقرة
وقوله تعالى والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير
ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك لقوله

فاني وقيار بها لغريب ° وقوله °
والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق °

خلا انه وسط
بين اسم ان وخبرها دلالة على ان الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الاديان كلها حيث قبلت
توبتهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فغيرهم اولى بذلك ° وقيل الجملة الاتية خبر
للمبتدا المذكور وخبر ان مقدر كما في قوله °

نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف °

وقيل والنصارى مرفوع على الابتداء كقوله تعالى والصابئون عطفا عليه وقوله من امن خبرهم
عطف على الجملة المصدرة بان ولا مساغ لعطفه وحده على محل ان واسمها لاشتراط الذي
بالفراغ من الخبر والا لاشتغل الخبر بان والابتدا معا لعمله بان ذلك اذا كان الخبر
خبر الجماعة واما اذا كان خبر المعطوف محذوفا فلا محذور فيه ولا على الضمير في هادوا لعدم
التاكيد والفصل ولاستلزامه كون الصابئين هودا ° وقرئ والصابيون بياء صريحة
بتخفيف الهمزة ° وقرئ والصابون وهو من صبا يصبو لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات
في دينهم ° وقرئ والصابئين ° وقرئ يا ايها الذين امنوا والذين هادوا والصابئون °
وقوله تعالى من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا اما في محل الرفع على انه مبتدا خبره فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط وجمع الضميرين الاخيرين باعتبار معنى الموصول
كما ان افراد ما في صلته باعتبار لفظه والجملة خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اي من امن
منهم ° واما في محل النصب على انه بدل من اسم ان وما عطف عليه والخبر قوله تعالى
فلا خوف والفاء كما في قوله تعالى ان الذين فتنوا المومنين والمومنات ثم لم يتوبوا فلهم
عذاب جهنم الاية ° فالمعنى على تقدير كون المراد بالذين امنوا المنافقين وهو الاظهر من
امن منهم من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدا والمعاد على الوجه اللائق لا كما يزعمه اهل
الكتاب فان ذلك بمعزل من ان يكون ايمانا بهما وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بهما فلا خوف
عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر
وتفويت الثواب ° والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر
في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام
والاستمرار بحسب المقام ° واما على تقدير كون المراد بالذين امنوا مطلق المتدينين بدين
الاسلام المخلصين منهم والمنافقين فالمراد بمن امن من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدا
والمعاد على الوجه اللائق لا كما يزعمه اهل الكتاب فان ذلك بمعزل من ان يكون ايمانا بهما وعمل عملا
صالحا حسبما يقتضيه الايمان بهما فلا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين
يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما

كما توهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا ان النفي وان دخل على نفس المضارع
يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام ° واما على تقدير كون المراد بالذين امنوا مطلق
المتدينين بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين فالمراد بمن امن من اتصف منهم بالايمان
الخالص بالمبدا او المعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كايمان
المخلصين او بطريق الاحداث والانشاء كايمان من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف
وفائدة التعميم للمخلصين المبالغة في ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تاخرهم في الاتصاف
به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين الاعلام ° واما ما قيل من ان المعنى من كان
منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه
اصلا كما مر تفصيله في سورة البقرة لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل كلام مبتدا مسوق لبيان بعض
اخر من جناياتهم المنادية باستبعاد الايمان منهم اي وبالله لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد
وسائر الشرائع والاحكام المكتوبة عليهم في التوراة وارسلنا اليهم رسلا ذوي عدد كثير
واولي شان خطير ليقرروهم عليه ويقفوهم على مراعاة حقوق الميثاق ويطلعوهم على ما ياتون وما يذرون
في دينهم ويتعهدوهم بالعظة والتذكير ° وقوله تعالى كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم
جملة شرطية مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار باخذ الميثاق وارسال الرسل
وجواب الشرط محذوف ° كانه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول من اولئك
الرسل بما لا تحبه انفسهم المنهمكة في الغي والفساد من الاحكام الحقة والشرائع عصوه وعادوه
وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب مستانف عن استفسار كيفية ما اظهروه
من اثار المخالفة المفهومة من الشرطية على طريقة الاجمال ° كانه قيل كيف فعلوا بهم فقيل
فريقا منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم بشيء اخر من المضار وفريقا اخر منهم لم يكتفوا
بتكذيبهم بل قتلوهم ايضا ° وانما اوثر عليه صيغة المضارعة على حكاية الحال الماضية لاستحضارها
والايذان بتجددها وللتعجيب منها والتنبيه على ان ذلك ديدنهم المستمر وللمحافظة على رؤوس الاي الكريمة
وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام به وتشويق السامع الى ما فعلوا به لا للقصر
واما جعل الشرطية صفة لرسلا كما ذهب اليه الجمهور فلا يساعده المقام لما تقرر
ان الجملة الخبرية اذا جعلت صفة او صلة سلخ ما فيها من الحكم وجعلت عنوانا للموصوف
وتتمة له في اثبات امر اخر له ° ولذلك يجب ان يكون الوصف معلوم الانتساب الى الموصوف
عند السامع قبل جعله وصفا له ° ومن هنا قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار
بعد العلم بها صفات ° ولا ريب في ان ما سيق له النظم الكريم انما هو شان انهم جعلوا الجما
من رسل الله تعالى عرضة للقتل والتكذيب حسبما بينه جعلها استئنافا في ابلغ وجه
واكده لا بيان ان الله تعالى ارسل اليهم رسلا موصوفين بكون فريق منهم كذلك كما هو مقتضى جعلها
صفة وحسبوا ان لا تكون فتنة اي حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم من الله تعالى بلاء وعذاب بما فعلوا من
الدماء العظيمة والخطة الشنعاء لادعائهم ° وقرئ لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة
من ان واسمها ضمير الشان المحذوف واصله انه لا تكون فتنة ° والتعليق بفعل الحسبان
مع انها للتحقيق لتنزيله منزلة العلم لكمال قوته وان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا

عطف على حسبوا والفا للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي امنوا بأس الله تعالى فتمادوا في
فنون الغي والفساد وعموا عن الدين بعد ما هداهم الرسل الى معالمه الظاهرة وبينوا لهم مناهجه
الواضحة **وصموا** عن استماع الحق الذي القوه عليهم ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا اشارة الى المرة
الاولى من مرتي افساد بني اسرائيل حين خالفوا احكام التوراة وركبوا المحارم وقتلوا اشعيا وقيل
حبسوا ارمياء عليهما السلام لا الى عبادتهم العجل كما قيل فانها وان كانت معصية عظيمة ناشئة
عن كمال العمى والصمم لكنها في عهد موسى عليه السلام ولا تعلق لها بما حكي عنهم مما فعلوا بالرسل
الذين جاؤهم بعده عليه السلام بأعصار **ثم تاب الله عليهم** حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه
من الفساد بعد ما كانوا ببابل دهرا طويلا تحت قهر بختنصر اسارى في غاية الذل
والمهانة فوجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس الى بيت المقدس فعمره ورد من بقي من بني اسرائيل
من اسر بختنصر الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلاثين
سنة وكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا عليه • وقيل لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده
كشتاسف القى الله عز وجل في قلبه شفقة عليهم فردهم الى الشام وملك عليهم دانيال
عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع بختنصر فقامت فيهم الانبياء فرجعوا الى
احسن ما كانوا عليه من الحال • وذلك قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم • واما ما قيل
من ان المراد بتوبته تعالى عليهم رفع البلاء عنهم بعد عبادة العجل فقد عرفت ان ذلك لا تعلق له بالمقام ولم يسند
التوبة اليهم كسائر احوالهم من الحسبان والعمى والصمم تجافيا عن التصريح بنسبة الخير اليهم
وانما اشير اليها في ضمن بيان توبته تعالى عليهم تمهيدا لبيان نقضهم اياها بقوله تعالى **ثم عموا وصموا**
وهو اشارة الى المرة الاخيرة من مرتي افسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريا ويحيى وقصدهم
قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام لا الى طلبهم الرؤية كما قيل لما عرفت سره فان فنون الجنايات
الصادرة عنهم لا تكاد تتناهى خلا ان الاقتصار على ما حكي عنهم من نقض الميثاق وتكذيب الرسل وقتلهم لحكاية ما
فعلوا بالرسل عليهم السلام يقضي بان المراد ما ذكرناه والله عنده علم الكتاب • وقرئ عموا
وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزلته
اذا اصبته بالنزلة وركبته اذا ضربته بركبتك • وقوله تعالى **كثير منهم** بدل من الضمير
في الفعلين • وقيل خبر مبتدأ محذوف اي اولئك كثير منهم **والله بصير بما يعملون** اي والصيغة
المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها الفظيعة ورعاية للفواصل • والجملة تذييل
اشير به الى بطلان حسبانهم المذكور ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا اشارة اجمالية
اكتفي بها تعويلا على ما فصل نوع تفصيل في سورة بني اسرائيل • والمعنى حسبوا ان لا يصيبهم
عذاب فعلوا ما فعلوا من الجنايات العظيمة الموجبة لاشد العذاب والعقوبات والله
بصير بتفاصيلها فكيف لا يؤاخذهم بها ومن ابن يظهر بطلان الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك في
المرة الاولى حيث سلط الله تعالى عليهم بختنصر عامل لهراسب على بابل وقيل جالوت الجزري وقيل
سنحاريب من اهل نينوى والاول هو الانسب فاستولى على بيت المقدس فقتل من اهله اربعين
الفا ممن يقرأ التوراة وذهب بالبقية الى ارضه فبقوا هناك على اقصى ما يكون من الذل والنكد
الى ان احدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز وجل الى احسن ما حكي عنهم من حسن الحال ثم عادوا الى الظلم

الاخير

الاخير من الافساد بعث الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه خودرود
وقيل حردوس فقتل بعد ما قتله • وقيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم
فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم ثم قال ان لم تصدقوني
ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال بمثل هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك
ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي منهم
احدا فهدأ **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم** شروع في تفصيل قبائح النصارى وابطال
اقوالهم الفاسدة بعد تفصيل قبائح اليهود وهؤلاء هم الذين قالوا ان مريم ولدت الها قيل
هم الملكانية والمارية والنسطورية منهم وقيل هم اليعقوبية خاصة • قالوا ومعنى هذا ان الله تعالى
حل في ذات عيسى واتحد بذاته تعالى سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا **وقال المسيح** حال من
فاعل قالوا بتقدير قد مفيدة لمزيد تقبيح حالهم ببيان تكذيبهم للمسيح وعدم انزجارهم عما زجروا
عليه بما اوعدهم به اي قالوا ذلك وقد قال المسيح مخاطبا لهم **يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم**
اي فاني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم **انه** اي الشأن **من يشرك بالله** اي شيئا في
عبادته او فيما يختص به من صفات الالوهية **فقد حرم الله عليه الجنة** فلن يدخلها ابدا
كما لا يدخل المحرم عليه المحرم فانها دار الموحدين • واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتهويل
الامر وتربية المهابة **ومأواه النار** فانها هي المعدة للمشركين وهذا بيان لابتلائهم بالعقاب
اثر بيان حرمانهم الثواب **وما للظالمين من انصار** اي ما لهم من احد ينصرهم بانقاذهم من النار اما
بطريق المغالبة او بطريق الشفاعة والجمع لمراعاة المقابلة بالظالمين واللام للعهد والجمع
باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها واما للجنس وهم داخلون فيه
دخولا اوليا ووضعه في الاول موضع الضمير للتسجيل عليهم بانهم ظلموا بالاشراك وعدلوا
عن طريق الحق • والجملة تذييل مقرر لما قبلها وهو اما من تمام كلام عيسى عليه السلام واما
وارد من جهته تعالى تأكيدا لمقالته عليه الصلاة والسلام وتقريرا لمضمونها • وقد قيل انه
من كلامه عز وجل على معنى انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم
يساعدوا وقد علم كما مر من قبل لم يقبل التعبير كما حكي عنه عليه السلام
عن مقالتهم لعدم ظهور الباطل بعد الرد والانكار والوعيد بحرمان الجنة ودخول النار بمجرد
مقالتهم مشاهد تعلقها ذلك ونهي تعرضه له مع خلو عن الفائدة يعصوب للموي بصورة المعصية
وسوق الخطاب في مقام تهويله بل ربما يوهم ذلك عكس المطلوب مما لا يليق بشأنه عليه الصلاة
والسلام من توهم المساعدة والنصرة لا تتمع ملاحظة قوله وان كانوا مصطفين له الى اخر
الاية انما كلام فيما لم يكن فيه • وكذا الحال في تقدير كونه من تمام كلامه عليه الصلاة
والسلام فان زجرهم عن قولهم الباطل بما ذكر من عدم النصير والشاهد بعد زجرهم
بما مر من الزواجر الاكيدة والوعيد الشديد لا يخلو عن الافادة والثاني لا سبيل اليه لتباينها بالاعتقاد
الى التهكم **لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة** شروع في بيان كفر طائفة اخرى منهم ومعنى
قولهم ثالث ثلاثة ورابع اربعة وخامس خمسة اذا كان ما بعده من غير جنسه احد تلك الاعداد
مطلقا الا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث

ثلاثة ورابع اربعة وانما ينصبه اذا كان ما بعده دونه بمرتبة كما في قولك عاشر تسعة وتاسع ثمانية
اي الا انهم يقولون الالهية مشتركة بين الله سبحانه وتعالى وعيسى ومريم وكل واحد من هؤلاء اله
ويؤكده قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقوله تعالى ثالث ثلاثة
احد ثلاثة آلهة وهو المتبادر من ظاهر قوله تعالى وما من اله الا اله واحد اي والحال انه ليس
في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف
بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق. وقيل انهم يقولون الله جوهر
واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول
الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحياة فمعنى قوله تعالى وما من اله الا اله
واحد بالذات منزه عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه وان لم ينتهوا عما يقولون من
الكفر الشنيع ولم يوحدوا وقوله تعالى ليمسن الذين كفروا جواب قسم محذوف ساد مسد جواب
الشرط اي وبالله ان لم ينتهوا ليمسنهم والاوضع موضع ضميرهم الموصول لتكرير الشهادة عليهم
بالكفر ومن في قوله تعالى منهم بيانية اي ليمسن الذين بقوا منهم على ما كانوا عليه من الكفر ومن
تبعيضية والمجيء بالفعل المنبئ عن الحدوث تنبيها على ان الاستمرار عليه بعد ورود ما ينعى عليه
بالتلبيس من نعي عيسى عليه السلام كفر جديد وغلو زائد على ما كانوا عليه من اصل الكفر
عذاب اليم اي نوع شديد الالم من العذاب والهمزة في الاستفهام في قوله تعالى افلا يتوبون الى
الله ويستغفرونه لانكار الواقع واستبعاده لا لانكار الوقوع وفيه تعجيب من اصرارهم والفاء
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا ينتهون عن تلك العقائد الزائغة والاقاويل الباطلة
فلا يتوبون الى الله ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه اليه من الاتخاذ والحلول بعد هذا
الانكار والتعجيب عدم الانتهاء وعدم التوبة معا او ايسمعون هذه الشهادات المكررة والتشديدات
المقررة فلا يتوبون عقيب ذلك فالانكار والتعجيب عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجب من سماع تلك
القوارع الهائلة. وقوله عز وجل والله غفور رحيم جملة حالية من فاعل يستغفرونه مؤكدة
للانكار والتعجيب من اصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم الى الاستغفار اي والحال انه تعالى
مبالغ في المغفرة فيغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله ما المسيح ابن مريم الا رسول
استئناف مسوق لتحقيق الحق الذي لا محيد عنه وبيان حقيقة حاله عليه الصلاة والسلام
وحال امه بالاشارة اولا الى اشرف ما لهما من نعوت الكمال التي بها صارا من زمرة اكمل افراد الجنس
واخرا الى الوصف المشترك بينهما وبين جميع افراد البشر بل افراد الحيوان استنزالا لهم بطريق
التدرج عن رتبة الاصرار على ما تقولوا عليهما وارشادا لهم الى التوبة والاستغفار اي هو مقصور
على الرسالة لا يكاد يتخطاها. وقوله تعالى قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول منبئة عن اتصافه
بما ينافي الالوهية اي ما هو الا رسول كالرسل الخالية من قبله خصه الله تعالى ببعض الآيات كما
خص كلا منهم ببعض اخر منها فان احيى الموتى على يديه فقد احيى العصا في يد موسى وجعلت حية
تسعى وهو اعجب منه وان خلق من غير اب فقد خلق آدم من غير اب ولا ام وهو اغرب منه
وكل ذلك من جنابه عز وجل وانما موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام مظاهر لشؤونه وافعاله
وامه صديقة اي وما امه ايضا الا كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او التصديق ويبالغن

في

في الاتصاف بهما فما رتبتهما الا رتبة بشرين احدهما نبي والاخر صحابي فمن اين لكم ان تصفوهما بما لا يوصف
به سائر الانبياء وخواص اصحابهم كانا ياكلان الطعام استئناف مبين لما اشير اليه من كونهما كسائر
افراد البشر في الاحتياج الى ما يحتاج اليه كل فرد من افراده بل من افراد الحيوان. وقوله عز
وجل انظر كيف نبين لهم الآيات تعجيب من حال الذين يدعون لهما الربوبية ولا يرعوون
عن ذلك بعد ما بين لهم حقيقة حالهما بيانا لا يحوم حوله شائبة ريب وكيف معمول لنبين والجملة
في حيز النصب معلقة لانظر اي انظر كيف نبين لهم الآيات الباهرة المنادية ببطلان ما تقولوا
عليهما ايكادة تنبيه منه الجبال ثم انظر انى يؤفكون اي كيف يصرفون عن استماعها والتأمل
فيها والكلام فيه كما في قبله وتكرير الامر بالنظر للمبالغة في التعجيب وثم لاظهار ما بين العجيبين
من التفاوت اي ان بياننا للآيات امر بديع في بابه بالغ لاقصى الغايات القاصية من التحقيق
والايضاح واعراضهم عنها مع انتفاء ما يصححه بالكلية وتعاضد ما يوجب قبولها اعجب وابدع
قل امر له صلى الله عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه من احوالهم اتعبدون من دون الله
اي متجاوزين اياه وتقديمه على قوله تعالى ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر والموصول عبارة عن عيسى عليه الصلاة والسلام وايثاره على كلمة
من لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل من الالوهية راسا ببيان انتظامه عليه الصلاة والسلام
في سلك الاشياء التي لا قدرة لها على شيء اصلا وهو عليه الصلاة والسلام وان كان يملك
ذلك بتمليكه تعالى اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر به الله تعالى من البلايا والمصائب
وما ينفع به من الصحة والسعة وتقديم الضر على النفع لان التحرز عنه اهم من تحري النفع ولان ادنى
درجات التاثير دفع الشر ثم جلب الخير وقوله تعالى والله هو السميع العليم حال من فاعل
اتعبدون مؤكدة للانكار والتوبيخ ومقررة للالزام والتبكيت والرابط هو الواو اي
اتشركون بالله تعالى ما لا يقدر على شيء من ضركم ونفعكم والحال ان الله تعالى هو المختص
بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات التي من جملتها ما انتم عليه من الاقوال
الباطلة والعقائد الزائغة والاعمال السيئة وبالقدرة الباهرة على جميع المقدورات.
التي من جملتها مضاركم ومنافعكم في الدنيا والآخرة قل يا اهل الكتاب تلوين للخطاب.
وتوجيه له الى فريقي اهل الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ابطال مسلك.
كل منهما بالغاية في زجر سامعيه عما سلكوا من المسلك الباطل وارشادهم الى الامر.
الثابت لا تغلوا في دينكم اي لا تتجاوزوا الحد وهو نهي للنصارى عن رفع عيسى عن رتبة
الرسالة الى ما تقولوا في حقه من العظيمة وللبهود عن وضعهم له عليه الصلاة والسلام.
عن رتبته العلية الى ما تقولوا عليه من الكلمة الشنعاء وقيل هو خاص بالنصارى كما في سورة
النساء فذكرهم بعنوان اهلية الكتاب لتذكيرهم ان الانجيل ايضا ينهاهم عن الغلو وقوله
تعالى غير الحق نصب على انه نعت لمصدر محذوف اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا
باطلا او حال من ضمير الفاعل اي لا تغلوا مجاوزين الحق او من دينكم اي لا تغلوا في دينكم حال
كونه باطلا. وقيل نصب على الاستثناء المتصل. وقيل على المنقطع ولا تتبعوا اهواء قوم
قد ضلوا من قبل هم اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا عن الحق قبل البعثة او من النصارى على

القولين قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم في شرعهم **واضلوا كثيرا** اي قوما كثيرا الى الزيغ
والضلال او ضلالا كثيرا والمفعول محذوف **وضلوا** عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ووضوح
محجة الحق وتبيين مناهج الاسلام **عن سواء السبيل** حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه
وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني الى ضلالهم عما جاء به الشرع
لعن الذين كفروا اي لعنهم الله عز وجل وبناء الفعل للمفعول للجري على سنن الكبرياء
من بني اسرائيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول او من فاعل كفروا **على لسان داود**
وعيسى ابن مريم متعلق بلعن اي لعنهم الله تعالى في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل
ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت دعا عليهم داود عليه السلام وقال اللهم العنهم
واجعلهم اية فمسخهم الله تعالى قردة واصحاب المائدة لما كفروا قال عيسى عليه السلام
اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين ●
والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف رجل ما فيهم
امرأة ولا صبي **ذلك** اشارة الى اللعن المذكور وايثاره على الضمير للتنبيه على كمال ظهوره
وامتيازه عن نظائره وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة ● وما فيه من معنى
البعد للايذان بكمال فظاعته وبعد درجته في الشناعة والهول وهو مبتدأ خبره قوله
تعالى **بما عصوا وكانوا يعتدون** والجملة مستأنفة واقعة موقع الجواب عما نشأ من الكلام
كانه قيل باي سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن الهائل الفظيع بسبب عصيانهم واعتدائهم
المستمر كما ينبئ عنه الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وينبئ عنه قوله تعالى **كانوا لا يتناهون**
عن منكر فعلوه فانه استئناف مبني بعبارته لاستمرار عدم التناهي عن المنكر
ولا يمكن استمراره الا باستمرار تعاطي المنكرات وليس المراد بالتناهي ان ينهى كل واحد منهم
الاخر عما يفعله من المنكر كما هو المعنى المشهور لصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهي عن اشخاص
متعددة من غير اعتبار ان يكون كل واحد منهم ناهيا ومنهيا معا كما في تراءوا الهلال
وقيل التناهي بمعنى الانتهاء يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع عنه وتركه
فالجملة حينئذ مفسرة لما قبلها من المعصية والاعتداء ومفيدة لاستمرارهما صريحا
وعلى الاول مفيدة لاستمرار انتفاء النهي عن المنكر بان لا يوجد فيما بينهم من يتولاه في وقت
من الاوقات ● ومن ضرورته استمرار فعل المنكر حسبما سبق ● وعلى كل تقدير فالمراد
بتنكير المنكر منها الوحدة النوعية لا الشخصية فلا يقدح وصفه بالفعل الماضي في تعلق
النهي به لما ان تعلق الفعل انما هو بفرد من افراده ما يتعلق به النهي والامتناع مطلق المنكر
باعتبار تحققه في ضمن اي فرد كان من افراده على ان المضي المعتبر في الصفة انما هو بالنسبة
الى زمان النزول لا الى زمان النهي حتى يلزم كون النهي فلا حاجة الى تقدير المعاودة
او المثل وجعل الفعل عبارة عن الارادة او المثل الى ان المعاودة كالنهي لا تتعلق
بالمنكر المفعول فلا بد من المصير الى احد ما ذكر من الوجهين او الى تقدير المثل او الى
جعل الفعل عبارة عن ارادته وفي كل ذلك تعسف لا يخفى **لبئس ما كانوا يفعلون** تقبيح
لسوء اعمالهم وتعجيب منه بالتوكيد القسمي كيف لا وقد اداهم الى ما شرح من اللعن الكبير

ذلك

ذلك بين في تشبيه بذلك دلالة على خروج كفرهم عن السببية مع الاشارة الى سببية له فيما سبق
من قوله تعالى لعن الذين كفروا فان اجراء الحكم على الموصول مشعر بعلية ما في حيز
الصلة له الا ان ذلك في حيز السببية لتذييل كفرهم ايضا **ترى كثيرا منهم** اي من
اهل الكتاب ككعب ابن الاشرف واضرابه حيث خرجوا الى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة
النبي صلى الله عليه وسلم والرؤية بصرية ● وقوله تعالى **يتولون الذين كفروا** حال
من كثيرا لكونه موصوفا اي يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
وقيل من منافقي اهل الكتاب يتولون اليهود ● وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن
رضي الله تعالى عنهم ● وقيل يوالون المشركين وبعضهم **لبئس ما قدمت لهم انفسهم** اي لبئس
شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيامة **ان سخط الله عليهم** هو المخصوص بالذم على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على كمال التعلق والارتباط بينهما كانهما شيء
واحد وهو مبالغة في الذم موجب سخطه تعالى ومحله الرفع على الابتداء والجملة
قبله خبره والرابط عند من يشترطه هو العموم او لا حاجة اليه لان الجملة عين المبتدأ
او على انه خبر لمبتدأ محذوف يبين عنه الجملة المتقدمة كانه قيل ما هو اي شيء هو
فقيل هو ان سخط الله عليهم ● وقيل المخصوص بالذم محذوف وما اسم تام في محل النصب بالتمييز
للفعل الذم وقدمت لهم انفسهم صفته وقوله تعالى ان سخط الله عليهم بدل من المخصوص المحذوف وهو
مذهب سيبويه **وفي العذاب** اي عذاب جهنم **هم خالدون** ابد الابدين **ولو كانوا**
اي الذين يتولون المشركين من اهل الكتاب **يؤمنون بالله والنبي** اي نبيهم **وما انزل اليه** من
الكتاب او لو كان المنافقون يؤمنون بالله ونبينا ايمانا صحيحا **ما اتخذوهم** اي المشركين
او اليهود **اولياء** فان الايمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعا **ولكن كثيرا منهم فاسقون**
خارجون من الدين والايمان بالله ونبيهم وكتابهم او متمردون في النفاق مفرطون فيه **لتجدن**
اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها من
قبائح اليهود وعراقتهم في الكفر وتمادي احوالهم الشنيعة التي من جملتها مولاتهم للمشركين
الذين بالتوكيد القسمي اعتناء ببيان تحقق مضمونها والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه
وسلم او لكل احد صالح له ايذانا بان حالهم مما لا يخفى على احد من الناس والوجدان متعد الى
اثنين احدهما اشد الناس والثاني اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لانهما في الاصل
مبتدأ وخبر ونصب الثاني هو الخبر لا المبتدأ ولا ضير في التقديم بترك التأخير
اذا دل على الترتيب دليل وههنا دليل واضح عليه وهو ان المقصود بيان كون
الطائفتين اشد الناس عداوة للمؤمنين لا كون اشد الناس عداوة لهم الطائفتين
المذكورتين ● وانت خبير بانه بمعزل من الدلالة فان ذلك كيف لا والافادة في القضية
الثانية اتم وادخل مع خلوها عن تعسف التقديم والتأخير اذ المعنى ان قصدت ان تعرف
اشد الناس عداوة للمؤمنين وتتبعت احوال الطوائف طرا واحطت بما لديهم خبرا ●
وبالغت في تعرف احوالهم الظاهرة والباطنة وسعيت في تطلب ما عندهم من الامور
الكامنة والبادية لتجدن اشدهم تينك الطائفتين لا غير فتأمله ● اللام الداخلة على

الموصول متعلقة بعداوة منوية لها ولا تضر كونها مؤنثة بالتاء لانها مبنية عليها كما
في قوله ودهبة عقابك • وقيل متعلقة بمحذوف موصفة لعداوة
اي كائنة للذين امنوا وصفهم الله تعالى بذلك لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في
اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم في التمرد والاستعصاء
في الانبياء والاجتراء في تكذيبهم ومناصبتهم • وفي تقديم اليهود في المشركين بعد لزهما
في قرن واحد اشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما ان في تقدمهم عليهم في قوله تعالى
ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا ايذانا بتقدمهم عليهم في الحرص
ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا اعيد الموصول مع صلته دون ما لزيادة التوضيح والبيان
الذين قالوا انا نصارى عبر عنهم بذلك اشعارا بقرب مودتهم حيث يدعون انهم انصار الله
واوداء اهل الحق وان لم يظهر والاعتقاد حقيقة الاسلام وفي هذه النكتة الثانية
مبنى الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم
والكلام في مفعول لتجدن وتعلق اللام كالذي سبق والعدول عن جعل ما فيه التفاوت
ما بين الفريقين شيئا واحدا تعاوت فيه بالشدة والضعف او بالقرب والبعد
بان يقال احزاب لتجدن اضعفهم عداوة الى اخره • وبان يقال او لا لتجدن ابعد
الناس مودة الى اخره للايذان بكمال تباين ما بين الفريقين من التفاوت ببيان ان احدهما
في اقصى مراتب احد النقيضين والاخر في مراتب احد النقيض الاخر **ذلك** اي كونهم اقرب
مودة للمؤمنين **بان منهم** اي بسبب ان منهم **قسيسين** وهم علماء النصارى وعبادهم
ورؤساؤهم • والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشيء اذا تتبعه وطلبه بالليل سموا
به لمبالغتهم في تتبع العلم • قاله الراغب وقيل القس بفتح القاف تتبع الشيء ومنه سمي عالم
النصارى لتتبعه العلم • وقيل قس الاثر • وقيل انه اعجمي • وقال قطرب القس والقسيس
العالم بلغة الروم • وقيل ضيعت النصارى الانجيل وما فيه وبقي رجل منهم يقال له قسيس
لم يبدل دينه فمن راعى هديه ودينه قيل له قسيس **ورهبانا** هو جمع راهب كراكب وركبان
وفارس وفرسان • وقيل انه يطلق على الواحد وعلى الجمع • وانشد فيه قول من قال
لو عاينت رهبان دير في قلل • لاقبل الرهبان يعدو ونزل •
والترهب التعبد في الصومعة • قال الراغب الرهبانية الغلو في تحمل التعبد من فرط الخوف
والتكبر لافادة الكثرة ولا بد من اعتبارها في القسيسين ايضا اذ هي التي تدل على مودة جنس
النصارى للمؤمنين فان اتصاف افراد كثيرة لجنس بخصلة مظنة لاتصاف الجنس بها • والا في اليهود
ايضا قوم مهتدون • الا ترى الى عبد الله بن سلام واضرابه • قال تعالى من اهل الكتاب امة
قائمة يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون الى اخره لكنهم لما لم يكونوا في الكثرة
كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم الى جنس اليهود **وانهم لا يستكبرون** عطف على ان منهم
اي وبانهم لا يستكبرون من قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود
وهذه الخصلة شاملة لجميع افراد الجنس فسببيتها لاقربيتهم مودة للمؤمنين واضحة •
وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان

كان ذلك من كافر **واذا سمعوا ما انزل الى الرسول** عطف على لا يستكبرون اي ذلك بانهم
بسبب انهم لا يستكبرون وان اعينهم تفيض من الدمع عند سماع القران وهو بيان لرقة
قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم اباءهم اياه **ترى اعينهم تفيض من
الدمع** اي تمتلئ بالدمع فاستعير له الفيض الذي هو الانصباب عن امتلاء مبالغة او جعلت
اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها **مما عرفوا من الحق** من الاولى لابتداء الغاية
والثانية لتبيين الموصول اي ابتداء الفيض ونشأ من معرفة الحق وحصل من اجله وبسببه
ويجوز ان تكون الثانية تبعيضية لانه ما عرفوا بعض الحق وحيث ابكاهم ذلك فما ظنك بهم لو
عرفوا كله وقرأوا القران واحاطوا بالسنة • وقرئ ترى اعينهم على صيغة المبني للمفعول
يقولون استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم عند سماع القران • كانه قيل ماذا
يقولون فقيل يقولون **ربنا امنا** بهذا اي بمن انزل هذا عليه او بهما • وقيل حال من
الضمير في عرفوا او من الضمير المجرور في اعينهم لما ان المضاف جزؤه • كما في قوله تعالى ونزعنا
ما في صدورهم من غل اخوانا **فاكتبنا مع الشاهدين** اي الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او
مع امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة وانما قالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في
الانجيل كذلك **وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق** كلام مستأنف قالوه تحقيقا
لايمانهم وتقريرا له بانكار سبب انتفائه ونفيه بالكلية على ان قوله لا نؤمن حال من الضمير
في لنا والعامل ما فيه من الاستقرار اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين على توجيه الانكار
والنفي الى السبب والمسبب جميعا • كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني ونظائره
لا الى السبب فقط مع تحقق المسبب كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وامثاله فان همزة
الاستنكار كما تكون تارة لانكار الواقع • كما في اتضرب اباك واخرى لانكار الوقوع • كما في
قوله اتضرب ابي كذلك ما الاستفهامية كما تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في الاية
الثانية • وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا
فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد يكون لانكار
سبب الوقوع ونفيه فيسري الى المسبب ايضا كما في الاية الكريمة فيكون مضمون الجملة
الحالية مفروضا قطعا فان عدم المبالاة العبادة امر مفروض حتما • وقوله تعالى **ونطمع ان
يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين** حال اخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدأ والعامل فيها هو العامل
في الاولى ومعناه اي شيء حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع في صحبة الصالحين او من الضمير
في لا نؤمن على معنى انهم انكروا على انفسهم عدم ايمانهم مع انهم يطمعون في صحبة المؤمنين وقيل
معطوف على نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين ترك الايمان وبين الطمع المذكور **فاثابهم الله بما قالوا**
اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده **جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين** اي الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا
الاحسان في الامور والايات الاربع • روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر
القسيسين والرهبان فامر جعفرا ان يقرأ عليهم القران فقرأ سورة مريم فبكوا وامنوا

بالقرآن والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم عطف التكذيب بآيات الله على
الكفر وهو ضرب منه لما أن القصد إلى بيان حال المكذبين وذكرهم بمقابلة المصدقين
بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم
أي ما طاب ولذ منه كأنه لما تضمن ما سلف مدح النصارى على الترهب ترغيب المؤمنين في
كسر النفس ورفض الشهوات عقبه ذلك بالنهي عن الإفراط في الباب أي لا تمنعوها أنفسكم منع
التحريم أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا
وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لأصحابه يوما فبالغ وأشبع
الكلام في الإنذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين
وأن لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا
ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الأرض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لهم إني لم أومر بذلك إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني
أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت
ولا تعتدوا أي ولا تعتدوا حدود ما أحل لكم إلى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول
الطيبات أو جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن مطلق الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها
دخولا أوليا لوروده عقيبه أو أراد ولا تعتدوا بذلك إن الله لا يحب المعتدين تعليل لما
قبله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا أي ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فحلالا مفعول
كلوا ومما رزقكم إما حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة أو متعلق بكلوا ومن ابتدائية أو
هو المفعول وحلالا حال من الموصول أو من عائده المحذوف أو صفة لمصدر محذوف وأيا ما كان
حلالا وفي الوجوه كلها لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال زيادة فائدة واتقوا
الله الذي أنتم به مؤمنون تأكيد للوصية بما أمر به فإن الإيمان به تعالى يوجب المبالغة في
التقوى والانتهاء عما نهى عنه لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم اللغو في اليمين الساقط الذي
لا يتعلق به حكم وعندنا أن يحلف على ما يظن أنه كذلك ولم يكن وهو قول مجاهد رحمه الله قيل
كانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن أنه قربة فلما نزل النهي قالوا فكيف بأيماننا فنزلت وعند الشافعي
رحمه الله ما يبدو من المرء بلا قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عائشة رضي الله عنها
وفي أيمانكم صلة يؤاخذكم أو اللغو لأنه مصدر أو حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
الأيمان أي بتعقيدكم الأيمان وتوثيقها عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما
عقدتم إذا حنثتم أو بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرئ بالتخفيف وقرئ عاقدتم وهو من فاعل
بمعنى فعل فكفارته أي فكفارة نكثه وهي الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة وتسترها
واستدل به الشافعي على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا يجوز ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم
من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه إطعام عشرة مساكين من
أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أي من أقصده في النوع أو القدر وهو نصف صاع من بر
لكل مسكين ومحله النصب لأنه صفة مفعول محذوف تقديره أن تطعموا عشرة مساكين طعاما كائنا
من أوسط ما تطعمون أو الرفع على أنه بدل من إطعام وأهلون جمع أهل كأرضون جمع أرض وقرئ

اهاليكم

أهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الحالات الثلاث كالألف وهو أيضا جمع أهل كالأراضي
جمع أرض والليالي في جمع ليل وقيل جمع أهلاة أو كسوتهم عطف على إطعام أو على محل من أوسط
على تقدير كونه بدلا من أوسط الطعام وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وإزار
وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة وأسوة في أسوة وقرئ أو كأسوتهم على أن الكاف
في محل الرفع تقديره أو إطعامهم كأسوتهم بمعنى أو كمثل ما تطعمون به أهليكم إسرافا وتقتيرا تواسون
بينهم إذا لم تطعموهم الأوسط أو تحرير رقبة أو إعتاق إنسان كيف ما كان وشرط الشافعي
رحمه الله فيه الإيمان قياسا على كفارة القتل ومعنى أو إيجاب إحدى الخصال مطلقا وتخيير
المكلف فمن لم يجد أي شيئا من الأمور المذكورة فصيام أي فكفارته صيام ثلاثة أيام والتتابع
شرط عندنا لقراءة ثلاثة أيام متتابعات والشافعي رحمه الله لا يرى الشواذ حجة ذلك أي المذكور
ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم وحنثتم واحفظوا أيمانكم بأن تضنوا بها ولا تبذلوها لكل أمر
به قوله تعالى إذا حلفتم وقيل بأن تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير أو بأن تكفروها إذا
حنثتم وقيل احفظوا كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك إشارة إلى مصدر
الفعل الآتي لا إلى تبيين آخر مشهور مما سبق والكاف مقحم لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من
الفخامة ومحله في الأصل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف وأصل التقدير
يبين الله تبيينا كائنا مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لإفادة القصر وأقحمت الكاف تأكيدا
للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر لا نعتا له وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم
أمة وسطا أي ذلك البيان البديع يبين الله لكم آياته أعلام شرائعه وأحكامه لا بيانا أدنى منه
وتقديم لكم على المفعول لما مر مرارا لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج يا أيها
الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب أي الأصنام المنصوبة للعبادة والأزلام سلف
تفسيرها في أول السورة الكريمة رجس قذر تعاف عنه العقول وأفراده لأنه خبر الخمر
وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالمذكور أو المضاف محذوف أي شأن الخمر والميسر إلى آخره
من عمل الشيطان في محل الرفع على أنه صفة رجس أي كائن من عمله لأنه مسبب من تسويله
وتزيينه فاجتنبوه أي الرجس أو ما ذكر لعلكم تفلحون أي راجين فلاحكم وقيل الكل تعلقوا
بالاجتناب عنه وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون ولقد أكد تحريم
الخمر والميسر في هذه الآية الكريمة بفنون التأكيد حيث صدرت الجملة بإنما وقرنا بالأصنام
والأزلام وسميا رجسا من عمل الشيطان تنبيها على أن تعاطيهما شر بحت وأمر بالاجتناب عن عينهما
وجعل ذلك سببا يرجى منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة ومحقة ثم قرر ذلك ببيان ما فيهما
من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم
العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وهو إشارة إلى مفاسدهما الدنيوية ويصدكم عن ذكر
الله وعن الصلاة إشارة إلى مفاسدهما الدينية وتخصيصهما بإعادة الذكر وشرح ما فيهما
من الوبال للتنبيه على أن المقصود بيان حالهما وذكر الأصنام والأزلام للدلالة على أنهما
مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن وتخصيص
الصلاة بالإفراد مع دخولها في الذكر للتعظيم والإشعار بأن الصاد عنها كالصاد عن الإيمان

لما انتفاء وبراعة الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من اصناف الصوارف فقيل **فهل انتم منتهون** ايذانا بان الامر في الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد والشرور قد بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت بالكلية **واطيعوا الله واطيعوا الرسول** عطف على اجتنبوه اي اطيعوهما في جميع ما امرا به ونهيا عنه **واحذروا** اي مخالفتهما في ذلك فيدخل فيه مخالفة امرهما ونهيهما في الخمر والميسر دخولا اوليا **فان توليتم** اي اعرضتم عن الامتثال بما امرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والاحتراز عن مخالفتهما **فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين** وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة الرسالة اي خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت الاعذار وانقطعت العلل وما بقي بعد ذلك الا العقاب وفيه من عظم التهديد وشدة الوعيد ما لا يخفى. واما ما قيل من ان المعنى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالايات وقد فعل وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه فلا يناسب المقام اذ لا يتوهم منهم ادعاء انهم بتوليهم يضرونه صلى الله عليه وسلم حتى يرد عليهم بانهم لا يضرونه صلى الله عليه وسلم وانما يضرون انفسهم **ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح** اي اثم وحرج **فيما طعموا** اي تناولوا اكلا او شربا فان استعماله في الشرب ايضا مستفيض منه قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه مني. قيل لما نزل تحريم الخمر بعد وقعة الاحزاب قال رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اصيب فلان يوم بدر وفلان يوم احد وهم يشربونها ونحن نشهد انهم في الجنة. وفي رواية اخرى لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون القمار فنزلت وليست كلمة ما في طعموا عبارة عن المباحات خاصة والا لزم تقييد اباحتها باتقاء ما عداها من المحرمات لقوله تعالى **اذا ما اتقوا** والا انه منتف بالضرورة بل هي على عمومها موصولة كانت او موصوفة. وانما تخصصت بذلك التقييد الطاري عليها والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه من الماكول والمشروب كائنا ما كان اذا اتقوا ان يكون في ذلك شيء من المحرمات والا لم يكن نفي الجناح في كل ما طعموه بل في بعضه ولا محذور فيه اذ اللازم منه تقييد اباحة الكل بان لا يكون فيه محرم لا تقييد اباحة بعضه باتقاء بعض اخر منه كما هو اللازم من الاول **وامنوا وعملوا الصالحات** اي واستمروا على الايمان والاعمال الصالحة. وقوله تعالى **ثم اتقوا** عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرط اي اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا فيما سبق **وامنوا** اي بتحريمه وتقديم الاتقاء عليه اما للاعتناء به او لانه الذي يدل على التحريم الحادث الذي هو المؤمن به اي واستمروا على الايمان به **ثم اتقوا** اي ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحا من قبل على ان المشروط بالاتقاء في كل مرة اباحة كل ما طعموه في ذلك الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه حينئذ **واحسنوا** اي عملوا الاعمال الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الاحوال القلبية والقالبية وليس تخصيص هذه المرات بالذكر لتخصيص الحكم بها بل لبيان التعدد والتكرر بالغا ما بلغ والمعنى انهم اذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان والاعمال الصالحة وكانوا في طاعة الله ومراعاة اوامره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شيء من المباحات اتقوه واتقوه ثم وثم فلا جناح عليهم فيما طعموه في كل مرة من المطاعم والمشارب اذ ليس فيها شيء محرم عند طعمه.

وانه

وانه حقيق بان ما عدا اتقاء المحرمات من الصفات الجميلة المذكورة لا دخل له في انتفاء الجناح وانما ذكرت في حيز اذا شهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحا لهم بذلك وحمدا لاحوالهم وقد اشير الى ذلك حيث جعلت تلك الصفات تبعا للاتقاء في كل مرة تمييزا بينها وبين ما له دخل في الحكم فان مساق النظم الكريم بطريق العبارة وان كان لبيان حال المتصفين بما ذكر من النعوت فيما سبق فقط بقرينة كلمة اذا انما لكنه اخرج مخرج الجواب عن حال الماضين لاثبات الحكم في حقهم في ضمن التشريع الكلي على الوجه البرهاني بطريق دلالة النص بناء على كمال اشتهارهم بالاتصاف فكانه قيل ليس على المؤمنين جناح فيما طعموه اذا كانوا في طاعته تعالى مع ما لهم من الصفات الحميدة بحيث كلما امروا بشيء تلقوه بالامتثال. وانما كانوا يتعاطون الخمر والميسر في حياتهم لعدم تحريمهما اذ ذاك ولو حرما في عصرهم لاتقوهما بالمرة. هذا وقد قيل التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله عز وجل ولذلك جيء بالاحسان في الكرة الثالثة بدل الايمان اشارة الى ما قاله صلى الله عليه وسلم في تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى وما ينبغي فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات توقيا من الوقوع في الحرام وبعض المباحات حفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة. وقيل التكرير لمجرد التاكيد كما في قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظائره. وقيل المراد بالاول اتقاء الكفر وبالثاني اتقاء الكبائر وبالثالث اتقاء الصغائر. ولا ريب في انه لا تعلق له بشيء من الاعتبارات بالمقام فليحسن التامل **والله يحب المحسنين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله ابلغ تقرير **يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله** جواب قسم محذوف اي والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم ليتعرف احوالكم **بشيء من الصيد** اي من صيد البر ماكولا او غير ماكول ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله تعالى بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث كانوا متمكنين من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وذلك قوله تعالى **تناله ايديكم ورماحكم** فهموا باخذها فنزلت. وروي انه عن لهم حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر بن عمرو فطعنه برمحه فقتله فقيل له قتلته وانت محرم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فانزل الله تعالى الاية والتاكيد القسمي في ليبلونكم انما هو لتحقيق ان ما وقع من عدم توحش الصيد منهم ليس الا لتحقيق وقوع المبتلى به كما لو كان النزول قبل الابتلاء وتنكير شيء للتحقير المؤذن بان ذلك ليس من الفتن الهائلة التي تزل فيها اقدام الراسخين كالابتلاء ببذل الانفس والاموال وانما هو من قبيل ما ابتلي به اهل ايلة من صيد البحر وفائدته التنبيه على ان من لم يثبت في مثل هذا كيف يثبت عند شدائد المحن ومن في قوله تعالى من الصيد بيانية قطعا اي بشيء حقير هو الصيد وجعلها تبعيضية يقتضي اعتبار قلته وحقارته بالنسبة الى كل الصيد لا بالنسبة الى عظائم البلايا فيفوت التنبيه المذكور **ليعلم الله من يخافه بالغيب** اي ليتميز الخائف من عقابه الاخروي وهو غائب مترقب لقوة ايمانه ممن لا يخافه لذلك لضعف ايمانه فيقدم عليه. وانما عبر عن ذلك بعلم الله تعالى اللازم له ايذانا بمدار الجزاء ثوابا وعقابا فانه ادخل في حملهم على الخوف. وقيل المعنى ليتعلق علمه تعالى بمن يخافه بالفعل فان علمه تعالى بانه

سبحانه وان كان متعلقا به تعالى بخوفه لكن تعلقه بالغائب بالفعل وهو الذي يدور عليه امر
الجزاء انما يكون عند تحقق الخوف بالفعل • وقيل سنان مضافتخدودن • والتعذيب
ليعلم او ليبالله • وقرئ ليعلم من الاعلام على حذف المفعول الاول اي ليعلم الله عباده
الى اخره • والعلم على الغوائب سبحانه الى واحد • والظهار الاستار الحقيقة بموقع الامتثال
لبانيه المهابة وادخال الروع فمن اعتدى بعد ذلك اي بعد بيان ان ما وقع ابتلاء من
جهته تعالى لما ذكر من الحكمة لا بعد تحريمه او النهي عنه كما قاله بعضهم اذ النهي والتحريم ليس
امرا حادثا يترتب عليه الشرطية بالفاء ولا بعد الابتلاء كما اختاره الآخرون لان نفس الابتلاء
لا يصلح مدارا لتشديد العذاب بل ربما يتوهم كونه عذرا مسوغا لتخفيفه • وانما الموجب
للتشديد بيان كونه ابتلاء • ولان الاعتداء بعد ذلك مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير
الله سبحانه وتعالى وخروج عن طاعته والخالع عن خوفه وخشيته بالكلية اي فمن تعرض
للصيد بعد ما بيناه ان ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤد الى تمييز المطيع
من العاصي فله عذاب اليم لما ذكر من انه مكابرة محضة • ولان من لا يملك زمام نفسه ولا يراعي
حكم الله تعالى في امثال هذه البلايا الهينة لا يكاد يراعيه في عظائم المدلهمات • والمراد
بالعذاب الاليم عذاب الدارين • قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يوسع ظهره وبطنه
جلدا وينزع ثيابه يا ايها الذين امنوا شروع في بيان ما يتدارك به الاعتداء من الاحكام اثر بيان
ما يلحقه من العذاب والتصريح به بالنهي في قوله سبحانه وتعالى لا تقتلوا الصيد وانتم
حرم مع كونه معلوما لا سيما في قوله تبارك وتعالى غير محلي الصيد وانتم حرم لما مر من تاكيد
الحرمة وترتيب ما يعقبه عليه • واللام في الصيد للعهد حسبما سلف حرم جمع حرام وهو المحرم
وان كان في الحل وفي حكمه من في الحرم وان كان حلالا كردح جمع رداح • والجملة حال
من فاعل لا تقتلوا اي لا تقتلوه وانتم محرمون ومن قتله اي الصيد المعهود وذكر القتل في الموضع
دون الذبح للايذان بكونه في حكم الميتة منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل قتله
اي كائنا منكم متعمدا حال منه ايضا اي ذاكرا لاحرامه عالما بحرمة قتل ما يقتله • والتقييد
بالتعمد مع ان محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ لما ان الاية نزلت في المتعمد كما روي
وقعة ابي اليسر • ولان الاصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ • وعن الزهري نزل
الكتاب بالعمد • ووردت السنة بالخطأ • وعن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه لا ارى في
الخطأ شيئا اخذا باشتراط التعمد في الاية • وهو قول داود وعن مجاهد والحسن ان المراد بالتعمد
هو تعمد القتل مع نسيان الاحرام • اما اذا قتله عمدا وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه
وامره الى الله عز وجل لانه اعظم من ان يكون له كفارة فجزاء مثل ما قتل برفعهما اي فعليه جزاء
مماثل لما قتله وقرئ برفع الاول ونصب الثاني على اعمال المصدر • وقرئ بجر الثاني على اضافته
الى مفعوله • وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل على الابتداء والخبرية • وقرئ بنصبهما على تقدير فليجز
اي فعليه ان يجزي جزاء مثل ما قتل • والمراد عند ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله المثل باعتبار
القيمة يقوم الصيد حيث صيد او في اقرب الاماكن اليه فان بلغت قيمته قيمة هدي يخير
الجاني بين ان يشتري بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه الى الحرم وبين ان يشتري بها

طعاما

طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره • وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين
يوما كاملا ان لم يجد في الشرع صوما دونه فيكون قوله تعالى من النعم بيانا للهدي المشترى
بالقيمة على احد وجوه التخيير فان من فعل ذلك يصدق عليه انه جزى مثل ما قتل من
النعم • وعند مالك والشافعي رحمهما الله ومن يرى رايهما هو المثل باعتبار الخلقة والهيئة
لان الله تبارك وتعالى اوجب مثل المقتول مقيدا بالنعم • فمن اعتبر المثل بالقيمة فقد
خالف النص • وعن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين انهم اوجبوا في النعامة بدنة
وفي الظبي شاة • وفي حمار الوحش بقرة • وفي الارنب عناقا • وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الضبع صيد وفيه شاة اذا قتله المحرم • ولنا ان المثل وجب المثل والمثل
المطلق في الكتاب والسنة واجماع الامة والمعقول يراد به اما المثل صورة ومعنى واما
المثل معنى بلا صورة • واما المثل صورة بلا معنى فلا اعتبار له في الشرع اصلا • وان لم يكن ارادة
الاول اجماعا تعينت ارادة الثاني لكونه معهودا في الشرع كما في حقوق العباد • الا ترى ان
المماثلة بين افراد نوع واحد مع كونها في غاية القوة والظهور لم يعتبرها الشرع
ولم يجعل الحيوان عند الاتلاف مضمونا بفرد اخر من نوعه مماثل له في عامة الاوصاف
بل مضمونا بقيمته مع ان المنصوص عليه في امثاله انما هو المثل • قال تعالى فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم فحيث لم يعتبر تلك المماثلة القوية مع تيسر معرفتها وسهولة رعايتها فلان
لا يعتبر ما بين افراد انواع مختلفة من المماثلة الضعيفة الخفية مع صعوبة ما فيه من العسر
المحافظة عليها اولى واحرى • ولان القيمة قد اريدت فيما لا نظير له اجماعا فلم يبق غير
مراد اذ لا عموم للمشترك في مواقع الاثبات • والمراد بالمروي ايجاب النظير باعتبار القيمة
لا باعتبار العين • ثم الموجب الاصلي للجناية هو الجزاء المماثل للمقتول انما هو قيمته لا باعتبار ان
الجاني اليها فيصرفها الى المصارف ابتداء بل باعتبار ان يجعلها معيارا فيخير بها احد الخصال
الثلاث فيعينها سقطها • فقوله تبارك وتعالى مثل ما قتل وصف لازم للجزاء غير مفارق عنه
بحال • واما قوله تعالى من النعم فوصف له معتبر في ثاني الحال بناء على وصفه الاول الذي هو
المعيار له ولما تعين من الطعام والصيام رخصتها ان نعطفا على الوصف المفارق لا على الوصف
اللازم فنقلا عن العطف على الموصوف كما سياتي باذن الله تعالى • وذا يرشدك الى ان المراد
بالمثل هو القيمة • وقوله عز وجل يحكم به اي بمثل ما قتل ذوا عدل منكم اي حكمان
عادلان من المسلمين لكن لا لان التعدد شرط الذي يحتاج الى النظر والاجتهاد من العدول
دون الاشياء المتناسبة الذي يستوي في معرفتها كل احد من الناس • فاذا ذلك ناشئ من الغفلة
عما اراد وابد بالمماثلة بل لان ما يحتاج مدار المماثلة بين الصيد وبين النعم من
مشاكلة ومناسبة في بعض الاوصاف والهيئات مع تحقق التباين بينهما في بقية الاحوال مما
لا يهتدي اليه من اساطين ائمة الاجتهاد وصناديد اهل الهداية والارشاد الا الموهوب
بالقوة القدسية • الا ترى ان الشافعي رحمه الله اوجب في قتل الحمامة شاة بناء على ما اثبت
بينهما من المماثلة من حيث ان كلا منهما يعب ويهدر مع ان النسبة بينهما من التباين
كما بين الضب والنون فكيف يهتدي الى معرفة امثال ذلك من لم يتعمد في العلوم

من الهاد الثابت غير ان الحكم بهذا المعنى انما يتعلق بالانواع لا بالاشخاص فبعد ما عين مقابلة
كل نوع من انواع الصيد نوع من انواع النعم يتم الحكم ولا يحتاج عند وقوع خصوصيات الحوادث
حاجته الى حكم امثاله • وقرئ يحكم به ذو عدل على ارادة جنس العادل دون الوحدة
وقيل على ارادة الامام • والجملة صفة لجزاء او حال منه لتخصيصه بالصفة • وقوله تعالى
هديا حال مقدرة من الضمير في به او من جزاء لما ذكر من تخصيصه بالصفة او بدل من مثل فيمن
نصبه او في محله فيمن جره او نصب على المصدر اي يهديه به هديا والجملة صفة اخرى لجزاء
بالغ الكعبة صفة لهديا لان الاضافة غير حقيقية او كفارة عطف بيان لكفارة عند من
لا يخصصه بالمعارف او بدل منه او خبر مبتدأ محذوف اي هي طعام مساكين • وقوله تعالى
او عدل ذلك صياما عطف على طعام الخ • كانه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول من النعم
او طعام مساكين او صيام ايام بعددهم فحينئذ تكون المماثلة وصفا لازما للجزاء معتدا
به الهدي والطعام والصيام اما الاولان فبلا واسطة • واما الثالث فبواسطة الثاني
فيختار الجاني كلا منها بدلا من الاخرين • هذا وقد قيل ان قوله تعالى او كفارة عطف
على جزاء فلا يبقى في النظم الكريم ما يقيد به الطعام والصيام ولا يلجأ الى القياس على الهدي
بتعسف • ولا يخفى ما فيه على المتأمل • قراءة جزاء بالرفع وعلى قراءة النصب فقوله تعالى او كفارة
خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على جملة هو من النعم • وقرئ او كفارة طعام مساكين
بالاضافة لتبيين نوع الكفارة • وقرئ طعام مسكين على ان التبيين يحصل بالواحد
الدال على الجنس • وقرئ او عدل بكسر العين • والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عادله
به من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما يعدل به في المقدار كان المفتوح تسمية بالمصدر
والمكسور بمعنى المفعول وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل والخيار في ذلك
للجاني عند ابي يوسف وابي حنيفة وللحكمين عند محمد رحمهم الله ليذوق وبال امره
متعلق بالاستقرار في الجار والمجرور اي فعليه جزاء ليذوق الخ • وقيل بفعل يدل عليه
الكلام • كانه قيل شرع ذلك عليه ليذوق وبال امره اي سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام
والوبال في الاصل المكروه والضرر الذي يناله في العاقبة من عمل سوء لثقله ومنه
قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا • ومنه الطعام الوبيل وهو الذي لا يستمرئه المعدة
عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما قبل ان تسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل عما سلف منه في الجاهلية لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها
محرما ومن عاد الى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم فينتقم الله منه خبر مبتدأ محذوف
تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا
رهقا اي فذلك لا يخاف الخ • وقوله تعالى ومن كفر فامتعه اي فانا امتعه • والمراد
بالانتقام التعذيب في الآخرة • واما الكفارة فعن عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن
رضي الله تعالى عنهم انها واجبة على العائد • وعن ابن عباس وشريح رضي الله عنهما انه لا كفارة
عليه تعلقا بالظاهر والله عزيز غالب لا يغالب ذو انتقام شديد فينتقم ممن اصر على المعصية
والاعتداء احل لكم الخطاب للمحرمين صيد البحر اي ما يصاد في المياه كلها بحرا كان

او

او نهرا او غديرا وهو ما لا يعيش الا في الماء ماكولا كان او غير ماكول وطعامه اي وما يطعم
من صيده وهو تخصيص بعد تعميم • والمعنى احل لكم التعرض لجميع ما يصاد في المياه والانتفاع
به واكل ما يؤكل منه عندنا • وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الاية عنده
احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه • وقرئ وطعمه • وقيل صيد البحر ما صيد فيه وطعامه
ما قذفه او ما نضب عنه متاعا لكم نصب على انه مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة في قوله
تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة حال مختص بيعقوب عليه الصلاة والسلام
اي احل لكم طعامه تمتيعا للمقيمين منكم يأكلونه طريا وللسيارة منكم يتزودونه قديدا
وقيل نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر اي متعكم به متاعا • وقيل مؤكد لمعنى
احل لكم فانه في قوة متعكم به تمتيعا • كقوله تعالى كتاب الله عليكم وحرم عليكم صيد البر وهو
على بناء الفعل للفاعل ونصب صيد البر وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات
كطير الماء ما دمتم حرما اي محرمين • وقرئ بكسر الدال من دام يدام وظاهره يوجب حرمة ما صاده
الحلال على المحرم وان لم يكن له فيه مدخل وهو قول ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما • وعن
ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير رضي الله عنهم انه يحل له اكل ما صاده الحلال وان
صاده لاجله اذا لم يشر اليه ولم يدل عليه • وكذا ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي
حنيفة رحمه الله لان الخطاب للمحرمين • فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج
منه ما صاده غيرهم • وعند مالك والشافعي واحمد رحمهم الله لا يباح ما صيد له واتقوا
الله فيما نهاكم عنه في جميع المعاصي التي من جملتها ذلك الذي اليه تحشرون لا الى غيره حتى يتوهم
الخلاص من اخذه تعالى بالالتجاء اليه جعل الله الكعبة قال مجاهد رحمه الله سميت كعبة لكونها
مكعبة مربعة • وقيل لانفرادها من البناء • وقيل لارتفاعها من الارض ونتوها • وقوله
تعالى البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح دون التوضيح كما تجيء الصفة لذلك وقيل
مفعول ثان لجعل وقوله تعالى قياما للناس نصب على الحال ورد بانه عطف ما يعرض على المفعول
الاول كما سيجيء بل هو المفعول الثاني • وقيل الجعل بمعنى الانشاء والخلق وهو خلاف الكلام
ومعنى كونه قياما لهم انه مدار لقيام امر دينهم ودنياهم اذ هو سبب لانتعاشهم به في امور
معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه
اليه الحجاج والعمار • وقرئ قيما على انه مصدر على وزن شبع اعل عينه بما اعل في فعله
والشهر الحرام اي الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة • وقيل جنس الشهر الحرام وهو ما
نصب عطف على الكعبة فالمفعول الثاني محذوف ثقة بما مر اي وجعل الشهر الحرام والهدي
والقلائد ايضا قياما لهم والمراد بالقلائد ذوات القلائد وهي البدن خصت بالذكر
لان الثواب فيها اكثر وبهاء الحج فيها اظهر ذلك اشارة الى الجعل المذكور خاصة او مع ما ذكر من
الاحكام وتحفظ حرمة الاحرام ومحله النصب بفعل مقدر يدل عليه السياق وهو
العامل في اللام بعده اي شرع ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
فان تشريع هذه الشرائع المستتبعة لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها وجلب
المنافع الاولوية والاخروية من اوضح الدلائل على حكمة الشارع وعدم خروج شيء من علمه

المحيط • وقوله تعالى وان الله بكل شيء عليم تعميم اثر تخصيص للتأكيد ويجوز ان يراد بما في السموات والارض
الاعيان الموجودة فيهما وبكل شيء الامور المتعلقة بتلك الموجودات من العوارض والاحوال التي
هي من قبيل المعاني اعلموا ان الله شديد العقاب وعيد لمن انتهك محارمه واصر على ذلك • وقوله
تعالى وان الله غفور رحيم وعد لمن حافظ على مراعاة حرماته تعالى او اقلع عن الانتهاك
بعد تعاطيه • وقوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام
بما امر به اي الرسول قد اتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة
ولزمكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فيؤاخذكم
به كلا نقيرا وقطميرا قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين
الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وبين جيدها قصد به الترغيب في جيد كل منها والتحذير
عن رديها وان كان سبب النزول شريح بن ضبيعة البكري الذي مرت قصته في تفسير قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا امين البيت الحرام
الاية • وقيل نزلت في رجل سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخمر كانت تجارتي واني
اعتقدت من بيعها مالا فهل ينفعني ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله تعالى • فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان انفقته في حج او جهاد او صدقة لم يعدل جناح بعوضة ان الله لا
يقبل الا الطيب • وقال عطاء والحسن رحمهما الله الخبيث والطيب الحرام والحلال • وتقديم
الخبيث في الذكر للاشعار من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء فيه لا في مقابله
فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة
الزائد • لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر • كما في قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير
الى غير ذلك • واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه
لان صلته ملكة لصلة المفعول • ولو اعجبك كثرة الخبيث اي وان
سرك كثرته والخطاب لكل واحد من الذين امر النبي صلى الله عليه وسلم بخطابهم والواو لعطف
الشرطية على مثلها المقدر وقيل للحال • وقد مر اي لو لم يعجبك كثرة الخبيث ولو اعجبك
وكلتاهما في موقع الحال من فاعل لا يستوي اي لا يستويان كائنين على كل حال مفروض كما في قولك
احسن الى فلان وان اساء اليك اي احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اليك اي كائنا على كل
حال مفروض • وقد حذفت الاولى حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة
فان الشيء اذا تحقق مع المعارض فلان يتحقق بدونه اولى • وعلى هذا السر يدور ما في لو وان الوصليتين
من المبالغة والتاكيد وجواب لو محذوف في الجملتين لدلالة ما قبلها عليه • وسيأتي تمام تحقيقه
في مواضع عديدة باذن الله تعالى فاتقوا الله يا اولي الالباب اي في تحري الخبيث وان كثر وآثروا
عليه الطيب وان قل فان مدار الاعتبار هو الجودة والرداءة لا الكثرة والقلة والمحمود القليل
خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث كان اخبث لعلكم تفلحون راجين ان تنالوا الفلاح •
يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء هو اسم جمع على رأي الخليل وسيبويه وجمهور البصريين كطرفا
وقصبا اصله شيئا بهمزتين بينهما الف فقلبت الكلمة بتقديم لامها على فائها فصار وزنها
لفعا ومنع الصرف لالف التأنيث الممدودة • وقيل هو جمع على انه مخفف من شيء كهين مخفف من

هين

هين والاصل اشيئاء كانصباء فاجتمعت همزتان لام الكلمة والتي للتانيث والالف
كالحاجز فخففت الكلمة بان قلبت الهمزة الاولى بالانكسار ما قبلها فصارت اشيايا فاجتمعت ياءان
اولاهما عين الكلمة فحذفت تخفيفا فصارت اشيا ووزنها افعلا او افعا وامتنعت الصرف لالف
التأنيث • وقيل انما حذفت لام اشيا المقلوبة من الهمزة التي هي لام الكلمة ونقلت الياء المكسورة
لسكون ما قبلها للجمع فوزنها افعاء • وقوله تعالى ان تبد لكم تسؤكم صفة اشياء داعية الى الانتهاء
عن السؤال عنها وحيث كانت المساءاة في هذه الشرطية معلقة بابدائها لا بالسؤال عنها
عقبت بشرطية اخرى ناطقة باستلزام السؤال عنها لابدائها الموجب للمحذور قطعا فقال وان
تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم اي تلك الاشياء الموجبة للمساءة بالوحي كما ينبئ عنه تقييد
السؤال بحين التنزيل • والمراد بها ما يشق عليهم ويغمهم من التكاليف الصعبة التي لا
يطيقون بها والاسرار الخفية التي يفتضحون بظهورها ونحو ذلك مما لا خير فيه فكما
ان السؤال عن الامور الواقعة مستتبع لابدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف
مستتبع لايجابها عليهم بطريق التشديد لاساءتهم الادب واجترائهم على المسألة والمراجعة
وتجاوزهم عما يليق بشأنهم من الاستسلام لامر الله تعالى من غير بحث فيه ولا تعرض لكيفيته وكميته
اي لا تكثروا مسألة رسول الله صلى الله عليه افضل الصلاة والسلام حتى تسألوا عن تكاليف
شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها حسبما اوحي اليه لم تطيقوا بها وعن بعض امور مستورة
تكرهون بروزها • وذلك مثل ما روي عن علي كرم الله وجهه انه قال خطبنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه • ثم قال ان الله سبحانه وتعالى كتب عليكم الحج فقام رجل من بني
اسد يقال له عكاشة بن محصن • وقيل هو سراقة بن مالك فقال افي كل عام يا رسول الله
فاعرض عنه حتى اعاد مسألته ثلاث مرات • فقال رسول الله عليه افضل الصلاة والسلام
ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم
لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم
فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم • واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه • ومثله
ما روي عن انس وابي هريرة رضي الله تعالى عنهما انه سأل الناس رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى احفوه في المسألة • فقام عليه افضل الصلاة والسلام مغضبا خطيبا
فحمد الله تعالى واثنى وقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا الا بينته لكم
فاشفق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون بين يدي امر قد حضر • قال انس رضي
الله تعالى عنه فجعلت التفت يمينا وشمالا فلا ارى رجلا الا وهو لاف راسه في ثوبه يبكي
فقام رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان اذا لاحى يدعى الى غير
ابيه وقال يا نبي الله من ابي فقال ابوك عليه الصلاة والسلام ابوك حذافة ابن
قيس الزهري • وقام اخر وقال اين ابي قال عليه افضل الصلاة والسلام في النار
ثم قام عمر رضي الله تعالى عنه وقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم
رسولا ونبيا نعوذ بالله تعالى من الفتن انا حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا يا رسول
الله فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم عفا الله عنها استئناف مسوق لبيان ان نهيهم عنها

لم تكن لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لأنها في نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفا عنها وفيه
من حثهم على الجد في الانتهاء عنها ما لا يخفى • وضمير المسألة المدلول عليها بلا تسألوا أي عفا الله تعالى
عن مسألتكم السالفة حيث لم يفرض عليكم الحج في كل عام جزاء بمسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الأخروية
بسائر مسائلكم فلا تعودوا إلى مثلها • وأما جعله صفة أخرى لأشياء على أن الضمير لها بمعنى لا
تسألوا عن أشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم إياها فلا يساعده المقام فإنه يقتضي أن يكون الحج قد
فرض أولا في كل عام ثم نسخ بطريق العفو وأن يكون ذلك معلوما للمخاطبين ضرورة أن حق الوصف
أن يكون معلوم الثبوت للموصوف عند المخاطب قبل جعله وصفا له وكلاهما ضروري الانتفاء
قطعا على أنه لا يتسنى في استثنائه لبقية مسألة الحج وعموها إن سلم وقوعها مع أن النظم الكريم
صريح في أنه مسوق للنهي عن السؤال عن الأشياء التي تسوؤهم إبداؤها سواء كانت من قبيل الأحكام
والتكاليف الموجبة لمساءتهم بإثباتها أو إيجابها بسبب السؤال عقوبة وتشديدا كمسألة الحج لولا
عفوه سبحانه وتعالى عنها أو من قبيل الأمور المتعلقة الواقعة قبل السؤال الموجبة للمساءة البتة
بالإخبار عنها لا بإيجاب المسرة أيضا • لأن إيجابها للأول وإن كان من حيث وجودها فهي من حيث
عدمها موجبة للأخرى قطعا وليست إحدى الحيثيتين محققة عند السائل وإنما غرضه من
السؤال ظهورها كيف كانت بل ظهورها بحيثية إيجابها للمسرة ولا حيثية تردد ما بين الإيجابين
إن قيل إن الشرطية الناطقة بأن السؤال عن تلك الأشياء الموجبة للمساءة موجبة مستلزمة لإبدائها
البتة كما هو فلم تخلف الإبداء عن السؤال في مسألة الحج حيث لم يفرض في كل عام فلم عبر عنها بحيثية
إيجابها للمساءة • قلت لتحقيق المنهي عنه كما ستعرفه مع ما فيه من تأكيد النهي وتشديده
لأن تلك الحيثية هي الموجبة للانتهاء والانزجار لا حيثية إيجابها للمسرة ولا حيثية
تردد ما بين الإيجابين • إن قيل إن الشرطية الناطقة بأن السؤال عن تلك الأشياء الموجبة
للمساءة موجبة مستلزمة لإبدائها البتة كما هو فلم تخلف الإبداء عن السؤال في مسألة الحج حيث
لم يفرض في كل عام • قلنا الوقوع بالسؤال قبل ورود النهي وما ذكر في الشرطية إنما هو سؤال
الواقع بعد وروده إذ هو الموجب للتغليظ والتشديد ولا تخلف فيه • إن قيل ما ذكرته
إنما يتمشى فيما إذا كان السؤال عن الأمور المترددة بين الوقوع وعدمه كما ذكرنا من التكاليف
الشاقة • وأما إذا كان عن الأمور الواقعة قبله فلا يكاد يتمشى لأن ما يتعلق به الإبداء
هو الذي وقع قبله فلا يكاد يتغير لأن ما يتعلق به الإبداء هو الذي وقع في نفس الأمر والأمور
له سواء كان السؤال قبل النهي أو بعده وقد يكون الواقع ما يوجب المسرة كما في مسألة عبد
الله بن حذافة فيكون هو الذي يتعلق به الإبداء لا غير فيتعين التخلف حتما • قلنا لا إخلال
للخطاب فيما ذكر من التقسيم فإن المنهي عنه في الحقيقة إنما هو السؤال عن الأشياء الموجبة
للمساءة الواقعة في نفس الأمر • وقيل السؤال عن الأمن قال ابن أبي لا عنها وغيرها ما لا يعني
يوافق مظنة عدم الوقوع عند المكلفين حتى يلزم التخلف في صورة عدم الوقوع وحمله أن مدلول
النظم الكريم بطريق العبارة إنما هو النهي عن السؤال عن الأشياء التي توجب إبداؤها المساءة
البتة إما بأن تكون تلك الأشياء المترتبة الوقوع فيتعدى عنه السؤال بطريق الإثبات عقوبة
وتشديدا كما في صورة كونها من قبيل التكاليف الشاقة وإما بأن تكون واقعة في نفس الأمر

كالسؤال

كالسؤال يتعدى عنه وبطريق الإخبار بها فالتخلف ممتنع في الصورتين معا ومنشأ شبهه
عدم الفرق بين المنهي عنه وبين غيره بناء على عدم امتياز ما هو موجود بالحيثية الوجود
من تلك الأشياء البارزة في نفس الأمر وما ليس كذلك عند المكلفين وملاحظتها وكلها
باحتمال الوجود والعدم • وفائدة هذا الإبهام الانتهاء عن السؤال عن تلك الأشياء على
الإطلاق حذرا عن إبداء المكروه • والله غفور حليم اعتراض تذييلي مقرر لعفوه تعالى أي مبالغ
في مغفرة الذنوب والإغضاء عن المعاصي ولذلك عفا عنكم ولم يؤاخذكم بعقوبة ما فرط
منكم • قد سألها قوم أي سأل أمثال هذه المسألة لكن لا عينها بل مثلها في كونها محظورة ومستتبعة
للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة في التحذير • من قبلكم متعلق بسألها ثم أصبحوا بها
أي بسببها أو بمرجعها كافرين فإن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم في أشياء فإذا
أمروا بها تركوها فهلكوا • ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد
وإبطال لما ابتدعه أهل الجاهلية حيث كانوا إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها
ذكر بحروا أذنها أي شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى • وكان يقول
الرجل إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم
الانتفاع • وقيل كان الرجل يقول إذا أعتق عبدا هو سائبة فلا عقل بينهما ولا
ميراث • وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم • وإن ولدت ذكرا فهو لآلهتهم • فإن ولدت
ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم • وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة
أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى • ومعنى ما جعل
ما شرع وما وضع ولذلك تعدى إلى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها • ومن مزيدة
لتأكيد النفي • فإن الجعل التكويني كما يكون تارة متعديا إلى مفعولين • وأخرى إلى واحد •
كذلك الجعل التشريعي يجيء مرة متعديا إلى مفعولين • كما في قوله تبارك وتعالى جعل الله
الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد • وأخرى إلى واحد
كما في الآية الكريمة • ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب حيث يفعلون ما يفعلون
ويقولون الله أمرنا بها وإمامهم عمرو بن لحي فإنه أول من سن هذه الأفاعيل الباطلة
مفتاتا على رؤسائهم وكبرائهم • وأكثرهم وهم أراذلهم الذين يتبعونهم من معاصري رسول
الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم • لا يعقلون أنه افتراء باطل حتى
يخالفوهم ويهتدوا إلى الحق بأنفسهم فيبقون في أسر التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم
وعجزهم عن الاهتداء بأنفسهم • وقوله عز وجل وإذا قيل لهم أي للذين عبر عنهم بأكثرهم
على سبيل الهداية والإرشاد تعالوا إلى ما أنزل الله من الكتاب المبين للحلال والحرام
وإلى الرسول الذي أنزل هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحلال من الحرام
قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لعنادهم واستعصائهم على الهادي إلى الحق والانقياد
إلى الداعي إلى الهدى لا إلى الضلال أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون قيل الواو للحال
دخلت عليها الهمزة للإنكار والتعجيب أي أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم جهلة ضالين
وقيل للعطف على شرطية أخرى مقدرة قبلها وهو الأظهر والتقدير أحسبهم ذلك أو

اتقولون مثل هذا القول ولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا
لا يعلمون شيئا الى اخره • وكلمة لو في مثل هذا الحال اي احسبهم ما وجدنا عليه اباءنا كائنين على كل
حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة
كيف لا وان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى كما في قولك احسن الى فلان
وان اساء اليك اي احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اي احسن اليه على كل حال مفروض
وقد حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة اذ الاحسان حيث امر به عند المانع
فلان يؤمر به عند عدمه اولى • وبهذا يظهر السر في ما في ان ولو الوصليتين من المبالغة
والتاكيد وجواب لو محذوف لدلالة ما سبق عليه اي لو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون
حسبهم ذلك او يقولون وما في لو من معنى الامتناع والاستبعاد انما هو بالنظر الى زعمهم لا الى نفس الامر
وفائدته المبالغة في الانكار والتعجب ببيان ان ما قالوه موجب للانكار والتعجب اذا كان اباؤهم جهلة
ضالين في حيز الاحتمال البعيد فكيف اذا كان ذلك واقعا لا ريب فيه • وقيل مآل الوجهين واحد
لان الجملة المقدرة حال فكذا ما عطف عليها • وانت خبير بان الحال على الوجه الاخير مجموع الجملتين
لا الاخيرة فقط وان الواو للعطف لا للحال • وقد مر التحقيق في قوله تعالى او لو كان اباؤهم لا
يعقلون شيئا ولا يهتدون وان قيل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم اي الزموا انفسكم
واصلاحها • وقرئ بالرفع على الابتداء اي واجبة عليكم انفسكم • وقوله عز وجل لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم اما مجزوم على انه جواب للامر او نهي مؤكد له وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد
المنقولة اليها من الراء المدغمة اذ الاصل لا يضرركم • ويؤيده القراءة بفتح الراء • وقراءة من قرا
لا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره • واما مرفوع على انه كلام مستانف في موقع
التعليل لما قبله • ويعضده قراءة من قرا لا يضيركم اي لا يضركم ضلال من ضل اذا كنتم مهتدين ولا
تتوهموا ان فيه رخصة في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا • ومن جملة
الاهتداء ان ينكر على المنكر حسبما تفي به الطاقة • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من راى منكم
منكرا فاستطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه • وقد
روي ان الصديق رضي الله تعالى عنه قال يوما وهو على المنبر يا ايها الناس انكم تقرؤون هذه
الاية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي • واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله بعقاب فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر
ولا تغتروا بقول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا الى اخره فيقول احدكم علي نفسي والله لتامرن
بالمعروف وتنهون عن المنكر او ليستعملن عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون
خياركم فلا يستجاب لهم • وعنه عليه افضل الصلاة والسلام ما من قوم عمل فيهم منكر او
سن فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه الا وحق على الله تبارك وتعالى ان يعمهم بالعقوبة جميعا ثم
لا يستجاب لهم • والاية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة وكانوا يتمنون ايمانهم
وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالامر والنهي • وقيل كان الرجل اذا اسلم
لاموه وقالوا له سفهت اباك وضللتهم اي نسبتهم الى السفاهة والضلال فنزلت تسلية
له بان ضلال ابائه لا يضره ولا يشينه الى الله لا الى احد سواه مرجعكم رجوعكم يوم القيامة

جميعا

جميعا بحيث لا يتخلف عنه احد من المهتدين وغيرهم فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا من
اعمال الهداية والضلال فهو وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بعمل
غيره يا ايها الذين امنوا استئناف مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بامور دنياهم اثر بيان
الاحوال المتعلقة بامور دينهم وتصديره بحرف النداء والتنبيه لاظهار كمال العناية
بمضمونه • وقوله تبارك وتعالى شهادة بينكم بالرفع والاضافة الى الظرف توسعا اما
باعتبار جريانها بينهم او باعتبار تعلقها بما يجري بينهم من الخصومات مبتدا • وقوله تعالى
اذا حضر احدكم الموت اي شارفه وظهرت علائمه ظرف لها وتقديم المفعول
لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها فانه ادخل في تهويل امر الموت •
وقوله تبارك وتعالى حين الوصية بدل منه لا ظرف للموت كما توهم ولا لحضوره كما قيل فان في
الابدال تنبيها على ان الوصية من المهمات المقررة التي لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل
عنها • وقوله تعالى اثنان خبر للمبتدا بتقدير المضاف اي شهادة بينكم حينئذ
شهادة اثنين او فاعل لشهادة بينكم على ان خبرها محذوف اي فيما نزل عليكم ان يشهد بينكم
اثنان • وقرئ شهادة بالرفع والتنوين والاعراب كما سبق • وقرئ شهادة بالنصب والتنوين
على ان عاملها مضمر هو العامل في اثنان ايضا اي ليقم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل منكم
اي من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت وانصح له واقرب الى تحري ما هو اصلح له • وقيل من
المسلمين وهما صفتان لاثنان او اخران عطف على اثنان تابع له فيما ذكر من الخبرية والفاعلية
اي او شهادة اخرين • او ان يشهد بينكم اخران • وقوله تعالى من غيركم صفة لاخران اي
كائنان من غيركم او من الاجانب • وقيل من اهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الاسلام
لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ • وعن مكحول انه نسخها قوله تبارك وتعالى واشهدوا
ذوي عدل منكم ان انتم مرتفع بمضمر يفسره ما بعده تقديره ان ضربتم فلما حذف الفعل
انفصل الضمير • وهذا راي جمهور البصريين • ومذهب الاخفش رحمه الله والكوفيين انه
مبتدا بناء على جواز وقوع المبتدا بعد ان الشرطية كجواز وقوعه بعد اذا • فقوله تبارك
وتعالى ضربتم في الارض اي سافرتم فيها لا محل له من الاعراب عند الاولين لكونه مفسرا و
مرفوع على الخبرية عند الباقين • وقوله تعالى فاصابتكم مصيبة الموت عطف على الشرط
وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان سافرتم فقربكم الاجل حينئذ وما معكم من
الاقارب او من اهل الاسلام من يتولى امر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الاسفار
فليشهد اخران اي فاستشهدوا اخرين او فالشاهدان اخران كذا قيل • والانسب ان
يقدر ما سبق اي فاخران على معنى شهادة بينكم شهادة اخرين اي فان يشهد اخران على
الوجوه المذكورة • وقوله تبارك وتعالى تحبسونهما استئناف وقع جوابا عما نشا من
اشتراط العدالة • كانه قيل فكيف نصنع ان ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما اي توقفونهما
وتصبرونهما للتحليف من بعد الصلاة وقيل هو صفة لاخران والشرط بجوابه المحذوف
اعتراض فائدته الدلالة على ان اللائق اشهاد الاقارب او اهل الاسلام • واما اشهاد الاخرين
فعند الضرورة الملجئة اليه • وانت خبير بانه يقتضي اختصاص الحبس بالاخرين مع شمول

الأولين اتفاقا قطعا على أن اعتبار اتصافهما بذلك بناء على مقام الامر بإشهادهما إذ مآله فاحرزوا
شأنهما الحبس والتحليف وإن أمكن اعتبار الترتيب باعتبار قيد الارتياب بما لا يفيد الاعتراض من
الآية • والمراد بالصلاة المعهودة صلاة العصر وعدم تعيينها لتعينها عندهم بالتحليف بعدها لأنه
وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار • ولأن جميع أهل الأديان
يعظمونه ويجتنبون فيه الحلف الكاذب • وقد روي أن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام
قد حلف من حلف كما سيأتي • وقيل بعد أي صلاة كانت لأنها داعية إلى النطق بالصدق
وناهية عن الكذب والزور إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقسمان بالله عطف
على تحبسونهما • وقوله تبارك وتعالى إن ارتبتم شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من
الحبس والإقسام عليه سيقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص
الحبس والتحليف بحال الارتياب أي إن ارتاب بهما الوارث منكم بخيانة وأخذ شيء من التركة
فاحبسوهما وحلفوهما بالله • وقوله عز وجل لا نشتري به ثمنا جواب وليس هذا من قبيل ما اجتمع
فيه قسم وشرط فاكتفي بذكر جواب سابقهما عن جواب الآخر كما هو القاعدة غالبا فإن ذلك إنما يكون عند
سد الجواب مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونهما كما في قولك والله إن أتيتني لأكرمنك
ولا ريب في استحالة ذلك ههنا لأن القسم وجوابه كلاهما • وقد عرفت أن الشرط من جهته
عز وجل والاشتراء هو استبدال السلعة بالثمن أي أخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما قيل
وإن كان مستلزما له • فإن المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون السلب
الذي هو المعتبر في عقد البيع ثم استعير لأخذ شيء بإزالة ما عنده عينا كان أو معنى على وجه
الرغبة في المأخوذ والإعراض عما يزيله كما هو المعتبر في المستعار منه حسبما مر تفصيله
في قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى • والضمير في به لله سبحانه وتعالى
والمعنى لا نأخذ لأنفسنا بدلا من الله تعالى أي من حرمته عرضا من الدنيا فإن هتكها وزوالها
بالحلف الكاذب أي لا نحلف بالله تعالى كاذبين لأجل المال • وقيل الضمير للقسم فلا
بد من تقدير مضاف البتة أي لا نستبدل بصحة القسم بالله تعالى أي لا نأخذ بدلا منها
عرضا من الدنيا بأن نزيلها عنه ونصفه بالكذب أي لا نحلف كاذبين كما ذكر
وإلا فلا سداد للمعنى سواء أريد به القسم الصادق أو الكاذب • أما إن أريد به الكاذب
فلأنه يفوت حينئذ ما هو المعتبر في الاستعارة من كون الزائل شيئا مرغوبا فيه عند الحالف
لحرمة اسم الله سبحانه وتعالى • ومن صفة الصحة والصدق في القسم • ولا ريب في أن القسم
الكاذب ليس كذلك • وأما إن أريد به الصادق فلأنه وإن أمكن أن يتوسل بإبداله
عرض من الدنيا كالقسم الكاذب لكن لا يحصل ذلك وفيه • وأما التوسل إليه بزواله فلا
إمكان له هنا حتى يصح النفي منه وإنما يتوسل إليه بإبدال القسم الكاذب أو الصادق في
وليس استحالة في ذلك من لوازم زوال استحالة الصادق مع أن زواله جواز كونها حتى
يعقوب وحمل ما أخذ باستحالة ما أخذ فإبدال استحالة الصادق كما في صورة تقدير المضاف
فإن أريد بوصف الصدق في القسم مع إيجاد الموصوف مستلزمة لثبوت وصف الكذب له البتة
فتأمل • وقوله تعالى ولو كان ذا قربى أي المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام ذا قرابة منا تأكيد

لبهم

لتبرئهم من الحلف كاذبا ومبالغة في التنزه عنه كأنهما قالا لا نأخذ لأنفسنا بدلا من حرمة اسمه تعالى
مالا ولو انضم إليه رعاية جانب الأقرباء فكيف إذا لم يكن كذلك وصيانة أنفسهما وإن كانت أهم
من رعاية الأقرباء لكنها ليست مما يتعلق بالمال بل هي الداعية إليه وجواب لو محذوف ثقة بدلالة
ما سبق عليه أي لا نشتري به ثمنا والجملة معطوفة على أخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله تعالى ولو جاء
إلى آخره • وقوله ولا نكتم شهادة الله أي الشهادة التي أمرنا الله تعالى بإقامتها معطوف على لا نشتري
به داخل معه في حكم القسم وعن الشعبي أنه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف
حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وبغير مد كقولهم الله لأفعلن إنا إذا لمن الآثمين
أي إن كتمناها وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام النون فيها
فإن عثر أي اطلع بعد التحليف على أنهما استحقا إثما حسبما اعترفا بقولهما إنا إذا لمن
الآثمين أي فعلا ما يوجب إثما من تحريف وكتم بأن ظهر بأيديهما شيء من التركة وادعيا استحقاقهما له
بوجه من الوجوه كما وقع في سبب النزول حسبما سيأتي فآخران أي فرجلان آخران وهو مبتدأ
خبره يقومان مقامهما ولا محذور في الفصل بالخبر بين المبتدأ وبين صفته الذي
هو الجار والمجرور بعده أي يقومان مقام الذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما
أداء الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور
لإظهار الحق وإبطال كونهما فيما ادعيا من استحقاقهما لما في أيديهما من الذين استحق على البناء
للفاعل قراءة علي وابن عباس وأبي رضي الله تعالى عنهم أي من أهل الميت الذين استحق
عليهم الأوليان من بينهم أي الأقربان إلى الميت الوارثان له الأحقان بالشهادة أي
باليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف أو استحق عليهم أن يجردوهما للقيام بها لأنها
حقهما ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الآخران القائمان مقام الأولين على وضع
المظهر موضع المضمر وقرئ على البناء للمفعول وهو الأظهر أي من الذين استحق عليهم الإثم أي
جني عليهم وهم أهل الميت وعشيرته فالأوليان مرفوع على أنه خبر محذوف كأنه قيل ومن
هما فقيل هما الأوليان أو هو بدل من الضمير في يقومان أو من آخران وقد جوز ارتفاعه
باستحق على حذف المضاف أي استحق عليهم انتداب الأوليين منهم للشهادة وقرئ الأوليين
على أنه صفة للذين إلخ مجرور أو منصوب على المدح ومعنى الأولية التقدم على
الأجانب في الشهادة لكونهم أحق بها وقرئ الأولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرئ
الأولان فيقسمان بالله عطف على يقومان لشهادتنا المراد بالشهادة كما في قوله تعالى فشهادة
أحدهم أربع شهادات بالله أي لحلفنا على أنهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها
حقة صادقة في نفسها أحق بالقبول من شهادتهما أي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها
لما أنه قد ظهر للناس استحقاقهما للإثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل
مع أنه لا حقية في يمينهما رأسا إنما هي لإمكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقها في ادعائهما
تملكهما لما ظهر في أيديهما وما اعتدينا عطف على جواب القسم أي ما تجاوزنا فيها الحق أو ما
اعتدينا عليهما بإبطال حقهما إنا إذا لمن الظالمين استئناف مقرر لما قبله أي إنا إن اعتدينا
في يميننا لمن الظالمين أنفسهما بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى

او لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم الكريم انه المحتضر ينبغي له ان يشهد على وصيته
عدلين من ذوي نسبه او دينه فان لم يجدهما بان كان في سفر فاخران من غيرهم ثم ان وقع ارتياب
بهما اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئا بالتغليظ بالوقت فان اطلع بعد ذلك
على كذبهما بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بايمانهم
ولعل تخصيص الاثنين لخصوص الواقعة فانه روي ان تميم بن اوس الداري وعدي بن زيد خرجا
الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان
مسلما مهاجرا فلما قدما الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه طرحه في متاعه ولم
يخبرهما بذلك واوصى اليهما بان يدفعا متاعه لاهله ومات ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة
وزنه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع الى اهله فاصابوا فيه الكتاب
فطلبوا منهما الاناء فقالا لا ندري انما اوصى الينا بشيء وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما
لنا بالاناء من علم فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل يا ايها الذين امنوا الاية
فاستحلفهما بعد صلاة العصر عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يختانا شيئا مما دفع ولا
كتما فحلفا على ذلك فخلى صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ان الاناء وجد بمكة فقال من هو بيده اشتريته
من تميم وعدي وقيل لما طالت المدة اظهروه فبلغ ذلك بني سهم فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من
بديل فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيئا فقلتما لا قالا ما كان لنا بينة فكرهنا
ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله عز وجل فان عثر الاية فقام عمرو بن
العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما
وفي رواية الى اولياء الميت اعلم انهما ان كانا وارثين لبديل فلا نسخ الا في وصف اليمين فان
الوارث لا يحلف على البتات والا فهو منسوخ ذلك كلام مستانف سيق لبيان ان ما ذكر مستتبع
للمنافع وارد على مقتضى الحكمة والمصلحة اي الحكم الذي تقدم تفصيله ادنى ان يأتوا بالشهادة
على وجهها اي اقرب الى ان يؤدي الشهود الشهادة على وجهها الذي تحملوها عليه من غير
تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الاخروي وهذه كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ
المذكور وقوله تعالى او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم بيان لحكمة شرعية رد اليمين على
الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كانه قيل ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها
ويخافوا عذاب الاخرة بسبب اليمين الكاذبة او يخافوا الافتضاح على رؤوس الاشهاد بابطال
ايمانهم والعمل بايمان الورثة فينزجروا عن الخيانة المؤدية اليه فاي الخوفين وقع حصل المقصد
الذي هو الاتيان بالشهادة على وجهها او الى ان يخافوا الافتضاح برد اليمين على الورثة فلا
يحلفوا على موجب شهادتهم ان لم يأتوا بها على وجهها فيظهر كذبهم بنكولهم واما ما قيل من ان
المعنى ان ذلك اقرب الى احد الامرين اللذين ايهما وقع كان فيه الصلاح اداء الشهادة على
الصدق والامتناع عن ادائها على الكذب فيأباه المقام اذ لا تعلق له بالحادثة اصلا ضرورة
ان الشاهد مضطر فيها الى الجواب فالامتناع عن الشهادة الكاذبة مستلزم للاتيان بالصادقة
قطعا فليس هناك امران ايهما وقع كان فيه الصلاح حتى يتوسط بينهما كلمة او وانما يتاتى ذلك
في شهود لم يتهموا بخيانة على ان اضافة الامتناع عن الشهادة الكاذبة الى خوف رد اليمين على

الورثة ونسبة الاتيان بالصادقة الى غيره مع ان ما يقتضي احدهما يقتضي الاخر لا محالة تحكم بحت ظاهر
واتقوا الله في مخالفة احكامه التي من جملتها هذا الحكم واسمعوا ما تؤمرون به كائنا ما كان سمع طاعة
وقبول والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين
والله لا يهدي القوم الفاسقين الى طريق الجنة او الى ما فيه نفعهم يوم يجمع الله الرسل نصب
على انه بدل اشتمال من مفعول اتقوا لما بينهما من الملابسة فان مدار البدلية ليس ملابسة الظرفية
ونحوها فقط بل هو تعلق ما يصحح الانتقال الذهن من المبدل منه الى المبدل بوجه اجمالي كما فيما
نحن فيه فان كونه تعالى خالق الاشياء كافة مالك يوم الدين خاصة كاف في الباب مع ان الامر
بتقوى الله تعالى يتبادر منه الى الذهن ان المتقي اي شان من شؤونه واي فعل من افعاله وقيل
هناك مضاف محذوف به يتحقق الاشتمال اي اتقوا عذاب الله حينئذ يجوز انتصابه بعامل معطوف
على اتقوا او ما عطف عليه اي واحذروا او اذكروا يوم اي اخره فان تذكره لذلك اليوم الهائل
مما يضطرهم الى تقوى الله عز وعلا وتلقي امره بسمع الاجابة والطاعة وقيل هو ظرف لقوله تعالى
لا يهدي اي لا يهديهم يومئذ الى طريق الجنة كما يهدي اليه المؤمنين وقيل منصوب بفعل مؤخر
قد حذف للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيانه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة
التامة والدواهي العامة كانه قيل يوم يجمع الله الرسل فيقول لهم الى اخره يكون من الاهوال
والاحوال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة
وتشديد التهويل وتخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم دون الامم كيف لا وذلك
يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وقد قال الله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم بل
لابانة شرفهم واصالتهم والايذان بعدم الحاجة الى التصريح بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم اتباعا
لهم ولاظهار سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم بالانتظام في سلك جميع الرسل كيف لا وهم عليهم السلام
يجيئون على وجه الاجلال واولئك يسحبون على وجوههم بالاغلال فيقول لهم مشيرا الى خروجهم
عن عهدة الرسالة كما ينبغي حسبما يعرب عنه تخصيص السؤال بجواب الامم اعرابا واضحا والالتفات
الخطاب بان يقال هل بلغتم رسالاتي وماذا اي قوله عز وجل ماذا اجبتم عبارة عن مصدر
الفعل فهو نصب على المصدرية اي اي اجابة اجبتم من جهة الحكم اجابة قبول او اجابة رد وقيل
عبارة عن الجواب فهو في محل النصب بعد حذف الجار عنه اي باي جواب اجبتم وعلى التقديرين
ففي توجيه السؤال عما صدر عنهم وهو الى الرسل عليهم السلام كسؤال الموؤدة بحضرة الوائد
والعدول عن اسناد الجواب اليهم بان يقال ماذا اجابوا من الانباء عن كمال تحقيرهم وشدة الغيظ
والسخط عليهم ما لا يخفى قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا
يقول الرسل عليهم السلام هنالك فقيل يقولون لا علم لنا وصيغة الماضي للدلالة على التقرر
والتحقق كما في قوله تعالى واحاطته تعالى بما اعتراهم من هيبتهم من معاينات الاهوال ودهماء
اليوم ورد الاوجال وعرضنا لعجزهم عن بيانه لكثرته وفظاعته انك انت علام الغيوب تعليل
لذلك اي فتعلم ما اجابوا واظهروا لنا وما لم نعلمه مما اضمروه في قلوبهم وفيه اظهار للشكاة
ورد للامر الى علمه تعالى بما لقوا من قبلهم من الخطوب وكابدوا من الكروب والتجائهم الى ربهم في
الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وذلك لانهم يعرفونهم

بيانهم فكيف يخفى وانما قالوا ذلك لما انهم حينئذ ان بعضهم كانوا في زمانهم على الحق ثم ماتوا او كفروا وعن
ابن عباس ومجاهد والسدي انهم يفزعون من اهوال الامر ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد
ما ثابت اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم ولا يلايمه التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة في تحقيق
فضيحتهم وقرئ علام الغيوب بالنصب على النداء او الاختصاص تم المدح على ان الكلام قد تم عند قوله انت
اي انك انت المنعوت بنعوت كمالك المعروف بذلك اذ قال الله يا عيسى ابن مريم شروع
في بيان ما جرى بينه تعالى وبين واحد من الرسل المجموعين من المفاوضة على التفصيل اثر بيان
ما جرى بينه تعالى وبينهم كلهم على وجه الاجمال ليكون ذلك كالانموذج لتفاصيل احوال الباقين
وتخصيص شأن عيسى عليه السلام بالبيان تفصيلا من بين شؤون سائر الرسل عليهم السلام مع
دلالتها على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل عليهم السلام لما ان شأنه
عليه السلام متعلق بكلا الفريقين من اهل الكتاب الذين نعيت عليهم في السورة الكريمة جناياتهم
فتفصيله اعظم عليهم واجلب لحسرتهم وندامتهم وانكى في اعضادهم وادخل في صرفهم عن غيهم وعنادهم
واذ بدل من يوم يجمع الله الى آخره وصيغة الماضي لما ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع واظهار
الاسم الجليل في مقام الاضمار لما مر من المبالغة في التهويل وكلمة على في قوله تعالى اذكر
نعمتي عليك وعلى والدتك متعلقة بنفس النعمة ان جعلت مصدرا اي اذكر انعامي عليكما
او بمحذوف هو حال منها ان جعلت اسما اي اذكر نعمتي كائنة عليكما وليس المراد بامره عليه السلام
بذكر النعم المنتظمة في سلك التعديد تكليفه عليه السلام شكرها والقيام بمواجبها ولات
حين تكليف مع خروجه عليه السلام عن عهدة الشكر في اوانه اي خروج بل اظهار امره عليه
السلام بتعداد تلك النعم حسبما بعينه الله سبحانه اعتدادا بها وتلذذا بذكرها على رؤوس الاشهاد
ليكون حكاية ذلك على ما نطق به النظم الكريم توبيخا ومزجرة للكفرة المختلفين في شأنه عليه
السلام افراطا وتفريطا وابطالا لقولهم جميعا اذ ايدتك ظرف لنعمتي اي اذكر انعامي عليكما
وقت تاييدي لك او حال منها اي اذكرها كائنة وقت تاييدي لك وقرئ ايدتك والمعنى
واحد اي قويتك بروح القدس بجبريل عليه السلام لتثبيت الحجة او بالكلام الذي يحيى به الدين
واضافته الى القدس لانه سبب الطهر عن اوضار الآثام او يحيى به الموتى او النفوس حياة
ابدية وقيل لان الارواح مختلفة الحقائق فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها
مشرقة ومنها كدرة ومنها حرة ومنها نذلة وكان روحه عليه السلام طاهرة مشرقة
نورانية علوية واياما كان فهو نعمة عليهما عليهما السلام تكلم الناس في المهد وكهلا
استئناف مبين لتاييده عليه السلام او حال من الكاف وذكر تكلمه عليه السلام في حال الكهولة
لبيان ان كلامه عليه السلام في تلك الحالتين كان على نسق واحد بديع صادرا عن كمال العقل
مقارنا لرزانة الراي والتدبير وبه استدل انه عليه السلام سينزل من السماء لما انه عليه السلام
رفع قبل التكهل قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ارسله الله تعالى وهو ابن ثلاثين سنة ومكث
في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى واذ علمتك الكتاب عطف على قوله تعالى اذ ايدتك
منصوب بما نصبه اي اذكر نعمتي عليكما وقت تعليمي لك الكتاب والحكمة اظهارا للسر فيهما وقيل
الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب واذ تخلق من الطين كهيئة الطير اي تصور منه هيئة

مماثلة

مماثلة لهيئة الطير باذني بتسهيلي وتيسيري لا على ان يكون الخلق صادرا عنه عليه السلام حقيقة
بل على ان يظهر ذلك على يده عليه السلام عند مباشرة الاسباب مع كون الخلق حقيقة لله تعالى
كما ينبئ عنه قوله تعالى فتنفخ فيها اي في الهيئة المصورة فتكون اي تلك الهيئة طيرا باذني
فان اذنه تعالى لو لم يكن عبارة عن تكوينه للطير بل عن محض تيسيره مع صدور الفعل حقيقة
عما اسند اليه لكان هذا التكون من جهة الهيئة وتكرير قوله باذني في الطير مع كونه شيئا
واحدا للتنبيه على ان كلا من التصوير والنفخ امر معظم بديع لا يتسنى ولا يترتب عليه شيء
الا باذنه تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني عطف على تخلق واذ تخرج الموتى باذني
عطف على اذ تخلق اعيد فيه اذ لكون اخراج الموتى من قبورهم لا سيما بعدما صاروا رميما معجزة
باهرة ونعمة جليلة حقيقة بتذكير وقتها صريحا قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة
وجارية وتكرير قوله باذني في المواضع الاربعة للاعتناء بتحقيق الحق ببيان ان تلك الخوارق
ليست من قبل عيسى بل من جهته سبحانه قد اظهرها على يديه معجزة له ونعمة خصه بها
واما ذكره في سورة آل عمران مرتين لما ان ذلك موضع الاخبار وهذا موضع تعداد النعم
واذ كففت بني اسرائيل عنك عطف على اذ تخرج اي منعت اليهود الذين ارادوا بك السوء
عن التعرض لك اذ جئتهم بالبينات المعجزات الواضحة مما ذكر ومما لم يذكر كالاخبار بما
ياكلون وما يدخرون في بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار المجيء بها فقط
بل باعتباره معا بعقبه من قوله تعالى فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين
فان قولهم ذلك مما يدل على انهم قد قصدوا اغتياله عليه السلام المحوج الى الكف اي كففتهم
عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك اياهم بالبينات وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لذمهم
بما في حيز الصلة وكلمة من بيانية وهذا اشارة الى ما جاء به والتذكير لان اشارتهم الى
ما جاء به من حيث هو او من حيث هو سحر لا من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ ان
هذا الا ساحر مبين فهذا حينئذ اشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين
عطف على ما قبله من اخواتها الواقعة ظروفا للنعمة التي امر بذكرها وهي وان كانت
في الحقيقة عين ما يعين الجمل التي اضيف اليها تلك الظروف من التاييد بروح القدس
وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق المعدودة لكنها لمغايرتها لها بعنوان منبئ عن غاية
الاحسان امر بذكرها من تلك الحيثية وجعلت عاملة في تلك الظروف لكفاية المغايرة
الاعتبارية في تحقيق ما اعتبر في مدلول كلمة اذ من تعدد النسبة فان الظرف موضوع لزمان
نسبتين ماضيتين واقعتين فيه احديهما معلومة الوقوع فيه للمخاطب دون الاخرى فيراد افادة
وقوعها ايضا له فيضاف الى الجملة المفيدة للنسبة الاولى ويجعل ظرفا معمولا للنسبة
الثانية ثم قد تكون المغايرة بين النسبتين بالذات كما في قولك اذكر احساني اليك اذ منعتك
عن المعصية تربية تنبيهه على كون منعه منها احسانا اليه لا على احسان آخر واقع حينئذ ومن هذا
القبيل عامة ما وقع في التنزيل من قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء
وجعلكم ملوكا الآية وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا
اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الى غير ذلك من النظائر ومعنى ايحائه تعالى اياهم في الانجيل

على لسانه عليه السلام وقيل بالهامه تعالى اياهم كما في قوله تعالى واوحينا الى ام موسى وان في قوله تعالى
ان آمنوا بي وبرسولي مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وقيل مصدرية وايراده عليه السلام
بعنوان الرسالة للتنبيه على كيفية الايمان به عليه السلام كانه قيل آمنوا بوحدانيتي في الالوهية
والربوبية وبرسالة رسولي ولا تزيلوه عن حيزه حطا ولا رفعا وقوله تعالى قالوا استئناف مبني
على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قالوا حين اوحي اليهم ذلك فقيل قالوا آمنا اي بما
ذكر من وحدانيته تعالى وبرسالة رسوله كما يؤذن به قوله تعالى واشهد باننا مسلمون اي
مخلصون في ايماننا من اسلم وجهه لله وهذا القول منهم بمقتضى وحيه تعالى وامره لهم بذلك
نعمة جليلة كسائر النعم الفائضة عليه عليه السلام وكل ذلك نعمة على والدته ايضا روي انه عليه
السلام لما علم انه سوف يؤمر بذكر هاتيك النعم العظام جعل يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا
لغد يقول لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اين ما امسى بات اذ قال الحواريون
كلام مستأنف مسوق لبيان بعض ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبئ
عنه الاظهار في موضع الاضمار واذ منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين
الخطاب لكن لا لان الخطاب السابق لعيسى عليه السلام فانه ليس بخطاب وانما هو حكاية خطاب بل
كان الخطاب لمن خوطب بقوله تعالى واتقوا الله الآية فتأمل كانه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم له
عقيب حكاية ما صدر عن الحواريين من المقالة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة على عيسى عليه
الصلاة والسلام اذكر للناس وقت قولهم الى آخره وقيل هو ظرف لقالوا اريد به التنبيه على ان ادعاءهم
للايمان والاخلاص لم يكن عن تحقيق وايقان ولا يساعده النظم الكريم يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك
ان ينزل علينا مائدة من السماء اختلف في انهم كانوا مؤمنين او لا فقيل انهم كانوا كافرين شاكين في قدرة
الله تعالى على ما ذكروا وفي صدق عيسى عليه السلام في دعوى الايمان والاخلاص وقيل كانوا
مؤمنين وسؤالهم للاطمئنان والتثبت لا لازاحة الشك وهل يستطيع سؤال عن الفعل دون
القدرة عليه تعبيرا عنه بلازمه وقيل الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه
القدرة وقيل المعنى هل يستطيع ربك بمعنى هل يطيعك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب بمعنى اجاب
وقرئ هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه وهي
قراءة علي وعائشة وابن عباس ومعاذ رضي الله عنهم وسعيد بن جبير وآخرين والمائدة الخوان الذي
عليه الطعام من ماده اذا اعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة
وقال ابو عبيدة هي فاعلة بمعنى مفعول كعيشة راضية قال استئناف مبني على سؤال ناشئ
مما قبله كانه قيل فماذا قال لهم عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال اتقوا الله اي من امثال
هذا السؤال ان كنتم مؤمنين اي بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتي او ان صدقتم في ادعائكم
الايمان والاسلام فان ذلك مما يوجب التقوى والاجتناب عن امثال هذه الاقتراحات وقيل
امرهم بالتقوى ليصير ذلك ذريعة لحصول المسؤول كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة قالوا
استئناف كما سبق نريد ان نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال اي ما نريد بالسؤال
ازالة شبهتنا في قدرته سبحانه على تنزيلها او في صحة نبوتك حتى يقدح ذلك في الايمان والتقوى

بل

بل نريد ان نأكل منها اي اكل تبرك وقيل اكل حاجة وتمتع وتطمئن قلوبنا بكمال قدرته تعالى
وان كنا مؤمنين به من قبل فان انضمام علم المشاهدة الى العلم الاستدلالي مما يوجب ازدياد
الطمأنينة وقوة اليقين ونعلم اي علما يقينيا لا يحوم حوله شائبة شبهة اصلا وقرئ ليعلم على البناء
للمفعول ان قد صدقتنا ان هي المخففة من ان وضمير الشأن محذوف اي ونعلم انه قد صدقتنا
في دعوى النبوة وان الله يجيب دعوتنا وان كنا عالمين بذلك من قبل ونكون عليها من الشاهدين
نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة
ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر وعليها متعلق
بالشاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما يشهدون عليه ان جعلت موصولة كانه قيل على
اي شيء يشهدون فقيل عليها فان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول او هو حال من اسم كان او
هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين قال عيسى ابن مريم لما رأى عليه السلام ان لهم غرضا
صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه ازمع استدعاءها واستنزالها واراد ان يلزمهم الحجة بكمالها
روي انه صلى الله عليه وسلم اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأطأ راسه وغض بصره فقال
اللهم ربنا ناداه سبحانه مرتين مرة بوصف الالوهية الجامعة لجميع الكمالات ومرة بوصف
الربوبية المنبئة عن التربية اظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء انزل علينا
تقديم الظرف على قوله تعالى مائدة لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر
وقوله تعالى من السماء متعلق بانزل او بمحذوف هو صفة لمائدة اي كائنة من السماء نازلة
منها وقوله تعالى تكون لنا عيدا في محل النصب على انه صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة
وخبرها اما عيدا ولنا حال منه او من ضمير تكون عند من يجوز اعمالها في الحال واما لنا وعيدا
حال من الضمير في لنا لانه وقع خبرا فيحمل ضميرا او من ضمير تكون عند من يرى ذلك اي يكون
يوم نزولها عيدا نعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم مستفاد من شرفها
وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن بالجزم على جواب
الامر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني خلا ان قراءة الجزم هناك متواترة وههنا
من الشواذ لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روي
انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل للرؤساء منا والاتباع وقيل يأكل
منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة وآية عطف على عيدا
منك متعلق بمحذوف هو صفة لآية اي كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتك
وارزقنا اي المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين تذييل جار مجرى التعليل اي خير من يرزق
لانه خالق الارزاق ومعطيها بلا عوض وفي اقباله عليه السلام على الدعاء بتكرير النداء المنبئ
عن كمال الضراعة والابتهال وزيادته ما لم يخطر ببال السائلين من الامور الداعية الى الاجابة
والقبول دلالة واضحة على انهم كانوا مؤمنين وان سؤالهم كان لتحصيل الطمأنينة كما في قول
ابراهيم عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتى والا لما قبل اعتذارهم بما ذكروه ولما اضاف
اليه من عنده ما يؤكده ويقربه الى القبول قال الله استئنافا كما سلف اني منزلها عليكم
وورود الاجابة منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدعاء منه عليه السلام

بصيغة الافعال لاظهار كمال اللطف والاحسان كما في قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب الى
آخره بعد قوله لئن انجيتنا من هذه الى آخره مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة السائلين
وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما تحقيق للوعد وايذان بانه عز وجل منجز له
لا محالة من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه والاستمرار الى منزل المائدة عليكم مرات عليكم وقرئ
بالتخفيف وقيل الانزال والتنزيل بمعنى واحد فمن يكفر بعد اي بعد تنزيلها منكم متعلق بمحذوف
وقع حالا من فاعل يكفر فاني اعذبه بسبب كفره بعد معاينة هذه الآية الباهرة عذابا اسم
مصدر بمعنى التعذيب وقيل مصدر بحذف الزوائد وانتصابه على المصدرية بالتقديرين
المذكورين وجوز ان يكون مفعولا به على الاتساع وقوله تعالى لا اعذبه في محل النصب على انه
صفة لعذابا والضمير له اي اعذبه تعذيبا لا اعذب مثل ذلك التعذيب احدا من العالمين
اي من عالمي زمانهم او من العالمين جميعا قيل لما سمعوا هذا التشديد خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا
وقالوا لا نريدها فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن والصحيح الذي عليه جماهير الامة ومشاهير
الائمة انها قد نزلت روي انه عليه السلام لما دعا بما دعا واجيب بما اجيب اذا بسفرة حمراء نزلت
بين غمامتين من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى
عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة و
عقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى وكشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة
مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان
البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث
سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون راس الحواريين يا روح الله امن طعام
الدنيا او من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكن شيء اخترعه الله تعالى بالقدرة العالية كلوا ما
سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية
اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية
ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها
الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم
ياكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى ان اجعل
مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم من مسخ
فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات وياكلون العذرة في الحشوش فلما رأى
الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا على الممسوخين فلما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام
بكت وجعلت تطوف به وجعل يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤوسهم
لا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وروي عن ابن عباس ان عيسى عليه السلام
قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم اسألوا الله ما شئتم يعطيكم فلما فرغوا قالوا لو انا عملنا لاحد فقضينا
عمله لاطعمنا وسألوا الله تعالى المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة
وسبعة احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم قال كعب نزلت
منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل الطعام الا اللحم وقال قتادة كان عليها

ثمر

ثمر من ثمار الجنة وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي ومقاتل
نزلت سمكة وخمسة ارغفة فاكلوا ما شاء الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا
الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبته على بصيرته ومن
اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا
ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ واذ قال الله يا عيسى ابن مريم معطوف على اذ قال الحواريون
منصوب بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم او بمضمر مستقل معطوف على ذلك
اي اذكر للناس وقت قول الله عز وجل له عليه السلام في الآخرة توبيخا للكفرة وتبكيتا لهم
باقراره عليه السلام على رؤوس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بعبادته عز وجل وصيغة
الماضي لما مر من الدلالة على التحقق والوقوع أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين الاتخاذ
اما متعد الى مفعولين فالهين ثانيهما واما الى واحد فهو حال من المفعول وليس مدار
اصل الكلام الى القول منتفيا والاستفهام لتبيين انه بامره عليه السلام او من تلقاء انفسهم
كما في قوله تعالى أانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل وقوله تعالى من دون الله متعلق
بالاتخاذ ومحله النصب على انه حال من فاعله اي متجاوزين الله او بمحذوف هو صفة لالهين اي
كائنين من دونه تعالى واياما كان فالمراد اتخاذهما بطريق اشراكهما به سبحانه كما في قوله
تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا
يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون
اذ به يتأتى التوبيخ ويتسنى التقريع والتبكيت ومن توهم ان ذلك بطريق الاستقلال ثم اعتذر
عنه بان النصارى يعتقدون ان المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم عليهما السلام لم يخلقها
الله تعالى بل هما خلقاها فصح انهم اتخذوهما في حق بعض الاشياء الهين مستقلين ولم يتخذوه
تعالى الها في حق ذلك البعض فقد ابعد عن الحق بمراحل واما من تعمق فقال ان عبادته
تعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده تعالى مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده
تعالى فقد غفل عما يجديه واشتغل بما لا يعنيه كان من قبله فان توبيخهم انما يحصل بما
يعتقدونه ويعترفون به صريحا لا بما يلزمه بضرب من التأويل ثم اظهار الاسم الجليل لكونه
في حيز المسند الى عيسى عليه السلام كانه قيل فماذا يقول عيسى حينئذ فقيل يقول وايثار
صيغة الماضي لما مر مرارا سبحانك علم سبحان للتسبيح وانتصابه على المصدرية ولا يكاد
يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب
في الابعاد في الارض ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى
الاسم الموضوع له خاصة المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر
مع الفعل ما لا يخفى اي انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك او من ان يقال في حقك ذلك
واما تقدير من ان يكون لك شريك في الالوهية فلا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه
وقوله تعالى ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق استئناف مقرر للتنزيه ومبين للمنزه منه وما
عبارة عن القول المذكور اي ما يستقيم وما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله وايثار ليس
على الفعل المنفي لظهور دلالته على استمرار انتفاء الحقية وافادة التأكيد بما في حيز من الساقات

اسمه ضميره العايد الي ما وخبره بحق فالجار والمجرور فيما بينهما للتبيين كما في سقيا لك ونحوه وقوله تعالى ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق استيناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه عليه السلام بالطريق البرهاني فان صدوره عنه مستلزم لعلمه تعالى به قطعا فحيث انتفى علمه تعالى به انتفى صدوره عنه حتما ضرورة ان عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم ان كنت قلته فقد علمته استيناف جار مجرى التعليل لما قبله كانه قيل لانك تعلم ما اخفيه في نفسي فكيف بما اعلنته وقوله تعالى تعلم ما في نفسي بيان للواقع واظهار لقصوره اي ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله تعالى في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس هو الذات والنسبة للمعلومات اليها لما انها مرجع الصفات التي من جملتها العلم المتعلق بها فلم يكن نسبتها الى الحقيقة وقوله تعالى انك انت علام الغيوب تعليل لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما وقوله عز وجل ما قلت لهم الا ما امرتني به استيناف مسوق لبيان ما صدر عنه وقد ادرج فيه عدم صدور القول المذكور عنه على ابلغ وجه واكده حيث حكم بانتفاء صدور جميع الاقوال المغايرة للمامور به فدخل فيه انتفاء صدور المذكور دخولا اوليا اي ما امرتهم الا بما امرتني به وانما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الادب ومراعاة لما ورد في الاستفهام وقوله تعالى ان اعبدوا الله ربي وربكم تفسير للمامور به وقيل عطف بيان للضمير في به وقيل بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا فيلزم بقاء الموصول بلا عايد وقيل خبر مضمر او مفعول له مثل هو او اعني وكنت عليهم شهيدا رقيبا اراعي احوالهم واحملهم على العمل بموجب امرك وامنعهم عن المخالفة او شاهدا لاحوالهم من كفر وايمان ما دمت فيهم ما مصدرية ظرفية بتقدير مضاف اليه زمان ودمت صلتها اي كنت عليهم شهيدا مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني بالرفع الى السما كما في قوله اني متوفيك ورافعك الي فان التوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم لا غيرك فانت ضمير الفصل او تاكيد وقرئ الرقيب بالرفع على انه خبر انت والجملة خبر لكان وعليهم متعلق به اي انت كنت الحافظ لاعمالهم والمراقب فمنعت من اردت عصمته من المخالفة بالارشاد الى الدلايل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الايات وخذلت من خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا وانت على كل شيء شهيد اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفيه ايذان بانه تعالى كان هو الشهيد على الكل حين كونه عليه السلام فيما بينهم وعلى متعلق بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة ان تعذبهم فانهم عبادك وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز اي القوي القادر على جميع المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يريد ولا يفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك انما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد وقيل الترديد بالنسبة الى فرقتين والمعنى ان تعذبهم اي من كفر منهم وان تغفر لهم اي من امن منهم قال الله كلام مستانف ختم به حكاية ما حكي مما يقع يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام واشير الى نتيجته وماله اوليقول الله تعالى يومئذ عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيرا الى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين هو في زمرتهم وصيغة الماضي

لما مر

لما مر في نظايره مرارا وقوله تعالى هذا اشارة الى ذلك اليوم وهو مبتدا خبره ما بعده اي هذا اليوم الذي حكي بعض ما يقع فيه اجمالا وبعضه تفصيلا يوم ينفع الصادقين بالرفع والاضافة والمراد بالصادقين كما ينبي عنه الاسم المستمرون في الدنيا على الصدق في الامور الدينية التي معظمها التوحيد الذي نحن بصدده والشرايع والاحكام المتعلقة به من الرسل الناطقين بالحق والصدق الداعين الى ذلك وبه يتحقق الشهادة بصدق عيسى عليه السلام ومن الامم المصدقين لهم المقتدين بهم عقدا وعملا وبه يتحقق المقصود بالحكاية من ترغيب السامعين في الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم لا كل من صدق في اي شيء كان ضرورة ان الجاني المعترف في الدنيا بجنايته لا ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه صدقهم اي صدقهم فيما ذكر من امور الدين في الدنيا اذ هو المستتبع يومئذ للنفع واعتبار استمراره في الدارين مع انه لا حاجة اليه كما عرفت ولا دخل له في استتباع النفع والجزاء مما لا وجه له وهذه القراءة هي التي اطبق عليها الجمهور وهي الاليق بسياق النظم وسياقه وقد قرئ يوم بالنصب اما على انه ظرف لقال فهذا حينئذ اشارة الى قوله تعالى انت قلت فاما على انه خبر لهذا فهو حينئذ اشارة الى جواب عيسى اي هذا الجواب منه عليه السلام واقع يوم ينفع الى اخره اذ الى السوال والجواب معا وقيل هو خبر ولكنه بني على الفتح وليس بصحيح عند البصريين وقرئ يوم بالرفع والتنوين كقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي الاية لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا استيناف مسوق لبيان النفع المذكور كانه قيل ما لهم من النفع فقيل لهم نعيم دايم وثواب خالد وقوله تعالى رضي الله عنهم استيناف اخر لبيان انه عز وجل افاض عليهم غير ما ذكر من الجنات ما لا قدر لها عنده وهو رضوانه الذي لا غاية وراءه كما ينبي عنه قوله تعالى ورضوا عنه اذ لا شيء اعز منه حتى يمتد اليه اعناق هممهم ذلك اشارة الى نيل رضوانه وقيل الى نيل الكل الفوز العظيم لما ان عظم شان الفوز تابع لعظم شان المطلوب الذي يتعلق به الفوز وقد عرفت ان لا مطلب وراء ذلك اصلا وقوله تعالى لله ملك السموات والارض وما فيهن تحقيق للحق وتنبيه على كذب النصارى وفساد ما زعموا في حق المسيح وامه اي له تعالى خاصة ملك السموات والارض وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف فيهما كيف يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا من غير ان يكون لشيء من الاشياء مدخل في ذلك وايثار ما على من المختصة بالعقلاء على تقدير تناولها للكل مراعاة للاصل واشارة الى تساويهما في استحالة الربوبية حسب تساويهما في تحقق المربوبية وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلاء تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الالوهية واهانة بهم بتغليب غيرهم عليهم وهو على كل شيء من الاشياء قدير مبالغ في القدرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المايدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا والله سبحانه اعلم

سورة الانعام مائة وسبع وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعريف الحمد المعلق بلام الحقيقة او لام الاسم الذات الذي عليه يدور كافة ما يوجبه

من صفات الكمال واليه يؤول جميع نعوت الجلال والجمال للايذان بانه عز وجل هو المستحق له بذاته
لما مر من اقتضاء اختصاص حقيقته به سبحانه لاقتصار جميع افراده عليه بالطريق البرهاني ووصفه
تعالى بما ينبئ عن تفصيل بعض موجباته المنتظمة في سلك الاجمال من عظائم الآثار وجلائل
الافعال من قوله عز وجل الذي خلق السموات والارض للتنبيه على استحقاقه تعالى واستقلاله
به باعتبار افعاله العظام والائه الجسام ايضا وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جملة الآثار
العلوية والسفلية وعامة الآلاء الجلية والخفية التي اجلها نعمة الوجود الكافية في ايجاب
حمده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من فنون النعم الانفسية والآفاقية المنوطة
بها مصالح العباد في المعاش والمعاد اي انشأهما على ما هما عليه من النمط الفائق والطراز
الرائق منطويتين على انواع البدائع واصناف الروائع على ما تحار فيه العقول والافكار
من تعاجيب العبر والآثار تبصرة وذكرى لاولي الابصار وجمع السموات لظهور تعددها
طبقاتها واختلاف آثارها وحركاتها وتقديمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها
على الارض كما هي وجعل الظلمات والنور عطف على خلق مرتب عليه لكون جعلهما مسبوقا بخلق
منشئهما ومحلهما داخل فيه في حكم الاشعار بعلية الحمد فكما ان خلق السموات والارض وما فيهما
لكونه اثرا عظيما ونعمة جليلة موجب لاختصاص الحمد بخالقهما جل وعلا كذلك جعل الظلمات
والنور لكونه امرا عظيما خطيرا ونعمة عظيمة مقتض لاختصاصه بجاعلهما والجعل هو الانشاء
والابداع كالخلق خلا ان ذلك مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير فالتسوية
وهذا عام له كما في الآية وللتشريعي كما في قوله ما جعل الله من
بحيرة الآية واياما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشيء آخر بان يكون فيه او له او منه
او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شيء من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن
لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا كما في قوله عز وعلا وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى
وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كل واحد من هذه
الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه
نكرة واياما كان فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل
متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم وربما يشتبه
الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى
اني جاعل في الارض خليفة حيث قيل ان الظرف مفعول ثان لجاعل وقد اشير هناك الى
ان الذي يقتضيه الذوق السليم ويستدعيه جزالة النظم الكريم انه متعلق بجاعل او
بمحذوف على ما مر تفصيله وجمع الظلمات لظهور كثرة اسبابها ومحالها عند الناس
ومشاهدتهم لها على التفصيل وتقديمها على النور لتقدم الاعدام على الملكات مع ما فيه
من رعاية حسن المقابلة بين القرينتين قوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
معطوف على الجملة السابقة الناطقة بما مر من موجبات اختصاصه تعالى بالحمد المستدعي
لاقتصار العبادة عليه كما حقق في تفسير الفاتحة الكريمة مسوق لانكار ما عليه الكفرة واستبعاده
من مخالفتهم لمضمونها واجترائهم على ما يقضي ببطلانه بديهة العقول والمعنى انه تعالى مختص

باستحقاق

باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل من شؤونه العظيمة الخاصة به الموجبة
لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون به سبحانه اي يسوون
به غيره في العبادة التي هي اقصى غايات الشكر الذي راسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقا
له غير متصف بشيء من مبادي الحمد وكلمة ثم للاستبعاد المشوب بتعجب وصلوح ما دكر من الآيات
التكوينية القاضية ببطلانه لا لبعد بيانه بالآيات التنزيلية والموصول عبارة عن طائفة
الكفار جار مجرى الاسم لهم من غير ان يجعل كفرهم بما يجب ان يؤمن به كلا او بعضا عنوانا
للموضوع فان ذلك مخل باستبعاد ما اسند اليهم من الاشراك والباء متعلقة بيعدلون
دعة ووضع الرب موضع ضميره تعالى لزيادة التشنيع والتقبيح والتقديم لمزيد الاهتمام والمسارعة
الى تحقيق مدار الانكار والاستبعاد والمحافظة على الفواصل وترك المفعول لظهوره
او لتوجيه الانكار الى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم ايذانا بانه المدار في الاستبعاد
والاستنكار لا خصوصية المفعول هذا هو الحقيق بجزالة التنزيل والخليق بفخامة شانه
الجليل اما جعل الباء صلة لكفروا على ان يعدلون من العدول والمعنى ان الله تعالى
حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فيكفرون نعمته
فيرده ان كفرهم به تعالى لا سيما باعتبار ربوبيته تعالى لهم اشد شناعة واعظم جناية
من عدولهم عن حمده عز وجل لتحققه مع اغفاله ايضا فجعل اهون الشرين عمدة في الكلام
مقصودا للافادة واخراج اعظمهما مخرج القيد المفروغ عنه مما لا عهد له في الكلام
السديد فكيف بالنظم التنزيل ههنا وقد قيل انه معطوف على خلق السموات والمعنى انه
تعالى خلق ما خلق مما لا يقدر عليه سواه ثم هم يعدلون به سبحانه مما لا يقدر على شيء منه
لكن لا على قصد انه صلة مستقلة ليكون بمنزلة ان يقال الحمد لله الذي عدلوا به بل على انه
داخل تحت الصلة بحيث يكون الكل صلة واحدة كانه قيل الحمد لله كان منه تلك النعم العظام
ثم من الكفرة الكفر وانت خبير بان ما ينتظم في سلك الصلة المنبئة عن موجبات حمده عز
وجل حقه ان يكون له دخل في ذلك الانباء ولو في الجملة ولا ريب في ان كفرهم بمعزل منه
وادعاء ان له دخلا فيه لدلالته على كمال الجود كانه قيل الحمد لله الذي انعم بمثل هذه النعم
العظام على من لا يحمده تعسف لا يساعده النظام وتعكيس يأباه المقام وكيف لا وسياق
النظم الكريم كما تفصح عنه الآيات الآتية تشنيع الكفرة وتوبيخهم ببيان غاية اساءتهم مع
نهاية احسانه تعالى اليهم مع غاية اساءتهم في حقه تعالى كما يقتضيه الادعاء المذكور وبهذا
اتضح انه لا سبيل الى جعل المعطوف من روادف المعطوف عليه لما ان حق الصلة ان تكون غير
مقصودة الافادة فما ظنك بما هو من روادفها وقد عرفت ان المعطوف هو الذي سيق
له الكلام فتأمل وكن على الحق المبين هو الذي خلقكم من طين استئناف مسوق لبيان بطلان
كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الايمان به اثر بيان بطلان اشراكهم به تعالى مع معاينتهم
لموجبات توحيده وتخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر دلائل صحة البعث مع ان ما ذكر من خلق
السموات والارض من اوضحها واظهرها كما ورد في قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم لما ان محل النزاع بعثهم فدلالة بدء خلقهم على ذلك لظهور ... انفسهم

اعرف والتجافي عن الحجة النيرة اقبح والالتفات لمزيد التشنيع والتوبيخ اي ابتدا خلقكم منه فانه المادة الاولى للكل لما ان ادم الذي هو اصل البشر وانما نسب هذا الخلق الى المخاطبين لا الى ادم عليه السلام وهو المخلوق منه حقيقة بان يقال هو الذي خلق اباكم ه الى اخره مع كفاية علمهم بخلقه عليه السلام منه في ايجاب الايمان بالبعث وبطلان الامترا لتوضيح منهاج القياس والمبالغة في ازاحة الاشتباه والالتباس مع ما فيه من تحقيق الحق والتنبيه على حكمة خفية هي ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشايه عليه السلام منه حيث لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة ساير احاد الجنس انطوا اجماليا مستتبعا لجريان اثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من الطين خلقا لكل احد من فروعه منه ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط الساري الى جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل على عظيم قدرة الخلاق العليم وكمال علمه وحكمته وكان ابتدا حال المخاطبين اولى بان يكون معيارا لانتهايها فعل ما فعل ولله در شان التنزيل وعلى هذا السر مدار قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم الى اخره وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيا كما سياتي وقيل المعنى خلق اباكم منه على حذف المضاف وقيل معنى خلقهم منه خلقهم من النطفة الحاصلة من الاغذية المتكونة من الارض وايا ما كان ففيه من وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فان من قدر على احيا ما لم يشم رايحة الحياة ابدا فقد كان على احيا ما قارنها مدة اظهر قدرة ثم قضى اي كتب لموت كل احد منكم اجلا خاصا به اي حدا معينا من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة وكلمة ثم للايذان بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير اجالهم حسبما يقتضيه الحكم البالغة واجل مسمى اي حد معين لبعثكم جميعا وهو مبتدا لتخصصه بالصفة كما في قوله تعالى ولعبد مومن ولوقوعه في موقع التفصيل كما في قول من قال ه اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول ه وتنوينه لتفخيم شانه وتهويل امره ولذلك اوثر تقديمه على الخبر الذي هو عنده مع ان الشايع المستفيض هو التاخير كما في قولك عندي كلام حق ولي كتاب نفيس كانه قيل واي اجل مسمى مثبت معين في علمه لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله احد لا مجملا ولا مفصلا فاما اجل الموت فمعلوم اجمالا وتقريبا بنا على ظهور اماراته او على ما هو المعتاد في اعمار الانسان وتسميته اجلا انما هي باعتبار كونه غاية لمدة لبثهم في القبور لا باعتبار كونه مبدا لمدة القيامة كما ان مدار التسمية في الاجل الاول هو كونه اخر مدة الحياة لا كونه اول مدة الممات لما ان الاجل في اللغة عبارة عن اخر المدة لا عن اولها وقيل الاجل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث من البرزخ فان الاجل كما يطلق على اخر المدة يطلق على كلها وهو الاوفق لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قضى لكل احد اجلين اجلا من مولده الى موته واجلا من موته الى مبعثه فان كان برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث في اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا نقص من اجل العمر وزيد في اجل البعث وذلك قوله عز وعلا وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فمعنى عدم تغير الاجل حينيذ عدم تغير اخره والاول هو الاليق بتفخيم الاجل الثاني المنوط باختصاصه بعلمه تعالى والانسب بتهويله المبني على مقارنته للطامة الكبرى فان كون بعضه معلوما للخلق ومضيه من غير ان يقع

فيه

فيه شي من الدواهي كما يستلزمه الحمل على المعنى الثاني مخل بذلك قطعا ومعنى زيادة الاجل ونقصه فيما روي تاخير الاجل الاول وتقديمه ثم انتم تمترون استبعاد واستنكار لامترايهم في البعث بعد معاينتهم لما ذكر من الحجج الدالة عليه اي تمترون في وقوعه وتحققه في نفسه مع مشاهدتكم في انفسكم من الشواهد ما يقطع مادة الامترا بالكلية فان من قدر على افاضة الحياة وما يتفرع عليها من العلوم والقدر وساير الكمالات البشرية على مادة غير مستعدة لشي منها اصلا كان اوضح اقتدارا على افاضتها على مادة قد استعدت لها وقارنتها مدة ومن ههنا تبين ان ما قيل من ان الاجل الاول هو النوم والثاني هو الموت او ان الاول اجل الماضين والثاني اجل الباقين ه او ان الاول مقدار ما مضى من عمر كل احد ه والثاني مقدار ما بقي منه مما لا وجه له اصلا لما رايت من ان مساق النظم الكريم استبعاد امترايهم في البعث الذي عبر عن وقته بالاجل المسمى فحيث اريد به احد ما ذكر من الامور الثلاثة ففي اي شي يمترون ووصفهم بالامترا الذي هو الشك وتوجيه الاستبعاد اليه مع انهم جازمون بانتفا البعث مصرون على انكاره كما ينبي عنه قولهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ه ونظايره للدلالة على ان جزمهم المذكور في اقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار وهو الله تعالى جملة من مبتدا وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان شمول احكام الهيته تعالى لجميع المخلوقات واحاطة علمه بتفاصيل احوال العباد واعمالهم المودية الى الجزا اثر الاشارة الى تحقق المعاد في تضاعيف بيان كيفية خلقهم وتقدير اجالهم وقوله تعالى في السموات وفي الارض متعلق بالمعنى الوصفي الذي ينبي عنه الاسم الجليل اما باعتبار اصل اشتقاقه وكونه علما للمعبود بالحق كانه قيل وهو المعبود فيهما ه واما باعتبار اشتهاره بما اشتهر به الذات من صفات الكمال حسبما تقتضيه المشية المبنية على الحكم البالغة تعلق به الظرف من تلك الحيثية فصار كانه قيل وهو المالك او المتصرف او المدبر فيهما كما في قوله تعالى وهو الذي في السما اله وفي الارض اله وليس المراد بما ذكر نقل الاسم وان الاسم الجليل حمل على معناه اللغوي او على معنى المالك او المتصرف او نحو ذلك بل مجرد ملاحظة احد المعاني المذكورة في ضمنه كما لوحظ مع الاسم الاسد في قوله اسد علي وفي الحروب نعامة الى اخره ما اشتهر به من وصف الجراءة التي اشتهرت بها المسماه فجرى مجرى جري علي ه ومن ههنا تبين ان ما قيل بصدد التوجيه والمعنى اي هو المعروف بذلك في السموات وفي الارض او هو المعروف المشتهر بالصفات الكمالية او هو المعروف بالالهية فيهما ونحو ذلك بمعزل من التحقيق فان المعتبر مع الاسم هو نفس الوصف الذي اشتهر به لا هو الذي هو يقتضيه المقام حسبما بين ايضا لا اشتهاره به ه الا ترى ان كلمة على ما في المثال المذكور لا تنافي تعلقها لا اسمها والاسم بالجراءة قطعا ه وقيل هو متعلق بما يفيده التركيب الحصري من التوحد والتفرد ه كانه قيل وهو المتوحد بالالهية فيهما ه وقيل بما تقرر عند الكل من اطلاق هذا الاسم عليه تعالى خاصة كانه قيل وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك به شي في هذا الاسم على الوجه الذي سبق من اعتبار معنى التوحد بالالهية او على تقدير القول وقد جوز الاستنباط على حمل الاسم الجليل على معنى التوحيد بالالهية او على تقدير القول وقد جوز ان يكون الظرف خبرا ثانيا على ان كونه سبحانه فيهما عبارة عن كونه تعالى مبالغا في العلم بما فيهما بناء على تنزيل علمه المقدس عن حصول الصور والاشباح بكونه حضوريا منزلة كونه تعالى فيهما فان العالم اذا كان عالما به وبما فيه على وجه لا يخفى عليه منه شي فعلى هذا يكون قوله عز وجل يعلم سركم وجهركم اي ما اسررتموه وما جهرتم به من الاقوال او ما اسررتموه وما جهرتم به كائنا ما كان من الاقوال والاعمال بيانا وتقريرا لمضمونه وتحقيقا في المعنى المراد منه وتعليق علمه عز وجل بما ذكر خاصة مع شموله لجميع

ما فيهما حسبما تقتضيه الجملة السابقة لانسياق النظم الكريم الى بيان حال المخاطبين • وكذا على الوجه الثاني
فلان ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية الكلية والتصرف الكامل الجاري على النمط المذكور مستتبعة
لملاحظة علمه المحيط حتما فيكون هذا بيانا له وتقريرا له بلا ريب • واما على الاوجه الثلاثة الباقية فلا سبيل
الى كونه بيانا لكن لا لما قيل من انه لا دلالة لاستواء السر والجهر في علمه تعالى على ما اعتبر فيها من المعبودية
والاختصاص بهذا الاسم اذ ربما يتحقق ويختص به من ليس له كمال العلم فانه باطل قطعا اذ المراد بما ذكر
هو المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم الجليل ولا ريب في انهما مما لا يتصور فيما ليس له كمال العلم بكيفية
بل لان ما ذكر من العلم غير معتبر في مدلول شيء من المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم حتى يكون هذا بيانا
له وبهذا تبين انه ليس ببيان على الوجه الثالث ايضا لما ان التوحد بالصفة لا يقتضي في مفهومه العلم الكامل
ليكون هذا بيانا له بل هو معتبر فيما صدق عليه المتوحد وذلك غير كاف في البيانية • وقيل هو خبر بعد
خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى • وقيل هو الخبر والاسم الجليل
بدل من هو وبه يتعلق الظرف المتقدم ويكفي في ذلك كونه المعلوم فيهما كما في قولك رأيت الصيد في الحرم اذا
كان هو فيه وانت خارجه ولعل الحمل والتجرير فيهما لتوسيع الدائرة وتعميم انه لا يعزب عن علمه شيء
منهما اي في اي مكان كان لا لبيان كونهما في السموات ايضا وتعميم الخطاب لاهلهما تعسف لا يخفى • ويعلم ما تكسبون
اي ما تفعلونه لجلب نفع او دفع ضرر من الاعمال المكتسبة بالقلوب او بالجوارح سرا وجهرا لا لاظهار كمال الاعتناء به لانها
التي يتعلق بها الجزاء وهو السر في افراده بالذكر • وما تأتيهم من آية من آيات ربهم كلام مستأنف وارد لبيان
كفرهم بآيات الله واعراضهم عنها بالكلية بعد ما بين في الآية الاولى اشراكهم واعراضهم عن بعض آيات
التوحيد وفي الآية الثانية امتراؤهم في بعض آياته والالتفات بالاشعار بان ذكر قبائحهم قد اقتضى ان يعرض
عنهم الخطاب صفحا وتعداد جناياتهم لغيرهم ذما لهم وتقبيحا لحالهم فما نافية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية
او للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة
لآية واضافة الآيات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترؤوا عليه في حقها والمراد
بها اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل عليهم آية من الآيات القرآنية التي من جملتها
هاتيك الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله عز وجل المنبئة عن جريان احكام الربوبية على كافة
الكائنات والناطقة بعلمه بجميع احوال الخلق واعمالهم الموجبة للاقبال عليها والايمان بها الا كانوا عنها
معرضين اي على وجه التكذيب والاستهزاء كما ستقف عليه • واما الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات
وغيرها من تعاجيب المصنوعات فاتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التكوينية التي من
جملتها ما ذكر من جلائل شؤونه تعالى الشاهدة بوحدانيته تعالى الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح
فيها المؤدي الى الايمان بمكونها وايثار كلمة على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع في قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه
لمراعاة الفواصل والجملة في محل النصب على انها حال من مفعول تأتي او من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها
على ضمير كل منهما والا لغو لانها بقية على كل حال مساعدتهم على الاعراض وانما عبر له في ان الاتيان كما
يقتضيه كله لما في قوله عز وجل فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فان الحق عبارة عن القرآن الذي اعرضوا عنه
حين اعرضوا عن كل آية منه عبر عنه بذلك ابانة لكمال قبح ما فعلوا به فان تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره
عن احد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انه شيء مغاير له في الحقيقة واقع عقيبه او حاصل
بسبب

بسبب بل على ان الاول هو عين الثاني حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق
ذلك المعنى كما في قوله تعالى فقد جاؤوا ظلما وزورا بعد قوله تعالى وقال الذين كفروا ان هذا
الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فان ما جاؤوه اي فعلوه من الظلم والزور هو عين قولهم المحكي
لكنه لما كان مغايرا له مفهوما واشنع منه رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا
لامره كذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان اشنع من مفهوم الاعراض المذكور اخرج مخرج
اللازم البين البطلان فرتب عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه • ثم قيد ذلك بكونه بلا تأمل
تأكيدا لشناعته وتمهيدا لبيان ان ما كذبوا به اثر ذي اثر له عواقب جليلة ستبدو لهم البتة والمعنى
انهم حيث اعرضوا عن تلك الآيات عند اتيانها فقد كذبوا بما لا يمكن تكذيبه اصلا من غير ان يتدبروا
في حاله وماله ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الموجبة لتصديقه كقوله تعالى بل كذبوا بما لم
يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كما ينبئ عنه قوله تعالى فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون
فان ما عبارة عن الحق المذكور عبر عنه بذلك تهويلا لامره بابهامه وتعليلا بما في حيز الصلة
وانباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة التي نطقت بها آيات الوعيد وفي لفظ الانباء
ايذان بغاية العظم لما ان النبأ لا يطلق الا على خبر عظيم الوقع وحملها على العقوبات الآجلة او على
ظهور الاسلام وعلو كلمته يأباه الآيات الآتية وسوف لتأكيد مضمون الجملة وتقريره اي فسيأتيهم
البتة وان تأخر مصداق انباء الشيء الذي كانوا يكذبون به قبل ان كانوا معرضين من غير ان يتدبروا
في عواقبه وانما قيل يستهزئون ايذانا بان تكذيبهم كانوا مقرونا بالاستهزاء كما اشير اليه هذا على ان يراد
بالآيات الآيات القرآنية وهو الاظهر • واما ان اريد بها الآيات التكوينية فالفاء داخلة على علة
جواب شرط محذوف والاعراض على حقيقته كانه قيل ان كانوا معرضين عن تلك الآيات فلا تعجب فقد
فعلوا ما هو اعظم منها من الاعراض حيث كذبوا بالحق الذي هو اعظم الآيات ولا مساغ لحمل الآيات في هذا
الوجه على كليهما اصلا واما ما قيل من ان المعنى انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا بالقرآن
فما يجب تنزيه القرآن عن امثاله ألم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن استئناف مسوق لتعيين ما هو المراد بالانباء
التي سيحيق بها الوعيد وتقرير اتيانها بطريق الاستشهاد وهمزة الانكار لتقرير الرؤية وهي عرفانية
مستدعية لمفعول واحد وكم استفهامية كانت او خبرية معلقة لها عن العمل مفيدة للتكثير سادة مع
ما في حيزها مسد مفعولها منصوبة باهلكنا على المفعولية على انها عبارة عن الاشخاص ومن قرن مميز لها
على انه عبارة عن اهل عصر من الاعصار سموا بذلك لاقترانهم برهة من الدهر كما في قوله صلى
الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث • وقيل هو عبارة عن مدة من الزمان
والمضاف محذوف اي من اهل قرن • واما انتصابها على المصدرية او على الظرفية على انها عبارة
عن المصدر او عن الزمان فتعسف ظاهر ومن الاولى متعلقة ابتدائية متعلقة باهلكنا اي الم
يعرفوا بمعاينة الآثار وسماع الاخبار كثرة اهلكنا من قبل اهل مكة اي من قبل خلقهم او من
زمانهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كعاد وثمود وامثالهم وقوله مكناهم
في الارض استئناف لبيان كيفية الاهلاك وتفصيل مباديه مبني على سؤال نشأ من
صدر الكلام كانه قيل كيف كان ذلك فقيل مكناهم الخ وقيل صفة لقرن لما ان
المنكر مفتقر الى التخصيص فلذا ولها ما يتبع جمعها بها نعتي وتصفيه لها وانت خبير ان تنويع

التخيير ممن له من استعداد العقبة علي ان ذلك مع اقتضائه الا يكون مضمونه ومضمون ما عطف عليه
من الجمل الاربع امرا معهودا غير معهود لسياق النظم مؤد الى اختلال النظم الكريم كيف
لا والمعنى حينئذ الم يروا اكثر اهلكنا قبلهم من قرن موصوفين بكذا وكذا وبا مثل كذا
ابلغ هذا بين بعد وانه بين الفساد وتمكين الشيء في الارض جعله قارا فيها ولما لزمه جعلها مقرا
له ورد الاستعمال بكل منهما فقيل تارة مكنه في الارض ومنه قوله تعالى ولقد مكناهم
فيما ان مكناكم واخرى مكن له في الارض ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض
حتى اجري كل منهما مجرى الاخر ومنه قوله تعالى ما لم نمكن لكم بعد قوله تعالى مكناهم في
الارض كأنه قيل في الاول مكنا لهم وفي الثاني ما لم نمكنكم وما نكرة موصوفة بما بعدها من
الجملة المنفية والعائد محذوف ومحلها النصب على المصدرية اي مكناهم تمكينا لم نمكنه لكم
والالتفات لما في مواجهتهم بضعف الحال من مزيد بيان لشأن الفريقين ولدفع الاشتباه
من اول الامر من رجع الضميرين وارسلنا السماء اي المطر او السحاب او المظلة لان مبدأ
المطر منها عليهم متعلق بارسلنا مدرارا اي مغزارا حال من السماء وجعلنا الانهار اي صيرناها
فقوله تعالى تجري من تحتهم مفعولا ثانيا لجعلنا او انشأناها فيكون حالا من مفعوله ومن تحتهم
متعلق بتجري وفيه من الدلالة على كونها مسخرة لهم مستمرة في الجريان على الوجه المذكور ما ليس
في ان يقال واجرينا الانهار تجري من تحتهم وليس المراد بتعداد هاتيك النعم العظام الفائضة
عليهم بيان ذلك تمكينهم بيان عظم جناياتهم في كفرانها واستحقاقهم بذلك لاعظم العقوبات بل بيان
حيازتهم لجميع اسباب نيل المآرب ومبادي الامن والنجاة من المكاره والمعاطب وعدم
اغناء ذلك عنهم شيئا والمعنى اعطيناهم من البسطة في الاجسام والامتداد في الاعمار والسعة
من الاموال والاستظهار باسباب الدنيا في استجلاب المنافع واستدفاع المضار ما لم نعط اهل
مكة ففعلوا ما فعلوا فاهلكناهم بذنوبهم اي اهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم من
الذنوب فما اغنت عنهم تلك العدد والاسباب فسيحل بهؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب وهذا
كما ترى اخر ما به الاستشهاد والاعتبار واما قوله سبحانه وانشأنا من بعدهم اي احدثنا
من بعد اهلاك كل قرن قرنا اخرين بدلا من الهالكين فلبيان كمال قدرته تعالى وسعة
سلطانه وان ما ذكر من اهلاك الامم الكثيرة لم ينقص من ملكه شيئا بل كلما اهلك امة انشأ
بدلها اخرى ولو نزلنا عليك جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة
وما يتفرع عليها من الاقاويل الباطلة اثر بيان اعراضهم عن ايات الله وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم
لذلك لنزول العذاب وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم مع نسبة اتيان الايات وهي
الحق فيما سبق اليهم للاشعار بعدم حضوره صلى الله عليه وسلم مع نسبة انزال الاية في ضمن قولهم
فما نزل عليه من عجائبه قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل
بن خويلد حيث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه
اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله تعالى وانك رسوله كتابا ان جعل اسما كالامام فقوله
تعالى في قرطاس متعلق بمحذوف وقع صفة له اي كتابا كائنا في صحيفة وان جعل مصدرا بمعنى
المكتوب فهو متعلق بنفسه فلمسوه اي الكتاب وقيل القرطاس بايديهم مع ظهوره و[illegible]

مادة الابالايدي لزيادة التعيين ودفع احتمال التجوز الواقع في قوله تعالى وانا لمسنا السماء اي تفحصنا
اي فمسوه بايديهم بعدما رأوه باعينهم بحيث لم يبق لهم في شأنه اشتباه ولم يبق دواعي الاعتداد
بتشكيك الابصار لقال الذين كفروا اي لقالوا وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص
على اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر الذي لا يخفى حسن موقعه باعتبار مفهومه اللغوي ايضا
ان هذا اي ما هذا اشارة الى ذلك الكتاب الا سحر مبين اي بين كونه سحرا تعنتا وعنادا
للحق بعد ظهوره كما هو دأب المفحم المحجوج وديدن المكابر اللجوج وقالوا لولا انزل عليه ملك
شروع في قدحهم في نبوته صلى الله عليه وسلم صريحا بعدما اشير الى قدحهم فيها ضمنا وقيل
هو معطوف على جواب لو وليس بذاك لما ان تلك المقالة الشنعاء ليست مما يقدر وقوعه
على تقدير تنزيل الكتاب المذكور بل هي من اباطيلهم المحققة ومن اقاويلهم الملفقة التي يتعللون
بها كلما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل اي هلا انزل عليه صلى الله عليه وسلم ملك بحيث
نراه ويكلمنا انه نبي حسبما نقل عنهم فيما روي عن الكلبي ومقاتل ونظيره قولهم لولا انزل عليه
ملك فيكون معه نذيرا ولما كان مدار الاقتراح على تقدير انزال الملك كما هو وجعله معه
نذيرا اجيب عنه بان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الوجود اصلا لاشتماله على امرين متباينين لا يجتمعان
في الوجود لما ان انزال الملك على صورته يقتضي انتفاء جعله نذيرا وجعله نذيرا يستدعي عدم
انزاله على صورته لا محالة وقد اشير الى الاول بقوله تعالى ولو انزلنا ملكا لقضي الامر
اي لو انزلنا ملكا على هيئته حسبما اقترحوه والحال انه من هول المنظر بحيث لا تطيق مشاهدته
قوى الاحاد البشرية الا يرى ان الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين كانوا يشاهدون الملائكة
ويفاوضونهم على الصور البشرية كضيف ابراهيم ولوط وخصم داود عليهم السلام وغير ذلك
وحيث كان شأنهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن عداهم من العوام فلو
شاهدوه كذلك لقضي امر هلاكهم بالكلية واستحال جعله نذيرا وهو مع كونه خلاف
مطلوبهم مستلزم لاخلاء العالم عما عليه يدور نظام الدنيا والاخرة من ارسال الرسل وتاسيس
الشرائع وقد قال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه ما لا يخفى من ايذان بانهم في ذلك
الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه وان عدم الاجابة اليه للابقاء عليهم و[illegible] الاول
في الجواب على الاول للتناسب الذي هو نزول الملك مع كونه في السؤال مبنيا للمفعول لتهويل
الامر وتربية المهابة وبناء الثاني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وكلمة ثم في قوله تعالى ثم
لا ينظرون اي لا يمهلون طرفة عين للتفاوت ما بين قضاء الامر وعدم الانظار فان مفاجاة الشدة
من نفس العذاب واشد ومعنى نفي الانظار سببية اهلاكهم بانهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي اية لا شيء ابين منها ثم لم يؤمنوا لم يكن بد من اهلاكهم وقيل
انهم اذا رأوه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم واشير الى الثاني بقوله تعالى
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا على ان الضمير الاول للمطلوب المفهوم من فحوى الكلام بمعونة المقام
والثاني للملك المذكور وعليه بان يعكس ترتيب المفعولين ولو جعلناه نذيرا لجعلناه رجلا
مع ظهور المراد منه ايضا التحقيق ان مناط ابراز الجعل الاول في معرض الفرض والتقدير ومدار
استلزامه للثاني انما هو ملكية النذير لا نذيرية الملك وذلك لان الجاحد ان يكون مقوله

الاول مبتدأ والثاني خبر لكونه بمعنى التعبير المنقول من مادا الداخل على المبتدأ او الخبر ولا
ريب في ان معنى الثانية وهو اللزوم مرتب على الشرطية وهو محول المقدم لامر ممتنع فحيث كانت
امتناعية اوذنا ببيان انتفاء الجعل الاول لاستلزامه المحذور الذي هو الجعل الثاني وجب
ان يجعل ما هو اللازم امرا ممتنعا لازما لا محالة ولذلك جعل مقابله في الجعل الثاني
اي ممتنعا لازما لذلك اللازم لكمال التنافي بينهما الموجب لانتفاء الملزوم فالمعنى الثاني للملك
لا لما رجع اليه الاول والمعنى لو جعلنا النذير الذي اقترحوه ملكا لمثلناه رجلا لما مر
من عدم استطاعة الآحاد لمعاينة الملك على هيكله وفي ايثار رجلا على بشرا ايذانا
بان الجعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين لما يقع به التمثيل وقوله تعالى وللبسنا
عليهم معطوف على جواب لو مبني على الجواب الاول وقرئ بحذف لام الجواب اكتفاء بها في المعطوف عليه
يقال لبست الامر على القوم البسه اذا اشبهته وجعلته مشكلا عليهم واصله الستر بالثوب
وقرئ الفعلان بالتشديد للمبالغة اي ولخلطنا عليهم بتمثيله رجلا ما يلبسون على انفسهم حينئذ
بان يقولوا اذا رأوا الملك في صورة انسان هذا انسان وليس بملك ولو استدل على ملكيته بالقرآن المعجز الناطق بها او بمعجزات
اخر غير ملجئة الى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم ولو اظهره لهم على صورته
الاصلية لزم الامر الاول والتعبير عن تمثيله تعالى رجلا باللبس اما لكونه في صورة اللبس
او لكونه سببا للبسهم او لوقوعه في صحبته بطريق المشاكلة وفيه تأكيد لاستحالة جعل النذير
ملكا كأنه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأننا من لبس الامر عليهم وقد جوز ان يكون المعنى
وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة ولقد
استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه وفي تصدير
الجملة بلام القسم وحرف التحقيق من الاعتناء بها ما لا يخفى وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن
ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل اي وبالله لقد استهزئ برسل اولي شأن خطير
وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
فحاق فيهما اي احاط او نزل او حل ونحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد
يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا
منهم اي استهزؤوا بهم من اولئك الرسل عليهم الصلاة والسلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله
الذي هو قوله تعالى ما كانوا به يستهزئون للمسارعة الى بيان ما فعلت الامم الخالية
وما فعل بهم خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بانذار قومه وتذكيرهم باحوالهم
الفظيعة تحذيرا لهم عما هم عليه وتكملة للتسلية بما في ضمنه من العدة اللطيفة بانه سيحيق بهم
مثل ما حاق بالمستهزئين الاولين وقد انجز ذلك يوم بدر اي انجاز قل سيروا في الارض لتعرفوا
احوال اولئك الامم ثم انظروا اي تفكروا كيف كان عاقبة المكذبين وكلمة ثم اما لان النظر
في آثار الهالكين لا ينبغي الا بعد انتهاء السير الى اماكنهم واما لابانة ما بينهما من التفاوت
في مراتب الوجوب وهو الاظهر فان وجوب السير ليس الا لكونه وسيلة الى النظر كما يفصح
عنه العطف بالفاء في قوله عز وجل فانظروا الآية واما لان الامر الاول لاباحة السير في التجارة
ونحوها والثاني لايجاب النظر في آثارهم وثم لتباعد ما بين الواجب والمباح فلا يناسب المقام

وكيف

ذلك مبالغة لبعث السير وتحالي الجملة النصب بنزع الخافض اي تفكروا في انهم كيف اهلكوا بعذاب
الاستئصال والنادرة ومدد العاقبة وتنكير دار هو منتهى الامر وما له ووضع المكذبين
موضع المستهزئين لتحقيق ان مدار اصابة ما اصابهم هو التكذيب لينزجر السامعون عنه
لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على توهم ان المدار في ذلك قل لهم بطريق
الالجاء والتبكيت لمن ما في السموات والارض من العقلاء وغيرهم اي لمن الكائنات جميعا خلقا
وملكا وتصرفا وقوله تعالى قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق
بحيث لا يتأتى لاحد ان يجيب بغيره كما نطق به قوله عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله وقوله تعالى كتب على نفسه الرحمة جملة مستقلة داخلة تحت الامر
ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول ملكه وقدرته للكل مسوقة لبيان انه تعالى رؤوف بعباده
لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة والانابة وان ما سبق ذكره وما لحق من احكام الغضب ليس
من مقتضيات ذاته تعالى بل من جهة الخلق كيف لا ومن رحمته ان خلقهم على الفطرة السليمة وهداهم
الى معرفته وتوحيده بنصب الآيات الانفسية والآفاقية وارسال الرسل وانزال الكتب المشحونة
بالدعوة الى موجبات رضوانه والتحذير من مقتضيات سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبديلا واعرضوا
عن الآيات بالمرة وكذبوا بالكتب واستهزؤوا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ولولا شمول
رحمته لسلك بهؤلاء ايضا مسلك الغابرين ومعنى كتب الرحمة على نفسه انه تعالى قضاها واوجبها بطريق
التفضل والاحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء اصلا وقيل هو ما روي عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق
العرش ان رحمتي سبقت غضبي وعنه في رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله تعالى
الخلق كتب بيده كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وعن عمر رضي الله عنه انه قال لكعب
ما اول شيء ابتدأه الله من خلقه فقال كعب كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابة الزبرجد
واللؤلؤ والياقوت اني انا الله لا اله الا انا سبقت رحمتي غضبي ومعنى سبق الرحمة عليها وغلبتها
انها اقدم تعلقا بالخلق واكثر وصولا اليهم مع انها من مقتضيات الذات المفيضة للخير وفي التعبير
عن الذات بالنفس حجة على من ادعى ان لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى وان اريد به الذات الا
مشاكلة لما روي من انتفاء المشاكلة ههنا مع صحة المعنى وقوله تعالى ليجمعنكم الى يوم القيامة جواب قسم
محذوف والجملة استئناف مسوق للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي والله ليجمعنكم في القبور
مبعوثين او محشورين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم وسائر معاصيكم وان امهلكم بموجب رحمته
ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل الى بمعنى اللام اي ليجمعنكم ليوم القيامة كقوله تعالى
انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه وقيل هي بمعنى في اي ليجمعنكم في يوم القيامة لا ريب فيه
اي في اليوم او في الجمع وقوله تعالى الذين خسروا انفسهم اي بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة
الاصلية والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة الرسول صلى الله عليه
وسلم واستماع الوحي وغير ذلك من آثار الرحمة في موضع النصب او الرفع على الذم اي اعني الذين
الخ او هو مبتدأ او الخبر وقوله تعالى فهم لا يؤمنون والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والاشعار
بان عدم ايمانهم بسبب خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد

واعتنائك التعداد أي بهم إلى الإصرار على الكفر والامتناع من الإيمان والجملة تذييل
مسوق من جهته تعالى لتقبيح حالهم على أنه خالف الأمر **وله** أي لله عز وجل خاصة **ما سكن**
في الليل والنهار من الملوان متعلقة بالمكان معبر عن نسبة الأشياء الى ما بينه
إليهما بالسكنى فيهما وتعديته بكلمة في كما في قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين
ظلموا أنفسهم أو السكون مقابل الحركة والمراد ما سكن فيهما أو تحرك فاكتفي بأحد
الضدين عن الآخر **وهو السميع العليم** المبالغ في سماع كل مسموع البالغ في العلم بكل معلوم
فلا يخفى عليه شيء من الأقوال والأفعال **قل** تقريرا لما يكتنفها بما سبق من الخطاب **أغير الله**
أتخذ وليا أي معبودا بطريق الاستقلال أو الاشتراك وإنما سلطت الهمزة على المفعول
الأول لا على الفعل إيذانا بأن المنكر هو اتخاذ غير الله تعالى وليا لا اتخاذ الولي مطلقا
كما في قوله تعالى أغير الله أبغي ربا وقوله تعالى أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون
فاطر السموات والأرض أي مبدعهما بجر صفة للجلالة مؤكدة للإنكار
لأنه يعني المانعي ولذلك قرئ فطر ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لأنها ليست
بأجنبية إذ هي عاملة في عامل الموصوف أو بدل فإن الفصل بينه وبين المبدل
منه أسهل لأن البدل على نية تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم إلي أعرابيان
في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها **وهو يطعم ولا يطعم** أي يرزق
الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة إليه أو لأنه معظم ما يعد
إلى المرزوق من الرزق ومحل الجملة النصب على الحالية فإن نفعه تامة موجبة
لاتخاذه سبحانه وتعالى وليا وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس القراءة الأولى
أيضا على أن الضمير لغير الله والمعنى المنزل من هو فاطر السموات والأرض وهو نازل
عن رتبة الحيوانية وبناء ثانيا للفاعل على أن الثاني بمعنى يستطعم أو على معنى أنه يطعم
تارة ولا يطعم أخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط **قل** بعد بيان أن اتخاذ غيره تعالى وليا مما
لا ينبغي لعله لا بديهة العقول **إني أمرت** من جنابه عز وجل **أن أكون أول من أسلم** وجهه
مخلصا له لأن النبي صلى الله عليه وسلم إمام أمته في الإسلام كقوله تعالى وبذلك
أمرت وأنا أول المسلمين وقوله سبحانه تبت إليك وأنا أول المؤمنين **ولا تكونن** أي
وقيل لي لا تكونن **من المشركين** أي في أمر من أمور الدين ومعناه أمرت بالإسلام
ونهيت عن الشرك وقيل هو عطفه على أمرت وهو بعيد **قل إني أخاف إن عصيت ربي**
أي بمخالفة أمره ونهيه أي عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا وفيه
بيان لكمال اجتنابه صلى الله عليه وسلم من المعاصي على الإطلاق وقوله تعالى **عذاب**
يوم عظيم أي عذاب يوم القيامة مفعول أخاف والشرطية معترضة بينهما والجواب
محذوف لدلالة ما قبله عليه وفيه قطع لأطماعهم الفارغة وتعريض بأنهم عصاة مستوجبون
للعذاب العظيم **من يصرف عنه** على البناء للمفعول أي العذاب وقرئ على البناء للفاعل
والضمير لله سبحانه وقد قرئ بإظهاره والمفعول محذوف وقوله تعالى **يومئذ**

ظرف

ظرف للصرف أي في ذلك اليوم الهائل العظيم ويجوز أن يكون هو المفعول على قراءة البناء
للفاعل بحذف المضاف أي عذاب يومئذ **فقد رحمه** أي نجاه وأنعم عليه وقيل
أدخله الجنة كما في قوله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز والجملة
مستأنفة مؤكدة لتهويل العذاب وضميرا عنه ورحمه لمن وهو عبارة عن غير العاصي
وذلك إشارة إلى الصرف أو الرحمة لأنها مؤولة بأن مع الفعل وما فيه من معنى
البعد للإيذان بعلو درجته وبعد منزلته من الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
الفوز المبين أي الظاهر كونه فوزا وهو الظفر بالبغية واللام للقصر
عن ذلك **وإن يمسسك الله بضر** أي ببلية كمرض وفقر ونحو ذلك **فلا كاشف له** أي
فلا قادر على كشفه عنك **إلا هو** وحده **وإن يمسسك بخير** من صحة ونعمة ونحو ذلك
فهو على كل شيء قدير ومن جملة ذلك نفع وعليه فيحفظه عليك ويتفضل عليك من غير
أن يقدر غيره على دفعه أو رفعه أصلا كقوله تعالى فلا راد لفضله وجملة على تأكيد الجواب
في باب الثاني كرم روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أهدي للنبي صلى الله
عليه وسلم بغلة أهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم أردفني خلفه ثم سار
بي ميلا ثم التفت إلي فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك
احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وإذا سألت فاسأل الله
وإذا استعنت فاستعن بالله فقد فرغ القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق أن ينفعوك
بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا أن يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا
عليه فإن استطعت أن تعمل لله بالصدق مع اليقين فافعل فإن لم تستطع فإن في الصبر على
ما تكره خيرا كثيرا واعلم أن النصر مع الصبر وأن مع الكرب فرجا وأن مع العسر يسرا
وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة **وهو الحكيم** في كل ما
يفعله ويأمر به **الخبير** بأحوال عباده وخفايا أمورهم واللام في المواضع الثلاثة للقصر
قل أي شيء أكبر شهادة روي أن قريشا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألنا
عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك
رسول الله فنزلت فأي مبتدأ وأكبر خبره وشهادة نصب على التمييز **قل الله**
أمر له صلى الله عليه وسلم بأن يتولى الجواب بنفسه إما للإيذان بتعينه وعدم قدرتهم على
أن يجيبوا بغيره أو لأنهم ربما يتلعثمون فيه لا لتردد منهم في كونه أكبر من كل شيء بل في كونه شهيدا في
هذا الشأن وقوله تعالى **شهيد** خبر مبتدأ محذوف أي هو شهيد **بيني وبينكم** وجوز
أن يكون الله شهيد هو الجواب لأنه إذا كان هو الشهيد بينه وبينهم كان أكبر شهادة شهيد
له صلى الله عليه وسلم وتكرير البين لتحقيق المقابلة **وأوحي إلي** أي من جهته تعالى **هذا**
القرآن الشاهد بصحة رسالتي **لأنذركم به** بما فيه من الوعيد والاقتصار على ذكر الإنذار
لما أن الكلام مع الكفرة **ومن بلغ** عطف على ضمير المخاطبين أي لأنذركم به يا أهل مكة وسائر
من بلغه من الأسود والأحمر أو من الثقلين أو لأنذركم به أيها الموجودون ومن سيوجد
إلى يوم القيامة وهو دليل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد

بعد الى يوم القيامة فان ذلك بطريق الرواية فى الكل عند الحنابلة وبالاجماع عندنا فى غير الموجودين
وفى غير المكلفين يومئذ كما مر فى اوائل سورة النساء ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى
تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بذلك وان شهدتم به فانه باطل صرف
قل تكرير للامر بالتاكيد انما هو اله واحد اى بل انما اشهد ان الله تعالى لا اله الا هو وانني
برئ مما تشركون من الاصنام او من اشراككم الذين آتيناهم الكتاب جواب
عما سبق من قولهم لقد سألنا عنك اليهود والنصارى الخ من تعيين الشهود ومسارعة
الى الزامهم بالجواب من تحكمهم بقولهم فارنا من يشهد لك الى آخره والمراد بالموصول اليهود
والنصارى وبالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والانجيل وايرادهم بعنوان ايتاء الكتاب
للايذان بمدار ما اسند اليهم بقوله تعالى يعرفونه اى يعرفون رسول الله صلى الله عليه
وسلم من جهة الكتابين بحليته ونعوته المذكورة فيهما كما يعرفون ابناءهم بحلاهم بحيث
لا يشكون فى ذلك اصلا روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة
قال عمر لعبد الله بن سلام ان الله تعالى انزل على نبيه هذه الاية وكيف هذه المعرفة قال
يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيته كما اعرف ابنى ولانا اشد معرفة بمحمد صلى الله عليه
وسلم بابنى لانى لا ادرى ما صنع النساء واشهد انه حق من الله تعالى الذين خسروا انفسهم
من اهل الكتاب والمشركين بان ضيعوا فطرة الله تعالى التى فطر الناس عليها واعرضوا عن الايات
البينات الموجبات عن الايمان بالكلية فهم لا يؤمنون لما انهم مطبوع على قلوبهم ومحل الموصول
الرفع على الابتداء وخبره الجملة المصدرة بالفاء لما فيه من معنى الشرط وقيل على انه خبر
مبتدأ محذوف اى هم الذين خسروا الى آخره وقيل على انه نعت للموصول الاول
وقيل النصب على الذم بقوله تعالى فهم لا يؤمنون على الوجه الاخير عطف على جملة الذين
آتيناهم الكتاب الى آخره ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بوصفهم النبى الموعود فى الكتابين
بخلاف اوصافه صلى الله عليه وسلم فانه افتراء على الله سبحانه وبقولهم الملائكة بنات الله وقولهم
هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك وهو انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او
مساويا له وان كان سبك التركيب غير متعرض لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف
الفاشى والاستعمال المطرد فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به
حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل الا ترى الى قوله عز وجل لا جرم انهم فى الاخرة
هم الاخسرون بعد قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا الى آخره والسر فى ذلك
ان النسبة بين الشيئين انما يتصور غالبا لا سيما فى باب المغالبة بالتفاوت زيادة ونقصانا
فاذا لم يكن احدهما ازيد يتحقق النقصان لا محالة او كذب باياته كأن كذبوا بالقرآن
الذى من جملته الايات الناطقة بانهم يعرفونه صلى الله عليه وسلم كما يعرفون ابناءهم
وبالمعجزات وسموها سحرا وحرفوا التوراة وغيروا نعوته صلى الله عليه وسلم فان ذلك تكذيب
باياته تعالى وكلمة او للايذان بان كلا من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الافراط
فى الظلم فكيف وهم قد جمعوا بينهما واثبتوا ما نفاه الله تعالى ونفوا ما اثبته قاتلهم
الله انى يؤفكون انه اى الشان ومن اوضعه موضعه ادعاء ظهوره المغنية عن ذكره

وفائدة

وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريرها فان
الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند
وروده له فضل تمكن فكأنه قيل ان الشان الخطير هذا وهو لا يفلح الظالمون اى لا ينجون
من مكروه ولا يفوزون بمطلوب واذا كان حال الظالمين هذا فما ظنك بمن فى الغاية القاصية
من الظلم ويوم نحشرهم جميعا منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر قد حذف ايذانا بضيق
العبارة عن شرحه وبيانه وايماء الى عدم استطاعة السامعين لسماع الاهوال لشاعة ما يقع
فيه من الطامة والداهية القامة كأنه قيل ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول لهم ما
يقول كان من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال وصيغة الماضى للدلالة
على التحقيق وحسن موقع عطفه تعالى ثم لم تكن الى آخره عليه وقيل منصوب على المفعولية بمضمر
مقدم اى واذكر لهم للتخويف والتحذير يوم نحشرهم الى آخره ليتقوا او ليخافوا او يوم نحشرهم الى
آخره والضمير للكل جميعا حال منه وقرئ يحشرهم جميعا ثم يقول بالياء ثم نقول للذين اشركوا
اى نقول لهم خاصة للتوبيخ والتقريع على رؤس الاشهاد اين شركاؤكم اى آلهتكم التى جعلتموها
شركاء لله سبحانه واضافتها اليهم لما ان شركتها ليست الا بتسميتهم وتقولهم الكاذب كما ينبئ عنه قوله
تعالى الذين كنتم تزعمون اى تزعمونها شركاء فحذف المفعولان معا والسؤال المنبئ عن غيبتها
ليس لعدم حضورها حقيقة لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من
دون الله الى غير ذلك من النصوص بل انما يقع بعد ما يجرى بينها وبينهم من التبرى من الجانبين
وتقطع ما بينهم من الاسباب والعلاق حسبما يحكيه قوله تعالى فزيلنا بينهم الى آخره ونحو ذلك
من الايات الكريمة اما بعد حضورها وحيلولتها فى الحقيقة بابعادها من ذلك الموقف واما بتنزيل
عدم حضورها بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها فى الحقيقة اذ ليس السؤال
عنها من حيث ذواتها بل من حيث انها شركاء كما يعرب عنه الوصف بالموصول ولا ريب فى ان
عدم الوصف يوجب عدم الموصوف من حيث هو موصوف فهى من حيث هى شركاء غائبة لا محالة
وان كانت حاضرة من حيث ذواتها اصناما كانت او غيرها واما ما يقال من انه يحال بينها وبينهم
فى وقت التوبيخ لتفقدهم فى الساعة التى علقوا بها الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم
فربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع الرجاء فيها بعد وقد عرفت انهم شاهدوه
قبل ذلك وانصرم عنهم حبل الرجاء بالكلية على انها معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب
فى البرزخ وانما الذى يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلى واليقين القوى المترتب على المحاضرة
والمحاورة ثم لم تكن فتنتهم بالتاء والنصب ورفع فتنتهم على انه اسم له والخبر الا ان
قالوا وقرئ بالياء ونصب فتنتهم على ان الخبر والاسم الا ان قالوا والتأنيث للخبر كما فى قولهم من كانت
امك وقرئ بالياء ونصب الفتنة ورفعها والرفع انسب بحسب المعنى والجملة عطف
على ما قدر عاملا فى يوم نحشرهم كما اشير اليه فيما سلف والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال
وفتنتهم اما كفرهم والمراد بها عاقبته اى لم تكن عاقبة كفرهم الذى لزموه مدة اعمارهم وافتخروا
به شيئا من الاشياء الا جحوده والتبرى عنه بان يقولوا والله ربنا ما كنا مشركين واما جوابهم
عبر عنه بالفتنة لانه كذب او لانه فتنة ... يتخلصون بها لعلهم ... من الاثر لك

وتبرئ ربنا على التذلل لاظهار كمال العجز والاحتياج في استدعاء قبول المعذرة فانما يقولون ذلك مع علمهم بانه بمعزل من النفع رأسا من فرط الحيرة والدهش وحمله على معنى ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا في الدنيا انا على خطأ في معتقدنا فانا لا يبتني الا على تجويز امكان انه يمكنهم ان يظهروا عند ربنا شيئا لم تدع على الاعتذار في الجملة وذلك يفضي الى اغفال هول اليوم قطعا وانه مما ينبغي ببيانه

وقوله تعالى **انظر كيف كذبوا على انفسهم** فانه يعجب من كذبهم الصريح بانكار صدور الاشراك منهم في الدنيا اي انظر كيف كذبوا على انفسهم في قولهم ذلك فانه معجب عجيب في الغاية واما حمله على كذبهم في الدنيا فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه **وضل عنهم ما كانوا يفترون** عطف على كذبوا داخل معه في حكم التعجب وما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا باليمين الفاجرة المغلظة على انفسهم بانكار صدور الاشراك عنهم فكيف ضل عنهم اي زال وذهب افتراؤهم او ما كانوا يفترونه من الاشراك حتى نفوا صدوره عنهم بالكلية وتبرءوا عنه بالمرة • وقيل ما عبارة عن الشركاء وايقاع الافتراء عليها مع انه في الحقيقة واقع على احوالها من الالهية والشركة والشفاعة ونحوها للمبالغة في امرها كانها نفس المفترى • وقيل الجملة كلام مستأنف غير داخل في حيز التعجب **ومنهم من يستمع اليك** كلام مبتدأ مسوق لحكاية ما صدر في الدنيا عن بعض المشركين من احكام الكفر وبيان ما سيصيبهم يوم الحشر تقريرا لما قبله وتحقيقا لمضمونه والضمير للذين اشركوا ومحل الظرف الرفع على مبتدأ باعتبار مضمونه وتقدير الموصوف كما في قوله تعالى وما منا دون ذلك اي وجمع منا الى آخره ومن موصولة او موصوفة موصولة محلها الرفع على الخبرية اي وبعضهم او وبعض منهم الذي يستمع اليك على مناط الافادة ايضا لم يأت في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين • وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الى آخره • روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر وكان صاحب اخبار يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت **وجعلنا على قلوبهم اكنة** من الجعل بمعنى الانشاء وعلى متعلقة به ومنع قلوبهم راجع الى من وجمعيته باعتبار معناها كما ان افراد ضمير يستمع بالنظر الى لفظها وقد روعي جانب المعنى في قوله تعالى في سورة يونس ومنهم من يستمعون اليك الآيات والاكنة جمع كنان وهو ما يستر به الشيء وتنوينها للتفخيم والجملة اما مستأنفة للاخبار بما تضمنته من الحكم او حال من فاعل يستمع او باضمار قد منه من بعد رها على الماضي في الواقع حالا اي يستمعون اليك وقد القينا على قلوبهم اغطية كثيرة لا يقادر قدرها كراهة **ان يفقهوه** اي كراهة ان يفقهوا ما يستمعونه من القرآن المدلول عليه بذكر الاستماع ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان يفقهوه **وفي آذانهم وقرا** صمما وثقلا مانعا من سماعه والكلام فيه كما في قوله تعالى على قلوبهم اكنة وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشؤون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له وقد مر

بحقيقته

بحقيقته في اوائل سورة البقرة • وقيل هو حكاية لما قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا الآية وانت خبير بان مرادهم بذلك الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم جهلا وكفرا من انهما بمعزل من ان يفقه ويسمع وما هناك من التصديق والايمان لا الاخبار بان هناك امرا وراء ذلك قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من قبله تعالى حتى يمكن حمل النظم الكريم على ذلك **وان يروا كل آية** من الآيات القرآنية التي يستمعونها ونحوها من الآيات على نحو ما التي لا **يؤمنوا بها** اي كفروا بكل واحدة لعدم اجتلائهم اياها كما هي عليه **حتى اذا جاؤوك يجادلونك** هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة هي قوله تعالى اذا جاؤوك يجادلونك **يقول الذين كفروا** وما بينهما حال من فاعل جاؤوك وانما وضع الموصول موضع الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم اي بلغوا من التكذيب والمكابرة الى انهم اذا جاؤوك مجادلين لا يكتفون بمجرد عدم الايمان بما سمعوا من الآيات الكريمة بل يقولون **ان هذا** اي ما هذا **الا اساطير الاولين** اي ان هذا احسن الحديث واصدقه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل الاباطيل والخرافات رتبة من الكفر لا غاية وراءها ويجوز ان يكون حتى جارة واذا ظرفية بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك حال كما سبق وقوله تعالى يقول الذين كفروا الى آخره تفسير للمجادلة والاساطير جمع اسطورة او اساطرة او جمع اسطار جمع سطر بالتحريك واصل الكل السطر بمعنى الخط **وهم ينهون عنه** الضمير المرفوع للمذكورين والمجرور للقرآن اي لا يقتنعون بما ذكر من تكذيبه وعده من قبيل الاساطير بل ينهون الناس عن استماعه لئلا يقفوا على حقيقته فيؤمنوا به **وينأون عنه** اي يتباعدون عنه بانفسهم اظهارا لغاية نفورهم عنه وتاكيدا لنهيهم عنه فان اجتناب الناهي عن المنهي عنه من متممات النهي ولعل ذلك هو السر في تخصيص النأي عن المنهي • وقيل الضمير المجرور للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل المرفوع لابي طالب وتعالى جمعيته باعتبار استتباعه لاتباعه فانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا اليه وارادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا فقال •

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى اوسد في التراب دفينا

فاصدع بامرك ما عليك غضاضة * وابشر بذاك وقر منه عيونا

ودعوتني وزعمت انك ناصح * ولقد صدقت وكنت ثم امينا

وعرضت دينا لا محالة انه * من خير اديان البرية دينا

لولا الملامة او حذاري سبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فنزلت **وان يهلكون** اي ما يهلكون بما فعلوا من النهي والنأي **الا انفسهم** بتعريضها لاشد العذاب وافظعه عاجلا وآجلا وهو عذاب الضلال والاضلال **وما يشعرون** حال من ضمير يهلكون اي يقتصرون الاهلاك على انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي لا باهلاكهم انفسهم ولا باقتصار ذلك عليها بل يزعمون انهم يضرون بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين واما عدم شعورهم بالاهلاك مع ان المنفي عن عامهم مطلق الشعور فغاية ما يؤدي اليه ما فعلوا من القدح في القرآن الكريم المانع في متين احكامه وظهور امر الدين للذين ان باله ما حاق بهم هو الهلاك لا لا المعذر المطلق على ان تعميمهم لم يكن مطلق المبالغة فيما ذكر بل لما

كانوا يبغون الغوائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ويجوز أن يكون الإضلال معتبرا بالنسبة
إلى الذين يضلونهم بالنهي فيتعدد على أنفسهم مع تولد التضاعيف منه على تنزيل عذاب الضلال
عند عذاب الإضلال منزلة العدم **ولو ترى إذ وقفوا على النار** شروع في حكاية ما سيصدر
عنهم يوم القيامة من القول المناقض لما صدر عنهم في الدنيا من القبائح المحكية مع كونه كذبا في
نفسه والخطاب إما لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد من أهل المشاهدة والعيان
قصدا إلى بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة إلى حيث لا يختص استغرابها براء دون
راء ممن اعتاد مشاهدة الأمور البديعة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها
وفظاعتها وجوابه محذوف ثقة بظهوره وإيذانا بقصور العبارة عن تفصيله وكذا مفعول
ترى لدلالة ما في حيز الظرف عليه أي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرأيت ما
لا يساعده التعبير وصيغة الماضي للدلالة على التحقق أو حين يطلعون عليها اطلاعا
هي تحتهم أو يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها من قولهم وقفته على كذا إذا عرفته وفهمته
وفي وقفوا إجابة للفاعل من وقفوا عليه وقوفا **فقالوا يا ليتنا نرد** أي إلى الدنيا تمنيا
للرجوع والخلاص وهيهات ولات حين مناص **ولا نكذب بآيات ربنا** أي بآياته الناطقة
بأحوال النار وأهوالها الآمرة باتقائها إذ هي التي تخطر حينئذ ببالهم ويتحسرون على ما فرطوا
في حقها أو بجميع آياته المنتظمة لتلك الآيات انتظاما أوليا **ونكون من المؤمنين**
بها العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل أو نكون من فريق المؤمنين الناجين
من العذاب الفائزين بحسن المآب ونصب الفعلين على جواب التمني بإضمار أن بعد الواو
وإجرائها مجرى الفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وابن إسحاق فلا نكذب
والمعنى إن رددنا لم نكذب ونكون من المؤمنين وقيل يتسبك من أن المصدرية ومن
الفعل بعدها مصدر ويعتبر قبله مصدر متوهم منسبك مما قبله كأنه قيل ليت
لنا ردا وانتفاء تكذيب وكونا من المؤمنين وقرئ برفعهما على أنه كلام مستأنف كقوله
دعني ولا أعود أي وأنا لا أعود تركتني أو عطف على نرد أو حال من ضمير نرد فيكون داخلا
في حكم التمني كالوجه الأخير للنصب وتعلق التكذيب الآتي به لما تضمنه من العدة بالإيمان
وعدم التكذيب كمن قال ليتني رزقت مالا وأكافئك على صنيعك فإنه متمن في معنى الواعد
فلو رزق مالا ولم يكافئ صاحبه يكون مكذبا لا محالة وقرئ برفع الأول ونصب الثاني
وقد مر وجهها **بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل** إضراب عما ينبئ عنه التمني من الوعد بتصديق
الآيات والإيمان بها أي ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة في الإيمان وشوق إلى
تحصيله والاتصاف به بل لأنه ظهر لهم في موقفهم ذلك ما كانوا يخفونه في الدنيا من الدواهي
الدهيا وظنوا أنهم مواقعوها وعولوا مطلعها قالوا ما قالوا والمراد بها النار التي
وقفوا عليها إذ هي التي سيق الكلام لتهويلها والتعجيب من فظاعة حال الموقوفين عليها
وبإخفائها تكذيبهم بها فإن التكذيب بالشيء كفر به وإخفاء لا محالة وإيثاره على صريح التكذيب
الوارد في قوله عز وجل هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون وقوله تعالى هذه النار التي كنتم
بها تكذبون مع كونه السبب فيما تمنوه من قولهم ولا نكذب بآيات ربنا لمراعاة ما في مقابلته

من

من التعذر وتذاكروا الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وأما ما قيل من أن المراد بما يخفون
كفرهم ومعاصيهم أو قبائحهم وفضائحهم التي كانوا يكتمونها من الناس فتظهر في صحفهم وشهادة
جوارحهم عليهم أو شركهم الذي يجحدونه في بعض مواقف القيامة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين
ثم يظهر بما ذكر من شهادة الجوارح عليهم أو ما أخفاه رؤساء الكفرة عن أتباعهم من أمر البعث والنشور
أو ما كتمه علماء أهل الكتاب من صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته الشريفة عن عوامهم على
أن الضمير للعوام والمرجع للخواص أو كفرهم الذي أخفوه من المؤمنين والضمير للمؤمنين
والمرجوع للمنافقين فبمعزل من الاعتناء إذ كل منها من الاختلاق والاختلاف لا سبيل إلى شيء منه للإشهاد
لما عرفت من أن سوق النظم الشريف لتهويل أمر النار وتفظيع حال أهلها وقد ذكر وقوفهم عليها
وأشير إلى أنه اعتراهم عند ذلك من الخوف والخشية والحيرة والدهشة ما لا يحيط به الوصف
ورتب عليه تمنيهم المذكور بالفاء القاضية بسببية ما قبلها لما بعدها فإسقاط النار إذ ذاك
من ملاك السببية وهي في نفسها أقوى الدواعي وأزجر الزواجر وإسناده إلى شيء من الأمور
المذكورة التي دونها في الهول والزجر مع عدم جريان ذكرها أصلا مما تنبو عنه ساحة التنزيل
من أمثاله وأما ما قيل من أن المراد جزاء ما كانوا يخفونه في الدنيا من قبيل حلول البيوت من
ظهور رماد في أبيات معنوية فتأمل **ولو ردوا** أي من موقفهم ذلك إلى الدنيا حسبما تمنوه وغاب
عنهم ما شاهدوه من الأهوال **لعادوا لما نهوا عنه** من فنون القبائح التي من جملتها التكذيب
المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار أنظارهم على الشاهد دون الغائب **وإنهم
لكاذبون** أي لقوم ديدنهم الكذب في كل ما يأتون وما يذرون **وقالوا** عطف على عادوا
داخل في حيز الجواب وتوسيط قوله تعالى وإنهم لكاذبون بينهما لأنه اعتراض مسوق
لتقرير ما أفادته الشرطية من كذبهم المخصوص والواحد لا يوهم أن المراد تكذيبهم في إنكار
البعث والمعنى لو ردوا لعادوا إلى الدنيا أعادوا لما نهوا عنه **إن هي** أي ما الحياة **إلا
حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين** بعد ما فارقنا هذه الحياة بعد ما أرانا الأهوال التي أراها
البعث والنشور **ولو ترى إذ وقفوا على ربهم** الكلام فيه كالذي مر في نظيره خلا أن الوقوف
ههنا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده للعقاب وقيل
عرفوه حق التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقوله تعالى **قال** استئناف مبني على
سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل فماذا قال لهم ربهم إذ ذاك فقيل قال **أليس هذا**
مشيرا إلى ما شاهدوه من البعث وما يتبعه من الأمور العظام **بالحق** تقريعا لهم على التكذيب
لذلك وقولهم عند سماع ما يتعلق به ما هو بحق وما هو إلا باطل **قالوا** استئناف كما سبق
بلى وربنا أكدوا اعترافهم باليمين إظهارا لكمال تيقنهم بحقيقته وإيذانا بصدور ذلك
عنهم بالرغبة والنشاط طمعا في نفعه **قال** استئناف كما مر **فذوقوا العذاب** الذي عاينتموه
والفاء لترتيب التعذيب على اعترافهم بحقيقة ما كفروا به في الدنيا لكن لا على أن مدار
التعذيب هو اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق بما اعترفوا بحقيقته الآن كما نطق به قوله
عز وجل **بما كنتم تكفرون** أي بسبب كفركم في الدنيا بذلك أو بكل ما يجب الإيمان به
فيدخل كفرهم فيه دخولا أوليا ولعل هذا التوبيخ والتقريع إنما يقع بعد ما وقفوا على النار

فقالوا ما قالوا اذ الظاهر انه لا يبقى بعد نفي الامر الا العذاب قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله هم الذين حكيت احوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للايذان بتسبب خسرانهم بما في حيز الصلة من التكذيب بلقائه تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليه من البعث واحكامه المتفرعة عليه واستمرارهم على ذلك فان كلمة حتى في قوله تعالى حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدي لا حد له بغتة البغت والبغتة مفاجاة الشيء بسرعة من غير شعور به يقال بغته بغتة وبغتا اي فجاة وانتصابها اما على انه مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم اي مباغتة او من مفعوله اي مبغوتين واما على انه مصدر مؤكد على غير الصدر فان جاءتهم في معنى بغتتهم كقولهم اتيته ركضا او مصدر مؤكد لفعل محذوف وقع حالا من فاعل جاءتهم اي جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة قالوا جواب اذا يا حسرتنا تعالى فهذا اوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وان كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان الموت من مبادي الساعة سمي باسمها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته وجعل مجي الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته على ما فرطنا فيها اي على تفريطنا في شان الساعة وتقصيرنا في مراعاة حقها والاستعداد لها بالايمان بها واكتساب الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وقيل الضمير للحياة الدنيا وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير في الشيء مع القدرة على فعله وقيل هو التضييع وقيل اصله التقدم والسبق ومنه الفارط اي السابق ومعنى فرط خلى السبق لغيره فالتضعيف فيه للسلب كما في جلدت البعير وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم حال من فاعل قالوا وفائدته الايذان بان عذابهم ليس مقصورا على ما ذكر من الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون مع ذلك تحمل الاوزار الثقال والايماء الى ان تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدون من فنون العقوبات والسر في ذلك ان العذاب الروحاني اشد من الجسماني نعوذ برحمة الله عز وجل منها والوزر في الاصل الحمل الثقيل سمي به الاثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذكر الايدي في قوله تعالى فبما كسبت ايديكم فان المعتاد حمل الاثقال على الظهور كما ان المالوف هو الكسب بالايدي والمعنى انهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال انهم يحملون اوزار ما عملوا من السيئات الا ساء ما يزرون تذييل مقرر لما قبله وتكملة له اي بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو لما حقق فيما سبق ان وراء الحياة حياة اخرى يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين حال تلك الحياة الدنيا التي اغتروا بها في انفسها واللعب عمل يشغل النفس ويفترها عما تنتفع به واللهو صرفها عن الجد الى الهزل والمعنى اما على حذف المضاف او على جعل الحياة الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة كما في قول الخنساء

فانما هي اقبال وادبار

اي وما اعمال الدنيا اي الاعمال المتعلقة بها من حيث هي او ما هي من حيث انها محل الكسب لكن الاعمال الا لعب يشغل الناس ويلهيهم عما فيه من منفعة سريعة الزوال ولذة وشيكة الاضمحلال عما يعقبهم منفعة جليلة باقية ولذة حقيقية غير متناهية من الايمان والعمل الصالح وللدار الاخرة التي هي محل الحياة الاخرى خير للذين يتقون الكفر

والمعاصي

والمعاصي لان منافعها خالصة عن المضار ولذاتها سليمة عن الآلام مستمرة على الدوام افلا يعقلون ذلك حتى يتقوا ما هم عليه من الكفر والعصيان والفاء للعطف على مقدر اي أتغفلون او لا تتفكرون فلا تعقلون وقرئ يعقلون على الغيبة قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن الذي يعتريه مما حكي عن الكفرة من الاصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان انه صلى الله عليه وسلم بمكانة من الله عز وجل وان ما يفعلون في حقه فهو راجع اليه تعالى في الحقيقة وانه ينتقم منهم لا محالة اشد انتقام وقد لتاكيد العلم بما ذكر المفيد لتاكيد الوعيد كما في قوله تعالى قد يعلم ما انتم عليه وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم ونحوهما باخراجهما الى معنى التكثير حسبما يخرج اليه ربما في مثل قوله

وان تمس مهجور الفناء فربما ... اقام به بعد الوفود وفود

جريا على سنن العرب عند قصد الافراط في التكثير تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي وعندي من ... جمة يريد بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار براءته من التزيد وابراز انه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين على طريقة انا ليك عند كون الامر في الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب حقيقة كما في الآيات الكريمة المذكورة او ادعاء كما في البيت وقوله

قد اترك القرن مصفرا انامله

وقوله

ولكنه قد يهلك المال نائله

والمراد بكثرة علمه تعالى كثرة تعلقه ونحو معنى الياء والنون وما بعدها سادة مسد مفعوليه واسم ان ضمير الشان والجملة خبرها والموصول فاعل يحزنك وعائده محذوف اي الذي يقولونه وهو ما حكي عنهم من قولهم ان هذا الا اساطير الاولين ونحو ذلك وقرئ ليحزنك من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى فانهم لا يكذبونك تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهي عن الاعتداد بما قالوا لكن بطريق التسلي منه وعدم مبالاة والالتفات الى الناس فيما هو اهم منه من استعظام جحودهم بآيات الله عز وجل كما قيل فانه مع كونه بمعزل من التسلية بالكلية مما يوهم كون حزنه صلى الله عليه وسلم لحاجة نفسه بل الطريق التسلي بانه عليه بمنزلة صلى الله عليه وسلم في جلالة القدر ورفعة المحل والزلفى من الله عز وجل بحيث لا غاية وراءه حيث لم يقتصر على جعل تكذيبه صلى الله عليه وسلم في شان الله عز وجل بل عبر في استعظام جنايتهم مبني على عظم عتوهم كانه قيل لا تعتد به وكله الى الله تعالى فانهم في تكذيبهم وذلك لا يكذبونك في الحقيقة ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون اي ولكنهم بآياته تعالى يكذبون ووضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالرسوخ في الظلم الذي جحودهم فنن من فنونه والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام ما اقدموا عليه من جحود آياته تعالى وايراد الجحود في موقع التكذيب للايذان بان آياته تعالى من الوضوح بحيث تشاهد صدقها كل احد وان من ينكرها فانما ينكرها بطريق الجحود الذي هو عبارة عن الانكار مع العلم بخلافه كما في قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وهذا المعنى يقول من قال انه نفى ما في القلب

بآياته وإثبات ما في القلب نفيه والباء متعلقة بيجحدون يقال جحد حقه وبحقه إذا أنكره
وقيل بالظالمين على تضمين الجحود معنى التكذيب • وأيا ما كان فتقديم الجار والمجرور
للقصر • وقيل المعنى فإنهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بألسنتهم ويعضده ما روي
من أن الأخنس بن شريق قال لأبي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق أم هو كاذب فإنه
ليس عندنا أحد غيرنا فقال له والله إن محمدا لصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب
بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت • وقد روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمى الأمين فعرفوا أنه لا يكذب
في شيء ولكنهم كانوا يجحدون بآيات الله تعالى كما يروى أن أبا جهل كان يقول لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ما نكذبك وإنك عندنا لصادق ولكنا نكذب بما جئتنا به فنزلت • وكان
صدق الخبر عند الخبيث مطابقته خبر لاعتقاده والأول هو الذي يستدعيه الجزالة التنزيلية
وقرئ لا يكذبونك من الإكذاب فقيل كلاهما بمعنى واحد كأكثر وكثر وأنزل ونزل وقيل
وهو الأصل وقيل معنى أكذبه وجده كاذبا • ونقل عن الكسائي أن العرب تقول كذبت الرجل
إذا نسبت الكذب إليه وأكذبته إذا نسبت الكذب إلى ما جاء به لا إليه • وقوله تعالى **ولقد**
كذبت رسل من قبلك استئناف في تسليته صلى الله عليه وسلم فإن عموم البلية مما يهون أمرها
بعض تهوين وإرشاد له صلى الله عليه وسلم إلى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عليهم السلام
في الصبر على ما أصابهم من أممهم من فنون الأذية • وعدة ضمنية له صلى الله عليه وسلم بمثل
ما منحوه من النصر العظيم • وتصدير الكلام بالقسم لتأكيد التسلية • وتنوين رسل للتفخيم
والتكثير ومن متعلقة بكذبت أو بمحذوف وقع صفة لرسل أي وبالله لقد كذبت من
قبل تكذيبك رسل أولو شأن خطير وذوو عدد كثير أو كذبت رسل كائنون من زمان قبل زمانك
فصبروا على ما كذبوا ما مصدرية وقوله تعالى **وأوذوا** عطف على كذبوا داخل في حكمه فالسبب
منهما مصدران من المبني للمفعول أي وصبروا على تكذيبهم وإيذائهم فتأس بهم واصطبر على ما نالك
من قومك والمراد بإيذائهم إما عين تكذيبهم • وإما ما يقارنه من فنون الأذية والتصريح به
لاستلزام التكذيب إياه غالبا • وأيا ما كان ففيه تأكيد للتسلية • وقيل عطف على صبروا
وقيل على كذبت وهو استئناف • وقوله تعالى **حتى أتاهم نصرنا** غاية للصبر وفيه إيذان
بأن نصره تعالى إياهم أمر مقرر لا مرد له وأنه متوقع لهم لا بد من إتيانه البتة والالتفات
إلى نون العظمة لإبراز الاعتناء بشأن النصر • وقوله تعالى **ولا مبدل لكلمات الله** اعتراض
مقرر لما قبله من إتيان نصره إياهم والمراد بكلماته تعالى ما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون • وقوله تعالى كتب
الله لأغلبن أنا ورسلي من المواعيد السابقة للرسل عليهم الصلاة والسلام الدالة على نصرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نفس الآيات المذكورة ونظائرها فإن الإخبار بغلبتهم
إنما ينبني على عدم تبدل المواعيد الواردة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون المواعيد
السابقة للرسل عليهم الصلاة والسلام ويجوز أن يراد بكلماته تعالى جميع كلماته التي من
جملتها تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة في حقه صلى الله عليه وسلم دخولا

أوليا

572

أوليا والالتفات إلى الاسم الجليل للإشعار بعلة الحكم فإن الألوهية من موجبات أن لا
يغالبه أحد في فعل من الأفعال ولا يقع منه خلف في قول من الأقوال • وقوله **ولقد جاءك من**
نبإ المرسلين جملة قسمية جيء بها لتحقيق ما منحوا من النصر وتأكيد ما في ضمنه من الوعد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب الأمم وما ترتب عليه من
الأمور والجار والمجرور في محل الرفع على أنه فاعل إما باعتبار مضمونه أي بعض نبإ المرسلين
أو بتقدير الموصوف أي بعض من نبإ المرسلين كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول
الآية • وأيا ما كان فالمراد بنبئهم له صلى الله عليه وسلم على الأول قصه تعالى إياهم لجلائل البلا
والنجح وعلى الثاني جميع ما جرى بينهم عليهم السلام وبين أممهم مما ينبئ عنه قوله تعالى
أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء
وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه الآية • وقيل في محل النصب على الحالية من
المستكن في الجار العائد إلى ما فهم من الجملة السابقة أي ولقد جاءك هذا الخبر كائنا من نبإ
المرسلين **وإن كان كبر عليك إعراضهم** كلام مستأنف مسوق لتأكيد إيجاب الصبر
المستفاد من التسلية ببيان أنه أمر لا محيد عنه أصلا أي إن كان عظم عليك وشق إعراضهم
عن الإيمان بما جئت به من القرآن الكريم حسبما ينبئ عنه ما حكي عنهم من تسميتهم له أساطير
الأولين وتباعدهم عنه ونهيهم الناس عنه • وقيل إن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف
أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في محضر من قريش فقال يا محمد ائتنا بآية من عند الله كما كانت
الأنبياء تفعل وأنا أصدق بك فأبى الله تعالى أن يأتيهم بما اقترحوا فأعرضوا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه لما أنه صلى الله عليه وسلم كان شديد الحرص على إيمان
قومه فكان إذا سألوا آية يود أن ينزلها الله تعالى طمعا في إيمانهم فنزلت فقوله تعالى إعراضهم مرتفع
بكبر • وتقديم الجار والمجرور عليه لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر
والجملة في محل النصب على أنها خبر لكان مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشأن ولا حاجة إلى تقدير قد
وقيل اسم كان إعراضهم وكبر جملة فعلية في محل النصب على أنه خبر لكان مقدم على اسمها
لأنه فعل رافع لضمير مستتر كما هو المشهور ورد على التقدير بأن فقوله تعالى **فإن استطعت** إلخ
جزاء شرطية أخرى محذوفة الجواب وقعت جوابا للشرط الأول والمعنى إن شق عليك إعراضهم
عن الإيمان بما جئت به من البينات وعدم عدهم لها من قبيل الآيات • وأحببت أن تجيبهم إلى
ما سألوه اقتراحا **أن تبتغي نفقا** أي سربا ومنفذا **في الأرض** تنفذ فيه إلى جوفها **أو سلما** أي
مصعدا **في السماء** تعرج به فيها **فتأتيهم بآية** منها **بآية** مما اقترحوه فافعل • ويجوز أن
يكون ابتغاؤهما نفس الإتيان بالآية فالفاء في فتأتيهم حينئذ تفسيرية • وقرئ أنه للتخيير أي إن
استطعت أن تبتغيهما فتجعل ذلك آية لهم فافعل والظرفان متعلقان بمحذوف وقع صفة لما قبله أو حالا
من فاعل تبتغي أي تبتغي نفقا كائنا أنت في الأرض أو سلما كائنا في السماء • وفيه من الدلالة
على تبالغ حرصه صلى الله عليه وسلم على إسلام قومه وتراميه بحيث لو قدر أن يأتي بآية من
تحت الأرض أو من فوق السماء لفعل رجاء لإيمانهم ما لا يخفى • وإيثار الابتغاء على الاتخاذ وعدم الإيذان
بأن ما ذكر من النفق والسلم مما لا يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه • **ولو شاء الله لجمعهم على**

الهدى أي لو شاء الله تعالى أن يجمعهم على ما أنتم عليه من الهدى لفعله بأن يوفقهم للإيمان فيؤمنوا معكم
ولكن لم يشأ لعدم صرف اختيارهم إلى جانب الهدى مع تمكنهم التام منه ومشاهدتهم للآيات
الداعية إليه لا أنه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم إلى تحصيله . وقيل لو شاء الله لجمعهم عليه
بأن يأتيهم بآية ملجئة إليه ولكن لم يفعله لخروجه عن الحكمة . وقوله تعالى فلا تكونن من
الجاهلين نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من الحرص الشديد على إسلامهم
والميل إلى إتيان ما يقترحونه من الآيات طمعا في إيمانهم مرتب على بيان عدم تعلق مشيئته تعالى بهدايتهم
والمعنى إذا عرفت أنه تعالى لم يشأ هدايتهم وإيمانهم على أحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد
على إسلامهم أو الميل إلى نزول مقترحاتهم من الجاهلين بدقائق شؤونه تعالى التي من جملتها ما
ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بإيمانهم إما اختيارا فلعدم توجههم إليه وإما اضطرارا فلخروجه
عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز أن يراد بالجاهلين على الوجه الثاني
المقترحون ويراد بالنهي منعه صلى الله عليه وسلم من المساعدة على اقتراحهم وإيرادهم
بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط النهي الذي هو الوصف الجامع بينه صلى
الله عليه وسلم وبينهم . إنما يستجيب الذين يسمعون تقرير لما مر من أن على قلوبهم أكنة مانعة
من الفقه وفي آذانهم وقرا حاجزا من السماع وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل الموتى لا يتوقع
منهم الإيمان البتة والاستجابة الإجابة المقارنة للقبول أي إنما يقبل دعوتك إلى الإيمان
الذين يسمعون ما يلقى إليهم سماع فهم وتدبر دون الموتى الذين هؤلاء منهم كقوله تعالى
فإنك لا تسمع الموتى . وقوله تعالى والموتى يبعثهم الله تمثيل لاختصاصه تعالى بالقدرة على
توفيقهم للإيمان باختصاصه بالقدرة على بعث الموتى من القبور وقيل بيان لاستمرارهم
على الكفر وعدم إقلاعهم عنه أصلا على أن الموتى مستعار للكفرة بناء على تشبيه جهلهم بموتهم
والمعنى هؤلاء الكفرة يبعثهم الله تعالى من قبورهم ثم إليه يرجعون للجزاء حينئذ يستجيبون وأما قبل
ذلك فلا سبيل إليه . وقرئ يرجعون على البناء للفاعل من رجع رجوعا والمشهور أوفق
للمقام لإشعاره بكون مرجعهم إليه تعالى بطريق الاضطرار . وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه
حكاية لبعض آخر من أباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القرآن الكريم وبيان ما يتعلق به
والقائلون رؤساء قريش . وقيل الحارث بن عامر بن نوفل وأصحابه . ولقد بلغت بهم الضلالة
والطغيان إلى حيث لم يقتنعوا بما شاهدوه من البينات التي تخر لها صم الجبال حتى اجترءوا على ادعاء
أنها ليست من قبيل الآيات وإنما هي ما اقترحوه من الخوارق الملجئة أو المعقبة للعذاب
كما قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم
والتنزيل بمعنى الإنزال كما ينبئ عنه القراءة بالتخفيف فيما سيأتي وما يتبعه التعرض لعنوان
ربوبيته تعالى من أن الإشعار بالعلية أسوأ طريق التعريض بالتهكم في حقهم وإطلاق الآية في
قوله تعالى قل إن الله قادر على أن ينزل آية مع أن المراد بها ما هو من الخوارق المذكورة لا آية
من الآيات لما مر والمعنى إلى المجاراة معهم على زعمهم ويجوز أن يراد بها آية موجبة لهلاكهم كما
ملائكة العذاب ونحو ذلك وفي تنوينها للتفخيم والتهويل مع أن إظهار الاسم الجليل لتربية
المهابة مع ما فيه من الإشعار بعلة القدرة الباهرة والاقتصار في الجواب على بيان

قدرته

قدرته تعالى على تنزيلها مع أنها ليست في حيز الإنكار للإيذان بأن عدم تنزيله تعالى إياها مع
قدرته عليه لحكمة بالغة يجب معرفتها وهم عنها غافلون كما ينبئ عنه الاستدراك بقوله
تعالى ولكن أكثرهم لا يعلمون أي ليس لهم علم بشيء أصلا على أن المفعول مطروح بالكلية أو لا
يعلمون شيئا على أنه حذف ثقة بدلالة عليه بدلالة المقام . والمعنى أنه تعالى قادر على أن ينزل
آية من ذلك أو آية أي آية ولكن أكثرهم لا يعلمون لا أن عدم تنزيلها مع ظهور
قدرته عليه لما أن في تنزيلها قلعا للأساس التكليف المبني على قاعدة الاختيار أو استيصالا لهم بالكلية
فيقترحون تلجلجا لا يجدون عدم تنزيلها ذريعة إلى التكذيب وتخصيص عدم العلم بأكثرهم
لما أن بعضهم واقفون على حقيقة الحال وإنما يفعلون ما يفعلون مكابرة وعنادا . وقوله تعالى وما
من دابة في الأرض كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره
ليكون كالدليل على أنه تعالى قادر على تنزيل الآية وإنما لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة وزيادة
من لتأكيد الاستغراق وفي متعلقة بمحذوف هو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كأنه قيل
وما فرد من أفراد الدواب يستقر في قطر من أقطار الأرض وكذا زيادة الوصف في قوله تعالى
ولا طائر يطير بجناحيه مع ما فيه من زيادة التقرير أي ولا طائر من الطيور يطير في ناحية
من نواحي الجو بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد . وقرئ ولا طائر بالرفع عطفا على محل الجار والمجرور
كأنه قيل وما دابة ولا طائر إلا أمم أي طوائف متخالفة والجمع باعتبار المعنى كأنه قيل وما من فرد
ولا طائر إلا أمم أمثالكم أي كل أمة منها مثلكم في أن أحوالها محفوظة وأمورها متقنة
ومصالحها مرعية جارية على سنن العدل وأبواب السداد منتظمة في سلك التقديرات الإلهية والتدبيرات
الربانية ما فرطنا في الكتاب من شيء يقال فرط الشيء أي ضيعه ما ينبغي أن يكون فيه ما يليق به فقوله
تعالى في الكتاب أي القرآن محل الأول لحرف النفي وقوله تعالى من شيء مفعول لفرطنا ومن مزيدة
للاستغراق أي ما تركنا في القرآن شيئا من الأشياء المهمة التي من جملتها بيان أنه تعالى مراع لمصالح جميع
مخلوقاته على ما ينبغي وعلى الثاني مفعول للفعل ومن شيء في موضع المصدر أي ما فرطنا في الكتاب
تفريطا فيه شيئا من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من ذكره . وأيا ما كان فالجملة اعتراض مقرر
لمضمون ما قبلها . وقيل الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض الإشارة إلى أن أحوال الأمم
مستقصاة في اللوح المحفوظ غير مقصورة على هذا القدر المجمل . وقرئ فرطنا بالتخفيف .
وقوله تعالى ثم إلى ربهم يحشرون بيان لأحوال الأمم في الآخرة بعد بيان أحوالها في الدنيا .
وإيراد ضميرها على صيغة جمع العقلاء لإجرائها مجراهم والتعبير عنها بالأمم أي إلى مالك
أمورهم يحشرون يوم القيامة لا إلى غيره فيجازيهم فينصف بعضهم من بعض حتى يبلغ
من عدله أنه يؤخذ للجماء من القرناء . وقيل حشرها موتها ويأباه مقام تهويل الخطب
وتفظيع الحال . وقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا متعلق بقوله ما فرطنا في الكتاب
بين والموصول عبارة عن المعهودين في قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك الآية ومحله الرفع
على الابتداء خبره ما بعده أي والذين كذبوا بالقرآن جميع الأمور المهمة وأرشدنا به الملل والأمم
والمعنى كذبوا بآياتنا التي هي منهم صم لا يسمعونها سماع تدبر وفهم فلذلك يسمونها أساطير
الأولين ولا يعدونها من الآيات ويقترحون غيرها وبكم لا يقدرون على أن ينطقوا بالحق

ذلك لانهم لا يستجيبون دعوتك اصلا . وقوله عز وجل في الظلمات اي في ظلمات الكفر او ظلمات الجهل
والعناد والتقليد اما خبر ثالث للمبتدا على انه عبارة عن العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمي او متعلق
بمحذوف وقع حالا من المستكن في الخبر كانه قيل ضالون كائنين في الظلمات او صفة لبكم اي بكم
كائنون في الظلمات . والمراد به بيان كمال عدم تفهمهم في الجهل وسوء الحال فان الاصم الابكم
اذا كان بصيرا ربما يفهم شيئا باشارة غيره وان لم يفهمه بعبارته وكذا يشعر غيره بما في ضميره بالاشارة
وان كان معزولا عن العبارة . واما اذا كان مع ذلك في الظلمات فينسد عليه باب الفهم
والتفهيم بالكلية . وقوله تعالى من يشا الله يضلله تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم
ببيان انهم من اهل الطبع لا يتاتى منهم الاهتداء اصلا ومن مبتدا خبره ما بعده ومفعول المشية
محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في
تعلقها به اي من يشا اضلاله اي ان يخلق فيه الضلالة يضلله اي يخلقه فيه لكن لا ابتدا
بطريق الجبر من غير ان يكون له دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره الى كسبه وتحصيله وتعلقه
وقوله تعالى ومن يشا يجعله على صراط مستقيم لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه
عليه . قل ارايتكم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا سبيل لهم الى
التكذيب والكاف حرف جيء به لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب ومبنى التركيب وان كان
على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت او بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها اي اخبروني
ان اتاكم عذاب الله حسبما اتى الامم السالفة من انواع العذاب الدنيوي او اتتكم الساعة
التي لا محيص عنها البتة اغير الله تدعون منبه لاستبطاء الاستخبار وحط التبكيت . وقوله تعالى
ان كنتم صادقين متعلق بارايتكم مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم وجواب الشرط محذوف
ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم صادقين اي في ان اصنامكم الهة كما هو دابكم المعروف
او ان كنتم قوما صادقين فاخبروني اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله الى اخره فان صدقهم
باي معنى كان من موجبات اخبارهم بدعائهم غيره سبحانه . واما جعل الجواب ما ينبئ عليه قوله
تعالى اغير الله تدعون اعني ادعوا على ان الضمير لغير الله فيخل بجزالة النظم الكريم كيف لا والمطلوب
منهم انما هو الاخبار بدعائهم لغيره تعالى عند اتيان ما ياتي لا نفس دعائهم اياه . وقوله تعالى بل اياه تدعون
عطف على جملة منفية ينبئ عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار انباء جليا كانه قيل لا غيره تعالى
تدعون بل اياه تدعون . وقوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه اي الى كشفه عطف على تدعون
اي فيكشفه اثر دعائكم . وقوله تعالى ان شاء اي ان شاء كشفه لبيان ان قبوله لدعائهم غير مطرد
بل هو تابع لمشيئته المبنية على حكم خفية قد استاثر الله تعالى بعلمها فقد يقبله كما في بعض
المتعلقة بكشف العذاب الدنيوي وقد لا يقبله كما في بعض اخر منها وفي جميع ما يتعلق بكشف
العذاب الاخروي الذي من جملته الساعة . وقوله تعالى وتنسون ما تشركون اي تتركون
به تعالى من الاصنام تركا كليا عطف على تدعون ايضا وتوسيط الكشف بينهما مع تقارنهما
وتاخر النسيان عنه لاظهار كمال العناية بشان الكشف والايذان بترتبه على الدعاء خاصة
وقوله تعالى ولقد ارسلنا كلام مستانف مسوق لبيان ان منهم من لا يدعو الله تعالى عند اتيان
العذاب لتماديهم في الغي والضلال لا يتاثرون بالزواجر التكوينية كما لا يتاثرون بالزواجر

التنزيلية

التنزيلية وتصدير الجملة بالقسم لاظهار مزيد الاهتمام بمضمونه ومفعول ارسلنا محذوف
لما ان مقتضى المقام بيان حال المرسل اليهم لا حال المرسلين اي وبالله لقد ارسلنا
الى امم من قبلك اي كائنة من زمان قبل زمانك رسلا فاخذناهم اي فكذبوا رسلهم فاخذناهم
بالباساء اي بالشدة والفقر والضراء اي الضر والافات وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما لعلهم
يتضرعون اي لكي يدعوا الله تعالى في كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا اليه من كفرهم
ومعاصيهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا اي فلم يتضرعوا حينئذ مع تحقق ما يستدعيه
ولكن قست قلوبهم استدراك عما قبله فلم يتضرعوا اليه تعالى برقة القلب والخضوع مع
تحقق ما يدعوهم اليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث قست قلوبهم اي استمرت على ما هي عليه من
القساوة او ازدادت قساوة كقولك لم يكرمني اذ جئته ولكن اهانني وزين لهم الشيطان
ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي فلم يخطر ببالهم ان ما اعتراهم من الباساء والضراء ما اعتراهم
الا لاجله . ومحل الاستدراك بيان انه لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى قسوة قلوبهم
والاعجاب باعمالهم التي زينها الشيطان لهم وقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به عطف على مقدر
ينساق اليه النظم الكريم اي فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا من الباساء والضراء فلما نسوه فتحنا
عليهم ابواب كل شيء من فنون النعماء على منهاج الاستدراج لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال
مكر بالقوم ورب الكعبة . وقرئ فتحنا بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان
المذكور اشعار بان التذكير في الجملة غير خال عن النفع وحتى في قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا
هي التي يبتدا بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية كالتي في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا الاية
وهي مع ذلك غاية لقوله تعالى فتحنا او لما يدل هو عليه كانه قيل ففعلوا ما فعلوا حتى
اذا اطمانوا بما اتيح لهم وبطروا واشروا اخذناهم بغتة اي نزل بهم عذابنا فجاة ليكون اشد
عليهم وافظع هولا فاذا هم مبلسون متحسرون غاية الحسرة ايسون من كل خير
واجمون وفي الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة فقطع دابر
القوم الذين ظلموا اي اخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اي تبعه ووضع الظاهر
موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر
واقامة المعاصي مقام الطاعات والحمد لله رب العالمين على ما جرى عليهم من النكال
فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم الفاسدة
واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستجلبة للحمد لا سيما مع ما فيه من اعلاء كلمة الحق التي جاءت
بها رسلهم عليهم الصلاة والسلام قل ارايتم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتكرير
التبكيت عليهم وتثنية الالزام بعد تكملة الالزام الاول ببيان انه امر مستمر لم يزل
جاريا في الامم وقد مر ان ارايتم استخبار عن متعلق الرؤية وان كان بحسب الظاهر استخبارا
عن نفس الرؤية ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان اصمكم واعماكم بالكلية وختم
على قلوبكم بان غطى عليها بما لا يبقى لكم معه عقل وفهم اصلا وتصيرون مجانين
ويجوز ان يكون الختم عطفا تفسيريا بملاحظة للاخذ المذكور فان السمع والبصر
طريقان للقلب منهما يرده ما يرده من المدركات فاخذهما سد لبابه بالكلية وهو السر

تعين بذا احد منا على خصمها • واما تقديم السمع على الابصار فلانه مورد الايات القرانية وافراده
لما ان اصله مصدر وقوله تعالى من اله مبتدأ وخبر ومن استفهامية وقوله تعالى غير الله
صفة للخبر وقوله تعالى يأتيكم به اي بذلك على ان الضمير مستعار لاسم الاشارة او بما
اخذ وختم عليه صفة اخرى والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار اي اخبروني
ان سلب الله مشاعركم من اله غيره تعالى يأتيكم بها انظر كيف نصرف الآيات تعجيب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم تأثرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة اي انظر كيف نكررها
ونقررها مصروفة من اسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب
وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون عطف على نصرف داخل في حكمه وهو العمدة
في التعجيب وثم لاستبعاد صدوفهم اي اعراضهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط
البديع الموجب للاقبال عليها قل ارأيتكم تبكيت آخر لهم بالجائهم الى الاعتراف باختصاص العذاب
بهم ان اتاكم عذاب الله اي عذابه العاجل الخاص بكم كما اتى من قبلكم من الامم بغتة اي فجاءة
من غير ان يظهر منه مخائل الاتيان حيث تضمن بذا معنى الخفية قوبل بقوله تعالى او جهرة اي
بعد ظهور اماراته وعلاماته • وقيل ليلا او نهارا كما في قوله تعالى بياتا او نهارا لما ان الغالب
فيما اتى ليلا البغتة وفيما اتى نهارا الجهرة • وقرئ بغتة او جهرة وهما في موضع المصدر اي اتيان
بغتة او جهرة وتقديم البغتة لكونها اهول وافظع وقوله تعالى هل يهلك متعلق الاخبار والاستفهام
للتقرير اي قل لهم تقريرا لهم باختصاص الهلاك بهم اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى
حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب الا انتم اي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه
وانما وضع موضعه الا القوم الظالمون تسجيلا عليهم بالظلم وايذانا بان مناط اهلاكهم
ظلمهم الذي هو وضعهم الكفر موضع الايمان • وقيل المراد بالظالمين الجنس وهم داخلون في الحكم
دخولا اوليا • قال الزجاج رحمه الله هل يهلك الا انتم ومن اشبهكم ويأباه تخصيص
الاتيان بهم • وقيل الاستفهام بمعنى النفي فمتعلق الاخبار محذوف • كأنه قيل
اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى بغتة او جهرة ماذا يكون الحال ثم قيل بيانا لذلك ما
يهلك الا القوم الظالمون اي ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم الا انتم • فمن قيد
الهلاك بهلاك التعذيب والسخط لتحقيق الحصر باخراج غير الظالمين لما انه ليس بطريق
التعذيب والسخط بل بطريق الاثابة ورفع الدرجة فقد اهمل ما يجديه واشتغل بما
لا يعنيه واخل بجزالة النظم الكريم • وقرئ هل يهلك من الثلاثي وما نرسل المرسلين
كلام مستأنف مسوق لبيان وظائف منصب الرسالة على الاطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل
عليهم الصلاة والسلام واظهار ان ما يقترحه الكفرة عليه صلى الله عليه وسلم ليس مما يتعلق
بالرسالة اصلا وصيغة المضارع لبيان ان ذلك امر مستمر جرت عليه العادة الالهية
وقوله تعالى الا مبشرين ومنذرين حالان مقدرتان من المرسلين اي ما نرسلهم الا مقدرا
تبشيرهم وانذارهم وفيهما معنى العلة الغائية قطعا اي لنبشر قومهم بالثواب على الطاعة
وننذرهم بالعقاب على المعصية اي ليخبروهم بالخير والشر العاجل والآجل دنيويا كان او اخرويا
من غير ان يكون لهم دخل ما في وقوع المخبر به اصلا وعليه يدور الفقه والالزام لا

يكون

يكون بيان الشرائع والاحكام من وظائف الرسالة والفاء في قوله تعالى فمن آمن واصلح لترتيب
ما بعدها على ما قبلها ومن موصولة والفاء في قوله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
لشبه الموصول بالشرط اي فلا خوف عليهم من العذاب الذي انذروه دنيويا كان او اخرويا
ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل او الآجل وتقديم نفي الخوف على
نفي الحزن لمراعاة حق المقام وجميع الضمائر الثلاثة الراجعة الى من باعتبار معناها كما ان
افراد الضميرين السابقين باعتبار لفظها اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم
لا يخافون ولا يحزنون • والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر
في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد
دوام انتفائه وامر الاستمرار بحسب المقام • الا ترى ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام
على استمرار الثبوت • فاذا دخل عليها حرف النفي يفيد استمرار الانتفاء لا انتفاء الاستمرار
ولا بعد في ذلك فان قولك ما زيد اخترت مفيد الاختصاص النفي لا لنفي الاختصاص كما
بين في محله وقوله تعالى والذين كذبوا باياتنا عطف على الاول داخل في حكمه وقوله تعالى باياتنا
للاشارة الى ان ما نطق به الرسل عليهم الصلاة والسلام عند التبشير والانذار ويبلغونه
الى الامم ايات الله تعالى وان من آمن به فقد آمن باياته تعالى ومن كذب به فقد كذب بها •
وفيه من الترغيب في الايمان والتحذير من تكذيبه ما لا يخفى • والمعنى ما نرسل المرسلين الا ليخبروا
اممهم من جهتنا بما سيقع منا من الامور السارة والضارة لا ليوقعوا ما استعجلوا لا بين عندهم فتشبهم
او ليسعفوا من قبلنا حتى يقترحوا عليهم ما يقترحون فاذا كان الامر كذلك فمن آمن بما اخبروا
به من قبلنا تبشيرا وانذارا او من باياتنا واصلح ما يجب اصلاحه من اعماله فدخل في الصالح فلا
خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا التي يبلغونها عند التبشير والانذار يمسهم
العذاب اي العذاب الذي انذروه عاجلا او آجلا وحقيقة العذاب وجنسه المنتظم
لذلك انتظاما اوليا بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم المستمر الذي هو الاصرار على الخروج عن
التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله استئناف مبني على ما اسس من السنة
الالهية في شأن ارسال الرسل وانزال الكتب مسوق لاظهار تبريه صلى الله عليه وسلم
عما يدور عليه مقترحاتهم اي قل للكفرة الذين يقترحون عليك تارة تنزيل الآيات واخرى
غير ذلك لا ادعي ان خزائن مقدوراته تعالى مفوضة الي اتصرف فيها كيف ما اشاء استقلالا
او استدعاء حتى تقترحوا علي تنزيل الآيات وانزال العذاب او قلب الجبال ذهبا او غير ذلك مما
لا يليق بشأني وجعل هذا تبريا عن دعوى الالهية مما لا وجه له قطعا وقوله تعالى ولا اعلم الغيب
عطف على محل عندي خزائن الله اي ولا ادعي ايضا اني اعلم الغيب من افعاله تعالى حتى تسألوني
عن وقت الساعة او وقت نزول العذاب او نحوهما ولا اقول لكم اني ملك حتى تكلفوني من
الافاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيق به البشر من الرقي في السماء ونحوه او تعدوا
عدم اتصافي بصفاتهم قادحا في امري كما ينبئ عنه قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام
ويمشي في الاسواق المعنى اني لا ادعي شيئا من هذه الاشياء الثلاثة حتى تقترحوا علي ما هو من آثارها
واحكامها وتجعلوا عدم اجابتي الى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة

اني لا ادعي ما ليس لي اذ لم يقدر الا ما هو عبارة عن تلقي الوحي من جهة الله عز وجل والعمل بمقتضاه فحسب
حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي لا على معنى تخصيص اتباعه صلى الله عليه وسلم بما يوحى
اليه دون غيره بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول اخر كما هو الاستعمال الشائع
الوارد الى توجيه القصر على ما يتعلق بالفعل باعتبار ما تعلق به باعتبار النفي في الامتداد
والاثبات في القيد بل على معنى تخصيص حاله صلى الله عليه وسلم باتباع ما يوحى اليه بتوجيه
القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا
في خصوصيته فان ذلك غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما يتضمنه من مطلق الفعل والاثبات
فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال الخاصة كنصر مثلا ينحل عند التحقيق الى معنى
مطلق الفعل وهو الاثبات مثلا مؤداه لفظ الفعل والى معنى خاص يعمه فان معنا نصر فعل النصر
يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق
بالفعل باعتبار النفي اولا والاثبات ثانيا كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى
الي من غير ان يكون لي مدخل ما في الوحي او في الموحى بطريق الاستدعاء او بوجه اخر من الوجوه اصلا
قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي على الاطلاق والاستفهام انكاري
والمراد انكار استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقائق ومن يعلمها وفيه من الاشعار بكمال ظهورها
ومن التنفير عن الضلال والترغيب في الاهتداء ما لا يخفى وتكرير الامر لتثنية التبكيت
وتأكيد الالزام وقوله تعالى افلا تتفكرون تقريع وتوبيخ داخل تحت الامر والفاء للعطف على
مقدر يستدعيه المقام اي الا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون او لا تسمعونه فلا
تتفكرون فيه فمناط التوبيخ في الاول عدم الامرين معا وفي الثاني عدم التفكر مع تحقق
ما يوجبه وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم بعد ما حكي لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان من الكفرة قوما لا يتعظون بتعزيز الايات الباهرة ولا يتأثرون بمشاهدة
المعجزات القاهرة قد تأبت مشاعرهم بالكلية وصاروا كالاموات وقرر ذلك بان كرر عليهم من
فنون التبكيت والالزام ما يلقمهم الحجر فابوا الا الاباء والنكير وما نجع فيهم عظة ولا
تذكير وما افاد مهم الانذار الا الاصرار على الانكار امر صلى الله عليه وسلم بتوجيه الانذار
الى من يتوقع منهم التأثر في الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الاتي سواء كانوا جازمين باصله
كاهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين في شفاعة ابائهم الانبياء كالاولين
وفي شفاعة الاصنام كالاخرين او مترددين فيهما معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم انهم اذا
سمعوا بحديث البعث يخافون ان يكون حقا واما المنكرون للحشر رأسا والقائلون القاطعون
بشفاعة ابائهم او بشفاعة الاصنام فهم خارجون عمن امر بانذارهم وقد قيل هم المفرطون في
الاعمال من المؤمنين ولا يساعده سباق النظم الكريم ولا سياقه بل فيه ما يقتضي استحالة
صحته كما ستقف عليه والضمير المجرور فيما يوحى او ما دل هو عليه من القران والمفعول
الثاني للانذار اما العذاب الاخروي المدلول عليه بما في حيز الصلة واما مطلق العذاب
الذي ورد به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف
في الكل لتربية المهابة وتحقيق المخافة وقوله تعالى ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في حيز

النصب

النصب على الحالية من ضمير يحشروا او من متعلقه المحذوف ووقع حالا من اسم ليس لانه في الاصل
صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا خلا ان الاولى الحالة الاولى لاخراج الحشر الذي هو لهم
بعيدها عن حيز الخوف وتحقيق ان ما نيط به الخوف هو الحشر على تلك الحالة لا الحشر كيفما كان
ضرورة ان المعترفين به الجازمين بنصرة غيره تعالى لهم لا المنكرين له في امر الخوف الذي
يدور عليه امر الانذار واما الحالة الثانية فليست لاخراج الولي الذي لهم بعيدها عن حيز
الانتفاء لفساد المعنى الذي لاستلزامه ثبوت ولايته تعالى لهم كما في قوله تعالى وما لكم من
دون الله من ولي ولا نصير لتحقيق مدار خوفهم ومن تحقيق ما علقوا به رجاءهم وذلك انما هو ولاية
غيره سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه
اولياء والمعنى انذر به الذين يخافون ان يحشروا غير منصورين من جهة انصارهم على زعمهم
ومن هنا اتضح ان لا سبيل الى كون المراد بالخائفين المفرطين من المؤمنين اذ ليس لهم ولي
سواه تعالى ليخافوا الحشر بدون نصرته وانما الذي يخافونه الحشر بدون نصرته عز
وجل وقوله تعالى لعلهم يتقون تعليل للامر اي انذرهم لكي يتقوا الكفر والمعاصي او حال
من ضمير الامر اي انذرهم راجيا تقواهم او من الموصول اي انذرهم مرجوا منهم التقوى ولا
تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي لما امر صلى الله عليه وسلم بانذار المذكورين
لينتظموا في سلك المتقين نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كون ذلك بحيث يؤدي الى
طردهم المتقين روي ان رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت
هؤلاء الاعبد وارواح جبابهم يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان
واضرابهم جلسنا اليك وحادثناك فقال صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المؤمنين
قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا واذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم نعما
في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له صلى الله عليه وسلم لو فعلت حتى ننظر
الى ما يصيرون وقيل ان عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي
والحارث بن نوفل وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل واشراف بني عبد مناف
من اهل الكفر اتوا ابا طالب فقالوا يا ابا طالب لو ان ابن اخيك محمدا يطرد موالينا وخلفاءنا
وهم عبيدنا وعتقاؤنا كان اعظم في صدورنا وادنى لاتباعنا اياه فاتى ابو طالب الى النبي
صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه فقال عمر رضي الله عنه لو فعلت حتى ننظر ما الذي
يريدون والى ما يصيرون وقال سلمان وخباب نزلت فينا هذه الاية جاء الاقرع
ابن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس وهو من المؤلفة قلوبهم
فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين فلما راوهم حوله
صلى الله عليه وسلم حقروهم فاتوه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله لو جلست
في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم لجالسناك وحادثناك واخذنا
عنك فقال صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك
مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحيي ان ترانا
مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنك فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال

صلى الله عليه وسلم نحن قالوا فاكتب لنا كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب ونحن قعود
في ناحية فنزل جبريل عليه السلام بالآية فرمى صلى الله عليه وسلم بالصحيفة ودعانا فأتيناه
وجلسنا عنده وكنا ندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا إذا أراد القيام فنزلت
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي فترك القيام عنا إلى أن نقوم
عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم
الممات والمراد بذكر الوقتين الدوام • وقيل صلاة الفجر والعصر • وقرئ بالغدوة
وقوله تعالى يريدون وجهه حال من ضمير يدعون أي يدعونه تعالى مخلصين له فيه
وتقييده به لتأكيد علته للنهي فإن الإخلاص من أقوى موجبات الإكرام المضاد للطرد وقوله
ما عليك من حسابهم من شيء اعتراض وسط بين النهي وجوابه تقريرا له ودفعا لما عسى يتوهم
كونه مسوغا لطردهم من أقاويل الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا ما نراك
اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي أي ما عليك شيء من حساب إيمانهم وأعمالهم
الباطنة حتى تتصدى له وتبني على ذلك ما تراه من الأحكام وإنما وظيفتك حسبما يوجبه
منصب النبوة اعتبار ظواهر الأعمال وإجراء الأحكام على موجبها وأما بواطن الأمور فحسابها
على العليم بذات الصدور • قوله تعالى إن حسابهم إلا على ربي وذكر قوله تعالى وما
من حسابك عليهم من شيء مع أن الجواب قد تم بما قبله للمبالغة في بيان انتفاء كون حسابهم عليه
صلى الله عليه وسلم بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه أصلا وهو انتفاء كون حسابه عليه الصلاة
والسلام عليهم على طريقة قوله تعالى لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون • وأما ما قيل
من أن ذلك لتنزيل الجملتين منزلة جملة واحدة لتأدية معنى واحد على نهج قوله تعالى ولا
تزر وازرة وزر أخرى فغير حقيق بجلالة شأن التنزيل وتقديم عليك في الجملة الأولى
للقصد إلى إيراد النفي على اختصاص حسابهم به صلى الله عليه وسلم إذ هو الداعي إلى تصديه
عليه الصلاة والسلام لحسابهم • وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم
حتى يهمك إيمانهم ويدعوك الحرص عليه إلى أن تطرد المؤمنين وقوله تعالى فتطردهم جواب
النفي • وقوله تعالى فتكون من الظالمين جواب النهي وقد جوز عطفه على فتطردهم على طريقة
التسبب وليس بذاك • وكذلك فتنا بعضهم ببعض استئناف مبين لما نشأ عنه ما سبق من النهي وذلك
إشارة إلى مصدر ما بعده من الفعل الذي هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقراء المؤمنين في أمر الدين
بتوفيقهم للإيمان مع ما هم عليه في أمر الدنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للإيذان
بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته في الكمال والكاف مقحمة لتأكيد ما أفاده اسم
الإشارة من الفخامة ومحلها في الأصل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف وأصل التقدير
فتنا بعضهم ببعض فتونا كائنا مثل ذلك الفتون ثم قدم على الفعل لإفادة القصر المفيد لعدم
العموم فقط واعتبرت الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له والمعنى ذلك الفتون
الكامل البديع فتنا أي ابتلينا بعض الناس ببعض لا فتونا غيره حيث قدمنا الآخرين على الأولين
المتقدمين عليهم في أمر الدنيا تقدما كليا • واللام في قوله تعالى ليقولوا للعاقبة أي
ليقول البعض الأولون مشيرين إلى الآخرين محقرين لهم إلى ما بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوي

وتعاميا

وتعاميا عما هو مناط التفضيل حقيقة أهؤلاء من الله عليهم من بيننا بأن وفقهم لإصابة الحق ولما
يسعدهم عنده تعالى من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك
إنكار وقوع المن رأسا على طريقة قولهم لو كان خيرا ما سبقونا إليه لا تحقيق المن عليهم
مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى وقوله تعالى أليس الله بأعلم بالشاكرين
رد لقولهم ذلك وإبطال له وإشارة إلى أن مدار استحقاق الإنعام معرفة شأن النعمة والاعتراف
بحق المنعم والاستفهام لتقرير علمه البالغ بذلك أي أليس الله بأعلم بالشاكرين لنعمه حتى تستبعدوا
إنعامه عليهم وفيه من الإشارة إلى أن أولئك المستضعفين عارفون بحق نعم الله تعالى في تنزيل القرآن
والتوفيق للإيمان شاكرون له تعالى على ذلك مع التعريض بأن القائلين بمعزل من ذلك كله ما لا
يخفى • وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا هم الذين نهي عن طردهم وصفوا بالإيمان بآيات الله تعالى
كما وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى بالإخلاص تنبيها على إحرازهم لفضيلتي العلم والعمل
وتأخير هذا الوصف الأول لما أن مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الإيمان بها كما أن مناط النهي
عن الطرد فيما سبق هو المداومة على عبادته • فقل سلام عليكم أمر بتبشيرهم بالسلامة
من كل مكروه بعد إنذار مناويهم ومن تبليغ سلامه تعالى إليهم وقيل أن يبدأهم بالسلام
قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة أي قضاها وأوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل
والإحسان بالذات لا بتوسط شيء ما أصلا تبشير لهم بسعة رحمته تعالى بنيل المطالب
إثر تبشيرهم بالسلامة من المكاره والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة
إلى ضميرهم لإظهار اللطف بهم والإشعار بعلة الحكم • قيل إن قوما جاؤوا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا إنا أصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت
قوله تعالى أنه من عمل منكم سوءا بدل من الرحمة وقرئ بالكسر على أنه تفسير للرحمة بطريق
الاستئناف قوله تعالى بجهالة حال من فاعل عمل أي عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه
من المضار والمفاسد أو متلبسا بفعل الجهالة فإن المؤمن لا يباشر ما يعلم أنه يؤدي إلى الضرر
أو عمله ملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده أي من بعد عمله أو من بعد سفهه وأصلح أي
ما أفسده تداركا وعزما على أن لا يعود إليه أبدا فإنه غفور رحيم أي فأمره أنه غفور رحيم
أي فله أنه غفور رحيم أي فله أنه غفور رحيم • وقرئ فإنه بالكسر على أنه استئناف
وقع في صدر الجملة الواقعة خبرا لمن على أنها موصولة أو جوابا لها على أنها شرطية • وكذلك
نفصل الآيات وذلك إشارة إلى ما فيه من الكلام أي مثل ذلك التفصيل البديع نفصل الآيات في
صفة أهل الطاعة وأهل الإجرام المصرين منهم والأوابين ولتستبين سبيل المجرمين بالياء
والفعل بناء على تأنيث الفاعل وقرئ بالتذكير بناء على تذكيره فإن السبيل مما يذكر ويؤنث
وهو عطف على علة محذوفة للفعل المذكور لم يقصد بتعليله بها بعينها وإنما قصد الإشعار
بأن له فوائد جمة من جملتها ما ذكر أو علة لفعل مقدر وهو عبارة عن المذكور ليكون مستأنفا أي
ولتستبين سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل • وقرئ بنصب السبيل على أن الفعل متعد
وتاؤه للخطاب أي ولتستوضح أنت يا محمد سبيل المجرمين فتعامل كلا منهم بما يليق بهم قل إني نهيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجوع إلى مخاطبة المصرين على الشرك إثر ما أمر بمعاملة من

عما هم من امثال الانقياد المنبئ عما يليق بحالهم اي وقطعا لاطماعهم الفارغة عن ركونه صلى
الله عليه وسلم الى دينهم لكون ما هم عليه من الدين هوى محضا وضلالا اي صرفت وزجرت
بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الايات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون اي عن عبادة
ما تعبدونه من دون الله كائنا ما كان قل كرر الامر مع قرب العهد اعتناء بشأن المأمور به وا
يذانا باختلاف القولين من حيث ان الاول حكاية لما من جهته تعالى من النهي والثاني حكاية
لما من جهته صلى الله عليه وسلم من الانتهاء عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وانما قيل لا اتبع
اهواءكم استجهالا لهم وتنصيصا على انهم فيما هم فيه تابعون لاهواء باطلة وليسوا على شيء مما ينبغي
عليه الدين اصلا واشعارا بما يوجب النهي والانتهاء قد ضللت اذا استئناف مؤكد لانتهائه
عما نهي عنه مقرر لكونهم في غاية الضلال والغواية اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت
قوله تعالى اذا وما انا من المهتدين عطف على ما قبله والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة
على الدوام والاستمرار وان النفي واستمراره لا نفي الدوام والاستمرار كما مر مرارا اي
ما انا في شيء من الهدى حتى اكون في عدادهم قل اني على بينة تحقيق للحق الذي عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبيان لاتباعه اياه اثر ابطال الباطل الذي عليه الكفرة وبيان عدم
اتباعه له والبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل والمراد بها القرآن والوحي
والمراد بها القرآن والوحي وقيل هي الحجج العقلية وما يعمها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم
وقوله تعالى من ربي متعلق بمحذوف هو صفة لبينة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله
عليه وسلم من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى وكذبتم به اما جملة مستأنفة او
حالية بتقدير قد او بدونه جيء بها لاستقباح مضمونها واستبعاد وقوعه مع تحقق ما يقتضي
عدمه من غاية وضوح البينة والضمير المجرور للبينة والتذكير باعتبار المعنى المراد
والمعنى اني على بينة عظيمة كائنة من ربي وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار التي من جملتها
الوعيد بمجيء العذاب قوله تعالى ما عندي ما تستعجلون به استئناف مبين لخطائهم
في شأن ما جعلوه منشأ لتكذيبهم بها وهو عدم مجيء ما وعد فيها من العذاب الذي كانوا
يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء او بطريق الالزام
على زعمهم اي ليس ما تستعجلونه من العذاب الموعود في القرآن وتجعلون تأخره ذريعة
الى تكذيبه في حكمي وقدرتي حتى اجيء به واظهر لكم صدقه اي ليس امره بمفوض الي ان الحكم
اي ما الحكم في ذلك تعجيلا وتأخيرا اي وما الحكم في جميع الاشياء فيدخل فيه ما ذكر دخولا
اوليا الا لله وحده من غير ان يكون لغيره دخل ما بوجه من الوجوه يقص الحق اي يتبعه
بيانا لكونه تعالى في الحكم المعهود او في جميع احكامه المنتظمة له انتظاما اوليا اي
لا يحكم الا بما هو حق فيثبت حقيقة التأخير وقرئ يقضي فانتصاب الحق حينئذ على المصدرية
اي يقضي القضاء الحق او على المفعولية اي يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها
واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكأنه يمنع الباطل عن معارضة الحق
والخصم عن التعدي على صاحبه وهو خير الفاصلين اعتراض تذييلي مقرر لمضمون

ما قبله مشيرا الى ان قص الحق ها هنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الذي
يستدعيه مقام الاستعجال وقيل المعنى اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة
واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به تعالى غيره والاستشهاد بان
سياق النظم الكريم فيما سبق وما لحق في وصفهم بآيات الله تعالى بسبب عدم مجيء العذاب
الموعود فيها فتكذيبهم به سبحانه في امر التوحيد مما لا تعلق له بالمقام اصلا قل لو ان عندي
اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب الذي ورد به الوعيد بان يكون امره
مفوضا الي من جهته تعالى لقضي الامر بيني وبينكم بان ينزل ذلك عليكم اثر استعجالكم بقولكم
متى هذا الوعد ونظائره وفي بناء الفعل للمفعول من الايذان بتعيين الفاعل الذي هو الله
سبحانه وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى فما قيل في تفسيره لاهلكتكم عاجلا
غضبا لربي وتخلصت منكم سريعا بمعزل من توفية المقام حقه قوله تعالى والله اعلم بالظالمين
اعتراض مقرر لما افاده الجملة الامتناعية من انتفاء كون امر العذاب مفوضا اليه صلى الله عليه
وسلم المستتبع لانتفاء قضاء الامر وتعليل له والمعنى والله اعلم بحال الظالمين وبانهم
مستحقون للامهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الي
فلم يقض الامر بتعجيل العذاب والله اعلم وعنده مفاتح الغيب بيان لاختصاص المقدورات
الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان اختصاص كلها به تعالى من حيث القدرة والمفاتح
اما جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن فهو مستعار لمكان الغيب كأنها مخازن خزنت فيها الامور
الغيبية يغلق عليها ويفتح واما جمع مفتح بكسرها وهو المفتاح ويؤيده قراءة من قرأ
مفاتيح الغيب فهو مستعار لما يتوصل به الى تلك الامور بناء على الاستعارة في الاول اي عنده
تعالى خاصة خزائن غيوبه او ما يتوصل به اليها وقوله تعالى لا يعلمها الا هو تأكيد لمضمون ما قبلها
وايذان بان المراد هو الاختصاص من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى ان ما تستعجلونه
من العذاب ليس مقدورا لي حتى الزمكم بتعجيله ولا معلوما لدي لاخبركم بوقت نزوله
بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلما فينزله حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح
قوله تعالى ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها بيان لتعلقه بالمشاهدات
المصنوع ؟ بيان تعلقه بغيرها فان ما في تخصيص حال السقوط بالذكر ليس الا لتطرق الاكتفاء
بذلك عن سائر الاحوال كما ان ذكر حال الورقة وما عطف عليها خاصة دون احوال سائر
ما فيهما من فنون الموجودات الفائتة للحصر باعتبار انها انموذج لاحوال سائرها قوله
تعالى ولا حبة عطف على ورقة وقوله تعالى في ظلمات الارض متعلق بمحذوف هو صفة لحبة
مفيدة لكمال ظهور علمه تعالى اي ولا حبة كائنة في بطون الارض الا يعلمها وكذا قوله
تعالى ولا رطب ولا يابس معطوفان عليها داخلان في حكمها وقوله تعالى الا في كتاب مبين
بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين عبارة عن علمه تعالى او بدل
الاشتمال على انه عبارة عن اللوح المحفوظ وقرئ الاخيران بالرفع عطفا على محل من ورقة
وقيل رفعهما بالابتداء والخبر الا في كتاب مبين والانسب بالمقام لشمول الرطب واليابس
حينئذ لما ليس من شأنه السقوط وقد نقل قراءة الرفع في ولا حبة ايضا وهو الذي يتوفاكم

بالليل اي ينيمكم فيه على استعارة التوفي من الاماتة لما بين النوم والموت من المشاركة في زوال
الاحساس والتمييز واصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار اي ما كسبتم فيه والمراد
بالليل والنهار الجنس المتحقق في كل فرد من افرادهما اذ بالتوفي والبعث الموجودين فيهما يتحقق
قضاء الاجل المسمى المترتب عليهما لا في بعضهما والمراد بعلمه تعالى بذلك علمه قبل الجرح كما يلوح
به تقديم ذكره على البعث اي يعلم ما تجرحون بالنهار • وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وتخصيص
التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيما خص بالآخر للجري على سنن العادة ثم يبعثكم
فيه اي يوقظكم في النهار عطف على يتوفاكم • وتوسيط قوله تعالى ويعلم الى آخره بينهما
لبيان ما في بعثهم من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على ان ما يكسبونه من السيئات مع كونها
موجبة لابقائهم على التوفي بل لاهلاكهم بالمرة يفيض عليهم الحياة ويمهلهم كما ينبي
عنه كلمة التراخي • كأنه قيل هو الذي يتوفاكم في جنس الليل ثم يبعثكم في جنس النهار
مع علمه بما يجترحون فيها ليقضى اجل مسمى معين لكل فرد بحيث لا يكاد يتخطى احد
ما عين له طرفة عين ثم اليه مرجعكم اي رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا ثم ينبئكم
بما كنتم تعملون • بالمجازاة باعمالكم التي كنتم تعملونها في تلك الليالي والايام وقيل الخطاب
مخصوص بالكفرة • والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل كاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع
على اعمالكم يبعثكم في النهار من شأن ما قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار
ليقضي الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف
والاخلال لاقتضائه الى كون البعث معللا بقضاء الاجل المضروب له وهو القاهر فوق عباده
اي هو المتصرف في امورهم لا غيره يفعل بهم ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا
واثابة الى غير ذلك ويرسل عليكم خاصة ايها المكلفون حفظة من الملائكة وهم
الكرام الكاتبون وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول
الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر • وقيل متعلق بمحذوف
هو حال من حفظة اذ لو تأخر لكان صفة اي كائنين عليكم • وقيل متعلق بحفظة
والمحفوظ محذوف على كل حال اي يرسل عليكم ملائكة يحفظون اعمالكم كائنا ما كان وفي ذلك
حكمة جليلة • ونعمة جليلة لما ان المكلف اذا علم ان اعماله تحفظ عليه وتعرض على رؤوس
الاشهاد كان ذلك ازجر له عن تعاطي المعاصي والقبائح وان العبد اذا وثق بلطف
سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشمه احتشامه من خدمه الواقفين على احواله وحتى
في قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت هي التي يبتدأ بها الكلام وهي مع ذلك تجعل ما بعدها
من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كأنه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم
مدة حياتكم حتى اذا انتهت مدة احدكم كائنا من كان وجاءه اسباب الموت ومباديه
توفته رسلنا الآخرون المفوض اليهم ذلك وهم ملك الموت واعوانه وانتهى هناك
حفظة الحفظة • وقرئ توفاه ماضيا او مضارعا بطرح احدى التائين وهم اي الرسل
لا يفرطون اي بالتواني والتأخير وقرئ مخففا من الافراط اي لا يجاوزون ما حد لهم
بزيادة او نقصان والجملة حال من رسلنا وقيل مستأنفة سيقت لبيان اعتنائهم بما امروا

به ثم قوله تعالى ثم ردوا عطف على توفته والضمير للكل المدلول عليه باحدكم وهو السر
في مجيئه بطريق الالتفات تغليبا والافراد اولا والجمع آخرا لوقوع التوفي على الانفراد
والرد على الاجتماع اي ثم ردوا بعد البعث بالحشر الى الله اي الى حكمه وجزائه في موقف الحساب
مولاهم اي مالكهم الذي يلي امورهم على الاطلاق لا ناصرهم كما في قوله تعالى وان الكافرين
لا مولى لهم الحق الذي لا يقضي الا بالعدل • وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم
يومئذ صورة ومعنى لا لاحد غيره بوجه من الوجوه وهو اسرع الحاسبين يحاسب جميع الخلائق
في اسرع زمان واقصره لا يشغله حساب عن حساب ولا شأن عن شأن • وفي الحديث
انه تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اي قل تقريرا
لهم بتحطاطهم عن رتبة الالوهية من ينجيكم من شدائدهما الهائلة التي تبطل الحواس
وتدهش العقول • ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر • يقال لليوم الشديد
يوم مظلم ويوم ذو كواكب • او من الخسف في البر • والغرق في البحر • وقرئ ينجيكم من الانجاء
والمعنى واحد • وقوله تعالى تدعونه تضرعا وخفية اما حال من فاعل تدعونه او مصدر
مؤكد له اي تدعونه متضرعين اليه جهارا ومسرين او تدعونه دعاء اعلان واخفاء
وقرئ خفية بكسر الخاء • وقوله تعالى لئن انجيتنا حال من الفاعل ايضا على تقدير القول
اي تدعونه قائلين لئن انجيتنا من هذه الشدة والورطة التي عبر عنها بالظلمات لنكونن
من الشاكرين اي الراسخين في الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة او جميع النعماء
التي من جملتها هذه • وقرئ لئن انجانا مراعاة لقوله تعالى تدعونه قل الله ينجيكم منها
ومن كل كرب اي امره صلى الله عليه وسلم بتقرير الجواب مع كونه من وظائفهم للايذان بانه متعين
عندهم ولبناء قوله تعالى ثم انتم تشركون عليه اي الله تعالى وحده ينجيكم مما تدعونه الى
كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم والكروب ثم انتم بعدما تشاهدون هذه
النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى غيره • وقرئ ينجيكم بالتشديد قل هو القادر على ان
يبعث عليكم عذابا استئناف مسوق لبيان انه تعالى هو القادر على القائهم في المهالك اثر
بيان انه المنجي لهم منها وفيه وعيد ضمني بالعذاب لاشراكهم المذكور على طريقة قوله تعالى
افامنتم ان نخسف بكم جانب البر قوله تعالى ام امنتم ان نعيدكم فيه تارة اخرى الآية
وعليكم متعلق بيبعث وتقديمه على مفعوله الصريح للاعتناء به والمسارعة الى بيان كون
المبعوث مما يضرهم ولتهويل امر المؤخر • وقوله تعالى من فوقكم متعلق به ايضا او بمحذوف وقع
صفة لعذابا اي عذابا كائنا من جهة الفوق كما فعل بقوم لوط واصحاب الفيل
وامثالهم او من تحت ارجلكم اي من جهة السفل كما فعل بفرعون وقارون • وقيل من
فوقكم اكابركم ورؤساؤكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم • وكلمة او لمنع الخلو
دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح او يلبسكم شيعا اي يخلطكم
فرقا متحزبين على اهواء شتى كل فرقة مشايعة لامام فينشب بينكما القتال فتختلطوا في
الملاحم • كقول الحماسي •

• وكتيبة لبستها بكتيبة • حتى اذا التبست نفضت لها يدي •

ويذيق بعضكم بأس بعض عطف على يبعث • وقرئ نذيق بالنون على طريقة الالتفات لتهويل
الأمر والمبالغة في التحذير والبعض الأول الكفار والآخر المؤمنون • ففيه وعد ووعيد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال عند قوله سبحانه وتعالى عذابا من فوقكم
أعوذ بوجهك • وعند قوله تبارك وتعالى أو من تحت أرجلكم أعوذ بوجهك • وعند
قوله تعالى أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض هذا أهون أو هذا أيسر •
وعنه عليه أفضل الصلاة والسلام أنه قال سألت ربي أن لا يبعث على أمتي عذابا
من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني
ذلك انظر كيف نصرف الآيات من حال إلى حال لعلهم يفقهون كي يفقهوا ويقفوا على جلية
الأمر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد وكذب به قومك أي بالعذاب الموعود
أو القرآن المجيد الناطق بمجيئه قومك أي المعاندون منهم ولعل إيرادهم بهذا العنوان
للإيذان بكمال سوء حالهم فإن تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه صلى الله عليه وسلم مما يقضي
بغاية عتوهم ومكابرتهم • وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق إلى المؤخر قوله تعالى وهو الحق حال من الضمير المجرور أي كذبوا به والحال
أنه الواقع لا محالة أو أنه الكتاب الصادق في كل ما نطق به • وقيل هو استئناف وأيا ما
كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها قل لهم مشيرا على ما يؤول إليه أمرهم وعلى
أنه قد أديت ما عليك من وظائف الرسالة لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل إلي أمركم لأمنعكم
من التكذيب وأجبركم على التصديق إنما أنا منذر وقد خرجت عن العهدة حيث أخبرتكم
بما سترونه لكل نبأ أي لكل شيء ينبأ به من الأنباء التي من جملتها عذابكم أو لكل خبر من الأخبار
التي من جملتها خبر مجيئه مستقر أي وقت استقرار ووقوع البتة أو وقت استقرار ووقوع
منه قوله وسوف تعلمون أي حاله بأيكم في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معا وسوف للتأكيد
كما في قوله تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا أي بالتكذيب
والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو دأب قريش ودينهم فأعرض عنهم بترك مجالستهم
والقيام عنهم قوله تعالى حتى يخوضوا في حديث غيره غاية للإعراض أي استمر على الإعراض
إلى أن يخوضوا في حديث غيره وتذكير الضمير باعتبار كونها حديثا فإن وصف الحديث
بمغايرتها مشيرا إلى اعتبارها بعنوان الحديثية • وقيل باعتبار كونها قرآنا وإما ينسينك
الشيطان بأن يشغلك فتنسى النهي فتجالسهم ابتداء أو بقاء • وقرئ ينسينك من التنسية
فلا تقعد بعد الذكرى أي تذكر النهي مع القوم الظالمين أي معهم فوضع المظهر موضع
المضمر نعيا عليهم أنهم بذلك الخوض ظالمون واضعون التكذيب والاستهزاء موضع التصديق
والتعظيم راسخون في ذلك وما على الذين يتقون روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
أن المسلمين نهوا عن مجالستهم عند خوضهم في الآيات قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن
لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام وأن نطوف بالبيت فنزلت أي ما على الذين يتقون قبائح أعمال
الخائضين وأحوالهم من حسابهم أي مما يحاسبون عليه من الجرائر من شيء أي شيء ما على أنه مبتدأ
وما تميمية أو اسمها وما حجازية ومن مزيدة للاستغراق ومن حسابهم حال منه وعلى

الذين

الذين يتقون في محل الرفع على أنه خبر للمبتدأ أو لما الحجازية على رأي من لا يجيز إعمالها في الخبر
المقدم مطلقا أو في محل النصب على أنه خبر لها على رأي من يجوز إعمالها في الخبر المقدم عند كونه ظرفا أو حرف
جر ولكن ذكرى استدراك من النفي السابق أي ولكن عليهم أن يذكروهم ويمنعوهم
عما هم عليه من القبائح بما أمكن من العظة والتذكير ويظهروا لهم الكراهة والنكير وعلى
ذكرى إما النصب على أنه مصدر مؤكد للفعل المحذوف أي عليهم أن يذكروهم تذكيرا
أو الرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر أي ولكن عليهم ذكرى لعلهم يتقون أي يجتنبون
الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم • ويجوز كون الضمير للموصول أي يذكرونهم رجاء أن
يثبتوا على تقواهم أو يزدادوها وذر الذين اتخذوا دينهم الذي كلفوه وأمروا بإقامته
سواجبه لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤوا أو بنوا أمر دينهم على الأباطيل دنياطاء أحد
العاقل بنظر في الحد وإنما دينهم زعمه لو صح ذلك بطريق اللهو واللعب كعبادة الأصنام
وتحريم البحائر والسوائب ونحو ذلك والمعنى أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم وقيل
هو تهديد لهم كقوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا الآية وغرتهم الحياة الدنيا حتى أنكروا
بما هي زعموا أن لا حياة بعدها أبدا وذكر به أي بالقرآن من يصلح للتذكير أن تبسل
نفس بما كسبت أي لئلا تبسل كقوله تعالى أن تضلوا الآية أو مخافة أن تبسل أي تسلم
إلى الهلكة نفس كبيرة • كما في قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت وعلمت نفس ما قدمت • وأصله
الإبسال والبسل المنع • ومنه أسد باسل لأن فريسته لا تفلت منه أو لأنه ممتنع
والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك أي حرام ممنوع • ويجوز أن
يكون الضمير المجرور في به راجعا إلى الإبسال مع مدرجه بأن ذكر كما في ضمير الشأن وتكون
الجملة بدلا منه مفسرا له فإن الإبهام أولا والتفسير ثانيا من التفخيم زيادة التقرير
كما في قوله • على حبه لعنيه الماء حابه • ليس لها من
دون الله ولي ولا شفيع استئناف مسوق للإخبار بذلك وقيل في محل النصب على أنه حال
من ضمير كسبت • وقيل في محل الرفع على أنه وصف لنفس والأظهر أنه حال من نفس فإنه في
قوة نفس كافرة أو نفوس كثيرة • كما في قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت ومن دون الله متعلق
بمحذوف هو حال من فاعل ليس ولي كما في تفسير قوله تعالى وأنذر به الذين لأنه وقيل
موجب للنفي فيكون لها خبرية متعلق بمحذوف هو حال من ولي في البيان وإن تعدل كل عدل أي
تلك النفس كل عدل أي كل فداء لأنه معتد ردوكل لا يؤخذ منها على إسناد الفعل إلى الجار والمجرور
لا إلى ضمير العدل كما في قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فإنه المعد لا المعتد كما مر فيه
أولئك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة • وما فيه من معنى البعد للإيذان
ببعد درجتهم في سوء الحال ومحله الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى الذين أبسلوا بما كسبوا
والجملة مستأنفة سيقت إثر تعيينهم من الإبسال المذكور بيانا لأنهم المبتلون بذلك أي
أولئك المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحياة الدنيا هم الذين أبسلوا بما كسبوا
من القبائح قوله تعالى لهم شراب من حميم استئناف آخر مبين لكيفية الإبسال المذكور
وعاقبته مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل ماذا لهم حين أبسلوا بما كسبوا فقيل

لهم شراب من ماء مغلي يتجرجر في بطونهم وتتقطع به أمعاؤهم وعذاب أليم بنار تشتعل بأبدانهم
بما كانوا يكفرون اي بسبب كفرهم المستمر في الدنيا وتجويز ان يكون لهم شراب الى آخره
حالا من ضميري ابسلوا وترتيب ما ذكر من العذاب عليه مع انهم معذبون بسائر
معاصيهم ايضا حسبما ينطق به قوله تعالى بما كسبت لانه العمدة في ايجاب العذاب والاهم
في باب التحذير او اريد بكفرهم ما هو اعم منه ومن مستتبعاته من المعاصي والسيئات
ثم اولئك يجوز ان يكون اولئك اشارة الى النفوس المدلول عليها بنفس بحمله على المعنى بلا اعتبار
والموصول الثاني صفته او بدلا منه ولهم شراب الى آخره خبر والجملة مسوقة
لبيان سوء حال الابسال قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا قيل نزلت في
ابي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاصنام وتوجيه الامر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للايذان بما بينهما من الاتصال والاتحاد
تنويها لشأن الصديق رضي الله عنه اي انعبد متجاوزين عبادة الله سبحانه وتعالى
الجامع لجميع صفات الالوهية التي من جملتها القدرة على النفع والضر ما لا يقدر على نفعنا
اذا عبدناه ولا على ضرنا اذا تركناه وادنى مراتب المعبودية القدرة على ذلك • وقوله
تعالى ونرد على اعقابنا عطف على ندعو داخل في حكم الانكار والنفي اي ونرد الى الشرك
والتعبير عنه بالرد على الاعقاب لزيادة تقبيحه بتصويره بصورة ما هو علم في القبح مع ما
فيه من الاشارة الى كون الشرك حالة قد تركت ونبذت وراء الظهر • وايثار نرد
على نرتد لتوجيه الانكار الى الارتداد برد الغير تصريحا بمخالفة المضلين وقطعا لاطماعهم الفارغة وايذانا
بان الارتداد من غير راد ليس في حيز الاحتمال ليحتاج الى نفيه وانكاره وقوله تعالى
بعد اذ هدانا الله اي الى الاسلام وانقذنا من الشرك متعلق بنرد مسوق لتأكيد
النكير لا لتحقيق معنى الرد وتصويره فقط والا لكفى ان يقال بعد اذ اهتدينا كأنه قيل
ونرد الى الشرك باضلال المضل بعد اذ هدانا الله الذي لا هادي سواه • وقوله تعالى
كالذي استهوته الشياطين في محل النصب على انه حال من مرفوع نرد اي انرد على اعقابنا
مشبهين بالذي استهوته مردة الجن واستغوته الى المهامه والمهالك او على انه نعت
لمصدر محذوف اي انرد ردا مثل رد الذي استهوته الى آخره والاستهواء استفعال من هوى
في الارض اذا ذهب فيها كأنها طلبت هويه • وقرئ استهواه بالف ممالة وقوله تعالى
في الارض اما متعلق باستهوته او بمحذوف هو حال من مفعوله اي كائنا في الارض وكذا
قوله تعالى حيران حال منه على انها حال من مرفوع نرد او على انها بدل من الاولى او حال
ثانية منه عند من يجيزها او من الذي او من المستكن في الظرف اي تائها ضالا عن الجادة
لا يدري ما يصنع وقوله تعالى له اصحاب جملة في محل النصب على انها صفة لحيران او حال
من الضمير فيه او مستأنفة سيقت لبيان حاله وقوله تعالى يدعونه الى الهدى صفة لاصحاب
اي لهذا المستهوي رفقة يهدونه الى الطريق المستقيم تسمية له بالمصدر مبالغة
كأنه نفس الهدى ائتنا على ارادة القول على انه بدل من يدعونه او حال من فاعله
اي يقولون ائتنا وفيه اشارة الى انهم مهتدون ثابتون على الطريق المستقيم وان

وان من يدعونه ليس ممن يعرف الطريق المستقيم ليدعى الى اتيانه • وانما يدرك سمت
الداعي ومعرفة المعين فحسب قل ان هدى الله الذي هدانا اليه وهو الاسلام هو
الهدى وحده وما عداه ضلال محض وغي بحت • كقوله سبحانه وتعالى فماذا بعد
الحق الا الضلال ونحوه • وتكرير الامر للاعتناء بالمأمور به ولان ما
سبق للزجر عن الشرك وهذا حث على الاسلام • وهي توطئة لما بعده • فان
اختصاص الهدى بهداه تعالى مما يوجب الامتثال بالاوامر الواردة بعده وامرنا
عطف على ان هدى الله هو الهدى داخل تحت الامر بالقول واللام في لنسلم لرب
العالمين تعليل للامر المحكي وبيان لما اريد به من الاوامر الثلاثة • كما في قوله تعالى
بان نسلم • وقيل زائدة اي امرنا ان الامر المحكي وبيان لما اريد به من الاوامر
الثلاثة • كما في قوله سبحانه وتعالى بان نسلم وقيل زائدة اي امرنا ان نسلم على حذف
الباء وقوله تعالى وان اقيموا الصلاة واتقوه اي الله تعالى في مخالفة امره وعطفه على نسلم
على الوجوه الثلاثة على ان المصدرية اذا وصلت بالامر يتجرد عن معنى الامر نحو تجرد
الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال • والمعنى على الاول امرنا اي قيل لنا
اسلموا واقيموا الصلاة واتقوا الله لاجل ان نسلم ونقيم الصلاة ونتقيه تعالى او
مع الاخيرين امرنا بان نسلم ونقيم الصلاة ونتقيه تعالى • والتعرض لوصف ربوبيته تعالى
للعالمين لتعليل الامر وتأكيد وجوب الامتثال به كما ان قوله سبحانه وتعالى وهو
الذي اليه تحشرون جملة مستأنفة موجبة للامتثال بما امر به من الامور الثلاثة
وهو الذي خلق السموات والارض اريد بخلقهما خلق ما فيهما ايضا وعدم التصريح بذلك
لظهور اشتمالهما على جميع العلويات والسفليات • وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف هو حال
من فاعل خلق او من مفعوله او صفة لمصدره المؤكد اي قائما بالحق او متلبسا بالحق او
خلقا متلبسا به قوله تعالى ويوم يقول كن فيكون قوله الحق استئناف لبيان ان خلقه تعالى لما
ذكر من السموات والارض ليس مما يتوقف على مادة او مدة بل يتم بمحض الامر التكويني من غير توقف
على شيء آخر اصلا وان ذلك الامر المتعلق بكل فرد من افراد المخلوقات في حيز معنى من
افراد الاحوال حق في نفسه ومتضمن للحكمة • ويوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب
المعنى داخلة عليها وتقديمه عليها للاعتناء به من حيث انه مدار الحقية المفيدة وقيل •
منه او قد قيل قوله مبتدأ والحق صفته ويوم ظرف له خبره مقدما عليه • كقولك
يوم الجمعة القتال واستعماله بمعنى الاستقرار • وحاصل المعنى وقوله الحق كائن حين يقول
لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء • وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على
الضمير في اتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق • وقوله الحق مبتدأ وخبر والفاعل يكون على
معنى حينئذ ضمير لقوله الحق اي لتعلقه الحق كن فيكون • والمراد حين تكوين الاشياء واحداثها
او حين تقوم القيامة حين تكوين التكوين حشر الاجساد واحياؤها فتأمل • وله
الملك يوم ينفخ في الصور تقييد اختصاص الملك به تعالى بذلك اليوم مع عموم الاختصاص
لجميع الاوقات لغاية ظهور ذلك بانقطاع العلائق المجازية الكائنة في الدنيا المصححة للمالكية

المجازية في الجملة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة أي
هو عالمهما وهو الحكيم في كل ما يفعله الخبير بجميع الأمور الجلية والخفية وإذ قال إبراهيم
منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قل أندعو لا على
أقيموا كما قيل لفساد المعنى أي واذكر لهم بعدما أنكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع ولا ضر
وحققت أن الهدى هو هدى الله تعالى وما يتبعه من شؤونه تعالى وقت قول إبراهيم
الذين يدعون أنهم على ملته موبخا لأبيه آزر على عبادة الأصنام فإن ذلك مما يبكتهم وينادي
بفساد طريقتهم. وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها
المقصودة لما مر مرارا من المبالغة في إيجاب ذكرها. وآزر بزنة آدم وعابر وعازر وفالغ
ولذلك تارخ ذكره محمد بن إسحاق والضحاك والكلبي وكان من قرية من سواد الكوفة
ومنع صرفه للعجمة والعلمية. وقيل اسمه بالسريانية تارخ وآزر لقبه المشهور وقيل
اسم صنم لقب به لملازمته عبادته فهو عطف بيان لأبيه أو بدل منه. وقال الضحاك
معناه الشيخ الهرم. وقال الزجاج المخطئ. وقال الفراء وسليمان التيمي المعوج فهو نعت له
كالأحول ممتنعا من الانصراف للوزن والوصف أو أريد به عابد آزر على حذف المضاف وإقامة
المضاف إليه مقامه. وقرئ آزر على النداء وهو دليل العلمية إذ لا يحذف حرف
النداء إلا من الأعلام أتتخذ أصناما آلهة أي أتجعلها لنفسك آلهة
على توجيه الإنكار إلى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وإنما أورد صيغة الجمع باعتبار الوقوع
وقرئ أأزرا بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منونة منصوبة
وهو اسم صنم معناه أتعبد أزرا ثم قيل أتتخذ أصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل
تحت الإنكار لكونه بيانا له. وقيل الأزر القوة والمعنى لأجل القوة والمظاهرة تتخذ
أصناما آلهة إنكارا لتعززه بها على طريقة قوله عز وجل أيبتغون عندهم العزة إني أراك
وقومك الذين يتبعونك في عبادتها في ضلال عن الحق مبين أي بين كونه ضلالا لا اشتباه
فيه أصلا والرؤية إما علمية فالظرف مفعولها الثاني وإما بصرية فهو حال من المفعول
والجملة تعليل للإنكار والتوبيخ وكذلك نري إبراهيم من الإراءة من الرؤية
البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة أي عرفناه وبصرناه. وصيغة الاستقبال
حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك إشارة إلى المصدر لا إلى إراءة أخرى
مفهومة من قوله تعالى إني أراك. وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجة المشار
إليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه بذلك وانتظامه بسببه في سلك الأمور
المشاهدة. والكاف لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحلها في الأصل
النصب على أنه نعت لمصدر محذوف. وأصل التقدير نري إبراهيم إراءة كائنة مثل
تلك الإراءة فقدم على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة
فصار المشار إليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له أي ذلك التبصير البديع نبصره عليه
السلام ملكوت السموات والأرض أي ربوبيته تعالى ومالكيته لهما وسلطانه القاهر
عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا له تعالى لا استحقاقا لأحد منه والملكوت مصدر

مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت. ومعناه الملك العظيم والسلطان
القاهر وقيل هو مختص بملك الله عز وجل أولا. فتعم قيل فالأول والأول هو الأظهر
وبه قال الراغب وقيل ملكوتهما عجائبهما وبدائعهما. روي أنه عليه الصلاة والسلام
كشف له السموات والأرض حتى العرش وأسفل الأرضين. وقيل آياتهما وقيل ملكوت
السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الأرض الجبال والأشجار والبحار وهذه الأقوال
لا تقتضي الإراءة لعرفانية إذ ليس المراد بإراءة ما ذكر من الأمور الحسية مجرد تمكينه
عليه الصلاة والسلام من إبصارها ومشاهدتها في أنفسها بل اطلاعه عليه الصلاة
والسلام على حقائقها وتعريفها من حيث دلالتها على شؤونه عز وجل. ولا ريب في
أن ذلك ليس مما يدرك حسا كما ينبئ عنه اسم الإشارة المفصح عن كون المشار إليه أمرا بديعا
فإن الإراءة البصرية المعتادة بمعزل من تلك المثابة. وقرئ ترى بالتاء وإسناد
الفعل إلى الملكوت أي تبصره عليه الصلاة والسلام دلائل الربوبية. واللام
في قوله تعالى وليكون من الموقنين متعلقة بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر
لما قبلها أي وليكون من جملة الراسخين في الإيقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة
الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لأمر آخر فإن الوصول إلى الغاية
القاصية كالمرتب على ذلك التبصير لا عينه وليس القصر لبيان انحصار فائدته في ذلك
كيف لا وإرشاد الخلق وإلزام المشركين كما سيأتي من فوائده بلا مرية بل لبيان أنه الأصل
الأصيل والباقي من مستتبعاته. وقيل هي متعلقة بالفعل السابق. والجملة معطوفة على
علة أخرى محذوفة ينسحب عليها الكلام أي ليستدل بها وليكون إلخ فينبغي أن يراد
بملكوتهما بدائعهما وآياتهما لأن الاستدلال لا في غايات الإراءة لا من غايات الإراءة نفس الربوبية
وفي قوله تعالى فلما جن عليه الليل على الأول هو الحق المبين عطف على قال إبراهيم داخل
تحت ما ذكر بالأمر بذكر وقته وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله سبق وما هو فإن تعريفه
عليه الصلاة والسلام ربوبيته ومالكيته للسموات والأرض وما فيهما. وكون الكل
مقهورا تحت ملكوته مفتقرا إليه في الوجود وما يترتب عليه من الكمالات وكونه من
الراسخين في معرفته سبحانه الواصلين إلى ذروة عين اليقين مما يقتضي بأن يحكم عليه السلام
باستحالة إلهية ما سواه سبحانه من الأصنام والكواكب وعلى الثاني هو تفصيل لما ذكر من إراءة
ملكوت السموات والأرض وبيان لكيفية استدلاله عليه الصلاة والسلام ووصوله
إلى رتبة الإيقان. ومعنى جن عليه الليل ستره بظلامه وقوله تعالى رأى كوكبا جواب
لما فإن رؤيته إنما تتحقق بزوال نور الشمس عن الحس وهذا صريح في أنه لم يكن في ابتداء
الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس. والتحقيق أنه كان قريبا من
الغروب كما ستعرفه. قيل كان ذلك الكوكب هو الزهرة. وقيل هو المشتري وقوله
تعالى قال هذا ربي استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية السابقة المتفرعة على بيان
إراءته عليه الصلاة والسلام ملكوت السموات والأرض فإن ذلك مما يحمل السامع على استكشاف
ما ظهر منه عليه الصلاة والسلام من آثار تلك الإراءة وأحكامها. كأنه قيل فماذا صنع

عليه الصلاة والسلام حين راى الكوكب تنبيها على استدلالهم لو منع فالقرن منه ان في مجاراته مع ابيه
وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فان المستعد لبيان فساد قول يحكيه
على قول خصمه ثم يكر عليه بالابطال • ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان استحالة ربوبية
الكوكب دون بيان استحالة الهية الاصنام لما ان هذا اخفى بطلانا واستحالة من الاول
فلو صدع بالحق من اول الامر كما فعله في حق عبادة الاصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجوا
في طغيانهم يعمهون • وقيل قاله عليه الصلاة والسلام في وحدة النظر والاستدلال وكان
ذلك في زمان مراهقته واول اوان بلوغه وهو مبني على تفسير الملكوت بآياتها وعطف
قوله تعالى ليكون على ما ذكر من العلة المقدرة وجعل قوله تعالى فلما جن تفصيلا لما ذكر من الاراءة
وبيانا لكيفية الاستدلال • وانت خبير بان ذلك مما يحيل اليه النظم الكريم الجليل
وجزالة منصب الخليل عليه السلام فلما افل اي غرب قال لا احب الآفلين اي الارباب
المنتقلين من مكان الى مكان المتغيرين من حال الى حال المحتجبين بالاستار فانهم بمعزل
من استحقاق الربوبية قطعا فلما راى القمر بازغا اي مبتدئا في الطلوع اثر غروب الكواكب
قال هذا ربي على الاسلوب السابق فلما افل كما افل النجم قال لئن لم يهدني ربي الى الجناب
الذي هو الحق الذي لا محيد عنه لاكونن من القوم الضالين فان شيئا مما رايته لا يليق بالربوبية
وهذه مبالغة منه عليه الصلاة والسلام في اظهار النصفة ولعل ذلك عليه السلام
كان اذ ذاك في موضع في جانبه الغربي جبل شامخ يستتر به القمر والكوكب وقت الظهر من النهار
او بعده بقليل • وكان الكوكب قريبا منه وافقه الشرقي مكشوفا اولا والا فطلوع
القمر بعد افول الكوكب ثم افوله قبل طلوع الشمس كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما راى الشمس
بازغة اي مبتدئة في الطلوع مما لا يكاد يتصور قال اي على النهج السابق هذا ربي وانما ذكر
لما ان المشار اليه والمحكوم عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو مسمى
باسم من الاسامي فضلا عن حيثية تسميته بالشمس او لتذكير الخبر وصيانة الرب عن وصمة
التأنيث قوله تعالى هذا اكبر تاكيد لما رامه عليه الصلاة والسلام من اظهار النصفة
مع الكوكب والقمر فلما افلت قال مخاطبا للكل صادعا بالحق بين اظهرهم يا قوم اني بريء مما تشركون
اي من الذي تشركونه من الاجرام المحدثة المتغيرة من حال الى اخرى المسخرة لمحدثها او من
اشراككم • وترتيب هذا الحكم وما قبله على الافول دون البزوغ والظهور من ضرورات
سوق الاحتجاج على هذا المساق الحكيم فان كلا منهما وان كان في نفسه انتقالا منافيا
لاستحقاق معروضه للربوبية قطعا لكن لما كان الاول حالة موجبة لظهور الآثار
والاحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق في الجملة رتب عليها الحكم الاول على الطريقة المذكورة
وحيث كان الثاني حالة مقتضية لانطماس الآثار وبطلان الاحكام المنافيين للاستحقاق
المذكور منافاة بينة يكاد يعترف بها كل مكابر عنيد رتب عليها ما رتب ثم لما تبرأ عليه
الصلاة والسلام منهم توجه الى مبدع هذه المصنوعات ومنشيها فقال اني وجهت
وجهي للذي فطر السموات اي لمن ابدعها وما فيها من اجرامها والارض [illegible]
حنيفا اي مائلا عن الاديان الباطلة والعقائد الزائغة كلها وما انا من المشركين

في

في شأن الافعال والاحوال وحاجه قومه اي شرعوا في مغالبته في امر التوحيد قال
استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية محاجتهم كانه قيل فماذا قال عليه الصلاة
والسلام حين حاجوه فقيل قال منكرا لما اجترؤوا عليه من محاجته عليه الصلاة والسلام
مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم اتحاجوني في الله بادغام
نون الجمع في نون الوقاية • وقرئ بحذف الاولى قوله تعالى وقد هدان حال من ضمير
المتكلم مؤكدة للانكار فان كونه عليه الصلاة والسلام مهديا من جهة الله عز وجل
ومؤيدا من عنده مما يوجب استحالة محاجته عليه الصلاة والسلام اي اتجادلونني
في شأنه تعالى ووحدانيته والحال انه تعالى هداني الى الحق بعد ما سلكت طريقتكم
بالفرض والتقدير وتبيين بطلانها تبيينا تاما كما شاهدتموه ولا اخاف ما تشركون به
جواب عما خوفوه عليه الصلاة والسلام في اثناء المحاجة من اصابة مكروه من جهة اصنامهم
كما قال لهود عليه الصلاة والسلام قومه ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء
ولعلهم فعلوا ذلك حين فعل عليه الصلاة والسلام بآلهتهم ما فعل وما موصولة
اسمية حذف عائدها قوله تعالى الا ان يشاء ربي شيئا استثناء مفرغ من اعم الاوقات
اي لا اخاف ما تشركون به سبحانه من معبوداتكم في وقت من الاوقات الا في وقت
مشيئته تعالى من اصابة مكروه من جهتها وذلك انما هو من جهته تعالى من غير دخل لآلهتكم
فيه اصلا • وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة
والسلام اظهار منه لانقياده لحكمه سبحانه وتعالى واستسلام لامره واعتراف
بكونه تحت ملكوته وربوبيته تعالى قوله تعالى وسع ربي كل شيء علما كانه تعليل للاستثناء
اي احاط بكل شيء علما فلا يبعد ان يكون علمه تعالى ان يحيق بي مكروه من قبلها بسبب من
الاسباب وفي الاظهار في موضع الاضمار تاكيد المعنى الذي لوح اليه واستلذاذ بذكره تعالى افلا
تتذكرون اي اتعرضون عن التأمل في ان آلهتكم جمادات غير قادرة على شيء ما من نفع
ولا ضر فلا تتذكرون انها غير قادرة على اضراري • وفي ايراد التذكر دون
التفكر ونظائره اشارة الى ان امر اصنامهم مركوز في العقول لا يتوقف الا على
التذكر قوله تعالى وكيف اخاف ما اشركتم استئناف مسوق لنفي الخوف عنه
عليه الصلاة والسلام بحسب زعم الكفرة بالطريق الالزامي بعد ما نفيه عنه
بحسب الواقع ونفس الامر والاستفهام لانكار الوقوع ونفيه بالكلية • كما في قوله تعالى
كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الآية لا لانكار الواقع
واستبعاده مع وقوعه • كما في قوله سبحانه وتعالى كيف تكفرون بالله وكنتم
امواتا الآية • وفي توجيه الانكار الى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه
الى نفسه بان يقال أأخاف لما ان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال
وكيفية من الكيفيات قطعا فاذا انتفى جميع احواله وكيفياته فقد انتفى وجوده من
جميع الجهات بالطريق البرهاني قوله عز وعلا ولا تخافون انكم اشركتم بالله
حال من ضمير اخاف بتقدير مبتدأ او الواو كافية في الربط من غير حاجة الى الضمير العائد

الذي الخالي وهو مقرر لانكار الخوف ونفيه عنه عليه السلام ومفيد لاعترافهم بذلك
فانهم حيث لم يخافوا في محل الخوف فلأن لا يخاف عليه الصلاة والسلام في محل الامن اولى
واحرى اي وكيف اخاف انا ما ليس في حيز الخوف مما هو من جملة مخلوقاته عاجز عنه
بقوله سبحانه وتعالى ما لم ينزل به اي باشراكه عليكم سلطانا على طريقة التهكم
مع الايذان بان الامور الدينية لا يعول فيها الا على الحجة المنزلة من عند الله سبحانه
وتعالى • وفي تعليق الخوف الثاني باشراكهم من المبالغة ومراعاة حسن الادب
ما لا يخفى هذا • واما ما قيل من ان قوله سبحانه وتعالى ولا تخافون الى اخره
معطوف على اخاف داخل معه في حكم الانكار والتعجب فلا سبيل اليه اصلا لافضائه
الى افساد المعنى قطعا كيف لا وقد عرفت ان الانكار بمعنى النفي بالكلية فيؤول
المعنى الى نفي الخوف عنه عليه الصلاة والسلام ونفي نفيه عنهم وانه بين الفساد
وحمل الانكار في الاول على معنى نفي الوقوع • وفي الثاني على الاستبعاد الواقع مما لا
مساغ له على ان قوله تعالى فاي الفريقين احق بالامن ناطق ببطلانه حتما فانه كلام مرتب
على انكار خوفه صلى الله عليه وسلم في محل الامن مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف سوق
لالجائهم الى الاعتراف باستحقاقه عليه الصلاة والسلام لما هو عليه من الامن وبعدم
استحقاقهم لما هم عليه • وانما جيء بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم له في الجملة
لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الانصاف والمراد
بالفريقين الفريق الامن في محل الامن والفريق الامن في محل الخوف • فايثار ما عليه
النظم الكريم على ان يقال فاينا احق بالامن انا ام انتم لتأكيد الالجاء الى الجواب الصحيح
ببيان علة الحكم والتفادي عن التصريح بتخطئتهم لا لمجرد الاحتراز عن تزكية النفس • ان كنتم تعلمون
المفعول اما محذوف ثقة بظهوره بمعونة المقام اي ان كنتم تعلمون من احق بذلك او
قصد به الى التعميم اي ان كنتم تعلمون شيئا واما متروك بالمرة اي ان كنتم من اولي
العلم وجواب الشرط محذوف اي فاخبروني • الذين امنوا استئناف من جهته تعالى
مبين للجواب الحق الذي لا محيد عنه اي الفريقين الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم ذلك
اي لم يخلطوه بظلم اي بشرك كما يفعله الفريق المشرك حيث يزعمون انهم يؤمنون
بالله عز وجل وان عبادتهم للاصنام من تتمات ايمانهم واحكامه لكونها لاجل التقرب
والشفاعة كما قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط • اولئك اشارة
الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وفي الاشارة اليه بعد وصفه بما ذكر ايذان
بانهم متميزون بذلك عن غيرهم وانتظموا في سلك الامور المشاهدة • وما فيه من معنى
البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدأ ثان • وقوله
لهم الامن جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر وقعت خبرا لاولئك وهو مع خبره خبر للمبتدأ
الاول الذي هو الموصول او عطف بيان له ولهم خبر الموصول والامن فاعل للظرف
لاعتماده على المبتدأ • ويجوز ان يكون لهم خبرا مقدما والامن مبتدأ • والجملة خبر
للموصول • ويجوز ان يكون اولئك مبتدأ ثانيا ولهم خبره والامن فاعلا • والجملة خبر

للموصول

للموصول اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الايمان الخالص عن شوب الشرك لهم الامن فقط
وهم مهتدون الى الحق ومن عداهم في ضلال مبين • روي انه لما نزلت الاية شق
ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه • فقال صلى الله عليه وسلم ليس ما تظنون انما
هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم • وليس الايمان به
ان يصدق بوجود الصانع الحكيم • ويخلط بهذا التصديق الاشراك به • وليس من
قضيته الخلط بينهما الامتناع بعد الخلط حقيقة • وقيل المراد بالظلم المعصية التي
تفسق صاحبها والظاهر هو الاول لوروده مورد الجواب عن حال الفريقين • وتلك
اشارة الى ما احتج به ابراهيم عليه الصلاة والسلام من قوله تعالى فلما جن عليه الليل
وقيل من قوله اتحاجوني الى قوله تعالى مهتدون • وما في اسم الاشارة من معنى البعد
لتفخيم شان المشار اليه والاشعار بعلو طبقته وسمو منزلته في الفضل وهو مبتدأ وقوله
تعالى حجتنا خبره وفي اضافتها الى نون العظمة من التفخيم ما لا يخفى وقوله تعالى اتيناها
ابراهيم اي ارشدناه اليها او علمناه اياها في محل النصب على انه حال من حجتنا والعامل
فيها معنى الاشارة كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا او في محل الرفع على انه خبر
ثان او هو الخبر وحجتنا بدل او بيان للمبتدأ وابراهيم مفعول اول لاتيناها قدم عليه
الثاني لكونه ضميرا وقوله تعالى على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبرا لتلك او بمحذوف ان جعل
بدلا اي اتيناها ابراهيم حجة على قومه وقيل بقومه اتيناها • نرفع بنون العظمة • وقرئ
بالياء على طريقة الالتفات • وكذا الفعل الاتي درجات اي رتبا عالية عظيمة من العلم
والحكمة وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات او على التمييز
والمفعول قوله تعالى من نشاء وتاخيره على الوجوه الثلاثة لما مر من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر ومفعول المشيئة محذوف اي من نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة
وتستدعيه المصلحة • وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على ان ذلك سنة مستمرة
جارية فيما بين المصطفين الاخيار غير مختصة بابراهيم عليه الصلاة والسلام • وقرئ
بالاضافة الى من • والجملة مستانفة مقررة لما قبلها لا محل لها من الاعراب • وقيل هي
في محل النصب على انها حال من فاعل اتيناها اي حال كوننا رافعين الخ • ان ربك حكيم في
ما فعل من رفع وخفض عليم بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة • والجملة
تعليل لما قبلها • وفي وضع الرب مضافا الى ضميره عليه الصلاة والسلام اظهار لمزيد
لطف وعناية به صلى الله عليه وسلم • ووهبنا له اسحاق ويعقوب عطف على قوله تعالى
وتلك حجتنا الى اخره فان عطف كل من الجملة الفعلية والاسمية على الاخرى مما لا نزاع في
جوازه ولا مساغ لعطفه على اتيناها لان له محلا من الاعراب نصبا او رفعا حسبما بين من
قبل فلو عطف عليه لكان في حكمه من الحالية والخبرية المستدعيتين للرابط
ولا سبيل اليه ههنا • كلا مفعول لما بعده وتقديمه عليه للقصر لكن لا بالنسبة الى
غيرهما مطلقا بل بالنسبة الى احدهما اي كل واحد منهما هدينا لا احدهما دون الاخر
وترك ذكر المهدي اليه لظهوره انه الذي اوتي ابراهيم عليه الصلاة والسلام

وانما متعهد بان به نوحا منسوب بفعل مضمر يفسره هدينا من قبل اي من قبل ابراهيم عليه
الصلاة والسلام عد هداه نعمة على ابراهيم عليهما الصلاة والسلام لان شرف الوالد
سار الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم عليه الصلاة والسلام لان مساق النظم
الكريم لبيان شؤونه العظيمة من ايتا الحجة ورفع الدرجات وهبة الاولاد الانبيا
وابقا سنة الكرامة في نسله الى يوم القيمة كل ذلك لالزام من ينتمي الى ملته عليه
الصلاة والسلام من المشركين واليهود • وقيل لنوح لانه اقرب • ولان يونس ولوطا
ليسا من ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام • فلو كان الضمير له لاختص بالمعدودين
في هذه الاية والتي بعدها • واما المذكورون في الاية الثالثة فعطف على نوحا • وروي
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان هولا الانبيا الكرام عليهم الصلاة والسلام كلهم
مضافون الى ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام • وان كان منهم من لم يلحقه بولاد من قبل
ام ولا اب لان لوطا ابن اخي ابراهيم عليه السلام والعرب تجعل العم ابا كما اخبر الله تعالى
عن ابنا يعقوب انهم قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحاق مع ان اسمعيل
عم يعقوب داود وسليمان منصوب بفعل مضمر لما سبق وكذا ما عطف عليهما وبه يتعلق من
ذريته وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام به لانه مع ما في المتعاطفين نوع طول ربما يخل بتجاوب
تجاوب النظم الكريم اي وهدينا من ذريته داود وسليمان وايوب هو ابن اموص من اسباط
عيسى ابن اسحاق ويوسف وموسى وهارون او بمحذوف وقع حالا من المذكورين اي وهدينا
حال كونهم من ذريته وكذلك اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من جزا ابراهيم عليه السلام
ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نجزي المحسنين جزا مثل ذلك
الجزا التقديم للقصر وقد مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين الجنس وبمماثلة جزايهم لجزايه
عليه الصلاة والسلام مطلق المشابهة في مقابلة الاحسان بالاحسان والمكافاة بين الاعمال
والاجزية من غير بخس لا المماثلة من كل وجه ضرورة ان الجزا بكثرة اولاد الانبيا مما اختص
بابراهيم عليه الصلاة والسلام والاقرب ان لام المحسنين للعهد وذلك اشارة الى
مصدر الفعل الذي بعده وهو عبارة عما اولي المذكورين من فنون الكرامات • وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو طبقته والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من
الفخامة ومحلها النصب في الاصل على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نجزي
المحسنين المذكورين جزا كاينا ذلك ثم قدم على الفعل لافادة القصر المؤكد لا نعتا له اي وذلك
الجزا البديع نجزي المحسنين المذكورين لا جزا ادنى منه والاظهار في موضع الاضمار
للثنا عليهم بالاحسان الذي هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه اللايق
الذي هو حسنها الوصفي المقارن لحسنها الذاتي • وقد فسره صلى الله عليه وسلم •
بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك • والجملة اعتراض مقرر لما قبلها
وزكريا هو ابن ادن ويحيى ابنه وعيسى هو ابن مريم وفيه دليل على ان الذرية تتناول
اولاد البنات والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى
وقيل هو من اسباط هارون بن موسى عليهم الصلاة والسلام كل اي كل واحد من اولئك

المذكورين

اولئك المذكورين من الصالحين اي من الكاملين في الصلاح الذي هو عبارة عن الاتيان بما ينبغي
والتحرز عما لا ينبغي • والجملة اعتراض جي بها للثنا عليهم بالصلاح واسمعيل واليسع هو ابن اخطوب
ابن العجوز • وقرئ واللّيسع وهو على القراتين علم اعجمي دخل عليه اللام ولا اشتقاق
له • وقيل انه يوشع ابن نون • وقيل انه منقول من مضارع وسع واللام كما في يزيد
في قول من قال •

رايت الوليد بن اليزيد مباركا • شديدا باعبا الخلافة كاهله •

ويونس هو ابن متى ولوطا هو ابن هاران بن اخي ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكلا
اي وكل واحد من اولئك المذكورين فضلنا بالنبوة لا بعضهم دون بعض على العالمين
على عالمي عصرهم • والجملة اعتراض كاختها وقوله تعالى ومن ابايهم وذرياتهم واخوانهم
اما متعلق بما تعلق به من ذريته ومن ابتدائية فالمفعول محذوف اي وهدينا من ابايهم
وذرياتهم واخوانهم جماعات كثيرة واما معطوف على كلا ومن تبعيضية اي وفضلنا بعض
ابايهم الخ واجتبيناهم عطف على فضلنا اي اصطفيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم
تكرير للتاكيد وتمهيد لما بعده لبيان ما هدوا اليه ذلك اشارة الى ما يفهم من النظم
من مصادر الافعال المذكورة • وقيل الى ما دانوا به وما في ذلك من معنى البعد كما مر مرارا
هدى الله الذي اضافه للتشريف يهدي به من يشا من عباده وهم المستعدون للهداية
والارشاد وفيه اشارة الى انه تعالى متفضل بالهداية ولو اشركوا اي هولا المذكورين
لحبط عنهم مع فضلهم وعلو طبقاتهم ما كانوا يعملون من الاعمال المرضية الصالحة فكيف من
عداهم وهم هم واعمالهم اعمالهم • اولئك اشارة الى المذكورين من الانبيا الثمانية عشر
والمعطوفين عليهم عليهم الصلاة والسلام باعتبار اتصافهم بما ذكر من الهداية وغيرها من
النعوت الجليلة الثابتة لهم • وما فيه من معنى البعد للايذان بما مر غير مرة من علو طبقتهم
وبعد منزلتهم في الفضل والشرف وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب
اي جنس الكتاب المتحقق في ضمن اي فرد كان من افراد الكتب السماوية والمراد بايتايه التفهيم
التام لما فيه من الحقايق والتمكين من الاحاطة بالجلايل والدقايق اعم من ان يكون ذلك
بالانزال ابتدا او بالايراث بقا فان المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين
والحكم اي الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحكمة والصواب والنبوة اي الرسالة فان
يكفر بها اي بهذه الثلاثة او بالنبوة الجامعة للباقين هؤلا اي كفار قريش فانهم كفروا
برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما انزل اليه من القران كما فروا بما يصدقه جميعا وتقديم
الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فقد
وكلنا بها اي امرنا بمراعاتها ووفقنا للايمان بها والقيام بحقوقها قوما ليسوا بها
بكافرين في وقت من الاوقات بل مستمرون على الايمان بها فان الجملة الاسمية الايجابية
كما تفيد دوام الثبوت كذلك تفيد دوام النفي بمعونة المقام لا نفي الدوام كما حقق
في مقامه • قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد هم الانصار واهل المدينة • وقيل
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم • وقيل كل من امن من بني ادم • وقيل الفرس [illegible]

بها ولا الطوائف موفقون للإيمان بالأنبياء وبالكتب المنزلة إليهم عاملون بما فيها من أصول
الشرائع وفروعها الباقية في شريعتنا وبه يتحقق الخروج من عهدة التكليف والتوكيل دون
المنسوخة فيها فإنها بانتساخها خارجة عن كونها من أحكامها وقد مر تحقيقه في سورة المائدة
وقيل هم الأنبياء المذكورون والمراد بالتوكيل الأمر بما هو أعم من إجراء أحكامها كما هو شأنهم
في حق كتابهم ومن اعتقاد حقيتها كما هو شأنهم في حق سائر الكتب التي من جملتها القرآن الكريم
وقيل هم الملائكة فالتوكيل هو الأمر بإنزالها وحفظها واعتقاد حقيتها. وأيا ما كان
فتنكير قوما للتفخيم والباء الأولى صلة لكافرين قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية
لتأكيد النفي. وأما تقديم بها على مفعوله الصريح فلما ذكر آنفا من الاهتمام بالمقدم
والتشويق إلى المؤخر ولأن فيه نوع طول ربما يؤدي تقديمه إلى الإخلال بتجاذب أطراف النظم
الكريم وإلى لعنته والموصوف وجواب الشرط محذوف ينبئ عليه المذكور أي فإن
يكفر بها هؤلاء فلا اعتداد به أصلا فقد وفقنا للإيمان بها قوما فخاما ليسوا بها بكافرين
فيها بل مستمرون على الإيمان بها والعاملون فيها فيما بينهم بها منه وخرجنا ما ان هؤلاء ولا من
سبقنا ينبغي أن الوجه أن يكون المراد بالقوم إحدى الطوائف المذكورة إذ إيمانهم بالقرآن
والعمل بأحكامه. وأما الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام فإيمانهم به ليس
من قبيل إيمان آحاد الأمة كما أشير إليه {أولئك} إشارة إلى الأنبياء المذكورين وما فيه من
معنى البعد للإيذان بعلو رتبتهم وسمو منزلتهم أي وقوله تعالى {الذين هدى الله} أي إلى
الحق والنهج المستقيم والالتفات إلى الاسم الجليل للإشعار بعلة الهداية {فبهداهم
اقتده} أي فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم في
الإيمان بالله تعالى وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فإنها بعد
النسخ لا تبقى هدى والهاء في اقتده للوقف حقها أن تسقط في الدرج واستحسن إثباتها
فيه أيضا إجراء له مجرى الوقف واتباعا للإمام. وقرئ بإشباعها على أنها كناية المصدر
{قل لا أسألكم عليه} أي على القرآن أو على التبليغ فإن مساق الكلام يدل عليهما وإن لم
يجر ذكرهما {أجرا} من جهتكم كما لم يسأله من قبلي من الأنبياء عليهم السلام وهذا من جملة
ما أمر صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم فيه {إن هو} أي ما القرآن {إلا ذكرى للعالمين}
إلا عظة وتذكير لهم كافة من جهته سبحانه فلا يختص بقوم دون آخرين {وما قدروا الله}
لما بين شأن القرآن العظيم وأنه نعمة جليلة منه تعالى على كافة الأمم حسبما يتحقق به قوله
تعالى {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} عقب ذلك ببيان عظم إبائها وكفرهم بها ووجه
سراية ذلك إلى الكفر بجميع الكتب الإلهية. وأصل القدر السبر والحزر يقال قدر الشيء
وقدره بالتخفيف إذا سبره وحزره ليعرف مقداره ثم استعمل في معرفة الشيء بمقداره
وأحواله وأوصافه وقوله تعالى {حق قدره} نصب على المصدرية وهي في الأصل صفة للمصدر
أي قدره الحق فلما أضيفت إلى موصوفها انتصب على ما كان ينتصب عليه موصوفه أي ما
عرفوه تعالى حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى في
ذلك بل أخلوا بها إخلالا {إذ قالوا} منكرين لبعثة الرسل وإنزال الكتب كافرين بنعمه الجليلة

فيها

فيها {ما أنزل الله على بشر من شيء} فيبنى من قدره لعدم سبحانه كناية عن حطهم لقدره الجليل ووصفهم
له تعالى بنقيض لعنته الجميل كما أن نفي المحبة في مثل إن الله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والسخط
والأشنق معرفة قدره تعالى يتحقق مع عدم التعرض لحطه بإنكار السنن في حسبنا المعرفة كما في قول
من يناجي مستقصرا لمعرفته وعبادته سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك
أو ما عرفوه حق معرفته في السخط على الكفار وشدة بطشه تعالى بهم حسبما نطق به القرآن حسبما
نطق به القرآن أجر وإنما التنوع بهذه العظيمة المستتبعة لنفي بعثة الحقيقي والقائلون هم
اليهود وقد قالوه مبالغة في الكفار إنزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فألزموا ما
لا سبيل لهم إلى إنكاره أصلا فقيل {قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى} أي قل
لهم ذلك على طريق التبكيت والإلزام الحجر. وروي أن مالك بن الصيف من أحبار
اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي أنزل
التوراة على موسى عليه الصلاة والسلام هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين
فأنت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت
إلى عمر رضي الله عنه فقال ما أنزل الله على بشر من شيء فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن
الأشرف. وقيل هم المشركون وإلزامهم بإنزال التوراة لما أنه كان عندهم من المسلمات
الثابتة. ولذلك كانوا يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم
ووصف الكتاب بالموصول لزيادة التقرير وتشديد التبكيت وكذا
بقوله تعالى {نورا وهدى} فإن كونه نورا للنفس ومبينا لغيرهم ما يؤكد الإلزام
أي كاشفه أو انتصابهما على الحالية من الكتاب والعامل أنزل التوراة أو من
الضمير في به والعامل جاء واللام في قوله تعالى {للناس} إما متعلق بهدى أو بمحذوف
موصوفة له أي هدى كائنا للناس. وليس المراد بهذا مجرد إلزامهم الاعتراف بإنزال
التوراة فقط بل بإنزال القرآن أيضا فإن الاعتراف بإنزالها مستلزم للاعتراف بإنزاله
قطعا لما فيها من الشواهد الناطقة به وقد نعى عليهم ما فعلوا بها من التحريف والتغيير
حيث قيل {تجعلونه قراطيس} أي تضعونه في قراطيس مقطعة وورقات مفرقة بحذف الجار بناء
على تشبيه القراطيس بالظرف المبهم أو تجعلونه نفس القراطيس المقطعة وفيه زيادة توبيخ
لهم بسوء صنيعهم كأنهم أخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلة القراطيس الخالية عن الكتابة
والجملة حال كما سبق وقوله تعالى {تبدونها} صفة لقراطيس وقوله تعالى {وتخفون كثيرا}
معطوف عليه والعائد إلى الموصوف محذوف أي كثيرا منها. وقيل كلام مبتدأ لا
محل لها من الإعراب. والمراد بالكثير نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وسائر ما كتموه من
أحكام التوراة. وقرئ الأفعال الثلاثة بالياء حملا على قالوا وما قدروا وقوله تعالى {وعلمتم
ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم} حال من فاعل تجعلونه بإضمار قد أو بدونه
على اختلاف الرأيين فينبغي أن يجعل ما عبارة عما أخذوه من الكتاب من العلوم والشرائع
ليكون التقييد بالحال مفيدا لتأكيد التوبيخ وتشديد التشنيع فإن ما فعلوا بالكتاب
من التحريف والتغيير لما ذكر من الإبداء والإخفاء شناعة عظيمة في نفسها ومع ملاحظة

كونه شاهد الحال بمحمد ومعارفهم ما تشبع واعظم لاعمالهم من جهة النبي عليه افضل الصلاة
والسلام زيادة على ما في التوراة وبيانا لما التبس عليهم وعلى آبائهم من مشكلاتها
يتعلق به قوله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون
كما قالوا الان نعمهم لذلك من القرآن الكريم ليس مما يجاحم ما صنعوا بالتوراة • اما
ما اورد به زيادة على ما فيها فلانه لا تعلق له بها نفيا ولا اثباتا • واما ما اورد به
طريق البيان فلان مدار ما فعلوا بها من التبديل والتحريف ليس ما وقع فيها من الباب
الا من واشباه الحال حتى سلموا من ذلك بايضاحه وبيانه فتكون الجملة حينئذ خالية
من ما كتبه التوبيخ فلا يستحق ان تنتج موقع الحال • بل الوجه حينئذ استينافا مقررا
لما قبلها من مجيء الكتاب بطريق التكملة والاستطراد والتمهيد لما يعقبه من مجيء
القرآن • ولا سبيل الى جعلها عبارة عما كتموه من احكام التوراة لا يبعد عنه قوله
تبارك وتعالى قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كما يظنون وان
كان مرجع الضمير الخطاب مخافة الانفتاح ومحالو وقع الجملة في موقع الحال لكن ذلك مما
يجعله الكاملون فيما • هذا اذا كان بيد الخطاب لمن امن من قريش • كما في قوله سبحانه وتعالى
لتنذر قوما ما انذر اباؤهم • وقوله تبارك وتعالى قل الله اي ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجواب عنهم اشعارا بتعيين الجواب بحيث لا محيد عنه وايذانا بانهم الجواب لم يقدروا على التكلم
اصلا ثم ذرهم في خوضهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة والقام الحجر يلعبون
حال من الضمير الاول والظرف صلة للفعل المقدم او المؤخر او متعلق بمحذوف هو حال من
مفعول الاول وهذا كتاب انزلناه تحقيق لانزال القرآن الكريم بعد تقرير انزال
ما تقدمه من التوراة وتكذيب لطرفي كلمتهم الشنعا او تكذيب مبارك اي كثير الفوائد
جم المنافع مصدق الذي بين يديه من التوراة لنزوله حسبما وصف فيها او الكتب
التي قبلها فانه مصدق للكل في اثبات التوحيد والامر به ونفي الشرك والنهي عنه وفي
اصول الشرائع التي لا تنسخ ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات
ولانذار اهل مكة وانما ذكرت باسمها المنبي عن كونها اعظم القرى شانا وقبله
لاهلها قاطبة ايذانا بان انذار اهلها مستتبع لانذار اهل الارض كافة • وقرئ ليتذر
بالياء على ان الضمير للكتاب ومن حولها من اهل البدو والحضر في المشارق والمغارب
والذين يؤمنون بالاخرة وبما فيها من اصناف العذاب يؤمنون به اي بالكتاب لانهم
يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتامل حتى يؤمنوا به وهم
على صلاتهم يحافظون تخصيص محافظتهم على الصلاة بالذكر من بين سائر العبادات التي
لا بد للمؤمنين من ادائها للانباء بانافتها من بين سائر الطاعات وكونها اشرف العبادات
بعد الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه سبحانه وتعالى بعثه نبيا كمسيلمة
الكذاب والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما من الحل والحرمة كعمرو بن لحي ومتابعيه
اي هو اظلم من كل ظالم • وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم منه انكارا من غير تعرض لنفي المساوي
وانكاره فان الاستعمال الفاشي في مثل ذلك من افضل من فلان او لا اكرم منه على انه افضل

من

من كل فاضل واكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام فيه او قال اوحي الي من جهته تعالى ولم
يوح اليه شيء اي والحال انه لم يوح اليه • اما لعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب
للنبي عليه افضل الصلاة والسلام • فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
فلما بلغ ثم انشاناه خلقا اخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من خلق تفصيله الانسان
فقال صلى الله عليه وسلم اكتبها كذلك فكذا نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا فلقد
اوحي الي مثل ما اوحي اليه ولئن كان كاذبا فلقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل
ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعول
ترى لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمون اذ هم في غمرات الموت اي شدائده من
غمره اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم كالمتقاضي المسلط الملح يبسط
يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة من غير امهال وتنفيس اي باسطوها بالعذاب
قائلين اخرجوا انفسكم اي اخرجوها الينا من اجسادكم او اخلصوا انفسكم
من العذاب اليوم اي وقت الامانة او الوقت الممتد من الامانة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب
الهون اي العذاب المتضمن لشدة واهانة باضافته الى الهون وهو الهوان لعراقته فيه
بما كنتم تقولون على الله غير الحق كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة
والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون بها ولقد جئتمونا
للحساب فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وغير ذلك مما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان
والاصنام التي كنتم تزعمون انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى وقرئ
فرادا كرجال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل من فرادى
اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية عند من يجوز تعددها او حال من الضمير
في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم في الدنيا حفاة عراة غرلا بهما او صفة مصدر فجئتمونا اي
مجيئا كخلقنا لكم او لا وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة
وراء ظهوركم ولم تحتملوا الى ما نعمتم بدنيا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم
فيكم شركاء اي شركاء لله تعالى في الربوبية واستحقاق العبادة لقد تقطع بينكم اي وقع التقطع
بين الشيئين اي اوقع الجمع بينهما • وقرئ بينكم بالرفع على اسناد
الفعل الى الظرف كما يقال قوتل خلفكم او على ان البين اسم للفصل والوصل
اي تقطع وصلكم وقرئ ما بينكم وضل عنكم اي ضاع وغاب ما كنتم تزعمون انها
شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى شروع في تقرير بعض افاعيله
تعالى الدالة على كمال علمه وقدرته ولطيف صنعه وحكمته اثر تقرير ادلة التوحيد
والفلق الشق بابانة تعالى اي شاق الحب بالنبات والنوى بالشجر • وقيل المراد به الشق
الذي في الحبوب والنوى اي خالقها كذلك كما في قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها
وقيل الفلق بمعنى الخلق • قال الواحدي ذهبوا بالفالق مذهب فاطر يخرج الحي من
الميت اي يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب • والجملة
مستانفة مبينة لما قبلها وقيل خبر ثان لان قوله تعالى ومخرج الميت كالنطفة والحب

من الحي والحيوان والنبات عطف على فالق لا على مخرج على الوجه الاول لان اخراج الميت
من الحي ليس من قبيل فلق الحب والنوى ذلكم القادر العظيم الشان هو الله المستحق
للعبادة وحده فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن عبادته الى غيره ولا سبيل اليه اصلا
فالق الاصباح خبر اخر لان او لمبتدا محذوف والاصباح مصدر سمي به الصبح
وقرئ بفتح الهمزة على انه جمع صبح اي فالق عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره او فالق
ظلمة الاصباح وهي الغبش الذي على الصبح وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل
الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن
اليه استيناسا به او ليسكن فيه الخلق من قوله تعالى لتسكنوا فيه وقرئ جاعل الليل
وانتصاب سكنا بفعل دل عليه جاعل فيه الخلق وقيل بنفسه على ان المراد به الجعل
المستمر في الازمنة المتجددة حسب تجددها لا الجعل الماضي فقط وتمام العامل من الفعل
المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني وان كان بمعنى الماضي لانه لما اضيف الى الاول تعين
نصبه للثاني لتعذر الاضافة بعد ذلك والشمس والقمر معطوفان على الليل وعلى القراءة
الاخيرة وقيل معطوفان على محله والاحسن نصبهما حينئذ بفعل مقدر وقد قرئا
بالجر والرفع ايضا على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا اي على ادوار
مختلفة يحسب بها الاوقات التي نيط بها العبادات والمعاملات او محسوبان حسابا
والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ذلك اشارة الى
جعلهما كذلك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته اي
ذلك التسيير البديع تقدير العزيز الغالب القاهر الذي لا يستعصي عليه شيء من
الاشياء التي من جملتها تسييرهما على الوجه المخصوص العليم بجميع المعلومات التي من جملتها
ما في ذلك التسيير من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعادهم وهو الذي جعل لكم
النجوم شروع في بيان نعمته تعالى في الكواكب اثر بيان نعمته تعالى في النيرين والجعل متعد
الى واحد واللام متعلقة به وتاخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور لما مر مرارا من
من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي انشاها وابدعها لاجلكم فقوله تبارك
وتعالى لتهتدوا بها بدل من المجرور باعادة العامل بدل اشتمال كما في قوله تعالى لجعلنا
لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون والنعمة فيه
جعل النجوم لاهتدائكم لكن لا على ان غاية خلقها ذلك فقط مفعولا ثانيا للجعل
بمعنى التصيير اي جعلها كائنة لاهتدائكم في اسفاركم عند دخولكم المفاوز والبحار كما ينبئ عنه
قوله تعالى في ظلمات البر والبحر اضافتها اليهما للملابسة فان الحاجة الى الاهتداء بها
انما يتحقق عند ذلك او في مشتبهات الطرق عبر عنها بالظلمات على طريقة الاستعارة قد
فصلنا الايات اي بينا الايات المتلوة المذكورة لنعمه التي هذه النعمة من جملتها او
الايات التكوينية الدالة على شؤونه تعالى مفصلة لقوم يعلمون اي معاني الايات
المذكورة ويعملون بموجبها او يتفكرون في الايات التكوينية فيعلمون حقيقة الحال
وتخصيص التفصيل بهم مع عمومه للكل لانهم المنتفعون به وهو الذي انشاكم من نفس واحدة

تذكير

تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى دالة على عظيم قدرته ولطيف صنعه وحكمته اي انشاكم
مع كثرتكم من نفس ادم عليه الصلاة والسلام فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في
ع الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او مع استقرار واستيداع
فيما ذكر والتعبير عنهم من كونهم في الاصلاب او فوق الارض بالاستقرار لانها مقرهم الطبيعي
وحمل الاستيداع على كونهم في الاصلاب وليس بواضح وقرئ مستقر بكسر القاف
اي فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان الاستقرار منا بخلاف الاستيداع قد فصلنا
الايات المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الاية ونظائرها لقوم يفقهون غوامض
الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر فان لطائف صنع الله عز وجل في اطوار تخليق
بني ادم مما يحار في فهمه الالباب وهو السر في ايراد يفقهون على يعلمون كما ورد في شان النجوم
وهو الذي انزل من السماء ماء تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى منبئة عن كمال قدرته
وسعة رحمته اي انزل من السحاب او من سمت السماء ماء خاصا هو المطر وتقديم الجار
والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا فاخرجنا به التفت الى التكلم اظهارا لكمال
العناية بشان ما انزل الماء لاجله فاخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته نبات كل
شيء من الاشياء التي من شانها النمو من اصناف النجم والشجر وانواعها المختلفة في الكم
والكيف والخواص والاثار اختلافا متفاوتا في مراتب الزيادة والنقصان حسبما
نفصح عنه قوله تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقوله تعالى فاخرجنا
منه خضرا شروع في تفصيل ما اجمل من الاخراج وقد بدئ بتفصيل حال النجم اي
فاخرجنا من النبات الذي لا ساق له شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور واكثر
ما يستعمل الخضر فيما يكون خضرته خلقية وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة
قوله تعالى نخرج منه صفة لخضرا وصيغة المضارع لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة
اي نخرج من ذلك الخضر حبا متراكبا هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق
بعض على هيئة مخصوصة وقرئ يخرج منه حب متراكب وقوله تعالى ومن النخل
شروع في تفصيل حال الشجر اثر بيان حال النجم فقوله تعالى من النخل خبر مقدم وقوله
تعالى من طلعها بدل منه باعادة العامل كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة
حسنة الاية والطلع شيء يخرج من النخل كانه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود وقوله
تعالى قنوان مبتدا اي وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة
اخرجنا عليه اي ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرا يخرج منه حب متراكب كان قنوان
عنده معطوفا على حب وعلى المعنى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل
شيء من طلعها قنوان وهو جمع قنو وهو عنقود النخلة كصنو وصنوان وقرئ بضم
القاف كذئب وذؤبان وبفتحها ايضا على انه اسم جمع لان فعلان ليس من ابنية الجمع
دانية سهلة المجتنى قريبة من القاطف فانها وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تاتي بالثمر
لا ينتظر الطول او ملتفة متقاربة والاقتصار على ذكرها عن مقابلها لان النعمة فيها اظهر كقوله
تعالى سرابيل تقيكم الحر او لزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات

كل حي اي واخرجنا به جنات كائنة من اعناب • وقرئ جنات بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثمة
جنات • وقيل عطفه على قنوان • كأنه قيل وحاصلة او مخرجة من النخل قنوان وجنات
من نبات اعناب • ولعل زيادة الجنات ههنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس كما فيما تقدم
وما تأخر لما ان الانتفاع بهذا الجنس لا يتأتى غالبا الا عند اجتماع طائفة من افراده والزيتون
والرمان منصوبان على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم او على العطف على نبات
قوله مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون اكتفى به عن حال ما عطف عليه كما يكتفى
بخبر المعطوف عليه عن خبر المعطوف في نحو قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه • وتقديره
والزيتون مشتبها وغير متشابه والرمان كذلك • ويجوز ان يكون حالا من الرمان
لقربه ويكون المحذوف حال الاول والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في الهيئة
والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الاوصاف الدالة على كمال قدرة صانعها
وحكمة منشئها ومبدعها انظروا الى ثمره اذا اثمر نظر اعتبار واستبصار
اذا اخرج ثمره كيف يخرجه لا يكاد ينتفع به • وقرئ الى ثمره وينعه اي والى حال نضجه كيف
يصير الى كمال اللائق به ويكون شيئا جامعا لمنافع جمة والينع في الاصل مصدر ينعت الثمرة
اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر • وقرئ بالضم وهي لغة فيه • وقرئ يانعه
ان في ذلكم اشارة الى ما امر بالنظر اليه وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة
المشار اليه وبعد منزلته لآيات لقوم يؤمنون لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وجود
القادر الحكيم ووحدته فان حدوث هاتيك الاجناس المختلفة والانواع المتشعبة
من اصل واحد وانتقالها من حال الى حال على نمط بديع تحار فيه الالباب لا يكون الا
باحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا
يعوقه عن ذلك معارض يناويه او ضد يعانده ولذلك عقب بتوبيخ من اشرك به والرد عليه
حيث قيل وجعلوا لله شركاء اي جعلوا في اعتقادهم الذي شأنه ما فصل في تضاعيف هذه الآيات
الجليلة شركاء الجن اي الملائكة حيث عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وتسميتهم جنا
لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم بالنسبة الى مقام الالوهية او الشياطين حيث اطاعوهم كما اطاعوا الله تعالى
او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع • والشيطان خالق
الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا قوله تعالى شركاء الجن قدم ثانيهما على الاول
لاستعظام ان يتخذ لله سبحانه شريك ما كائنا ما كان ولله متعلق بشركاء قدم عليه
للنكتة المذكورة • وقيل هما لله شركاء والجن بدل من شركاء مفسر له نص عليه الفراء
وابو اسحاق او منصوب بمضمر وقع جوابا عن سؤال مقدر نشأ من قوله تعالى وجعلوا لله شركاء
كأنه قيل من جعلوهم شركاء لله تعالى فقيل الجن اي جعلوا الجن • ويؤيده قراءة ابي حيوة
ويزيد بن قطيب الجن بالرفع على تقدير هم الجن في جواب من قال من الذين جعلوهم شركاء لله
تعالى • وقد قرئ بالجر على ان الاضافة للتبيين وخلقهم حال من فاعل جعلوا بتقدير قد
او بدونه على اختلاف الرأيين مؤكدة لما في جعلهم ذلك من كمال القباحة والبطلان
باعتبار علمهم بمضمونها اي وقد علموا ان الله تعالى خالقهم خاصة وقيل الضمير للشركاء اي والحال

انه تعالى خالق الجن فكيف يجعل المخلوق شريكا له تعالى • وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اي
وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم بالافك حيث نسبوه اليه تعالى
وخرقوا له اي افتعلوا وافتروا له • يقال خلق الافك واختلقه وخرقه واخترقه
بمعنى • وقرئ خرقوا بالتشديد للتكثير • وقرئ وحرفوا له اي زوروا بنين وبنات
فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب
الملائكة بنات الله بغير علم اي بحقيقة ما قالوه من خطأ او صواب بل رميا بقول عن عمى
وجهالة من غير فكر وروية او بغير علم بمرتبة ما قالوه وانه من الشناعة والبطلان
بحيث لا يقادر قدره والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا او نعت لمصدر
مؤكد له اي خرقوا ملتبسين بغير علم او خرقا كائنا بغير علم سبحانه استئناف مسوق
لتنزيهه عز وجل عما نسبوه اليه وسبحان مصدر علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا
وقولا اي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن
ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح
سبحانه اي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقيا بشأنه وفيه مبالغة من
جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل • ومن جهة العدول عن المصدر الدال
على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن
ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل • وقيل هو مصدر كغفران لانه سمع له فعل ثلاثي
كما ذكر في القاموس ومعناه التنزه التام والتباعد الكلي ففيه مبالغة من حيث اسناد
التنزه الى ذاته المقدسة اي تنزه بذاته تنزها لائقا به وهو الانسب بقوله سبحانه وتعالى
فانه معطوف على الفعل المضمر لا محالة • وما في السبحان والتعالي من معنى التباعد
قيل عما يصفون اي متباعد عما يصفونه من ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض
اي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه • فان البديع كما يطلق على المبدع
يطلق على المبتدع نص عليه ائمة اللغة كالصريع بمعنى المصرع وقد جاء بديع كسميع
بمعنى المنشئ كما نص عليه في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله
امن ريحانة الداعي السميع • يؤرقني واصحابي هجوع • وقيل
هو من اضافة الصفة المشبهة الى الفاعل للتخفيف بعد نصبه تشبيها لها باسم الفاعل
كما هو المشهور اي بديع سمواته وارضه من بدع اذا كان على نمط عجيب وحسن رائق او الى
الظرف • كما في قولهم ثبت الغدر يعني انه عديم النظير فيهما والاول هو الوجه والمعنى
انه تعالى مبدع لقطري العالم العلوي والسفلي بلا مادة فاعل على الاطلاق منزه
عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانتقال مادته عنه فكيف يمكن ان
يكون له ولد • وقرئ بديع بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الاسم الجليل
او من الضمير المجرور في سبحانه على رأي من يجيزه وارتفاعه في القراءة المشهورة على انه
خبر مبتدأ محذوف او فاعل تعالى والاظهار في موضع الاضمار لتعليل الحكم وتوسيط
الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام ببيانه او مبتدأ خبره قوله انى يكون له ولد

وهو على الاول جملة مستقلة مسوقة كما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه اليه تعالى وتقرير
تنزهه عنه • وقوله ولم تكن له صاحبة حال مؤكدة للاستحالة المذكورة فان انتفاء ان يكون
له تعالى صاحبة مستلزم لانتفاء ان يكون له ولد ضرورة استحالة وجود الولد بلا والدة
وان امكن وجوده بدون والد وانتفاء الاول مما لا ريب فيه لاحد فمن ضرورته انتفاء الثاني
اي من اين او كيف يكون له ولد كما زعموا والحال انه ليس له على زعمهم صاحبة يكون الولد منها •
وقرئ لم يكن بتذكير الفعل للفصل او لان الاسم ضمير له تعالى والخبر هو الظرف •
وصاحبة مرتفع على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدأ
والجملة خبر للكون على هذا الوجه ويجوز ان يكون الاسم ضمير الشأن لصلاحية
الجملة حينئذ لان تكون مفسرة لضمير الشأن لا على الوجه الاول كما بين في موضعه
ان ضمير الشأن لا يفسر الا بجملة صريحة • وقوله وخلق كل شيء اما جملة مستأنفة اخرى
سيقت لتحقيق ما ذكر من الاستحالة او حال اخرى مقررة لما قبلها اي انى يكون له
ولد والحال انه خلق كل شيء انتظمه التكوين والايجاد من الموجودات التي من جملتها
ما سموه ولد الله تعالى فكيف يتصور ان يكون المخلوق ولدا لخالقه • وهو بكل شيء من
شأنه ان يعلم كائنا ما كان مخلوقا او غير مخلوق كما ينبئ عنه ترك الاضمار الى الاظهار
عليم مبالغ في العلم ازلا وابدا حسبما يعرب عنه العدول الى الجملة الاسمية فلا
يخفى عليه خافية مما كان وما سيكون من الذوات والصفات والاحوال التي من جملتها ما يجوز
عليه تعالى وما يمتنع من المحالات التي ما زعموه فرد من افرادها • والجملة استئناف مقرر
لمضمون ما قبلها من الادلة القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعاء التي اجترءوا عليها بغير
علم ذلكم اشارة الى المنعوت بما ذكر من جلائل النعوت • وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو شأن المشار اليه وبعد منزلته في العظمة • والخطاب للمشركين المعهودين
بطريق الالتفات الله ربكم لا اله الا هو اخبار اربعة مترادفة اي ذلك الموصوف
بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة خاصة مالك امركم لا شريك له اصلا
خالق كل شيء مما كان ومما سيكون فلا تكرار اذ المعتبر في عنوان الموضوع انما
هو خالقيته لما كان فقط كما ينبئ عنه صيغة الماضي • وقيل الخبر هو الاول والبواقي
ابدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتدأ والبواقي اخبار • وقيل بعد كون
الاخبار الثلاثة مبتدأ او صفة والكل بمنزلة اسم واحد • وقوله فاعبدوه •
حكم مترتب على مضمون الجملة فان من جمع هذه الصفات كان هو المستحق للعبادة خاصة
وقوله تعالى وهو على كل شيء وكيل عطف على الجملة المتقدمة اي وهو مع ما فصل من
الصفات الجليلة متولي جميع امور خلقه فانه الى امركم من جملتها فكلوا اموركم اليه
وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم الدنيوية والاخروية لا تدركه الابصار والبصر
حاسة النظر وقد يطلق على العين من حيث انها محلها وادراك الشيء عبارة عن الوصول
اليه والاحاطة به اي لا تصل اليه الابصار ولا تحيط به • كما قال سعيد بن المسيب
وقال عطاء كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به فلا متمسك فيه لمنكري الرؤية

على

على الاطلاق • وقد روي عن ابن عباس ومقاتل رضي الله عنهما لا تدركه الابصار في الدنيا
وهو يرى في الآخرة وهو يدرك الابصار اي يحيط بها علمه اذ لا يخفى عليه خافية وهو
اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار ولانه اللطيف لا تدركه الابصار ولانه
اللطيف فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع
فيها • قوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم استئناف وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم
والبصائر جمع بصيرة وهي النور الذي به تستبصر النفس كما ان البصر نور به تبصر العين
المراد بها الآيات الواردة هنا او جميع الآيات المنتظمة لها انتظاما اوليا ومن لابتداء
الغاية مجازا سواء علقت بجاء او بمحذوف هو صفة لبصائر والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار كمال اللطف بهم اي قد جاءكم من جهة مالككم
ومبلغكم الى كمالكم اللائق بكم من الوحي الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب
او قد جاءكم بصائر كائنة من ربكم فمن ابصر اي الحق بتلك البصائر وآمن به فلنفسه
اي فلنفسه ابصر او فابصاره لنفسه لان نفعه مخصوص بها ومن عمي اي ومن لم يبصر
الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهورا بينا وضل عنه وانما عبر عنه بالعمى تقبيحا
له وتنفيرا عنه فعليها اي فعليها عمي او فعماه عليها او وبال عماه وما انا عليكم بحفيظ
وانما انا منذر والله هو الذي يحفظكم ويجازيكم عليها وكذلك نصرف الآيات
اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات الدالة على المعاني الرائقة الكاشفة
عن الحقائق الفائقة لا تصريفا ادنى منه • وقوله تعالى وليقولوا درست علة
لفعل قد حذف تعويلا على دلالة السياق عليه اي وليقولوا درست نفعل ما نفعل من
التصريف المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية • وقيل هي عاطفة على علة
محذوفة واللام متعلقة بنصرف اي ومثل ذلك التصريف نصرف الآيات لنلزمهم الحجة
وليقولوا الخ • وقيل اللام لام الامر وتنصره القراءة بسكون اللام • كأنه
قيل وكذلك نصرف الآيات وليقولوا هم ما يقولون فانه لا احتفال بهم ولا اعتداد
بقولهم • وهذا امر معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم ودليله
بان ما يبدع بآياته ومعنى درست اي قرأت من هذه الآيات وتعلمت • وقرئ دارست
اي دارست العلماء ودرست اي قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين •
ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى
قرئت او عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم •
وجاز الاضمار لاشتهارهم بالدراسة • وقد جوز اسناد الفعل الى الآيات وهو
في الحقيقة الى اهلها اي دارس اهل الآيات وحملتها محمدا صلى الله عليه وسلم وهم
اهل الكتاب ودرس اي درس محمد ودارسات على اي دارسات فيه الآيات او ذات درس
كعيشة راضية • وقوله تعالى ولنبينه عطف على ليقولوا واللام على الاصل قوله تعالى لقوم
يعلمون متعلقة بالتبيين وتخصيصه بهم لما انهم المنتفعون به • قال ابن عباس رضي الله
عنهما اولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد • ووصفهم بالعلم للايذان بغاية جهل

الادعين وتخلية نيتهم عن العلم بالمرة اتبع ما اوحي اليك من ربك لما حكى عن المشركين فنهجهم
في تصريف الايات عقب ذلك بامره صلى الله عليه وسلم بالثبات على ما هو عليه وبعدم
الاعتداد بهم وباباطيلهم اي دم على ما انت عليه من اتباع ما اوحي اليك من الشرائع
والاحكام التي عمدتها التوحيد وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره
عليه الصلاة والسلام من اظهار اللطف به ما لا يخفى قوله تعالى لا اله الا هو
اعتراض بين الامرين المتعاطفين مؤكد لايجاب اتباع الوحي لا سيما في امر التوحيد
وقد جوز ان يكون حالا من ربك اي منفردا بالالوهية واعرض عن المشركين
لا تحتفل بهم وباقاويلهم الباطلة التي من جملتها ما حكي عنهم انفا ومن جعل منسوخا
باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله اي عدم اشراكهم حسبما هو
القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء
ما اشركوا وهذا دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر لكن لا بمعنى انه تعالى يمنعه عنه
مع توجهه اليه بل بمعنى انه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئي نحو الايمان
واصراره على الكفر والجملة اعتراض مؤكد للاعراض وكذا قوله تعالى وما
جعلناك عليهم حفيظا اي رقيبا مهيمنا من قبلنا تحفظ عليهم اعمالهم وكذا قوله تعالى وما
انت عليهم بوكيل من جهتهم تقوم بامرهم وتدبر مصالحهم وعليهم في الموضعين متعلق
بما بعده قدم عليه للاهتمام به او لرعاية الفواصل ولا تسبوا الذين يدعون من دون
الله اي لا تشتموهم من حيث عبادتهم لالهتهم كان تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلا فيسبوا الله
عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بان يقولوا لكم مثل قولكم لهم بغير علم اي بجهالة بالله تعالى
وبما يجب ان يذكر به وقرئ عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انهم
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبونهم فنهوا عن
ذلك لئلا يستتبع سبهم سبه سبحانه وتعالى وفيه ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة
وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك اي مثل ذلك التزيين القوي زينا لكل امة
عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا او تخذيلا ويجوز ان
يراد بكل امة امم الكفرة اذ الكلام فيهم وبعملهم شرهم وفسادهم والمشبه به تزيين سب
الله تعالى لهم ثم الى ربهم مالك امرهم مرجعهم اي رجوعهم بالبعث بعد الموت فينبئهم
من غير تاخير بما كانوا يعملون في الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم وهو وعيد
بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت وفيه نكتة سرية مبنية على
حكمة ابية هي ان كل ما يظهر من هذه النشاة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة
مستعارة مخالفة لصورها الحقيقية التي بها يظهر في النشاة الاخرة فان المعاصي سموم قاتلة
قد برزت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به هذه الاية الكريمة
وكذا الطاعات فانها مع كونها احسن المحاسن قد ظهرت عندهم بصورة مكروهة
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات

فاعمال

فاعمال الكفرة قد برزت لهم في هذه النشاة بصورة مزينة يستحسنها الغواة ويستحبها
الطغاة وستظهر في النشاة الاخرى بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون
ان اعمالهم ماذا فعبر عن اظهارها بصورتها الحقيقية بالاخبار بها لما ان كلا منهما سبب للعلم
بحقيقتها كما هي فليتدبر قوله تعالى واقسموا بالله روي ان قريشا اقترحوا بعض ايات فقال صلى
الله عليه وسلم فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني فقالوا نعم واقسموا لئن فعلت لنؤمنن
جميعا فسال المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزلها طمعا في ايمانهم فهم صلى الله عليه
وسلم بالدعاء فنزلت قوله تعالى جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال اي اقسموا بالله تعالى
جاهدين في ايمانهم لئن جاءتهم اية من مقترحاتهم او من جنس الايات وهو الانسب بحالهم في المكابرة
والعناد وترامي امرهم في العتو والفساد حيث كانوا لا يعدون ما يشاهدونه من المعجزات الباهرة من جنس
الايات ليؤمنن بها وما كان مرامهم بذلك الا التحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوه منه من البينات الجلية بان تنطع بهم
الارض وتسير بهم الجبال قل انما الايات اي كلها وفيها ما اقترحوه دخولا اوليا عند الله
اي امرها في حكمه وقضائه خاصة يتصرف فيها حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة لا
تتعلق بها ولا بانزالها قدرة احد ولا مشيئته لا استقلالا ولا اشتراكا بوجه من
الوجوه حتى يمكنني ان اتصدى لاستنزالها بالاستدعاء وهذا كما ترى سد لباب الاقتراح
على ابلغ وجه واحسنه ببيان علو شان الايات وصعوبة منالها وتعاليها عن ان تكون عرضة
للسؤال والاقتراح واما ما قيل من ان المعنى انما الايات عند الله لا عندي فكيف اجيبكم
اليها او اتيكم بها او هو القادر عليها لا انا حتى اتيكم بها فلا مناسبة له بالمقام كيف لا وليس
مقترحهم مجيئها بغير قدرة الله تعالى واراد تحقيق لاتحاد ابدالها قوله تعالى وما يشعركم
انها اذا جاءت لا يؤمنون كلام مستانف غير داخل تحت الامر مسوق من جهته تعالى لبيان
الحكمة الداعية الى ما اشعر به الجواب السابق من عدم مجيء الايات خوطب به المسلمون اما خاصة
بطريق التلوين لما كانوا راغبين في نزولها طمعا في اسلامهم واما معه صلى الله عليه وسلم
بطريق التغليب لما روي عنه صلى الله عليه وسلم من الهم بالدعاء وفيه تنبيه ان ايمانهم في حيز
وايمانهم مما لا يدخل تحت الوجود وان اجيب الى ما سالوه وما استفهامية انكارية لكن لا على ان
مرجع الانكار هو وقوع المشعر به بل هو نفس الاشعار مع تحقق المشعر به في نفسه اي واي شيء يعلمكم
ان الاية التي يقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد
اي لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعا في ايمانهم فيكون مخطئة لراي المسلمين وقيل ان
بمعنى لعل يقال ادخل السوق انك تشتري اللحم وعلله وقال كما يعني
ويوضحه انه قرئ لعلها اذا جاءت لا يؤمنون على ان الكلام قد تم قبله والمفعول الثاني ليشعركم
محذوف كما في قوله تعالى وما يدريك لعله يزكى والجملة استيناف لتعليل الانكار
وتقريره اي واي شيء يعلمكم ان الاية التي يقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون بل يبقون على ما كانوا
عليه من الكفر والعناد فالكم تتمنون مجيئها فان تمنيه انما يليق بما اذا كان ايمانهم محقق الوجود
لا مرجو العدم وقرئ انها بالكسر على انه استيناف حسبما سبق مع زيادة تحقيق لعدم

وقرئ إنها بالكسر على أنه استئناف حسبما بيناه • وقرئ لا تؤمنون بالفوقانية فالخطاب
في وما يشعركم للمشركين • وقرئ وما يشعرهم أنها إذا جاءتهم لا يؤمنون فيرجع الإنكار
إلى إقدام المشركين على الأقسام المذكورة مع جهلهم بحال قلوبهم عند مجيء الآيات وبكونها
حينئذ كما هي الآن ونقلب أفئدتهم وأبصارهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم
مقيد بما قيد به أي وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم عن إدراك الحق فلا يفقهونه وأبصارهم
عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجهها إليه واستعدادها لقبوله بل لكمال نبوّها عنه
وإعراضها بالكلية ولذلك أخر ذكره عن ذكر عدم إيمانهم إشعارا بأصالتهم في الكفر
وحسما لتوهم أن عدم إيمانهم ناشئ من تقليبه تعالى مشاعرهم بطريق الإجبار كما لم يؤمنوا به
أي بما جاء من الآيات أول مرة أي عند ورود الآيات السابقة والكاف في محل النصب على أنه
نعت لمصدر محذوف منصوب بلا يؤمنون وما مصدرية أي لا يؤمنون بل يكفرون كفرا
كائنا ككفرهم أول مرة وتوسيط تقليب الأفئدة والأبصار بينهما لأنه من تتمات عدم
إيمانهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام الإنكاري مقيد
بما قيد به مبين لما هو المراد بتقليب الأفئدة والأبصار معرب عن حقيقته أنه ليس على ظاهره بأن
يقلب الله سبحانه مشاعرهم عن الحق مع توجهها إليه واستعدادها له بطريق الإجبار بل بأن
يخليهم وشأنهم بعد ما علم فساد استعدادهم وفرط نفورهم عن الحق وعدم تأثير اللطف
بهم أصلا ويطبع على قلوبهم حسبما تقتضيه استعدادهم كما أشرنا إليه قوله تعالى في طغيانهم
متعلق بنذرهم وقوله تعالى يعمهون حال من ضمير المنصوب أي ندعهم في طغيانهم متحيرين لا نهديهم
هداية المؤمنين أو مفعول ثان لنذرهم أي نصيرهم عامهين • وقرئ يقلب ويذرهم بالياء
على إسناد الفعلين إلى ضمير الجلالة • وقرئ تقلب بالتاء والبناء للمفعول على إسناده إلى أفئدتهم ولو
أننا نزلنا إليهم الملائكة تصريح بما أشعر به قوله عز وجل وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون
من الحكمة الداعية إلى ترك الإجابة إلى ما اقترحوه من الآيات إثر بيان إنهاء بيان حكمه
تعالى وتعاليه المبني على الحكم البالغة لا مدخل لأحد في أمرها بوجه من الوجوه وبيان
لكذبهم في أيمانهم الفاجرة على أبلغ وجه وقيل أنا نقتصر على ما اقترحوه هاهنا من آية واحدة
من الآيات بل نزلنا إليهم الملائكة كما سألوه بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة وقولهم
لو ما تأتينا بالملائكة وكلمهم الموتى وشهدوا بحقية الإيمان بعد أن أحييناهم حسبما اقترحوه
بقولهم فأتوا بآبائنا وحشرنا أي جمعنا عليهم كل شيء قبلا بضمتين وقيل بسكون الباء أي
كفلاء بصحة الأمر وصدق النبي صلى الله عليه وسلم على أنه جمع قبيل بمعنى الكفيل كرغيف
ورغف وقضيب وقضب وهو الأنسب لقوله تعالى أو تأتي بالله والملائكة قبيلا
أي لو لم نقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بأن أحضرنا لديهم كل شيء يتأتى منه الكفالة
والشهادة كل فرد بطريق المعية أو جماعات على أنه جمع قبيل هو جمع قبيلة وهو
الأوفق لعموم كل شيء وشموله للأنواع والأصناف أي حشرنا كل شيء نوعا نوعا وصنفا صنفا
وفوجا فوجا وانتصابه على الحالية وجمعيته باعتبار الكل المجموعي الذي هو الكل الإفرادي أو
مقابلة وعيانا على أنه مصدر وكذلك وقرئ كذلك وانتصابه على الوجهين على أنه مصدر

في

في موقع الحال • وقد نقل عن المبرد وجماعة من أهل اللغة أن المراد بمعنى الجهة كما في قولك
لي قبل فلان حق وأن انتصابه على الظرفية ما كانوا ليؤمنوا أي ما صح وما استقام لهم
الإيمان لتماديهم في العصيان وغلوهم في التمرد والطغيان وأما سبق القضاء عليهم بالكفر
فمن الأحكام المترتبة على ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ونذرهم في طغيانهم يعمهون
وقوله تعالى إلا أن يشاء الله استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا يستأنف للاسم الجليل لتربية
المهابة وإدخال الروعة أي ما كانوا ليؤمنوا مع اجتماع ما ذكر من الأمور الواجبة للإيمان
في حال من الأحوال الداعية إليه المتممة لموجباته المذكورة إلا في حال مشيئته تعالى لإيمانهم
أو من أعم العلل أي ما كانوا ليؤمنوا لعلة من العلل المعدودة وغيرها إلا لمشيئته تعالى
وأيا ما كان فليس المراد بالاستثناء بيان أن إيمانهم على خطر الوقوع بناء على كون مشيئته
تعالى إياه أمرا ممكنا بل بيان استحالته وقوعه بناء على استحالة وقوعها كأنه قيل ما كانوا ليؤمنوا
إلا أن يشاء الله وهيهات ذلك وحالهم حالهم بدليل ما سبق من قوله تعالى ونقلب أفئدتهم
الآية • وقوله عز وجل ولكن أكثرهم يجهلون استدراك من مضمون الشرطية بعد
ورود الاستثناء لا من نفسه • ولا ريب في أن الذي يجهلونه هو الذي به هم المسلمون وهم العلماء
أو المعصومون ليس عدم إيمانهم بلا مشيئة الله تعالى كما هو اللازم من حمل النظم الكريم على
المعنى الأول فإنه ليس مما يعتقده الأولون ولا مما يدعيه الآخرون بل إنما هو عدم إيمانهم
لعدم مشيئة إيمانهم ومرجع الجهل بعدم مشيئته تعالى لإيمانهم فيتمنون مجيئها
طمعا فيما لا يكون فالجملة مقررة لمضمون قوله تعالى وما يشعركم إلى آخره فيقسمون بالله
جهد أيمانهم على ما لا يكاد يكون فالجملة على القراءة السابقة بيان لمنشأ خطأ المقسمين
ومناط إقسامهم وتقرير له على قراءة لا تؤمنون بالتاء الفوقانية • وكذا على قراءة وما يشعرهم
أنها إذا جاءتهم لا يؤمنون وكذلك جعلنا لكل نبي كلام مبتدأ مسوق لتسلية رسول الله صلى
الله عليه وسلم عما كان يشاهده من عداوة قريش له صلى الله عليه وسلم وما بنوا عليها من الأمور
حين فيه من الأقاويل والأفاعيل ببيان أن ذلك ليس مختصا به بل هو أمر ابتلي به كل من
سبقه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومحل الكاف النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد لما بعده
وذلك إشارة إلى ما بينهم ما قبله أي جعلنا لكل نبي عدوا جعلا كما جعلنا لك عدوا
والمعنى على التشبيه للتقرير المعنى للمبالغة والمعنى مثل ذلك الجعل الذي جعلنا في
حقك حيث جعلنا لك عدوا يضادونك ولا يؤمنون ويبغون لك الغوائل
ويدبرون في إبطال أمرك مكايد وجعلنا لكل نبي تقدمك عدوا فعلوا بهم ما فعل بك
أعداؤك لا جعلا أنقص منه • وفيه دليل على أن عداوة الكفرة للأنبياء عليهم السلام
بخلقه تعالى للابتلاء شياطين الإنس والجن أي مردة الفريقين على أن الإضافة بمعنى
البيانية • وقيل هي إضافة الصفة إلى الموصوف والأصل الإنس والجن الشياطين وقيل
هي بمعنى اللام أي الشياطين التي للإنس والتي للجن وهو بدل من عدوا والجعل متعد إلى واحد
أو إلى اثنين وهو أول مفعوليه قدم الثاني مسارعة إلى بيان العداوة واللام
على الثاني متعلقة بالجعل أو بمحذوف هو حال من عدوا قوله تعالى يوحي بعضهم إلى بعض

كلام مستانف مسوق لبيان احكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه
به او حال من الشياطين او نعت لعدوا والوحي الايحاء باعتبار المعنى فانه عبارة عن الاعداد
كما في قوله • اذا انا لم انفع صديقي بوده • فان عدوي لم يضرهم بغضي •
والوحي عبارة عن الايماء والقول السريع اي يلقي ويوسوس شياطين الجن الى الانس
شياطين الانس وبعض كل من الفريقين الى بعض آخر زخرف القول اي المموه منه المزين
ظاهره الباطل باطنه من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له ليوحي اي ليغروهم او مصدر
في موضع الحال اي غارين او مصدر مؤكد لفعل مقدر هو حال من فاعل يوحي اي يغرون
غرورا ولو شاء ربك رجوع الى بيان الشؤون الجارية بينه صلى الله عليه وسلم
وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وبين اممهم كما ينبي عنه الالتفات والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى
ضميره عليه افضل الصلاة والسلام المعربة عن كمال اللطف في التسلية • اي
ولو شاء ربك عدم الامور المذكورة ولا ايمانهم كما قيل فان القاعدة المستمرة ان مفعول
المشية انما يحذف عند وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وهو قوله
سبحانه وتعالى ما فعلوه اي ما فعلوا ما ذكر من عداوتك وايحا بعضهم الى بعض
منهم زخارف الاقاويل الباطلة المتعلقة بامرك خاصة لا بما يعمه وامور
الانبيا عليهم افضل الصلاة والسلام ايضا كما قيل فان قوله تعالى فذرهم
وما يفترون صريح في ان المراد بهم الكفرة الذين عاصروه صلى الله عليه وسلم
او اذا كان ما فعلوه من احكام عداوتك من فنون المفاسد بمشيته سبحانه وتعالى
فاتركهم وافتراءهم • اي وما يفترونه من انواع المكايد فان لهم في ذلك
عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة • لابتنائه على مشيته سبحانه وتعالى على الحكم
البالغة البتة ولتصغى اليه اي الى زخرف القول وهو على الوجه الاول علة اخرى
للايحا معطوفة على غرورا وما بينهما اعتراض • وانما لم ينصب لفقد شرطه اذ
الغرور فعل الموحي وصغو الافئدة فعل الموحى اليه اي يوحي بعضهم الى بعض زخرف
القول اي ليغروهم به ولتميل اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة انما
خص بالذكر عدم ايمانهم بالآخرة دون ما عداه من الامور التي يجب الايمان بها
وهم بها كافرون اشعارا بما هو المدار في صغو افئدتهم الى ما يلقى اليهم فان لذات
الآخرة محفوفة في هذه النشاة بالمكاره والآلام مزينة بالشهوات فالذين لا يؤمنون
بها وباحوال ما فيها لا يدرون ان ورا تلك المكاره لذات ودون هذه
الشهوات الآلام • وانما ينظرون الى ما بدا لهم في الدنيا بادي الراي فهم
مضطرون الى حب الشهوات التي من جملتها مزخرفات الاقاويل ومموهات الاباطيل
واما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال ناظرين الى عواقب الامور لم
يتصور منهم الميل الى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها • واما
على الوجه الثاني فهو علة لفعل محذوف يدل عليه المقام اي وليكون ذلك

جعلنا

جعلنا ما جعلنا • والمعتزلة جعلوا اللام لام العاقبة او لام القسم • او لام الامر
وضعفه في غاية الظهور وليرضوه لانفسهم بعدما مالت اليه افئدتهم
وليقترفوا اي يكتسبوا بموجب ارتضائهم له ما هم مقترفون له من القبائح التي لا يليق ذكرها
افغير الله ابتغي حكما كلام مستانف وارد على ارادة القول فالهمزة للانكار والفا
للعطف على مقدر يقتضيه الكلام اي قل لهم اأميل الى زخارف الشياطين فابتغي
حكما غير الله يحكم بيننا ويفصل المحق منا من المبطل • وقيل ان مشركي قريش
قالوا لرسول الله عليه افضل الصلاة والسلام اجعل بيننا وبينك حكما من
احبار اليهود او من اساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من امرك فنزلت
واسناد الابتغا المنكر الى نفسه صلى الله عليه وسلم لا الى المشركين • كما في
قوله سبحانه وتعالى افغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض
طوعا وكرها الاية مع انهم الباغون لاظهار كمال النصفة او لمراعاة قولهم اجعل
بيننا وبينك حكما وغير اما مفعول ابتغي وحكما حال منه واما بالعكس • واياما كان
فتقديمه على الفعل الذي هو المعطوف بالفا حقيقة كما اشير اليه للايذان بان مدار
الانكار هو ابتغا غيره تعالى حكما لا مطلق الابتغا • وقيل حكما تمييز لما في غير من الابهام
كقولهم ان لنا غيرها ابلا قالوا الحكم ابلغ من الحاكم وادل على الرسوخ لما انه
لا يطلق الا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم قوله تعالى وهو الذي
انزل اليكم الكتاب جملة حالية مؤكدة لانكار ابتغا غيره سبحانه وتعالى حكما
ونسبة الانزال اليهم خاصة مع ان مقتضى المقام اظهار تساوي نسبته الى المتحاكمين
لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم الى قبول حكمه بايهام قوة نسبته اليهم اي اغيره
تعالى ابتغي حكما والحال انه هو الذي انزل اليكم وانتم اميون لا تدرون ما تاتون وما
تذرون القرآن الناطق بالحق والصواب الحقيق بان يخص به اسم الكتاب مفصلا
اي مبينا فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق
في امر الدين شي من التخليط والابهام فاي حاجة بعد ذلك الى الحكم وهذا كما ترى
صريح في ان القرآن الكريم كاف في امر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله •
واما ان يكون للاعجاز دخل في ذلك كما قيل فلا قوله سبحانه وتعالى والذين آتيناهم
الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق كلام مستانف غير داخل تحت القول المقدر
مسوق من جهته تعالى لتحقيق حقية الكتاب الذي نيط به امر الحكمية • وتقرير كونه
منزلا من عنده عز وجل ببيان ان الذين وثقوا بهم ورضوا بحكمهم حسبما نقل آنفا من
علما اليهود والنصارى عالمون بحقيته ونزوله من عنده سبحانه وتعالى • وفي
التعبير عن التوراة والانجيل باسم الكتاب ايما الى ما بينهما وبين القرآن من التجانس
المقتضي للاشتراك في الحقية والنزول من عنده تعالى مع ما فيه من الايجاز وايراد
الطائفتين بعنوان ايتا الكتاب للايذان بانهم علموه من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما
نعت فيه وعاينوه موافقا له في الاصول • وما لا يختلف من الفروع ومخبرا عن امور لا طريق

اي معنى فتنا سوى الوحي • والمراد بالموصول اما علما الفريقين وهو الظاهر فالايتا هو
التفهيم بالنقل • واما الكل وهم داخلون فيه دخولا اوليا فالايتا اعم مما ذكر ومن
التفهيم بالوحي • ولا ريب في ان الكل متمكنون من ذلك • وقيل المراد مؤمنوا
اهل الكتاب • وقرى منزل من الانزال • والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره صلى الله عليه وسلم لتشريفه صلى الله عليه وسلم • والباء في قوله تعالى
بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في منزل اي ملتبسا بالحق •
فلا تكونن من الممترين اي في انهم يعلمون ذلك لما لا تشاهد منهم اثار العلم واحكام
المعرفة • فالفا لترتيب النهي عن الامتراء على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشان القران او في انه
منزل من ربك بالحق فيكون من باب التهييج والالهاب • كقوله تعالى ولا تكونن من
المشركين • وقيل ان الخطاب في الحقيقة للامة وان كان له صلى الله عليه وسلم
صورة • وقيل الخطاب لكل واحد على معنى ان الادلة قد تعاضدت وتظاهرت فلا
ينبغي لاحد ان يمتري فيه • والفا على الوجوه لترتيب النهي عن نفس علمهم بحال القران
وتمت كلمات ربك شروع في بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته اثر بيان كماله
من حيث اضافته اليه تعالى بكونه منزلا منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم اهل
الكتاب به • وانما عبر عنه بالكلمة لانها الاصل في الاتصاف بالصدق والعدل
وبها تظهر الاثار من الحكم • وقرى كلمة ربك صدقا وعدلا مصدران نصبا على الحال
وقيل على التمييز وقيل على العلة • وقوله تعالى لا مبدل لكلماته اما استئناف
مبين لفضلها على غيرها اثر بيان فضلها في نفسها واما حال من فاعل تمت على
ان الظاهر مغن عن الضمير الرابط • والمعنى انها بلغت الغاية صدقا في الاخبار والمواعيد
وعدلا في الاقضية والاحكام لا احد يبدل شيا من ذلك بما هو اصدق واعدل ولا
بما هو مثله فكيف يتصور ابتغا حكم غيره تعالى • وهو السميع لكل ما يتعلق به السمع العليم
بكل ما يمكن ان يعلم فيدخل في ذلك اقوال المتحاكمين واحوالهم الظاهرة والباطنة
دخولا اوليا • وقيل المعنى لا احد يقدر على ان يحرفها كما فعل بالتوراة فيكون ضمانا
لها من الله عز وجل بالحفظ • كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون • او
لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها • وان تطع اكثر من في الارض لما تحقق اختصاصه تعالى
بالحكمية لاستقلاله بما يوجبها من انزال الكتاب الفاصل بين الحق والباطل وتمام
صدق كلامه وكمال عدل احكامه وامتناع وجود من يبدل شيا منها واستبداده
تعالى بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات عقب ذلك ببيان ان الكفرة متصفون
بنقائض تلك الكمالات من النقائص التي هي الضلال والاضلال واتباع الظنون الفاسدة
الناشئة عن الجهل والكذب على الله سبحانه ابانة لكمال مباينة حالهم لما هو عليه تعالى وتحذيرا
من الركون اليهم والعمل بارائهم • والمراد بمن في الارض الناس وباكثرهم الكفار
وقيل اهل مكة والارض ارضها اي ان تطعهم بان جعلت منهم حكما يضلوك عن
سبيل الله عن الطريق الموصل اليه او عن الشريعة التي شرعها لعباده ان يتبعون

الا

الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق فهم على اثارهم يهتدون او جهالاتهم
وارادهم الباطلة على ان المراد بالظن ما يقابل العلم • والجملة استئناف مبني على
سوال نشا من الشرطية • كانه قيل كيف يضلون فقيل لا يتبعون في امورهم
الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيا فيضلون ضلالا مبينا • ولا ريب في ان
الضال المتصدي للارشاد انما يرشد غيره الى مسلك نفسه فهم ضالون مضلون
وقوله سبحانه وتعالى وان هم الا يخرصون عطف على ما قبله داخل في حكمه اي
يكذبون على الله سبحانه وتعالى فيما ينسبون اليه تعالى كاتخاذ الولد وجعل عبادة
الاوثان ذريعة اليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحاير ونظايرها او يقدرون
انهم على شي واني لهم ذلك ودونه مناط العيوق • وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان
ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين تقرير لمضمون الشرطية
لما بعدها وتاكيد لما يفيده من التحذير اي هو اعلم بالفريقين فاحذر ان تكون
من الاولين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب لا بنفس اعلم فان افعل التفضيل
لا ينصب الظاهر في مثل هذه الصور بل بفعل يدل هو عليه او استفهامية مرفوعة
بالابتدا والخبر يضل • والجملة معلق عنها الفعل المقدر • وقرى يضل بضم اليا على ان
فاعله ضمير من ومفعوله محذوف ومحلها النصب بما ذكر من الفعل المقدر اي هو اعلم بهم
من يضل الناس فيكون تاكيدا للتحذير عن طاعة الكفرة • واما ان الفاعل هو الله
تعالى ومن منصوبة بما ذكر اي يعلم من يضله او مجرور باضافة اعلم اليها اي اعلم المضلين
من قوله تعالى من يضلل الله او من قولك اضللته اذا وجدته ضالا فلا يساعده السياق
والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه
وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه امر مترتب على النهي عن اتباع
المضلين الذين من جملة اضلالهم تحليل الحرام وتحريم الحلال • وذلك انهم كانوا يقولون
للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتله الله احق ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين
كلوا مما ذكر اسم الله تعالى خاصة على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره تعالى خاصة او
مع اسمه تعالى او مات حتف انفه ان كنتم باياته التي من جملتها الايات الواردة في هذا
الشان مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله سبحانه وتعالى والاجتناب
عما حرمه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وما لكم الا تاكلوا
مما ذكر اسم الله عليه انكار لان يكون لهم شي يدعوهم الى الاجتناب عن اكل ما ذكر عليه
اسم الله تعالى من البحاير والسوايب ونحوها وقوله تعالى وقد فصل لكم الى اخره جملة
حالية مؤكدة للانكار • كما في قوله تعالى وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد
اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي واي سبب حاصل لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله
عليه او واي غرض يحملكم على ان لا تاكلوا ويمنعكم من اكله والحال انه قد فصل لكم
ما حرم عليكم بقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الاية فبقي ما عداه
ذلك على الحل لا بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة الاية لانها مدنية واما التاخر

في الصلاة فلا يوجب التاخير في التوكيد • وقرئ الفعلان على البنا للمفعول • وقرئ الاول على البنا للفاعل والثاني للمفعول **الا ما اضطررتم اليه** مما حرم فانه ايضا حلال لحينئذ **وان كثيرا** اي من الكفار **ليضلون** الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحي واضرابه • وقرئ يضلون **باهوائهم** الزائغة وشهواتهم الباطلة **بغير علم** مقتبس من الشريعة الشريفة مستند الى الوحي **ان ربك هو اعلم بالمعتدين** المتجاوزين لحدود الحق الى الباطل والحلال الى الحرام **وذروا ظاهر الاثم وباطنه** اي ما يعلن من الذنوب وما يسر وما يعلن وما يتعلق منها بالجوارح وما بالقلب • وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان **ان الذين يكسبون الاثم** اي ما يكتسبونه من الظاهر والباطن **سيجزون بما كانوا يقترفون** كائنا ما كان فلا بد من اجتنابهما • والجملة تعليل للامر **ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه** ظاهره في تحريم متروك التسمية عمدا كان او نسيانا • واليه ذهب مالك واحمد بن داود مثله • وقال مالك والشافعي رحمهما الله بخلافه • لقوله صلى الله عليه وسلم ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه • وفرق ابو حنيفة رحمه الله بين العمد والنسيان • واوله بالميتة او ما ذكر عليه اسم غيره تعالى لقوله **وانه لفسق** فان الفسق ما اهل به لغير الله والضمير لما • ويجوز ان يكون للاكل المدلول عليه بلا تاكلوا • والجملة مستانفة • وقيل حالية **وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم** المراد بالشياطين ابليس وجنوده فانهم يوسوسونهم الى المشركين • وقيل مردة المجوس فانهم اوحوا الى اوليائهم ما انهوا الى قريش بالكتاب ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان ما تذبحونه حلالا وما يقتله الله تعالى حرام **ليجادلوكم** اي بالوساوس الشيطانية او بما نقل من اباطيل المجوس وهو يؤيد التاويل بالميتة **وان اطعتموهم** في استحلال الحرام وساعدتموهم على اباطيلهم **انكم لمشركون** ضرورة ان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك بالله تعالى بل اثر عليه سبحانه **او من كان ميتا** وقرئ ميتا على الاصل **فاحييناه** تمثيل مسوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين اثر تحذيرهم عنها بالاشارة الى انهم مستضيئون بانوار الوحي الالهي والمشركون خائضون في ظلمات الكفر والطغيان فكيف تعقل طاعتهم لهم • والهمزة للانكار والنفي والواو لعطف الجملة الاسمية على مثلها الذي يدل عليه الكلام انتم مثلهم • ومن كان ميتا فاعطيناه الحياة وما يتبعها من القوى المدركة المحركة **وجعلنا له** مع ذلك من الخارج **نورا** عظيما **يمشي به** اي بسببه والجملة استئناف مبني على سؤال نشا من الكلام كانه قيل فماذا يصنع بذلك النور فقيل يمشي به **في الناس** اي فيما بينهم امنا من جهتهم او صفة له **كمن مثله** اي صفته العجيبة وهو مبتدا • وقوله تبارك وتعالى **في الظلمات** خبره على ان المراد بها اللفظ لا المعنى • كما في قولك زيد صفته اسمر والجملة صلة لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها خبر لمن الاولى وقوله تعالى **ليس بخارج منها** حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول اي خارج منها حال ومثلا الاخرى مثل ريب من بقي في الضلالة

لا

لا يفارقها بحال من الاحوال • وقيل لا يفارقها اصلا كان في الاول مثل لما اريد به من خلقه الله تعالى في فطرة الاسلام وهداه بالايات البينة الطريق الحق يسلكه كيف يشا لكن لا على ان يدل كل واحد من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة في المثلين بواسطة تشبيهه بما يناسبه من معانيها فان الفاظ المثل باقية في معانيها الاصلية بل على انه قد انتزعت من الامور المتعددة في كل واحد من جانبي المثلين هيئة على حدة فشبهت بها الاولتان ونزلتا منزلتهما فاستعمل فيهما ما يدل على الاخريين بضرب من التجوز وقد اشير في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم الاية الى ان التمثيل فيما نواسيه لا سبيل الى حمله من باب الاستعارة بان لا يذكر المشبه كدين التمثيلين ومظاهرهما وقد تجري على منهاج التشبيه كما في قوله • وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع **كذلك** اي مثل ذلك التزيين البليغ **زين** اي من جهة الله عز وجل بطريق الخلق عند الشياطين او من جهة الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل **للكافرين** التابعين للوساوس الشيطانية الاخذين بالزخارف التي يوحونها اليهم **ما كانوا يعملون** ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من القبائح فانها لو لم تكن مزينة لهم لما اصروا عليها ولما جادلوا بها الحق • وقيل الاية نزلت في حمزة رضي الله عنه وابي جهل • وقيل في عمر او عمار رضي الله عنهما وابي جهل **وكذلك** قيل معناه كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها **جعلنا في كل قرية** من سائر القرى **اكابر مجرميها ليمكروا فيها** ومفعولا جعلنا اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني والظرف لغو او بما الظرف واكابر على ان مجرميها بدل او مضاف اليه فان افعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة • وكذلك قرئ اكبر مجرميها معقولة الاول والثاني ليمكروا فيها ولا يخفى ان اي معنى يراد من هذه المعاني لا بد ان يكون مشهورا التحقق عند الناس معهودا فيما بينهم حتى يصلح ان تصرف الاشارة عن سياق النظم الكريم وتوجه اليه ويجعل مقياسا لنظايره له باخراجه مخرج المصدر المشبه وظاهر انه ليس الامر كذلك ولا سبيل الى توجيهها الى ما يفهم من قوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وان كان المراد بهم اهل مكة لان ما له المعنى حينئذ بعد اللتيا والتي كما جعلنا اعمال اهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها الى اخره فاذا الاقرب ان ذلك اشارة الى الكفرة المعهودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم والافراد بتاويل الفريق او المذكور ومحل الكاف النصب على انه المفعول الثاني لجعلنا قدم عليه لافادة التخصيص كما في قوله تعالى كذلك كنتم من قبل الاية والاول اكابر مجرميها والظرف لغو اي ومثل اولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا في كل قرية اكابرها المجرمين اي جعلناهم متصفين بصفات المذكورين مزينا لهم اعمالهم مصرين على الباطل مجادلين به الحق **ليمكروا فيها** اي ليفعلوا المكر فيها • وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم • وقوله تعالى **وما يمكرون الا بانفسهم** اعتراض على سبيل الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والوعيد للكفرة اي وما يحيق غائلة مكرهم الا بهم **وما يشعرون** حال من ضمير يمكرون مع اعتبار ورود الاستثنا على النفي اي انما يمكرون بانفسهم والحال انهم ما يشعرون بذلك اصلا بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم • قوله تعالى **واذا جاءتهم اية** رجوع الى بيان حال مجرمي اهل مكة بعدما بين بطريق التسلية ان حال غيرهم ايضا كذلك

تم

واما عاقبة تمكن الكل كما ذكر فان العظمة المنقولة انما صدرت عنهم لان شأن المجرمين اي اذا جاءتهم
آية بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قال ابن عباس رضي الله
عنه حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل عليه السلام فيخبرنا ان محمدا صادق كما قالوا او تأتي بالله والملائكة
قبيلا وعن الحسن البصري مثله وهذا كما ترى صريح في ان ما علق بايتائها ما اوتي الرسل عليهم السلام
وهو ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما انزل اليه ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر منه
عند الاطلاق خلا انه يستدعي ان يحمل ما اوتي رسل الله على مطلق الوحي ومخاطبة جبريل
عليه السلام الله اعلم حيث يجعل رسالاته عن ظاهرها ويحمل على رسالة جبريل عليه السلام بالوجه
المذكور ويراد بجعلها تبليغها الى المرسل اليه لا وضعها في موضعها الذي هو الرسول ليتأتى كونه
جوابا عن اقتراحهم وردا له بان معنى الاقتراح لن نؤمن بكون تلك الآية نازلة من
عند الله تعالى الى الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يأتينا جبريل بالذات عيانا كما يأتي
الرسل فيخبرنا بذلك ومعنى والله اعلم من يليق بارسال جبريل عليه السلام اليه لامر من
الامور ايذانا بانهم بمعزل من استحقاق ذلك التشريف وفيه من التمحل ما لا يخفى وقال
مقاتل نزلت في ابي جهل حين قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا
كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا حتى يأتينا وحي كما يأتيه
وقال الضحاك سأل كل واحد من القوم ان يخص بالرسالة والوحي كما اخبر الله تعالى عنهم في قوله
بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ولا يخفى ان كل واحد من هذين القولين وان
كان مناسبا للرد المذكور لكنه يقتضي ان يراد بالايمان المعلق بايتاء ما اوتي الرسل مجرد تصديقهم
برسالته صلى الله عليه وسلم في الجملة من غير شموله لكافة الناس وان يكون كلمة حتى في قوله
لن نؤمن حتى يأتينا وحي كما يأتيه الى آخره غاية لعدم الرضى لا لعدم الاتباع فانه مقرر
على تقدير اتيان الوحي وعدمه فالمعنى لن نؤمن برسالته اصلا حتى نؤتى نحن من الوحي
والنبوة مثل ما اوتيه رسل الله او ايتاء مثل ايتاء رسل الله واما ما قيل من ان الوليد بن المغيرة
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا
واكثر منك مالا وولدا فنزلت فلا تعلق له بكلامهم المردود الا ان يراد بالايمان المعلق بما ذكر
مجرد الايمان بكون الآية النازلة وحيا صادقا لا الايمان بكونها نازلة اليه صلى الله عليه وسلم
ليكون المعنى واذا جاءتهم آية نازلة الى الرسول قالوا لن نؤمن بنزولها من عند الله حتى يكون
نزولها الينا لا اليه لانا نحن المستحقون دونه فان ملخص معنى قوله لو كانت النبوة حقا الى
آخره لو كان ما تدعيه من النبوة حقا لكنت انا النبي لا انت واذ لم يكن الامر كذلك فلست
بنبي وانا له تعليق الايمان بحقيقة النبوة بكون تلك نبيا ومثل ما اوتي نصب على انه نعت لمصدر
محذوف وما مصدرية اي حتى نؤتى ايتاء مثل ايتاء رسل الله واضافة الايتاء اليهم لانهم منكرون
لايتائه صلى الله عليه وسلم وحيث نصب على المفعولية توسعا لا لتصرف اعلم لما عرفت من انه لا يعمل
في الظاهر بل بفعل دل هو عليه اي هو اعلم يعلم الموضع الذي يضعها فيه والمعنى ان منصب
الرسالة ليس مما ينال بكثرة المال والولد وتعاضد الاسباب والعدد وانما ينال بفضائل
نفسانية يخص الله تعالى بها من يشاء من خاص عباده وقرئ رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار

اخر

اجرامهم عليهم ما سيق لوقه من فنون الشرعية ما يجري عليهم جزاء بما املوه السعي للتأكيد ووضع
الموصول موضع الضمير للاشعار بان اصابة ما يصيبهم لاجرامهم المستتبع لجميع الشرور والقبائح صح
ان يصيبهم ليست مكان ما تمنوه وعلقوا به اطماعهم الفارغة من عزة النبوة وشرف الرسالة
صغار اي ذلة وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيامة وقيل من عند الله وعذاب شديد
في الآخرة او في الدنيا بما كانوا يمكرون اي بسبب مكرهم المستمر او بمقابلته وحيث كان هذا
من معظم موادهم صرح بسببيته فمن يرد الله ان يهديه اي يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان
يشرح صدره للاسلام فيتسع له ويفسح وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله
فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار صلى الله عليه وسلم حين سئل فقال نور يقذفه
الله تعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك من امارة يعرف بها قال نعم الانابة
الى دار الخلود والاعراض عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله
اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق
فلا يكاد يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف وحرجا بكسر الراء اي شديد الضيق والاول
مصدر وصف به مبالغة كأنما يصعد ما هذه مهيئة لدخول كان على الجملة الفعلية في السماء
شبه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يكاد يقدر عليه فان صعود السماء مثل
فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة وفيه تنبيه على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه
كأنما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به
ويتصاعد واصله يتصاعد كذلك اي مثل ذلك الجعل الذي هو جعل الصدر حرجا على الوجه
المذكور يجعل الله الرجس اي العذاب او الخذلان قال مجاهد الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب
في الآخرة على الذين لا يؤمنون اي عليهم ووضع الموصول موضع المضمر للاشعار بان جعله تعالى
معلل بما في حيز الصلة من كمال نبوهم عن الايمان واصرارهم على الكفر وهذا اي البيان الذي
جاء به القرآن او الاسلام او ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك اي طريقه الذي اقتضاه
او عادته وطريقته التي اقتضتها حكمته وفي التعرض لعنوان الربوبية ايذان بان تقويم
ذلك الصراط للتربية وافاضة الكمال مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة
لقوله تعالى وهو الحق مصدقا والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات بيناها
مفصلة لقوم يذكرون يتذكرون ما في تضاعيفها فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث من خير
كان او شر انما يحدث بقضاء الله تعالى وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما
يفعل بهم وتخصيص القوم المذكورين بالذكر لانهم المنتفعون بتفصيل الآيات لهم دار السلام
اي للمتذكرين دار السلامة من كل المكاره وهي الجنة عند ربهم اي في ضمانه او ذخيرة لهم عنده
لا يعلم كنهها غيره تعالى وهو وليهم اي مولاهم وناصرهم بما كانوا يعملون اي بسبب اعمالهم الصالحة
او متوليهم بجزائها يتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا منصوب بمضمر على انه مفعول به او
الظرفية وقرئ بنون العظمة على الالتفات لتهويل الامر والضمير المنصوب لمن يحشر من الثقلين
قائلا يا معشر الجن اي ويوم يحشرهم يقول يا معشر الجن او ويوم نحشرهم ونقول يا معشر
الجن يكون من الاحوال والاهوال ما لا يستطاع بيانه الوصف لفظاعته والمعشر الجماعة والمراد بمعشر

الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا
معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وهذا بطريق التقريع والتوبيخ وقال اولياؤهم اي الذين اطاعوهم
ومن في قوله تعالى من الانس اما لبيان الجنس او اولياؤهم الذين هم من الانس او متعلقة بمحذوف
هو حال من اولياؤهم اي كائنين من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم
على الشهوات وعلى ما يتوصل به اليها وقيل بان القوا اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة والجن
بالانس اطاعوهم وحصلوا مرادهم بقبول ما اغووهم به وقيل استمتاع الانس انهم كانوا يعوذون بهم
في المفاوز والمخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم قادرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي
اجلت لنا وهو يوم القيامة قالوه اعترافا بما فعلوه من طاعة الشياطين واتباع الهوى وتكذيب
البعث واظهارا للندامة عليها وتحسرا على حالهم واستسلاما لربهم ولعل الاقتصار على حكاية
كلام الضالين للايذان بان المضلين قد افحموا بالمرة فلم يقدروا على التكلم اصلا قال استئناف
مبني على سؤال نشأ من حكاية كلامهم كانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال النار
مثواكم اي منزلكم او ذات ثوائكم كما ان دار السلام مثوى المؤمنين خالدين فيها حال والعامل
مثواكم ان جعل مصدرا او معنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله قال ابن عباس رضي الله
عنهما استثنى الله قوما قد سبق في علمه انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم وهذا
مبني على ان الاستثناء ليس من المحكي وما بمعنى من وقيل المعنى الا الاوقات التي ينقلون
فيها من النار الى الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم
من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم وقيل يفتح لهم في النار باب الى الجنة فيسرعون
نحوه حتى اذا صاروا اليه سد عليهم الباب وعلى التقديرين في الاستثناء تهكم بهم وقيل الا ما شاء
الله قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ولا يخفى ما فيه ان ربك حكيم في
افاعيله عليم باحوال الثقلين واعمالهم وبما يليق بها من الجزاء وكذلك اي ومثل ما سبق من تمكين
الجن من اغواء الانس واضلالهم نولي بعض الظالمين من الانس بعضا اخر منهم اي نجعلهم بحيث يتولونهم
بالاغواء والاضلال او نجعل بعضهم قرناء بعض في العذاب كما كانوا كذلك في الدنيا عند اقتراف
ما يؤدي اليه من القبائح بما كانوا يكسبون بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصي
يا معشر الجن والانس شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ المعشرين وتقريعهم بتفريطهم فيما يتعلق
بخاصة انفسهم اثر حكاية توبيخ معشر الجن باغواء الانس واضلالهم وبيان مآل امرهم الم ياتكم
اي في الدنيا رسل اي من عند الله عز وجل لكن لا على ان ياتي كل رسول كل واحد من الامم بل على
ان ياتي كل امة رسول خاص بها اي الم يات كل فريق منكم رسول معين قوله تعالى منكم متعلق
بمحذوف صفة لرسل اي كائنة من جملتكم لكن لا على انهم من جنس الفريقين معا بل من الانس
خاصة وانما جعلوا منهما اما لتأكيد وجوب اتباعهم والايذان بتقاربهما ذاتا واتحادهما تكليفا
وخطابا كانهما جنس واحد ولذلك تمكن احدهما من اضلال الاخر واما لان المراد بالرسل
ما يعم رسل الرسل وقد ثبت ان الجن قد استمعوا القرآن فانذروا به قومهم حيث نطق به قوله
تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الى قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين
قوله تعالى يقصون عليكم اياتي صفة اخرى لرسل محققة لما هو المراد من ارسال الرسل من التبليغ

والانذار

والانذار وقد حصل ذلك بالنسبة الى الثقلين وينذرونكم عما في تضاعيفها من القوارع لقاء يومكم
هذا يوم الحشر الذي قد عاينوا فيه ما اعد لهم من افانين العقوبات الهائلة قالوا استئناف
مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل قالوا
شهدنا على انفسنا اي باتيان الرسل وانذارهم وبمقابلتهم اياهم بالكفر والتكذيب واستحقاقهم
بسبب ذلك العذاب المخلد حسبما فصل في حكاية جوابهم عن سؤال خزنة النار حيث قالوا بلى قد
جاءنا نذير فكذبنا الى قوله ضلال كبير وقد اجمل هاهنا في الحكاية كما اجمل في حكاية جوابهم
حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا مع ما
عطف عليه اعتراض لبيان ما اداهم في الدنيا الى ارتكابهم للقبائح التي ارتكبوها والجاهم
في الاخرة الى الاعتراف بالكفر واستيجاب العذاب وذم لهم بذلك اي واغتروا في الدنيا
بالحياة الدنية واللذات الخسيسة الفانية واعرضوا عن النعيم المقيم الذي بشرت به الرسل
واجترءوا على ارتكاب ما يجرهم الى العذاب المؤبد الذي انذروهم اياه وشهدوا في الاخرة
على انفسهم انهم كانوا في الدنيا كافرين اي بالايات والنذر التي اتى بها الرسل عليهم السلام
على التفصيل المذكور انفا واضطروا الى الاستسلام لاشد العذاب كما ينبئ عنه ما حكي عنهم
بقوله تعالى وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وفيه من تحذيرهم وتحذير
السامعين عن مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه ذلك اشارة الى ما ذكر من شهادتهم على انفسهم
بالكفر واستيجاب العذاب والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وهو مبتدأ خبره
قوله تعالى ان لم يكن ربك مهلك القرى بحذف اللام على ان ان مصدرية او مخففة من ان وضمير
الشان الذي هو اسمها محذوف وقوله تعالى بظلم متعلق اما بمهلك اي بسبب ظلم او بمحذوف
وقع حالا من القرى اي ملتبسة بظلم فان ملابسة اهلها للظلم ملابسة القرية له بواسطتهم
واما كونه حالا من ربك او من ضميره في مهلك كما قيل فيأباه ان مقابله اهلها مأخوذة في معنى
الظلم وحقيقته لا محالة فلا يحسن مقابلته بقوله تعالى واهلها غافلون والمعنى ذلك ثابت
لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك القرى بسبب اي ظلم فعلوه من افراد
الظلم قبل ان ينبهوا عنه وينبهوا على بطلانه برسول وكتاب وان قضى به بديهة العقول
وينذروا عاقبة جناياتهم اي لولا انتفاء كونه تعالى معذبا لهم قبل ارسال الرسل وانزال
الكتب لما امكن من التوبيخ بما ذكر ولما شهدوا على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب ولا
اعتذروا بعدم اتيان الرسل كما في قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا
ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى وانما علل ما ذكر بانتفاء التعذيب
الدنيوي الذي هو اهلاك القرى قبل الانذار مع ان التقريب في تعليله بانتفاء مطلق
التعذيب من غير بعث الرسل الزم على ما نطق به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
لبيان كمال نزاهته سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين الدنيوي والاخروي معا من غير
انذار على ابلغ وجه واكده حيث اقتصر على نفي التعذيب الدنيوي تعالى بسبب نفي التعذيب
الاخروي عنه تعالى على الوجه البرهاني بطريق الاولوية فانه تعالى حيث لم يعذبهم بعذاب
يسير منقطع بدون انذار فلان لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد اولى وعلل بما ذكر من نفي التعذيب

لا تعرف بحسب المقام الى ما فيه الكلام من نفي التعذيب الاخروي ونفي التعذيب الدنيوي غير متعرض
له لا صريحا ولا دلالة ضرورة ان نفي الاعلى لا يدل على نفي الادنى ولان ترتيب التعذيب الدنيوي
على الانذار عنه عدم تأثر المنذرين منه معلوم مشاهد عند السامعين فيستدلون به
بذلك على ان التعذيب الاخروي كذلك ايضا متوقف على الاخلال بمواجب الانذار اشد ازجاره
هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما حمله على الاشارة الى ارسال الرسل عليهم السلام
فانه ذا امر وخبر المبتدا المحذوف كما اطبق عليه الجمهور فبمعزل من مقتضى الكلام المقام والله
سبحانه اعلم ولكل اي من المكلفين من الثقلين درجات متفاوتة وطبقات متباينة مما عملوا
من اعمالهم صالحة كانت او سيئة فان اعمالهم درجات في انفسها او من جزاء اعمالهم فان كل جزاء مرتبته
معينة لهم او من اجل اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل من اعمالهم او قدر ما
يستحقون بها من ثواب او عقاب وقرئ بالتاء تغليبا للخطاب على الغيبة وربك الغني ذو الرحمة
مبتدا وخبر اي هو المعروف بالغنى عن كل ما سواه كائنا من كان وكائنا ما كان فيدخل فيه غناه عن العباد
وعن عبادتهم وفي التعرض لوصف الربوبية وفي الوصفين لاسيما في الثاني لكونه موقع الاضمار مع
الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم من اظهار اللطف به صلى الله عليه وسلم وتنويه شأنه
ما لا يخفى قوله تعالى ذو الرحمة خبر اخر وهو الغني الخبر والغني
صفة اي يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سلف ذكره
من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتمهيد لقوله تعالى ان يشأ يذهبكم اي ما به حاجة اليكم
ان يشأ يذهبكم ايها العباد وفي تلوين الخطاب من تشديد الوعيد ما لا يخفى ويستخلف من بعدكم
اي من بعد اذهابكم ما يشاء من الخلق وايثار ما على من لاظهار كمال الكبرياء واسقاطهم عن رتبة
العقلاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين اي من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل
سفينة نوح عليه السلام لكنه ابقاكم ترحما عليكم وما في كما مصدرية ومحل الكاف النصب على انه مصدر
تشبيهي على غير الصدر فان يستخلف في معنى ينشئ كأنه قيل وينشئ انشاء كائنا كانشائكم الخ او نعت
لمصدر الفعل المذكور اي يستخلف استخلافا كائنا كانشائكم الخ والشرطية استئناف مقرر لمضمون
ما قبلها من الغنى والرحمة ان ما توعدون اي الذي توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الامور
الهائلة وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار التجددي لآت لواقع لا محالة لقوله تعالى انما
توعدون لواقع وايثاره عليه لبيان كمال سرعته وقوعه بتصويره بصورة طالب حثيث
لا يفوته هارب حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما انتم بمعجزين اي بفائتين ذلك وان ركبتم في الهرب
متن كل صعب وذلول كما ان ايثار صيغة الفاعل على المستقبل للايذان بكمال قرب الاسناد المراد
دوام انتفاء الاعجاز لا انتفاء دوامه فان الجملة الاسمية كما تدل على دوام
الثبوت تدل بمعونة المقام اذا دخل عليها حرف النفي على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام
كما حقق في موضعه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اثر ما بين لهم حالهم ومآلهم بطريق الخطاب امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين بان يواجههم بطريق تشديد التهديد ويكرر الوعيد
ويظهر لهم ما هو عليه من غاية التصلب في الدين ونهاية الوثوق بامره وعدم المبالاة بهم اي
اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على جهتكم وحالتكم التي

انتم

انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرئ مكاناتكم والمعنى اثبتوا على كفركم ومعاداتكم اني عامل
ما امرت به من الثبات على الاسلام والاستمرار على الاعمال الصالحة والمصابرة وايراد التهديد بصيغة
الامر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يؤدي اليه وتسجيل
بان المهدد لا يأتي فيه الا الشر الذي امر به بحيث لا يجد الى التقصي عنه سبيلا فسوف تعلمون من تكون له
عاقبة الدار سوف لتأكيد مضمون الجملة والعلم عرفاني ومن اما استفهامية معلقة لفعل العلم محلها
الرفع على الابتداء وتكون باسمها وخبرها في محل النصب وسد مسد مفعول تعلمون اي فسوف
تعلمون اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه الدار لها واما موصولة فمحلها النصب
على انها مفعول لتعلمون اي فسوف تعلمون الذي له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف
في المقال وتنبيه على كمال وثوق المنذر بامره وقرئ بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقي انه اي الشأن
لا يفلح الظالمون وضع الظلم موضع الكفر ايذانا بان امتناع الفلاح مترتب على اي فرد كان من افراد
الظلم فما ظنك بالكفر الذي هو اعظم افراده وجعلوا شروع في تقبيح احوالهم الفظيعة بحكاية اقوالهم
وافعالهم الشنيعة وهو ما جعلوه لله تعالى اي لنا بما يزيد في نفسه خيرا وسعوا فجعلوه لآلهتهم كادر اكا
ما جعلوه لآلهتهم تركوه متعللين بان الله تعالى غني وما ذلك الا لحب الآلهة وايثارهم لها والجعل اما متعد
الى واحد فالجار الاول في قوله تعالى لله مما ذرأ متعلقان به ومن في قوله تعالى من الحرث والانعام بيان لما
وفيه تنبيه على فرط جهالتهم حيث اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه
بان جعلوا الزكي له اي عينوا له تعالى مما خلقه من الحرث والانعام نصيبا يصرفونه الى الضيفان
والمساكين وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر واما
الى مفعولين اولهما مما ذرأ على ان من تبعيضية اي جعلوا بعض ما خلقه نصيبا له وما قيل من ان الاول
نصيبا والثاني لله لا يساعده سداد المعنى وحكاية جعلهم له تعالى نصيبا يدل على انهم جعلوا لشركائهم
ايضا نصيبا ولم يذكر اكتفاء بقوله تعالى فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وقرئ بزعمهم بالضم
وهو لغة فيه وانما قيد به الاول للتنبيه على انه في الحقيقة ليس بجعل لله تعالى غير مستتبع لشيء من
الثواب كالتطوعات التي يبتغى بها وجه الله تعالى لا لما قيل من انه للتنبيه على ان ذلك مما اخترعوه
لم يأمرهم الله تعالى به فان ذلك مستفاد من الجعل ولذلك لم يقيد به الثاني ويجوز ان يكون ذلك
تمهيدا لما بعده على معنى ان قولهم هذا لله مجرد زعم منهم لا يعملون بمقتضاه الذي هو اختصاصه
به تعالى بقوله تعالى فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم
بيان وتفصيل له اي فما عينوه لشركائهم لا يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لله تعالى من الانفاق عليها
بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون فيما فعلوا من ايثار آلهتهم على الله
تعالى وعملهم ما لا يسوغ لهم وما بمعنى الذي والتقدير ساء الذي يحكمون حكمهم فيكون حكمهم مبتدأ
وما قبله الخبر وحذف لدلالة يحكمون عليه وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان
بين الله تعالى وبين آلهتهم او ومثل ذلك التزيين البليغ المعهود من الشياطين زين لكثير من المشركين
قتل اولادهم بالوأد ونحرهم لآلهتهم كان الرجل في الجاهلية يحلف لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم
كما حلف عبد المطلب وهو مشهور شركاؤهم اي اولياؤهم من الجن او السدنة وهو فاعل زين اخر عن الظرف
والمفعول لما مر غير مرة وقرئ على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة

بإضافة القتل إليه مفصولا بينهما بمفعوله وقرئ على البناء للمفعول ورفع قتل وجر أولادهم ورفع شركاؤهم
بفعل دل عليه زين كأنه قيل من زين لهم قتل أولادهم فقيل زينه شركاؤهم ليردوهم
أي يهلكوهم بالإغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين ابراهيم عليه السلام
أو ما يجب عليهم أن يتدينوا به واللام للتعليل إن كان التزيين من الشياطين وللعاقبة إن كان من
السدنة ولو شاء الله أي عدم فعلهم ذلك ما فعلوه أي ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل أو الشركاء
التزيين أو الإرداء أو اللبس أو الفريقان جميع ذلك على إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة فذرهم وما
يفترون الفاء فصيحة أي إذا كان ما فعلوه بمشيئة الله تعالى فدعهم وافتراءهم أي ما يفترونه
من الإفك فإن فيما شاء الله تعالى حكما بالغة إنما يملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين وفيه
من شدة الوعيد ما لا يخفى وقالوا حكاية لنوع آخر من أنواع كفرهم هذه إشارة إلى ما جعلوه لآلهتهم
والتأنيث للخبر أنعام وحرث حجر أي حرام فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والكثير
والذكر والأنثى لأن أصله المصدر ولذلك وقع صفة لأنعام وحرث وقرئ حجر بالضم وبضمتين
وحرج أي ضيق وأصله حرج وقيل هو مقلوب من حجر لا يطعمها إلا من نشاء يعنون خدم الأوثان من
الرجال دون النساء والجملة صفة أخرى لأنعام وحرث بزعمهم متعلق بمحذوف هو حال من فاعل
قالوا أي قالوه متلبسين بزعمهم الباطل من غير حجة وأنعام خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة
على قوله تعالى هذه أنعام إلى آخره أي قالوا مشيرين إلى طائفة أخرى من أنعامهم وهذه أنعام
حرمت ظهورها يعنون بها البحائر والسوائب والحوامي وأنعام أي وهذه أنعام كما مر
قوله تعالى لا يذكرون اسم الله عليها صفة لأنعام لكنه غير واقع في كلامهم المحكي كنظائره بل مسوق
من جهته تعالى تعيينا للموصوف وتمييزا له عن غيره كما في قوله تعالى وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن
مريم رسول الله على أحد التفاسير كأنه قيل وأنعام ذبحت على الأصنام فإنها لا يذكر عليها اسم الله تعالى
وإنما يذكر عليها اسم الأصنام وقيل لا يحجون عليها فإن الحج لا يعرى عن ذكر الله تعالى وقال مجاهد
كانت لهم طائفة من أنعامهم لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها لا إن ركبوا ولا إن حلبوا ولا
إن نتجوا ولا إن باعوا ولا إن حملوا افتراء عليه نصب على المصدر إما على أن ما قالوه تقول على الله
تعالى وإما على تقدير عامل من لفظه أي افتروا افتراء والجار متعلق بقالوا أو بمحذوف هو صفة له
لا بافتراء لأن المصدر المؤكد لا يعمل أو على الحال من فاعل قالوا أي مفترين أو على العلة أي للافتراء
والجار متعلق أي بسببه أو بدله وفي إبهام الجزاء من التهويل ما لا يخفى وقالوا حكاية لنوع آخر
من فنون كفرهم ما في بطون هذه الأنعام يعنون به أجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا أي بسببه أو
بدله وفي إبهام الجزاء حلال لهم خاصة والتاء للنقل إلى الاسمية أو للمبالغة أو لأن الخالصة مصدر
كالعافية وقع موقع الخالص مبالغة أو بحذف المضاف أي ذو خالصة أو للتأنيث بناء على أن ما عبارة
عن الأجنة والتذكير في قوله تعالى ومحرم على أزواجنا أي حلائلنا وهي الإناث
باعتبار اللفظ وفيه كما ترى حمل للنظم الكريم على خلاف المعهود الذي هو الحمل على اللفظ أولا
وعلى المعنى ثانيا كما في قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم إلى آخره ونظائره
وأما العكس فقد قالوا إنه لا نظير له في القرآن وهذا الحكم إن ولد ذلك حيا وهو الظاهر
المعتاد وإن يكن ميتة أي إن ولد ميتة فهم فيه شركاء الذكور والإناث فيه أي يأكلون الأنعام

وقيل

وقيل المراد بالميتة ما يعم الذكور والإناث فغلب الأول على الثاني شركاء يأكلون منه جميعا وقرئ خالصة بالنصب
على أنه مصدر مؤكد لذكورنا أو حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في ذكورنا ولا من الذكور لأنها لا
تتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبها المجرور وقرئ خالصة بالرفع والإضافة إلى الضمير على أنه بدل
من ما أو مبتدأ ثان سيجزيهم وصفهم أي جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى في أمر التحليل والتحريم من قوله
تعالى وتصف ألسنتهم الكذب إنه حكيم عليم تعليل للوعد بالجزاء فإن الحكيم العليم بما صدر عنهم لا يكاد
يترك جزاءهم الذي هو من مقتضيات الحكمة قد خسر الذين قتلوا أولادهم جواب قسم محذوف وقرئ
بالتشديد وهم ربيعة ومضر وأضرابهم من العرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر أي
خسروا دينهم ودنياهم سفها بغير علم متعلق بقتلوا على أنه علة له أي لخفة عقلهم وجهلهم بأن
الله هو الرزاق لهم ولأولادهم أو نصب على الحال ويؤيده أنه قرئ سفهاء وحرموا ما رزقهم الله
من البحائر والسوائب ونحوها افتراء على الله نصب على أحد الوجوه المذكورة وإظهار الاسم
الجليل في موضع الإضمار لإظهار كمال عتوهم وطغيانهم قد ضلوا عن الطريق المستقيم وما كانوا
مهتدين إليه وإن هدوا بفنون الهدايات أو وما كانوا مهتدين من الأصل لسوء سيرتهم فالجملة حينئذ
اعتراض وعلى الأول عطفت على ضلوا وهو الذي أنشأ جنات معروشات تمهيد لما سيأتي من تفصيل أحوال
الأنعام أي هو الذي أنشأهن من غير شركة لأحد في ذلك بوجه من الوجوه والمعنى بساتين من الكروم
المرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ومن الملقيات على وجه الأرض وقيل المعروشات ما غرسه الناس
وعرشوه وغير المعروشات ما نبت في البوادي والجبال والنخل والزرع عطف على جنات أي أنشأهما مختلفا
أكله وقرئ أكله بسكون الكاف أي ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير إما للنخل والزرع
والزرع في حكمه أو للزرع والباقي مقيس عليه أو للجميع على تقدير أكل ذلك أو كل واحد منهما ومختلفا حال
مقدرة إذ ليس كذلك وقت الإنشاء والزيتون والرمان أي أنشأهما قوله تعالى متشابها وغير متشابه
نصب على الحالية أي يتشابه بعض أفرادهما في اللون والهيئة والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره
أي من ثمر كل واحد من ذلك إذا أثمر فإن لم يدرك ولم يينع بعد وفيه تأييد لرخصة المالك في الأكل
منه قبل أداء حق الله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده أريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق
الوجوب من غير تعيين المقدار لا الزكاة المقدرة لأنها فرضت بالمدينة والسورة مكية وقيل الزكاة
والآية مدنية والأمر بإيتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الأداء وليعلم أن الوجوب
بالإدراك لا بالتنقية وقرئ يوم حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا أي في التصدق
كما روي عن ثابت بن قيس أنه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمارها كلها ولم يدخل منه شيئا إلى منزله كقوله تعالى
ولا تبسطها كل البسط الآية إنه لا يحب المسرفين أي لا يرتضي إسرافهم ومن الأنعام حمولة وفرشا
شروع في تفصيل حال الأنعام وإبطال ما تقولوا على الله تعالى في شأنها بالتحريم والتحليل وهو عطف
على مفعول أنشأ ومن متعلقة به أي وأنشأ من الأنعام ما يحمل عليه الأثقال وما يفرش للذبح أو ينسج
من الصوف من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار والغنم الصالحة للحمل والصغار الدانية من الأرض
كأنها فرش مفروش عليها كلوا مما رزقكم الله عبارة كما ذكر من الحمولة والفرش ومن تبعيضية
أي كلوا بعض ما رزقكم الله تعالى أي حلاله وفيه تصريح بأن إنشاءها لأجلهم ومصلحتهم ولا تتبعوا
في أمر التحليل والتحريم بتقليد أسلافكم المجاوزين ذلك من تلقاء أنفسهم المفترين على الله سبحانه

خطوات الشيطان فانه لكم منهو با عوايد واستتباعهم اياه انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج
الزوج ما معه اخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل والمراد بها الانواع الاربعة وايرادها بهذا
العنوان وهذا العدد تمهيد لما سيق له الكلام من الانكار المتعلق بتحريم كل واحد من الذكر والانثى
وما في بطونها وهو بدل من حمولة وفرشا منصوبا بما نصبهما وجعله مفعولا لكلوا على ان قوله تعالى ولا
تتبعوا الاية معترض بينهما او حالا بمعنى مختلفة او متعددة يأباه جزالة النظم الكريم لظهور انه
مسوق لتوضيح حال الانعام بتفصيلها اولا الى حمولة وفرش ثم تفصيلها الى ثمانية ازواج
حاصلة من تفصيل الاول الى الابل والبقر وتفصيل الثاني الى الضأن والمعز ثم تفصيل كل
من الاقسام الاربعة الى الذكر والانثى كل ذلك لتحرير المواد التي تقولوا فيها سبحانه وتعالى
من الضأن اثنين بدل من ثمانية ازواج منصوب بناصبه وهو العامل في من اي انشأ من الضأن
زوجين الكبش والنعجة وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين كأمير
او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة ومن المعز اثنين عطف على مثله شريك له في حكمه اي
وانشأ من المعز زوجين التيس والعنز وقرئ بفتح العين وهو جمع ماعز كصاحب وصحب
وحارس وحرس وقرئ ومن المعزى وهذه الازواج الاربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها
في التفصيل مع تأخر اصلها في الاجمال لكون هذين النوعين عرضة للاكل الذي هو معظم ما يتعلق
به الحل والحرمة وهو السر في الاقتصار على الامر به في قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله بلا عطف
من غير تعرض للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما حصل في الثانية واخواتها قل تلوين
للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تفصيل انواع الانعام التي انشاها
اي قل تبكيتا لهم واظهارا لانقطاعهم عن الجواب آلذكرين من ذينك النوعين وهما
الكبش والتيس حرم اي الله عز وجل كما تزعمون انه هو المحرم ام الانثيين وهما النعجة
والعنز ونصب الذكرين والانثيين بحرم وهو موضوع عقيب الهمزة وان توسط بينهما
قوله تعالى اما اشتملت عليه ارحام الانثيين اي اما حملت اناث النوعين حرم ذكرا كان او
انثى نبئوني بعلم امر ... للالزام وتنبيه للتبكيت والالزام اي اخبروني بامر
معلوم من جهته تعالى من الكتاب واخبار الانبياء عليهم السلام يدل على انه تعالى حرم شيئا مما ذكر
او تنبيه ... بعلم صادر عنه ان كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه سبحانه وقوله
تعالى ومن الابل اثنين عطف على قوله تعالى من الضأن اثنين اي وانشأ من الابل اثنين هما الجمل
والناقة ومن البقر اثنين ذكرا وانثى قل آلذكرين منهما حرم ام
الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين من ذينك النوعين والمعنى انكار ان الله تعالى
حرم شيئا من الانواع الاربعة واظهار كذبهم في ذلك وتفصيل ما ذكر من الذكور والاناث وما
في بطونها للمبالغة في الرد عليهم بايراد الانكار على كل مادة من مواد افترائهم كانهم كانوا يحرمون
ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيفما كانت تارة اخرى مسندين ذلك كله
الى الله سبحانه وانما عقب تفصيل الانواع الاربعة بانه تعالى الذكور حرم ام الاناث اما
اشتملت عليه ارحام الاناث لما في التثنية والتكرير من المبالغة في التبكيت والالزام وقوله
تعالى ام كنتم شهداء تكرير للانكار لقوله نبئوني بعلم وام منقطعة ومعنى الهمزة الانكار

والتوبيخ ومعنى بل الاضراب عن التوبيخ ومعنى بل الاضراب عن التوبيخ بوجه اخر بل كنتم حاضرين مشاهدين
اذ وصاكم الله بهذا اي وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال
ذلك الا بالمشاهدة والسماع وفيه من تركيك ... ما لا يخفى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك
او عمرو بن لحي بن قمعة وهو المؤسس لهذا الشر او الكل لاشتراكهم في الافتراء عليه سبحانه وتعالى
والفاء لترتيب ما بعدها على ما سبق من تبكيتهم واظهار كذبهم وافترائهم اي هو اظلم من
كل ظالم وان كان المنفي صريح الاظلمية دون المساواة كما مر غير مرة ليضل الناس متعلق بالافتراء
بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل افترى اي افترى عليه تعالى جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى
وانما وصفوا بعدم العلم بذلك مع انهم عالمون بعدم صدوره عنه مبالغة ... مع احتمال الصدور عنه
اذ كان اظلم من كل ظالم فما ظنك بمن افترى عليه وهو يعلم انه لم يصدر عنه ويجوز ان يكون حالا من فاعل
يضل اي ملتبسا بغير علم بما يؤدي بهم اليه ان الله لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه صلاح حالهم
عاجلا واجلا اذ كان عدم الهداية للمتصف بالظلم في الجملة فما ظنك بمن هو في اقصى غاياته قل امر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الزام المشركين وتبكيتهم وبيان ان ما يتقولونه في امر التحريم افتراء
بحت لا اصل له قطعا بان يبين لهم ما حرم عليهم ويعني قوله لا اجد فيما اوحي الي محرما ايذانا بان
مناط الحل والحرمة هو الوحي وانه صلى الله عليه وسلم قد تتبع جميع ما اوحي اليه وتفحص عن المحرمات
ولم يجد غير ما فصل وفيه مبالغة في بيان انحصارها في ذلك ومحرما صفة لمحذوف اي لا اجد
طعاما محرما من المطاعم التي حرموها على طاعم اي طاعم كان من ذكر او انثى
رد على قولهم محرم على ازواجنا وقوله تعالى يطعمه لزيادة التقرير الا ان يكون اي ذلك الطعام
ميتة وقرئ تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرئ ميتة بالرفع على ان كان تامة وقوله تعالى او دما مسفوحا
حينئذ عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا
كالطحال والكبد او لحم خنزير فانه رجس اي لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث
او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرر لحرمته اهل لغير الله به صفة له موضحة اي ذبح
على اسم الاصنام وانما سمي ذلك فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف
على يكون والمستكن راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر اي اصابته الضرورة الداعية
الى اكل الميتة بوجه من الوجوه المضطرة غير باغ في ذلك على مضطر اخر مثله ولا عاد متجاوز قدر الضرورة فان
ربك غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك وليس التقييد بالحال الاولى لبيان انه
لو وجد القيد لتحققت الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام اخر هو اخذه حق مضطر اخر فان من اخذ
لحم الميتة من يد مضطر اخر فاكله فان حرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة بل هو باعتبار كونه حقا للمضطر
الاخر واما الحال الثانية فلتحقيق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعا فان التجاوز عن القدر
الذي يسد به الرمق حرام من حيث انه لحم الميتة وفي التعرض لوصفي المغفرة والرحمة ايذان بان
المعصية باقية لكنه تعالى يغفر له ويرحمه والاية محكمة لانها تدل على انه صلى الله عليه وسلم
لم يجد فيما اوحي اليه الى تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء اخر فلا

الا سند لا دلالة فيها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشيا التي هي غيرها لانه مع الاستصحاب ٭ وعلى الذين هادوا خاصة لا على من عداهم من الاولين والآخرين حرمنا كل ذي ظفر اي كل ما له اصبع من الابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب او حافر وسمي الحافر ظفرا مجازا والمسبب عن الظلم هو تعميم التحريم حيث كان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عم التحريم وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل وابطال لما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما لا لحومهما فانها باقية على الحل والشحوم مخرج لما علق من الشحم المعروف وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما استثناء من الشحوم مخرج لما علق من الشحم بظهورهما عن حكم التحريم او الحوايا عطف على ظهورهما اي ما حملته الحوايا وهي جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن او ما اختلط بعظم عطف على ما حملت وهو شحم الالية لاختلاطه بالعصعص وقيل هو كل شحم متصل بالعظم من الاضلاع وغيرها ذلك اشارة الى الجزاء او التحريم فهو على الاول نصب على انه مصدر مؤكد لما بعده وعلى الثاني على انه مفعول ثان لما بعده اي ذلك التحريم جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وهو قتلهم الانبياء بغير حق واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وكانوا كلما اتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شيء مما احل لهم وهم ينكرون ذلك ويدعون انها لم تزل محرمة على الامم فرد عليهم ذلك واكد بقوله تعالى وانا لصادقون اي في جميع اخبارنا التي من جملتها ذلك الخبر ولقد الزمهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة الاية روي انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة وكيف وقد بين فيها جميع ما يحذرون من بيان فان كذبوك قيل الضمير لليهود لانهم اقرب ذكرا ولذكر المشركين بعد ذلك بعنوان الاشراك وقيل للمشركين بعنوان الاشراك وقيل للمشركين فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة على ما تأتونه من المعاصي ويمهلكم على تكذيبكم ولا يرد باسه بالكلية عن القوم المجرمين ما انكروا وانما وقع منه تعالى من تحريم بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديدا وعلى الثاني فان المشركون فيما فصل من احكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك لانه امهال لا اهمال ٭ وقيل ذو رحمة للمطيعين وذو باس شديد على المجرمين فاقيم مقامه ٭ قوله تعالى ولا يرد باسه الى اخره لتضمنه التنبيه على انزال الباس عليهم مع الدلالة على انه لاحق بهم البتة من غير صارف يصرفه عنهم اصلا سيقول الذين اشركوا حكاية لفن اخر من كفرهم واخبار قبل وقوعه بوقوعه حسبما اخبر به الكريمة قوله تعالى عنه وموعده ٭ وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء في الاية من عند الله تعالى لو شاء الله ما اشركنا اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضا لما فعلنا الاشراك نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء ارادوا به ان ما فعلوه حق مرضي عند الله تعالى لا الاعتذار من ارتكاب القبيح بارادة الله تعالى اياها منهم حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ٭ الاخرى

اليه قوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل ذلك التكذيب لك في ان الله تعالى منع من الشرك ولم يعجزهم ما اخبر من كذب متقدميهم الرسل فانه صالح فيما فعلنا وعطف اباؤنا على الضمير للفصل بلا حتى ذاقوا باسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا اي فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن اي ما تتبعون في ذلك الا الظن الباطل الذي لا يغني من الحق شيئا وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله عز وجل وليس فيه دلالة من المنع على اتباع الظن على الاطلاق بل فيما يعارضه قطعي قل فلله الحجة البالغة اي البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه ٭ والمراد بها الكتاب والرسول والبيان وهي من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء هدايتكم لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن لم يشأ هداية الكل بل هداية البعض الصادين هممهم الى سلوك طريق الحق وضلال اخرين صرفوا اختيارهم الى خلاف ذلك من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم قل هلم شهداءكم اي احضروهم وهو اسم فعل لا ينصرف في لغة اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع على لغة بني تميم على راي الجمهور وقد خالفهم البعض في تعليقه واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في الاية ولازما كما في قوله تعالى هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا اي ما زعمتم تحريمه وهم الذين يشهدون لهم وانما امروا باستحضارهم لتلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفوا بما يدل على انهم شهداء معروفون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم فان شهدوا بعدما حضروا بان الله حرم هذا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فانه كذب بحت وافترا صرف وبين لهم فساده فان تسليمه منهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع المظهر مقام المضمر للدلالة على ان من كذب بايات الله تعالى وعدل عنها فهو متبع للهوى لا غير وان من اتبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالاخرة كعبدة الاوثان عطف على الموصول الاول بطريق عطف الصفة مع اتحاد الموصوف كما في قوله ٭

الى الملك القرم وابن الهمام ٭ وليث الكتائب في المزدحم ٭

فان من يكذب باياته تعالى لا يؤمن بالاخرة وبالعكس وهم بربهم يعدلون اي يجعلون له عدلا عطف على لا يؤمنون والمعنى لا تتبع اهواء الذين يجمعون بين تكذيب ايات الله تعالى وبين الكفر بالاخرة وبين الاشراك به سبحانه لكن لا على ان يكون مدار النهي الجمع بل على ان اولئك جامعون لها متصفون بجميعها قل تعالوا امر له بعد ما ظهر بطلان ما ادعوا من ان اشراكهم واشراك ابائهم وتحريمهم ما حرموه بامر الله تعالى ومشيئته بظهور عجزهم عن اخراج شيء يتمسك به في ذلك واحضار شهداء يشهدون بما ادعوا بعدما الزمهم عن ابينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من المحرمات ما يقتضي الحال بيانه على الاسلوب الحكيم ايذانا بان حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات ٭ واما الاطعمة المحرمة فقد بينت بقوله تعالى قل لا اجد الاية ٭ وتعالوا امر من التعالي والاصل فيه ان يقوله

من كان في مكان عال لمن هو في اسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم كما ان الغنية في الاصل اصابة الغنيمة
من العدو في اصابة كل ما يصاب منهم ثم اتسعوا فيه في العلو لكل مطلب من غير تشبيه اتل جواب
الامر • وقوله تعالى ما حرم ربكم عليكم منصوب به على ان ما موصولة والعائد محذوف اي اقرا الذي حرمه
ربكم اي الايات المشتملة عليه او مصدرية اي الايات المشتملة على تحريمه اي تحريم ربكم على انها استفهامية
والجملة مفعول لاتل لان التلاوة من باب القول • كانه قيل اتل اي شي حرم ربكم وعليكم
متعلق بحرم على كل حال وقيل باتل والاول انسب بمقام الاعتناء بايجاب الانتهاء عن المحرمات
المذكورة وهو السر في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم فان تذكير كونه تعالى ربا
لهم ومالكا لامرهم على الاطلاق من اقوى الدواعي الى انتهائهم عما نهاهم عنه اشد انتهاء • ان في قوله
تعالى ان لا تشركوا مفسرة لفعل التلاوة المعلق بما حرم ولا ناهية كما ينبئ عنه عطف ما بعده
من الاوامر والنواهي عليه • وليس من ضرورة كون المعطوف عليه تفسيرا لتلاوة المحرمات
حسب منطوقه كون المعطوفات ايضا كذلك حتى يمنع انتظام الاوامر في سلك العطف عليه
بل يكفي في ذلك كونها تفسيرا لها باعتبار لوازمها التي هي النواهي المتعلقة باضدادها
مما تعلقت به فان الامر بالشي مستلزم للنهي عن ضده بل هو عينه عند البعض كان الاوامر
ذكرت وقصد لوازمها فان عطف الاوامر على النواهي الواقعة بعد ان المفسرة لتلاوة
المحرمات مع القطع بان المامور به لا يكون محرما دليل واضح على ان التحريم راجع الى الاضداد
على الوجه المذكور • فكانه قيل اتل ما حرم ربكم ان لا تشركوا ولا تسيئوا الى الوالدين خلا
انه قد اخرج مخرج الامر بالاحسان اليهما بالصيغة المكتفية للمبالغة في ايجاب مراعاة حقوقهما
فان مجرد ترك الاساءة اليهما غير كاف في قضاء حقوقهما • ولذلك عقب به النهي عن الاشراك الذي
هو اعظم المحرمات واكبر الكبائر هنا • وفي سائر المواقع • وقيل ان ناصبة ومحلها النصب
بعليكم على انه للاغراء • وقيل النصب على البدلية من ما حرم • وقيل من عائده المحذوف
على ان لا زائدة • وقيل الجر بتقدير اللام • وقيل الرفع بتقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم
ان تشركوا بزيادة لا • وقيل والذي عليه التعويل هو الاول لامور من جملتها ان في اخراج
المفسر على صورة النهي مبالغة في بيان التحريم من قوله تعالى شيئا نصب على المصدرية او المفعولية
اي لا تشركوا به شيئا من الاشراك او شيئا من الاشياء وبالوالدين اي واحسنوا بهما احسانا وقد
مر تحقيقه في قوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم تكليف متعلق بحقوق الاولاد عقب به التكليف
المتعلق بحقوق الوالدين اي ولا تقتلوهم بالوأد من املاق اي من اجل فقر كما في قوله
تعالى من املاق • وقيل خشية الفقر الناجز واما في الموضع قوله تعالى نحن نرزقكم واياهم استئناف
لتعليل النهي وابطال سببية ما اتخذوه سببا لمباشرة المنهي عنه وضمان منه تعالى لارزاقهم اي
نحن نرزق الفريقين لا انتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق • وقوله تعالى ولا
تقربوا الفواحش كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة الاية الا انه جي ههنا بصيغة
الجمع قصدا الى النهي عن انواعها ولذلك ابدل منها قوله ما ظهر منها وما بطن اي ما يفعل منها
علانية في الحوانيت كما هو داب اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الاخدان كما هو عادة اشرافهم
وتعليق النهي بقربانها اما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي اليها واما لان قربانها داع

الى

الى مباشرتها • وتوسيط النهي عنها بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن القتل مطلقا كما وقع
في سورة بني اسرائيل باعتبار انها مع كونها في نفسها جناية عظيمة في حكم قتل الاولاد فان اولاد الزنا
في حكم الاموات • وقد قال صلى الله عليه وسلم في حق العزل ذلك الوأد الخفي ومن ههنا تبين
ان حمل الفواحش على الكبائر مطلقا • ولا تقتلوا النفس التي حرم الله اي حرم قتلها بان عصمها
بالاسلام او بالعهد فيخرج منها الحربي • وقوله تعالى الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال
اي لا تقتلوها في حال من الاحوال الا حال ملابستكم بالحق الذي هو امر الشرع بقتلها وذلك
بالكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان وقتل النفس المعصومة او من اعم الاسباب اي لا
تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق وهو ما ذكر او من اعم المصادر اي لا تقتلوها قتلا
الا قتلا كائنا بالحق وهو القتل باحد الامور المذكورة ذلكم اشارة الى ما ذكر من التكاليف الخمسة
وما في ذلك من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها من بين التكاليف الشرعية وهو مبتدا
وقوله تعالى وصاكم به اي امركم به امرا مؤكدا خبره • والجملة استئناف جي به تجديدا للعهد
وتاكيدا لايجاب المحافظة على ما كلفوه • ولما كانت الامور المنهي عنها مما يقضي بديهة العقول
بقبحها فصلت الاية الكريمة بقوله تعالى لعلكم تعقلون اي تستعملون عقولكم التي تعقلها
نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة ولا تقربوا مال اليتيم توجيه النهي الى قربانه
لما مر من المبالغة في النهي عنا كله ولاخراج القربان النافع من حكم النهي بطريق الاستثناء اي لا
تتعرضوا له بوجه من الوجوه الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يكون من الحفظ
والتثمير ونحو ذلك والخطاب للاولياء والاوصياء لقوله تعالى حتى يبلغ اشده فانه غاية لما يفهم
من الاستثناء لا للنهي كانه قيل احفظوه حتى يصير بالغا رشيدا فحينئذ سلموه اليه كما في قوله تعالى
فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم • والاشد جمع شدة كنعمة وانعم او شد ككلب
واكلب او شد كصر واصر • وقيل هو مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط اي بالعدل
والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وهو اعتراض جي به عقيب
الامر بالعدل للايذان بان مراعاة العدل كما هو عسير • كانه قيل عليكم بما في وسعكم
وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم قولا في شهادة او حكومة او نحوهما فاعدلوا فيه ولو كان اي
المقول له او عليه ذا قربى اي ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم اصلا • وقد مر تحقيق معنى لو في مثل
هذه المواضع مرارا وبعهد الله اوفوا اي ما عهد اليكم من الامور المعدودة او اي عهد كان
فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا او ما عاهدتم الله عليه من الايمان والنذور وتقديمه للاعتناء
بشانه ذلكم اشارة الى ما فصل من التكاليف ومعنى البعد لما ذكر فيما قبل وصاكم به امركم
به امرا مؤكدا لعلكم تذكرون تتذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه • وقرئ بتشديد
الذال وهذه احكام عشرة لا تختلف باختلاف الامم والاعصار • عن ابن عباس رضي الله عنهما
هذه الايات محكمات لم ينسخهن شي من جميع الكتب وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن ام الكتاب
من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار • وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه
الايات لاول شي في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا الايات وان هذا صراطي اشارة الى ما ذكر في
الايتين من الامر والنهي • قاله مقاتل • وقيل الى ما ذكر في السورة فانها بازرها في اثبات

التوحيد والنبوة وبيان الشريعة • وقرئ صراطي بفتح الياء وعلى اضافته الى ضميره عليه السلام
مستقيما على العمل بذلك مراعاتها • وقوله تعالى مستقيما حال مؤكدة وان مع ما في حيزها الجر بحذف
لام العلة اي ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا
تدعوا مع الله احدا وتعليل اتباعه بكونه صراطه صلى الله عليه وسلم لا بكونه صراط الله تعالى
مع انه في نفسه كذلك من حيث ان سلوكه صلى الله عليه وسلم داع للخلق الى الاتباع اذ بذلك
يتضح عندهم كونه صراط الله عز وجل • وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف • وقرئ ان هذا
مخففة من ان على ان اسمها الذي هو ضمير الشان محذوف • وقرئ صراطي وقرئ هذا صراطي
وربي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او طرق
البدع والضلالات فتفرق بكم بحذف احدى التاءين والباء للتعدية اي فتفرقكم حسب
تفرقها اباديد سبا فهو كما ترى ابلغ من تفرقكم كما قيل من ان ذهب به لما فيه من الدلالة على
الاستصحاب ابلغ من اذهبه عن سبيله اي سبيل الله الذي لا عوج فيه ولا حرج وهو دين الاسلام
الذي ذكر بعض احكامه واصل البرهان وفيه تنبيه على ان صراطه صلى الله عليه وسلم عين سبيل
الله تعالى ذلكم اشارة الى ما مر من اتباع سائر السبل وصاكم به لعلكم تتقون اتباع
سبل الكفر والضلالة ثم اتينا موسى الكتاب كلام مسوق من جهته تعالى تقريرا للوصية وتحقيقا
لها وتمهيد لما يعقبه من ذكر انزال القرآن المجيد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى التكلم
معطوفا على مقدر يقتضيه المقام • وينساق اليه النظام • كانه قيل بعد قوله تعالى ذلكم وصاكم
به بطريق الاستئناف تصديقا له وتقريرا لمضمونه فعلنا ذلك ثم اتينا الخ كما ان قوله تعالى
ونطبع على قلوبهم معطوف على ما يدل عليه معنى او لم يهد الخ • كانه قيل يغفلون عن
الهداية ونطبع الخ • واما عطفه على وصاكم به ونظمه معه في سلك الكلام الملقن كما
اجمع عليه الجمهور فمما لا يليق بجزالة النظم الكريم لما عرفت وثم للتراخي في الرتبة والاخبار كما
في قولك بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت بالامس اعجب او للتفاوت في الرتبة • كانه قيل
ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى التوراة وانزلناها مشتملة
على الوصية المذكورة وغيرها اعظم من الوصية بها فقط تماما للكرامة والنعمة اي اتماما لها
على انه مصدر من اتم بحذف الزوائد على الذي احسن اي على من احسن القيام به كائنا من كان ويؤيده
انه قرئ على الذين احسنوا وتماما على المحسنين او على الذي احسن تبليغه وهو موسى عليه الصلاة
والسلام او تماما على ما احسنه موسى عليه الصلاة والسلام اي اجاده من العلم والشرائع اي زيادة
على علمه على وجه التتميم • وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي على الذي هو احسن دين وارضاه
واتينا موسى الكتاب تماما اي تاما كاملا على احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل
شيء واثباتا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما اما على العلية او على
المصدرية كما اشير اليه او على الحالية • وكذا قوله تعالى وهدى ورحمة وهم لعلهم
بني اسرائيل المدلول عليهم بذكر موسى وايتاء الكتاب • والباء في قوله تعالى بلقاء ربهم
متعلقة بقوله تعالى يؤمنون قدمت عليه محافظة على الفواصل • قال ابن عباس رضي الله
عنهما كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب وهذا الذي يتلى عليكم اوامره

ونواهيه

ونواهيه اي القرآن كتاب عظيم الشأن لا يقادر قدره • وقوله تعالى انزلناه مبارك
اي كثير المنافع دينا ودنيا صفتان لكتاب وتقديم وصف الانزال مع كونه غير صريح لان الكلام
مع منكريه او خبران اخران لاسم الاشارة اي انزلناه مشتملا على فنون الفوائد الدينية
والدنيوية التي فصلت عليكم طائفة منها والفاء في قوله تعالى فاتبعوه لترتيب ما بعدها على
ان عظيم الشأن الكتاب في نفسه وكونه منزلا من جنابه عز وجل مستتبعا للمنافع الدينية
والدنيوية موجب لاتباعه اي ايجاب واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بموجبه
ان تقولوا علة لانزلناه المدلول عليه بالمذكور لا لنفسه للزوم الفصل حينئذ بين العامل
ومعموله باجنبي هو مبارك وصفا كان او خبرا اي انزلناه لئلا تقولوا يوم القيامة
لو لم ننزله انما انزل الكتاب الناطق بتلك الاحكام العامة لكل الامم على طائفتين كائنتين
من قبلنا وهما اليهود والنصارى وتخصيص الانزال بكتابيهما لانهما الذين اشتهرا من بين الكتب
السماوية بالاشتمال على الاحكام لا سيما الاحكام المذكورة وان كنا ان هي المخففة من ان واللام
فارقة بينها وبين النافية وضمير الشان محذوف ومرادهم بذلك دفع ما يرد عليهم من ان نزوله
عليهما لا ينافي عموم احكامه فلم لم تعملوا باحكامه العامة واي وانه كنا عن دراستهم لغافلين
لا ندري ما في كتابهم اذ لم يكن على لغتنا حتى نتلقى منه تلك الاحكام العامة ونحافظ عليها وان لم
يكن منزلا علينا • وبهذا ابتني ان معذرتهم هذه مع انهم غير مامورين بما في الكتاب لاشتماله
على الاحكام المذكورة المتناولة لكافة الامم كما ان قطع تلك المعذرة بانزال القرآن لاشتماله
ايضا عليها لا على سائر الشرائع والاحكام فقط او تقولوا عطف على تقولوا وقرئ كلاهما بالياء
على الالتفات من خطاب فاتبعوا واتقوا لو انا انزل علينا الكتاب كما انزل عليهم لكنا
اهدى منهم الى الحق الذي هو المقصد الاقصى او الى ما تضمنه من الاحكام والشرائع
وقد ابينا لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص
والاخبار والاشعار وعن ذلك طرفا صالحا ونحن اميون • وقوله تبارك وتعالى فقد
جاءكم متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة اما معللا به اي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم
الى اخره • واما شرطا له اي ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم من كونكم اهدى
من الطائفتين فيما نعت بنزول الكتاب عليكم فقد حصلتم ما فرضتم وجاءكم بينة واي
بينة اي حجة واضحة لا يكتنه كنهها • وقوله تبارك وتعالى من ربكم متعلق بجاءكم
او بمحذوف هو صفة لبينة اي بينة كائنة منه تعالى • وايا ما كان ففيه دلالة على فضلها
الاضافي اي ضمنه مزيد تاكيد وتشريف لا يجاب الاتباع وهدى ورحمة عطف على
بينة وتنوينها ايضا تفخيمي عبر عن القرآن بالبينة ايذانا بكمال تمكنهم من دراسته ثم
بالهدى والرحمة تنبيها على انه مشتمل على ما اشتمل عليه التوراة من هداية الناس ورحمتهم
بل هو عين الهداية والرحمة فمن اظلم الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان مجيء القرآن
المشتمل على الهدى والرحمة موجب لغاية اظلمية من يكذب به اي واذا كان الامر
كذلك فمن اظلم ممن كذب بايات الله ووضع الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات
وتسجيلا عليهم باتصافهم بما في حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم واسقاطا لهم عن رتبة

وعدما جاءهم بايات الله تعالى بهو بالاظهار وتنبيها على ان تكذيب اي اية كانت من اياته تبارك وتعالى
كان في الاطلاق فما ظنك بتكذيب القران المنطوي على الكل • والمعنى انكار ان يكون احد اظلم ممن
فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها • فاذا قيل من
اكرم من فلان او لا افضل منه • فالمراد به حتما بحكم العرف الفاشي والاستعمال المطرد
انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل • وقرئ ممن كذب بالتخفيف وصدف عنها اي صرف الناس عنها
فجمع بين الضلال والاضلال • وقوله تعالى سنجزي الذين يصدفون الناس عن اياتنا
وعيد لهم ببيان جزاء اضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم ايضا • ووضع الموصول موضع الضمير
لتحقيق مناط الجزاء سوء العذاب اي العذاب السيء الشديد النكاية بما كانوا
يصدفون اي بسبب ما كانوا يفعلون من الصدف والصرف على التجدد والاستمرار وهذا
تصريح بما اشير اليه اجراء الحكم على الموصول من علية ما في حيز الصلة له هل ينظرون استئناف
مسوق لبيان انه لا يتأتى منهم الايمان بانزال ما ذكر من البينات والهدى • وانهم لا
يرعوون عن التمادي في المكابرة • واقتراح ما ينافي الحكمة التشريعية من الايات الملجئة
وان الايمان عند اتيانها مما لا فائدة له اصلا مبالغة في التبليغ والانذار • وازاحة
العلل والاعذار اي ما ينتظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك حسبما
اقترحوا بقولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم • وبقولهم
او تأتي بالله والملائكة قبيلا • وبقولهم لولا انزل عليه ملك ونحو ذلك او الا ان تأتيهم
ملائكة العذاب او يأتي امر ربك بالعذاب • والانتظار محمول على التمثيل • كما سيجيء •
وقرئ يأتيهم بالياء لان تأنيث الملائكة غير حقيقي او يأتي بعض ايات ربك اي غير ما ذكر
كما اقترحوا بقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملائكة قبيلا
ونحو ذلك من عظائم الايات التي علقوا بها ايمانهم • والتعبير عنها بالبعض للتهويل والتفخيم
كما ان اضافة الايات في الموضعين الى اسم الرب المنبئ عن المالكية الكلية لذلك واضافته
الى ضميره عليه الصلاة والسلام للتشريف • وقيل المراد بالملائكة ملائكة
الموت وباتيانه سبحانه وتعالى اتيان كل اياته يعني ايات القيامة والهلاك الكلي بقرينة ما
بعده من اتيان بعض اياته تعالى على ان المراد به اشراط الساعة التي هي الدخان ودابة
الارض • وخسف بالمشرق • وخسف بالمغرب • وخسف بجزيرة العرب والدجال • وطلوع
الشمس من مغربها وياجوج وماجوج • ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام فانتظارهم له
كاتيان ما اقترحوه من الايات العظام • فان تعليق ايمانهم باتيانها انتظار ومنهم له ظاهر حمل الانتظار
على التمثيل المبني على تشبيه حالهم في الاصرار على الكفر والتمادي في العناد الى ان تأتيهم تلك الامور
الهائلة التي لا بد لهم من الايمان عند مشاهدتها البتة بحال المنتظرين لها • وانت خبير بان
النظم الكريم مسوق للنعي عليهم بتكذيب ايات الله تعالى وعدم الاعتداد بها وسياقه
الناطق بعدم نفع الايمان عند اتيان ما ينتظرونه يستدعي ان يحمل ذلك على امور هائلة مخصوصة
بهم اما بان يكون عبارة عما اقترحوه او عن عقوبة مترتبة على جناياتهم كاتيان ملائكة العذاب •
واتيان امره سبحانه وتعالى بالعذاب • وهو الانسب لما سيأتي من قوله تعالى قل انتظروا

انا

انا منتظرون • واما حمله على ما ذكر من اتيان ملائكة الموت واتيان كل ايات القيامة وظهور اشراط
الساعة مع شمول حال اتيانها لكل بر وفاجر واشتمال غائلتها على المؤمن والكافر فلا يلائم المقام •
على ان بعض اشراط الساعة ليس مما ينسد به باب الايمان والطاعة • فتدبر • وتعرض حال الايمان
في قوله عز وعلا يوم يأتي بعض ايات ربك على ما يعتبر مقتضاهم وعيدها من الله والى العظام
الثالثة للاجتناب الذي عليه يدور ذلك التعليق فانه بمنزلة الكبرى من الشكل
الاول لنتيجة التقريب بين حول ما ينتظرونه في ذلك الدخول اوليا • ويوم منصوب بقوله
تبارك وتعالى لا ينفع فان امتناع عمل ما بعد لا فيما قبلها غير مطرد ووقوعها جواب المستقر
وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعائد فيها محذوف اي لا ينفع فيه نفسا
من النفوس ايمانها حينئذ لانكشاف الحال وكون الامر عيانا • ومدار قبول الايمان ان يكون
بالغيب • كقوله تبارك وتعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا • وقرئ لا تنفع بالتاء
الفوقانية لاكتساب الايمان من ملابسة المضاف اليه تأنيثا • وقوله تبارك وتعالى
لم تكن امنت من قبل اي من قبل اتيان بعض الايات صفة لنفسا فصل بينهما بالفاعل
لاشتماله على ضمير الموصوف ولا ضير فيه لانه غير اجنبي منه لاشتراكهما في العامل • وقوله
تبارك وتعالى او كسبت في ايمانها خيرا عطف على امنت والمراد به في النفي المنفيه
لكفاية احد النفيين في عدم النفع • والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا لم تقدم ايمانها
او قدمته ولم تكسب فيه خيرا • ومن ضرورته اشتراط النفع • والمعنى انه لا ينفع الايمان
حينئذ نفسا لم تقدم ايمانها او قدمته ولم تكسب فيه خيرا • ومن ضرورته اشتراط
النفع • والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ تحقيق الامرين اي الايمان المقدم والخير
المكسوب فيه معا بمعنى ان النافع هو تحققهما • والايمان المؤخر لغو وتحصيل للحاصل لانه
هو النافع • وتحققهما شرط في نفعه كما ان المقدم عين المؤخر بالذات • فان قولك لا ينفع
الصوم والصدقة من لم يؤمن قبلهما معناه انهما ينفعانه بعد وقوعهما بعد الايمان • وقد
استدل به اهل الاعتزال على اعتبار الاعمال في غير اعتبار الايمان المجرد عن الاعمال وليس بذاك يعني
ضرورة صحة حمله على نفي الترتيب المستلزم لعموم النفي بمنطوقه لاشتراط عدم
النفع بكل الامرين معا وبمفهومه لاشتراط النفع بتحقق احدهما بطريق منع الخلود دون
الانفصال الحقيقي • فالمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا لم تفعله من قبل احد
الامرين اما الايمان المجرد والخير المكسوب فيه فيتحقق النفع بايهما كان حسبما تنطق
به النصوص الكريمة من الايات والاحاديث • وما قيل من ان عدم الايمان السابق
بكل الامرين معا وبمفهومه لاشتراط النفع بتحقق احدهما بطريق منع الخلود دون الانفصال
الحقيقي • فالمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا لم تفعله من قبل احد الامرين اما
الايمان المجرد والخير المكسوب فيه فيتحقق النفع بايهما كان حسبما تنطق به النصوص الكريمة من
الايات والاحاديث • وما قيل من ان عدم الايمان السابق مستلزم لعدم كسب الخير
فيه بالضرورة فيكون ذكره تكرارا بلا فائدة على ان الموجب للخلود في النار هو عدم
الاول من غير ان يكون للثاني دخل ما في ذلك قطعا • فيكون ذكره بعده بيان ما يوجب

الخلود اهو ابين الكافر مبني على ما قررنا ان المقصود بوصف النفس بكونها لم تكن امنت من قبل بيان الحاجة
للخلود فيها • وعدم نفع الايمان الحادث في اخراجها منها وليس كذلك للامر الاخر في البيان • ان
بناء لا ينفع نفسا ايمانها الحادث بالمقصد الاصلي من وصفها بعدم كونها امنت من قبل المذكورين
في البيان عدم نفع الايمان الحادث تضمين ان موجب عدم النفع احدى ملكتيها امن الايمان
السابق والخير المكتسب فيه بما ذكر من الطريقة والترغيب في تحصيلهما في ضمن التعذيب من
تركهما • ولا سبيل الى ان يقال كما ان عدم الاول مستقل في ايجاب الخلود في النار فيلغو ا
ذكر عدم الثاني لذلك وجود مستقل في ايجاب الخلاص عنها فيكون ذكر الثاني لغوا لما انه
متياس مع النار وفيه الخلود فيها امر لا يتصور فيه تعدد العلل • واما الخلاص عنها
مع دخول الجنة فله اسباب بعضها مترتبة على نفس الايمان وبعضها على فروعه المتفاوتة كما وكيفا
والانتقيعد على بيان ما يجب وجب امتثال النفع وهو الايمان السابق مع انه المعاملة لا يوجبه
استقلالا • اعني الايمان الحادث بل وان به ما يوجب النفع الى ابد ايضا ارشاد الى تحري الاعلى
وتنبيها على الكفاية الادنى واستنباطا للكفرة ما عللوا به احلامهم الفارغة من اعمال البر التي
عملوها في الكفر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفك العناة • واغاثة الملهوف •
وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم ببيان ان كل ذلك لغو لا ابتنائه على غير
اساس حسبما نطق به قوله تبارك وتعالى • والذين كفروا اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم
عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ونحوه ذلك من النصوص الكريمة
وان الايمان الحادث كما لا ينفعهم وحده لا ينفعهم بانضمام اعمالهم السابقة واللاحقة • ولذا
لا تقول المقصود بوصف النفس ذكر من العدم بقي التعريض بحال الكفرة في تمرد هم
وتعبيطهم بكل واحد من الامرين الواجبين عليهم • وان كان وجوب احدهما منوطا بالاخر
كما في قوله تبارك وتعالى فلا صدق ولا صلى تسجيلا بكمال طغيانهم ايذانا بتضاعف عقابهم
لما تقرر من ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذة كما ينبئ عنه قوله تبارك
وتعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم كافرون • اذا تحققت هذا
وقفت على ان الاية الكريمة احق بان تكون حجة على المعتزلة من ان تكون حجة لهم • سيما وقد قيل
انها من باب اللف التقديري اي لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها في الايمان لم تكن امنت من قبل
او كسبت في ايمانها خيرا او ليس بواضح فان مبنى اللف التقديري ان يكون المقدر من متمات الكلام
ومقتضيات المقام فلا يترك ذكره تعويلا على دلالة الملفوظ عليه • واقتضائه اياه • كما مر في
تفسير قوله سبحانه وتعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا • فانه
قد طوي في ذكر المتعلقات ذكر حشر المؤمنين معه بانسا التفصيل عقبه اعني قوله تعالى • فاما
الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله • ولا ريب في ان ما قدر
ههنا ليس مما يستدعيه قوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا • ولا هو من مقتضيات المقام لانه
ما وعد وعلقوه ما بان ما ذكر من الايمان كالايمان [illegible] عليهم ببيان عدم نفعه او زال
على ان ذلك مشعر بان لهم بعدما اصابهم من الحال امني ما اصابهم بعاجل الملائكة وزمانا باقيا
منهم للكسب والعمل فيه وفيه من الاخلال بالمقام ونبوة الخطب وتهويل الحال ما لا يخفى •

وقتا

وقد اجيب عن الاستدلال بوجوه اخر قد تقدم ذكرها امنا الله احتياطا للاية الكريمة من وبنة المعارضة المصونة
لتطبيقه المتون القوي على ما ذكر من كفاية الايمان المجرد عن العمل في الانجاء من العذاب الخالد
في الدنيا او الى كما تقرر من الظلمين من لا مهاد دونه المعطي قل لهم تهديدا ببيان حقيقة الحال
بما وجه اليه من سوء معهم التهديد المتند به انتظروا ما تنتظرونه من اتيان احد الامور الثلاثة لتروا
اي شيء منتظرونه انا منتظرون لذلك التشاهد ما يحل بكم من سوء العاقبة وفيه تاكيد بكون المراد بما
ينتظرونه اتيان ملائكة العذاب واتيان امره تعالى بالعذاب كما اشير اليه وفيه تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بما يفتهم لما يحيق بالكفرة من العذاب ولعله كذلك هو الذي شاهدوه
يوم بدر والله سبحانه وتعالى اعلم ان الذين فرقوا دينهم استئناف لبيان احوال اهل الكتابين
اثر بيان حال المشركين اي بددوه وبعضوه فتمسك كل بعض منه فرقة منهم وقرئ فارقوا اي باينوه
فان ترك بعضهم وان كان باخذ بعض امر منه ترك الكل ومفارقة له وكانوا شيعا اي فرقا تشيع كل فرقة اماما
لما قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى
على اثنين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية
الا واحدة واستثناء الواحدة من فرق كل من الكتابين انما هو بالنظر الى العصر الماضي قبل النسخ واما
بعده فالكل في الهاوية وان اختلفت اسبابه وحولهم معنى قوله تعالى لست منهم في شيء لست من البحث
عن تفرقهم والتعرض لما يعاقبون مبهم بالمناقشة والمؤاخذة وقيل من قتالهم في شيء سوى تبليغ الرسالة
واظهار شرائع الدين الحق الذي امرت بالدعوة اليه فيكون منسوخا باية السيف وقوله تعالى انما
امرهم الى الله تعليل المذكور اي هو يتولى وحده امرا اولهم واخرهم ويدبره كيف يشاء حسبما تقتضيه
الحكمة يؤاخذهم في الدنيا متى شاء ويامر بقتالهم اذا اراد وقيل المراد اهل البدع والاهواء الزائغة
من هذه الامة ويرده انه عليه السلام مامور بمؤاخذتهم والاعتداد بانه معنى لست منهم في شيء انه
بري منهم ومن مذهبهم وهو برآء منه ثم ينبئهم بالعقاب المذكور في يوم القيامة بما كانوا
يفعلون عبر عن الاظهار بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في انهما سببان للعلم تنبيها على انهم كانوا
جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته اي يظهر لهم على رؤوس الاشهاد ويعلمهم اي شيء شنيع كانوا
يفعلونه في الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر
امثالها استئناف مبين لمقادير اجزية العاملين وقد صدر ببيان اجزية المحسنين المدلول عليهم بذكر
اضدادهم قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه يريد من عمل من المؤمنين حسنة كتب له عشر حسنات امثالها اي
من جاء يوم القيامة بالاعمال الحسنة من المؤمنين اذ لا حسنة بغير ايمان فله عشر حسنات امثالها
فضلا من الله من غير [illegible] وقرئ عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف
وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر
في العدد الخاص ومن جاء بالسيئة اي بالاعمال السيئة كائنا من كان من العاملين فلا يجزى الا
مثلها بحكم الوعد واحدة بواحدة وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني
ربي امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذي يدعون انهم عليه
وقد فارقوه بالكلية وتصدير الجملة بحرف التحقيق لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لمزيد تشريفه اي قل لاولئك المفرقين [illegible]

بالوحي وبما نصب في الآفاق والأنفس من الآيات التكوينية إلى صراط مستقيم موصل إلى الحق وقوله
تعالى دينا نصب على أنه بدل من محل إلى صراط مستقيم فإن محله النصب كما في قوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما
أو مفعول لفعل مضمر يدل عليه المذكور قيما مصدر نعت به مبالغة والقياس قوما
كعوض فأعل لإعلال فعله كالقيام وقرئ قيما وهو فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من المستقيم
باعتبار الزنة وإن كان هو أبلغ منه باعتبار الصيغة ملة إبراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من
إبراهيم أي مائلا عن الأديان الباطلة وقوله تعالى وما كان من المشركين اعتراض
مقرر لنزاهته عليه السلام عما عليه المشركون لدينه من عقد وعمل أي ما كان منهم في
أمر من أمور دينهم أصلا وفرعا صرح بذلك ردا على الذين يدعون أنهم على ملته عليه السلام
من أهل مكة واليهود والمشركين بقولهم عزير ابن الله والنصارى المشركين بقولهم المسيح ابن الله قل إن
صلاتي ونسكي ومحياي أعيد الأمر لما أن المأمور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق بأصولها
أي عبادتي كلها وقيل عباداتي وقيل ذبحي وجمع بينه وبين الصلاة كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر
وقيل صلاتي وحجي ومحياي ومماتي أي وما أنا عليه في حياتي وأموت عليه عند موتي من الإيمان
والطاعة أو طاعات الحياة والخيرات المضافة إلى الممات كالوصية والتدبير وقرئ محيا
بسكون الياء إجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة لا أشرك فيها غيره
وبذلك إشارة إلى الإخلاص وفيه من معنى البعد للإشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل
أي بذلك الإخلاص أمرت لا بشيء غيره وقوله تعالى وأنا أول المسلمين
لبيان مسارعته عليه السلام إلى الامتثال بما أمر به وإن ما أمر به ليس من خصائصه عليه السلام
بل الكل مأمورون به ويقتدي به عليه السلام من أسلم منهم قل أغير الله أبغي ربا
أي أشركه في العبادة وهو رب كل شيء جملة حالية مؤكدة للإنكار أي والحال أن كل ما سواه
مربوب له مثلي فكيف يتصور أن يكون له شريك في المعبودية ولا تكسب كل نفس إلا عليها
كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم إما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم
وإما بمعنى لنحمل يوم القيامة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الأول أي لا يكون جناية
نفس من النفوس إلا عليها ومحال أن يكون صدورها عن شخص وقرارها على شخص آخر حتى يتأتى ما ذكرتم
وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى رد له بالمعنى الثاني أي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى
حتى يصح قولكم ثم إلى ربكم مرجعكم تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الكل لتأكيد الوعد وتشديد
الوعيد أي إلى مالك أمركم رجوعكم يوم القيامة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
ببيان الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الأرض من حيث خلفتم الأمم
السالفة أي يخلف بعضكم بعضا أو خلفاء الله تعالى في أرضه تتصرفون فيها على أن الخطاب
عام ورفع بعضكم في الشرف والغنى فوق بعض درجات كثيرة متفاوتة ليبلوكم فيما
آتاكم من المال والجاه أي ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده
إن ربك تجريد الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع إضافة اسم الرب إليه عليه
السلام لإبراز مزيد اللطف به عليه السلام سريع العقاب أي عقابه سريع الإتيان
لمن لم يراع حقوق ما آتاه الله تعالى ولم يشكره لأن كل آت قريب أو سريع التمام عند إرادته

تعالى لتعاليه عن استعمال المبادي والآلات وإنه لغفور رحيم لمن راعاها كما ينبغي وفي
جعل خبر هذه الجملة من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة مؤكدا باللام مع جعل خبر الأولى صفة
جارية على غير من هي له من التنبيه على أنه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما فاعل للعقوبة بالعرض
مسامح فيها ما لا يخفى والله تعالى أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت علي
سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الأنعام صلى
الله عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الأنعام يوما وليلة

سورة الأعراف مائتان وست آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

المص إما مسرود على نمط التعديد بأحد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الإعراب
وإما اسم للسورة فمحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف والتقدير هذا المص أي مسمى به والتقدير
وتذكير اسم الإشارة مع تأنيث الخبر لما أن الإشارة إليه من حيث إنه مسمى بالاسم المذكور لا من حيث إنه
مسمى بالسورة وإنما صحت الإشارة إليه مع عدم سبق ذكره لما أنه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في
حكم الحاضر المشاهد كتاب على الوجه الأول خبر مبتدأ محذوف أي هو كتاب وكذا على ما بني عنه تعداد الحروف
كأنه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف مراد به السورة الكريمة كتاب إلى آخره أو اسم إشارة أشير به إليه
لحضوره المؤلف منه منزلة حضوره بنفس المؤلف أي هذا الكتاب إلى آخره وعلى الوجه الثاني خبر بعد خبر على رأي
أو بيان لكونه مترجما باسم بديع منبئ عن عز شأنه في نفسه إبانة جليلة لمحله وإذ لا عهد بالتسمية
قبل فجيئها الإخبار بما أنزل إليك أي من جهته تعالى بني الفعل للمفعول جريا على سنن الكبرياء وإيذانا
بالاستغناء عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور تعينه وهو السر في ترك ذكر مبدأ الإنزال كما في قوله تعالى
ذكرهم بلغ ما أنزل إليك من ربك ونظائره والجملة صفة لكتاب مشرفة له ولمن أنزل عليه وجعله
خبرا له على معنى كتاب عظيم الشأن أنزل إليك خلاف الأمثل فلا يكن في صدرك حرج منه
لتنذر به أي بالكتاب المنزل متعلق بأنزل وما بينهما اعتراض توسط بينهما تقريرا لما قبله
وتمهيدا لما بعده وحسما لتوهم أن مورد الشك هو الإنزال للإنذار وقيل متعلق بالنهي
فإن انتفاء الشك في كونه منزلا من عنده تعالى موجب للإنذار به قطعا وكذا انتفاء
الخوف منهم أو العلم بأنه موفق للقيام بحقه موجب للتجاسر على ذلك وأنت خبير بأنه
لا يتأتى على التفسير الأول إذ التعليل بالنهي عن الشك يذكر في الإنذار والتذكير مع أنه
لا إمكان منه ومن عنده صلى الله عليه وسلم مشعر بأن المنهي عنه ليس بمحذور لذاته بل لإفضائه
إلى فوت الإنذار والتذكير أي كل من الإيذان بأن ذلك محظور بالكلية ولا ريب في تساوي
وأما على التفسير الثاني فإنما يتأتى التعليل بالإنذار لا بتذكير المؤمنين إذ ليس فيه شائبة
خوف حتى يجعل غاية لانتفائه وقوله تعالى وذكرى للمؤمنين في حيز النصب بإضمار فعله معطوفا على
تنذر أي وتذكر المؤمنين تذكيرا أو الجر عطفا على محل أن تنذر أي للإنذار والتذكير وقيل
مرفوع عطفا على كتاب أو خبر لمبتدأ محذوف وتخصيص التذكير بالمؤمنين للإيذان باختصاص
الإنذار بالكفرة أي لتنذر به المشركين وتذكر المؤمنين وتقديم الإنذار لأنه أهم

عقب التأمل وقوله تعالى اتبعوا ما انزل اليكم كلام مستانف خوطب به كافة المكلفين بطريق التلوين
وامروا باتباع ما امر النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغه بطريق الانذار والتذكير وجعله
منزلا اليهم بواسطة انزاله صلى الله عليه وسلم اثر ما بين من الانذار والتذكير وجوب اتباعه
وقوله تعالى من ربكم متعلق بانزل على ان من لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من الموصول
او من ضميره في الصلة • وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين من مزيد لطف
لهم وترغيب لهم في الامتثال بما امروا به وتاكيد لوجوبه وجعل ما انزل ههنا عاما للسنة
القولية والفعلية بعيد تعميمها حكمه بطريق الدلالة لا بطريق العبارة • ولما كان
اتباع ما انزل الله تعالى اتباعا له تعالى عقب الامر به بالنهي عن اتباع غيره تعالى فقيل ولا تتبعوا
من دونه اي من دون ربكم الذي يهديكم الى الحق ومحله النصب على انه حال من فاعل فعل النهي اي ولا
تتبعوا متجاوزين الله تعالى اولياء من الجن والانس بان تقبلوا منهم ما يلقونه اليكم بطريق الوسوسة
والاغواء من الاباطيل ليضلوكم عن الحق ويحملوكم على البدع والاهواء الزائغة او من اولياء قدم
عليه لكونه نكرة اذ لو اخر عنه لكان صفة له اي اولياء كائنة غيره تعالى • وقيل الضمير للموصول
على حذف المضاف في اولياء اي ولا تتبعوا من دون ما انزل اباطيل اولياء • كأنه قيل ولا
تتبعوا من دون دين ربكم دين اوليائه • وقرئ ولا تبتغوا كما في قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام
دينا • وقوله تعالى قليلا ما تذكرون بحذف احدى التائين وتخفيف الذال • وقرئ بتشديدها
على ادغام التاء المهموسة في الذال المجهورة • وقرئ يتذكرون على صيغة الغيبة وقليلا
نصب اما بفعل على انه نعت لمصدر مقدم للقصر او لظرف كذلك للمحذوف وما
مزيدة لتاكيد القلة اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون لا كثيرا حيث لا تتاثرون بذلك
ولا تعملون بموجبه وتتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره ويجوز ان يراد بالقلة العدم
كما قيل في قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون • والجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقبيح حال المخاطبين
والالتفات على القراءة الاخيرة للايذان باقتضاء سوء حالهم في عدم الامتثال بالامر والنهي صرف
الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة • واما نصبه على انه حال من فاعل لا
تتبعوا وما مصدرية مرتفعة به اي لا تتبعوا من دونه اولياء قليلا تذكركم لا على وجه
النهي الى القيد فقط • كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى بل الى المقيد والقيد
جميعا او تخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين وكم من قرية اهلكناها
شروع في انذارهم بما جرى على الامم الماضية بسبب اعراضهم عن اتباع دين الله تعالى واصرارهم
على اتباع دين اوليائهم وكم خبرية للتكثير في موضع رفع على الابتداء • كما في قولك زيد
ضربته والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز والضمير في اهلكناها راجع الى معنى كم
اي كثير من القرى اهلكناها او في موضع نصب باهلكناها • كما في قوله تعالى انا كل شيء
خلقناه بقدر وما امرنا الا واحدة • والمراد باهلاكها ارادة اهلاكها • كما في قوله تعالى اذا
قمتم الى الصلاة اي اذا اردنا اهلاكها فجاءها اي فجاء اهلها باسنا اي عذابنا بياتا مصدر
بمعنى الفاعل واقع موقع الحال اي بائتين كقوم لوط او هم قائلون عطف عليه اي قائلين نصف
النهار كقوم شعيب وانما حذفت الواو من الحال المعطوفة على اختها استثقالا لاجتماع العاطفين

فان واو الحال حرف عطف قد استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير كما في جاءني زيد هو فارس فانه غير فصيح
وتخصيص الحالين بالذكر لما ان نزول المكروه عند الغفلة والدعة افظع وحكايته للسامعين
ازجر وادرع عن الاغترار باسباب الامن والراحة • ووصف الكل بوصفي البيات والقيلولة مع ان
بعض المهلكين نزل بهم لا ليلا ولا في القيلولة للايذان بكمال غفلتهم وامنهم فما كان دعواهم اي
دعاؤهم واستغاثتهم بربهم او ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم اذ جاءهم باسنا
وعاينوا امارات الا ان قالوا جميعا انا كنا ظالمين اي الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم
ببطلانه تحسرا عليه وندامة وطمعا في الخلاص • وهيهات ولات حين مناص فلنسألن الذين
ارسل اليهم بيان لعذابهم الاخروي اثر بيان عذابهم الدنيوي • خلا انه قد تعرض لبيان مبادي
احوال المكلفين جميعا لكونه داخلا في التهويل • والفاء لترتيب الاحوال الاخروية على الدنيوية ذكرا
حسب ترتبها عليها وجودا اي لنسألن الامم قاطبة قائلين ماذا اجبتم المرسلين ولنسألن المرسلين
عما اجيبوا • قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم • والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم
والذي نفي بقوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب
والثاني في موقف العقاب فلنقصن عليهم اي على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام
الغيوب او عليهم وعلى الرسل اليهم جميعا ما كانوا عليه بعلم اي عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومهم
منهم وما كنا غائبين عنهم في حال من الاحوال فيخفى علينا شيء من احوالهم واعمالهم • والجملة تذييل
مقرر لما قبلها والوزن اي وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديها ورفعه
على الابتداء وقوله تعالى يومئذ خبره وقوله تعالى الحق صفته اي والوزن الحق ثابت في ذلك اليوم يوم يكون
السؤال والقص • وقيل خبر لمبتدأ محذوف • كأنه قيل ما ذلك الوزن فقيل الحق اي العدل السوي
وقرئ القسط • واختلف في كيفية الوزن والجمهور على ان صحائف الاعمال هي التي توزن بميزان
له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف
بها السنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما يثبت في صحائفهم فيقرؤونها
في موقف الحساب • ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون
سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة فتطيش السجلات
وتثقل البطاقة • وقيل توزن الاشخاص • لما روي عنه عليه افضل الصلاة والسلام قال انه
ليؤتى العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة • وقيل الوزن عبارة عن
القضاء السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك • واختاره كثير من
المتأخرين بناء على ان استعمال لفظ الوزن في هذا المعنى شائع في اللغة والعرف بطريق الكناية
قالوا ان الميزان انما يراد به التوصل الى معرفة مقادير الشيء ومقادير اعمال العباد لا يمكن اظهارها
بذلك لانها اعراض قد فنيت • وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن • وقيل ان الاعمال الظاهرة
في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الاخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن
والقبح حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هناك وتتصور بصورة النار • وعلى ذلك حمل
قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين • وقوله تبارك وتعالى ان الذين يأكلون
اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا الاية • وكذا قوله عليه الصلاة والسلام

يحتى من يشرب في انا الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك • الا ترى ان
العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس • وقد
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة
على صورة قبيحة فتوضع في الميزان • ان قيل ان المكلف يوم القيامة اما مؤمن بانه تعالى حكيم منزه
من الجور فيكفيه حكمه تعالى بكيفيات الاعمال وكمياتها • واما منكر له فلا يسلم حينئذ ان
رجحان بعض الاعمال على بعض بخصوصيات راجعة الى ذوات تلك الاعمال بل مستندة الى اظهار
الله سبحانه وتعالى اياه على ذلك الوجه • فما الفائدة في الوزن • اجيب بانه ينكشف الحال
يومئذ ويظهر جميع الحقائق لا سيما حقائق الاشياء على ما هي عليه وباوصافها واحوالها في انفسها من
الحسن والقبح وغير ذلك وتنخلع عن الصور المستعارة التي بها ظهرت في الدنيا فلا يبقى لاحد ممن
يشاهدها شبهة في انها هي التي كانت في الدنيا بعينها • وان كل واحد منها قد ظهر في هذه
النشأة بصورته الحقيقية المستتبعة لصفاته ولا يظهر بما له خلاف ذلك والله تعالى اعلم •
فمن ثقلت موازينه تفصيل للاحكام المترتبة على الوزن والموازين اما جمع ميزان او موزون
على ان المراد به ما له وزن وقدر وهو الحسنات فان رجحان احدهما مستلزم لرجحان
الاخر • اي فمن رجحت موازينه التي توزن بها حسناته واعماله التي لها قدر ووزن • وعن
الحسن البصري رحمه الله وحق لميزان يوضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان ان يوضع
فيه السيئات ان يخف • فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بثقل الموازين والجمعية
باعتبار معناه كما ان جمع الموازين كذلك • واما افراد موازينه فراجع اليه باعتبار لفظه وما
فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف هم المفلحون
الفائزون بالنجاة والثواب • وهم اما مبتدأ وفصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة
ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون • والجملة خبر لاولئك •
وتعريف المفلحون للدلالة على انهم الناس الذين بلغك انهم مفلحون في الاخرة او اشارة الى ما
يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم • ومن خفت موازينه اي موازين اعماله او اعماله
التي لا وزن لها ولا اعتداد بها وهي اعماله السيئة • فاولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم
بتلك الصفة القبيحة والجمعية ومعنى البعد لما مر آنفا في نظيره وهو مبتدأ خبره الذين
خسروا انفسهم اي ضيعوا الفطرة السليمة التي فطروا عليها وفي الذنب بالآيات البينة
قوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون متعلق بخسروا وما مصدرية • وبآياتنا متعلق بيظلمون
على تضمين معنى التكذيب وقدم عليه لمراعاة الفواصل والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على استمرار الظلم في الدنيا اي فاولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا
انفسهم بسبب تكذيبهم المستمر بآياتنا ظالمين • ولقد مكناكم في الارض لما امر الله
سبحانه وتعالى اهل مكة باتباع الهدى ونهاهم عن اتباع غيره بوعيد وخامة
عاقبته بالاستئصال في الدنيا • والعذاب المخلد في الاخرة ذكرهم ما افاض عليهم من
فنون النعم الموجبة للتشكر ترغيبا في الامتثال بالامر والنهي اثر ترهيب اي جعلنا
لكم فيها مكانا وقرارا او مكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش

المعايش

المعايش جمع معيشة وهو ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرهما او ما يتوصل به الى ذلك
والوجه في قراءته اخلاص الياء وعن ابن عامر انه همزه تشبيها له بصحائف ومدائن والمقبل
بمعنى الانشاء والابداع اي انشأنا وابدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها اسبابا تعيشون
بها ولكل واحد من الظرفين متعلق به او بمحذوف وقع حالا من مفعوله المنكر اذ لو تأخر
لكان صفة له وتقديمهما على المفعول مع ان حقهما التأخر عنه لما مر غير مرة من الاعتناء
بشأن المقدم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تأخر ما حقه التقديم لا سيما عند
كون المقدم منبئا عن منفعة للسامع تبقى مترقبة لورود المؤخر فيتمكن فيها عند الورود
فضل تمكن واما تقديم اللام على في فلما انه المنبئ عما ذكر من المنفعة فالاعتناء بشأنه اتم
والمسارعة الى ذكره اهم هذا وقد قيل ان جعل متعد الى مفعولين ثانيهما احد الظرفين
على انه مستقر قدم على الاول والظرف الاخر اما لغو متعلق بالجعل او بالمحذوف الواقع
حالا من المفعول الاول كما مر وانت خبير بانه لا فائدة يعتد بها في الاخبار بجعل المعايش حاصلة
لهم او حاصلة في الارض قوله تعالى قليلا ما تشكرون اي تلك النعمة تذييل مسوق لبيان
سوء حال المخاطبين وتحذير لهم وبقية الكلام فيه عين ما مر في تفسير قوله تعالى
قليلا ما تذكرون • ولقد خلقناكم ثم صورناكم تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم عليه السلام
سارية الى ذريته موجب لشكرهم كافة وتأخيره عن ذكر ما وقع بعده من نعمة التمكين في
الارض اما لانها فائضة على المخاطبين بالذات وهذه بالواسطة واما للايذان بان
كلا منهما نعمة مستقلة مستوجبة للشكر على حيالها فان رعاية الترتيب الوقوعي ربما
يؤدي الى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر في قصة البقرة وتصدير الجملتين بالقسم
وحرف التحقيق لاظهار كمال العناية بمضمونهما وانما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع
ان المراد بهما خلق آدم عليه السلام وتصويره حتما توفية لمقام الامتنان حقه
وتأكيدا لوجوب الشكر عليهم بالرمز الى ان لهم حظا من خلقه عليه السلام وتصويره لما
انهما ليسا من الخصائص المقصورة عليه عليه السلام كسجود الملائكة له بل من الامور السارية الى
ذريته جميعا اذ الكل مخلوق في ضمن خلقه على نمطه ومصنوع على شاكلته فكانهم الذين تعلق
بهم خلقه وتصويره اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصورة ثم صورناه احسن تصوير وابدع
تقويم سار اليكم جميعا ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم صريح في انه وقع بعد خلقه عليه
وتصويره ونفخ الروح فيه امر منجز غير الامر المعلق الوارد فيه قبل ذلك بقوله تعالى
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وهو المراد بما ذكر حكما بقوله تعالى
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم عليه السلام الاية في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل
وسورة الكهف وسورة طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم هاهنا تقتضي تراخيه عن التصوير من غير
تعرض لما جرى بينهما من الامور وقد بينا في سورة البقرة ان ذلك بطور فضل آدم عليه
السلام بعد المحاورة المسبوقة بالاخبار باستخلافه عليه السلام حسبما نطق به قوله عز وجل واذ
قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة الى قوله وما كنتم تكتمون فان ذلك انما كان
جملة ما بسطه الامر المعلق من التسوية ونفخ الروح وعدم ذكره هنا عند الحكاية لا يقتضي عدمه

ذكره بعد وقوع المحكي كما ان عدم ذكر المعلق عند حكاية ذكر الامر المنجز لا يستلزم عدم مسبوقيته
فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة يقتضيها المقام ليست بعزيزة في الكلام العزيز
فلعله قد القي الى الملائكة عليهم السلام اولا جميع ما يتوقف عليه الامر المنجز اجمالا بان قيل
مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا اني جاعله خليفة في الارض فاذا سويته ونفخت فيه من
روحي وتبين لكم من وجه فضله فقعوا له ساجدين مختلفة سواه نفخ فيه من روحه فقالوا
عند ذلك ما قالوا او القي اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المذكورة بان قيل اثر نفخ
الروح اني جاعل هذا خليفة في الارض فهناك ذكروا في حقه عليه السلام ما ذكروا فايده
الله تعالى بتعليم الاسماء فشاهدوا منه عليه السلام ما شاهدوا فعند ذلك ورد
الامر المنجز اعتناء بشان المامور به وايذانا بوقته وقد حكي بعض الامور المذكورة في
بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن اخر والذي يرفع
غشاوة الاشتباه عن البصائر الصحيحة ان ما في سورة ص من قوله تعالى واذ قال ربك
للملائكة الآيات بدل من قوله اذ يختصمون فيما قبله من قوله تعالى ما كان لي من علم بالملا
الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم ولا ريب في ان المراد بالملا الاعلى الملائكة
وادم عليه السلام وابليس حسبما اطبق عليه جمهور المفسرين وباختصامهم ما جرى بينهم
في شان الخلافة من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الانباء بالاسماء
فقضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه مفصلا من الامور
المعلق وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة
وعناد ابليس ولعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الاقوال والافعال
وان ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس وطرده من البين لما عرفت
مع انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة فاذا هو بعد نفخ الروح وقبل السجود
باحد الطريقين المذكورين والله اعلم فسجدوا اي الملائكة بعد الامر من غير تلعثم
الا ابليس استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم
فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون
يقال لهم الجن كما مر في سورة البقرة فقوله تعالى لم يكن من الساجدين اي ممن سجد لادم كلام مستانف
مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان عدم السجود قد يكون للتامل ثم يقع السجود
وبه علم انه لم يقع قط وقيل منقطع فحينئذ يكون متصلا بما بعده اي لكن ابليس لم يكن من
الساجدين قال استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشا من حكاية عدم سجوده كانه قيل
فماذا قال الله تعالى حينئذ وبه يظهر وجه الالتفات الى الغيبة اذ لا وجه لتقدير السؤال
على وجه المخاطبة وفيه فائدة اخرى هي الاشعار بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين كما في حكاية
الخلق والتصوير ما منعك ان لا تسجد اي ان تسجد كما وقع في سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى
الفعل الذي دخلت عليه كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب منبهة على ان الموبخ
عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد
اذ امرتك فيه دلالة على ان مطلق الامر للوجوب والفور وفي سورة الحجر يا ابليس ما لك

الا تكون مع الساجدين وفي سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي واختلاف العبارات
عند الحكاية يدل على ان اللعين قد ادرج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الامر ومفارقة
الجماعات والاباء عن الانتظام في سلك اولئك المقربين والاستكبار مع تحقير ادم عليه
السلام وقد وبخ حينئذ على كل واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه
اكتفاء بما ذكر في مواطن اخر واشعارا بان كل واحدة منها كافية في التوبيخ واظهار بطلان
ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ راسا في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة
الكهف وسورة طه قال استئناف كما سبق مبني على سؤال نشا من حكاية التوبيخ كانه قيل
فماذا قال اللعين عند ذلك فقيل قال انا خير منه متجانفا عن تطبيق جوابه على السؤال رعاية
بان يقول منعني كذا مدعيا لنفسه بطريق الاستئناف شيئا يستلزم منعه عن السجود
على زعمه مشعرا بان من شانه هذا لا يحسن ان يسجد لمن دونه فكيف يحسن ان يؤمر به كما ينبئ عنه ما
في سورة الحجر من قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون وهو اول من اسس
بنيان التكبر واخترع القول بالحسن والقبح العقليين قوله تعالى خلقتني من نار وخلقته من طين
تعليل لما ادعاه من فضله عليه ولقد اخطا اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر
وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبا عنه قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير
واسطة على وجه الاعتناء به وما من جهة الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحي
وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجودهم له عليه السلام حين ظهر
لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره وفي الاية
دليل على الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين
والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب قال استئناف كما سلف والفاء في قوله تعالى
فاهبط منها لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من مخالفة الامر وتعليله بالاباطيل واصراره
على ذلك اي فاهبط من الجنة والاضمار قبل ذكرها لشهرة كونهما مسكنا كما قال ابن عباس رضي
الله عنهما كانوا في عدن لا في جنة الخلد وقيل من زمرة الملائكة المعززين فان الخروج من
زمرتهم هبوط واي هبوط وفي سورة الحجر فاخرج منها واما ما قيل من ان المراد الهبوط
من السماء فيرده ان وسوسته لادم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد فلا بد ان يحمل على
احد الوجهين قطعا وتكون وسوسته على الوجه الاول بطريق النداء كما روي عن الحسن البصري
قوله تعالى فما يكون لك اي فما يصح ولا يستقيم ولا يليق بشانك ان تتكبر فيها اي في الجنة
او في زمرة الملائكة تعليل للامر بالهبوط فان عدم صحة ان يتكبر فيها علة للامر المذكور
فانها مكان المطيعين الخاشعين ولا دلالة فيه على جواز التكبر في غيرها وفيه تنبيه على ان
التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه وقوله تعالى فاخرج
تاكيد للامر بالهبوط متفرع على علته وقوله تعالى انك من الصاغرين تعليل للامر بالخروج
مشعر بانه لتكبره اي من الاذلاء واهل الهوان على الله تعالى وعلى اوليائه لتكبرك وعن
عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه
الله الى الارض قال استئناف كما مر مبني على سؤال نشا مما قبله كانه قيل فماذا قال اللعين

مبني على العادة المؤكدة تعبد قال أنظرني أي أمهلني ولا تمتني إلى يوم يبعثون أي آدم
وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية وأراد اللعين بذلك أن يجد فسحة
من إغوائهم ويأخذ منهم ثأره وينجو من الموت لاستحالته بعد البعث قال استئناف
كما سلف إنك من المنظرين وورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله لآخرين
على وجه يشعر بأن السائل تبع لهم في ذلك صريح في أنه إخبار بالإنظار المقدر لهم أزلا لا إنشاء
لإنظار خاص به إجابة لدعائه وأن استنظاره كان طلبا لتأخير الموت إذ به يتحقق كونه
من جملتهم لا لتأخير العقوبة كما قيل أي إنك من جملة الذين أخرت آجالهم أزلا حسبما تقتضيه
الحكمة التكوينية إلى وقت فناء الخلائق وهو النفخة الأولى لا إلى
وقت البعث الذي هو المسؤول الذي ترك التوقيت للإيجاز ثقة بما وقع في سورة الحجر
وفي سورة ص كما ترك ذكر النداء والفاء في الاستنظار والإنظار تعويلا على ما ذكر هناك
بقوله عز وجل رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت
المعلوم وفي إنظاره ابتلاء للعباد وتعريض للثواب إن قلت لا ريب في أن الكلام المحكي عند
صدوره عن المتكلم حالة مخصوصة تقتضي وروده على وجه خاص من وجوه النظم بحيث لو أخل
بشيء من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة البتة فالكلام الواحد المحكي على وجوه شتى إن اقتضى
الحال وروده على وجه معين من تلك الوجوه الواردة عند الحكاية فذلك الوجه هو
المطابق لمقتضى الحال والبالغ إلى رتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه إذ لا بد هذا
فنقول لا يخفى أن استنظار اللعين إنما صدر عنه مرة واحدة لا غير فتأمله إن اقتضى
الإظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على ما حاق به من اللعن على نهج استدعاء الخلاص في
مقابلة الكفر كما هو المتبادر من قوله رب فأنظرني حسبما حكي عنه في السورتين فحكيه هاهنا
يكون بمعزل من المطابقة لمقتضى الحال فضلا عن العروج إلى معارج الإعجاز وإن اقتضى مرة
استنظار مقتضى لما ذكر من إظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على الحرمان المدلول
عليه بالطرد والرجم وكذا الحال في مقام الإنظار مقتض لترتيب الإخبار بالإنظار على الاستنظار
فقد طبق الكلام في تينك السورتين وفي كل واحد من مقامي الحكاية والمحكي حينما خوطب
وأما هاهنا حيث اقتضى مقام الحكاية لمجرد الإخبار بالاستنظار والإنظار سيقت الحكاية
على نهج الإيجاز والاختصار من غير تعرض لبيان كيفية كل منهما عند المخاطبة وأطوارها وإن
قلت فإذن لا يكون ذلك نقلا للكلام على ما هو عليه ولا مطابقا لمقتضى المقام قلنا
الذي يجب اعتباره في نقل الكلام إنما هو أصل معناه ونفس مدلوله الذي يفيده وأما
كيفية إفادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل البتة بل قد تراعى وقد لا تراعى حسب
اقتضاء المقام ولا يقدح في الكلام تجريده عنها بل قد تراعى عند نقله كيفيات وخصوصيات
لم يراعها المتكلم أصلا ولا يخل ذلك بكون المنقول أصل المعنى ألا ترى أن جميع المقالات
المنقولة في القرآن الكريم إنما تحكى بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدر على مراعاتها من
تكلم بها حتما وإلا لأمكن صدور الكلام المعجز عن البشر بيانه أن الكلام المحكي كلاما وإنما
عدم مطابقته لمقتضى الحال فتلك العلة عائدة في مقتضاه من الأحوال فإن ملاك

الامر

الأمر هو مقام الحكاية موفى في كل واحد من المقامين حقه كما في سورة الحجر وسورة ص
فإن مقام الحكاية فيهما كان مقتضيا لبسط الكلام وتفصيله على الكيفيات التي وقع عليها وهي
حق المقامين معا وأما في هذه السورة الكريمة حيث اقتضى مقام الحكاية الإيجاز روعي عليها وهي
ترى أن المخاطب المنكر إذا كان ممن لا يذعن إلا للكلام المبني وجب على المتكلم أن يجرد كلامه عن
التأكيد وسائر الخواص والمزايا التي يقتضيها المقام ويخاطبه بما يناسبه من الوجوه لكنه
مع ذلك يجب أن يقصد معنى زائدا يفهم منه سامع آخر بليغ هو عن رتبة من الخواص ويعانيه لمقتضى
الحال المخاطب في الجمهور بذلك يوقي كلامه عن رتبة أصوات الحيوانات كما حقق في
مقامه فإذا أوجب مراعاة مقام الحكاية مع تجريدها إلى إعطاء الكلام من الخواص والمزايا
بالمرة فما ظنك بوجوب مراعاته مع تحلية الكلام بمزايا أخرى تقتضيها لا رتبة الإعجاز
لاسيما إذا انجر حق مقام وقوع المحكي في السورتين الكريمتين وكان هذا الإيجاز مقتضيا عليه
وثقة به قال استئنافا كما مر فبما أغويتني الباء للقسم كما في قوله تعالى فبعزتك لأغوينهم كأنه
إغواؤه تعالى إياه أثر من آثار قدرته وعزته وحكم من أحكام سلطانه تعالى قال الإقسام بهما وليس
ولعل اللعين أقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه بأحدهما وأخرى بالآخر والفاء لترتيب مضمون
الجملة على الإنظار وما مصدرية أي فأقسم بإغوائك إياي لأقعدن لهم أو للسببية على أن الباء
متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بقوله لأقعدن لهم كما في الوجه الأول فإن اللام تصد
عن ذلك أي فبسبب إغوائك إياي لأجلهم أقسم بعزتك لأقعدن لآدم وذريته ترصدا لهم
كما يقعد القطاع للقطع على السابلة صراطك المستقيم الموصل إلى الجنة وهو دين الإسلام
فالمقعود فيه متروك في الكتابة وانتصابه على الظرفية كما في قوله تعالى كما عسل الطريق الثعلب
وقيل على نزع الخافض تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين
أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم أي من الجهات الأربع التي يعتاد هجوم العدو منها مثل
قصده إياهم للتسويل والإضلال من أي وجه يتيسر بإتيان العدو من الجهات الأربع ولذلك
لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس رضي الله عنه من بين أيديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من جهة
الدنيا وعن أيمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم وقيل من بين أيديهم من حيث يعلمون
ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن أيمانهم وعن
شمائلهم من حيث يتيسر لهم أن يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن
حيث لا يتيسر لهم ذلك وإنما عدى الفعل إلى الأولين بحرف الابتداء لأنه منهما متوجه إليهم
وإلى الآخرين بحرف المجاوزة فإن الآتي منهما كالمنحرف المتجافي عنهم المار على عرضهم ونظيره
جلست عن يمينه ولا تجد أكثرهم شاكرين أي مطيعين وإنما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق
عليهم إبليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة
عليهم السلام قال استئنافا كما سلف مرارا اخرج منها أي من الجنة أو من السماء أو من بين
الملائكة مذءوما أي مذموما من ذأمه إذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول أو كمكول
في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام موطئة للقسم وجوابه
لأملأن جهنم منكم أجمعين وهو سادّ مسد جواب الشرط وقرئ لمن تبعك بكسر اللام على أنه

حتى لأملأن على معنى لمن تبعك منهم أوعده بالوعيد أو جملة لأخرج ولأملأن جواب قسم محذوف ومعنى
منكم منك ومنهم على تغليب المخاطب **ويا آدم** أي وقلنا كما وقع في سورة البقرة وتصدير
الكلام بالنداء للتنبيه على الاهتمام بتلقي المأمور به **اسكن أنت وزوجك الجنة** هو من السكنى
الذي هو عبارة عن المكث واللبث والاستقرار والإقامة لا من السكون الذي هو ضد الحركة
وأنت ضمير أكد به المستكن في اسكن ليصح العطف عليه والفاء في قوله تعالى **فكلا من حيث شئتما**
لبيان المراد مما في سورة البقرة من قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما من أن ذلك
كان جمعا بين التعقيب وفي قوله تعالى من حيث شئتما لم يذكر هاهنا رغدا ثقة بما ذكر هناك
وتوجيه الخطاب إليهما لتعميم التشريف والإيذان بتساويهما في مباشرة المأمور به فإن
حواء أسوة له عليه السلام في حق الأكل بخلاف السكنى فإنها تابعة له فيه ولتعليق النهي بهما
صريحا في قوله تعالى **ولا تقربا هذه الشجرة** وقرئ هذي وهو الأصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل
من الياء **فتكونا من الظالمين** إما جزم على العطف أو نصب على الجواب **فوسوس لهما الشيطان**
أي فعل الوسوسة لأجلهما أو تكلم لهما كلاما خفيا متداركا متكررا وهي في الأصل الصوت الخفي
كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق بيان كيفيته ووسوسته في سورة البقرة
ليبدي لهما أي ليظهر لهما واللام للعاقبة أو للغرض على أنه أراد بوسوسته أن يسوءهما
بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوأة وفيه دليل على أن كشف العورة في الخلوة وعند
الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع **ما ووري عنهما من سوآتهما** ما غطي وستر عنهما
من عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وإنما لم تقلب الواو المضمومة همزة
كما قلبت في أويصل تصغير واصل لأن الثانية مدة وقرئ سوأتهما بحذف الهمزة وإلقاء حركتها
على الواو وبقلبها واوا وإدغام الواو الساكنة فيها **وقال** عطف على وسوس بطريق البيان
ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة أي عن أكلها **إلا أن تكونا ملكين** أي إلا كراهة أن تكونا
ملكين **أو تكونا من الخالدين** الذين لا يموتون أو يخلدون في الجنة وليس فيه دلالة على أفضلية
الملائكة لما أن من المعلوم أن الحقائق لا تنقلب وكانت رغبتهما في أن يحصل لهما أوصاف
على الأفضلية بالمعنى المتنازع فيه **وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين** أي أقسم لهما وصيغة
المبالغة للمبالغة وقيل أقسما له بالقبول وقيل أقسما عليه بالله أنه لمن الناصحين وأقسم لهما فجعل
ذلك مقاسمة **فدلاهما** فنزلهما إلى الأكل من الشجرة وفيه تنبيه على أنه أهبطهما بذلك من درجة
عالية كان التدلية والإدلاء إرسال الشيء من الأعلى إلى الأسفل **بغرور** بما غرهما به من
القسم فإنهما ظنا أن أحدا لا يقسم بالله كاذبا أو ملتبسين بغرور **فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما**
أي فلما وجدا طعمها آخذين في الأكل منها أخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت
لهما عوراتهما واختلف في أن الشجرة كانت السنبلة أو الكرم أو غيرهما وأن اللباس كان نورا أو
ظفرا **وطفقا يخصفان** طفق من أفعال الشروع والتلبس كأخذ وجعل وأنشأ فكانا لا يريانها من
أنفسهما ولا لأحدهما من الآخر وإنما لم تقلب الواو المضمومة همزة كما قلبت في أويصل تصغير
واصل لأن الثانية مدة وقرئ سوأتهما بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على الواو وقلبها واوا
وإدغام الواو الساكنة فيها وقال عطف على وسوس بطريق البيان والتلبس كأخذ وجعل وأنشأ

وعلق

وعلق ذو ذهب وأبدي واحد أبو فتان [illegible] فوق ذو قه **عليهما من ورق الجنة**
قيل كان ذلك ورق التين وقرئ يخصفان من أخصف أي يخصفان أنفسهما ويخصفان
من التخصيف ويخصفان أصله يختصفان **وناداهما ربهما** أي مالك أمرهما بطريق العتاب والتوبيخ
ألم أنهكما وهو تفسير للنداء فلا محل له من الإعراب أو معمول لقول محذوف أي قائلا
أو قائلا ألم أنهكما **عن تلكما الشجرة** ما في اسم الإشارة من معنى البعد لما أنه إشارة إلى
الشجرة التي نهي عن قربانها **وأقل لكما** عطف على ألم أنهكما أو أقل لكما **إن الشيطان لكما عدو مبين**
وهذا عتاب وتوبيخ على الاغترار بقول العدو كما أن الأول عتاب على مخالفة النهي قيل
فيه دليل على أن مطلق النهي للتحريم ولكما متعلق بعدو لما فيه من معنى الفعل أو بمحذوف
هو حال من عدو ولم يحك هذا القول هاهنا وقد حكي في سورة طه بقوله تعالى إن هذا عدو
لك ولزوجك الآية روي أن الله تعالى قال لآدم عليه السلام ألم يكن فيما منحتك من شجر الجنة
مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت أن أحدا من خلقك يحلف بك
كاذبا قال فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا كدا فأهبط وعلم صنعة الحديد
وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا**
أي ضررناها بالمعصية والتعريض للإخراج من الجنة **وإن لم تغفر لنا** ذلك **وترحمنا لنكونن**
من الخاسرين وهو دليل على أن الصغائر يعاقب عليها إن لم تغفر وقالت
المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر وكذلك حملوا قولهما ذلك على عادة
المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات **قال** استئناف
كما مر **اهبطوا** خطاب لآدم وحواء وذريتهما أو لهما ولإبليس كرر الأمر له تبعا ليعلم
أنهما قرناؤه أبدا وأخبر عما قال لهم متفرقا كما في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات
ولم يذكر هاهنا قبول توبتهما ثقة بما ذكر في سائر المواضع **بعضكم لبعض عدو** جملة حالية
من فاعل اهبطوا ومتعادين **ولكم في الأرض مستقر** أي استقرار أو موضع استقرار **ومتاع**
أي تمتع وانتفاع **إلى حين** هو حين انقضاء آجالكم **قال** أعيد الاستئناف إما للإيذان
ببعد ما بين الحالين بعدم اتصال ما بعده بما قبله كما في قوله تعالى قال فما خطبكم أيها المرسلون إثر قوله
تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون وقوله تعالى قال أرأيتك هذا الذي
كرمت علي إثر قوله تعالى أأسجد لمن خلقت طينا وإما للاهتمام بالامتنان بمضمون ما بعده من
قوله تعالى **فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون** أي للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم
ومنها نخرجكم تارة أخرى **يا بني آدم** خطاب للناس كافة وإيرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى
قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم أي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية وأسباب نازلة منها ونظيره
وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج وقوله تعالى وأنزلنا الحديد **يواري سوآتكم** التي قصد
إبليس إبداءها من أبويكم حتى اضطرا إلى خصف الأوراق وأنتم مستغنون عن ذلك روي
أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله تعالى
فيها فنزلت ولعل ذكر قصة آدم عليه السلام حينئذ للإيذان بأن انكشاف العورة أول
سوء أصاب الإنسان من قبل الشيطان وأنه أغواهم في ذلك كما أغوى أبويهم

وريشا ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اي تمول وقرئ
رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى اي خشية الله تعالى وقيل لباس الحرب
ورفعه بالابتداء وخبره جملة ذلك خير او خبره ذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار
اليه خير وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزال اللباس من
ايات الله الدالة على عظيم فضله وعميم رحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او
يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم يكرر المنادى للايذان بكمال الاعتناء بمضمون ما
صدر به وايراده مرة على العنوان مما لا يخفى شبيه لا يفتننكم الشيطان اي لا يوقعنكم
في الفتنة والمحنة بان يمنعكم من دخول الجنة كما اخرج ابويكم من الجنة نعت لمصدر محذوف اي فتنة
لا يفتننكم فتنة مثل اخراج ابويكم وقد جوز ان يكون التقدير لا يخرجنكم بفتنته اخراجا
مثل اخراجه لابويكم والنهي وان كان متوجها الى الشيطان لكنه في الحقيقة متوجه الى
المخاطبين كما في قوله لا يرينك ههنا وقد مر تحقيقه مرارا ينزع عنهما لباسهما ليريهما
سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب وصيغة المضارع
لاستحضار الصورة انه يراكم هو وقبيله اي جنوده وذريته استئناف لتعليل
النهي وتاكيد التحذير منه من حيث لا ترونهم من لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية
ولا ترونهم في محل الجر باضافة الظرف اليه ورؤيتهم لنا من حيث لا نراهم لا يقتضي امتناع
رؤيتنا لهم مطلقا واستحالة تمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين
لا يؤمنون اي جعلناهم بما اوجدنا بينهم من المناسبة او بارسالنا لهم عليهم وتمكينهم من اغوائهم
وحملهم على ما سولوا لهم اي قرناء مسلطين عليهم والجملة تعليل اخر للنهي وتاكيد للتحذير
واذا فعلوا فاحشة جملة مبتدأة لا محل لها من الاعراب وقد جوز عطفها على الصلة
والفاحشة الفعلة المتناهية في القبح والتاء لانها مجراة على الموصوف المؤنث والمنتقل
من الوصفية الى الاسمية والمراد بها عبادة الاصنام وكشف العورة في الطواف ونحوهما
قالوا جوابا للناهين عنها وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها محتجين بامرين تقليد الآباء
والافتراء على الله سبحانه ولعل تقديم التقليد للايذان بانهم كانوا اباؤهم كانوا يفعلونها بامر
الله تعالى امرنا على ان ضمير امرنا لهم ولآبائهم فحينئذ يظهر وجه الاعراض عن الاول ورد الثاني بقوله
قل ان الله لا يامر بالفحشاء كان عادته تعالى جارية على الامر بمحاسن الاعمال والحث على مراضي الخصال
ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب آجلا عقلي فان المراد
بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هو جواب سؤال مترتب
كانه قيل لما فعلوها لم فعلتموها قالوا وجدنا عليها اباءنا فقيل لم فعلها اباؤكم قالوا الله امرنا بها
وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون من تمام
القول المامور به والهمزة لانكار الواقع واستقباحه في انكار تلك الصورة كان اسنادهم ما يعلم
صدوره عنه اليه تعالى اذ كان منكرا فاسناد ما علم عدم صدوره عنه اليه عز وجل احق منه
واحق بالانكار قل امر ربي بالقسط بيان للمامور به اثر نفي ما اسندوه اليه تعالى من الامور المنهي
عنها والقسط العدل وهو الوسط من كل شيء المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا

واقيموا

واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموا وجوهكم
نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكان سجود وهو الصلاة او في اي مسجد حضرتكم
الصلاة عنده ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين
اي الطاعة فان مصيركم اليه بالآخرة كما بدأكم اي انشاكم ابتداء تعودون اليه باعادته
فيجازيكم على اعمالكم شبه الاعادة بالابتداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل
كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون اليه وقيل
كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى
القضاء السابق التابع للمشيئة المبنية على الحكم البالغة وانتصابه بفعل يفسره ما بعده لما
بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانه او تحقيق لضلالتهم
ويحسبون انهم مهتدون فيه دلالة على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم
والمعاند وان حمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم اي ثيابكم لمواراة عوراتكم
عند كل مسجد اي طواف او صلاة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلاة وفيه
دلالة على وجوب ستر العورة في الصلاة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني عامر
كانوا في ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون الدسم يعظمون بذلك حجهم
فهم المسلمون بمثله فنزلت الآية ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام
او بالافراط في الطعام والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك
خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا
واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر
ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن
كالدروع والطيبات من الرزق اي المستلذات من الماكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل
في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار قل هي للذين آمنوا
في الحياة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيامة لا يشاركهم
فيها غيرهم وانتصابها على الحالية وقرئ بالرفع على انه خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات
لقوم يعلمون اي مثل هذا التفصيل نفصل سائر الاحكام لقوم يعلمون ما في تضاعيفها من المعاني
الرائقة قل انما حرم ربي الفواحش اي ما تفاحش قبحه من الذنوب وقيل ما يتعلق منها
بالفروج ما ظهر منها وما بطن بدل من الفواحش اي جهرها وسرها والاثم اي ما يوجب الاثم
وهو تعميم بعد تخصيص وقيل هو شرب الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة في
الزجر عنه بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد لمعناه وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم
بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لا يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
في شانه والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها ونحو التحريم المولم عليه لا تعلمون وقوعه
لانما يعلمون عدم وقوعه ولكل امة من الامم المهلكة اجل حد معين من الزمان مضروب
لهم فاذا جاء اجلهم اي حل الضمير للامة المدلول عليها بكل امة قالوا اذ الاجل لا فادة
المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيء ابانها بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة لا يستا

عن ما سبق معنى الجمعية بأنه قيل إذا جاء أجلهم بأن يجيء إلى واحد من تلك الأمم أجلها الخاص بها وأن
حمل كل أمة خاصة كما هو الظاهر فالإظهار في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإضافة إلى
الضمير لإفادة أكمل التمييز أي إذا جاءها أجلها الخاص بها لا يستأخرون عن ذلك الأجل ساعة أي
شيئا قليلا من الزمان فإنها مثل في غاية القلة منه أي لا يتأخرون أصلا وصيغة الاستفعال
للإشعار بعجزهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون أي ولا يتقدمون عليه
وهو عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع إمكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة
في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه وليست التوبة للذين يعملون
السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار • فإن من
مات كافرا مع ظهور أن لا توبة له رأسا قد نظم في عدم القبول في سلك من سوفها إلى حضور الموت
إيذانا بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة • وقيل المراد بالمجيء الدنو بحيث يمكن التقدم
في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة منه وليس بذاك • وتقديم بيان انتفاء الاستئخار
لما أن المقصود بالذات بيان عدم خلاصهم من العذاب • وأما ما في قوله تعالى ما تسبق
من أمة أجلها وما يستأخرون من سبق السبق في الذكر فلما أن المراد هناك بيان سر تأخير
إهلاكهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل
فسوف يعلمون فالأهم هناك بيان انتفاء السبق إما أن الشرطية ضمت إليها ما لتأكيد معنى
الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة • وفيه تنبيه على أن إرسال الرسل
أمر جائز لا واجب عقلا رسل منكم متعلق بمحذوف هو صفة لرسل كائنون من جنسكم • وقوله
تعالى يقصون عليكم آياتي صفة أخرى لرسل أي يبينون لكم أحكامي وشرائعي • وقوله تعالى
فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جملة شرطية وقعت جوابا للشرط أي فمن اتقى
منكم التكذيب وأصلح عمله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا
واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون أي والذين كذبوا منكم
بآياتنا وإيراد الاتقاء في الأول للإيذان بأن مدار الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب
بل هو الاتقاء والاجتناب عنه وإدخال الفاء في الجزء الأول دون الثاني للمبالغة في الوعد
والمسامحة في الوعيد فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أي تقول عليه
تعالى ما لم يقله أو كذب ما قاله أي هو أظلم من كل ظالم وقد مر تحقيقه مرارا أولئك إشارة
إلى الموصول باعتبار اتصافه والجمع باعتبار معناه كما أن الإفراد في الفعلين باعتبار لفظه وما
فيه من معنى البعد للإيذان بتماديهم في سوء الحال أي أولئك الموصوفون بما ذكر من الافتراء
والتكذيب ينالهم نصيبهم من الكتاب أي مما كتب لهم من الأرزاق والأعمار • وقيل الكتاب
اللوح أي مما أثبت لهم فيه • وأيا ما كان فمن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم
كائنا من الكتاب • وقيل نصيبهم العذاب وسواد الوجه وزرقة العيون • وعن ابن عباس
رضي الله عنهما كتب لمن يفتري على الله سواد الوجه • قال الله تبارك وتعالى ويوم القيامة
ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة • وقوله تعالى حتى إذا جاءتهم رسلنا أي ملك الموت
وأعوانه يتوفونهم أي حال كونهم متوفين لأرواحهم يريد الأول فإن حتى وإن كانت هي التي

يبتدأ بها الكلام لكنها غاية لما قبلها فلا بد أن تكون نصيبهم مما يتمتعون بها إلى حين وفاتهم أي
ينالهم نصيبهم من الكتاب إلى أن تأتيهم ملائكة الموت فإذا جاءتهم قالوا لهم أين ما كنتم تدعون
من دون الله أي أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا وما وقعت موصولة بأين في خط
المصحف وحقها الفصل لأنها موصولة قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية
سؤال الرسل • كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا ضلوا عنا أي غابوا عنا أي
لا ندري مكانهم وشهدوا على أنفسهم عطف على قالوا أي اعترفوا على أنفسهم أنهم كانوا أي في
الدنيا كافرين عابدين لما لا يستحق العبادة أصلا حيث شاهدوا حاله وحال أنفسهم • ولعله
أريد بوقت مجيء الرسل وحال التوفي كل ذلك الزمان ممتدا وإن كان حالا وبعدها أو له فقط
أو قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء كأنهما حاصلان عند ابتداء التوفي كما ينبئ عنه
قوله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته • والأقرب أن السؤال والجواب وما
ترتب عليهما من الأمر بدخول النار وما جرى بين أهلها من التلاعن والتقاول إنما يكون
بعد البعث لا محالة قال أي الله عز وجل يوم القيامة بالذات أو بواسطة الملائكة ادخلوا
في أمم قد خلت من قبلكم أي كائنين في جملة أمم مصاحبين لهم من الجن والإنس يعني كفار الأمم
الماضية من النوعين في النار متعلق بقوله ادخلوا كلما دخلت أمة من الأمم السابقة واللاحقة
فيها لعنت أختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى إذا اداركوا فيها جميعا أي تداركوا وتلاحقوا
في النار قالت أخراهم دخولا أو منزلة وهم الأتباع لأولاهم أي لأجلهم إذ الخطاب مع الله
تعالى لا معهم ربنا هؤلاء أضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا أي
مضاعفا من النار لأنهم ضلوا وأضلوا قال لكل ضعف أما القادة فلكفرهم وضلالهم
وإضلالهم وأما الأتباع فلكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون أي ما لكم أو لكل فريق من
العذاب • وقرئ بالياء على الانفصال وقالت أولاهم أي متبوعيهم لأخراهم حين سمعوا جواب الله تعالى
لهم فما كان لكم علينا من فضل أي فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وأنا وإياكم متساوون
في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب المعهود المضاعف بما كنتم تكسبون من
قول القادة إن الذين كذبوا بآياتنا مع وضوحها واستكبروا عنها أي عن الإيمان بها والعمل
بمقتضاها لا تفتح لهم أبواب السماء أي لا تقبل أدعيتهم ولا أعمالهم أو لا تعرج إليها
أرواحهم كما تفتح لأدعية المؤمنين وأعمالهم وأرواحهم • والتأنيث لتأنيث الأبواب
والتشديد لكثرتها • وقرئ بالتخفيف وبالياء • وقرئ على البناء للفاعل ونصب
الأبواب على أن التاء للآيات وبالياء على أنه لله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في
سم الخياط أي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو
ثقب الإبرة وفي كون الجمل مما ليس من شأنه الولوج في سم الإبرة مبالغة في الاستبعاد
وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو
الحبل الغليظ من القنب • وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر • وقرئ في سم
المخيط وهو الخياط أي ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك أي ومثل ذلك الجزاء الفظيع
نجزي المجرمين أي جنس المجرمين وهم داخلون في زمرتهم دخولا أوليا لهم من جهنم مهاد

حقة

اي ازار من تحتهم والتنوين للتفخيم ومن تجريدية ومن فوقهم غواش اي اغطية والتنوين بدل من الاعلال
عند سيبويه والتصرف عند غيره • وقرئ غواش على الغاء المحذوف كما في قوله تعالى وله
الجوار المنشآت في البحر كالاعلام وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء الشديد نجزي الظالمين
عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم بالآيات اتصفوا بكل واحد
من ذينك الوصفين القبيحين وذكر الجرم مع الحرمان عن دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار
للتنبيه على انه اعظم الجرائم والجرائر والذين آمنوا اي بآياتنا او بكل ما يجب الايمان به فيدخل
فيه الآيات دخولا اوليا وقوله تعالى وعملوا الصالحات اي الاعمال الصالحة التي شرعت
بالآيات وهذا بمقابلة الاستكبار عنها لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وسط بين المبتدأ
الذي هو الموصول والخبر الذي هو جملة اولئك اصحاب الجنة
للترغيب في اكتساب ما يؤدي الى النعيم المقيم ببيان سهولة مناله وتيسر تحصيله • وقرئ
لا تكلف نفس واسم الاشارة مبتدأ واصحاب الجنة خبره • والجملة خبر للمبتدأ الاول او
واسم الاشارة بدل من المبتدأ الاول الذي هو الموصول والخبر اصحاب الجنة وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف هم فيها خالدون حال من اصحاب
الجنة وقد جوز كونه حالا من الجنة لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة
او خبرا ثانيا لاولئك على رأي من جوزه وفيها متعلق بخالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج
من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد • وصيغة الماضي للايذان
بتحققه وتقرره • وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم
تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم والجملة حال من الضمير في صدورهم والعامل
اما معنى الاضافة او العامل في المضاف اي حال من فاعله • وقيل هي مستأنفة للاخبار عن
صفة احوالهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي اي لهذا
المطلب الاعلى او لمطلب من المطالب الذي هو من جملتها لولا ان هدانا الله ووفقنا له واللام
لتأكيد النفي وجوابه لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه ومفعول نهتدي وهدانا
الثاني محذوف لظهور المراد او لارادة التعميم كما اشير اليه • والجملة مستأنفة او حالية وقرئ
ما كنا لنهتدي الخ بغير واو على انها مبينة ومفسرة للاولى لقد جاءت رسل ربنا جواب
قسم قالوه تحدثا واغتباطا بما نالوه وابتهاجا بايمانهم بما جاءتهم الرسل عليهم السلام والباء في قوله
تعالى بالحق اما للتعدية فهي متعلقة بجاءت او للملابسة فهي متعلقة بمحذوف وقع حالا من الرسل اي والله
لقد جاؤوا بالحق اي لقد جاؤوا ملتبسين بالحق ونودوا اي نادتهم الملائكة ان تلكم الجنة ان
مفسرة لما في النداء من معنى القول او مخففة من ان وضمير الشأن محذوف ومعنى البعد في اسم
الاشارة اما لانهم نودوا عند رؤيتهم اياها من مكان بعيد واما لرفع منزلتها وبعد رتبتها
واما للاشعار بانها تلك الجنة التي وعدوها في الدنيا اورثتموها بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال
الصالحة اي اعطيتموها بسبب اعمالكم والجملة حال من الجنة والعامل معنى الاشارة على ان تلكم
الجنة مبتدأ او خبر والجملة صفة والخبر اورثتموها ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار تبجحا بحالهم
وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم لا لمجرد الاخبار بحالهم والاستخبار عن حال مخاطبيهم ان قد

وجدنا

وجدنا ما وعدنا ربنا حقا حذف المفعول من الفعل الثاني اسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب
عند الوعد • وقيل لان ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصا بهم وعدا كالبعث والحساب
ونعيم اهل الجنة فانهم قد وجدوا الجميع ذلك حقا وان لم يكن وعده مخصوصا بهم قالوا نعم
اي وجدناه حقا • وقرئ بكسر العين وهي لغة فيه فأذن مؤذن قيل هو صاحب الصور
بينهم اي بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين بأن المخففة او المفسرة • وقرئ بأن المشددة
ونصب لعنة • وقرئ ان بكسر الهمزة على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون
عن سبيل الله صفة مقررة للظالمين او رفع على الذم او نصب عليه ويبغونها عوجا اي يبغون
عوجا بان يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهو ابعد شيء منها والعوج بالكسر في المعاني والاعيان
ما لم يكن منتصبا وبالفتح ما كان في المنتصب كالرمح والحائط وهم بالآخرة كافرون غير معترفين
وبينهما حجاب اي بين الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار يمنع وصول
اثر احداهما الى الاخرى وعلى الاعراف اي على اعراف الحجاب واعاليه وهو السور المضروب بينهما
جمع عرف مستعار من عرف الفرس • وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه لظهوره اعرف من غيره
رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم
ما يشاء • وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء والاخيار والعلماء من المؤمنين •
او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار بسيماهم
بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها
في المرعى معلمة او من وسم بالقلب كالجاه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة •
ونادوا اي رجال الاعراف اصحاب الجنة حين رأوهم ان سلام عليكم بطريق الدعاء والتحية
او بطريق الاخبار بنجاتهم من المكاره لم يدخلوها حال من الواو وهم يطمعون طامعين في دخولها
مترقبين له اي لم يدخلوها وهم في وقت عدم الدخول لها طامعون واذا صرفت ابصارهم
تلقاء اصحاب النار اي الى جهتهم وفي عدم التعرض لتعلق انظارهم باصحاب الجنة والتعبير عن
تعلق ابصارهم باصحاب النار بالصرف اشعار بان التعلق الاول بطريق الرغبة والميل
والثاني بخلافه قالوا متعوذين بالله تعالى من سوء حالهم ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي
في النار وفي وصفهم بالظلم دون ما هم عليه حينئذ من العذاب وسوء الحال الذي هو
الموجب للدعاء اشعار بان المحذور عندهم ليس نفس العذاب فقط بل مع ما يوجبه ويؤدي
اليه من الظلم ونادى اصحاب الاعراف كرر ذكرهم مع كفاية الاضمار لزيادة التقرير رجالا من
رؤساء الكفرة حين رأوهم فيما بين اصحاب النار يعرفونهم بسيماهم الدالة على سوء حالهم يومئذ
وعلى رياستهم في الدنيا قالوا بدل من نادى ما اغنى عنكم اي ما استفهامية للتوبيخ والتقريع
او نافية جمعكم اي اتباعكم واشياعكم او جمعكم للمال وما كنتم تستكبرون وما مصدرية
اي ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم المستمر عن قبول الحق او على الخلق وهو الانسب بما بعده وقرئ
تستكثرون من الكثرة اي من الاموال والجنود اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة
قول الرجال والاشارة الى ضعفاء المؤمنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون
صريحا انهم لا يدخلون الجنة او يفعلون ما ينبئ عن ذلك كما في قوله او لم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم

بن زوال ادخلوا الجنة تلوين للخطاب وتوجيه له الى اولئك المذكورين اي ادخلوا الجنة على رغم انوفهم
لا خوف عليكم بعد هذا ولا انتم تحزنون اي فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى بعد
ان حبسوا او شاهدوا احوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا والاظهر ان لا يكون المراد باصحاب
الاعراف المعترض في الملائكة هذه المقالات وما تفرع عليه من المعرفة لا يليق لمن لم يرتب
حاله بعد • وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله
ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله من سائر الاشربة
ليلايم الافاضة او من الاطعمة ان الافاضة عبارة عن الاعطا بكثرة قالوا استينا فيحتم على
السوال • كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم منعا كليا
فلا سبيل الى ذلك قطعا الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والسائبة ونحوهما
والتصدية حول البيت فاللهو صرف الهمة الى ما لا يحسن ان تصرف اليه واللعب طلب الفرح
بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحياة الدنيا بزخارفها العاجلة فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسي
بالمنسي من عدم الاعتنا بهم وتركهم في النار تركا كليا والفا في قوله فاليوم فصيحة وقوله تعالى
كما نسوا لقاء يومهم هذا في محل النصب لنعت مصدر محذوف اي ننساهم نسيا كنسيانهم لقا يومهم هذا
حيث لم يعبدوه لخطوره ببالهم ولم يستعدوا له وقوله تعالى وما كانوا باياتنا يجحدون عطف
على ما نسوا اي وما كانوا منكرين بانها من عند الله تعالى انكارا مستمرا ولقد جئناهم بكتاب
فصلناه اي بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ والعبر للكفرة خاصة والمراد بالكتاب
الجنس او للعامين منهم والكتاب هو القران على علم حال من فاعل فصلناه اي عالمين بوجه
تفصيله حتى جا حكيما او من مفعوله اي مشتملا على علم كثير • وقري فضلناه اي على سائر الكتب
عالمين بفضله هدى ورحمة حال من المفعول لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون باثاره المقتبسون من
انواره هل ينظرون الا تاويله اي ما ينتظرون هولا الكفرة بعد ايمانهم به الا ما يؤول اليه
امره من تبين صدقه بظهور ما اخبر به من الوعد والوعيد يوم ياتي تاويله يوم القيمة يقول
الذين نسوه من قبل اي تركوه ترك المنسي من قبل اتيانه قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين
انهم جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم وبين ايدينا العذاب او نرد اي هل نرد
الى الدنيا وقري بالنصب عطفا على فيشفعوا اولان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين اما
الشفاعة لدفع العذاب • او الرد الى الدنيا • وعلى الثاني ان يكون لهم شفعا اما لاحد امرين
او لامر واحد هو الرد فنعمل بالنصب على انه جواب الاستفهام الثاني • وقري بالرفع
نعمل على فيشفعوا اولان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين اما الشفاعة لدفع
العذاب او الرد الى الدنيا • وقري بالرفع اي فنحن نعمل غير الذي كنا نعمل اي في الدنيا قد
خسروا انفسهم بصرف اعمارهم التي هي راس مالهم الى الكفر والمعاصي وضل عنهم ما كانوا يفترون
اي ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من ان الاصنام شركا لله تعالى وشفعاؤهم يوم القيمة ان ربكم
الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام شروع في بيان مبدا الفطرة اثر بيان معاد الكفرة
اي ان خالقكم ومالككم الذي خلق الاجرام العلوية والسفلية في ستة اوقات كقوله تعالى
ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف ان اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها

ولم

ولم يكن ثمة حينئذ وفي خلق الاشيا مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل على الاختيار واعتبار
للنظار وحث على التاني في الامور ثم استوى على العرش استوى امره او استولى وعن
اصحابنا ان الاستوا على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على العرش
على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام
سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك
يغشي الليل النهار اي يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قري بنصب
الليل ورفع النهار وقري بالتشديد للدلالة على التكرار يطلبه حثيثا اي يعقبه سريعا كالطالب
له لا يفصل بينهما شي والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى
حاثا او من المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اي خلقهن حال
كونهن مسخرات بقضائه وتصريفه وقري كلها بالرفع على الابتدا والخبر الا له الخلق
والامر فانه الموجد للكل والمتصرف فيه على الاطلاق تبارك الله رب العالمين اي تعالى
بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية الكريمة والله اعلم ان الكفرة
كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد هو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر
فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالشمس والقمر
والنجوم كما اشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى الاجرام السفلية
فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متباينة
بقوله خلق الارض الاثار والافعال واشار اليه تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين اي تمام من جهة السفل
في يومين ثم انشا انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد
قوله تعالى خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها
اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لما فصل في سورة السجدة ثم لما تم له عالم
الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على سريره فدبر الامر من السما الى الارض بحركات الافلاك
وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال
تعالى الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امر ان يدعوه مخلصين متذللين فقال
ادعوا ربكم الذي قد عرفتم شونه الجليلة تضرعا وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان
الاخفا دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين اي لا يحب المجاوزين لما امروا به في كل شي
فيدخل فيه الاعتدا في الدعا دخولا اوليا وقد نبه به على ان الداعي يجب ان لا يطلب ما لا يليق
كرتبة الانبيا والصعود الى السما وقيل هو الصياح في الدعا والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله
عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعا وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما
قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا انه لا يحب المعتدين
ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبيا وشرع الاحكام وادعوه
خوفا وطمعا اي ذوي خوف نظرا الى قصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع نظرا الى سعة رحمته
ووفور فضله واحسانه ان رحمة الله قريب من المحسنين في كل شي من الاحسان في الدعا ان يكون
مقرونا بالخوف والطمع وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة لمحذوف اي امر قريب او على

تشبيه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول او هو الذي هو مصدر كالنقيض والصهيل او للفرق بين
القريب من النسب والقريب من غيره او لاكتسابه التذكير من المضاف اليه كما ان المضاف يكتسي
التانيث من المضاف اليه وهو الذي يرسل الرياح عطف على الجملة السابقة وقرئ الريح بشرا
تخفيف بشر جمع بشير اي مبشرات وقرئ بفتح البا على انه مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة
وقرئ نشرا بالنون المضمومة جمع نشور اي ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر
متقاربان بين يدي رحمته قدام رحمته التي هي المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه
والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من القلة فان الحامل لما
يستقله سحابا ثقالا بالما جمعه لانه بمعنى السحائب سقناه اي السحاب وافراد الضمير
لافراد اللفظ لبلد ميت اي لاجله او لمنفعته او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا
به الماء اي بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح والتذكير بتاويل المذكور وكذلك قوله
تعالى فاخرجنا به ويحتمل ان يعود الضمير الى الماء وهو الظاهر واذا كان للبلد فالبا
للالصاق في الاول والظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهو للسببية من كل الثمرات اي من
كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه
باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها
برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون بطرح احدى التائين
اي تتذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا من غير شبهة والبلد الطيب
اي الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات
وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة قوله والذي خبث من البلاد كالسبخة والحرة
لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذي خبث لا يخرج نباته
الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ لا يخرج الا نكدا
اي لا يخرجه البلد الا نكدا وقرئ نكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك اي مثل
ذلك التصريف البديع نصرف الآيات اي نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله تعالى فيتفكرون
فيها ويعتبرون بها وهذا كما ترى مثل لارسال الرسل عليهم السلام بالشرائع التي هي ماء حياة القلوب
على المكلفين المنقسمين الى المقتبسين من انوارها والمحرومين من مغانم آثارها وقد عقب ذلك بما
يحققه ويقرره من قصص الامم الخالية بطريق الاستيناف فقيل لقد ارسلنا نوحا الى قومه وهو
جواب قسم محذوف اي والله لقد ارسلنا الى آخره واطراد استعمال هذه اللام مع قد لكون
مدخولها مظنة للتوقع الذي هو معنى قد فان الجملة القسمية انما تساق لتاكيد الجملة المقسم
عليها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبي عليهم الصلاة والسلام قال
ابن عباس رضي الله عنهما بعث عليه السلام على راس اربعين سنة من عمره ولبث يدعو قومه تسعماية
وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مايتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعماية وخمسين
سنة فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده وترك التقييد به للايذان بانها العبادة
حقيقة واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة في شيء قوله تعالى ما لكم من اله غيره اي مستحق
للعبادة استيناف مسوق لتعليل العبادة المذكورة او الامر بها وغير بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي

هو

هو الرفع على الابتدا او الفاعلية وقرئ بالجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثنا وحكم غير
حكم الاسم الواقع بعد الا اي ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا وغير
زيد وقوله ان جعلت مبتدا فلكم خبره او خبر محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود
او في العالم اله غيره اني اخاف عليكم اي ان لم تعبدوا حسبما امرت به عذاب يوم عظيم
يوم القيامة او يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف عن تركها اثر تعليلها ببيان
الداعي اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل الانذار قال الملأ من قومه
استيناف مبني على سوال نشا من حكاية قوله عليه السلام كانه قيل فما قالوا له عليه الصلاة والسلام
في مقابلة نصحه فقيل قال الرؤسا من قومه والاشراف الذين يملون صدور المحافل باجرامهم والقلوب
بجلالهم وهيبتهم والابصار بجمالهم وابهتهم انا لنراك في ضلال مبين اي ذهاب عن
طريق الحق والصواب والروية قلبية ومفعولاها الضمير والظرف مبين كونه ضلالا
قال استيناف كما سبق يا قوم ناداهم باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم نحو الحق ليس بي ضلالة
اي شي ما من الضلال قصد عليه الصلاة والسلام نفي الضلال عن نفسه ردا لما قاله الملأ
حيث بالغوا في اثباته له عليه الصلاة والسلام حيث جعلوه مستقرا في الضلال الواضح كونه ضلالا
قوله تعالى ولكني رسول من رب العالمين استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه في اقصى
مراتب الهداية فان رسالة رب العالمين مستلزمة له لا محالة كانه قيل ليس بي شي من
الضلالة ولكني في الغاية القاصية من الهداية ومن لابتدا الغاية مجازا متعلقة بمحذوف
هو صفة لرسول مؤكدة لما يفيده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي
رسول واي رسول كائن من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي استيناف مسوق لتقرير رسالته
وتفصيل احكامها واحوالها وقيل صفة اخرى لرسول على طريقة انا الذي سمتني امي حيدره
وقرئ ابلغكم من الابلاغ وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها او لان المراد
بها ما اوحي اليه والى النبيين من قبله عليهم السلام وتخصيص ربوبيته تعالى له عليه السلام
بعد بيان عمومها للعالمين للاشعار بعلة الحكم الذي هو تبليغ رسالته تعالى اليهم فان ربوبيته
تعالى له عليه السلام من موجبات امتثاله بامره بتبليغ رسالته تعالى اليهم وانصح لكم
عطفا على ابلغكم مبين لكيفيته اذا الرسالة وزيادة اللام مع تعدي النصح بنفسه للدلالة
على امحاض النصيحة لهم وانها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارع للدلالة على تجددها
لهم كما يعرب عنه قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا قوله تعالى واعلم من الله ما
لا تعلمون عطف على ما قبله وتقرير لرسالته عليه السلام اي اعلم من جهة الله تعالى بالوحي
ما لا تعلمونه من الامور الآتية اذا علم من شؤونه عز وجل وقدرته القاهرة وبطشه الشديد
على اعدائه فان باسه لا يرد عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب
قبلهم فكانوا غافلين امنين لا يعلمون ما علمه نوح عليه السلام اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم
ورد لما اشتغلوا عن ذكره بقولهم انا لنراك في ضلال مبين ما نراك الا بشرا مثلنا وقولهم لو شاء الله لانزل
ملائكة والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل استبعدتم وعجبتم
من ان جاءكم ذكر اي وحي او موعظة من مالك امركم ومربيكم على رجل منكم اي على لسان رجل من

جنسكم كقوله تعالى ما وعدتنا على رسلك وقيل على لسان رجل ذلك ما قالوا من ان الله تعالى لو شاء لانزل
ملائكة لينذركم علة للمجيء اي ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا عطف على العلة الاولى مترتبة
عليها ولعلكم ترحمون عطف على العلة الثانية مترتبة عليها اي ولتتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم
وفائدة حرف الترجي التنبيه على عزة المطلوب وان التقوى غير موجب للرحمة بل هي منوطة
بفضل الله تعالى وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله عز وجل فكذبوه
فتموا على تكذيبه في دعوى النبوة وما نزل عليه من الوحي الذي بلغه اليهم وانذرهم بما في
تضاعيفه واستمروا على ذلك هذه المدة المطولة كما يعرب عنه تكرير عليه السلام عليهم الدعوة مرارا اثر
بعد دهر وتفاوت الاطوار حسبما نطق به قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الايات
اذ هو الذي يعقبه الانجاء والاغراق لا مجرد التكذيب فانجيناه والذين معه من المؤمنين
قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل عشرة ابناؤه الثلاثة وستة ممن امن به
قوله تعالى في الفلك متعلق بالاستقرار في الظرف اي استقروا معه في الفلك او بصحبته
او بفعل الانجاء اي انجيناهم في الفلك ويجوز ان يتعلق بمضمر وقع حالا من الموصول او من ضمير في الظرف
واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اي استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملا المتصدين
للجواب فقط بل كل من اصر على التكذيب منهم ومن اعقابهم وتقديم ذكر الانجاء على الاغراق
للمسارعة الى الاخبار به والايذان بسبق الرحمة التي هي مقتضى الذات وتقدمها على الغضب
الذي يظهر اثره بمقتضى جرائمهم انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين قال ابن عباس
رضي الله عنهما عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقرئ عامين والاول ادل
على القرار والثبات والى عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا في قصة نوح عليه
الصلاة والسلام وهو الناصب لقوله تعالى اخاهم اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي
واحدا منهم في النسب لا في الدين كقولهم يا اخا العرب وقيل العامل فيهما الفعل المذكور فيما سبق
واخاهم معطوف على نوحا والى عاد على الاول وايا ما كان فلعل تقديم المجرور ههنا على المفعول
الصريح للحذر عن الاضمار قبل الذكر ومثله ما سيأتي من قوله تعالى ولوطا
الى اخره فان قومه لما لم يعهدوا باسم معروف يقتضي الحال ذكره عليه السلام مضافا اليهم
كما في قصة عاد وثمود ومدين خولف في النظم الكريم بين قصته عليه الصلاة والسلام وبين
القصص الثلاث قوله تعالى هودا عطف بيان لاخاهم وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن
عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل هو ابن شالخ ابن ارفخشد بن سام ابن نوح
عليه السلام ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله في صدقه وامانته واقرب
الى اتباعه قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ارساله عليه السلام اليهم كانه قيل فما قال لهم
فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وحده كما يعرب عنه قوله ما لكم من اله غيره فانه استئناف جار مجرى
البيان للعبادة المامور بها والتعليل لها او للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا
به شيئا اذ ليس لكم اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا
له على لفظه افلا تتقون انكار واستبعاد لعدم اتقائهم عذاب الله تعالى بعد ما علموا ما حل
بقوم نوح والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا تتفكرون او اتغفلون فلا تتقون كما

فالتوبيخ على المعطوفين معا او اتغفلون عن ذلك فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوف فقط وفي سورة
هود افلا تعقلون ولعله عليه السلام خاطبهم بكل منهما وقد اكتفى بحكاية كل منهما في موطن عن
حكايته في موطن اخر كما لم يذكر ههنا ما ذكر هنالك من قوله تعالى ان انتم الا مفترون وقس على ذلك
حال بقية ما ذكر وما لم يذكر من اجزاء القصة بل حال نظائره في سائر القصص لا سيما في المحاورات
الجارية في الاوقات المتعددة والله اعلم قال الملا الذين كفروا من قومه استئناف كما مر
وانما وصف الملا بالكفر اذ لم يكن كلهم على الكفر كملا قوم نوح بل كان منهم من امن به عليه السلام
ولكن كان يكتم ايمانه كمرثد بن سعد وقيل وصفوا به لمجرد الذم انا لنراك في سفاهة
اي متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين ابائك الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون
وانا لنظنك من الكاذبين اي فيما ادعيت من الرسالة قالوه لغلوهم في التقليد وحرمانهم
من النظر الصحيح قال مستعطفا لهم ومستميلا لقلوبهم مع ما سمع منهم من الكلمة الشنعاء
الموجبة لتغليظ القول والمشافهة بالسوء يا قوم ليس بي سفاهة اي شيء منها ولا شائبة من
شوائبها ولكني رسول من رب العالمين استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه ويقتضيه من كونه
في الغاية القصوى من الرشد والاناة والصدق والامانة فان الرسالة من جهة رب
العالمين موجبة لذلك حتما كانه قيل ليس بي شيء مما تنسبوني اليه ولكني في غاية ما يكون من
الرشد والصدق ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما في حيز الاستدراك ومن لابتداء الغاية مجازا
متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة
الاضافية قوله تعالى ابلغكم رسالات ربي استئناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل احوالها
وقيل صفة اخرى لرسول والكلام في اضافة الرب الى نفسه عليه الصلاة والسلام
بعد اضافته الى العالمين وكذا في جمع الرسالات كالذي مر في قصة نوح عليه السلام
وقرئ ابلغكم من الابلاغ وانا لكم ناصح امين معروف بالنصح والامانة مشهود بين الناس بذلك
وايثار الجملة الاسمية دلالة على الثبات والاستمرار والايذان بان من هذا حاله لا يحوم
حوله شائبة السفاهة والكذب اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم الكلام فيه كالذي
مر في قصة نوح عليه الصلاة والسلام على رجل منكم اي من جنسكم لينذركم ويحذركم
عاقبة ما انتم عليه من الكفر والمعاصي حتى تنسبوني الى السفاهة والكذب وفي اجابة الانبياء
صلوات الله وسلامه عليهم من شافههم بما لا خير فيه من امثال تلك الاباطيل بما حكي عنهم من
المقالات الحقة المعربة عن نهاية الحلم والرزانة وكمال الشفقة والرافة من الدلالة
على جلالة شانهم المفصح المغل من مكارم الاخلاق ما لا يخفى مكانه واذكروا اذ جعلكم
خلفاء شروع في بيان ترتيب احكام النصح والامانة والانذار وتفصيلها واذ منصوب
باذكروا على المفعولية دون الظرفية وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من
الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب
لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت هي حاضرة
بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا ولعله معطوف على مقدر كانه قيل لا تعجبوا من ذلك
وتدبروا في امركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في

مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج
الى شحر عمان وزادكم في الخلق اي في الابداع والتصوير او في الناس بسطة قامة وقوة
فانه لم يكن في زمانهم مثلهم في عظم الاجرام قال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم
مائة ذراع وقامة القصير ستون ذراعا فاذكروا آلاء الله التي انعم بها عليكم من فنون
النعماء التي هذه من جملتها وهذا تكرير للتذكير لزيادة التقرير وتعميم اثر تخصيص لعلكم
تفلحون اي كي يؤديكم ذلك الى الشكر المؤدي الى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب
قالوا مجيبين عن تلك المواعظ العظيمة اجئتنا لنعبد الله وحده اي لنخصه بالعبادة ونذر
ما كان يعبد آباؤنا انكروا عليه الصلاة والسلام تخصيصه تعالى بالعبادة والاعراض
عن عبادة الاوثان انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه والفوا اسلافهم عليه ومعنى
المجيء اما مجيئه عليه افضل الصلاة والسلام من متعبده ومحل تحنثه واما من السماء من التهكم
واما القصد والتصدي مجازا كما يقال في مقابلة ذهب يشتمني من غير ارادة معنى الذهاب
فائتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله تعالى افلا تتقون ان كنت من الصادقين
اي في الاخبار بنزول العذاب وجواب ان محذوف لدلالة المذكور عليه اي فات به قال
قد وقع عليكم اي وجب وحق او نزل بامر اراد كره هذا بانزال المتوقع منزلة الواقع كما
في قوله تعالى اتى امر الله من ربكم اي من جهته تعالى وتقديم الظرف الاول على الثاني
مع ان مبدأ الشيء متقدم على منتهاه للمسارعة الى بيان اصابة المكروه بهم وكذلك تقديمهما
على الفاعل الذي هو قوله تعالى رجس مع ما فيه من التشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول
بما عطف عليه من قوله تعالى وغضب ربما يخل تقديمهما بتجاوب النظم الكريم والرجس
العذاب من الارتجاس الذي هو الاضطراب والغضب ارادة الانتقام وتنوينهما للتفخيم
والتهويل اتجادلونني في اسماء عارية عن المسمى سميتموها اي سميتم بها انتم واباؤكم
انكار واستقباح لانكارهم مجيئه عليه السلام داعيا لهم الى عبادة الله تعالى وحده وترك
عبادة الاصنام اي اتجادلونني في اسماء سميتموها الهة ليس فيها من الالهية الا اسماؤها من غير ان يكون
فيها مصداق الالهية شيء ما لان المستحق للعبودية بالذات ليس الا من اوجد الكل
وانها لو استحقت لكان ذلك بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة وكلاهما مستحيل
وذلك قوله تعالى ما نزل الله بها من سلطان واذ ليس ذلك في حيز الامكان تحقق
بطلان ما هم عليه فانتظروا مترتب على قوله تعالى قد وقع عليكم اي فانتظروا ما تطلبونه
بقولكم فائتنا بما تعدنا ان كنت الى آخره اني معكم من المنتظرين لما يحل بكم والفاء في قوله تعالى
فانجيناه فصيحة كما في قوله تعالى فانفجرت اي فوقع ما وقع فانجيناه
والذين معه اي في الدين برحمة اي عظيمة لا تقادر قدرها وقوله تعالى منا اي من جهتنا متعلق بمحذوف هو نعت
لرحمة مؤكد لفخامتها الذاتية المفهومة من تنكيرها بالفخامة الاضافية وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا
اي استأصلناهم بالكلية ودمرناهم عن آخرهم وما كانوا مؤمنين عطف على كذبوا داخل معه
في حكم الصلة اي اصروا على الكفر والتكذيب ولم يرعووا عن ذلك ابدا وتقديم حكاية الانجاء
على حكاية الاهلاك قد مر سره وفيه تنبيه على ان مناط النجاة هو الايمان بالله تعالى وتصديق

اياته

اياته كما ان مدار البوار هو الكفر والتكذيب روي ان عادا قوم كانوا باليمن بالاحقاف
وكانوا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان الى حضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صدا
وصمود والهبا فبعث الله تعالى اليهم هودا عليه السلام نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه
وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان
الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل
مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت
عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه
فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فانزلهم واكرمهم كانوا
اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم قينتان لمعاوية فلما راى طول
مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء
على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين
فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية الا يا قيل ويحك قم فهينم
لعل الله يسقينا غماما * فيسقي ارض عاد ان عادا * قد امسوا ما يبينون الكلاما فلما
غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا
الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان
اطعتم نبيكم وتبتم الى الله تعالى سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن
معنا فانه اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما
كنت تسقيهم فانشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل
اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد
من واد يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح
عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله تعالى فيها الى ان ماتوا
والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا
موافق له في تقديم المجرور على المنصوب وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود
بن عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو
الماء القليل وقرئ بالصرف بتاويل الحي وكانت مساكنهم الحجر بين الشام والحجاز الى وادي القرى
واخوة صالح عليه السلام لهم من حيث النسب كهود عليه السلام فانه صالح بن عبيد بن اسف
بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله عليه السلام اليهم مظنة
ان لا يقال فماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستئناف قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره وقد مر الكلام في نظائره قد جاءتكم بينة اي اية ومعجزة ظاهرة شاهدة
بنبوتي وهي من الالفاظ الجارية مجرى الابطح والابرق في الاستغناء عن ذكر موصوفاتها حالة
الافراد والجمع كالصالحة افرادا وجمعا وكذا الحسنة والسيئة سواء كانتا صفتين للاعمال او
المثوبة والخالة من الحرجان الشرع وكذلك اوليت العوامل وقوله تعالى من ربكم متعلق
بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة كما مر مرارا والمراد بها الناقة وليس هذا الكلام منه عليه

السلام اول ما خاطبهم انه دعوتهم الى التوحيد بل انما قاله بعدما نصحهم وذكرهم بنعم الله تعالى فلم
يقبلوا كلامه وكذبوه الا ترى الى ما في سورة هود من قوله تعالى هو الذي انشأكم من الارض
واستعمركم فيها الى آخر الآيات روي انه لما اهلكت عاد عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا
وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت
من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله تعالى وافسدوا في الارض وعبدوا
الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله عز
وجل فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسألوه آية فقال اي آية تريدون
قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان
استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم
وسألوها الاجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة من
ناحية الجبل يقال لها الكاثبة وقال اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة
جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ
صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا
ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا
لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به
جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤوسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها
ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعها
حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحتلبون منها ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون
وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع
البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم
امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانت كثيرتي
المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا
ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفجرت
الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم
محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات
طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى
تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم
فهلكوا وقوله تعالى **هذه ناقة الله لكم آية** استئناف مسوق لبيان البينة واضافة الناقة
الى الاسم الجليل لتعظيمها ولمجيئها من جهته تعالى بلا اسباب معهودة ووسائط معتادة ولذلك
كانت آية واي آية ولكم بيان لمن هي آية له وانتصاب آية على الحالية والعامل فيها معنى
الاشارة ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان له او مبتدأ ثانيا ولكم خبرا
عاملا في آية **فذروها** تفريع على كونها آية من آيات الله تعالى فان ذلك مما يوجب عدم
التعرض لها **تأكل في ارض الله** جواب للامر اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فاتركوها تأكل

تأكل

تأكل في ارض ربها فليس لكم ان تحولوا بينها وبينه وقرئ تأكل بالرفع على انه في موقع
الحال اي آكلة فيها وعدم التعرض للشرب اما للاكتفاء عنه بذكر الاكل او لتعميمه
له ايضا كما في قوله تعالى علفتها تبنا وماء باردا وقد ذكر ذلك في قوله تعالى لها
شرب ولكم شرب يوم معلوم **ولا تمسوها بسوء** نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة
بالسوء الشامل لانواع الاذية ونكر السوء مبالغة للنهي اي لا تتعرضوا لها بشيء مما يسوؤها
اصلا ولا تطردوها ولا تريموها اكراما لآية الله تعالى **فيأخذكم عذاب اليم**
جواب للنهي ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك
قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء
المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي
الله عنه يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري
من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك **واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد**
اي خلفاء في الارض او خلفاء لهم كما مر **وبوأكم في الارض** اي جعل لهم مباءة ومنزلا في ارض
الحجر بين الحجاز والشام **تتخذون من سهولها قصورا** استئناف مبين لكيفية التبوئة اي تبنون في
سهولها قصورا رفيعة او تبنون من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر
وتنحتون الجبال اي الصخور وقرئ تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كما في قوله
تعالى **بيوتا** على انها حال مقدرة كما تقول خط هذا الثوب قميصا وقيل انتصاب الجبال
على اسقاط الجار اي من الجبال وانتصاب بيوتا على المفعولية وقد جوز ان يتضمن النحت معنى
الاتخاذ فانتصابهما على المفعولية قيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء
فاذكروا آلاء الله التي انعم بها عليكم مما ذكر وجميع الآية التي هذه من جملتها **ولا تعثوا في
الارض مفسدين** فان حق آلائه تعالى ان تشكروا ولا تهملوا ولا يغفل عنها فكيف بالكفر
والعيث في الارض بالافساد **قال الملأ الذين استكبروا من قومه** اي عتوا وتكبروا استئناف كما
سلف وقرئ بالواو عطفا على ما قبله من قوله تعالى قال يا قوم الى آخره واللام في قوله
تعالى **للذين استضعفوا** للتبليغ وقوله تعالى **لمن آمن منهم** بدل من الموصول باعادة العامل
بدل الكل ان كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض ان كان للذين استضعفوا على ان من المستضعفين
من لم يؤمن والاول هو الوجه اذ لا داعي الى توجيه الخطاب اولا الى جميع المستضعفين مع ان
المجاوبة مع المؤمنين منهم على ان الاستضعاف مختص بالمؤمنين اي قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم
واسترذلوهم **اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه** وانما قالوه بطريق الاستهزاء بهم **قالوا انا بما ارسل به مؤمنون**
عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بان يقولوا نعم او نعلم انه مرسل منه تعالى مسارعة
الى تحقيق الحق واظهار ما لهم من الايمان الثابت المستمر الذي ينبئ عنه الجملة الاسمية وتنبيها على
ان امر رسالته من الظهور بحيث لا ينبغي ان يسأل عنه وانما الحقيق بالسؤال عنه هو الايمان به
قال الذين استكبروا اعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير ايذانا بانهم قد قالوا ما قالوا بطريق العتو
والاستكبار **انا بالذي آمنتم به كافرون** وانما لم يقولوا انا بما ارسل به كافرون اظهارا لمخالفتهم اياهم
وردا لمقالتهم **فعقروا الناقة** اي نحروها اسند العقر الى الكل مع ان المباشر بعضهم للملابسة

أو لأن ذلك لما كان برضاهم فكأنه فعله كلهم وفيه من تهويل الأمر وتفظيعه بحيث أصابت غائلته الكل ما لا
يخفى وعتوا عن أمر ربهم أي استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام من الأمر والنهي
وقالوا مخاطبين له عليه الصلاة والسلام بطريق التعجيز والإفحام على زعمهم يا صالح ائتنا بما تعدنا
أي من العذاب والإطلاق لما علم به قطعا إن كنت من المرسلين فإن كونك من جملتهم يستدعي صدق
ما تقول من الوعد والوعيد فأخذتهم الرجفة أي الزلزلة لكن إثر ما قالوا لما بين ما جرى
عليهم ما جرى من مبادي العذاب في الأيام الثلاثة حسبما مر تفصيله فأصبحوا في دارهم
أي صاروا في أرضهم وبلدهم أو في مساكنهم جاثمين لا حراك بهم وأصل الجثوم أي همود لا
حراك بهم ولا يستبين نفسه . قال أبو عبيدة الجثوم للناس والطير والبروك للإبل
والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون
عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الأخذ وسرعة البطش اللهم إنا نعوذ
من سخطك وحلول غضبك . وجاثمين خبر لأصبحوا والظرف متعلق به ولا مساغ لكونه خبرا
وجاثمين حالا لإفضائه إلى كون الإخبار بكونهم في دارهم مقصودا بالذات وكونهم جاثمين قيدا
تابعا له غير مقصود بالذات قيل حيث ذكرت الرجفة وحدت الدار وحيث ذكرت الصيحة
جمعت لأن الصيحة كانت من السماء فبلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة فقرن كل منهما بما هو أليق به
فتولى عنهم إثر ما شاهد ما جرى عليهم تولي مغتم متحسر على ما فاتهم من الإيمان متحزنا عليهم
وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم
وسعي ولكن لم تقبلوا مني ذلك . وصيغة المضارع في قوله تعالى ولكن لا تحبون الناصحين
حكاية حال ماضية أي شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم عليه السلام بذلك
خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قليب بدر حيث قال إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا
فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا . وقيل إنما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدته
علائمه تولي ذاهب عنهم منكر لإصرارهم على ما هم عليه . وروي أن
عقرهم الناقة كان يوم الأربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت . وروي أنه خرج في مائة
وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا
ألفا وخمسمائة دار . وروي أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ولوطا منصوب بفعل
مضمر معطوف على ما سبق وعدم التعرض للمرسل إليهم مع ما على المبعوث حسبما وقع فيما سبق
وبالحق قد مر بيانه في قصة هود عليه السلام وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن أخي إبراهيم
عليهما السلام كان من أرض بابل من العراق مع عمه إبراهيم عليه الصلاة والسلام فهاجر إلى
الشام فنزل فلسطين وأنزل لوطا الأردن وهي كورة بالشام فأرسله الله تعالى إلى أهل
سدوم وهي بلد بحمص وقوله تعالى إذ قال لقومه ظرف للفعل المذكور أي أرسلنا لوطا إلى قومه
وقت قوله لهم إلخ ولعل تقييد إرساله عليه السلام بذلك لما أن إرساله إليهم لم يكن
في أول وصوله إليهم . وقيل هو بدل من لوطا بدل اشتمال على أن انتصابه باذكر أي اذكر وقت
قوله عليه السلام لقومه أتأتون الفاحشة بطريق الإنكار التوبيخي التقريعي أي أتفعلون
تلك الفعلة المتناهية في القبح المتمادية في الشر والسوء ما سبقكم بها ما عملها قبلكم

على

على أن الباء للتعدية كما في قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من قولك سبقته بالكرة إذا
ضربتها قبله ومن في قوله تعالى من أحد مزيدة لتأكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق ومن في قوله
تعالى من العالمين للتبعيض والجملة مستأنفة مسوقة لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ والتقريع
فإن مباشرة القبيح قبيح واختراعه أقبح فلقد أنكر الله تعالى عليهم أولا إتيان الفاحشة ثم وبخهم
بأنهم أول من عملها فإن سياق النظم الكريم وإن كان على نفي كونهم مسبوقين من غيرهم لكونهم
سابقين لكن المراد أنهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما مر تحقيقه مرارا في نحو قوله تعالى
ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو مسوقة جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل من جهتهم لم لا نأتيها
فقيل بيانا للعلة وإظهارا للزاجر ما سبقكم بها أحد لغاية قبحها وسوء سبيلها فكيف تفعلونها
قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط . قال محمد بن إسحاق كانت لهم ثمار وقرى لم
يكن في الدنيا مثلها فقصدهم الناس فآذوهم فعرض لهم إبليس في صورة شيخ إن فعلتم
بهم كذا وكذا نجوتم منهم فأبوا فلما ألح الناس عليهم قصدوهم فأصابوا غلمانا صباحا فأخبثوا فاستحكم
فيهم ذلك . قال الحسن كانوا لا ينكحون ذلك إلا الغرباء . وقال الكلبي أول من عمل به ذلك العمل
إبليس الخبيث حيث تمثل لهم في صورة شاب جميل فدعاهم إلى نفسه ثم عبثوا بذلك العمل إنكم
لتأتون الرجال خبر مستأنف لبيان تلك الفاحشة وقرئ بهمزتين صريحتين وبتليين الثانية
بغير مد وبمد أيضا على أنه تأكيد للإنكار السابق وتشديد للتوبيخ وفي زيادة إن واللام مزيد
توبيخ وتقريع كأن ذلك أمر لا يتحقق صدوره عن أحد فيؤكده تأكيدا قويا وفي إيراد لفظ الرجال
دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة في التوبيخ . وقوله تعالى شهوة مفعول له أو مصدر
في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على أن العاقل ينبغي له أن يكون
الداعي إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة ويجوز أن يكون المراد الإنكار عليهم
وتقريعهم على اشتمالها بمقالات الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبئ عنه قوله تعالى من دون
النساء أي متجاوزين النساء اللاتي هن محال الاشتهاء كما ينبئ عنه قوله تعالى من الملك لكم بل أنتم
قوم مسرفون إضراب عن الإنكار المذكور إلى الإخبار بحالهم التي أفضت بهم إلى ارتكاب أمثالها وهي اعتياد
الإسراف في كل شيء أو عن الإنكار عليها إلى الذم على جميع معايبهم أو عن محذوف أي لا عذر لكم
فيه بل أنتم عادتكم الإسراف وما كان جواب قومه أي المستكبرين منهم المتولين للأمر
والنهي المتصدين للعقد والحل قوله تعالى إلا أن قالوا استثناء مفرغ من أعم الأشياء أي ما كان
جوابا من جهة قومه شيئا من الأشياء إلا قولهم أي لبعضهم الآخرين المباشرين للأمور معرضين
عن مخاطبته عليه السلام أخرجوهم أي لوطا ومن معه من أهله المؤمنين من قريتكم أي إلا
هذا القول الذي يستحيل أن يكون جوابا لكلام لوط عليه السلام . وقرئ برفع جوابه على
أنه اسم كان وإلا أن قالوا إلخ خبرها وهو الأظهر . وإن كان الأول أقوى في الصناعة
لأن الأعرف أحق بالاسمية . وأما ما كان فليس المراد أنه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات
لوط ومواعظه إلا هذه المقالة الباطلة كما هو المتبادر إلى الأذهان بل إنه لم يصدر عنهم في المرة
الأخيرة من مرات المحاورات الجارية بينهم وبينه عليه السلام إلا هذه الكلمة الشنيعة وقد
صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكي عنهم في سائر السور الكريمة وهذا هو الوجه

في تضاعيف الواردة بطريق التعيير وقوله تعالى انهم اناس يتطهرون تعليل للامر بالاخراج ووصفهم
بالتطهر للاستهزاء والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث والافتخار بما هم فيه من القذارة
كما هو ديدن الشطار والدعار فانجيناه واهله اي المومنين منهم الا امراته استثناء من اهله
فانها كانت تسر بالكفر كانت من الغابرين اي الباقين في ديارهم الهالكين فيها والتذكير
للتغليب ولبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون للفاحشة والجملة استيناف وقع جوابا عن
سوال نشا من استثنائها من حكم الانجاء كانه قيل فماذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين وامطرنا
عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وقد بينه قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال ابو
عبيدة مطر في الرحمة وامطر في العذاب وقال الراغب مطر في الخير وامطر في العذاب وفي
الصحيح ان امطرنا بمعنى ارسلنا عليهم ارسال المطر قيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل
كانوا اربعة الاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين
منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان
تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وروي
ان امراته التفتت نحو ديارها فاصابها حجر فماتت فانظر كيف كان عاقبة المجرمين خطاب لكل من
يتاتى منه التامل والنظر تعجيبا من حالهم وتحذيرا من اعمالهم والى مدين اخاهم شعيبا عطف على قوله
والى ثمود اخاهم صالحا وما عطف عليه وقد روعي هنا ما في المعطوف عليه من تقديم المجرور على
المنصوب اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام شعيب بن ميكائيل بن
يشجر بن مدين وقيل شعيب بن ثويب بن مدين وقيل شعيب بن يثرون بن مدين وكان يقال له
خطيب الانبياء عليهم السلام لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين مع كفرهم
قال استيناف مبني على سوال نشا من حكاية ارساله عليه السلام كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره مر تفسيره مرارا قد جاءتكم بينة اي معجزة من ربكم متعلق
بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة مؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من تنكيرها بفخامتها
الاضافية اي بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم ومالك اموركم ولم يذكر معجزته عليه السلام
في القران العظيم كما لم يذكر اكثر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فمنها ما روي من محاربة عصا
موسى التنين حين دفع اليه الغنم ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده ان يكون له
الدرع من اولادها ومنها وقوع عصا ادم على يده في المرات السبع كان كل ذلك قبل ان يستنبأ
موسى عليه السلام كما في قوله تعالى يا قوم ان كنت على بينة من ربي اي حجة واضحة وبرهان
نير عبر بها عما اتاه الله تعالى من النبوة والحكمة فاوفوا الكيل اي المكيال كما وقع في سورة هود
ويؤيده قوله تعالى والميزان فان المشهور منه الالة وان جاز كونه مصدرا كالميعاد وقيل
الكيل والوزن على الاضمار والفاء لترتيب الامر على مجيء البينة ويجوز ان تكون عاطفة
على اعبدوا فان عبادة الله تعالى موجبة للاجتناب عن المناهي التي معظمها بعد الكفر البخس
الذي كانوا يباشرونه ولا تبخسوا الناس اشياءهم التي تشترونها بها معتمدين تعيبها اي شيء كان
واي معنى او كان فانهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين
لا يدعون شيئا الا مكسوه قال زهير افي كل اسواق العراق اتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم

وذ

ولا تفسدوا في الارض اي بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعدما اصلح امرها او اهلها الانبياء
واتباعهم باجراء الشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في مكر الليل والنهار ذلكم
اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية
وحسن الاحدوثة وما يطلبونه من التكسب والربح لان الناس اذا عرفوهم بالامانة رغبوا
في معاملتهم ومتاجرتهم ان كنتم مومنين اي مصدقين لي في قولي هذا ولا تقعدوا بكل صراط
توعدون اي بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب
الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا احدا يشرع في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون
على المراصد فيقولون لمن اراد شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن امن
به وقيل يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله اي السبيل الذي قعدوا عليه فوضع
المظهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه
او الايمان بالله او بكل صراط على انه عبارة عن طرق الدين قوله تعالى من امن به مفعول لتصدون
على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقيل وتصدونهم والضمير لكل صراط او لله
في تبعة ذلك وتبغونها عوجا اي وتطلبون سبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها
معوجة وهي ابعد شيء من الاعوجاج واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم بالبركة في النسل والمال
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود
وامثالهم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به من الشرائع والاحكام
وطائفة لم يومنوا اي به ولم يفعلوا الايمان فاصبروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين
بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمومنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه
ولا حيف فيه قال الملا الذين استكبروا من قومه استيناف مبني على سوال ينساق
اليه المقال كانه قيل فماذا قالوا بعدما سمعوا هذه المواعظ من شعيب عليه السلام
فقيل قال اشراف قومه المستكبرين متطاولين عليه عليه السلام غير مكتفين بمجرد
الاستعصاء عليه والامتناع من الطاعة له بالغين من العتو والاستكبار الى ما قصدوا
استتباعه عليه السلام فيما هم فيه واتباعه المومنين واجترءوا على اكراههم عليه
بوعيد النفي وخاطبوه عليه السلام على طريقة التاكيد القسمي لنخرجنك يا شعيب والذين
امنوا بنسبة الاخراج اليه عليه الصلاة والسلام اولا والى المومنين ثانيا بتطفلهم عليه
تنبيها على اصالته عليه الصلاة والسلام في الاخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبئ عنه قوله تعالى
معك فانه متعلق بالاخراج لا بالايمان من قريتنا اي بلدتنا التي بين المعطوفين بالاضافة التعريفية
والتهديد الناشئة عن غاية الوقاحة والطغيان اي والله لنخرجنك واتباعك من ارضنا
لكرهنا هنا لتنكر المترتبة على المساكنة والجوار وقوله تعالى او لتعودن في ملتنا عطف
على جواب القسم اي والله ليكونن احد الامرين البتة على ان المقصد الاصلي هو العود وانما ذكر
النفي لحمله على العود والا لما ابقى عنده عدم نزوله عليه السلام جواب الاخراج فانهم قالوا
لن نحرم بيننا نبيا كنت تدخلوا في ملتنا واو خطابهم له عليه الصلاة والسلام في خطاب العود مع
استحالة كونه عليه السلام في ملتهم قبله للتغليب تغليب الجماعة على الواحد وانا السم

يقولوا او لتعيدنكم على طريقة ما قبله لما ان مرادهم ان يعودوا الينا بحبوحة الطواعية من الاخراج
باختيار امون الشرين لا اعادتهم بطريق الاكراه والتعذيب **قال** استئناف كما سبق اي قال عليه
السلام ردا لمقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم في ايمانهم الفاجرة **اولو كنا كارهين** على ان الهمزة لانكار الوقوع
ونفيه لا لانكار الواقع واستقباحه كالتي في قوله تعالى اولو جئتك بشيء مبين تجوز ان يكون الاستفهام
فيه باقيا على حاله وقد مر مرارا ان كلمة لو في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمن الماضي لانتفاء
غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد
الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة
من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه
واشدها منافاة له ليظهر بثبوته وانتفائه معه ثبوته وانتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية
لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال
ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة
لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر
في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي • كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل
لا يعطي ولو كان غنيا • وقولك احسن اليه ولو اساء اليك • ولا تهنه ولو اهانك لتبادر نفي حاله
سالما عما يعتريه • واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء لتعلق بورود الانكار عليه لكن الاصل في
الكل واحد الا ان كلمة لو في مثل الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وافادة
ما تفيده بيان تحققه على كل حال هو نفسه ومدلوله وان الجملة حال من ضميره لا من ضمير المذكور
كما سيأتي فان المقصود الاصلي انكاره ومدلوله من حيث مقارنته للحالة المذكورة • واما
نفيه بمقارنته لغيرها فللتوسيع الدائرة • وان ما في حيز الاستبعاد مبالغة في الانكار
لو لا تعين استبعاده في حد ذاته بل لتعلق الانشغال بانه امر مقرر الا انه اخرج مخرج الاستبعاد
مبالغة في الانكار من جهة ان العود مما يكره عن كون الكراهة امرا مستبعدا فكيف به عنه
كونها امرا اعتقاديا ومعاملة مع المخاطبين على معتقدهم لاستنة الحمد من رتبة العناد ولعل المراد
بالكراهة كراهة المؤمنين للعود في ملة الكفرة ابدا حتى يقال انها معلومة لهم فكيف
يكون مستبعدا عندهم بل ما هي كراهتهم لها له بعد وعقيب الاخراج الذي جعل قرينا للقتل
في قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم
كانوا يستعدون ونما ويطمعون في انهم حينئذ يختارون العود خشية الاخراج اذ رب مكروه
يختار عند حلول ما هو اشد منه وافظع والمعنى انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين
عنى مسابين بالاكراه بالجملة في محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر حسبما اشير اليه اذ
ما لقاه ان نعود فيها حال عدم الكراهة وحال الكراهة انكار لما يفيده كلمة الشنيعة بهم من
باطلاقها من العود على اي حالة كانت عن انه الكني بذكر الحالة الثانية التي هي اشد الاحوال منافاة
للعود واكثرها بعدا منه تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر وثقة باغنائها عن ذكر
الاول اعتنا واعصا لان العود الذي تعلق به الانكار حين تحققه مع الكراهة على ما يوجبه
كلامهم فلان يتحقق مع عدمها اولى • ان قلت النفي المستفاد من الانكار الاستفهامي فيما نحن فيه

بمنزلة صريح النفي ولا ريب في ان الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال
المعتمد الذي هو العطاء يقتضيه الكلام السابق اعني قوله لنعودن واما الاستفهام فخارج عنه
وارد عليه لابطال ما يفيده ونفي ما يقتضيه الا انه من تمامه كما في صورة النفي الاولوية في
احدهما بالنسبة الى نفسه وتوضيحه ان نفي الشيء نوعا معقولا يختلف به احكامها التي من جملتها ما
ذكر من اعتبار الاولوية في احدهما بالنسبة الى نفسه وفي الاخر بالنسبة الى متعلقه ولذلك لا يستقيم
اقامة احدهما مقام الاخر على وجه الكلية الا ترى انك لو قلت انعود فيها الى اخره لا نعود فيها
ولو كنا كارهين لاختل المعنى اختلالا فاحشا لان مدلول الاول نفي العود المقيد بحال الكراهة
ومدلول الثاني مقيد العود المنفي بها وذلك لان حرف النفي يباشر نفس الفعل وينصبه
وما بعده كما بعده يرجع اليه من حيث هو منفي بها وذلك واما همزة الاستفهام فلا تباشر الفعل
بفيدها ما بعده لما ان دلالتها على الانكار والنفي ليست بدلالة وضعية لذلك لان حرف النفي
حتى تتعلق معناها بنفس الفعل الذي يليها ويكون ما بعده راجعا اليه من حيث هو منفي
بل هي دلالة عقلية مستفادة من سياق الكلام فلا بد ان يكون ما يذكر بعد الفعل من مواقعه
ودواعي انكاره ونحو ذلك ليكون قرينة صارفة للهمزة عن حقيقتها الى معنى الانكار والنفي ثم لما
كان ما بعدها لا يستلزم تحققه معه تحققه مع غيره على كل حال مع الاقتصار على ذكر ابعد منها من
عن ذلك ما عداها لاستلزام تحققه معه تحققه مع غيره بطريق الاولوية ولو كانت حال الكراهة
عند كونها قيدا للنفي العود لذلك اي مغنيا عن سائر الاحوال من ان تحقق العود في حال
الكراهة مستلزم لتحققه في حال عدمها البتة وعند كونها قيدا للنفي بخلاف ذلك اي غير
مغن عن ذكر غيرها ضرورة ان نفي العود في حال الكراهة لا يستلزم نفيه في غيرها بل الامر
بالعكس فان نفيه في حال الارادة مستلزم لنفيه في حال الكراهة قطعا واستفهام الاول لافادة
معنى العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر ما هو مغن عن ذكر الاخرى ولم يستقم الثاني
لعدم افادته اياه على الوجه الاول المذكور • ان قيل فاوجه استقامتها جميعا عند ذكر المقابل
معا حيث يصح ان يقال لا نعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين كما يصح ان يقال انعود
فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين مع ان المقدر في حكم الملفوظ • قلنا وجهها ان
كلا منهما يفيد معنى صحيحا في نفسه لان نفي احدهما عين معنى الاخر او مساو له
في جميع الاحكام كيف لا ومدلول الاول منتف في الحالتين مع ذكرهما معا عين ان الثاني صحيح
لنفي العود في الحالتين منتف وكلا المعنيين صحيح لنفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر
معا عين ان الثاني صحيح لنفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر حالة الكراهة على عكس المعنى
الاول فانه صحيح لتقييده فيها مع الاقتصار على ذكر حالة الارادة **قد افترينا على الله كذبا**
اي كذبا عظيما لا يقادر قدره **ان عدنا في ملتكم** التي هي الشرك وجواب الشرط محذوف لدلالة
ما قبله عليه اي ان عدنا في ملتكم **بعد اذ نجانا الله منها** فقد افترينا على الله كذبا عظيما حيث
نزعم ان لله تعالى ندا وليس كمثله شيء وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام
وان ما كنتم عليه من الكفر حق واي افتراء اعظم من ذلك وقيل انه جواب قسم محذوف حذف
عنه اللام والتقدير والله لقد افترينا الى اخره **وما يكون لنا** اي ما يصح وما يستقيم لنا **ان نعود فيها** في حال من

الأحوال أو في وقت من الأوقات إلا أن يشاء الله أي إلا حال مشيئته تعالى لعودنا فيها وذلك
مما لا يكاد يكون كما ينبئ عنه قوله تعالى ربنا فإن التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم مما ينبئ
عن استحالة مشيئته تعالى لارتدادهم قطعا وكذا قوله تعالى بعد إذ نجانا الله منها فإن
تنجيته تعالى لهم منها من دلائل عدم مشيئته لعودهم فيها وقيل معناه إلا أن يشاء الله
خذلاننا وقيل فيه دليل على أن الكفر بمشيئته تعالى وأيا ما كان فليس المراد بذلك
بيان أن العود فيها في حيز الإمكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى كذلك بل بيان
استحالة وقوعها كأنه قيل وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وهيهات
ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته تعالى له وسع ربنا كل شيء علما فإنه محيط بكل ما
كان وما سيكون من الأشياء التي من جملتها أحوال عباده وعزائمهم ونياتهم وما هو اللائق
بكل واحد منهم فمحال من لطفه أن يشاء عودنا فيها بعدما نجانا منها مع اعتصامنا به
خاصة حسبما ينطق به قوله تعالى على الله توكلنا أي في أن يثبتنا على ما نحن عليه من الإيمان
ويتم علينا نعمته بإنجائنا من الإشراك بالكلية وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار للمبالغة
في التضرع والجؤار قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق إعراض عن مقاولتهم إثر ما ظهر
له عليه الصلاة والسلام أنهم من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الإيمان أصلا
وإقبال على الله تعالى بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين أي احكم
بيننا بالحق والفتاحة الحكومة أو أظهر أمرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل
من فتح المشكل إذا بينه وأنت خير الفاتحين تذييل مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين وقال
الملأ الذين كفروا من قومه عطف على قال الملأ الذين إلى آخره ولعل هؤلاء غير أولئك
المستكبرين ودونهم في الرتبة شأنهم الوساطة بينهم وبين العامة والقيام بأمورهم
حسبما يراه المستكبرون ويجوز أن يكونوا عين الأولين وتغيير الصلة لما أن مدار قولهم
هذا هو الكفر كما أن مناط قولهم السابق هو الاستكبار أي قال أشرافهم الذين أصروا
على الكفر لأعقابهم بعدما شاهدوا صلابة شعيب عليه الصلاة والسلام ومن معه من
المؤمنين في الإيمان وخافوا أن يستتبعوا قومهم تثبيطا لهم عن الإيمان به وتنفيرا لهم عنه
على طريقة التوكيد القسمي لئن اتبعتم شعيبا ودخلتم في دينه وتركتم دين آبائكم
إنكم إذا لخاسرون أي في الدين لاستبدالكم الضلالة بهداكم أو في الدنيا لفوات
ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وإذا حرف جواب وجزاء معترض بين اسم إن وخبرها
والجملة سادة مسد جواب الشرط والقسم الذي وطأته اللام فأخذتهم الرجفة أي
الزلزلة وفي سورة العنكبوت وفي سورة هود وأخذت الذين ظلموا الصيحة
أي صيحة جبريل عليه السلام ولعلها من مبادي الرجفة فأسند هلاكهم إلى السبب القريب
تارة وإلى البعيد أخرى فأصبحوا في دارهم جاثمين أي في مدينتهم وفي سورة هود جاثمين أي ميتين
لازمين لأماكنهم لا براح لهم منها الذين كذبوا شعيبا استئناف لبيان ابتلائهم لشؤم قولهم فيما سبق
لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا وعقوبتهم على مقالتهم والموصول مبتدأ وخبره قوله
تعالى كأن لم يغنوا فيها أي استؤصلوا بالمرة وصاروا كأنهم لم يقيموا بقريتهم أصلا أي عوقبوا بقولهم

ذلك

ذلك وصاروا وهم المخرجين من القرية إخراجا لا دخول بعده أبدا وقوله الذين كذبوا شعيبا
كانوا هم الخاسرين استئناف آخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الأخير وإعادة الموصول
والصلة كما هي لزيادة التقرير والإيذان بأن ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب العقوبتين
أي الذين كذبوه عليه السلام كما وقع في سورة هود من قوله تعالى ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين
آمنوا معه إلى آخره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قال عليه السلام
بعد ما هلكوا تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم أنكر على نفسه ذلك فقال فكيف آسى أي أحزن
حزنا شديدا على قوم كافرين مصرين على الكفر ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم
أو قاله اعتذارا عن عدم حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الإبلاغ والإنذار وبذلت وسعي
في النصح والإشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ إيسى فأمالا وما أرسلنا
في قرية إشارة إجمالية إلى بيان أحوال سائر الأمم إثر بيان أحوال الأمم المذكورة
تفصيلا ومن مزيدة لتأكيد النفي والصيغة محذوفة أي من نبي كذب أو كذبه أهلها من
نبي استثناء مفرغ من أعم الأحوال وأخذنا في محل النصب من فاعل أرسلنا والفعل الماضي لا يقع
إلا بأحد شرطين إما بقد كما في هذه الآية أو مقارنة قد كما في قولك ما زيد إلا كثر
أمره المقتدر وما أرسلنا في قرية من القرى المهلكة نبيا من الأنبياء في حال من الأحوال إلا
كوننا آخذين أهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لكن لا على معنى أن ابتداء الإرسال
مقارن للأخذ المذكور بل على أنه مستتبع له غير منفك عنه بالآخرة لاستكبارهم عن اتباع نبيهم
وتمردهم عليه حسبما فصل في الأمم المذكورة لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أردية
الكبر والعزة عن أكتافهم لقوله تعالى ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء
لعلهم يتضرعون ثم بدلنا عطف على أخذنا داخل في حكمه مكان السيئة التي أصابتهم للغاية التي
الحسنة أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة لقوله تعالى وبلوناهم
بالحسنات والسيئات حتى عفوا أي كثروا عددا وعددا من عفا النبات إذا كثر وتكاثف
وأبطرتهم النعمة وقالوا غيرا كافرين بأن ما أصابهم من الأمرين ابتلاء من الله سبحانه قد مس آباءنا الضراء
والسراء كما مسنا ذلك وما هو إلا من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء من غير أن يكون
هناك داعية تؤدي إليهما أو تبعة تترتب عليهما ولعل تأخير السراء للإشعار بأنها تعقب الضراء
فلا ضير فيها فأخذناهم إثر ذلك بغتة فجأة أشد الأخذ وأفظعه وهم لا يشعرون بذلك ولا
يخطرون ببالهم شيئا من المكاره كقوله تعالى حتى إذا فرحوا بما أوتوا الآية وليس المراد بالأخذ بغتة
إهلاكهم طرفة عين كإهلاك عاد وقوم لوط بل ما يعم ذلك وما بين الأخذ وتمام الإهلاك أيام كإهلاك
ثمود ولو أن أهل القرى أي القرى المهلكة المدلول عليها بقوله في قرية وقيل هي مكة وما حولها من القرى
وقيل جنس القرى المنتظمة لما ذكر هنا انتظاما أوليا آمنوا بما أوحي إلى أنبيائهم معتبرين بما جرى عليهم من
الابتلاء بالضراء والسراء واتقوا أي الكفر والمعاصي أو اتقوا ما أنذروا به على ألسنة الأنبياء عليهم
السلام ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله تعالى على عادات الدهر وقال ابن
عباس رضي الله عنهما وحدوا الله واتقوا الشرك لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض لوسعنا عليهم الخير
ويسرنا لهم من كل جانب مكان ما أصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها

من الارض وقيل المراد المطر والنبات ونحوهما بالتعذيب للتكثير ولكن كذبوا اي ولكن لم يؤمنوا ولم يتقوا
شيئا وقد اكتفى بذكر الاول لاستلزامه الثاني فاخذناهم بما كانوا يكسبون من انواع الكفر والمعاصي
التي من جملتها قولهم قد مس اباءنا الضراء والسراء وهذا الاخذ عبارة عما في قوله تعالى فاخذناهم بغتة
لا من الجدب والقحط كما قيل بناء على انهما قد بدل الاحوال الحسنة مكان السيئة افامن اهل القرى اي اهل
القرى المذكورة مثل وضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مدار التوبيخ امن كل طائفة منها
من الباس لا امن مجموع الامم فان كل طائفة منهم اصابهم باس خاص بهم لا يتعداهم الى غيرهم
سياق والهمزة لانكار الواقع واستقباحه لا لانكار الوقوع ونفيه كما قال ابو شامة وغيره لقوله
تعالى فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون والفاء للعطف على اخذناهم وما بينهما اعتراض توسط
بينهما للمسارعة الى بيان الاخذ المذكور مما كسبته ايديهم والمعنى ابعد ذلك الاخذ امن اهل
القرى ان ياتيهم باسنا بياتا اي ليلا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر
بمعنى البيتوتة ويجي بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او
المستتر في بياتا او امن اهل القرى انكار بعد انكار للمبالغة في التوبيخ والتشديد ولذلك
لم يقل افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون وقرئ
او بسكون الواو على الترديد ان ياتيهم باسنا ضحى اي ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس
اذا ارتفعت وهم يلعبون اي يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم فانهم يلعبون ه
افامنوا مكر الله تكرير للنكير لزيادة التقرير ومكر الله تعالى استعارة لاستدراجه العبد
واخذه من حيث لا يحتسب والمراد به اتيان باسه تعالى في الوقتين المذكورين ولذلك عطف
الاول والثالث بالفاء فان الانكار فيهما متوجه الى ترتب الامن على الاخذ المذكور واما الثاني
فمن تتمة الاول فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون اي الذين خسروا انفسهم واضاعوا فطرة الله
التي فطر الناس عليها والاستعداد القريب المستفاد من النظر في الايات اولم يهد للذين يرثون
الارض من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم
اهل مكة ومن حولها وتعدية فعل الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم كانه قيل اولم يفعل
الهداية لهم الخ واما لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل على القدير
من الجملة الشرطية اي اولم يبين لهم مال امرهم ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي ان الشان لو نشاء
اصبناهم بجزاء ذنوبهم او بسبب ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وقرئ بنون العظمة فالجملة مفعولية
ونطبع على قلوبهم عطف على ما يفهم من قوله تعالى اولم يهد كانه قيل لا يهتدون او يغفلون
عن الهداية او عن التفكر والتامل او منقطع عنه بمعنى ونحن ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى
طبعنا لافضائه الى نفي الطبع عنهم لانه في سياق جواب لو فهم لا يسمعون اي اخبار الامم
المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها والاغتنام بما في تضاعيفها من الهدايات تلك القرى
جملة مستانفة جارية مجرى الفذلكة لما قبلها من القصص منبئة عن غاية تمادي الامم المذكورة
وتماديهم فيما هم فيه بعد ما اتتهم الرسل بالمعجزات الباهرة وتلك اشارة الى قرى الامم المحكية على ان
اللام للعهد وهو مبتدا وقوله تعالى نقص عليك من انبائها خبر وصيغة المضارع للايذان بعدم
انقضاء القصة بعد ومن للتبعيض اي بعض اخبارها التي فيها عظة وتذكير وقيل تلك مبتدا والقرى

جز

خبر وما بعده حال او خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية
تسعى وفي تصدير الكلام بذكر القرى واضافة الانباء اليها مع ان المقصود انباء اهلها والمقصود
بيان احوالهم حسبما يعرب عنه قوله تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لما ان حكاية هلاكهم
بالمرة على وجه الاستئصال بحيث يشمل اماكنهم بالخسف والرجفة ونفي اثارها وبقيت معطلة اهول
وافظع والباء في قوله تعالى بالبينات متعلقة اما بالفعل المذكور على انها للتعدية واما
بمحذوف وقع حالا من فاعله اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان ياتي كل رسول ببينة واحدة
بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الاحاد الى الاحاد انما هي بين
الرسل وضمير الامم والجملة مستانفة مبينة لكمال عتوهم وعنادهم اي وبالله لقد جاء كل امة من تلك
الامم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكثرة على صحة رسالته الموجبة للايمان حتما
قوله تعالى فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار
ايمانهم وترتيب حالهم هذه على مجيء الرسل بالبينات بالفاء لما ان الاستمرار على فعل من الافعال
بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه في الحقيقة لكنه بحسب العنوان
فعل جديد وصنع حادث نحو وعظته فلم يزدجر ودعوته فلم يجب واللام لتاكيد النفي اي فما صح وما
استقام لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم
الى ان لقوا ما لقوا لغاية عتوهم وشدة شكيمتهم في الكفر والطغيان ثم ان كان المحكي عنهم اخر
حال كل قوم فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير
اليه بقوله تعالى بما كذبوا من قبل تكذيبهم من لدن مجيء الرسل الى وقت الاصرار والعناد وانما
لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول بل جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه وانما المحتاج
الى البيان عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم
الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا
وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي
جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل الى اخره وبما اشير
اليه تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من جعل الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت
عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثر ذي اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد
ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة
التوحيد قط بل كانت كل امة من تلك الامم يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت
حالتهم بعد مجيء رسلهم كحالتهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان
بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة
الرسل فلان لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات
لما ان ما عليه يدور فلك العذاب والعقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب
عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في
الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم
والمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا بما كذب به الاباء ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل المراد فما كانوا ليؤمنوا

ثم أحييناهم بعد إهلاكهم ورددناهم إلى دار التكليف بما كذبوا من قبل لقوله تعالى ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه وقيل الباء للسببية وما مصدرية أي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه
قبل بعثة الرسل ولا يرد عليه ههنا ما ورد في سورة يونس من مخالفة الجمهور بجعل ما المصدرية
من قبيل الأسماء كما هو رأي الأخفش وابن السراج ليرجع إليه الضمير في به **كذلك** أي مثل ذلك الطبع
الشديد المحكم **يطبع الله على قلوب الكافرين** أي من المذكورين وغيرهم فلا تكاد تؤثر فيها الآيات
والنذر وفيه تحذير للسامعين وإظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وإدخال
الروعة **وما وجدنا لأكثرهم** أي لأكثر الأمم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما في قوله
ما وجدت له مالا أي ما صادفت له مالا ولا لقيته أو بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى
من عهد لأنه في الأصل صفة للنكرة فلما قدمت عليها انتصبت حالا والأصل وما وجدنا
عهدا كائنا لأكثرهم ومن مزيدة للاستغراق أي وما وجدنا لأكثرهم من وفاء عهد فإنهم
نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند مساس البأساء والضراء قائلين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين فتخصيص هذا الشأن بأكثرهم ليس لأن بعضهم كانوا يفون بعهودهم بل لأن
بعضهم كانوا لا يعهدون ولا يفون وقيل المراد بالعهد ما عهد الله إليهم من الإيمان والتقوى
بنصب الآيات وإنزال الحجج وقيل ما عهدوا عند خطاب ألست بربكم فالمراد بأكثرهم كلهم وقيل
الضمير للناس والجملة اعتراض فإن أكثرهم لا يفون بالعهود بأي معنى كان **وإن وجدنا أكثرهم**
أي أكثر الأمم أي علمناهم كما في قولك وجدت زيدا ذا حفاظ وقيل الأول كذلك أيضا وإن مخففة
من أن وضمير الشأن محذوف أي إن الشأن وجدناهم **لفاسقين** خارجين عن الطاعة ناقضين
للعهود وعند الكوفيين إن نافية واللام بمعنى إلا أي وما وجدناهم إلا فاسقين **ثم بعثنا من
بعدهم موسى** أي أرسلناه من بعد انقضاء وقائع الرسل المذكورين عليهم السلام أو من بعد
إهلاك الأمم المحكية والتصريح بذلك مع دلالة ثم على التراخي للإيذان بأن بعثه عليه السلام جرى
على سنن السنة الإلهية من إرسال الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر
مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر **بآياتنا** متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول
بعثنا أو صفة لمصدره أي بعثناه عليه السلام ملتبسا بآياتنا أو بعثناه بعثا ملتبسا بها وهي
الآيات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم حسبما سيأتي على التفصيل **إلى فرعون** هو لقب لكل من ملك مصر
من العمالقة كما أن كسرى لقب لكل من ملك فارس وقيصر لكل من ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد
ابن مصعب بن الريان **وملئه** أي أشراف قومه وتخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه
كافة حيث كانوا جميعا مأمورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان
يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لأصالتهم في تدبير الأمور واتباع غيرهم لهم في الورد
والصدور **فظلموا بها** أي كفروا بها أجري الظلم مجرى الكفر لكونهما من واد واحد أو ضمن معنى
الكفر والتكذيب أي ظلموا كافرين بها أو مكذبين بها أو كفروا بها مكان الإيمان الذي هو من حقها لوضوحها
ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وقيل ظلموا أنفسهم بسببها بأن عرضوها للعذاب الخالد أو ظلموا
الناس بصدهم عن الإيمان بها والمراد به الاستمرار على الكفر بها إلى أن لقوا من العذاب ما لقوا ألا ترى إلى قوله

تعالى

وقوله تعالى **فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** فإن ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة
الهائلة كأن حكاية ظلمهم بها مستتبع للأمر بالنظر إليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه
الصدارة والجملة في حيز النصب بإسقاط الخافض أي فانظر بعين عقلك إلى كيفية ما
فعلنا بهم ووضع المفسدين موضع ضميرهم للإيذان بأن الظلم مستلزم للإفساد
وقال موسى كلام مبتدأ مسوق لتفصيل ما أجمل فيما قبله من كيفية إظهار الآيات
وكيفية عاقبة المفسدين **يا فرعون إني رسول** أي إليك **من رب العالمين** مثل إلى حكم
الذي من بيانه **حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق** جواب لما يساق إليه الكلام من
حكاية ظلمهم بالآيات من تكذيبه إياه عليه الصلاة والسلام في دعوى الرسالة وكان
أصله حقيق علي أن لا أقول إلى آخره كما هو قراءة نافع فقلب لأمن من الالتباس كما في قول
من قال • وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر • ولأن ما لزمك فقد لزمته
أو للإغراق في الوصف بالصدق المعنى واجب علي القول الحق أن أكون أنا قائله لا يرضى
إلا بمثلي ناطقا به أو ضمن حقيق معنى حريص أو وضع على موضع الباء لإفادة التمكن كقولهم رميت
على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة أبي بالباء وقرئ حقيق أن لا أقول وقوله
تعالى **قد جئتكم ببينة من ربكم** استئناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين
ولكونه حقيقا بقول الحق ولم يذكر سنة القول منه عليه الصلاة والسلام وما بعده
من جواب فرعون اكتفاء بما ذكر ههنا بل بعد ما جرى بينهما من المحاورة المحكية بقوله تعالى
قال فمن ربكما الآيات • وقوله تعالى وما رب العالمين الآيات وقد طوي ههنا ذكره
للإيجاز ومن متعلقة إما بجئتكم على أنها لابتداء الغاية مجازا وإما بمحذوف وقع صفة لبينة
مفيدة لفخامتها الإضافية المؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من التنوين التفخيمي
وإضافة اسم الرب إلى المخاطبين بعد إضافته فيما قبل إلى العالمين لتأكيد وجوب الإيمان بها
فأرسل معي بني إسرائيل أي فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين إلى الأرض المقدسة التي هي وطن آبائهم
وكان قد استعبدهم بعد انقراض الأسباط يستعملهم ويكلفهم الأفاعيل الشاقة فأنقذهم الله
تعالى بموسى عليه الصلاة والسلام والفاء لترتيب الإرسال أو الأمر به على ما قبله
من رسالته عليه الصلاة والسلام ومجيئه بالبينة **قال** استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من
حكاية الكلام كأنه قيل فماذا قال فرعون لموسى عليه الصلاة والسلام حين قال له ما قال فقيل قال
إن كنت جئت بآية أي من عند من أرسلك كما تدعيه **فأت بها** أي فأحضرها عندي ليثبت بها رسالتك
إن كنت من الصادقين في دعواك فإن كونك من جملة المعروفين بالصدق يقتضي إظهارها
لا محالة **فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين** أي ظاهر أمره لا يشك في كونه ثعبانا وهي الحية
العظيمة وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانية
فيها كأنها في الأصل كذلك روي أنه لما ألقاها صارت ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون
ذراعا وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه وأحدث
وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا فصاح فرعون يا موسى أنشدك
بالذي أرسلك خذه وأنا أومن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذه فعاد عصا **ونزع يده**

أي من جيبه أو من تحت إبطه فإذا هي بيضاء للناظرين أي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن العادة يجتمع
عليه النظارة تعجبا من أمرها وذلك ما روي أنه أرى فرعون يده فقال ما هذه فقال يدك ثم أدخلها
جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فإذا هي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة
تعجبا من أمرها وذلك ما روي أنه أرى فرعون يده فقال ما هذه قال يدك غلب عليه
شعاع الشمس كان عليه الصلاة والسلام آدم شديد الأدمة ● وقيل بيضاء للناظرين
لا أنها كانت بيضاء في جبلتها قال الملأ من قوم فرعون أي الأشراف منهم وهم أصحاب مشورته
إن هذا لساحر عليم أي مبالغ في علم السحر ماهر فيه قالوه تصديقا لفرعون وتقريرا
لكلامه فإن هذا القول بعينه معزي في سورة الشعراء إليه يريد أن يخرجكم
من أرضكم أي من أرض مصر فماذا تأمرون بفتح النون وما في ماذا في محل النصب
على أنه مفعول ثان لتأمرون بحذف الجار والأول محذوف ● والتقدير بأي شيء
تأمرونني وهذا من كلام فرعون ● كما في قوله تعالى ذلك ليعلم أني لم أخنه
بالغيب أي فإذا كان كذلك فماذا تشيرون علي في أمره ● وقيل قاله الملأ من
قبله بطريق التبليغ إلى العامة فقوله تعالى قالوا أرجه وأخاه على الأول وهو
الأظهر حكاية لكلام الملأ الذين من شاورهم فرعون وعلى الثاني لكلام العامة
الذين خاطبهم الملأ ويأباه أن الخطاب لفرعون وأن المشاورة ليست من وظائفهم
أي أخره وأخاه وعدم التعرض لظاهر لكونه معه حسبما تنادي به الآيات الأخر
والمعنى أخر أمرهما وأصدرهما عنك حتى ترى رأيك وتدبر شأنهما ● وقرئ أرجئه
وأرجئه من أرجاه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين قيل هي مدائن صعيد مصر
وكانوا رؤساء السحرة وسراتهم وأقصى مدائن الصعيد ● وعن ابن عباس رضي الله
عنهما أنهم كانوا سبعين ساحرا وقد أخذوا السحر من رجلين مجوسيين من أهل نينوى
مدينة يونس عليه السلام بالموصل ورد ذلك بأن المجوسية ظهرت بزرادشت وهو
إنما جاء بعد موسى عليه السلام يأتوك بكل ساحر عليم أي ماهر في السحر ● وقرئ
بكل سحار عليم ● والجملة جواب الأمر وجاء السحرة فرعون أي بعدما أرسل
إليهم الحاشرين وإنما لم يصرح به حسبما في قوله تعالى فأرسل فرعون في المدائن حاشرين
للإيذان بمسارعة فرعون للإرسال ومبادرة الحاشرين والسحرة إلى الامتثال
قالوا استئناف سيق جوابا عن سؤال نشأ من حكاية مجيء السحرة ● كأنه قيل فماذا قالوا له عند
مجيئهم إياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم واثقين بغلبتهم إن لنا لأجرا إن كنا نحن
الغالبين بطريق الإخبار بثبوت الأجر وإيجابه كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر عظيم
حينئذ أو بطريق الاستفهام التقريري بحذف الهمزة ● وقرئ بإثباتها ● وقولهم
إن كنا نحن لتعيين ثبوت الأجر لا لترددهم في الغلبة وتوسيط الضمير وتحلية الخبر باللام
للقصر أي إن كنا نحن الغالبين لا موسى قال نعم وقوله تعالى وإنكم لمن المقربين
عطف على محذوف سد مسده حرف الإيجاب ● كأنه قال إن لكم لأجرا وإنكم مع ذلك
لمن المقربين للمبالغة في الترغيب ● وروي أنه قال لهم تكونون أول من يدخل

مجلسي

مجلسي وآخر من يخرج منه قالوا استئناف كما مر ● كأنه قيل فماذا قالوا له بعد ذلك فقيل قالوا
متعرضين لما أنهم مخاطبين لموسى عليه الصلاة والسلام يا موسى إما أن تلقي ما تلقي أولا
وإما أن نكون نحن الملقين أي لما نلقي أولا أو الفاعلين للإلقاء أولا خيروه عليه السلام
بالبدء بالإلقاء مراعاة للأدب وإظهارا للجلادة فإنه لا يختلف حالهم بالتقدم والتأخر
ولكن كانت رغبتهم في التقدم كما ينبئ عنه تغييرهم للنظم بتعريف الخبر ● وتوسيط
ضمير الفصل وتأكيد الضمير المتصل قال ألقوا غير مبال بأمرهم أي ألقوا ما تلقون
فلما ألقوا ما ألقوا سحروا أعين الناس بأن خيلوا إليهم ما لا حقيقة له في ذلك
واسترهبوهم أي بالغوا في إرهابهم وجاءوا بسحر عظيم في بابه ● روي أنهم ألقوا
حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا
وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون ألقاها فصارت حية أي فألقاها
فصارت حية فإذا هي الآية وإنما حذف لكمال مسارعة موسى عليه الصلاة
والسلام للإلقاء وبغاية سرعة الانقلاب كأن لقفها لما يأفكون قد حصل متصلا
بالأمر بالإلقاء ● وصيغة المضارع لاستحضار صورة اللقف الهائلة والإفك الصرف
والقلب عن الوجه المعتاد ● وما موصولة أو موصوفة والعائد محذوف أي ما
يأفكونه ويزورونه أو مصدرية وهو مع الفعل بمعنى المفعول ● روي أنها لما تلقفت
ملء الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى عليه الصلاة والسلام فرجعت
عصا كما كانت وأعدم الله تعالى بقدرته الباهرة تلك الأجرام العظام أو فرقها أجزاء
لطيفة ● قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق أي
ثبت وظهر أمره وبطل ما كانوا يعملون أي ظهر بطلان ما كانوا يعملون مستمرين
على عمله فغلبوا أي فرعون وقومه هنالك أي في مجلسهم وانقلبوا صاغرين أي
صاروا أذلاء مبهوتين أو رجعوا إلى المدينة أذلاء مقهورين والأول أنسب لظاهر
قوله تعالى وألقي السحرة ساجدين فإن ذلك كان بمحضر من فرعون نطقا أي خروا
سجدا كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم إلى ذلك
قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون أبدلوا الثاني من الأول لئلا يتوهم
أن مرادهم فرعون ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما آمنت السحرة اتبع موسى
من بني إسرائيل ستمائة ألف قال فرعون آمنتم به منكرا على السحرة موبخا لهم على ما فعلوه
آمنتم به بهمزة واحدة إما على الإخبار المحض المتضمن للتوبيخ أو على الاستفهام التوبيخي بحذف
الهمزة كما في إن لنا لأجرا ● وقرئ بتحقيق الهمزتين معا وبتحقيق الأولى وتسهيل الثانية
بين بين أي آمنتم بالله تعالى قبل أن آذن لكم أي بغير إذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر
قبل أن تنفد كلمات ربي لا أن الإذن ممكن منه في ذلك إن هذا لمكر مكرتموه أي
إن ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل
حيلة احتلتموها مع موسى عليه الصلاة والسلام في المدينة يعني مصر
قبل أن تخرجوا إلى الميعاد ● روي أن موسى عليه السلام وأمير السحرة التقيا فقال

موسى عليه الصلاة والسلام انا ان غلبتك اتؤمن بي وتشهد ان ما جئت به الحق
فقال الساحر والله ان غلبتني لاومنن بك وفرعون يسمعهما وهو الذي نشأ عنه هذا
القول لتخرجوا منها اهلها اي القبط وتخلص لك ولبني اسرائيل فان ابتهاجك
الثانية الى اتباع عوام القبط عند معاينتهم لارتفاع اعلام المعجزة ومشاهدتهم
لخضوع اعناق السحرة لها وعدم تمالكهم من ان يؤمنوا لمنعهم بما عن الايمان بنبوة موسى
عليه الصلاة والسلام بارادة ان ايمان السحرة مبني على المواضعة بينهم وبين موسى وان
غرضهم بذلك اخراج القوم من المدينة وابطال ملكهم ومعلوم ان مفارقة الاوطان
المالوفة والنعمة المعروفة مما لا يطاق فجمع اللعين بين الشبهتين تثبيتا للقبط على ما
هم عليه وتهييجا لعداوتهم له عليه الصلاة والسلام ثم عقبهما بالوعيد ليريهم ان له
قوة وقدرة على المدافعة فقال فسوف تعلمون اي عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد
ما فصله بطريق الاجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
اي من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل هو اول
من سن ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماه الله تعالى
محاربة لله ولرسوله قالوا استئناف مسوق للجواب عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه
قيل فماذا قالت السحرة عند وعيد فرعون هل تأثروا به او تصلبوا فيما هم فيه من
الدين فقيل قالوا انا ثابتون على ما احدثنا من الايمان انا الى ربنا منقلبون اي بالموت
لا محالة فسواء كان ذلك من قبلك او لا فلا نبالي بوعيدك او انا الى رحمة ربنا وثوابه
منقلبون ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شوقا الى لقاء الله تعالى او انا جميعا الى ربنا
منقلبون فيحكم بيننا وبينك وما تنقم منا اي وما تنكر وتعيب منا الا ان امنا
بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المفاخر ليس مما يتأتى لنا العدول عنه
طلبا لمرضاتك ثم اعرضوا عن مخاطبته اظهارا لما في قلوبهم من العزيمة على ما قالوه وتقريرا
له ففزعوا الى الله عز وجل وقالوا ربنا افرغ علينا صبرا اي افض علينا من الصبر ما يغمرنا
كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الاوزار وادناس الاثام وهو الصبر على وعيد
فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على ما رزقتنا من الاسلام غير مفتونين من الوعيد قيل
فعل بهم ما اوعدهم وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون
وقال الملأ من قوم فرعون مخاطبين له بعدما شاهدوا من امر موسى عليه الصلاة والسلام
اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض اي في ارض مصر بتغيير الناس عليك وصرفهم عن متابعتك
ويذرك عطف على يفسدوا او جواب الاستفهام بالواو كما في قول الحطيئة

الم اك جاركم ويكون بيني ✱ وبينكم المودة والاخاء

اي ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع عطفا على اتذر او استئنافا
او حالا وقرئ بالسكون لانه قيل يفسدوا كقوله تعالى فاصدق واكن
والهتك اي معبوداتك قيل انه كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه
اصناما وامرهم بان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ

والهتك

والهتك اي عبادتك قال مجيبا لهم سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعله بهم ذلك من قبل
ليعلموا انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون
والكهنة بذهاب ملكنا على يديه وقرئ سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون
كما كنا لم يتغير حالنا اصلا وهم مقهورون تحت ايدينا كذلك قال موسى لقومه
تسلية لهم وعدة بحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا منه استعينوا
بالله واصبروا على ما سمعتم من اقاويله الباطلة ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين اي ارض مصر او جنس الارض وهي داخلة فيها والصبر من باب
التقوى وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا
اي من جهة فرعون من قبل ان تأتينا اي رسولا يعنون به ما توعدهم به من اعادة
قتل الابناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عليه السلام من فنون الظلم
والجور والعذاب واما ما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم
والمهن كما قيل فليس مما يختص بواسطته عليه السلام فليس لذكره كثير ملابسة بالمقام
قال اي موسى عليه السلام لما رأى شدة جزعهم مما شاهدوه مسليا لهم بالتصريح بما
لوح به في قوله ان الارض لله الى اخره عسى ربكم ان يهلك عدوكم الذي فعل بكم ما فعل
وتوعدكم باعادته ويستخلفكم في الارض اي يجعلكم خلفاء في ارض مصر فينظر
كيف تعملون احسانا او قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال وفيه تأكيد للتسلية
وتحقيق للامر قيل لعل الاتيان بفعل الطمع لعدم الجزم منه عليه السلام بانهم هم المستخلفون
باعيانهم او اولادهم فقد روي ان مصر انما فتحت في زمن داود عليه السلام ولا يساعده
قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها فان المتبادر
استخلاف انفس المستضعفين لا استخلاف اولادهم وانما هو لعدم الجزم جريا على سنن
الكبرياء ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين شروع في تفصيل مبادي الهلاك الموعود
وايذان بانه تعالى لم يمهلهم بعد ذلك ولم يكونوا في خفض ودعة بل رتب اسباب
هلاكهم فحولوا من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب الاستئصال وتصدير الجملة بالقسم
لاظهار الاعتناء بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها لغتان اشهرهما
اجراؤها مجرى المذكر السالم فيجمع رفعا بالواو ونصبا وجرا بالياء وتحذف نونه بالاضافة
واللغة الثانية اجراء الاعراب على النون ولكن مع الياء خاصة اما باثبات تنوينها او بحذفه
قال الفراء هي في هذه اللغة مصروفة عند بني عامر وغير مصروفة عند بني تميم ووجه
حذف التنوين التخفيف سيبويه لا تحذف النون للاضافة وعليها جاء قول
الشاعر ✱ دعاني من نجد فان سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا ✱ وجاء في الحديث
اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وسنينا كسنين يوسف باللغتين ونقص من
الثمرات باصابة العاهات عن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة
قال ابن عباس رضي الله عنهما اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص
الثمرات فكان من امصارهم لعلهم يذكرون اي يتذكروا ويتعظوا بذلك وينتبهوا على

اذ ذلك لاجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو والعناد. وقال الزجاج ان الاحوال الشديدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل وفي الرجوع اليه تعالى. الا يرى الى قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض. وقد مر تحقيق القول في لعل وفي محلها في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون في اوائل سورة البقرة. قوله تعالى **فاذا جاءتهم الحسنة** الاية بيان لعدم تذكرهم وتماديهم في الغي فاذا جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من الخيرات **قالوا لنا هذه** اي لاجلنا واستحقاقنا **وان تصبهم سيئة** اي جدب وبلاء **يطيروا بموسى ومن معه** اي يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا كما ترى ناسب بكمال قساوة قلوبهم ونهاية جهلهم وغباوتهم فان الشدائد ترقق القلوب وتلين العرائك لا سيما بعد مشاهدة الايات وقد كانوا بحيث لم يؤثر فيهم شيء منها بل ازدادوا عتوا وعنادا. وتعريف الحسنة وذكرها باداة التحقيق للايذان بكثرة وقوعها وتعلق الارادة بها بالذات كما ان تنكير السيئة وايرادها بحرف الشك للاشعار بندرة وقوعها وعدم تعلق الارادة بها الا بالعرض. وقوله تعالى **الا انما طائرهم عند الله** استئناف مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق في ذلك وتصديره بكلمة التنبيه لابراز كمال العناية بمضمونه اي ليس سبب خيرهم وشرهم الا من عنده تعالى اي مكتوبة وبحكمه ومشيئته المتضمنة للحكم والمصالح اي ليس سبب شؤمهم وسوء اعمالهم السيئة الا عنده تعالى اي مكتوبة لديه فانما الذي ساقت اليهم ما يسوءهم لا ما عداها. وقرئ الا انما طيرهم وهو اسم جمع طائر وقيل جمع له. **ولكن اكثرهم لا يعلمون** ذلك فيقولون ما يحكى عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ان ما اصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى او يعلمون ان ما اصابهم من المصائب والبلايا الا بما كسبت ايديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا او استكبارا. **وقالوا** شروع في بيان بعض اخر مما اخذوا به من فنون العذاب التي هي في انفسها ايات بينات وعدم ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد اي قالوا بعد ما راوا من شان العصا والسنين ونقص الثمرات **مهما تاتنا** كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء واصلها ما الجزائية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد كما ضمت الى ان في قوله فاما تثقفنهم خلا ان الف الاولى قلبت هاء حذرا من تكرار المتجانسين هذا هو الراي السديد. وقيل مه كلمة يصوت بها الكاف ضمت اليها ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره ما بعدها اي اي شيء تحضرنا لدينا. وقوله تعالى **من اية** بيان لها وتسميتهم اياها اية لمجاراتهم على راي موسى عليه الصلاة والسلام واستهزائهم بها والاشعار بان عنوان كونها اية لا يؤثر فيهم. قوله تعالى **لتسحرنا بها** الى اخره اظهار لكمال الطغيان والغلو فيه وتنبيه للارشاد الى الحق بالسحر وتسميته تسخيرا والضميران المجروران راجعان الى مهما وتذكير الاول لمراعاة جانب اللفظ لابهامه وتانيث الثاني للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه باية كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده **فما نحن**

لك بمؤمنين اي بمصدقين لك ومؤمنين بنبوتك **فارسلنا عليهم** عقوبة لجرائمهم لا سيما لقولهم ذلك **الطوفان** اي الماء الذي طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل. وقيل هو الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون **والجراد والقمل** قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها **والضفادع والدم**. روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يستطيع احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل الماء بيوت بني اسرائيل منه قطرة في خلال بيوتهم وفاض الماء على ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة ايام. فقالوا له عليه الصلاة والسلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب والكلا ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم وابوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا اليه عليه الصلاة والسلام كما ذكر فخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه ثالثا فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر ثم ارسل الله تعالى عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه رابعا وتضرعوا فاخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا العهد فارسل الله تعالى عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء فيكون ما يلي القبطي دما وما يلي الاسرائيلي ماء على حاله ويمص القبطي من فم الاسرائيلي فيصير ما في فيه دما. وقيل سلط الله عليهم الرعاف. **ايات** حال من المنصوبات المذكورات **مفصلات** مبينات لا يشكل على عاقل انها ايات الله تعالى ونقمته وقيل مفرقات بعضها من بعض لامتحان احوالهم وكان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا. وقيل انه عليه الصلاة والسلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات على مهل **فاستكبروا** وابوا عن الايمان بها **وكانوا قوما مجرمين** جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها **ولما وقع عليهم الرجز** اي العذاب المذكور على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحد من الايات المفصلة اي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات **قالوا** في كل مرة **يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك** اي بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعو به فيجيبك كما اجابك في اياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه يعني ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب بحق ما عندك او قسم اجيب بقوله تعالى **لئن كشفت عنا الرجز** الذي وقع علينا **لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل** اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الى اخره **فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه** اي الى حد من الزمان هم واصلون اليه ولا بد فمعذبون فيه او مهلكون **اذا هم ينكثون** جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجئوا النكث من غير تامل وتوقف **فانتقمنا** اي اردنا ان ننتقم **منهم** لما اسلفوا من المعاصي والجرائم

فان قوله تعالى فاغرقناهم عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء فيها • ويجوز ان يكون المراد
مطلق الانتقام والفاء تفسيرية • كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ
في اليم في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل في لجته بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها
غافلين تعليل للاغراق اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بايات الله تعالى واعراضهم عنها
وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكلية والفاء وان دلت على ترتب
الاغراق على ما قبله من النكث لكنه صرح بالتعليل ايذانا بان مدار جميع ذلك تكذيب
ايات الله تعالى والاعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الايات الظاهرة
على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض عنها واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
اي بالاستعباد وذبح الابناء والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار
الاستضعاف وتجدده وهم بنو اسرائيل وذكرهم بهذا العنوان اظهارا لكمال لطفه
تعالى بهم وعظيم احسانه اليهم في رفعهم من حضيض الذلة الى اوج العزة مشارق
الارض ومغاربها اي جانبيها الشرقي والغربي حيث ملكها بنو اسرائيل بعد العمالقة
والفراعنة وتصرفوا في اكنافها الشرقية والغربية كيف شاءوا • وقوله تعالى التي
باركنا فيها اي بالخصب وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب وقيل للارض
وفيه ضعف للفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف كما في قولك قام ام هند وابوها
العاقلة وتمت كلمة ربك الحسنى وهي وعده تعالى اياهم بالنصر والتمكين كما في قوله
تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الاية • وقرئ كلمات
لتعدد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت على بني اسرائيل بما صبروا اي بسبب
صبرهم على الشدائد التي كابدوها من جهة فرعون وقومه ودمرنا اي خربنا
واهلكنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والقصور اي ودمرنا الذي كان فرعون
يصنعه على ان فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة الكونية صلة ما والعائد
محذوف ايضا والتقدير ودمرنا الذي كان يصنعه فرعون الى اخره • وقيل كان زائدة
كما ذكر وما موصولة اسمية والعدول الى صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار
الصورة وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعونه من البنيان كصرح هامان
وقرئ يعرشون بضم الراء والكسر افصح وهذا اخر قصة فرعون وقومه • وقوله
عز وجل وجاوزنا ببني اسرائيل البحر شروع في قصة بني اسرائيل وشرح ما احدثوه من
الامور الشنيعة بعد ان انقذهم الله عز وجل من ملكة فرعون ومن عليهم
بالنعم العظام الموجبة للشكر واراهم من الايات الكبار ما تخر له صم الجبال •
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم
ومراقبة احوالهم وجاوز بمعنى جاز • وقرئ جوزنا بالتشديد وهو ايضا بمعنى جاز
معدى بالباء اي قطعنا بهم البحر • روي ان الله عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشوراء
بعد ما اهلك الله تعالى فرعون فصاموا شكرا لله تعالى فاتوا اي مروا على قوم
قيل كانوا من لخم وقيل من العمالقة الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم

يعكفون على اصنام لهم اي يواظبون على عبادتها ويلازمونها • وقرئ بكسر الكاف
قال ابن جريج كانت اصنامهم تماثيل بقر وهو اول شان العجل قالوا عندما شاهدوا
احوالهم يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم الهة الكاف متعلقة بمحذوف
وقع صفة لالها وما موصولة ولهم صلتها والهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا الها كائنا
كالذي استقر هو لهم قال انكم قوم تجهلون تعجب عليه السلام من قولهم بعد ما
شاهدوا من الاية الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم بالجهل المطلق اذ لا جهل
اعظم مما ظهر منهم واكده بقوله ان هؤلاء يعني القوم الذين يعبدون تلك التماثيل
متبر اي مدمر مكسر ما هم فيه اي من الدين الباطل اي يتبر الله تعالى ويهدم
دينهم الذي هم عليه عن قريب ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وانما جيء بالجملة الاسمية
للدلالة على التحقيق وباطل اي مضمحل بالكلية ما كانوا يعملون من عبادتها وان كان
مقصدهم بذلك التقرب الى الله تعالى فانه كفر محض وليس هذا كما في قوله تعالى وقدمنا الى
ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كما توهم فان المراد به اعمال البر التي عملوها في الجاهلية
فانها في انفسها حسنات لو قارنت الايمان لاستتبعت اجورها وانما تبطل لمقارنتها
الكفر وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام
بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم
عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا قال اغير الله ابغيكم الها شروع في بيان
شؤون الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى بعد بيان ان ما طلبوا عبادته
مما لا يمكن طلبه اصلا لكونه هالكا باطلا ولذلك وسط بينهما قال مع كون كل منهما
كلام موسى عليه السلام والاستفهام للانكار والتعجب والتوبيخ فادخال الهمزة
على غير للايذان بان المنكر هو كون المبغي غيره تعالى لما انه للاختصاص لا لانكار لغيره تعالى
دون انكار الاختصاص بغيره وانتصاب غير على انه مفعول ابغي بحذف اللام اي ابغي
لكم اي اطلب لكم غير الله تعالى والها اما تمييز او حال او على الحالية من الها وهو المفعول
كما ينبئ عنه الاصل ابغي لكم الها غير الله فغير الله صفة لالها فلما قدمت صفة النكرة
انتصب حالا وهو فضلكم على العالمين اي والحال انه تعالى خصكم بنعم لم يعطها غيركم
وفيه تنبيه على ما صنعوا من سوء المقابلة حيث قابلوا تخصيص الله تعالى اياهم من بين امثالهم
بما لم يستحقوه تفضلا لهم من جهته تعالى بنعمة الانجاء من ملكة فرعون • وقرئ نجيناكم من
التنجية • وقرئ انجاكم فيكون مسوقا من جهة موسى عليه الصلاة والسلام اي واذكروا
وقت انجائنا اياكم واذ انجيناكم من آل فرعون من ملكتهم لا بمجرد تخليصكم من ايديهم وهم على حالهم
في المكنة والقدرة بل باهلاكهم بالكلية وقوله تعالى يسومونكم سوء العذاب من سامه
خسفا اي اولاه اياه او كلفه اياه وهو اما استئناف لبيان ما انجاهم منه او حال من
المخاطبين او من آل فرعون او منهما معا لاشتماله على ضميريهما وقوله تعالى يقتلون ابناءكم
ويستحيون نساءكم بدل من يسومونكم مبين او مفسر له وفي ذلكم الانجاء او سوء العذاب
بلاء اي نعمة او محنة من ربكم من مالك امركم فان النعمة والنقمة كلاهما منه سبحانه وتعالى

عظيم لا يقادر قدره ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة﴾ روي ان موسى عليه الصلاة والسلام
وعد بني اسرائيل وهم بمصر ان اهلك الله تعالى عدوهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون
فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة
فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة
المسك فافسدته بالسواك فامره الله تعالى بان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وذلك قوله تعالى
﴿واتممناها بعشر﴾ والتعبير عنها بالليالي لانها غرر الشهور • وقيل امره الله تعالى بان
يصوم ثلاثين يوما وان يعمل فيها ما يقربه الى الله تعالى ثم انزلت عليه التورية
في العشر وكلم فيها وقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصله هاهنا
وواعدنا بمعنى وعدنا وقد قرئ كذلك • وقد قيل الصيغة على بابها بناء على تنزيل قبول
موسى عليه السلام منزلة الوعد وثلاثين مفعول ثان لواعدنا بحذف المضاف اي اتمام
ثلاثين ليلة ﴿فتم ميقات ربه اربعين ليلة﴾ اي بالغا اربعين ليلة ﴿وقال موسى لاخيه
هارون﴾ حين توجه الى المناجاة حسبما امر به ﴿اخلفني في قومي﴾ اي كن خليفتي فيهم وراقبهم
فيما يأتون وما يذرون ﴿واصلح﴾ ما يحتاج الى الاصلاح من امورهم او كن مصلحا ﴿ولا تتبع
سبيل المفسدين﴾ اي لا تطع من سلك الافساد ولا تتبع من دعاك اليه ﴿ولما جاء موسى
لميقاتنا﴾ لوقتنا الذي وقتناه له واللام للاختصاص اي اختص مجيئه بميقاتنا ﴿وكلمه
ربه﴾ من غير واسطة كما يكلم الملائكة عليهم السلام وفيما روي انه عليه الصلاة
والسلام كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيها على ان سماع كلامه عز وجل ليس من جنس سماع كلام
المحدثين ﴿قال رب ارني انظر اليك﴾ اي ارني ذاتك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك
واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل مستحيل
من الانبياء لا سيما ما يقتضي الجهل بشؤون الله عز وجل ولذلك اجابه بقوله لن تراني
دون لن أرى او لن اريك او لن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في
الرائي ولم يوجد فيه ذلك بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا أرنا الله جهرة
خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا
اجعل لنا الها وان لا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال
بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار بعدم رؤيته اياه على ان لا يراه
ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة
او جهالة بحقيقة الرؤية ﴿قال﴾ استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام • كانه قيل فماذا قال
رب العزة حين قال موسى عليه السلام فقيل قال ﴿لن تراني ولكن انظر الى الجبل
فان استقر مكانه فسوف تراني﴾ استدراك لبيان انه لا يطيق بها وفي تعليقها باستقرار
الجبل ايضا دليل على الجواز ضرورة ان المعلق بالممكن ممكن والجبل قيل هو جبل اردن
﴿فلما تجلى ربه للجبل﴾ اي ظهرت له عظمته وتصدى له اقتداره وامره • وقيل اعطي
للجبل حياة ورؤية حتى رآه ﴿جعله دكا﴾ مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان
كالشك والشق • وقرئ دكا اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها

وقرئ

وقرئ دكا جمع دكاء اي قطعا ﴿وخر موسى صعقا﴾ مغشيا عليه من هول ما رآه ﴿فلما افاق﴾ الافاقة
رجوع العقل والفهم الى الانسان بعد ذهابهما بسبب من الاسباب ﴿قال﴾ تعظيما لما
شاهده ﴿سبحانك﴾ اي تنزيها لك من ان اسألك شيئا بغير اذن منك ﴿تبت اليك﴾ اي
من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن ﴿وانا اول المؤمنين﴾ بعظمتك وجلالك
وقيل اول من امن بانك لا ترى في الدنيا وقيل بانه لا يجوز السؤال بغير اذن منك
﴿قال يا موسى﴾ استيناف مسوق لتسليته عليه الصلاة والسلام من عدم الاجابة
لسؤال الرؤية • كانه قيل ان منعتك الرؤية فقد اعطيتك من النعم العظام ما لم
اعط احدا من العالمين فاغتنمها وثابر على شكرها ﴿اني اصطفيتك﴾ اي اخترتك
والياء ثابتة مفتوحة واسكنها ﴿على الناس﴾ اي المعاصرين لك وهارون وان كان نبيا
كان مأمورا باتباعه وما كان كليما ولا صاحب شرع ﴿برسالاتي﴾ اي باسفار التورية
وقرئ برسالتي ﴿وبكلامي﴾ وبتكليمي اياك بغير واسطة ﴿فخذ ما آتيتك﴾ اي اعطيتك من شرف
النبوة والحكمة ﴿وكن من الشاكرين﴾ على ما اعطيت من جلائل النعم • قيل كان سؤال
الرؤية يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر ﴿وكتبنا له في الالواح من كل شيء﴾ اي مما يحتاجون
اليه من امور دينهم ﴿موعظة وتفصيلا لكل شيء﴾ بدل من الجار والمجرور اي كتبنا له كل
شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في عدد الالواح وفي جوهرها ومقدارها
فقيل انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمردة
جاء بها جبريل عليه السلام وقيل من زبرجد خضراء وياقوتة حمراء • وقيل امر
الله تعالى موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه • وعن
الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التورية وان طولها كان عشرة اذرع •
وقيل نزلت التورية وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا
اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام • وعن مقاتل كتب في الالواح
اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبل ولا تزنوا ولا تعقوا
الوالدين ﴿فخذها﴾ على اضمار القول عطفا على كتبنا اي فقلنا له خذها ﴿بقوة﴾ بجد وعزيمة
وقيل انه بدل من قوله تعالى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين والضمير للالواح
اي للكتابة لانه بمعنى الالواح او للرسالة او للتورية ﴿وأمر قومك يأخذوا باحسنها﴾ اي باحسن
ما فيها كالعفو والصبر بالاضافة الى الانتصاف والاستظهار كالانتصار على طريقة
الندب والحث على اختيار الافضل • كما في قوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم
من ربكم او بواجباتها فانها احسن من المباح • وقيل المعنى يأخذوا بها واحسن
صلة • قال قطرب اي بحسنها وكلها حسن • لقوله تعالى ولذكر الله اكبر • وقيل
يجوز ان يحمل الكلام على معنيين او لمعان فيأخذوا باشبهها بالحق واقربها الى
الصواب ﴿ساريكم دار الفاسقين﴾ تأكيد للخطاب وتوجيه له الى قومه عليه السلام
بطريق الالتفات حملا لهم على الجد في الامتثال بما امروا به اما على نهج الوعيد والترهيب
على ان المراد به دار الفاسقين من ... عاد وثمود واضرابهم فان رؤيتها

وهي خالية عن اهلها خاوية على عروشها موجبة للاعتبار والانزجار عن مثل اعمال اهلها
كي لا يحل بهم ما حل باوليك واما على نهج الوعيد والترغيب على ان المراد بدار الفاسقين ارض مصر خاصة
او هي ارض الجبابرة والعمالقة بالشام فهي ايضا مما ابيح لبني اسرائيل وكتب لهم حسبما ينطق به
قوله عز وجل يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ومعنى الاراءة الادخال
بطريق الايراث ويؤيده قراءة من قرأ ساورثكم بالثاء المثلثة كما في قوله تعالى واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ساوريكم ولعله
من اوريت الزند اي سابينها لكم وقوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض
استئناف مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم التفكر في الآيات التي هي ما كتب
في الالواح التوراة من المواعظ والاحكام وما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية
التي من جملتها ما وعد اراءته من دار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم
بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لاصرارهم على ما هم عليه من التكبر
والتجبر كقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول
الصريح لاظهار الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه
بتجاوب اطراف النظم الكريم اي سأطبع على قلوب الذين يعدون انفسهم كبراء ويرون ان لهم
على الخلق مزية وفضلا فلا ينتفعون بالآيات التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون مغانم
آثارها فلا تسلكوا مسلكهم لتكونوا امثالهم وقيل المعنى سأصرفهم عن ابطالها وان
اجتهدوا كما اجتهد فرعون في ابطال ما رآه من الآيات فأبى الله الا احقاق الحق
وازهاق الباطل وفيه انه لا يناسب ان يراد بدار الفاسقين ارض الجبابرة
والعمالقة المشهورين بالفسق والتكبر في الارض وباراءتها للمخاطبين ادخالهم الشام
واسكانهم في مساكنهم ومنازلهم حسبما نطق به قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض
المقدسة التي كتب الله لكم ويكون قوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون
في الارض بغير الحق الى آخره جواب عن سؤال مقدر ناشئ من الوعد بادخال الشام على ان
المراد بالآيات ما يتلى آنفا ونظائره وبصرفهم عنها ازالتهم عن مقام معارضتها وممانعتها
لوقوع اخبارها وظهور احكامها وآثارها باهلاكهم على يد موسى عليه السلام حين سار به
التيه بمن بقي من بني اسرائيل او بيد يوشع على اختلاف الروايتين الى اريحا ويوشع بن نون
في مقدمته ففتحها واستقر بنو اسرائيل بالشام وملكوا مشارقها ومغاربها
كأنه قيل كيف يرون دارهم ومعرفتها تتسلل ملكهم وانا عدد الى العدو فيعتدوا
ثقة بالآيات واطمئنانا بها وقوله تعالى بغير الحق اما صلة للتكبر اي يتكبرون بما
ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط او متعلق بمحذوف هو حال من فاعله اي
يتكبرون ملتبسين بغير الحق وقوله تعالى وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها عطف على
حال من فاعله على يتكبرون داخل معه في حكم الصلة والمراد بالآية اما المنزلة فالمراد
برؤيتها مشاهدتها بسماعها او ما يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها
بسماعها او ما يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها مطلق المشاهدة المنتظمة للسماع والابصار

اي

اي وان يشاهدوا كل آية من الآيات لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا بكل
واحدة منها لعدم اجتلائهم اياها كما هي وهذا كما ترى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع
وقوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا عطف على ما قبله داخل في حكمه اي لا يتوجهون
الى الحق ولا يسلكون سبيله اصلا لاستيلاء الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم على
الانحراف والزيغ وقرئ لا يتخذوه وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم
والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا اي يختارونه لانفسهم مسلكا مستمرا لا يكادون
يعدلون عنه لموافقته لاهوائهم الباطلة وافضائه بهم الى شهواتهم ذلك اشارة
الى ما ذكر من تكبرهم وعدم ايمانهم بشيء من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم
التام الى سبيل الغي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بأنهم اي حاصل بسبب انهم كذبوا
بآياتنا الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القبائح وعلى حقية اضدادها وكانوا عنها
غافلين لا يتفكرون فيها والا لما فعلوا ما فعلوا من الاباطيل ويجوز ان يكون
اشارة الى ما ذكر من الصرف ولا يمنعه الاشعار بعلية ما في حيز الصلة كيف لا
وقد مر ان ذلك في قوله ذلك بما عصوا الآية يجوز ان يكون اشارة الى الذلة
والمسكنة والبوء بالغضب العظيم مع كون ذلك معللا بالكفر بآيات الله صريحا
وقيل محل اسم الاشارة النصب في المصدر اي سأصرفهم ذلك الصرف بسبب تكذيبهم
بآياتنا وغفلتهم عنها والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار الآخرة من
الجزاء ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى حبطت اعمالهم خبره اي ظهر بطلان اعمالهم
التي كانوا عملوها من صلة الارحام واغاثة الملهوفين ونحو ذلك او حبطت بعدما كانت
مرجوة النفع على تقدير ايمانهم بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي الا
جزاء ما كانوا يعملونه من الكفر والمعاصي واتخذ قوم موسى من بعده اي من بعد ذهابه الى
الطور من حليهم متعلق باتخذ كالجار الاول لاختلاف معنييهما فان الاول للابتداء
والثاني للتبعيض او للبيان والثاني متعلق بمحذوف وقع حالا لانه لو تأخر لكان
صفة له واضافة الحلي اليهم مع انها كانت للقبط لادنى ملابسة حيث كانوا استعاروها
منهم قبيل الغرق فبقيت في ايديهم وقيل انهم ملكوها بعد الغرق فان ذلك مما يتوسط
يتملك بنو اسرائيل غنائم القبط وهم مستأمنون فيما بينهم فلا تباح اموالهم لهم
اوزارا من زينة القوم والحلي بضم الحاء وكسر اللام جمع حلي كثدي وثدي
وقرئ بكسر الحاء بالاتباع للام وقرئ حليهم على الافراد وقوله تعالى عجلا مفعول
اتخذ اخر عن المجرور لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه
من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقيل هو متعد الى اثنين بمعنى
التصيير والمفعول الثاني محذوف اي الها وقوله جسدا بدل من عجلا اي جثة
ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح فيه وقوله تعالى له خوار اي صوت بقر وقرئ
بالجيم والهمزة وهو الصياح نعت لعجلا روي ان السامري لما صاغ العجل القى في
فيه ترابا من اثر فرس جبريل عليه السلام وكان اخذه عند فلق البحر عند توجهه

الى الطور نقضا رحيناه وقيل صاغه بنوع من الحيل فيه خلل الريح في جوفه فيصوت والاول
هو ما في سورة طه من الاول وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانه واحد منهم واما
لانهم رضوا به فكانهم فعلوه واما لان المراد الاتخاذ اتخاذهم اياه الها معبودا واحدانه
الم يروا انه لا يكلمهم استيناف مسوق لتقريعهم وتسفيههم وتركيك عقولهم في
وتسفيههم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي هو اتخاذه الها اي الم يروا انه ليس فيه شيء
من احكام الالوهية حيث لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه
الها وقوله اتخذوه اي فعلوا ذلك وكانوا ظالمين اي واضعين الاشياء في غير مواضعها
فلم يكن ذلك منهم اول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلي تكرير الاتخاذ
لتنبيه التشنيع وترتيب الاعتراض عليه ولما سقط في ايديهم اي ندموا اشد الندم على ما فعلوا
غاية الندم فان ذلك كناية عنه لان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا
فيها وقرئ على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها اي في ايديهم وقال الزجاج
معناه سقط الندم في انفسهم اما بطريق الاستعارة بالكناية او بطريق التمثيل
وراوا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل اي تبينوا بحيث تيقنوا ان كانهم راوه باعينهم
وتقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متاخرا عنها للمسارعة الى بيانه
والاشعار بغاية سرعته كانه سابق على الرؤية قالوا والله لئن لم يرحمنا ربنا بانزال
التوراة المكفرة ويغفر لنا ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على المغفرة
مع ان التخلية حقها ان تقدم على التحلية اما للمسارعة الى ما هو المقصود الاصلي واما
لان المراد بالرحمة مطلق ارادة الخير بهم وهو مبدأ لانزال التوراة المكفرة لذنوبهم
واللام في لئن موطئة للقسم كما اشير اليه في قوله لنكونن من الخاسرين جواب
القسم وما حكي عنهم من الندامة والرؤية والقول وان كان بعد ما رجع موسى
عليه الصلاة والسلام اليهم كما ينطق به الايات الواردة في سورة طه لكن اريد
بتقديمه عليه حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد ولما رجع
موسى الى قومه شروع في بيان ما جرى بين موسى عليه الصلاة والسلام بعد رجوعه
من الميقات اثر بيان ما وقع من قومه بعده قوله تعالى غضبان اسفا حالان من موسى
عليه الصلاة والسلام او الثاني من المستكن في غضبان والاسف الشديد
الغضب وقيل الحزين قال بئسما خلفتموني من بعدي اي بئسما فعلتم من بعد غيبتي حيث
عبدتم العجل بعد ما رايتم مني من توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة
له او من حملكم على ذلك وكفكم عما طمحت نحوه ابصاركم حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم
الهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري
واشياعه او بين القيام معالجة لم تراعوا عهدي حين لم تكفوا العبدة عما فعلوا او
فالخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى قال يا هارون
ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعني افعصيت امري ويجوز ان يكون الخطاب
للكل على ان المراد بالخلافة ما يعم من الامرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة

فاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف وتقديره بئس خلافة خلفتمونيها من
بعدي خلافتكم اعجلتم امر ربكم اي تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال عجل
عن الامر اذا تركه غير تام واعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم
موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة
الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة
الواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة اسباعها التي فيها تفصيل كل شيء وبقي
سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ براس اخيه بشعر راسه مما يليها السلام
يجره اليه ظنا منه انه قصر فيما لزمه عليه الصلاة والسلام توهما انه قصر في كفهم
وهرون كان اكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني
اسرائيل قال اي هارون لموسى عليهما الصلاة والسلام ابن ام بحذف حرف النداء
تخصيص الام بالذكر مع كونهما شقيقين لما ان حق الام اعظم واحق بالمراعاة مع انها
كانت مؤمنة ولانه كانت فيه المخاوف والشدائد وقرئ بكسر الميم بناء
الياء تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء وقراءة الفتح لزيادة التخفيف او لتشبيهه
بخمسة عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه
والمعنى بذلت الجهد في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا افعل وكادوا ولم
يقتلوني اي فلا تفعل بي ما يكون سببا لشماتتهم بي فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين
اي معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او بالنسبة الى التقصير ومعنى اي تذكرن
الخطاب الى الكلام او لا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم
قال استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية اعتذار هرون عليه السلام كانه
قيل فماذا قال موسى عليه الصلاة والسلام عند ذلك فقيل قال رب اغفر لي اي
اي ما فعلت باخي من غير ذنب مقرر من قبله ولاخي ان فرط منه تقصير ما في كفهم
عما فعلوه من العظيمة واستغفر عليه الصلاة والسلام لنفسه ليرضي اخاه ويظهر
للشامتين رضاه لئلا تتم شماتتهم به ولاخيه للايذان بانه محتاج الى الاستغفار
حيث كان يجب عليه ان يقاتلهم وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام بعد غفران ما سلف
منا وانت ارحم الراحمين فلا غرو في انتظامنا في سلك رحمتك الواسعة في الدنيا
والاخرة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ان الذين اتخذوا العجل اي استمروا على اتخاذه
واستمروا على عبادته كالسامري واشياعه من الذين اشربوه في قلوبهم كما ينبئ عنه كون
الموصول الثاني عبارة عن التائبين فان ذلك نص في ان الموصول الاول عبارة عن المصرين
سينالهم اي في الاخرة غضب اي عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات
لما ان جنايتهم اعظم الجرائم واقبح الجرائر وقوله تعالى من ربهم اي مالكهم متعلق بينالهم
او بمحذوف هو نعت لغضب مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية دون الفخامة
الاضافية اي كائن من ربهم وذلة في الحياة الدنيا هي ذلة الاغتراب التي تضرب بها
الامثال والمسكنة المنتظمة لهم ولاولادهم جميعا والذلة التي اختص بها السامري

من الامتثال أو للإبدال بالمماسة وروي أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك وإذا مس أحدهم أحد غيرهم حمّا جميعاً في الوقت وإيراد ما نالهم في حيز السوء مع معنيه بطريق إنما الإخلال من خلال الاستئناف وقيل المراد بهم التائبون بالغضب ما أمروا به من قتل أنفسهم والإعقاء عن التشنيع بأن ذلك حكاية لما أخبر الله تعالى به موسى عليه الصلاة والسلام حين أخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل بأنه سينالهم غضب من ربهم وذلة فيكون ما تقدم عن الغضب وأنت خبير بأن سياق النظم الكريم وسياقه بأبيان عن ذلك وظاهر لكن لا وقوله تعالى **وكذلك نجزي المفترين** ينادي بخلافه فإنهم بعد ما تابوا وشهدوا بعدما ذلك ما ليس يجزي الله تعالى لكل المفترين من الجزاء الذي هو بلطفه قبولاً لطفه ورحمة وقيل المراد أبناؤهم المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن تعيير الأبناء بأفاعيل الآباء معروف مشهور ومنه قوله تعالى وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون وقوله تعالى وإذ قلتم يا موسى الآية والمراد بالغضب الغضب والمراد ما أصابهم من القتل والإجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل المراد بالموصول المتخذون حقيقة وبالضمير في ينالهم أخلافهم ولا ريب في أن توسيط حال هؤلاء في تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه **والذين عملوا السيئات** أي سيئة كانت **ثم تابوا** عن تلك السيئات **من بعدها** أي من بعد عملها **وآمنوا** إيماناً صحيحاً خالصاً واشتغلوا بإقامة ما هو من مقتضياته من الأعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الأولى **إن ربك من بعدها** أي من بعد تلك التوبة المقرونة بالإيمان **لغفور** للذنوب وإن عظمت وكثرت **رحيم** مبالغ في إفاضة فنون الرحمة الدنيوية والأخروية والمغفرة ينعموا له الوجوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام للتشريف **ولما سكت عن موسى الغضب** شروع في بيان بقية الحكاية إثر ما بين تحزب القوم إلى مصر والإشارة إلى مآل كل منهما إجمالاً أي لما سكن عنه الغضب باعتذار أخيه وتوبة القوم وسنة أصلح في أن ما حكي عنهم من الندم وما يتفرع عليه كان بعد مجيء موسى عليه الصلاة والسلام وفي هذا النظم الكريم من المبالغة والبلاغة بتنزيل الغضب الحامل له عليه الصلاة والسلام على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة الآمر بذلك المغري عليه بالتحكم والتشديد والتعبير عن سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرئ سكن وسكت وأسكت على أن الفاعل هو الله تعالى أو أخوه أو التائبون **أخذ الألواح** التي ألقاها **وفي نسختها** أي فيما نسخ فيها وكتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها أي من الألواح المنكسرة **هدى** أي بيان للحق **ورحمة** للخلق بإرشادهم إلى ما فيه الخير والصلاح **للذين هم لربهم يرهبون** اللام الأولى متعلقة بمحذوف هو صفة لرحمة أي كائنة لهم أو هي لام الأجل أي هدى ورحمة لأجلهم والثانية مقوية لعمل الفعل المؤخر كما في قوله تعالى إن كنتم للرؤيا تعبرون أو هي لام العلة والمفعول محذوف أي يرهبون المعاصي لأجل ربهم لا للرياء والسمعة **واختار موسى قومه** شروع في بيان كيفية استدعاء التوبة وكيفية وقوعها واختار يتعدى

إلى اثنين ثانيهما مجرور بمن أي اختار من قومه بحذف الجار وإيصال الفعل إلى المجرور كما في قوله

اخترتك الناس إذ رثت خلائقهم ❊ واعتل من كان يرجى عنده السول

أي اختار من قومه **سبعين رجلاً** مفعول أول لاختار وأخره عن الثاني لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر **لميقاتنا** الذي وقتناه بعد ما وقع من قومه ما وقع كما ينبئ عنه الكلام الذي ذكر فيه ذلك كما سيأتي قال السدي أمره الله تعالى أن يأتيه في أناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه تعالى من عبادة العجل ووعدهم موعداً فاختار عليه السلام من قومه سبعين رجلاً وقال محمد بن إسحاق اختارهم ليتوبوا إليه تعالى مما صنعوا ويسألوا التوبة على من تركوا وراءهم من قومهم قالوا اختار عليه الصلاة والسلام من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال عليه السلام لمن قعد منكما أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين وأمرهم بأن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج بهم إلى طور سيناء فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجداً فسمعوه تعالى وهو يكلم موسى يأمره وينهاه ما شاء من الأمر ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه **فلما أخذتهم الرجفة** مما اجترؤوا عليه من طلب الرؤية فإنه يروى أنه لما انكشف الغمام أقبلوا إلى موسى عليه الصلاة والسلام وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة أي الصاعقة ورجفة الجبل فصعقوا منها أي ماتوا لعلمهم أرادوا بقولهم لن نؤمن لك حتى لن نصدقك في أن الآمر بما سمعناه من الأمر بقتل أنفسهم هو الله تعالى حتى نراه حيث قالوا رؤيته تعالى في سماع كلامه قياساً فاسداً حين شاهدوا موسى عليه السلام تلك الحالة المانعة **قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل** أي حين فرطوا في النهي عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا إصرارهم عليها **وإياي** أيضاً حين طلبت منك الرؤية أي لو شئت إهلاكنا بذنوبنا لأهلكتنا حينئذ أراد به عليه الصلاة والسلام التضرع والشكر للعفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق فإن الاعتراف بالذنب والشكر على النعمة مما ينشط العبد ويستجلب المزيد يعني إنا كنا مستحقين للإهلاك ولم يكن من مواعيدك الإمساك إياه حيث تلطفت بنا وعفوت عنا تلك الجرائر فلا حرج في أن تعفو عنا هذه الجريمة أيضاً ويحمل الكلام على التمني بإياه يأباه قوله تعالى **أتهلكنا بما فعل السفهاء منا** أي الذين يعاملون تفاصيل شؤونك ولا يبتغون في الحق أحقية والهمزة إما للإنكار ووقوع الإهلاك ثقة بلطف الله عز وجل كما قاله ابن الأنباري أو للاستعطاف كما قاله المبرد أي لا تهلكنا **إن هي إلا فتنتك** استئناف مقرر لما قبله واعتذار عما صنعوا ببيان منشأ غلطهم أي ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء فقالوا أرنا الله جهرة أو ما اختبرتهم في أظنة الافتتان أي محنتك وابتلاؤك حيث أسمعتهم كلامك فافتتنوا بذلك ولم يتثبتوا فطمعوا فيما فوق ذلك مما لا يعنيهم الناسب وقوله تعالى **تضل بها من تشاء** إما استئناف مبين لحكم الفتنة أو حال من فتنتك أي حال كونها مضلاً بها إلى آخره أي تضل بسببها من تشاء إضلاله لعدم اهتدائه إلى التثبت وتهدي من تشاء هدايته إلى الحق فلا تفتن لم يشأ

وتمسكاً بالنظام

فيتوي بها ايانا انت ولينا القائم اي القائم بامورنا الدنيوية والاخروية وناصرنا وحافظنا
لا غير فاغفر لنا ما قارفناه من المعاصي والفاء لترتيب الدعاء على ما قبله من الولاية
كانه قيل من شان الولي المغفرة والرحمة وقيل ان اقدامه عليه الصلاة والسلام
على ان يقول ان هي الا فتنتك الى آخره جراءة عظيمة فطلب من الله تعالى غفرانها
والتجاوز عنها وارحمنا بافاضة آثار الرحمة الدنيوية والاخروية علينا وانت
خير الغافرين اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر
لانها الاهم بالمقام واكتب لنا اي عين لنا وقيل اوجب وحقق واثبت في هذه الدنيا
حسنة اي نعمة وعافية او خصلة حسنة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
اقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة وفي الآخرة اي واكتب لنا ايضا فيها حسنة
وهي المثوبة الحسنى او الجنة انا هدنا اليك اي تبنا وانبنا اليك من هاد يهود
اذا رجع وقرئ بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه واماله ويحتمل ان يكون
مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا وامِلنا اليك ويجوز ان يكون
القراءة المشهورة على بناء المفعول على لغة من يقول عود المريض كونها لغة ضعيفة لا
ينبغي ان تنزيل الجليل والجملة استئناف مسوق لتعليل الدعاء فان التوبة
مما يوجب قبوله بموجب الوعد المحتوم وتصديرها بحرف التحقيق لاظهار كمال النشاط
والرغبة والتوبة والمعنى انا تبنا ورجعنا عما صنعنا من المعصية العظيمة التي جئناك
للاعتذار عنها وعما وقع منا من طلب الرؤية بتعنت من لطفك وفضلك ان لا تشتبه
توبة التائبين قيل لما اخذتهم الرجفة ماتوا جميعا فاخذ موسى عليه السلام
يتضرع الى الله عز وجل حتى احياهم وقيل رجفوا وكادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك
فخاف موسى عليه الصلاة والسلام فكشفها الله تعالى عنهم قال استئناف وقع جوابا
عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال الله تعالى عند دعاء موسى عليه السلام
فقيل قال عذابي اي اصيب به من اشاء تعذيبه عز وجل لما جعل توبة عبدة العجل بتسليم انفسهم
موسى عليه السلام دعاءه التخفيف والتيسير حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة
اي خصلة حسنة عارية عن المشقة والشدائد فان في قتلهم انفسهم من العذاب ما لا يخفى
فاجاب تعالى بان عذابي شانه ان اصيب به من اشاء تعذيبه من غير دخل لغيري فيه ومن جملته
ما شاء له منهم ذلك التعذيب بسبب توبتهم بالعذاب الدنيوي ورحمتي وسعت كل شيء
اي شانها ان تسع في الدنيا المؤمن والكافر بل كل ما يدخل تحت المشيئة من المكلفين
وغيرهم وقد نال قومك منها في دفع العذاب الدنيوي وفي نسبة الاصابة
الى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة الماضي ايذان بان
الرحمة مقتضى الذات واما العذاب فمقتضى سابق معاصي العباد والمشيئة معتبرة في جانب الرحمة
ايضا وعدم التصريح بها للاشعار بغاية الظهور الا ترى الى قوله تعالى فساكتبها
اي اثبتها واعينها فانه متفرع على اعتبار المشيئة كانه قيل فاذا كان الامر كذلك
اي كما ذكر من اصابة عذابي وسعة رحمتي لكل من اشاء فساكتبها كتبة خاصة كما دعوت

بقولك

بقولك واكتب لنا في هذه الى آخره اي سأكتبها كتبة خالصة غير مشوبة بالعذاب الدنيوي
للذين يتقون اي الكفر والمعاصي اما ابتداء او بعد ملابستها وفيه تعريض بقومه كانه
قيل لا لقومك لانهم غير متقين فيكفيهم ما نالهم من الرحمة وان كانت مقارنة
للعذاب الدنيوي ويؤتون الزكاة وفيه ايضا تعريض بهم حيث كانت الزكاة شاقة عليهم
ولعل الصلاة انما لم تذكر مع انافتها على سائر العبادات اكتفاء منها بالاتقاء الذي هو
عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك المنكرات عن آخرها وايراد ايتاء الزكاة
لما مر من التعريض والذين هم باياتنا جميعا يؤمنون ايمانا مستمرا من غير اخلال بشيء منها
وفيه تعريض بهم وبكفرهم بالآيات العظام التي جاء بها موسى عليه السلام وما يجيء
بعد ذلك من الآيات العظام كتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك وتكرير
الموصول مع ان المراد به عين ما اريد بالموصول الاول دون ان يقال ويؤمنون باياتنا
عطفا على يؤتون الزكاة كما عطف هو على يتقون لما انه من العقائد بغير الجوارح
اي هم بجميع آياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض الذين يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتابا
مختصا به النبي اي صاحب المعجزة وقيل عنوان الرسالة بالنسبة اليه تعالى وعنوان
النبوة بالنسبة الى الامة الامي بضم الهمزة نسبة الى الام كانه باق على حالته التي
ولد عليها من امه او الى امة العرب كما قال عليه الصلاة والسلام انا امة امية لا نكتب
ولا نحسب او الى ام القرى وقرئ بفتح الهمزة اي الذي لم يمارس القراءة والكتابة
وقد جمع ذلك علوم الاولين والآخرين والموصول بدل من الموصول الاول
بدل الكل ومنصوب على المدح او مرفوع عليه اعني الذين او هم الذين
واما جعله مبتدأ على ان خبره يأمرهم او اولئك هم المفلحون فغير سديد
الذي يجدونه مكتوبا باسمه ونعوته بحيث لا يشكون انه هو ولذلك عدل عن ان يقال
يجدون اسمه او صفته مكتوبا عندهم ظرف لمكتوبا او ليجدونه وذكر لزيادة التقرير وان شانه صلى
الله عليه وسلم حاضر عندهم لا يغيب عنهم اصلا في التوراة والانجيل اللذين تعبد
بهما بنو اسرائيل سابقا ولاحقا والظرفان متعلقان بيجدونه او بمكتوبا وذكر
الانجيل قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن
المجيد قبل مجيئهما يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كلام مستانف لا محل له من الاعراب
قاله الزجاج متضمن لتفصيل بعض احكام الرحمة التي وعد فيما سبق بكتبها اجمالا
فان ما ذكر فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم
الخبائث واسقاط التكاليف الشاقة كلها من آثار الرحمة الواسعة وقيل في
محل النصب على انه حال مقدرة من مفعول يجدونه او من النبي او من المستكن في مكتوبا
او مفسر لمكتوبا او لما كتب ويحل لهم الطيبات التي حرمت عليهم بشؤم ظلمهم
ويحرم عليهم الخبائث اي يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة التي هي من قبيل
ما كتب عليهم حتمية من كون التوبة بقتل النفس وتعيين القصاص في القتل العمد
والخطأ من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد

والثوب وإحراق الغنائم وتحريم السبت. وعن عطاء أنه كانت بنو إسرائيل إذا قاموا
يصلون لبسوا المسوح وغلوا أيديهم إلى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل
فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة ويضع عنهم
إصرهم والأغلال التي كانت عليهم وقرئ آصارهم وأصل الإصر الثقل الذي يأصر
صاحبه عن الحراك فالذين آمنوا به تعليم لكيفية اتباعه عليه الصلاة والسلام
وبيان لعلو رتبة متبعيه واغتنامهم مغانم الرحمة الواسعة في الدارين إثر بيان
نعوته الجليلة والإشارة إلى إرشاده عليه الصلاة والسلام إياهم بالنهي عن
المنكر وإحلال الطيبات وتحريم الخبائث أي فالذين آمنوا بنبوته وأطاعوه
في أوامره ونواهيه وعزروه أي عظموه ووقروه وأعانوه بمنع أعدائه عنه وقرئ
بالتخفيف وأصله المنع ومنه التعزير ونصروه على أعدائه في الدين واتبعوا النور
الذي أنزل معه أي مع نبوته وهو القرآن عبر عنه بالنور لكونه ظاهرا بنفسه ومظهرا لغيره
أو مظهرا للحقائق و[illegible] لمناسبة الاتباع ويجوز أن يكون معه متعلقا باتبعوا
أي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباعه عليه السلام بالعمل بسنته وبما أمر به ونهى عنه
أو اتبعوا القرآن مصاحبين له في اتباعه أولئك إشارة إلى المذكورين من حيث
اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للإشعار بعليتها للحكم وما فيه من معنى
البعد للإيذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل والشرف أي أولئك المنعوتون
بتلك النعوت الجليلة هم المفلحون أي هم الفائزون بالمطلوب الناجون عن الكروب
لا غيرهم من الأمم فيدخل فيهم قوم موسى عليه الصلاة والسلام دخولا أوليا حيث
لم ينجوا مما في توبتهم من المشقة الهائلة وبه يتحقق التحقيق ويتأتى التوفيق
والتطبيق بين دعائه عليه الصلاة والسلام وبين الجواب لا ما قيل من
أنه لما دعا لنفسه ولبني إسرائيل أجيب بما هو منطو على توبيخ بني إسرائيل على استجازتهم
الرؤية إلى الله عز وجل وعلى كفرهم بآياته العظام التي أجراها على يد موسى عليه
الصلاة والسلام وعرض بذلك في قوله تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون وأريد
أن يكون استماع أوصافهم أعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من
عامة كعبد الله بن سلام وغيره من أهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في إخلاص الإيمان
والعمل الصالح قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم لما حكي ما في الكتابين من نعوت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشرف من يتبعه من أهلهما ونيلهم سعادة الدارين أمر صلى
الله عليه وسلم ببيان أن تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائنا
من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص سائر الرسل عليهم الصلاة
والسلام بأقوامهم وإرسال موسى عليه الصلاة والسلام إلى فرعون وملئه
بالآيات التسع إنما كان لأمرهم بعبادة رب العالمين وترك العظيمة
التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبإرسال بني إسرائيل من
الأسر والقسر وأما العمل بأحكام التوراة فمختص ببني إسرائيل جميعا حال من الضمير

في

في إليكم الذي له ملك السموات والأرض منصوب أو مرفوع على المدح أو مجرور على أنه
صفة للجلالة وإن حيل بينهما بما هو متعلق بما أضيف إليه فكأنه في حكم المتقدم
عليه وقوله تعالى لا إله إلا هو بيان لما قبله فإن من ملك العالم كان هو الإله
لا غيره وقوله تعالى يحيي ويميت لزيادة تقرير ألوهيته والفاء في قوله تعالى
فآمنوا بالله ورسوله لتفريع الأمر على ما تمهد وتقرر من رسالته عليه الصلاة
والسلام وإيراد نفسه بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات إلى الغيبة
للمبالغة في إيجاب الامتثال بأمره ووصف الرسالة بقوله النبي الأمي لمدحه
صلى الله عليه وسلم بهما ولزيادة تقرير أمره وتحقيق أنه المكتوب في الكتابين
ووصفه بقوله تعالى الذي يؤمن بالله وكلماته أي ما أنزل إليه وإلى سائر الرسل عليهم
الصلاة والسلام من كتبه ووحيه لحمل أهل الكتابين على الامتثال بأمره وإيراده والتصريح
بإيمانه بالله تعالى للتنبيه على أن الإيمان به تعالى لا ينفك عن الإيمان بكلماته ولا يتحقق
إلا به وقرئ وكلمته على إرادة الجنس والقرآن تنبيها على أن المأمور به هو الإيمان
به صلى الله عليه وسلم من حيث أنزل عليه القرآن لا من حيثية أخرى أو على أن
المراد بها عيسى ابن مريم عليه السلام تعريضا باليهود وتنبيها على أن من لم يؤمن به لم يعتبر
إيمانه واتبعوه أي في كل ما يأتي وما يذر من أمور الدين لعلكم تهتدون وإن
للتعليل أو حال من فاعليهما أي رجاء لاهتدائكم إلى المطلوب أو راجين له وفي تعليقه
بهما إيذان بأن من صدقه ولم يتبعه بالتزام أحكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء
مستمر على الغي والضلالة ومن قوم موسى كلام مبتدأ مسوق لدفع ما عسى يوهمه تخصيص
كتبة الرحمة والتقوى والإيمان بمتبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم من حرمان أسلاف
قوم موسى عليه الصلاة والسلام من كل خير وبيان أن كلهم ليسوا كما حكيت أحوالهم بل
منهم أمة يهدون أي الناس بالحق أي ملتبسين به أو يهدونهم بكلمة الحق وبه أي بالحق
يعدلون أي في الأحكام الجارية فيما بينهم وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال
الماضية. وقيل هم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ويأباه أنه قد مر ذكرهم
فيما سلف. وقيل إن بني إسرائيل لما بالغوا في العتو والطغيان حتى اجترؤوا على قتل
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله
تعالى أن يفرق بينهم وبين أولئك الطاغين ففتح الله تعالى لهم نفقا في الأرض
فساروا فيه سنة ونصف حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم حنفاء مسلمون
يستقبلون قبلتنا. وقد ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل عليه
الصلاة والسلام ذهب به ليلة الإسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل عليه السلام
هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الأمي فآمنوا به وقالوا يا رسول
الله إن موسى أوصانا من أدرك منكم أحمد فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد صلى
الله عليه وسلم السلام على موسى عليه السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت
بمكة ولم يكن نزلت يومئذ فريضة غير الصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا

يسبتون فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت . هذا أوان جريان تخصيصهم بالهداية
مؤمنين يومئذ عليه الصلاة والسلام ممن آمن منهم من جميع السنن لا يجاوزونها
بعد **وقطعناهم** أي قوم موسى لا الأمة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف قوله تعالى
اثنتي عشرة ثاني مفعولي قطع لتضمنه معنى التصيير والتأنيث للحمل على الأمة
أو القطعة أي صيرناهم اثنتي عشرة أمة أو قطعة متميزا بعضها من بعض أو حال من
مفعوله أي فرقناهم معدودين بهذا العدد . وقوله تعالى **أسباطا** بدل منه ولذلك
جمع أو تمييز له على أن كل واحدة من اثنتي عشرة قطعة أسباط لا سبط . وقرئ عشرة
بكسر الشين . وقوله تعالى **أمما** على الأول بدل بعد بدل أو نعت لأسباطا وعلى
الثاني بدل من أسباطا **وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه** حين استولى عليهم العطش
في التيه الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا بمجرد استسقائهم إياه عليه الصلاة والسلام
بل باستسقائه عليه السلام لهم لقوله تعالى وإذ استسقى موسى لقومه . وقوله تعالى
أن اضرب بعصاك الحجر مفسر لفعل الإيحاء وقد مر بيان شأن الحجر في تفسير سورة البقرة
فانبجست عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف تعويلا على كمال الظهور وإيذانا
بغاية مسارعته عليه الصلاة والسلام إلى الامتثال وإشعارا بعدم تأثير الضرب
حقيقة وتنبيها على كمال سرعة الانبجاس وهو الانفجار كأنه حصل إثر الأمر قبل تحقق
الضرب كما في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق أي فضرب فانبجست **منه اثنتا**
عشرة عينا بعدد الأسباط . وأما ما قيل من أن التقدير فإن ضربت فقد انبجست فغير
حقيق بجلالة النظم التنزيلي . وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها **قد علم كل أناس** كل سبط
عبر عنهم بذلك إيذانا بكثرة كل واحد من الأسباط **مشربهم** أي عينهم الخاصة بهم **و**
ظللنا عليهم الغمام أي جعلناها بحيث تلقي عليهم ظلها تسير في التيه بسيرهم وتسكن
بإقامتهم وكان ينزل بالليل عمود من نار يسيرون بضوئه **وأنزلنا عليهم المن والسلوى** أي
الترنجبين والسماني . قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع لكل إنسان صاع
وتبعث عليهم الجنوب السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه **كلوا** أي وقلنا لهم كلوا **من طيبات**
ما رزقناكم أي مستلذاته وما موصولة كانت أو موصوفة عبارة عن المن والسلوى
وما ظلمونا رجوع إلى سنن الكلام الأول بعد حكاية خطابهم وهو معطوف على جملة
محذوفة للإيجاز والإشعار بأنه أمر محقق غني عن التصريح به أي فظلموا بأن كفروا بتلك النعم
الجليلة وما ظلمونا بذلك **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** إذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول
لإفادة القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب من التهكم بهم والجمع بين صيغتي
الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم فيما هم فيه من الظلم والكفر **وإذ قيل لهم** منصوب
بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وإيراد الفعل على البناء للمفعول مع إسناده إليه
تعالى كما هو عنده ما وقع في سورة البقرة من قوله تعالى وإذ قلنا للجري على سنن الكبرياء
والإيذان بالغنى عن التصريح به لتعين الفاعل وتغيير النظم بالأمر بالذكر للتشديد
في التوبيخ أي اذكر لهم وقت قوله تعالى لأسلافهم **اسكنوا هذه القرية** منصوبة على المفعولية

يقال سكنت الدار وقيل على الظرفية اتساعا وهي بيت المقدس . وقيل أريحا وهي
قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة رأسهم عوج بن عنق وفي قوله
تعالى اسكنوا إيذان بأن المأمور به في سورة البقرة هو الدخول على وجه السكنى
والإقامة ولذلك اكتفي به عن ذكر رغدا في قوله تعالى **وكلوا منها** أي من مطاعمها وثمارها
على أن من تبعيضية أو منها على أنها ابتدائية **حيث شئتم** أي من نواحيها من غير أن يزاحمكم
فيها أحد فإن الأكل المستمر على هذا الوجه لا يكون إلا رغدا واسعا وعطف كلوا على اسكنوا
بالواو لمقارنتهما زمانا بخلاف الدخول فإنه مقدم على الأكل ولذلك قيل هناك فكلوا
وقولوا حطة أي مسألتنا أو أمرك حطة لذنوبنا وهي فعلة من الحط كالجلسة
وادخلوا الباب أي باب القرية **سجدا** أي متطامنين مخبتين أو ساجدين شكرا على إخراجهم
من التيه وتقديم الأمر بالدخول على الأمر بالقول المذكور في سورة البقرة غير مخل
بهذا الترتيب لأن المأمور به هو الجمع بين الفعلين من غير اعتبار الترتيب بينهما ثم إن كان
المراد بالقرية أريحا . فقد روي أنهم دخلوها حيث سار إليها موسى عليه الصلاة والسلام
بمن بقي من بني إسرائيل أو بذراريهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما في سورة المائدة
وأما إن كان بيت المقدس فقد روي أنهم لم يدخلوه في حياة موسى عليه الصلاة والسلام
فقيل المراد بالباب باب القبة التي كانوا يصلون إليها **نغفر لكم خطيئاتكم** وقرئ
خطاياكم كما في سورة البقرة وتغفر خطيئاتكم وخطاياكم وخطيئتكم على البناء للمفعول
سنزيد المحسنين عدة بشيئين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو هاهنا للإيذان بذلك
لأنه استئناف مرتب على تقدير سؤال ناشئ من الإخبار بالغفران . كأنه قيل فماذا لهم
بعد الغفران فقيل سنزيد وكذلك زيادة منهم زيادة بيان **فبدل الذين ظلموا منهم**
بما أمروا به من التوبة والاستغفار حيث أعرضوا عنه ووضعوا موضعه **قولا** آخر مما
لا خير فيه . روي أنهم دخلوا زاحفين على أستاههم وقالوا مكان حطة حنطة . وقيل
قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بأمر الله عز وجل واستهزاء
بموسى عليه الصلاة والسلام . وقوله تعالى **غير الذي قيل لهم** نعت لقولا صرح بالمغايرة
مع دلالة التبديل عليها قطعا لاحتمال المخالفة وتنصيصا على المغايرة من كل وجه **فأرسلنا**
عليهم إثر ما فعلوا من غير تأخير وفي سورة البقرة على الذين ظلموا والمعنى واحد والإرسال
من فوق فيكون كالإنزال **رجزا من السماء** عذابا كائنا منها والمراد الطاعون روي
أنه مات منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفا **بما كانوا يظلمون** بسبب ظلمهم
المستمر السابق واللاحق حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لا بسبب التبديل
فقط كما يشعر به ترتيب الإرسال عليه بالفاء والتصريح بهذا التعليل لما أن الحكم هاهنا
مرتب على المضمر دون الموصول بالظلم كما في سورة البقرة . وأما التعليل بالفسق
بعد الإشعار بعلية الظلم فقد مر وجهه هناك **واسألهم** عطف على
المقدر في إذ قيل أي واسأل اليهود المعاصرين لك سؤال تقريع وتقرير بقديم
كفرهم وتجاوزهم لحدود الله تعالى وإعلاما بأن هذا العلم مع كونه من علومهم الخفية التي

لا يقف عليها الا من مارس كتبهم وقد احاط به النبي صلى الله عليه وسلم خبرا او لتبين ذلك بانه من كتبهم لانه عليه السلام بمعزل من ذلك فتعين انه من جهة الوحي المعجز **عن القرية** اي عن خبرها وخبر ما وقع وما جرى على اهلها من الداهية الدهياء وهي ايلة قرية بين مدين والطور وقيل هي مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية **التي كانت حاضرة البحر** اي قريبة منه مشرفة على شاطئه **اذ يعدون في السبت** اي يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد يوم السبت واذ ظرف للمضاف المحذوف او بدل منه • وقيل ظرف لكانت او حاضرة وليس بذاك اذ لا فائدة في تقييد الكون او الحضور بوقت العدوان وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد حيث كانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير العبادة **اذ تاتيهم حيتانهم** ظرف ليعدون او بدل بعد بدل والاول هو الاولى لان السؤال عن عدوانهم ادخل في التقريع والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظا ومعنى واضافتها اليهم للاشعار باختصاصها بهم لاستقلالها بما لا يكاد يوجد في سائر افراد الجنس من الخواص الخارقة للعادة او لان المراد بها الحيتان الكائنة في تلك الناحية وانما ذكر من الاتيان وعدمه لاعتقادهما احوالهم عند التعرض يوم السبت **يوم سبتهم** ظرف لتاتيهم اي تاتيهم يوم تعظيمهم لامر السبت وهو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت السبت بالتجرد للعبادة • وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه • ويؤيد الاول قراءة من قرأ يوم اسباتهم قوله تعالى **شرعا** جمع شارع من شرع عليه اذا دنا واشرف وهو حال من حيتانهم اي تاتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل **ويوم لا يسبتون** اي لا يراعون امر السبت لكن لا بمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائهما معا اي لا سبت ولا مراعاة • كما في قوله •

• ولا ترى الضب بها ينجحر •

وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت ولا يدار عليهم حكم السبت ولا يؤمرون فيه بما امروا به يوم السبت **لا تاتيهم** كما كانت تاتيهم يوم السبت حذرا من صيدهم وتغيير السبت حيث لم يتعلق به ولا تاتيهم يوم لا يسبتون لما ان الاخبار باتيانها يوم سبتهم مظنة ان يقال فاذا حالها يوم لا يسبتون فقيل لا تاتيهم **كذلك نبلوهم** اي مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عدوانهم ونؤاخذهم به وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها والتعجيب منها **بما كانوا يفسقون** اي بسبب فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لكن لا في تلك المادة فان فسقهم فيها لا يكون سببا للبلوى بل بسبب فسقهم المستمر في كل ما ياتون وما يذرون • وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تاتيهم مثل ما تاتيهم يوم سبتهم • والجملة بعده استئناف مبني على السؤال عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالاتيان تارة وعدمه اخرى **واذ قالت** عطف على اذ يعدون مسوق لتماديهم في العدوان وعدم انزجارهم بعد العظات والانذارات **امة منهم** اي جماعة من صلحائهم

الذين ركبوا في عظتهم متن كل صعب وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول لآخرين لا يقلعون عن التعدي رجاء للنفع وتأثير مبالغة في الاعذار وطمعا في فائدة الانذار **لم تعظون قوما الله مهلكهم** اي مخترمهم بالكلية ومطهر الارض منهم **او معذبهم عذابا شديدا** دون الاستئصال بالمرة • وقيل مهلكهم مخزيهم في الدنيا او معذبهم في الآخرة لعدم اقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والطغيان والترديد لمنع الخلو دون الجمع فانهم مهلكون في الدنيا معذبون في الآخرة • وايثار صيغة اسم الفاعل مع ان كلا من الاهلاك والتعذيب مترقب للدلالة على تحققهما وتقررهما البتة كانهما واقعان وانما قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينجع فيهم او ترهيبا للقوم او سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم انما قالوه بمحضر من القوم حثا لهم على الاتعاظ فان بت القول بهلاكهم وعذابهم مما يلقي في قلوبهم الخوف والخشية • وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم وليس بذاك كما ستعرفه **قالوا** اي الوعاظ **معذرة الى ربكم** اي نعظهم معذرة اليه تعالى على انه مفعول له وهو الانسب بظاهر قولهم لم تعظون او نعتذر معذرة على انه مصدر لفعل محذوف • وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ اي موعظتنا معذرة وفي اضافة الرب الى ضمير المخاطبين نوع تعريض بالسائلين **ولعلهم يتقون** عطف على معذرة اي ورجاء لان يتقوا بعض التقاة وهذا صريح في ان القائلين لم تعظون الى آخره ليسوا من الفرقة الهالكة والا لوجب الخطاب **فلما نسوا ما ذكروا به** اي تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسي للشيء واعرضوا عنه اعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ اصلا **انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا** وهم الفريقان المذكوران واجراء الحكم مجرى الجواب الذي حقه الترتيب على الشرط وهو نسيان المعتدين المستتبع لاستحقاقهم الاخذ لما ان ... حيز الشرط شامل ... المذكورين • كانه قيل فلما ذكر المذكورون واصر المعتدون انجينا الاولين واخذنا الآخرين • وانما قدم في الجواب انجاؤهم للمسارعة الى تبشير الناجين بالنجاة من اول الامر مع ما في الموخر من نوع طول **واخذنا الذين ظلموا** بالاعتداء ومخالفة الامر **بعذاب بئيس** اي شديد وزنا ومعنى من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد • وقرئ بيئس على وزن فيعل بفتح العين وكسرها وبئس كحذر وبيس على تخفيف الهمزة بقلبها الفا ثم ادغامها في الياء كما في بيس على تخفيف الهمزة كلين في لين • وتنكير العذاب للتفخيم والتهويل **بما كانوا يفسقون** متعلق باخذنا كالباء الاولى ولا ضير فيه لاختلاف معناهما اي اخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان ايضا واجراء الحكم على الموصول وان اشعر بعلية ما في حيز الصلة له لكنه صرح بالتعليل المذكور ايذانا بان العلة هو الاستمرار على الظلم والعدوان مع اعتبار كون ذلك خروجا من طاعة الله عز وجل لا نفس الظلم والعدوان ولما احروا من ابتداء المباشرة ساغه في قوله تعالى فعذبهم بعذاب شديد دون الاستئصال فلم يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا في الغي فسلمهم بعد ذلك بقوله تعالى **فلما عتوا عما نهوا عنه** اي تمردوا وتكبروا وابوا ان يتركوا ما

فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين صاغرين اذلاء بعداء من الناس والمراد بالامر
هو الامر التكويني لا القولي وترتيب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه للايذان
بانه ليس لخصوصية الحوت بل العمدة في ذلك هو مخالفة الامر والاستعصاء عليه تعالى
وقيل المراد بالعذاب البئيس هو المسخ والجملة الثانية تقرير للاولى • قيل ان اليهود
امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو المعني
بقوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا به وحرم الصيد
فيه عليهم وامروا بتعظيمه وكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت كانها المخاض
لا يرى وجه الماء لكثرتها ولا تاتيهم في سائر الايام فكانوا على ذلك برهة من الدهر
فجاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا سهلة
الورود صعبة الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا يقدرن
على الخروج منها ويأخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا
الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره
فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره اخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا
ان العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا
من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث استمروا على النهي وثلث ملوا التذكير
وسئموه وقالوا للواعظين لم تعظون قوما الاية وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا
قال المسلمون نحن لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود
عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد
فقالوا ان لهم لشانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا
فعرفت القردة انسباءهم من الانس وهم لا يعرفونهم فجعل القرد يأتي نسيبه
فيشم ثيابه فيبكي فيقول له نسيبه الم ننهكم فيقول القرد برأسه بلى ثم ماتوا
عن ثلاث • وقيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير • وعن مجاهد مسخت
قلوبهم • وقال الحسن البصري رحمه الله اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها
اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الآخرة هاه والله ما حوت اخذه قوم
فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله تعالى جعل موعدا والساعة
ادهى وامر • واذ تأذن ربك منصوب على المفعولية بمضمر معطوف على قوله تعالى
واسألهم تأذن بمعنى اذن كما ان توعد بمعنى اوعد او بمعنى عزم فان العازم على الامر
يحدث به نفسه واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه
حيث قيل ليبعثن عليهم الى يوم القيامة اي واذكر وقت ايجابه تعالى على نفسه ان يسلط
على اليهود البتة من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية وغير ذلك من
فنون العذاب وقد بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بختنصر فخرب ديارهم
وقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم ونساءهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها
الى المجوس حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا

تزال

تزال مضروبة الى اخر الدهر ان ربك لسريع العقاب يعاقبهم في الدنيا وانه لغفور
رحيم لمن تاب وآمن منهم وقطعناهم في الارض امما اي فرقناهم فيها وجعلنا كل فرقة
منهم في قطر من اقطار الارض بحيث لا تخلو ناحية منهم تكملة لادبارهم حتى لا يكون
لهم شوكة • وقوله تعالى امما اما مفعول ثان لقطعنا او حال من مفعوله منهم
الصالحون صفة لامما او بدل منه وهم الذين امنوا بالمدينة ومن يسير بسيرتهم
ومنهم دون ذلك اي ناس دون ذلك الوصف اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم
وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون عما كانوا فيه من
الكفر والمعاصي فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف اي بدل سوء مصدر
نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع • وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بفتح
اللام في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورثوا الكتاب اي التوراة من اسلافهم يأخذون عرض هذا الادنى استئناف مسوق
لبيان ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم اياه اي يأخذون حطام هذا الشيء الادنى
اي الدنيا وهو من الدنو او الدناءة • والمراد به ما كانوا يأخذونه في الدنيا في
الحكومات وعلى تحريف الكلام • وقيل حال من واو ورثوا ويقولون سيغفر لنا
ولا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه والجملة تحتمل العطف والحالية والفعل
مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير
في لنا اي يرجون المغفرة والحال انهم مصرون على الذنب عائدون الى مثله
غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي الميثاق الوارد في الكتاب ان لا
يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به او بان لا تقولوا اي بان
والمراد به الرد عليهم والتوبيخ على بتهم القول بالمغفرة بلا توبة والدلالة على انها
افتراء على الله تعالى وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ
من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الاخرة خير للذين يتقون
ما فعل هؤلاء افلا يعقلون فيعلموا ذلك فلا يستبدلوا الادنى المؤدي الى العقاب
بالنعيم المخلد • وقرئ بالياء التفاتا لتشديد التوبيخ والذين يمسكون بالكتاب
اي يتمسكون به في امور دينهم يقال مسك بالشيء وتمسك به • قال مجاهد هم
الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه تمسكوا بالكتاب الذي
جاء به موسى عليه الصلاة والسلام فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه ماكلة • وقال
عطاء هم امة محمد صلى الله عليه وسلم • وقرئ من الامساك • وقرئ تمسكوا
واستمسكوا موافقا لقوله تعالى واقاموا الصلاة ولعل التغيير في المشهورة
للدلالة على ان التمسك بالكتاب امر مستمر في جميع الازمنة بخلاف اقامة الصلاة فانها
مختصة باوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات لانافتها عليها
ومحل الموصول اما الجر نسقا على الذين يتقون • وقوله افلا تعقلون اعتراض
مقرر لما قبله واما الرفع على الابتداء وقوله تعالى انا لا نضيع اجر المصلحين

الشيء الخفاء وقيل كلام ذا اي جهر ذا المعنى بين والتقييد بأجر المصلحين منهم فالالف
واللام كالضمير اي اجرهم او بينهن فانه في حكم مصلحهم كما في قوله تعالى فان الجنة هي المأوى
اي مأواهم ۞ وقوله تعالى انا لا نضيع الى اخره اعتراض مقرر لما قبله واذ نتقنا الجبل
فوقهم اي قلعناه من مكانه ورفعناه عليهم كأنه ظلة اي سقيفة وهي كل ما اظلك
وظنوا اي تيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا
يوعدون به واطلاق الظن لعدم وقوع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام
التوراة لثقلها فرفع الله تعالى عليهم الطور وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن
عليكم خذوا ما آتيناكم اي وقلنا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد
وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل ولا تتركوه كالمنسي
لعلكم تتقون بذلك قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق او راجين ان تنتظموا في
سلك المتقين واذ اخذ ربك منصوب بمضمر معطوف على ما انتصب به اذ نتقنا
مسوق للاحتجاج على اليهود بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس قاطبة بتعقيبه
اثر الاحتجاج عليهم بتذكير ميثاق الطور وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود
تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه مرارا اي واذكر لهم اذ اخذ ربك من
بني آدم المراد بهم الذين ولدهم كائنا من كان نسلا بعد نسل سوى من لم يولد له
بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا وايثار الاخذ على
الاخراج للايذان بالاعتناء بشأن المأخوذ لما فيه من الاجتباء بما من الاجتباء
والاصطفاء وهو السبب في اسناده الى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من
التمهيد للاستفهام الآتي واضافته الى ضميره عليه الصلاة والسلام للتشريف
وقوله تعالى من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض بتكرير الجار كما في قوله
تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم ومن في الموضعين ابتدائية وفيه مزيد
تقرير لابتنائه على البيان بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال وتنبيه على
ان الميثاق قد اخذ منهم وهم في اصلاب الآباء ولم يستودعوا في ارحام الامهات
وقوله تعالى ذرياتهم مفعول اخذ اخر عن المفعول بواسطة الجار لاشتماله على ضمير
راجع اليه ولمراعاة اصالته ومنشئيته ولما مر مرارا من التشويق الى المؤخر وقرئ
ذريتهم ۞ والمراد بهم اولادهم على العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اندراجا اوليا كما اندرج اسلافهم في بني آدم كذلك وتخصيصها
باليهود سلفا وخلفا مع ان ما اريد بيانه من بديع صنع الله عز وجل شامل للكل
كافة مخل بفخامة التنزيل وجزالة التمثيل واشهدهم على انفسهم اي اشهد كل واحد
من اولئك الذريات المأخوذين من ظهور آبائهم على نفسها لا على غيرها تقريرا
لهم بربوبيته التامة وما يستتبعه من العبودية على الاختصاص وغير ذلك من
احكامها ۞ وقوله تعالى الست بربكم على ارادة القول اي قائلا الست بربكم
ومالك امركم ومربيكم على الاطلاق من غير ان يكون لاحد مدخل في شأن

من

من شؤونكم فينتظم استحقاق العبادة ويستلزم اختصاصه به تعالى قالوا استئناف مبني
على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا بلى شهدنا اي على انفسنا
بانك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك كما ورد في الحديث الشريف وهذا تمثيل لخلقه تعالى
اياهم جميعا في مبدأ الفطرة مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق
والانفس المؤدية الى التوحيد والاسلام كما ينطق به قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود
يولد على الفطرة الحديث مبني على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى اياهم لمعرفة
ربوبيته بعد تمكينهم منها بما ركز فيهم من العقول والبصائر ونصب لهم في الآفاق والانفس
المؤدية الى التوحيد تمكينا تاما ومن تمكنهم منها تمكنا كاملا وتعرضهم لها تعرضا قويا
بهيئة منتزعة من حمله تعالى اياهم على الاعتراف بها بطريق الامر ومن مسارعتهم الى ذلك
من غير تلعثم اصلا من غير ان يكون هناك اخذ واشهاد وسؤال وجواب كما في قوله تعالى
فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين ۞ وقوله تعالى ان تقولوا
بالتاء على تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاصريه من
اليهود تشديدا في الالزام او اليهم والى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا من حيث
انهم مخاطبون بقوله تعالى الست بربكم فانه ليس من الكلام المحكي ۞ وقرئ بالياء
على ان الضمير للذرية ۞ واياما كان فهو مفعول له لما قبله من الاخذ والاشهاد
اي فعلنا ذلك كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة او يقولوا هم يوم القيامة
عند ظهور الامر انا كنا عن هذا عن وحدانية الربوبية واحكامها غافلين لم ننبه
عليه فانهم حيث جبلوا على ما ذكر من تهيئوا المتأتي لتحقيق الحق والقوة القريبة من الفعل
صاروا محجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك اذ لا سبيل لاحد الى انكار ما ذكر من خلقهم
على الفطرة السليمة ۞ وقوله تعالى او تقولوا انما اشرك آباؤنا عطف على تقولوا او لمنع الخلو
دون الجمع اي هم اخترعوا الاشراك وهم سنوه من قبل زماننا وكنا نحن ذرية من بعدهم
لا نهتدي الى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل افتهلكنا بما فعل المبطلون
من آبائنا المضلين بعد ظهور انهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبير والاستبداد بالرأي
او لو اخذتنا فانما هلكنا الى آخره فان ما ذكر من استعدادهم الكامل يسد عليهم باب
الاعتذار بهذا ايضا فان التقليد عند قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها
مما لا مساغ له اصلا هذا وقد حملت هذه المقالة على الحقيقة كما روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه لما خلق الله تعالى آدم مسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها
الى يوم القيامة وقال الست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة
وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه سئل عن الآية الكريمة فقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسأل عنها فقال ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته
فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون ۞ وليس المعنى انه تعالى اخرج الكل
من ظهره عليه السلام بالذات بل اخرج من ظهره عليه السلام ابناءه
الصلبية ومن ظهورهم ابناءهم الصلبية وهكذا الى آخر السلسلة لكن لما كان المظهر

الاصلاب من ظهره عليه الصلاة والسلام وكان معنى الحديثين الشريفين بيان حال
الذرية اجمالا من غير ان يتعلق بذكر الوسائط غرض على نسب اخراج الكل اليه واما
الاية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وبيان عدم افادة الاعتذار باسناد الاشراك الى ابائهم اقتضى الحال
نسبة اخراج كل واحد منهم الى ظهر ابيهم من غير تعرض لاخراج الابنا الصلبية
لادم عليه السلام من ظهره قطعا وعدم بيان الميثاق لاسقاط عذر الغفلة
حسبما ينطق به قوله تعالى ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ومعلوم
انه غير واقع لغفلتهم في دار التكليف اذ لا فرد من افراد البشر يتذكره فرد و
لكن لا باقتضا من ان الله عز وجل قد اوضح الدلائل على وحدانيته تعالى وصدق
رسله فيما اخبر وانه من انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة وبنا
وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد اخبار المخبر الصادق بل بان قوله تعالى
ان تقولوا الى اخره ليس مفعولا له لقوله تعالى واشهدهم وما يتفرع عليه من قولهم
بل شهدنا حتى يجب كون ذلك الاشهاد والشهادة محفوظا لهم في الزامهم بل لفعل
مضمر ينسحب عليه الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الامر بذكر الميثاق وبيانه
كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة يوم القيامة انا كنا غافلين عن ذلك •
الميثاق لم ننبه عليه في دار التكليف والا لعملنا بموجبه هذا على قراءة الجمهور
واما على القراءة بالياء فهو مفعول له لنفس الامر المضمر العامل في اذ اخذ •
والمعنى اذكر لهم الميثاق الماخوذ منهم فيما مضى لئلا يعتذروا يوم القيامة بالغفلة
عنه او بتقليد الاباء • هذا على تقدير كون قوله تعالى شهدنا من كلام
الذرية وهو الظاهر • واما على تقدير كونه من كلامه تعالى فهو العامل في ان تقولوا
ولا محذور اصلا • اذ المعنى شهدنا عليكم كيلا تقولوا يوم القيامة
الى اخره لانا قد ذكرناه لكم حينئذ وكذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور
بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه وبعد منزلته والكاف
مقحمة مؤكدة لما افاده اسم الاشارة من الفخامة والتقديم على الفعل لافادة القصر
ومحله النصب على المصدرية اي ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة
نفصل الايات المذكورة لا غير ذلك ولعلهم يرجعون وليرجعوا عما هم عليه من الاصرار
على الباطل وتقليد الابا نفعل التفصيل المذكور قالوا ان ابتدائيات وجوز ان تكون
الاستئنافية عاطفة على مقدر مترتب على التفصيل اي وكذلك نفصل الايات ليتدبروا
فيما فيها من الموجبات والمرغبات والزواجر ... يرجعوا ... واتل عليهم
عطف على المضمر العامل في اذ اخذ وارد على نمطه في الاتيان عن الجواد لكون
... مثلا له بعد المهدي اي واتل على اليهود نبا الذي اتيناه اياتنا اي خبره
... لشان وخطر وهو احد علماء بني اسرائيل • وقيل هو بلعم ابن باعورا او بلعام
ابن باعر من الكنعانيين اوتي بعض علم كتب الله تعالى ... في ذلك الزمان رسولا

ورجا

ورجا ان يكون هو الرسول فلما بعث الله تعالى النبي عليه الصلاة والسلام حسده وكفر
به والاول انسب بمقام التوبيخ لليهود ببهتانهم فانسلخ منها اي من تلك الايات
انسلاخ الحية من جلدها ولم يخطر بباله اصلا او خرج منها بان كفر بها ونبذها
وراء ظهره • واياما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبئ عن اتصال المحيط
بالمحاط خلقة ومن عدم الملاقاة بينهما ابدا للايذان بكمال مباينته للايات
بعد ان كانت بينهما كمال الاتصال فاتبعه الشيطان اي تبعه حتى لحقه وادركه
فصار قرينا له وهو المعنى على قراءة فاتبعه من الافتعال وفيه تلويح بانه اشد
من الشيطان غواية او اتبعه خطواته فكان من الغاوين فصار من زمرة
الضالين الراسخين في الغواية بعد ان كان من المهتدين • وروي ان قومه
طلبوا اليه ان يدعو على موسى عليه الصلاة والسلام فقال كيف ادعو على
من معه الملائكة فلم يزالوا به حتى فعل فبقوا في التيه ويروى ان التيه كان لموسى عليه
الصلاة والسلام روحا وراحة وانما عذب به بنو اسرائيل وقد كان ذلك بدعائه
عليه السلام عليهم كما مر في سورة المائدة ولو شئنا كلام مستانف مسوق لبيان
مناط ما ذكر من انسلاخه من الايات ووقوعه في مهاوي الغواية ومفعول المشيئة
محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة اي
ولو شئنا رفعه لرفعناه اي الى منازل العالية للابرار العالمين بتلك الايات
العاملين بموجبها لكن لا بمحض مشيئتنا من غير ان يكون له دخل ما في ذلك اصلا
فانه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الاجزية بالافعال الاختيارية
للعباد بل مع مباشرته للعمل المودي الى الرفع بصرف اختياره
الى تحصيله كما ينبئ عنه قوله تعالى بها اي بسبب تلك الايات بان عمل بموجبها فان اختياره
وان لم يكن مؤثرا في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل كلاهما بخلق الله تعالى لكن خلقه
تعالى منوط بذلك البتة حسبما جرت به العادة الالهية • ولذا اسند اليه ذلك
في الاستدراك بان اسند ما يودي الى نقيض التالي اليه حيث قيل ولكنه
اخلد الى الارض مع ان الاخلاد اليها ايضا لا يتحقق منه من غير اختياره
البتة الا بخلقه تعالى • كانه قيل ولو شئنا رفعه بسبب مباشرته لعملنا بسبب
تلك الايات التي هي اقوى اسباب الرفع ولكن لم نشاه لمباشرته لسبب نقيضه فتركه
في ما هو من المضامين ما ذكر في الاخرة ... اسناد ... وبالطوي كما في قوله تعالى
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله •
وتخصيص كل من المذكورين بمقامه للايذان بان الخير الذي ... مراد بالذات
ومقتضى محض عليه لا دخل فيه لفعله حقيقة كيف لا وجميع افعاله ...
من نعمه تعالى وتفضلاته وان نقيضه انما اصابه بسوء اختياره على موجب الوعيد
وهو السر في جريان السنة القرانية في اسناد الخير اليه تعالى ...
الى الغير • كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ... والاخلاد الى الشي

الميل اليه مع الاطمئنان به • والمراد بالارض الدنيا وقيل السفالة والمعنى ولكنه آثر
الدنيا الدنية على المنازل السنية او الضعة والسفالة على الرفعة والجلالة
واتبع هواه معرضا عن تلك الآيات الجليلة فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل سافلين
والى ذلك اشير بقوله تعالى فمثله كمثل الكلب لما انه اخس الحيوانات واسفلها وقد
مثل حاله باخس احواله وادناها قيل ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي حاله
التي هي مثل في الخسة كتشبيه في ارذل احواله وهي حالة دوام اللهث في حالتي التعب
والراحة فكانه قيل فيؤدي الى ما لا غاية وراءه في الخسة والدناءة • وايثار الجملة
الاسمية على الفعلية بان يقال فصار مثله كمثل الكلب للايذان بدوام
اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استقرارها واستمراره عليها والخطاب
في فعل الشرط لكل احد ممن له حظ في الخطاب فانه ادخل في اشاعة فظاعة حاله
واللهث ادلاع اللسان بالتنفس الشديد اي هو ضيق الحال مكروب دائم اللهث
سواء هيجته وازعجته بالطرد العنيف او تركته على حاله فانه في الكلاب طبع لا
تدعه وقيل لبعث الهواء الحار وجلب الهواء البارد لسهولة لضعف قلبها وانقطاع فؤادها
بخلاف سائر الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد ولا يلحقها الكرب
والمضايقة الا عند التعب والاعياء والشرطية مع اختها تفسير لما ابهم في
المثل وتفصيل لما اجمل فيه وان فيه للتفسير ببيان وجه الشبه لا محل له من
الاعراب على منهاج قوله تعالى خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون اثر قوله تعالى ان
مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب • وقيل هي في محل النصب على الحالية
من الكلب بناء على خروجها من حقيقة الشرط وتحولها الى معنى التسوية حسبما تحول
الاستفهام الى معنى التسوية في مثل قوله تعالى انذرتهم ام لم تنذرهم
كانه قيل لاهثا في الحالتين • واياما كان فلا تطهر انه تشبيه للهيئة المنتزعة مما
اعتراه بعد الانسلاخ من سوء الحال واضطراب القلب ودوام القلق والاضطراب
وعدم الاستراحة بحال من الاحوال بالهيئة المنتزعة مما ذكر من حال الكلب وقيل
لما دعا عليه موسى عليه السلام خرج لسانه ووقع على صدره وجعل يلهث به كالكلب
الى ان هلك ذلك اشارة الى ما ذكر من الحالة الخسيسة منسوبة الى الكلب او
الى المنسلخ • وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الخسة والدناءة
اي مثل ذلك المثل السيء مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وهم اليهود حيث اوتوا
في التوراة ما اوتوا من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر القرآن المعجز وما فيه
فصدقوه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به وانسلخوا من حكم التوراة فاقصص القصص القصص المعهود
المعلول كالسلب واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا تحقق
ان المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين فاقصصه عليهم حسبما اوحي اليك لعلهم
يتفكرون فيحذرون عن مثل عاقبته الحال ويتحرزون عما هم عليه من الكفر والضلال

ويعلمون

ويعلمون انك قد علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك • والجملة في محل النصب
على انها حال من ضمير المخاطب او على انها مفعول له اي فاقصص القصص راجيا لتفكرهم
او رجاء لتفكرهم ساء مثلا القوم استئناف مسوق لبيان كمال قبح حال المكذبين
بعد بيان كونه كحال الكلب والمنسلخ وساء بمعنى بئس وفاعلها مضمر فيها ومثلا تمييز
مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالى القوم الذين كذبوا بآياتنا وحيث وجب التصادق
بينه وبين الفاعل وجب المصير الى تقدير مضاف اما الى التمييز وهو الظاهر اي ساء
مثلا مثل القوم او الى المخصوص اي ساء اصحابا مثل القوم واعادة القوم
موصوفا بالموصول مع كفاية ذكرهم بان يقال ساء مثلهم للايذان بان
مدار السوء ما في حيز الصلة لربط قوله تعالى وانفسهم كانوا يظلمون به فانه
اما معطوف على كذبوا اذ اخل معه في حكم الصلة بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب آيات
الله تعالى بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وبين ظلمهم لانفسهم خاصة او منقطع
عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها واياما كان
ففي تقديم المفعول اشارة الى ان تكذيبهم بالآيات متضمن للظلم بها والى ان ذلك ايضا
معتبر في القصر المستفاد من تقديم المفعول من يهد الله فهو المهتدي لما امر النبي
صلى الله عليه وسلم بان يقص قصص المنسلخ على هؤلاء الضالين الذين مثلهم
مثله ليتفكروا فيه ويتركوا ما هم عليه من الاخلاد الى الضلالة ويهتدوا
الى الحق عقب ذلك بتحقيق ان الهداية والضلالة من جهة الله عز وجل
وانما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية في حصول الاهتداء
من غير تاثير لها فيه سوى كونها دواعي الى صرف العبد اختياره نحو تحصيله
حسبما نيط خلق الله تعالى اياه بذلك كسائر افعال العباد • والمراد بهداية الله تعالى ما
يوجب الاهتداء قطعا لكن لا لان حقيقتها الدلالة الموصلة الى البغية البتة
بل لانها الفرد الكامل من حقيقة الهداية التي هي الدلالة الى ما يوصل الى
البغية اي مرتبة من مراتب الابهام سبق تحقيقه في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين
وليس المراد الهداية التي هي الدلالة الى ما يوصل الى البغية بمجرد الاخبار بان هداه
الله حتى يتوهم عدم الافادة بحسب الظاهر لظهور استلزام هداية الله تعالى للاهتداء
وحمل النظم الكريم على ان الاهتداء انما التنبيه على ان في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم
لو لم يحصل له غيره لكفاه بدعوة الاهتداء من هداه الله تعالى بحسبنا ينبغي به الخير
الخبر فالمعنى من يهد الله اي يخلق فيه الاهتداء على الوجه المذكور فهو المهتدي
لا غير كائنا من كان ومن يضلل بان لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف
اختياره نحوها فاولئك الموصوفون بالضلالة على الوجه المذكور هم الخاسرون
اي الكاملون في الخسران لا غيره • والافراد في المهتدي نظرا الى اللفظ والجمع في المقابل
نظرا الى معناها للايذان بان الهدى ماهية واحدة ومنهاج الهدى وتعدد طرق الضلالة ولقد ذرأنا
كلام مستأنف مسوق لتقرير مضمون ما قبله بطريق التذييل اي خلقنا لجهنم اي للتعذيب

والتعذيب بها وتعلق به على قوله تعالى كثيرا اي خلقا كثيرا مع كونه مفعولا لانه لما في توابعه
من نوع طول يؤدي توسيطه بينهما وبين ما يتبع عنها الى الاخلال بجزالة النظم الكريم وقوله
تعالى من الجن والانس في الاتصاف بما فيه من الصفات واكثر عددا وافر خلقا والمراد
بهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من
قبلهم ما يؤدي الى ذلك بل لعلمه تعالى بانهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق ابدا بل يصرون
على الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم من الآيات والنذر فبهذا الاعتبار
جعل خلقهم مغيا بها كما ان جميع الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل الفطري
للعبادة وتمكنهم التام منها جعل خلقهم مغيا بها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون • وقوله تعالى لهم قلوب في محل النصب على انه صفة
اخرى لكثيرا • وقوله لا يفقهون بها في محل الرفع على انه صفة لقلوب مؤكدة
لما يفيده تنكيرها وابهامها من كونها غير معهودة مخالفة لسائر افراد الجنس فاقدة
لكمالها بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بحسب امتناعهم عن صرفها الى
تحصيله وشدة اوصف لها بحالة الاعراض في العشاوة فانها بحيث لم تزيات
منها التفقه بحال فكانها خلقت غير قابلة له رأسا • وكذا الحال في اعينهم واذانهم
وحذف المفعول للتعميم اي لهم قلوب ليس من شانها ان يفقهوا بها شيئا من شانه
ان يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا اوليا وتخصيصه
بذلك مخل بالافصاح عن كنه حالهم • ولهم اعين لا يبصرون بها • الكلام فيه كما في
قبله عطف عليه • والمراد بالابصار والسمع المنفي ما يختص بالعقلاء من
الادراك على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناوله مجرد الاحساس بالسمع والصوت
كما هو وظيفة الانعام اي لا يبصرون بها شيئا من المبصرات فيندرج فيه الشواهد
التكوينية الدالة على الحق اندراجا اوليا • ولهم اذان لا يسمعون بها • اي شيئا من
المسموعات فيتناول الآيات التنزيلية تناولا اوليا • واعادة الخبر في
الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بان يقال واعين لا يبصرون بها واذان
لا يسمعون بها لتقرير سوء حالهم فان اثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها بعدم
الشعور دون سلبها عنهم ابتداء بان يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا اعين
يبصرون بها ولا اذان يسمعون بها من الشهادة بكمال رسوخهم في الجهل
والغواية ما لا يخفى • اولئك • اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال اي اولئك الموصوفون
بالاوصاف المذكورة • كالانعام • اي في انتفاء الشعور على الوجه المذكور او في ان مشاعرهم
متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها • بل هم اضل • فانها تدرك ما من شانها ان تدرك
من المنافع والمضار فتجتهد في سبيلها غاية جهدها مع كونها بمعزل من الخلود وهؤلاء
ليسوا كذلك حيث لا يميزون بين المنافع والمضار بل يعكسون الامر فيتركون
النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لانها تعرف صاحبها وتذكره

وتطيعه

وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه • وفي الخبر كل شيء اطوع
لله من ابن ادم • اولئك • المنعوتون بما مر من مثلية الانعام والشرية منها • هم
الغافلون • الكاملون في الغفلة المستحقون لان يخص بهم الاسم ولا يطلق
على غيرهم كيف لا وانهم لا يعرفون من شؤون الله عز وجل ولا من شؤون ما سواه
شيئا فيشركون به الذي ليس كمثله شيء وهو السميع العليم اصنامهم التي هي من اخس
خلائقه • ولله الاسماء الحسنى • تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة
مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق به من الامور وما لا يليق به اثر بيان
غفلتهم التامة وضلالتهم الطامة والحسنى تانيث الاحسن اي الاسماء التي
هي احسن الاسماء واجلها لانبائها عن احسن المعاني واشرفها • فادعوه بها • اي فسموه
بتلك الاسماء • وذروا الذين يلحدون في اسمائه • الالحاد واللحد الميل والانحراف يقال لحد
والحد اذا مال عن القصد • وقرئ يلحدون من الثلاثي اي يميلون في شانها عن الحق
الى الباطل اما بان يسموه تعالى بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا • كما في قول
اهل البدو • يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي • ونحو ذلك
فالمراد بالترك المامور به الاجتناب عن ذلك وباسمائه ما اطلقوه عليه تعالى
وسموه به على زعمهم لا اسماؤه تعالى حقيقة • وعلى ذلك يحمل ترك الاضمار بان يقال
يلحدون فيها • واما بان يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض اسمائه الكريمة كما قالوا وما
الرحمن وما نعرف سوى رحمن اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب ايضا وبالاسماء
اسماؤه تعالى حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع اسمائه الحسنى واجتنبوا اخراج بعضها
من البين • واما بان يطلقوها على غيره تعالى كما سموا اصنامهم الهة واما بان يشتقوا
من بعضها اسماء اصنامهم كما اشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز فالمراد بالاسماء
اسماؤه تعالى حقيقة كما في الوجه الثاني والاظهار في موقع الاضمار مع التجريد
عن الوصف في الكل للايذان بان الحادهم في نفس الاسماء من غير اعتبار الوصف
وليس المراد بالترك حقيقة الاجتناب من ذلك اذ لا يتوهم صدور مثل هذا الالحاد
عن المؤمنين ليؤمروا بتركه بل هو الاعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا
لنزول العقوبة عليهم عن قريب كما هو المتبادر من قوله تعالى • سيجزون ما كانوا يعملون •
كانه استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الامر بعدم المبالاة والاعراض عن
المجازاة كانه قيل لم لا نبالي بالحادهم ولا نتصدى لمجازاتهم فقيل لانه سينزل
بهم عقوبته ويتشفون بذلك عن قريب • واما على الوجهين الاولين فالمعنى
اجتنبوا الحادهم كيلا يصيبكم ما اصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الحادهم
• وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون • بيان اجمال حال من عدا المذكورين
من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والالحاد عن الحق ومحل الظرف
الرفع على انه مبتدا اما باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف وما بعده خبره
كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس الى اخره اي وبعض من خلقنا امة اي

ثابتة كثيرة يهدون الناس ملتبسين بالحق أو بسببه ونهم بكلمة الحق فيدلونهم على الاستقامة
وبالحق يعدلون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها • وعن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه كان يقول إذا قرأها هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى
أمة الآية • وعنه صلى الله عليه وسلم إن من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وروي
لا تزال من أمتي طائفة على الحق حتى يأتي أمر الله وروي لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر
الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون وفيه من الدلالة
على صحة الإجماع ما لا يخفى والاقتصار على نعتهم بهداية الناس للإيذان بأن اهتداءهم في
أنفسهم أمر محقق غني عن التصريح بهم • والذين كذبوا بآياتنا شروع في تحقيق الحق الذي به
يهتدي الهادون وبه يعدل العادلون وحمل الناس على الاهتداء به على وجه الترهيب
والترغيب ومحل الموصول الرفع على أنه مبتدأ خبره ما بعده من الجملة الاستقبالية
وإضافة الآيات إلى نون العظمة لتشريفها واستعظام الإقدام على تكذيبها أي
والذين كذبوا بآياتنا التي هي معيار الحق ومصداق الصدق والعدل
سنستدرجهم أي سندنيهم البتة إلى الهلاك شيئا فشيئا والاستدراج استفعال
من درج إما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي سواء كان بطريق الصعود
أو الهبوط أو الاستقامة وإما بمعنى مشى مشيا ضعيفا وإما بمعنى طوي والأول هو الأنسب
بالمعنى المراد الذي هو النقل إلى أعلى درجات المهالك ليبلغ أقصى مراتب العقوبة
والمعنى سنستدرجهم لطلب كل نقلة تدريجية من حال إلى حال من الأحوال الملائمة
للاستمالة الموافقة لهواه بحيث يزعم أن ذلك ترق في مراقي منافعه مع أنه في الحقيقة
تردٍّ في مهاوي مصارعه واستدراجه سبحانه إياهم أن يدرّ عليهم النعم مع انهماكهم
في الغي فيحسبون أنها لطف لهم منه تعالى فيزدادون بطرا وطغيانا لكن لا على أن المطلوب
به رجهم أسبابا ما كانا من حيث لا يعلمون أنه كذلك بل يحسبون أنه أثرة من الله عز وجل
وتقريب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم • وأملي لهم عطف على سنستدرجهم غير
داخل في السين لما أن الإملاء الذي هو عبارة عن الإمهال والإطالة ليس من الأمور
التدريجية كالاستدراج الحاصل في نفسه شيئا فشيئا بل هو فعل يحصل دفعة وإنما
الحاصل بطريق التدريج آثاره وأحكامه لا نفسه كما يلوح به تغيير التوحيد بنون
العظمة مع ما فيه من الالتفات المنبئ عن مزيد الاعتناء بمضمون الكلام لابتنائه على حكمة
القصد والعزيمة وإما أن ذلك للإشعار بأنه بمحض التقدير الإلهي والاستدراج
بتوسط المدبرات فبناه دلالة نون العظمة على الشركة وأبي ذلك والإله أحسن
عن إرادة ما في قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم
الآية بل إنما إرادة ما في سنا هذه المواد بطريق الحرمان عن محاسن الخير إن
كيدي متين تأكيد للوعيد وتقرير له أي قوي لا يدفع بقوة ولا بحيلة والمراد
به إما الاستدراج والإملاء مع نتيجتهما التي هي الأخذ على غرة فتسميته كيدا لما
أن ظاهره لطف وباطنه قهر وإما نفس ذلك الأخذ فقط فالتسمية لكون مقدمته

كذلك

كذلك وإما أن حقيقة الكيد هو الأخذ على خفاء من غير أن يعتبر فيه خلاف ما أبطنه
فيها لا يعول عليه مع عدم مناسبته للمقام ضرورة واستدعائه لاعتبار القيد
المذكور حتما • أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة كلام مبتدأ مسوق لإنكار عدم تفكرهم
في شأنه صلى الله عليه وسلم وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للإيمان به وبما أنزل عليه
من الآيات التي كذبوا بها والهمزة للإنكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على
مقدر يستدعيه سياق النظم الكريم وسياقه وما استفهامية إنكارية في محل
الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم وإما نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجنة
من المصادر التي يراد بها الهيئة لا كالركبة والجلسة وتنكيرها للتقليل والتحقير
والجملة معلقة بفعل التفكر لكونه من أفعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب
على نزع الخافض أي كذبوا بها ولم يتفكروا في أي شيء من جنون ما كائن بصاحبهم الذي
هو أعظم الأمة الهادية بالحق وعليه أنزلت تلك الآيات أو في أنه ليس بصاحبهم شيء
من جنة حتى يؤديهم التفكر في ذلك إلى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به
وبما أنزل عليه من الآيات • وقيل تم الكلام عند قوله تعالى أولم يتفكروا
أي كذبوا بها ولم يفعلوا التفكر ثم ابتدئ فقيل أي شيء بصاحبهم من جنة ما على طريقة
الإنكار والتعجيب والتبكيت • وقيل ليس بصاحبهم شيء منها والتعبير عنه صلى
الله عليه وسلم بصاحبهم للإيذان بأن طول مصاحبتهم له عليه الصلاة والسلام مما
يطلعهم على نزاهته صلى الله عليه وسلم عن شائبة ما ذكر ففيه تأكيد للتكبيت
وتشديد له والتعرض لنفي الجنون عنه صلى الله عليه وسلم مع وضوح استحالة ثبوته
له صلى الله عليه وسلم لما أن الكلام خارق لمقتضى العقول والعادات لا يصدر
من به مس من الجنون كيفما اتفق من غير أن يكون له أصل ومعنى أو ممن له تأييد
إلهي يخبر به عن الأمور الغيبية وإذ ليس به صلى الله عليه وسلم شائبة الأول تعين
أنه صلى الله عليه وسلم مؤيد من عند الله عز وجل • وقيل إنه صلى الله عليه وسلم
صعد الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم إن صاحبكم
لمجنون بات يهوت إلى الصباح فنزلت في التصريح بنفي الجنون حينئذ للرد على عظيمتهم
بالشفاعة والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بصاحبهم وارد على شاكلة كلامهم مع ما فيه
من النكتة المذكورة • وقوله تعالى إن هو إلا نذير مبين جملة مقررة لمضمون ما قبلها
ومبينة لحقيقة حاله صلى الله عليه وسلم أي ما هو صلى الله عليه وسلم إلا مبالغ في الإنذار
مظهر له غاية الإظهار إبراز الكمال الرأفة ومبالغة في الإعذار • وقوله تعالى أولم
ينظروا في ملكوت السماوات والأرض استئناف آخر مسوق للإنكار والتوبيخ
بإخلالهم بالتأمل في الآيات التكوينية المنصوبة في الأنفس والآفاق الشاهدة
بصحة مضمون الآيات المنزلة إثر ما نعي عليهم إخلالهم بالتفكر في شأنه
صلى الله عليه وسلم والهمزة لما ذكر من الإنكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف

على العدد المذكور وفي الجملة المبنية بعموم الملكوت الملك العظيم اي ألم ينظروا
فيها او لم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر تأمل فيما يدل عليه السموات والارض
من عظيم الملك وكمال القدرة وما خلق الله من شيء وفيما خلق فيهما على انه عطف على ملكوت
وتخصيصه بهما لكمال ظهور عظم الملك فيهما او في ملكوت ما خلق على انه عطف
على السموات والارض والتعميم لاشتراك الكل في الدلالة على عظم الملك في
الحقيقة وعليه قوله فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء • وقوله تعالى من شيء
بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات
دون دقائقها • والمعنى او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما
خلق فيهما من جليل ودقيق مما ينطلق عليه اسم الشيء ليدلهم على ذلك بوحدانيته
تعالى وبما يرشدونه التي تنطق بها تلك الآيات فيؤمنوا بها لاتحادهما في المدلول
فان كل فرد من افراد الاكوان مما عز وهان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل
واضح الى عالم التوحيد • وقوله تعالى وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت
وان مخففة من ان واسمها ضمير الشان وخبرها عسى مع فاعلها الذي هو ان يكون
ايضا ضمير الشان والخبر قد اقترب اجلهم والمعنى او لم ينظروا في ان الشان عسى
ان يكون الشان قد اقترب اجلهم • وقد جوز ان يكون اجلهم وخبرها قد اقترب
على انها جملة من فعل وفاعل هو ضمير اجلهم لتقدم مرجعه • واياما كان فمناط الانكار
والتوبيخ وتأخيرهم للنظر والتأمل اي لعلهم يموتون عما قريب فما لهم لا يسارعون الى
التدبر في الآيات التكوينية الناطقة بما كذبوه من الآيات القرآنية • وقد
جوز ان يكون الاجل عبارة عن الساعة والاضافة اليهم لملابستهم لها من
جهة انكارهم لها وبحثهم عنها • وقوله عز وجل فبأي حديث بعده يؤمنون قطع لاحتمال
ايمانهم رأسا ونفي لها بالكلية مرتب على ما ذكر من تكذيبهم بالآيات واخلالهم بالتفكر والنظر
والباء متعلقة بيؤمنون بعده للآيات على حذف المضاف المفهوم من كذبوا والتذكير
باعتبار كونها قرآنا او بما وليها بالمذكور واجرائه مجرى اسم الاشارة والمعنى
كذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من احواله صلى الله عليه وسلم واحوال
المصنوعات فبأي حديث يؤمنون بعد تكذيبه ومعه مثل هذه الشواهد القوية
كلا وهيهات • وقيل الضمير للقرآن والمعنى فباي حديث بعد القرآن يؤمنون اذا
لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان • وقيل هو لاجل وتعجيب لهم مترتب على اهمالهم
بالمبادرة الى التأمل فيما ذكر • كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون
الى الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق
منه يريدون ان يؤمنوا • وقيل الضمير للاجل والمعنى فباي حديث بعد انقضاء
اجلهم يؤمنون وهو اصدق الناطق • وقوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له استئناف
مقرر لما قبله مبني على الطبع على قلوبهم • وقوله تعالى ويذرهم في طغيانهم بالياء والرفع
على الاستئناف اي وهو يذرهم وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات اي ونحن نذرهم

وقرئ

وقرئ بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له • كأنه قيل من يضلل الله لا يهده
احد • وقد روي الجزم بالنون عن نافع وابي عمرو في الشواذ وقوله تعالى يعمهون
اي يترددون ويتحيرون حال من مفعول يذرهم • وتوحيد الضمير في حيز النفي
نظرا الى لفظ من وجمعه في حيز الاثبات نظرا الى معناها للتنصيص على شمول النفي
والاثبات للكل يسألونك عن الساعة استئناف مسوق لبيان بعض احكام ضلالهم
وطغيانهم اي عن القيامة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة
او لسرعة ما فيها من الحساب ولانها من عند الله تعالى مع طولها في نفسها • قيل
ان قوما من اليهود قالوا لو امتى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك
امتحانا منهم مع علمهم ان الله تعالى قد استأثر بعلمها • وقيل السائلون قريش وقوله تعالى
ايان مرساها بفتح الهمزة وقد قرئ بكسرها وهو ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام
ويليه المبتدأ او الفعل المضارع دون الماضي بخلاف متى حيث يليهما كلاهما قيل
اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت وهو من اويت الى الشيء لان البعض
اوى الى الكل متساند اليه ومحله الرفع على انه خبر مقدم ومرساها مبتدأ مؤخر
اي متى ارساؤها اي اثباتها وتقريرها فانه مصدر ميمي من ارساه اذا اثبته
واقره ولا يكاد يستعمل الا في الشيء الثقيل • كما في قوله تعالى والجبال ارساها ومنه
مرساة السفن • ومحل الجملة قيل الجر على البدلية من الساعة والتحقيق ان محلها
النصب بنزع الخافض لانها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط • كأنه قيل
يسألونك عن الساعة عن ايان مرساها • وفي تعليق السؤال بنفس الساعة اولا وبوقت
وقوعها ثانيا تنبيه على ان المقصد الاصلي من السؤال نفسها باعتبار حلولها
في وقتها المعين لا في وقتها باعتبار كونه محلا لها • وقد سلك هذا المسلك في
الجواب للمعنى ايضا حيث اسند العلم المطلوب بالسؤال الى ضميرها فاخبر باختصاصه
به عز وجل حيث قيل قل انما علمها اي علمها باعتبار المذكور عند ربي لم يطلع
الا علم وقت ارسائها من لم يتنبه لهذه النكتة حمل النظم الكريم على حذف المضاف
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم للايذان
بان توقيفه صلى الله عليه وسلم للجواب على الوجه المذكور من باب التربية
والارشاد ومعنى كونه عنده تعالى خاصة ان الله تعالى قد استأثر به بحيث لم يخبر به
احدا من ملك مقرب او نبي مرسل • وقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو بيان لاستمرار
تلك الحالة الى حال قيامها واقناط كلي عن اظهار امرها بطريق الاخبار من جهته
تعالى او من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية اياه فانه ادعى الى الطاعة وازجر
عن المعصية كما ان اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك • والمعنى لا يكشف عنها ولا
يظهر للناس امرها التي تسألونني عنه الا هو بالذات من غير ان يشعر به احد من المخلوقين
فيتوسط في اظهاره لهم لكن لا بان يخبرهم بوقتها قبل مجيئه كما هو المسؤول بل باظهار
بعينها في وقتها ... كما تقع عنه الصحة المنبه من الكشف التام المزيل للابهام

بالتجلية • وقوله تعالى لوقتها اي في وقتها قيد للتجلية بعد ورود الاستثناء عليها لا
قبله • كأنه قيل لا يجليها الا هو في وقتها الا انه قدم على الاستثناء للتنبيه من اول
الامر على ان تجليتها ليست بطريق الاخبار بوقتها بل باظهار عينها في وقتها الذي
يسألون عنه • وقوله تعالى ثقلت في السموات والارض استئناف كما قبله مقرر لمضمون
ما قبله اي كبرت وشقت على اهلها من الملائكة والثقلين كل منهم اهمه خفاؤها وخروجها
عن دائرة العقول • وقيل عظمت عليهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها واهوالها
واهوالها • وقيل ثقلت فيها اذ لا يطيقها منها ومما فيها شيء اصلا والاول هو الانسب
بما قبله وبما بعده من قوله تعالى لا تأتيكم الا بغتة فانه ايضا استئناف مقرر لما قبله
فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفاء اي لا تأتيكم الا فجأة على غفلة كما قال صلى الله
عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل
يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه • يسألونك كأنك حفي عنها استئناف
مسوق لبيان خطائهم في توجيه السؤال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على زعمهم
انه رسول الله صلى الله عليه وسلم عالم بالمسؤول عنه او ان العلم بذلك من مواجب
الرسالة اثر بيان خطائهم في اصل السؤال باعلام المسؤول عنه • والجملة التشبيهية
في محل النصب على انها حال من الكاف جيء بها بيانا لما يدعوهم الى السؤال على زعمهم
واشعارا بخطائهم في ذلك اي يسألونك مشبها حالك عندهم بحال من هو حفي عنها اي مبالغ
في العلم بها ماخوذ من احفى في السؤال عن الشيء فان من بالغ في السؤال عنه استحكم علمه به ومبنى التركيب
على المبالغة والاستقصاء • ومنه احفاء الشارب واحفاء البقل اي استئصاله والاحفاء
في المسألة اي الالحاف فيها • وقيل عن متعلقة بيسألونك • وقوله تعالى كأنك حفي معترض
وصلته محذوفة اي حفي بها • وقد قرئ كذلك وقيل هو من الحفاوة بمعنى البر والشفقة
فان قريشا قالوا له صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى
يسألونك كأنك حفي تتحفى بهم فتخصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم
وفيه تخطئة لهم من جهتين • وقيل بمعنى فرح به والمعنى كأنك فرح بالسؤال عنها كأنك
كان له علما انه تعرض لحرم الغيب الذي استأثر الله عز وجل بعلمه قل انما علمها عند الله امر
صلى الله عليه وسلم باعادة الجواب الاول تأكيدا للحكم وتقريرا واشعارا لعلته على
الطريقة البرهانية بايراد اسم الذات المنبئ عن استتباعها لصفات الكمال التي من
جملتها العلم وتمهيدا للتعريض بجهلهم بقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا
يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونها اصلا فلا يعلمون شيئا
مما ذكر قطعا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون انك واقف على وقت
وقوعها فيسألونك عنه جهلا وبعضهم يدعون ان العلم بذلك من مواجب الرسالة
فيتخذون السؤال عنه ذريعة الى القدح في رسالتك والمستثنى من هؤلاء الجاهلين هو الواقفون
على جلية الحال من المؤمنين واما السائلون عنها من اليهود بطريق الامتحان فهم منتظمون
في سلك الجاهلين حيث لم يعملوا بعلمهم • وقوله قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا شروع

في الجواب

في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها اثر بيان عجز الكل عنه وابطال زعمهم الذي بنوا
عليه سؤالهم من كونه صلى الله عليه وسلم ممن يعلمها واعادة الامر لاظهار
كمال العناية بشأن الجواب والتنبيه على استقلاله ومغايرته للاول والتعرض لبيان
عجزه عما ذكر من النفع والضر لاثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهاني واللام اما متعلقة
باملك او بمحذوف وقع حالا من نفعا اي لا املك لاجل نفسي جلب نفع ما ولا دفع
ضر ما الا ما شاء الله ان املكه من ذلك بان يلهمنيه فيمكنني منه ويقدرني عليه
او لكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع وهذا ابلغ في اظهار العجز ولو كنت اعلم
الغيب اي جنس الغيب الذي من جملته ما بين الاشياء من المناسبات المصححة عادة للسببية
والمسببية ومن المباينات المستتبعة للممانعة والمدافعة لاستكثرت من الخير
اي لحصلت كثيرا من الخير الذي نيط تحصيله بالافعال الاختيارية للبشر بترتيب اسبابه
ودفع موانعه وما مسني السوء اي السوء الذي يمكن التفصي عنه بالتوقي عن موجباته والمدافعة
بموانعه لا سوء ما فان منه ما لا مدفع له ان انا الا نذير اي ما انا الا عبد مرسل
للانذار والبشارة شأني حيازة ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف
على الغيوب التي لا علاقة بينها وبين الاحكام والشرائع وقد كشفت من امر الساعة ما يتعلق
به الانذار من مجيئها لا محالة واقترابها • واما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الانذار
بل هو مما يقدح فيه لما مر من ان ابهامه ادعى الى الانزجار عن المعاصي وتقديم النذير
على البشير لما ان المقام مقام الانذار • وقوله تعالى لقوم يؤمنون اما متعلق بهما
جميعا لانهم ينتفعون بالانذار كما ينتفعون بالبشارة واما بالبشير فقط وما يتعلق
بالنذير محذوف اي نذير للكافرين اي الباقين على الكفر وبشير لقوم يؤمنون
اي في اي وقت كان ففيه ترغيب للكفرة في احداث الايمان وتحذير عن الاصرار
على الكفر والطغيان هو الذي خلقكم استئناف مسوق لبيان كمال عظم جنايتهم
الكفرة في جراءتهم على الاشراك بتذكير مبادي احوالهم المنافية له وايقاع
الموصول خبرا للضمير لتفخيم شأن المبتدأ اي هو ذلك العظيم الشأن الذي خلقكم
جميعا وحده من غير ان يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه من الوجوه من نفس واحدة
هو آدم عليه السلام وهذا نوع تفصيل لما اشير اليه من مطلع السورة الكريمة
اشارة اجمالية من خلقهم وتصويرهم في ضمن خلق آدم وتصويره وبيان لكيفيته
وجعل منها اي من جنسها كما في قوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا او من
جسدها لما روي ان الله تعالى خلق حواء من ضلع من اضلاع آدم عليه السلام
والاول هو الانسب اذ الجنسية هي المؤدية الى الغاية الآتية لا الجزئية
والجعل اما بمعنى التصيير فقوله تعالى زوجها مفعوله الاول والثاني هو الظرف
واما بمعنى الانشاء والظرف متعلق بجعل قدم على المفعول الصريح لما مر مرارا من
الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من المفعول والاول
هو الاولى • وقوله تعالى ليسكن اليها علة غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثاني

اي ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنانا مصححا للازدواج كما يلوح به تذكير الضمير ويفصح عنه قوله
تعالى فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا في مبادي الامر فانه عند كونه نطفة او
علقة او مضغة اخف عليها بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب والتعرض
لذكر خفته للاشارة الى ان نعمته تعالى عليهم في انشائهم تعالى اياهم متدرجين
في اطوار الخلق من العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة فمرت به اي
فاستمرت به كما كانت قبل حيث قامت وقعدت واخذت وتركت وعليه قراءة
ابن عباس رضي الله عنه وقرئ فمرت بالتخفيف وفارت من المور وهو المجيء والذهاب
او من المرية فظنت الحمل وارتابت به واما ما قيل من ان المعنى حملت حملا خفيفا
خفي عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذية ولم
تستثقله كما يستثقلنه فمرت به اي مضت به الى ميلاده من غير اخداج ولا
ازلاق فيرده قوله تعالى فلما اثقلت اذ معناه فلما صارت ذات ثقل لكبر الولد في
بطنها ولا ريب في ان الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة بالمعنى
المذكور انما يقابلها الكرب الذي يعتري بعضهن من اول الحمل الى اخره دون بعض
اصلا وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله اي ادم
وحوا عليهما الصلاة والسلام لما دهمهما امر لم يعهداه ولم يعرفا ماله واليه
ومتضرعين اليه عز وجل قوله تعالى ربهما اي مالك امرهما الحقيق بان يخص به الدعاء
الى انهما قد صدرا بها دعاءهما كما في قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية ومتعلق الدعاء محذوف
معولا على شهادة الجملة القسمية به اي دعواه تعالى في ان يؤتيهما صالحا ووعدا بمقابلته
الشكر على سبيل التوكيد القسمي وقالا او قايلين لئن اتيتنا صالحا اي ولدا من
جنسنا سويا لنكونن نحن ومن يتناسل من ذريتنا من الشاكرين الراسخين في الشكر
على نعمائك التي من جملتها هذه النعمة وترتيب هذا الجواب على الشرط المذكور لما
انهما قد علما انما علقا به دعاءهما امر مزدوج لنشاء ازدياد الجنس ومعيار لتمادي وصنفه
وجوده مستتبع لوجود مثله وصلاحه مستلزم لصلاحها فالدعاء في حقه متضمن
للدعاء في حق الكل مستتبع له كانهما قالا لئن اتيتنا ولدا وذريتنا اولادا صالحة ونظيره
ان معنى اتيتنا اتيتنا لنا ولكل من يتناسل من ذريتنا فالوجه ظاهر وانت خبير
بان نظم الكل في سلك الدعاء اصالة يأباه مقام المبالغة في الاعتناء بشأن ما
بما بصدده واما جعل ضمير لنكونن للكل فلا محذور فيه لان توسيع دائرة الشكر
غير مخل بالاعتناء المذكور بل مؤكد له اي ما كان معنى قوله تعالى فلما اتاهما صالحا لما
اتاهما ما طلباه اصالة واستتباعا من الولد وولد الولد ما تناسلوا فقوله تعالى جعلا
اي جعل اولادهما له تعالى شركا على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثقة
بوضوح الامر وتعويلا على ما يعقبه من البيان وكذا الحال في قوله تعالى فيما اتاهما
اي فيما اتى اولادهما من الاولاد حيث سموهم بعبد مناف وعبد العزى ونحو ذلك
وتخصيص اشراكهم بهذا بالذكر في مقام التوبيخ مع ان اشراكهم بالعبادة اغلظ منه

جناية

جناية وانه روعي لما ان سياق النظم الكريم لبيان اخلالهم بالشكر في مقابلة
نعمة الولد الصالح واول كفرهم في حقه انما هو تسميتهم اياه بما ذكر وقرئ شركا
اي شركة او ذوي شركة اي شركا ان قيل ما ذكر من حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه انما يصار اليه فيما يكون للمضاف ملابسة بالمضاف اليه
بسراية اليه حقيقة او حكما وتيقن نسبته اليه صورة مزية يقتضيها المقام
كما في مثل قوله تعالى واذ نجيناكم من ال فرعون الاية فان الانجاء منهم مع ان
تعلقه حقيقة او حكما ويتضمن نسبته اليه صورة ليس باسلاف اليهود وقد
نسب الى اخلافهم بحكم سرايته اليهم توفية لمقام الامتنان حقه وكذا الحال في
قوله تعالى فلم تقتلون انبياء الله من قبل الاية فان القتل حقيقة مع كونه من جنايات
ابائهم قد اسند اليهم بحكم رضاهم به اداء لحق مقام التوبيخ والتبكيت ولا ريب
في ان اولاده عليه الصلاة والسلام براء من سراية الجعل المذكور اليهما بوجه من الوجوه
فما وجه اسناده اليهما صورة قلنا وجه الاسناد ان تركهما الاولى حيث اقدما
على نظم اولادهما في سلك انفسهما والتزما شكرهم في ضمن شكرهما واقسما على ذلك قبل
تعرف احوالهم ببيان ان اخلالهم بالشكر الذي وعداه موكدا باليمين بمنزلة اخلالهما
بانه بالذات في ايجاب الحنث والخلف مع ما فيه من الاشعار بتضاعف جناياتهم
ببيان انهم بجعلهم المذكور اوقعوهما في ورطة الحنث والخلف وجعلوهما كانهما باشراه
بالذات فجمعوا بين الجناية على الله تعالى والجناية عليهما السلام فتعالى الله عما يشركون
تنزيه فيه معنى التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من احكامهم في حقه تعالى واثار
نعمته الزاجرة عن الشرك الداعية الى التوحيد وصيغة الجمع لما اشير اليه
من تعيين الفاعل وتنزيه ادم وحوا عليهما السلام عن ذلك وما في عما اما مصدرية
اي عن اشراكهم او موصولة او موصوفة اي عما يشركون به سبحانه والمراد
باشراكهم اما تسميتهم المذكورة او مطلق اشراكهم المنتظم لها انتظاما اوليا
وقرئ تشركون بتاء الخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب لال قصي من
قريش والمراد بالنفس الواحدة نفس قصي فانهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه
عربية قرشية وطلبا من الله تعالى الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم
عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار وضمير يشركون لهما ولاعقابهما
المقتدين بهما واما ما قيل من انه لما حملت حوا اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها
ما في بطنك فقالت ما ادري قال لعله بهيمة او كلب او خنزير وما يدريك من اين
يخرج فخافت من ذلك فذكرت لادم عليه السلام فاهمهما ذلك ثم عاد اليها وقال اني
من الله تعالى بمنزلة فان دعوته ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه
تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فقبلت منه فلما ولدت
سمته عبد الحارث فما لا يعول عليه كيف لا وانه عليه الصلاة والسلام كان
علما في علم الاسماء والمسميات فعدم علمه بابليس واسمه واتباعه اياه مثل الشان

الخطير امر ترتيب من الحادث والله اعلم بحقيقة الحال ﴿ايشركون﴾ استيناف مسوق لتوبيخ
كافة المشركين واستقباح اشراكهم على الاطلاق وابطاله بالكلية ببيان شان
ما اشركوه به سبحانه وتفصيل احواله القاضية ببطلان ما اعتقدوه في
حقه اي ايشركون به تعالى ﴿ما لا يخلق شيا﴾ اي لا يقدر على ان يخلق شيا من الاشيا
اصلا ومن حق المعبود ان يكون خالقا لعابده لا محالة * وقوله تعالى ﴿وهم يخلقون﴾
عطف على ما لا يخلق وايراد الضميرين بجمع العقلا مع رجوعهما الى ما المعبر بها عن الاصنام
انما هو بحسب اعتقادهم فيها واجرائهم لها مجرى العقلا وتسميتهم لها الهة وكذا
حال سائر الضماير الاتية ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها بنفي الخالقية لابانة
منافاتها لما اعتقدوه في حقها واظهار غاية جهلهم فان اشراك ما لا يقدر
على خلق شي ما بخالقه وخالق جميع الاشيا مما لا يمكن ان يسوغه من له عقل في الجملة *
وعدم التعرض لخالقها للايذان بتعينه والاستغنا عن ذكره ﴿ولا
يستطيعون لهم﴾ اي لعبدتهم اذا حزبهم امر مهم وخطب ملم ﴿نصرا﴾ اي نصرا ما بجلب منفعة
او دفع مضرة ﴿ولا انفسهم ينصرون﴾ اذا اعتراهم حادثة من الحوادث التي لا يدفعونها
عن انفسهم وايراد النصر للمشاكلة وهذا بيان لعجزهم عن ايصال منفعة ما من
المنافع الوجودية والعدمية الى عبدتهم وانفسهم بعد بيان عجزهم عن ايصال منفعة
الوجود اليهم والى انفسهم خلا انهم وصفوا هناك بالمخلوقية لكونهم امثالها وهنا
لم يوصفوا بالمنصورية لانهم ليسوا امثالها * وقوله تعالى ﴿وان تدعوهم الى الهدى﴾
بيان لعجزهم عما هو ادنى من النصر المنفي عنهم وهو مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد
الى طريق تحصيله من غير ان يحصله للطالب والخطاب للمشركين بطريق الالتفات
المنبي عن مزيد الاعتنا بامر التوبيخ والتبكيت اي ان تدعوهم ايها المشركون الى ان
يهدوكم الى ما تحصلون به المطالب او تنجون به عن المكاره ﴿لا يتبعوكم﴾ الى مرادكم
وطلبتكم * وقرى بالتخفيف * وقوله تعالى ﴿سوا عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون﴾
استيناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع اي مستو عليكم في
عدم الافادة دعاوكم لهم وسكوتكم البتة فانه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير
حالهم بحكم الجمادية * وقوله تعالى ﴿ام انتم صامتون﴾ جملة اسمية في معنى الفعلية
معطوفة على الفعلية لانها في قوة ام صمتم عدل عنها للمبالغة في عدم افادة الدعا
ببيان مساواته للسكوت الدايم المستمر وما قيل من ان الخطاب للمسلمين * والمعنى
وان تدعوا المشركين الى الهدى اي الاسلام لا يتبعوكم الى اخر ما لا يساعده
سياق النظم الكريم وسباقه اصلا ضرورة انه لو كان كذلك لقيل عليهم مكان عليكم
كما في قوله تعالى سوا عليهم اانذرتهم ام لم تنذرهم فان استوا الدعا وعدمه
انما هو بالنسبة الى المشركين لا بالنسبة الى الداعين فانهم فايزون بفضل
الدعوة ﴿ان الذين تدعون من دون الله﴾ تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم اي ان
الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الاصنام وتسمونهم الهة ﴿عباد امثالكم﴾ اي مماثلة

لكم

لكم لكن لا من كل وجه بل من حيث انها مملوكة لله عز وجل مسخرة لامره عاجزة عن النفع
والضر وتشبيهها بهم في ذلك مع كون عجزها عنهما اظهر واقوى من عجزهم انما هو لاعترافهم
بعجز انفسهم وادعائهم لقدرتها عليهما اذ هو الذي يدعوهم الى عبادتها والاستعانة
بها * وقوله تعالى ﴿فادعوهم فليستجيبوا لكم﴾ تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم اي
فادعوهم في جلب نفع او كشف ضر ﴿ان كنتم صادقين﴾ في زعمكم انهم قادرون على ما انتم
عاجزون عنه * وقوله تعالى ﴿الهم ارجل يمشون بها﴾ الى اخره تبكيت لما يتبين الامر
التعجيزي من عدم الاستجابة ببيان فقدان الات الاستجابة بالكلية فان الاستجابة
من الهياكل الجسمانية انما تتصور اذا كان لها حياة * وقوى محركة ومدركة
وما ليس له شي من ذلك فهو بمعزل من الافاعيل بالمرة * كانه قيل الهم هذه الالات
التي بها يتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لكم * وتوجيه الانكار الى كل واحد
منها على حدة لما ان في ذلك دلالة على استحالة الاستجابة ووصف الارجل بالمشي بها
للايذان بان مدار الانكار هو الوصف وانما وجه الى الارجل لا الى الوصف بان يقال
ايمشون بارجلهم لتحقيق انها حيث لم يظهر منها ما يظهر من سائر الارجل فهي ليست
بارجل في الحقيقة * وكذا الكلام فيما بعده من الجوارح الثلاث الباقية وكلمة
ام في قوله تعالى ﴿ام لهم ايد يبطشون بها﴾ منقطعة وما فيها من الهمزة لما مر من التبكيت
والالزام وبل للاضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه الى فن اخر منه
لما ذكر من ان البطش الاخذ بقوة * وقرى يبطشون بضم الطا وهي لغة فيه
والمعنى بل الهم ايد ياخذون بها ما يريدون اخذه وتاخير هذا عما قبله لما ان
المشي حالهم في انفسهم والبطش حالهم بالنسبة الى الغير واما تقديمه على قوله تعالى
﴿ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها﴾ مع ان الكل سواء في انها من احوالهم بالنسبة
الى الغير فلمراعاة المقابلة بين الايدي والارجل * ولان انتفاء المشي والبطش اظهر
والتبكيت بذلك اقوى * واما تقديم الاعين فلما انها اشهر من الاذان واظهر عينا
واثرا * هذا وقد قرى ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال
ان النافية عمل ما الحجازية اي ما الذين تدعون من دونه تعالى عبادا امثالكم بل
ادنى منكم فيكون قوله تعالى الهم الى اخره تقريرا لنفي المماثلة باثبات القصور
والنقصان ﴿قل ادعوا شركاءكم﴾ امر بعد ما بين ان شركاءهم لا يقدرون على شي ما
اصلا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يناصبهم للمحاجة ويكر عليهم بالتبكيت
والالزام الجرا اي ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم علي ﴿ثم كيدون﴾ جميعا انتم
وشركاؤكم وبالغوا في ترتيب ما تقدرون عليه من مبادي الكيد والمكر
﴿فلا تنظرون﴾ اي فلا تمهلوني ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فاني
لا ابالي بكم اصلا ﴿ان وليي الله الذي نزل الكتاب﴾ تعليل لعدم المبالاة المفهوم
من السوق انفا ما جليا * ووصفه تعالى بتنزيل الكتاب للاشعار بدليل

ببيان الولاية والاشارة الى علة اخرى لعدم المبالاة كانه قيل لا ابالي بكم وبشركائكم
لان وليي الله هو الذي نزل الكتاب الناطق بانه وليي وناصري وبان شركاءكم
لا يستطيعون نصر انفسهم فضلا عن نصركم وقوله تعالى وهو يتولى الصالحين تذييل
مقرر لمضمون ما قبله اي ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا
يخذلهم والذين تدعون اي تعبدونهم من دونه تعالى او تدعونهم للاستعانة
بهم على حسب ما امرتكم به لا يستطيعون نصركم اي في امر من الامور او في خصوص الامر
المذكور ولا انفسهم ينصرون اذا نابتهم نائبة وان تدعوهم الى الهدى اي ان
يهدوكم الى ما تحصلون به مقاصدكم ابلغ من نفي الاتباع وقوله تعالى لا يسمعوا
وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون لبيان عجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه
يتم التعليل فلا تكرار اصلا والرؤية بصرية وقوله تعالى ينظرون اليك حال من
المفعول والجملة الاسمية حال من فاعل ينظرون اي وترى الاصنام رأي العين
يشبهون الناظر اليك ويخيل اليك انهم ينظرون لما انهم صنعوا لها اعينا مركبة
بالجواهر المتلالئة المضيئة وصوروها بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه
والحال انهم غير قادرين على الابصار وتوحيد الضمير في تراهم مع رجوعه الى المشركين
لتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم لا الى الكل من حيث هو كالخطابات السابقة
تنبيها على ان رؤية الاصنام على الهيئة المذكورة لا يتسنى للكل معا بل لكل من يواجهها وقيل
ضمير الفاعل في تراهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول على حاله وقيل للمشركين
على ان التعليل قد تم عند قوله تعالى لا يسمعوا اي وترى المشركين ينظرون اليك
والحال انهم لا يبصرونك كما انت عليه وعن الحسن رحمه الله ان الخطاب في قوله وان
تدعوهم للمؤمنين على ان التعليل قد تم عند قوله تعالى ينصرون اي وان تدعوا ايها
المؤمنون المشركين لا يتبعونكم ثم خوطب صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد
بانك تراهم ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك حق الابصار تنبيها على ان ما فيه
من شواهد النبوة ودلائل الرسالة من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين خذ العفو
بعد ما عد من اباطيل المشركين وقبائحهم ما لا يطاق تحمله امر صلى الله عليه وسلم
بجامع مكارم الاخلاق التي من جملتها الاغضاء عنهم اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل
ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد اي خذ العفو من المذنبين
او الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة وامر بالعرف بالجميل المستحسن
من الافعال وانما تيسر قبول الناس من غير نكير واعرض عن الجاهلين من غير
مماراة ولا مكافاة قيل لما نزلت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه
السلام فقال لا ادري حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك يأمرك ان تصل
من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله تعالى
نبيه بمكارم الاخلاق وروي انه لما نزلت الاية الكريمة قال صلى الله عليه وسلم

كيف

قوله لا يبصرون اي [illegible] على الاطلاق او قد [illegible] من المنافع والاضرار [illegible]

كيف يا رب والغضب فنزل قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ والنخس
الغرز شبهت وسوسته للناس واغراؤه لهم على المعاصي بغرز السائق لما يسوقه واسناده
الى النزغ من قبيل جد جده اي واما يحملنك من جهته وسوسة ما على خلاف
ما امرت به من اعتراء غضب او نحوه فاستعذ بالله والتجئ اليه تعالى من شره انه سميع
يسمع استعاذتك به قولا عليم يعلم تضرعك اليه قلبا في ضمن القول او بدونه فيعصمك
من شره وقد جوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب على نهج الاستعارة كما
في قول الصديق رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني ففيه زيادة تنفير عنه وفرط تحذير
عن العمل بموجبه وفي الامر بالاستعاذة بالله تعالى تهويل لامره وتنبيه على انه من الغوائل
الصعبة التي لا يتخلص من معرتها الا بالالتجاء الى حرم عصمته عز وجل وقيل يعلم ما فيه
صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها ان الذين
اتقوا استئناف مقرر لما قبله ببيان ان ما امر به صلى الله عليه وسلم من الاستعاذة
بالله عز وجل سنة مسلوكة للمتقين والاخلال به ديدن الغاوين اي ان الذين
اتصفوا بوقاية انفسهم عما يضرها اذا مسهم طائف من الشيطان ادنى لمة منه صلى الله
عليه وسلم على ان تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف يطوف فانها تطوف بهم وتدور
حولهم لتوقع بهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا اي الم وقرئ طيف على انه مصدر
او تخفيف من طيف من الواوي واليائي كهين ولين والمراد بالشيطان الجنس
ولذلك جمع ضميره فيما سيأتي تذكروا اي الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه فاذا هم
بسبب ذلك التذكر مبصرون مواقع الخطا ومكايد الشيطان فيحترزون
عنها ولا يتبعونه واخوانهم اي اخوان الشياطين وهم المشركون يمدونهم اي يعينونهم
اي لا يمسكون عن الاغواء حتى يردوهم لانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وبقول لا بالاتباع
والامتثال في الغي ثم لا يقصرون اي لا يمسكون عن الاغواء حتى يردوهم بالكلية
ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يرعوون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين
ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر
جاريا على ما هو له واذا لم تأتهم باية من القرآن عند تراخي الوحي او باية مما اقترحوه
قالوا لولا اجتبيتها اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي هلا جمعتها من تلقاء نفسك تقولا
يريدون بذلك ان سائر الايات ايضا كذلك او هلا تلقيتها من استدعاء ربك
قل ردا عليهم انما اتبع ما يوحى الي من ربي من غير ان يكون لي دخل ما في ذلك
اصلا على معنى تخصيص حاله عليه الصلاة والسلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه
القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالنسبة الى مقابله الذي ظنوه
اياه عليه الصلاة والسلام لا بما يوحى اليه بتوجيه القصر الى المفعول بالنسبة
الى مفعول اخر كما هو الشائع في موارد الاستعمال وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان
اتبع الا ما يوحى الي من ربي كما ينبغي تعالى وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة على
ما لا يخفى هذا اشارة الى القران الكريم المدلول عليه بما يوحى الي بصائر من ربكم

منزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب • وقيل حجج بينة وبراهين
ومن متعلقة بمحذوف هو صفة لبصائر مفيدة لفخامتها اي بصائر كائنة
منه تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتاكيد وجوب
الايمان بها • وقوله تعالى وهدى ورحمة عطف على بصائر وتقديم الظرف
عليها وتنكيرهما للتفخيم وقوله تعالى لقوم يؤمنون للايذان بان كون القرآن بمنزلة
البصائر متحقق بالنسبة الى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع واما كونه هدى ورحمة
فمختص بالمؤمنين به اذ هم المقتبسون من انواره والمغتنمون بآثاره والجملة من تمام
القول المامور به • واذا قرئ القرآن فاستمعوا له ارشاد الى طريق الفوز بما اشير اليه
من المنافع الجليلة التي ينطوي عليها القرآن اي واذا قرئ القرآن الذي ذكرت
شؤونه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول وانصتوا اي واسكتوا في خلال
القراءة وراعوها الى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع لعلكم ترحمون اي
تفوزون بالرحمة التي هي اقصى ثمراته وظاهر النظم الكريم يقتضي وجوب
الاستماع والانصات عند قراءة القرآن في الصلاة وغيرها • وقيل معناه
اذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي
الله عنهم على انه في استماع المؤتم • وقد روي انهم كانوا يتكلمون في الصلاة فامروا
باستماع قراءة الامام والانصات له • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي
صلى الله عليه وسلم قرأ في المكتوبة • وقرأ اصحابه رضي الله تعالى عنهم خلفه
فنزلت • واما خارج الصلاة فعامة العلماء على استحبابهما والآية اما من تمام
القول المامور به او الاستئناف من جهته تعالى واذكر ربك في نفسك على
الاول عطف على قل وعلى الثاني تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو عام في الاذكار كافة فان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب
من الاجابة تضرعا وخيفة اي متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول اي ومتكلما
كلاما دون الجهر فانه اقرب الى حسن التفكر بالغدو والآصال متعلق باذكر
اي اذكره في وقت الغدوات والعشيات • وقرئ والايصال وهو مصدر
آصل اي دخل في الاصيل موافق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر
الله تعالى ان الذين عند ربك وهم الملائكة عليهم الصلاة والسلام ومعنى
كونهم عنده سبحانه وتعالى قربهم من رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته
تعالى لا يستكبرون عن عبادته بل يؤدونها حسبما امروا به ويسبحونه اي ينزهونه
عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وله يسجدون اي يخصونه بغاية العبودية والتذلل
لا يشركون به شيئا وهو تعريض بسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند
قراءته • عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل
الشيطان يبكي ويقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت
بالسجود فعصيت فلي النار • وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف

جعل

جعل الله بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة •

سورة الانفال سبع وسبعون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم • يسألونك عن الانفال النفل الغنيمة
سميت به لانها عطية من الله تعالى وزائدة على ما هو اصل الاجر في الجهاد من الثواب
الاخروي ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم •
وقرئ يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن
في اللام • روي ان المسلمين اختلفوا في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فيها للمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا
وقيل ان الشبان يوم بدر ابلوا بلاء حسنا فقتلوا سبعين واسروا سبعين
فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنائم وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند
الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها • قال سعد بن معاذ لرسول الله صلى
الله عليه وسلم والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الاجر ولا جبن
من العدو ولكن كرهنا ان نعري مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين
فنزلت • وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم شرط لمن كان له بلاء ان ينفله ولذلك
فعل الشبان ما فعلوا من القتل والاسر فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم ما شرط لهم
فقال الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وان تعطي هؤلاء ما شرطت لهم حرمت
اصحابك فنزلت والاول هو الظاهر لما ان السؤال استفسار لحكم الانفال بقضية
بحالة من لا استحقاق له فيها كما ينطق به الوجه الاخير وادعاؤه زيادة تعسف
ظاهر والاستشهاد عليه بقراءة ابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وعلي بن الحسين
وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعطاء يسألونك الانفال
غير منتهض فان مبناها لما كان على اعتبار الحذف والايصال لا يعرب عنه الجواب بقوله
عز وجل قل الانفال لله والرسول اي حكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول صلى الله عليه
وسلم كيف ما امر به من غير ان يدخل فيه رأي احد ولو كان السؤال استعطاء لما كان
هذا جوابا له فان اختصاص حكم ما شرط لهم من الانفال لله والرسول لا ينافي
اعطاءها اياهم بل يحققه لانهم انما يسألونها بموجب شرط الرسول صلى الله عليه وسلم
الصادر عنه باذن الله تعالى لا بحكم سبق ايديهم اليها او نحو ذلك مما يخل باختصاصها
الله ... وحمل الجواب على معنى ان الانفال بالمعنى المذكور مختصة برسول الله صلى
الله عليه وسلم لا حق فيها للمنفل كائنا من كان لا يساعده المقام اصلا ضرورة
ثبوت الاستحقاق بالتنفيل وادعاء ثبوته بعد لا يساعده ما سبق من الاخبار
حين المبتدأ المذكور النسخ من غير علم بالناسخ الاخير لا مساغ للمصير اليه
انه مجاهد وعكرمة والسدي ان الانفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
خاصة ليس لاحد فيها شيء ثم نسخ الآية فنسخت بقوله عز وجل فان لله خمسه

والرسول لما ان المراد بالانفال فيما قالوا الاخص فيما في صدر الاية فيما قالوا هو المعنى الاول
حتما كما ينطق به قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء الاية على ان الحق على انه لا نسخ حينئذ
ايضا حسبما قاله عبد الرحمن ابن زيد بن اسلم بل بين في صدر السورة اجمالا ان امرها
مفوض الى الله تعالى ورسوله ثم بين مصارفها وكيفية قسمتها على التفصيل فادعا
انتفاء وجه الحكم اعني الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وسلم على الانفال
المشروطة بانه مقام بيان الاحكام المذكورة كما ينبي عنه اظهار الانفال
في موقع الاضمار على ان الجواب عن سؤال الموعود ببيان كونه عليه الصلاة
والسلام خاصة مما لا يليق بشانه الكريم اصلا وقد روي عن سعد بن ابي
وقاص رضي الله عنه انه قال لما قتل اخي عمير يوم بدر قتلت به سعيد بن العاص
واخذت سيفه فاعجبني فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله تعالى قد
شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال صلى الله عليه وسلم
ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل
اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وقد صار لي فاذهب فخذه
ومعناه كما ترى يقتضي عدم وقوع التنفيل يومئذ والا لكان السؤال للسيف
من سعد بموجب شرطه صلى الله عليه وسلم ووعده لا بطريق الهبة المبتدأة
وحمل منعه ذلك من سعد على مراعاة الادب مع كونه سؤاله بموجب الشرط يرده رده
صلى الله عليه وسلم قبل السلام وتعليله بقوله ليس هذا لي الا ان يحمل ذلك منه
صلى الله عليه وسلم على التقييد بغير الخاص واعطاؤه صلى الله عليه وسلم بعد النزول
مرتبة على قوله وقد صار لي صورة الى ما نظرته ورده صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى الانفال لله والرسول اذ الغرض منه المانع من اعطا المسؤول لا تنوعه في الباب
وقوله عز وجل **فاتقوا الله** اي اذا كان امر الغنائم لله تعالى ولرسوله فاتقوه تعالى واجتنبوا
ما كنتم فيه من المشاجرة فيها والاختلاف الموجب لسخطه تعالى او فاتقوه في كل ما تأتون
وما تذرون فيدخل فيه ما نحن فيه دخولا اوليا ولو كان السؤال طلب المشروط
لما كان فيه محذور يجب اتقاؤه واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة
وتعليل الحكم **واصلحوا ذات بينكم** حالا ابينكم من الحال للالفة التامة بينهم
مصاحبة له كما حقيقة الامور المعتبرة في العقد وذات الصدور واي اصلحوا ما بينكم
من الاحوال بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم وعن
عبادة ابن الصامت رضي الله عنه نزلت فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا
في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله تعالى من ايدينا فجعله رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله
وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وعن عطا كان الاصلاح بينهم ان
دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا اكلنا وانفقنا فقال ليرد

بعضكم

بعضكم على بعض **واطيعوا الله ورسوله** بتسليم امره ونهيه وتوسيط الامر باصلاح
ذات البين بالتقوى والامر بالطاعة لاظهار كمال العناية بالاصلاح بحسب
المقام وليندرج الامر به بعينه تحت الامر بالطاعة **ان كنتم مؤمنين** متعلق
بالاوامر الثلاثة والجواب محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه او هو الجواب
على الخلاف المشهور وايا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقيق المعلق به
وفيه تنشيط المخاطبين وحث لهم على المسارعة والامتثال والمراد بالايمان
كماله اي ان كنتم كاملين في الايمان فان كمال الايمان يدور على هذه الخصال
الثلاث طاعة الاوامر واتقاء المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل
والاحسان **انما المؤمنون** متعلق بالاوامر الثلاثة والجواب محذوف ثقة
بدلالة المذكور عليه او هو الجواب على الخلاف المشهور واياما كان فالمقصود
تحقيق المعلق بناء على تحقيق المعلق به وفيه تنشيط المخاطبين وحث لهم على المسارعة
والامتثال والمراد بالايمان كماله اي ان كنتم على الايمان فان كان الايمان يدور
على هذه الخصال الثلاث طاعة الاوامر واتقاء المعاصي واصلاح ذات البين
بالعدل والاحسان انما المؤمنون جملة مستأنفة مسوقة لبيان من اريد
بالمؤمنين بذكر اوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر من الخصال الثلاث
وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال بالاوامر المذكورة اي انما الكاملون في الايمان
المخلصون فيه **الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم** اي فزعت لمجرد ذكره من غير ان يذكر
هناك ما يوجب الفزع من صفاته وافعاله استعظاما لشانه الجليل وتهيبا
وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه
وقرئ وجلت بفتح الجيم وهي لغة وقرئ فرقت اي خافت **واذا تليت عليهم
اياته** اي اية كانت **زادتهم ايمانا** اي يقينا وطمأنينة نفس فان تظاهر الادلة
وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان وقوة اليقين وقيل ان
نفس الايمان لا يقبل الزيادة والنقصان وانما زيادته باعتبار زيادة المؤمن به
فانه كلما نزلت اية صدق المؤمن بها فزاد ايمانه عددا واما نفس الايمان فهي
بحاله القوة ومن الى عبر عنها بالزيادة للفرق الذي بين يقين الانبياء وارباب
المكاشفات ويقين احاد الامة وعليه مبني ما قال علي رضي الله عنه
لو كشف الغطا ما ازددت يقينا وكذا بين ما قام عليه
دليل واحد وما قامت عليه ادلة كثيرة **وعلى ربهم** مالكهم ومدبر امورهم
خاصة **يتوكلون** يفوضون امورهم لا الى احد سواه والجملة معطوفة على الصلة
وقوله تعالى **الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** مرفوع على انه نعت للموصول الاول
او بدل منه او بيان له او منصوب على القطع المنبي عن المدح ذكر اولا من الاعمال
الحسنة اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ثم عقب باعمال الجوارح من
الصلاة والصدقة **اولئك** اشارة الى من ذكرت اوصافهم الحسنة من حيث انهم

يستغنون بها وتنبيه على أنهم مميزون بذلك عن غيرهم أهل الحقيقة يستظهرون بنبيه
في تلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو رتبتهم وبعد
منزلتهم في الشرف **هم المؤمنون حقا** لأنهم حققوا إيمانهم بأن ضموا إليه ما فصل
من أفاضل الأعمال القلبية والقالبية وحقا صفة لمصدر محذوف أي أولئك
هم المؤمنون إيمانا حقا أو مصدر مؤكد للجملة أي حق ذلك حقا كقوله هو عبد الله
حقا **لهم درجات** من الكرامة والزلفى وقيل درجات عالية في الجنة وهو إما
جملة مبتدأة مبنية على سؤال نشأ من تعداد مناقبهم كأنه قيل ما لهم بمقابلة
هذه الخصال فقيل لهم كيت وكيت أو خبر ثان لأولئك وقوله تعالى **عند**
ربهم إما متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات مؤكدة لما أفادها التنوين
من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي كائنة عنده تعالى بمقابلة وبما تعلق
بالخبر أعني لهم من الاستقرار وفي إضافة الظرف إلى الرب المضاف إلى ضميرهم مزيد
تشريف ولطف لهم وإيذان بأن ما وعد لهم متيقن الثبوت والحصول مأمون
الفوات **ومغفرة** لما فرط منهم **ورزق كريم** لا ينقطع أمده ولا ينتهي عدده وهو
ما أعد لهم من نعيم الجنة **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق** الكاف في محل الرفع على أنه
خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال إخراجك يعني أن حالهم في كراهتهم
للحرب وهو حق أو في محل النصب على أنه صفة لمصدر محذوف مقدر في قوله تعالى
الأنفال لله أي الأنفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات إخراج ربك
إياك من بيتك في المدينة أو من المدينة وإخراجا ملتبسا بالحق **وإن فريقا من**
المؤمنين لكارهون أي والحال أن فريقا منهم كارهون للخروج إما لنفرة الطبع عن
القتال أو لعدم الاستعداد وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة
عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام
فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقي العير
لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل
فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم
إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت أخت العباس بن عبد المطلب
رؤيا فقالت لأخيها إني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة
من الجبل فرمى بها فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها
العباس فقال أبو جهل ما رضي رجالهم أن يتنبؤوا حتى تنبأت نساؤهم فخرج أبو
جهل بجميع أهل مكة وهم النفير فقيل له إن العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع
بالناس إلى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور
ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وأن محمدا لم يصب العير
وأنا قد أعضضناه فمضى بهم إلى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في
السنة فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله وعدكم إحدى الطائفتين

إما العير وإما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال ما تقولون إن القوم
قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب إليكم أم النفير قالوا بل العير
أحب إلينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم
فقال إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول
الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر
وعمر رضي الله عنهما فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت
إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال المقداد بن عمرو امض يا رسول
الله لما أمرك الله به فإنا معك كما أحببت لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه
السلام اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب
أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا علي أيها الناس وهو يريد الأنصار لأنهم
قالوا له حين بايعوه على العقبة إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا
فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع به أبناءنا ونساءنا فكان النبي
صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا يكون الأنصار ترى عليهم نصرته إلا على عدو
دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل
قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به الحق وأعطيناك
على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت
فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما
تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا وإنا لصبر عند الحرب
صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله
تعالى ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة
الله تعالى وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر
إلى مصارع القوم وروي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ
من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لأن الله تعالى وعدك إحدى الطائفتين
وقد أعطاك ما وعدك **يجادلونك في الحق** الذي هو تلقي النفير لإيثارهم
عليه تلقي العير والجملة استئناف أو حال ثانية أي أخرجك في حال مجادلتهم إياك
ويجوز أن يكون حالا من الضمير في لكارهون وقوله تعالى **بعد ما تبين** منصوب
بيجادلونك وما مصدرية أي بعد تبين الحق لهم بإعلامك أنهم منصورون أينما
توجهوا ويقولون ما كان خروجنا إلا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب
وكان ذلك لكراهتهم القتال **كأنما يساقون إلى الموت** الكاف في محل النصب
على الحالية من الضمير في لكارهون أي مشبهين بالذين يساقون بالعنف
والصغار إلى القتل **وهم ينظرون** حال من ضمير يساقون أي والحال أنهم ينظرون

الى اسباب الموت ومشاهدته عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع الا لقلة
عددهم وعدم تأهبهم وكونهم رجالة روي انه لم يكن فيهم الا فارسان **واذ يعدكم**
الله احدى الطائفتين كلام مستأنف مسوق لبيان جميل صنع الله عز وجل بالمؤمنين
مع ما بهم من قلة الحزم ودناءة الهمة وقصور الرأي والخوف والجزع واذ منصوب
على المفعولية بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات واحدى الطائفتين
مفعول ثان ليعدكم اي اذكروا وقت وعد الله اياكم احدى الطائفتين وتذكير
الوقت مع ان المقصود تذكير ما فيه من الحوادث بتفاصيلها فاذا استحضر
كان ما وقع فيه حاضرا مفصلا كانه مشاهد عيانا ٭ وقرئ يعدكم بسكون
الدال تخفيفا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها
وقوله تعالى **انها لكم** بدل اشتمال من احدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد
اي يعدكم ان احدى الطائفتين كائنة لكم مختصة بكم مسخرة لكم تتسلطون عليها
تسلط الملاك وتتصرفون فيهم كيف شئتم **وتودون** عطف على يعدكم داخل
تحت الامر بالذكر اي تحبون **ان غير ذات الشوكة تكون لكم** من الطائفتين لا ذات
الشوكة وهي النفير ورئيسهم ابو جهل وهم الف مقاتل وغير ذات الشوكة هي العير
اذ لم يكن فيها الا اربعون فارسا ورأسهم ابو سفيان والتعبير عنهم بهذا العنوان
للتنبيه على سبب ودادتهم لملاقاتهم وموجب كراهتهم ونفرتهم من موافاة النفير
والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك وشوك القنا شباها **ويريد الله**
عطف على تودون منتظم معه في سلك التذكير ليظهر لهم عظيم لطف الله بهم مع قصور
آرائهم ودناءة همتهم اي اذكروا وقت وعده تعالى اياكم احدى الطائفتين وودادتكم
لادناهما وارادته تعالى لاعلاهما وذلك قوله تعالى **ان يحق الحق** اي يثبته ويعليه
بكلماته اي باياته المنزلة في هذا الشأن او باوامره للملائكة بالامداد وبما
قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر ٭ وقرئ بكلمته **ويقطع دابر الكافرين**
اي آخرهم ويستأصلهم بالمرة ٭ والمعنى انتم تريدون سفساف الامور والله تعالى
يريد معاليها وما يرجع الى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين وشتان بين
المرادين ٭ وقوله تعالى **ليحق الحق ويبطل الباطل** جملة مستأنفة سيقت لبيان
الحكمة الداعية الى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع ارادتهم لغيرها واللام
متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها اي لهذه الغاية الجليلة فعل ما فعل لا لشيء آخر
وليس فيه تكرار اذ الاول لبيان تفاوت ما بين الارادتين وهذا لبيان
الحكمة الداعية الى ما ذكر ومعنى احقاق الحق اظهار حقيته لا جعله حقا بعد
ان لم يكن كذلك وكذا حال ابطال الباطل **ولو كره المجرمون** اي المشركون ذلك
اي احقاق الحق وابطال الباطل **اذ تستغيثون ربكم** بدل من اذ يعدكم معمول
لعامله فالمراد تذكير استمدادهم منه سبحانه والتجائهم اليه تعالى حين ضاقت عليهم
الحيل وعيت بهم العلل وامداده تعالى حينئذ وقيل متعلق بقوله تعالى ليحق الحق

على

على الظرفية وما قيل ان قوله تعالى ليحق مستقبل لانه منصوب بان فلا يكون
عاملا في اذ لانه ظرف لما مضى ليس بشيء لان كونه مستقبلا انما هو بالنسبة الى زمان
ما هو غاية له من الفعل المقدر لا بالنسبة الى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل
هما في وقت واحد وانما عبر عن زمانهما باذ نظرا الى زمان النزول ٭ وصيغة
الاستقبال في اذ تستغيثون لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة
وقيل متعلق بمضمر مستأنف اي اذكروا وقت استغاثتكم وذلك انهم لما علموا
انه لا بد من القتال جعلوا يدعون الله تعالى قائلين اي رب انصرنا على عدوك
يا غياث المستغيثين اغثنا ٭ وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة وبضعة عشر
واستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك
هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر
رضي الله عنه فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك
ربك فانه سينجز لك ما وعدك **فاستجاب لكم** عطف على تستغيثون داخل معه في
حكم التذكير لما عرفت انه ماض ٭ وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة
اني ممدكم اي باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل فنصب محله ٭ وقرئ بكسر
الهمزة على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من مقولة القول
بالف من الملائكة مردفين اي جاعلين غيرهم من الملائكة رديفا لانفسهم فالمراد بهم رؤساؤهم
المستتبعون لغيرهم وقد اكتفي هاهنا بهذا البيان الاجمالي وبين في سورة آل عمران
مقدار عددهم ٭ وقيل معناه متبعين لغيرهم بعضهم بعضا او المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته
اياه فردفه ٭ وقرئ مردفين بفتح الدال مستتبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش
او ساقتهم ٭ وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصله مرتدفين
بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى الساكنان فحرك الراء بالكسر على الاصل او بالضم
على الاتباع ٭ وقرئ بالاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور
ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من
قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم ٭ وقد روي اخبار تدل على وقوعها **وما جعله الله** كلام
مستأنف لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وانما التأثير مختص به عز
وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا من النصر عند فقدان اسبابه والجعل
متعد الى مفعول واحد هو الضمير العائد الى مصدر فعل مقدر يقتضيه المقام
اقتضاء ظاهرا مغنيا عن التصريح به ٭ كانه قيل فامدكم به وما جعل امداده اياكم
بهم **الا بشرى** وهو استثناء مفرغ من اعم العلل اي وما جعل امدادكم بانزال الملائكة
عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى بانكم تنصرون **ولتطمئن به** اي بالامداد **قلوبكم**
وتسكن اليه نفوسكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما مفعول له للجعل
وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه وبقي الثاني على حاله لفقدها وانما لم يقل في

تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليها اشعار بعدم مباشرة الملائكة
للقتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو رأي بعض السلف
وقيل الجعل متعد الى اثنين ثانيهما الا بشرى على انه استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله
الله شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام في ولتطمئن متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره
ولتطمئن به قلوبكم فعل ذلك لا لشيء اخر وما النصر اي حقيقة النصر على الاطلاق
الا من عند الله اي الا كائنا من عنده عز وجل من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب
والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان السنة الالهية ان الله عزيز لا يغالب في حكمه
ولا ينازع في تقضيته حكيم يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة
تعليل لما قبلها متضمن للاشعار بان النصر الواقع على الوجه المذكور من مقتضيات الحكم
البالغة اذ يغشاكم النعاس اي يجعله غاشيا لكم ومحيطا بكم وهو بدل ثان من اذ يعدكم
لاظهار نعمة اخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما في
تستغيثون او منصوب بالنصر او باضمار اذكر واه وقيل هو متعلق بالنصر او بما في من عند الله
من معنى الفعل او بالجعل وليس بواضح ه وقرئ يغشاكم من الاغشاء بمعنى التغشية
والفاعل في الوجهين هو الباري تعالى ه وقرئ يغشاكم النعاس باسناد الفعل الى النعاس
وقوله تعالى امنة منه على القراءتين الاوليين منصوب على العلية بفعل مترتب على الفعل
المذكور اي يغشاكم النعاس فتنعسون امنا اي كائنا من الله تعالى لا كلالا واعياء او على
انه مصدر لفعل اخر كذلك اي فتامنون امنا كما في قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا
على احد الوجهين وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور والامنة بمعنى الامان وعلى القراءة
الاخيرة منصوب على العلية بيغشاكم باعتبار المعنى فانه في حكم تغشون او على انه مصدر لفعل مت
رتب عليه كامر ه وقرئ امنة كرحمة وينزل عليكم من السماء ماء تقديم الجار والمجرور على المفعول
به لما مر مرارا من ان الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر
بقيت النفس مترقبة لمورده فيتمكن عندها فضل تمكن ه وتقديم عليكم
لما ان بيان كون التنزيل عليهم اهم من بيان كونه من السماء ه وقرئ بالتخفيف من الانزال
ليطهركم به اي من الحدث الاصغر والاكبر ويذهب عنكم رجز الشيطان الكلام في تقديم
الجار والمجرور كامر انفا والمراد به رجز الشيطان ووسوسته وتخويفه اياهم من
العطش ه روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم
اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس لهم وقال انتم يا اصحاب
محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو
كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع
اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا
واشفقوا فانزل الله عز وجل المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضؤوا
وسقوا الركاب وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى تثبت عليه الاقدام
وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب وذلك قوله تعالى وليربط

على قلوبكم اي يقويها بالثقة بلطف الله تعالى فيما بعد بمشاهدة طلائعه ويثبت به
الاقدام حتى لا تسوخ في الرمل فالضمير للماء كالاول ويجوز ان يكون للربط
فان القلب اذا قوي وتمكن فيه الصبر والجراءة لا يكاد تزل القدم في معارك
الحروب ه وقوله تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه
وسلم بطريق التجريد حسبما ينطق به الكاف لما ان المامور به مما لا يستطيع غيره
صلى الله عليه وسلم فان الوحي المذكور قبل ظهوره بالوحي المتلو على لسانه صلى الله عليه
وسلم ليس من النعم التي يقف عليها عامة الامة كسائر النعم السابقة التي امروا
بذكرها وتذكيرها بطريق التشكر ه وقيل منصوب بقوله تعالى ويثبت به الاقدام وليس
بحسبانه بعود الضمير المجرور في به الى الربط على القلوب ليكون المعنى ويثبت اقدامكم
بتقوية قلوبكم وقت ايحائه الى الملائكة وامره بتثبيتهم اياكم وقت القتال
ولا يخفى ان تقييد التثبيت المذكور بوقت مبهم عندهم ليس فيه فائدة ه واما انتصابه
على انه بدل ثالث من اذ يعدكم كما قيل فيأباه تخصيص الخطاب به صلى الله عليه وسلم
مع ما عرفت من ان المامور به ليس من الوظائف العامة للكل كسائر اخواته وفي التعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم من التنويه والتشريف ما لا
يخفى ه والمعنى اذكر وقت ايحائه تعالى الى الملائكة اني معكم اي بالامداد والتوفيق في
امر التثبيت فهو مفعول يوحي ه وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه
وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية الملائكة انما هي من حيث انهم المباشرون
للتثبيت صورة فلم الاصالة من تلك الحيثية كما في امثال قوله تعالى ان الله مع
الصابرين ه والفاء في قوله تعالى فثبتوا الذين امنوا لترتيب ما بعدها على ما قبلها
فان امداده تعالى اياهم من اقوى موجبات التثبيت ه واختلفوا في كيفية التثبيت
فقال جماعة انما امروا بتثبيتهم بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما مما يتقوى به قلوبهم
ويصحح عزائمهم ونياتهم وتتاكد جدهم في القتال وهو الانسب بمعنى التثبيت وحقيقته
التي هي عبارة عن الحمل على الثبات في مواطن الحروب والجد في مقاساة شدائد القتال
وقد روي انه كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفونه بوجهه فيأتي ويقول سمعت
المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين ويقول ابشروا
فان الله ناصركم ه وقال اخرون امروا بمحاربة اعدائهم وجعلوا قوله تعالى سالقي
في قلوب الذين كفروا الرعب تفسيرا لقوله تعالى اني معكم وقوله تعالى فاضربوا الى
اخره تفسيرا لقوله تعالى فثبتوا امنوا لكيفية التثبيت وقد روي عن ابي داود المازني وكان
ممن شهد بدرا انه قال اتبعت رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقع راسه قبل ان يصل اليه
سيفي وعن سهل بن حنيف انه قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا يشير بسيفه الى المشرك
فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف ه وانت خبير بان قتلهم للكفرة مع عدم ملاقاة
لعين سيف المسلمين مما لا يتوقف على الامداد بالقاء الرعب فجعله مرتبا الامر به عليه بالفاء
وقد اعتذر الاولون بان قوله تعالى سالقي ليس بتفسير لما ذكر بل يجوز ان يكون ذلك ار قوله تعا

تثبيت الذين امنوا القيا للملايكة ما يثبتونهم به كانه قيل قولوا لهم قولي سالقي في قلوب
الذين كفروا الرعب الى آخره فالضاربون هم المومنون واما ما قيل من ان ذلك خطاب منه
تعالى للمومنين بالذات على طريق التلوين فيأباه نوسعه وروده قبل القتال وان ذلك والسورة
الكريمة انما نزلت بعد تمام الوقعة وقوله تعالى **فوق الاعناق** اي اعاليها التي هي المذابح والهامات
واضربوا منهم كل بنان قيل البنان اطراف الاصابع من اليدين والرجلين وقيل هي الاصابع
من اليدين والرجلين وقال ابو الهيثم البنان المفاصل وكل مفصل بنانة وقال ابن عباس وابن جريج
والضحاك يعني الاطراف اي اضربوهم في جميع الاعضا من اعاليها الى اسافلها وقيل المراد
بالبنان الاراذل وبفوق الاعناق الاعالي والمعنى فاضربوا الصناديد والسفلة وتكرير
الامر بالضرب لمزيد التشديد والاعتنا بامره ومنهم متعلق به او بمحذوف وقع
حالا من **ذلك** اشارة الى ما اصابهم من العقاب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبته
في الشدة والفظاعة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يليق
بالخطاب ومحله الرفع بالابتدا خبره قوله تعالى **بانهم شاقوا الله ورسوله** اي ذلك العقاب واقع
عليهم بسبب مشاقتهم ومخالفتهم لامر الله ورسوله واشتقاق المشاقة من الشق
لما ان كلا من المتشاقين في شق خلاف شق الاخر كما ان اشتقاق المعاداة والمخاصمة من العدوة
والخصم اي الجانب لان كلا من المتعاديين والمتخاصمين في عدوة وخصم غير عدوة الاخر وخصمه
ومن يشاقق الله ورسوله الاظهار في موضع الاضمار لتربية المهابة واظهار كمال شناعة ما اجترءوا
عليه والاشعار بعلة الحكم وقوله تعالى **فان الله شديد العقاب** اما نفس الجزا قد حذف
منه العائد اي شديد العقاب له او تعليل للجزا المحذوف اي يعاقبه
الله فان الله شديد العقاب واياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق
للسببية بالطريق البرهاني كانه قيل ذلك العقاب الشديد بسبب مشاقتهم لله تعالى ولرسوله
وكل من يشاقق الله ورسوله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذا لهم بسبب ذلك
لهم عقاب شديد واما انه وعيد لهم بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا كما قيل
فيرده قوله تعالى **ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار** فانه مع كونه من السوق للوعيد بما ذكرنا يكون المراد
بالعقاب الدنيوي ما اصابهم عاجلا سوا جعل ذلك اشارة الى نفس العقاب او الى ما تفيده الشرطية
من ثبوت العقاب لهم اما على الاول فلان الاظهر ان محله النصب بمضمر يستدعيه قوله تعالى فذوقوه
والواو في قوله تعالى وان للكافرين الى آخره بمعنى مع فالمعنى باشروا ذلكم العقاب الذي اصابكم
فذوقوه عاجلا مع ان لكم عذاب النار آجلا فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل
الحكم به واما على الثاني فلان الاقرب ان محله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف وقوله تعالى
وان للكافرين الى آخره معطوف عليه والمعنى حكم الله ذلكم اي ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا
وثبوت عذاب النار آجلا وقوله تعالى فذوقوه اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد
والضمير على الاول للنفس المشار اليه وعلى الثاني لما في ضمنه وقد ذكر في اعراب الآية الكريمة وجوه
اخر ما ذكر يتوقف فيها الحمل على ان المراد بالعقاب ما اصابهم عاجلا والله اعلم وقرئ بكسر ان على
الاستيناف **يا ايها الذين امنوا** خطاب للمومنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب

يجي به في تضاعيف القصة اظهارا للاعتنا بشانه ومبالغة في حثهم على المحافظة عليه **اذا لقيتم الذين**
كفروا زحفا الزحف الدبيب يقال زحف الصبي زحفا اذا دب على استه قليلا قليلا سمي به الجيش الدهم
المتوجه الى العدو لانه لكثرته وتكاثفه يرى كانه يزحف وذلك لان الكل يرى كجسم واحد
متصل فتحس حركته بالقياس الى سمته في غاية البطء وان كان في نفس الامر في غاية السرعة قال
قائلهم وارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج وانتصابه اما على انه حال
من مفعول لقيتم اي ذا زحف او زاحفين نحوكم واما على انه مصدر موكد لفعل مضمر هو الحال منه
اي يزحفون زحفا واما كونه حالا من فاعله او منه ومن مفعوله معا كما قيل فيأباه
قوله تعالى **فلا تولوهم الادبار** اذ لا معنى لتقييد النهي عن الادبار بتوجههم السابق الى العدو وبكثرتهم
هو الداعي الى الادبار والمحوج الى النهي عنه وحمله على الاشعار بما سيكون منهم يوم حنين
حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا بعيد والمعنى اذا لقيتموهم للقتال
وهم كثير جم وانتم قليل فلا تولوهم ادباركم فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم
مع قلتكم فضلا عن ان تدانوهم في العدد او تساووهم **ومن يولهم يومئذ** اي يوم اللقا **دبره** فضلا
عن الفرار **الا متحرفا لقتال** اما بالتوجه الى قتال طائفة اخرى اهم من هؤلاء واما بالفر
للكر بان يخيل عدوه انه منهزم ليغره ويخرجه من بين اعوانه ثم يعطف عليه وحده او مع من في
الكمين من اصحابه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها **او متحيزا الى فئة** اي منحازا الى جماعة اخرى
من المؤمنين لينضم اليهم ثم يقاتل معهم العدو وعن ابن عمر ان سرية فروا فانهزموا فرجعوا الى
المدينة فاستحيوا ودخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال صلى الله عليه وسلم
بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر فقال يا امير المومنين
هلكت فررت من الزحف فقال رضي الله عنه انا فئتك ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان
متحوزا لانه من حاز يحوز وانتصابهما اما على الحالية واما على الاستثنا من
المولين اي ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا **فقد باء** اي رجع **بغضب** عظيم لا يقادر
قدره وقوله تعالى **من الله** متعلق بمحذوف هو صفة لغضب موكدة لما افاده التنوين من الفخامة
والهول بالفخامة الاضافية اي بغضب كائن منه تعالى **وماواه جهنم** اي بدل ما اراد بفراره
ان ياوي اليه من ماوى ينجيه من القتل **وبئس المصير** في ايقاع البوا في موقع جواب الشرط الذي هو التولية
مقرونا بذكر الماوى والمصير من الجزالة ما لا مزيد عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الفرار
من الزحف من اكبر الكبائر وهذا اذا لم يكن العدو اكثر من الضعف لقوله تعالى الان خفف
الله عنكم الاية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب **فلم تقتلوهم**
رجوع الى بيان بقية احكام الوقعة واحوالها وتقرير ما سبق منها والفا جواب شرط مقدر يستدعيه
ما مر من ذكر امداده تعالى وامره بالتثبيت وغير ذلك كانه قيل اذا كان الامر كذلك
فلم تقتلوهم انتم بقوتكم وقدرتكم **ولكن الله قتلهم** بنصركم وتسليطكم عليهم والقا الرعب
في قلوبهم ويجوز ان يكون التقدير اذا علمتم ذلك فلم تقتلوهم اي فاعلموا او فاخبركم انكم
لم تقتلوهم وقيل التقدير ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم على احد التأويلين لما روي
انهم لما انصرفوا من المعركة غالبين غانمين اقبلوا يتفاخرون يقولون قتلت واسرت وفعلت

وان نك فنزلت • وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طلعت قريش من العقنقل قال هذه
قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام
فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصباء الوادي
فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا اشتغل بعينيه فانهزموا وذلك قوله
عز وجل بطريق تلوين الخطاب وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى حيث لم يكن الرمي الظاهر على نبينا
عليه السلام وجد من قبله عز وجل في تجريد الفعل عن المفعول به لما ان المقصود الاصلي بيان حال
الرمي نفيا واثباتا اذ هو الذي ظهر منه ما ظهر وهو المنشأ لتغير المرمي به في نفسه وتكثره
الى حيث اصاب عيني كل واحد من اولئك الامة الجمة شيء من ذلك اي وما فعلت انت يا محمد تلك
الرمية المستتبعة لهذه الآثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة والا لكان اثرها
من جنس آثار الافاعيل البشرية ولكن الله فعلها اي خلقها حين باشرتها لكن لا على نهج عادته
تعالى في خلق افعال العباد بل خلقه على غير معتاد ولذلك اثرت هذه التأثيرات الخارجة عن
طوق البشر وذلك من العدد والعدد وغيرهما مما نسبه الله تعالى وبعضها عنه صلى الله عليه وسلم
كون اثرهما من افعاله سبحانه لان من افعاله صلى الله عليه وسلم • وقرئ ولكن الله بالتخفيف
والرفع في الحالين واللام في قوله تعالى وليبلي المؤمنين اي ليعطيهم من عنده تعالى بلاء
حسنا اي عطاء جميلا غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره اما متعلقة بمحذوف متأخر وفي ذلك
اعتراض اي وللاحسان اليهم بالنصر والغنيمة فعل ما فعل لا لشيء غير ذلك مما لا يجديهم نفعا •
وما ذكر في فائدة العطف على علة محذوفة اي ولكن الله رمى ليمحق الكافرين وليبلي الخ
قوله تعالى ان الله سميع اي لدعائهم واستغاثتهم عليم اي بنياتهم واحوالهم الداعية
الى الاجابة لتعليل الحكم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
وقوله تعالى وان الله موهن كيد الكافرين بالاضافة معطوف عليه اي المقصد ابلاء المؤمنين
وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم • وقيل المشار اليه القتل والرمي والمشهور
الامر ذلكم اي القتل والرمي كائن وقوله تعالى وان الله موهن الآية من قبيل عطف البيان
وقرئ موهن بالتنوين مخففا ومشددا ونصب كيد الكافرين ان تستفتحوا خطاب
لاهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة
وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين اي ان تستنصروا لاعلى الجندين
فقد جاءكم الفتح حيث نصر اعلاهما وقد زعمتم انكم الاعلى فالتهكم في المجيء او فقد جاءكم الهزيمة والقهر
فالتهكم في نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله وان تنتهوا عما كنتم عليه من الحراب ومعاداة
الرسول صلى الله عليه وسلم فهو اي الانتهاء خير لكم اي من الحراب الذي ذقتم غائلته لما فيه من السلامة
من القتل والاسر ومبنى اعتبار اصل الخيرية في المفضل عليه هو التهكم وان تعودوا اي الى حرابه صلى الله عليه
وسلم نعد لما شاهدتموه من الفتح ولن تغني بالتاء الفوقانية وقرئ بالياء التحتانية لان تأنيث
الفاعل غير حقيقي وللفصل اي لن تدفع ابدا عنكم فئتكم جماعتكم التي تجمعونهم وتستغيثون بهم
شيئا اي من الاغناء او من المضار ولو كثرت جملة حالية وقد مر تحقيقه وان الله مع
المؤمنين اي ولان الله معين المؤمنين كان ذلك او والامر ان الله مع المؤمنين ويقرب منه بحسب

المعنى

المعنى قراءة الكسر على الاستئناف وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان
تنتهوا عن التكاسل في الرغبة عما يرغب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم من كل شيء لما انه
مناط لنيل سعادة الدارين وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو ولن تغني
عنكم حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر والامر ان الله مع الكاملين في الايمان يا ايها الذين
آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا بطرح احدى التائين وقرئ بادغامها عنه اي لا تتولوا عن الرسول
فان المراد هو الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعته تعالى للتمهيد والتنبيه
والتنبيه على ان طاعته تعالى في طاعة رسوله عليه السلام من يطع الرسول فقد اطاع الله والضمير
للجهاد • وقيل للامر الذي دل عليه الطاعة وقوله تعالى وانتم تسمعون جملة حالية واردة لتأكيد
النهي عنه على الشاع كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى اي لا تتولوا عنه والحال
انكم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم واذعان
ولا تكونوا تقرير للنهي السابق وتحذير عن مخالفته بالتنبيه على انها مؤدية الى انتظامهم
في سلك الكفرة بكون سماعهم كلا سماع اي لا تكونوا بمخالفة الامر والنهي كالذين قالوا سمعنا
بمجرد الادعاء من غير فهم واذعان كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع وهم لا يسمعون
حال من ضمير قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم لا يسمعون حيث لا يصدقون لما سمعوه ولا يفهمونه
حق فهمه فكأنهم لا يسمعونه رأسا ان شر الدواب استئناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه
بهم مبالغة في التحذير وتقرير للتنفير اي ان شر من يدب على الارض او شر البهائم
عند الله اي في حكمه وقضائه الصم الذين لا يسمعون الحق البكم الذين لا ينطقون به وصفوا
بالصمم والبكم لان ما خلق له الاذن واللسان سماع الحق والنطق به وحيث لم يوجد
فيهم شيء من ذلك صاروا فاقدين للجارحتين رأسا وتقديم الصم على البكم لما ان صممهم متقدم على
بكمهم فان السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم سماعهم له كما ان النطق به من فروع سماعه
ثم وصفوا بعدم التعقل فقيل وبعينه عبر بالاشارة ويهتدي بذلك الى بعض مطالبه
واما اذا كان فاقدا للعقل ايضا فهو الغاية في الشر وسوء الحال وبذلك يظهر كونهم شرا من
البهائم حيث ابطلوا ما به يمتازون عنها وبه يفضلون على كثير من خلق الله عز وجل
فصاروا اخس من كل خسيس ولو علم الله فيهم خيرا شيئا من جنس الخير الذي من جملته صرف قواهم الى
تحري الحق واتباع الهدى لاسمعهم سماع تفهم وتدبر ولوقفوا على حقية الرسول عليه
السلام واطاعوه وآمنوا به ولكن لم يعلمه فيهم لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم
ذلك لخلوه عن الفائدة وخروجه عن الحكمة واليه اشير بقوله تعالى ولو اسمعهم لتولوا اي لو
اسمعهم سماع تفهم وهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق ولم
ينتفعوا به قط او ارتدوا بعد ما صدقوه وصاروا كأن لم يسمعوه اصلا وقوله تعالى
وهم معرضون اما حال من ضمير تولوا اي لتولوا على ادبارهم والحال انهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم
واما اعتراض تذييلي اي وهم قوم عادتهم الاعراض • وقيل كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه
وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك فنؤمن بك فالمعنى ولو اسمعهم كلام قصي
الخ • وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا مصعب بن عمير وسويد بن حرملة

كانوا يقولون نحن صم بكم عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فاقتلهم الله جميعا باحد
وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج انهم المنافقون وعن الحسن انهم اهل الكتاب يا ايها الذين
امنوا تكرير للنداء مع نعتهم بوصف الايمان لتنشيطهم الى الاقبال على الامتثال بما يرد بعده من
الاوامر وتنبيههم على ان فيهم ما يوجب ذلك استجيبوا لله وللرسول بحسن الطاعة اذا دعاكم
اي الرسول اذ هو المباشر لدعوة الله تعالى لما يحييكم من العلوم الدينية التي هي مناط
الحياة الابدية كما ان الجهل مدار الموت الحقيقي او هي ماء حياة القلب كما ان الجهل
موته وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كما في قوله تعالى ولكم
في القصاص حياة • روي انه صلى الله عليه وسلم مر على ابي بن كعب وهو يصلي فدعاه فعجل
في صلاته ثم جاءه فقال صلى الله عليه وسلم ما منعك عن اجابتي قال كنت في الصلاة
قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم الاية واختلف فيه
فقيل هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم • وقيل لان اجابته صلى الله عليه
وسلم لا تقطع الصلاة • وقيل كان ذلك الدعاء لامر مهم لا يحتمل التاخير وللمصلي ان
يقطع الصلاة لمثله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه تعالى من العبد كقوله
تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه تعالى مطلع من مكنونات القلوب
على ما عسى يغفل عنه صاحبها وحث على المبادرة على اخلاص القلوب وتصفيتها قبل
ادراك المنية فانها حائلة بين المرء وقلبه او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه
بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته
ويبدله بالامن خوفا وبالذكر نسيانا وما اشبه ذلك من الامور المعترضة المفوتة
للفرصة • وقرئ بين المر بتشديد الراء على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء
واجراء الوصل مجرى الوقف وانه اي الله عز وجل او الشان اليه تحشرون لا الى غيره
فيجازيكم بحسب مراتبكم فسارعوا الى طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وبالغوا
في الاستجابة لهما واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اي لا يختص اصابتها بمن يباشر الظلم منكم
بل يعمه وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن الخ
جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا
يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم
لا يحطمنكم سليمان وجنوده واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل
المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول • كقول من قال •

• حتى اذا جن الظلام واختلط • جاؤوا بمذق هل رايت الذئب قط •

واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرا لتصيبن وان اختلف المعنى فيهما وقد جوز ان يكون
نهيا عن التعرض للظلم بعد الامر باتقاء الذنب فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه
ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم
منكم اقبح منه من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه

واذكروا اذ انتم قليل اي وقت كونكم قليلا في العدد وايثار الجملة الاسمية للايذان باستمرار ما كانوا
فيه من القلة وما يتبعها من الضعف والخوف وقوله تعالى مستضعفون خبر ثان او صفة لقليل وقوله
تعالى في الارض اي في ارض مكة تحت ايدي قريش والخطاب للمهاجرين او تحت ايدي فارس
والروم والخطاب للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء تحت ايدي الطائفتين وقوله تعالى تخافون
ان يتخطفكم الناس خبر ثالث او صفة ثانية لقليل وصف بالجملة بعد ما وصف بالمفرد او حال
من المستكن في مستضعفون والمراد بالناس على الاول اما كفار قريش او كفار العرب
لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الثاني فارس والروم فآواكم اذكروا وقت قلتكم وذلتكم
وتوقعكم على الناس وخوفكم من اختطافهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون به
من اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات
من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم الجليلة يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول اصل الخون النقص
كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه اي لا تخونوهما بتعطيل الفرائض والسنن
او بان تضمروا خلاف ما تظهرونه او بالغلول في الغنائم • روي انه عليه الصلاة والسلام حاصر بني قريظة
احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا
من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان
مناصحا لهم لان ماله وعياله كانت في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى اننزل على حكم
سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله
فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد فقال لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او
يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك
فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني
فجاءه صلى الله عليه وسلم فحله فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها
الذنب وان انخلع من مالي فقال صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تتصدق به وتخونوا اماناتكم
فيما بينكم مجزوم معطوف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم
تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانها سبب الوقوع
في الاثم والعقاب او محنة من الله عز وجل ليبلوكم فيهن فلا يحملكم حبهما على الخيانة
كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن اثر رضاه تعالى عليهما وراعى حدوده فيهما فنيطوا هممكم بما يؤديكم
اليه يا ايها الذين امنوا تكرير للخطاب والوصف بالايمان للايذان باظهار كمال العناية
بما بعده والايذان بانه مما يقتضيه الايمان من اعانة والمحافظة عليه كما في الخطابين السابقين
ان تتقوا الله اي في كل ما تاتون وما تذرون يجعل لكم بسبب ذلك فرقانا هداية
في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المسلمين واذلال الكافرين او مخرجا من
الشبهات او نجاة مما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم وينشر صيتكم من قولهم
بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم اي يسترها ويغفر لكم ذنوبكم
بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم
وما تاخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تعليل

لما يبله وتنبيه على ان ما وعد الله تعالى على التقوى تفضل منه واحسان لا انه مما يوجبه التقوى
كما اذا وعد السيد عبده انعاما على عمله واذ يمكر بك الذين كفروا منصوب على المفعولية بمضمر
خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قوله تعالى واذكروا اذ انتم قليل حيث
سيق لتذكير النعمة الخاصة به عليه السلام بعد تذكير النعمة العامة للكل اي واذكر وقت
مكرهم ليثبتوك بالوثاق ويعضده قراءة من قرأ ليقيدوك او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى
اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات او يقتلوك
بسيوفهم او يخرجوك اي من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم للنبي صلى الله
عليه وسلم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في امره صلى الله عليه وسلم فدخل عليهم
ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا
ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه
وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من
ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع
فقال اللعين بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا
من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو
هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه
فاتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت
عليا رضي الله عنه على مضجعه وخرج مع ابي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله اي يرد مكرهم
عليهم او يجازيهم عليه او يعاملهم معاملة الماكرين وذلك بان الله اخرجهم الى بدر وقلل
المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فلقوا منهم ما لقوا والله خير الماكرين اذ لا يعبأ بمكرهم عند
مكره واسناد امثال هذه الآية سبحانه للمشاكلة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيها من ايهام ما لا
يليق به سبحانه واذا تتلى عليهم آياتنا التي حقها ان تخر لها صم الجبال قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا
مثل هذا قاله اللعين النضر بن الحارث واسناده الى الكل لانه كان رئيسهم وقاضيهم الذي
يقولون بقوله ويأخذون برأيه وقيل قاله الذين ائتمروا في امره صلى الله عليه وسلم
في دار الندوة وهذا غاية المكابرة ونهاية العناد كيف لا ولو استطاعوا شيئا من ذلك
فما الذي كان يمنعهم من المشيئة وقد تحدوا عشرين سنة وقرعوا على العجز وذاقوا من ذلك الامرين
وقورعوا بالسيف فلم يعارضوا سورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان
ان هذا الا اساطير الاولين اي ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من باطل ذلك اللعين روي انه لما قال
ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك
اللعين والمعنى ان كان القرآن حقا منزلا من عندك فامطر علينا الحجارة عقوبة على انكارنا او
ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على انه ليس كذلك
وحاشاه وقرئ الحق بالرفع على انه مبتدأ لا فصل وفائدة التعريف الدلالة على ان المعلق به كونه
حقا على الوجه الذي يدعيه عليه السلام وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم الاولين مطابق الواقع

غير منزل كالاساطير وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم جواب لكلمتهم الشنعاء وبيان للموجب
لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب
الاستئصال والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته تعالى غير مستقيم في حكمه
وقضائه والمراد باستغفارهم في قوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اما
استغفار من بقي منهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا
كقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله بيان
لاستحقاقهم العذاب بعد بيان ان المانع ليس من قبلهم اي وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال
ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام اي وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه حال من ضمير
يصدون مفيدة لكمال قبح ما صنعوا من الصد فان مباشرتهم للصد عنه مع عدم استحقاقهم لولايته امر
في غاية القبح وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان
اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون انه
لا ولاية لهم عليه وفيه اشعار بان منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل اريد باكثرهم كلهم كما يراد
القلة بالعدم وما كان صلاتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها
الا مكاء اي صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية اي تصفيقا تفعلة
من الصدى او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر لكان
ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته
روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون ويصفقون
وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون
ايضا فذوقوا العذاب اي القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان تكون للعهد
والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن
سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم
عشر جزر او في ابي سفيان استأجر ليوم احد الفين سوى من استجاش من العرب وانفق فيهم اربعين
اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش يوم بدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد
لعلنا ندرك منه ما اصيب منا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها
ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق يوم بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما
يستقبل وهو انفاق يوم احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان الغرض من
الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما
لفواتها من غير حصول المقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم
يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي ثبتوا على الكفر واصروا
عليه الى جهنم يحشرون اي يساقون لا الى غيرها ليميز الله الخبيث من الطيب اي الكافر
من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون
في عداوته صلى الله عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم

حسرة وقرئ ليميز بالتشديد بدلها لغة ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اي يضم بعضه الى
بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم فيجعله اويضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه فيجعله
في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث اذ هو عبارة عن الفريق او الى المنافقين وما فيه من
معنى البعد للابدان ببعد رتبتهم في الخبث هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا
انفسهم واموالهم قل للذين كفروا هم ابوسفيان واصحابه اي قل لاجلهم ان ينتهوا عماهم فيه من
معاداة النبي صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الذنوب وقرئ نغفر
لكم على البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا اي قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا
على الانبياء عليهم السلام بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا امثال ذلك وقاتلوهم عطف على
قل وقد عمم الخطاب لزيادة ترغيب المؤمنين في القتال لتحقيق ما تضمنه قوله تعالى فقد مضت
سنة الاولين من الوعيد حتى لا تكون فتنة اي لا يوجد منهم مشرك ويكون الدين كله لله وتضمحل
الاديان الباطلة اما باهلاك اهلها جميعا او برجوعهم عنها خشية القتل فان انتهوا عن الكفر
بقتالكم فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وقرئ بتاء الخطاب
اي بما تعملون من الجهاد المخرج الى الاسلام وتعليقه بانتهائهم للدلالة على انهم يثابون بالسببية
كما يثاب المباشرون بالمباشرة وان تولوا ولم ينتهوا عن ذلك فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا
به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم عن
الكلبي انها نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف
من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة وما موصولة وعائدها محذوف اي الذي اصبتموه من الكفار
عنوة وقيل الغنيمة اصابة الغنم من العدو ثم اتسع واطلق على ما اصيب منهم كائنا ما كان وقوله
تعالى من شيء بيان للموصول محله النصب على انه حال من عائد الموصول لقصد به الاعتناء بشان الغنيمة
وان لا يشذ عنها شيء اي ما غنمتموه كائنا مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط خلا ان سلب المقتول
للقاتل اذا نفله الامام وان الاسارى يخير فيها الامام وكذا الاراضي المعمورة وقوله تعالى
فان لله خمسه مبتدا خبره محذوف اي فحق او فواجب ان لله تعالى خمسه وهذه الجملة خبر لان كما الى
اخره وقرئ بالكسر والاول اكد واقوى للايجاب لما فيه من تكرار الاسناد كانه قيل فلا بد من ثبات
الخمس ولا سبيل الى الاخلال به وقرئ فلله خمسه وقرئ خمسه بسكون الميم والجمهور على ان ذكر الله تعالى
للتعظيم كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسمة الخمس على المعطوفين
عليه قوله تعالى وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل واعادة اللام في ذي
القربى دون غيرهم من الاصناف الثلاثة لدفع توهم اشراكهم في سهم النبي صلى الله عليه وسلم
لمزيد اتصالهم به صلى الله عليه وسلم وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل
لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك
بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا
وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام
انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وكيفية قسمتها عندنا انها كانت
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم له صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط وكذا

سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة لسائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على الاصناف
الثلاثة ويؤيده ما روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم
ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن السبيل الغني لا يعطى من الصدقة
شيئا وعن زيد بن علي مثله قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل سهم
الرسول صلى الله عليه وسلم لولي الامر بعده واما عند الشافعي رحمه الله تعالى فيقسم على خمسة
اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه صلى الله عليه وسلم من مصالح
المسلمين كعدة الغزاة من السلاح والكراع ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم
يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك رحمه الله الامر فيه مفوض
الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى اعطاهم بعضا منهم دون بعض وان رأى غيرهم
اولى رآهم بغيرهم وتعلق ابو العالية بظاهر الاية فقال يقسم ستة اسهم ويصرف
سهم الله تعالى الى رتاج الكعبة لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان ياخذ منه قبضة فيجعلها
لمصالح الكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة اسهم وقيل سهم الله تعالى لبيت المال وقيل هو مضموم
الى سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا شان الخمس واما الاخماس الاربعة فتقسم بين الغانمين
للراجل سهم وللفارس سهمان عند ابي حنيفة وثلاثة اسهم عندهما لما قال القرطبي لما بين الله تعالى
حكم الخمس وسكت عن الباقي دل ذلك على انه ملك الغانمين قوله تعالى ان كنتم امنتم بالله متعلق
بمحذوف يغني عنه المذكور اي ان كنتم امنتم به تعالى فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به الى الله
تعالى فاقطعوا اطماعكم منه واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد به مجرد العلم بذلك بل العلم
المشفوع بالعمل والطاعة لامره تعالى وما انزلنا عطف على الاسم الجليل اي ان كنتم امنتم بالله
وبما انزلناه على عبدنا وقرئ عبدنا وهو اسم جمع اريد به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون فان
بعض ما نزل نازل وهو الملائكة والفتح عليهم بالذات منه يوم الفرقان يوم بدر
سمي به لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب بانزلنا عليه صلى الله عليه وسلم ومعه من الوحي
والملائكة والفتح على ان المراد الانزال مجردا لا الايصال والتبشير فيندرج الكل ما حصل
ويجعل الايمان بانزال هذه من موجبات العلم بكون الخمس لله تعالى على الوجه المذكور من حيث ان
الوحي ناطق بذلك وان الملائكة والفتح لما كانا من جهته تعالى وجب ان يكون ما حصل بينهما
من الغنيمة مصروفة الى الجهات التي عينها الله تعالى والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل
على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل ثان من يوم
الفرقان والعدوة بالضم شط الوادي وكذا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما وهم بالعدوة القصوى اي
البعدى من المدينة وهي تانيث الاقصى وكان القياس قلب الواو ياء كالدنيا والعليا تفرقة بينهما
من ثبات الواو فيها جاءت على الاصل كالقود واستصوب وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب
اي العير او قوادها اسفل منكم اي في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو نصب على الظرف
واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم
بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم
وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة

الدنيا كانت دحرة تسوخ فيها الارجل ولا يمشي فيها الا بتعب ولم يكن فيها ما بخلاف العدوة
القصوى وكذا قوله تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم على القتال ثم علمتم
حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم وياسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما حصل
لهم من الفتح ليس الا من الله عز وجل خارقا للعادات فيزدادوا ايمانا وشكرا وتطمئن
نفوسهم بفرض الخمس ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا
حقيقا بان يفعل من نصر اوليائه وقهر اعدائه او مقدرا في الازل وقوله تعالى ليهلك من
هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل عنه او متعلق بمفعولا اي ليموت من يموت عن بينة
ويعيش من يعيش عن بينة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات
الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من امن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة
للكفر والايمان والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للحياة والهلاك او من حاله في علم الله
تعالى الحياة والهلاك وقرئ ليهلك بالفتح وحيي بفك الادغام حملا على المستقبل وان الله لسميع
عليم اي بكفر من كفر وعقابه وايمان من امن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين
لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا منصوب باذكر او بدل
اخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر
به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم اي لجبنتم
وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الامر اي امر القتال وتفرقت اراؤكم في الثبات والفرار ولكن الله
سلم اي انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون
فيها من الجراة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما دبر واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم
قليلا منصوب بمضمر خوطب به الكل بطريق التلوين والتعميم معطوف على المضمر السابق
والضميران مفعولا يري وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن
مسعود لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى
الله عليه وسلم ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل انما اصحاب محمد اكلة جزور وقللهم في اعينهم
قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى راوهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة
فيبهتوا ويهابوا ويهن من شوكتهم اثناء تلك الوقعة فان البصر قد يرى الكثير قليلا والقليل
كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد انما ذلك بصدد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض
دون بعض مع التساوي في الشرائط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرر لاختلاف الفعل المعلل
او لان المراد بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المذكور وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال
الكفر وحزبه والى الله ترجع الامور كلها يصرفها كيفما يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم
المجيد يا ايها الذين امنوا صدر الخطاب بحرفي النداء والتنبيه اظهارا لكمال الاعتناء بمضمون
ما بعده اذا لقيتم فئة اي حاربتم جماعة من الكفرة وانما لم يوصفوا بالكفر لظهور ان المؤمنين
لا يحاربون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا اي للقائهم في مواطن الحرب واذكروا
الله كثيرا اي في تضاعيف القتال مستمدين منه مستنصرين به مستظهرين بذكره مترقبين
لنصره لعلكم تفلحون اي تفوزوا بمرامكم وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على

ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بكليته
فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في حال من الاحوال واطيعوا الله ورسوله في كل
ما تاتون وما تذرون فيندرج فيه ما امروا به ههنا اندراجا اوليا ولا تنازعوا باختلاف
الاراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب للنهي وقيل عطف عليه وتذهب ريحكم بالنصب
عطف على جواب النهي وقرئ بالجزم على تقدير عطف فتفشلوا على النهي اي تذهب دولتكم
وشوكتكم فانها مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها
وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا على شدائد الحرب ان الله مع الصابرين بالنصرة
والكلاءة وما يفهم من كلمة مع من اصالتهم انما هي من حيث انهم المباشرون للصبر فهم
متبوعون من تلك الحيثية ومعيته تعالى انما هي من حيث الامداد والاعانة ولا تكونوا كالذين
خرجوا من ديارهم بعد ما امروا بما امروا به من احاسن الاعمال ونهوا عما يقابلها من قبائحها والمراد
بهم اهل مكة حين خرجوا لحماية العير بطرا اي فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة
والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة اتاهم رسول ابي سفيان وقال ارجعوا فقد سلمت عيركم
فابوا الا اظهار اثار الجلادة فلقوا ما لقوا حسبما حكي في اوائل السورة الكريمة فنهي المؤمنون
ان يكونوا امثالهم مرائين بطرين وامروا بالتقوى والاخلاص من حيث ان النهي عن الشيء مستلزم
للامر بضده ويصدون عن سبيل الله عطف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا
ان جعل مفعولا له لكن لا على نار تأويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيهم عليه واذ زين لهم
الشيطان اعمالهم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اي واذكر
وقت تزيين الشيطان اعمالهم في معاداة المؤمنين وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم
من الناس واني جار لكم اي القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة
عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم
انصر اهدى الطائفتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب
كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى
اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما
لا ترون اني اخاف الله اي تبرا منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما راى امداد الله
تعالى للمسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة
وكان ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم
من الناس واني مجيركم من كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام
فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث فانطلق
وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم
حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف
الله اخافه ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ راى فيه
ما لم يره قبله والاول ما قاله الحسن رضي الله عنه واختاره ابن بحر والله شديد العقاب

ويجوز أن يكون من كلامه إرسالا من جهة الله عز وجل إذ يقول المنافقون منصوب بزين
أو بنكص أو بشديد العقاب والذين في قلوبهم مرض أي الذين لم تطمئن قلوبهم بالإيمان وبقي
فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم المنافقون في المدينة والعطف لتغاير الوصفين
كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب غر هؤلاء يعنون المؤمنين
دينهم حتى تعرضوا لما لا طاقة لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء
ألف ومن يتوكل على الله جواب لهم من جهته تعالى ورد لمقالتهم فإن الله عزيز غالب لا يذل
من توكل عليه واستجار به وإن قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما تستبعده العقول وتحار
في فهمه ألباب الفحول وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه ولو ترى أي ولو رأيت فإن
لو لامتناعه تقلب المضارع ماضيا كما أن إن ترد الماضي مضارعا والخطاب إما لرسول الله صلى
الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن له حظ من الخطاب وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولو ترى إذ
وقفوا على النار وكلمة إذ في قوله تعالى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ظرف لترى والمفعول
محذوف أي ولو ترى الكفرة أو حال الكفرة حين تتوفاهم الملائكة ببدر وتقديم المفعول
للاهتمام به وقيل الفاعل ضمير عائد إلى الله عز وجل والملائكة مبتدأ وقوله تعالى يضربون
وجوههم خبره والجملة حال من الموصول قد استغني فيها بالضمير عن الواو وهو على الأول
حال منه أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على ضميرهما وأدبارهم أي وأستاههم أو ما أقبل منهم
وما أدبر من الأعضاء وذوقوا عذاب الحريق على إرادة القول معطوفا على يضربون أو
حالا من فاعله أي ويقولون أو قائلين ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد
كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف للإيذان بخروجه عن حدود البيان أي لرأيت
أمرا فظيعا لا يكاد يوصف ذلك إشارة إلى ما ذكر من الضرب والعذاب وما فيه من معنى البعد
للإشعار بكونهما في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره بما قدمت أيديكم
أي ذلك الضرب والعقاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي ومحل أن في قوله تعالى
وأن الله ليس بظلام للعبيد الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي والأمر أنه تعالى ليس بمعذب
لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم
قطعا على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها وأما ما قيل من أنها معطوفة على ما للدلالة
على أن سببيته مقيدة بانضمامه إليه إذ لولاه لأمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما
أن إمكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة المعينة
بسبب ذنوبهم حتى يحتاج إلى اعتبار عدمه معه نعم لو كان المدعى كون جميع تعذيباته تعالى بسبب
ذنوب المعذبين لاحتيج إلى ذلك كدأب آل فرعون في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف
والجملة استئناف مسوق لبيان ما حل بهم من العذاب بسبب كفرهم لا بشيء آخر من جهة
غيرهم بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالإهلاك بسبب جرائمهم لزيادة تقبيح حالهم وللتنبيه على
أن ذلك سنة مطردة فيما بين الأمم المهلكة أي شأنهم الذي استمروا عليه مما فعلوا وفعل بهم
من الأخذ كدأب آل فرعون المشهورين بقباحة الأعمال وفظاعة العذاب والنكال والذين من

قبلهم أي من قبل آل فرعون من الأمم التي فعلوا من المعاصي ما فعلوا ولقوا من العقاب ما لقوا
كقوم نوح وعاد عليهما السلام وأضرابهم من أهل الكفر والعناد وقوله تعالى كفروا بآيات الله
تفسير لدأبهم الذي فعل بهم والتعرض لبيان كونه من لوازم جناياتهم وتبعاتها المتفرعة عليها
وقوله تعالى فأخذهم الله بذنوبهم تأكيد لما أفاده التشبيه من السببية مع الإشارة إلى أن لهم
مع كفرهم ذنوبا أخر لها دخل في استتباع العقاب ويجوز أن يكون المراد بذنوبهم معاصيهم
المتفرعة على كفرهم فتكون الباء للملابسة أي فأخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها
فدأبهم مجموع ما فعلوا وفعل بهم لا ما فعلوا فقط كما قيل قال ابن عباس رضي الله عنه إن آل
فرعون أيقنوا أن موسى نبي الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق فكذبوه
فأنزل الله تعالى بهم عقوبته كما أنزل بآل فرعون وجعل العذاب من جملة دأبهم مع أنه ليس مما يتصور
مداومتهم عليه واعتيادهم إياه كما هو المعتبر في مدلول الدأب إما لتغليب ما فعلوه على ما فعل
بهم أو لتنزيل مداومتهم على ما يوجبه من الكفر والمعاصي منزلة مداومتهم عليه لما بينهما من الملابسة
التامة وقوله تعالى إن الله قوي شديد العقاب اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الأخذ وقوله
تعالى ذلك إلى آخره استئناف مسوق لتعليل ما يفيده النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب
المنوط بأعمالهم السيئة غير واقع بلا سابقة ما يقتضيه وهو المشار إليه لا نفس ما حل بهم من
العذاب والانتقام كما قيل فإنه مع كونه معللا بما ذكر من كفرهم وذنوبهم لا يتصور تعليله
بجريان عادته تعالى على عدم تغيير نعمته على قوم قبل تغييرهم لحالهم وتوهم أن الشيء ليس ما ذكر
كما هو منطوق النظم الكريم بل ما يستفاد من مفهوم الغاية من جريان عادته تعالى على تغيير نعمتهم
عند تغيير حالهم بناء على تخيل أن المعلل ترتب عقابهم على كفرهم من غير تخلف عنه ركوب شطط
هائل وابتعاد عن الحق بمراحل وتهوين لأمر الكفر بآيات الله وإسقاط حاله عن رتبة إيجاب
العقاب في مقام تهويله والتحذير منه فالمعنى ذلك أي ترتب العقاب على أعمالهم السيئة دون
أن يقع ابتداء مع قدرته تعالى على ذلك بأن الله أي بسبب أنه تعالى لم يك في حد ذاته مغيرا
نعمة أي لم ينبغ له سبحانه ولم يصح في حكمته أن يكون بحيث يغير نعمة أنعم بها أنعمها على قوم من الأقوام
أي نعمة كانت جلت أو هانت حتى يغيروا ما بأنفسهم من الأعمال والأحوال التي كانوا عليها
وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت أحوالهم السابقة مرضية صالحة
أو قريبة من الصلاح بالنسبة إلى الحادثة كدأب هؤلاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة
كفرة عبدة أصنام مستمرين على حالة مصححة لإفاضة نعمة الإمهال وسائر النعم الدنيوية عليهم
فلما بعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بالبينات غيروها إلى أسوأ منها وأسخط حيث كذبوه
صلى الله عليه وسلم وعادوه ومن تبعه من المؤمنين وتحزبوا عليهم يبغونهم الغوائل فغير الله تعالى
ما أنعم به عليهم من نعمة الإمهال وعاجلهم بالعذاب والنكال وأصل يك يكن فحذفت النون
تخفيفا لشبهها بالحروف اللينة وأن الله سميع عليم عطف على أن الله إلى آخره وداخل
معه في حيز التعليل أي وبسبب أنه تعالى سميع عليم يسمع ويعلم جميع ما يأتون به وما يذرون
من الأقوال والأفعال السابقة واللاحقة فيرتب على كل منها ما يليق بها من إبقاء النعمة
وتغييرها وقرئ إن الله بكسر الهمزة فالجملة حينئذ استئناف مقرر لمضمون ما قبلها

وقوله تعالى كدأب آل فرعون والذين من قبلهم في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي
حتى يغيروا ما بأنفسهم تغييرا كائنا كدأب آل فرعون أي كتغييرهم على أن دأبهم عبارة عما فعلوه
فقط كما هو الأنسب بمفهوم الدأب وقوله تعالى والذين من قبلهم تفسير له بتمامه وقوله تعالى
وأن الله سميع عليم بينهما كما مر نظيره في سورة آل عمران حيث جوز انتصاب محل الكاف بأن يغير
مع ما بينهما من قوله تعالى وأولئك هم وقود النار مدا على تقدير عطف الجملة على ما قبلها وأما
على تقدير كونها اعتراضا فلا اعتبار في توسطها قطعا وقيل في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف
كما قبله فالجملة حينئذ استئناف آخر مسوق لتقرير ما سيق له الاستئناف الأول بتشبيه دأبهم
بدأب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل الدأب في الجانبين
عبارة عما يلازم معناه الأول من تغيير الحال وتغيير النعمة أخذا مما نطق به قوله تعالى
ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة الآية أي دأب هؤلاء وشأنهم الذي هو عبارة عن التغيير مع كونهم بالذي
كدأب أولئك حيث غيروا حالهم فغير الله تعالى نعمته عليهم بقوله تعالى كذبوا بآيات ربهم تفسير لدأبهم
فعلوه من تغييرهم حالهم وقوله فأهلكناهم تفسير لدأبهم الذي فعل بهم من تغييره تعالى ما بهم من
نعمته وأما دأب قريش فيستفاد منه بحكم التشبيه فلله در شأن التنزيل حيث اكتفى من التشبيهين
بتفسير أحد الطرفين وإضافة الآيات إلى الرب المضاف إلى ضميرهم لزيادة تقبيح ما فعلوا بها
من التكذيب والالتفات إلى نون العظمة في أهلكناهم جريا على سنن الكبرياء لتهويل الخطب
وأما الكلام في الفاء في قوله تعالى بذنوبهم كالذي مر وعطف عليه قوله تعالى وأغرقنا آل فرعون
على أهلكناهم مع اندراجه تحته للإيذان بكمال هول الإغراق وفظاعته كعطف جبريل على الملائكة
عليهم السلام وكل أي كل من الفرق المذكورين أو كل من هؤلاء وأولئك أو كل من غرقى القبط
وقتلى قريش كانوا ظالمين أي أنفسهم بالكفر والمعاصي حيث عرضوها للهلاك أو واضعين
للكفر والتكذيب مكان الإيمان والتصديق ولذلك أصابهم ما أصابهم إن شر الدواب
بعدما شرح أحوال المهلكين من شرار الكفرة شرع في بيان أحوال الباقين منهم وتفصيل
أحكامهم وقوله تعالى عند الله أي في حكمه وقضائه الذين كفروا أي أصروا على الكفر ولجوا
فيه جعلوا أشر الدواب لا شر الناس إيماء إلى أنهم بمعزل من مجانستهم وإنما هم من جنس الدواب
ومع ذلك شر من جميع أفرادها حسبما نطق به قوله عز وجل إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل
وقوله تعالى فهم لا يؤمنون حكم مترتب على تماديهم في الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل عليهم
بكونهم من أهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف أصلا جيء به على وجه الاعتراض
لا أنه عطف على كفروا داخل معه في حيز الصلة التي لا حكم فيها بالفعل وقوله تعالى الذين
عاهدت منهم بدل من الموصول الأول أو عطف بيان له أو نصب على الذم أو عاهدتهم ومن
للإيذان بأن المعاهدة التي هي عبارة عن إعطاء العهد وأخذه من الجانبين معتبرة
ههنا من حيث أخذه صلى الله عليه وسلم عهدهم إذ هو المناط لما نعى عليهم
من النقض لا إعطاؤه صلى الله عليه وسلم إياهم عهده كأنه قيل الذين أخذت منهم
عهدهم وقيل هي للتبعيض لأن المباشر لذلك للعهد بعضهم لا كلهم ثم ينقضون
عهدهم عطف على ما عاهدت داخل في حكم الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة على

تجدد النقض وتعدده وكونهم على نيته في كل حال أي ينقضون عهدهم الذي أخذته منهم
في كل مرة أي من مرات المعاهدة إذ هي التي يتوقع فيها عدم النقض ويستقبح وجوده
لا من مرات المحاربة كما قيل إذ لا يتوقع فيها عدم النقض بل لا يتصور أصلا حتى يستقبح فيها
وجوده لكونها مظنة لعدمه فلا فائدة في تقييد النقض بالوقوع في كل مرة من مراتها
بل لا صحة له قطعا لأن النقض لا يتحقق إلا في المرة الواردة على المعاهدة لا في المرات الواقعة
بعدها بلا معاهدة ولئن سلمنا أن المراد هي المرات الواقعة إثر المعاهدة يبقى النقض
الواقع بلا محاربة كبيع السلاح ونحوه خارجا من البيان ولئن عد ذلك من المحاربة فلا محيص من
لزوم خلو الكلام عن الفائدة بالمرة لأن المحاربة نفسها المعنى عين النقض فيؤول المعنى إلى
أنهم ينقضون عهدهم في كل مرة من مرات المحاربة للأعداء مع كونه في غاية البعد والركاكة
يستلزم خروج بيعهم بالنقض من البيان وهم لا يتقون حال من فاعل ينقضون أي يستمرون
على النقض والحال أنهم لا يتقون سببيته الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار وقوله
تعالى فإما تثقفنهم شروع في بيان أحكامهم بعد تفصيل أحوالهم والفاء لترتيب ما بعدها على
ما قبلها أي إذا كان حالهم كما ذكر فإما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب أي في تضاعيفها
فشرد بهم أي ففرق من ناصبك تفريقا عنيفا موجبا للاضطرار والاضطراب ونكل عنها
بأن تفعل بهم من النكاية والتعذيب ما يوجب أن ينكل من خلفهم أي من وراءهم من الكفرة وتوجيهها
إلى أنهم بصدد الحراب من هؤلاء وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر
بمعنى فرق وقرئ من خلفهم أي افعل التشريد من ورائهم والمعنى واحد لأن إيقاع التشريد
في الوراء لا يتحقق إلا بتشريد من وراءهم لعلهم يذكرون يتعظون بما شاهدوا مما نزل
بالناقضين فيرتدعون عن النقض أو عن الكفر وقوله تعالى وإما تخافن من قوم خيانة
بيان لأحكام المشرفين إلى نقض العهد إثر بيان أحكام الناقضين له بالفعل والخوف
مستعار للعلم أي وإما تعلمن من قوم من المعاهدين نقض عهد فيما سيأتي بما لاح لك
منهم من دلائل الغدر ومخايل الشر فانبذ إليهم أي فاطرح إليهم عهدهم على سواء على طريق
مستو وقصد بأن تظهر لهم النقض وتخبرهم أخبارا مكشوفا بأنك قد قطعت ما بينك وبينهم
من الوصلة ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد كيلا يكون من قبلك شائبة خيانة
أصلا فالجار متعلق بمحذوف هو حال من النابذ أي فانبذ إليهم ثابتا على سواء وقيل
على استواء في العلم بنقض العهد بحيث يستوي فيه أقصاهم وأدناهم أو تستوي فيه أنت
وهم فهو على الأول حال من المنبوذ إليهم وعلى الثاني من الجانبين إن الله لا يحب الخائنين
تعليل للأمر بالنبذ إما باعتبار استلزامه للنهي عن المناجزة التي هي خيانة فيكون تحذيرا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها وإما باعتبار استتباعه للقتال بالآخرة فيكون حثا
له صلى الله عليه وسلم على النبذ أولا وعلى قتالهم ثانيا كأنه قيل وإما تعلمن من قوم
خيانة فانبذ إليهم ثم قاتلهم إن الله لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت حالهم
ولا تحسبن الذين كفروا أي أنفسهم فحذف للتكرار وقوله تعالى سبقوا أي فاتوا
وأفلتوا من أن يظفر بهم مفعول ثان ليحسبن والمراد إقناطهم من الخلاص

وقطع اطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ والاقتصار على دفع هذا التوهم مع ان مقاومة
المؤمنين بل الغلبة عليهم ايضا مما يتعلق به امانيهم الباطلة للتنبيه على ان ذلك مما لا يحوم
حوله وهمهم وحسبانهم وانما الذي يمكن ان يدور في خلدهم حسبان المناص فقط وقيل
الفعل مسند الى احد او الى من خلفهم والمفعول الاول الموصول المتناول لهم ايضا وقيل
هو الفاعل وان محذوفة من سبقوا وهي مع ما في حيزها سادة مسد المفعولين والتقدير
ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا ويعضده قراءة من قرأ انهم سبقوا ونظيره في الحذف قوله
تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وقوله افغير الله تأمروني اعبد الآية قاله الزجاج وقرئ
بالتاء على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قراءة واضحة وقرئ ولا يحسب الذين بكسر
الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقوله تعالى انهم لا يعجزون اي لا يفوتون ولا يجدون
طالبهم عاجزا عن ادراكهم تعليل للنهي على طريقة الاستئناف وقرئ بفتح الهمزة على حذف
لام التعليل وقيل الفعل واقع عليه ولا زائدة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين
هاربين وهذا على قراءة الخطاب لازاحة ما عسى يحذر من عاقبة النبذ لما انه ايقاظ للعدو
وتمكين لهم من الهرب والخلاص من ايدي المؤمنين وفيه نفي لقدرتهم على المقاومة والمقابلة
على ابلغ وجه وآكده كما اشير اليه وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين وقرئ لا يعجزون
بكسر النون ولا يعجزون بالتشديد واعدوا لهم توجيه الخطاب الى كافة المؤمنين لما ان المأمور
به من وظائف الكل كما ان توجيهه فيما سبق وما لحق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكون ما
في حيزه من وظائفه صلى الله عليه وسلم اي اعدوا لقتال الذين نبذ اليهم العهد وهو الحق بهم
او لقتال الكفار على الاطلاق وهو الانسب بسياق النظم الكريم ما استطعتم من قوة من كل
ما يتقوى به في الحرب كائنا ما كان وعن عقبة بن عامر سمعته صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر
الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعل تخصيصه صلى الله عليه وسلم اياه بالذكر لانافته على
نظائره من القوى ومن رباط الخيل الرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تعالى فعال
بمعنى مفعول او مصدر سميت هي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او
جمع ربيط كفصيل وفصال او جمع ربط ككعب وكعاب وكلب وكلاب وقرئ وربط الخيل
بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للايذان بفضلها على بقية
افرادها كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام ترهبون به اي تخوفون وقرئ ترهبون
بالتشديد وقرئ تخزون به والضمير لما استطعتم او للاعداد وهو الانسب ومحل الجملة النصب
على الحالية من فاعل اعدوا اي مرهبين به او من الموصول او من عائده المحذوف اي اعدوا
ما استطعتموه مرهبا به عدو الله وعدوكم وهم كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار
مع كون الكل كذلك لغاية عتوهم ومجاوزتهم الحد في العداوة وآخرين من دونهم من غيرهم
من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل هم الدين لا تعلمونهم اي لا تعرفونهم بأعيانهم
اي لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة وهو الانسب بقوله تعالى الله يعلمهم اي لا غيره فان
اعداءهم معلومة لغيره تعالى ايضا وما تنفقوا من شيء لاعداد العتاد دق او جل في سبيل الله الذي
اوضحه الجهاد يوف اليكم اي جزاؤه كاملا وانتم لا تظلمون بترك الاثابة او بتنقيص الثواب و

عن

عن تركها بالظلم مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلما لبيان
كمال نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز
الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى كما مر في تفسير قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا
اضيع عمل عامل منكم وان جنحوا الجنوح الميل ومنه الجناح ويعدى باللام وبالى اي ان مالوا
للسلم اي للصلح بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما بكم من الاستعداد واعتاد العتاد فاجنح
لها اي للسلم والتأنيث لحملها على نقيضها قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك
من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف ان يظهروا لك السلم وجوانحهم
مطوية على المكر والكيد انه تعالى هو السميع فيسمع ما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع
العليم فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم في نحرهم والآية خاصة باليهود
وقيل عامة نسختها آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك باظهار السلم وابطال الحراب فان
حسبك الله اي فاعلم بان محسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم هو الذي ايدك بنصره تعليل
لكفايته تعالى اياه صلى الله عليه وسلم بطريق الاستئناف فان تأييده تعالى فيما سلف على ما
ذكر من الوجه البعيد من الوقوع من دلائل تأييده تعالى فيما سيأتي اي هو الذي ايدك بامداده
من عنده بلا واسطة لقوله تعالى وما النصر الا من عند الله تعالى او بالملائكة مع خرقه للعادة
وبالمؤمنين من المهاجرين والانصار والف بين قلوبهم مع ما كان بينهم قبل ذلك من العصبية
والضغينة والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه تعالى
كنفس واحدة وهذا من ابهر معجزاته صلى الله عليه وسلم لو انفقت ما في الارض جميعا اي لتأليف
ما بينهم ما الفت بين قلوبهم استئناف مقرر لما قبله ومبين لعزة المطلب وصعوبة المأخذ
اي تناهى التعادي فيما بينهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات البين جميع ما في الارض من اموال
والذخائر لم يقدر على التأليف واصلاح القلوب وذلك للاشعار بان التأليف بينهما لا يتسنى
وان امكن التأليف ظاهرا ولكن الله الف بينهم قلبا وقالبا بقدرته الباهرة انه عزيز كامل
القدرة والغلبة لا يستعصي عليه شيء حكيم يعلم كيفية تسخير ما يريده وقيل الآية في الاوس والخزرج
كان بينهم من الاحقاد والوقائع ما افنت سادتهم واهلكت اعاظمهم ودقت اعناقهم وجماجمهم فانساهم الله
عز وجل جميع ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا واصبحوا يرمون عن قوس واحدة وصاروا
انصارا يا ايها النبي شروع في بيان كفايته تعالى اياه صلى الله عليه وسلم في جميع اموره
وامور المؤمنين او في الامور الواقعة بينهم وبين الكفرة كافة اثر بيان كفايته تعالى اياه
صلى الله عليه وسلم في مادة خاصة وتصدير الجملة بحرفي النداء والتنبيه للتنبيه على تربية
الاعتناء بمضمونها وايراده صلى الله عليه وسلم بعنوان النبوة للاشعار بعليتها للحكم حسبك
الله اي كافيك في جميع امورك وفيما بينك وبين الكفرة من الحراب ومن اتبعك من المؤمنين في
محل النصب على انه مفعول معه اي كفاك وكفى اتباعك الله ناصرا كما في قول من قال فحسبك
والضحاك عضب مهند وقيل في موضع الجر عطفا على الضمير كما هو رأي الكوفيين اي كافيك
وكافيهم او في محل الرفع عطفا على اسم الله تعالى اي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت في البيدا
في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة

ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في اسلام عمر رضي الله عنه **يا ايها النبي حرض المومنين على القتال** بعد ما بين كفايته اياهم بالنصر والامداد امر صلى الله عليه وسلم بترتيب مبادي نصره وامداده وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لاظهار كمال الاعتنا بشأن المامور به اي بالغ في حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما امكن من الامور المرغبة التي اعظمها تذكير وعده تعالى بالنصر وحكمه بكفايته تعالى او بكفاياتهم واصل التحريض الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به قلت فالوجه حينئذ ان يجعل الحرض عبارة عن ضعف القلب الذي هو من باب تسمية المرض وقيل معنى تحريضهم تسميتهم حرضا بان يقال اني اراك في هذا حرضا لامرائي تمرضا فيه ليهيجه الى الاقدام وقرئ حرص بالصاد المهملة وهو واضح **ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين** وعد كريم منه تعالى بتغليب كل جماعة من المومنين على عشرة امثالهم على طريق الاستئناف بعد الامر بتحريضهم قوله تعالى **وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا** مع انفهام مضمونه مما قبله لكون كل منهما عدة بغلبة الواحد على العشرة لزيادة التقرير المفيد لزيادة الاطمينان على انه قد يجري بين الجمعين القليلين ما لا يجري بين الجمعين الكثيرين مع ان التفاوت فيما بين كل من الجمعين القليلين والكثيرين على نسبة واحدة فبين ان ذلك لا يتفاوت في الصورتين قوله تعالى **من الذين كفروا** بيان للالف وهذا القيد معتبر في المائتين ايضا وقد ترك ذكره تعويلا على ذكره ههنا كما ترك قيد الصبر ههنا مع كونه معتبرا حتما تعويلا على ذكره هناك **بانهم قوم لا يفقهون** متعلق بيغلبوا اي بسبب انهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الآخر لا يقاتلون احتسابا وامتثالا لامر الله تعالى واعلاء لكلمته وابتغاء لرضوانه كالمومنين وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان واثارة ثائرة البغي والعدوان فلا يستحقون الا القهر والخذلان واما ما قيل من ان من لا يومن بالله واليوم الآخر لا يومن بالمعاد فالسعادة عنده ليست الا هذه الحياة الدنيوية فيشح بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحروب واقتحام موارد الخطوب فيميل الى ما فيه السلامة فيفر فيغلب واما من اعتقد ان لا سعادة في هذه الحياة الفانية وانما السعادة هي الحياة الباقية فلا يبالي بهذه الحياة الدنيا ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح فيقوم الواحد من مثله مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلائم المقام **الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا** لما كان الوعد السابق بتضمنه لايجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباته لهم كما نقل عن ابن جريج انه كان عليهم ان لا يفر الواحد من العشرة وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلاثمائة راكب فهزمهم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد للاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا نزل التخفيف والمراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة كانوا متفاوتين في الاهتداء الى القتال لا الضعف في البدن كما قيل وقرئ ضعفا بضم الضاد وهي لغة فيه كالفقر والفقر والمكث والمكث وقيل الضعف بالفتح ما في الرأي والعقل وبالضم ما في البدن وقرئ ضعفا جمع ضعيف والمراد بعلمه تعالى بضعفهم علمه تعالى به من حيث هو متحقق بالفعل لا علمه تعالى به مطلقا كيف لا وهو ثابت في الازل قوله تعالى **فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين** تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ تكن ههنا وفيما سبق بالتا الفوقانية **وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله** اي بتسهيله وتيسيره وهذا القيد معتبر فيما سبق

من غلبة المائة المائتين والالف وغلبة العشرين المائتين كما ان قيد الصبر معتبر ههنا وانما ترك ذكره ثقة بما مر وبقوله تعالى **والله مع الصابرين** فانه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والمراد بالمعية معية نصره وتاييده ولم يتعرض ههنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض هناك لحال المومنين مع ان مدار الغلبة في الصورتين مجموع الامرين اعني نصر المومنين وخذلان الكفرة اكتفاء بما ذكر في مقام وعلى ما ترك في المقام الآخر ما يشعر به من متبوعية مدخولها لاصالتهم من حيث انهم المباشرون للصبر كما مر مرارا **ما كان لنبي** وقرئ للنبي على العهد والاول ابلغ لما فيه من بيان ان ما يذكر سنة مطردة فيما بين الانبياء عليهم السلام اي ما صح وما استقام لنبي من الانبياء عليهم السلام **ان يكون له اسرى** وقرئ بتأنيث الفعل واسارى ايضا **حتى يثخن في الارض** اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفرة ويقلل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض والجرح اذا اثقله وجعله بحيث لا حراك به ولا براح واصله الثخانة التي هي الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة **تريدون عرض الدنيا** استئناف مسوق للعتاب اي تريدون حطامها باخذكم الفداء وقرئ يريدون بالياء **والله يريد الآخرة** اي يريد لكم ثواب الآخرة الذي لا مقدار عنده للدنيا وما فيها او يريد سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كما في قوله • اكل امرئ تحسبين امرا ونار توقد بالليل نارا **والله عزيز** يغلب اولياءه على اعدائه **حكيم** يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ونهى عن اخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن بقوله تعالى فاما منا بعد واما فداء لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمومنين • روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر كمثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه • وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وكان هو ايضا ممن اشار بالاثخان **لولا كتاب من الله سبق** اي لولا حكم منه تعالى سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما لم يصرح لهم بالنهي واما ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم فلا يصلح ان يعد من موانع مساس العذاب فان الحل اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة كما ان الحرمة اللاحقة كما في الخمر مثلا لا ترفع حكم الاباحة السابقة على انه قادح في تهويل ما نعى عليهم في اخذ الفداء **لمسكم** لاصابكم **فيما اخذتم** اي لاجل ما اخذتم من الفداء **عذاب عظيم** لا يقادر قدره **فكلوا مما غنمتم** روي انهم امسكوا عن الغنائم فنزلت قالوا الفا لترتيب ما بعدها

على سبب محذوف اى قد ابحت لكم الغنايم فكلوا مما غنمتم والاظهر انها للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اى دعوه فكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة عن الفدية فانها جملة الغنايم ويأباه سياق النظم الكريم وسباقه
حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اى اكلا حلالا وفايدته الترغيب فى اكلها وقوله تعالى طيبا
صفة لحلالا مفيدة لتاكيد الترغيب فى اكلها وقوله تعالى طيبا صفة لحلالا مفيدة لتاكيد الترغيب
واتقوا الله اى فى مخالفة امره ونهيه ان الله غفور رحيم فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة
الفدا قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم اذا اتقيتموه يا ايها النبى قل لمن فى ايديكم
اى فى ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم من الاسارى وقرئ من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا
خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفدا وقرئ اخذ على البناء للفاعل روى انها
نزلت فى العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدى ابنى اخيه عقيل بن ابى طالب
ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتنى اتكفف قريشا ما بقيت فقال له النبى صلى الله عليه
وسلم فاين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما ادرى
ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال
العباس وما يدريك قال اخبرنى به ربى قال العباس فانا اشهد انك صادق وانه لا اله الا الله
وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل ولقد
كنت مرتابا فى امرك فاما اذا اخبرتنى بذلك فلا ريب قال العباس بعد حين فابدلنى
الله خيرا من ذلك لى الان عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب فى عشرين زمزم ما احب ان
لى بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربى يتاول به ما فى قوله تعالى ويغفر
لكم والله غفور رحيم فانه وعد بالمغفرة مؤكد بما بعده من الاعتراض التذييلى وان يريدوا
خيانتك اى نكث ما بايعوك عليه من الاسلام وهذا الكلام مسوق من جهته تعالى لتسليته
له صلى الله عليه وسلم بطريق الوعد والوعيد لهم فقد خانوا الله من قبل بكفرهم ونقض ما
اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم اى اقدرك عليهم حسبما رايت يوم بدر فان عادوا
الى الخيانة فاعلم انه سيمكنك منهم ايضا وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفدا
والله عليم فيعلم ما فى نياتهم وما يستحقونه من العقاب حكيم يفعل كل
ما يفعله حسبما تقتضيه حكمته البالغة ان الذين امنوا وهاجروا هم المهاجرون هجروا
اوطانهم حبا لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وجاهدوا باموالهم بان صرفوها
الى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم بمباشرة القتال واقتحام
المعارك والخوض فى المهالك فى سبيل الله متعلق بجاهدوا وقيد لنوعى الجهاد ولعله
تقديم الاموال على الانفس لما ان المجاهدة بالاموال اكثر وقوعا واتم دفعا للحاجة حيث
لا يتصور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال والذين اووا ونصروا هم الانصار
اووا المهاجرين وانزلوهم منازلهم وبذلوا اليهم اموالهم واثروهم على انفسهم
ولو كان بهم خصاصة ونصروهم على اعدايهم اولئك اشارة الى الموصولين بما ذكر
من النعوت الفاضلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم
فى الفضيلة وهو مبتدا وقوله تعالى بعضهم اما بدل منه وقوله تعالى اولياء بعض

خبره واما مبتدا ثان واولياء بعض خبره والجملة خبر للمبتدا الاول اى بعضهم اولياء بعض فى الميراث وقد
كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله تعالى واولوا الارحام
الاية وقيل فى النصرة والمظاهرة ويرده قوله تعالى فعليكم النصر بعد نفى الولاية والذين امنوا ولم يهاجروا
كسائر المؤمنين ما لكم من ولايتهم من شىء اى من توليهم فى الميراث وان كانوا اقرب اقاربكم
حتى يهاجروا وقرئ بكسر الواو تشبيها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة وان استنصروكم
فى الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق
معاهدة فانه لا يجوز نقض عهدهم بنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير فلا تخالفوا امره كيلا يحل
بكم عقابه والذين كفروا بعضهم اولياء بعض اخر منهم اى فى الميراث او فى الموازرة وهذا بمفهومه مفيد
لنفى الموارثة والموازرة بينهم وبين المسلمين وايجاب المباعدة والمصارمة وان كانوا اقارب
الا تفعلوه اى ما امرتم به من التواصل بينكم وتولى بعضكم بعضا حتى التوارث ومن قطع العلائق بينكم
وبين الكفار تكن فتنة فى الارض اى تحصل فتنة عظيمة فيها وهى ضعف الايمان وظهور
الكفر وفساد كبير فى الدارين تترتب عليه والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين
اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم بالقدح المعلى من
الايمان مع الموعد الكريم بقوله تعالى لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه فلا تكرار لما
ان مساق الاول لايجاب التواصل بينهم والذين امنوا من بعد وهاجروا بعد هجرتكم وجاهدوا
معكم فى بعض مغازيكم فاولئك منكم اى من جملتكم ايها المهاجرون والانصار وهم الذين جاءوا من بعدهم
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم الله تعالى بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا
وترغيبا فى الايمان والهجرة وفى توجيه الخطاب اليهم بطريق الالتفات من تشريفهم ورفع محلهم ما لا
يخفى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض اخر منهم فى التوارث من الاجانب فى كتاب الله اى فى حكمه
او فى اللوح او فى القران واستدل به على توريث ذوى الارحام ان الله بكل شىء عليم ومن جملته ما فى تعليق
التوارث بالقرابة الدينية اولا وبالقرابة النسبية اخرا من الحكم البالغة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد له انه برئ من النفاق واعطى عشر حسنات
بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته والله تعالى اعلم

سورة التوبة مائة وتسع وعشرون اية مدنية

براءة خبر مبتدا محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب اى اسمعوا براءة ومن فى قوله عز وجل من الله
ورسوله ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها لتفيدها زيادة تفخيم وتهويل اى هذه
براءة مبتداة من جهة الله ورسوله واصلة الى الذين عاهدتم من المشركين وانما لم يذكر
ما تعلق به البراءة حسبما ذكر فى قوله تعالى ان الله برئ من المشركين اكتفاء بما فى حيز الصلة فانه
منبئ عنه انباء ظاهرا واحترازا عن تكرير لفظة من وقيل هى مبتدا لتخصصها بالصفة
وخبره الى الذين الى اخره والذى يقتضيه جزالة النظم هو الاول لان هذه البراءة امر
حادث لم تعهد عند المخاطبين ذاتها ولا عنوان ابتدائها من الله ورسوله حتى يخرج ذلك العنوان
مخرج الصفة لها ويجعل المقصود بالذات والعمدة فى الاخبار شيئا اخر هو وصولها الى المعاهد

وإنما الحقيق بأن يعتني بإفادته حدوث تلك البراءة من جهته تعالى ووصولها إليهم فإن حق الصفات
قبل علم المخاطب بثبوتها لموصوفاتها أن تكون أخبارا وحق الأخبار بعد العلم بثبوتها لما هي له أن تكون
صفات كما حقق في موضعه وقرئ من الله بكسر النون على أصل في تحريك الساكن والكسور لكن
الوجه هو الفتح في لام التعريف خاصة لكثرة الوقوع والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب في عاهدتم
للمشركين وقد كانوا عاهدوا مشركي العرب من أهل مكة وغيرهم بإذن الله تعالى واتفاق الرسول صلى
الله عليه وسلم فنكثوا إلا بني ضمرة وبني كنانة فأمر المسلمون بنبذ العهد إلى الناكثين وأمهلوا أربعة
أشهر ليسيروا أين شاؤوا وإنما نسبت البراءة إلى الله تعالى ورسوله مع شمولها للمؤمنين واشتراكهم في
حكمها ووجوب العمل بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين خاصة مع كونها بإذن الله تعالى واتفاق الرسول
صلى الله عليه وسلم للإنباء عن تنجزها وتحتمها من غير توقف على رأي المخاطبين لأنها عبارة عن إنهاء
حكم الأمان ورفع الخطر المترتب على العهد السابق عن التعرض للكفرة وذلك منوط بجناب الله عز وجل
لأنه أمر أوجبته الأمور الحادثة على حسب حكمة تقتضيها وداعية يستدعيها تترتب عليها آثارها من غير توقف
على شيء أصلا واشتراك المسلمين في حكمها ووجوب العمل بموجبها إنما هو على طريقة الامتثال بالأمر لا
على أن يكون لهم مدخل في إتمامها أو في ترتب أحكامها عليها وأما المعاهدة فحيث كانت عقدا كسائر
العقود الشرعية لا تتحصل في نفسها ولا تترتب عليها أحكامها إلا بمباشرة المتعاقدين على وجه مخصوص
اعتبرها الشرع لم يتصور صدورها عنه سبحانه وإنما الصادر عنه في شأنها هو الإذن فيها
وإنما الذي يباشرها ويتولى أمرها المسلمون ولا يخفى أن البراءة إنما تتعلق بالعهد لا بالإذن فنسبة
كل واحد منهما إلى من هو أصل فيها على أن في ذلك تفخيما لشأن البراءة وتهويلا لأمرها وتسجيلا على
الكفرة بغاية الذل والهوان ونهاية الخذلان وتنزيها لساحة السبحان والكبرياء عما يوهم شائبة النقص
والبداء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وإدراجه صلى الله عليه وسلم في النسبة الأولى وإخراجه عن الثانية
لتنويه شأنه الرفيع وإجلال قدره المنيع في كلا المقامين صلى الله عليه وسلم وإيثار الجملة الاسمية
على الفعلية كأن يقال قد برئ الله ورسوله من الذين أو نحو ذلك للدلالة على دوامها واستمرارها
وللتوسل إلى تهويلها بالتنوين التفخيمي كما أشير إليه **فسيحوا في الأرض** السياحة والسيح الذهاب في الأرض
والسير فيها بسهولة على مقتضى المشيئة كسيح الماء على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة على كمال التوسعة
والرفاهية ما ليس في سيروا ونظائره وزيادة في قوله تعالى في الأرض لقصد التعميم لأقطارها من دار
الإسلام وغيرها والمراد إباحة ذلك لهم وتخليتهم وشأنهم من الاستعداد للحرب أو تحصين الأهل والمال
أو تحصيل المهرب أو غير ذلك لا تكليفهم بالسياحة فيها وتلوين الخطاب بصرفه عن المسلمين وتوجيهه
إليهم مع حصول المقصود بصيغة أمر الغائب أيضا للمبالغة في الإعلام بالإمهال حسما لمادة تعللهم
بالحيلة وقطعا لشأفة اعتذارهم بعدم الاستعداد أداة بينا وصيغة الأمر مع تأتي إفادة ذلك
المعنى بطريق الإخبار أيضا كما يقال مثلا فلكم أن تسيحوا أو نحو ذلك لإظهار كمال القوة والغلبة
وعدم الاكتراث بهم وباستعداداتهم فكأن ذلك أمر مطلوب منهم والفاء لترتيب الأمر بالسياحة
وما يتفرع عليه على ما تؤذن به البراءة المذكورة من الحرب على أن الأول مرتب على والثاني
بل لا يتعلقه على عنوان كونه من الله العزيز لا لترتيب الأول عليه والثاني على الأول كما في قوله
تعالى قل سيروا في الأرض فانظروا إلى آخره كأنه قيل هذه براءة موجبة لقتالكم فاسعوا في تحصيل

العدد والأسباب وبالغوا في إعداد العتاد من كل باب **أربعة أشهر واعلموا أنكم** بسياحتكم في
أقطار الأرض في الطول والعرض وإن ركبتم متن كل صعب **غير معجزي الله** أي لا تفوتونه بالهرب والتحصين
وأن الله وضع الاسم الجليل موضع المضمر لتربية المهابة وتهويل الأمر والإخزاء هو الإذلال بما فيه فضيحة
وعار **مخزي الكافرين** أي مذلكم ومهينكم في الدنيا بالقتل والأسر وفي الآخرة بالعذاب وإيثار الإظهار
على الإضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالإشراك وللإشعار بأن علة الإخزاء هو كفرهم ويجوز أن يكون
المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولا أوليا والمراد بالأشهر الأربعة هي الأشهر الحرم التي
علق القتال بانسلاخها فقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي
الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر وجعلها حرما لحرمة قتالهم فيها أو
لتغليبهم ذي الحجة والمحرم على البقية وقيل هي عشر من ذي القعدة إلى عشر من ربيع الأول لأن الحج في تلك
السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في العام القابل في ذي الحجة وذلك قوله صلى الله
عليه وسلم إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض روي أنه صلى الله عليه وسلم أمّر
أبا بكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع ثم أتبعه عليا رضي الله عنه على العضباء ليقرأها على أهل الموسم
فقيل له صلى الله عليه وسلم لو بعثت بها إلى أبي بكر فقال صلى الله عليه وسلم لا يؤدي عني إلا رجل مني وذلك
لأن العادة العرب أن لا يتولى أمر العهد والنقض على القبيلة إلا رجل منها فلما دنا علي رضي الله عنه سمع
أبو بكر رضي الله عنه الرغاء فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو
مأمور قال مأمور فمضيا فلما كان قبل يوم التروية خطب أبو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم
وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم فقالوا
بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا
يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم لكل ذي عهد عهده **وأذان من الله**
ورسوله أي إعلام منهما فعال بمعنى الإفعال كالعطاء بمعنى الإعطاء وارتفاعه كارتفاع براءة والجملة معطوفة على مثلها
وإنما قيل **إلى الناس** أي كافة لأن الأذان غير مختص بقوم دون آخرين كالبراءة الخاصة بالناكثين بل
هو شامل لعامة الكفرة وللمؤمنين أيضا **يوم الحج الأكبر** هو يوم العيد لأن فيه تمام الحج ومعظم
أفعاله ولأن الإعلام كان فيه ولما روي أنه صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة
الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر وقيل يوم عرفة لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة ووصف الحج بالأكبر
لأن العمرة تسمى الحج الأصغر أو لأن المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من أعماله فإنه أكبر من باقي الأعمال
أو لأن ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون **أن الله** أي بأن الله وقرئ بالكسر لما أن الأذان فيه معنى
القول **بريء من المشركين** أي المعاهدين الناكثين **ورسوله** عطف على المستكن في بريء أو على محل إن
واسمها على قراءة الكسر وقرئ بالنصب عطفا على اسم أن أي لأن الواو بمعنى مع أي بريء معه منهم وبالجر
على الجوار وقيل على القسم **فإن تبتم** من الشرك والغدر التفات من الغيبة إلى الخطاب لزيادة
تهديد وتشديد والفاء لترتيب مقدم الشرطية على الأذان بالبراءة المنزلة بالوعيد الشديد
المؤذن بلين عريكتهم وانكسار شدة شكيمتهم **فهو** أي فالتوب **خير لكم** في الدارين **وإن توليتم**
عن التوبة أو ثبتم على التولي عن الإسلام والوفاء **فاعلموا أنكم غير معجزي الله** غير سابقين
ولا فائتين **وبشر الذين كفروا** تلوين للخطاب وصرف له عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

لان البشارة بعذاب اليم وان كانت بطريق التهكم انما يليق بمن لم يقف على الاسرار الالهية الا الذين عاهدتم
من المشركين استدراك من النبذ السابق الذي اخر فيه القتال اربعة اشهر كانه قيل لا تمهلوا الناكثين
فوق اربعة اشهر لكن الذين عاهدتموهم ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين في المسارعة الى قتالهم
بل اتموا اليهم عهدهم ولا يضر في ذلك تخلل الفاصل بقوله تعالى واذان من الله ورسوله الى آخره لانه ليس باجنبي
بالكلية بل هو امر باعلام تلك البراءة كانه قيل فنبذوا واعلموها وقيل هو استثناء متصل من المشركين الاول ورد
بان الثاني عين الاول مع كونهما عبارة عن فريق واحد وجعله استثناء من الثاني بناء على ان الثاني لذلك
وقيل هو استدراك من المقدر في فسيحوا اي فقولوا لهم سيحوا اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم منهم ثم لم
ينقصوكم شيئا من شروط الميثاق ولم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط وقرئ بالمعجمة اي لم ينقضوا عهدكم
شيئا من النقض وكلمة ثم للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع تمادي المدة ولم يظاهروا اي لم يعاونوا
عليكم احدا من اعدائكم كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهرتهم
قريش بالسلاح فاتموا اليهم عهدهم اي ادوا اليهم كملا الى مدتهم ولا تفاجئوهم بالقتال عند مضي
الاجل المضروب للناكثين ولا تعاملوهم معاملتهم قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم
تسعة اشهر فاتموا اليهم عهدهم ان الله يحب المتقين تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة
حقوق العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفي والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا
فاذا انسلخ اي انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده والاغلب اسناده الى الجلد والمعنى
اذا انقضى الاشهر الحرم وانفصلت كما كانت مشتملة عليه سائرة له انفصال الجلد عن الشاة
وانكشفت عنه انكشاف الحجاب عما وراءه كما ذكره ابو الهيثم من انه يقال اهللنا شهر كذا اي دخلنا فيه
ولبسناه فنحن نزداد كل ليلة لباسا منه الى مضي نصفه ثم نسلخه عن انفسنا جزءا فجزءا حتى نسلخه
عن انفسنا كله فينسلخ وانشد * اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله * كفى قاتلا سلخي الشهور واهلالي *
وتحقيقه ان الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه اشتمال الجلد للحيوان وكذا كل جزء من اجزائه
الممتدة من الايام والشهور والسنين فاذا مضى فكانه انسلخ عما فيه وفيه مزيد لطف لما فيه من
التلويح بان تلك الاشهر كانت حرزا لاولئك المعاهدين عن غوائل ايدي المسلمين فنيط قتالهم بزوالها
والمراد بها ما مر من الاشهر الاربعة فقط والاظهار في موضع الاضمار ليكون ذريعة الى وصفها بالحرمة تاكيدا
لما ينبئ عنه اباحة السياحة من حرمة التعرض لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناء بشانها او هي مع ما فهم من
قوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم من تتمة مدة بقيت لغير الناكثين فعلى الاول يكون المراد
بالمشركين في قوله تعالى فاقتلوا المشركين الناكثين خاصة فلا يكون قتال الباقين مفهوما من
عبارة النص بل من دلالته وعلى الثاني مفهوما من العبارة الا انه يكون الانسلاخ وما نيط به من القتال
حينئذ شيئا فشيئا لا دفعة واحدة فكانه قيل اذا تم ميقات كل طائفة فاقتلوهم وحملها على الاشهر
المعهودة الدائرة في كل سنة لا يساعده النظم الكريم واما ابتناؤه على بقاء حرمة القتال فيها اذ ليس
نزل بعد ما ينسخها فلا اعتداد به لانها نسخت بقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كما توهم
فانه رجم بالغيب لانه ان اريد به ما في سورة الانفال فانه نزل عقيب غزوة بدر وقد صح ان المراد
بالذين كفروا في قوله تعالى قل للذين كفروا الى آخره ابو سفيان واصحابه وقد اسلم في اواسط
رمضان عام الفتح سنة ثمان وسورة التوبة انما نزلت في شوال سنة تسع وان اريد بما في

سورة البقرة فانه ايضا نزل قبل الفتح فكيف ينسخ به ما نزل بعده بل لان انعقاد الاجماع على انتساخها كاف
في الباب من غير حاجة الى كون مستنده منقولا الينا وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف لعشر
بقين من المحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم اي اسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم اي
قيدوهم او امنعوهم من التقلب في البلاد قال ابن عباس رضي الله عنهما حولوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا
لهم كل مرصد اي كل ممر ومجتاز يجتازون منه في اسفارهم وانتصابه على الظرفية اي ارصدوهم وارقبوهم
حتى لا يمروا به وفائدته على التفسير الثاني دفع احتمال ان يراد بالحصر المحاصرة المعهودة فان تابوا عن الشرك
بالايمان حسبما اضطروا اليه بما ذكر من القتل والاسر والحصر واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة تصديقا
لتوبتهم وايمانهم واكتفي بذكرهما عن ذكر بقية العبادات لكونهما رئيسي العبادات البدنية والمالية فخلوا
سبيلهم فدعوهم وشانهم ولا تتعرضوا لهم بشيء مما ذكر ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف من الكفر
والغدر ويثيبهم بايمانهم وطاعتهم وهو تعليل للامر بتخلية السبيل وان احد شروع في بيان حكم المتصدين
من الكفرة المقصودين لمبادي التوبة من سماع كلام الله تعالى والوقوف على شعائر الدين اثر بيان حكم التائبين
عن الكفر المصرين عليه وهو مرتفع بشرط مضمر يفسره الظاهر لا مبتدأ لان ان لا يدخل الا على الفعل من المشركين
استجارك بعد انقضاء الاجل المضروب اي سالك ان تؤمنه وتكون له جارا فاجره اي امنه حتى يسمع
كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة ما تدعوا اليه والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة الى شيء آخر في الفهم
لكونهم من اهل اللسن والفصاحة وحتى سواء كانت للغاية او للتعليل متعلقة بما عندها لا بقوله تعالى استجارك
لانه يؤدي الى اعمال حتى في المضمر وذلك مما لا يكاد يرتكب في غير ضرورة الشعر كما في قوله * فلا والله لا يلقى اناس
فتى حتاك يا ابن ابي يزيد * كما قيل لا ان يتعلق الاجارة بسماع كلام الله تعالى بل الاجارة مستلزمة لتعلق
الاستجارة ايضا بذلك او بما في معناه من امور الدين وروي عن علي رضي الله عنه انه اتاه رجل من المشركين
فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل لسماع كلام الله تعالى او لحاجة قتل قال لا لان الله
تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك فاجره والمراد بما فيه من الحاجة هي الحاجة المتعلقة بالدين لا ما يعمها وغيرها
من الحاجات الدنيوية كما ينبئ عنه قوله ان ياتي محمدا فان من ياتيه صلى الله عليه وسلم انما ياتيه للامور المتعلقة بالدين
ثم ابلغه بعد استماعه له ان لم يؤمن مامنه اي مسكنه الذي يامن فيه وهو دار قومه ذلك يعني الامر
بالاجارة وابلاغ المامن بانهم بسبب انهم قوم لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقته او قوم جهلة فلا
بد من اعطاء الامان حتى يفهموا الحق ولا يبقى لهم معذرة اصلا كيف يكون للمشركين عهد شروع في تحقيق
حقية ما سبق من البراءة واحكامها المتفرعة عليها وتبيين الحكمة الداعية الى ذلك وكيف [illegible]
اخر بل بمعنى انكار الوقوع ويكون من الكون التام وكيف في محل النصب على التشبيه بالحال او الظرف [illegible]
الكون الناقص [illegible] يكون قدم على اسمه [illegible] لاقتضائه وللمشركين متعلق بمحذوف وقع حالا من
عهد ولو كان مؤخرا لكان صفة له او بيكون [illegible] ويجوز ان الخبر للمشركين وعند [illegible] او متعلق بالاستقرار
الذي يتعلق به للمشركين ويجوز ان يكون الخبر عند الله وللمشركين اما تبيين واما حال من عهد واما متعلق
بيكون او بالاستقرار الذي تعلق به الخبر ولا يبالي بتقديم معمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر وكيف على
الوجهين الاخيرين نصب على التشبيه بالظرف او الحال كما في صورة الكون التام وهو الاولى لان
في انكار ثبوت العهد في نفسه من المبالغة ما ليس في انكار ثبوته للمشركين لان ثبوته الرابطي فرع ثبوته
العيني فانتفاء الاصل يوجب انتفاء الفرع راسا وفي توجيه الانكار الى كيفية ثبوت العهد من المبالغة

ما ليس في توجيهه الى ثبوته لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده
فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني اي على اي حال او في اي حال يوجد لهم عهد معتد به عند الله وعند
رسوله يستحق ان يراعى حقوقه ويحافظ عليه الى تمام المدة ولا يتعرض لهم بحسبه قتلا واخذا واما ان يامنوا به
عذاب الآخرة كما قيل فلا سبيل الى اعتباره اصلا اذ لا دخل لعهدهم في ذلك لانتفائه وان كان مرعيا عند الله تعالى
وعند رسوله كعهد غير الناكثين وتكرير كلمة عند للايذان بعدم الاعتداد به عند كل منهما على حدة الا الذين استدراك
من النفي المفهوم من الاستفهام المتبادر شموله لجميع المعاهدين اي لكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام
وهم المستثنون فيما سلف والتعرض لكون المعاهدة عند المسجد الحرام لزيادة بيان اصحابها
والاشعار بسبب وكادتها ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله عز وجل فما استقاموا لكم
فاستقيموا لهم فالفاء لتضمن معنى الشرط وما اما مصدرية ومنصوبة على الظرفية بتقدير
المضاف اي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم واما شرطية منصوبة المحل على الظرفية
الزمانية اي اي زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم فيه او مرفوعة على الابتداء والخبر
محذوف وقيل الاستثناء متصل ومحله النصب على الاصل والجر على البدل من المشركين
والمراد بهم الجنس لا المعهود واياما كان فحكم الامر بالاستقامة ينتهي بانتهاء مدة العهد
لان استقامتهم التي وقت بها الاستقامة المامور بها عبارة عن مراعاة حقوق العهد
وبعد انقضائه لا عهد ولا استقامة فصار عين الامر الوارد فيما سلف من قوله
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم خلا انه قد صرح هاهنا بما لم يصرح به هناك مع كونه
معتبرا قطعا وهو تقييد الاتمام المامور به ببقائهم على ما كانوا عليه من الوفا ان الله يحب المتقين
تعليل للامر بالاستقامة واشعار بان الاستقامة بموجب العهد من احكام التقوى كما مر
كيف تكرير لاستنكار ما مر من ان يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله سبحانه
وعند رسوله صلى الله عليه وسلم واما ما قيل من انه لاستبعاد ثباتهم على العهد فلا يساعده
ما ابتنى عليه [illegible] التعليل للاستبعاد حين عدم ثباتهم على العهد [illegible] لان ما ذكر بعده [illegible] التعليل
للاستبعاد لانه شيء يستدعيه وانما يعني للاستنكار والاستبعاد تاكيد للنافي تمهيدا
لتعداد العلل الموجبة لما لاجله [illegible] في البين بالارتباط والتقريب وحذف
الفعل المستنكر للايذان بان النفس مستحضرة له مترقبة لوروده وما يوجب
استنكاره لا لمجرد كونه معلوما كما في قوله •

• وخبرتماني ان الموت بالقرى • فكيف وهاتا هضبة وقليب •

فانه علة مصححة لا موجبة اي كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله تعالى وعند رسوله
وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم
اي لا يراعوا في شانكم واصل الرقوب النظر بطريق الحفظ والرعاية • ومنه الرقيب
ثم استعمل في مطلق الرعاية والمراقبة ابلغ منه كالمراعاة وفي نفي الرقوب من المبالغة
ما ليس في نفيها الا ولا ذمة اي حلفا وقيل قرابة ولاحدهما ابي او [illegible] على افعاله
مع ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق يعني ان وجوب مراعاة حقوق العهد على كل من
المتعاهدين مشروط بمراعاة الآخر لها فاذا لم يراعها المشركون فكيف تراعونها

على

سوى الدول من ثنا •

• مالك مرتقب منهم ثنية وسم • لا فقده تبكي اسما ولا دمنا •

وقيل الال من اسما الله عز وعلا اي لا يرقبوا حق الله تعالى وقيل الجوار وقال الحلف
لانهم اذا تحالفوا وتعاقدوا رفعوا به اصواتهم لتشهيره • ولما كان تعليق حكم رعاية
العهد بظفرهم منبئا عن عدم رعايته عند عدم كشف عن حقيقة شئونهم الخبيثة والجلية بطريق
الاستيناف وبين انهم في حالة العجز ايضا ليسوا من الوفا في شيء وانما يظهرونه لامنه لاتنهم
يقصدون يرضونكم بافواههم حيث الوفا والمصافاة ويعدونكم بالايمان والطاعة ويؤكدون
ذلك بالايمان الفاجرة ويتعللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة ونسبة الارضا
الى الافواه للايذان بان كلامهم مجرد الفاظ يتفوهون بها من غير ان يكون لها
مصداق في قلوبهم وتابى قلوبهم اي ما يتفوهون به من كلامهم واكثرهم فاسقون خارجون
عن الطاعة فان مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون ليس لهم مروءة
رادعة ولا عقيدة وازعة لا يتيسر ذلك كما يتعاطاه بعضهم ممن يتفادى عن الغدر
ويعف كما يجرانه [illegible] السوء اشتروا بايات الله اي بالقرآن الامرة بالايفاء بالعهود
والاستقامة في كل امر او بجميع اياته فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا اي تركوها
واخذوا بدلها ثمنا قليلا اي شيئا حقيرا من حطام الدنيا وهو اهواؤهم وشهواتهم
التي اتبعوها او ما انفقه ابو سفيان من الطعام وصرفه الى الاعراب فصدوا اي عدلوا
ونكبوا من صد صدودا او صرفوا غيرهم من صد صدا والفا للدلالة على سببية
الاشتراء للصد عن سبيله اي الدين الحق الذي لا محيد عنه والاضافة للتشريف
او سبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه انهم ساء ما كانوا يعملون
اي بئس ما كانوا يعملونه في الدنيا او عملهم المستمر والمخصوص بالذم محذوف • وقد
جوز ان يكون كلمة ساء على اصلها من التصرف لازما بمعنى قبح او متعدية والمفعول
محذوف اي فساءهم الذي يعملونه او عملهم • وقوله عز وعلا لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة
نعي عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الاطلاق فلا تكرار وقيل هذا في
اليهود او في الاعراب المذكورين ومن تجنبه وحده فيهم • واما ما قيل من انه تفسير
لقوله تعالى ساء ما كانوا يعملون او دليل على ما هو مخصوص بالذم فيقتضي اختصاصا بالامر والسوء
بهم دون غيرهم واولئك الموصوفون بما عدد من الصفات السيئة هم المعتدون
المجاوزون الغاية القصوى من الظلم والشرارة فان تابوا اي عما هم عليه من الكفر
وسائر العظائم والفا للايذان بان تقريعهم بالنعي عليهم من مساوي اعمالهم مزجرة عنها
ومظنة للتوبة واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة اي التزموهما وعزموا على اقامتهما فاخوانكم
اي فهم اخوانكم • وقوله تعالى في الدين متعلق باخوانكم لما فيه من معنى الفعل اي فهم
وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لا
مزيد عليه والاختلاف بين جواب هذه الشرطية وجواب التي مرت من قبل مع اتحاد
الشرط فيهما لما ان الاول مسوق لبيان الامر بالقتل ونظائره فيجب ان يكون جوابها امرا

تحل ان ذلك بالخوض سبقت بعد الحكم عليهم بالاعتداء او اسابيه فلابد من كون نجواهم احكاما
خلافه البتة ونفصل الآيات التي نبينها والمراد بها اما ما مر من الآيات المتعلقة باحوال
المشركين من الناكثين وغيرهم واحكامهم حالتي الكفر والايمان ٭ واما جميع الآيات
فتندرج فيها تلك الآيات اندراجا اوليا لقوم يعلمون اي ما فيها من الاحكام
او لقوم عالمين وهو اعتراض للحث على التأمل في الاحكام المندرجة في تلك الآيات
والمحافظة عليها وان نكثوا عطف على قوله تعالى فان تابوا اي وان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا
ايمانهم من بعد عهدهم الموثق بها واظهروا ما في ضمائرهم من الشر واخرجوه من القوة
الى الفعل حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الآية او
ثبتوا على ما هم عليه من النكث لا انهم ارتدوا بعد الايمان كما قيل وطعنوا في دينكم
قدحوا فيه بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم وانما
اوثر ما عليه النظم الكريم للايذان بانهم صاروا بذلك ذوي رئاسة وتقدم في الكفر
احقاء بالقتل والقتال ٭ وقيل المراد بائمتهم رؤساؤهم وصناديدهم وتخصيصهم
بالذكر لا لانه لا يقتل غيرهم بل لان قتلهم اهم لكونهم مظنة لها او للدلالة على استئصالهم
فان قتلهم غالبا يكون بعد قتل من دونهم ٭ وقرئ ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والافصح
اخراج الثانية بين بين ٭ واما التصريح بالياء فلحن ظاهر عند النحاة انهم لا ايمان لهم
اي على الحقيقة حيث لا يراعونها ولا يعدون نقضها محذورا وان اجروها على
السنتهم وانما علق النفي بها كالنكث فيما سلف لا بالعهد المؤكد بها لانها العمدة
في المواثيق وجعل الجملة تعليلا للامر بالقتال لا ينبئ عن تعليقه بالنكث والطعن لانه
حالهم في ان لا ايمان حقيقية لهم بعد النكث والطعن قبل ذلك وحمله على معنى عدم بقائها لهم
بعد النكث والطعن مع انه لا حاجة اليه بانه خلاف الظاهر وبعد الاول جعلها تعليلا
لمضمون الشرط ٭ كانه قيل وان نكثوا وطعنوا اذ لا ايمان لهم حقيقة حتى ينكثوها ولا يجترا
القتال المأمور به المستفاد من سياق الكلام ٭ كانه قيل فما لهم اذا لم يؤمنوا انهم
لا ايمان لهم حتى يعقد معهم عهد اخر ٭ وقرئ بكسر الهمزة على انه مصدر بمعنى
اعطاء الامان اي لا سبيل الى ان تعطوهم امانا بعد ذلك ابدا ٭ واما العكس كما
قيل فلا وجه له لانتقاده بان مساعدتهم تعني على طريقة ان يكون اعطاء الامان منه
قبلهم وذلك بمعنى البطلان او بمعنى الاسلام لكونه تعليلا للامر بالقتال اشكال
بل استحالة لانه ان حمل على انتفاء الاسلام مطلقا فهو بمعزل من العلية للقتال لتحققه
او الامر كما قبل النكث والطعن وان حمل على انتفائه فيما سيأتي فلا دليل عليه والانتفاء به
للقتال فيما سيجيء ٭ فالوجه ان يجعل تعليلا لما ذكر من مضمون الشرط ٭ كانه قيل ان نكثوا
وطعنوا وهو الظاهر من حالهم لانه لا اسلام لهم حتى يرتدعوا عن نقض حبل ايمانهم وعن
الطعن في دينكم لعلهم ينتهون متعلق بقوله تعالى فقاتلوا اي قاتلوهم ارادة ان ينتهوا
اي ليكن غرضكم من القتال انتهاءهم عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم التي يرتكبونها
لا ايصال الاذية بهم كما هو ديدن المؤذين الا تقاتلون قوما الهمزة الداخلة على انتفاء

مقاتلتهم

نفي القتال للانكار والتوبيخ ويدل على الحض عليهم على المقاتلة بطريق حملهم على الاقرار بانتفائها
كأن المأمور لا يمكن ان يعترف به طائعا لكمال شناعته فيلجئون الى ذلك ولا يقدرون على
الاقرار بانتفائها كانه قيل لا يمكن فتقاتلون المقاتلة نكثوا ايمانهم التي حلفوها عند
المعاهدة على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة
حين تشاوروا في امره بدار الندوة حسبما ذكر في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا
ليثبتوك فما عليه حاجتهم المقدمة ٭ وقيل هم اليهود نكثوا عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهموا باخراجه او لا بالكتاب المبين والعنادهم به فهل يوامن المجاهدة بعزمهم
عليها الى المقاتلة اول مرة وانما بدؤوا بقتال خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم لان اعانة او دون تقصيرهم
بني بكر عليهم قتال معهم وهم بدؤوكم اي اتخشونهم ان يصيبكم منهم مكروه حتى
تتركوا قتالهم بعدما وجد ما يوجب مقاتلتهم وحضهم عليها من نكثهم بما يوجب الرغبة
فيه وتحقق ان من كان على تلك الصفات السيئة حقيق بان لا يترك مصادمته
ويوبخ من فرط فيها فالله احق ان تخشوه بمخالفة امره وترك قتال اعدائه ان كنتم
مؤمنين فان قضية الايمان تخصيص الخشية به تعالى وعدم المبالاة بمن سواه وفيه
من التشديد ما لا يخفى قاتلوهم تجريد للامر بالقتال بعد التوبيخ على تركه ووعد
بنصرهم وبتعذيب اعدائهم واخزائهم وتشجيع لهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم قتلا
واسرا وينصركم عليهم اي يجعلكم جميعا غالبين عليهم اجمعين ولذلك اخر من التعذيب
والاخزاء ويشف صدور قوم مؤمنين ممن لم يشهدوا القتال وهم خزاعة ٭ قال
ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة واسلموا فلقوا من
اهلها اذى كثيرا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم بما
كابدوا من المكاره والمكائد وقد انجز الله سبحانه جميع ما وعدهم به على اجمل
ما يكون فكان اخباره صلى الله عليه وسلم بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة ويتوب
الله على من يشاء كلام مستأنف ينبئ عما سيكون من بعض اهل مكة من التوبة المقبولة
بحسب مشيئته تعالى المبنية على الحكم البالغة فكان كذلك حيث اسلم ناس منهم وحسن
اسلامهم وقرئ بالنصب على اضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر
بحسب المعنى فان القتال كما هو سبب لغلبة شوكتهم واتضاع كبريائهم فهو سبب
للتدبر في امورهم والتوبة من الكفر والمعاصي ولا اختلاف في وجه السببية
عند السالك والله اعلم والله انما اظهار الجلالة على الاضمار لتربية المهابة وادخال
الروعة عليم لا يخفى عليه خافية حكيم لا يفعل ولا يأمر الا ما فيه حكمة ومصلحة
ام حسبتم ام منقطعة جيء بها للدلالة على الانتقال من التوبيخ السابق الى اخر والهمزة
فيها من معنى الاستفهام الانكاري توبيخ لهم على الحسبان المذكور اي بل احسبتم

ان تتركوا على ما انتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا بما يمحصكم والخطاب الا
لمن شق عليهم الخطاب من المؤمنين او للمنافقين ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الواو
حالية ولما للنفي مع التوقع والمراد من نفي العلم نفي المعلوم بالطريق البرهاني
اذ لو شمله الوجود لعلمه قطعا فلما لم يعلمه لزم عدمه قطعا اي ام حسبتم
ان تتركوا والحال انه لم يتبين الخلص من المجاهدين منكم من غيرهم وما فيها
من التوقع منبه على ان ذلك سيكون وفائدة التعبير عما ذكر من عدم التبيين
بعدم علم الله تعالى ان المقصود هو التبيين من حيث كونه متعلقا للعلم
ومدارا للثواب وعدم التعرض لحال المقصرين لما ان ذلك بمعزل من الاندراج
تحت ارادة اكرم الاكرمين ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في حيز
الصلة او حال من فاعله اي جاهدوا والحال كونهم غير متخذين من دون الله ولا رسوله
ولا المؤمنين وليجة اي بطانة وصاحب سر وهو الذي يطلعه على ما في ضميره
من الاسرار على الحقيقة من الولوج وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ
ان ابقي على حاله او مفعول ثان له ان جعل بمعنى التصيير والله خبير بما تعملون
اي بجميع اعمالكم وقرئ على الغيبة وهو تذييل يزيح ما يتوهم من ظاهر قوله
تعالى ولما يعلم الله الى آخره او حال من فاعله او مفعوله والمعنى ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم والحال ان الله يعلم جميع اعمالكم لا يخفى عليه شيء منها ما كان
للمشركين اي ما صح وما استقام لهم على معنى نفي الوجود والتحقق لا نفي الجواز كما
في قوله تعالى اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اي ما وقع وما تحقق لهم
ان يعمروا عمارة معتدا بها مساجد الله اي المسجد الحرام وانما جمع لانه قبلة المساجد
وامامها فعامره كعامرها او لان كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على
حياله بخلاف سائر المساجد اذ ليس في نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة
بالتوحيد وقيل ما كان لهم ان يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام
الذي هو صدر الجنس وكناية انهم لا يتعهدون تعمير المساجد ولا يتحرون بذلك على انه
مبني على كون النفي بمعنى نفي الجواز واللياقة دون نفي الوجود شاهدين على انفسهم بالكفر
اي باظهار آثار الشرك من نصب الاوثان حول البيت والعبادة لها فان ذلك شهادة
صريحة على انفسهم بالكفر وان ابوا ان يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن رحمه الله وهو
حال من الضمير في يعمروا اي محال ان يكون ما سموه عمارة بيت الله مع ملابستهم بما
ينافيها من عبادة غيره تعالى فانها ليست من العمارة في شيء واما ما قيل من ان المعنى
ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين فليس بسديد فانه يستدعي انتفاء احدهما لا بعينه
لا انتفاء العمارة الذي هو المقصود روي ان المهاجرين والانصار اقبلوا على اسارى
بدر يعيرونهم بالشرك وطفق علي رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال النبي صلى الله عليه وسلم

وقطيعة

وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون
محاسننا فقيل اولكم محاسن قال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة
ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك الذين يدعون عمارة المسجد وما يضاهيها
من اعمال البر مع ما بهم من الكفر حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الكفر
فصارت هباء منثورا وفي النار هم خالدون لكفرهم ومعاصيهم وايراد الجملة الاسمية
للمبالغة في الدلالة على الخلود والظرف متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام به
ومراعاة الفاصلة وكلتا الجملتين مستأنفة لتقرير النفي السابق الاولى من جهة
نفي استتباع الثواب والثانية من جهة نفي استدفاع العذاب انما يعمر مساجد الله
الكلام في ايراد صيغة الجمع كما مر فيما سلف ان اريد جميع المساجد واندراج المسجد
الحرام في ذلك عند مخالفته لمقتضى الحال فان الايجاب ليس كالسلب وقد قرئ
بالافراد ايضا والمراد مما قصر تحقق العمارة ووجودها على المؤمنين لا قصر
جوازها ولياقتها اي انما يصح ويستقيم ان يعمرها عمارة يعتد بها من آمن بالله وحده
واليوم الآخر بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما نطق به الوحي واقام الصلاة
وآتى الزكاة على ما علم من الدين فيندرج فيه الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم
حتما وقيل هو مندرج تحت الايمان بالله تعالى خاصة فان اهل كلمة الشهادة
علم للكل اي انما يعمرها من جمع هذه الكمالات العلمية والعملية والمراد بالعمارة ما
مرة ما يعم مرمتها وكنسها وتنظيفها وتزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة
العبادة والذكر ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك وصيانتها عما لم تبن له كحديث
الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة
الحشيش وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان
زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم
زائره وعن النبي صلى الله عليه وسلم من الف المسجد الفه الله وقال صلى الله عليه
وسلم اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله
عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام
في ذلك المسجد ضوؤه ولم يخش في امور الدين الا الله فعمل بموجب امره ونهيه غير آخذ له في الله
لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحوه واما الخوف
الجبلي من الامور المخوفة فليس من هذا الباب ولا مما يدخل تحت التكليف والخطاب
وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك
المنعوتون بتلك النعوت الجميلة ان يكونوا من المهتدين الى مباغيهم من الجنة وما فيها
من فنون المطالب العالية وابراز اهتدائهم مع ما بهم من الصفات السنية في معرض
التوقع لقطع اطماع الكفرة عن الوصول الى مواقف الاهتداء والانتفاع باعمالهم التي

يحسبون انهم في ذلك محسنون ولتوبيخهم بتطهيرهم بانهم يعتدون وان المومنين مع ما هم فيه
من الكمالات اذا كان امرهم دايرا بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم هم واعمالهم اعمالهم
وفيه لطف للمومنين وترغيب لهم في ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء ورفض الاغترار
بالله تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام اي في الفضيلة وعلو الدرجة كمن آمن
بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالجثث
فلا بد من تقدير مضاف في احد الجانبين اي اجعلتم اهلهما كمن آمن بالله الخ • ويؤيده
قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام او اجعلتموهما كايمان من آمن بالله الخ وفيه
[illegible] فالخطاب للمشركين على طريقة الالتفات وهو المناسب لما [illegible] ذكر
الايمان لجانب الوصفية المشبه به • واما البعض المؤثرين للسقاية والعمارة ونحوهما
على الهجرة والجهاد ونظايرهما وهو المناسب للاستدراك وعليهم ببيان عدم
مساواتهم عند الله للفريق الثاني وبيان اعظمية درجتهم عند الله تعالى على وجه
يشعر بعدم حرمان الاولين بالكلية وحمل معنى التفضيل بالنسبة الى زعمهم •
الكفرة لا يجدي كثير نفع لانه ان لم يشعر بعدم الحرمان فلا يشعر بالحرمان ايضا •
اما على الاول فهو توبيخ للمشركين ومدار انكار [illegible] انفسهم من حيث اتصافهم
بالايمان والجهاد واما اعتبار مقارنتها له فلا يليق بالمقام كيف لا وقد بين
[illegible] اعمالهم بذلك الاعتبار المذكور بالمرة وانها بمنزلة العدم فتوبيخهم بعد •
ذلك بتشبيهها بالايمان والجهاد • يزيد ذلك بالتشهير بعد زجرهم عن امثال الفضيلة •
بالكلية كما ينبئ عنه النظم الكريم • ولو اعتبر ذلك لما احتيج الى تقرير
انكار التشبيه وتاكيده بنفي المساواة لان [illegible] تشبيه المعدوم بالموجود
فالمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة في الفضيلة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد
في سبيله او اجعلتموهما في ذلك كالايمان والجهاد وشتان ما بينهما فان السقاية
والعمارة وان كانتا في انفسهما من اعمال البر والخير لكنهما وان خلتا عن القوادح بمعزل
من صلاحية ان يشبه اهلها باهل الايمان والجهاد وذلك قوله عز وجل لا يستوون
عند الله اي لا يساوي الفريق الاول الثاني من حيث اتصاف كل منهما بوصفيهما ومن ضرورته
عدم التساوي بين الوصفين الاولين وبين الآخرين لانه المدار في التفاوت وبين
الموصوفين واسناد عدم الاستواء بين الوصفين الاولين لان الاهم بيان تفاوتهم
وتوجيه النفي هنا والانكار فيما سلف الى الاستواء والتشبيه مع ان دعوى المفتخرين
بالسقاية والعمارة من المشركين والمومنين انما هي الافضلية دون التساوي
والتشابه في المبالغة للرد عليهم فان نفي التساوي والتشابه نفي للافضلية بالطريق
الاولى والجملة استيناف لتقرير الانكار المذكور وتاكيده او حال من مفعول الجعل
والرابط هو الضمير كانه قيل اسويتم بينهم حال كونهم متفاوتين عند الله وقوله تعالى

والله لا يهدي القوم الظالمين حكم عليهم بانهم مع ظلمهم بالاشراك ومعاداة الرسول صلى
الله عليه وسلم ظالمون في هذه المفاخرة شبهتهم الى طريق معرفة الحق وتمييز الراجح من
المرجوح وظالمون بوضع كل منهما موضع الآخر وفيه زيادة تقرير لعدم التساوي بينهم
قوله تعالى الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم استيناف لبيان مراتب
فضلهم اثر بيان عدم الاستواء واضلال المشركين وظلمهم وزيادة الهجرة وتفصيل
نوعي الجهاد للايذان بان ذلك من لوازم الجهاد لا انه اعتبر بطريق التداخل اثر
الترتيب فيما سلف اي هم باعتبار اتصافهم بهذه الاوصاف الجليلة اعظم درجة عند الله
اي اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائنا من كان وان حاز جميع ما عداها
من الكمالات التي من جملتها السقاية والعمارة واولئك اي المنعوتون بتلك النعوت
الفاضلة وما في اسم الاشارة من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الدرجة
هم الفائزون المختصون بالفوز العظيم او بالفوز المطلق كان فوز من عداهم
ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم • واما على الثاني وهو توبيخ لمن يؤثر السقاية والعمارة
من المومنين على الهجرة والجهاد • روي ان عليا قال للعباس بعد اسلامه يا عم الا تهاجرون
الا تلحقون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت
الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال ما اراني الا تارك سقايتنا فقال صلى الله عليه
وسلم اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا • وروى النعمان ابن بشير قال كنت
عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان
اسقي الحاج • وقال آخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام • وقال
آخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا
اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليتم
استفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فدخل فانزل الله عز
وجل هذه الآية • والمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة من المومنين في الفضيلة
والرفعة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله او جعلتموهما كالايمان
والجهاد وانما لم يذكر الايمان في جانب المشبه مع كونه معتبرا فيه قطعا تعويلا على ظهور
الامر واشعارا بان مدار انكار التشبيه هو السقاية والعمارة دون الايمان
وانما لم يترك ذكره في جانب المشبه به ايضا تقوية للانكار وتذكيرا لاسباب
الرجحان ومبادي الافضلية وايذانا بكمال التلازم بين الايمان وما ذكر
ومعنى عدم الاستواء عند الله تعالى في هذا التقدير ظاهر • وكذا اعظمية درجة
الفريق الثاني • واما قوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين • فالمراد
به عدم هدايته تعالى لهم الى معرفة الراجح من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما
موضع الآخر لا عدم الهداية مطلقا ولا الظلم عموما اذ المقصود في هذا المقام تذكيرهم بما يليق

واولئك هم الفائزون بالنسبة الى درجة الفريق الثاني او الى الفريق المطلق ادعا
كامن فوالله تعالى اعلم يبشرهم وقرئ بالتخفيف ربهم برحمة عظيمة منه ورضوان كبير
وجنات عالية لهم فيها اي في تلك الجنات نعيم مقيم اي لا نفاد لها وفي التعرض لعنوان
الربوبية تاكيد للمبشر وتربية له خالدين فيها اي في الجنات ابدا تاكيد للخلود لزيادة
توضيح المراد به اذ قد يراد به المكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم لا قدر عنده لاجور
الدنيا اي للاعمال التي في مقابلته والجملة استئناف وقع تعليلا لما سبق يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نهي لكل فرد من افراد المخاطبين عن موالاة فرد من
المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد الى الآحاد كما في قوله
عز وجل وما للظالمين من انصار لا عن موالاة طائفة منهم فان ذلك مفهوم من النظم
دلالة لا عبارة والاية نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا
قطعنا آباءنا وابناءنا وعشيرتنا وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا
وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض
اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم في ذلك • وقيل
نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى عن موالاتهم • وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس
ويبغض في الله اقرب الناس اليه ان استحبوا الكفر على الايمان اي اختاروه واصروا
عليه اصرارا لا يرجى معه الاقلاع اصلا وتعليق النهي عن الموالاة بذلك لما انها قبل
ذلك ربما يؤدي بهم الى الاسلام بسبب شهودهم محاسن الدين ومن يتولهم اي واحدا
منهم كما ينبئ عنه • وافراد الضمير في الفعل لمراعاة لفظ من وللايذان ب
باستقلال كل واحد منهم في الاتصاف بالظلم لان المراد تولي فرد واحد وكلمة
من في قوله تعالى منكم للجنس لا للتبعيض فاولئك اي اولئك المتولون هم الظالمون
بوضعهم الموالاة في غير موضعها كأن ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم قل تلوين للخطاب
وامر له صلى الله عليه وسلم بان يثبت المؤمنين ويقوي عزائمهم على الانتهاء عما نهوا
عنه من موالاة الآباء والاخوان ويبين لهم فيه وفيمن يجري مجراهم من الابناء
والازواج ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا وزينتها على وجه التوبيخ والترهيب
ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم لم يذكر الابناء والازواج فيما سلف لان
موالاة الابناء والازواج غير معتادة بخلاف المحبة وعشيرتكم اي اقاربكم ماخوذ من
العشرة اي الصحبة وقيل من العشيرة فانهم جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة
وقرئ عشيراتكم وعشائركم واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها واتاها وصفت بذلك
ايماء الى عزتها عندهم لحصولها بكد اليمين وتجارة اي امتعة اشتريتموها للتجارة
والربح تخشون كسادها بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة في ايام الموسم

ومساكن

ومساكن ترضونها اي منازل تعجبكم الاقامة فيها من الدور والبساتين والتعرض
للصفات المذكورة للايذان بان اللوم على محبة ما ذكر من زينة الحياة الدنيا ليس
لتعاطي ما فيها من مبادي المحبة وموجبات الرغبة فيها وانها مع ما لها من فنون المحاسن
بمعزل عن ان يؤثر حبها على حبه تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم كما في قوله عز وجل
مما عزله في ربنا الكريم احب اليكم من الله ورسوله بالحب الاختياري المستتبع لاثره الذي
هو الملازمة وعدم المفارقة لا الحب الجبلي الذي لا يخلو عنه البشر فانه غير
داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة وجهاد في سبيله نظم حبه في سلك حب
الله عز وجل وحب رسوله صلى الله عليه وسلم تنويها لشانه وتنبيها على انه مما يجب
ان يحب فضلا عن ان يكره وايذانا بان محبته واجبة راجحة على محبتها فان المحبة
مبادئه من قتل اعدائها لاجل عدائهم فمن احبها يجب ان يحب قتال من لا يحبها
فتربصوا اي انتظروا حتى ياتي الله بامره قال ابن عباس رضي الله عنهما انه فتح مكة
وقيل هي عقوبة عاجلة او آجلة والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة
في موالاة المشركين او القوم الفاسقين كافة فيدخل في زمرتهم هؤلاء دخولا
اوليا اي لا يرشدهم الى ما هو خير لهم • وفي الاية الكريمة من الوعيد ما لا يتخلص
منه الا من تداركه لطف من ربه والله المستعان لقد نصركم الله الخطاب للمؤمنين
خاصة في مواطن كثيرة من الحروب وهي مواقعها ومقاماتها والمراد بها وقعات
بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة ويوم حنين عطف على محل في مواطن
بحذف المضاف في احدهما اي وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين
ولعل التغيير للايماء الى ما وقع فيه من قلة الثبات من اول الامر • وقيل المراد
بالموطن الوقت كمقتل الحسين رضي الله تعالى عنه • وقيل يوم حنين منصوب
بمضمر معطوف على نصركم اي ونصركم يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين ولا
منع فيه من عطفه على محل الظرف بناء على انه لم يكن في المعطوف عليه كثرة ولا اعجاب
لما ليس في قضية العطف مشاركة المعطوفين فيما اضيف اليه المعطوف او منصوب
باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا
عشرة الاف منهم ممن شهد فتح مكة من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء
وبين هوازن وثقيف وكانوا اربعة الاف فيمن ضامهم من امداد سائر العرب
وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة بن سلامة الانصاري
لن نغلب اليوم من قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم فالوا وقاتلوهم قتالا
شديدا فانهزم المشركون وخلوا الذراري فاكب المسلمون على الغنائم فتنادوا
الا يا حماة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وادركت المسلمين كلمة الاعجاب
فانكشفوا وذلك قوله عز وعلا فلم تغن عنكم شيئا والاغناء اعطاء ما يدفع به الحاجة

اي لم تعطكم تلك الكثرة ما كنتم تحتاجون به حاجتكم شيئا من الاغناء وضاقت عليكم الارض بما رحبت
اي برحبها وسعتها على ان ما مصدرية والباء بمعنى مع اي لا تجدون موضعا تطمئن اليه نفوسكم
من شدة الرعب ولا تثبتون فيه كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم مدبرين روي انه لما
مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ليس معه الا عمه العباس آخذ بلجام بغلته
وابن عمه ابو سفيان بن الحرث آخذ بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو يقول
انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب • وروي انه صلى الله عليه وسلم قال للبغلة البدي
فلبدت حتى كادت بطنها تمس الارض فيتقنعون عنده للذبيح عشر مرة • قال العباس كنت
اجول البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين وناسيا بين الواحاح فنادى صيحة في صلى الله
صلى الله عليه وسلم في الشجاعة وزيادة الناس سماها الغايات النابية وتالله لذلك لا
تكون منه بدا من عند الله العزيز الحكيم • فتحدة للذ قال يا رب ايتني ما وعدتني وقال
للعباس كنت صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة
يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله تعالى
ثم انزل الله سكينته على رسوله اي رحمته التي تسكن بها القلوب وتطمئن اليها اطمئنانا
كليا مستتبعا للنصر القريب • واما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له صلى
الله عليه وسلم قبل ذلك ايضا وعلى المؤمنين عطف على رسوله وتوسيط الجار تنبيها
على انه فيما بينهما من التفاوت اي المؤمنين الذين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع
النبي صلى الله عليه وسلم او على الكل وهو الانسب ولا حزن في تحقق امثال السكينة في الثابتين
والمترددين لوسعة الايمان للاشتداد وتغليبه للازدياد وانزل جنودا لم تروها اي بابصاركم
كما يرى بعضكم بعضا وهم الملائكة عليهم السلام راكبين على خيول بلق فنظر النبي صلى
الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس فاخذ كفا من التراب فرمى
به نحو المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلأت عيناه ترابا ورد
النبي صلى الله عليه وسلم انهزموا ورب الكعبة • واختلفوا في عدد الملائكة يومئذ
فقيل خمسة الاف • وقيل ثمانية الاف • وقيل ستة عشر الف وفي قتالهم ايضا فقيل
قاتلوا وقيل لم يقاتلوا الا يوم بدر وانما كانوا ينزلون لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء
الخواطر الحسنة وتأييدهم بذلك والقاء الرعب في قلوب المشركين • وقال سعيد
ابن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يومئذ قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم
فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت الوجوه
ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي
وذلك اي ما فعل بهم جزاء الكافرين لكفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد
ذلك على من يشاء ان يتوب عليهم لحكمة تقتضيه اي يوفقه للاسلام والله غفور يمحو
ما سلف منهم من الكفر والمعاصي رحيم يتفضل عليهم وينعم • روي ان ناسا منهم جاؤوا

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس
وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا • قيل سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ
من الابل والغنم ما لا يحصى • فقال صلى الله عليه وسلم ان عندي ما ترون ان خير
القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل
بالاحساب شيئا • فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا
خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت
نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه
مكانه فقالوا قد رضينا وسلمنا • فقال صلى الله عليه وسلم انا لا ندري لعل فيكم
من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعوا اليه انهم قد رضوا يا ايها
الذين امنوا انما المشركون نجس وصفوا بالمصدر مبالغة كانهم عين النجاسة او هم ذوو
نجس لخبث باطنهم او ان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس لانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون
ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم • عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب
والخنازير • وعن الحسن من صافح مشركا توضأ • واهل المذاهب على خلاف هذين القولين
وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد • كانه يقال انما
المشركون جنس نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام تفريع على نجاستهم وانما
نهي عن القرب للمبالغة او للمنع من دخول الحرم وهو مذهب عطاء • وقيل المراد به المنع
من الدخول مطلقا • وقيل المراد المنع من الحج والعمرة • وهو مذهب ابي حنيفة رحمه
الله • ويؤيده قوله عز وجل بعد عامهم هذا فان تقييد النهي بذلك يدل على اختصاص المنهي
عنه بوقت من اوقات العام اي لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من
الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم • ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين
نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك • ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام
وسائر المساجد عندنا • وعند الشافعي رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند
مالك رحمه الله يمنعون من جميع المساجد ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين
عن تمكينهم من ذلك • وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه
ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه
اليكم من الارفاق والمكاسب • وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال لاعائلة
فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه اخر فارسل الله تعالى السماء مدرارا
بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش
به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه
اليهم الناس من اقطار الارض ان شاء ان يغنيكم مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها ولما
فيه غاية بما لا تتطلع الامال الا الى الله تعالى ولان الاغنا ليس مطردا بحسب الافراد والاحوال
والاوقات ان الله عليم بمصالحكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله امر بقتال
اهل الكتابين اثر امره بقتال المشركين وبمنعهم من ان يحوموا حول ما كانوا يفعلونه

من الحج فالعبرة خبر حائل بين الفاقة المترتبة على انقطاعهم وبين تشمرهم في تضاعيف ذلك على نفي
الاغنا والموعود على الوجه الكلي وارشدهم الى سلوكه ابتغاء لفضله واستنجازا
لوعده والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للامر بالقتال وبانتظامهم
بسبب ذلك في سلك المشركين فان اليهود مثنية والنصارى مثلثة فهم بمعزل من ان
يؤمنوا بالله سبحانه **ولا باليوم الآخر** فان علمهم باحوال الآخرة كلا علم فايمانهم
المبني عليه ليس بايمان به **ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله** اي ما ثبت تحريمه بالوحي متلوا او غير
متلو وقيل المراد برسوله الرسول الذي يزعمون اتباعه اي يخالفون اصل دينهم
المنسوخ اعتقادا وعملا **ولا يدينون دين الحق** الثابت الذي هو ناسخ لسائر الاديان ومبطلها
الاسلام وقيل دين الله **من الذين اوتوا الكتاب** من التوراة والانجيل فمن بيانية لا تبعيضية
حتى يكون بعضهم على خلاف ما نعت **حتى يعطوا** اي يقبلوا ان يعطوا **الجزية** اي ما تقرر
عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اي قضاه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل
عن يد حال من الضمير في يعطوا اي عن يد مواتية مطيعة بمعنى منقادين او من يدهم بمعنى
مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك
لم تجب الجزية على الفقير العاجز او عن يد قاهرة عليهم اي بسبب يد اي عاجزين اذلا او عن
انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة عليهم او من الجزية اي نقدا مسلمة
عن يد الى يد … نسيئة لا الاعطاء بيد … **وهم صاغرون** اي اذلاء
… ان ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه
ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها … وتؤخذ عند ابي حنيفة رحمه الله من اهل الكتاب
مطلقا ومن مشركي العجم لا من مشركي العرب وعند ابي يوسف رحمه الله لا تؤخذ من العربي
كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان او مشركا وعند الشافعي رحمه الله تؤخذ
من اهل الكتاب عربيا او عجميا ولا تؤخذ من اهل الاوثان مطلقا وذهب مالك والاوزاعي
الى انها تؤخذ من جميع الكفار واما المجوس فقد اتفقت الصحابة على اخذ الجزية منهم لقوله
صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب وروي عن علي رضي الله عنه انه
كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسري على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا
على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم لقوله صلى الله عليه وسلم في آخر ما نقلنا من الحديث غير ناكحي
نسائهم ولا آكلي ذبائحهم وفي الاخذ عند ابي حنيفة رحمه الله اول السنة وتسقط بالموت
والاسلام ومقدارها على الفقير المعتمل اثنا عشر درهما وعلى المتوسط الحال اربعة وعشرون
درهما وعلى الغني ثمانية واربعون درهما ولا جزية على فقير عاجز عن الكسب ولا على شيخ فان
او زمن او صبي او امراة وعند الشافعي رحمه الله تؤخذ في آخر السنة من كل واحد
دينار غنيا كان او فقيرا كان له كسب او لم يكن **وقالت اليهود** جملة مبتداة سيقت لتقرير
ما مر من عدم ايمان اهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك في سلك المشركين **عزير ابن
الله** مبتدأ وخبر وهو اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزير … للعجمة والتعريف
واما تنوينه بالتقاء الساكنين او جعل الابن وصفا على ان الخبر محذوف فتعسف مستغنى

عنه

عنه وذلك … سابهم … الله تعالى … بان كل اليهود
وقيل هو قول بعض من كان بالمدينة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه جاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم ناس منهم وهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك
ابن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير
ونحن اغنياء وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام
فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه
جبريل عليه السلام فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها
عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام الا انه ابنه
وقال الامام الكلبي لما قتل بخت نصر علماءهم جميعا وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره
ولم يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة
بعث الله تعالى عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية بعدما اماته مائة عام يقال انه اتاه
ملك باناء فيه ماء فسقاه فمثلت في صدره فلما اتاهم فقال لهم انا عزير فكذبوه وقالوا ان
كنت كما تزعم فاملل علينا التوراة فكتبها فقالوا ان الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل
الا انه ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود اضاعوا
التوراة وعملوا بغير الحق فانساهم الله تعالى التوراة ونسخها من صدورهم ورفع التابوت
فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التوراة الى قلبه فانذر قومه به ثم
ان التابوت نزل فعرضوا ما تلاه عزير على ما فيه فوجدوه مثله فقالوا ما قالوا **وقالت
النصارى المسيح ابن الله** هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بغير
اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها
ذلك اشارة الى ما صدر عنهم من العظيمتين وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد
درجة المشار اليه في الشناعة والفظاعة **قولهم بافواههم** اما لتاكيد نسبة القول
المذكور اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الموجود
في الافواه من غير ان يكون له مصداق في الخارج **يضاهئون** اي في الكفر والشناعة وقرئ
بغير همز **قول الذين كفروا** اي يشابه قولهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
… **من قبل** اي من قبلهم وهم المشركون الذين
يقولون الملائكة بنات الله او اللات والعزى بنات الله لا قدماؤهم كما قيل اذ لا تعدد
في الكفر حتى يتأتى التشبيه وجعله بين قولي الفريقين مع اتحاد المقول ليس فيه مزيد
مزية وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله
لانهم اقدم منهم وهو ايضا كما ترى فانه يستدعي اختصاص الرد والابطال بقوله تعالى
ذلك قولهم بافواههم بقول النصارى **قاتلهم الله** دعاء عليهم جميعا بالاهلاك فان من
قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم **انى يؤفكون** كيف يصرفون من الحق الى الباطل
والحال انه لا سبيل اليه اصلا **اتخذوا** زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى **احبارهم**
وهم علماء اليهود واختلف في واحده قال الاصمعي رحمه الله لا ادري …

وقال ابو الهيثم بالفتح لا غير. وكان الليث بن المظفر يقول الحبر العالم ذميا كان او
مسلما بعد ان يكون من اهل الكتاب ورهبانهم وهم علماء النصارى من اصحاب الصوامع
اي اتخذ كل واحد من الفريقين علماءهم لا الكل اربابا من دون الله اي بان اطاعوهم
في تحريم ما احله الله تعالى وتحليل ما حرمه او بالسجود لهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان
عبادة له في قوله تعالى يا ابت لا تعبد الشيطان. وقوله تعالى بل كانوا يعبدون الجن
قال عدي بن حاتم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب وكان
اذ ذاك على دين يسمى الركوسية فريق من النصارى وهو يقرأ سورة براءة فقال يا عدي
اطرح هذا الوثن فطرحته فلما انتهى الى قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم. فقال صلى الله عليه وسلم اليس
يحرمون ما احل الله فيحرمونه ويحلون ما حرم الله فيحلونه فقلت بلى قال ذلك عبادتهم. وقال
الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل قال ربما وجدوا
في كتاب الله تعالى ما يخالف اقوال الاحبار فكانوا ياخذون باقوالهم ويتركون حكم
كتاب الله. والمسيح ابن مريم عطف على رهبانهم اي اتخذه النصارى ربا معبودا بعد
ما قالوا انه ابنه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وتخصيص الاتخاذ به يشير الى ان اليهود ما فعلوا
ذلك بعزير وتأخيره في الذكر مع ان اتخاذهم له عليه الصلاة والسلام ربا معبودا
اقوى من مجرد الاطاعة في امر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الاحبار والرهبان
اربابا لانه مختص بالنصارى ونسبته عليه الصلاة والسلام الى امه من حيث انه
على مرتبته المنافية للربوبية للايذان بكمال ركاكة رايهم والقضاء عليهم بنهاية
الجهل والحماقة. وما امروا اي والحال ان اولئك الكفرة ما امروا في كتابهم الا ليعبدوا
الها واحدا عظيم الشان هو الله سبحانه وتعالى ويطيعوا امره ولا يطيعوا امر غيره
بخلافه فان ذلك مخل بعبادته تعالى فان جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة
وقد قال المسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة. واما اطاعة
الرسول صلى الله عليه وسلم وسائر من امر الله تعالى بطاعته فهي في الحقيقة اطاعة لله
عز وجل وما امر الذين اتخذهم الكفرة اربابا وهم مأمورون مستعبدون
ولا يقدح في ذلك كون ربوبية الاحبار والرهبان بطريق الاطاعة فان تخصيص
العبادة به تعالى لا يتحقق الا بتخصيص الطاعة ايضا به تعالى وحيث لم يخصوا
به تعالى لم يخصوا العبادة به تعالى لا اله الا هو صفة ثانية لالها او استئناف مقرر
للتوحيد. سبحانه عما يشركون عن الاشراك به في العبادة والطاعة. يريدون ان
يطفئوا نور الله اطفاء النار عبارة عن لهبها الموجب لزوال نورها لا لازالة الحرارة
كان الغرض من المنار لا يراد بها الا النور كالمصباح لزوال نورها حجة اطفائها
عبارة عنها ثم شاع ذلك [illegible] عبارة عن مطلق ازالة النور وان كان لغير النار
والسر في ذلك اعتبار [illegible] الازالة في نورها والمراد بنور الله سبحانه حجته
النيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والاولاد والشرائع التي من

جملتها

جملتها ما خالف النوع من امر الحل والحرمة بافواههم باقاويلهم الباطلة الخارجة منها من غير
ان يكون لها مصداق تنطبق عليه او اصل تستند اليه حسبما حكي عنهم. وقيل
المراد به نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اذ لم يتقدم ذكرها فيما سلف حالهم فيما ذكر حال
من يريد طمس نور عظيم منبث في الآفاق ويأبى الله اي لا يريد الا ان يتم نوره باعلاء
كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام والاباح الاستثناء المفرغ من الموجب
لكونه بمعنى النفي لما اشير اليه لوقوعه في مقابلة قوله تعالى يريدون وفيه
من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الارادة اي لا يريد
شيئا من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج في المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلا
عن الاطفاء اظهارا للنور في مقام الاضمار مضافا الى ضميره عز وجل زيادة اعتناء
بشانه وتشريف له على تشريف واشعار بعلة الحكم ولو كره الكافرون جواب لو
محذوف معناه فالى ضميره عز وجل لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة
قبلها مقدرة حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة
واضحة لان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى. وعلى هذه النكتة
يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد وقد مر زيادة تحقيق لهذا المقام
هو الذي ارسل رسوله ملتبسا بالهدى اي القرآن الذي هو هدى للمتقين ودين الحق
الثابت وهو دين الحق ليظهره اي رسوله على الدين كله اي على اهل الاديان كلهم
او لنظهر الدين الحق على سائر الاديان بنسخها او بما حسبما تقتضيه الحكمة والجملة
بيان وتقرير لمضمون الجملة السابقة. والكلام في قوله عز وعلا ولو كره المشركون
كما فيما سبق خلا انه وصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على انهم ضموا
الكفر بالرسول الى الكفر بالله يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان احوال الاحبار والرهبان
في اغوائهم لاراذل العوام اثر بيان سوء حال الاتباع في اتخاذهم لهم اربابا يطيعونهم في الاوامر
والنواهي واتباعهم لهم فيما ياتون وما يذرون ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون
اموال الناس بالباطل ياخذونها بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرائع والتخفيف
والمسامحة فيها وانما عبر عن ذلك بالاكل بناء على انه معظم الغرض منه وتقبيحا لحالهم
وتنفيرا للسامعين عنهم ويصدون الناس عن سبيل الله عن دين الاسلام او عن الملة المقررة
في التوراة والانجيل الى ما افتروه وحرفوه باخذ الرشى او يصدون عنه بانفسهم
باكلهم الاموال بالباطل والذين يكنزون الذهب والفضة اي يجمعونها ويحفظونها سواء كان
ذلك بالدفن او بوجه آخر والموصول عبارة اما عن الكثير من الاحبار والرهبان
فيكون مبالغة في الوصف بالحرص والضن بهما جميعا بعد وصفهم بما سبق من اخذ
الرشى والبراطيل من الاباطيل. واما عن المسلمين الكانزين غير المنفقين وهو الانسب
بقوله عز وعلا ولا ينفقونها في سبيل الله فيكون نظمهم في قرن المرتشين من اهل الكتاب
تغليظا ودلالة على كونهم اسوة لهم في استحقاق البشارة في العذاب الاليم والمراد
بالانفاق في سبيل الله الزكاة. لما روي انه لما نزل كبر ذلك على المسلمين فذكر عمر

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم
وقوله صلى الله عليه وسلم ما ادي زكاته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد
عليه مع عدم الانفاق فيما امر الله تعالى بالانفاق فيه ۰ واما قوله صلى الله عليه وسلم
من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله صلى الله عليه وسلم
ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح
من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ۰ فبشرهم بعذاب اليم خبر للموصول والفاء لتضمنه
معنى الشرط ويجوز ان يكون الموصول منصوبا بفعل يفسره فبشرهم يوم منصوب بعذاب
اليم او بمضمر يدل عليه ذلك اي يعذبون او باذكر يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد
النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار
واسند الفعل الى الجار تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة التذكير
كما تقول رفعت القصة الى الامير فان طرحت القصة رفع الى الامير وانما قيل عليها والمذكور
شيآن لان المراد بها دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه اربعة آلاف وما
دونها نفقة وما فوقها كنز ۰ وكذا الكلام في قوله تعالى ولا ينفقونها ۰ وقيل الضمير
للاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها
لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب كذلك بالطريق الاولى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان
جمعهم لها وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية
او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة
فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول
الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنباه ۰ هذا ما كنزتم لانفسكم على ارادة
القول فذوقوا لمنفعتها فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها ما كنتم تكنزون
اي وبال كنزكم او ما تكنزونه ۰ وقرئ بضم النون ان عدة الشهور اي عددها عند الله
اي في حكمه وهو معمول لها لانها مصدر اثنا عشر خبر لان شهرا تمييز مؤكد كما في قولك عندي
من المال عشرون دينارا والمراد الشهور القمرية اذ عليها يدور فلك الاحكام الشرعية
في كتاب الله في اللوح المحفوظ او فيما اثبته واوجبه وهو صفة اثنا عشر اي اثنا عشر شهرا
مثبتا في كتاب الله ۰ وقوله عز وعلا يوم خلق السموات والارض متعلق بما في الجار والمجرور
من معنى الاستقرار او بالكتاب على انه مصدر والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر
منذ خلق الله تعالى الاجرام والحركات والازمنة منها اي من تلك الشهور الاثني عشر ۰
اربعة حرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ۰ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض
السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب
مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه من الحل والحرمة
وعاد الحج الى ذي الحجة بعد ما كانوا ازالوه عن محله بالنسيء الذي احدثوه في الجاهلية وقد
وافقت حجة الوداع ذي الحجة وكانت حجة ابي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة

ذلك

ذلك اي تحريم الاشهر الاربعة المعينة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد لتفخيم المشار
اليه الدين القيم المستقيم دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وكانت العرب قد
تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى انه لو لقي رجل
قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثوا النسيء فغيروا
فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن والجمهور على ان حرمة
القتال فيهن منسوخة وان الظلم ارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها
في الحرم ۰ وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا
وما نسخت ۰ ويؤيد الاول انه حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة
وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة اي جميعا وهو مصدر كف فان
الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين اي معكم بالنصر
والامداد فيما تباشرونه من القتال وانما وضع المظهر موضع المضمر مدحا لهم بالتقوى
وحثا للقاصرين عليه وايذانا بانه المدار في النصرة ۰ وقيل هي بشارة وضمان
لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء هو مصدر نسأه اذا اخره نسأ ونساء
ونسيئا كمسا ومساسا ومسيسا ۰ وقرئ بهن جميعا ۰ وقرئ بقلب الهمزة ياء وتشديد
الياء الاولى فيها وكانوا اذا جاءهم شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا
اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وربما زادوا في عدد الشهور
بان يجعلوها ثلاثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا اربعة اشهر من السنة
حرما ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة اي انما تاخير حرمة شهر الى شهر
اخر زيادة في الكفر لانه تحليل ما حرمه الله وتحريم ما حلله الله فهو كفر اخر منضم
الى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا زائدا على ضلالهم القديم ۰ وقرئ على البناء للفاعل
من الافعال على ان الفاعل هو الله سبحانه اي يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمباديه
واسبابه وهو المعنى على القراءة الاولى ايضا ۰ وقيل المضلون جميعا رؤساؤهم
والموصول عبارة عن اتباعهم ۰ وقرئ يضل بفتح الياء والضاد من ضلل يضلل بنون
العظمة يحلونه اي النسيء المؤخر عاما من الاعوام ويحرمون مكانه شهرا اخر مما ليس بحرام
ويحرمونه اي يحافظون على حرمته كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار اخلالهم
به في العام الماضي او لاسناده له الى انفسهم كما ينبئ عنه عاما اخر اذ التقييد بتغييره
عن وصفه الاصلي ۰ قال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة
وكان اذا هم الناس بالصدور من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت وانا
الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسالونه ان ينسئهم شهرا يغيرون
فيه فيقول ان صفرا العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة
وان قال حلال عقدوا ۰ وقيل هو جنادة بن عوف الكناني وكان مطاعا في الجاهلية
كان يقوم على جمل في الموسم فينادي باعلى صوته ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه
ثم يقوم في العام القابل فيقول ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه ۰ وقيل هو

رجل من كنانة يقال له القلمس قال فأيلم • ومنا ناسي الشهر القلمس • وعن
ابن عباس رضي الله عنهما أول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف • والجملتان تفسير
للضلال أو حال من الموصول والعامل ضل ليواطئوا أي ليوافقوا عدة ما حرم الله
من الأشهر الأربعة واللام متعلقة بالفعل الثاني أو بما دل عليه مجموع الفعلين
فيحلوا ما حرم الله بخصوصه من الأشهر المعينة زين لهم سوء أعمالهم وقرئ على
البناء للفاعل والفاعل الله سبحانه • والمعنى جعل أعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس وقيل
خذلهم حتى حسبوا قبيح أعمالهم حسنا فاستمروا على ذلك والله لا يهدي القوم الكافرين
بهداية موصلة إلى المطلوب وإنما يوصلها إلى من يهديهم إلى ما فيه صلاحه بحسب
سلوكه وهم ليسوا كذلك وإنما هم بسوء اختيارهم فما هم في تيه الضلال يا أيها الذين
آمنوا رجوع إلى حث المؤمنين وتحذيرهم عن أسباب غلقها للكفرة إثر بيان طرف من قبائحهم
الموجبة لذلك ما لكم استفهام فيه معنى الإنكار والتوبيخ إذا قيل لكم انفروا
في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وأصله تثاقلتم وقد قرئ كذلك أي أي
شيء حصل لكم أو حاصل لكم أو ما تصنعون حين قال لكم النبي صلى الله عليه وسلم انفروا
أي اخرجوا إلى الغزو في سبيل الله متثاقلين على أن الستر ماض لفظا مضارع
معنى كأنه قيل تتثاقلون فالعامل في الظرف الاستقرار المقدر في لكم أو
معنى الفعل المدلول عليه بما لكم • ويجوز أن يعمل فيه الحال أي ما لكم متثاقلين
حين قيل لكم انفروا • وقرئ أثاقلتم على الاستفهام الإنكاري التوبيخي فالعامل
في الظرف حينئذ ما دل عليه إلى الأرض متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى الميل
والإخلاد أي اثاقلتم مائلين إلى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل وكرهتم
مشاق الغزو ومتاعبه المستتبعة للراحة الخالدة كقوله تعالى أخلد إلى الأرض
واتبع هواه أو إلى الإقامة بأرضكم ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك
في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ وقد
أدركت ثمار المدينة وطابت ظلالها مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك
وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا ورى بغيرها إلا
في غزوة تبوك فإنه صلى الله عليه وسلم بين لهم المقصد فيها ليستعدوا لها أرضيتم
بالحياة الدنيا وغرورها من الآخرة أي بدل الآخرة ونعيمها الدائم فما متاع
الحياة الدنيا [illegible] أي فما التمتع بها
في الآخرة أي في جنب الآخرة إلا قليل أي مستحقر لا يؤبه له في جنب الحياة الباقية
بأن يؤثر انبساطها وينبسط على الرغبة فيها ويجذب الآخرة عن مثل ذلك مبالغة
في بيان حقارة الدنيا ودناءتها وعظم شأن الآخرة وعلوها إلا تنفروا أي إلا
تنفروا إلى ما استنفركم إليه يعذبكم أي الله عز وجل عذابا أليما أي يهلككم
بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل بكم بعد إهلاككم قوما غيركم
وصفهم بالمغايرة لهم لتأكيد الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة

الوصفية

الوصفية والذاتية المستلزمة للاستبدال أي قوما مطيعين مؤثرين للآخرة على الدنيا
أبناء أولادكم ولا من أرحامكم كأهل اليمن وأبناء فارس وفيه من الدلالة على شدة
السخط ما لا يخفى ولا تضروه شيئا أي لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه أصلا فإنه
الغني عن كل شيء في كل شيء • وقيل الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل
وعده بالعصمة والنصرة وكان وعده مفعولا لا محالة والله على كل شيء قدير فيقدر
على إهلاككم والإتيان بقوم آخرين إلا تنصروه فقد نصره الله أي إن لم تنصروه فسينصره
الله الذي قد نصره في وقت العسرة حين لم يكن معه إلا رجل واحد فحذف الجزاء وأقيم سببه مقامه
أو إن لم تنصروه فقد أوجب له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله
في غيره إذ أخرجه الذين كفروا أي تسببوا لخروجه حيث أذن له صلى الله عليه وسلم
في ذلك حين هموا بإخراجه ثاني اثنين حال من ضميره صلى الله عليه وسلم وقرئ
بسكون الياء على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الإعراب أي أحد اثنين
من غير اعتبار كونه صلى الله عليه وسلم ثانيا فإن معنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع أربعة
ونحو ذلك أحد هذه الأعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة • ولذلك منع الجمهور
أن ينصب بعده بأن يقال ثالث ثلاثة ورابع أربعة • وقد مر في قوله تعالى لقد
كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة من سورة المائدة وعليه الشاهد ثانيهما
لنفي العدد بين أثناءه ووحدته في الغار أو لا لكونه وتسوية البساط كما ذكر في الأخبار
محل مستغنى عنه إذ هما في الغار بدل من إذ أخرجه بدل البعض إذ المراد به زمان
متسع والغار ثقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا
إذ يقول بدل ثان أو ظرف لثاني لصاحبه أي الصديق لا تحزن إن الله معنا بالعون
والعصمة والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا يحوم حول صاحبها شيء من الحزن
وما هو المنهي عنه اختصاصا مع المتبوع فالمراد ما فيه من المتبوعية مع المتبوعية
في الاشتراك المباشر • روي أن المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق أبو بكر رضي الله
عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن تصب اليوم ذهب دين الله تعالى فقال صلى
الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما • وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين
فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه • وقال صلى الله عليه وسلم اللهم أعم
أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار لا يفطنون له قد أخذ الله تعالى بأبصارهم
عنه وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رضي الله عنه وسابقة صحبته ما لا يخفى
ومن ذلك قالوا من أنكر صحبة أبي بكر رضي الله عنه فقد كفر لإنكاره كلام الله سبحانه
وتعالى فأنزل الله سكينته أمنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي صلى
الله عليه وسلم والمراد بها ما لا يحوم حوله شائبة الخوف أصلا أو على صاحبه إذ هو
المنزعج • وأما النبي صلى الله عليه وسلم فكان على طمأنينة من أمره وأيده بجنود لم تروها
عطف على نصره الله والجنود هم الملائكة النازلون يوم بدر والأحزاب وحنين
وقيل هم الملائكة أنزلهم ليحرسوه في الغار ويأباه وصفهم بعدم رؤية المخاطبين

المرئي له عز وعلا وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر فان ذلك الجعل
لا يتحقق بمجرد الانجاء بل بالقتل والاسر ونحو ذلك وكلمة الله مصدرها اي التوحيد او دعوة
الاسلام هي العليا لا يدانيها شيء وتغيير الاسلوب للدلالة على انها في نفسها كذلك لا يتبدل
شانها ولا يتغير حالها دون غيرها من الكلم ولذلك وسط ضمير الفصل وقرئ
بالنصب عطفا على كلمة الذين والله عزيز لا يغالب حكيم في حكمه وتدبيره
انفروا تجريد للامر بالنفور بعد التوبيخ على تركه والانكار على المساهلة فيه
وقوله تعالى خفافا وثقالا حالان من ضمير المخاطبين اي على اي حال كان من يسر
او عسر حاصلين باي سبب كان من الصحة والمرض او الغنى والفقر وقلة العيال
وكثرتهم او غير ذلك مما ينتظم مساعدة الاسباب وعدمها بعد الامكان والقدرة
في الجملة وما ذكر من تفسير مما من قوله خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا
من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا
او صحاحا ومراضا ليس لتخصيص الامرين المتقابلين بالارادة من غير مقارنة
للباقي • وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم نعم حتى نزل
ليس على الاعمى حرج • عن ابن عباس رضي الله عنهما نسخت بقوله عز وجل ليس على الضعفاء
ولا على المرضى الاية وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ايجاب للجهاد بهما ان امكن
او باحدهما عند امكانه واحواله الاخرى ان من ساعده النفس والمال يجاهد
بهما ومن ساعده المال دون النفس يغزي مكانه من حاله على عكس حاله الى
ذهب كثير من العلماء • وقيل هو ايجاب للقسم الاول فقط ذلكم اي ما ذكر
من النفير والجهاد • وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد
منزلته في الشرف خير لكم اي خير عظيم في نفسه او خير مما تبتغونه من
الراحة والدعة وسعة العيش والتمتع بالاموال والاولاد ان كنتم تعلمون
اي تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ لا احتمال لغير
الصدق في اخبار الله تعالى فبادروا اليه لو كان صرف للخطاب عنهم
وتوجيه له الى الرسول صلى الله عليه وسلم تعديدا لما صدر عنهم من الهنات
قولا وفعلا على طريقة المباثة وبيانا لدناءة هممهم وسائر رذائلهم اي لو كان
ما دعوا اليه عرضا قريبا العرض ما عرض لك من منافع الدنيا والاخرة اي
كان ذلك غنما سهل المأخذ قريب المنال وسفرا قاصدا اي متوسطا بين القريب
والبعيد لاتبعوك في النفير طمعا في الفوز بالغنيمة وتعليق الاتباع بكلا الامرين
يدل على عدم تحققه عند توسط السفر فقط ولكن بعدت عليهم الشقة اي المسافة
الشاقة التي تقطع بمشقة • وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون اي
المتخلفون عن الغزو وقوله تعالى بالله اما متعلق بسيحلفون او هو من كلامهم
والقول مراد على الوجهين اي سيحلفون بالله اعتذارا عند قفولك قائلين لو
استطعنا او سيحلفون قائلين بالله لو استطعنا الخ اي لو كان لنا استطاعة

من

من جهة العتاد او من جهة الصحة او منهما جميعا حسبما عن لهم من النفاق والكذب والتعلل
وعلى التقديرين قوله تعالى لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط جميعا
اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلان قولهم لو استطعنا في قوة بالله لو استطعنا
وبضم الواو تشبيها لها بواو الجمع كما في قوله عز وجل فتمنوا الموت يهلكون انفسهم بدل
من سيحلفون لان الحلف الكاذب اهلاك للنفس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع او حال من فاعله اي مهلكين لانفسهم او من فاعل لخرجنا
جيء به على طريقة الاخبار عنهم كانه قيل نهلك انفسنا اي لخرجنا معكم مهلكين
انفسنا كما في قولك حلف ليفعلن مكان لافعلن والله يعلم انهم لكاذبون اي في مضمون
الشرطية وفيما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا
عفا الله عنك صريح في انه سبحانه وتعالى قد عفا عنه صلى الله عليه وسلم ما وقع منه عنهم
استئذان المتخلفين في التخلف معتذرين بعدم الاستطاعة اذنه اعتمادا على ايمانهم ومو
خلوهما من المراحم في ترك الاولى او الافضل الذي هو الثاني والتوقف الى انجلاء الامر وانكشاف
الحال لقوله عز وعلا لم اذنت لهم اي لاي سبب اذنت لهم في التخلف حين اعتلوا بعللهم سالك
لما اشير اليه بالعفو من ترك الاولى اشارة الى انه ينبغي ان يكون امره عليه السلام منوطا باسباب
قوية موجبة لها او مصححة وما ابرزوه في معرض التعلل والاعتذار مسوغا للاذن بان كان بعذر
من كونه سببا للاذن قبل صدقه وكلتا اللامين متعلقة بالاذن لاختلافهما في المعنى
فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ والضمير المجرور في الموضعين للمستاذنين • وتوجيه الانكار
الى الاذن باعتبار شموله للكل لا باعتبار تعلقه بكل فرد فرد لتحقق عدم استطاعة بعضهم
كما ينبئ عنه قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا اي فيما اخبروا به عند الاعتذار من عدم الاستطاعة
من جهة المال او من جهة البدن او من جهتهما حسبما عن لهم هناك وتعلم الكاذبين [illegible]
ونموني ذلك فتعامل كلا من الفريقين بما ان لك الاولى والافضل وتخصيصه عليه السلام
بان لك لا حتى سواء كانت بمعنى اللام او بمعنى الى ولا يمكن تعلقها بقوله تعالى لم اذنت لهم
لاستلزامه ان يكون اذنه عليه السلام لهم معللا او مغيا بالتبيين والعلم ويكون توجه
الاستفهام اليه من تلك الحيثية وذلك بين الفساد باين لعلية ذلك
كانه قيل لم سارعت الى الاذن لهم وهلا تأنيت حتى ينجلي الامر كما هو قضية الحزم • كما قالت
وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه
الفداء من الاسارى فعاتبه الله كما تسمعون • وتغيير الاسلوب بان عبر عن الفريق الاول بالموصول الذي
صلته فعل دال على الحدوث وعن الفريق الثاني باسم الفاعل المفيد للدوام للايذان بان ما
ظهر من الاولين صدق حادث في امر خاص غير مصحح لنظمهم في سلك الصادقين فان ما
من الاخرين وان كان كذبا حادثا متعلقا بامر خاص لكنه امر جار على عادتهم المستمرة
عن رسوخهم في الكذب والتعبير عن ظهور الصدق بالتبين وعما يتعلق بالكذب بالعلم
لما هو المشهور من ان مدلول الخبر هو الصدق والكذب احتمال عقلي فظهور صدقه
المخبر بتحقق مدلوله والانقطاع احتمال نقيضه بعدما كان محتملا له احتمالا عقليا واما

كتب به فامن حادث لا دلالة للجزء عليه في الجملة حتى يكون ظهوره بتبيين الدليل سوى ما ينتقض بدليله
فما يتعلق به يكون على اسلوبنا هذا اشارة الى ضميره صلى الله عليه وسلم لا الى المطلوبين
ان المقصود منها علمه صلى الله عليه وسلم وهو احق بهم بوجه بخلاف الاول لعدم احتياجه
عليهم ومن لم يتبينه لمن اذا لم حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه واسناد التبيين الى
الاولين وتعليق العلم بالاخرين مع ان مدار الاسناد والتعلق اولا بالذات هو وصف الصدق
والكذب كما اشير اليه لما ان المقصد هو العلم بكلا الفريقين باعتبار اتصافهما بوصفيهما
المذكورين ومعاملتهما حسب استحقاقهما لا العلم بوصفيهما بذاتيهما او باعتبار قيامهما
بموصوفيهما مطلقا وفي تصدير فاتحة الخطاب ببشارة العفو دون ما يوهم العقاب من مراعاة
جانبه عليه السلام وتعهده بحسن المفاوضة ولطف المراجعة ما لا يخفى على اولي الالباب وقال
سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو ولقد اخطأ واساء الادب وبئس ما فعل
وقال وكذب من زعم ان الكلام كناية عن الجناية وان معناه اخطأت وبئس ما فعلت فيا له
كناية البس ابدا ما على المصرح بالجناية للتلطيف في الخطاب وان التخفيف في العتاب وسببه
مستلزم للخطاب فهذا هو مستلزم لكونه من التبح واستتباع الملائمة حيث تعين المرتبة
من المنافية بالسواء وينبغي ان الاستفتاح بكلمة بين ما المنبئة عن بلوغ البحار الى مرتبة
سحب منها ولا يخفى انه لم يكن في خروجهم مصلحة للدين او منفعة للمسلمين بل كان فيه فساد
وخبال حسبما نطق به قوله تعالى لو خرجوا الى اخره وقد كره سبحانه كما ينطق عنه قوله تعالى
ولكن كره الله انبعاثهم الاية نعم كان الاولى تأخير الاذن حتى يظهر كذبهم اتوه في اثره ويفتضحوا
على رؤوس الاشهاد ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش على الامن والدعة ولا يتسنى لهم الابتهاج
فيما بينهم بانهم غروه صلى الله عليه وسلم واروجوا بالاكاذيب على انه لم يهنأ لهم عيش مذ
من ان ظهر عين اذ لم يكونوا على امر من اطمئنان بل كانوا على خوف من ظهور امرهم وقد كان لا يستأذنك
الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر تنبيه على انه كان ينبغي انه يستدل باستئذانهم على حالهم ولا يؤذن
لهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم والخلص
منهم يبادرون اليه من غير توقف على الاذن فضلا عن الاستئذان في التخلف وحيث استأذنك
هؤلاء في التخلف كان ذلك مئنة للنفاق في امرهم دليلا على نفاقهم • وقيل المستأذن فيه
محذوف ومعنى قوله تعالى ان يجاهدوا كراهة ان يجاهدوا او ان المحذوف هو التخلف والمعنى
لا يستأذنك المؤمنون في التخلف كراهة الجهاد فيتوجه النفي الى القيد ويبقى الاستئذان من
وسعى وان كان في نفسه امرا خفيا لا يوقف عليه بادي الامر لكن غالب احوالهم لا ينفك
منبئة عن ذلك جعل امرا ظاهرا مقررا وقيل ان يجاهدوا اي لا يستأذنك المؤمنون في الجهاد
كراهة ان يجاهدوا او اساس الاستئذان في الجهاد ربما يكون لكراهته ولا يخفى ان الاستئذان
في الشيء لكراهته مما لا يتبع بل لا يعقل • ولو سلم وقوعه رد الاستئذان لعلة الرغبة ونحوه
فما الفئة نفي من المؤمنين بحيث ان يثبت للمنافقين • وظاهر انهم لم يستأذنوا في الجهاد لكراهة
له بل انما استأذنوا في التخلف والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين ووعد
لهم باجزل الثواب وتقرير لمضمون ما سبق كأنه قيل والله عليم بانهم كذلك واشعار

بان

بان ما صدر عنهم معلل بالتقوى انما يستأذنك اي في التخلف مطلقا على الاول او كراهة الجهاد
على الثاني الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر تخصيص الايمان بهما في الموضعين للايذان بان الباعث
على الجهاد والداعي الى الجهاد في المال انما هو الايمان بهما اذ به يتسنى للمؤمنين استيثار الحياة الابدية
والنعيم المقيم الخالد على الحياة الفانية والمتاع الخاسر وارتابت قلوبهم عطف على الصلة وايثار
صيغة الماضي للدلالة على تحقق الريب وتقرره فهم في ريبهم اي شكهم المستقر
في قلوبهم يترددون اي يتحيرون فان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات ديدن المستبصر
والمتيقن بيقين ما لا يخفى حسن موقعه ولو ارادوا الخروج لما ان بعضهم قالوا عند الاعتذار كنا
نريد الخروج لكن لم نتهيأ له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا الاستعداد تكذيبا لهم
لو ارادوه لأعدوا له اي للخروج في وقته عدة اي اهبة من الزاد والراحلة والسلاح
وغير ذلك مما لا بد منه للسفر • وقد قرئ عدة بحذف التاء والاضافة الى ضمير الخروج كما في قول
بالعين من قال • واخلفوك عد الامر الذي وعدوا • اي عدته وقرئ بكسر العين
وعدة بالاضافة ولكن كره الله انبعاثهم اي نهوضهم للخروج قيل هو استدراك عما يفهم من مقدم
الشرطية فان انتفاء ارادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم وكراهة الله انبعاثهم يستلزم تثبطهم
عن الخروج • فكانه قيل فما خرجوا ولكن تثبطوا لان الايمان في الجميع ليمنع الوقوع بين طرفي لكن
حتى الاختلاف نفيا واثباتا في اللفظ كقولك ما احسن الي زيد ولكن اساء والاولى ان يكون
استدراكا من نفس المقدم على نهج ما في الاقيسة الاستثنائية والمعنى لو ارادوا الخروج لأعدوا
له عدة ولكن ما ارادوه لما انه تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد التي ستبين فثبطهم اي حبسهم
بالجبن والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله تعالى
كراهة الخروج في قلوبهم او لوسوسة الشيطان بالامر بالقعود او هو حكاية قول بعضهم لبعض
او هو اذن الرسول عليه السلام لهم في القعود • والمراد بالقاعدين اما المعذورون من غيرهم •
واما ما كان تعيينا لهم اللائم لو خرجوا فيكم بيان لسر كراهته تعالى لانبعاثهم اي لو خرجوا مخالطين
لكم ما زادوكم اي بخروجهم شيئا من الاشياء الا خبالا اي فسادا وشرا فالاستثناء مفرغ
متصل وقيل منقطع وليس بذاك ولأوضعوا خلالكم اي فسادا وشرا فالاستثناء مفرغ متصل
ولسعوا فيما بينكم بالنميمة والتضريب وافساد ذات البين من وضع البعير وضعا اي اذا
اسرع واوضعته انا اي حملته على الاسراع والمعنى لأوضعوا ركائبهم بينكم والمراد
به المبالغة في الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي • وقرئ ولاوفضوا من رفضت
الناقة اسرعت وارفضتها انا • وقرئ ولارقصوا اي اسرعوا يبغونكم الفتنة حال من
فاعل اوضعوا اي يطلبون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والقاء الرعب في قلوبكم وافساد نياتكم والجملة حال
ضعفوا ومنعوا ارا استيثاف وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم لاجل نقله اليهم
او فيكم قوم ضعفة يسمعون للمنافقين اي يطيعونهم والجملة حال من مفعول يبغونكم او من فاعله
لاشتمالها على ضميريهما او مستأنفة ولعلهم لم يكونوا في كثرة العدد وكيفية الفساد بحيث
يخل بحالهم فيما بين المؤمنين بامر الجهاد اخلالا عظيما ولم يكن فساد خروجهم معادلا
لمنفعته ولذلك لم تقتض الحكمة عدم خروجهم فخرجوا مع المؤمنين ولكن حيث كان انضمام

للمنافقين القاعدين مستتبع لخلل ما كره الله انبعاثهم فلم يتيسر اجتماعهم فانتفى فسادهم ودفع
العتاب عن الاذن لهم في قعودهم مع تقرره لا محالة وتضمن خروجهم لهذه المفاسد انهم لو
قعدوا بغير اذن منه صلى الله عليه وسلم لظهر نفاقهم فيما بين المسلمين وهلا لامر ولم
يقدروا على مخالطتهم والسعي فيما بينهم بالاراجيف ولم يتيسر لهم التمتع بالعيش الى ان
يظهر حالهم بقوارع الايات النازلة **والله عليم بالظالمين** علما محيطا بضمائرهم وظواهرهم
وما فعلوا فيما سلف وما يأتي ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم
والتشديد في الوعيد والاشعار بترتبه على الظلم ولعله شامل للفريقين
السامعين والقاعدين **لقد ابتغوا الفتنة** تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك **من**
قبل اي يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابي بن سلول المنافق بمن معه وقد تخلف عن تبوك بعد
ما خرج النبي عليه السلام الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع • وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا من المنافقين ليفتكوا
به صلى الله عليه وسلم فردهم الله تعالى خائبين **وقلبوا لك الامور** تقليب الامر تصريفه من
وجه الى وجه وترديده لاجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة • يقال للرجل المتصرف في
وجوه الحيل حول قلب اي اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الاراء في ابطال
امرك وقرئ بالتخفيف **حتى جاء الحق** اي النصر والتأييد الالهي **وظهر امر الله** غلب دينه
وعلا شرعه **وهم كارهون** والحال انهم كارهون لذلك اي على رغم منهم والاية لتسلية
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن تخلف المتخلفين وبيان ما ثبطهم الله تعالى لاجله
وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعذارهم تداركا لما عسى يفوت بالمبادرة
الى الاذن والايذان بان ما فات بالمبادرة ليس مما لا يتلافى تهوينا للخطب **ومنهم من يقول ائذن لي**
في القعود **ولا تفتني** اي لا توقعني في الفتنة وهي المعصية والاثم بان لا تأذن تخلف لا محالة
اذنت او لم تأذن او لا توقعني في المعصية بالخروج او لا تلقني في الهلكة فاني ان خرجت
معك هلك مالي وعيالي لعدم من يقوم بمصالحهم • وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني
مشتهر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكن اعينك بمالي فاتركني وقرئ
ولا تفتني من افتنه بمعنى فتنه **الا في الفتنة** اي في عينها ونفسها واكمل افرادها الغني عن
الوقوع بالكمال الحقيقي باختصاصها من اسم الجنس بها **سقطوا** لا في شيء مغاير لها فضلا عن ان
يكون مهربا ومخلصا عنها وذلك بما فعلوا من العزيمة على التخلف والجراءة على الاستئذان بهذه
الطريقة الشنيعة ومن القعود بالاذن المبني عليه وعلى الاعتذارات الكاذبة •
وقرئ بافراد الفعل محافظة على لفظ من • وفي تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم
الظرف ايذان بانهم وقعوا فيها وهم يحسبون انهم ينجون من الفتنة زعما منهم ان الفتنة
انما هي التخلف بغير اذن وفي التعبير عن الافتتان بالسقوط في الفتنة تنزيل لها منزلة
المهاوي المهلكة المفصحة عن ترديهم في دركات الردى اسفل سافلين •
وان جهنم لمحيطة بالكافرين وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه
اي جامعة لهم يوم القيامة من كل جانب • وايراد الجملة الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار

ومحيطة

ومحيطة بهم الان لان ما يأتي سيتبع عن قريب منزلة الواقع او وضعا لاسباب التي توقعه
فان مبادي احاطة النار بهم من الكفر والمعاصي محيطة بهم الان من جميع الجوانب ومن جملتها
ما فعلوا منه وما سقطوا فيه من الفتنة • وقيل تلك المبادي المتشكلة بصور الاعمال
والاخلاق هي النار بعينها ولكن لا يظهر ذلك في هذه النشأة وانما يظهر عند تشكلها بصورها
الحقيقية في النشأة الاخرة • والمراد بالكافرين اما المنافقون وايثاره وضع المظهر موضع
المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بانه معظم اسباب الاحاطة المذكورة • واما جميع
الكافرين الشاملين للمنافقين شمولا اوليا **ان تصبك** في بعض مغازيك **حسنة** في الظفر
والغنيمة **تسؤهم** تلك الحسنة اي تورثهم مساءة لفرط حسدهم وعداوتهم لك **وان تصبك**
في بعضها **مصيبة** من نوع شدة **يقولوا** متبجحين بما فعلوا حامدين لارائهم **قد اخذنا امرنا**
اي تداركنا ما يهمنا من الامر يعنون به الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب والمداراة
مع الكفرة وغير ذلك من امور الكفر والنفاق قولا وفعلا **من قبل** اي من قبل اصابة المصيبة
في وقت تداركه يشيرون بذلك الى ان المعاملة المذكورة انما تروج عند الكفرة بوقوعها
حال قوة الاسلام لا بعد اصابة المصيبة **ويتولوا** عن مجلس الاجتماع والتحدث الى اهاليهم او يعرضوا
عن النبي صلى الله عليه وسلم **وهم فرحون** بما صنعوا من اخذ الامر وباصابته صلى الله عليه وسلم
والجملة حال من الضمير في يقولوا ويتولوا لا في الاخير فقط لمقارنة الفرح لهما معا وايثار الجملة
الاسمية للدلالة على دوام السرور واسناد المساءة الى الحسنة والمسرة الى انفسهم دون
المصيبة بان قيل وان تصبك مصيبة تسرهم للايذان باختلاف حالهم حالتي عروض
المساءة والمسرة بانهم في الاولى مضطرون وفي الثانية مختارون **قل** لهم بيانا لبطلان ما بنوا
عليه مسرتهم من الاعتقاد **لن يصيبنا** ابدا وقرئ هل يصيبنا وقرئ لن يصيبنا من فيعل لا من فعل لانه واوي
يقال صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب **الا ما كتب الله لنا** اي اثبته لمصلحتنا
الدنيوية او الاخروية من النصرة عليكم او الشهادة المؤدية الى النعيم الدائم **هو مولانا**
ناصرنا ومتولي امورنا **وعلى الله** وحده **فليتوكل المؤمنون** التوكل تفويض الامر الى الله والرضا بما
فعله وان كان ذلك بعد ترتيب المبادي العادية والفاء للدلالة على السببية والاصل
ليتوكل المؤمنون على الله قدم الظرف على الفعل لافادة القصر ثم ادخل الفاء للدلالة على استلزام
تعالى للتوكل عليه كما في قوله تعالى واياي فارهبون والجملة ان كانت من تمام الكلام المأمور
به فاظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لاظهار التبرك والتلذذ به وان كانت مسوقة
من قبله تعالى امر المؤمنين بالتوكل اثر امره صلى الله عليه وسلم بما ذكر فالامر ظاهر وكذا اعادة
الامر في قوله عز وجل **قل هل تربصون بنا** لا لتعلق حكم الامر الاول بالثاني وان كان
امرا بالغائب • وان كان على الوجه الاول لابراز كمال العناية بشأن المأمور به والاشعار بما
بينه وبين ما امر به اولا من الفرق في السياق والترتيب لكن مع اتصاله به معنى حيث كان
ان الباء للتعدية واحدى التاءين محذوفة اي ما تنتظرون بنا **الا احدى الحسنيين** الا
العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما
ابهم في الجواب الاول وكشف لحقيقة الحال باعلام ان ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة انفع

ما يعدونه منتهية من النصر والغنيمة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين من العواقب اما ان يصيبكم
الله بعذاب من عنده كما اصاب به من قبلكم من الامم المهلكة والظرف صفة عذاب وكذلك
حد في خلاله وجوبا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا العاقبة اي اذا
كان الامر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فاذا لقي كل منا ومنكم
ما يتربصه لا تشاهدون الا ما يسوؤكم ولا نشاهد الا ما يسرنا قل انفقوا اموالكم في سبيل
الله طوعا او كرها منصوبان على الحال اي طائعين او كارهين وهو امر في معنى
الخبر كقوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم والمعنى انفقتم طوعا او كرها لن يتقبل منكم
ونظم الكلام في سلك الامر للمبالغة في بيان تساوي الامرين في عدم القبول كانهم امروا
بان يمتحنوا الحال فينفقوا على الحالين فينظروا اهل يتقبل منهم فشاهدوا عدم القبول وهو
جواب جد بن قيس ولكن اعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل ان يكون بمعنى عدم الاخذ منهم وان
يكون بمعنى عدم الاثابة عليه قوله عز وجل انكم كنتم قوما فاسقين اي عاتين متمردين تعليل
لرد انفاقهم وما منعهم ان تقبل وقرئ بالتحتانية نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله استثناء
من اعم الاشياء اي ما منعهم قبول نفقاتهم منهم شيء من الاشياء الا كفرهم وقرئ ببناء على البنا
للفاعل وهو الله تعالى ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى اي لا يأتونها في حال من الاحوال الا
حال كونهم متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بها ثوابا ولا يخافون على تركها
عقابا فقوله تعالى طوعا اي من غير الزام من جهته صلى الله عليه وسلم لا رغبة وهو فرض لتوبيخ
الله اي فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه
قوله عز وجل انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب
وما يقاسون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين
مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك نقمة لا نعمة واصل الزهوق الخروج
بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم في الدين والاسلام وما هم منكم في ذلك ولكنهم قوم
يفرقون يخافون ان يفعل بهم ما يفعل بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ويؤيدونه
بالايمان الفاجرة لو يجدون ملجأ استئناف مقرر لمضمون ما سبق من انهم ليسوا من المسلمين
وان التجاءهم الى الانتماء اليهم انما هو للتقية اضطرارا حتى انهم لو وجدوا غير ذلك ملجأ اي
مكانا حصينا يلجؤون اليه من راس جبل وقلعة او جزيرة وايثار صيغة الاستقبال في
الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار عدم الوجدان فان المضارع المنفي الواقع
موقع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء الشكر بسبب استمرار انتفاء الاحسان لا انه سبب انتفاء
استمرار الاحسان فان الشكر يتوقف على وجود الاحسان لا على استمراره كما حقق في موضعه
او مغارات او غيرانا وكهوفا يخفون فيها انفسهم وقرئ بضم الميم من اغار الرجل اذا
دخل الغور اي امكنة يغيرون فيها اشخاصهم واهليهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا
اسرع بمعنى مهارب ومغار او مدخلا اي نفقا ينسلون فيه وينجحرون وهو افتعال من الدخول
وقرئ مدخلا من الدخول ومدخلا من الادخال اي مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرئ
مندخلا ومتدخلا من التدخل والاندخال لولوا اي لصرفوا وجوههم واقبلوا اليه وقرئ

لوالوا اي لالتجأوا اليه اي الى احد ما ذكر وهم يجمحون اي يسرعون بحيث لا يرد وجوههم شيء من
العنق من الجموح وهو الذي لا يرده اللجام وفيه اشعار بكمال عتوهم وطغيانهم وقرئ يجمزون
بمعنى يجمحون ويشتدون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك بكسر الميم وقرئ بضمها اي يعيبك سرا
وقرئ يلمزك ويلامزك للمبالغة في الصدقات اي في شانها وقسمتها فان اعطوا منها بيان
لفساد لمزهم وانه لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا اي ان اعطوا منها قدر ما
يريدون رضوا بما وقع من القسمة واستحسنوها وان لم يعطوا منها ذلك المقدار اذا هم يسخطون
اي يفاجئون السخط فاذا نائبة مناب فاء الجزاء قيل نزلت الاية في ابي الجواظ المنافق حيث
قال الا تنظرون الى صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل
في ابن ذي الخويصرة واسمه حرقوص بن زهير التميمي راس الخوارج كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم
فقال له اعدل يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك ان لم اعدل فمن يعدل
وقيل هم المؤلفة قلوبهم والاول هو الاظهر ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله اي ما اعطاهم
الرسول صلى الله عليه وسلم من الصدقات طيبي النفوس به وان قل وذكر الله عز وجل للتعظيم
وتنبيه على ان ما فعله صلى الله عليه وسلم كان بامره سبحانه وقالوا حسبنا الله اي كفانا
فضله وصنعه بنا وما قسمه لنا سيؤتينا الله من فضله ورسوله بعد هذا حسبما نرجو ونؤمل
انا الى الله راغبون في ان يخولنا فضله والاية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف
بناء على ظهوره اي لكان خيرا لهم انما الصدقات شروع في تحقيق حقية ما صنعه الرسول
صلى الله عليه وسلم من القسمة ببيان المصارف ورد لمقالة القالة في ذلك وحسم لاطماعهم
الفارغة المبنية على زعمهم الفاسد ببيان انهم بمعزل من الاستحقاق اي جنس الصدقات
المشتملة على الانواع المختلفة للفقراء والمساكين اي مخصوصة بهؤلاء الاصناف الثمانية
الاتية لا يتجاوزهم الى غيرهم كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم فالذين لا علاقة بينها
وبينهم يقولون فيها ما يقولون وما هم من ان يتعلقوا بها وفي فاعلها الفقير من له
ادنى شيء والمسكين من لا شيء له وهو المروي عن ابي حنيفة وقد قيل على العكس ولكل
منهما وجه يدل عليه والعاملين عليها الساعين في جمعها وتحصيلها والمؤلفة قلوبهم
اصناف فمنهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتالفهم ليسلموا فيرضخ
لهم ومنهم قوم اسلموا ونياتهم ضعيفة فيؤلف قلوبهم باجزال العطاء كعيينة بن حصن
والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس ومنهم من يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم
ولعل الصنف الاول كان يعطيهم الرسول صلى الله عليه وسلم من خمس الخمس الذي هو من
خالص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها في قتال الكفار ومانعي الزكاة
وقد سقط سهم هؤلاء بالاجماع لما ان ذلك كان لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله
تعالى واعلى كلمته استغنى عن ذلك وفي الرقاب اي وللصرف في فك الرقاب بان يعان
المكاتبون بشيء منها على اداء نجومهم وقيل بان يفدى الاسارى وقيل بان يبتاع منها
الرقاب فتعتق واياما كان فالعدول عن اللام لعدم ذكرهم بعنوان مصحح للملك

والاختصاص من كالذين من قبلهم او للايذان بعدم تقررها لكن فيها اعطوا كما في الوجهين الاولين
او بعدم ثبوته اذ انما في الوجه الاخير وللاشعار بتوجههم في استحقاق الصدقة لما ان في
للظرفية المنبئة عن احاطتهم بها وكونهم محلا لها ومركزا والغارمين اي الذين تداينوا
لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم نصاب فاضلا عن ديونهم وكذا لانه عند الشافعي من
تحمل لاصلاح ذات البين واطفاء النائرة بين القبيلتين وان كانوا اغنيا وفي سبيل الله اي
فقرا الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل اي المسافر المنقطع عن ماله وتكرير الظرف
في الاخيرين للايذان بزيادة فضلهما في الاستحقاق ولما ذكر من اعتداد بالعنوان
مصحح للمجيء والاختصاص فهذه مصارف الصدقات فللمعتمد ان يدفع بصدقته
الى كل واحد منهم وان يقتصر على صنف منهم لان اللام لبيان انهم مصارف لا يخرج منهم
الى غيرهم لا لاثبات الاستحقاق وقد روي ذلك عن عمر وابن عباس وحذيفة وعند الشافعي لا يجوز
الا ان يصرف الى ثلاثة من كل صنف من تلك الاصناف فريضة من الله مصدر مؤكد لما دل عليه صدر
الآية اي فرض لهم الصدقات فريضة ونقل عن سيبويه انه منصوب بفعله مقدرا اي فرض الله ذلك فريضة
او حال من الضمير المستكن في قوله للفقراء اي انما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة اي مفروضة
والله عليم باحوال الناس ومراتب استحقاقهم حكيم لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة من الامور الحسنة
التي من جملتها سوق الحقوق الى مستحقيها ومنهم الذين يؤذون النبي نزلت في نفر من المنافقين قالوا
في حقه صلى الله عليه وسلم ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ذلك فيقع بنا
فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم ناتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول فانما
محمد اذن سامعة وذلك قوله عز وجل ويقولون هو اذن اي يسمع كل ما قيل من غير ان يتدبر فيه
ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة امارات الصدق له وبين ما لا يليق به وانما قالوه لانه صلى الله عليه
وسلم كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه على سلامة القلب وقالوا ما قالوا
قل اذن خير لكم من قبيل رجل صدق في الدلالة على المبالغة في الجودة والصلاح كانه قيل
نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يكون المراد اذن في الخير والحق وفيما ينبغي سماعه
وقبوله لا في غيره كما يدل عليه قراءة رحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما
ولا يقبله وقرئ اذن بسكون الذال فيهما وقرئ اذن خير على انه صفة اذن او خبر ثان وقوله عز
وجل يؤمن بالله تفسير لكونه اذن خير لهم اي يصدق بالله تعالى لما قام عنده من الادلة الموجبة له
وذكره للتحريض للمخاطبين كما انه خير للعالمين ما لا يخفى ويؤمن للمؤمنين اي يصدقهم لما علم فيهم
من الخلوص واللام مزيدة للتفرقة بين الايمان المشهور وبين الايمان بمعنى التسليم والتصديق
كما في قوله تعالى انؤمن لك الآية وقوله تعالى فما آمن لموسى الا الآية ورحمة عطف على اذن خير
اي وهو رحمة بطريق اطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة للذين آمنوا منكم اي للذين اظهروا
الايمان منكم حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا لهم في ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف
اسرارهم ولا يهتك استارهم • واسناد الايمان بصيغة الفعل بعد نسبته الى المؤمنين
بصيغة الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للايذان بان ايمانهم امر حادث ما له من قرار
وقرئ بالنصب على انها علة لفعل دل عليه اذن خير اي يأذن لكم رحمة والذين يؤذون

رسول الله بما نقل عنهم من قولهم هو اذن ونحوه وفي صيغة الاستقبال المشعرة بترتب الوعيد
على الاستمرار فيما هم عليه اشعار بقبول توبتهم كما ينبئ عنه قوله تعالى فيما سيأتي فان يتوبوا يك خيرا
لهم ولهم بما يجترئون من اذيته عليه السلام كما ينبئ عنه بناء الحكم على الموصول عذاب اليم وتنكير
امرهم مسوق من جهته عز وجل بطريق الوعيد غير داخل تحت الخطاب وفي تكرير الاسناد بتقوية
العذاب الاليم من جعل الجملة خبرا للموصول ما لا يخفى من المبالغة وايراده عليه السلام بعنوان
الرسالة مضافا الى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على ان اذيته راجعة الى جنابه
عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب يحلفون بالله لكم الخطاب للمؤمنين خاصة وكان المنافقين
يتكلمون بالمطاعن ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالايمان ليعذروهم
ويرضوا عنهم اي يحلفون لكم انهم ما قالوا ما نقل اليكم مما يورث اذية النبي صلى الله عليه
وسلم واما التخلف عن الجهاد فليس بداخل في هذا الاعتذار ليرضوكم بذلك وافراد
ارضائهم بالتعليل مع ان عمدة اغراضهم ارضاء الرسول صلى الله عليه وسلم وقد قبل صلى الله
عليه وسلم ذلك منهم ولم يكذبهم للايذان بان ذلك بمعزل من ان يكون وسيلة الى رضاه
صلى الله عليه وسلم وانه صلى الله عليه وسلم انما لم يكذبهم رفقا بهم وسترا لعيوبهم لا عن رضى
بما فعلوا كما اشير اليه والله ورسوله احق ان يرضوه اي احق بالارضاء ولا يتسنى ذلك الا بالطاعة والمتابعة
وايفاء حقوقه صلى الله عليه وسلم في باب الاجلال والاعظام مشهدا ومغيبا واما الايمان
الايمان الفاجرة فانما يرضى بها من انحصر طريق علمه في الاخبار الى ان يجيء الحق ويزهق الباطل والجملة
نصب على الحالية من ضمير يحلفون لكم لا يعلمون والحال ان الله تعالى ورسوله احق بالارضاء منكم
اي يعرضون لكم علما بعيوبهم وعدمهم ويشتغلون بالايمان وايراد الضمير في يرضوه اما لان
رضاه صلى الله عليه وسلم مندرج تحت رضاه سبحانه وارضاؤه صلى الله عليه وسلم ارضاء له
تعالى لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واما لانه مستعار لاسم الاشارة الذي يشار
به الى الواحد والمتعدد بتأويل المذكور كما في قول رؤبة •
• فيها خطوط من سواد وبلق • كأنه في الجلد توليع البهق •
اي كأن ذلك لا يقال اي حاجة الى الاستعارة بعد التاويل المذكور لانا نقول لولا الاستعارة
لم يتيسر التاويل المذكور لان الضمير لا يتعرض للذات الا من حيث هو من غير تعرض لوصف من
الاوصاف التي من جملتها المذكورية وانما المتعرض لها اسم الاشارة واما لانه عائد الى الله وثمة
كلامان حذف خبر الاول لدلالة خبر الثاني عليه كما هو مذهب سيبويه ومنه
قول من قال • نحن بما عندنا وانت بما عندك • راض والراي مختلف • اي والله عز وجل
على ان المذكور خبر الجملة الاولى وخبر الثانية محذوف كما هو راي المبرد ان كانوا مؤمنين جواب محذوف
تعويلا على دلالة ما سبق عليه اي ان كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكر فانهما احق بالارضا
الم يعلموا اي اولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما اقدموا عليه من العظيمة مع علمهم بسوء
عاقبتها وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادة التقريع والتوبيخ اي الم يعلموا ما سمعوا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم من فنون الانذارات والتواتر انه اي الشان من يحادد الله ورسوله
المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق والمعاداة من العدوة بمعنى الجانب فان كل واحد من

محل مبتدئ قل من الاقتران المذكورة في محل جزم محل جملة جيد ومن شرطية جزاؤها وقوله تعالى
فان له نار جهنم قيل ان خبر محذوف اي فحق له ان له نار جهنم • وقرئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية
في محل الرفع على انها خبر لان ويجوز جزمها بناء مستقل مفعول يعلموا اي قبل المعنى بالله وان
تكرير للاولى لطول العهد لا من باب التأكيد اللفظي المانع للاول من العمل ودخول الفاء
كالتي في قول من قال • لقد علم الحي اليمانون انني • اذا قلت اما بعد اني خطيبها • وقد يجوز ان
يكون فان له معطوفا على انه وجواب الشرط محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله
فان له اي الجزاء ورد بان ذلك انما يجوز بعد كون فعل الشرط ماضيا او مضارعا مجزوما بلم خالدا
فيها حال مقدرة من الضمير المجرور وان اعتبر في الظرف ابتداء الاستقرار الواحد منه والعبرة
مطلق الاستقرار [illegible] ذلك اشارة الى ما ذكر من العذاب الخالد [illegible] الابتعاد
درجته في الهول والفظاعة الخزي العظيم الخزي الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة
وهي ثمرات نفاقهم حيث يستحيون على رؤوس الاشهاد [illegible] وخوف العذاب الحاصل لهم والجملة
تذييل لما سبق يحذر المنافقون ان تنزل عليهم في شأنهم فان ما نزل في حقهم نازل عليهم سورة تنبئهم
بما في قلوبهم من الاسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من اقاويل الكفر والنفاق ومعنى
تنبئتها اياهم بما في قلوبهم مع انه معلوم لهم وان المحذور عندهم اطلاع المؤمنين على اسرارهم لا اطلاعهم
انفسهم عليها انها تذيع ما كانوا يخفون من اسرارهم فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من افواه الرجال
مذاعة فكأنها تخبرهم بها والمراد بالتنبيه المبالغة في كون السورة مشتملة على اسرارهم كأنها تعلم
من احوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها وتنعى عليهم قبائحهم [illegible]
التنبيه ان الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالى بالتفكيك عند ظهور الامر [illegible]
النبي اي يحذر المنافقون ان تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في قلوب المنافقين وتهتك عليهم
استارهم • وقال ابو مسلم كان اظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فانهم كانوا اذا سمعوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يذكر كل شيء ويقول انه بطريق الوحي يكذبونه ويستهزؤون به ولذا قيل
قل استهزؤوا اي افعلوا الاستهزاء وهو امر تهديد ان الله مخرج اي من القوة الى الفعل ومن الكمون
الى البروز ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة ومن مخازيكم ومثالبكم المستكنة في قلوبكم
الفاضحة لكم [illegible] التأكيد [illegible] لا للتأكيد [illegible] في وقوع المحذور
ليس حذرهم بطريق الحقيقة ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي انه صلى الله عليه وسلم
كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يستهزؤون بالقرآن وبالرسول صلى الله عليه
وسلم ويقولون انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات
واطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا علي الركب فأتاهم فقال قلتم
كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكنا كنا نخوض فيه
الركب ليقصر بعضنا على بعض في السفر قل [illegible] ملتفتا الى [illegible] ناعيا عليهم [illegible]
[illegible] بوقوع الاستهزاء [illegible] على اخطائهم موقع الاستهزاء ابالله وآياته ورسوله
كنتم تستهزئون [illegible] ولا يستقيم ذلك الا بعد تحقق الاستهزاء
لا تعتذروا لا تشتغلوا بالاعتذار [illegible] الكاذب [illegible]

قد كفرتم اظهرتم الكفر بايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن فيه بعد ايمانكم بعد
اظهاركم له ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم وتجنبهم من الايذاء والاستهزاء
وقرئ يعف على اسناد الفعل الى الله سبحانه • وقرئ على البناء للمفعول مسندا الى الظرف
[illegible] النعيا ذهابا الى المعنى كأنه قيل ان ترحم طائفة نعذب طائفة وقرئ
بالتاء على البناء للفاعل وبالتاء على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده طائفة بانهم كانوا مجرمين
[illegible] الاجرام [illegible] قال محمد بن اسحاق الذي عفي عنه
رجل واحد [illegible] الاشجعي [illegible] هذه الآية تاب عن نفاقه وقال اللهم اني لا ازال
اسمع آية [illegible] الجلود وتجب منها القلوب اللهم [illegible] في سبيلك لا يقول احد
[illegible] فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين عرف [illegible]
المنافقون والمنافقات [illegible] الكفر والنفاق
بعضهم من بعض اي متشابهون في النفاق والبعد من الايمان [illegible] الواحد [illegible]
وقيل اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين [illegible] بهم في حلفهم بالله انهم لمنكم [illegible]
تعالى وما هم منكم • وقوله تعالى يأمرون بالمنكر اي بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف
اي عن الايمان والطاعة استئناف [illegible] مضادة حالهم لحال المؤمنين
او خبر ثان ويقبضون ايديهم اي عن الميراث والانفاق في سبيل الله فان [illegible] عن الحرص
نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله [illegible] والتعبير عنه بالنسيان
للمشاكلة ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة
والانسلاخ عن كل خير والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير كما في قوله تعالى وعد الله
المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود فيها هي حسبهم عقابا
وجزاء [illegible] عظم عقابها [illegible] ولعنهم الله اي ابعدهم من رحمته واهانهم
وفي اظهار الاسم الجليل من الايذان بشدة السخط ما لا يخفى ولهم عذاب مقيم اي نوع
من العذاب غير عذاب النار دائم لا ينقطع ابدا ولهم عذاب معجل منهم في الدنيا [illegible]
عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذي هو سبب في بلية دائمة لا يزول ساعة من خوف
الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم كالذين من قبلكم التفات من الغيبة الى
الخطاب [illegible] والكاف في محل الرفع على الخبرية اي انتم مثل الذين من قبلكم من الامم
المهلكة او في محل النصب بفعل مقدر اي فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم
قوة واكثر اموالا واولادا تفسير وبيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم
وفي صيغة الاستفعال [illegible] من الاستفادة والاستدامة في التمتع بخلاقهم
نصيبهم [illegible] واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير [illegible] فاستمتعتم
بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم الخبيثة من الشهوات
الفانية والتهائهم بها عن النظر في العواقب [illegible] والملذات الحسية [illegible]
[illegible] وخضتم اي دخلتم في الباطل كالذي خاضوا اي كالذين [illegible]
[illegible] اولئك اشارة الى الموصوفين بالاوصاف

المعدودة من المشبهين والمشبه بهم لا الى الفريق الاخير فقط فان ذلك يقتضي ان يكون حبوط
اعمالهم للمشبهين وخسرانهم مبنيين على تشبيههم لا منهاجا ويؤدي الى خلو تلوين الخطاب عن النكتة
اذ النكتة حينئذ ان تلوين الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من يصلح للخطاب
اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة حبطت اعمالهم ليس المراد بها اعمالهم
المعدودة كما يشعر به التعبير عنهم باسم الاشارة فان عاقبتها غنية عن البيان بل اعمالهم
التي كانوا يستحقون بها اجور الحسنة لو قارنت الايمان اي ضاعت وبطلت بالكلية ولم
يترتب عليها اثر في الدنيا والآخرة بطريق المثوبة والكرامة اما في الآخرة فظاهر واما
في الدنيا فلان ما يترتب على اعمالهم من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبئ عنه قوله
تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ليس
مترتبة عليها على طريق المثوبة والكرامة بل بطريق الاستدراج واولئك اي الموصوفون
بحبوط الاعمال في الدارين هم الخاسرون الكاملون في الخسران في الدارين الجامعون لمبادئه
واسبابه طرا فانه ذهبت رؤوس اموالهم التي هي اعمالهم فاما هم ولم تنفعهم وقطفوا ثمارها
بما لا ينفعهم ولا يفيدهم لكن بعد حين اناه وايراد اسم الاشارة في الموضعين للاشعار بعلية
الاوصاف المشار اليها للحبوط والخسران الم يأتهم اي المنافقين نبأ الذين من قبلهم اي
خبرهم الذي له شأن وهو ما فعلوه وما فعل بهم فالاستفهام للتقرير والتحذير قوم نوح
وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين اي وقوم شعيب والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت
بهم اي انقلبت فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين
والمتمكنين الخاسئين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات استئناف لبيان
نبائهم فما كان الله ليظلمهم الفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام وينسحب عليه النظام اي فكذبوهم
فاهلكهم الله فما ظلمهم بذلك واشار ما عليه النظم الكريم للمبالغة في تنزيه ساحة السبحان
عن الظلم اي فاصح وما استقام له ان يظلمهم ولكن ظلموا انفسهم والجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل في قوله عز وجل ولكن كانوا انفسهم يظلمون للدلالة على استمرار ظلمهم حيث لم
يزالوا يعرضونها للعقاب بالكفر والتكذيب وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة
من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على راي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في
قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ولكن كانوا انفسهم يظلمون
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالا ومآلا اثر بيان قبح احوال اضدادهم
عاجلا وآجلا والتعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم الى بعض بالولاية وعن نسبة اولئك بمن الاتصالية
للايذان بان نسبة هؤلاء بطريق القرابة الدينية المبنية على المعاقدة المستتبعة للآثار
من المعونة والنصرة وغير ذلك ونسبة اولئك بمقتضى الطبيعة والعادة يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر اي جنس المعروف والمنكر المنتظمين لكل خير وشر ويقيمون الصلاة
فلا يزالون يذكرون الله سبحانه فهو في مقابلة ما سبق من قوله تعالى نسوا الله ويؤتون
الزكاة مقابلة قوله تعالى ويقبضون ايديهم ويطيعون الله ورسوله اي في كل امر ونهي وهو
بمقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة اولئك اشارة الى المؤمنين

والمؤمنات

والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة وما فيه من معنى البعد
للاشعار ببعد درجتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة
سيرحمهم الله اي آثار رحمته من التأييد والنصرة البتة فان السين مؤكدة
للوقوع كما في قولك ساتنتقم منك ان الله عزيز تعليل للوعد اي قوي قادر على اعزاز اوليائه
وقهر اعدائه حكيم يبني احكامه على اساس الحكمة الداعية الى ايصال الحقوق من الرحمة
والنقمة الى مستحقيها من اهل الطاعة واهل المعصية وتثنية الوعد للمؤمنين متضمن
لوعيد المنافقين كما ان ما سبق في شأن المنافقين من قوله نسيهم وعيد متضمن لوعد
المؤمنين فان منع لطفه تعالى عنهم لطف في حق المؤمنين وعد الله المؤمنين والمؤمنات
تفصيل لآثار رحمته الاخروية اثر ذكر رحمته الدنيوية والاظهار في موضع الاضمار لزيادة
التقرير والاشعار بعلية وصف الايمان لحصول ما تعلق به الوعد وعدم التعرض لذكر
ما مر من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره للايذان بان ذلك من لوازمه ومستتبعاته
اي وعد كلهم وعدا شاملا لكل احد منهم على اختلاف طبقاتهم في مراتب الفضل كما وكيفا
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها فان كل واحد منهم على اختلاف طبقاتهم فائز بها لا محالة
ومساكن طيبة اي وعد بعض الخواص لكن منهم مبني تستطيب فيها النفوس ويطيب فيها العيش
انها مبنية من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن في ابهى اماكن الجنات
واسناها عن النبي صلى الله عليه وسلم جنات دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر
لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك
وعن ابن عمر رضي الله عنه ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة
الاف باب على كل باب خمسة الاف حبرة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وعن ابن عمر رضي الله
عنه هي بطنان الجنة وسرتها وعدن في الاصل اسم علم وقيل هو مصدر بمعناه اللغوي اعني الاقامة
والخلود فرجع العطف الى اختلاف الوصف وتغايره فكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو
الابهى المعروف عندهم من الجنات ذات الانهار الجارية لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع
اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تكاد تخلو عنها
اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار
العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اعلى من ذلك كله فقال ورضوان من الله
اي شيء يسير من رضوانه تعالى اكبر اذ عليه يدور كل خير وسعادة وبه ينال كل شرف وسيادة
ولعل عدم نظمه في سلك الوعد مع عزته في نفسه لانه متحقق في ضمن كل موعود ولانه مستمر في
الدارين روي انه تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا
ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واي شيء افضل من
ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اشارة الى ما سبق ذكره وما
فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في العظم والفخامة هو الفوز العظيم دون ما
يعده الناس فوزا من حظوظ الدنيا بمعزل عن العظم فانها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها
وتنغصها وتكدرها ربما لا تعد بالنسبة الى ادنى شيء من نعيم الآخرة بمثابة جناح البعوض قال

صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء • ونعم قول من
قال • فالله لو كانت الدنيا بأجمعها تبقى علينا ومأتى رزقها رغداً • ما كان من حق حرّ أن يذل
لها • فكيف وهي متاع يضمحل عن غداة • **يا أيها النبي جاهد الكفار** أي المجاهرين منهم بالسيف **والمنافقين**
بالحجة وإقامة الحدود **واغلظ عليهم** في ذلك ولا تأخذك بهم رأفة • قال عطاء نسخت هذه الآية
كل شيء من العفو والصلح والصفح **ومأواهم جهنم** جملة مستأنفة لبيان آجل أمرهم إثر بيان عاجله وقيل
حالية **وبئس المصير** تذييل لما قبله والمخصوص بالذم محذوف **يحلفون بالله ما قالوا** استئناف
لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة لما أمر به من الجهاد والغلظة عليهم ودخول جهنم روي أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين
المتخلفين فيسمعه من كان معه منهم فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد
حقاً لإخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا وأشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس
الأنصاري للجلاس أجل والله إن محمداً لصادق وأنت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فرفع عامر يديه فقال اللهم أنزل على عبدك
ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزلت وإيثار صيغة الاستقبال في يحلفون
لاستحضار الصورة أو للدلالة على تكرر الحلف وصيغة الجمع وإن كان القائل هو الجلاس
للإيذان بأن بقيتهم برضاهم بقوله صاروا بمنزلة القائل **ولقد قالوا كلمة الكفر** هي ما حكي
آنفاً والجملة وما عطف عليها اعتراض **وكفروا بعد إسلامهم** أي وأظهروا ما في قلوبهم من الكفر
بعد إظهار الإسلام **وهموا بما لم ينالوا** هو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك
أنه توافق خمسة عشر منهم على أن يدفعوه صلى الله عليه وسلم عن راحلته إذا تسنم العقبة
بالليل وكان عمار بن ياسر آخذاً بخطام راحلته يقودها وحذيفة بن اليمان خلفها
يسوقها فبينما هم كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وبقعقعة السلاح فالتفت
فإذا هم قوم متلثمون فقال إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون
همّوا بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي سلول وإن لم
يرض به رسول الله صلى الله عليه وسلم **وما نقموا** أي ما أنكروا وما عابوا أو وما وجدوا وما رأوا
شيئاً يورث نقمتهم **إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله** سبحانه وتعالى وذلك أنهم حين كان قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة في غاية ما يكون من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون
الغنيمة فأثروا بالغنائم • وقيل للجلاس مولى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته
اثني عشر ألف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل أو من أعم العلل أي وما
أنكروا شيئاً من الأشياء إلا إغناء الله تعالى إياهم أو وما أنكروا لعلة من العلل
إلا لإغناء الله تعالى إياهم **فإن يتوبوا** عما هم عليه من الكفر والنفاق **يك خيراً لهم**
في الدارين • قيل لما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجلاس يا رسول الله لقد
عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته **وإن**
يتولوا أي استمروا على ما كانوا عليه من التولي والإعراض عن الدين أو أعرضوا عن التوبة
بعد ما عرضت عليهم **يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة** بالقتل والأسر والنهب وغير ذلك

بن

من فنون العقوبات **وما لهم في الأرض** مع سعتها وتباعد أقطارها وكثرة أهلها لوجدان
ما ينبغي بقوله عز وجل **من ولي ولا نصير** ينجيهم من العذاب بالشفاعة أو بالمدافعة •
ومنهم بيان لقبائح بعض آخر منهم **من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن** على مستحقي الزكاة وغيرها
من الصدقات **ولنكونن من الصالحين** قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الحج وقرئ بالنون
الخفيفة فيهما قيل نزلت في ثعلبة بن حاطب أتى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله ادع الله
أن يرزقني مالاً فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي حقه خير من كثير لا تطيقه فراجعه
وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنماً
فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة
فبعث مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة
وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه إلا جزية
ما هذه إلا أخت الجزية وقال ارجعا حتى أرى رأيي وذلك قوله عز وجل **فلما آتاهم من فضله**
بخلوا به أي منعوا حق الله منه **وتولوا** أي أعرضوا عن طاعة الله سبحانه فلما رجعا قال لهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله منعني أن أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاء بها إلى أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها إلى عمر رضي الله عنه فلم يقبلها وهلك
في خلافة عثمان رضي الله عنه • وقيل نزلت فيه وفي سهيل بن الحرث وجد بن قيس ومعتب
ابن قشير والأول هو الأشهر **وهم معرضون** جملة معترضة أي وهم قوم عادتهم الإعراض أو حالية
أي تولوا بأجرامهم وهم معرضون بقلوبهم **فأعقبهم** أي جعل الله عاقبة فعلهم ذلك **نفاقاً**
في قلوبهم إلى يوم يلقونه أي يوم موتهم الذي يلقون الله تعالى عنده أو يلقون فيه جزاء
أعمالهم وهو يوم القيامة • وقيل فأورثهم البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم ولا يلائمه قوله
عز وجل **بما أخلفوا الله ما وعدوه** أي بسبب إخلافهم ما وعدوه تعالى من التصدق والصلاح
وبما كانوا يكذبون أي وبكونهم مستمرين على الكذب في جميع المقالات التي من جملتها وعدهم
المذكور وتخصيص الكذب به يؤدي إلى تخلية الجمع بين الماضي والمستقبل عن المزية
فإن سببية الإعقاب المذكور بالإخلاف والكذب تقتضي إسناده إلى الله تعالى إذ لا
معنى لكونهما سببين لإعقاب البخل النفاق والتحقيق أنه لما كانت الفاء الدالة على الترتيب
والتفريع منبئة عن ترتب إعقاب النفاق المخلف على أفعالهم المحكية عنهم من المعاهدة
بالتصدق والصلاح والبخل والتولي والإعراض وفيها ما لا دخل له في الترتيب المذكور
كالمعاهدة أريد ما في ذلك من الإبهام ببيان ما هو المدار في ذلك والله أعلم وقرئ يكذّبون مشددة
الذال **ألم يعلموا** أي المنافقون أو من عاهد الله تعالى • وقرئ بالتاء على الالتفات خطاباً للمؤمنين
فالهمزة على الأول للإنكار والتوبيخ أي ألم يعلموا **أن الله يعلم سرهم ونجواهم** أي ما أسروه في أنفسهم
من النفاق وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن وتسمية الصدقة جزية وغير ذلك مما لا خير فيه

تعبيرا لسرهم على النجوى سبحانه في قوله سبحانه وستردون الى عالم الغيب والشهادة **وان الله علام**
الغيوب فلا يخفى عليه شيء من الاشياء الخفية التي من جملتها ما اسروه والجملة من العظايم واظهار اسم
الجلالة في الموقعين لالقاء الروعة وتربية المهابة وفي ايراد العلم المتعلق بسرهم ونجواهم
بصيغة الاستمرار الدال على الدوام والمبالغة في تعلقه من الفخامة والجزالة ما لا يخفى وفي الثاني تعريض
علم المومنين بذلك وتنبيههم على انه تعالى سيخزيهم ويجازيهم بما علمه من احوالهم **الذين يلمزون**
نصب او رفع على الذم ويجوز جره على البدلية من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ بضم الميم
وهي لغة اي يعيبون **المطوعين** اي المتطوعين المتبرعين **من المومنين** حال من المطوعين وقوله
تعالى **في الصدقات** متعلق بيلمزون روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة
فاتى عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة الاف درهم وكان له ثمانية
الاف فقال اقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله
لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت باحدى امراتيه الاربع عن ربع الثمن على ثمانين
الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت
اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن بن عوف الا رياء وان كان
الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات
فنزلت **والذين لا يجدون الا جهدهم** عطف على المطوعين اي ويلمزون الذين لا يجدون الا طاقتهم
وقرئ بفتح الجيم وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه وقيل هو بالضم الطاقة
وبالفتح المشقة **فيسخرون منهم** عطف على يلمزون اي يهزؤون بهم والمراد بالفريق الاخير
سخر الله منهم اخبار بمجازاته تعالى اياهم على ما فعلوا من السخرية والتعبير عنها بذلك
للمشاكلة **ولهم** اي ثابت لهم **عذاب اليم** التنوين للتهويل والتفخيم وايراد الجملة الاسمية
للدلالة على الاستمرار **استغفر لهم او لا تستغفر لهم** اخبار باستواء الامرين الاستغفار لهم وتركه
في استحالة المغفرة وتصويره بصورة الامر للمبالغة في بيان استوائهما كانه في نفسه
صلى الله عليه وسلم امر بامتحان الحال بان يستغفر تارة ويتركه اخرى ليظهر له جلية
الامر كما في قوله عز وجل قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم **ان تستغفر لهم سبعين**
مرة فلن يغفر الله لهم بيان لاستحالة المغفرة بعد المبالغة في الاستغفار اثر بيان الاستواء
بينه وبين عدمه • روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال
على ما هو الاصل في الاعداد من ان مراتب الاعداد حدود معينة يخالف حكم كل منها حكم ما فوقها
ان الله قد رخص لي فساريد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر
لهم لن يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة في مطلق التكثير
لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانها العدد باسره • وقيل هي اكمل الاعداد لجمعها
معانيها ولان الستة اول عدد تام لتساوي اجزائها الصحيحة اعني نصفها وثلثها وسدسها
وسدسها واحد جملتها ستة وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ لا مرتبة بعد التمام

الا

الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال اذ الاحاد غايتها العشرات والسبعمائة غاية الغايات
ذلك اشارة الى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار اي ذلك الامتناع
ليس لعدم الاعتداد باستغفارك بل **بانهم** اي بسبب انهم **كفروا بالله ورسوله** كفرا
متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق في قوله عز وعلا **والله لا يهدي القوم الفاسقين**
فان الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد والتجاوز عن حده اي لا يهديهم هداية موصلة الى
المقصد البتة لمخالفة ذلك الحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع واما الهداية
بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه فهي متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها
فوقعوا فيما وقعوا والجملة تذييل مؤكد لما قبله من الحكم فان مغفرة الكافر بالاقلاع
عن الكفر والاقبال على الحق والمنهمك فيه المطبوع عليه بمعزل من ذلك وفيه تنبيه
على عذر النبي صلى الله عليه وسلم في استغفاره لهم وهو عدم ياسه من ايمانهم حيث لم يعلم
انهم مطبوعون على الغي والضلال اذ الممنوع هو الاستغفار لهم بعد تبين حالهم كما يلوح
به قوله عز وجل ما كان للنبي الاية **فرح المخلفون** اي الذين خلفهم النبي صلى الله عليه وسلم
بالاذن لهم في القعود عند استيذانهم او خلفهم الله تعالى بتثبيطه اياهم لما علم ما في ذلك
من الحكمة الخفية او خلفهم كسلهم ونفاقهم **بمقعدهم** متعلق بفرح اي بقعودهم
وتخلفهم عن الغزو **خلاف رسول الله** اي خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا معه يقال
اقام خلاف الحي اي بعدهم ظعنوا او لم يظعنوا • ويؤيده قراءة من قرا خلف رسول الله صلى الله عليه
وسلم بضم الخاء فانتصابه على انه ظرف لمقعدهم اذ لا فائدة في تقييد فرحهم بذلك
وقيل هو بمعنى المخالفة • ويعضده قراءة من قرا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الخاء
فانتصابه على انه مفعول له والعامل اما فرح اي فرحوا لاجل مخالفته صلى الله عليه
وسلم او على انه حال والعامل احد المذكورين اي فرحوا مخالفين له صلى الله عليه وسلم
وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله لا ايثارا للدعة والحرص على طاعة الله فقط بل
مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق فان ايثار احد الامرين قد يتحقق بادنى رجحان منه
من غير ان يبلغ الاخر مرتبة الكراهية وانما اوثر ما عليه النظم الكريم لا ان يقال وكرهوا
ان يخرجوا الى الغزو ايذانا بان الجهاد في سبيل الله مع كونه من اجل الرغائب واشرف
المطالب التي يجب ان يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا باقبح القبايح
الذي هو القعود خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقالوا** اي لاخوانهم تثبيتا لهم
على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد او للمومنين تثبيطا لهم عن
الجهاد ونهيا عن المعروف واظهارا لبعض العلل الداعية لهم الى ما فرحوا به
من القعود فقد جمعوا ثلاث خصال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهية الجهاد
ونهي الغير عن ذلك **لا تنفروا في الحر** فانه لا يستطاع شدته **قل** ردا عليهم وتجهيلا لهم
نار جهنم اي التي ستدخلونها بما فعلتم **اشد حرا** مما تحذرون من الحر المعهود وتحذرون
الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون انفسكم لها بايثار القعود المامور به
موكد لمضمونه وجواب لو اما مقدر اي لو كانوا يفقهون انها كذلك او كيف هي والله

عن حالهم انهم لما تعلقوا او لتنافي بما بعده الا ان امر ذا ما عنه مبني على التجرد لو انتفى الحس من اتساع
عمق ما حولها اي لو كانوا من اهل الفطانة لعرفوا لشقه كما في قوله عز وجل قل انظروا ماذا في السموات
والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون **فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا** اخبار عن
عاجل امرهم واجله من الضحك القليل والبكاء الكثير المودي اليه اعمالهم السيئة التي من
جملتها ما ذكر من الفرح والفا السببية ناسبق للاخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لا لنفسهما اذ
السببية في الاول اضافة وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية او الظرفية اي ضحكا
قليلا وبكاء كثيرا اي زمانا قليلا وزمانا كثيرا واخراجه في صورة الامر للدلالة على تحتم
وقوع المخبر به فان امر الامر المطاع ما لا يكاد يتخلف عنه المامور به خلا ان المقصود افادته
في الاول هو وصف القلة فقط وفي الثانية وصف الكثرة مع الموصوف يروى ان اهل
النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز ان يكون الضحك
كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وان تكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام
جزاء بما كانوا يكسبون من فنون المعاصي والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على
الاستمرار التجددي ما داموا في الدنيا وجزاء مفعول له للفعل الثاني اي ليبكوا جزاء او مصدر
حذف ناصبه اي يجزون بما ذكر من البكاء الكثير جزاء بما كسبوا من المعاصي المذكورة **فان رجعك**
الله الفاء لتفريع الامر الالهي على ما بين من امرهم والفعل من الرجع المتعدي دون الرجوع اللازم
اي فان ردك الله تعالى **الى طائفة منهم** اي الى المنافقين من المتخلفين في المدينة فان تخلف
بعضهم انما كان لعذر عائق مع الاسلام او الى من بقي من المنافقين المتخلفين بان ذهب بعضهم
بالموت او بالغيبة عن البلد بان تخرب اذ ان المتخلفين عن قتادة انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل
فيهم ما قيل **فاستاذنوك للخروج** معك الى غزوة اخرى بعد غزوة تبوك **فقل** اخراجا لهم عن
ديوان الغزاة وابعادا لمحلهم عن محفل صحبتك **لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا** اخبار
في معنى النهي للمبالغة وقد وقع كذلك **انكم** تعليل لما سلف اي لانكم **رضيتم**
بالقعود اي عن الغزو وفرحتم بذلك **اول مرة** هي غزوة تبوك **فاقعدوا** الفاء لتفريع الامر
بالقعود على ما سلف من رضاهم بالقعود اي اذ رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا من بعد
مع الخالفين اي المتخلفين الذين ديدنهم القعود والتخلف دائما وقرئ الخلفين على القصر وكان محو
اساميهم عن دفتر المجاهدين ولعنهم في قرن الخالفين عقوبة لهم واي عقوبة وتذكير اسم التفضيل
المضاف الى المؤنث هو الاكثر الدائر على الالسنة فانك لا تكاد تسمع قائلا يقول هي كبرى امراة
او اولى مرة **ولا تصل على احد منهم مات** صفة لاحد وانما جي بصيغة الماضي تنبيها على تحقق الوقوع
لا محالة **ابدا** متعلق بالنهي اي لا تدع ولا تستغفر لهم ابدا **ولا تقم على قبره** اي لا تقف عليه
للدفن او للزيارة والدعاء روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم
فلما مرض راس النفاق عبد الله بن ابي ابن سلول بعث الى النبي عليه السلام ليأتيه فلما دخل عليه قال
صلى الله عليه وسلم اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني
وساله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جسده الشريف ويصلي عليه فلما مات دعا ابنه وكان
مؤمنا مخلصا فاجابه عليه السلام وصلى عليه بمشي معه وقام على قبره حتى دفن فنزلت

ثالث

ثالث الاثنين اختي نزلت ولا تسال الى اخره فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك عن
الصلاة على المنافقين ولا قام على قبره وانما لم ينه عن التكفين بقميصه عليه السلام لان الضنة بالقميص كانت
مخلة بالاخلاق الكريمة على انه كان مكافاة بقميصه الذي البسه العباس رضي الله عنه حين
اسر يوم بدر والجملة مسوقة **انهم كفروا بالله ورسوله** تعليل للنهي على معنى ان الاستغفار للميت
والوقوف على قبره انما يكون للاستغفار له وهو مستحيل في حقهم لانهم استمروا على الكفر بالله تعالى
وبرسول الله مدة حياتهم **وماتوا وهم فاسقون** اي متمردون في الكفر خارجون عن حدوده الى
ما هو ابلغ من معنى الفسق **ولا تعجبك اموالهم واولادهم** تكرير لما سبق وتقرير لمضمونه بالاخبار بوقوعه
ويجوز ان يكون هذا في حق فريق غير الفريق الاول وتقديم الاموال في امثال هذا الموقع
على الاولاد مع كونهم اعز منها اما لعموم مساس الحاجة اليها بحسب الذات وبحسب الافراد والا
وقات فانه ما من احد من الاباء والامهات والاولاد الا وهو محتاج اليها على كل وقت وحين حتى ان
من له اولاد ولا مال له فهو واولاده في ضيق ونكال واما الاولاد فانما يرغب فيهم من بلغ
مبلغ الابوة واما لان المال مناط لبقاء النفوس والاولاد لبقاء النوع واما لانها اقدم في الوجود
من الاولاد لان الاجزاء المنوية انما تحصل من الاغذية كما سياتي في سورة الكهف **انما يريد**
الله ان يعذبهم بما في ايديهم من الاموال والاولاد **ان يعذبهم بها في الدنيا** بسبب ما يعانون فيها من المشاق ومكابدة
الشدائد في شانهما **وتزهق انفسهم وهم كافرون** اي فيموتوا كافرين باشتغالهم بالتمتع بها والالتها
عن النظر والتدبر في العواقب **واذا انزلت سورة** من القران يجوز ان يراد بها بعضها **ان امنوا**
بالله ان مفسرة لما في الانزال من معنى القول والوحي وتقديم الامر بالايمان لانه الاهم اي بان
امنوا **وجاهدوا مع رسوله** لاعزاز دينه واعلاء كلمته **استاذنك اولوا الطول منهم** اي ذووا الفضل
والسعة والقدرة على الجهاد بدنا وماله **وقالوا** عطف على استاذنك اي قالوا في استئذانهم متعلقين
بالاستئذان بتلك التعلة **ذرنا نكن مع القاعدين** اي الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من عذر
رضوا استئناف لبيان سوء صنيعهم وعدم امتثالهم للامرين وان لم يريدوا الا ولويتهم بحاله
بان يكونوا مع الخوالف مع النساء اللاتي شانهن القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقيل الخالفة
ما لا خير فيه **وطبع على قلوبهم** بسبب ذلك **فهم لا يفقهون** ما في الايمان بالله وطاعته في اوامره
ونواهيه واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد من السعادة وما في اضداد ذلك من
الشقاوة **لكن الرسول والذين امنوا معه** بالله وبما من عنده تعالى وفيه ايذان بانهم ليسوا من الايمان
بالله في شي وان لم يصرحوا بعدم الايمان صريحا اعراضهم عن الجهاد باستئذانهم في القعود **جاهدوا**
باموالهم وانفسهم وقيل اي ان تخلف هؤلاء عن الغزو فقد نهض اليه ونهض له من هو خير منهم واخلص
نية ومعتقدا واقاموا امر الجهاد بكل ما يمكنهم كقوله تعالى فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها
قوما ليسوا بها بكافرين **واولئك** المنعوتون بالنعوت الجليلة **لهم** بواسطة نعوتهم المذكورة
الخيرات اي منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في العقبى وقيل الحور
كقوله عز قائلا فيهن خيرات حسان وهو جمع خيرة بتخفيف خيرة **واولئك هم المفلحون** اي الفائزون
بالمطلوب لا من تخلف بعضا من الحظوظ الفانية عما قليل وتكرير اسم الاشارة تنويها لشانهم
وربا لمحلهم **اعد الله لهم** استئناف لبيان كونهم مفلحين اي هيأ لهم في الاخرة **جنات تجري**

من تحتها الأنهار خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المجرور والعامل أعد ذلك إشارة إلى ما فهم
من إعداد الله سبحانه لهم من الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى الفوز العظيم الذي لا
فوز وراءه وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم شروع في بيان أحوال منافقي الأعراب إثر بيان
منافقي أهل المدينة والمعذرون من عذّر في الأمر إذا قصّر فيه وتوانى ولم يجدّ وحقيقته أن يوهم
أن له عذرا فيما يفعل ولا عذر له والمعتذرون بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين
وهم المعتذرون بالباطل قيل هم المعذرون من الأعراب وهم الأحياء الذين حول المدينة
فيهم أسد وغطفان قالوا إن لنا عيالا وإن بنا جهدا فأذن لنا في التخلف وقيل هم
رهط عامر بن الطفيل قالوا إن غزونا معك أغارت أعراب طيّ على أهالينا ومواشينا
فقال صلى الله عليه وسلم سيغنيني الله تعالى عنكم. وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم
يعذرهم الله سبحانه. وعن قتادة اعتذروا بالكذب. وقرئ المعذرون بتشديد العين
والذال من تعذّر بمعنى اعتذر وهو لحن إذ التاء لا تدغم في العين وإدغامها في الطاء والزاي والصاد
في المطّوعين وأزكى وأصدق. وقيل أريد بهم المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون
أي الذين لم يفرطوا في الغزو وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقو الأعراب الذين لم يجيئوا ولم
يعتذروا وظهر أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعاء الإيمان والطاعة سيصيب الذين كفروا منهم أي
من الأعراب ومن المعتذرين فإن منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب أليم بالقتل والأسر
في الدنيا والنار في الآخرة ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
لفقرهم كمزينة وجهينة وبني عذرة حرج في التخلف إذا نصحوا لله ورسوله وهو عبارة عن الإيمان بهما
والطاعة لهما في السر والعلن وتوليهما في السراء والضراء والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الولي
الناصح لصاحبه ما على المحسنين من سبيل استيناف مقرر لمضمون ما سبق أي ليس عليهم جناح ولا إلى
معاتبتهم سبيل ومن مزيدة للتأكيد ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انتظامهم بنصحهم
ذلك في سلك المحسنين أو تعليل لنفي الحرج عنهم أي ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من
جملتهم والله غفور رحيم تذييل مؤكد لمضمون ما ذكر مشيرا إلى أن بهم حاجة إلى المغفرة وإن كان
تخلفهم بعذر ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم عطف على المحسنين كالتوكيد به قوله عز وجل فيما
سيأتي إنما السبيل الآية. وقيل عطف على الضعفاء وهم البكاؤون سبعة من الأنصار معقل
ابن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل
وعلية بن زيد أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قد نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة
والنعال المخصوفة نغز معك فقال صلى الله عليه وسلم لا أجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم
بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل أبو موسى الأشعري وأصحابه قلت لا أجد ما أحملكم عليه حال
من الكاف في أتوك بإضمار قد وما عاقه لما سألوه صلى الله عليه وسلم وعزموا ما يحملهم عليه عادة وفي
إيثار لا أجد على ليس عندي من تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين ما لا يخفى كأنه
صلى الله عليه وسلم يطلب ما يسألونه على الاستمرار فلا يجده تولوا جواب إذا وأعينهم تفيض
أي تسيل بشدة من الدمع أي دمعا فإن من البيانية مع مجرورها في حيز النصب على التمييز وهو
أبلغ من تفيض دمعها لأن إفادته أن العين بعينها صارت دمعا فياضا والجملة حالية وقوله

انه

أنه حزنا نصب على العلية أو الحالية أو المصدرية لفعل دل عليه ما قبله أي يحزنون حزنا
الحزن يسند إلى العين مجازا كما يسند إليها الفيض أو يحزنون حزنا فتكون الجملة حالا
من الضمير في تفيض ألا يجدوا على حذف اللام متعلقة بحزنا أو بتفيض أي لئلا يجدوا ما ينفقون في
شيء أو ما يحتاجون إليه إذا لم يجدوه عندك إنما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك في القعود
وهم أغنياء واجدون لأهبة الغزو مع سلامتهم رضوا استيناف تعليلي لما سبق كأنه قيل ما بالهم
استأذنوا وهم أغنياء فقيل رضوا بأن يكونوا مع الخوالف الذين شأنهم الضعة والدناءة وطبع الله على
قلوبهم أي ختم لم يتعظوا عن وخامة العاقبة فهم بسبب ذلك لا يعلمون أبدا غائلة ما رضوا به
وما يستتبعه آجلا كما لم يعلموا أخساسة شأنه عاجلا يعتذرون إليكم استيناف لبيان ما تصدر عنهم
بعد الرجوع إليهم روي أنهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع صلى الله عليه وسلم إليهم
جاؤوا يعتذرون إليه بالباطل والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فإنهم كانوا يعتذرون
إليهم أيضا لا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط أي يعتذرون إليكم في التخلف إذا رجعتم
من الغزو ومنتهين إليهم وإنما لم يقل إلى المدينة إيذانا بأن مدار الاعتذار هو الرجوع إليهم
لا الرجوع إلى المدينة فلعل منهم من بادر إلى الاعتذار قبل الرجوع إليها قل تخصيص هذا الخطاب
برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تعميم ما سبق لأصحابه أيضا لما أن الجواب وظيفته صلى
الله عليه وسلم وإنما اعتذارهم فكان شاملا للمسلمين بطول الرجوع إليهم لا تعتذروا أي لا تفعلوا
الاعتذار أو لا تقولوا إلى الحق أنهما ولا تكونون ولا تعتذروا أبدا من المعاذير وإنما المعنى
تعود إلى ما قال تبيانا عن قوله تعالى لن نؤمن لكم أي لن نصدقكم في ذلك أبدا فإنه استيناف
تعليل للنهي مبني على سوء الذات من قبلهم متفرع على ادعاء الصدق في الاعتذار لكنهم قالوا الرغبة
فيه لأنا لا نصدقكم أبدا فيكون عبثا إذ لا يترتب عليه غرض المعتذر وقوله عز وجل قد
نبأنا الله من أخباركم تعليل لانتفاء التصديق أي أعلمنا بالوحي بعض أخباركم المنافية للتصديق
فيما أسرتموه من الشر والفساد وأضمرتموه في ضمائركم وهيأتموه للإبداء في معرض الاعتذار
من الأكاذيب وجمع الضمير للإيذان بإفضاح حالهم في جميع المؤمنين للمبالغة في حسم أطماعهم من التصديق رأسا
ببيان عدم رواج اعتذارهم عند أحد من المؤمنين أصلا فإن تصديق البعض لهم ربما يطمعهم
في تصديق الرسول أيضا صلى الله عليه وسلم بواسطة المصدقين وللإيذان بافتضاحهم
بين المؤمنين كافة وسيرى الله عملكم فيما سيأتي أتتوبون إليه تعالى فيما أنتم فيه من النفاق
أم تثبتون عليه وكأنه استتابة وإمهال للتوبة وتقديم مفعول الرؤية على ما عطف على فاعله
من قوله تعالى ورسوله للإيذان باختلاف حال الرؤيتين وتفاوتهما للإشعار بأن مدار
الوعيد هو علمه عز وجل بأعمالهم ثم تردون يوم القيامة إلى عالم الغيب والشهادة لجزاء
ما ظهر منكم من الأعمال ووضع المظهر موضع المضمر لتشديد الوعيد فإن علمه سبحانه
وتعالى بجميع أعمالهم الظاهرة والباطنة وإحاطته بأحوالهم البارزة والكامنة يوجب
الزجر العظيم فينبئكم عند ردكم إليه ووقوفكم بين يديه بما كنتم تعملون أي كنتم
تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الأعمال السيئة السابقة واللاحقة على أن ما موصولة
والعائد إليها محذوف أو بعملكم المستمر على أنها مصدرية. والمراد بالتنبئة بذلك

المجازاة به وابنادها عليه لمن اغاة ما سبق من قوله سبحانه وتعالى قد نبأنا الله من اخباركم
الى اخره فان المنبا به الاخبار المتعلقة باعمالهم وللايذان بانهم ما كانوا عاملين في الدنيا
حقيقة اعمالهم وانما يعلمونها حينئذ **سيحلفون بالله لكم** تاكيد لمعاذيرهم الكاذبة
وتقرير لها والسين للتاكيد والمحلوف عليه محذوف يدل عليه الكلام وهو ما اعتذروا
به من الاكاذيب والجملة بدل من يعتذرون او بيان له **اذا انقلبتم** اي انصرفتم
من الغزو **اليهم** ومعنى الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع زيادة معنى الوصول والاستيلاء
وفائدة تقييد حلفهم به للايذان بانه ليس لدفع ما خاطبهم النبي صلى الله
عليه وسلم به من قوله تعالى لا تعتذروا واحلفهم به الايذان الى اخره بل هو امر مبتدا
لتعرضوا عنهم اعراض صفح فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم كما يفصح عنه قوله تعالى لترضوا
عنهم **فاعرضوا عنهم** لكن لا اعراض رضا كما هو طلبتهم بل اعراض اجتناب ومقت كما يعرب
عنه قوله عز وجل **انهم رجس** فانه صريح في ان المراد بالاعراض عنهم اما الاجتناب عنهم لما انهم
من الرجس الروحاني واما ترك استصلاحهم باللوم والعتاب فانما التعليل مستقل اي
وماواهم جهنم عتابا اذ لا يجدي ذلك تكلفوا انتم في ذلك **جزاء** نصب على انه مصدر موكد
لفعل مقدر من لفظه وقع حالا اي يجزون جزاء او لمضمون الجملة السابقة فانها مفيدة
لمعنى المجازاة قطعا كانه قيل مجزيون جزاء **بما كانوا يكسبون** في الدنيا من فنون السيئات
او على انه مفعول له **يحلفون لكم** بدل مما سبق وحذف ذكر المحلوف به لظهوره اي يحلفون به
سبحانه وتعالى **لترضوا عنهم** بحلفهم وتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم **فان ترضوا**
عنهم حسبما ارادوا وساعدتموهم في ذلك **فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين** اي فان
رضاكم عنهم لا يجديهم نفعا فان الله ساخط عليهم ولا اثر لرضاكم عنهم عند سخطه
سبحانه وتعالى ووضع الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجب
لما حل بهم من السخط وللايذان بانه مناط الحكم لمن شاركهم في ذلك والمراد به نهي
المخاطبين عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة على ابلغ وجه واكده فان الرضا
عمن لا يرضى عنه الله تعالى مما لا يكاد يصدر عن المومن وفيه ابقاء ذلك لما يتوهم
منهم ان رضى المومنين من دواعي رضى الله تعالى قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير
واصحابهما وكانوا ثمانين منافقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين حين قدم
المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي وحلف ان لا يتخلف عنه
ابدا **الاعراب** هي صيغة جمع وليست بجمع للعرب وقد قاله سيبويه رحمه الله لئلا
يلزم كون الجمع اخص من الواحد فان العرب هذا الجيل الخاص سواء سكن البوادي او القرى
واما الاعراب فلا يطلق الا على من يسكن البوادي ولهذا نسب الى الاعراب على لفظه
فقيل اعرابي قال اهل اللغة رجل عربي كما يقال مجوسي ويهودي ثم يحذف ياء النسبة
الى الاعراب على لفظه في الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل اعرابي بالالف يجمع على الاعراب
والاعاريب اي اصحاب البدو **اشد كفرا ونفاقا** من اهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم
ونشاتهم في معزل من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض افراده

كما في قوله تعالى وكان الانسان كفورا اذ ليس كلهم على ما ذكر كما يحيط به خبرا **واجدر ان لا يعلموا** اي احق
واخلق بان لا يعلموا **حدود ما انزل الله على رسوله** لبعدهم عن مجلسه صلى الله عليه وسلم وحرمانهم من مشاهدة
معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من الشرائع في مواقف الكتاب والسنة **والله عليم** باحوال كل من اهل
الوبر والمدر **حكيم** فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من الثواب والعقاب **ومن الاعراب** شروع في بيان
تشعب جنس الاعراب الى فريقين وتقديم اختصاصهم على الفريق المذكور كما تراءى من ظاهر النظم الكريم وشرح
لبعض مثالب هؤلاء المتفرعة على الكفر والنفاق بعد بيان تماديهم وحمل الاعراب على الفريق المذكور
خاصة وان ساعده من يحكي كال بعضا منهم وهم الذين يعبدون الانفاق من اهل النفاق دون فقرائهم
واعراب اسد وغطفان وتميم كما قيل لكن لا يساعده ما سياتي من قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن الى اخره
فان اولئك ليسوا من هؤلاء قطعا وانما هم من الجنس اي ومن جنس الاعراب الذي نعت بنعت لبعض افراده
من يتخذ ما ينفق من المال اي يعد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة **مغرما** اي غرامة وخسرانا
لازما اذ لا ينفقه احتسابا ورجاء للثواب انه تعالى ليكون له مغنما وانما ينفقه رياء وتقية فهي
غرامة محضة وما في صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ انما هو باعتبار غرض المنفق
من الرياء والتقية لا باعتبار ذات النفقة اي كونها غرامة **ويتربص بكم الدوائر** اي دوائر الدهر
ما يحيط بالشيء والمراد بها ما لا محيص عنه من مصائب الدهر اي ينتظر بكم دوائر الدهر ونوبه ودوله ليذهب غلبتكم
عليه فيتخلص مما ابتلي به **عليهم دائرة السوء** دعاء عليهم بنحو ما ارادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله سبحانه غلت
ايديهم بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم اطلق على كل ضرر وشر واضيفت اليه الدائرة ذما كما يقال رجل سوء
من دارت عليه ذمها وهي من باب اضافة الموصوف الى صفته فوصفت في الاصل بالمصدر مبالغة ثم اضيفت الى صفتها
كقوله عز وجل ما كان ابوك امرا سوء وقيل معنى الدائرة يقتضي معنى السوء فاضافتها اليه اضافة بيان وتاكيد كما قالوا
شمس النهار ولحيا راسه وقرئ بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة **والله سميع** بما يقولون عند الانفاق مما لا خير
فيه **عليم** بما يضمرونه من الامور الفاسدة التي من جملتها ان يتربصوا بكم الدوائر وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى
ومن الاعراب اي من جنسهم على الاطلاق **من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ** اي ياخذ لنفسه على وجه الاصطفاء والادخار
ما ينفق اي ينفقه في سبيل الله **قربات** اي ذرائع الى القربات وللايذان بما بينهما من كمال الاختصاص جعل كانه نفس
القربات والجمع باعتبار انواع القربات او افرادها وهي ثاني مفعولي يتخذ وقوله عز وجل **عند الله**
صفتها او ظرف ليتخذ **وصلوات الرسول** اي وسائل اليها فانه صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين
بالخير والبركة ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس
له ان يصلي عليه كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال اللهم صل على ال ابي اوفى فان ذلك منصب
له فله ان يتفضل به على من يشاء والتعرض لوصف الايمان بالله واليوم الاخر في الفريق الاخير مع ان مساق
الكلام لبيان الفرق بين الفريقين في شان اتخاذ ما ينفقونه حالا وما لا وان ذكر اتخاذه ذريعة الى القربات
والصلوات مغن عن التصريح بذلك لكمال العناية بايمانهم وبيان اتصافهم به وزيادة الاعتناء بتحقيق الفرق
بين الفريقين من اول الامر واما الفريق الاول فاتصافهم بالكفر والنفاق معلوم من سياق النظم الكريم
صريحا **الا انها قربة لهم** شهادة لهم من جناب الله تعالى بصحة ما اعتقدوه وتصديق لرجائهم
والضمير لما ينفق والتانيث باعتبار الخبر مع ما مر من تعدده باحد الوجهين والتنكير للتفخيم المغني
عن الجمع اي قربة عظيمة لا يكتنه كنهها وفي ايراد الجملة اسمية وتصديرها بحرفي التنبيه والتحقيق

من الجزاء له ما لا يخفى والاقتصار على بيان كونها قربة لهم لأنها الغاية القصوى وصلوات الرسول من
ذرائعها قوله تعالى سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم بإحاطة رحمته الواسعة لهم وتفسير للقربة كما أن
قوله عز وجل والله سميع عليم وعيد للأولين عقيب الدعاء عليهم والسين للدلالة على تحقق ذلك وتقرره البتة
قوله تعالى إن الله غفور رحيم لتحقيق الوعد على نهج الاستئناف التحقيقي قيل هم أبي عبد الله ذي البجادين
وقومه وقيل في بني مقرن من مزينة وقيل في أسلم وغفار وجهينة • وروى أبو هريرة أنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أسلم وغفار وشيء من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من تميم وأسد بن خزيمة
وهوازن وغطفان والسابقون الأولون من المهاجرين بيان لفضائل أشراف المسلمين إثر بيان فضيلة
طائفة منهم والمراد بهم الذين صلوا إلى القبلتين أو الذين شهدوا بدرا أو الذين أسلموا قبل الهجرة والأنصار
أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة نفر وأهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلا والذين
آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم بإحسان
أي متلبسين به والمراد به كل خصلة حسنة وهم اللاحقون بالسابقين من الفريقين على أن من تبعيضية
أو الذين اتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة فالمراد بالسابقين جميع المهاجرين والأنصار و
من بيانية رضي الله عنهم خبر للمبتدأ أي رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء أعمالهم ورضوا
عنه بما نالوه من رضاه • المستتبع لجميع المطالب طرا وأعد لهم في الآخرة جنات تجري تحتها الأنهار
وقرئ من تحتها كما في سائر المواضع خالدين فيها أبدا من غير انتهاء ذلك الفوز العظيم الذي لا فوز
وراءه وما في اسم الإشارة من معنى البعد لبيان بعد منزلتهم في مراتب الفضل وعظم الدرجة
من مؤمني الأعراب بعد بيان حال أهل البادية وممن حولكم من الأعراب أي من حول بلدتكم
منافقون وهم جهينة ومزينة وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن أهل المدينة عطف على
ممن حولكم عطف مفرد على مفرد فقوله تعالى مردوا على النفاق إما جملة مستأنفة لا محل
لها من الإعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق إثر بيان اتصافهم به وإما صفة للمبتدأ المذكور
فصل بينها وبينه بما عطف على خبره وإما صفة لمحذوف أقيمت هي مقامه وهو مبتدأ خبره من أهل
المدينة كما في قوله أنا ابن جلا وطلاع الثنايا والجملة عطف على الجملة السابقة أي ومن أهل المدينة قوم
مردوا على النفاق أي تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه إذا درب به وضري حتى لان عليه
ومهر فيه غير أن مرد لا يكاد يستعمل إلا في الشر والتمرد على الوجهين الأولين شامل للفريقين حسب
شمول النفاق وعلى الوجه الأخير خاص بمنافقي الأعراب المجاورين للمدينة ثم ذكر منافقي أهلها والله
أعلم وقوله عز شأنه لا تعلمهم بيان لتمردهم أي لا تعرفهم أنت بأعيانهم وأسمائهم وأنسابهم بل
بعنوان نفاقهم يعني أنهم بلغوا من المهارة في النفاق نحن نعلمهم في مراعاة التقية والتحامي
عن مواقع التهم إلى حيث يخفى عليك حالهم مع ما أنت عليه من علو الشأن وسمو الطبقة في كمال
الفطنة وصدق الفراسة وفي تعليق نفي العلم بهم مع أنه متعلق بحالهم مبالغة في ذلك وإيماء
إلى أن ما هم فيه من صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم فيها صارت بمنزلة ذاتياتهم أو مشخصاتهم
بحيث لا يعد من لم يعرفهم بتلك الصفة عالما بهم وحمل عدم علمه صلى الله عليه وسلم بأعيانهم على عدم علمه
صلى الله عليه وسلم بعد مجيء هذا البيان على أنه صلى الله عليه وسلم يعلم أنهم منافقين لكن لا يعلمهم
بأعيانهم مع كونه خلاف الظاهر مما ذكر من المبالغة قوله عز وجل سنعذبهم تقرير لما سبق من

مهارتهم في النفاق أي لا يقف على سرائرهم المركوزة في ضمائرهم إلا من لا يخفى عليه خافية لما هم عليه من شدة الاهتمام
بإبطان الكفر وإظهار الإخلاص وفي تعليق العلم بهم مع أن المقصود بيان تعلقه بحالهم ما مر من تعليق نفيه
بهم وقوله عز شأنه مرتين تعذيبهم وتحقيق لعذابهم حسبما علم الله فيهم من موجباته والسين للتأكيد
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فإنك منافق
اخرج يا فلان فإنك منافق فأخرج ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الأول والثاني إما القتل وإما عذاب
القبر أو الأول هو القتل والثاني عذاب القبر أو الأول أخذ الزكاة لما أنهم يعدونها مغرما والثاني
نهك الأبدان وإتعابها بالطاعات الفارغة عن الثواب ولعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق
أو النفاق المؤكد بالتمرد فيه ويجوز أن يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر
كرتين أي كرة بعد أخرى ثم يردون يوم القيامة إلى عذاب عظيم هو عذاب النار وفي تغيير السبك
بإسناد عذابهم السابق إلى نون العظمة حسب إسناد ما قبله من العلم وإسناد ردهم إلى العذاب اللاحق
إلى أنفسهم إيذان باختلافهما حالا وأن الأول خاص بهم وقوعا وزمانا يتولاه سبحانه وتعالى والثاني
شامل لعامة الكفرة وقوعا وزمانا وإن اختلفت طبقات عذابهم وآخرون بيان لحال طائفة من المسلمين
ضعيفة الهمم في أمور الدين وهو عطف على منافقون أي ومنهم يعني وممن حولكم ومن أهل المدينة
قوم آخرون اعترفوا بذنوبهم التي هي تخلفهم عن الغزو وإيثار الدعة عليه والرضا بسوء جوار
المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة ولم يحلفوا على ما صدر عنهم من
الأعمال السيئة كما فعله من اعتاد إخفاء ما فيه وإبراز ما ينافيه من المنافقين الذين اعتذروا
بما لا خير فيه من المعاذير المذكورة بالأيمان الكاذبة به حسب ديدنهم المألوف وهم رهط من المتخلفين
أوثقوا أنفسهم على سواري المسجد عندما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين حسب عادته الكريمة فرآهم كذلك فسأل عن شأنهم فقيل إنهم أقسموا أن
لا يحلوا أنفسهم حتى يحلهم فقال صلى الله عليه وسلم وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت خلطوا
عملا صالحا هو ما سبق منهم من الأعمال الصالحة والخروج إلى المغازي السابقة وغيرها وما لحق
من الاعتراف بذنوبهم من التخلف عن هذه المرة وآخر سيئا وندمهم على ذلك وتخصيصه بالاعتراف
لا يناسب الخلط لا سيما على وجه يؤذن بتوارد المخلوطين وكون كل منهما أو مخلوطا به كما يؤذن به
تبديل الواو بالباء في قوله • كأن ذلك خلطت الماء واللبن معناه إيقاع الخلط بينهما من
غير دلالة على اختصاص أحدهما لكونه مخلوطا والآخر لكونه مخلوطا به وتركه يفيد الدلالة
على جعل كل منهما متصفا بالوصفين جميعا وذلك فيما نحن فيه بورود كل من العملين على الآخر
مرة بعد أخرى والمراد بالعمل السيئ ما صدر عنهم من الأعمال السيئة أولا وآخرا • وعن الكلبي
التوبة والإثم وقيل الواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم عسى الله أن
يتوب عليهم أي يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم إن الله غفور رحيم يتجاوز عن سيئات
التائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما تفيده كلمة عسى من وجوب القبول فإنها للإطماع الذي هو
من أكرم الأكرمين إيجاب وأي إيجاب خذ من أموالهم صدقة روي أنهم لما أطلقوا قالوا يا رسول
الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال صلى الله عليه وسلم ما أمرت أن آخذ
من أموالكم شيئا فنزلت فليست هي الصدقة المفروضة لكونها مأمورا بها • ولما روي أنه صلى

الله عليه وسلم اخذ منهم الثلث وترك لهم الثلثين فوقع ذلك بيانا لما في صدقة من الاجمال وانما هي كفارة
لذنوبهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل **تطهرهم** سنا وصادا للتخلف والتا للخطاب والفعل مجزوم على
انه جواب للامر وقرئ بالرفع على انه حال من ضمير المخاطب في خذ او صفة لصدقة والتا للخطاب
او للصدقة والعايد على الاول محذوف ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم من اطهره **وتزكيهم بها** باثبات
اليا وهو خبر لمبتدا محذوف والجملة حال من الضمير في الامر او في جوابه اي وانت تزكيهم بها اي تنمي
تلك الصدقات حسناتهم الى مراتب المخلصين او اموالهم او تبالغ في تطهيرهم هذا على قراءة الجزم في تطهرهم
واما على قراءة الرفع فسواء جعل التا للخطاب او للصدقة فكذلك جعلت الجملة الاولى حالا من ضمير
المخاطب او صفة للصدقة على الوجهين فالثانية عطف على الاولى حالا او صفة من غير حاجة
الى تقدير المبتدا لتوجيه دخول الواو في الجملة الحالية **وصل عليهم** اي واعطف عليهم بالدعا
والاستغفار لهم **ان صلوتك** وقرئ صلاتك مراعاة لتعدد المدعو لهم **سكن لهم** تسكن نفوسهم
اليها وتطمئن قلوبهم بها ويثقون بانه سبحانه تقبل توبتهم والجملة تعليل للامر بالصلاة
عليهم **والله سميع** يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف بالذنب والتوبة والدعا او سميع يجيب
دعاءك لهم **عليم** بما تقتضيه الحكمة والجملة حينئذ تذييل للتعليل مقرر لمضمونه
وعلى الاول تذييل لما سبق من الايتين محقق لما فيهما **الم يعلموا** وقرئ بالتا والضمير اما
للتائبين فهو تحقيق لما سبق من قبول توبتهم وتطهير الصدقة وتزكيتها لهم وتقرير لذلك
وتوطين لقلوبهم ببيان ان المتولي لقبول توبتهم واخذ صدقاتهم هو الله تعالى وان
اسناد الاخذ والتطهير والتزكية الى الله تعالى اي الم يعلم اولئك التائبون **ان الله هو يقبل
التوبة** الصحيحة الخالصة عن عباده المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما ينبئ عنه كلمة عن والمراد
بهم اما اولئك التائبون ووضع المظهر في موضع المضمر للاشعار بعلية العبادة لقبولها واما كافة
العباد وهم داخلون في ذلك دخولا اوليا **وياخذ الصدقات** اي يقبل صدقاتهم على ان اللام
عوض عن المضاف اليه او جنس الصدقات المندرج تحته صدقاتهم اندراجا اوليا او هو الذي يتولى
قبول التوبة واخذ الصدقات وما يتعلق بها من التطهير والتزكية وان كنت انت المباشر
لها ظاهرا وفيه من تقرير ما ذكر ورفع شان النبي صلى الله عليه وسلم على نهج قوله تعالى ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله ما لا يخفى **وان الله هو التواب الرحيم** تاكيد لما عطف عليه وزيادة تقرير
لما يقرره مع زيادة معنى ليس فيه اي الم يعلموا انه المختص المستاثر ببلوغ الغاية القصوى من قبول
التوبة والرحمة وان ذلك سنة مستمرة له وشان دايم والجملة في حيز النصب سد مسد كل
واحد منهما مسد مفعوليه واما لغير التائبين من المؤمنين فقد روي انهم قالوا لما سيق على
هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت الم يعلموا اما الناس
من الخصال الداعية الى التكريم والتقريب والانتظام في سلك المؤمنين والتلقي بحسن القبول
والمجالسة فهو ترغيب لهم في التوبة والصدقة وقوله تعالى **وقل اعملوا** زيادة ترغيب لهم في
العمل الصالح الذي من جملته التوبة وللاولين في الثبات على ما هم عليه اي قل لهم بعدما بان لهم
شان التوبة اعملوا ما تشاءون من الاعمال فظاهره ترخيص وتخيير وباطنه ترغيب وترهيب
وقوله عز وجل **فسيرى الله عملكم** اي خيرا كان او شرا تعليل لما قبله وتاكيد للترغيب والترهيب

والسين

والسين للتاكيد **ورسوله** عطف على الاسم الجليل وتاخيره عن المفعول للاشعار بما بين الرؤيتين من التفاوت
والمؤمنون في الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان والمعنى ان
اعمالكم غير خافية عليهم كما رايتم وتبين لكم ثم ان كان المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالامر ظاهر
وان اريد بها مآلها من الجزاء خيرا او شرا فهو خاص بالدنيوي من اظهار المدح والثناء والذكر الجميل والاعزاز
ونحو ذلك من الاجزية واضدادها **وستردون** اي بعد الموت **الى عالم الغيب والشهادة** في وضع الظاهر موضع
المضمر من تهويل الامر وتربية المهابة ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب في الذكر لسعة عالمه وزيادة
خطره على الشهادة غني عن البيان وقيل ان الموجود الغائب عن الحواس علة او كالعلة للموجودات المحسوسة
والعلم بالعلة علة للعلم بالمعلومات فوجب سبق العلم بالغيب على العلم بالشهادة وعن ابن عباس الغيب
ما يسرونه من الاعمال والشهادة ما يظهرونه لقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون فالتقديم حينئذ
لتحقيق ان نسبة علمه المحيط بالسر والعلانية على ابلغ وجه واكده بايهام ان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه
بما يعلنونه كيف لا وعلمه سبحانه وتعالى بمعلوماته منزه عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء
وتحققه في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور البارزة والكامنة
وانما للايذان برتبة السر متقدمة على رتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه القريبة او
البعيدة مضمر قبل ذلك في القلب فتعلق علمه تعالى به في حالته الاولى متقدم على تعلقه به في حالته
الثانية **فينبئكم** عقيب الرد الذي هو عبارة عن الامر الممتد الى يوم القيمة **بما كنتم تعملون** قبل
ذلك في الدنيا والمراد بالتنبئة بذلك الجزاء بحسبه ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو وعد ووعيد **وآخرون**
عطف على آخرون قبله اي ومن المتخلفين من اهل المدينة ومن حولها من الاعراب قوم آخرون غير
المعترفين المذكورين **مرجون** وقرئ مرجئون من ارجيته وارجاته اي اخرته ومنه المرجئة الذين
لا يقطعون بقبول التوبة **لامر الله** في شانهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم كعب بن مالك ومرارة
بن الربيع وهلال بن امية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم
على السواري واظهار الغم والجزع والندم على ما فعلوا فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى اصحابه
عن ان يسلموا عليهم ويكلموهم وكانوا من اصحاب بدر فهجروهم الناس في شانهم على اختلاف من قايل
هلكوا او قايل عسى الله ان يغفر لهم فصاروا عندهم مرجين لامره تعالى **اما يعذبهم** ان بقوا على ما هم
عليه من الحال وقيل ان اصروا على النفاق وليس بذاك فان المذكورين ليسوا من المنافقين
واما يتوب عليهم اذ خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب على الحالية اي منهم
هؤلاء اما معذبون واما متوبا عليهم وقيل آخرون مبتدا ومرجون صفته وهذه الجملة
خبره **والله عليم** باحوالهم **حكيم** فيما فعل بهم من الارجا وما بعده وقرئ والله غفور رحيم **والذين
اتخذوا** عطف على ما سبق اي ومنهم الذين ونصب على الذم وقرئ بغير واو لانها قصة
على حيالها **مسجدا** **ضرارا** اي مضارة للمؤمنين وانتصابه على انه مفعول له او مفعول ثان لاتخذوا
او على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر منصوب على الحالية اي مضارون بذلك ضرارا او على انه
مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا من ضمير اتخذوا اي مضارا للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف
لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فيصلي بهم في مسجدهم فلما
فعله صلى الله عليه وسلم حسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا نرسل الى رسول

الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيها ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام وهو الذي سماه رسول الله صلى
الله عليه وسلم الفاسق وقد كان قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا
قاتلتكم معهم فلم يزل يفعل ذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يومئذ ولى هاربا الى الشام وارسل
الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا
واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي
العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال
صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل
من غزوة تبوك سألوه صلى الله عليه وسلم اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن
بن عدي وعامر بن السكن ووحشي وقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه
ففعلوا وامر ان يتخذ مكانه كناسة يلقى فيها الجيف والقمامة وهلك ابو عامر الفاسق بالشام
بقنسرين ضرارا تقوية للكفر الذي يضمرونه وكفرا وتفريقا بين المؤمنين الذين كانوا يصلون في مسجد
قباء مجتمعين يريد فارادوا ان يتخلفوا او يختلف كلمتهم وارصادا واعدادا وانتظارا لمن حارب
الله ورسوله وهو الراهب الفاسق اي لاجله حتى يجيء فيصلي فيه ويظهر على رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قبل متعلق باتخذوا اي اتخذوه من قبل ان ينافقوا بالتخلف حيث
كانوا بنوه قبل غزوة تبوك او بحارب اي حاربهما قبل اتخاذ هذا المسجد وليحلفن ان اردنا اي
ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الحسنى الا الخصلة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله والتوسعة
على المصلين او الا الارادة الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم ذلك لا تقم للصلاة فيه ابدا
المسجد حسبما دعوك اليها لمسجد اسس اي اصله على التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد رضي الله عنه سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي
اسس على التقوى فاخذ حصاة فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة واللام اما للابتداء
او للقسم المحذوف اي والله لمسجد وعلى التقديرين فمسجد مبتدأ وما بعده صفته وقوله تعالى من اول يوم
من ايام تأسيسه متعلق باسس وقوله تعالى احق ان تقوم فيه اي للصلاة وذكر الله تعالى خبره
وقوله تعالى فيه رجال جملة مستأنفة مبينة لاحقيته لقيامه صلى الله عليه وسلم فيه من جهة الحال بعد بيان
احقيته له من حيث المحل وصفة اخرى للمبتدأ او حال من الضمير في فيه وعلى كل حال ففيه تحقيق
وتقرير لاستحقاق القيام فيه والمراد بكونه احق نفس كونه حقيقا به اذ لا استحقاق في
مسجد الضرار رأسا وانما عبر عنه بصيغة التفضيل لفضله وكماله في نفسه او لافضليته في
الاستحقاق لما اول لما يكون باعتبار زعم الباني ومن يشايعه في الاعتقاد وهو الانسب بما
سيأتي يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال الذميمة لمرضات الله سبحانه وتعالى وقيل من الجنابة
فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين اي يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه
قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا
الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر رضي الله عنه يا رسول
الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال صلى الله عليه وسلم أترضون بالقضاء قالوا نعم يا رسول الله
فقال صلى الله عليه وسلم أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم فقال صلى

الله

الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي
تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط الاحجار الثلاث ثم نتبع الاحجار الماء فتلا
النبي صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهير
عن النجاسات كلها كانوا يتبعون الماء اثر البول وعن الحسن رضي الله عنه هو التطهر عن الذنوب بالتوبة
وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم أفمن اسس بنيانه على بناء الفعل للفاعل
والنصب وقرئ على البناء للمفعول والرفع وقرئ اسس بنيانه على الاضافة جمع اساس واساس
بالفتح والكسر جمع اس وقرئ آساس بنيانه جمع اس ايضا واس بنيانه وهي جملة مستأنفة مبينة لخيرية
الرجال المذكورين من اهل مسجد الضرار والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر اي ابعدما علم حالهم
من اسس بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان اي على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وابتغاء مرضاته
بالطاعة والمراد بالتقوى درجاتها الثابتة التي هي التوقي عن كل ما يؤثم من فعل او ترك وقرئ
تقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق دون التأنيث خير ام من اسس بنيانه ترك الاضمار للايذان باختلاف
المؤسسين ذاتا لاختلافهما وصفا واضافة على شفا جرف هار الشفا الحرف والشفير والجرف ما جرفه
السيول اي استأصلته واحتفرت ما تحته فبقي واهيا يريد الانهدام والهار المتصدع المشرف
الى السقوط من هار يهور ويهار او هار يهير قدمت لامه على عينه فصار كغاز ورام وقيل حذفت
عينه اعتباطا اي بغير موجب فجرى وجوه الاعراب على لامه فانهار به في نار جهنم مثل ما بنوا
عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس بما ذكر ثم رشح بانهياره في النار ووضع بمقابلة
الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى الرضوان ومقتضياته
التي ادناها الجنة وتأسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع في النار ساعة ثم مصيرهم اليها لا محالة
وقرئ جرف بسكون الراء والله لا يهدي القوم الظالمين اي لانفسهم والواضعين للاشياء في غير
مواضعها الى ما يرشدهم الى ما فيه نجاتهم وصلاحهم ارشادا موجبا له لا محالة واما الدلالة على ما يرشدهم
اليه ان استرشدوا فهو متحقق بلا اشتباه لا يزال بنيانهم الذي بنوا البنيان مصدر اريد به
المفعول ووصفه بالموصول الذي صلته فعل للايذان بكيفية بنائهم له وتأسيسه على اوهن قاعدة
واوهى اساس وللاشعار بعلة الحكم اي لا يزال مسجدهم ذلك مبنيا ومهدوما ريبة في قلوبهم
وقلقا بعضهم الى بعض لما سمعوا من اسرار المؤمنين مما يزيدهم ريبة وشكا في الدين اما حال
هدمه فلانه رسخ به ما كان في قلوبهم من الشر وتضاعفت اثاره واحكامه او سبب ريبة في امورهم
حيث ضعفت قلوبهم ووهى اعتقادهم بخفاء امرهم على المؤمنين لانهم اظهروا بين امورهم بعد البناء
اكثر مما كانوا يظهرونه قبل ذلك وقت اختلاطهم بالمؤمنين وساءت ظنونهم بانفسهم فلما هدموا
بنيانهم تضاعف ذلك الضعف ووهى وصار امرهم بينا فخافوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملهم
على ما كانوا عليه من قبل او ما مر تقتيلهم ونهب اموالهم وقال الكلبي معنى ريبة حسرة وندامة
وقال السدي وحبيب والمبرد لا يزال بنيانهم حزازة وغيظا في قلوبهم الا ان تقطع
من التفعل بحذف احدى التائين اي الا ان تتقطع قلوبهم قطعا وتتفرق اجزاء بحيث لا يبقى لها
قابلية ادراك واضمار قطعا وهو استثناء من اعم الاوقات او اعم الاحوال ومحله النصب على
الظرفية اي لا يزال بنيانهم في كل الاوقات او كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم او حال تقطع

قلوبهم بحيث يسلون عنها وأما ما دامت سالمة فالريبة باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال
الريبة عن قلوبهم ويجوز أن يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم أو في القبور أو في النار وقرئ
تقطع على بناء المجهول من التفعيل وعلى البناء للفاعل منه على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم أي إلا أن تقطع
أنت قلوبهم بالقتل وعلى البناء للمجهول من الثلاثي مذكرا ومؤنثا وقرئ إلى أن تقطع قلوبهم وإلى أن
تقطع قلوبهم على الخطاب وقرئ ولو قطعت قلوبهم على إسناد الفعل مجهولا إلى قلوبهم ولو قطعت قلوبهم
على الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب وقيل إلا أن يتوبوا توبة تتقطع
بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم والله عليم بجميع الأشياء التي من جملتها ما ذكر من أحوالهم حكيم في
جميع أحواله التي من زمرتها أمره الوارد في حقهم إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ترغيب
للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته إثر بيان حال المتخلفين عنه ولقد بولغ في ذلك على وجه
لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى وإثابته
إياهم بمقابلتها الجنة بالشرى على طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد
في العقد أنفس المؤمنين وأموالهم والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الأمر على العكس
بأن يقال إن الله باع الجنة من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم ليدل على أن المقصد في العقد هو الجنة وما
بذله المؤمنون في مقابلتها من الأنفس والأموال وسيلة إليها إيذانا بتعلق كمال العناية بهم
وبأموالهم ثم إنه لم يقل بالجنة بل قيل بأن لهم الجنة مبالغة في تقرر وصول الثمن إليهم واختصاصه
بهم كأنه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم وأما ما يقال من أن ذلك لمدح المؤمنين بأنهم بذلوا أنفسهم
وأموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تعالى وأن تمام الاستعارة موقوف على ذلك إذ لو قيل
بالجنة لاحتمل كون الشرى حقيقة لأنهما محل للعرضية بخلاف الوعد بها فليس بشيء لأن مناط دلالة ما
عليه النظم الكريم على الوعد ليس كونه جملة ظرفية مصدرة بأن فإن ذلك بمعزل من الدلالة على الاستقبال
بل هو الجنة التي يستحيل وجودها في الدنيا ولو سلم ذلك يكون العوض الجنة الموعودة بها لا الوعد بها
يقاتلون في سبيل الله استئناف لكن لا لبيان ما لأجله الشرى ولا لبيان نفس الاشتراء لأن قتالهم
في سبيل الله تعالى ليس باشتراء الله تعالى منهم أنفسهم وأموالهم بل بذل لهما في ذلك بل
لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور كأنه قيل كيف يبيعون أنفسهم وأموالهم بالجنة
فقيل يقاتلون في سبيل الله وذلك بذل منهم لأنفسهم وأموالهم إلى جهة الله سبحانه وتعالى وتعريض
لهما للإهلاك وقوله تعالى فيقتلون ويقتلون بيان لكون القتال في سبيل الله بذلا للنفس وأن المقاتل
في سبيل الله باذل لها وإن كانت سالمة غانمة فإن الإسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط
الجمع بينهما ولا اشتراط الاتصاف بأحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فإنه يتحقق
القتال من الكل سواء وجد الفعلان أو أحدهما منهم أو من بعضهم بل يتحقق ذلك وإن لم يصدر
منهم أحدهما أيضا كما إذا وجدت المضاربة ولم يوجد القتل من أحد الجانبين أو لم توجد المضاربة أيضا
فإنه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والنفير وتكثير السواد وتقديم حالة القاتلية على حالة
المقتولية للإيذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقا لكون القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم
المبني للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة في الباب وإيذانا بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل
الله تعالى بل بكونه أحب إليهم من السلامة كما قيل في حقهم لا يفرحون إذا نالت رماحهم قوما

وليسوا

وليسوا مجازيعا إذا نيلوا وقوله لا يقع الطعن إلا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل وقيل في
يقاتلون معنى الأمر كما في قوله تعالى تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وعدا عليه مصدر
مؤكد لما يدل عليه كون الثمن مؤجلا حقا نعت لوعدا والظرف حال منه لأنه لو تأخر لكان صفة له وقوله تعالى
في التوراة والإنجيل والقرآن متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا أي وعدا مثبتا في التوراة والإنجيل كما هو
في القرآن ومن أوفى بعهده من الله اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد على نهج المبالغة في كونه
سبحانه أوفى بالعهد من كل واف فإن إخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع إمكان صدوره
منهم فكيف يجوز على الخلاق الغني عن العالمين جل جلاله وسبك التركيب وإن كان على إنكار أن يكون أحد أوفى
بالعهد منه سبحانه من غير تعرض لإنكار المساواة ونفيها قطعا فإذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل منه
فالمراد به حتما أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل فاستبشروا التفات إلى الخطاب تشريفا لهم على
تشريف وزيادة لسرورهم على سرور والاستبشار إظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد
وأوقد والفاء لترتيب الاستبشار أو الأمر به على ما قبله أي فإذا كان كذلك فسروا نهاية السرور
وافرحوا نهاية الفرح بما فزتم به من الجنة وإنما قيل ببيعكم مع أن الابتهاج به باعتبار أدائه إلى
الجنة لأن المراد ترغيبهم في الجهاد الذي عبر عنه بالبيع وإنما لم يذكر العقد بعنوان الشرى لأن ذلك من
قبل الله سبحانه لا من قبلهم والترغيب إنما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تعالى الذي بايعتم به لزيادة
تقرير بيعهم وللإشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فإنه بيع للفاني بالباقي ولأن كلا البدلين
له سبحانه وتعالى عن الحسن رضي الله عنه أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها روي أن الأنصار لما
بايعوه صلى الله عليه وسلم على العقبة قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه اشترط لربك ولنفسك ما شئت
قال صلى الله عليه وسلم أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأشترط لنفسي أن تمنعوني
مما تمنعون منه أنفسكم قال فإذا فعلنا فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر
برسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي وهو يقرؤها قال كلام الله عز وجل قال بيع والله مربح لا نقيله
ولا نستقيله فخرج إلى الغزو واستشهد وذلك أي الجنة التي جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا من أنفسهم
وأموالهم هو الفوز العظيم الذي لا فوز أعظم منه وما في ذلك من معنى البعد إشارة إلى بعد منزلة
المشار إليه وسمو رتبته في الكمال ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى البيع الذي أمروا بالاستبشار
به ويجعل ذلك كأنه نفس الفوز العظيم أو يجعل فوزا في نفسه والجملة على الأول تذييل للآية الكريمة
وعلى الثاني لقوله تعالى فاستبشروا مقرر لمضمونه التائبون رفع على المدح أي هم التائبون يعني
المؤمنين المذكورين كما يدل عليه القراءة بالنصب على المدح ويجوز أن يكون مجرورا على أنه صفة
للمؤمنين وقد جوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف أي التائبون من أهل الجنة أيضا وإن لم
يجاهدوا لقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى ويجوز أن يكون خبره قوله العابدون وما بعده
خبر أي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال الفاضلة العابدون أي المخلصون في عبادة
الله تعالى الحامدون لنعمائه أو لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله صلى الله عليه وسلم سياحة
أمتي الصوم شبه بها لأنه عائق عن الشهوات أو لأنه رياضة نفسانية يتوسل بها إلى الاطلاع على خفايا الملك
والملكوت وقيل هم السائحون في الجهاد وطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلاة الآمرون
بالمعروف بالإيمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعطف فيه للدلالة على أنه

المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة واما قوله تعالى والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقائق
والشرائع عملا وحملا للناس عليه تنبيها بتوبيخهم اختصاصه باعد الرحمين وبشر المؤمنين اي الموصوفين بالنعوت
المذكورة ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ملاك الامر هو الايمان وان المؤمن الكامل من كان كذلك
وحذف المبشر به للايذان بخروجه عن حد البيان وفي تخصيص الخطاب به لاولين اظهار زيادة الاعتنا بامرهم
من الترغيب والتسليه ما كان للنبي والذين آمنوا بالله وحده اي ما صح له في حكم الله عز وجل وحكمته
وما استقام ان يستغفروا للمشركين به سبحانه ولو كانوا اي المشركين اولي قربى اي ذوي قرابة
لهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة اخرى قبلها محذوفة حذفا مطردا
كما بين في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره روي انه صلى الله عليه وسلم قال لعمه ابي طالب لما حضرته
الوفاة يا عم قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال صلى الله عليه وسلم لا ازال استغفر لك ما لم انه
عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت
ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي وانزل علي الآيتين من بعد
ما تبين لهم اي للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين انهم اي المشركين اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر
ونزل الوحي بانهم يموتون على ذلك وما كان استغفار ابرهيم لابيه بقوله واغفر لابي اي بان توفقه
للايمان وتهديه اليه كما يلوح به تعليله بقوله انه كان من الضالين والجملة استئناف مسوق لتقرير
ما سبق ودفع ما يتراءى بحسب الظاهر من المخالفة وقرئ وما استغفر ابرهيم لابيه وقرئ وما يستغفر
ابرهيم لابيه على حكاية الحال الماضية وقوله تعالى الا عن موعدة استثناء مفرغ من اعم العلل اي لم يكن
استغفاره عليه السلام لابيه ناشيا عن شيء من الاشياء الا عن موعدة وعدها ابرهيم عليه السلام
اياه اي اباه وقد قرئ لذلك بقوله لاستغفرن لك وقوله سأستغفر لك ربي بناء على رجائه ايمانه لعدم
تبين حقيقة امره والا لما وعدها اياه كانه قيل وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة مبنية
على عدم تبين امره كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما تبين له اي لابرهيم بان اوحي اليه انه مصر على الكفر غير
مؤمن ابدا او بان مات على الكفر والاول هو الانسب بقوله تعالى انه عدو لله فان وصفه بالعداوة
مما يأباه حالة الموت تبرأ منه اي تنزه عن الاستغفار له وتجانب كل التجانب وفيه من المبالغة ما ليس
في تركه ونظائره ان ابرهيم لأواه لكثير التأوه وهو كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب حليم صبور
على الاذية والمحنة وهو استئناف لبيان ما كان يدعوه عليه السلام الى ما صدر عنه من الاستغفار
فيه ايذان بان ابرهيم عليه السلام كان اواها حليما فلذلك صدر عنه ما صدر من الاستغفار قبل التبيين فليس
لغيره ان يأتسي به في ذلك وتوكيد لوجوب الاجتناب عنه بعد التبيين بانه عليه السلام تبرأ منه بعد
التبيين وهو في كمال رقة القلب فلا بد ان يكون غيره اكثر منه اجتنابا وتبرؤا واما ان الاستغفار
قبل التبيين لم كان غير محظور لما استثني عن الايتساء به في قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن
لك فقد حقق في سورة مريم باذن الله تعالى وما كان الله ليضل قوما اي ليس من عادته ان يصفهم
بالضلال عن طريق الحق ويجري عليهم احكامه بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم بالوحي صريحا ما يتقون
اي ما يجب اتقاؤه من محظورات الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه واما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر
عنهم ضلالا ولا يؤاخذون به وفيه تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك وفيه دليل
على ان الغافل غير مكلف بما لا يستبد بمعرفته العقل ان الله بكل شيء عليم تعليل لما سبق اي انه

تعالى

تعالى عليم بجميع الاشياء التي من جملتها حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل في معرفته فبين لهم ذلك كما
فعل هاهنا ان الله له ملك السموات والارض من غير شريك له فيه يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا
نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك التبري منهم راسا بين لهم ان الله
مالك كل موجود ومتولي اموره والغالب عليه ولا يتأتى لهم نصر ولا ولاية الا منه تعالى ليتوجهوا اليه بشراشرهم
متبرئين عما سواه غير قاصدين الا اياه لقد تاب الله على النبي قال ابن عباس رضي الله عنهما هو
العفو عن اذنه للمنافقين في التخلف عنه والمهاجرين والانصار الذين في حرز لا تسبقت منهم
يوم احد ويوم حنين وقيل المراد به الحث على التوبة فانه ما من مؤمن الا وهو محتاج اليها حتى النبي
صلى الله عليه وسلم لما صدر عنه في بعض الاحوال من ترك الاولى الذين اتبعوه ولم يتخلفوا عنه ولم
يخلطوا بامرين او امرهم في ساعة العسرة اي في وقتها والتعبير عنها بالساعة لزيادة تعيينه
وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا
التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الدخرة وبلغت لهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما
مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء المتغير وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة
زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة ووصف المهاجرين والانصار
بما ذكر من اتباعهم له صلى الله عليه وسلم في مثل هاتيك المراتب من الشدة للمبالغة في بيان الحاجة
الى التوبة فان ذلك حيث لم يغنهم عنها فلان لا يستغني عنها غيرهم اولى واحرى من بعد ما كاد
تزيغ قلوب فريق منهم بيان لتناهي الشدة وبلوغها الى ما لا غاية وراها وهو اشراف بعضهم
الى ان يميلوا عن التخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم الراجع اليه
الضمير في منهم وقرئ بتاء الفعل وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين
من المؤمنين كابي لبابة واضرابه ثم تاب عليهم تكرير للتأكيد وتنبيه على انه تاب عليهم
من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رءوف رحيم استئناف
تعليلي فانه صفة الرأفة والرحمة من دواعي التوبة والعفو ويجوز كون الاول عبارة عن
ازالة الضرر والثاني عن ايصال المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والآخر للواحق
وعلى الثلاثة الذين خلفوا اي فتاب الله على الثلاثة الذين اخروا امرهم عن امر ابي لبابة واصحابه
حيث لم يقبل معذرتهم مثل اولئك ولا ردت ولم يقطع في شانهم بشيء الى ان نزل فيهم الوحي
وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين
المدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرئ خالفوا اي المخالفين والاول هو
الانسب لان قوله تعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها لاعراض
الناس عنهم وانقطاعهم عن مفاوضتهم وهو مثل لشدة الحيرة لانه لا يستقر به قرار
ولا تطمئن به دار وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه اي علموا ان لا ملجأ من سخطه تعالى الا الى
استغفاره ثم تاب عليهم اي وفقهم للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة
التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب
المبالغ في قبول التوبة كما وكيفا وان كثرت الجنايات وعظمت الرحيم المتفضل عليهم بفنون
الآلاء مع استحقاقهم لافانين العقاب روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم منهم ندامة وكره مكانه فلحق به صلى الله عليه وسلم عن الحسن انه قال بلغني انه كان
لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائط ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمارك اذهب فانت
في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطأني ولا خلفني الا الضن بك فلا جرم والله لا
كابدن الشدائد حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فركب ولحق به صلى الله عليه وسلم قال
الحسن رضي الله عنه كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان
بعيره ابطأ فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال صلى الله عليه وسلم
لما رأى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا ذر يمشي وحده
ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت
له الحصير وقربت اليه الرطب والماء فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة
حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه
ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب ٢
يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من
بقي لم يلحق به صلى الله عليه وسلم منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت
عليه فرد علي كالمغضب بعدما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه
والنظر في عطفيه فقال صلى الله عليه وسلم ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا
الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن
فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت لله ساجدا وكنت كما
وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست
ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي
طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ
ولدتك امك ثم تلا علينا الآية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح قال ان تضيق على
التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه **يا ايها الذين آمنوا**
خطاب عام يندرج فيه التائبون اندراجا اوليا وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك خاصة **اتقوا
الله** في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه المعاملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر المغازي
دخولا اوليا **وكونوا مع الصادقين** في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا او في كل شان
من الشؤون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا فتكونوا لما ذهبهم حينئذ الثلاثة واضرابهم وعن ابن
عباس انه خطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق
وسائر المحاسن وقرئ من الصادقين **ما كان لاهل المدينة** اي ما صح وما استقام لهم **ومن حولهم من
الاعراب** كمزينة وجهينة واشجع وغفار وامثالهم **ان يتخلفوا عن رسول الله** عند توجهه صلى الله عليه
وسلم الى الغزو **ولا يرغبوا** نصب وقد جوز الجزم **بانفسهم عن نفسه** اي لا يصرفوها عن نفسه الكريمة
ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه بل يكابدوا معه ما كابده من الاهوال والخطوب والكلام في معنى
النهي وان كان على صورة الخبر **ذلك** اشارة الى ما دل عليه الكلام من وجوب المشايعة **بانهم** بسبب انهم

يصيبهم

لا يصيبهم ظمأ اي عطش يسير **ولا نصب** ولا تعب **ولا مخمصة** اي مجاعة ما والاستيباح عند التحرج
بين من ابتهافان الظمأ والنصب اليسير حيث لم يخلوا من الثواب فلان لا يخلوا من ذلك منه
اولى فلا حاجة الى ما قاله العلامة الطيبي من ان التنكير للتقليل ولا يجوز ان يراد بها تكثير المزيد ويكون
الترتيب باعتبار كثرة الوقوع وقلته فان الظمأ اكثر وقوعا من النصب الذي هو اكثر
وقوعا من المخمصة بالمعنى المذكور وتوسيط كلمة لا بينها ليس لتأكيد النفي بل للدلالة
على استقلال كل واحد منها بالفضيلة والاعتداد به **في سبيل الله** في اعلاء كلمته **ولا يطؤن
موطئا يغيظ الكفار** اي لا يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم
دوسا او مكانا يغيظ **ولا ينالون من عدو نيلا** مصدر كالقتل والاسر والنهب او مفعول
اي شيئا ينال بهم من قتلهم **الا كتب لهم به** اي بكل واحد من الامور المعدودة **عمل صالح**
وحسنة مقبولة مستوجبة بحكم الوعد الكريم للثواب الجميل وسبيل الرفع والنصب
للتحذير ولان المكتوب عين ما تعلق به من الامور لا يمتنع دخول الباء فان اتحاد في
العنوان كاف في ذلك **ان الله لا يضيع اجر المحسنين** تعليل لما سلف من الكتب والمراد
بالمحسنين اما المبحوث عنهم ووضع المظهر مقام المضمر لمدحهم والشهادة عليهم
بالانتظام في سلك المحسنين وان اعمالهم من قبيل الاحسان والاشعار بعلية المأخذ
للحكم واما جنس المحسنين وهم داخلون فيه دخولا اوليا **ولا ينفقون نفقة صغيرة**
ولو تمرة او علاقة سوط **ولا كبيرة** كما انفق عثمان رضي الله عنه والترتيب باعتبار
ما ذكر من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنصيص على استبداد كل منها بالكتب
والجزاء لا لتأكيد النفي كما في قوله عز وجل **ولا يقطعون** اي لا يجتازون في مسيرهم
واديا وهو في الاصل منفرج من الجبال والاكام يكون منفذا للسيل اسم فاعل
من ودي اذا سال ثم شاع في الارض على الاطلاق **الا كتب لهم** اي اثبت لهم ذلك الذي
فعلوه من الانفاق والقطع **ليجزيهم الله** بذلك **احسن ما كانوا يعملون** احسن جزاء اعمالهم
او جزاء احسن اعمالهم **وما كان المؤمنون لينفروا كافة** اي ما صح وما استقام لهم ان ينفروا
جميعا لنحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فان ذلك مخل بامر
المعاش **فلولا نفر** فهلا نفر **من كل فرقة** اي طائفة كثيرة **منهم** كاهل بلدة او قبيلة
عظيمة **طائفة** اي جماعة قليلة **ليتفقهوا في الدين** اي ليتكلفوا الفقاهة فيه
ويتجشموا المشاق في تحصيلها **ولينذروا قومهم** اي وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم
من ذلك في الدين من فروض الكفاية ارشاد القوم وانذارهم **اذا رجعوا اليهم**
وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه في الدين من فروض الكفاية
وان يكون غرض المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على العباد والتبسط
في البلاد كما هو ديدن ابناء الزمان والله المستعان **لعلهم يحذرون** ارادة
ان يحذروا عما ينذرون واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة
يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا
ويحذروا فلو لم يعتبر اخبارهم لما افاد ذلك وقد قيل للآية وجه آخر وهو

المؤمنين لما سمعوا ما انزل في المتخلفين تسارعوا الى النفير رغبة ورهبة وانقطعوا الى التفقه
فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه
الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة وهو الضمير
في ليتفقهوا ولينذروا البواقي الفرقة ولينذروا البواقي قومهم النافرين اذا
رجعوا اليهم بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم
من العلوم **يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار** امروا بالقتال والاقرب منهم فالاقرب
كما امر صلى الله عليه وسلم اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح
قيل هم اليهود حوالي المدينة كبني قريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا
يسكنون الشام وهو قريب من المدينة بالنسبة الى العراق وغيره **وليجدوا فيكم غلظة**
اي شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين كسخطة وبضمها وهما لغتان فيها
واعلموا ان الله مع المتقين بالعصمة والنصرة والمراد بهم اما المخاطبون ووضع الظاهر
موضع المضمر للتنصيص على ان الايمان والقتال على الوجه المذكور من باب التقوى
مكونهم من زمرة المتقين واما الجنس فيدخل المخاطبون فيه دخولا اوليا والمراد بالمعية
الولاية الدائمة وقد ذكر وجه دخول مع المتبوع في قوله تعالى ان الله معنا **واذا ما انزلت**
سورة من سور القرآن **فمنهم** اي من المنافقين **من يقول** لاخوانه ليثبتهم على النفاق
او لعوام المؤمنين وضعفتهم ليصدهم عن الايمان **ايكم زادته هذه** السورة **ايمانا**
وقرئ بنصب ايكم على شريطة التفسير المذكور اي ايكم زادته الى اخره وايراد
الزيادة مع انه لا ايمان فيهم اصلا باعتبار اعتقاد المؤمنين حسبما نطق به قوله تعالى
انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم
ايمانا **فاما الذين امنوا** جواب من جهته سبحانه وتعالى وتحقيق للحق وتعيين لحالهم
عاجلا واجلا فاما الذين امنوا بالله تعالى وبما جاء من عنده **فزادتهم ايمانا** بزيادة
العلم اليقيني الحاصل من التدبر فيها والوقوف على ما فيها من الحقائق وانضمام ايمانهم
السابق **وهم يستبشرون** بنزولها وبما فيه من المنافع الدينية والدنيوية **واما الذين**
في قلوبهم مرض اي كفر وسوء عقيدة **فزادتهم رجسا الى رجسهم** اي كفرا وايمانا مضموما
الى كفرهم فيها فعقائدهم باطلة واخلاقهم ذميمة كذلك **وماتوا وهم كافرون**
واستحكم ذلك الى ان يموتوا عليه **اولا يرون** الهمزة للانكار والتوبيخ والواو
للعطف على مقدر اي لا ينظرون ولا يرون **انهم** اي المنافقين **يفتنون في كل عام**
من الاعوام **مرة او مرتين** والمراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المذكور
اي يبتلون بافانين البليات من المرض والشدة وغير ذلك من الذنوب والوقوف
بين يدي رب العزة فيؤدي الى الايمان به تعالى وبالجهاد مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيعاينون ما ينزل عليه من الايات لا سيما القوارع الزائدة للايمان
الناعية عليهم ما فيهم من القبائح المخزية لهم **ثم لا يتوبون** عطف على لا يرون داخل
تحت الانكار والتوبيخ وكذا قوله تعالى **ولا هم يذكرون** والمعنى او لا يرون

افتتاحهم

اسباب الموجبة لايمانهم ثم لا يتوبون عما هم فيه من النفاق ولا هم يذكرون بتلك المحن الموجبة للتوبة
والتذكر وقرئ بالتاء والخطاب للمؤمنين والهمزة للتعجيب اي الا ينظرون ولا يرون احوالهم العجيبة التي
هي افتتانهم في كل عام على وجه التتابع وعدم التنبه لذلك فقوله تعالى ثم لا يتوبون عطف على يفتنون
واذا ما انزلت سورة بيان لاحوالهم عند نزولها وهم في محفل تبليغ الوحي كما ان
الاول بيان لمقالاتهم وهم غائبون عنه **نظر بعضهم الى بعض** تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية
لما ذكر فيها من مخازيهم **هل يراكم من احد** اي قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لينصرفوا
مظهرين انهم لا يصبرون في استماعها ويغلب عليهم الضحك فيفتضحون او يترامقون يتشاورون في
تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد اذا قمتم من المجلس وايراد ضمير الخطاب
لبعث المخاطبين على الجد في انتهاز الفرصة فان المرء بشانه اكثر اهتماما منه بشان اصحابه كما في
قوله تعالى وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا وقيل المعنى واذا ما انزلت سورة في عيوب المنافقين **ثم**
انصرفوا عطف على نظر بعضهم والتراخي باعتبار وجدان الفرصة والوقوف على عدم رؤية احد من
المؤمنين اي انصرفوا جميعا عن محفل الوحي خوفا من الافتضاح او غيره ذلك **صرف الله قلوبهم**
اي عن الايمان حسب انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية او دعائية **بانهم** بسبب انهم **قوم**
لا يفقهون لسوء فهمهم او لعدم التدبر **لقد جاءكم** الخطاب للعرب **رسول** اي رسول عظيم الشان **من**
انفسكم من جنسكم عربي قرشي مثلكم وقرئ بفتح الفاء اي اشرفكم وافضلكم **عزيز عليه ما عنتم**
اي شاق شديد عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب
وهذا من نتائج ما سبق من المجانسة **حريص عليكم** اي على ايمانكم وصلاح حالكم **بالمؤمنين** منكم ومن غيركم
رؤوف رحيم قدم الابلغ منهما وهي الرافة التي هي عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل **فان تولوا**
تلوين للخطاب وتوجيه له الى النبي صلى الله عليه وسلم تسلية له اي ان اعرضوا عن الايمان بك **فقل**
حسبي الله فانه يكفيك ويعينك عليهم **لا اله الا هو** استئناف مقرر لمضمون ما قبله **عليه توكلت**
فلا ارجو ولا اخاف الا منه **وهو رب العرش العظيم** اي الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل
منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان اخر ما نزل هاتان الايتان وعن النبي صلى
الله عليه وسلم ما نزل القران علي الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وسورة قل هو الله احد فانهما
انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس عليه السلام مائة وتسع ايات مكية بسم الله الرحمن الرحيم

الر بتفخيم الراء المفتوحة وقرئ بالامالة اجراء للالف مجرى المنقلبة من الياء وقرئ بين بين وهو
ما مر ورد في علم التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا
محل لها من الاعراب وانما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر محله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه
السورة مسماة الر وهو الاظهر او الرفع على الابتداء اي المسمى به وسبق العلم بالتسمية يجعله في حكم الاجابة
بها لا جعلها موادا للموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب كما مر والاشارة قبل جريان ذكرها
لما انها باعتبار كونها على جناح الذكر وبصدد ده صارت في حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان
او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وكلمة **تلك** اشارة اليها اما على تقدير

الر وامثاله بنمط التعديد بعد تنزيل حضورها ذهنا التي هي الحروف المذكورة منزلة ذكرها فالمشار
اليه الآيات فيما بعده الكلمات المؤلفة من جنس هذه الحروف المبسوطة اي اجزاؤها وانما في تقدير كونه
اسما للسورة فقد نوهت بالاشارة اليها بعد تنويها بتسميتها اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وما في
اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدأ خبره
قوله تعالى **آيات الكتاب** وعلى تقدير كون الر مبتدأ فهو مبتدأ ثان او بدل من الاول والمعنى
هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمقصود بيان بعضيتها له ووصفها بما اشتهر اتصافه
به من النعوت الفاضلة والصفات الكاملة والمراد بالكتاب اما جميع القرآن العظيم وان لم
ينزل الكل حينئذ باعتبار تعينه وتحققه في علم الله عز وعلا او في اللوح او في اعتبار انه انزل جملة
الى السماء الدنيا فانه المشهور فان في تحقق الكتاب كان من سماه تسمية الام وباسم القرآن في عهد النبي
فاعتبار المجموع الشخصي اذ لا بد من ملاحظة كلي الكتاب والقرآن باعتبار تحقق المذكورة
واما جميع القرآن النازل وقتئذ بالتعامل بين الناس اذ ذاك فانه كما يطلق على المجموع الشخصي
يطلق على المجموع ما نزل في كل عصر الا ترى الى ما روي عن جابر رضي الله عنه انه قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى احد في ثوب ثم يقول ايهم اكثر اخذا للقرآن
فاذا اشير الى احد قدمه في اللحد قاله **الحكيم** الناشي من الحق ان في ذلك الوقت وعلى فطرته
على التفاوت في اخذه انما هو المجموع النازل حينئذ من غير ملاحظة لتحقق المجموع الشخصي في
علم الله سبحانه او في اللوح ولا لنزوله جملة الى السماء الدنيا ذي الحكمة وصفه به لاشتماله على فنون
الحكم الباهرة ونطقه بها اذ هو من باب وصف الكلام بصفة صاحبه او من باب الاستعارة
المكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة هذا وقد جعل الكتاب عبارة عن نفس
السورة وكلمة تلك اشارة الى ما في ضمنها من الآي فانها في حكم الحاضر لا سيما بعد ذكرها ينضمها اسمي
السورة بعد بيان اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وينبغي ان يكون المشار اليه حينئذ كل واحدة
منها لا جميعها من حيث هو جميع لانه عين السورة فلا يكون للاضافة وجه ولا لتخصيص الوصف بالمضاف
اليه حكمة فلا ينافي ما قصد من مدح المضاف بما للمضاف اليه للكل الذي له والمبادرة اليه من صفة الكمال
والاوفي بيان اتصاف كل منها بالكمال من اتصاف الكل الذي لا يمنعه بيان اتصاف الكل لكن والمبادر من الكتاب
عند الاطلاق وان كان كله باحد الوجهين المذكورين لكن صحة اطلاقه على بعضه ايضا مما لا ريب فيه والمعهود
والمشهور وان كان اتصاف الكل باحد الاعتبارين بما ذكر من نعوت الكمال الا ان شهرة كل سورة منه
بما اتصف به الكل مما لا ينكر وعليه يدور ما قد تحقق من مدح السورة بكونها بعضا من القرآن الكريم او لولا
ان بعضه منعوت بنعت كله واخل تحت حكمه لما تم ذلك وفيه ما لا يخفى من التكليف والتعسف **أكان**
للناس عجبا الهمزة لانكار تعجبهم ولتعجيب السامعين منه لكونه في غير محله والمراد بالناس كفار
مكة وانما عبر باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم مع انه المدار لتعجبهم كما تعرض له في قوله عز وجل قال
الكافرون ان هذا لساحر لتحقيق ما فيه الشركة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعيين مدار التعجب
في زعمهم ثم تبيين خطئهم واظهار بطلان زعمهم بايراد الانكار والتعجيب واللام متعلقة بمحذوف
وقع حالا من عجبا وقيل بعجبا على التوسع المشهور في الظروف وقيل بالمصدر لانه كان بمعنى اسم الفاعل
او اسم المفعول جاز تقديم معموله عليه وقيل متعلقة بكان وهو مبني على دلالة كان الناقصة على

الحدث

الحدث **ان اوحينا** اسم كان قدم عليه خبرها اهتماما بشأنه لكونه مدار الانكار والتعجيب وتشويقا الى المؤخر
ولان في الاسم ضرب تفصيل ففي تقديمه رعاية للاصل نوع اخلال بتجاوب اطراف النظم وقرئ برفع عجب على انه
الاسم وهو نكرة والخبر ان اوحينا وهو معرفة لان ان مع الفعل في تأويل المصدر المضاف الى المعرفة اليه
والمختار حينئذ ان يجعل كان تامة وان اوحينا متعلقا بعجب على حذف حرف التعليل اي احدث للناس
عجب لان اوحينا او من ان اوحينا او بدلا من عجب لكن على توجيه الانكار والتعجيب الى حدوثه لا الى كونه
عجبا فان كونه الاسم الذي في حكم تحقيه المبوبي عنه ليس بمعناه امكان ارادته بالمرة انما قيل للناس لا عندهم
لانه على انهم اتخذوه اعجوبة لهم وفيه من زيادة تقبيح حالهم ما لا يخفى **الى رجل منهم** اي الى بشر
من جنسهم كقولهم ابعث الله بشرا رسولا او من افناءهم من حيث المال لا من عظمائهم كقوله لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان بحيث لا مزيد عليه اما الاول
فلان بعث الملك انما يكون عند كون المبعوث اليهم ملائكة كما قال سبحانه وتعالى قل لو كان في الارض
ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة
الملكية كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتناسب فبعث الملك اليهم مخالف للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين
والتشريع وانما الذي يقتضيه الحكمة ان يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية
المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا
الى جانب واما الثاني فلان مناط الاصطفاء للنبوة والرسالة هو التقدم في الاتصاف بما ذكر من النعوت
الجليلة والصفات الجميلة والسبق في نيل الحظوظ الدينية فلا مدخل له في ذلك المال في غاية الغايات
الفانية وسائر النهايات الثانية وانما المتقدم في الرياضة الدنيوية قطعا بل له اخلال به غالبا
قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء **ان انذر**
الناس ان مصدرية نحو اذكرن صلتها امرا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك وذلك لان الخبر والانشاء
في الدلالة على المصدر سيان فساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل الخبري فيجوز عنده
كونها بمعنى الامر والنهي عن تجريد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال ووجوب كون
الصلة في الموصول الاسمي خبرية انما هو للتوصل بها الى وصف المعارف بالجمل لا لدلالة لمقصود في
ذلك الانشائيات المصدر او مفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول وقد جوز كونها مخففة من المثقلة
على حذف ضمير الشأن والقول من الخبر والمعنى ان الشأن قولنا انذر الناس والمراد به جميع الناس
كافة لا المتعجبون بالاول وهو النكتة في الاظهار ايثارا للاطلاق على الاضمار وكون الثاني عين الاول
عند اعادة المعرفة ليس على الاطلاق **وبشر الذين آمنوا** بما اوحيناه وصدقوه **ان لهم قدم صدق**
عند ربهم اي سابقة ومنزلة رفيعة عند ربهم وانما عبر عنها بها اذ بها يحصل السبق والوصول الى المنازل
الرفيعة كما يعبر عنه عن النعمة تأكيدا لانه يعطى بها وقيل مقام صدق والوجه ان الوصول
الى المقام انما يحصل بالقدم واما نسبتها الى الصدق فالدلالة على تحققها وثباتها وللتنبيه على ان
مدار نيل ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم فان التصديق لا ينفك عن الصدق **قال الكافرون**
هم المتعجبون وايرادهم هنا بعنوان الكفر لا حاجة الى ذكر سببه وترك العاطف لجريانه مجرى
البيان للجملة التي دخلت عليها همزة الانكار او كونه استئنافا مبنيا على السؤال كانه قيل ماذا صنعوا
بعد التعجب هل بقوا على التردد والاستبعاد او قطعوا فيه بشيء فقيل قال الكافرون على طريقة

تأكيداً وسدّاً يعنون به ما اوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن الحكيم المنطوي على الانذار
والتبشير **لسحر مبين** اي لظاهر وقرئ لساحر على ان الاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي قولهم هذا الاعتراف من حيث لا يشعرون بان ما عاينوه خارج عن طوق البشر
نازل منزلة السحر خلاف العادة والقدر لكنهم سموه بما قالوا تمادياً في العناد كما هو ديدن المكابر اللجوج
ودأب المفحم المحجوج **ان ربكم** كلام مستأنف سيق لاظهار بطلان تعجبهم المذكور وما بنوا عليه من المقالة
الباطلة غب الاشارة اليه بالانكار والتعجب وتحقيق حقية ما تعجبوا منه وصحة ما انكروه من التبشير
والانذار على نعت ما يدل عليهما من شئون الخلق والتقدير واحوال التكوين والتدبير ويرشدهم الى
معرفتها لاعترافهم به من غير نكير لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون
لله فانى تؤفكون وقوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله تعالى ومن يدبر الامر فسيقولون
الله اى ان ربكم ومالك امركم الذى تعجبون من ان يرسل اليكم رجلا منكم بالانذار والتبشير وتعدونه
سحرا وانه من الكهانة بحسب زعمكم هو **الله الذي خلق السموات والارض** وما فيهما من اصول الكائنات **في ستة ايام**
اى في ستة اوقات او في مقدار ستة ايام معهودة فان نفس اليوم الذي عبارة عن زمان
كون الشمس فوق الارض مما لا يتصور تحققه حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة
على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث لهم على التأني في الاحوال والامور واما
تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر قد استأثر بعلمه ما يستدعيه علام الغيوب جلت قدرته ودقت
حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الايذان بانها اجرام مختلفة الطباع متباينة الاثار
والاحكام **ثم استوى على العرش** العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير
الملك فان الاوامر والتدابير منه تنزل وقيل هو الملك ومعنى استوائه سبحانه وتعالى عليه استيلاؤه
عليه او استواء امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة له سبحانه بلا كيف والمعنى انه سبحانه استوى
على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن التمكن والاستقرار وهذا بيان لجلالة ملكه وسلطانه
بعد بيان عظمة شأنه وسعة قدرته بما مر من خلق هاتيك الاجرام العظام **يدبر الامر** التدبير النظر
في ادبار الامور وعواقبها لتقع على الوجه المحمود والمراد ههنا التقدير على الوجه الاتم الاكمل والمراد
بالامر امر ملكوت السموات والارض والعرش وغير ذلك من الجزئيات الحادثة شيئا فشيئا على اطوار شتى
وانحاء لا تكاد تحصى من المناسبات والمباينات في الذوات والصفات والازمنة والاوقات اي يقدر
ما ذكر من امور الكائنات التي من جملتها ما تعجبوا منه من امر البعث والوحي تقديرا جاريا على [illegible]
ويهيئ اسبابه كلا لمقاصد [illegible] ويرتب مصالحها على الوجه الفائق والنمط اللائق
حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير استوى وقد
جوز كونه خبرا ثانيا لان او مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال نشأ من ذكر الاستواء على
العرش المنبئ عن اجراء احكام الملك على كل حاله فايثار صيغة المضارع للدلالة على تجدد التدبير واستمراره
قوله عز وجل **ما من شفيع** بيان لاستبداده سبحانه في التقدير والتدبير ونفي للشفاعة على ابلغ
الوجوه فان نفي جميع افراد الشفيع بمن الاستغراقية يستلزم نفي الشفاعة على اتم الوجوه كما في قوله
تعالى لا عاصم اليوم من امر الله وفي هذا البيان قوله تعالى يدبر الامر حالا جيء قوله تعالى وهو يجير ولا يجار
عليه عقيب قوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شيء وقوله **الا من بعد اذنه** استثناء مفرغ من اعم

الاوقات او من ما من شفيع يشفع لاحد في وقت من الاوقات الا من بعد اذنه المبني على الحكمة الباهرة وذلك عند كون
الشفيع من المصطفين الاخيار والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة كقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وفيه من الدلالة على عظمة جلاله سبحانه ما لا يخفى **ذلكم** اشارة الى المعلوم
بتلك العظمة اي ذلك العظيم الشأن المنعوت بما ذكر من نعوت الكمال التي عليها يدور استحقاق
الالهية **الله** وقوله تعالى **ربكم** بيان له او بدل منه او خبر ثان لاسم الاشارة وفيه ايماء الى انه
الذي خلق السموات والارض لما اخبر لزيادة التقرير والمبالغة في التذكير وتفريع الامر بالعبادة عليه
بقوله تعالى **فاعبدوه** اي وحدوه من غير ان تشركوا به شيئا من ملك او نبي فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع
ولا يضر ولا ينفع واعبدوا ما انزل اليكم **افلا تذكرون** اي اتعلمون ان الامر كما فصل فلا تتذكرون
ذلك حتى تقفوا على فساد ما انتم عليه فترتدعوا عنه **اليه** لا الى احد سواه استقلالا او اشتراكا
مرجعكم اي بالبعث كما ينبئ عنه قوله تعالى **جميعا** فانه حال من الضمير المجرور لكونه فاعلا في المعنى اي اليه
رجوعكم مجتمعين والجملة في التعليل لوجوب العبادة **وعد الله** مصدر مؤكد لنفسه لان قوله عز
وجل اليه مرجعكم وعد منه سبحانه بالبعث اي وعد الله وعدا فلما كان ذلك وعدا دليل على ان
المراد بالمرجع هو الرجوع بالبعث لان ما بالموت بمعزل من الوعد كما انه بمعزل من الاجتماع وقرئ بصيغة
الفعل **حقا** مصدر اخر مؤكد لما دل عليه الا قوله **انه يبدأ الخلق** وقرئ يبدئ **ثم يعيده** وهو استئناف
علل به وجوب المرجع اليه سبحانه وتعالى فان غاية البدء والاعادة هو جزاء المكلفين باعمالهم حسنة او
سيئة وقرئ بالفتح لانه ويجوز كونه منصوبا بما نصب وعد الله وعدا بدأ الله الخلق ثم اعادته ومرفوعا
بما نصب حقا اي حق بدء الخلق اي احق **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط** اي بالعدل وهو حال
من فاعل يجزي او ملتبسا بالعدل او متعلق بيجزي او يجزيهم بقسطهم واوفى اجورهم وانما اجمل ذلك ايذانا بانه
لانه لا يفي به الحصر او بقسطهم وعدلهم عند ايمانهم ومباشرتهم للاعمال الصالحة وهو الانسب بقوله عز وجل
والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ويجزي الذين كفروا بسبب كفرهم وتكرير
الاسناد بجعل الجملة الظرفية خبرا للموصول لتقوية الحكم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على
مواظبتهم على الكفر وتغيير النظم الكريم للايذان بان استحقاقهم للعقاب وان التعذيب بمعزل عن الانتظام
في سلك العلة الغائية للخلق بدءا واعادة وانما يحيق ذلك بالكفرة على موجب سوء اختيارهم واما المقصود
الاصلي فانما هو الاثابة **هو الذي جعل الشمس ضياء** تنبيه على الاستدلال على ما مر من ابداع السموات والارض
والاستواء على العرش وغير ذلك وبيان لبعض افراد التدبير الموعود [illegible] ومصالحهم المتعلقة بارسائهم بالمعاد
بارسال الرسول وانزال الكتاب وتبيين طرائق الهدى وتعيين مهاوي الردى اوثانيا اي حكاية ان جعل بمعنى
والجعل ان جعل بمعنى الانشاء والابداع فضياء حال من مفعوله او الثاني اي جعلها ضياء على احد الوجهين المذكورين
لكن لا بد ان تكون خالية عن تلك الحالة لتدل ابدعها كذلك كما في قولهم ضيق فم الركية ووسع اسفلها والضياء
مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة من الواو لانكسار ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما
الف بتقديم اللام على العين **والقمر نورا** الكلام فيه كالكلام في الشمس **وقدره** اي قدر له وهيأ **منازل**
اي قدر مسيره في منازل او قدره ذا منازل على تضمين التقدير معنى التصيير وتخصيص القمر بهذا
التقدير لسرعة سيره ومعاينة منازله وتعلق الاحكام الشرعية به وكونه عمدة في تواريخ العرب
وقد جعل العلماء لكل منها وهي ثمانية وعشرون لا ينزل القمر كل ليلة واحدة منها لا يتخطاه ولا يتقاصر

منه بل تتدرج شيئاً لا تبتدئ فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين • واذا كان في اخر منازله
دق واستقوس ثم يستتر ليلة او ليلتين اذا نقص الشهر وتكون مقام الشمس في كل منزلة منها ثلاثة
عشر يوما وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطان •
البطين • الثريا • الدبران • الهقعة • الهنعة • الذراع • النثرة • الطرف • الجبهة • الزبرة •
الصرفة • العواء • السماك • الغفر • الزباني • الاكليل • القلب • الشولة • النعائم • البلدة • سعد الذابح •
سعد بلع • سعد السعود • سعد الاخبية • فرغ الدلو المقدم • فرغ الدلو المؤخر • الرشاء وهو
بطن الحوت **لتعلموا** بما يتعاقب الليل والنهار المنوطين بطلوع الشمس وغروبها او باعتبار
نزول كل منهما في تلك المنازل **عدد السنين والحساب** اي حساب الاوقات لما انه لم يعتبر في السنين
المعدودة معنى مغاير لمراتب الاعداد كما اعتبر في الاوقات المحسوبة • وتحقيقه ان الحساب
احصاء ما له كمية منفصلة بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين له اسم
خاص من غير اسامي مراتب الاعداد وحكم مستقل كالسنة المتحققة من اثني عشر شهرا قد تحصل كل من
ذلك من ثلاثين يوما قد تحصل كل من ذلك من اربع وعشرين ساعة مثلا والعد مجرد احصائه بتكرير
امثاله من غير اعتبار ان يتحصل بذلك حد معين له ولما لم يعتبر في السنين المعدودة تحصل حد معين
له اسم خاص غير اسامي مراتب الاعداد وحكم مستقل اضيف اليها العدد وتحصل مراتب الاعداد
من العشرات والمئات والالوف اعتباري لا يجدي في تحصيل المعدود نفعا وحيث اعتبر في الاوقات
المحسوبة تحصيل ما ذكر من المراتب التي لها اسامي خاصة واحكام مستقلة علق بها الحساب المبني على ذلك
والسنة من حيث تحققها في نفسها مما يتعلق به الحساب وانما الذي يتعلق به العد طائفة منها وتعلقه
في ضمن ذلك بكل واحدة من تلك الطائفة ليس من الحيثية المذكورة اعني حيثية تحصلها من
عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات فان ذلك
وظيفة الحساب وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب مع متعلقيهما وجودا وعلما على العكس
لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما تعلق به الحساب تفصيلا وان لم يتحد الجهة اولان العدد
من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل امر اخر حسبما تحقق انفا نازل من الحساب الذي اعتبر فيه ذلك منزلة
البسيط من المركب **ما خلق الله ذلك** اي ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكي من الاحوال وفيه ايماء الى
ان معنى جعلهما على تلك الاحوال والهيئات ليس الا خلقهما كذلك كما اشير اليه ولا يقدح في ذلك الاستناد
القمر التي من الشمس امر حادث فان المراد بجعله نورا انما هو جعله بحيث يقتبس بالفعل عند وجود شرائطه
لا اقتباسه بالفعل **الا بالحق** استثناء مفرغ من اعم احوال الفاعل او المفعول اي ما خلق ذلك ملتبسا
بشيء من الاشياء الا ملتبسا بالحق مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة او مراعى فيه ذلك ومن جملته ما اشير اليه
اجمالا من العلم باحوال السنين والاوقات المنوط به امور معاملاتهم وعباداتهم **يفصل الايات**
اي الايات التكوينية المذكورة او جميع الايات فيدخل فيها الايات
المذكورة دخولا اوليا او يفصل الايات التنزيلية المنبهة على ذلك • وقرئ بنون العظمة **لقوم**
يعلمون الحكمة في ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شؤون مبدعها جل وعلا او يعلمون
ما في تضاعيف الايات المنزلة فيؤمنون به وتخصيص التفصيل بهم لانهم المنتفعون به **ان في اختلاف**
الليل والنهار تنبيه اجمالي على ما ذكر في تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للاخر بحسب غروب

الشمس

الشمس وطلوعها التابعين لحركات السموات وسكون الارض وفي تفاوتهما في انفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص
الاخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة
وفي اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول فان البلاد القريبة من القطب
الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الشتوية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه
ولياليه واما في العرض فلان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي
مقابله نهارا • **وما خلق الله في السموات والارض** من اصناف المصنوعات **لايات** عظيمة او كثيرة
دالة على وجود الصانع تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته وبالغ حكمته التي من جملة مقتضياتها
ما انكروه من ارسال الرسول وانزال الكتب والبعث والجزاء **لقوم يتقون** خصهم بذلك لان
الداعي الى النظر والتدبر انما هو تقوى الله تعالى والحذر من العاقبة وهم الواقفون على ان
جميع المخلوقات ايات دون غيرهم وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها
معرضون **ان الذين لا يرجون لقاءنا** بيان لمال امر من كفر بالبعث واعرض عن البينات
الدالة عليه بعد تحقيق ان مرجع الكل اليه تعالى بالبعث ولقاء الحساب • كما في قوله عز وعلا
اني ظننت اني ملاق حسابيه • واما ما كان فيه من الالتفات الى صيغة الجلالة فمن تهويل
الامر ما لا يخفى • والمراد بعدم الرجاء عدم التوقع مطلقا المنتظم لعدم الامل وعدم الخوف
فان عدم كل منهما لا يستدعي عدم اعتقاد وقوع المأمول والمحذور اي لا يتوقعون الرجوع الينا او لقاء
حسابنا المؤدي اما الى حسن الثواب او الى سوء العذاب فلا يأملون الاول واليه الاشارة بقوله عز وجل
ورضوا بالحياة الدنيا فانه مبني على ايثار الادنى الخسيس على الاعلى النفيس كقوله تعالى ارضيتم
بالحياة الدنيا من الاخرة ولا يخافون الثاني واليه اشير بقوله عز وجل **واطمأنوا بها** اي سكنوا
فيها سكون من لا براح له منها امنين من ازعاج المزعجات غير مخطرين ببالهم ما يزعجهم منها اصلا وقيل
المراد بالرجاء معناه الحقيقي وباللقاء حسن اللقاء اي لا يأملون حسن لقائنا بالبعث والاحياء بعد
الاماتة وصرفوا به منها وما فيها من فنون الكرامات السنية بالحياة الدنيا الدنية الفانية
واطمأنوا بها اي سكنوا اليها مكبين عليها قاصرين مجامع هممهم على لذائذها وزخارفها من
غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم • والايذان بالباء على كلمة في المنبئة عما ذكر من تركهم من مجرد الاصول
والانهماك في اللذات بتمام الملابسة ودوام المصاحبة والمؤانسة وحمل الرضا على الحرف لوقايته كلمة
الرضا بالحياة الدنيا فانه منبئ عما ذكر من ترك الاعلى واختيار الادنى واختيار صيغة الماضي
في الصلتين الاخيرتين للدلالة على التحقق والتقرر كما ان اختيار صيغة المستقبل في الاولى
للدلالة على الاستمرار على عدم الرجاء **والذين هم عن اياتنا** التي من جملتها ما حكي من احوال الكون حسبما
اشير اليه بعضها او اياتنا المنزلة المنبهة على الاستدلال بها المتفقة معها في الدلالة على حقية
ما لا يرجونه من اللقاء المترتب على البعث وعلى بطلان ما رضوا به واطمأنوا اليه من الحياة الدنيا
غافلون لا يتفكرون فيها اصلا وان نبهوا على ذلك وذكروا بانواع القوارع لانهماكهم فيما
يصدهم عنها من الاحوال المعدودة وتكرير الموصول للتوسل به الى حمل صلته جملة اسمية
منبئة عما هم عليه من استمرار الغفلة ودوامها وتنزيل التغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي
ايذانا بمغايرة الوصف الاخير للاوصاف الاول واستقلاله باستتباع العذاب • وقيل اما

ذاتيًا من أن العطف لتغاير الوصفين والتنبيه على أن الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسًا
والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر ببالهم الآخرة أصلًا وأما لتغاير الفريقين والمراد بالأولين من أنكر
البعث ولم يرد إلا الحياة الدنيا ومن الآخرين من ألهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل
والإعداد له أولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء مأواهم أي مسكنهم ومقرهم
الذي لا براح لهم منه النار لا ما اطمأنوا بها من الحياة الدنيا ونعيمها بما كانوا يكسبون
من الأعمال القلبية المعدودة وما يستتبعه من أصناف المعاصي والسيئات أو بكسبهم إياها والجمع
بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي والباء متعلقة بمضمون الجملة
الأخيرة الواقعة خبرًا عن اسم الإشارة وهو مع خبره خبر لأن في قوله تعالى إن الذين لا يرجون لقاءنا إلخ
إن الذين آمنوا أي فعلوا الإيمان أو آمنوا بما يشهد به الآيات التي غفل عنها الغافلون أو
بكل ما يجب أن يؤمن به فيندرج فيه ذلك اندراجًا أوليًا وعملوا الصالحات أي الأعمال الصالحة
في أنفسها اللائقة بالإيمان وإنما ترك ذكر الموصوف لجريانها مجرى الأسماء يهديهم ربهم أو
الالتفات لتشريفهم بإضافة الرب إليهم وإشعار بعلية الهداية بإيمانهم أي بسبب إيمانهم
إلى مأواهم ومقصدهم وهي الجنة وإنما لم يذكر تعويلًا على ظهوره وانسياق النفس إليه
لا سيما بملاحظة ما سبق من بيان مأوى الكفرة وما لوّح إليه من أعمالهم السيئة ومشاهدة ما لحق
من التلويح والتصريح وفي النظم الكريم إشعار بأن مجرد الإيمان والعمل الصالح لا يكفي في الوصول إلى الجنة
بل لا بد في ذلك من الهداية الربانية وأن الكفر والمعاصي كافية في دخول النار ثم إنه لا نزاع
في أن المراد بالإيمان الذي جعل سببًا لتلك الهداية هو إيمانهم الخاص المشفوع بالأعمال الصالحة
لا الإيمان الخالي عن العمل الصالح يفضي إلى الجنة في الجملة ولا يخلد صاحبه في النار فإن منطوق الآية
ذلك منه أن الإيمان المقرون بالعمل الصالح سبب للهداية إلى الجنة وأما أن كل ما هو سبب لها
يجب أن يكون كذلك فلا دلالة لها عليه ولا لزوم له قطعًا كيف لا وقوله عز وجل الذين آمنوا ولم
يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون وقد ثبت أن المراد بالظلم هو الشرك
كما أطبق عليه المفسرون والمعنى لم يخلطوا إيمانهم بشرك ولئن حمل على ظاهره أيضًا يدخل فيه
من آمن ولم يعمل صالحًا ثم مات قبل أن يظلم بفعل حرام أو ترك واجب تجري من تحتهم الأنهار
أي بين أيديهم كقوله سبحانه ومنه الأنهار تجري من تحتي أو تجري من تحت قصورهم وأرائكهم
مستأنفة والجملة مستأنفة أو خبر ثان لأن أو حال من مفعول يهديهم على تقدير كون
المهدي إليه ما يريدونه في الجنة كما قيل ونسب يهديهم ونسيد لهم الاستقامة على سلوك السبيل
المؤدي إلى الثواب والجنة وقوله تجري من تحتهم الأنهار بيان له وتفسير فإن التمسك بسبب السعادة
في حكم الوصول إليها وقد يهديهم إلى إدراك الحقائق المبنية بحسب القوة العملية كما قال صلى الله عليه وسلم
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم في جنات النعيم خبر آخر أو حال أخرى منه أو من الأنهار أو متعلق بتجري
أو بيهدي على أن المراد بالمهدي إليه ما أريد به أمامهم ظهور في الجنة أو بما يريدونه فيها دعواهم أي دعاؤهم
وهو مبتدأ وقوله عز وجل فيها متعلق به وقوله تعالى سبحانك اللهم خبر أي دعاؤهم
هذا الكلام وهو معمول لقول مقدر لا يجوز إظهاره والمعنى اللهم إنا نسبحك تسبيحًا ونعلم
يقولونه عندما يعاينوا ما فيها من تعاجيب آثار قدرته ونتائج رأفته ورحمته ما لا عين رأت

ولا

ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تقديسًا لمقامه تعالى عن شوائب العجز والنقصان وتنزيهًا
لوعده الكريم عن سمات الخلف وتحيتهم فيها التحية التكرمة بالحالة الجليلة أصلها أحياك الله
حياة طيبة أي ما يحيي به بعضهم بعضًا أو تحية الملائكة إياهم كما في قوله تعالى والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم أو تحية الله عز وجل لهم كما في قوله تعالى سلام قولًا من رب رحيم
سلام أي سلامة من كل مكروه وآخر دعواهم أي خاتمة دعائهم أن الحمد لله رب
العالمين أي يقولوا ذلك تحميدًا له عز وجل بصفات الإكرام إثر نعته تعالى بصفات الجلال
أي دعاؤهم محصور فيما ذكر إذ ليس لهم مطلب مترتب حتى ينظموه في سلك الدعاء وأن هي المخففة
من أن وضمير الشأن محذوف والجملة أصله أنه الحمد لله فخفف وحذف الشأن كما في قوله أن هالك
كل من يحفى وينتعل وقرئ أن الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند
الحكاية بين دعائهم وخاتمته للتوسل إلى ختم الحكاية بالتحميد تبركًا مع أن التحميد ليس بأجنبية
على الإطلاق ودعوى كون ترتيب الوقوع أيضًا كذلك بأن يكون ذلك حين دخول الجنة وعاينوا عظمة الله
تعالى وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات والفوز
بأصناف الكرامات أو حياهم ربهم بذلك رب العزة فحمدوه تعالى وأثنوا عليه بما هو أهله فتلك
الأحوال دعواهم وقد جوزوا أن يكون المراد بالدعاء العبادة كما في قوله تعالى وأعتزلكم وما
تدعون إلى آخره إيذانًا بأن لا تكليف في الجنة أي ما عبادتهم إلا أن يسبحوا الله ويحمدوه وليس
ذلك بعبادة إنما يلهمونه فينطقون به تلذذًا بلا كلفة ولو يعجل الله للناس
هم الذين لا يرجون لقاء الله تعالى لإنكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء أشير إليه
بعض من عظائم معاصيهم المتفرعة على ذلك وهو استعجالهم بما وعدوه من العذاب تكذيبًا
واستهزاء وإيراده باسم الجنس لما أن تعجيل الخير لهم ليس دائرًا على وصفهم المذكور إذ ليس
كل ذلك بطريق الاستدراج أي لو يعجل الله لهم الشر الذي كانوا يستعجلون به فإنهم كانوا يقولون
اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ونحو ذلك
وقوله تعالى استعجالهم بالخير نصب على أنه مصدر تشبيهي وضع موضع مصدر ناصبه دلالة
على اعتبار الاستعجال في جانب المشبه به وإشعار بسرعة إجابته تعالى لهم حتى كأن استعجالهم بالخير
نفس تعجيله لهم والتقدير ولو يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم به تعجيلًا مثل تعجيله لهم الخير
عند استعجالهم له فحذف ما حذف ثقة بدلالة الباقي عليه لقضي إليهم أجلهم لأدي إليهم
الأجل الذي عين لعذابهم وأميتوا أو أهلكوا بالمرة وما أمهلوا طرفة عين وفي إيثار صيغة
المبني للمفعول جري على سنن الكبرياء وقرئ بالبناء للفاعل كما قرئ لقضينا وإيثار
صيغة الاستقبال في الشرط وإن كان المعنى على المضي لإفادة أن عدم قضاء الأجل لاستمرار
عدم التعجيل فإن المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في إفادة انتفاء استمرار الفعل
بل قد يفيد استمرار انتفائه أيضًا بحسب المقام كما حقق في موضعه واعلم أن مدار الإفادة
في الشرطية أن يكون الثاني أمرًا مغايرًا للمقدم في نفسه مترتبًا عليه في الوجود كما في
قوله عز وجل لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم فإن العنت أي الوقوع في المشقة والهلاك
أمر مغاير لطاعته صلى الله عليه وسلم لهم مترتب عليها في الوجود أو يكون في ذلك الأمر مترتب

المراد به ما ان الحق البقية بامر عرضه كما في الاجوبة المحذوفة في قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم
وقوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار ٭ وقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ونظايرها اي لرايت
امرا هايلا لا يفي به البيان او عجزة لله ٭ وكما في قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها
من دابة اذ فسر الجواب بالاستيصال فانه قد دل ما مر من المراد مطلق المؤاخذة وقد عبر عنه
بما لا مزيد عليه في الدلالة على الشدة في الفظاعة حسن موقعه في معرض السؤال للمؤاخذة
المطلقة ٭ واما ما نحن فيه من القضاء فليس بامر هايل بستعجل لشر في نفسه وهو طامع
بل هو ما في نفسه اوجز ومنه كتابوجريانه من غير مزية له على البقية اذ لم يبق في جميع
ما ليس في مفهوم تعجيل الشر من الشدة والهول فلا يكون في ترتبه عليه وجودا او عدما
مزية فانه صحيحة لجعله تاليا له فالحق ان المقدم ليس نفس التعجيل المذكور بل هو الارادة
المستتبعة للقضاء المذكور وجودا وعدما كما في قوله تعالى لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم
العذاب اي لو يريد مؤاخذتهم فان تعجيل العذاب هو نفس المؤاخذة او جزء من جزئياتها
غير ممتاز عن البقية فليس في بيان ترتبه عليها وجودا وعدما مزيد فايدة ٭ واما الغاية
في بيان ترتبه على ارادة ما يعنيه ذكرا وبيانا في ترتيب السؤال على ارادة المؤاخذة مع ما ليس في ترتبه
على نفسه من المبالغة وهو تهويل الامر والدلالة على ان الامر منوط بارادته تعالى المبنية
على الحكم البالغة **فنذر الذين لا يرجون لقاءنا** بنون العظمة الدالة على التشديد اي
في الوعيد المبني على الحكم البالغة وهو عطف على مقدر ينبئ عنه الشرطية ٭ كانه قيل لكن
لا نفعل ذلك لما تقتضيه الحكمة فنتركهم امهالا واستدراجا **في طغيانهم** الذي هو عدم
رجاء اللقاء وانكار البعث والجزاء وما يتفرع على ذلك من اعمالهم السيئة ومقالاتهم الشنيعة
يعمهون يترددون ويتحيرون وفي وضع الموصول موضع الضمير نوع بيان للطغيان
بما في حيز الصلة واشعار بعلية الحكم للنزول والاستدراج **واذا مس الانسان الضر** اي
اصابه جنس الضر من مرض وفقر وغيرهما من الشدائد اصابة يسيرة **دعانا** لكشفه
وازالته **لجنبه** حال من فاعل دعا بشهادة ما عطف عليه من الحالين والكلام محمول على
كما في قوله تعالى يخرون للاذقان فانه اي دعانا كاينا على جنبه اي مضطجعا **او قاعدا**
او قايما اي في جميع الاحوال ما ذكر وما لم يذكر وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم
خلو الانسان عنها عادة او دعانا في جميع احوال مرضه على انه المراد بالضر خاصة مضطجعا
عاجزا عن القعود وقاعدا غير قادر على النهوض وقايما لا يستطيع الحراك **فلما كشفنا**
عنه ضره الذي مسه على ما دعانا حسبما يبتغيه الفاء **مر** اي مضى واستمر على طريقته
التي كان عليها قبل مساس الضر ونسي حالة الجهد والبلاء او مر عن موقف الضراعة
والابتهال ونأى بجانبه **كان لم يدعنا** اي كانه لم يدعنا فخففت وحذف
ضمير الشأن كما في قوله ٭ كان لم يكن بين الحجون الى الصفا ٭ والجملة
التشبيهية في محل النصب على الحالية من فاعل مر اي مشبها بمن لم يدعنا **الى ضر** اي الى
كشف ضر **مسه** وليس ادعى الحيني باعتبار حال تعلق ارادته ممن هو متصف بهذه الصفة
كذلك نصب على المصدرية وذلك اشارة الى مصدر الفعل الاتي وما فيه من معنى البعد

للتفخيم والكاف مقحمة للدلالة على زيادة فخامة المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة
العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل مكان انت لا تبخل اي مثل ذلك التزيين العجيب
زين للمسرفين اي الموصوفين بما ذكر من الصفات الذميمة واسرافهم لان الله تعالى انما اعطاهم
القوى والمشاعر ليصرفوها الى مصارفها ويستعملوها فيما خلقت له من العلوم والاعمال الصالحة
فلما صرفوها الى ما لا ينبغي وهي راس مالهم فقد اسرفوا واسرفوا اسرافا ظاهرا والتزيين اما من جهة
الله سبحانه على طريق التخلية والخذلان ومن الشيطان بالوسوسة والتسويل **ما كانوا**
يعملون من الاعراض عن الذكر والدعاء والانهماك في الشهوات وتعلق الاية الكريمة بما قبلها
من حيث ان كلا منهما امهال للكفرة على طريقة الاستدراج بعد الانقاذ من الشر المقدر في الاولى
ومن الضر المقرر في الاخرى **ولقد اهلكنا القرون** اي القرون الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود
واضرابهم ومن في قوله تعالى **من قبلكم** متعلقة باهلكنا اي اهلكناهم من قبل زمانكم
والخطاب لاهل مكة على طريقة الالتفات للمبالغة في تشديد التهديد بعد تاييده بالتوكيد
القسمي **لما ظلموا** ظرف للاهلاك اي اهلكناهم حين فعلوا الظلم بالتكذيب والتمادي في الغي
والضلال من غير تاخير **وجاءتهم رسلهم** الواو للحال من ضمير ظلموا ٭ وقوله تعالى
بالبينات متعلق بجاءتهم على ان الباء للتعدية او بمحذوف وقع حالا من رسلهم دالة على
افراطهم في الظلم وتناهيهم في المكابرة اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالايات
بالايات البينة الدالة على صدقهم او ملتبسين بها حين لا مجال للتكذيب وقد جوز
ان يكون للعطف على ظلموا فلا محل للجملة عند سيبويه وعند غيره محلها الجر لانها معطوفة
على ما هو مجرور باضافة الظرف اليه وليس الظرف لظلمهم محصورا في التكذيب حتى يحتاج
الى الاعتذار بان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي كما في قوله تعالى
ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا الاية بل هو محمول على سائر انواع الظلم والتكذيب
مستفاد من قوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا على ابلغ وجه واكده فان اللام لتاكيد النفي اي
ما صح وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله تعالى اياهم لعلمه بان الالطاف
لا تنجع فيهم ٭ والجملة على الاول عطف على ظلموا لانه اخبار بتحقق التكذيب ومسند
بالاصرار عليه وعلى الثاني عطف على ما عطف عليه ٭ وقيل اعتراض بين الفعل وما يجري مجرى
مصدره التشبيهي اعني قوله تعالى **كذلك** فان الجزاء المشار اليه عبارة عن مصدره اي مثل ذلك
الجزاء الفظيع اي الاهلاك الشديد الذي هو الاستيصال بالمرة **نجزي القوم المجرمين** اي كل
طايفة مجرمة وفيه وعيد شديد وتهديد اكيد لاهل مكة لاشتراكهم لهم ونسبب المهلكة
في الجرائم والجرائر التي هي تكذيب الرسول والاصرار عليه وتفريعهم ما سبق من قوله
تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير ٭ وقرئ بالياء على الالتفات الى الغيبة وقد
جوز ان يكون المراد بالقوم المجرمين اهل مكة على طريقة وضع الظاهر موضع الضمير والخطاب
الذي اليهاهم اعلام من الاجرام واياه كل الاباء وقوله عز وجل **ثم جعلناكم خلايف في الارض**
من بعدهم فانه صريح في انه ابتداء تعرض لامورهم وانما هو بين فيه انما هو مناط جزايهم
الاخبار بكيفيات اعمالهم على وجه تشعر باستمرارهم على الايمان والطاعة فمحال ان يكون ذلك

الرسل اذ بيان منتهى امرهم وخطابهم بيت القول بعد ذكرهم لكمال الاجرامهم والمعنى ثم استخلفناكم في الارض
بعد اهلاكنا لهم او لمائة القرون التي تسمعون اخبارها وتشاهدون اثارها استخلاف من يختبر
لننظر اي لنعامل معاملة من ينظر كيف تعملون فهي استعارة تمثيلية وكيف منصوب على
المصدرية بتعملون لا بننظر فان ما فيه من معنى الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه اي عملا
او على الحالية او على اي حال تعملون الاعمال اللائقة بالاستخلاف من اوصاف الحسن كقوله
عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا فيه اشعار بان المراد بالذات والمقصود الاصلي من الاستخلاف
انما هو ظهور الكيفيات الحسنة للاعمال الصالحة واما الاعمال السيئة فبمعزل من ان تصدر عنهم لا سيما
بعد ما سمعوا اخبار القرون المهلكة وشاهدوا اثارها فضلا عن ان ينظر ظهورها في سلالة
الغائية للاستخلاف وقيل منصوب على انه مفعول به اي اي عمل تعملون خيرا او شرا فنعاملكم بحسب
فلا تكونون في كله كيف حينئذ دلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الاعمال وكيفياتها لا ذواتها كانه
داخل في الباب بل تكون مستعارة لمعنى اي و**واذا تتلى عليهم** التفات من خطابهم الى الغيبة اعراضا
عنهم وتوجيها للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعديد جناياتهم المضادة لما اريد منهم
بالاستخلاف من تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والكفر بالايات البينات وغير ذلك
كدأب من قبلهم من القرون المهلكة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الاخر حسب
تجدد التلاوة **اياتنا** الدالة على حقية التوحيد وبطلان الشرك والاضافة للتشريف
المغيات والترغيب في الايمان به والترهيب عن تكذيبه **بينات** حال كونها واضحات الدلالة
على ذلك وايراد فعل التلاوة مبنيا للمفعول مسندا الى الايات دون رسول الله صلى الله عليه
وسلم لتنبيه للفاعل للاشعار بعدم الحاجة لتعيين التالي وللايذان بان كلامهم في نفس المتلو
دون التالي **قال الذين لا يرجون لقاءنا** وضع الموصول موضع الضمير اشعارا بعليته ما في حيز
الصلة للعظيمة المحكية عنهم وانهم انما اجترؤا عليه لعدم خوفهم من عقابه تعالى يوم اللقاء
لانكارهم له ولما هو من مباديه من البعث وما ظهر لك الذي قالوا لمن يتلوها عليهم وهو رسول الله صلى
الله عليه وسلم وما ظهر لك في ايتنا بغيره **ائت بقرآن غير هذا** اشارة بهذا الى القرآن
المشتمل على تلك الايات لا الى نفسها فقط وقصدا الى اخراج الكل من البين اي ائت بكتاب اخر نقرأه
ليس فيه ما نستبعد من البعث والحساب والجزاء وما نكرهه من ذم الهتنا ومعايبها والوعيد
على عبادتها **او بدله** بتغيير بعضه بان تجعل مكان الاية المشتملة على ذلك اية اخرى خالية عنه
وانما قالوه كيدا او طمعا من المساعدة ليتوسلوا به الى الالزام والاستهزاء به **قل ما يكون لي**
اي ما يصح وما يستقيم لي ولا يمكن اصلا **ان ابدله من تلقاء نفسي** اي من قبل نفسي وهو مصدر
استعمل ظرفا وفي نفي التبديل وفي الجواب بيان امتناع ما اقترحوه على اقتراحهم الثاني للايذان
بان استحالة ما اقترحوه اولا من الظهور بحيث لا حاجة الى بيانه وان التصدي لذلك مع كونه
مما يجاريهم من قبيل المجاراة مع السفهاء اذ لا يصدر مثل ذلك الاقتراح عن العقلاء ولان ما بني
على استحالة الثاني يدل على استحالة الاول بالطريق الاولى **ان اتبع** اي ما اتبع في شيء ما اتي
واذر **الا ما يوحى الي** من غير تغيير له في شيء اصلا على معنى قصر حاله صلى الله عليه وسلم على اتباع
ما يوحى اليه وفيه من تحقيق المقام ما ليس في قوله الا انا مرهون تعديلا اطمئنانا بالكلام في اه من شانه

اتباع ما يوحى اليه على انه مما علي لا يستبد بشيء دونه قطعا وفيه جواب للنقض بنسخ بعض الايات
ورد لما عرضوا به صلى الله عليه وسلم بهذا السؤال من ان القرآن كلامه صلى الله عليه وسلم
ولذلك قيد التبديل في الجواب بقوله من تلقاء نفسي وسماه عصيانا عظيما مستتبعا لعذاب
عظيم بقوله تعالى **اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم** فانه تعليل لمضمون ما قبله
من امتناع التبديل واقتصاره صلى الله عليه وسلم على اتباع الوحي اي اني اخاف ان عصيته
تعالى بتعاطي ما ليس من التبديل من تلقاء نفسي والاعراض عن اتباع الوحي عذاب يوم عظيم هو يوم
القيامة يوم اللقاء الذي لا يرجونه وفيه اشعار بانهم استوجبوه بهذا الاقتراح والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم لتهويل امر العصيان واظهار كمال
نزاهته صلى الله عليه وسلم عنه وايراد اليوم بالتنوين التفخيمي ووصفه بالعظم لتهويل ما فيه
من العذاب وتعظيمه ولا مساغ لحمله على حمل قصرهم على التبديل والاتيان بقرآن اخر من جهة الوحي
بتقريب قوله تعالى ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي بانه لا يسهله اي التبديل بالاستدعاء من
جهة الوحي ما اتبع الا ما يوحى الي من غير صنع ما مني لاستدعاء او غيره من قبله لانه يرد
التعليل المذكور لكن لان المقترح حينئذ ليس فيه معصية اصلا كما توهم فان استدعاء تبديل
الايات النازلة حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية بعضها ببعض لا سيما بموجب اقتراح الكفرة
مما لا ريب في كونه معصية بل لانه ليس فيه معصية اصلا مع انها المقصودة مما ذكر من التعليل
الا ترى الى ما بعده من الايتين الكريمتين فانه صريح في ان مقترحهم الاتيان بغير القرآن وتبديله
بطريق الافتراء وان زعمهم في الاصل اية الله للبهم قوله عز وجل **قل لو شاء الله ما تلوته عليكم**
تحقيق لحقية القرآن وكونه من عند الله تعالى اثر بيان بطلان ما اقترحوا الاتيان به واستحالة
عبارة ودلالة وانما صدر بالامر المستقل مع كونه داخلا تحت الامر السابق اظهارا لكمال
الاعتناء بشأنه وايذانا باستقلاله مفهوما واسلوبا فانه برهان دال على كونه بامر الله تعالى
ومشيئته كما سيأتي وما سبق مجرد اخبار باستحالة ما اقترحوه ومفعول شاء محذوف ينبئ عنه
الجزاء الاخير ذلك كما قيل فان مفعول المشيئة انما يحذف اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمون
الجزاء ولم يكن في تعلقها به غرابة كما في قوله
ولو شئت ان ابكي دما لبكيته ••• وحيث لم يحذف
ان لغة الشرط الاجزاء ولان المستلزم للجزاء اعني عدم تلاوته صلى الله عليه وسلم للقرآن
عليهم انما هو مشيئته تعالى له لا لغيره القرآن والمعنى ان الامر كله منوط بمشيئته تعالى وليس لي
منه شيء قط ولو شاء عدم تلاوتي له عليكم لا بان شاء عدم تلاوتي له من تلقاء نفسي بل بان لم ينزله
علي ولم يامرني بتلاوته كما ينبئ عنه ايثار التلاوة على القراءة ما تلوته عليكم **ولا ادراكم به**
اي ولا اعلمكم بواسطتي والتالي وهو عدم التلاوة والادراء منتف فينتفي المقدم اعني مشيئة
عدم التلاوة ولا يخفى انه مستلزم لعدم مشيئة التلاوة قطعا فتتعين مشيئة تلاوته
لانتفائه حتما وانتفاء عدم مشيئة التلاوة انما يكون بتحقق مشيئة التلاوة فثبت ان تلاوته
صلى الله عليه وسلم للقرآن بمشيئته تعالى وامره وانما تيد الادراء بكونه بواسطته صلى الله عليه
وسلم لان عدم الاعلام مطلقا ليس من لوازم الشرط الذي هو مشيئة عدم تلاوته صلى الله عليه

يأتون بتمامه في سلك الجزاء وفي إسناد عدم الإدراء إليه تعالى المنبئ عن إسناد الإدراء إليه تعالى
إيذان بأن لا دخل له صلى الله عليه وسلم في ذلك أصلا بمقتضية المقام فهي ولا أدراكم
ولا أدرأكم بالهمزة بناء على لغة من يقول أعطأت وأرضأت في أعطيت وأرضيت أو على أنه من
الدرء بمعنى الدفع ولا جعلتكم بتلاوته عليكم خصماء ولا أعلمكم به على لسان غيري والمعنى أن الحق
الذي لا محيص عنه لو لم أرسل به أنا لأرسل به غيري المبتدأ أو على أنه تعالى يمن على من يشاء فخصني
بهذه الكرامة فقد لبثت فيكم عمرا تعليل للملازمة المستلزمة لكون تلاوته
بمشيئة الله تعالى حسبما بين آنفا لكن لا بطريق الاستدلال عليها بعدم تلاوته صلى الله عليه
وسلم فيما سبق بسبب عدم مشيئته تعالى إياها بل بطريق الاستشهاد عليها بما شاهدوه منه صلى الله عليه
وسلم في تلك المدة الطويلة من الأمور الدالة على استحالة كون التلاوة من جهته صلى الله
عليه وسلم بلا وحي وعمرا نصب على التشبيه بظرف الزمان والمعنى فقد أقمت فيما بينكم دهرا مديدا
مقداره أربعين سنة تحفظون تفاصيل أحوالي طرا وتحيطون بما لديه خبرا من قبله أي من قبل
نزول القرآن لا أتعاطى شيئا مما يتعلق به لا من حيث نظمه المعجز ولا من حيث معناه الكاشف عن أسرار الحقائق
وأحكام الشرائع أفلا تعقلون أي ألا تلاحظون ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره عني من مثلي
ووجوب كونه منزلا من عند الله العزيز الحكيم فإنه غير خاف على من له عقل سليم وذهن الذي لا يحيد
عنه أن من له أدنى مسكة من العقل إذا تأمل في أمره صلى الله عليه وسلم وأنه نشأ فيما بينهم
هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة العلماء في شأن من الشؤون ولا مراجعة إليهم في أمر من الأمور
ولا مخالطة البلغاء في المفاوضة والحوار ولا خوض معهم في إنشاء الخطب والأشعار ثم أتى بكتاب بهرت
فصاحته كل فصيح فائق وبزت بلاغته كل بليغ رائق وعلا نظمه كل منثور ومنظوم وحوى فحواه كل
بدائع أصناف العلوم كاشف عن أسرار الغيب من وراء أستار الكون ناطق بأخبار ما قد كان
وما سيكون مصدقا لما بين يديه من الكتب المنزلة ومهيمنا عليه في أحكامها المجملة والمفصلة
لا يبقى عنده شائبة اشتباه في أنه وحي منزل من عند الله تعالى وفي أمر الذي انتقضت منه كلية الجهة
ولكن الأنسب ببناء الجواب فيما سلف على تجرد صدور التبديل والتغيير عنه صلى الله عليه وسلم
لكونه معصية موجبة للعذاب العظيم واقتصاره صلى الله عليه وسلم على اتباع الوحي وامتناع
الاستبداد بالرأي من غير تعرض هنالك ولا هنا لكون القرآن في نفسه أمرا خارجا عن طوق
البشر ولا لكونه صلى الله عليه وسلم غير قادر على الإتيان بمثله أن يستشهد ههنا على المطلب
بما يلازمه من أحواله المستمرة في تلك المدة المتطاولة من كمال نزاهته صلى الله عليه وسلم
عما يوهم شائبة الكذب والافتراء عليه في حق أحد كائنا من كان كما ينبئ عنه تعقيبه بتظليم المفتري
على الله تعالى والمعنى قد لبثت فيما بينكم قبل الوحي لا أتعرض لأحد قط بحكم ولا حديث إن
ولا أحوال حول مقال فيه شائبة شبهة فضلا عما فيه كذب أو افتراء ألا تلاحظونه فلا تعقلون
أن من هذا شأنه المطرد في هذا العهد البعيد مستحيل أن يفتري على الله تعالى ويحكم على كافة
الخلق بالأوامر والنواهي الموجبة لسفك الدماء وسبي الأموال ونحو ذلك وإنما أتى به وحي مبين
تنزيل من رب العالمين وقوله عز وجل فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا استفهام إنكاري معناه الجحد
أي لا أحد أظلم على معنى أنه أظلم من كل ظالم وإن كان سبك التركيب لعنيد الإنكار أن يكون أحد

الظالم

أظلم منه من غير تعرض لإنكار المساواة ونفيها وقوله تعالى كذبا مع أن الافتراء لا يكون إلا
كذبا للإيذان بأن ما أضافوه إليه صلى الله عليه وسلم ضمنا وحملوه عليه صريحا مع كونه افتراء
على الله تعالى كذب في نفسه فرب افتراء يكون كذبه في الإسناد فقط كما إذا أسند ذنب زيد
إلى عمرو ومعنى المبالغة منه صلى الله عليه وسلم في التمادي مما ذكر من الافتراء على الله سبحانه
أو كذب بآياته فكفر بها وهذا تظليم للمشركين بتكذيبهم للقرآن وحملهم له على الافتراء من جهته
صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب الكلام على ما سبق من كون القرآن بمشيئته تعالى وأمره
فلا مجال لحمله على الافتراء على الأمر باتخاذ الولد والشريك أي وإذا كان الأمر كذلك فمن افترى
عليه تعالى بأن يختلق كلاما فيقول هذا من عند الله أو يبدل بعض آياته تعالى ببعض كما تجوزون
ذلك في شأني وكذا ممن كذب بآياته تعالى كما تفعلونه أظلم من كل ظالم إنه الضمير للشأن وقع أنما
لأن في الجزء الأول بقية من الجملة وهذا أوضح موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفيه
تنبيه به الأنباء أن فخامته معطوفة مع ما فيه من زيادة تقرير في الذهن ولذا العميد
لأنهم منه من أول الأمر الإنسان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عنده
وروده عليه فضل تمكن فكأنه قيل إن الشأن هذا أي لا يفلح المجرمون أي لا ينجون
من محذور ولا يظفرون بمطلوب والمراد جنس المجرمين فيندرج فيه المفتري والمكذب
اندراجا أوليا ويعبدون من دون الله حكاية لجناية أخرى لهم نشأت عنها جنايتهم الأولى
معطوفة على قوله تعالى وإذا تتلى عليهم الآية عطف قصة على قصة ومن دون متعلقة
بيعبدون ومحله النصب على الحالية من فاعله أي متجاوزين الله سبحانه لا بمعنى ترك عبادته
بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينا لعبادة الأصنام كما ينفصح عنه سياق النظم
الكريم ما لا يضرهم ولا ينفعهم أي ما ليس من شأنه الضر والنفع من الأصنام التي هي جمادات
وما موصولة أو موصوفة وتقديم نفي الضر لأن أدنى أحكام العبادة دفع الضر الذي هو أول
المنافع والعبادة أمر حادث مسبوق بالعدم الذي هو مظنة الضر فحيث لم يقدر الأصنام
على الضر لم يوجد لإحداث العبادة سبب وقيل لا يضرهم إن تركوا عبادتهم ولا ينفعهم إن
عبدوهم كان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة عزى ومناة وهبل وإسافا ونائلة
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله عن النضر بن الحارث إذا كان يوم القيامة يشفع لي اللات قيل
إنهم كانوا يعتقدون أن المتولي لكل إقليم روح معين من أرواح الأفلاك فعينوا لذلك
الروح صنما معينا من الأصنام فاشتغلوا بعبادته ومقصودهم ذلك الروح ثم اعتقدوا أن ذلك
الروح يكون عند الإله الأعظم مشتغلا بعبوديته وقيل إنهم كانوا يعبدون الكواكب
فوضعوا لها أصناما معينة واشتغلوا بعبادتها قصدا إلى عبادة الكواكب وقيل إنهم
وضعوا طلسمات معينة على تلك الأصنام ثم تقربوا إليها وقيل إنهم وضعوا هذه الأصنام
على صور أنبيائهم وأكابرهم وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك
الأكابر يشفعون لهم عند الله تعالى قل أتنبئون الله بما لا يعلم أي أتخبرونه
بما لا وجود له أصلا وهو كون الأصنام شفعاء لهم عند الله تعالى إذ لو كان لعلمه علام الغيوب
وفيه تقريع لهم وتهكم بهم وبما يدعونه من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والإمكان

وقرئ أتنبئونه بالتخفيف وقوله تعالى في السموات ولا في الأرض حال من العائد
المحذوف في يعلم مؤكدة للنفي لأن ما لا يوجد فيهما فهو منتف عادة سبحانه وتعالى عما
يشركون عن إشراكهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة أو عن شركائهم الذين يعتقدونهم
شفعاء وهم عنده الله تعالى وقرئ تشركون بالخطاب على أنه من جملة القول المأمور به
وعلى الأول هو اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى وما كان الناس إلا أمة واحدة
بيان لأن التوحيد والإسلام ملة قديمة أجمعت عليها الأمم قاطبة فطرة وتشريعا وأن
الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة خلافا للجمهور وشقا لعصا الجماعة وأما حمل اتحادهم
على الاتفاق على الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع والإصرار
فمما لا احتمال له أي وما كان الناس كافة من أول الأمر إلا متفقين على الحق والتوحيد من غير
اختلاف وذلك من عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل وقيل إلى زمن إدريس
وقيل إلى زمن نوح عليهما السلام وقيل من حين الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا
إلى أن ظهر فيما بينهم الكفر وقيل من لدن إبراهيم عليه السلام إلى أن أظهر عمرو بن لحي عبادة
الأصنام فالمراد بالناس العرب خاصة وهو الأنسب بإيراد الآية الكريمة إثر حكاية ما حكي
عنهم من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك فاختلفوا بأن كفر بعضهم وثبت آخرون على
ما هم عليه فخالف كل من الفريقين الآخر لا أن كلا منهما أحدث ملة على حدة من ملل الكفر مخالفة
لملة الآخر فإن الكلام ليس في ذلك الاختلاف إذ كل منهما مبطل حينئذ فلا يتصور أن يقضي
بينهما بإبقاء المحق وإهلاك المبطل والفاء التعقيبية لا تنافي امتداد زمان الاتفاق إذ المراد بيان
وقوع الاختلاف عقيب انصرام مدة الاتفاق لا عقيب حدوث الاتفاق ولولا كلمة سبقت
من ربك بتأخير القضاء بينهم أو بتأخير العذاب الفاصل بينهم فإنه يوم
الفصل لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بتمييز الحق عن الباطل ويقولون حكاية
جناية أخرى لهم معطوفة على قوله تعالى ويعبدون وصيغة المضارع لاستحضار صورة
مقالتهم الشنعاء والدلالة على الاستمرار والقائلون أهل مكة لولا أنزل عليه آية من ربه
أرادوا آية من الآيات التي اقترحوها لفرط العتو والعناد وتمادي في المكابرة
والعناد لفرطه والبينات النازلة عليه صلى الله عليه وسلم من حين الآيات الباهرة والمعجزات
المتكاثرة ما يبطر مثله الانقياد والقبول لو كانوا من أرباب العقول فقل لهم في الجواب إنما الغيب
لله اللام للاختصاص العلمي دون الملكي فإن الغيب والشهادة في ذلك الاختصاص سواء والمعنى
أن ما اقترحتموه وزعمتم أنه من لوازم النبوة وعلقتم إيمانكم بنزوله من الغيوب المختصة بالله
سبحانه لا وقوف لي عليه فانتظروا إني معكم من المنتظرين أي لما يفعل الله
بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الآيات واقتراح غيرها وجعلك الغيب عبارة عن
الصارف عن إنزال الآيات المقترحة يأباه ترتيب الأمر بالانتظار على اختصاص الغيب به
تعالى وإذا أذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم أي خالطتهم حتى أحسوا
بسوء أثرها فيهم وإسناد المس إلى الضراء بعد إسناد الإذاقة إلى ضمير الجلالة من الآداب القرآنية
كما في قوله تعالى وإذا مرضت فهو يشفين ونظائره قيل سلط الله تعالى على أهل مكة القحط

سبع

سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يطعنون في آياته تعالى ويعادون رسوله
صلى الله عليه وسلم ويكيدونه وذلك قوله تعالى إذا لهم مكر في آياتنا أي بالطعن فيها وعدم
الاعتداد بها والاحتيال في دفعها وإذا الأولى شرطية والثانية جوابها كأنه قيل فاجؤوا
وقوع المكر منهم وتنكير مكر للتفخيم وفي متعلقة بالاستقرار الذي يتعلق به اللام قل الله
أسرع مكرا أي أعجل عقوبة أي عذابه أسرع وصولا إليكم مما يأتي منكم في دفع الحق وتسمية
العقوبة بالمكر لكونها في مقابلة مكرهم وجودا أو ذكرا إن رسلنا الذين يحفظون أعمالكم
والإضافة للتشريف يكتبون ما تمكرون أي مكركم أو ما تمكرونه وهو تحقيق للانتقام منهم
وتنبيه على أن ما دبروا في إخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير وصيغة الاستقبال
في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي والجملة تعليل من جهته تعالى لأسرعية مكره
سبحانه غير داخل في الكلام الملقن كقوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا فإن كتابة الرسل
لما يكون من مبادي بطلان مكرهم وعلق أثره عنه بالكلية وفيه من المبالغة ما لا يوصف
وتلوين الخطاب بصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم للتشديد في التوبيخ وقرئ يا
بنظم الغيبة فيكون حينئذ تعليلا لما ذكر للأمر هو الذي يسيركم كلام مستأنف
مسوق لبيان جنايتهم مبنية على ما مر آنفا من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء
والضراء أي يمكنكم من السير ويمكنه منكم عند الملابسة به وقيل في البر مشاة وركبانا
وقرئ ينشركم من النشر ومنه قوله تعالى فإذا أنتم بشر تنتشرون والبحر حتى إذا كنتم في الفلك
أي السفن فإنه جمع فلك على وزن أسد جمع أسد في رأي من عقل وغاية للتسيير لبيت أنه لا ترد
فيه بل مضمون الشرطية كما يفصح عنه ابتناء الكون المؤذن بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث
وجرين أي السفن بهم بالذين فيها والالتفات إلى الغيبة للإيذان بما لهم من سوء الحال
الموجب للإعراض عنهم كأنه يذكر لغيرهم مساوئ أحوالهم ليعجبهم منها ويستدعي منه
الإنكار والتقبيح وقيل ليس فيه التفات بل معنى قوله تعالى حتى إذا كنتم في الفلك إذا كان
بعضهم فيها إذ الخطاب للكل ومنهم المسيرون في البر والضمير الغائب عائد إلى ذلك المضاف المقدر
كما في قوله تعالى أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج بريح طيبة لينة الهبوب موافقة للمقصد
وفرحوا بها بتلك الريح لطيبها وموافقتها جاءتها جواب إذا والضمير المنصوب للريح الطيبة
أي تلقتها واستولت عليها من مخالفة لها فإن الهبوب على وفقها لا يسمى مجيئا للريح أخرى عادة
بل هو استمداد للريح الأولى وقيل للفلك والأول أظهر لاستلزامه لتلاطم الموج
لأن الهبوب على طريقة الريح اللينة يعد مجيئا بالنسبة إلى الفلك دون الريح اللينة مع أنه
لا يستتبع تلاطم الأمواج الموجب لمجيئها من كل مكان ولأن التهويل في بيان أسبابها
تمام جوابه وعلتوا به بل لا رجاء بهم لكونه ريح عاصف أي ذات عصف وقيل العصوف مختص
بالريح فلا حاجة إلى الفارق وقيل الريح فكذا ذكر وجاءهم الموج في الفلك من كل مكان
أي من أمكنة مجيء الموج عادة ولا يعهد مجيئه من جميع الجوانب أيضا إلا إذ لا يجب أن يكون مجيئه
من جهة هبوب الريح فقط بل قد يكون من غيرها بحسب أسباب تتفق له وظنوا أنهم أحيط بهم
أي سلكوا في ذلك مسلك من أحيط به في الهلاك وأصله إحاطة العدو بالحي أو سد عليهم مسالك

الخلاص دعوا الله بدل من ظنوا بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم او استئناف مبني
على سؤال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له الدين
من غير ان يشركوا به من آلهتهم لا مخلصين لان عبادتهم له تعالى فقط لا للعبادة ايضا فانهم بمجرد
تخصيص الدعاء به تعالى لا يكونون مخلصين له الدين لئن انجيتنا اللام موطئة للقسم
على ارادة القول اي قائلين والله لئن انجيتنا من هذه الورطة لنكونن من الشاكرين
لنعمك التي من جملتها هذه النعمة المسؤولة والجملة مفعول دعوا لانه من قبيل القول
والاول لمعنى او لاجرائه مجرى النداء في كون دعائهم على ذلك فقط وفي قوله لنكونن من الشاكرين
من المبالغة الدالة على كونهم ثابتين في الشكر مبالغين فيه منتظمين في سلك المعروفين بالشكر
الراسخين فيه ما ليس في ان يقال لنشكرن فلما انجاهم مما غشيهم من الكربة والفاء للدلالة
على سرعة الاجابة اذا هم يبغون في الارض اي فاجؤوا الفساد فيها وسارعوا اليه مترامين
في ذلك متجاوزين عما كانوا عليه من حدود البغي من قولهم بغى الجرح اذا ترامى في الفساد
وزيادة في الارض للدلالة على شمول بغيهم لاقطارها وصيغة المضارع للدلالة على التجدد
والاستمرار وقوله تعالى بغير الحق تأكيد لما يفيده البغي او معناه انه بغير الحق عندهم ايضا
بان يكون ذلك ظلما ظاهرا لا يخفى قبحه على احد كما في قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق
واما ما قيل من انه للاحتراز عن البغي بحق كتخريب الغزاة ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق
زروعهم فلا يساعده النظم الكريم لابتنائه على كون البغي بمعنى افساد صورة الشيء وابطال
منفعته دون ما ذكر من المعنى اللائق بحال المفسدين يا ايها الناس توجيه للخطاب الى اولئك
الباغين للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد انما بغيكم الذي تتعاطونه
وهو مبتدأ وقوله تعالى على انفسكم خبره اي عليكم في الحقيقة لا على الذين تبغون عليهم وان
ظننتم كذلك وقوله تعالى متاع الحياة الدنيا بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة شيئا
غير معتد به سريع الزوال دائم الوبال وهو نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق الاستئناف
اي تتمتعون متاع الحياة الدنيا وقيل على انه مصدر وقع موقع الحال اي متمتعين بالحياة
الدنيا والعامل هو الاستقرار الذي في الخبر لا نفس البغي لانه يؤدي الى الفصل بين المصدر ومعموله
بالخبر ولا يخبر عن الموصول الا بعد تمام صلته مع ان تخصيصه بانه ليس في تقييد كون بغيهم على انفسهم
بحال تمتعهم بالحياة الدنيا معنى يعتد به وقيل على انه مفعول لفعل دل عليه المصدر
اي تبغون متاع الحياة الدنيا ولا يخفى انه لا يدل على البغي بمعنى الطلب وحمل المصدر ايضا بمعناه
مما يخل بجزالة النظم الكريم لان الاستئناف لبيان سوء عاقبة ما حكي عنهم من البغي المفسد
بالافساد المفرط اللائق بحالهم فان مناسبته بينه وبين البغي بمعنى الطلب وحمل الاول ايضا
بمعناه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقيل على انه مفعول له للمصدر وعلى انفسكم ظرف
لغو يتعلق به والمراد بالانفس الجنس والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير انما بغيكم على
ابناء جنسكم متاع الحياة الدنيا محذور او ظاهر الفساد او نحو ذلك وفيه ما مر من ابتنائه على
ما لا يليق بالمقام من كون البغي بمعنى الطلب نعم لو جعل نفسه علة على العلة اي انما بغيكم على
ابناء جنسكم لاجل متاع الحياة الدنيا كما اختاره بعضهم لكان له وجه في الجملة لكن الحق الذي

تستدعيه

تستدعيه جزالة التنزيل انما هو الاول وقرئ متاع بالرفع على انه الخبر والظرف صلة للمصدر او خبر
ثان او خبر لمبتدأ محذوف اي هو متاع الى آخره كما في قوله عز وجل لا ساعة من نهار بلاغ
فالمراد بانفسكم على الوجه الاول ابناء جنسهم وانما عبر عنهم بذلك هزا للشفقة عليهم وحثا
لهم على ترك ايثار التمتع المذكور على حقوقهم ولا مجال للحمل على الحقيقة لان كون بغيهم وبالا
عليهم ليس بثابت عندهم حسبما يقتضيه ما حكي عنهم ولم يجر به نعته حتى يجعل من تتمة الكلام
ويجعل كونه متاعا مقصود الافادة على ان عنوان كونه وبالا عليهم قادح في كونه متاعا فضلا
عن كونه من مبادي ثبوته للمبتدأ كما هو المتبادر من التوقف واما كون البغي على ابناء الجنس فمعلوم
الثبوت عندهم ومتضمن لمبادي التمتع من اخذ المال والاستيلاء على الناس وغير ذلك واما
على الوجهين الاخيرين فلا حاجة للعدول عن الحقيقة فان المبتدأ اما نفس البغي او الضمير العائد
اليه من حيث هو هو من حيث كونه وبالا عليهم كما في صورة كون الظرف صلة للمصدر فتدبر
وقرئ متاع الحياة الدنيا اما بنصب متاعا فعلى ما مر واما بنصب الحياة فعلى انه بدل من متاعا
بدل اشتمال وقيل على انه مفعول به لمتاعا اذا لم يجعل انتصابه على المصدر لان المصدر
المؤكد لا يعمل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن
باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وقال محمد ابن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه
البغي والنكث والمكر قال تعالى انما بغيكم على انفسكم ولا يحيق المكر السيء الا باهله ومن
نكث فانما ينكث على نفسه وعنه صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل
الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي اثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق
الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنه لو بغى جبل على جبل لدك الباغي ثم الينا مرجعكم
عطف على ما مر من الجملة المستأنفة المقدرة كانه قيل تتمتعون متاع الحياة الدنيا ثم ترجعون
الينا وانما عدل الى الجملة الاسمية مع تقديم الجار والمجرور للدلالة على الثبات والقصر
فننبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا من الاستمرار على البغي وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول
الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت وفيه نكتة خفية مبنية على حكمة ابية وهي ان كل ما يظهره
في هذه النشأة من الاعمال والاعراض فانما تظهر بصورة مغايرة لصورته الحقيقية التي بها يظهر
في النشأة الاخرة فان المعاصي سموم قاتلة برزت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة
وكذا الطاعات مع كونها احسن الاحاسن تظهر ثم عندهم بصورة مكروهة ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فالبغي في هذه النشأة
وان برز بصورة تستحسنها البغاة وتستحسنها الغواة لتمتعهم به من حيث اخذ المال والتشفي
من الاعداء او نحو ذلك لكن ذلك ليس بمتع في الحقيقة بل هو هلاك من حيث لا يحتسبون وانما يظهر
لهم ذلك عند ابراز ما كانوا يعملونه من البغي بصورته الحقيقية المضادة لما كانوا يشاهدونه
عليه فيها من الصورة وهو المراد بالتنبئة المذكورة والله اعلم انما مثل الحياة الدنيا كلام
مستأنف سيق لبيان شأن الحياة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود
وقد شبه حالها العجيبة الشأن البديعة المثال المنتظمة لغرابتها في سلك الامثال في
سرعة تقضيها وانصرام نعيمها عقيب اقبالها واغترار الناس بها بحال ما على الارض من انواع

النبات بالزوال رونقه ونضارته بهجة وذهابا حطاما لم يبق لها اثر بعدما كانت غضة طرية
قد التف بعضها ببعض وزينت الارض بالوانها وحسنت بعد ضعفها بحيث طمع الناس وظنوا انها سلمت
من الجوائح وليس المشبه به ما دخله الكاف في قوله عز وجل كماء انزلناه من السماء فاختلط به
نبات الارض بل ما يفهم من الكلام فانه من التشبيه المركب مما ياكل الناس والانعام
من البقول والزروع والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها حسنت الارض في تزينها
بما عليها من اصناف النباتات واشكالها والوانها المختلفة المونقة اخذ زخرفها على طريقة
التمثيل بالعروس التي اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت
فادغم وقرئ على الاصل وقرئ وازينت كاغيلت من غير اعلال والمعنى صارت ذات زينة
وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها
امرنا جواب اذا اي ضرب زرعها ما يجتاحه من الآفات والعاهات ليلا او نهارا فجعلناها
اي فجعلنا زرعها حصيدا اي شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن اي كان لم يغن
زرعها والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس اي فيما قبيله من زمان قريب فان
الامس مثل ذلك كانه قيل لم تغن آنفا كذلك اي مثل ذلك التفصيل البديع اي نوضحها
ونبينها لقوم يتفكرون في تضاعيفها ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لانهم
المنتفعون بها ويجوز ان يراد بالآيات ما ذكر في اثناء التمثيل من الكائنات والفاسدات وتغيراتها
تدريجا واعداما فانها آيات وعلامات يستدل بها من يتفكر فيها على احوال الحياة الدنيا
حالا ومآلا والله يدعو الى دار السلام ترغيب للناس في الحياة الاخروية الباقية اثر تنفيرهم
من الحياة الدنيوية الفانية اي يدعو الناس جميعا الى دار السلامة من كل آفة ومكروه وهي الجنة
وانما ذكرت بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها معرضا للآفات او الى دار الله تعالى وتخصيص
الاضافة التشريفية بهذا الاسم الكريم للتنبيه على ذلك او الى دار يسلم الله تعالى والملائكة
فيها على من يدخلها او يسلم بعضهم على بعض ويهدي من يشاء هدايته منهم الى صراط مستقيم
موصل اليها وهو الاسلام والتزود بالتقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة
دليل على ان الامر غير الارادة وان من اصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا
اي اعمالهم التي عملوها على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسرها
صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك الحسنى اي المثوبة
الحسنى وزيادة اي وما يزيد على تلك المثوبة تفضلا لقوله عز اسمه ويزيدهم من فضله وقيل
الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبع مائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة
من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق وجوههم اي لا يغشاها قتر
اي غبرة فيها سواد ولا ذلة اي اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار
او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال والتنكير للتحقير اي شيء منهما والجملة مستأنفة
لبيان امنهم من المكاره اثر بيان فوزهم بالمطالب والثاني وان اقتضى الاول الا انه ذكر اذكارا
لما سبق منهم الله تعالى برحمته وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام ببيان ان المقصود من الرهق
اشرف اعضائهم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده

فيتمكن

فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن ولان في الفاعل ضرب تفصيل كما في قوله تعالى
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله عز وجل وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين
اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات المذكورة وما في اسم الاشارة
من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وعلو طبقتهم او لبيان المؤمنين بما ذكر من النعوت
الجميلة الفائزين بالمثوبات الناجين من المكاره اصحاب الجنة هم فيها خالدون بلا زوال
دائمون بلا انتقال والذين كسبوا السيئات اي الشرك والمعاصي وهو مبتدأ بتقدير المضاف
خبره قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها اي جزاء الذين كسبوا السيئات ان يجازى سيئة واحدة
بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد في الحسنة وتغيير السباك لرعاية ما بين الفريقين
من كمال التنائي والتباين وايراد الكسب للايذان بان ذلك انما هو بسوء صنيعهم وبسبب
جناياتهم على انفسهم والموصول معطوف على الموصول الاول كانه قيل وللذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها كقولك في الدار زيد وفي الحجرة عمرو وفيه دلالة على ان المراد
بالزيادة الفضل وترهقهم ذلة واي ذلة كما ينبئ عنه التنوين التفخيمي وفي اسناد الرهق
الى انفسهم دون وجوههم ايذان بانها محيطة بهم غاشية لهم جميعا وقرئ يرهقهم بالياء
التحتانية ما لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من سخطه تعالى وعذابه او ما لهم
من عنده تعالى من يعصمهم كما يكون للمؤمنين وفي نفي العاصم من المبالغة في نفي العصمة ما لا
يخفى والجملة مستأنفة او حال من ضمير ترهقهم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل
لفرط سوادها وظلمتها مظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في
قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل
في من الليل وقرئ قطعا بسكون الطاء وهو طائفة من الليل قال

افتحي الباب وانظري في النجوم … كم علينا من قطع ليل بهيم

فيجوز كون مظلما صفة له او حالا منه وقرئ كما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم
والجملة كما قبلها مستأنفة او حال من ضمير ترهقهم اولئك اي الموصوفون بما ذكر
من الصفات الذميمة اصحاب النار هم فيها خالدون وحيث كانت الآية الكريمة في حق
الكفار بشهادة السياق والسباق لم يكن فيها تمسك للوعيدية ويوم نحشرهم كلام مستأنف
مسوق لبيان بعض آخر من احوالهم الفظيعة وتأخيره في الذكر مع تقدمه في الوجود على
بعض احوالهم المحكية سابقا للايذان باستقلال كل من السابق واللاحق بالاعتبار ولو روعي
الترتيب الخارجي لعد الكل شيئا واحدا كما مر في سورة البقرة ولذلك فصل عما قبله
ويوم منصوب على المفعولية بمضمر اي انذرهم وذكرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين
احسنوا والذين كسبوا السيئات لانه المتبادر من قوله تعالى جميعا ومن افراد الفريق الثاني بالذكر
في قوله تعالى ثم نقول للذين اشركوا اي نقول للمشركين من بينهم ولان توبيخهم وتهديدهم
على رؤوس الاشهاد افظع والاخبار بحشر الكل في تهويل اليوم ادخل وتخصيص وصف اشراكهم
بالذكر في حيز الصلة من بين سائر ما اكتسبوه من السيئات لابتناء التوبيخ والتقريع عليه مع
ما فيه من الايذان بكونه معظم جناياتهم وعمدة سيئاتهم وقيل للفريق الثاني خاصة فيكون

وضع الموصول موضع الضمير لما مر آنفا مكانكم نصب على انه في الاصل ظرف لفعل اقيم مقامه
لا على انه اسم فعل وحركته حركة بناء كما هو رأي الفارسي اي الزموا حتى تنظروا ما يفعل بكم
انتم تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله لسده مسده وشركاؤكم عطف عليه وقرئ
بالنصب على ان الواو بمعنى مع فزيلنا من زلته الشيء عن مكانه اذا ازلته اي ازلنا والتضعيف
للتكثير اي للتعدية . وقرئ فزايلنا بمعنى كلمته وكالمته وهو معطوف على ما
نقول . وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقيق المورث لزيادة التوبيخ والتحسر والفاء
للدلالة على وقوع التزييل ومباديه عقيب الخطاب من غير مهلة ايذانا بكمال رخاوة
ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة اي فرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي
كانت بينهم في الدنيا لكن لا من الجانبين بل من جانب العبدة فقط لعدم احتمال شمول الشركا
للشياطين كما سيجي فخاب ما لهم وانصرمت عرى اطماعهم وحصل لهم الياس الكلي من حصول
ما كانوا يرجونه من جهتهم والحال وان كانت معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب
لكن هذه المرتبة من اليقين انما حصلت عند المشاهدة والمشافهة . وقيل المراد بالتزييل
التفريق الحسي تباعد بينهم بعد الجمع في الموقف وتبرؤهم منهم ومن عبادتهم كما
في قوله تعالى اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا وحينئذ في قوله
تعالى وقال شركاؤهم حالية بتقدير قد عند من يشترطها وبدونه عند غيره
لا عاطفة كما في التفسير الاول لاستدعائها المجاوزة الحاضرة الغائبة بالمباعدة وليس في ترتيب
الرسالة على هذا المعنى على الامر بلزوم المكان ما في ترتيبه عليه بالمعنى الاول من النكتة
المذكورة لمسار لاجل رعايتها الى تغيير الترتيب الخارجي فان المباعدة بعد المجاوزة
حتما واما قطع الاقران والعلائق فليس كذلك بل ابتداؤه من حين الحشر بل بعضه من الله
حاصل قبله ايضا واما الحاصل عند المجاوزة امضاؤها كما اشير اليه فلذا اعتد به في تعقيبه
من التغيير لاستلزامه رعاية ما ذكر من النكتة . ولو تأخر جميع مراتبه من المجاوزة لاعادة
تلك النكتة كافية في اسناد ما تقدم به عليه ويجوز ان تكون حالية على هذا التقدير
ايضا . والمراد بالشركاء الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من اولي العلم
فقيد كما يجي لرجوع الضمير الى الكل في قولهم ما كنتم ايانا تعبدون عبارة عن تبرئهم
عن عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم وشياطينهم الذين اغووهم لانها الامرة
لهم بالاشراك دونهم كقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم الاية . وقيل الاصنام ينطقها الله
الذي انطق كل شيء فيشافههم بذلك مكان الشفاعة التي كانوا يتوقعونها فكفى بالله شهيدا
بيننا وبينكم فانه العليم الخبير ان كنا عن عبادتكم لغافلين اي عن عبادتكم
وتركه للظهور وللايذان بكمال الغفلة عنها والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء
والا فعدم شعور الملائكة بعيد لا تهمهم عبادتهم وبهذا ينقطع احتمال كون المراد بالشركاء
الشياطين كما قيل فان ارتضاءهم بالاشراك اظهر مما لا ريب فيه وان لم يكونوا مجبرين لهم على ذلك
وان مخففة من ان واللام فارقة هنالك اي في ذلك المقام الدهش او في ذلك الوقت على
استعارة ظرف المكان للزمان تبلوا اي تختبر وتذوق كل نفس مؤمنة كانت او كافرة

ما قدمت سعيدة او شقية ما اسلفت من العمل فتعاين نفعه مستتبعا لاثاره من نفع او ضر
وخيرا او شرا وما عاينت من حالها الحين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ فامر مجمل وقرئ
تتلو من التلاوة وتتبع كل واحدة ما اسلفته اي تتأملها معاملة من يتلوها وتتعرف
احوالها من السعادة والشقاوة باعتبار ما اسلفت من العمل . ويجوز ان يراد نصيب
بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفته من الشر فيكون ما منصوبا بنزع الخافض
وقرئ نبلو اي نتبع لان عمله ما قدمت من خير او شر وردوا الضمير للذين اشركوا
على انه معطوف على زيلنا وما عطف عليه . وقوله عز وجل تبلوا الى اخره اعتراض في اثنا
الحكاية مقرر لمضمونها الى الله اي الى جزائه وعقابه مولاهم ربهم الحق اي المتحقق
ربوبيته لا ما اتخذوه ربا باطلا . وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولهم الحمد لله اهل الحمد
او على المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع اي ظهر ضياعه وضلاله لا انه كان قبل ذلك غير ضال
او ضل في اعتقادهم ايضا ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها
آلهة هذا او حمل التنوين في ردوا للنفوس المدلول عليها بكل نفس على انه معطوف على تبلوا وان
الصيغة للماضي للدلالة على التحقق والتقرر وان ايثار صيغة الجمع للايذان بان ردهم الى الله
تعالى يكون على طريقة الاجتماع لا يلايمه التعرض لوصف الحقية في قوله تعالى مولاهم الحق فانه للتعريض
بالمردودين حسبما اشير اليه وان اكتفي فيه بالتعريض ببعضهم او حمل الحق على معنى العدل في الثواب
والعقاب فتعلقه عز وجل وضل عنهم ما كانوا يفترون مما لا مجال فيه للتدارك قطعا فان ما فيه
من الضمائر الثلاثة للمشركين فيلزم التخصيص حتما وتخصيص كل نفس بالنفوس المشركة مع عمومه
للبلوى للكل يأباه مقام تهويل المقام والله تعالى اعلم قل لاولئك المشركين الذين حكيت
احوالهم وبين ما يؤدي اليه اعمالهم احتجاجا على حقية التوحيد وبطلان ما هم عليه من الاشراك
من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد
ارضية او من كل واحدة منها توسعة عليكم . وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من
اهل السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب
عن الاستفهام الاول لكن لا على طريقة الابطال بل على وجه الانتقال وصرف الكلام عنه
الى استفهام اخر تنبيها على كفايته فيما هو المقصود اي من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه
الفطرة العجيبة او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالها من ادنى شيء يصيبها
ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي ومن يحيي ويميت او ومن يخرج الحيوان من
النطفة والنطفة من الحيوان ومن يدبر الامر اي ومن يلي تدبير امر العالم جميعا وهو
تعميم بعد تخصيص بعض ما اندرج تحته من الامور الظاهرة بالذكر فسيقولون بلا
تلعثم ولا تأخير الله اذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه والجملة مستأنفة اي الله يفعل ما
ذكر من الافاعيل لا غيره فقل عند ذلك تبكيتا لهم افلا تتقون الهمزة لانكار عدم الاتقاء
بمعنى انكار الواقع كما في اتضرب اباك لا بمعنى انكار الوقوع كما في اضرب ابي والفاء للعطف
على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اي اتعلمون ذلك فلا تتقون انفسكم عذابه الذي ذكر
ذكر تبكيتكم عما تتعاطونه من اشراككم به ما لا يشاركه في شيء مما ذكر من خواص الالهية .

فذلكم ونسكه لما تقدم اي ذلكم الذي اعترفتم باتصافه بالنعوت المذكورة وهو مبتدا
وقوله تعالى الله خبره وقوله تعالى ربكم اي مالككم ومتولي اموركم على الاطلاق بدل
منه او بيان له وقوله تعالى الحق صفة له اي ربكم الثابت ربوبيته والمتحقق الوهيته
تحققا لا ريب فيه فماذا يجوز ان يكون الكلام اسما واحدا قد غلب فيه الاستفهام على
اسم الاشارة ان يكون ذا موصولا بمعنى الذي اي ما الذي بعد الحق اي غيره بطريق
الاستعارة واظهار الحق اما لان المراد به غير الاول واما لزيادة التقرير ومراعاة
كمال المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع ونفيه اي
ليس غير الحق الا الضلال الذي لا يختاره احد فحيث ثبت ان عبادته من هو متصف
بهذه النعوت الجميلة حق ظهر ان ما عداها من عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا
واسطة بينهما وانما سميت ضلالا مع كونها من اعمال الجوارح باعتبار ابتنائها على ما هو
ضلال من الاعتقاد والراي هذا على تقدير كون الحق عبارة عن التوحيد واما
على تقدير كونه عبارة عن الاول فالمراد بالضلال هو الاصنام لا عبادتها والمعنى فماذا
بعد الرب الحق الثابت ربوبيته الا الضلال اي الباطل الضائع المضمحل وانما سمي بالمصدر
مبالغة كانه نفس الضلال والضياع ومنه الشرك بقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا
يفترون على التفسير الثاني فانى تصرفون استفهام انكاري بمعنى انكار الواقع
واستبعاده والتعجب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الفعل
لان كل موجود لا بد ان يكون موجودا على حال من الاحوال قطعا واذا انتفى جميع احوال
وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني كما مر مرارا والفاء لترتيب الانكار على ما قبله
اي كيف تصرفون عن الحق الذي لا محيد عنه وهو التوحيد الى الضلال عن السبيل
المستبين وهو الاشراك وعبادة الاصنام او من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته
الى عبادة الباطل الذي سمعتم ضلاله وضياعه في الاخرة وفي ايثار صيغة المبني للمفعول
ايذان بان الانصراف من الحق الى الضلال مما لا يصدر عن العاقل بارادته وانما يقع
عنه وقوعه بالقسر من جهة صارف خارجي كذلك اي كما حقت الربوبية لله تعالى او كما انه
ليس بعد الحق الا الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة ربك وحكمه
وقضاؤه على الذين فسقوا اي تمردوا في الكفر وخرجوا من اقصى حدوده انهم لا يؤمنون
بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم
احتجاج اخر على حقية التوحيد وبطلان الاشراك باظهار كون شركائهم بمعزل من استحقاق
الالهية ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق واعادته به سبحانه وتعالى وانما لم يعطف
على ما قبله ايذانا باستقلاله في اثبات المطلوب وبالسؤال للتبكيت والالزام وقد
جعلت الاعادة لوضوح مكانها وسطوع برهانها بمنزلة البدء للخلق فنظمت في
سلكه حيث قيل من يبدأ الخلق ثم يعيده ايذانا بتلازمهما وجودا وعلما فيلزم الاعتراف
به بالاعتراف بالبدء وان صدهم عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد ثم امر صلى الله عليه
وسلم بان يبين لهم من يفعل ذلك فقيل له قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده اي هو يفعلهما لا

عنهم

لا غير كائنا ما كان لا بان ينوب صلى الله عليه وسلم عنهم في ذلك كما قيل لان المقول المأمور به غير ما
اريد منهم من الجواب وان كان مستلزما له اذ ليس المسؤول عنه من يبدأ الخلق ثم يعيده
كما في قوله تعالى قل من رب السموات والارض قل الله حتى يكون القول المأمور به عين الجواب
الذي اريد منهم ويكون صلى الله عليه وسلم نائبا عنهم في ذلك بل انما هو وجود من يفعل البدء
والاعادة من شركائهم فالجواب المطلوب منهم لا غير ثم امر صلى الله عليه وسلم بان يخبرهم
متعالنة ايذانا بتعينه وتحتمه واشعارا بانهم لا يجترؤن على التصريح به مخافة التبكيت والقام
الحجر لا مكابرة ولجاجا فقد بر واعادة الجملة في الجواب تماما غير محذوفة الخبر كما في الجواب
السابق لمزيد التاكيد والتحقيق فانى تؤفكون الافك الصرف والقلب عن الشيء وقد يخص
بالقلب عن الراي وهو الانسب بالمقام اي كيف تقلبون من الحق الى الباطل والكلام فيه كما
ذكر في تصرفون قل هل من شركائكم احتجاج اخر على ما ذكر جيء به الزاما بعد الزام وافحاما
اثر افحام وفصله عما قبله لما ذكر من الدلالة على استقلاله من يهدي الى الحق اي بوجه من الوجوه فان
ادنى مراتب المعبودية هداية المعبود لعبدته الى ما فيه صلاح امرهم واما التعيين طريق الهداية
وتخصيصه بالحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر كما قيل فخل بما يقتضيه المقام من كمال
التبكيت والالزام فان العجز عن الهداية على وجه خاص لا يستلزم العجز عن مطلق الهداية وهدى كما
يستعمل بكلمة الى لتضمنه معنى الانتهاء يستعمل باللام للدلالة على ان المنتهى غاية للهداية وانها لم
يتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك استعمل بها ما اسند الى الله تعالى حيث قيل قل الله يهدي للحق
اي هو يهدي له دون غيره وذلك بما ذكر من نصب الادلة والحجج وارسال الرسل وانزال الكتب
والتوفيق للنظر والتدبر وغير ذلك من فنون الهدايات والكلام في الامر بالسؤال والجواب
كما مر فيما مر افمن يهدي الى الحق وهو الله عز وجل احق ان يتبع امن لا يهدي بكسر الهاء
اصله يهتدي فادغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء اتباعا لها لحركة الهاء
وقرئ بفتح الهاء فنقلت حركة التاء اليها اي يهتدي بنفسه فضلا من هداية غيره وفيه من
المبالغة ما لا يخفى وانما نفي عنه الاهتداء مع ان المفهوم مما سبق نفي الهداية لما ان نفيها مستتبع
لنفيه غالبا فانه من اهتدى الى الحق لا يخلو عن هداية غيره في الجملة وادناها كونه قدوة له
بان يراه فيسلك مسلكه من حيث لا يدري والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق من تحقق هدايته
تعالى صريحا وعدم هداية شركائهم المفهوم من القصر ومن عدم الجواب المنبي عن الجواب
بالعدم فان ذلك مما يضطرهم الى الجواب الحق لا لتوجيه الاستفهام الى الترتيب كما يقع في بعض
المواقع فان ذلك مختص بالانكاري كما في قوله تعالى افمن اتبع رضوان الله الاية ونحو والهمزة
متاخرة في الاعتبار وانما تقديمها في الذكر لاظهار عراقتها في اقتضاء الصدارة كما هو راي الجمهور
حتى لو كان السؤال بكلمة اي لاخرت حتما الا ترى الى قوله تعالى فاي الفريقين احق بالامن اي
تعريض ما يلجئ المشركين الى الجواب من حالهم وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ لا يهدي
بمعنى لا يهتدي او بمعنى لا يهدي غيره وصيغة التفضيل اما على حقيقتها والمفضل عليه محذوف
كما اختاره مكي والتقدير افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع ممن لا يهدي ام من لا يهدي احق ان
يتبع واما بمعنى حقيق كما اختاره ابو حيان وايا ما كان فالاستفهام للالزام وان يتبع في حيز

التعجب او الجر بعد حذف الجار على الخلاف المعروف اي بان يتبع الا ان يهدى استثناء مفرغ من اعم الاحوال
اي لا يهتدي او لا يهدي غيره في حال من الاحوال الا حال هدايته تعالى له الى الاهتداء او الى هداية الغير
وهذا حال اشرف شركائهم من الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام وقيل المعنى ام من لا يهتدي من الاوثان
الى مكان فينتقل اليه الا ان ينقل اليه او الا ان ينقله الله تعالى من حالته الى ان يجعله حيوانا فيهديه
وقرئ الا ان يهدى من التفعيل للمبالغة فما لكم كيف تحكمون اي اي شيء لكم في اتخاذكم هؤلاء شركاء
له سبحانه وتعالى والاستفهام منه والتشنيع عليهم بذلك والفاء لترتيب ذلك الانكار على ما ظهر من وجوب
اتباع الهادي الى الحق ان قلت التبكيت بالاحتمال الثاني انما يظهر في حق من يحكم بجواز
الترجيح فيحكم باحقية من لا يهتدي بالاتباع دون من يهتدي وهم ليسوا حاكمين باحقية شركائهم
لذلك دون الله سبحانه وتعالى بل باستحقاقهما جميعا مع رجحان جانبه تعالى حيث يقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله قلت حكمهم باستحقاقه تعالى لذلك بطريق الاشتراك اذ ليسوا
حاكمين باستحقاق شركائهم له دون الله تعالى من حيث لا يحتسبون وما يتبع اكثرهم كلام
مبتدأ غير داخل في حيز الامر مسوق من قبله تعالى لبيان عدم فهمهم لمضمون ما افحمهم والقمهم
الحجر من البرهان النير الموجب لاتباع الهادي الى الحق الناعي عليهم بطلان حكمهم وعدم تأثرهم
من ذلك لعدم اهتدائهم الى طريق العلم اصلا اي ما يتبع اكثرهم في معتقداتهم ومحاوراتهم
الا ظنا واهيا من غير التفات الى فرد من افراد العلم فضلا عن المقدمات اليقينية الحقة
فيتبعوا مضمونه ويقفوا على صحته وبطلان ما يخالفه من احكامهم الباطلة فيحصل التبكيت والالزام
فالمراد بالاتباع مطلق الاعتقاد الشامل لما يقارن القبول والانقياد وما لا يقارنه وبالقصر
ما اشير اليه من ان لا يكون لهم في اثنائه اتباع لفرد من افراد العلم والتفات اليه ووجه
تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار بان بعضهم قد يتبعون العلم فيقفون على حقية التوحيد
وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيحصل بالنسبة اليهم التبكيت من البرهان المزبور
وان لم يظهروه وكونهم اشد كفرا واكثر عذابا من الفريق الاول لا يقدح فيما نحن بصدده لما
عرفت من كون القصر بيانا لحالهم من حيث الفهم والادراك لا من حيث
الكفر والعذاب او ما يتبع مدة عمرهم الا ظنا ولا يتركونه ابدا فان حرف النفي الداخل على
المضارع يفيد استمرار النفي بحسب المقام فالمراد بالاتباع حينئذ هو الاذعان والانقياد والقصر باعتبار
الزمان ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة المعاندين لهم في ذلك التلويح بما
سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما سيأتي معناه وقيل المعنى وما يتبع اكثرهم
في اقرارهم بالله تعالى الا ظنا غير مستند الى برهان عندهم وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم
للاصنام انها الهة الا ظنا والمراد بالاكثر الجميع فتأمل وقيل الضمير في اكثرهم للناس
فلا حاجة الى التكلف ان الظن لا يغني من الحق من العلم اليقيني والاعتقاد الصحيح المطابق
للواقع شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة استئناف لبيان
شأن الظن وبطلانه وفيه دلالة على وجوب العلم في الاصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد
ان الله عليم بما يفعلون وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكي عنهم من الاعراض
عن البراهين القاطعة والاتباع للظنون الفاسدة اندراجا اوليا وقرئ تفعلون بالالتفات

الى

الى الخطاب لتشديد الوعيد وما كان هذا القرآن شروع في بيان ردهم للقرآن الكريم
اثر بيان ردهم للادلة العقلية المندرجة في تضاعيفه اي وما صح وما استقام ان يكون
هذا القرآن المشحون بفنون الهدايات المستوجبة للاتباع التي من جملتها هاتيك الحجج البينة
الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك ان يفترى من دون الله اي افتراء من الخلق اي
مفترى منهم سمي بالمصدر مبالغة ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المشهود
على صدقها اي مصدقا لها كيف لا وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد بصحتها ونصبه
بانه خبر كان مقدرا وقد جوز كونه علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق
الى اخره وقرئ بالرفع على تقدير المبتدأ اي ولكن هو تصديق الى اخره وتفصيل
الكتاب عطف عليه نصبا ورفعا اي وتفصيل ما كتب واثبت من الحقائق والشرائع لا ريب
فيه خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك اي منتفيا عنه الريب او حال من الكتاب وان كان مضافا
اليه فانه مفعول في المعنى او استئناف لا محل له من الاعراب من رب العالمين خبر اخر اي كائنا
من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل او بالفعل المعلل بهما ولا ريب فيه اعتراض
كما في قوله تعالى لا ريب فيه من رب العالمين او حال من الكتاب او من الضمير في فيه ومساق
الاية الكريمة بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه ام يقولون افتراه اي بل ايقولون
افتراه محمد صلى الله عليه وسلم والهمزة للانكار والتوبيخ واستبعاد قل تبكيتا لهم واظهارا
لبطلان مقالتهم الفاسدة ان كان الامر كما تقولون فأتوا بسورة مثله اي في البلاغة وحسن
الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا مني في النظم
والعبارة وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله وادعوا للمظاهرة
والمعاونة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من الهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم
في المهمات والملمات ومداركم الذين تلجأون الى ارائهم في كل ما تأتون وما تذرون من
دون الله متعلق بادعوا ودون جار مجرى اداة الاستثناء وقد مر تفصيله في قوله تعالى
وادعوا شهداءكم من دون الله اي ادعوا سواه تعالى من استطعتم من خلقه فانه لا يقدر
عليه احد او اخراجه سبحانه من حكم الدعاء للتنصيص على براءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة
المضادة والمشاقة لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم
انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه ان كنتم صادقين اي في اني افتريته فان ذلك مستلزم لامكان
الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم لقدرتكم عليه والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه بل كذبوا
بما لم يحيطوا بعلمه اضراب وانتقال عن اظهار بطلان ما قالوا في حق القرآن العظيم بالتحدي
الى اظهاره ببيان انه كلام ناشئ عن جهلهم بشأنه الجليل فما عبارة عن كله لا عما فيه من ذكر البعث
والجزاء وما يخالف دينهم كما قيل فانه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن مثله اي سارعوا الى تكذيبه
اثر ذي اثير من غير ان يتدبروا ما فيه ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الدالة على كونه كما وصف
انفا ويعلموا انه ليس مما يمكن ان يكون له نظير يقدر عليه المخلوق والتعبير عنه بما لم يحيطوا بعلمه
دون ان يقال بل كذبوا به من غير ان يحيطوا بعلمه ونحو ذلك للايذان بكمال جهلهم به وانهم لم
يعلموه الا بعنوان عدم العلم به وبان تكذيبهم به انما هو بسبب عدم علمهم به لما ان تعليق الحكم

عن الموصول مسوق لبيان ما في حيز الصلة به **ولما يأتهم تأويله** عطف على الصلة او حال من
الموصول اي ولم يقفوا بعد على تأويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه الرائقة المنبئة عن علو
شانه والتعبير عن ذلك باتيان التاويل للاشعار بان تاويله متوجه الى الاذهان منساق اليها
بنفسه او لم يأتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين انه صدق او كذب والمعنى
ان القرآن معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد فاجؤا تكذيبه قبل
ان يتدبروا نظمه ويتفكروا في معناه او ينتظروا وقوع ما اخبر به من الامور المستقبلة
ونفي اتيان التاويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الاحاطة بعلمه بكلمة لم لتاكيد الذم
وتشديد التشنيع فان الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع اتيانه افحش منها في تكذيبه
قبل علمه مطلقا والمعنى انه كان يجب عليهم ان يتوقفوا الى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا واما
ان المتوقع قد وقع بعد وانهم استمروا واعتدوا ذلك ايضا على ما هم عليه او لا فلا تعرض له هنا
والاستشهاد عليه بعدم انقطاع الكلام او ادعا ان قوله فزاده تكذيبا بعد التدبر
ناشئ من عدم التدبر فكذلك كيف لا وهم يقولون بعد التحدي بل قبله وادعا كونه مسبوقا
بالتحدي الوارد في سورة البقرة يرده انها مدنية وهذه مكية وانما الذي يدل عليه
ما سيتلى عليك من قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم الى آخره والحادثة من غير تدبر
وتامل **كذلك كذب الذين من قبلهم** اي فعلوا التكذيب او كذبوا رسلهم لما ظهرت المعجزات
على ايدي انبيائهم **فانظر كيف كان عاقبة الظالمين** وهم الذين من قبلهم من المكذبين
وانما وضع المظهر موضع المضمر للايذان بكون التكذيب ظلما وبعليته لاصابة ما اصابهم من
سوء العاقبة وبتحول مثل الظالمين في حق ما بهم حيا وعيدا اوليا وقوله عز وجل
ومنهم الى آخره بيان لحالهم بعد اتيان التاويل المتوقع اذ حينئذ يمكن تنويعهم الى المؤمن
به وغير المؤمن ضرورة امتناع الايمان بشيء من غير علم به واشتراك الكل في التكذيب والكفر
قبل ذلك حسبما افاده قوله عز وجل بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه **من يؤمن به** عند الاحاطة
بعلمه واتيان تاويله وظهور حقيته بعد ما سعوا في المعارضة وذاقوا هم فيها فتشالة
دونها وبعد ما شاهدوه وقوع ما اخبر به مرارا ومعنى الايمان به اما الاعتقاد بحقيته
فقط او التصديق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند ويكابر وهؤلاء هم الذين اشير
بقصر اتباع الظن على اكثرهم الى انهم يعلمون الحق على التفسير الثاني الى انهم متبعون الحق
كما مر **ومنهم من لا يؤمن به** اي لا يصدق في نفسه كما لا يصدق به ظاهرا لفرط غباوته المانعة
عن الاحاطة بعلمه كما ينبغي وان كان فوق مرتبة عدم الاحاطة به امتلا ولسخافة عقله
واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة الظنون والاوهام التي الفها فيبقى
على ما كان عليه من الشك وهذا التقدير من الاحاطة واتيان التاويل كان في مقابلة ما
سبق من عدم الاحاطة بالمرة وهؤلاء هم الذين اريدوا فيما سلف بقوله عز وجل وما يتبع
اكثرهم الا ظنا على التفسير الاول او لا يؤمن به فيما سيأتي بل يموت على كفره معاندا كان او شاكا
وهم المستمرون على اتباع الظن على التفسير الثاني من غير اذعان للحق وانقياد له **وربك
اعلم بالمفسدين** اي بكلا الفريقين على الوجه الاول لا بالمعاندين كما قيل لاشتراكهما في اصل الافساد

والمستمرين

والمستمرين لاشتراكهما في الوعيد او بالمعاندين والباقين على الكفر على الوجه الثاني من المعاندين
والشاكين **وان كذبوك** اي ان تموا على تكذيبك واصروا عليه حسبما اخبر منهم بعد الزام الحجة
بالتحدي **فقل لي عملي ولكم عملكم** اي تبرأ منهم فقد اعذرت كقوله تعالى فان عصوك
فقل اني بريء الخ والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا وتوحيد العمل المضاف
اليهم باعتبار الاتحاد النوعي ولمراعاة كمال المقابلة **انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما
تعملون** تاكيد لما افاده لام الاختصاص من عدم تعدي جزاء العمل الى غير عامله اي لا تؤاخذون
بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام المتاركة وعدم التعرض لهم قيل انه منسوخ
بآية السيف **ومنهم من يستمعون اليك** بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل لهم
الى ايمانهم وانما جمع الضمير الراجع الى كلمة من رعاية لجانب المعنى كما افرد فيما يأتي محافظة
على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف
عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلمة اي ومنهم ناس يستمعون اليك عند قراءتك
القرآن وتعليمك الشرائع **افانت تسمع الصم** همزة الاستفهام انكارية والفاء عاطفة وفي
الجمع بينهما لترتيب الانكار والاسماع على الاستماع كما هو راي سيبويه والجمهور وعلى ان محلها
المقدم على الفا لاقتضائها الصدارة كما قرر في موضعه بل لانكار ترتيبه عليه حسبما هو المعتاد
بين لا بطريق العطف على الفعل المذكور لادائه الى اختلال المعنى لانه اما صلة او صفة
واياما كان فالعطف عليه يستدعي دخول المعطوف في حيزه وتوجه الانكار اليه من تلك الحيثية
ولا ريب في فساده بل بطريق العطف على ما يفهم من فحوى النظم كانه قيل أيستمعون
اليك فانت تسمعهم لا لكمال لا استماعهم فانه امر محقق بل الانكار لوقوع الاسماع عقيب ذلك وترتبه
عليه حسب العادة الكلية بل نفيا لامكانه ايضا كما ينبئ عنه وضع الصم موضع ضميرهم ووصفهم
بعدم العقل بقوله عز وجل **ولو كانوا لا يعقلون** اي ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان
الاصم العاقل ربما تفرس اذا وصل الى صماخه صوت واما اذا اجتمع فقدان السمع
والعقل جميعا فقد تم الامر **ومنهم من ينظر اليك** ويعاين دلائل نبوتك الواضحة
افانت اي اعقيب ذلك انت تهديهم وانما قيل **تهدي العمي** تربية لانكار ومد ابتهم
وابرازا له في معرض الاستحالة وقد اكد ذلك بالحالية بقوله **ولو كانوا لا يبصرون**
اي ولو انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار
والعمدة في ذلك هي البصيرة ولذلك تجد من الاعمى المستبصر يتفطن لما لا يدركه
البصير الاحمق حيث اجتمع فيهم الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى وجواب لو في الجملتين
محذوف لدلالة قوله تعالى تسمع الصم او تهدي العمي عليه وكل منهما معطوفة على جملة مقدرة
في الجملة مقابلة لها اي الاخرى كلتاهما في موقع الحال من مفعول الفعل السابق اي افانت
تسمع الصم لو كانوا يعقلون افانت تهدي العمي لو كانوا يبصرون ولو كانوا لا يبصرون اي على
كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة
واضحة فان الشيء اذا تحقق عند تحقق المانع او المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه او مع
تحقق المانع الضعيف اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو وان الوصليتين من التاكيد

وتنبيه من الكلام في قوله تعالى ولو كانوا لا يعقلون ونظائره مرارا **إن الله لا يظلم الناس شيئا** اشارة
الى ان ما حكي عنهم من عدم استماعهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم من الادراك لا من جهة
الله عز وجل من خلقهم مؤفي المشاعر ونحو ذلك بل انما هو من قبلهم اي لا ينقصهم **شيئا** مما
نيط به مصالحهم الدينية والدنيوية وكمالاتهم الاولوية والاخروية من مبادي ادراكاتهم
واسباب علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنة والارشاد الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب
بل يوفيهم ذلك من غير اخلال بشي اصلا **ولكن الناس** وقرئ بالتخفيف ورفع الناس ووضع الناس
موضع المضمر لزيادة تعيين وتقرير اي لكنهم لعدم استعمال مشاعرهم فيما خلقت له واعراضهم
عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم للرسل والكتب **انفسهم يظلمون** اي ينقصون ما ينقصون مما
يخلون به من مبادي كمالهم وذرائع اصلاحهم فانا لم نتركها الا مرئي الغرض انما هو قصر الظلم
على انفسهم لا بيان ما يتعلق به الظلم والتعبير عن فعلهم بالنقص مع كونه تفويتا بالكلية والحالة
بالمرة لمن اعاره جانب قرينته وذكر لقوله عز وجل انفسهم اما لانه ليكونه للكل ويكون بمنزلة ضيق
النقص في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون في قصر الظالمية عليهم
واما مفعول يظلمون حسبما وقع في سائر المواقع وتقديمه عليه لمجرد الاهتمام مع مراعاة
الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على راي من لا يرى التقديم موجبا للقصر
فيكون كما في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم على الفاعل ولا
على المفعول واما على راي من يراه موجبا فلعل ايثاره دون قصر الظالمية عليهم للمبالغة
في بيان بطلان افعالهم وسخافة عقولهم لما ان الامرين عند اتحاد الفاعل والمفعول
واشد منه انكارا عند العقل ونفرة لذي الطبع واوجبهم زاميه عند كل احد من المظلومية
لا الظالمية على ان قصر الاول يستلزم لما يقتضيه ظاهر الحال من قصر الثانية عليهم ضرورة
انه اذا لم يظلم احدا من الناس الا نفسه يلزم ان لا يظلمه الا نفسه اذ لو ظلمه غيره يلزمه
الغير ظالما لغير نفسه والمفروض ان لا يظلم احدا الا نفسه فاكتفي بقصر الاول على الثاني
مع رعاية ما ذكر من النكتة وصيغة المضارع للاستمرار نفيا واثباتا فان حرف النفي اذا دخل
على المضارع يفيد بحسب المقام استمرار النفي لا نفي الاستمرار الا ترى ان مثل قولك ما زيد احرزت
يدل على اختصاص النفي لا على نفي الاختصاص ومساق الآية الكريمة لالزام الحجة ويجوز ان
يكون للوعيد فصيغة المضارع في النفي للاستقبال وفي المثبت للاستمرار والمعنى ان الله لا يظلمهم
شيئا بتعذيبهم يوم القيامة ولكنهم انفسهم يظلمون ظلما مستمرا فان مباشرتهم
للسيئات الموجبة للتعذيب عين ظلمهم لانفسهم وعلى الوجهين فالآية الكريمة تذييل لما سبق
ويوم يحشرهم منصوب بمضمر وقرئ بالنون على الالتفات اي اذكر لهم او انذرهم يوم يحشرهم
كأن لم يلبثوا اي كانهم لم يلبثوا **الا ساعة من النهار** اي شيئا قليلا منه فانها مثل في غاية
القلة وتخصيصها بالنهار لان ساعاته اعرف حالا من ساعات الليل والجملة في
موقع الحال من ضمير المفعول اي يحشرهم مشبهين في احوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث في الدنيا
ولم يتقلب في نعيمها الا ذلك القدر اليسير فان من اقام بها دهرا وتمتع بمتاعها لا يخلو
عن بقي آثار نعمه و كام منافية لما هم من رثاثة الهيئة وسوء الحال الذي لم يلبث في

البرزخ الا ذلك المقدار والثاني التنبيه ببيان كمال سهولة الحشر بالنسبة الى قدرته تعالى ولو
بعد دهر طويل واظهار بطلان استبعادهم وانكارهم بقولهم ائذا
متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون ونحو ذلك او لبيان تمام الموافقة بين النشأتين
في الاشكال والصور فان قلة اللبث في البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير
فيكون قوله عز وجل **يتعارفون بينهم** بيانا وتقريرا له لان التعارف مع طول العهد
ينقلب تناكرا وعلى الاول يكون استئنافا اي يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا
قليلا وذلك اول ما خرجوا من القبور اذ هم حينئذ على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة
فيما بينهم ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال المذهلة واعتراء الاحوال المفظعة المغيرة
للصور والاشكال المبدلة لها من حال الى حال **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله** شهادة
من الله سبحانه وتعالى على خسرانهم وتعجيب منه وقيل حال من ضمير يتعارفون على ارادة
القول والتعبير عنهم بالموصول مع كون المقام مقام اضمارهم لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار
بعليته لما اصابهم والمراد بلقاء الله تعالى ان كان مطلق الحساب والجزاء او حسن اللقاء
فالمراد بالخسران الوضيعة والمعنى وضعوا في تجاراتهم ومعاملاتهم واشترائهم الكفر
بالايمان والضلالة بالهدى وهو معنى قوله تعالى **وما كانوا مهتدين** اي كانوا عارفين
باحوال التجارة مهتدين لطرقها وان كان سوء اللقاء فالخسران الهلاك والضلال اي قد
ضلوا او هلكوا انكر تبين وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة **واما نرينك** اصله ان نرك
وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثمة اكد الفعل بالنون اي نبصرنك بان نظهرنه
بعض الذي نعدهم اي نعدهم من العذاب وتعجيله في حياتك لتراه والعدول
الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار او لعده
وعدا مجددا حسبما تقتضيه الحكمة من انذار بعد انذار وفي تخصيص البعض بالذكر رمز
الى العرض باراءة بعض الموعود وقد اراه يوم بدر **او نتوفينك** قبل ذلك **فالينا**
مرجعهم اي كيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم اولا فالينا مرجعهم في
الدنيا والآخرة فننجزه ما وعدناهم لا محالة وقيل المذكور جواب الشرط الاخير
فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وجواب الاول محذوف لظهوره اي فذاك **ثم**
الله شهيد على ما يفعلون من الافعال السيئة التي حكيت عنهم والمراد بالشهادة اما
مقتضاها ونتيجتها وهي معاقبتهم فيقال اي معاقب لهم على ما اقاموه او اداؤها بانطاق
الجوارح واظهارها باسم الجلالة لادخال الروعة وتربية المهابة وتاكيد التهديد وقرئ
ثمة اي هنالك **ولكل امة** من الامم الخالية **رسول** يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة
لاحوالهم ليدعوهم الى الحق **فاذا جاء رسولهم** فبلغهم ما ارسل به فكذبوه وخالفوه **قضي**
بينهم اي بين كل امة ورسولها **بالقسط** اي بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين
به واهلاك المكذبين كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا **وهم لا يظلمون** في
ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لانه من نتائج اعمالهم او ولكل امة من الامم يوم القيامة
رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان لقوله

عز وجل وجيء بالتبيين والتهديد او قضي بينهم «ويقولون متى هذا الوعد» استعجالا لما وعدوا
من العذاب على طريقة الاستهزاء والانكار حسبما يرشد اليه الجواب لا طلبا للتبيين
وقت مجيئه على وجه الالزام كما في سورة الملك «ان كنتم صادقين» اي في انه يأتينا والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون عليهم الآيات المتضمنة للوعد
المذكور وجواب الشرط محذوف وقد اقيم داخل ما تقدم مقامه حسبما حذف في قوله تعالى فأتنا
بما تعدنا ان كنت من الصادقين ولما فيه من الاشعار بكون اتيانه بواسطة النبي صلى الله
عليه وسلم قيل «قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا» اي لا اقدر على شيء منهما بوجه من الوجوه
وتقديم الضر لما ان مساق النظم لاظهار العجز عنه واما ما ذكر من النفع فلتوسيع الدائرة
تكملة للعجز وما وقع في سورة الاعراف من تقديم النفع للاشعار باهميته والمقام
مقامه والمعنى اني لا املك شيئا من شؤوني ردا وايرادا مع ان ذلك اقرب حصولا فكيف
املك شؤونكم حتى اتسبب في اتيان عذابكم الموعود «الا ما شاء الله» استثناء منقطع اي ولكن
ما شاء الله كائن وحمله على الاتصال على معنى الا ما شاء الله ان املكه يأباه ان مقام التبري
من ان يكون له صلى الله عليه وسلم دخل في اتيان الوعد فان ذلك يستدعي بيان كون المتنازع
فيه مما لا يشاء الله ان يملكه صلى الله عليه وسلم وحمل ما شاء الله على بعض الاحوال المعهودة
المنوطة بالافعال الاختيارية المفوضة الى العباد على ان يكون المعنى لا املك شيئا من
الضر والنفع الا ما شاء الله ان املكه منهما من الضر والنفع المترتبين على الاكل والشرب
تركا ووجودا ظاهرا وقوله عز وجل «لكل امة اجل» بيان لما ابهم في الاستثناء وتقييد
لما في القضاء السابق من الاطلاق المشعر بكون المقضي به امرا منجزا غير متوقف على شيء غير
مجيء الرسول وتكذيب الامة اي لكل امة من قضي بينهم وبين رسولهم اجل معين خاص
بهم لا يتعداهم الى امة اخرى مضروب لعذابهم يحل بهم عند حلوله «اذا جاء اجلهم» ان
جعل الاجل عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر وان اريد به ما امتد اليه
من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر وان اريد به ما امتد اليه من الزمان فمجيئه عبارة
عن انقضائه اذ هناك يتحقق مجيئه بتمامه والضمير ان جعل للامم المدلول عليها بكل امة
فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص
بها ومجيئه اياها بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يقتضيه
معنى الجمعية كانه قيل اذا جاءهم آجالهم بان يجيء كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص
بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير
والاضافة الى الضمير لافادة كمال التعيين اي اذا جاءها اجلها الخاص بها «فلا يستأخرون»
عن ذلك الاجل «ساعة» اي شيئا قليلا من الزمان فان الساعة مثل في غاية القلة منه اي
لا يتأخرون عنه اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له «ولا يستقدمون»
اي لا يتقدمون عليه وهو عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه
في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه
وتعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن

ولا

ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له رأسا قد نظم في عدم
قبول التوبة في سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوي وجود التوبة حينئذ
وعدمها بالمرة كما مر في سورة الاعراف • وقد جوز ان يراد بمجيء الاجل دنوه بحيث يمكن
التقدم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة معينة ليس في تقييد عدم الاستئخار
به كثير فائدة وتقديم بيان انتفاء الاستئخار على بيان انتفاء الاستقدام لان المقصود
الاهم بيان عدم خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتأخر واما ما في قوله تعالى ما
تسبق من امة اجلها وما يستأخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تأخير
عذابهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف
يعلمون فالاهم اذ ذاك بيان انتفاء السبق كما ذكر هنالك «قل» لهم غب ما بين كيفية
جريان سنة الله تعالى فيما بين الامم على الاطلاق ونبههم على ان عذابهم امر محقق لا يتوقف
الا على مجيء اجله المعلوم ايذانا بكمال دنوه وتنزيلا له منزلة اتيانه حقيقة «ارأيتم» اي اخبروني
«ان اتاكم عذابه» الذي تستعجلون به «بياتا» اي وقت بيات واشتغال بالنوم «او نهارا»
اي عند اشتغالكم بطلب معاشكم حسبما عين لكم من الاجل بمقتضى المشيئة التابعة للحكمة كما عين لسائر
الامم المهلكة قوله عز وجل «ماذا يستعجل منه المجرمون» جواب للشرط بحذف الفاء كما في
قولك ان اتيتك ماذا تعطيني والمجرمون موضوع موضع المضمر لتأكيد الانكار ببيان مباينة حالهم
للاستعجال فان حق المجرم ان يهلك فزعا من اتيان العذاب فضلا عن استعجاله والجملة الشرطية
متعلقة بأرأيتم والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى اي شيء تستعجلون منه تعالى والشيء لا
يمكن استعجاله بعد اتيانه والمراد به المبالغة في انكار استعجاله باخراجه عن حيز الامكان
وتنزيله في الاستحالة منزلة استعجاله بعد اتيانه بناء على تنزيل اتيانه ودنوه منزلة اتيانه
حقيقة كما اشير اليه ومثل هذا الانكار منزلة النهي في قوله عز وعلا اتى امر الله فلا تستعجلوه •
خلا ان التنزيل هناك صريح وهاهنا ضمني • كما في قول من قال لغريمه الذي يتقاضاه حقه •
اذا اتيتك ان اعطيتك حقك فماذا تطلب مني يريد المبالغة في انكار التقاضي بنظمه في سلك •
التقاضي بعد الاعطاء بناء على تنزيل تقرره منزلة نفسه قوله عز وجل «اثم اذا ما وقع امنتم
به» انكار لايمانهم بعد نزول العذاب بوقوعه حقيقة داخل مع ما تقدم من انكار استعجالهم به بعد
اتيانه حكاية القول المأمور «به» اي انكار ما وقع العذاب وحل بكم حقيقة آمنتم به حين
لا ينفعكم الايمان انكارا للتأخير الى هذا الحد وايذانا باستتباعه للندم والحسرة عما هم
عليه من العناد وتوجيه الانكار الى الظرف دون الوقت فتقديم الظرف للقصر وقيل
ماذا يستعجل منه متعلق بأرأيتم وجواب الشرط محذوف اي تندموا على الاستعجال او
تعرفوا الخطأ والشرطية اعتراض مقرر لمضمون الاستخبار • وقيل الجواب قوله تعالى اثم
اذا ما وقع الخ والاستفهامية الاولى اعتراض والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه آمنتم
به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وترجي بكلمة التراخي دلالة على استبعاد ثم زيد اداة
الشرط دلالة على استقلاله بالاستبعاد وعلى ان الاول كالتمهيد له وجيء باذا مؤكدة
بما ترشيحا لمعنى الوقوع وزيادة للتجهيل وانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لم ينفعهم الايمان البتة

وقوله تعالى آلآن استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت القول الملقن مسوق لتقريعهم بما
سبق على إرادة القول أي قيل لهم عند إيمانهم بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به إنكارا للتأخير
وتوبيخا عليه ببيان أنه لم يكن ذلك لعدم سبق الإنذار به ولا لكلام في والتدبر في
شأنه ولا لتراخ ما عنى بعد من رأى التأخير بل كان ذلك على طريق التكذيب والاستعجال
به على وجه الاستهزاء وقرئ الآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقوله تعالى وقد
كنتم به تستعجلون أي تكذيبا واستهزاء جملة وقعت حالا من فاعل آمنتم المقدر مقررة
للتوبيخ والتقريع بزيادة التنديم والتحسير وتقديم الجار والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل
دون القصر وقوله تعالى ثم قيل عطف على قيل المقدر تأكيد للتوبيخ والعتاب بوعيد العذاب والعقاب
ومن عطف على ما قبله دون إلى الآن للذين ظلموا أي وضعوا الكفر والتكذيب موضع الإيمان
والتصديق أو ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب والهلاك ووضع الموصول موضع الضمير لذمهم
بما في حيز الصلة والإشعار بعلية لإصابة ما أصابهم ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام
هل تجزون اليوم إلا بما كنتم تكسبون في الدنيا من أصناف الكفر والمعاصي التي من
جملتها ما مر من الاستعجال ويستنبئونك أي يستخبرونك وتاء فيقولون على طريقة الاستهزاء
والإنكار أحق هو أحق خبر قدم على المبتدأ الذي هو الضمير للاهتمام به ويؤيده قوله
تعالى إنه الحق أو مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر والجملة في موقع النصب بيستنبئونك
وقرئ الحق هو تعريضا بأنه باطل كأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو هو الذي سميتموه الحق قل
لهم غير ملتفت إلى استهزائهم معرضا عما قصدوا ثابت للأمر على أساس الحكمة إي وربي أي
من حروف الإيجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما أن هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة
ولذلك يوصل بواو القسم إنه أي العذاب الموعود لحق لثابت البتة أكد الجواب بأتم وجوه
التأكيد حسب شدة إنكارهم وقواه وزاد تقريرا وتحقيقا بقوله عز شأنه وما
أنتم بمعجزين أي بفائتين العذاب بالهرب وهو لاحق بكم لا محالة وهو إما معطوف على جواب
القسم أو مستأنف سيق لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور ولو أن
لكل نفس ظلمت بالشرك والتعدي على الغير أو غير ذلك من أصناف الظلم ولو مرة
حسبما يفيده كون الصفة فعلا ما في الأرض أي ما في الدنيا من خزائنها وأموالها
ومنافعها قاطبة بما كثرت لافتدت به أي لجعلته فدية لها من العذاب من
افتداه بمعنى فداه وأسروا أي النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول إلى صيغة الجمع
مع تحقق العموم في صورة الإفراد أيضا لإفادة تهويل الخطب بكون الإسرار بطريق المعية
والاجتماع وإنما لم يراع ذلك فيما سبق لتحقيق ما يتوخى من فرض كون جميع ما في الأرض لكل واحد
من النفوس وإيثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص أو لتغليب ذكورها
على إناثها الندامة على ما فعلوا من الظلم أي أخفوها ولم يظهروها لا للاصطبار
والتجلد هيهات ولات حين اصطبار بل لأنهم بهتوا لما رأوا العذاب أي عند معاينتهم
من فظاعة الحال وشدة الأهوال ما لم يكونوا يحتسبون فلم يقدروا على أن ينطقوا بشيء
فلما بمعنى حين منصوب بأسروا أو حرف شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل

أسرها

سرّا بها وسامعهم ممن أضلوه حياء منهم وخوفا من توبيخهم ولكن الأمر أشد من أن يعتريهم هناك
شيء غير خوف العذاب وقيل أسروا الندامة أخلصوها لأن إسرارها إخلاصها
أو لأن سر الشيء خالصه حيث يخفى ويضن به وفيه تهكم بهم وقيل أظهروا الندامة من
قولهم أسر الشيء وأشره إذا أظهره حين عيل صبره وفني تجلده وقضي بينهم أي أوقع
القضاء بينهم وبين الظالمين من المشركين وغيرهم من أصناف أهل الظلم بأن أظهر الحق
سواء كان من حقوق الله سبحانه أو من حقوق العباد وعومل أصحاب كل منهما بما يليق به بالقسط
أي بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدي وحمل القضاء على مجرد الحكومة بين الظالمين والمظلومين
من غير أن يتعرض لحال المشركين ومخاطر الظالمين لا يساعده المقام فإن مقتضاه بيان
إما كون الظلم عبارة عن الشرك أو عما يدخل فيه دخولا أوليا وهم أي الطائفتين لا
يظلمون فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه الضرورية
ألا إن لله ما في السموات والأرض أي ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما أو خارجا
عنهما متمكنا فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء فهو تقرير لكمال قدرته
سبحانه على جميع الأشياء وبيان لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيف ما يشاء إيجادا
وإعداما وإثابة وعقابا ألا إن وعد الله إظهار الاسم الجليل لتفخيم شأن الوعد
والإشعار بعلية الحكم وهو إما بمعنى الموعود أي جميع ما وعد به كائنا ما كان فيندرج فيه
العذاب الذي استعجلوه وما ذكر في أثنائه اندراجا أوليا أو بمعناه المصدري
أي وعده بجميع ما ذكر فمعنى قوله تعالى حق على الأول ثابت واقع لا محالة وعلى المصدري
أي وعده وعلى الثاني مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرفي التنبيه والتحقيق للتسجيل
على تحقق مضمونهما المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه على وجوب
استحضاره والمحافظة عليه ولكن أكثرهم لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم
والفهم بالأحوال المحسوسة المعتادة لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون ما
يفعلون هو يحيي ويميت في الدنيا من غير دخل لأحد في ذلك وإليه ترجعون في الآخرة
بالبعث والحشر يا أيها الناس التفات ورجوع إلى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم إلى قبوله
إثر بيان وإسماع الترهيب عن ديدنهم من غوائل العناد بما يترتب عليهم من القوارع الناعية عليهم
سوء عاقبتهم وإيذان بأن جميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم قد جاءتكم موعظة هي والوعظ
والعظة والتذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب أو بالاستمالة والترغيب
وكلمة من في قوله تعالى من ربكم ابتدائية متعلقة بجاءتكم أو تبعيضية متعلقة بمحذوف
وقع صفة لموعظة أي موعظة كائنة من مواعظ ربكم وفي التعرض لعنوان الربوبية
من حسن الموقع ما لا يخفى وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين أي كتاب
جامع لهذه الفوائد والمنافع فإنه كاشف عن أحوال الأعمال حسناتها وسيئاتها مرغب
في الأولى ورادع عن الأخرى ومبين للمعارف الحقة التي هي شفاء لما في الصدور من الأدواء
القلبية كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الزائغة
وهاد إلى طريق الحق واليقين بالإرشاد إلى الاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق

والاثني ودي مجيد رحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان وتخلصوا
من دركات النيران وارتقوا الى درجات الجنان والتنكير في الكل للتفخيم قل تلوين للخطاب
وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأمر الناس بان يتلقوا ما في مجيء القرآن
العظيم من الفضل والرحمة بفضل الله وبرحمته اما ما في مجيء القرآن من الفضل والرحمة
واما الجنس ويندرج فيه ذلك اندراجا اوليا والباء متعلقة بمحذوف واصل الكلام ليفرحوا بفضل
الله وبرحمته وتكرير الباء في رحمته للايذان باستقلالها في استيجاب الفرح ثم قدم الجار
والمجرور على الفعل لافادة القصر ثم ادخل عليه الفاء لافادة معنى السببية فصار بفضل
الله وبرحمته فليفرحوا ثم قيل فبذلك فليفرحوا للتأكيد والتقرير ثم حذف الفعل الاول
لدلالة الثاني عليه والفاء الاولى جزائية والثانية للدلالة على السببية ثم حذف الشرط
ومعنى البعد في اسم الاشارة للدلالة على بعد درجة فضل الله تعالى ورحمته ويجوز ان
يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يتعلق الباء بجاءتكم اي جاءتكم
موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اي فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فافرحوا وعن ابي بن
كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام
وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه هو اي ما ذكر من فضل الله ورحمته
خير مما يجمعون من حطام الدنيا وقرئ تجمعون اي فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعون
ايها المخاطبون قل ارأيتم اي اخبروني ما انزل الله لكم من رزق ما منصوبة بانزل او بما
بعدها او بما قبلها واللام للدلالة على ان المراد بالرزق ما حل لهم وجعله منزلا لانه مقدر
في السماء محصل بها وبما يتوقف عليه وجوده او باسباب سماوية من المطر والكواكب في الانضاج
والتلوين فجعلتم منه اي جعلتم بعضه حراما اي حكمتم بانه حرام وحلالا اي
وجعلتم بعضه حلالا اي حكمتم بحله مع كونه حلالا وذلك قوله وقالوا هذه انعام وحرث حجر
الآية وقولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ونحو ذلك
وتقديم الحرام لظهور اثر الجهل فيه ودوران التوبيخ عليه قل تكرير لتأكيد الامر بالاستخبار
اي اخبروني الله اذن لكم في ذلك الجعل فانتم فيه ممتثلون بامره تعالى ام على الله تفترون
ام متصلة والاستفهام للتقرير والتبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير قطعا كانه قيل ام لم
ياذن لكم بل تفترون عليه سبحانه فاظهار الاسم الجليل وتقديم الجار على الفعل للدلالة على كمال
قبح افترائهم وتأكيد التبكيت اثر تأكيد مع مراعاة الفواصل ويجوز ان يكون الاستفهام
للانكار وام منقطعة والهمزة فيها للاضراب والانتقال من التوبيخ والزجر بانكار الاذن
الى ما تقتضيه من التوبيخ على الافتراء عليه سبحانه وتعالى وتقديم الجار والمجرور
على ما سلف ويجوز ان يكون للقصر كانه قيل بل اعلى الله خاصة تفترون وما ظن الذين يفترون
على الله الكذب كلام مسوق من قبله تعالى لبيان هول ما سيلقونه غير داخل تحت
القول المأمور به والتعبير عنهم بالموصول في موضع الاضمار لقطع احتمال الشق الاول من الترديد
والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذلك للاظهار كمال
قبح ما افتعلوا وكونه كذبا في اعتقادهم ايضا وكلمة ما استفهامية وقعت مبتدأ

وظن

وظن خبرها ومفعولاه محذوفان وقوله عز وجل يوم القيامة ظرف لنفس الظن اي اي شيء ظنهم
في ذلك اليوم يوم عرض الافعال والاقوال والمجازاة عليها مثقالا بمثقال والمراد تهويله
وتفظيعه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم من الامور
التي ستقع يوم القيامة تنزيلا له ولما فيه من الاحوال لكمال وضوح امره في التقرر والتحقق منزلة
المسلم عند مخالفيهم اي اي شيء ظنهم لما سيقع يوم القيامة احسبون انهم لا يسألون عن افترائهم
او لا يجازون عليه او لا يجازون جزاء يسيرا ولاجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا انهم لفي اشد
العذاب لان معصيتهم اشد المعاصي وقرئ على لفظ الماضي اي اي ظن ظنوا يوم القيامة
وايراد صيغة الماضي لما انه كائن فكأنه قد كان ان الله لذو فضل اي عظيم لا يكتنه كنهه
على الناس اي جميعا حيث انعم عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح ورحمهم
بانزال الكتب وارسال الرسل وبين لهم الاسرار التي لا تستقل العقول في ادراكها وارشدهم
الى ما يهمهم من امر المعاش والمعاد ولكن اكثرهم لا يشكرون تلك النعمة الجليلة فلا
يصرفون قواهم ومشاعرهم الى ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل
الشرع فيما لا يدرك الا به وقد تفضل عليهم ببيان ما سيلقونه يوم القيامة فلا يبتغونه اليه
مستغرقون فيما يتبعون فهو تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وما تكون في شأن اي في امر من شأنت
شأنه اي قصدت قصده بمعنى المفعول وما تتلو منه من قرآن الضمير للشأن والظرف
صفة لمصدر محذوف اي تلاوة كائنة من الشأن اذ هي معظم شؤونه صلى الله عليه وسلم
او للتنزيل والاضمار قبل الذكر لتفخيم شأنه ومن ابتدائية على الوجه الاول وبيانية او
تبعيضية على الثاني والثالث ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمن هو قدوة الكل
ودخل في ذلك القائمون بما يليق بهم حيث ذكر اولا من الاعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانيا
ما يتناول الحقير والجليل الا كنا عليكم شهودا استثناء مفرغ من اعم الاحوال المخاطبين
بالافعال الثلاثة اي ما تلابسون بشيء منها في حال من الاحوال الا حال كوننا رقباء مطلعين
عليه حافظين وحيث اريد بالافعال السابقة الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان
الماضي ايضا اوثر في الاستثناء صيغة الماضي وفي الظرف كلمة اذ التي تفيد المضارع معنى
الماضي وما يعزب عن ربك اي لا يبعد ولا يغيب عن علمه الشامل وفي التعرض لعنوان الربوبية
من الاشعار باللطف ما لا يخفى وقرئ بكسر الزاي من مثقال ذرة كلمة من مزيدة
لتأكيد النفي اي ما يعزب عنه ما يساوي في الثقل نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في
السماء اي في دائرة الوجود والامكان العائد لا تعرف سواهما ممكنا ليس في احدهما او متعلقا
بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود اقامة البرهان على احاطة علمه
تعالى بتفاصيلها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام
برأسه مقرر لما قبله ولا نافية للجنس واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرئ بالرفع على
الابتداء والخبر ومن عطفه على مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على
محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا كانه قيل لا يعزب عن ربك شيء لكن جميع الاشياء في كتاب
مبين فكيف يعزب عنه شيء منها وقيل يجوز ان يكون الاستثناء متصلا ويعزب بمعنى يبين

ذرة وهو المعنى لا يبعد عنه تعالى الا وهو في كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ
ألا إن أولياء الله بيان على وجه التبشير والوعد لما هو نتيجة الاعمال المؤمنين وغاية لما ذكر
قبله من كونه تعالى مهيمنا على نبيه صلى الله عليه وسلم وامته في كل ما يأتون وما يذرون واحاطة
علمه سبحانه بجميع ما في السماوات والارض وكون الكل مثبتا في الكتاب المبين بعد ما اشير الى فظاعة
حال المفترين على الله تعالى يوم القيامة وما سيعتريهم من الهول اشارة اجمالية على طريقة المهدية
والوعيد وصدرت الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولي لغة
القريب والمراد باولياء الله تعالى خلص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه ولعلها كما سيفصح
منه تفسيرهم لا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب
اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم
خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف واستشعار الخوف والخشية
استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية
من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه
كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد
الاستمرار والدوام بحسب المقام وانما لا يعتريهم ذلك لان مقصدهم ليس الا طاعة
الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال
لفواته بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى واما ما عدا ذلك من الامور الدنيوية المترددة
بين الحصول والفوات فهي بمعزل من الانتظام في سلك مقصدهم وجودا وعدما حتى يخافوا
من حصول ضارها او يحزنوا بفوات نافعها وقوله عز وجل الذين آمنوا اي بكل ما جاء من عند الله
تعالى وكانوا يتقون اي يقون انفسهم عما يحق وقايتها عنه من الافعال والتروك وقاية
دائمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل بيان وتفسير لهم واشارة الى ما به نالوا
ما نالوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤال ومحل الموصول الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف
كأنه قيل من اولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى
الموصلين الى كل خير المنجيين عن كل شر وقيل محله النصب او الرفع على المدح او على انه
وصف مادح لاولياء ولا يقدح في ذلك توسط الخبر والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة
منه الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك التي يفيدها هنا الايمان قطعا ومرتبة التجنب
عن كل ما يؤثم من فعل وترك اعني تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه
بالكلية وهو التقوى الحقيقي المأمور به في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق
تقاته وبه يحصل الشهود والحضور والقرب الذي يدور عليه اطلاق الاسم وهكذا كان
حال من انتظم معه صلى الله عليه وسلم تحت الخطاب بقوله عز وعلا ولا تعملون من عمل
الا كنا عليكم شهودا خلا ان لهم في شأن التبتل والتنزه درجات متفاوتة حسب تفاوت
درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الابية اقصاها ما
انتهى اليه همم الانبياء عليهم الصلاة والسلام حتى جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية
ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق في عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة

عشح

الخلق عن الميل الى جناب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية
لما ان المراد بالولاية هو التقوى المذكور فاولياء الله تعالى هم المؤمنون المتقون ويقرب منه
ما قيل من انهم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة
اليه واما ما قيل من انهم الذين يذكر الله برؤيتهم لما روي عن سعيد بن جبير ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم اي بسمتهم
واخباتهم وسكينتهم وما قيل انهم المتحابون في الله لما روي عن عمر رضي الله عنه انه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء
والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا
نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم
لنور وانهم لعلى منابر من نور ولا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس فانما
ذكر من حسن السمت والسكينة المذكرة لله تعالى والتحاب في الله سبحانه من الاحكام
الدنيوية اللازمة للايمان والتقوى والآثار الخاصة بهم حقيقة فالتخصيص بالذكر لظهورها
وقربها من افهام الناس فقد اورد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا من ذلك حسبما يقتضيه مقام
الارشاد والتذكير ترغيبا للسامعين او غيرهم من الحاضرين فيما خصه بالذكر من هنالك
فلعل الحاضرين اولا كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والملابس
ونحو ذلك والحاضرين ثانيا مفتقرين الى تأليف قلوبهم وعطفها نحو المؤمنين الذين لا علاقة
بينهم وبينهم من جهة النسب والقرابة وتأكيد تحابهم من الاخوة الدينية ببيان عظم
شأنها ورفعة مكانها وحسن عاقبتها ليراعوا حقوقها ويهجروا من لا يوافقهم في الدين من ذوي
ارحامهم واما ما ذكر من انه يغبطهم الانبياء فتصوير لحسن حالهم على طريقة التمثيل قال
الكرماني ومعنى المبالغة لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا كذلك وقيل اولياء الله الذين يتولونه
بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وحمل قوله عز وجل الذين آمنوا وكانوا يتقون تفسيرا لتوليهم
اياه تعالى وقوله عز وعلا لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة تفسيرا
لتوليه اياهم تعالى لا ريب في ان اعتبار توليه الاخير في مفهوم الولاية غير مناسب
لمقام ترغيب المؤمنين في تحصيلها والثبات عليها وبشارتهم بآثارها ونتائجها بل يجب
بذلك اذ التحصيل انما يتعلق بالمقدور والاستبشار لا يحصل الا بما علم وجوده وحصوله حتى يعرفوا
احوال الولاية لهم ويستبشروا بمحاسن آثارها التولي بالكرامة يعني نتيجة الولاية فاعتباره
في عنوان الموضوع مع الاخبار بعدم الخوف والحزن مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل والذي
يقتضيه نظم التنزيل ان الاول تفسير للاولياء حسبما شرح والثاني بيان لما اولاهم باظهر
من الولاية من نعمة وكرامة من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورها ومكارهها
والجملة مستأنفة كما سبق كأنه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم ما يسرهم في
الدارين وتقديم الاول لما ان التخلية سابقة على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة
بين حسن حال المؤمنين وسوء حال المفترين وتعجيل ادخال المسرة بتبشير الخلاص عن الاهوال
وتوسيط البيان السابق بين تبشير الخلاص عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لاظهار كمال
العناية بتبشير الاولياء مع الايذان بان انتفاء الخوف والحزن لاجل انهم مما يؤدي اليهما من

الآيات والبشرى مصدر اريد به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة ونحو
ذلك والآجلة الغنية عن البيان وايثار الابهام والاجمال للايذان بكونه وراء البيان
والتفصيل والظرفان في موضع الحال منه والعامل ما في الخبر من معنى الاستقرار اي لهم
البشرى حال كونها في الحياة الدنيا وحال كونها في الآخرة اي آجلة وعاجلة او حال من
الضمير المجرور اي حال كونهم في الحياة الدنيا الى آخره ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن
والذكر الجميل ومحبة الناس عن ابي ذر رضي الله عنه قلت يا رسول الله الرجل يعمل
العمل لله تعالى ويحبه الناس فقال صلى الله عليه وسلم تلك عاجل بشرى المؤمن هذا
وقد قيل البشرى مصدر والظرفان متعلقان به اما البشرى في الدنيا فهي الواقعة للمؤمنين
المتقين في غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا
الصالحة يراها المؤمن او ترى له وعنه صلى الله عليه وسلم ذهبت النبوة وبقيت
المبشرات وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى
ما ننزل الملائكة الا بالحق وقال تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا
وابشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة
وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك
من البشارات فتكون هذه بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة والآجلة المطلوبة
لغاياتها لا لذواتها ولا يخفى ان صرف البشارة الزاجرة عن المقاصد بالذات الى وسائلها
مما لا يناسب جلالة شأن التنزيل الكريم **لا تبديل لكلمات الله** لا تغيير لاقواله التي من
جملتها مواعيده الواردة ببشارة المؤمنين المتقين فيدخل فيها البشارة الواردة ههنا
دخولا اوليا ويثبت امتناع الاخلاف فيها ثبوتا قطعيا وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة
فالمراد بعدم تبديل كلماته تعالى ليس عدم الخلف بينها وبين نتائجها الاخروية والدنيوية بل عدم الخلف بينها
وبين ما دل على ثبوتها ووقوعها فيما سيأتي بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرى فتدبر **ذلك** اشارة الى ما
ذكر من ان لهم البشرى في الدارين **هو الفوز العظيم** الذي لا فوز وراءه وفيه تفسير لما ابهم فيما سبق
وهذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يكون بعده كلام
متصل بما قبله او بتذييل والسابقة اعتراض **ولا يحزنك قولهم** تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشئة عن مقالاتهم الموحشة وتبشير له صلى الله عليه
وسلم بانه عز وجل ينصره ويعزه عليهم اثر بيان ان له ولاتباعه امنا من كل محذور وفوزا بكل مطلوب
وقرئ ولا يحزنك من احزن وهو في الحقيقة نهي له صلى الله عليه وسلم عن الحزن كأنه قيل لا تحزن
بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتفوهون
به في شأنك مما لا خير فيه وانما وجه   الى قولهم للمبالغة في نهيه صلى الله عليه وسلم عن الحزن
لما ان النهي عن التسبب   نهي عن اصله ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن
الملزوم كما في قولك لا ارينك ههنا وتخصيص النهي عن الحزن بالايراد مع شمول النهي السابق للخوف
ايضا لما انه لم يكن فيه صلى الله عليه وسلم شائبة خوف حتى ينهى عنه ولربما كان يعتريه صلى
الله عليه وسلم في بعض الاوقات نوع حزن فسلي عن ذلك وقوله تعالى **ان العزة** تعليل
للنهي على طريقة الاستئناف اي ان الغلبة والقهر **لله جميعا** اي في ملكه وسلطانه لا يملك

أخذ

اي في ملكه وسلطانه لا يملك احد منها شيئا اصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك
منهم وينصرك عليهم وقد كان كذلك فهي من جملة المبشرات العاجلة وقرئ بفتح ان على
صريح التعليل اي لان العزة لله انه **هو السميع العليم** يسمع ما يقولون في حقك ويعلم
ما يعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك **الا ان لله من في السموات ومن في الارض** اي العقلاء
من الملائكة والثقلين وتخصيصهم بالذكر للايذان بعدم الحاجة الى التصريح
بغيرهم فانهم مع شرف قدرهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا له سبحانه مقهورين تحت قدرته
وملكته فما عداهم من الموجودات اولى بذلك وهو مع ما فيه من التأكيد لما سبق
من اختصاص العزة بالله تعالى الموجب لسلوته صلى الله عليه وسلم وعدم مبالاته
بالمشركين وبمقالاتهم تمهيد لما لحق من قوله تعالى **وما يتبع الذين يدعون من دون
الله شركاء** وبرهان على بطلان ظنونهم واعمالهم المبنية عليها وما اما نافية وشركاء
مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهوره اي ما يتبع الذين يدعون من دون الله
شركاء في الحقيقة وان سموها شركاء فاقتصر على احدهما لظهور دلالته على الآخر ويجوز ان
يكون المذكور مفعول يدعون ويكون مفعول يتبع محذوفا لانفهامه من قوله تعالى
ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا من دون الله انما يتبعون ظنهم الباطل
واما موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء
اي وله شركاؤهم وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق عبارة او دلالة عبيدا له
سبحانه للمبالغة في بيان بطلان اتباعهم وفساد ما بنوا عليه من ظنهم شركاء وهم معبودون
مع كونهم عبيدا له سبحانه واما استفهامية اي واي شيء يتبعون اي لا يتبعون شيئا ما يتبعونه
الا الظن والخيال الباطل كقوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم
الى آخره وقرئ تدعون بالتاء فالاستفهام للتبكيت والتوبيخ كأنه قيل واي
شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين تقريرا لكونهم متبعين لله تعالى
مطيعين له وتوبيخا لهم على عدم اقتدائهم بهم في ذلك كقوله تعالى اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقيل ان يتبع
هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبيون من الحق **وان
هم الا يخرصون** يكذبون فيما ينسبونه اليه سبحانه ويحزرون ويقدرون انهم شركاء تقديرا
باطلا **هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا** تنبيه على تفرده تعالى
بالقدرة الكاملة ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق العبادة وتقرير لما سلف من كون
جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته وملكته المفصح عن اختصاص العزة به سبحانه
والجعل ان كان بمعنى الابداع والخلق فمبصرا حال والا فهو مفعوله الثاني او هو حال
في الوجه الاول والمفعول الثاني لتسكنوا فيه او هو محذوف يدل عليه المفعول
الثاني او هو حال في الوجه الاول والمعنى من الجملة الثانية منها ما حذف وقد اعتمد على ما في
الاول والتقدير هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه
لمصالحكم كما سيجيء نظيره في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له وان يردك

ليجد فيه راحة لتفتيله الآية حذف في كل واحد من الجانبين ما ذكر في الآخر اكتفاء بالمذكور
من المتروك واسناد الابصار الى النهار مجازي كالذي في نهاره صائم ان في ذلك
اي في جعل كل منهما كما وصف او فيهما وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد
منزلة المشار اليه وعلو رتبته لآيات اي عجيبة كثيرة او آيات اخر غير ما ذكر لقوم
يسمعون اي هذه الآيات المتلوة ونظائرها المنبهة على تلك الآيات التكوينية الآمرة
بالتأمل فيها سماع تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها وتخصيص الآيات بهم لانهم المنتفعون
لمصلحة لكنها انهم المنتفعون بها قالوا شروع في ذكر ضرب آخر من اباطيلهم وبيان
بطلانه اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه وتقديس له عما نسبوا اليه وتعجيب من
كلمتهم الحمقاء هو الغني على الاطلاق عن كل شيء في كل شيء وهو علة لتنزيهه سبحانه
وايذان بان اتخاذ الولد من احكام الحاجة هو قوله عز وجل له ما في السموات
وما في الارض اي من العقلاء وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لمالكيته تعالى لكل ما سواه
وقوله تعالى ان عندكم من سلطان بهذا اي حجة بهذا اي بما تقولون من قولهم الباطل
نفي لسلطانه بتحقيق سلامة ما اقيم من البرهان الساطع عن المعارض فمن في سلطان
زائدة لتأكيد النفي وهو مبتدأ والظرف المقدم خبره او مرتفع على انه فاعل للظرف
لاعتماده على النفي وبهذا متعلق اما بسلطان لانه بمعنى الحجة والبرهان واما بمحذوف
وقع صفة له واما بما في عندكم من معنى الاستقرار وكأنه قيل ان عندكم في هذا
القول من سلطان والالتفات الى الخطاب لمزيد المبالغة في الالزام والافحام وتأكيد
ما في قوله تعالى اتقولون على الله ما لا تعلمون من التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلاقهم
وفيه تنبيه على ان كل مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وان العقائد لا بد لها من برهان
قطعي وان التقليد بمعزل من الاعتداد به قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليبين لهم سوء عاقبتهم ووخامة عاقبتهم ان الذين يفترون على
الله الكذب اي في كل امر فيدخل ما نحن بصدده من الافتراء بنسبة الولد والشريك اليه
سبحانه دخولا اوليا لا يفلحون اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب اصلا وتخصيص
عدم النجاة والفوز بانه درج في ذلك من عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة
لا يناسبه مقام المبالغة في الزجر عن الافتراء عليه سبحانه متاع في الدنيا كلام مستأنف
سيق لبيان ان ما يترأى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ الدنيوية على
الاطلاق او في ضمن افترائهم بمعزل من ان يكون من جنس الفلاح كأنه قيل كيف لا يفلحون
وهم في غبطة ونعيم فقيل هو متاع يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم اشير
الى انتفاء النجاة عن المكروه بقوله عز وعلا ثم الينا مرجعهم اي بالموت ثم
نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون فيبقون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم
المستمر او بكفرهم في الدنيا فاين هم من الفلاح وقيل المبتدأ المحذوف افتراؤهم
او تقلبهم وقد قيل انه افتراؤهم ولا يخفى ان المتاع انما يطلق على ما يكون مطبوعا
عند النفس مرغوبا فيه في نفسه يتمتع وينتفع به وانما عدم الاعتداد به لسرعة زواله

ونفي

ونفس الافتراء عليه سبحانه اقبح القبائح عند النفس فضلا عن ان يكون مطبوعا عندها وانما
يكون ذلك باعتبار اخذ حكمهم ما يؤدي اليه من رياستهم عليه ما لا وجد له فالوجه ما ذكر اولا
وليس بتعيين ما قيل ان المحذوف هو الخبر اي لهم متاع والآية اما مسوقة من جهته سبحانه
لتحقيق عدم افلاحهم غير داخلة في الكلام المأمور به كما ينبئ عنه ظاهر قوله تعالى ثم الينا الخ
او داخلة فيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مأمور بنقله وحكايته عنه
عز وجل واتل عليهم اي على المشركين من اهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من انهم لا
يفلحون وان ما يتمتعون به في حياتهم الفانية وانهم مشرفون على العذاب الخالد نبأ نوح
اي خبره الذي له شأن وخطر مع قومه الذين هم اضراب قومك في الكفر والعناد ليتدبروا
ما فيه من زوال ما متعوا به من النعيم وحلول عذاب الاغراق الموصول بالعذاب المقيم
لينزجروا وابتلاء لهم عما هم عليه من الكفر وتنكسر شدة شكيمتهم او يعترف بعضهم بصحة نبوتك
بان يعرفوا ان ما تتلو موافق لما ثبت عندهم من غير مخالفة بينهما اصلا مع علمهم بانك لم تسمع
ذلك من احد لم يأت الا بطريق الوحي وفيه من نفي ان ما سبق من اختصاص العزة به تعالى وان
الخوف والحزن من اولياء الله عز وعلا قاطبة وتشجيع النبي صلى الله عليه وسلم وحمله على عدم
المبالاة بهم وباقوالهم وافعالهم ما لا يخفى اذ قال معمول لنبأ او بدل منه بدل اشتمال
وايا ما كان فالمراد بعض نبائه عليه الصلاة والسلام لا كل ما جرى بينه وبين قومه
واللام في قوله تعالى لقومه للتبليغ يا قوم ان كان كبر اي عظم وشق عليكم مقامي
اي نفسي كما يقال فعلته لمكان فلان ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي خاف
ربه او قيامي ومكثي بين ظهرانيكم مدة طويلة او قيامي وتذكيري بآيات الله فانهم
كانوا اذا وعظوا الجماعة يقومون على ارجلهم والجماعة قعود ليظهر حالهم ويسمع كلامهم
فعلى الله توكلت جواب للشرط اي دمت على تخصيص التوكل به تعالى ويجوز ان يراد به احداث
مرتبة مخصوصة من التوكل فاجمعوا امركم عطف على الجواب والفاء لترتيب الامر بالاجماع على التوكل
لا لترتيب نفس الاجماع عليه او هو الجواب وما سبق جملة اعتراضية والاجماع العزم
قيل هو متعد بنفسه وقيل هو متعد بحرف والاصل وقال السدي اجمعوا امركم امضوا ما في انفسكم
عليه وقال ابو الهيثم اجمع امره جعله مجموعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه ان يقول مرة افعل
كذا واخرى افعل كذا واذا عزم على امر واحد فقد جمعه اي جعله جميعا وشركاءكم
بالنصب على ان الواو بمعنى مع كما يدل عليه القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل لتنزيل الفاصل
للفعل منزلة التأكيد واسناد الاجماع الى الشركاء على طريقة التهكم وقيل انه عطف
على امركم بحذف المضاف اي امر شركائكم وقيل منصوب بفعل محذوف اي وادعوا شركاءكم
وقد قرئ كذلك وقرئ فاجمعوا من الجمع اي فاعزموا على امركم الذي تريدون بي من السعي
في اهلاكي واحتشدوا وابنوا على اي وجه يمكنكم ثم لا يكن امركم ذلك عليكم غمة اي مستورا
من غمه اذا ستره بل مكشوفا مشهورا تجاهرونني به فان الستر انما يصار اليه لسد باب
تدارك الخلاص بالهرب او نحوه فحيث استحال ذلك في حقي لم يكن للستر وجه وانما خاطبهم
عليه الصلاة والسلام بذلك اظهارا لعدم المبالاة بهم وانهم لن يجدوا اليه سبيلا

وتعديه بالباء وتأنيث عن الغم من عقوبته وكلمة ثم للتراخي في الرتبة فإطلاقها لا لأمر في موقع الاضافة
لمزيد تقرير مقتضيا مقام الأمر بالاظهار الذي يستلزمه النهي عن الستر والاسرار
وقيل المراد بالأمر ما يعتريهم من جهته عليه الصلاة والسلام من الحالة الشديدة
عليهم المكروهة لديهم والغمة الغم كالكربة والكرب وثم للتراخي في الزمان والمعنى
ثم لا يكن حالكم عليكم غمة وتخلصوا باهلاكي من ثقل مقامي وتذكيري ولا يخفى أنه لا يساعده
قوله عز وجل ثم اقضوا إلي ولا تنظرون أي أدوا إلي ذلك الأمر الذي تريدون بي
ولا تمهلوني لقوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أو أدوا إلى ما هو حق عليكم عندكم
من اهلاكي كما يقضي الرجل غريمه فإن توسيط ما يحصل بعد الاهلاك بين الأمر بالعزم
على مباديه وبين الأمر بتعقيبه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه وقرئ افضوا بالفاء
أي انتهوا إلي بشركم أو ابرزوا إلي من أفضى إذا خرج إلى الفضاء فإن توليتم الفاء لترتيب
التولي على ما سبق فالمراد به إما الاستمرار عليه وإما احداث التولي المخصوص أي إن أعرضتم
عن نصيحتي وتذكيري أي أن ما سبق من ترددي تحاملكم ما أوله ودلالتها والتي من جملتها دعوتي
إياكم جميعا للتحقيق ما ترمونه في من السوء مبادرين بمجرد ما رأيتم منكرا وإحجامكم عن الإجابة
علما منكم بأني على الحق المبين موقنين من عند الله العزيز فما سألتكم بمقابلة وعظي وتذكيري
من أجر تؤدونه إلي حتى يؤدي ذلك إلى توليكم إما لاتهامكم إياي بالطمع والسؤال وإما
لثقل دفع المسؤول أو حتى يعزى توليكم المؤدي إلى الحرمان فالأول دال على اظهار بطلان
التولي ببيان عدم ما يصححه والثاني على اظهار عدم ما يضره عليه السلام بوجوده وعدمه
وعلى التقديرين فالفاء الجزائية لسببية الشرط لاعلام مضمون الجزاء لا لنفسه والمعنى
أن توليكم علمتم أن ليس في ما يوجب له ولا ما يرتد منه وقوله عز وجل إن أجري إلا على الله
ينظر المعنيين جميعا حالا انه على الأول تأكيد وعلى الثاني تعليل لاستغنائه عليه السلام
عنهم أي ما ثوابي إلا على العظة والتذكير لا عليه تعالى سواء امنتم أو توليتم وأمرت أن
أكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا أخالف أمره ولا أرجو غيره ومن المستسلمين لكل
ما يصيب من البلاء في طاعة الله تعالى فكذبوه فأصروا على ما هم عليه من التكذيب بعد
ما ألزمهم الحجة وبين أن توليهم ليس له سبب غير التمرد والعناد فلا جرم أن
حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه ومن معه في الفلك من المسلمين وكانوا ثمانين
وجعلناهم خلائف ممن هلك بالغرق وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا أي بالطوفان
وتأخير ذكر الاغراق عن ذكر الانجاء والاستخلاف حسبما وقع في قوله عز وجل ولما جاء أمرنا نجينا
شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة وغير ذلك من الآيات
الكريمة لاظهار كمال العناية بشأن المقدم ولتعجيل المسرة للسامعين وللايذان بأن سبق
الرحمة من مقتضيات الربوبية على الغضب الذي هو من مستتبعات جرائر المجرمين فانظر
كيف كان عاقبة المنذرين تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب بالرسول صلى الله عليه
وسلم وتسلية له صلى الله عليه وسلم ثم بعثنا أي أرسلنا من بعده أي من بعد
نوح عليه السلام رسلا التنكير للتفخيم ذاتا ووصفا أي رسلا كراما ذوي عدد كثير

كثيرا إلى قومهم أي إلى أقوامهم لكن لا بأن أرسلنا كل رسول منهم إلى أقوام الكل أو إلى قوم ما أي
قوم كانوا بل كل رسول إلى قومه خاصة مثل هود إلى عاد وصالح إلى ثمود وغير ذلك ممن قص منهم
ومن لم يقصص فجاؤوهم أي جاء كل رسول قومه المخصوص به بالبينات أي بالمعجزات
الواضحة الدالة على صدق ما قالوا والباء إما متعلقة بالفعل المذكور على أنها للتعدية
أو بمحذوف وقع حالا من ضمير جاؤوا أي ملتبسين بالبينات لكن لا بأن يأتي كل رسول ببينة
واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به حسب اقتضاء الحكمة فإن مراعاة انقسام الآحاد
إلى الآحاد إنما هي بين ضميري جاؤوهم كما أشير إليه فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم
إيمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار إيمانهم كما مر مثله في سورة الكريمة
غير مرة أي فما صح وما استقام لقوم من أولئك الأقوام في وقت من الأوقات أن يؤمنوا
بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدة شكيمتهم في الكفر والعناد ثم إن كان المحكي آخر حال
كل قوم حسبما يدل عليه حكاية قوم نوح فالمراد بعدم إيمانهم المذكور ههنا اصرارهم
على ذلك بعد اللتيا والتي وبما أشير إليه في قوله عز وجل بما كذبوا به من قبل
تكذيبهم من حين مجيء الرسل إلى زمان الاصرار والعناد وإنما لم يجعل ذلك مقصودا
بالذات كالأول حيث جعل صلة للموصول ايذانا بأنه بين بنفسه غني عن البيان وإنما
المحتاج إلى ذلك عدم إيمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة
التي كانت تضطرهم إلى القبول لو كانوا من أصحاب العقول والموصول الذي تعلق به
الإيمان والتكذيب سلبا وإيجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول أصولها
وفروعها وإن كان المحكي جميع أحوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر أولا كفرهم المستمر
من حين مجيء الرسل إلى آخره وبما أشير إليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول
المذكور عبارة عن أصول الشرائع التي اجتمعت عليها الأمم قاطبة ودعوا أممهم إليها اثر ذي
أثر لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها
قبل مجيء رسلهم أنهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان
كل قوم من أولئك الأقوام يتسامعون بها من بقايا من قبلهم كثمود من بقايا عاد
وعاد من بقايا نوح عليه السلام فكذبوها ثم كانت حالتهم بعد مجيء الرسل كحالتهم
قبل ذلك كأن لم يبعث إليهم أحد ● وتخصيص التكذيب وعدم الإيمان بما ذكر
من الأصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فإنهم حين لم يؤمنوا بما أجمعت
عليه كافة الرسل فلأن لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم أولى وعدم جعل هذا التكذيب
مقصودا بالذات لما أن ما عليه يدور أمر العذاب والعقاب عند اجتماع التكذيبين
هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا وإنما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى التقديرين
فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع ● وقيل ضمير كذبوا راجع إلى قوم نوح عليه السلام
فالمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل
الباء للسببية أي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى أن

ذلك في ذريتهم بالمخالفة الجمهور من جعل ما المصدرية من قبيل الاجماع كما هو راي الاخفش وابن السراج
ليرجع اليها الضمير في ارتجاعه الى الحق بادعائه مركوزا في الاذهان ما لا يخفى من التعسف
كذلك اي مثل ذلك الطبع المحكم نطبع بنون العظمة وقرئ بالياء على ان الضمير لله
سبحانه على قلوب المعتدين المتجاوزين عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد المتجافين عن
قبول الحق وسلوك طريق الرشاد وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشأنهم لانهماكهم في الغي والتمادي
وفي امثال هذا دلالة على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد ثم
بعثنا عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم عطف قصة على قصة من بعدهم
اي من بعد هؤلاء الرسل عليهم السلام موسى وهارون خصهما بالذكر ولم يكتف
بالاندراج تحت ما فيما اشير اليه اشارة اجمالية من اخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام
مع قومهما وهو في ذلك مزيد تفصيل ايذانا بخطر شان القصة وعظم وقعها كما في قصة
نوح عليه السلام الى فرعون وملائه اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر لاصالتهم في
اقامة المصالح والمهمات ومراجعة الكل اليهم في النوازل والملمات باياتنا اي ملتبسين
بها وهي الآيات المفصلة في الاعراف فاستكبروا الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق
والفاء فصيحة اي فاتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا واعرضوا عن اتباعهما وذلك قول اللعين
لموسى عليه السلام الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا الآيات وكانوا قوما مجرمين اعتراض
مقرر لمضمون ما قبله اي كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام فان الاجرام مؤذن بعظم
الذنب ومنه الجرم الجثة فلذلك اجترؤوا على ما اجترؤوا عليه من الاستهانة برسالة الله
عز وجل وحمل الاستكبار على الامتناع عن قبول الآيات لا يلائمه قوله تعالى فلما جاءهم الحق من
عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين فانه صريح في ان المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجيء الحق
الذي هو معجزتا العصا واليد البيضاء كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم وذلك اول ما اظهره
عليه السلام من الآيات العظام والفاء فصيحة معربة عما صرح به في مواضع اخر كانه
قيل قال موسى قد جئتكم ببينة من ربكم الى قوله فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع
يده فاذا هي بيضاء للناظرين فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط عتوهم وعنادهم
ان هذا لسحر مبين اي ظاهر كونه سحرا وفائق في بابه واضح فيما بين اضرابه وقرئ لساحر قال
موسى استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قال لهم موسى حينئذ
فقيل قال على طريقة الاستفهام الانكاري التوبيخي اتقولون للحق الذي هو ابعد
شيء من السحر الذي هو الباطل البحت لما جاءكم اي حين مجيئه اياكم ووقوفكم عليه او من
اول الامر من غير تأمل وتدبر وكلا الحالين مما ينافي القول المذكور والقول
محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه وايذانا بانه مما لا ينبغي ان يتفوه به ولو
على نهج الحكاية اي اتقولون له ما تقولون من انه سحر يعني به ما لا يمكن ان يقوله قائل ويتكلم
به متكلم او القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس
تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونظيره الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم
اي يعيبهم فيستغني عن المفعول المسوق وتطعنون فيه وعلى الوجهين فقوله عز وجل

اسحر

اسحر هذا انكار مستأنف من جهته عليه الصلاة والسلام لكونه سحرا وتكذيب لقولهم وتوبيخ
لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل اما على الاول فظاهر واما على الثاني فوجه ايراده
بحرف الانكار كونه معيبا بالقول مناطا فيه عيب حسبما يقتضيه ظاهر الانكار السابق المتوجه
بالرد عليهم في خصوصية ما قالوه بعد ما انبه بالانكار السابق على ان ليس فيه شائبة
عيب ما وشأني اسم الاشارة من معنى القرب لزيادة تعيين المشار اليه واستحضار ما فيه من
الصفات الدالة على كونه آية باهرة من آيات الله تعالى المنادية على امتناع كونه سحرا
اي اسحر هذا الذي امره واضح مكشوف وشأنه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه احد
ممن له عين مبصرة وتعقيبه بالجملة للايذان بانه مغلب الانكار ولما استلزم كونه سحرا
كون من اتى به ساحرا اكد الانكار السابق وما فيه من التوبيخ والتجهيل بقوله عز
وجل ولا يفلح الساحرون وهي جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو
ضميره كما في قول من قال • جاء الشتاء ولست املك عدة • وذكرت لذا
جاذب ولم تطلع الشمس اي اتقولون للحق انه سحر والحال انه لا يفلح فاعله اي لا يظفر بمطلوب
ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره من مثلي من المؤيد من عند الله العزيز الحكيم الفائز
بكل مطلب الناجي من كل محذور • وقوله تعالى اسحر هذا جملة معترضة بين الحال وصاحبها مؤكدة
للانكار السابق ببيان استحالة كونه سحرا بالنظر الى ذاته • قبل بيان استحالته بالنظر الى
صدوره عنه عليه السلام • هذا واما تجويز ان يكون الكل مقول القول على ان المعنى
اجئتما بالسحر تطلبون به الفلاح ولا يفلح الساحرون فما لا يساعده النظم الكريم اصلا اما اولا
فلان ما قالوا هو الحكم بانه سحر من غير ان يكون فيه دلالة على ما تعسف فيه من المعنى
يؤخذ من الوجه الثاني من جوابه عليه السلام عن صريح ما خاطبوه به الى ما يفهم منه احتمالا
يجب تنزيه النظم التنزيل عن الحمل على امثاله واما ثانيا فلان التعرض لعدم افلاح السحرة
على الاطلاق من وظائف من يتمسك بالحق المبين دون الكفرة المتشبثين باذيال بعض
منهم في معارضته عليه السلام ولو كان ذلك من كلامهم لناسب تخصيص عدم الافلاح
بمن زعموه ساحرا بناء على غلبة من يأتون به من السحرة واما ثالثا فلان قوله عز وجل قالوا
اجئتنا الى اخره مسوق لبيان انه عليه الصلاة والسلام الهمهم الحجر فانقطعوا عن الاتيان
بكلام له تعلق بكلامه عليه الصلاة والسلام فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا الى التشبث
بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز محجوج • وديدن كل معاند لجوج • حتى انه استبين
وفي جوابه انه ما قالوه من كلامه عليه الصلاة والسلام على طريقة قوله تعالى قالوا لموسى الى اخره
حسبما اشير اليه • كانه قيل فماذا قالوا لموسى عند ما قال لهم ما قال فقيل قالوا عاجزين
عن المحاجة اجئتنا لتلفتنا اي لتصرفنا فان اللفت والفتل اخوان عما وجدنا
عليه اباءنا اي من عبادة الاصنام ولا ريب في ان ذلك انما يتسنى بكون ما ذكر من مقالتهم
عليه السلام على الوجه الذي شرح اذ على تقدير كونه حكاية من قبلهم يكون جوابه عليه
الصلاة والسلام خاليا عن التبكيت الملجئ بهم الى العدول عن سنن المحاجة ولا ريب في انه
لا علاقة بين قولهم اجئتنا الى اخره وبين انكاره عليه ما حكي عنهم مصححة لكونه جوابا

منه وتكون لكما الكبريا اي الملك او التكبر على الناس باستتباعهم وقرئ ويكون بالياء التحتانية
وكلمة في قوله تعالى في الارض اي ارض مصر متعلقة بتكون او بالكبريا او بالاستقرار في لكما
خبرا او بمحذوف وقع حالا من الكبريا او من الضمير في لكما لتحمله اياه وما نحن لكما بمؤمنين
اي بمصدقين فيما جئتما به وتثنية الضمير في هذين الموضعين بعد افراده فيما تقدم من المقامين
باعتبار شمول الكبريا لهما عليهما الصلاة والسلام واستلزام التصديق لاحدهما التصديق للآخر
واما اللفت والمجيء فحيث كان من خصائص صاحب الشريعة اسند الى موسى عليه السلام خاصة
وقال فرعون توحيد الفعل لانه الآمر وخطاب فرعون اي قال لملائه بامرهم بترتيب
مبادي الزامهما عليهما السلام بالفعل بعدما لاح عن الزامهما بالقول ائتوني بكل ساحر
عليم بفنون السحر حاذق ماهر فيه وقرئ سحار فلما جاء السحرة عطف على مقدر يستدعيه
المقام وقد حذف ايذانا بسرعة امتثالهم بامر فرعون كما هو شأن الفاء الفصيحة في كل
مقام اي فاتوا به فلما جاؤا قال لهم موسى يكون في ابتداء اجيبهم بالنعم ما قالوا له عليه
السلام حكي عنهم في السور الاخر من اصناف السحر القوا ما انتم ملقون فلما القوا ما القوا
من العصي والحبال واسترهبوا الناس وجاؤا بسحر عظيم قال لهم موسى غير مكترث بهم
وبما صنعوا ما جئتم به السحر ما موصولة وقعت مبتدأ وخبره السحر اي ما جئتم به السحر لا ما سماه
فرعون وقومه من آيات الله سبحانه او هو من جنس السحر لا ما اظهرته انا بل لا تعبا به
كانه قيل ما جئتم به مما لا ينبغي ان تجابه • وقرئ السحر على الاستفهام فما استفهامية مبتدأ اي
اي شيء جئتم به امو السحر الذي يعرف حاله كل احد ولا يتصدى له عاقل • وقرئ ما جئتم
به سحر • ودلالتها على المعنى الثاني في القراءة المشهورة اظهر ان الله سيبطله اي سيمحقه
بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزات فلا يبقى له اثر اصلا او سيظهر بطلانه للناس
والسين للتأكيد ان الله لا يصلح عمل المفسدين اي عمل جنس المفسدين على الاطلاق فيدخل
فيه السحرة دخولا اوليا او عملكم فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم
بالافساد والاشعار بعلة الحكم وليس المراد بعدم اصلاح عملهم عدم جعل فساده
صالحا بل عدم اثباته وابقائه اي لا يثبته ولا يقويه ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه
ويسلط عليه الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله ان الله سيبطله والكل اعتراض
تذييلي • وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق عطف على
قوله سيبطله اي يثبته ويقويه • واظهار الاسم الجليل في المقامين لالقاء
الروعة وتربية المهابة بكلماته باوامره وقضاياه • وقرئ بكلمته ولو كره
المجرمون ذلك والمراد بهم كل من اتصف بالاجرام من السحرة وغيرهم فما آمن لموسى معطوف
على مقدر وقد فصل في مواقع اخر اي فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون الى آخر
وانما لم يذكر تعويلا على ذلك واشعارا بالايجاز وايذانا بان قوله تعالى ان الله سيبطله
مما لا يحتمل الخلف اصلا ثم حلله وعطفه على ذلك بالفاء لكونه عدم ما استمر من قبل ما في
قوله تعالى فاتبعوا امر فرعون • وما في قولك وعظته فلم يتعظ وزجرته فلم ينزجر
من آثر في ذلك ان الاتيان بالشيء بعد وجود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه

بحسب

بحسب العنوان مثل جديد وصنيع حادث اي فما آمن لموسى عليه السلام بعدما شاهدوا تلك الآيات
الباهرة الا ذرية من قومه اي الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجيبوه
خوفا من فرعون واجابته طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من
شبانهم آمنوا به عليه السلام او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وامرأته وماشطته
ومن تبعهم على خوف اي كائنين على خوف من فرعون وملائهم الضمير لفرعون والجمع لما هو المعتاد في
ضماير العظماء او لانه بيان علوه في الفساد وعلوه في التكبر والتسلط على العباد او لان المراد
به آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم او على خوف من فرعون ومن اشراف بني اسرائيل
حيث كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ان يفتنهم اي يعذبهم
وهو بدل اشتمال او مفعول خوف فان اعمال المصدر المنكر كثير كما في قوله عز وجل او اطعام
في يوم ذي مسغبة يتيما او مفعول له بعد حذف اللام واسناد الفعل الى فرعون خاصة
لانه الآمر بالتعذيب وان فرعون لعال في الارض لغالب في ارض مصر وانه لمن
المسرفين في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء وفي الكبر والعتو حتى ادعى
الربوبية واسترق اسباط الانبياء والجملتان اعتراض تذييلي مؤكد لمضمون ما سبق
وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين منه يا قوم ان كنتم آمنتم بالله اي صدقتم به وبآياته
فعليه توكلوا وبه ثقوا ولا تخافوا احدا غيره فانه كافيكم كل شر وضر ان كنتم مسلمين
مستسلمين لقضاء الله عز وجل مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان
وجوب التوكل عليه تعالى فان المعلق له والمشروط بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع
التخليط ونظيره ان احسن اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت عليه فقالوا مجيبين له عليه
السلام من غير تلعثم في ذلك على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم
قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة اي موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا حتى
يعذبونا او يفتنونا عن ديننا او يفتتنوا بنا ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا وقوله
تعالى ونجنا برحمتك من القوم الكافرين دعاء منهم بالانجاء من سوء جوارهم وشؤم مصاحبتهم
بعد الانجاء ولذلك عبر عنهم بالكفر بعدما وصفوا بالظلم وفي ترتيب الدعا تلويح بان
الداعي حقه ان يبني دعاءه على التوكل على الله تعالى واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا
ان مفسرة لان في الوحي معنى القول اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها
وترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك قبلة مصلى • وقيل
مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة فان موسى عليه الصلاة والسلام كان يصلي
اليها واقيموا الصلاة اي فيها امروا بذلك لما في اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة
فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا اجابة لدعوتهم
والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتولاه رؤسا
القوم بتشاور ثم جمع لان اتخاذ البيوت مساجد والصلاة فيها مما يفعله كل احد ثم وحد
لان بشارة الامة وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم لمدحهم
بالايمان وللاشعار بانه المدار في التبشير وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون

وملاه زينة اي ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما واموالا وانواعا كثيرة من المال
في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم بممارسة احوالهم
انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة باتيت
او للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها
ذريعة الى الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا وتنبيها
على ان عرض ما ذكره تقدمة لقوله تعالى ربنا اطمس على اموالهم اي اطمس المحق وقرئ
بضم الميم اي اهلكها واشدد على قلوبهم اي اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح
للايمان كما هو قضية شانهم فلا يؤمنوا جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا
وما بينهما دعاء معترض حتى يروا العذاب الاليم اي يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم
ذلك او ذاك قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهارون عليهما السلام لانه كان يؤمن
كما يشعر به اضافة الرب الى ضميرهما للتكلم مع الغير في المواقع الثلاثة فاستقيما فاثبتا
على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة فان ما طلبتماه كائن في وقته لا محالة ●
روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي
في عادات الله سبحانه في تعليق الامور بالحكم والمصالح او سبيل الجهلة في الاستعجال
او عدم الوثوق بوعد الله تعالى ● وقرئ بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين
ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر هو من جاوز المكان
اذا تخطاه وخلفه والباء للتعدية اي جعلناهم مجاوزين البحر بان جعلناه يبسا
وحفظناهم حتى بلغوا الشط ● وقرئ جوزنا وهو من فعّل المرادف لفاعل لا انه
بمعنى التنبيه نحو ما في قول الاعشى كما جوز السكي في الباب فتنق الاعيد جوزنا ببني اسرائيل
في البحر وعبارة النظم الكريم عن الايذان بانقطاعهم عن البحر ربما العناية
الالهية لهم عند الجواز كما هو المشهور في العرف يأتي ان سند ومثبت به فاتبعهم يقال
تبعته حتى اتبعته اذا كان سبقا فلحقته اي ادركهم ولحقهم فرعون وجنوده حتى تراءت
الفئتان وكاد يجتمع الجمعان بغيا وعدوا ظلما واعتداء اي باغين وعادين او للبغي والعدوان
وقرئ عدوا وذلك ان موسى عليه الصلاة والسلام خرج ببني اسرائيل على حين
غفلة من فرعون فلما سمع بهم تبعهم حتى لحقهم ووصل الى الساحل وقد خرجوا من البحر
ومسلكهم باق على حاله يبسا فسلكه بجنوده اجمعين فلما دخل اخرهم وهم اولهم
بالخروج غشيهم من اليم ما غشيهم حتى اذا ادركه الغرق اي لحقه والجمه قال امنت
انه اي بانه والضمير للشان ● وقرئ انه على الاستيناف بدلا من امنت وتفسيرا له
لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل ولم يقل كما قالت السحرة امنا برب العالمين
رب موسى وهارون بل عبر عنه تعالى بالموصول وجعل صلته ايمان بني اسرائيل به تعالى
للاشعار برجوعه عن الاستعصاء واتباعه لمن كان يستتبعهم طمعا في القبول
والانتظام معهم في سلك النجاة وانا من المسلمين اي الذين اسلموا انفسهم لله
اي جعلوها سالمة خالصة لله تعالى واراد بهم اما بني اسرائيل خاصة واما الجنس

ومعن

ومعنى الحلول فيه دخولا اوليا والجملة على الاول عطف على امنت وايثار الاسمية لادعاء الدوام
والاستمرار وعلى الثاني محلها الحالية ايضا من ضمير المتكلم اي امنت مخلصا لله منتظما في سلك
الداخلين فيه ولقد كرر المعنى الواحد بثلاث عبارات حرصا على القبول المفضي الى النجاة وهيهات
هيهات بعد ان فات ما فات وان ما هو ات وقوله عز وجل الان مقول لقول مقدر معطوف
على قال اي فقيل له الان وهو من قوله تعالى حكاية لما جرى منه سبحانه من الغضب على المخذول
ومقابلة ما اظهره بالرد عليه وجه الانكار التوبيخي على تاخيره وتعريضه بالعصيان والافساد
وغير ذلك وفي حذف الفعل المذكور وابراز الخبر المحكي في صورة الانشاء من الدلالة
على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى كما ينبئ عنه ما روي ان جبريل عليه السلام دس في فاه
عنده من حال البحر وسده به فانه تكميل لذلك القول بالرد الفعلي ولا ينافيه
تعليله بمخافة ادراك الرحمة فيما نقل انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم فلو رايتني يا محمد وانا
اخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة اذ المراد بها الرحمة الدنيوية
او النجاة التي هي طلب المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما في ايمان قوم يونس
عليه السلام حتى يلزم من كراهته ما لا يتصور من شانه عليه السلام من الرضا بالكفر
اذ لا استحالة في ترتب مثل الرحمة على مجرد التفوه بكلمة الايمان وان كان ذلك في حالة
الياس والباس فيحمل دسه عليه السلام على سد باب الاحتمال البعيد لكمال الغيظ وشدة
الحرد فتدبر والله الموفق وحق العامل في الظرف ان يقدر مؤخرا ليتوجه الانكار
والتوبيخ الى تاخير الايمان الى حد معين فيقول فيه اي الان تؤمن حين ايست من الحياة
وايقنت بالموت وقوله عز وجل وقد عصيت قبل حال من فاعل الفعل جيء بها لتشديد
التوبيخ والتقريع لتاخير الايمان الى هذا الان ببيان انه لم يكن تاخيره لعدم بلوغ
الدعوة اليه ولا للتامل والتدبر في دلائله واياته ولا لشيء اخر يعتني به يعيد عن
التاخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والاستكبار فان قوله تعالى وكنت
من المفسدين عطف على عصيت داخل في حيز الحال اي وكنت من الغالين في الضلال
والاضلال عن الايمان لقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم ●
عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن فساده الراجع الى نفسه ●
والساري الى غيره من الظلم والتعدي وصد بني اسرائيل عن الايمان والاول ●
من عصيت انه الخاص به فاليوم ننجيك اي نخرجك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك
طافيا وفي التعبير عنه بالتنجية تلويح بان مراده بالايمان هو النجاة كما مر وتهكم به
اي ننجيك على نحو من لا دونك الى بني اسرائيل ● وقرئ ننجيك من الانجاء وننحيك
بالحاء من التنحية اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال من ضمير
المخاطب اي ننجيك ملابسا ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوبك فهو عديم له
وحسم لاطماعه بالمرة او كاملا سويا او بدرعك وكانت له درع من
الذهب يعرف بها ● وقرئ بابدانك اي باجزاء بدنك كلها كقولهم هوى باجرامه
او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك اية لمن وراءك علامة

ويعرفوا ان ما كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى روي انهم لم يصدقوا
موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او تكون
لمن يأتي بعدك من الامم اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان او حجة
تدلهم على ان الانسان وان بلغ الغاية القصوى من عظم الشان وعلو الكبرياء وعزة
السلطان فهو مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية • وقرئ لمن خلفك [illegible]
اي لمن خلفك من الجبابرة • وقرئ لمن خلقك بالقاف اي لتكون لخالقك آية كسائر
الآيات فان افراده سبحانه اياك بالالقاء الى الساحل ليدل على انه قصد منه لكشف تزويرك
واماطة الشبهة في امرك وبرهان نير على كمال علمه وقدرته وحكمته وارادته •
وهذا الوجه محتمل على القراءة المشهورة ايضا • وفي تعليل تنجيته بما ذكر ايذان بانها
ليست لاعزاز او لعناية اخرى عائدة اليه بل لكمال الاستهانة به وتفضيحه على رؤوس
الاشهاد وزيادة تفظيع حاله لمن يسأل لم يجرجر جثته في الاسواق او يدار برأسه في البلاد
واللام الاولى متعلقة بننجيك والثانية بمحذوف وقع حالا من آية اي كائنة لمن خلفك
وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتبار
تذييل جيء به عند الحكاية تقريرا لمضمون الكلام المحكي **ولقد بوأنا بني اسرائيل** كلام
مستانف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم اثر نعمة الانجاء على وجه الاجمال واخلالهم
بشكرها واي احق فيها اي اسكناهم وانزلنا لهم بعدما انجيناهم واهلكنا عدوهم
مبوأ صدق اي منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ملكوهما بعد الفراعنة والعمالقة
وتمكنوا في نواحيها حسبما نطق به قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها **ورزقناهم من الطيبات** اي اللذائذ
فما اختلفوا في امور دينهم **حتى جاءهم العلم** اي الا بعدما جاءهم العلم بقراءتهم
التوراة وعلمهم باحكامها او في امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدق
نبوته وتظاهر معجزاته والمراد بالمختلفين اعقابهم الذين كانوا في عصره صلى الله عليه وسلم
ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز بين المحق والمبطل
بالاثابة والتعذيب **فان كنت في شك** اي في قصصنا يسير على الفرض والتقدير فان
مضمون الشرطية انما هو تعليق شيء بشيء من غير تعرض لامكان شيء منهما كيف لا وقد يكون
كلاهما ممتنعا كقوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين ولئن
اشركت ليحبطن عملك ونظائرهما **مما انزلنا اليك** من القصص التي من جملتها قصة فرعون
وقومه واخبار بني اسرائيل **فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك** فان ذلك
محقق عندهم ثابت في كتبهم حسبما القينا اليك والمراد اظهار نبوته صلى الله عليه وسلم
بشهادة الاحبار حسبما هو المسطور في كتبهم وان لم يكن اليه حاجة اصلا ووصف
اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم او تهييجه صلى الله عليه
وسلم وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجويز صدور الشك منه صلى الله عليه
وسلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا اشك ولا اسأل • وقيل المراد بالموصول

مؤمنوا

مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وتميم الداري وكعب واضرابهم • وقيل الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما
انزلنا اليك على لسان نبينا وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع
الى حلها بالرجوع الى اهل العلم • وقرئ فاسأل الذين يقرؤون الكتاب **لقد جاءك**
الحق الذي لا محيد عنه ولا ريب في حقيته **من ربك** وظهر لك بالآيات القاطعة التي
لا يحوم حولها شائبة الارتياب وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره
صلى الله عليه وسلم من التشريف ما لا يخفى **فلا تكونن من الممترين** بالتزلزل عما انت
عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل **ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات**
الله من باب التهييج والالهاب والمراد به اعلام ان التكذيب من القبح والمحذورية بحيث
ينبغي ان ينهى عنه من لا يتصور امكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به وفيه قطع
لاطماع الكفرة **فتكون** بذلك **من الخاسرين** انفسا واعمالا **ان الذين حقت عليهم**
شروع في بيان اصرارهم على الكفر على ما هم عليه من الكفر والضلال اي ثبتت ووجبت
بمقتضى المشيئة المبنية على الحكمة البالغة **كلمة ربك** حكمه وقضاؤه بانهم يموتون
على الكفر ويخلدون في النار • كقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملأن جهنم الى آخره
لا يؤمنون ابدا اذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضائه اي لا يؤمنون ايمانا نافعا
واقعا في اوانه فيندرج فيهم المؤمنون عند معاينة العذاب مثل فرعون واضرابه عند الموت
ويدخل فيهم المرتدون **ولو جاءتهم كل آية** واضحة المدلول مقبولة لذوي العقول
لان سبب ايمانهم وهو تعلق ارادته تعالى مفقود ولكن فقدانه ليس لمنع منه سبحانه
عن استحقاقهم له بل لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون الاستثناء الآتي
لكون قوم يونس عليه السلام ممن لم تحق عليهم الكلمة لا لعدم اصرارهم الى التدارك في
وقته **حتى يروا العذاب الاليم فلولا كانت قرية** ولولا بمعنى هلا وقرئ فهلا
اي كانت قرية من القرى المهلكة **آمنت** قبل معاينة العذاب ولم تؤخر ايمانها
الى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه **فنفعها ايمانها** بان يقبله الله تعالى منها
ويكشف بسببه العذاب عنها **الا قوم يونس** استثناء منقطع اي لكن قوم يونس **لما آمنوا**
اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروا الى حلوله **كشفنا عنهم عذاب الخزي**
في الحياة الدنيا بعد ما اظلهم وكاد ان يحل بهم ويجوز ان تكون الجملة في معنى النفي
كما ينبئ عنه حرف التحضيض فيكون الاستثناء متصلا اذ المراد بالقرى اهاليها •
كانه قيل ما آمنت طائفة من الامم العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس عليه السلام
فيكون قوله تعالى لما آمنوا استئنافا لبيان نفع ايمانهم ويؤيده قراءة الرفع على البدلية
ومتعناهم بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم **الى حين** مقدر لهم في علم الله سبحانه
روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا
فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة • وقيل قال لهم
يونس عليه السلام اجلكم اربعين ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما

كان حين ولّت أول أغمات الساعة غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم ٭
واسودت سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ٭
وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فحن بعضها إلى بعض وعلت الأصوات ٭
والعجيج وأظهروا الإيمان والتوبة وتضرعوا إلى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم
عاشوراء يوم الجمعة ٭ وعن ابن مسعود رضي الله عنه بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى أن الرجل
ليقلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيرده إلى صاحبه ٭ وقيل خرجوا إلى شيخ من بقية
علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي
لا إله إلا أنت فقالوها فكشف عنهم ٭ وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم إن ذنوبنا قد
عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله
ولو شاء ربك لآمن من في الأرض تحقيق لدوران إيمان كافة المكلفين إيجادا ووجودا وعدما على
قطب مشيئته تعالى مطلقا إثر بيان تبعية كفر الكفرة لكلمته ومفعول المشيئة محذوف ٭
لوجود ما يقتضيه من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وأن لا يكون في تعلقها
به غرابة كما هو المشهور أي لو شاء سبحانه إيمان من في الأرض من الثقلين لآمن **كلهم** بحيث
لا يشذ عنهم أحد **جميعا** مجتمعين على الإيمان لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه لكونه مخالفا للحكمة
التي بني عليها أساس التكوين والتشريع وفيه دلالة على أن من شاء الله تعالى إيمانه يؤمن لا محالة
أفأنت تكره الناس على ما لم يرد الله تعالى منهم حسبما ينبئ عنه حرف الامتناع في الشرطية والفاء
للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كأنه قيل ربك لا يشاء ذلك فأنت تكرههم **حتى يكونوا
مؤمنين** فيكون الإنكار متوجها إلى ترتب الإكراه المذكور على عدم مشيئته تعالى بناء
على أن الهمزة متأخرة في الاعتبار وإنما قدمت لاقتضائها الصدارة كما هو رأي الجمهور وأما ما
المستند على الحالة فما إذ لا فائدة بل لا وجه لاعتبار عدم مشيئته الإلجاء خاصة في الكلام
الترتيب عليه أو ترتب الإنكار عليه وفي إيلاء الاسم حرف الاستفهام إيذان
بأن الإكراه أمر ممكن لكن الشأن في المكره من هو وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه لأنه
القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرهم إلى الإيمان وذلك غير مستطاع للبشر
باعتبار الإلجاء في المشيئة كما أشير إليه **وما كان لنفس** بيان لتبعية إيمان النفوس المؤمنة
لمشيئته تعالى وجودا إثر بيان الدوران الكلي عليها وجودا وعدما أي ما صح وما
استقام لنفس من النفوس التي علم الله أنها تؤمن ولم يجعل من قبيله قوله تعالى وما كان لنفس أن تؤمن إلا
بإذن الله لأن الاستثناء مفرغ من أعم الأحوال أي ما كان لنفس أن تؤمن في حال من الأحوال
إلا حال كونها ملابسة بإذنه تعالى فلا بد من كون الإيمان مما يؤول إليه حالها كما أن الموت
حال لكل نفس بحيث لا محيص لها منه فلا بد من تخصيص النفس بما ذكر فإن النفوس التي علم الله
أنها لا تؤمن ليس لها حال تؤمن فيه حتى يستثنى تلك الحال من غيرها **ويجعل الرجس** أي الكفر
بتربية ما قبله عبر عنه بالرجس الذي هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره لكونه علما في
القبح والاستكراه ٭ وقيل هو العذاب والخذلان لأن المؤدي إليه ٭ وقرئ بنون العظمة
وقرئ بالزاي أي يجعل الكفر ويبقيه **على الذين لا يعقلون** لا يستعملون عقولهم بالنظر

[illegible]

٥

في الحجج والآيات أو لا يعقلون دلائله وأحكامه لما على قلوبهم من الطبع فلا يحصل لهم الهداية
التي عبر عنها بالإذن فيستمرون على اتباع الكفر والضلال أو مقهورين بالعذاب والنكال والجملة معطوفة
على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم كأنه قيل فأذن لهم بمقتضى الألطاف ويجعل الرجس على غيرهم
وتعليقه بهم على أنه بعد التنبيه في ملكوت السموات والأرض وما فيهما من عجائب الآيات
الأنفسية والآفاقية ليتضح لك بأنهم من الذين لا يعقلون وحقت عليهم الكلمة **انظروا**
أي تفكروا وقرئ بنقل حركة الهمزة إلى اللام قبل **ماذا في السموات والأرض** أي بديع
ما فيهما من عجائب صنعه الدالة على وحدته وكمال قدرته على أن ماذا أجعل بالتركيب اسما
واحدا معلقا فيه الاستفهام على اسم الإشارة فهو مبتدأ خبره الظرف ويجوز أن يكون
ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر للمبتدأ وعلى التقديرين فالمبتدأ
والخبر في محل النصب بإسقاط الخافض لفعل النظر معلق بالاستفهام **وما تغني** أي ما تنفع ٭
وقرئ بالتذكير **الآيات** وهي التي عبر عنها بقوله تعالى ماذا في السموات والأرض **والنذر**
جمع نذير على أنه فاعل بمعنى منذر أو على أنه مصدر أي لا تنفع الآيات والرسل المنذرون
أو الإنذارات **عن قوم لا يؤمنون** في علم الله سبحانه وحكمه فما نافية والجملة إما حالية
أو اعتراضية ويجوز كون ما استفهامية إنكارية في موضع النصب على المصدرية أي أي إغناء
يغني الآيات فالجملة حينئذ اعتراضية **فهل ينتظرون** أي مشركو مكة وأضرابهم
إلا مثل أيام الذين خلوا أي إلا يوما مثل أيام الذين خلوا **من قبلهم** من مشركي الأمم
الماضية أي مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم إذ كانوا لا يستحقون فيه غيره من قولهم
أيام العرب لوقائعها **قل فانتظروا** ما هو عاقبتكم **إني معكم من المنتظرين**
لذلك **ثم ننجي رسلنا** بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل عليه قوله تعالى
مثل أيام الذين خلوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة إلى التهديد ومبالغة في تشديد
الوعيد ٭ كأنه قيل أهلكنا الأمم ثم نجينا رسلنا المرسلة إليهم **والذين آمنوا** وصيغة
الاستقبال لحكاية الأحوال الماضية لتهويل أمرها واستحضار صورها وتأخير حكاية
عن حكاية الإهلاك على عكس ما في قوله تعالى فنجيناه ومن معه في الفلك الآية وتظائره
الواردة في مواضع عديدة ليتصل به قوله عز وعلا **كذلك** أي مثل ذلك الإنجاء **حقا
علينا** اعتراض بين العامل والمعمول أي حق ذلك حقا ٭ وقيل بدل من المحذوف الذي
ناب عنه كذلك أي إنجاء مثل ذلك حقا والكاف متعلقة بقوله تعالى **ننجي المؤمنين** أي
من كل شدة وعذاب ٭ والجملة تذييل لما قبلها والكاف مقررة لمضمونه والمراد بالمؤمنين
إما الجنس المتناول للرسل عليهم الصلاة والسلام والأتباع ٭ وإما الأتباع فقط وإنما لم
يذكر إنجاء الرسل إيذانا بعدم الحاجة إليه ٭ وأيا ما كان ففيه تنبيه على أن مدار النجاة هو
الإيمان **قل** لجمهور المشركين **يا أيها الناس** أوثر الخطاب باسم الجنس مصدرا بحرف
التنبيه تعميما للتبليغ وإظهارا لكمال العناية بشأن ما بلغ إليهم **إن كنتم في شك من ديني**
الذي أتخذه معبودا الله عز وجل وأدعوكم إليه ولم تعلموا ما هو وما صفته **فلا أعبد
الذين تعبدون من دون الله** في وقت من الأوقات **ولكن أعبد الله الذي**

يتوفاكم وهو تنبيه بجرمها يفعل من فنون العذاب فاعلموا انه تخصيص العبادة به تعالى ورفض عبادة
ما سواه من الاصنام وغيرها مما تعبد به جهات وتعديد من عبادة الغير على عبادته
تعالى لتعديد القطعية بما تحليته كما في كلمة التوحيد وللايذان بالمخالفة من اول الامر
وان كنتم في شك من صحة ديني وسداده فاعلموا ان خلاصته اخلاص العبادة لمن بيده
الايجاد والاعدام دون ما هو بمعزل منهما من الاصنام فاعرضوها على عقولكم واجيلوا
فيها افكاركم وانظروا بعين الانصاف لتعلموا انه حق لا ريب فيه • وفي تخصيص التوفي
بالذكر من تشديد بهم ما لا يخفى من التهديد والتنبيه عما هم فيه بالسانه مع كونهم فالمعبد
تعد من العصيان لا يدان بان اخفى ما يخفى عرضه للعاقل في هذا الباب هو الشك في
صحته • واما العقل فبعد ما مر فلا سبيل اليه اوان كنتم في شك من ثباتي على الدين
فاعلموا اني لا اتركه ابدا وامرت ان اكون من المومنين بما دل عليه العقل ونطق
به الوحي وهو تصريح بان ما هو عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف بل
بالامداد السماوي والتوفيق الالهي وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون
خلا ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا ضير في ذلك لان مناط جواز وصلها
بصيغ الافعال • والله تعالى اعلم دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف
بالخبرية والطلبية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى
وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك
اي وامرت بالاستقامة بالدين والاستبداد فيه باداء الماموربه والانتهاء عن
المنهي عنه او باستقبال القبلة في الصلاة وعدم الالتفات الى اليمين والشمال
حنيفا حال من الدين او الوجه اي مائلا عن الاديان الباطلة ولا تكونن من
المشركين عطف على اقم داخل تحت الامر اي لا تكونن منهم اعتقادا وعملا ولا تدع
عطف على قوله تعالى قل يا ايها الناس داخل تحت الامر وقيل على ما قبله من النهي والوجه
هو الاول لان ما بعده من الجمل الى اخر الايتين متسقه لا يكاد يفصل بعضها عن بعض كما ترى
ولا وجه لادراج الكل تحت الامر وهو تاكيد للنهي المذكور وتفصيل لما اجمل فيه
اظهارا لكمال العناية بالامر وكشفا عن وجه بطلان ما عليه المشركون اي لا تدع
من دون الله استقلالا ولا اشتراكا ما لا ينفعك ولا يضرك اذا دعوته لدفع
مكروه وتعقيب بالنفع على الضر غني عن بيان السبب فان فعلت اي ما نهيت عنه
من دعاء ما لا ينفع ولا يضر كنى به عنه تنويها لشانه صلى الله عليه وسلم وتنويها على رفعة
مكانه من ان ينسب اليه عبادة غير الله تعالى ولو في ضمن الجملة الشرطية فانك اذا من
الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسال عن تبعة ما نهي عنه وان يمسسك الله بضر
تقرير لما اورده في حيز الصلة من سلب النفع من الاصنام وتصوير لاختصاصه به سبحانه
فلا كاشف له عنه كائنا من كان وما كان الا هو وحده فيثبت عدم كشف الاصنام
بالطريق البرهاني وهو بيان لعدم النفع برفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب
استلزاما ظاهرا فان رفع المكروه ادنى مراتب النفع فاذا انتفى النفع بالكلية وان يردك

بخير

بخير تحقيق لسلب الضر الوارد في حيز الصلة اي ان يرد ان يصيبك بخير فلا راد لفضله
الذي من جملته ما اراد بك من الخير فهو دليل على جواب الشرط لا نفس الجواب فيه ايذان
بان فيضان الخير منه تعالى بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه اي لا احد يقدر
على رده كائنا ما كان فيندرج فيه الاصنام اندراجا اوليا وهو بيان لعدم ضرها بدفع المحبوب
قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها برفعه او بايقاع المكروه استلزاما جليا ولعل ذكر الارادة مع
الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للايذان بان الخير مراد بالذات وان الضر انما يمسهم
من يمسه لما يوجد من الدواعي الخارجية لا بالقصد الاولي او اريد معنى الفعلين في كل من
الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب منهما فاوجز الكلام بان ذكر في احد
المس وفي الاخر الارادة ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الاخر على انه قد صرح
بالاصابة حيث قيل يصيب به اظهارا لكمال العناية بجانب الخير كما ينبئ عنه ترك الاستثناء
فيه اي يصيب بفضله الواسع المنتظم لما اراد بك من الخير وجعل الفضل عبارة عن ذلك
الخير بعينه على ان يكون من باب وضع المظهر موضع المضمر لما ذكر من الفائدة ياباه قوله تعالى من يشاء من عباده
فان ذلك للتنبيه على عموم الفضل وهو الغفور الرحيم تذييل لقوله تعالى يصيب به الى
اخره والكل تذييل للشرطية الاخيرة محقق لمضمونها قل مخاطبا لاولئك الكفرة بعدما
بلغتهم ما اوحي اليك يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو القران العظيم المشتمل
على محاسن الاحكام التي من جملتها ما مر انفا من اصول الدين واطلعتم على ما في تضاعيفه
من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما في تضاعيفه
مطاويه فانما يهتدي لنفسه اي منفعته اهتدائه لها خاصة ومن ضل بالكفر
به والاعراض عنه فانما يضل عليها اي فوبال الضلال مقصور عليها والمراد تنزيه
ساحة الرسالة عن شائبة غرض عائد اليه صلى الله عليه وسلم من جلب نفع او دفع ضر كما يلوح
به اسناد المجيء الى الحق من غير اشعار بكون ذلك بواسطته وما انا عليكم بوكيل بحفيظ
موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير واتبع اعتقادا وعملا وتبليغا ما يوحى اليك على
نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور المتاكد يوما فيوما وفي التعبير عنه بالوحي
بالمجيء واليه صلى الله عليه وسلم بالوحي تنبيه على ما بين المرتبتين من التباين واصبر على
ما تعتريك من مشاق التبليغ حتى يحكم الله بالنصر عليهم او بالامر بالقتال وهو
خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطا في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة يونس اعطي له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس
وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون والحمد لله وحده

سورة هود عليه السلام مائة وثلاث وعشرون اية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم الر

محله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف وقيل على انه مبتدا والاول هو الاظهر كما اشير اليه
في سورة يونس عليه السلام والنصب بتقدير فعل يناسبه المقام نحو اذكر او اقرا على

تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر ولا محل له من الاعراب مسرودا على نمط التعديد
حسبما فصل في اخواته وقوله تعالى **كتاب** خبر له على الوجه الثاني ولمبتدأ محذوف على الوجوه الباقية
احكمت اياته نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه او جعلت حكيمة لانطوائها على
جلائل الحكم البالغة ودقائقها او منعت من النسخ بمعنى التغيير مطلقا او اليت بالحجج القاطعة
الدالة على كونها من عند الله عز وجل وعلى ثبوت مدلولاتها فالمراد بالايات جميعها او على حقيقة
ما تشتمل عليه من الاحكام الشرعية فالمراد بها بعضها المشتمل عليها لا اذا فسر الاحكام بالمنع من
النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة واما على تفسيره بالمنع من الفساد اخذا من قولهم احكمت
الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح ففيه ايهام لما لا يكاد يليق بشان الايات الكريمة
من التداعي الى الفساد لولا المانع وفي اسناد الاحكام على الوجوه المذكورة الى ايات الكتاب
دون نفسه لا سيما على الوجوه الشاملة لكل اية اية منه من حسن الموقع والدلالة على كونه
على كونه في اقصى غاية منه ما لا يخفى **ثم فصلت** اي جعلت فصولا من الاحكام والدلائل والمواعظ
والقصص او فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الاسناد المجازي والتفسير بجعلها
اية اية لا يناسب المقام لان ذلك من الاوصاف الاولية لها فلا يحسن عطفه على احكامها
بكلمة التراخي واما المعنيان الاولان فهما وان كانا مع الاحكام زمانا حيث لم تزل الايات
محكمة مفصلة لانها احكمت او فصلت ليناسبا ان لم تزل كذلك اذ العطف من قبيل قولهم
سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل الا انهما حيث كانا من صفات الايات باعتبار نسبة
بعضها الى بعض على وجه يستتبع احكاما مخصوصة واثارا معينة وملاحظة بمصالح العباد
ناسب ان يشار الى تراخي رتبتها من رتبة الاحكام فان جعلها اية اية على معنى تفريق بعضها
على بعض يكون من مبادي التفصيل الا انه ليس في مساقه في استتباع ما يستتبعه من الاحكام
والاثار او فرقت في التنزيل منجمة بحسب المصالح فان اريد تنزيلها المنجم بالفعل فالتراخي
زماني وان اريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجما حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة
فهو رتبي لان ذلك وصف لازم لها حقيق بان يرتب على وصف احكامها وقرئ احكمت
اياته ثم فصلت على صيغة التكلم وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق
والباطل **من لدن حكيم خبير** صفة لكتاب وصف بها بعد ما وصف احكام اياته
وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات اجلالا لشانه من حيث الاضافة
او خبر بعد خبر للمبتدأ الملفوظ او المحذوف او صلة للفعلين وفي تنافيها المفعول
تزايد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلائلها ودقائقها مشير بالتنكير
التفخيمي وربطها بهما على المنهج المعهود في اسناد الافاعيل الى فواعلها مع رعاية حسن
الطباق من الدلالة والجزالة في فخامتها وكونها على اكمل ما يكون ما لا يكتنه كنهه **الا
تعبدوا الا الله** مفعول له حذف عنه اللام فقيل ان الشرطية كونه فعلا لفاعل الفعل
المعلل جريا على سنن انشاء الطراح في حذف حرف الجر مع ان المصدرية كانه قيل كتاب
احكمت اياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله اي لتتركوا عبادة غير الله عز وجل وتمحضوا
في عبادته فان الاحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم الى الايمان والتوحيد

وما

وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة وقيل ان مفسرة لما في التفصيل من معنى القول اي قيل
لا تعبدوا الا الله **انني لكم منه** من جهته تعالى **نذير** انذركم عذابه ان لم تتركوا ما
انتم عليه من الكفر وعبادة غير الله تعالى **وبشير** ابشركم بثوابه ان امنتم به وتمحضتم
في عبادته ولما ذكر نعوت الكتاب من احكام اياته وتفصيلها وكون ذلك من قبله تعالى
واورد معظم ما نظم في سلك الغاية او الامر من التوحيد وترك الاشراك وسط بينه وبين
ما يتلوه اعني الاستغفار والتوبة ذكرا لمن نزل عليه ذلك الكتاب مرسلا من عنده تعالى
لتبليغ احكامه وترشيحه بالمؤيدات من الوعد والوعيد للايذان بان التوحيد في اقصى
مراتب الالوهية حتى افرد بالذكر واكد بالخطاب بعد الكتاب مع تلويح بانه كما
يتحقق في نفسه الامتثال للحكم بما ليسه صلى الله عليه وسلم له الذي في الذكر لا يتعداه
غيرها لاجل وقد روعي في سوق الخطاب نكتة بين الانذار والتبشير ما روعي في الكتاب
من تقديم النفي على الاثبات والتخلية على التحلية لتجاوب اطراف الكلام ويجوز ان يكون قوله
تعالى ان لا تعبدوا الا الله كلاما منقطعا عما قبله واردا على لسانه صلى الله عليه وسلم
اغراء لهم على اختصاصه صلى الله عليه وسلم بالعبادة كانه صلى الله عليه وسلم قال ترك عبادة
غير الله اي الزموه على معنى الزموا ترك عبادة غير الله انني لكم منه من جهة الله نذير وبشير
او تحذير انذركم من عقابه على تقدير استمراركم على الكفر وبشير ابشركم بثوابه على تقدير تركه
لدى توحيدكم ولما سبق اليهم حديث التوحيد والاذان بخطاب الرسول صلى الله عليه
وسلم على وجه الانذار والتبشير شرع في ذكر ما هو من تتمته على وجه يتضمن تفصيل ما
اجمل في وصف التبشير والانذار فقيل **وان استغفروا ربكم** وهو معطوف على ان لا تعبدوا
على ما ذكر من الوجهين على الاول ان مصدرية لجواز كون صلتها امرا او نهيا كما في قوله تعالى
وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو للتوسل دلالة على المصدر
وهو موجود فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف
المعارف بالجمل وهي لا توصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك
ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب ساغ
وقوع الفعل فيتجرد عنه ذلك عن معنى الامر والنهي تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي
والاستقبال **ثم توبوا اليه** عطف على استغفروا والكلام فيه كالكلام فيه والمعنى فعل
ما فصل من الاحكام والتفصيل لتخصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا منه ان يستر ما فرط
منكم من الشرك ثم ترجعوا اليه بالطاعة او تستمروا على ما انتم عليه من التوحيد
والاستغفار او تستغفروا من الشرك وتتوبوا من المعاصي وعلى الثاني ان مفسرة اي قيل
في اثناء تفصيل الايات لا تعبدوا الا الله واستغفروا ثم توبوا اليه والتعرض لوصف
الربوبية تلقين للمخاطبين وارشاد لهم الى طريق الابتهال في السؤال وترشيح لما يعقبه من
التمتيع واثار الفعل بقوله **يمتعكم متاعا حسنا** اي تمتيعا وانتصابه على انه مصدر حذف
عنه الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا او على انه مفعول به وهو اسم لما يتمتع
به من منافع الدنيا من الاموال والبنين وغيرها لكن المعنى يعيشكم عيشا مرضيا لا يفوتكم

زيد شيء مما تشتهون فلا ينقصه شيء من الملك وان الى اجل مسمى مقدر عند الله عز وجل هو آخر اعماركم
ولما كان ذلك غاية لا يطمح وراءها طامح جرى التمتع اليها مجرى التأبيد عادة ولا يهلككم بعذاب لما فيه
الاستئصال ويؤت كل ذي فضل في الطاعة والعمل فضله جزاء فضله اما في الدنيا او في الآخرة
ومعنى تكملة لما اجمل من التمتع الى اجل مسمى وتبيين لما عسى يتوهم من حكمة من نقض ما يتفق في الدنيا
من تفاوت الحال بين العاملين فرب انسان له فضل طاعة وعمل لا يتمتع في الدنيا اكثر مما تمتع آخر
دونه في الفضل وربما يكون المفضول اكثر تمتعا فتبدل وعطف كل ذي فضل جزاء فضله اما في الدنيا
كما سبق في بعض الموارد واما في الآخرة وذلك مما لا مرد له وفيه اضراب تفصيل لما اجمل فيما سبق من
البشارة جريا على سنن تقديم الرحمة على الغضب او لان العذاب قد علق بالتولي عما ذكر من
التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك يستدعي سابقة ذكره وان تولوا وان تتولوا فاني
اخاف عليكم بموجب الشفقة والرحمة او اتوقع عذاب يوم كبير هو يوم القيامة وصف
بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم اما لكونه كذلك
في نفسه او وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل في قوله تعالى ثقلت في السموات والارض
وقيل يوم الشدة اذ قد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا فيه الجيف واياما كان ففي اضافة العذاب
اليه تهويل وتفظيع له الى الله مرجعكم رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء في مثل ذلك اليوم
لا الى غيره جميعا لا يتخلف منكم احد وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبكم باشد ما يكون
من تعذيبكم وجعلكم فيتحقق بكم ما انبأ من العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل
للخوف ولما القي اليهم في الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وسيق اليهم ما ينبغي ان
يساق من الترغيب والترهيب وقع في ذهن السامع انهم بعدما سمعوا مثل هذه المقالة التي تخر
له صم الجبال هل قابلوه بالاقبال او تمادوا على ما كانوا عليه من الاعراض والعناد فقيل مصدرا
بكلمة التنبيه اشعارا بان ما يعقبها من هناتهم امر يجب ان يفهم ويتعجب منه الا انهم يثنون
صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه اي يستمرون على ما كانوا عليه من التولي
والاعراض لان من اعرض عن شيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهو معنى جزل مناسب لما
سبق وقد نحا نحوه العلامة الزمخشري ولكن حيث لم يكن التولي سببا للاستخفاء في قوله عز وجل
ليستخفوا منه لجأ الى اضمار الارادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على اعراضهم وجعله في فرد المعنى اليه من قبيل
الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك الحجر فانفلق اي فضرب فانفلق ولا يخفى ان ما ساقه
النظم الكريم الى توسيط الارادة بين ثني الصدور وبين الاستخفاء ليس كما ينبغي
العرب بين الامرين وبين الائتلاف وقيل الآية ان معناه يعطفون صدورهم
على ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يكون ذلك
مستورا فيها كما تعطف الثياب على ما فيها من الاشياء المستورة وانما قرن ذلك استصحابا
بذكر او ايماء الى ان ظهور منعه عن ذكره او لبيان مبدأ ما يسمع السامع اليها الا ما خرج عنه من الامر
المذكور وهو ما ذكر من توليهم عن الحق الذي القي اليهم دخولا وانما حسنت نظرها وجه
كون ذلك سببا للاستخفاء ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت

في

في الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها وقال ابن شداد انها نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول
الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلى
الله عليه وسلم فكأنه انما كان يصنع ما يصنع لانه لو رآه النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكنه
التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدي ذلك الى ظهور ما في قلبه من الكفر
والنفاق وقرئ يثنوني صدورهم بالياء والتاء من اثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة
وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليثنوني وقرئ يثنون بتقديم النون وهو ما هش
من الكلأ وضعف ابن بد مطاوعة صدورهم للثني كما يثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم
ورخاوة قلوبهم وقرئ يثنون من اثنان افعال منه ثم همزة كما قيل ابياضت وادهامت
وقرئ يثنوي بوزن ترعوي الا حين يستغشون ثيابهم اي يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل
عن ابن شداد او حين يأوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم فان ما يقع حينئذ حديث
النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى
بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي يعلم ما يسرون اي يضمرون في قلوبهم وما يعلنون
اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه وانما قدم
في العلم تعييرا عليهم من اول الامر بما صنعوا وايذانا باقتضاحهم ووقوع ما يحذرونه وتحقيقا
للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه فكأن علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه ونظيره قوله تعالى
وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اذ لم يتعلق باشعار ان المحاسبة بما
يخفونه اولى منها بما يعلنونه غرض بل الامر بالعكس واما ها هنا فقد تعلق به اشعار
ان المحاسبة بما يخفونه اولى منها بما مع كونها على السوية كيف لا وعلمه تعالى بمعلوماته
ليس بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى
لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما في قوله تعالى واعلم ما تبدون وما
كنتم تكتمون حيث كان وارد العقد الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المنوه مقامهم فمقتضى
اقتضى التأكيد والمبالغة في الاخبار باحاطة علمه تعالى الظاهر والباطن لم يسلك فيه ذلك
المسلك مع انه وقع العطف عنه بما قبله من قوله عز وجل اني اعلم غيب السموات والارض
ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن
الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى متقدم
على تعلقه بحالته الثانية انه عليم بذات الصدور تعليل لما سبق وتقرير له وانما نوع
الكثير من الناس في صيغة الفعل وتحلية الصدور بلام الاستغراق والتعبير عن
الضمائر بعنوان صاحبتها من البراعة ما لا يصفه الواصفون كأنه قيل انه مبالغ في
الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا يفارقها
اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرون وما يعلنون ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب
من قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا
يخفى عليه سر من اسرارها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فذا وكما الارض بها من خبيثها

الخلق وموجبات الاحتياج اليها بطريق طبيعي او ارادي لتكفله اياه تعالى تفضلاً ورحمة وانما جي به على طريق الوجوب
اعتبارا لسبق الوعد وتحقيقا لوصوله اليها البتة وحملا للمكلفين على الثقة به تعالى والاعراض عن
اتعاب النفس في طلبه **ويعلم مستقرها** محل قرارها في الاصلاب **ومستودعها** موضعها
في الارحام وما يجري مجراها في مودعه فيها الى وقت مغبتها او مسكنها من الارض حين وجدت
بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها باعتبار
حالته الاخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة في الارض والمعنى ما من دابة
في الارض الا يرزقها الله تعالى حيث كانت من اماكنها يسوقه اليها ويعلم موادها المتخالفة
المندرجة في مراتب الاستعدادات المتفاوتة المتطورة في الاطوار المتباينة ومقارها
المتفرعة عليه وقد فسر المستودع باماكنها في الممات ولا يلايمه مقام التكفل بارزاقها
كل من الدواب وارزاقها ومستقرها ومستودعها **في كتاب مبين** اي مثبت في اللوح
المحفوظ البين لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم السلام او المظهر لما اثبت فيه للناظرين
ولما انتهى الامر الى انه سبحانه محيط بجميع احوال ما في الارض من الخلق قال انى لا يكاد يخفى
من مبادي تطورها الى منتهاها اقتضى الحال لمبدا خلق السموات والارض والحكمة الداعية
الى ذلك فقيل **وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام** السموات في يومين والارض
في يومين وما عليها من انواع الحيوان والنبات وغير ذلك في يومين حسبما فصل في سورة
حم السجدة ولم يذكر خلق ما في الارض لكونه من تتمات خلقها وهو السر في جعل زمانه
تتمة لزمان خلقها في قوله تعالى في اربعة ايام اي في تتمة اربعة ايام والمراد
بالايام الاوقات كما في قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اي في ستة اوقات او مقدار
ستة ايام فان اليوم في المتعارف زمان كون الشمس فوق الارض ولا يتصور ذلك
حين لا ارض ولا سما وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على خلقها دفعة دليل
على انه قادر مختار واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور واما تخصيص ذلك
بالعدد المعين فامر استاثر بعلم ما يقتضيه علام الغيوب جلت قدرته واثار صيغة
الجمع في السموات لما هو المشهور من الاشارة الى كونها اجراما مختلفة الطباع ومتفاوتة
الاثار والاحكام **وكان عرشه** قبل خلقهما **على الماء** ليس تحته شيء سوا كان بينهما
فرجة او كان موضوعا على متنه كما ورد في الاثر فلا دلالة فيه على امكان الخلا كيف لا
ولو دل لدل على امكانه فقط ولا على كون الماء اول ما حدث في العالم بعد العرش وانما
يدل على ان خلقهما اقدم من خلق السموات والارض من غير تعرض للنسبة بينهما **ليبلوكم**
متعلق بخلق اي خلق السموات والارض وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها انتم ورتب
فيهما جميع ما تحتاجون اليه من مبادي وجودكم واسباب معاشكم واودع في تضاعيفهما
من تعاجيب الصنايع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة
من يبتليكم **ايكم احسن عملا** فيجازيكم بالثواب والعقاب غب ما تبين المحسن من المسيء
وامتازت درجات كل من الفريقين حسبما امتازت طبقات علومهم المتفرعة على ذلك لما ان
فان العمل غير مختص بعمل الجوارح واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما نصب من الحجج والادلة

والامارات

والامارات والدلائل ومراتب اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك
فسره صلى الله عليه وسلم بقوله احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل
من القلب والقالب عملا مخصوصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني كذلك الحال في عمله كيف
لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد اثر ذي اثير وانما طريقها النظر
والتفكر في بدايع صنايع الله الخالق والتدبر في اياته البينات المنصوبة في الانفس
والافاق ولا طاعة بدون فهم ما في مطاوي الكتاب الحكيم من الاوامر والنواهي
وغير ذلك مما له مدخل في الباب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا
تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا انما كان
ذلك التفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل في اليوم
بجوارحه مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق
المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى
العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية
وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح
ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصود الاصلي مما ذكرنا من
ابداع تلك البدايع على ذلك النمط الرايع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك
لكونه على اتم الوجوه اللايقة واكمل الاساليب الرايقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد
احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة
وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف والقلة والكثرة واما
الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الانتظام في سلك الوقوع فضلا
عن ان ينتظم صدوره في سلك العلة الغائية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر
عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب ولا يخفى ما فيه من الترغيب في الترقي
الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقايضها والله تعالى
اعلم **ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت** اي ما يوجبه مقتضى الابتلاء من ترتب
الجزاء المتفرع على ظهور مراتب الاعمال **ليقولن الذين كفروا** اي وجه الخطاب في قوله
تعالى انكم الى الجميع الكافرين فالموصول مع صلته للتخصيص اي ليقولن الكافرون منهم
فهو وارد على طريقة الذم **ان هذا الا سحر مبين** اي مثله في الخديعة او البطلان
وهذا اشارة الى القول المذكور او الى القرآن فان الاخبار عن كونهم مبعوثين وان
لم يجب كونه بطريق الوحي المتلو الا انهم عند سماعهم ذلك تخلصوا الى القرآن لابانته عنه
في كل موضع وكونه علما عندهم في ذلك نسبوه الى الكذب وتسميته سحرا تماديا منهم
في العناد وتباعدا عن سنن الرشاد وقيل هو اشارة الى نفس البعث ولا يلايمه التسمية
بالسحر فانه انما يطلق على موجود ظاهر لا اصل له في الحقيقة ونفس البعث عندهم
معدوم بحت وتعلق الاية الكريمة بما قبلها اما من حيث ان البعث كما اشير اليه من تتمة
الابتلاء المذكور فكانه قيل الامر كما ذكر ومع ذلك ان اخبرتهم بمقدمة ما يليه من معظم ما فيه

وسعة قدرته وتمام حكمته لا يتلعثمون في المراد وبعثهم وان ذلك من قبيل ما لا يحتاج له امثال الفعل عن
تعتني بما سبق من تمامه • واما من حيث ان البعث خلق جديد فلانه قيل وهو الذي خلق جميع
المخلوقات ابتداء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك الى اخبر بعده انه يعيدهم تارة اخرى
وهو اهون عليه ليقولون ما يقولون فسبحان الله عما يصفون • وقرأ حمزة والكسائي
الا ساحر على ان الاشارة الى القائل اي الى القرآن على اسلوب شعر شاعر • وقرئ
بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او على ان انك بمعنى علك اي ولئن قلت
لعلكم مبعوثون على ان الرجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين بان لو قواه لك ولا تبتوا
القول بانكاره او على انه مجاراة معهم في الكلام على نهج المساعدة لئلا يبادروا الى اللجاج
والعناد ريثما صرح اما بصريح القول بخلاف ما هم او القوا عليه ايامهم من انكار البعث
فيكون ذلك ادعى لهم الى التامل والتدبر وما هم عليه • قاتلهم الله انى يؤفكون •
ولئن اخرنا عنهم العذاب المترتب على تعجيلهم او العذاب الموعود في قوله تعالى وان تولوا
فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير • وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضي
الله عنه انه قتل جبريل عليه السلام المستهزئين والظاهر ان المراد به العذاب
الشامل للكفرة دون ما يخص بعضهم على انه لم يكن موعودا يستعجل منه المجرمون
الى امة معدودة الى طائفة من الايام قليلة لان ما يحضره العذاب قليل ليقولن
ما يحبسه اي اي شيء يمنعه من المجيء فكانوا يريدونه قيمنعه مانع • وانما كانوا يقولونه بطريق
الاستعجال استهزاء لقوله تعالى ما كانوا به يستهزئون ومرادهم انكار المجيء والحبس
راسا لا الاعتراف بهما والاستفسار عن حابسه الا يوم يأتيهم ذلك ليس مصروفا
محبوسا عنهم على معنى انه لا يرفعه رافع البتة الا انه يؤخر الى الاخرة او لا يدفعه
عنكم دافع بل هو واقع بكم ان اريد به عذاب الدنيا منصوب بخبر ليس مقدم عليها
فاستدل به البصريون على جواز تقديمه على ليس اذ المعمول تابع
للعامل فلا يقع الا حيث يقع متبوعه ورد بان الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره
توسعا بانه قد يتقدم المعمول حيث لا يتقدم العامل كما في قوله تعالى فاما
اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فان اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين
بالفعلين المجزومين قد تقدما على لا الناهية مع امتناع تقدم الفعلين عليها •
قال ابو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم اظفر بتقدم خبر ليس عليها
ولا بتقدم معموله الا ما دل عليه ظاهر هذه الاية الكريمة • وقول الشاعر •

• فيأبى فما يزداد الا لجاجة • وكنت ابيا في الخنا لست اقدم •

وحاق بهم اي احاط بهم ما كانوا به يستهزئون اي العذاب الذي كانوا يستعجلون
به استهزاء • وفي التعبير عنه بالموصول تهويل لمكانه واشعار بعلية ما ورد في حيز
الصلة من استهزائهم لنزوله واحاطته • والتعبير عنها بالماضي وارد على عادة الله
تعالى في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة • وفي ذلك من
الفخامة والدلالة على علو شان المخبر وتقرير وقوع المخبر به ما لا يخفى ولئن اذقنا الانسان

منا

منا رحمة اي اعطيناه نعمة من صحة وامن وجاه وغيرها واوصلناها اليه بحيث يجد لذتها
ثم نزعناها منه اي سلبناه اياها وايراد النزع للاشعار بشدة تعلقه بها وحرصه
عليها انه ليؤوس شديد اليأس قنوط من روح الله لقطع رجائه من عود امثالها عاجلا واجلا
بفضل الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به كفور عظيم الكفران لما سلف
من النعم وفيه اشارة الى ان النزع انما كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقلبون فيه من نعم الله عز
وجل وتاخير وصف الكفر مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل على ان اليأس من فضل
الله سبحانه وقطع الرجاء عن افاضة امثاله في العاجل وايصال اجره في الاجل من باب
الكفران للنعمة السالفة ايضا ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم
وغنى بعد عدم وفرج بعد شدة • وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن
بلذتهما وكونهما مما يرغب فيه وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونها في ادنى ما يطلق عليه
اسم الملاقاة من مراتبها • وفي اسناد الاول الى الله عز وجل دون الثاني ما لا يخفى من الجزالة
والدلالة على ان مراده تعالى انما هو ايصال الخير المرغوب فيه على احسن ما يكون وانه
انما يريد بعباده اليسر دون العسر وانه انما يلم بهم ذلك بسوء اختيارهم وبنياتهم بسببه كما
يلحق الشر من عند نفسه • واما نزع الرحمة فانما صدر عنه بمقتضى الحكمة الداعية الى
ذلك وهي كفرانهم كما سبق وتنكير الرحمة باعتبار لحوق النزع بها ليقولن ذهب السيئات
عني اي المصائب التي ساءتني ولن يعتريني بعد امثالها كما هو شأن اولئك الا ارباب الترف
لو رود امثالها مما يكدر السرور وينغص العيش انه لفرح بطر واشر بالنعم مغتر بها فخور
على الناس او بما ينالهم من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها واللام في الانسان اما للاستغراق
الجنس فالاستثناء متصل او للعهد فمنقطع الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة
لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم وان جلت واجر ثواب لاعمالهم الحسنة كبير ووجه
تعلق الايات الثلاث بما قبلهن من حيث ان اذاقة النعماء ومن عنها مع كونها ابتلاء للانسان
ليشكر ام يكفر لا يهتدي الى سنن الصواب بل يحيد بكلتا الحالتين عنه الى مهاوي الهلاك
فلا يظهر منه حسن عمل الا من الصابرين الصالحين او من حيث ان انكارهم للبعث واستهزاءهم
بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كانه قيل انما فعلوا ما فعلوا لان طبيعة الانسان مجبولة
على ذلك فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك من البينات الدالة على حقية نبوتك المنادية
بكونها من عند الله عز وجل لمن له اذن واعية وضائق به صدرك اي عارض لك احيانا ضيق
صدر بتلاوته عليهم وتبليغه لهم في اثناء الدعوة والمحاجة ان يقولوا لان يقولوا
عن تلك البراهين التي لا تكاد تخفى صحتها على احد ممن له ادنى بصيرة وتماديا في العناد
على وجه الاقتراح لولا انزل عليه كنز ما يستظهر به لنفقاته او جاء معه ملك
يصدقه فقد قيل قاله عبد الله بن امية المخزومي • وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رؤساء
مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال اخرون ائتنا بالملائكة

حينئذ من نبوتك فقال لا اقدر على ذلك فنزلت فكأنه صلى الله عليه وسلم لما عاين اجتراءهم على اقتراح
مثل هذه العظائم غير قانعين بالآيات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من
ارباب العقول وشاهد ركوبهم من المكابرة متن كل صعب وذلول مسارعين الى المقابلة
بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها سحرا مثل حاله صلى الله عليه وسلم بحال من يتوقع منه ان يضيق
صدره بتلاوة تلك الآيات الساطعة عليهم وتبليغها اليهم فحمله على الحذر منه بما في لعل
من الاشفاق ثم قيل انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك غير مبال بما صدر عنهم
من الرد والقبول والله على كل شيء وكيل يحفظ احوالكم واحوالهم فتوكل عليه في جميع امورك
فانه فاعل بهم ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير في غاية من اصابة المحز ام يقولون
افتراه اضراب بام المنقطعة عن ذكر ترك اعتدادهم بما يوحي وتهاونهم به وعدم اقتناعهم
بما فيه من المعجز الظاهر الدال على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقية نبوته صلى الله
عليه وسلم وشروع في ذكر ارتكابهم لما هو اشد منه واعظم وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ
والانكار والتعجب والضمير المستكن في افتراه للنبي صلى الله عليه وسلم والبارز لما يوحي اي
بل يقولون افتراه وليس من عند الله عز وجل قل ان كان الامر كما تقولون فأتوا انتم ايضا
بعشر سور مثله في البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور اي امثاله وتوحيده اما باعتبار
مماثلة كل واحد منها او لان المطابقة ليست بشرط حتى يوصف المثنى بالمفرد كما في قوله
تعالى انؤمن لبشرين مثلنا او للايماء الى ان وجه الشبه ومدار المماثلة في الجميع شيء واحد
هو المبالغة البالغة الى مرتبة الاعجاز فكأن الجميع واحد مفتريات صفة اخرى
لسور اخرت عن وصفها بالمماثلة لما يوحي لانها الصفة المقصودة بالتكليف اذ بها
يظهر عجزهم وقعودهم عن المعارضة واما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه شيء
في مقام التحدي وايماء الى ترتب المماثلة وارخاء العنان ولانه لو عكس الترتيب لربما
توهم ان المراد هو المماثلة في الافتراء والمعنى فأتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة
مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عندي فانكم اقدر على ذلك مني لانكم
عرب فصحاء وقد مارستم مبادي ذلك من الخطب والاشعار وحفظتم الوقائع والايام
وزاولتم اساليب النظم والنثر وادعوا للاستعانة في المعارضة من استطعتم
دعاءه والاستعانة به من الهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم في كل ما تأتون وما تذرون
والكهنة ومداره‌كم الذين تلجأون اليهم والى آرائهم في الملمات ليسعدوكم فيها
من دون الله متعلق بادعوا اي متجاوزين الله تعالى ان كنتم صادقين في اني افتريته
فان ذلك يستلزم امكان الاتيان بمثله وهو ايضا يستلزم قدرتكم عليه والجواب
محذوف يدل عليه المذكور فان لم يستجيبوا لكم اي فان لم يفعلوا ما كلفوه من الاتيان
بمثله كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايماء الى انه صلى الله عليه
وسلم على كمال امن من امره كان امرهم بالاتيان بمثله دعاءهم الى امر يريد وقوعه والضمير
في لكم للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم كما في قول من قال
• وان شئت حرمت النساء سواكم • اولا وللمؤمنين

لانهم

لانهم اتباع له صلى الله عليه وسلم في الامر بالتحدي وفيه تنبيه لطيف على ان حقهم ان لا ينفكوا
عنه صلى الله عليه وسلم وينافسوا معه لمعارضة المعاندين كما كانوا يفعلونه في الجهاد وارشادا
الى ان ذلك مما يفيد الرسوخ في الايمان والطمأنينة في الايقان ولذلك رتب عليه قوله عز وجل
فاعلموا اي اعلموا حين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة مع تهالكهم عليها علما مشابها لعلم
المتيقن بحيث لا مجال معه لشائبة ريب بوجه من الوجوه كأن ما عداه من مراتب العلم
ليس بعلم لكن لا للاشعار بتخلط تلك المراتب بل بارتفاع شأن المرتبة المستفيدة
ايراد كلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فان ترتيب سائر المراتب منه لمنة العدم
مستنتج لتنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه اي اثبتوا واستمروا على ما كنتم
عليه من العلم انما انزل ملتبسا بعلم الله المخصوص به بحيث لا تحوم حوله العقول
والاوهام مشتملا على فنون الاعجاز من حسن النظم الرائق والاخبار بالغيب وان لا اله
الا هو اي واعلموا ايضا ان لا شريك له في الالوهية واحكامها وبعجزه على ما لا يقدر
عليه احد فهل انتم مسلمون اي مخلصون في الاسلام او ثابتون عليه ومنه امتثالا
النسب والترقية الى معارج اليقين ويجوز ان يكون الخطاب في الكل للمشركين
من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم واختلف الامر بالتحدي والضمير في لم يستجيبوا
لمن استطعتم اي فان لم يستجب لكم المسكر وسائر من تلجأون اليه وتجأرون اليه
في مهماتكم وملماتكم الى المعاونة والمظاهرة فاعلموا ان ذلك خارج عن دائرة
قدرة البشر وانه منزل من عند خالق القوى والقدر وايراد كلمة الشك حينئذ
مع الجزم بعدم الاستجابة من جهة الهتكم تهكم بهم وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل
وترتيب الامر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من حيث انه مسبوق بالدعاء المسبوق
بعجزهم واضطرارهم فكأنه قيل فان لم يستجيبوا لكم عند التجائكم اليهم بعدما اضطررتم
الى ذلك وضاقت عليكم الحيل وعيت بكم العلل او من حيث انهم يشهدون بهم قوى
منهم في اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم فان كان ذلك قبل ظهور عجز انفسهم
يكون عجزهم اظهر واوضح • واعلموا ايضا ان الهتكم بمعزل عن رتبة الشركة في الالوهية
واحكامها فهل انتم داخلون في الاسلام اذ لم يبق شائبة شبهة في حقيته وبطلان
ما كنتم فيه من الشرك فيه حل فيه الاذعان لكون القرآن من عند الله
اولا او منقادين للحق الذي هو كون القرآن من عند الله تعالى وتاركون لما فيه من المكابرة
والعناد وفي هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام
الموجب وزوال العذر واقناط من ان يجيرهم الهتهم من بأس الله عز سلطانه ومنها
والاول انسب لما سلف من قوله تعالى وضائق به صدرك ولما سيأتي من قوله تعالى
فلا تك في مرية ومنه ارتباط لا يعتبه كما ستحيط به خبرا من كان يريد الحياة
الدنيا وزينتها اي ما يزينها ويحسنها من الصحة والامن والسعة في الرزق وكثرة
الاولاد والرياسة وغير ذلك والمراد بالارادة ما يحصل عند مباشرة الاعمال لا مجرد
الارادة القلبية بقوله تعالى نوف اليهم اعمالهم فيها واذ حاصل كان عليها لله لا لغيره

على استمرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون الآخرة أصلا وليس المراد بأعمالهم أعمال كلهم فإنه
لا يجد كل متمنٍّ ما يتمناه ولا كل أحد ينال ما يهواه فإن ذلك منوط بالمشيئة الجارية على
قضية الحكمة كما نطق به قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد
بل أعمال بعضهم الذي يترتب عليه الأمور المذكورة بطريق الأجر والجزاء من أعمالهم
البر وبه أطلقت وأريد بها ثمراتها فالمعنى نوصل إليهم ثمرات أعمالهم في الحياة الدنيا كاملة
وقرئ يوف على الإسناد إلى الله عز وجل وتوف بالتوفية على البناء للمفعول ورفع أعمالهم
وقرئ نوف بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضيا كقوله •

• وإن أتاه خليل يوم مسغبة • يقول لا غائب مالي ولا حرم •

وهم فيها أي في الحياة الدنيا لا يبخسون أي لا ينقصون وإنما عبر عن ذلك بالبخس الذي هو
نقص الحق مع أنه ليس لهم شائبة حق فيما أوتوه كما عبر عن إعطائه بالتوفية التي هي إعطاء الحقوق
مع أن أعمالهم بمعزل من كونها مستوجبة لذلك بناء للأمر على ظاهر الحال ومحافظة على صور
الأعمال ومبالغة في نفي النقص كأن ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور
عن الكريم أصلا • والمعنى أنهم فيها خاصة لا ينقصون ثمرات أعمالهم فإن وجد هناك نقص كليا
مطردا ولا هم محرومون منها حرمانا كليا • وأما في الآخرة فهم في الحرمان المطلق واليأس المحقق
كما ينطق به قوله تعالى أولئك إلى آخره فإنه إشارة إلى المذكورين باعتبار إرادتهم
الحياة الدنيا وزينتها والموفون فيها ثمرات أعمالهم من غير بخس الذين ليس لهم في الآخرة
إلا النار لأن هممهم كانت مصروفة إلى الدنيا وأعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد
اجتنوا ثمرتها ولم يكونوا يريدون بها شيئا آخر فلا جرم لم يكن لهم في الآخرة إلا النار و
عذاب النار المخلد وحبط ما صنعوا فيها أي ظهر في الآخرة حبوط ما صنعوه من الأعمال
التي كانت تؤدي إلى الثواب لو كانت معمولة للآخرة أو حبط ما صنعوه في الدنيا من أعمال
البر إذ شرط الاعتداد بها الإخلاص وباطل أي في نفسه ما كانوا يعملون في أثناء تحصيل
المطالب الدنيوية ولأجل أن الأول من شأنه استتباع الثواب والأجر وأن عدمه
لعدم مقارنته للإيمان والنية الصحيحة وأن الثاني ليس له جهة صالحة قط علق بالأول
الحبوط المؤذن بسقوط أجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث وبالثاني البطلان المفصح
عن كونه بحيث لا طائل تحته أصلا بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا لازما له
ثابتا فيه وفي زيادة كان في الثاني دون الأول إيماء إلى أن صدور أعمال البر
منهم وإن كان لغرض فاسد ليس في الاستمرار والدوام كصدور الأعمال التي هي من
مقدمات مطالبهم الدنيوية • وقرئ وبطل على الفعل أي ظهر بطلانه حيث
علم هناك أن ذلك وما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية مما لا طائل تحته أو انقطع أثره
الدنيوي فبطل مطلقا • وقرئ وباطلا ما كانوا يعملون في معنى المصدر كقوله •

• ولا خارجا من في زور كلام • وعن أنس رضي الله عنه

أن المراد بقوله تعالى من كان يريد إلخ اليهود والنصارى إن أعطوا سائلا
أو وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن • وقيل هم الذين

جاهدوا

جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسهم لهم في الغنائم • نزلت
فيهم ويرد بأن ذلك إنما كان بالمدينة والسورة مكية • وقيل هم أهل الرياء يقال للقتيل
منهم أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك وكذا الغير ممن يعمل أعمال البر
لا لوجه الله تعالى • فعلى هذا لا بد من تقييد قوله تعالى ليس لهم إلا النار بأنه ليس لهم
بسبب أعمالهم الريائية إلا ذلك والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم أن المراد مطلق
الكفرة بحيث يندرج فيهم الطاعنون في القرآن اندراجا أوليا فإنه عز وعلا
لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بأن يزدادوا علما ويقينا بأن القرآن
منزل بعلم الله تعالى وبأن لا قدرة لغيره على شيء أصلا وهيجهم على الثبات على الإسلام
والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون الله من المعارضة وتبين
أنهم ليسوا على شيء أصلا اقتضى الحال أن يشير إلى بعض شئونهم الموهمة لكونهم على شيء في الجملة
من نيلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم على المطالب الدنيوية • وبيان أن ذلك بمعزل
عن الدلالة عليه • ولتقريب ذلك أي بيان تباعد ما بين الفريقين فيما ذكر من الإيمان بالقرآن
والتوحيد والإسلام قيل أفمن كان على بينة من ربه أي برهان نير عظيم الشأن
يدل على حقيقة ما رغب في الثبات عليه من الإسلام وهو القرآن وباعتبار أو بتأويل
البرهان ذكر الضمير الراجع إليها في قوله تعالى ويتلوه أي يتبعه شاهد يشهد
بكونه من عند الله تعالى وهو الإعجاز في نظمه المطرد في كل مقدار سورة أو ما وقع في بعض
آياته من الإخبار بالغيب وكذا سائر وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله عز وجل
غير أنه على التقدير يكون في الكلام إشارة إلى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند تبيين كونه منزلا بعلم الله تعالى بشهادة الإعجاز
منه أي من القرآن غير خارج عنه أو من عند الله تعالى فإن كلا منهما وارد من جهته
تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير أن يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك أيضا من الشواهد التابعة للقرآن الواردة
من جهته تعالى فالمراد بمن في قوله تعالى أفمن كل من اتصف بهذه الصفة الحميدة
فيدخل فيه المخاطبون بقوله فاعلموا دخولا أوليا • وقيل هو النبي صلى الله
عليه وسلم • وقيل مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه • وقيل
المراد بالبينة دليل العقل • وبالشاهد القرآن • والضمير في منه لله عز وجل
والبينة القرآن • ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل أو لسان النبي صلى الله عليه
وسلم على أن الضمير له أو المتلو والشاهد ملك يحفظه والأولى هو الأول
ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان إقامة الشهادة بصحته وكونه من عند
الله تعالى تبعا له بحيث لا يفارقه في مشهد من المشاهد فإن القرآن بينة باقية
على وجه الأرض مع شاهدها الذي يشهد بأمره إلى يوم القيامة عند كل مؤمن وجاحد
عطف كتاب موسى في قوله عز قائلا ومن قبله كتاب موسى على فاعله مع كونه مقدما
عليه في النزول فكأنه قيل أفمن كان على بينة من ربه ويشهد به شاهد منه وشاهد

امر يؤمن به هو كتاب موسى وانما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفا لازما له غير مفارق
عنه ولعراقته في وصف التلو والتنكير في بينة وشاهد للتفخيم اماما اي مؤتما به في الدين
ومقتدى وفي التعرض بهذا الوصف مع ديانة نكون الكتاب مما لا يخفى من تفخيم شان المتلو
ورحمة اي نعمة عظيمة على المنزل عليهم ومن بعدهم الى يوم القيامة باعتبار احكامه
الباقية المؤيدة بالقرآن العظيم وهما حالان من الكتاب اولئك الموصوفون بتلك
الصفة الحميدة وهي الكون على بينة من الله تعالى • ولما ان ذلك عبارة عن مطلق التمسك
به وقد يكون ذلك بطريق التقليد لمن سلف من علماء الدين من غير اطلاع على دقائق
الحقائق وصفهم بانهم يؤمنون به اي يصدقون به حق التصديق حسبما تشهد به الشواهد
الصادقة المعربة عن حقيته ومن يكفر به اي بالقرآن ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة
من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار
موعده يردها لا محالة حسبما نطق به قوله عز وعلا ليس لهم في الآخرة الا النار وفي جعلها موعدا
اشعار بان له فيها ما يوصف من افانين العذاب فلا تك في مرية منه اي في شك من امر
القرآن وكونه من عند الله عز وجل حسبما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من
تمسك به انه الحق من ربك الذي يربيك في دينك ودنياك ولكن اكثر الناس لا
يؤمنون بذلك اما لقصور انظارهم واختلال افكارهم واما لعنادهم واستكبارهم
من في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه مبتدأ حذف خبره لاغناء الحال عن ذكره
وتقديره افمن كان على بينة من ربه كاولئك الذين ذكرت اعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم
يعني ان بينهما تفاوتا عظيما بحيث لا يكادان يتراءى ناراهما وايراد الفاء بعد الهمزة لانكار ترتب
توهم المماثلة على ما ذكر من صفاتهم وعدد من مناقبهم • كانه قيل ابعد ظهور حالهم في الدنيا
والآخرة كما وصف يتوهم المماثلة بينهم وبين من كان على احسن ما يكون في العاجل والآجل كقوله
تعالى افتخذتم من دون الله اولياء اي ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم
من دونه اولياء • وقوله تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا بان نسب اليه ما لا يليق كقولهم الملائكة بنات الله تعالى الله عن
ذلك علوا كبيرا • وقولهم لآلهتهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعني انهم مع كفرهم بآيات الله تعالى
مفترون عليه كذبا وهذا التركيب وان كان سبكه على ان يكون احد اظلم منهم من
غير تعرض لانكار المساواة ونفيها ولكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها
وافادة انهم اظلم من كل ظالم كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله عز وجل لا جرم انهم في الآخرة
هم الاخسرون • فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد منه حتما انه اكرم
من كل كريم وافضل من كل فاضل اولئك الموصوفون بالظلم البالغ الذي هو الافتراء
على الله تعالى وبهذه الاشارة حصلت الغنية عن اسناد العرض الى اعمالهم والاكتفاء باسناده
اليهم حيث قيل يعرضون لان عرضهم من تلك الحيثية وبذلك العنوان عرض لاعمالهم
على ابلغ وجه فان عرض العامل بعمله افظع من عرضه مع غيبته على ربهم الحق وفيه ايماء
الى بطلان رأيهم في اتخاذهم اربابا من دون الله عز وجل ويقول الاشهاد عند العرض

من

الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف هؤلاء الذين
كذبوا على ربهم بالافتراء عليه كان ذلك امر واضح غني عن الشهادة بوقوعه وانما الحاجة
الى الشهادة بتعيين من صدر عنه ذلك فلذلك لا يقولون هؤلاء الذين كذبوا على
ربهم • ويجوز ان يكون المراد بالاشهاد الحضار ومن جمع اهل الموقف على ما قاله قتادة
ومقاتل رضي الله عنهما ويكون قولهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ذما لهم بذلك لا شهادة
عليهم كما يشعر به قوله ويقول دون ويشهد الى آخره وتوطئة لما يتلوه من قوله عز وجل
الا لعنة الله على الظالمين بالافتراء المذكور ويجوز ان يكون المراد منه الوجه الاول
من كلام الله عز وجل وفيه تهويل عظيم لما يحيق بهم من عاقبة ظلمهم اللهم انا
نعوذ بك من الخزي على رؤوس الاشهاد الذين يصدون اي كل من يقدرون على صده
ويفعلون الصد عن سبيل الله عن دينه القويم ويبغونها عوجا اي انحرافا اي
يصفونها بذلك وهي ابعد شيء منه او يبغون اهلها ان يعوجوا عنها بالارتداد بغيتك
خيرا او شرا اي طلبته لك ومنه ما شاع لكن بهتهم بالقرآن وقولهم انه ليس من عند الله
وهم بالآخرة هم كافرون اي يصفونها بالعوج والحال انهم كافرون بها لا انهم يؤمنون
بها ويزعمون انه ليس بنبي عند كفرهم اولئك مع ما وصف من احوالهم الموجبة للتدمير
لم يكونوا معجزين الله تعالى مفلتين بانفسهم من اخذه لو اراد ذلك في الارض مع
سعتها فان من يولى منها كلهم ب وما كان لهم من دون الله من اولياء ينصرونهم
من باسه ولكن اخر ذلك لحكمة مقتضية والجمع اما باعتبار افراد الكفرة كانه قيل
وما كان لاحد منهم من ولي او باعتبار تعدد ما كانوا يدعون من دون الله تعالى فيكون
ذلك بيانا لحال آلهتهم من سقوطها عن رتبة الولاية يضاعف لهم العذاب
استئناف يتضمن حكمة تأخير العذاب المؤاخذة • وقرأ ابن كثير ويعقوب وابن عامر
بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لفرط تصامهم عن الحق وبغضهم له كانهم
لا يقدرون على السمع ولما كان قبح حالهم في عدم اذعانهم للقرآن الذي موطنه
السمع اشد منه في عدم قبولهم لسائر الآيات المنوطة بالابصار بالغ في نفي الاول
عنهم حيث نفى عنهم الاستطاعة واكتفى في الثاني بنفي الابصار فقال وما كانوا يبصرون
لتعاميهم عن آيات الله تعالى المبسوطة في الانفس والآفاق وهو استئناف وقع
تعليلا لمضاعفة العذاب • وقيل هو بيان لما نفي من ولاية الآلهة فان ما لا
يسمع ولا يبصر بمعزل من الولاية اولئك المنعوتون بما ذكر من القبائح الذين خسروا
انفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله عز سلطانه وضل عنهم ما كانوا يفترون
من الآلهة وشفاعتها او خسروا ما بذلوا او ضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة
والندامة لا جرم فيه ثلاثة اوجه • الاول ان لا نافية لما سبق وجرم بمعنى حق وان
مع ما في حيزه فاعله والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل حق انهم في الآخرة هم الاخسرون •
ومنه امكن سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب وما بعده مفعول له وفاعله ما دل
عليه الكلام اي كسب ذلك خسرانهم فالمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور خسرانهم

والثاني ان لا جرم بمعنى لا بد اي لا بد انهم في الآخرة هم الاخسرون والمعنى انهم اخسر من كل
خاسر فتبين انهم اظلم من كل ظالم وبعد ما بين الآيات الكريمة كما ترى مقرر لما سبق من انكار
المماثلة بين من كان على بينة من ربه وبين من كان يريد الحياة الدنيا ابلغ تقرير
فانهم حيث كانوا اظلم من كل ظالم واخسر من كل خاسر لم يتصور المماثلة بينهم وبين
مصيبين محقين وما لهم شرع في بيان حال اضداده من فريق المؤمنين وما يؤول اليه امرهم
من العواقب الحميدة تكملة لما سلف من فنائهم المذكورة في قوله تعالى افمن كان على بينة من
ربه الآية ليتبين ما بينهما من التباين حالا ومآلا فقيل **ان الذين آمنوا** اي بكل ما يجب
ان يؤمن به فيندرج تحته ما نحن بصدده من الايمان بالقرآن الذي عبر عنه بالكون
على بينة من الله تعالى والاخلال بذلك باستماع الوحي والتدبر فيه وبتأمل ما يؤدي
الى ذلك في الانفس والآفاق او فعلوا الايمان كما في يصلي ويعطي **وعملوا الصالحات
واخبتوا الى ربهم** اي اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخضوع والتواضع من الخبت
وهي الارض المطمئنة ومعنى اخبت دخل في الخبت كأنجد واتهم دخل في تهامة ونجد
اولئك المنعوتون بتلك الاوصاف الجميلة **اصحاب الجنة هم فيها خالدون** دائمون
وبعد بيان تباين حاليهما عقلا اريد بيان تباينهما حسا فقيل **مثل الفريقين** المذكورين
اي حالهما العجيب لان المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من الاحوال والصفات **كالاعمى
والاصم والبصير والسميع** اي كحال هؤلاء فيكون ذواتهم كذواتهم والكلام وان
امكن ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بالاعمى والاصم وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع
بين البصر والسمع على ان يكون الواو في قوله تعالى والاصم وفي قوله والسميع لعطف الصفة
على الصفة كما في قول من قال

الى الملك القرم وابن الهمام ◦ وليث الكتيبة في المزدحم

واياما كان فالظاهر ان المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل هي التي يدل عليها
اسلوب التشبيه مما يلائم الاحوال المذكورة والمعتبرة في جانب المشبه به من معاني الفريق
الاول من مشاهدة آيات الله المنصوبة في العالم والنظر اليها بعين الاعتبار وتعاميهم
عن استماع القرآن الكريم وتلقيها بالقبول حسبما ذكر في قوله تعالى لا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون وانما لم يراع الترتيب ههنا لتكون المقابلة بالاعمى اظهر وانه في نحو
الحال من الاصم ومن استعمال الفريق الثاني لكل من ابصارهم واسماعهم فيما ذكر
كما ينبغي المدلول عليه بما سبق من الايمان والعمل الصالح والاخبات حسبما فصل به فيما
فلا يكون التشبيه تمثيلا لجميع الاحوال المعدودة لكل من الفريقين مما ذكر وما يؤدي
اليه من العذاب المضاعف والخسران البالغ في احدهما ومن النعيم المقيم في الآخر
فان ذلك اعتبار لذلك ينزع الى كون التشبيه تمثيلا بان ينتزع من حال الفريق الاول
في تعاميهم وتصامهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب المضاعف والخسران الذي لا
خسران فوقه هيئة فتشبه بهيئة من فقد مشعري البصر والسمع فتخبط في سلكه
فوقع في مهاوي الردى ولم يجد الى مقصده سبيلا وينتزع من حال الفريق الثاني في استعمال

مشاعرهم

مشاعرهم في آيات الله تعالى حسبما ينبغي وفوزهم بدار الخلود هيئة فتشبه بهيئة منتزعة
ممن له بصر وسمع يستعملهما في مهامه فيهتدي الى سبيله وينال مرامه **هل يستويان** يعني الفريقين
المذكورين والاستفهام انكاري مقرر لما سبق من انكار المماثلة في قوله عز وجل افمن كان على
بينة من ربه الآية **مثلا** اي حالا وصفة وهو تمييز من فاعل يستويان **افلا تذكرون**
اي اتشكون في عدم الاستواء وما بينهما من التباين او اتغفلون عنه فلا تتذكرونه بالتأمل
فيما ضرب لكم من المثل فيكون الانكار واردا على المعطوفين معا او تسمعون هذا فلا تتذكرون فيكون راجعا
الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب وجوده وهو المثل المضروب كما في قوله تعالى افان
مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فان الهمزة للانكار بعد تحقق ما يوجب عدمه من خلو
الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم او افلا تعقلون التذكر ومعنى الهمزة انكار
عدم التذكر واستبعاد صدوره عن المخاطبين وانه ليس مما يصح ان يقع لا من قبيل الانكار
في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى هل يستويان فان ذلك لنفي المماثلة
ونفي الاستواء ولما بين من فاتحة السورة الكريمة الى هذا المقام انه كتاب محكم
الآيات مفصلها نازل في شأن التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وان النبي ان لـ
عليه بشير ونذير من جهته تعالى وقرر في تضاعيف ذلك ما له مدخل في تضاعيف هذا
المرام من الترغيب والترهيب والزام المعاندين بما يقارنه من الشواهد الحقة الدالة
على كونه من عند الله تعالى وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما اعتراه من ضيق
الصدر العارض له من اقتراحاتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقرآن تارة سحرا
واخرى مفترى وتسلية صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على التمسك به والعمل بموجبه
على ابلغ وجه وابدع اسلوب شرع في تحقيق ما ذكر وتقريره بذكر قصص الانبياء صلوات
الله عليهم اجمعين المشتملة على ما اشتملت عليه فاتحة السورة الكريمة ليتأكد ذلك
بطريقين احدهما ان ما امر به من التوحيد وفروعه مما اطبق عليه الانبياء قاطبة والثاني
ان ذلك انما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي فلا يبقى في حقيته كلام اصلا
وليتسلى بما يشاهد من معاداة الرسل قبله من اممهم ومقاساتهم الشدائد من جهتهم
فقيل **ولقد ارسلنا نوحا الى قومه** الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وحرف
العطف الا الواو وكما في سورة الاعراف لئلا يجتمع واوان ولا تكاد تطلق هذه اللام الا
مع قد لانها مظنة التوقع وان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو
ابن لمك بن متوشلح بن ادريس عليه السلام وهو اول نبي بعث بعده قال ابن عباس رضي
الله عنهما بعث عليه السلام على رأس اربعين من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين
عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة وقال مقاتل
بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين
سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين
وخمسين سنة وكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة **اني لكم نذير** بالكسر على
ارادة القول اي فقال او قائلا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالفتح على اضمار

حرف الجر اي ارسلناه بذلك الكلام وهو اني لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان
والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد واقتصر على ذكر كونه عليه السلام نذيرا لان دعوته
عليه السلام كانت بطريق الانذار فقط الا يرى الى قوله عليه الصلاة والسلام فقلت
استغفروا ربكم انه كان غفارا الايات بل لانهم لم يغتنموا مغانم انذاره عليه السلام **مبين**
ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص منه لان الانذار اعلام المحذور قد لا يجرد التخويف
والازعاج بل الحذر منه فيتعلق بصفته بكلا وصفيه **ان لا تعبدوا الا الله** اي بان لا تعبدوا
على ان ان مصدرية والباء متعلقة بارسلنا ولا ناهية اي ارسلناه ملتبسا بالنهي عن الشرك الا انه
وسط بينهما بيان بعض اوصافه واحواله عليه السلام من كونه نذيرا مبينا لتكون ادخل في
القبول ولم يفعل ذلك في صدر السورة لئلا يفرق بين الكتاب ومضمونه بالبين وما فيه
ذا حواله او مفسرة متعلقة به او بنذير او بمبين وعلى قراءة الفتح بدل من اني لكم
نذير مبين وتعيين لما يوجب وقوع المحذور وتبيين لوجه الخلاص منه وهو عبادة الله تعالى وقوله
اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم تعليل لموجب النهي وتحقيق للمحذور وتحقيق للانذار
والمراد به يوم القيامة او يوم الطوفان ووصفه بالاليم على الاسناد المجازي للمبالغة
كما في نهاره صائم ومنه المقالة وما في معناها كما قاله عليه السلام من انها الدعوة
على ما عزي اليه وثاني التوراة لم يتعد عنه علوم مرة واحدة بل كان يكررها عليهم في
تلك المدة المتطاولة على ما نطق به قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الايات
عطف على فعل الايات وسائر المقارن لها او القول المقدر بعده جوابهم المنبئ عن الاحوال
المؤمنين الذين اتبعوه عليه السلام بعد اللتيا والتي بالغا ما بلغ **فقال الذين**
كفروا من قومه اي الاشراف منهم من قولهم فلان ملي بكذا اي مطيق له لانهم ملؤوا بكفاية
الامور او لانهم ملؤوا القلوب بهيبتهم والمجالس بابهتهم او لانهم ملاء بالاحلام والاراء الصائبة
ووصفهم بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم بذلك من اول الامر لان بعض اشرافهم ليسوا
بكفرة **ما نراك الا بشرا مثلنا** اي ادميا مثلنا ليس فيك مزية تخصك من
دوننا بما تدعيه من النبوة ولو كان ذلك لرايناه لا ان ذلك لا يحتمل والحكم لا نراه
وكذا الحال في ترك لحوقهم **وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي** في الفعلين
من رؤية العين وقوله تعالى الا بشرا مثلنا حال من المفعول وكذا الحال في
قوله تعالى اتبعك في موضع الحال ايضا اما على حالها او بتقدير قد عند من يشترط ذلك
ويجوز ان يكون من رؤية القلب وهو الظاهر فيها المفعول الثاني وتعلق الراي
في الاول بالمثلية لا بالبشرية فقط وانما لم يبسطوا القول بذلك مع جزمهم به واصرارهم
عليه ارادة بان ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل بعد التامل والتدبر فيه ولذلك
اقتصروا على ذكر الظن فيما سياتي وتعرضوا من اول الامر اي المسلمين لكال قولهم وما
نرى ان جواب عما يرد من انه عليه الصلاة والسلام ليس مثلهم حيث عاين دلائل نبوته
واعتقد اتباعهم من ذلك مثل ما عاينوا وقيل بدون وزعموا ان سولا اداه لنا اخنا وناجمع ارذل
فانه صار بالغلبة جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر او اراذل جمع ارذل كالكالب والاكلب

يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصالة راي وقد كان ذلك منهم في
بادي الراي اي ظاهره من غير تعمق من البدو او في اوله من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار
ما قبلها وقد قراه ابو عمرو بها وانتصابه على الظرفية على حذف المضاف اي وقت حدوث
بادي الراي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم اولي الالباب الراجحة
لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهر الحياة الدنيا كان عندهم الاكثر منها حظا والارذل
من حرمها ولم يفقهوا ان ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وانما النعمة هو نعيم
الاخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه نعوذ بالله من ذلك **وما نرى لكم**
اي لك ولمتبعيك تغليب للمخاطب على الغائبين **علينا من فضل** يعنون ان اتباعهم لك لا يدل
على نبوتك فضيلة تستتبع اتباعنا لكم وافتقارهم هنهنا في ذكر عدم رؤية الفضل
بعد تعرضهم بعدهم فيما سبق باعتبار حالهم السابق واللاحق ومرادهم ما كانوا ارادوا
قبل اتباعهم لك ولا بعده فيك وبعد الاتباع فضيلة علينا **بل نظنكم كاذبين** جميعا
لكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة او اياك في دعوى النبوة واياهم في تصديقك
واقتصارهم على الظن احتراز منهم عن نسبتهم الى المجازفة ومجاراة منه عليه السلام
بطريق الارادة على نهج الانصاف **قال يا قوم ارايتم** اي اخبروني وفيه ايماء الى ركاكة
رايهم المذكور **ان كنت على بينة** برهان ظاهر **من ربي** وشاهد يشهد على صحة
دعواي **واتاني رحمة من عنده** هي النبوة ويجوز ان تكون هي البينة نفسها جي بها
ايذانا بانها مع كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه افراد الضمير
في قوله **فعميت عليكم** حينئذ ظاهر وان اريد بها البينة النبوة وبالبينة البرهان
الدال على صحتها فالافراد لارادة كل واحد منهما او لكون الضمير للبينة والاكتفاء
بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوة او لتقدير فعلها بعد البينة ومعنى عميت
اخفيت وقرئ عميت ومعناه خفيت وحقيقته ان الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة
تجعل عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره وفي قراءة ابي فعماها عليكم على
الاسناد الى الله عز وجل **انلزمكموها** اي انكرهكم على الاهتداء بها وهو جواب ارايتم
وساد مسد جواب الشرط وقرا ابو عمرو باختلاس حركة الميم وحيث اجتمع ضميران
منصوبان وقد قدم اعرفهما جاز في الثاني الوصل والفصل فوصل كما وصل في قوله
تعالى فسيكفيكهم الله **وانتم لها كارهون** لا تختاروها ولا تتاملون فيها وحيث
الجواب اخبروني ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواي الا انها خافية عليكم
غير مسلمة عندكم ايمكننا ان نكرهكم على قبولها وانتم معرضون عنها غير متدبرين فيها
اي لا يكون ذلك وظاهره مشعر بصدوره عنه عليه الصلاة والسلام بطريق الحكاية
عن الزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله ولا ينفعكم نصحي الى اخره لكنه محمول على ان مراده
عليه الصلاة والسلام ردهم عن الاعراض وحثهم على التدبر فيها بصرف الانكار الى الالزام
حال كراهتهم لها لا الى الالزام مطلقا ويجوز ان تكون المراد بالبينة دليل
العقل الذي هو ملاك الفضيلة وبحسبه يمتاز افراد البشر بعضها عن بعض

ناط الكرامة عند الله عز وجل والاجتبا للرسالة ثم يا لكون علينا التمسك به والثبات عليه ومعا
نيا الكفرة على ان يكون الضمير للمتبعين عند ما اذ راكهم لكونه عليه الصلاة والسلام علينا
ثم بالرحمة النبوة اني انكروا اختصاصه عليه السلام بها بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم
ان عهد النبوة لا ينالها الا من له فضيلة على سائر الناس مستتبعة لاختصاصه به دونهم
اخبروني ان امرت عليكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربي واتاني بحسبها نبوة
من عنده فخفيت عليكم تلك البينة ولم تصيبوها ولم تنالوها او لم تعلموا حيازتي
لها وكوني عليها الى الان حتى زعمتم اني مثلكم وهي متحققة في نفسها انلزمكم قبول بينتي
التابعة لها والحال انكم لها كارهون لا يكون الاستفهام للحمل على الاقرار لا من الايات
بمقام الحاجة وحينئذ يكون كلامه عليه السلام جوابا عن شبههم التي ادرجوها في خلال
مقالهم من كونه عليه الصلاة والسلام بشرا قصارى امره ان يكون مثلهم من غير فضل
له عليهم وقطعا لشافة اباطيلهم الركيكة ويا قوم لا اسئلكم عليه اي على ما قلته في اثنا دعوتكم
مالا تؤدونه الي بعد ايمانكم اتباعكم لي فيكون ذلك اجرا لي في مقابلة اهتدائكم ان اجري الا
على الله الذي يثيبني في الاخرة وفي التعبير عنه حين نسب اليه بالمال ما لا يخفى من المزية
وما انا بطارد الذين امنوا جواب عما لوحوا به بقولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم
اراذلنا من انه لو اتبعه الاشراف لوافقوهم وان اتباع الفقراء مانع لهم من ذلك كما صرحوا به
في قولهم انؤمن لك واتبعك الارذلون فكان ذلك التماسا منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم
به عليه السلام عن طردهم اي انهم فائزون في الاخرة بلقاء الله عز وجل كانه قيل
لا اطردهم ولا ابعدهم عن مجلسي لانهم مقربون في حضرة القدس والتعرض لوصف الربوبية
لتربية وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع عن طردهم او مصدقون في الدنيا بلقاء ربهم موقنون به
عالمون انهم ملاقوه لا محالة فكيف اطردهم وحمله على معنى انهم ملاقوه فيجازيهم على ما في قلوبهم
من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الراي
من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق على قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان
الامر كما تزعمون يأباه الجزم بترتب غضب الله تعالى على طردهم كما سيأتي وايضا فهم انما قالوا
ان اتباعهم لك انما هو بحسب بادي الراي بلا تامل وتفكر فهذا لا يصلح مدارا للطرد
في الدنيا ولا للمؤاخذة في الاخرة غايته ان لا يكونوا في رتبة الموقنين وادعاء ان بناء الايمان
على ظاهر الراي يؤدي الى الرجوع عنه عند التامل فكانهم قالوا انهم اتبعوك بلا تامل
فلا يثبتون على دينك بل يرتدون عنه تعسف لا يخفى ولكني اراكم قوما تجهلون
بكل ما ينبغي ان يعلم ويدخل فيه جهلهم بلقاء الله عز وجل وبمنزلتهم عنده وباستيجاب
طردهم لغضب الله كما سيأتي وبركاكة رايهم في التماس ذلك وتوقيف ايمانهم عليه وبزعمهم
ان الرذالة بالفقر والشرف بالغنى وايثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار
او تسفهون على المؤمنين بنسبتهم الى الخساسة ويا قوم من ينصرني من الله بدفع
حلول سخطه على ان طردتهم فان ذلك امر لا مرد له لكون الطرد ظلما موجبا لحلول
السخط قطعا وانما لم يصرح به اشعارا بانه غني عن البيان لاسيما بعد ما قدم ما يلوح

به من احوالهم فكانه قيل من يدفع عني غضب الله تعالى ان طردتهم وهم بتلك المثابة من الكرا
مة والزلفى كما ينبئ عنه قوله تعالى افلا تذكرون اي اتستمرون على ما انتم عليه من الجهل
المذكور فلا تتذكرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا ان ما تاتونه بمعزل من الصواب ولكون مدار العلة
مستقلة بوجه مخصوص ظاهرة الدلالة على وجوب الامتناع من الطرد وامرادها عن
التعليل السابق صدرت بياقوم ولا اقول لكم حين ادعي النبوة عندي خزائن
الله اي رزقه وامواله حتى تستدلوا بعدمها على كذبي بقولكم وما نرى لكم علينا
من فضل فان النبوة اعز من ان تنال باسباب دنيوية ودعواها
بمعزل عن ادعاء الجاه والمال ولا اعلم الغيب اي لا ادعي في قولي اني لكم نذير مبين
اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد ولا
اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا فان البشرية ليست من موانع النبوة
بل من مباديها يعني انكم اتخذتم فقد ان هذه الامور الثلاثة ذريعة الى تكذيبي
والحال اني لا ادعي شيئا من ذلك ولا الذي ادعيه يتعلق بشيء منها وانما يتعلق بالفضائل
النفسانية التي تتفاوت بها مقادير البشر ولا اقول مساعدة لكم كما تقولون للذين
تزدري اعينكم اي تستحقرهم وتستهينهم من زراه اذا عابه واسناد الازدراء الى اعينهم
للنظر الى قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا واما للاشعار بان ذلك لقصور
نظرهم ولو تدبروا في شانهم ما فعلوا ذلك اي لا اقول في شان الذين استرذلتموهم لفقرهم
من المؤمنين لن يؤتيهم الله خيرا في الدنيا او في الاخرة فعسى الله ان يؤتيهم خيري
الدارين فان قلت هذا القول ليس مما يستنكره الكفرة ولا مما يتوهمون صدوره
منه عليه السلام اصالة واستتباعا كادعاء الملائكة وحيازة الخزائن فما فائدة نفيه عليه السلام
عن نفسه بطريق المعطوف والتبري عنه من اي وجه عطف نفيه على نفيهن قلت
من جهة ان كلا النفيين رد لقياسهم الباطل الذي تمسكوا به فيما سلف فانهم زعموا
ان النبوة تستتبع الامور المذكورة وانا لا نشهد في شيء منها العيان وان انتفى
على مكانها واعتقاد معانيها للبنين ذراب الاراذل فاجاب عليه الصلاة والسلام بنفي
ذلك جميعا فكانه قال لا اقول وجود تلك الاشياء من مواجب النبوة ولا عدم المال
والجاه من موانع الخير الله اعلم بما في انفسهم من الايمان وانما اقتصر على نفي القول المذكور
مع انه عليه الصلاة والسلام جازم بان الله سبحانه سيؤتيهم خيرا عظيما في الدارين
وانهم على يقين راسخ في الايمان جريا على سنن الانصاف مع القوم واكتفاء بمخالفة كلامهم
وارشادا لهم الى مسلك الهداية بان اللائق لكل احد ان لا يبت القول الا فيما يعلمه
يقينا ويبني اموره على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه بينة ظاهرة اني اذا اي
اذا فعلت ذلك لمن الظالمين لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم او من الظالمين لانفسهم
بذلك فان وباله راجع الى انفسهم وفيه تعريض بانهم ظالمون في ازدرائهم واشهاد الجبر
وان اكتفت بما ذكر من دعا الملائكة وعلم الغيب وحيازة الخزائن وهو بعيد لان
نفي تلك الاقوال مغنية عن التعليل بلزوم الانتظام في زمرة الظالمين قالوا يا نوح قد

جادلتنا خاصمتنا فأكثرت جدالنا اي اطلته او اتيت بانواعه فان اكثار الجدال لا يتحقق
بعد وقوع اصله فلذلك عطف عليه بالفاء او اردت ذلك فاكثرته كما في قوله تعالى فاذا
قرأت القرآن فاستعذ بالله ولما حجهم عليه الصلاة والسلام وابرز لهم بينات
واضحة المدلول وبحجج ابلغها مما العقول بالقبول والقمهم الحجر بحيث سد عليهم الباطلة
ضاقت بهم الحيل وعيت بهم العلل وقالوا فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل والعذاب
الذي اشير اليه في قوله تعالى اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم على تقدير ان لا يكون المراد
باليوم يوم القيامة ان كنت من الصادقين فيما توعدنا قال انما يأتيكم به الله ان شاء
يعني ان ذلك ليس موكولا الي ولا من عملي مما يدخل تحت قدرتي وانما يتولاه الذي كفرتم به
وعصيتموه بان يأتيكم به عاجلا او آجلا ان تعلقت مشيئته التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى
من تهويل الموعود فكأنه قيل الاتيان به امر خارج عن دائرة القوى البشرية وانما يفعله
الله تعالى وما انتم بمعجزين بالهرب او بالمدافعة كما تدافعونني في الكلام ولا ينفعكم نصحي
النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه الخير من فعل او قول وحقيقته امحاض ارادة
الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موضع الغي ليتقى وموضع
الرشد ان اردت ان انصح لكم شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير
ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله
تعالى ان كان الله يريد ان يغويكم والتقدير ان كان الله يريد ان يغويكم
فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي هذا على مذهب البصريين من عدم
تقديم الجزاء على الشرط واما على مذهب الكوفيين من جوازه فقوله عز وعلا
ولا ينفعكم نصحي جزاء للشرط الاول والجملة جزاء للشرط الثاني وعلى التقديرين فالجزاء
متعلق بالشرط الاول وتعلقه به متعلق بالشرط الثاني وهذا الكلام متعلق بقولهم
قد جادلتنا فاكثرت جدالنا وهو جواب منه عليه السلام اظهارا للعجز عن الزامهم بالحجج
والبينات لتماديهم في العناد وايذانا بان ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام
بل بطريق النصيحة لهم والشفقة عليهم وبانه لم يأل جهدا في ارشادهم الى الحق
وهدايتهم الى سبيله المستبين وامحاض النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند ارادة
الله تعالى لاغوائهم وتقييد عدم نفع النصح بارادته مع انه محقق لا محالة للايذان بان
ذلك النصح منه مقارن للارادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما
وقع بازائه من ارادته تعالى لاغوائهم وانما اقتصر في ذلك على مجرد ارادة الاغواء دون
نفسه حيث لم يقل ان كان الله يغويكم مبالغة في بيان غلبة جنابه عز وجل حيث دل
ذلك على ان نصحه وحده فيهم وبالارادة كان للاشعار بتقدم ارادته تعالى زمانا
كتقدمه رتبة للدلالة على تجددها واستمرارها وانما قدم على هذا الكلام ما يتعلق
بقولهم فأتنا بما تعدنا من قوله تعالى انما يأتيكم به الله ان شاء اعتناء بالامر
واستعجالا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال وفيه دليل على
ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده عز وعلا غير واقع وقيل معنى ان

يغويكم

يغويكم اي يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم ومالك امركم
واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم لا محالة ام يقولون افتراه قال ابن عباس رضي
الله عنه يعني نوحا عليه السلام ومعناه بل ايقول قوم نوح ان نوحا افترى ما جاء
به مسندا الى الله عز وجل قل يا نوح ان افتريته بالفرض البحت فعلي اجرامي اي
وبال اجرامي وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع ويعضده ان فسر الاول بان
بالفتح وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم
ومعاداتكم لي وقال مقاتل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومعناه بل ايقول مشركو
مكة افترى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر نوح فكأنه انما جيء به في تضاعيف القصة
عند سوق طرف منها تحقيقا لحقيتها وتأكيدا لوقوعها وتشويقا للسامعين الى استماعها
لا سيما وقد قص منها طائفة متعلقة بما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من المحاجة
وبقيت طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك
اي المصر على الكفر وهو اقناط له عليه السلام من ايمانهم واعلام لكونه من المحال
الذي لا يصح توقعه الا من قد آمن اي لا تحزن حزن بائس مستكين ولا تغتم بما كانوا يتعاطونه
من التكذيب والاستهزاء والايذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى افعالهم وحان وقت
الانتقام منهم واصنع الفلك ملتبسا باعيننا اي بحفظنا وكلاءتنا كأن معك من الله
عز وجل حفاظا وحراسا يكلؤونك باعينهم من التعدي من الكفرة ومن الزيغ في الصنعة
ووحينا اليك كيف تصنعها وتعليمنا والهامنا عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يعلم
كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر والامر للوجوب اذ لا
سبيل الى صيانة الروح من الغرق الا به فيجب وجوبها واللام اما للعهد بان يعلم
ان هذا مسبوق بوحي الله تعالى اليه عليه الصلاة والسلام انه سيهلكهم بالغرق
وينجيه ومن معه بامر الله تعالى وبوحيه من شأنه كيت وكيت وانه لهذا ما
للعهد فيما صنعها عليه الصلاة والسلام في سنتين وقيل في اربعمائة سنة وكانت
من خشب الساج وجعلت ثلاثة بطون حمل في البطن الاول الوحوش والسباع والهوام
وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وفي البطن الاعلى جنس البشر هو ومن معه
مع ما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وقيل جعل في الاول
الدواب والوحوش وفي الثاني الانس وفي الاعلى الطير قيل كان طولها ثلاثمائة
ذراع وعرضها خمسون ذراعا وسمكها ثلاثين وقال الحسن كان طولها
الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام
لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق حتى اتى الى كثيب من
تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال
هذا كعب بن حام فضرب بعصاه فقال قم باذن الله تعالى فاذا هو قائم ينفض التراب
عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب
ولكن ظننت انها الساعة فمن ثم شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف

القامة الى ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش
وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال عيسى قم باذن الله كما كنت فعاد ترابا **ولا تخاطبني**
في الذين ظلموا اي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو
قيل ولا تدعني فيهم وحيث كان فيه ما يلوح بالسببية اكد التعليل فقيل **انهم مغرقون**
اي محكوم عليهم بالاغراق قد مضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه ولزمتهم الحجة
فلم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا للآخرين **ويصنع الفلك** حكاية حال ماضية
لاستحضار صورتها العجيبة • وقيل تقديره واخذ يصنع الفلك او اقبل يصنعها
فاقتصر على يصنع • وايا ما كان ففيه ملاءمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من
ضميره اعني قوله تعالى **وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه** استهزؤوا به لعمله السفينة
اما لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها فتعجبوا من ذلك وسخروا
منه واما لانه كان يصنعها في برية بهماء في ابعد موضع من الماء وفي وقت عزته عزة شديدة
وكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا • وقيل لانه عليه
السلام كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا اثرا
عدوه من باب المحال ثم لما راوا اشتغاله باسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا •
ومدار الجميع انكار ان يكون لعمله عليه الصلاة والسلام عاقبة حميدة مع ما فيه
من تحمل المشاق العظيمة التي لا تكاد تطاق واستجهاله عليه السلام في ذلك **قال**
ان تسخروا منا مستجهلين لنا فيما نحن فيه **فانا نسخر منكم** اي نستجهلكم فيما انتم عليه
واطلاق السخرية عليه للمشاكلة وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم منه عليه السلام
سخرية من المؤمنين ايضا او لانهم كانوا يسخرون منهم ايضا الا انه اكتفي بذكر سخريتهم منه
عليه الصلاة والسلام ولذلك تعرض الجميع للمجازاة في قوله تعالى فانا نسخر منكم الخ
فتكافأ الكلام من الجانبين • وتعليق استجهاله عليه الصلاة والسلام اياهم بما فعلوا
من السخرية باعتبار ومشافهته عليه الصلاة والسلام اياهم بذلك والا فهو
عليه السلام اياهم صريحا مبلغين فيما يأتون وما يذرون امر مطرد لا تعلق له بسخريتهم منه
لكنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يتصدى لاظهاره جريا على نهج الاخلاق الحميدة
وانما اظهره جزاء بما صنعوا بعد اللتيا والتي فان سخريتهم كانت مستمرة متجددة حسب تجدد
مروره عليهم ولم يكن يجيبهم في كل مرة والا لقيل ويقول ان تسخروا منا الى آخره •
بل انما اجابهم بعد بلوغ اذاهم الغاية كما يؤذن به الاستئناف فكأن سائلا سأل فقال
ما صنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا الى ان سبق لنا
فيما نحن بصدده من التأهب والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الى الجهل وتسخروا
منا لاجله فانا نستجهلكم فيما انتم فيه من الاعراض عن استدفاعه بالايمان والطاعة
ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي والتعرض لاسباب حلول سخط الله تعالى التي من جملتها
استجهالكم ايانا وسخريتكم منا والتشبيه في قوله عز وجل **كما تسخرون** اما في مجرد التحقق
والوقوع او في الصدور ... لتكرر حسبما صدر عن ملاعب ما لا في الكيفيات والاحوال

التي

التي لا تليق بشان النبي عليه الصلاة والسلام فكان الامر من واضح الحال • وقيل نسخر منكم
في المستقبل سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة ولعل
مراده نعاملكم معاملة من يفعل ذلك لان نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة
ومع ذلك لا يساعده لانه لا يظهر اذ ذاك لعينهم بلا بد السخرية او ما يجري مجراها **فسوف**
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وهو عذاب الغرق **ويحل عليه** حلول الدين المؤجل
عذاب مقيم هو عذاب النار الدائم وهو مهلك لهم ومن عباده ممن استهزأ
في حيز الرفع او موصولة في محل النصب بتعلمون وما في حيزها ساد مسد مفعولين او مفعول
واحد ان جعل العلم بمعنى المعرفة • ولما كان مدار سخريتهم استجهالهم اياه عليه
الصلاة والسلام في مكابدة المشاق الفادحة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة
على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في عمل السفينة وكانوا يعدونه عذابا
قيل بعد استجهالهم فسوف تعلمون من يأتيه العذاب بعنوان يعني ان ما باشرته
ليس فيه عذاب لاحق بي فسوف تعلمون من يأتيه العذاب ولقد اصاب العلم
بعد استجهالهم ووصف العذاب بالخزي لما في الاستهزاء والسخرية من لحوق
الخزي والعار عادة • والتعرض لحلول العذاب للمبالغة في التهديد وتخصيصه
بالمؤجل وايراد الاول بالاتيان في غاية الجزالة **حتى اذا جاء امرنا** حتى هي
التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لقوله ويصنع
وما بينهما حال من الضمير فيه وسخروا منه جواب لكلما او صفة لملأ **وفار**
التنور نبع الماء منه وارتفع بشدة كما تفور القدر بغليانها والتنور تنور الخبز عند
الجمهور روي انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب ومن معك
في السفينة فلما نبع الماء اخبرته امرأته فركب • وقيل كان تنور آدم عليه السلام وكان
من حجارة فصار الى نوح وانما نبع منه وهو ابعد شيء من الماء على خرق العادة وكان في الكوفة
في موضع مسجدها على يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان عمل السفينة في ذلك الموضع او
في الهند او في موضع بالشام يقال له عين وردة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة
والزهري ان التنور وجه الارض • وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه •
وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر **قلنا احمل فيها** اي في السفينة وهو جواب
اذا **من كل** اي من كل نوع لا بد منه في الارض **زوجين** الزوج ما له مشاكل من نوع حده
فالذكر زوج للانثى كما هو زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد ولازالة ذلك
الاحتمال قيل **اثنين** كل منهما زوج للآخر وقرئ على الاضافة وانما قدم ذكر الادخال للاهتمام
وشأن المؤمنين لكونه عريقا فيما امر به من الحمل لانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه
السلام في تمييز بعضه من بعض وتعيين الازواج غاية فانه روي عنه عليه الصلاة
والسلام قال يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى اليه السباع
والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في اليسرى
فيجعلها في السفينة • واما البشر فانما يدخل الفلك باختياره فخف فيه معنى الحمل او

لانهما انما تحملهما شهوة البشر وهما انما يدخلونها بعد حملهما فاو وامتك عطف على زوجين او على
اثنين والمراد امراته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين بسبب ظلمهم
في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا الاية والمراد به ابنه كنعان وامه واعلة فانهما
كانا كافرين والاستثنا منقطع ان اريد بالاهل الاهل ايمانا وهو الظاهر كما ستعرفه
او متصل ان اريد به الاهل قرابة ويكفي في صحة الاستثنا المعلومية عند المراجعة
الى احوالهم والتفحص عن اعمالهم وجي بعلى لكون السابق ضارا لهم كما جي باللام فيما هو نافع لهم
وفي قوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقوله ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى ومن امن من غيرهم وافراد الاهل منهم للاستثنا المذكور وايراد صيغة
الافراد في امن محافظة على لفظ من للايذان بقلتهم كما اعرب عنه قوله عز قايلا وما امن
معه الا قليل قيل كانوا ثمانية نوح عليه السلام وامراته وبنوه الثلاثة ونساؤهم
وعن ابن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وعنه ايضا انهم كانوا عشرة سوى
نسائهم وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة واولاد نوح سام وحام ويافث
ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نسا واعتبار المعية في
ايمانهم للايما الى المعية في مقر الامان والنجاة وقال اي نوح عليه السلام لمن
معه من المؤمنين كما ينبي عنه قوله تعالى ان ربي لغفور رحيم ولو ارجع الضمير الى الله
تعالى لناسب ان يقال ان ربكم ولعل ذلك بعد ادخال ما امر بحمله في الفلك من
الازواج كانه قيل فحمل الازواج او ادخلها في الفلك وقال للمؤمنين اركبوا فيها
كما سياتي بيانه في قوله تعالى وهي تجري بهم والركوب العلو على شي متحرك ويتعدى بنفسه
واستعماله ههنا بكلمة في ليس لان المامور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن فان اظهر
الروايات انه عليه السلام جعل الوحوش ونظائرها في البطن الاسفل والانعام
في الاوسط وركب هو ومن معه في الاعلى بل لرعاية جانب المحلية والمكانية في الفلك
والسر فيه ان معنى الركوب العلو على شي له حركة اما ارادية كالحيوان او قسرية
كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل في الاول توفر له حظ الاصل فيقال
ركبت الفرس وعليه قوله عز من قايل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وان استعمل
في الثاني يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال ركبت في السفينة وعليه الاية الكريمة
وقوله عز قايلا فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا
ركبا في السفينة خرقها بسم الله متعلق باركبوا حال من فاعله اي اركبوا مسمين
الله تعالى او قايلين بسم الله مجراها ومرساها نصب على الظرفية اي وقت اجرايها
وارسايها على انهما اسما زمان او مصدران كالاجرا والارسا بحذف الوقت كقولك اتيتك
اسلك حفوق النجم او اسما مكان انتصبا بما في بسم الله مجراها ومرساها مستقلة من
مبتدا او خبر في موضع الحال من ضمير الفلك اي اركبوا فيها مجراه ومرساه بسم الله تعالى
بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدين او جملة مقتضبة على ان نوحا امرهم بالركوب
فيها ثم اخبرهم بان اجرايها وارسايها باسم الله تعالى فكيف كان امن له عليه

السلام فقد كان عليه الصلاة والسلام اذا اراد السفر ان تجري بها يقول بسم الله فتجري
واذا اراد ان يرسيها يقول بسم الله فترسو ويجوز ان يكون الاسم مقحما كما في قوله
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراوها وارساوها
اي بقدرته وامره وقري مجريها ومرسيها على صيغة الفاعل مجرورة المحل صفتين
لله تعالى ومجراها ومرساها بفتح الميم مصدرين او زمانين او مكانين من جري ورسا
ان ربي لغفور للذنوب والخطايا رحيم لعباده ولذلك نجاكم من هذه الطامة
والداهية التامة ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على ان نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم
لها بل بمحض فضل الله سبحانه وغفرانه ورحمته على ما عليه راي اهل السنة وهي تجري بهم
متعلق بمحذوف دل عليه الامر بالركوب اي فركبوا فيها مسمين وهي تجري ملتبسة بهم
في موج كالجبال وهو ما ارتفع من الماعند اضطرابه كل موجة من ذلك كجبل في ارتفاعها
وتراكمها وما قيل من الما طبق ما بين السما والارض وكانت السفينة تجري في جوفه
كالحوت فغير ثابت والمشهور انه علا شامخ الجبال بخمسة عشر ذراعا او باربعين ذراعا ولين
صح ذلك فهذا الجريان انما هو قبل انتهاء الخطب كما يدل عليه قوله تعالى ونادى نوح
ابنه كان ذلك انما سبقوا رضيا ان ينقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ يمكن
جريان ما جرى بين نوح عليه السلام وبين ابنه من المفاوضة بالاستدعا الى السفينة
والجواب بالاعتصام بالجبل وقري ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامراته
وكان ربيبه وما قيل من انه كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما فارتكاب
عظيمة لا يقادر قدرها فان جناب الانبيا صلوات الله عليهم وسلامه ارفع من ان
يشار اليه باصبع الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة في الدين وقري ابناه على الندبة
ولكونها حكاية سوغ حذف حرفها وانت خبير بانه لا يلايمه الاستدعا الى السفينة
فانه صريح في انه لم يقع في حياته ناس بعد وكان في معزل اي في مكان عزل فيه نفسه
عن ابيه واخوته وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج الى النداء المذكور
وقيل في معزل من الكفار وقد انفرد وظن نوح انه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه
الى السفينة وقيل كان ينافق اباه فظن انه مؤمن وقيل كان يعلم انه كافر
الا انه ظن انه عند مشاهدة تلك الاهوال ينزجر عما
كان عليه ويقبل الايمان وقيل لم يكن الذي تقدم من قوله تعالى الا من سبق
عليه القول نصا في كون ابنه داخلا تحته بل كان كالمجمل فحملته شفقة الابوة على ذلك
يا بني وقري بفتح اليا اقتصارا عليه من الالف المبدل من يا الاضافة وبكسرها
اقتصارا عليه من يا الاضافة في قولك يا بنيا واسقطت اليا والالف لالتقا الساكنين
لان الرا بعدها ساكنة اركب معنا وقرا ابو عمرو والكسائي وحفص بادغام البا في
الميم لتقاربهما في المخرج وانما اطلق الركوب عن ذكر الفلك لتعينها وللايذان بضيق
المقام حيث حال الجريض دون القريض مع اغنا المعية عن ذلك ولا تكن مع الكافرين
اي في المكان وهو وجه الارض خارج الفلك لا في الدين وان كان ذلك مما يوجبه

كما يوجب ركوبه معه عليه السلام كونه معه في الايمان لانه عليه الصلاة والسلام بصدد التحذير
من المهلكة فلا يلايمه النهي عن الكفر قال ساوي الى جبل من الجبال يعصمني بارتفاعه
من الماء زعما منه ان ذلك كسائر المياه في ازمنة السيول المعتادة التي ربما يتقى منها بالصعود
الى الربى وانى له ذلك السيل الذي هو نقمة ربانية لهلاك الكفرة وان لا محيص من
ذلك سوى الالتجاء الى ملجأ المؤمنين ولذلك اراد عليه الصلاة والسلام ان يبين له
حقيقة الحال ويصرفه عن ذلك الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر ان يجيب بما يطابق
كلامه ويبين من نفي ما اتخذه ملجأ من كونه عاصما له من الماء بان يقول لا يعصمك
منه ما ذكر ونفي العصمة عنه فقط من غير تعرض لنفيه عن غيره ولا لنفي الموصوف
اصالة لكنه عليه السلام حيث قال لا عاصم اليوم من امر الله سلك طريقة نفي الجنس
المنتظم لنفي جميع افراد العاصم ذاتا وصفة كما في توهم ليس فيه داع ولا مجيب اي احد
للمبالغة في نفي كون الجبل عاصما بالوجه المذكور وزاد اليوم للتنبيه على انه ليس
كسائر الايام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص من ذلك
بالالتجاء الى بعض الاسباب العادية وعبر عن الماء في محل الاضمار بامر الله اي عذابه الذي
اشير اليه حيث قيل حتى اذا جاء امرنا تفخيما لشانه وتهويلا لامره وتنبيها لابنه على
خطابه في تسميته ماء وتوهمه انه كسائر المياه التي يتفصى منها بالهرب الى بعض
المهارب المعهودة وتعليلا للنفي المذكور فان امر الله لا يغالب وعذابه لا يرد
وتمهيدا لحصر العصمة في جناب الله عز جاره بالاستثناء كانه قيل لا عاصم من امر الله
الا هو وانما قيل الا من رحم تفخيما لشانه الجليل وايماء الى التعليل وبالاجابة
نزلا للتفعيل واشعارا بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقها على غضبه وكل ذلك لكمال
عنايته عليه السلام بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شان الداهية وقطع اطماعه
الفارغة وصرفه عن التعلل بما لا يغني عنه شيئا وارشاده الى العياذ بالمعاذ الحق عز جاره
وقيل لا مكان يعصم من امر الله الا مكان من رحمه الله وهو الفلك وقيل معنى لا عاصم
لا ذا عصمة الا من رحمه الله وحال بينهما الموج فكان من المغرقين اذ هو انما يتفرع على
حيلولة الموج بينه عليه السلام وبين ابنه لا بينه وبين الجبل لانه بمعزل من كونه
عاصما وان لم يحل بينه وبين الملتجى اليه موج وفيه دلالة على هلاك سائر الكفرة
على ابلغ وجه فكان ذلك امرا مقرر الوقوع غير مفتقر الى البيان وفي ايراد كان دون
صار مبالغة في كونه منهم وقيل يا ارض ابلعي اي انشفي يستعمل في ادراك الحيوان
ما يأكله للدلالة على ان ذلك ليس كالنشف المعتاد التدريجي ماءك اي ما على
وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والانهار وعبر
ذلك وعبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما سلف بامر الله تعالى لان المقام مقام النعم
والتعديل لا مقام التفخيم والتهويل ويا سماء اقلعي اي امسكي عن ارسال المطر
يقال اقلعت السماء اذا انقطع مطرها واقلعت الحمى اي كفت وغيض الماء اي نقص
ما بين السماء والارض من الماء وقضي الامر اي انجز ما وعد الله تعالى من اهلاك قومه

وانجائه

وانجائه باهله وتم الامر واستوت اي استقرت الفلك على الجودي هو جبل بالموصل او بالشام
او بآمل روي انه عليه الصلاة والسلام ركب في الفلك في عاشر رجب ونزل عنها في عاشر
المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين اي هلاكا لهم والتعرض
لوصف الظلم للاشعار بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا
انهم مغرقون ولقد بلغت الآية الكريمة من مراتب الاعجاز قاصيتها وملكت من غرر المزايا
ناصيتها وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمري ان ذلك فوق ما يطيقه
ما تصفه الواصفون فحري بنا ان نوجز الكلام في هذا الباب ونفوض الامر الى ما عند
اولي الالباب والله عنده علم الكتاب ونادى نوح ربه اي اراد ذلك بدليل ما بعده فانه
تعالى فقال رب ان ابني من اهلي وقد وعدتني انجاءهم في ضمن الامر بحملهم في الفلك او انه
على الحقيقة والفاء للتفصيل بعد الاجمال وان وعدك الحق اي وعدك ذلك
او ان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولا اوليا
وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او انت اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم
من الحكمة كالدارع من الدرع وهذا الدعاء منه عليه السلام على طريقة دعاء ايوب عليه السلام
اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين قال يا نوح لما كان دعاؤه عليه السلام
بتنكيره وعدا حيلة كرم مبنيا على كون كنعان من اهله نفى كونه اولا منهم بقوله تعالى
انه ليس من اهلك اي ليس منهم اصلا لان مدار الاهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة
بين المؤمن والكافر او ليس من اهلك الذين امرتك بحملهم في الفلك لخروجه عنهم بالاستثناء
وعلى التقديرين اذ ليس هو من الذين وعدت بانجائهم ثم علل عدم كونه منهم على طريقة الاستئناف
التحقيقي بقوله انه عمل غير صالح اصله انه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة كما في قول
الخنساء فانما هي اقبال وادبار وايثار غير صالح على فاسد اما لان الفاسد
ربما يطلق على ما فسد ومن شانه الصلاح فلا يكون نصا فيما هو من قبيل الفاسد المحض
كالعصيان والمظالم واما للتلويح بان نجاة من نجا انما هي لصلاحه وقرأ الكسائي ويعقوب
انه عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح ولما كان دعاؤه عليه الصلاة والسلام مبنيا على ما ذكر
من اعتقاد كون كنعان من اهله وقد نفى ذلك وحقق ببيان علته فرع على ذلك النهي
عن سؤال انجائه الا انه جيء بالنهي على وجه عام يندرج فيه ذلك اندراجا اوليا فقيل
فلا تسألني اي اذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب مني ما ليس لك به علم اي مطلبا لا تعلم
يقينا ان حصوله صواب وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة عن المسؤول الذي هو
مفعول للسؤال او طلبا لا تعلم انه صواب على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذي هو
مفعول مطلق فيكون النهي واردا في تصريحه في كل من معلوم الفساد ومشتبه الحال ويجوز
ان يكون المعنى ما ليس لك به علم بانه صواب او غير صواب فيكون النهي واردا في مشتبه
الحال ويعلم منه حال معلوم الفساد بالطريق الاولى وعلى التقديرين فهو عام يندرج
تحته ما نحن فيه كما ذكرناه ومعنى الكلام اي صريح في ان نداءه عليه السلام ربه عز وعلا
ليس استفسارا عن سبب عدم انجاء ابنه مع سبق وعد بانجاء اهله وهو منهم كما قيل فان

النهي عبارة عن استفسار ما لم يعلم هو موافق للحكمة اذ عدم العلم بالشيء داع الى الاستفسار
عنه لا الى تركه بل بعد ذلك … منه لانجاء ابنه حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد
اما بتقريبه الى الفلك بتلاطم الامواج او بتقريبها اليه • وقيل او بالاجابة بعلة الحال وبابه
تذكير الوعد في الدعاء فانه مخصوص بالانجاء في الفلك • وقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا
من رحم ومجرد حيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به لظهور امكان عصمة
الله تعالى اياه برحمته وقد وعد بانجاء اهله ولم يكن ابنه مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز
عليه عليه السلام ان يدعوه الى الفلك او يدعو الله لانجائه واعتزاله عنه عليه السلام
وقصده الالتجاء الى الجبل ليس بنص في الاصرار على الكفر لظهور جواز ان يكون ذلك لجهله بانحصار
النجاة في الفلك وزعمه ان الجبل ايضا يجري مجراه او لكراهة الاحتباس في الفلك بل قوله
ساوي الى جبل يعصمني من الماء بعد ما قال نوح عليه الصلاة والسلام ولا تكن مع الكافرين
ربما يطمعه عليه السلام في ايابه • اجيب لم يبق كذبه … اوحى لبعضنا فانما امره
نفسه بنسبته الى المذكورين ربما يشعر بانفراده من الكافرين واعتزاله عنهم وانما
يتعلق ما امره به نوح عليه السلام الا انه عليه الصلاة والسلام لو تامل في شأنه حق
التامل وتفحص عن احواله في كل ما يأتي ويذر لما اشتبه عليه انه ليس من قائد المستثنى
من اهله فلذلك قيل اني اعظك ان تكون من الجاهلين فعبر عن ترك الاولى بذلك
وقرئ فلا تسألن بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء • قال رب اني اعوذ
بك ان اسألك اي اطلب منك من بعد ما ليس لي به علم اي مطلوبا لا اعلم ان حصوله
مقتضى الحكمة او طلبا لا اعلم انه صواب سواء كان معلوم الفساد او مشتبه الحال
او لا اعلم انه صواب او غير صواب على ما مر وهذه توبة منه عليه الصلاة والسلام مما وقع
منه وانما لم يقل اعوذ بك منه او من ذلك مبالغة في التوبة واظهارا للرغبة والنشاط
فيه وتبركا بذكر ما لقنه الله تعالى وهو ابلغ من ان يقول اتوب اليك ان اسألك لما فيه
من الدلالة على كونه امرا هائلا محذورا لا محيص عنه الا بالعوذ بالله تعالى وان قدرته قاصرة
عن النجاة من المكاره الا بذلك • والا تغفر لي ما صدر عني من السؤال المذكور
وترحمني بقبول توبتي اكن من الخاسرين اعمالا بسبب ذلك فان الذهول عن شكر الله تعالى لا سيما
عند وصول مثل النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الاعداء والاشتغال
بما لا يعني خصوصا بمبادي خلاص من قبل في شأنه مما عن صلاح والتضرع الى الله تعالى في
امر … خسران مبين • قيل يا نوح ذكر هذا النداء حكاية عن الامر الوارد
على الارض والسماء وما يتلوه من زوال وقضي الامر واستوت الفلك على الجودي والدعاء
بالهلاك على الظالمين مع حقه ان يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين حسبما وقع في
الخارج اذ حينئذ يتنوه الدعاء بالانجاء لابنه العالم بالهلاك … قبل من استقلاله لغرض
… لقرابة الدين … لقرابة النسب وكان لا بد من الامور الدينية الاصولية
الابعد البينين فيانا على ما وقع في قصة البقرة من تقديم ذكر الامر بذبحها على ذكر قتيل
الذي هو اول القصة وكان حقها ان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا

بعض

نفسه الى الاخر ثقة بتحدي الاستهزاء او قوله المسارعة الى الامتثال وذا تبع ذلك ولو
فتنت القصة … تنبيه لتمادي العز الذي هو تنبيه المتابع ولكن ان الجميع … و
واما ما نحن فيه فليس مما يمكن ان يراعى فيه مثل تلك النكتة اصلا وذاك يعني خلل الترابيه
الدينية عارض للقرابة النسبية الى اخر لا يبوح على نهج سوق الكلام ابتداء بالامر
ذكر … النداء … ذكر ما مر من الجواب المستدعي لذكر ما من
من توبته عليه السلام المؤدي ذكرها الى ذكر قبولها في ضمن الامر الوارد بنزوله
عليه السلام من الفلك بالسلام والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين حسبما
يجي مفصلا • ولا ريب في ان هذه المعاني اخذ بعضها بحجز بعض بحيث لا يكاد يفرق والان
الكريمة المنطوية عليها بعضها من بعض فان ذلك انما يتم بتمام القصة • ولا ريب ان
ذلك انما يكون بتمام الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكر تمام القصة … ذلك
انما يكون عنده ذكر كون كنعان من المغرقين • ولهذه النكتة ازداد حسن موقع
الايجاز البليغ • وفيه فائدة اخرى هي التصريح بهلاكه من اول الامر الى ان يرد قوله
تعالى انه ليس من اهلك الى اخره … عليه الصلاة والسلام فتعين … ما ذكره
من اول الامر بنزول الامر الوارد على الارض والسماء الذي هو عبارة عن تعلق الارادة
الربانية الازلية بما ذكر من الغيض والاقلاع وبين بلوغ امر الله تعالى محله وجريان قضائه
الى … بما ذكر من … وبجاه من نجا … الطوفان واستوت الفلك على الجودي
… عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا … الطوفان
نفعت القصة الى هذه المرتبة وبين ذلك … لما وقع في تضاعيفها ذلك
ما جرى بين نوح وبين رب العزة جلت حكمته فذكر بعده توبته عليه السلام
يتوسل بقوله قيل يا نوح اهبط اي انزل من الفلك • وقرئ بضم الباء بسلام ملتبسا
بسلامة من المكاره كائنة منا او بسلام وتحية منا عليك كما قال سلام على نوح في
العالمين وبركات عليك اي خيرات نامية في نسلك وما يقوم به معايشهم ومعايشهم
من انواع الارزاق • وقرئ بركة وهذا اعلام … من الله تعالى بقبول توبته وخلاصه
من الخسران بفيضان انواع الخيرات عليه في كل ما يأتي ويذر وعلى امم ناشئة
ممن معك متشعبة منهم فمن ابتدائية والمراد الامم المؤمنة المتناسلة ممن معه
الى يوم القيامة وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم … لدلالة ما سبق عليه
ابرار الامم المدلول عليهم … منهم … ان … من تتشعب منهم
على صفتهم … من تتشعب منهم مسلما ومباركا عليه … امم منهم ممتعون في
الدنيا معذبون في الاخرة • وتخصيص الكائنين مع نوح عليه الصلاة والسلام
ومن كون ذريتهم … بدلالة النص يجوز ان يكون من بيانية اي وعلى امم هم
الذين معك وانما سموا امما لانهم متحزبون وجماعات متفرقة او لان جميع الامم انما تتشعب منهم
فحينئذ يكون المراد بالامم الناشئة البعض وفي قوله تعالى وامم سنمتعهم بعض الامم المتشعبة
منهم وهي الامم الكافرة المتناسلة منهم الى يوم القيامة وبعض من الامم المؤمنة الناشئة
منهم … ولانه لو … ومنع ذلك … لان المذكور على خبره الجنة … وقاحية

لان من المذكورة بيانية والمجرورة بتبعيضية او ابتدائية فامم **سنمتعهم** اما في الاخرة
او في الدنيا اليقينا **ثم يمسهم منا عذاب اليم** عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة
الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر • وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض
ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب • وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود
وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وبالعذاب ما نزل بهم **تلك** اشارة الى ما قص من قصة
نوح عليه السلام اما لكونها بتعيينها في حكم البعيد او للدلالة على بعد منزلتها في
خبر **من انباء الغيب** لكونها بتعيينها في حكم البعيد اي من جنسها اي ليست من قبيل سائر الانباء
بل هو نسيج وحده منفردة عما عداها او بعضها **نوحيها اليك** خبر ثان والضمير لها اي
موحاة اليك او هو الخبر ومن انباء متعلق به بعضها فالتعبير بصيغة المضارع لاستحضار
الصورة او حال من انباء الغيب اي موحاة اليك **ما كنت تعلمها انت ولا قومك** خبر اخر
اي مجهولة عندك وعند قومك **من قبل هذا** اي من قبل ايحائنا اليك واخبارك بها
او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت او حال من الهاء في نوحيها
او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكر جهلهم تنبيه على انه عليه الصلاة والسلام
لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يعلموه فكيف يوجد منهم **فاصبر** متفرع
على الايحاء او العلم المستفاد منه المدلول عليه بقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل
هذا اي واذ قد اوحيناها اليك او علمتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة واذية قومك
كما صبر نوح على ما سمعته من انواع البلاء في هذه المدة المتطاولة ومعنى انا طرا الى ما سبق
من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك **ان العاقبة** بالظفر في الدنيا وبالفوز في
الاخرة **للمتقين** كما شاهدته في نوح عليه السلام وقومه فلك فيه اسوة حسنة وفيه
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليل للامر بالصبر فان كون العاقبة الحميدة
للمتقين من دواعي دعاة التقوى والمؤمنين كلهم متقون مما يسليه صلى الله عليه وسلم
ويهون عليه الخطوب ويذهب عنه ما عسى يعتريه من ضيق صدر ويدل على انه يمكن
ان يراد بالتقوى الدرجة الاولى منه اعني التوقي من العذاب المخلد بالتبري من الشرك
وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى • ويجوز ان يراد بالدرجة الثانية وهو ان
يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله
تعالى حق تقاته فان التقوى بهذا المعنى منطو على الصبر المذكور فكانه قيل فاصبر
فان العاقبة للصابرين **والى عاد** متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا في قصة
نوح وهو الناصب بقوله تعالى **اخاهم** اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي واحدا منهم
في النسب كقولهم يا اخا العرب وتقديم المجرور على المفعول ههنا للحذر عن الاضمار قبل
الذكر • وقيل متعلق بالفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا وقد مر في
سورة الاعراف • وقوله تعالى **هودا** عطف بيان لاخاهم وكان عليه السلام من
جملتهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل
هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه

واعرف

واعرف بحاله وارغب في اقتفائه **قال** لما كان ارساله عليه الصلاة والسلام اليهم مظنة للسؤال
عما قال لهم ودعاهم اليه اجيب عنه بطريق الاستئناف فقيل قال **يا قوم اعبدوا الله**
اي وحده كما ينبئ عنه قوله تعالى **ما لكم من اله غيره** فانه استئناف يجري مجرى البيان
للعبادة المامور بها والتعليل للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا
اذ ليس لكم من اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا على لفظه
ان انتم اسمه باتخاذكم الاصنام شركاء له او بقولكم ان الله امرنا بعبادتها **الا مفترون**
عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا **يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني**
خاطب به كل نبي قومه ازاحة لما عسى يتوهمونه وامحاضا للنصيحة فانها ما دامت مشوبة
بالطمع بمعزل عن التاثير وايراد الموصول للتفخيم وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه
اقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر الذي لا يتاتى الا بالجريان
على موجب امره العالي معرضا عن المطالب الدنيوية التي من جملتها الاجر **افلا تعقلون**
اي اتغفلون عن هذه القضية او لا تتفكرون فيها فلا تعقلونها او اتجهلون كل شيء
فلا تعقلون شيئا اصلا فان هذا مما لا ينبغي ان يخفى على احد من العقلاء **ويا قوم**
استغفروا ربكم اي اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالايمان والطاعة
ثم توبوا اليه اي توسلوا اليه بالتوبة وايضا التبري من الغير انما يكون بعد الايمان بالله
تعالى والرغبة فيما عنده **يرسل السماء** اي المطر **عليكم مدرارا** اي كثير الدرور **ويزدكم**
قوة مضافة ومنضمة **الى قوتكم** اي يضاعفها لكم وانما رغبهم بكثرة المطر لانهم كانوا
اصحاب زروع وعمارات • وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلاث سنين
فوعدهم عليه السلام كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل على الايمان والتوبة
ولا تتولوا اي لا تعرضوا عما ادعوكم اليه **مجرمين** مصرين على ما انتم عليه من الاجرام **قالوا**
يا هود ما جئتنا ببينة اي بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوه لفرط عنادهم وعدم
اعتدادهم بما جاءهم من البينات الفائتة للحصر **وما نحن بتاركي الهتنا** اي بتاركي عبادة
عن قولك اي صادرين عن قولك كما ينبئ عنه اسناد حال الوصف الى الموصوف ومعنا
النفي بالنا على ابلغ وجه لدلالته على كونه عليه ولا يتبعه الباء والتعرض لعنوان
المنقول عنهم في سورة الاعراف اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا
وما نحن لك بمؤمنين اي بمصدقين لك في شيء مما تاتي وتذر فيندرج تحته ما دعاهم اليه
من التوحيد وترك عبادة الالهة وفيه من الدلالة على شدة الشكيمة وتجاوز الحد
في العتو ما لا يخفى **ان نقول الا اعتراك** اي ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك **بعض**
الهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الالوهية والمعبودية
بامر من قوله تعالى ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون والتنكير في سوء للتقليل
فانهم لعلهم نسبوا الى العتو كما ينبئ عنه نسبة ذلك الى بعض الهتهم دون كلها والجملة مقول
القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ ومعنى الكلام معطوف لما من قولهم وما نحن بتاركي
الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بحصوله عليه الصلاة والسلام

كأنا لو او حاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعدم قبول الخرافات ونفيا عن
التصديق والعمل بمقتضاه يعنون انا لا نعتقد كلامك الا من قبيل ما لا احتمال للصدق
والكذب من الهذيانات الصادرة عن المجانين فكيف نصدقه ونؤمن به ونعمل بموجبه
ولقد سلكوا في طريق المخالفة والعناد الى سبيل الترقي من الادنى الى الاعلى حيث
اخبروا اولا عن عدم مجيئه عليه السلام بالبينة مع احتمال كون ما جاء به عليه السلام حجة
في نفسه وان لم تكن واضحة الدلالة على المراد ثانيا عن ترك الايمان لمن قوله عليه السلام
في كلامه لم ينفوا الصدق تصريحا لعدم تعويلهم وما نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه عليه السلام
مما يقبل التصديق لم نفوا عنه تلك المرتبة ايضا حيث قالوا ما قالوا قاتلهم الله انى يؤفكون
قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه اي من اشراككم من دون الله
اي من غير ان ينزل به سلطانا كما قال في سورة الاعراف اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم
وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان او مما تشركونه من آلهة غير الله اجاب به عن مقالتهم الحمقاء
المبنية على اعتقاد كون آلهتهم مما تضر وتنفع وانها تعتري من ذلك ولما كان ما وقع اولا منه عليه
السلام في حق آلهتهم من كونها بمعزل عن الالوهية انما وقع في ضمن الامر بعبادة الله تعالى واختصاصها
بها وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يورث شناعة حتى زعموا انها تصيبه عليه السلام بسوء
مجازاة بصنيعه معها صرح عليه السلام بالحق وصدع به حيث اخبر ببراءته عنها بالجملة
الاسمية المصدرة بان واشهد الله تعالى على ذلك وامرهم بان يشهدوا ذلك ويسمعوه وابدا اهانته
بهم بتراميهم بالاجتماع والاحتشاد مع آلهتهم جميعا دون الله يعني منهم حسبما يشعر به قوله
بعض التناصر والتعاون في ايصال الكيد اليه عليه الصلاة والسلام وتهاونه بالانظار
والامهال في ذلك فقيل فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اي ان صح ما لوحتم به من كون
آلهتكم مما يقدر على اضرار من ينال منها وصدعنا عن عبادتها ولو بطريق ضمني فاني بريء منها
فكونوا انتم معها جميعا وباشروا كيدي ثم لا تمهلوني ولا تحوجوني في ذلك فالعقلاء
تصريح الاستهزاء عليهم في زعمهم المستمر ما قالوا وعلى البراءة كليهما ومن اعظم المعجزات
فانه عليه السلام كان مفردا بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ
الشداد وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقرهم وآلهتهم وهيجهم على مباشرة مبادي المضادة
وحثهم على التصدي لاسباب المعاداة والمعاداة فلم يقدروا على مباشرة شيء مما كلفوه
وظهر عجزهم عن ذلك ظهورا بينا كيف لا وقد التجأ الى ركن رفيع منيع واعتصم بحبل
متين حيث قال اني توكلت على الله ربي وربكم يعني انكم وان بذلتم في مضادتي مجهودكم
لا تقدرون على شيء مما تريدون بي فاني متوكل على الله تعالى وانا جازم بالحفظ الذي لا يخفى به
ادل على الاثبات المناسب المتقادم او نحو كذا لانه وجيء بربي وربكم وهو مالكي ومالككم
لا يحيق بي مكركم ولا يصيبني امر لا يريده وقد بين ذلك عليه بقوله ما من دابة
الا هو آخذ بناصيتها اي الا هو مالك لها قادر عليها يصرفها كيف يشاء غير مستعصية عليه
فان الاخذ بالناصية تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم تعليل لما يدل عليه التوكل
من عدم قدرتهم على اضراره اي هو على الحق والعدل فلا يكاد يسلطكم علي اذ لا يضيع عنده معتصم

ولا

ولا يفوته ظالم والاقتصار على اضافته الى نفسه اما بطريق الاكتفاء لظهور المراد واما
لان فائدة كونه تعالى مالكا لهم راجعة اليه عليه السلام فان تولوا اي تتولوا بحذف احدى
التاءين اي ان تستمروا على ما كنتم عليه من التولي والاعراض فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم
اي لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان بلغكم الحق فابيتم الا التكذيب والجحود
ويستخلف ربي قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بان الله تعالى يهلكهم ويستخلف في ديارهم
واموالهم قوما آخرين او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بالجزم عطفا
على الموضع كأنه قيل فان تولوا يعذرني ويهلككم ويستخلف مكانكم آخرين وفي اقتضاء
اضافة الرب اليه عليه السلام رمز الى اللطف به والتدمير للمخاطبين ولا تضرونه
شيئا من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن جزم ويستخلف اسقط منه النون ان ربي
على كل شيء حفيظ اي رقيب مهيمن فلا يخفى عليه اعمالكم فيجازيكم بحسبها او حافظ مستول
على كل شيء فكيف يضرني وهو الحافظ للكل ولما جاء امرنا اي نزل عذابنا او المعبر عنه بالامر
مضافا الى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالمجيء ما لا يخفى من التفخيم والتهويل او ورد امرنا
بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه وكانوا اربعة آلاف برحمة عظيمة كائنة
منا وهي الايمان الذي انعمنا به عليهم بالتوفيق له والهداية اليه ونجيناهم من عذاب
غليظ اي كانت تلك التنجية تنجية من عذاب غليظ وهي السموم التي كانت تدخل انوف الكفرة
وتخرج من ادبارهم فتقطعهم اربا اربا وقيل اريد بالثانية عذاب الآخرة ولا عذاب
اشد منه ولا اغلظ وعطف التنجية وان لم تكن معنا مجيء الامر بل لم يجيء بها تكملة للنعمة
عليهم وتعريضا بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب
الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم
جحدوا بآيات ربهم كفروا بها بعد ما استيقنوها وعصوا رسله جمع الرسل مع انه لم يرسل
اليهم غير هود عليه السلام تفظيعا لحالهم واظهارا لكمال كفرهم وعنادهم ببيان ان
عصيانهم له عليه الصلاة والسلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق
كلمتهم على التوحيد لا نفرق بين احد من رسله فلا يجوز ان يراد بالآيات ما اتى به هود
وغيره من الانبياء عليهم السلام وفيه زيادة ملائمة لما تقدم من جمع الآيات وما تأخر
من قوله واتبعوا امر كل جبار عنيد من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة الى الضلال والى تكذيب
الرسل فكأنه قيل عصوا كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد ومعنى الوصف كما سبق من
جحود الآيات وعصيان الرسل في النموذج والكلف منهم فان الاتباع للامر من اوصاف الاسافل
دون الرؤساء وعنيد فعيل من عند عندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى
الهدى واطاعوا من دعاهم الى الردى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ابعادا عن الرحمة
وعن كل خير اي جعلت اللعنة لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتبعية للمبالغة فكأنها لا تفارقهم
وان ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا ولوقوعه في صحبة اتباعهم رؤساءهم
يعني انهم لما اتبعوهم اتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم جزاء وفاقا ويوم القيامة اي واتبعوا يوم القيامة
ايضا لعنة وهي عذاب النار المخلد حذف لدلالة الاولى عليه وللايذان بان كونه

كل من اللعنتين نوعا ايتد له تعالى فان واحد بان تعالى واتبعوا في هذه الدنيا ويوم القيمة لعنة
كما في قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة • وفي الآخرة اي آتنا بالخلاف نوعي الحسنتين
فان المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة الاخروية
الثواب والرحمة الا ان عادا كفروا ربهم اي بربهم او نعمة ربهم حملا له على النقيض الذي هو
الشكر او جحدوا الا بعدا لعاد دعا عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين تسجيلا عليهم باستحقاق
الهلاك واستيجاب الدمار وتكرير حرف التنبيه واعادة عاد للمبالغة في تفظيع حالهم والحث
على الاعتبار بقصتهم قوم هود عطف بيان لعاد فايدته التمييز عن الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم
للبعد بسبب ما جرى بينهم وبين هود عليه السلام وهم قومه والى ثمود اخاهم صالحا عطف
على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا وثمود قبيلة من العرب سميت باسم ابيهم الاكبر
ثمود بن عابر بن ارم بن سام • وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وصالح عليه
السلام هو ابن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود • ولما كان الاخبار بارساله
اليهم مظنة لان يسأل ويقال فماذا قال لهم فقيل جوابا عنه بطريق الاستيناف قال يا قوم
اعبدوا الله اي وحده وعلل ذلك بقوله ما لكم من اله غيره ثم زاد في ترغيبهم على الايمان والتوحيد
وتحريضهم على زيادة الاخلاص فيه بقوله هو انشأكم من الارض اي هو كونكم وخلقكم
منها لا غيره فان خلق ادم عليه السلام منها خلق لجميع افراد البشر
منها لما مر مرارا من ان خلقه عليه السلام لم يكن مقصورا على نفسه بل كانت انموذجا
منطويا على خلق جميع ذرياته التي كانت ستوجد الى يوم القيمة • وقيل ان خلق ادم عليه
السلام وانشا مواد النطف التي منها خلق نسله من التراب انشاء لجميع الخلق من الارض
واستعمركم فيها اي عمركم واستبقاكم فيها اي من العمارة اي اقدركم على عمارتها او امركم
بها • وقيل هو من العمرى يعني اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم
معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه فان ما
ذكر من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم من التفريط والتوبة عما كانوا
يباشرونه من القبائح وقد زيد في بيان ما يوجب ذلك فقيل ان ربي قريب اي قريب الرحمة
لقوله تعالى ان رحمت الله قريب من المحسنين مجيب لمن دعاه وسأله وقد روعي في النظم
الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار والتوبة
واخر عنه ذكر الغاية المتاخرة عنها في الوجود اعني الاجابة قالوا يا صالح قد كنت فينا
مرجوا اي كنا نرجو منك لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخايل الرشاد ان تكون لنا
سيدا او مستشارا في الامور • وعن ابن عباس رضي الله عنه فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل
كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه قبل هذا الذي باشرته من الدعوة الى التوحيد
وترك عبادة الالهة او قبل هذا الوقت فكانهم لم يكونوا الى الان على ياس من ذلك ولو بعد
الدعوة الى الحق فالان قد انصرم عنك رجاؤنا • وقرا طلحة مرجئا بالمد والهمزة اتنهانا ان
نعبد ما يعبد اباؤنا اي عبدوه والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية وانا
لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد وترك عبادة الاوثان وغيره كالبرء من الاستغفار

والتوبة

والتوبة مريب اي موقع في الريبة من اربته اي اوقعته في الريبة اي قلق النفس وانتفاء
الطمانينة او من ارابه اذا كان ذا ريبة واياما كان فالاسناد مجازي والتنوين فيه
وفي شك للتفخيم قال يا قوم ارايتم اي اخبروني ان كنت في الحقيقة على بينة
حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة من ربي مالكي ومتولي امري واتاني منه من جهته رحمة
نبوة وهذه الامور وان كانت محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا
لحال المخاطبين ورعاية لحسن المحاورة لاستنزالهم عن المكابرة فمن ينصرني من الله
اي ينجيني من عذابه والعدول الى الاظهار لزيادة التهويل والاشعار بعلة الانكار وترتيب
النفي على ما سبق من ايتاء النبوة وكونه على بينة من ربه على تقدير العصيان حسبما
يعرب عنه قوله تعالى ان عصيته اي بالمساهلة في تبليغ الرسالة والمجاراة معكم
فيما تاتون وما تذرون فان العصيان من ذلك شانه ابعد والمؤاخذة عليه الزم
والانكار عليه ادخل فما تزيدونني اذا باستتباعكم اياي كما ينبئ عنه قولهم قد كنت
فينا مرجوا فيما بيننا اي لا تفيدونني اذ لم يكن فيه اصل الخسران حتى تزيدوه غير
تخسير اي غير ان تجعلوني خاسرا بابطال اعمالي والتعرض لسخط الله تعالى او فما تزيدونني
بما تقولون غير ان انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم لخاسرون فالزيادة على معناه
والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم من انكاره على تقدير العصيان
مع تحقق ما ينفيه من كونه عليه الصلاة والسلام على بينة من ربه وايتائه النبوة ويا
قوم هذه ناقة الله لكم الاضافة للتشريف والتنبيه على انها مفارقة لما يجانسها من حيث الخلقة
ومن حيث الخلق لكم اية معجزة دالة على صدق نبوتي وهي حال من ناقة الله والعامل
ما في هذه من معنى الفعل ولكم حال من اية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تاخرت
لكانت صفة لها • ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان ولكم خبرا او
عاملا في اية فذروها تاكل في ارض الله ترعى نباتها وتشرب ماءها واضافة
الارض الى الله عز وجل لتربية استحقاقها لذلك وتعليل الامر بتركها وشانها ولا
تمسوها بسوء مبالغ في النهي عن التعرض لها بما يضرها حيث نهى عن المس الذي هو من مبادي
الاصابة ونكر السوء اي لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من السوء فضلا عن عقرها
وقتلها فياخذكم عذاب قريب اي قريب النزول • روي انهم طلبوا منه ان
يخرج لهم من صخرة تسمى الكاتبة ناقة عشراء جوفاء وبراء فقالوا ان فعلت ذلك صدقناك فقال
فاخذ صالح عليهم مواثيقهم وقال ان فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه
سبحانه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وهم
ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فامن به جندع بن عمرو في جماعة ومنع الباقين
من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت الناقة
مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون
ما شاؤوا حتى تمتلي اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها
انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق عليهم ذلك فعقروها •

بيانه بنت عمر ما طول عمرها ام عمرو وصدقة بنت المختار **فعقروها** واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا
اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت
الصخرة بعد رغائه فدخلها **فقال** لهم صالح **تمتعوا** اي عيشوا **في داركم** اي في منازلكم او في الدنيا
ثلاثة ايام قيل قال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم
العذاب **ذلك** اشارة الى ما يدل عليه الامر بالتمتع ثلاثة ايام من نزول العذاب عقيبها والمراد
بما فيه من معنى البعد تفخيمه **وعد غير مكذوب** فيه فحذف الجار للاتساع المشهور كقوله
• ويوم شهدناه سليما وعامرا • او غير مكذوب على المجاز وكأن
الوعد قال له اني بك فان وفي به صدق فيه والا كذب او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود
والمعقول **فلما جاء امرنا** اي عذابنا او امرنا بنزوله وفيه من التهويل ما لا يخفى **نجينا صالحا**
والذين آمنوا معه متعلق بنجينا او بآمنوا **برحمة** بسبب رحمة عظيمة **منا** وهي بالنسبة
الى صالح النبوة والى المؤمنين الايمان كما مر او ملتبسين برحمة ورأفة منا **ومن خزي يومئذ**
اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب
غليظ على معنى انه كانت التنجية تنجية من خزي يومئذ اي من ذلته ومهانته او ذلهم وفضيحتهم
يوم القيامة كما فسر به العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيامة
بعد تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا • وعن نافع بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف
اليه هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ • وقرئ بالتنوين ونصب يومئذ **ان ربك**
الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم **هو القوي العزيز** القادر على كل شيء والغالب عليه لا
غيره ولكون الاخبار بتنجية الاولياء لا سيما عند الانباء بحلول العذاب اهم ذكرها اولا لا تراخيه
عن ذكر الاهلاك فقال **واخذ الذين ظلموا** عدل عن المضمر الى المظهر تسجيلا عليهم بالظلم
واشعارا بعليته لنزول العذاب بهم **الصيحة** اي صيحة جبريل عليه السلام وقيل اتتهم من
السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم •
وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة ولعلها وقعت عقيب الصيحة المستتبعة لتموج
الهواء **فاصبحوا** اي صاروا **في ديارهم** في بلادهم او مساكنهم **جاثمين** هامدين لا
يتحركون • والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة •
كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ وسرعته اللهم
انا نعوذ بك من حلول غضبك • قيل لما راوا العلامات التي بينها صالح من اصفرار وجوههم
واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين •
ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو يوم الاحد تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فتقطعت
قلوبهم فهلكوا **كأن لم يغنوا** اي كأنهم لم يقيموا **فيها** في بلادهم او في مساكنهم وهو في موقع
الحال اي اصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم في مقام قط **الا ان ثمودا** وضع موضع
المضمر لزيادة البيان ونونه ابو بكر هنا وفي النجم وقرأ حفص هنا وفي الفرقان وفي العنكبوت
بغير تنوين **كفروا ربهم** صرح بكفرهم بكونه مقتضى ما سبق من احوالهم تقبيحا لحالهم وتعليلا
لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك في قوله تعالى **الا بعدا لثمود** وقرأ الكسائي بالتنوين

ولقد

ولقد جاءت رسلنا ابراهيم وهم الملائكة عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم جبريل عليه
السلام وملكان • وقيل هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام • وقال
الضحاك كانوا تسعة • وعن محمد بن كعب جبريل ومعه سبعة • وعن السدي احد
عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم • وعن مقاتل كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام
وانما اسند اليهم مطلق المجيء بالبشرى دون الارسال لانهم لم يكونوا مرسلين اليه
بل الى قوم لوط لقوله تعالى انا ارسلنا الى قوم لوط وانما جاؤوه للداعية البشرى ولما
كان المقصود من السورة الكريمة صنيع الامم السالفة مع الرسل المرسلة اليهم
ولحوق العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم ابراهيم عليه السلام ممن
لحق بهم العذاب بل انما لحق بقوم لوط منهم خاصة غير الاسلوب المطرد فيما سبق من
قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا ثم رجع اليه حيث قيل
والى مدين اخاهم شعيبا **بالبشرى** اي ملتبسين بها قيل هي مطلق البشرى المنتظمة
للبشارة بالولد من سارة • لقوله تعالى فبشرناها باسحاق الآية • وقوله
وبشرناه بغلام حليم • وقوله وبشروه بغلام عليم • وللبشارة بعدم لحوق
الضرر به • لقوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا
لعدم المجادلة على نجيتها كما يأتي • وقيل هي البشارة بهلاك قوم لوط • ويأباه مجادلته
عليه السلام في شأنهم • والظاهر انها البشارة بالولد وسيعرف سر تفريع المجا
على ذلك • ولما كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بانهم ما قالوا
اجيب بانهم **قالوا سلاما** اي سلمنا او نسلم عليك سلاما ويجوز ان يكون نصبه
بقالوا اي قالوا قولا ذا سلام او ذكروا سلاما **قال سلام** اي عليكم سلام او
سلام عليكم حياهم باحسن من تحيتهم • وقرئ سلم كحرم في حرام • وقرأ ابن عبلة
قال سلاما • وعنه انه قرئ بالرفع فيهما **فما لبث** اي ابراهيم **ان جاء بعجل** اي
في المجيء به او فما لبث مجيئه بعجل **حنيذ** اي مشوي بالرضف في الاخدود • وقيل
سمين يقطر ودكه لقوله بعجل سمين من حنذ الفرس اذا عرقته بالجلال **فلما رأى**
ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم للاكل **نكرهم** اي انكرهم يقال نكره
وانكره واستنكره بمعنى وانما انكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعام
ظنوا انه لم يجئ بخير • وقد روي انهم كانوا ينكتون بقداح كانت في ايديهم في اللحم
ولا تصل اليه ايديهم ومنشأ الانكار منه عليه الصلاة والسلام راجع الى العلم
المذكور • واما انكاره المتعلق بانفسهم فلا تعلق له برؤية عدم اكلهم وانما وقع ذلك
عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعهده من الناس كما يومئ الى قوله تعالى في
سورة الذاريات سلام قوم منكرون **واوجس منهم** اي اوجس واضمر من جهتهم **خيفة**
لما ظن ان نزولهم لامر انكره الله تعالى عليه او لتعذيب قومه وانما اخر المفعول الصريح
عن الظرف لان المراد الاخبار بانه عليه الصلاة والسلام اوجس من جهتهم شيئا هو الخيفة
لا انه اوجس الخيفة من جهتهم لا من جهة غيرهم • وتخفيه ان تأخير ما حقه التقديم

يوجب ترتب الفعل عليه فيتمكن منه وروده عليها فحينئذ يحكي قالوا لا تخف قالوه بمجرد ما رأوا
منه مخايل الخوف اذ لا علم لهم بما يخطر بباله عليه السلام وله قال تعالى في سورة الحجر قال
انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بذلك انا ارسلنا ظاهره انه استئناف
في معنى التعليل للنهي المذكور كما في قوله تعالى انا نبشرك بغلام لكن لما كان ارسالهم الى
قوم آخرين يوجب منهم من الخوف اي ارسلنا بالعذاب الى قوم لوط خاصة الا انه
ليس لذلك فان قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون صريح في انهم قالوا جوابا عن سؤاله
عليه السلام وقد اوجز الكلام اكتفاء بذلك وامرأته قائمة وراء الستر بحيث تسمع محاورتهم
او على رؤوسهم للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اي قالوا وهي قائمة فضحكت
سرورا بزوال الخوف او بهلاك اهل الفساد او بهما جميعا وقيل بوقوع الامر حسبما كانت
تقول فيما سلف فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني ادري ان العذاب نازل
بهؤلاء القوم وقيل ضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وهو بعيد
وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحاق اي عقبناه سرورها بسرور اتم منه على ألسنة رسلنا
ومن وراء اسحاق يعقوب بالنصب على انه مفعول لما دل عليه فبشرناها اي وهبنا
لها من وراء اسحاق يعقوب وقرئ بالرفع على الابتداء خبره الظرف اي من بعد اسحاق يعقوب
مولود او موجود وكلا الاسمين داخل في البشارة بعينه اذ واقع في الحكاية بعد ان ولد
فسمياه به وتوجيه البشارة هنا اليها مع ان الاصل في ذلك ابراهيم عليه السلام
للايذان بان ما بشر به يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على الولد قالت استئناف
وارد جوابا عن سؤال من سأل وقال فماذا قالت اذ بشرت فقيل قالت يا ويلتى اصله
الويل الخزي ثم شاع في كل امر فظيع والالف مبدلة من ياء الاضافة كما في يا لهفا ويا عجبا
وقرأ الحسن على الاصل وامالها ابو عمرو وعاصم في رواية ومعناه يا ويلتى احضري
فهذا اوان حضورك وقيل هي الف الندبة ويوقف عليها بهاء السكت أألد وانا
عجوز بنت تسعين او تسع وتسعين سنة وهذا اي الذي تشاهدونه بعلي اي زوجي
واصل البعل القائم بالامر شيخا وكان ابن مائة وعشرين سنة ونصبه على الحال والعامل
معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر
او هو الخبر وبعلي بدل من اسم الاشارة انما تالله وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير
في أألد لتقرير ما فيه من الاستبعاد وتعليله اي أألد وكلانا على حالة منافية
لذلك وانما قدمت بيان حالها على بيان حاله عليه الصلاة والسلام لان مباينة حالها
لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد للشيوخ من الشواب اما العجائز واو من عقام فلا ولان
البشارة متوجهة اليها صريحا ولان العكس في البيان ربما يوهم من اول الامر نسبة المانع
من الولادة الى جانب ابراهيم عليه السلام وفيه ما لا يخفى من المحذور واقتصارها في الاستبعاد
على ولادتها من غير تعرض لحال النافلة لانها المستبعد واما ولادة ولدها فلا يتعلق
بها استبعاد ان هذا اي ما ذكر من حصول الولد من هرمين مثلنا لشيء عجيب بالنسبة
الى سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده ومقصد الجملة تعليل الاستبعاد بطريق الاستئناف

التحقيقي

التحقيقي ومقصدها استعظام نعمة الله عز وجل عليهما في ضمن الاستعجاب العادي او استبعاد ذلك
بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى قالوا أتعجبين من امر الله اي من قدرته وحكمته او تكوينه
او شأنه انكروا عليها تعجبها من ذلك لانها كانت ناشئة في بيت النبوة ومهبط الوحي والآيات
ومظهر المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان حقها ان تتوقر ولا يزدها ما يزدهي
سائر النساء من امثال هذه الخوارق من لطائف الله سبحانه وتعالى الخفية ولطائف صنعه
الفائضة على كل احد ممن يتعلق بذلك مشيئته الازلية لا سيما على اهل بيت النبوة التي
ليست مرتبتهم عند الله تعالى كرتبة سائر الناس وان تسبح الله تعالى وتحمده وتمجده والى ذلك
اشاروا بقوله تعالى رحمة الله التي وسعت كل شيء واستتبعت كل خير وانما وضع المظهر موضع
المضمر لزيادة تشريفها وبركاته اي خيراته النامية المتكاثرة في كل باب التي من جملتها
هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم
منهم وكلهم من ولد ابراهيم عليه السلام عليكم اهل البيت نصب على المدح او الاختصاص
لانهم اهل بيت خليل الرحمن وصرف الخطاب من صيغة الواحدة الى الجمع لتعميمه
حكمه لابراهيم عليه السلام ايضا ليكون جوابهم لها ايضا ان حظه منه مثل ما حظها لها
والجملة كلام مستأنف علل به انكار تعجبها كانه قيل ايها لك مقام التعجب فان الله
تعالى على كل شيء قدير ولستن بمستعظمة امثال النبوة والكرامة والزلفى كما بر الطوائف بل رحمته
المستتبعة لكل خير الواسعة لكل شيء وبركاته اي خيراته النامية الفائضة منه تعالى
نائلة الرحمة الواسعة لازمة لكم لا تفارقكم انه حميد فاعل لما يوجب الحمد مجيد كثير
الخير والاحسان الى عباده والجملة تعليل لما سبق من قوله رحمة الله وبركاته عليكم
فلما ذهب عن ابراهيم الروع اي ما اوجس منهم من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وعرفان
سبب مجيئهم والفاء لربط بعض احوال ابراهيم عليه السلام ببعض غب انقضائها بما
ليس بأجنبي من كل وجه بل له مدخل تام في السياق والسباق وتأخير الفاعل عن الظرف
لانه مصب الفائدة فان بتأخيره ما حقه التقديم تبقى النفس مستشرفة الى وروده فيتمكن
فيها عند وروده اليها فضل تمكن وجاءته البشرى اي قربت البشرى بقولهم لا تخف فسمه
ذهاب الخوف ونحا السرور للمجادلة المدلول عليها بقوله تعالى يجادلنا في قوم لوط اي
جادل رسلنا في شأنهم وعدل الى صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها او لطفق يجادلنا
ظاهر وانما اتى فرب بشارة الولد او بالعلم فلعله مسببه لها من حيث انها تفيد
زيادة اطمئنان بسلامته وسلامة اهله كافة ومجادلته اياهم انه قال لهم
حين قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين
اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا
قال ارأيتم ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا
قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الآية قيل المتبادر من هذا الكلام ان يكون ابراهيم
عليه الصلاة والسلام علم انهم مرسلون لاهلاك قوم لوط قبل ذهاب الروع عن نفسه ولكن
لم يقدر على مجادلتهم في شأنهم لاشتغاله بشأن نفسه فلما ذهب عنه الروع فرغ لها

مع ان ذهاب الروع انما هو قبل العلم بذلك بقوله تعالى قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط • فلما كان لوط عليه السلام على ما تخذ ابراهيم عليه السلام وقومه مكذبين به فلما راى من الملائكة ما راى خاف على نفسه وكافة امته التي من جملتهم قوم لوط • ولا ريب في تقدمه منه الخوف عكسه على قولهم لا تخف • واما الذي عليه عليه السلام بعد النهي عن الخوف فهو اختصاص قوم لوط بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فتامل والله الموفق ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام ممن اساء اليه اواه كثير التاوه على الذنوب والتاسف على الناس منيب راجع الى الله تعالى والمقصود بتعداد صفاته الجميلة المذكورة بيان ما حمله عليه السلام على ما صدر عنه من المجادلة يا ابراهيم اي قالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال انه اي الشان قد جاء امر ربك اي قدره الجاري على وفق قضائه الازلي الذي هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسبما تعلقهما بالاشياء في اوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر وانهم اتيهم عذاب غير مردود لا بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما ولما جاءت رسلنا لوطا قال ابن عباس رضي الله عنهما انطلقوا من عند ابراهيم الى لوط عليه السلام وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه في صفة غلمان مرد حسان الوجوه فلذلك سيء بهم اي ساءه مجيئهم لظنه انهم اناس فخاف ان يقصدهم قومه ويعجز عن مدافعتهم • وقرا نافع وابن عامر والكسائي وابو عمرو ويعقوب باشمام السين الضم • روي ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرها قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت به قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رايت مثل وجوههم قط وضاق بهم ذرعا اي ضاق بمكانهم صدره او قلبه او وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه • وقيل ضاقت نفسه عن هذا الحادث وذكر الذرع مثل وهو المساعدة ولانه اذا قدر الله مجاز اي ان يده ضاقت فلم يصل من احمال ما وقع • وقيل الذراع اسم الجارحة من المرفق الى الانامل والذرع مدها • ومعنى ضيق الذرع في قوله تعالى ضاق بهم ذرعا قصرها كما ان معنى سعتها وبسطها طولها ووجه التمثيل بذلك ان القصير الذراع اذا مدها ليتناول ما يتناوله الطويل الذراع تقاصر عنه وعجز عن تناوله فضرب مثلا للذي قصرت طاقته دون بلوغ الامر وقال هذا يوم عصيب شديد بليغ عصبه اذا اشتد وجاءه اي لوطا وهو في بيته مع اضيافه قومه يهرعون اليه اي يسرعون كانما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه والجملة حال من قومه وكذا قوله ومن قبل اي ومن قبل هذا الوقت كانوا يعملون السيئات اي جاءوا مسرعين اي والحال انهم كانوا المنهمكين في عمل السيئات وتمرنوا فيها حتى لم يبق عندهم قباحتها ولذلك لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم مسرعين مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم عنهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعيته فان تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم

ابنتيه

ابنتيه من عتبة ابن ابي لهب وابي العاص بن الربيع وبما كان الى • وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه • واياما كان فقد اراد به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه جاريا على الحقيقة من ارادة النكاح بل كان ذلك لقصد في التواضع لهم واظهار الشدة انتقاصه بما اوردوا واعليه طمعا في ان يستحيوا منه ويتركوا له اذا سمعوا ذلك فينزجروا عما هم عليه مع ظهور الامر واستقرار العلم عندهم جميعا بان لا مناكحة بينهم وهو الانسب بقولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق كما ستقف عليه فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون في ضيفي اي لا تفضحوني في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق الصريح ويرعوي عن الباطل القبيح قالوا معرضين عما نصحهم به من الامر بتقوى الله تعالى والنهي عن اخزائه مجيبين عن اول كلامه لقد علمت ما لنا في بناتك من حق مستشهدين بعلمه بذلك يعنون انك قد علمت ان لا سبيل الى المناكحة بيننا وبينك وما عرضك علينا الا عرض سابري ولا مطمع لنا في ذلك وانك لتعلم ما نريد من اتيان الذكران ولما يئس عليه السلام من ارعوائهم عما هم عليه من الغي قال لو ان لي بكم قوة اي لو ثبت ان لي بكم ما دفعتكم ومنعتكم ما صنعتم لقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى او اوي الى ركن شديد عطفا على ان لي بكم قوة لما فيه من معنى الفعل اي لو قويت بنفسي او اويت الى ناصر عزيز قوي امتنع به عنكم يشبه بركن الجبل في الشدة والمنعة • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد • وروي انه عليه الصلاة والسلام اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما راى الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا اي الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك بضرر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحيه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم • كما قال تعالى فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء • وقرا ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السري والفاء لترتيب الامر بالسرى على الاخبار برسالتهم المؤذنة بورود الامر والنهي من جنابه عز وجل اليه عليه السلام بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد اي لا يتخلف او لا ينظر الى ورائه منكم احد وانما نهوا عن ذلك ليجدوا في السير فان من يلتفت الى ما وراءه لا يخلو عن ادنى وقفة • او ليلا يروا ما ينزل بهم لقومهم من العذاب فيرقوا لهم الا امراتك استثناء من قوله تعالى فاسر باهلك • ويؤيده ان قوله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك • وفي الاية دليل على فاسر باهلك ... الخلف لا يبغي النظر الى الخلف ... الذي ... ما مور بالاسراء ... والترحم

كونه مأمورا بذلك والاعتذار بأن مقتضى الرفع انما هو مجرد كونها معهم وذلك لا يستدعي الامر
بالاسراء بها لان المنهي عن الالتفات هو الذي يكون عليه التبعة حتى يلزم المناقضة لجواز ان تسري هي بنفسها
كما يروى انه عليه الصلاة والسلام لما اسرى باهله تبعتهم فلما سمعت هدة العذاب التفتت
وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وان تسري بها عليه الصلاة والسلام من غير امر بذلك
اذ موجب النصب انما هو عدم الاسراء بها لا النهي عن الاسراء بها حتى يكون عليه الصلاة والسلام
بالاسراء بها مخالفا للنهي لا يجدي نفعا لان انصراف الاستثناء الى الالتفات يستدعي بقاء الامر
على العموم فيكون الاسراء بها مأمورا به قطعا. وفي حمل الاهلية في احدى القرائتين على الاهلية
الدينية وفي الاخرى على النسبية مع ان فيه ما لا يخفى من التحكم والاعتساف كر على ما فر منه
من المناقضة **فالاولى** حينئذ جعل الاستثناء على القرائتين من قوله لا يلتفت مثله في
قوله ما فعلوه الا قليل منهم فان ابن عامر قراه بالنصب وان كان الافصح الرفع على البدل
ولا بعد في كون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها
عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علله على طريقة الاستيناف بقوله **انه مصيبها ما اصابهم**
من العذاب وهو امطار الحجارة لا الخسف والضمير في انه للشان. وقوله تعالى
مصيبها خبر. وقوله ما اصابهم مبتدأ والجملة خبر لان الذي باسمه ضمير الشان وفيه ما لا يخفى
من تفخيم شان ما اصابهم. ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع **ان موعدهم الصبح**
اي موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للامر بالاسراء والنهي عن الالتفات المشعر بالحث على
الاسراع **اليس الصبح بقريب** تاكيد للتعليل فان قرب الصبح داع الى الاسراع في الاسراء
للتباعد عن مواقع العذاب. وروي انه قال للملائكة عليهم السلام متى موعد هلاكهم قالوا
الصبح قال اريد اسرع من ذلك فقالوا ذلك وانما جعل ميقات هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة
والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ افظع ولانه انسب بكون ذلك عبرة للناظرين.
فلما جاء امرنا اي وقت عذابنا وموعده وهو الصبح **جعلنا عاليها** اي عالي قرى قوم لوط وهي
التي عبر عنها بالمؤتفكات وهي خمس مدائن فيها اربعمائة الف الف **سافلها** اي قلبناها
على تلك الهيئة وجعل عاليها اولا مفعولا اول للجعل وسافلها مفعولا ثانيا له وان تحقق
القلب بالعكس ايضا لتهويل الامر وتفظيع الحال الخطب لان جعل عاليها الذي هو مقارهم
ومساكنهم سافلها اشد عليهم واشق من جعل سافلها عاليها روي انه رفعها الى السماء مع اهلها
حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم. واسناد الجعل والامطار اليه
سبحانه باعتبار انه المسبب ولتفخيم الامر وتهويل الخطب **وامطرنا عليها** على اهل المدائن
او شذاذها **حجارة من سجيل** من طين متحجر لقوله حجارة من طين. واصله سنك كل فعرب
وقيل هو من اسجله اذا ارسله او اعطيته. والمعنى من مثل الشيء المرسل ومثل العطية في
الادرار او من السجل اي مما كتب الله تعالى ان يعذبهم. وقيل اصله من سجين اي من جهنم
فابدلت لامه نونا **منضود** نضد في السماء نضدا معدا للعذاب. وقيل يرسل بعضه اثر
بعض كقطار الامطار **مسومة** معلمة للعذاب. وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به
عن حجارة الارض او باسم من يرمى به **عند ربك** في خزائنه التي لا يتصرف فيها غيره عز وجل

وماهي

وما هي اي الحجارة الموصوفة **من الظالمين** من كل ظالم **ببعيد** فانهم بسبب ظلمهم مستحقون
لها وملابسون لها وفيه وعيد شديد لاهل الظلم كافة. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه سال جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بمعرض حجر يسقط عليه من
ساعة الى ساعة. وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم
واسفارهم الى الشام. وتذكير البعيد على تاويل الحجارة بالحجر او اجرائه على موصوف
مذكر اي بشيء بعيد او بمكان بعيد فانها وان كانت في السماء وهي في غاية البعد من الارض
الا انها حين هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بهم فكانها بمكان قريب منهم او لانه على زنة المصدر
كالزئير والصهيل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث **والى مدين** اي اولاد
مدين بن ابراهيم عليه السلام او جعل اسما للقبيلة بالغلبة او اسم مدينة وهو بلد
بناه فسمي به **اخاهم** اي نسيبهم **شعيبا** وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال
له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه والجملة معطوفة على قوله تعالى والى ثمود اخاهم
صالحا اي وارسلنا الى مدين شعيبا **قال** استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من صدر
الكلام كانه قيل فماذا قال لهم فقيل كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام **يا قوم اعبدوا
الله** وحده ولا تشركوا به شيئا **ما لكم من اله غيره** تحقيق للتوحيد وتعليل للامر به وبعد ما
امرهم بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب على المكلفين نهاهم عن ترتيب مبادي ما اعتادوه
من البخس والتطفيف عادة مستمرة فقال **ولا تنقصوا المكيال والميزان** لكي تتوسلوا بذلك
الى بخس حقوق الناس **اني اراكم بخير** اي ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك او
بنعمة من الله تعالى حقها ان تقابل بغير ما تاتونه من المسامحة والتفضل على الناس شكرا عليها
او ان الكم بخير فلا تزيلوه عما انتم عليه من الشر وهو على كل حال علة للنهي عقبت بعلة
اخرى اعني قوله عز وجل **واني اخاف عليكم** ان لم تنتهوا عن ذلك **عذاب يوم محيط**
لا يشذ منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم مهلك من قوله تعالى واحيط بثمره واصله من
احاطة العدو والمراد عذاب يوم القيامة او عذاب الاستيصال. ووصف اليوم
بالاحاطة وهي حال العذاب على الاسناد المجازي وفيه من المبالغة ما لا يخفى فان اليوم
زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل
عليه منه كما اذا احاط بنعيمه. ويجوز ان يكون من قبيل للكلام والنهي جميعا
ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اي بالعدل من غير زيادة ولا نقصان
فان الزيادة في الكيل والوزن وان كانت تفضلا ومندوبا اليه لكنها في
الآلة محظورة كالنقص فلعل الزائد للاستعمال عند الاكتيال والناقص للاستعمال
وقت الكيل وانما امر بتسويتهما وتعديلهما صريحا بعد النهي عن نقصهما مبالغة في الحمل
على الايفاء والمنع من البخس وتنبيها على انه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس بل يجب
عليهم اصلاحهما حسبما افسدوه وجعلوه معيارا لظلمهم وقانونا لعدوانهم **ولا
تبخسوا الناس** بسبب نقصهما وعدم اعتدالهما **اشياءهم** التي يشترونها بهما وقد صرح
بالنهي عن البخس بعد ما علم في ضمن النهي عن نقص المكيال والامر بايفائه اهتماما

فانه ونحوها للزجر في ايفاء الحقوق بعد الترغيب والزجر عن نقصها • ويجوز ان يكون
المراد بالامر بايفاء المكيال والميزان الامر بايفاء المكيلات والموزونات ويجوز
ان يكون النهي عن البخس عاما للنقص في المقدار وغيره تعميما بعد التخصيص كما في قوله
تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثي يعم بخس الحقوق وغيره من انواع
الفساد • وقيل البخس المكس كاخذ العشور في المعاملات • قال زهير بن ابي سلمى

أفي كل اسواق العراق اتاوة • وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم •

والعثي في الارض السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد
به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام • وقيل
معناه لا تعثوا في الارض مفسدين امر آخرتكم ومصالح دينكم بقية الله اي ما ابقاه
لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطي المحرمات خير لكم مما تجمعون بالبخس والتطفيف
فان ذلك هباء منثور بل شر محض وان زعمتم ان فيه خيرا كقوله تعالى يمحق الله الربا
ويربي الصدقات ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع
الثواب باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان لا محالة او ان كنتم
مصدقين في مقالتي • وقيل البقية الطاعة • كقوله تعالى والباقيات الصالحات
خير • وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ
احفظكم من القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ من سوء العقبى
قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا من الاوثان اجابوا به لما
امرهم عليه السلام بان يعبدوا الله تعالى وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الاصنام
ولعلهم لم يلتفتوا الى ذلك وبلغوا الغاية في مراتب الخلاعة والمجون والعناد حيث لم
يكتفوا بذلك بانكار الوحي والامر بذلك حتى ادعوا ان لا امر به من العقل واللب اصلا
وانه من احكام الوسوسة والجنون وبنوا على ذلك استفهامهم بطريق الاستهزاء
التي هي من نتائج الوسوسة والافعال المخالفة عبادة الاوثان التي توارثناها ابا
عن جد وانما جعلوه عليه السلام مامورا مع ان الصادر عنه انما هو الامر بعبادة
الله تعالى وغير ذلك من الشرائع لانه عليه السلام كان كثير الصلاة معروفا بذلك
وكانوا اذا رأوه يصلي يتغامزون ويتضاحكون فكانت هي من بين شعائر الدين
ضحكة لهم • وقرئ صلوتك او ان نفعل في اموالنا جواب عن امره عليه السلام بايفاء
الحقوق ونهيه عن البخس والنقص معطوف على ما اي او ان نترك ان نفعل في اموالنا
ما نشاء من الاخذ والاعطاء والزيادة والنقص • وقرئ بالتاء في الفعلين عطفا
على مفعول تامرك اي اصلواتك تامرك ان تفعل انت في اموالنا ما تشاء ويجوز
العطف على ما بعد ان يراد بالترك معنيان مختلفان • والمراد بفعله
عليه السلام ايجاب الايفاء والعدل في معاملاتهم لا نفس الايفاء فان ذلك ليس من
افعاله عليه الصلاة والسلام بل من افعالهم والامر بكل عطفا على ان نترك لا لأن
الترك ليس مامورا به على الحقيقة بل المامور به تكليفه عليه السلام اياهم وامره

بذلك

بذلك • والمعنى اصلواتك تامرك ان تكلفنا ان نترك ما يعبد آباؤنا وحمله على نهي
اصلواتك تامرك بالتكليف في وسعك وعقيدتك من افاضة غيرك ليكون ذلك منهم
من نعته بما ذكر له عليه السلام واستهزائهم به من تلك الجهة فانه دخل الحمية
على الصلاة دون الامر فينبغي ان يعتبر صدوره عليه السلام في اثناء الدعوة ما
يدل على ذلك او يوهمه وانى ذلك فتأمل • وقرئ بالنون في الاول والتاء في الثاني
عطفا على ان نترك اي او ان تفعل في اموالنا عند المعاملة ما تشاء انت من التسوية
والايفاء انك لانت الحليم الرشيد وصفوه عليه السلام بالوصفين على طريقة التهكم
وانما ارادوا ابلغ ذلك ووصفه بضده كما يقول الخزنة ذق انك انت العزيز الكريم ويجوز
ان يكون تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكر على معنى انك انت الحليم الرشيد
وانما وصفه بهما على الحقيقة فيأباه مقام الاستهزاء الا ان يراد بالصلاة الدين كما قيل
قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما آتاه الله تعالى من
النبوة والحكمة ردا على مقالتهم الشنعاء في جعلهم امره ونهيه غير مستند الى سند من
ربي وما لك امري وايراد حرف الشرط مع جزمه عليه السلام بكونه على ما عليه
من البينات والحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم كما ذكرناه في
نظائره ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا من الحكمة والنبوة ايضا عبر عنهما
بذلك تنبيها على انها مع كونها بينة رزق حسن كيف لا وذلك مناط الحكمة الابدية
له ولامته وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى الكلام اي اتقولون في شأني
ما تقولون • والمعنى انكم تنظمونني في سلك السفهاء الغواة وعددتم ما صدر عني
من الاوامر والنواهي من قبيل ما لا يصح ان يتفوه به عاقل وجعلتموه من احكام الوسوسة
والجنون فاستهزأتم بي وبافعالي حتى قلتم ان ما امرتكم به من التوحيد وترك
عبادة الاصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف مما يأمركم به امر العقل ويقضي به
قاضي الفطنة وانما يأمر به صلواتك التي هي من احكام الوسوسة والجنون فاخبروني
ان كنت من جهة ربي ومالك اموري ثابتا على النبوة والحكمة التي ليس وراءها غاية
للكمال ولا مطمح لطامح ورزقني بذلك رزقا حسنا اتقولون في شأني وشأن افعالي
ما تقولون مما لا خير فيه ولا شر وراءه فمعنى انتفى الجواب الذي يستدعيه السياق
ويساعده النظم الكريم • واما ما قيل من ان المحذوف أيصح لي ان لا آمركم بترك عبادة
الاوثان والكف عن المعاصي او هل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية
والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه فبمعزل من ذلك وانما يناسب تقديره
ان حمل كلامهم على الحقيقة واريد بالصلاة الدين على معنى ادينك يأمرك بترك عبادة
الهتنا العصبية وترك التصرف المطلق في اموالنا وتخالفنا بذلك ونشق عصانا وفي
ما لا ينبغي ان يعد رعيا فانك انت المشهور بالحلم الفاضل والرشد الكامل فيما
كما كان يقول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا امس وداخل ذلك النمط فاجيبوا بانه
به • وقد ... على هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن الحلال الذي آتاه الله تعالى •

والمعنى حسبما اخبروني ان كنت نبيا من عند الله تعالى ورزقني مالا حلالا استغني به عن العالمين
ايصح ان اخالف امره واوافقكم فيما تاتون وما تذرون وما اريد بنهيي اياكم عما انهاكم
عنه من البخس والتطفيف ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي اقصده بعد ما وليتم
عنه واستبد به دونكم . يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته
عن كذا اذا كان الامر بالعكس ان اريد اي ما اريد بما اباشره من الامر والنهي الا الاصلاح
الا ان اصلحكم بالنصيحة والموعظة ما استطعت اي مقدار ما استطعت من الاصلاح
والتقييد به للاحتراز عن الاكتفاء بالاصلاح في الجملة لا عن ارادة ما ليس في وسعه
منه وما توفيقي اي كوني موفقا لتوفيق ما اتحريه من اصلاحكم الا بالله اي بتاييده
ومعونته بل الاصلاح من حيث الخلق مستند اليه سبحانه وانا انا من مباديه الظاهرة
قال عليه الصلاة والسلام تحقيقا للحق وازاحة لما عسى يوهمه اسناد الاستطاعة
اليه بازائه من استبداده بذلك عليه توكلت في ذلك معرضا عما عداه فانه القادر
على كل مقدور وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل
من رتبة الاستبداد والاستظهار واليه انيب اي ارجع فيما انا بصدده وجود
ان لا يكون المراد وما كوني موفقا لاصابة الحق والصواب في كل ما آتي واذر الا بهدايته
ومعونته عليه توكلت وهو اشارة الى محض التوحيد الذاتي والعبادي واليه انيب
اي عليه لا على غيره اقبل بشراشري في مجامع اموري . وايثار صيغة الاستقبال على الانسب للتقرر
والتحقق كما في التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار . ولا يخفى ما في جوابه
عليه الصلاة والسلام من مراعاة لطف المراجعة ورفق الاستنزال والمحافظة على
قواعد حسن المحاورة والمجاوزة وتمهيد مناقب الحق بطلب التوفيق من جناب الله عز وجل
والاستعانة به في اموره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ منهم وعدم المبالاة بهم
واما تهديدهم بالرجوع الى الله تعالى للجزاء كما قيل لان الانابة انما هي الرجوع الى الله تعالى
الاختياري بالفعل الى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزاء وما يعمه ويا قوم لا يجرمنكم
اي لا يكسبنكم من جرمته ذنبا مثل كسبته مالا شقاقي معاداتي واصلها ان احد
المتعادين يكون في عدوة وشق والآخر في آخر ان يصيبكم مفعول ثان ليجرمنكم
لا يكسبنكم معاداتكم الى ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من
الريح او قوم صالح من الصيحة والرجفة . وقرأ ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا
اذا جعلته جارما له اي كاسبا له وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل
اكتسبه المال من كسب المال فلا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه ولا فرق بين جرمته
ذنبا واجرمته اياه في المعنى الا ان الاول اخ دا ود على السنة الفصحاء . وقرأ ابو
حيوة مثل ما اصاب بالفتح باضافته الى غير متمكن . كقوله .

. لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت . حمامة في غصون ذات اوقال .

وسق اوال لان نسب الظاهر نسبا للشقاق عن كسب اصابة العذاب لكنه في الحقيقة
نهي للكفرة عن مشاقته عليه السلام على الطف اسلوب وابدعه كما مر في سورة المائدة

عنه

منه قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا ومكانا فان
لم تعتبروا بمن قبلهم من الامم المعدودة فاعتبروا بهم فكأنه انما غير اسلوب التحذير به
ولم يصرح باصابته بل اكتفى بذكر قربهم اياهم ايذانا بان ذلك مغن عن ذكره لشهرته
كونه منظوما في سلك ما ذكر من دواهي الامم المرقومة او ليسوا ببعيد منكم في الكفر فلا يبعد
ان يصيبكم مثل ما اصابهم وافراد البعيد مع تذكيره لان المراد وما اهلاكهم بشيء
المضاف او وما هم بشيء بعيد لان المعنون افادة عدم بعدهم على الاطلاق لا من حيث
خصوصيتهم كونهم قوما او وما هم في زمان بعيد او مكان بعيد ولا يبعد ان يكون ذلك
بكونه على زنة المصادر كالنهيق والشهيق . ولما انذرهم عليه السلام بسوء عاقبة
صنيعهم عقبه طمعا في ارعوائهم عما كانوا فيه يعمهون من طغيانهم بالحمل على الاستغفار
والتوبة فقال واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه مر تفسيره مثله في اول السورة ان ربي
رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود مبالغ في فعل ما يفعل البليغ المودة بمن يوده
من اللطف والاحسان وهذا تعليل للامر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما قالوا يا شعيب
ما نفقه كثيرا مما تقول الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه اي ما نفهم مراده وانما قالوه
بعد ما سمعوا منه دلائل الحق المبين على احسن وجه وابلغه وضاقت عليهم الحيل وعيت
بهم العلل فلم يجدوا الى محاورته سبيلا سوى الصدود عن منهاج العقل والسلوك الى
سبيل الشقاء كما هو ديدن المفحم المحجوج مقابلا للبيان بالسب والابراق والارعاد فجعلوا كلامه
المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وانواع العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم معناه
ولا يدرك فحواه والجوا في ضمن ذلك ان في تضاعيفه ما يستوجب ادنى ما يكون من المؤاخذة
والعقاب ولعل ذلك ما فيه من التحذير من عواقب الامور السالفة ولذلك قالوا
وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع والايقاع والاذى
ولولا رهطك لولا مراعاة جانبهم او لولا معزتهم بعونتنا وبين اظهرنا لرجمناك فان رهطه
الرهط وهو اسم للثلاثة الى السبعة الى العشرة ظهرو هم الوفي مؤلفة ما لا يكاد يقهرهم
وقد ايدوا ذلك بقوله تعالى وما انت علينا بعزيز مكرم محترم حتى نمتنع من رجمك وانما نكف
به عنه للمحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك
دوننا وايلاء الضمير حرف النفي وان لم يكن الخبر فعليا مخالف عن الدلالة على رجوع النفي
على الفاعل دون الفعل لاستلزامه قرينة قوله ولولا رهطك كأنه قيل وما انت علينا بعزيز
بل رهطك هم الاعزة علينا وحيث كان غرضهم من عظمتهم نسبة الى نبي ما فيه عليه السلام
من القوة والمنعة الربانية حسبما يوجبه كونه على بينة من ربه مؤيدا من عنده وتبيينه
رغبته طلب التوفيق منه والتوكل عليه والانابة اليه والى اسقاط ذلك كله عن درجة
الاعتداد به والاعتبار قال عليه الصلاة والسلام في جوابهم يا قوم ارهطي اعز
عليكم من الله فان الاستهانة بمن لا يتعزز الا به عز وجل استهانة بجنابه العزيز وانما
انكر عليهم اعزية رهطه منه تعالى مع ان ما اثبتوه انما هو مطلق عزة الرهط حيث انكر
عليهم او لان نجح عليه الرهط على جنبة الله تعالى واستبقى العزة بالمرة والمعنى

ارهطي اعز عليكم من الله فانه مما لا يكاد يصح والحال انكم لم تجعلوا له تعالى لحظا من العز اصلا
واتخذتموه بسبب عدم اعتدادكم بمن لا تغيب والايام وراءكم ظهريا شيئا منبوذا وراء الظهر
منسيا لا يبالى به منسوب الى الظهر والكسر لتغيير النسب كالامسي في النسبة الى الامس ان ربي
بما تعملون من الاعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه محيط لا يخفى عليه منها خافية
وان جعلتموه منسيا فيجازيكم عليها وجعله ان يكون الانكار للتوبيخ والتكذيب فانهم لما ادعوا
انهم لا يكفون عن رجمه عليه السلام لقوته وعزته بل لمراعاة جانب رهطه رد عليهم ذلك بانهم
ما قدروا الله حق قدره العزيز ولم يراعوا جانبه القوي فكيف يراعون جانب رهطه الاذلة
ويا قوم اعملوا لما راى عليه السلام اصرارهم على الكفر وانهم لا يرعوون عما هم عليه من المعاصي
حتى اجترؤا على العظيمة التي هي استهانتهم به والعزم على رجمه لولا حرمة رهطه قال لهم على
طريقة التهديد اعملوا على مكانتكم اي على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة
اذا تمكن ابلغ التمكن وانما قاله عليه الصلاة والسلام ردا لما ادعوا انهم اقوياء قادرون على
رجمه وانه ضعيف فيما بينهم لا عزة له او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان
ومكانة كمقام ومقامة والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والمشاقة
لي وسائر ما انتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضارتي وايقاع ما في نفوسكم
بنشكم واخرجوا ما في امنيتكم من القوة الى الفعل اني عامل على مكانتي حسبما يؤيدني الله
ويوفقني بانواع التأييد والتوفيق سوف تعلمون لما تهدده عليه السلام بقوله اعملوا على
مكانتكم اني عامل كان مظنة ان يسال منهم سائل فيقول فماذا يكون بعد ذلك
فقيل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه وصف العذاب بالاخزاء تعريضا بما اوعدوه
عليه السلام من الرجم فانه مع كونه عذابا فيه خزي ظاهر حيث لا يكون الا لجناية عظيمة
توجبه ومن هو كاذب عطف على من ياتيه لا انه قسيم له حيث اوعدوه بالرجم وكذبوه
فقيل سوف تعلمون من المعذب والكاذب وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة
على رجمه عليه الصلاة والسلام وفي نسبته الى الضعف والهوان وفي ادعائهم الابقاء عليه
لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالفعلية والاسمية لان كذب الكاذب
ليس مما يترتب كاتيان العذاب بل انما المترتب ظهوره والكذب السابق المستمر ومن اما استفهامية
معلقة للعلم عن العمل كانه قيل سوف تعلمون اينا ياتيه عذاب يخزيه واينا كاذب واما
موصولة اي سوف تعرفون الذي ياتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب واما موصوفة اي سوف تعرفون
الذي ياتيه عذاب والذي هو كاذب وارتقبوا وانتظروا مآل ما اقول اني معكم رقيب
مرتقب فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع وفي زيادة معكم
اظهار منه عليه السلام لكمال الوثوق بامره ولما جاء امرنا اي عذابنا كما ينبئ عنه قوله تعالى
سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه وبه فان الارتقاب يؤذن بذلك نجينا هودا والذين
امنوا معه برحمة منا وهي الايمان الذي وفقناهم له او برحمة كائنة منا لهم وانما
ذكر بالواو كما في قصة عاد لما انه لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب المقتضي لحصول
الثاني معلول له كما في قصتي صالح ولوط فانه قد سبق هناك سابقة الوعد بقوله ذلك

وعد

وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح واخذت الذين ظلموا منهم الذين
العضين تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان ما اخذهم انما اخذهم بسبب ظلمهم الذي سبق فيما
فصل فيه الصيحة قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا وفي سورة الاعراف
فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضي
اليها كما مر بيانه قبل فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها
ولما لم يجعل تعلق العلم في قوله سوف تعلمون من ياتيه عذاب الى اخره نصا في مجيء العذاب
بل من جهة ذلك حيث جيء بعد ذلك امرا مسلم الوقوع غنيا عن الاخبار به حيث جعل شرطا
وجعل تنجيته اهم امرا فبدأنا وابتدأنا بسبق الرحمة التي هي مقتضى الربوبية على الغضب الذي يقتضيه
اثم بموجب جرائمهم وجرائمهم كان لم يغنوا اي لم يقيموا فيها مستمرين في الرفاهية
في اكنافها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود العدو دعاء بالاهلاك اظهارا الى الاطهار وليكون اولى
بطغيانهم الذي ادى بهم الى هذه المرتبة ولتكون انسب منه بهلاكهم ابني عمومة وانابته
شبه هلاكهم بهلاكهم لانهم اهلكا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير ان هؤلاء صيح بهم من فوقهم
واولئك من تحتهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى
البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا
وهي الايات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم ونقص الثمرات والانفس ومنهم من جعلهما اية واحدة وعد منها
اظلال الجبل وليس كذلك فانه لقبول احكام التوراة حين اباه بنو اسرائيل والباء متعلقة
بمحذوف وقع حالا من مفعول ارسلنا او نعتا لمصدره المؤكد اي ارسلناه حال كونه ملتبسا
باياتنا او ارسلناه ارسالا ملتبسا بها وسلطان مبين هو المعجزات الباهرة او هو العصا
والافراد بالذكر لاظهار شرفها لكونها ابهرها او المراد بالايات ما عداها او هما عبارة عن
شيء واحد اي ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وبين كونه سلطانا له على نبوته واضحا في نفسه
او موضحا اياها من ابان لازما ومتعديا او هو الغلبة والاستيلاء كقوله تعالى ونجعل لكما
سلطانا ويجوز ان يكون المراد ما بينه عليه السلام في تضاعيف دعوته حين قال له فرعون
من ربكما فما بال القرون الاولى من الحقائق الرائقة والدقائق اللائقة الى فرعون وملئه
وان من ولهما انما كان بعد مهلك فرعون وقومه قاطبة ليخلص بهما بني اسرائيل فيما ياتون وما
يذرون واما فرعون وقومه فانما كانوا مامورين بعبادة رب العالمين غير سلطانه وترك
العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال بني اسرائيل
من الاسر والقسر وتخصيص ملائه بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة
لاصالتهم في الراي وتدبير الامور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور وانما لم يصرح
بكفر فرعون بايات الله تعالى وانهماكه فيما كان عليه من الضلال والاضلال بل اقتصر على ذكر
شان قبيله فاتبعوا امر فرعون اي امره بالكفر بما جاء به موسى عليه السلام من الحق المبين للايذان
بوضوح حال نكاله وكفره وان ذلك امر محقق الوجود غير محتاج الى الذكر صريحا وانما
المحتاج الى ذلك شان ملائه في اتباعهم المرتب على امر فرعون المبني عن امره على كفره المسبوق

بتبليغ الرسالة للاشعار بعنا جاهم في الاتباع ثم ما دعاهم فرعون الى الكفر وامرهم به فكان ذلك
كلمة لم يتراخ عن الارسال والتبليغ بل وقع جميع ذلك في وقت واحد فوقع اثر ذلك اتباعهم
ويجوز ان يراد بامر فرعون شانه المشهور وطريقته الزائغة فيكون معنى فاتبعوا فاستمروا
على الاتباع والفاء مثلها في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشيء بعد
ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع
حادث فتامل وتوسيط الامثال لدفع توهم الرجوع الى موسى عليه السلام من اول الامر لزيادة
تقبيح حال المتبعين فان فرعون علم في الفساد والافساد والضلال والاضلال واتباعه لفرط
الجهالة وعدم الاستبصار له وكذا الحال في قوله **وما امر فرعون برشيد** الرشد ضد
الغي وقد يراد به محمودية العاقبة فهو على الاول بمعنى المرشد وذي الرشد حقيقة لغوية والا
مجازي وعلى الثاني مجازي والاسناد حقيقي **يقدم قومه** جميعا من الاشراف وغيرهم **يوم
القيمة** اي يتقدمهم من قدمه بمعنى تقدمه وهو استيناف لبيان حاله في الاخرة اي كان يقدمهم
في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه او لتوضيح عدم صلاح امره وقبح
عاقبته **فاوردهم النار** اي موردهم واثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة
شبه فرعون بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء واتباعه بالواردة والنار بالماء
الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار على ضد
ذلك **واتبعوا** اي اتبع الملأ الذين اتبعوا امر فرعون **في هذه** اي في الدنيا **لعنة** عظيمة
حيث يلعنهم من بعدهم من الامم الى يوم القيمة **ويوم القيمة** ايضا حيث يلعنهم من بعدهم من الامم
الى يوم القيمة اهل الموقف قاطبة فهي تابعة لهم حيثما ساروا ودائرة معهم اينما داروا في الموقف
فكما اتبعوا فرعون اتبعتهم اللعنة في الدارين جزاء وفاقا واكتفى ببيان حالهم الفظيعة وشانهم
الشنيع عن بيان حال فرعون اذ حيث كان حالهم هكذا فما ظنك بحال من اغواهم والقاهم
في مهاوي الضلال البعيد وحيث كان شان الاتباع ان يكونوا اعوانا للمتبوع جعلت اللعنة رفدا
لهم على طريقة التهكم فقيل **بئس الرفد المرفود** اي بئس العون المعان وذلك فسر الرفد
بالعطا ولا يلايمه المقام واصله ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم
وهي اللعنة في الدارين وكونه مرفودا من حيث ان كل لعنة معينة وممدة لصاحبتها ومؤيدة
لها **ذلك** اشارة الى ما قص من انباء الامم وبعده باعتبار تقضيه في الذكر والخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره **من انباء القرى** المهلكة ما جنته ايدي اهلها **نقصه عليك**
خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى مقصوص عليك **منها** اي من تلك القرى
قائم وحصيد اي ومنها حصيد حذف لدلالة الاول عليه ما بقي منها بالزرع
القائم على ساقه ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب **وما
ظلمناهم** بان اهلكناهم **ولكن ظلموا انفسهم** بان جعلوها عرضة للهلاك باقتراف
ما يوجبه **فما اغنت عنهم** فما نفعتهم ولا دفعت باس الله تعالى عنهم **الهتهم التي يدعون**
اي يعبدونها **من دون الله** اوثرت صيغة المضارع حكاية للحال الماضية او دلالة على
استمرار عبادتهم لها **من شيء** في موضع المصدر اي شيئا من الاغناء **لما جاء امر ربك** اي حين

مجي

مجيء عذابه وهو منصوب باغنت وقرئ الهتهم اللاتي يدعون على البناء للمجهول **وما زادوهم
غير تتبيب** اي اهلاك وتخسير فانهم انما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم لها **وكذلك** اي ومثل
ذلك الاخذ الذي مر بيانه وهو رفع على الابتداء وخبره قوله تعالى **اخذ ربك** وقرئ اخذ
ربك فمحله النصب على انه مصدر مؤكد اي **اذا اخذ القرى** اي اهلها وانما اسند اليها
للاشعار بسريان اثره اليها حسبما ذكر وقرئ اذ اخذ **وهي ظالمة** حال من القرى وهي في الحقيقة
لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم في الاخذ اجريت الحال عليها وفائدتها الاشعار بانهم انما اخذوا
بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم **ان اخذه اليم شديد** وجيع صعب على الماخوذ لا يرجى منه
الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير **ان في ذلك** اي في اخذه تعالى للامم
المهلكة او في قصصهم **لاية** لعبرة **لمن خاف عذاب الاخرة** فانه المعتبر به حيث يستدل
به بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب السيئات على احوال عذاب الاخرة واما من انكر
الاخرة واحال فناء العالم وزعم ان ليس هو ولا شيء من احواله مستندا الى الفاعل المختار وانما يقع فيه
من الحوادث وانما يقع لاسباب مقتضية من اوضاع فلكية تتفق في بعض الاوقات لا لما ذكر من اعمال
معذبيها الامم الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار تبا لهم ولما لهم من الافكار **ذلك** اشارة
الى يوم القيمة المدلول عليه بذكر الاخرة **يوم مجموع له الناس** اي يجمع له الناس للمحاسبة
والجزاء والتعبير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس
عنه فهو ابلغ من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع **وذلك** اي يوم القيمة مع ملاحظة عنوان الجمع
الناس له **يوم مشهود** اي مشهود فيه حيث يشهد فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء
الظرف مجرى المفعول به • كما في قوله •

في محفل من نواصي الناس مشهود • اي كثير شاهدوه

ولو جعل نفس اليوم مشهودا لفات ما هو الغرض من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره فان
سائر الايام كذلك **وما نؤخره** اي ذلك اليوم الملحوظ بعنواني الجمع والشهود **الا لاجل معدود**
الا لانتهاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة **يوم يات** اي حين ياتي ذلك اليوم الهائل
بانقضاء اجله كقوله تعالى ان تاتيهم الساعة • وقيل يوم الجزاء الواقع فيه • وقيل اي
الله عز وجل فان المقام مقام تفخيم شان اليوم • وقرئ باثبات الياء على الاصل **لا تكلم نفس**
اي لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو العامل في الظرف او الانتهاء المحذوف
في قوله تعالى الا لاجل معدود اي منتهى الاجل يوم ياتي او المضمر المعهود اعني اذكر **الا باذنه**
عز سلطانه في التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موطن من
مواطن ذلك اليوم • وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف
اخر من مواقفه كما ان قوله سبحانه يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها في اخر منها والماذون فيه
فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار الباطلة نعم قد يؤذن فيها ايضا لاظهار بطلانها
كما في قول الكفرة والله ربنا ما كنا مشركين ونظائره **فمنهم شقي** وجبت له النار بموجب الوعيد
وسعيد اي ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الاول عليه وهو من وجبت له الجنة بمقتضى
الوعد والضمير لاهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس او للناس وتقديم الشقي على

السعيد لان المقام مقام التحذير والانذار فاما الذين شقوا اي سبقت لهم الشقاوة ففي
النار اي مستقرون فيها لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما
في اول النهيق وآخره • قال الشماخ يصف حمار الوحش •
• بعيد مدى التطريب اول صوته • زفير ويتلوه شهيق محشرج •
والمراد بهما وصف شدة كربهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه
روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير • وقرئ شقوا بالضم والجملة مستانفة كان سائلا
قال ما شانهم فيها فقيل لهم فيها كذا وكذا او منصوبة المحل على الحالية من النار او من الضمير
في الجار كقوله عز اسمه خالدين فيها خلا انه ان اريد حدوث كونهم في النار فالحال مقدرة
ما دامت السموات والارض اي مدة دوامهما وهذا التوقيت عبارة عن التابيد ونفي
الانقطاع بناء على منهاج قول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وما اختلف
الليل والنهار وما طما البحر وغير ذلك من كلمات التابيد لا تعليق قرارهم فيها بدوام
هذه السموات والارض فان النصوص القاطعة دالة على تابيد قرارهم فيها وانقطاع
دوامهما وان اريد التعليق فالمراد سموات الآخرة وارضها كما يدل عليه النصوص •
كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات • وقوله تعالى واورثنا الارض نتبوأ
من الجنة حيث نشاء • وجزم كل واحد بان اهل الآخرة لابد لهم من مظلة ومقلة
دائمتين يكفي في تعليق دوام قرارهم فيها بدوامهما ولا حاجة الى الوقوف على تفاصيل
احوالهما وكيفياتهما الا ما شاء ربك استثناء من الخلود على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها
الموت الا الموتة الاولى • وقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف
وقوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط غير ان استحالة الامور المذكورة معلومة بحكم العقل
واستحالة تعلق المشيئة بعدم الخلود معلومة بحكم العقل واستحالة تعلق المشيئة بعدم
الخلود معلومة بحكم النقل • يعني انهم مستقرون في النار في جميع الازمنة الا في زمان مشيئة الله
تعالى لعدم قرارهم فيها واذ لا امكان لتلك المشيئة ولا قرارهم فيها بحكم النصوص القاطعة
الموجبة للخلود فلا امكان لانتهاء مدة قرارهم فيها ولدفع ما عسى يتوهم من كون استحالة
تعلق مشيئة الله تعالى بعدم الخلود بطريق الوجوب على الله تعالى ان ربك فعال لما يريد
يعني انه في تخليد الاشقياء في النار بحيث يستحيل وقوع خلافه فعال بموجب ارادته قاضي
بمقتضى مشيئته الجارية على سنن حكمته الداعية الى ترتيب الاجزية على افعال العباد والعدول
عن الاظهار الى الاضمار لتربية المهابة وزيادة التقرير • وقيل هو استثناء من الخلود
في عذاب النار فانهم لا يخلدون فيه بل يعذبون بالزمهرير وبانواع اخر من العذاب
وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله تعالى وخسوءه لهم واهانته اياهم وانت لا تدري
انا وان سلمنا ان المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب المشتملة على انواع العذاب بل
نفس النار فاخراج عذاب الزمهرير من تلك الانواع مقارن لعذاب النار فلا مصداق في
ذلك للاستثناء ولك ان تقول انهم ليسوا بمخلدين في العذاب الجسماني الذي هو عذاب النار
بل لهم من افانين العذاب ما لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى وهي العقوبات والآلام الروحانية

التي لا يقف عليها في مدة الحياة الدنيا المنغمسون في احكام الطبيعة المقصور ادراكهم على ما الفوا
من الاحوال الجسمانية وليس لهم استعداد لتلقي ما وراء ذلك من الاحوال الروحانية اذا القي
اليهم ولذلك لم يتعرض لبيانه واكتفي بهذه المرتبة الاجمالية المنبئة عن التهويل واما
العقوبات وان كانت تعتريهم وهم في النار لكنهم ينسون بما غشيهم من عذاب النار ولا يحسون بها
وهذه المرتبة كافية في تحقيق معنى الاستثناء • هذا وقد قيل الا بمعنى سوى وهو اولى بادي
وقيل ما بمعنى من على ارادة معنى الوصفية فالمعنى ان الذين شقوا في النار مقدار الخلود فيها الا
الذين شاء الله عدم خلودهم فيها وهم عصاة المؤمنين واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين
فيها ما دامت السموات والارض الكلام فيه كالكلام فيما سبق خلا انه لم يذكر هنا ان لهم
فيها بهجة وسرورا كما ذكر في اهل النار ان لهم فيها زفير
وشهيق لان المقام مقام التحذير والانذار الا ما شاء ربك ان حمل على طريقة التعليق
بالمحال فقوله سبحانه عطاء غير مجذوذ نصب على المصدرية من معنى الجملة لان قوله في الجنة خالدين
فيها يقتضي اعطاء وانعاما فكانه قيل يعطيهم عطاء وهو اما اسم مصدر هو الاعطاء او مصدر
بحذف الزوائد • كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا • وان حمل على ما اعد الله تعالى لعباده
الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر للمشيئة او تمييز فان نسبة مشيئة
الخروج الى الله تعالى يحتمل ان تكون على جهة عطاء مجذوذ وعلى جهة عطاء غير مجذوذ فهو رافع
للابهام عن النسبة • قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لاهل الجنة ولم يخبرنا
بالذي يشاء لاهل النار • ويجوز ان يتعلق بكلا النعيمين او بالاول دفعا لما يتوهم
من ظاهر الاستثناء من انقطاعه فلا تك في مرية اي في شك والفاء لترتيب النهي
على ما قص من القصص وبين في تضاعيفها من العواقب الدنيوية والاخروية مما يعبد
هؤلاء اي من جهة عبادة هؤلاء المشركين وسوء عاقبتها او من حال ما يعبدونه من الاوثان
في عدم نفعها لهم • ولما كان مساق النظم الكريم قبيل الشروع في القصص لبيان غاية
سوء حال الكفرة وكمال حسن حال المؤمنين وقد ضرب لهم مثلا فقيل مثل الفريقين
كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون وقد نفى
عليه عقيب ذلك من انباء الرسل الخالية مع رسلهم المبعوثة اليهم ما يتذكر به المتذكر
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كونه في شك من مصير امر هؤلاء المشركين في العاجل
والآجل وعلل ذلك بطريق الاستئناف فقيل ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من
قبل اي هم وآباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادة
آبائهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان والعدول الى صيغة المضارع •
لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها او مثل ما كانوا يعبدونه وقد كان لك دلالة
قول من قال ولقد بلغك ما لحق آباءهم فسيلحقهم مثل ذلك فان تماثل الاسباب يقتضي
تماثل المسببات وانا لموفوهم اي هؤلاء الكفرة نصيبهم اي حظهم المعين لهم حسب جرائمهم
وجرائم آبائهم من العذاب عاجلا وآجلا كما وفينا آباءهم انصباءهم المقدرة لهم او من الرزق

العصي مطمورا فيكون بيانا لما لو جيء باخر العذاب عنهم مع تحقق ما يوجبه غير منقوص حال من كونه
مبين النصيب لقوله تعالى لنوفينهم نصيبهم وفائدته دفع توهم التجوز وجعلها مبينة له لدفع
احتمال كونه منقوصا في حد نفسه مبني على الذهول من كون العامل هو التوفية فتامل ولقد
آتينا موسى الكتاب اي التوراة فاختلف فيه اي في شانه وكونه من عند الله تعالى فآمن
به قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف قومك فيما آتيناك من القرآن وقولهم لولا انزل
عليه كنز او جاء معه ملك وزعمهم انك افتريته ولولا كلمة سبقت من ربك وهي
كلمة القضاء بانظارهم الى يوم القيامة حسب الحكمة الداعية الى ذلك لقضي بينهم اي
لاوقع القضاء بين المختلفين من قومك بانزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميزوا
به عن المحقين وقيل بين قوم موسى [illegible] وانهم اي وان كفار قومك اريد به
بعض من رجع اليهم ضمير بينهم من المكذبين لفي شك عظيم منه اي من القرآن وان
لم يجر له ذكر فان ذكر ايتاء كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه لا سيما بصدد التسلية ينادي
به نداء مريب موقع في الريبة وان كلا التنوين عوض عن المضاف اليه وان كل
المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف
مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اي اجزية اعمالهم واللام الاولى موطئة
للقسم والثانية جواب للقسم المحذوف ولما من الجارة وما الموصولة او الموصوفة
واصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن
الذين او لمن خلق او لمن فريق والله ليوفينهم ربك وقرئ لما بالتخفيف على ان ما مزيدة
للفصل بين اللامين والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم الآية وقرئ لما بالتنوين
اي جميعا كقوله سبحانه اكلا لما وقرئ وان كل لما ليوفينهم على ان نافية ولما بمعنى الا
وقرئ به انه بما يعملون اي بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر خبير بحيث لا يخفى
عليه شيء من جلائله ودقائقه وهو تعليل لما سبق من توفية اجزية اعمالهم فان الاحاطة تبقى
اعمال الفريقين وما يستوجبه كل عمل بمقتضى الحكمة من الجزاء المخصوص يوجب توفيته كما هو حق
حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر فاستقم كما امرت لما بين في تضاعيف القصص المحكية
عن الامم الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل واشير الى ان حال هؤلاء الكفرة
في الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل حال اولئك المعذبين وان نصيبهم
من العذاب واصل اليهم من غير نقص وان تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب قوم موسى عليه
السلام للتوراة وانه لولا سبق كلمة القضاء بتاخير عقوبتهم العامة ومؤاخذتهم
التامة الى يوم القيامة لفعل بهم ما فعل بآبائهم من قبل وانهم لموفون نصيبهم غير منقوص
وان كل واحد من المؤمنين والكافرين يوفى جزاء عمله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالاستقامة كما امر به في العقائد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين ولا
سيما الاعمال الخاصة به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة وتحمل اعباء
الرسالة بحيث يدخل تحته ما امر به فيما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك
وضائق به صدرك الآية وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية

والكمالات

والكمالات النظرية والعملية والخروج من عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي من تاب من
الشرك والكفر وشاركك في الايمان وهو المعني بالمعية [illegible] الحقيقة من عطف الجملة على
الجملة اذ المعنى وليستقم من تاب معك وقيل هو منصوب على انه مفعول معه كما قاله ابو البقاء
والمعنى استقم مصاحبا من تاب معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم بافراط او تفريط فان
كلا طرفي قصد الامور ذميم وانما سمي ذلك طغيانا وهو مجاوزة الحد تغليظا او تغليبا لحال
سائر المؤمنين على حاله صلى الله عليه وسلم انه بما تعملون بصير فيجازيكم على ذلك وهو
تعليل للامر والنهي وفي الآية دليل على وجوب اتباع المنصوص عليه من غير انحراف بمجرد
الرأي فانه طغيان وضلال واما العمل بمقتضى الاجتهاد التابع لعلل النصوص فذلك من
باب الاستقامة كما امر على موجب النصوص الآمرة بالاجتهاد ولا تركنوا اي لا تميلوا ادنى ميل
الى الذين ظلموا اي الى الذين وجد منهم الظلم في الجملة ومدار النهي هو الظلم والجمع باعتبار
جمعية المخاطبين وما قيل من ان ذلك للمبالغة في النهي من حيث ان كونهم جماعة مظنة الرخصة
في مداهنتهم انما يجري ان لو كان المراد النهي عن الركون اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك
فتمسكم بسبب ذلك النار واذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما في الافضاء
الى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما
ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويلقي شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم ويبتهج بالتزيي بزيهم
ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما اوتوا من القطوف الدانية وهي في الحقيقة
من الحبة طفيف ومن جناح بعوضة [illegible] دون ان تميل اليه القلوب
ضعف الطالب والمطلوب والآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل
فان الميل الى احد طرفي الافراط والتفريط ظلم على نفسه او على غيره وقرئ تركنوا على لغة
تميم وتركنوا على صيغة البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء اي من
انصار يمنعون العذاب عنكم والجملة نصب على الحالية من قوله فتمسكم النار ونفي الاولياء
ليس بطريق نفي ان يكون لكل واحد منهم ولي حتى يرد [illegible] مع ان يكون لكل واحد منهم
او وليا لجميعهم مع ان يكون له ولي بل بطريق انتفاء انفسكم الاحاد على الاحاد لكن لا على
معنى استقلال كل منهم بعدم الولي بل على معنى نفي ان يكون لكل واحد منهم ولي ثم لا
تنصرون من جهة الله سبحانه اذ قد سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي
عليكم وثم للتراخي في الرتبة كونهم غير منصورين من جهته تعالى بعد ما اوعدهم العذاب واوجبه
عليهم يجوز ان يكون منزلا منزلة ما ينبغي الاستبعاد فلما بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره لا يقدر
انتج انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلاة طرفي النهار اي غدوة وعشيا وانتصابه على الظرفية
لكونه مضافا الى الوقت وزلفا من الليل اي ساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه
اذا قربه جمع زلفة وعطفه على طرفي النهار والمراد بصلاتهما صلاة الغداة والعصر وقيل
الظهر مع العصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين

وضمه وسكون كسر وبسر وبضمهما وبفتح ودفعة كقرني وقرئ بها ان الحسنات التي من جملتها تلك الصلوات المامور
به من الصلوات يذهبن السيئات التي قل ما يخلو عنها البشر اي يكفرنها وفي الحديث ان
الصلاة الى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنب الكبائر وقيل نزلت في ابي اليسر الانصاري
اذ قبل امراة ثم ندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال عليه الصلاة
والسلام انتظر امر ربي فلما صلى صلاة العصر قال صلى الله عليه وسلم نعم اذهب فانها
كفارة لما عملت او يمنعن من اقترافها لقوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
ذلك اشارة الى قوله تعالى فاستقم فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين اي عظة للمتعظين
واصبر على مشاق ما امرت به في تضاعيف الاوامر السابقة وعما نهيت عنه من الطغيان
والركون الى الذين ظلموا فلعل في الانتهاء عنه مشقة وفيه وجه لتعميم الصبر له اللهم الا
ان يراد به ما لا يخلو عادة خلق البشر عنه من ادنى ميل بحكم الطبيعة من الاستقامة المامور
بها او من يسير ميل بحكم البشرية الى من وجد منه ظلم فان في الاحتراز عن امثاله من المشقة
ما لا يخفى فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي يوفيهم اجور اعمالهم من غير بخس اصلا فانما عبر عن ذلك
بنفي الاضاعة مع ان عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة حقيقية كيف لا والاعمال غير موجبة للثواب
حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع
صدوره عنه سبحانه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه والاظهار في
موضع الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع افادة فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل
للامر بالصبر وفيه ايماء الى ان الصبر على ما ذكر من باب الاحسان فلولا كان فهلا كان
من القرون الكائنة من قبلكم على راي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته او كائنة
من قبلكم اولوا بقية من الراي والعقل او اولو فضل وخير وسميا بها لان الرجل انما يستبقي
مما يخرجه عادة اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم
اي من خيارهم ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان تكون البقية
بمعنى التقوى كالبقيا من التقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله
تعالى وعقابه ويؤيده انه قرئ اولو بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه
اي اولو مراقبة وخشية من عذاب الله كانهم ينتظرون له ينهون عن الفساد في الارض
الواقع فيهم حسبما حكي عنهم الا قليلا ممن انجينا منهم استثناء منقطع اي لكن قليلا منهم انجيناهم
لكونهم على تلك الصفة على ان من للبيان لا للتبعيض لان جميع الناجين ناهون ولا يصح اتصاله
على ظاهر الكلام لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي المذكور الا للقليل من الناجين منهم
كما اذا قلت هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم مريدا الاستثناء للصلحاء من المحضضين على
القراءة منهم نعم يصح ذلك ان جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض فكانه قيل ما كان
من القرون اولو بقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح على البدلية واتبع الذين ظلموا
بمباشرة الفساد وترك النهي عنه ما اترفوا فيه اي انعموا من الشهوات واهتموا بتحصيلها اما
المباشرون فظاهر واما المساهلون فلما لهم في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل المراد
بهم تاركوا النهي وانت خبير بانه يلزم منه عدم دخول مباشري الفساد في الظلم

والاجرام

والاجرام عبارة وكانوا مجرمين اي كافرين فهو بيان لسبب استيجاب الامم المهلكة وهو
فشو الظلم واتباع الهوى منهم وشيوع ترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع
عطف على مضمر دل عليه الكلام ان لم ينهوا واتبع الخ فيكون العدول الى المظهر لادراج
المباشرين معهم في الحكم والتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بعلية ذلك لما حاق بهم من العذاب
او على استئناف يترتب على قوله الا قليلا اي الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع
الذين ظلموا من مباشري الفساد وتاركي النهي عنه فيكون الاظهار مقتضى الظاهر وقوله
وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام
او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبع اي اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع مجرمين ويجوز
ان يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم بانهم قوم مجرمون وقرئ واتبع اي اتبعوا جزاء ما اترفوا
فتكون الواو للحال ويجوز ان يفسر بالمشهورة ويعضده تقديرا لانجا وما كان ربك ليهلك
القرى اي ما صح وما استقام بل استحال في الحكمة ان يهلك القرى التي اهلكها حسبما بلغك
انباؤها ويعلم من ذلك حال باقيها من القرى الظالمة واللام لتاكيد النفي وقوله بظلم
اي ملتبسا به وهو حال من الفاعل اي ظالما لها والتنكير للتفخيم والايذان بان اهلاك
المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره
عنه تعالى والا فلا ظلم فيما يفعله الله تعالى بعباده كائنا ما كان لما تقرر من قاعدة اهل السنة
وقد مر تفصيله في سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد واهلها مصلحون
حال من المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار تقييده بما وقع حالا من فاعله اعني بظلم
لدلالته على تقييد نفي الاهلاك ظلما بحال كون اهلها مصلحين ولا ريب في فساده بل مطلقا
عن ذلك وقيل المراد بالظلم الاشراك والباء للسببية اي لا يهلك القرى بسبب اشراك
اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر وذلك لفرط رحمته
ومسامحته في حقوقه تعالى ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد الفقراء
على حقوق الله الغني الحميد وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم وانت تدري ان مقام
النهي عن المنكرات التي اقبحها الاشراك بالله لا يلايمه فان الشرك داخل في الفساد في الارض دخولا
اوليا ولذلك كان كل من الرسل الذين قصت انباؤهم ينهى اولا عن الاشراك ثم عن سائر المعاصي
التي كانوا يتعاطونها فالوجه حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من اصناف المعاصي
وحمل الاصلاح على اصلاحه والاقلاع عنه بكون بعضهم متصدين للنهي عنه وبعضهم متوجهين الى الاتعاظ
غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من انواع الفساد ولو شاء ربك لجعل الناس امة
واحدة مجتمعة على الحق ودين الاسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه احد ولكن لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقين
على الحق ولا يزالون مختلفين في الحق اي مخالفين له كقوله تعالى وما اختلف
فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم الا من رحم ربك الا قوما قد هداهم
الله تعالى بفضله الى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه اي لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف
الشامل لما يصدر من المحق والمبطل يأباه الاستثناء المذكور ولذلك اي ولذلك من الاختلاف
خلقهم اي الذين بقوا بعد الاستثناء وهم المختلفون فاللام للعاقبة او للترجي بعينه في معناها

او لما واللام لمعنى مجازي بما يرد على المعنيين وتمت كلمة ربك اي وعيده او قوله للملائكة لاملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا التنوين
عوض عن المضاف اليه نقص عليك نخبرك به وقوله تعالى من انباء الرسل بيان لكلا وقوله تعالى
ما نثبت به فؤادك بدل منه والاظهر ان يكون المضاف اليه المحذوف في كلا المفعول المطلق
لنقص اي كل اقتصاص اي كل اسلوب من اساليبه نقص عليك من انباء الرسل وقوله سبحانه ما
نثبت به فؤادك مفعول نقص وفائدته التنبيه على ان المقصود بالاقتصاص زيادة يقينه
عليه السلام وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذية الكفار بالوقوف
على تفاصيل احوال الامم السالفة في تماديهم في الضلال وما لقي الرسل من جهتهم من مكابدة
المشاق وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق الذي لا محيد عنه وموعظة
وذكرى للمؤمنين اي الجامع بين كونه حقا في نفسه حريا بالاعتداد وبين ما هو وصف له بالنسبة الى
غيره وتقديم الظرف اعني في هذه على الفاعل لان المقصود بيان منافع السورة او الانباء المقتصة
واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك فيها لا في غيرها ولان عند تأخير
ما حقه التقديم تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عنده ما فضل تمكن ولما في المؤخر نوع طول
يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقل للذين لا يؤمنون بهذا الحق ولا يتعظون به ولا يتذكرون
اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي هي عدم الايمان انا عاملون على حالنا وهو الايمان به
والاتعاظ والتذكر به وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل بامثالكم
من الكفرة ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرك وامرهم
اليه وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك والفاء
لترتيب الامر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الامور كلها الى الله عز وجل وفي تأخير الامر
بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار بانه لا ينفع دونها وما ربك بغافل عما يعملون فيجازيهم
بموجبه وقرئ تعملون على تغليب المخاطب اي انت وهم فيجازي كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي عشر حسنات بعدد من صدق بكل واحد من
الانبياء المعدودين ومن كذب بهم وكان يوم القيمة من السعداء بفضل الله سبحانه وتعالى

سورة يوسف عليه السلام مائة واحدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر الكلام فيه كالذي في نظائره وتلك اشارة الى الآيات والكتاب في قوله تعالى تلك آيات
الكتاب المبين من ابان بمعنى بان اي الظاهر امره في كونه من عند الله تعالى وفي اعجازه بنوعيه
لا سيما الاخبار عن الغيب او الواضح معانيه للعرب بحيث لا يشتبه عليهم حقائقه ولا يلتبس
لديهم دقائقه لنزوله على لغتهم او بمعنى بين اي المبين لما فيه من الاحكام والشرائع وخفايا
الملك والملكوت واسرار النشأتين في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص
وعلى تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة فالمراد ما فيها من قصة يوسف فانه قد روي ان احبار
اليهود قالوا لرؤساء المشركين سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم لماذا انتقل آل يعقوب عليه السلام

من

من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فنزلت اذ ذاك تكون وصف الكتاب بالابانة
من قبيل براعة الاستهلال لما سيأتي لا وصف الكتاب بالآيات لما في الشرف الاضافي تنبيه
انا انزلناه اي الكتاب المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة فان كان عبارة عن الكل وهو
الاظهر الانسب بقوله تعالى قرآنا عربيا اذ هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا النعت
المتبادر الى الفهم عند اطلاقهما فالامر ظاهر وان جعل عبارة عن السورة فتسميتها قرآنا
لما عرفته فيما سلف والسر في ذلك انه اسم جنس في الاصل يقع على الكل والبعض كالكتاب
او لانه مصدر بمعنى المفعول اي انزلناه حال كونه مقروا بلغتكم لعلكم تعقلون اي لكي تفهموا
معانيه او تحيطوا بما فيه من البدائع خبرا وتطلعوا على انه خارج عن طوق البشر منزل من
عند خالق القوى والقدر نحن نقص عليك اي نخبرك ونحدثك والاستئناف من قص اثره
اذا اتبعه لان من يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن لانه يتبع
ما حفظ منه آية بعد آية احسن القصص اي احسن الاقتصاص فنصبه على المصدرية
وحسنه مع بيان الواقع اشارة الى اختصاصه بما للكتاب من البيع والخلل وترك المفعول اما على
الاعتماد على انفهامه من قوله عز وجل بما اوحينا اي بايحائنا اليك هذا القرآن اي هذه
السورة فان كونها موحاة مبني على كون ما في ضمنها مقصوصا والتعرض لعنوان قرآنيتها لتحقيق ان
الاقتصاص ليس بطريق الالهام او الوحي الغير المتلو واما لظهوره من سؤال المشركين بتلقين علماء اليهود
واحسنيته لانه قد اقتصر على ابدع الطرائق الرائقة واعجب الاساليب الفائقة اللائقة
كما لا يكاد يخفى على من طالع القصة من كتب الاولين والآخرين وان كان لا يميز الغث من السمين
ولا يفرق بين الزلال من المعين وفي كلمة هذا ايماء الى مغايرة هذا القرآن لما في قوله
تعالى قرآنا عربيا بان يكون المراد به المجموع فتأمل او نقص عليك احسن ما يقص من الانباء
وهو قصة آل يعقوب على ان القصص فعل بمعنى المفعول كالنبأ والخبر او مصدر سمي به المفعول
كالخلق والصيد ونصب احسن على المفعولية واحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر
ما لا يخلو حسنه وان كنت ان مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الواقع اسما لها محذوف
واللام فارقة والجملة خبر والمعنى فان الشأن كنت من قبله من قبل ايحائنا اليك هذه السورة
لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم يقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه
موحى والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لاجلال شأن النبي صلى الله عليه وسلم وان غفل
عنه بعض الغافلين اذ قال يوسف نصب باضمار اذكر وشروع في القصة انجازا للوعد باحسن
الاقتصاص او بدل من احسن القصص على تقدير كونه مفعولا بدل الاشتمال فان اقتصاص الوقت
المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله عليه اقتصاص للمقصوص ويوسف اسم عبري لا عربي لخلوه
عن سبب آخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القراءات بناء على التلعب به لا على
انه مضارع بني للمفعول او للفاعل من آسف لشهادة المشهور بعجميته لابيه يعقوب ابن اسحاق
ابن ابراهيم عليهم السلام وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم
يوسف ابن يعقوب ابن اسحاق ابن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء التاء لما قلبت هاء في
الوقف على قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وكسرتها لانها عوض عن حرف يناسبها وفتحها

ابن عباس في كل القرآن لا انها حركة اصلها او لان الاصل يا ابتاه حذف الالف وبقي الفتحة وانما لم يجمع
يا ابت لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الالفاظ المؤنثة بالتاء من غير
اعتبار التعويض وعدم تسكينها كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها
ككاف الخطاب اني رأيت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تاويل
رؤياي ولان الظاهر ان وقوع مثل هذه الامور الغريبة في عالم الشهادة لا يخفى على وجه
رائيه فيكون طامة كبرى لا يخفى على احد من الناس احد عشر كوكبا روي عن جابر
رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم
التي رآهن يوسف عليه السلام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه
السلام فاخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اخبرتك بذلك هل تسلم قال
نعم فقال صلى الله عليه وسلم جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح
والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآهم يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن
له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها ق فسر الشمس والقمر بابويه وفسر ابوه وخالته
والكواكب اخوته وانما اخر الشمس والقمر من الكواكب لاظهار مزيتهما وشرفهما على سائر الطوالع بعطفهما
عليها كما في عطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام وقد يجوز ان تكون الواو
بمعنى مع اي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر ولا يبعد ان يكون ذلك اي تاخر ما فاته عليه السلام
لاخوته وعن وهب ان يوسف عليه السلام رأى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا
طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها
وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن اثني عشر
سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل
وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون سنة رأيتهم لي
ساجدين استيناف لبيان حالهم التي رآهم عليها كأن سائلا سأل فقال كيف رأيتهم فأجاب
بذلك وانما اجريت مجرى العقلاء في الضمير لوصفها بوصف العقلاء اعني السجود وتقديم الجار
والمجرور لاجلها للعناية والاختصاص او للاهتمام في ضمنه من رعاية الفاصلة قال يا بني صغره
للشفقة او لصغر السن او لطافة الجثة وهو ايضا استيناف مبني على سؤال من قال فماذا قال يعقوب
بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة ولما عرف يعقوب عليه السلام من هذه الرؤيا ان يوسف
يبلغه الله تعالى مبلغا جليلا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل
بآبائه الكرام خاف عليه حسد الاخوة وبغيهم فقال صيانة لهم من ذلك ولما له من معاداة
المنافي ومعاناة الشدائد والاحزان وان كان واثقا بان الله تعالى سيحقق ذلك لا محالة
وطامعا في حصوله بلا مشقة لا تقصص رؤياك هي ما في المنام كما ان الرؤية ما في اليقظة
فرق بينهما بحرف التانيث كما في القربى والقربة وحقيقتها ارتسام الصورة المنحدرة من
افق المتخيلة الى الحس المشترك فتنعكس [illegible] الا انه سند بدءة المناسبة لذلك المعنى
بحيث لا يكون التفاوت الا بالجزئية والكلية وامتنعت الرؤيا عن التعبير والاحتياج
اليه على اخوتك فيكيدوا لك [illegible] بامرنا ان فيتعلوا لك اي لاجلك ولاهلاكك كيدا مبينا

راسخا

راسخا لا يتبينه رفع المقتضي عنه او خفيا من نهيك لا تستعدي بدل انعته وسندا او في تمام التحذير
وان كان يعقوب عليه السلام يعلم انهم ليسوا بقادرين على ابطال ما دل الرؤيا عليه وفي وجه
رعاية الاسلوب اكد من ان يقال فيكيدوك ومن كيد اذ بين فيه دلالة على كون نفس الكيد
مقصودا بالايقاع وقد عدي الفعل باللام لتضمينه معنى الاحتيال المتعدي باللام ليفيد معنى
المتضمن والمضمن فيه للتاكيد اي فيحتالوا لك ولاهلاكك حيلة وكيدا والمراد باخوته
ما سوى بنيامين بن يعقوب [illegible] الاحد عشر [illegible] روبيل وشمعون
ولاوي ويهوذا وريالون ويشجر ودان ونفتالي وجاد واشر
من [illegible] وهؤلاء هم المشار اليهم بالكواكب الاحد عشر واما بنيامين الذي
هو شقيق يوسف عليه السلام وامهما راحيل التي تزوجها يعقوب عليه السلام بعد اختها
ليا او في حياتها اذ لم يكن جمع الاختين اذ ذاك محرما [illegible]
[illegible] ولا يخفى [illegible] ولم يكن معهم في الرؤيا اذ لم يكن معهم في السجود ليوسف
والمراد به نهيه عن اقتصاص الرؤيا عليهم كلا او بعضا ان الشيطان للانسان عدو ق
مبين ظاهر العداوة [illegible] في اعواء اخوتك واضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه
وهو استيناف كان يوسف عليه السلام قال كيف يعقل ذلك من اخوتي الناشئين في بيت
النبوة فبين ان الشيطان يحملهم على ذلك ولما نبهه عليه السلام على ان الرؤيا
[illegible] وحسن الاسناد في [illegible] تعبيرها واولها على وجه اجمالي فقال وكذلك اي ومثل
الاجتباء البديع الذي شاهدت آثاره في عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلوية النيرة لك
[illegible] يجتبيك ربك يختارك لجناب كبريائه افتعال من جباه اذا جمعه
[illegible] الخلائق و[illegible] الناس [illegible] ففي الرؤيا في عالم الشهادة
[illegible] والمراد بالتشبيه بيان المضاهاة والمطابقة بين الصور المرئية
في عالم المثال [illegible] من الكائنات الظاهرة بحسبها في عالم الشهادة
اي كما سخرت لك تلك الاجرام العظام [illegible] وجوه [illegible] منه لطاعته
خاضعين لك [illegible] الاستكانة ثم [illegible] بيان اطاعة ابويه واخوته لك
به [illegible] ويعلمك كلام مبتدأ [illegible] التشبيه [illegible] الصلاة والسلام
[illegible] يوسف عليه السلام باخباره على طريقة التعبير والتاويل
كما قال [illegible] من تاويل الاحاديث اي ذلك الجنس من العلوم او طرفا منه فتطلع على
حقيقة ما اقول ولا يخفى ما فيه من تاكيد ما سبق والبعث على تلقي ما ياتي بالقبول والمراد
بتاويل الاحاديث تعبير الرؤيا اذ هي احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او
الشيطان ان لم تكن كذلك والاحاديث اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل
[illegible] كانهم جمعوا احدوثة [illegible] الجمع في الاحاديث كالاقاطيع والاقطعة والاطيح [illegible]
التعبير تاويلا لانه [illegible] الى ما يؤول اليه [illegible] التعبير [illegible]
الصلاة والسلام اشارة بذلك الى ما سبق من يوسف عليه الصلاة والسلام من تعبيره

و رؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك وكون ذلك ذريعة الى ما بلغه الله تعالى من الرياسة العظمى التي هي
منها باتمام النعمة وانما عرف يعقوب عليه السلام ذلك منه عليه السلام من جهة الوحي او اراد
كون هذه الخصلة سببا لظهور امره عليه السلام على الاطلاق فيجوز حينئذ ان يكون معرفته
عليه السلام بذلك بطريق الفراسة والاستدلال من الشواهد والدلائل والامارات
والمخايل بان من وفقه الله تعالى لمثل هذه الرؤيا لا بد من توفيقه لتعبيرها وتاويل
امثالها وتمييز ما هو افاقي منها مما هو انفسي كيف لا وهي تدل على كمال تمكن نفسه عليه السلام
في عالم المثال وقوة تصرفاته فيه فيكون اقبل لفيضان المعارف المتعلقة بذلك العالم
وبما يحاكيه من الامور الواقعة حسبما في عالم الشهادة واقوى واوفق على التسلط لواقعة بين
الصور المعاينة في احد ذينك العالمين وبين الكائنات الظاهرة على وفقها في العالم الاخر ۝
وان معنى الاتيان النبوي لا بد ان يكون امورا جليلة الظهور لا من اتصف به وتعدي الى غيره
احكامه فان لكل نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام معجزة بها تظهر اثاره وتجري احكامه
ويتم نعمته عليك بان يضم الى النبوة المستفادة من الاجتباء الملك ويجعله تتمة لها وتوسيط
ذكر التعليم المذكور بينهما لكونه من لوازم النبوة والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي ولما
اشرنا اليه من كونه ذريعة ووسيلة الى تمام النعمة ويجوز ان تعد نفس الرؤيا من نعم الله تعالى عليه
فيكون جميع النعم الواصلة اليه حسبما تعبر عنها مصداقا لتلك النعمة **وعلى آل يعقوب** وهم
اهله من بنيه وغيرهم فان رؤيا يوسف عليه السلام اخوته كواكب يهتدي بانوارها من
نعم الله تعالى عليهم لدلالتها على مصير امرهم الى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة الى الفعل
من كمالاتهم بحسب ذلك تماما لتلك النعمة لا محالة ۝ واما اذا اريد بتمام النعمة الملك فكونه كذلك
بالنسبة اليهم باعتبار انهم يغتنمون اثاره من العز والجاه والمال **كما اتمها على ابويك**
نصب على المصدرية اي ويتم نعمته عليك اتماما كائنا كاتمام نعمته على ابويك وهي نعمة الرسالة
والنبوة واتمامها على ابراهيم عليه السلام باتخاذه خليلا وانجائه من النار ومن ذبح الولد
وعلى اسحاق وانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه
وكل ذلك نعمة وتتمة لنعمة النبوة ۝ ولا يجب في تحقيق التشبيه كون ذلك في جانب
المشبه به مثل ما وقع في جانب المشبه من كل وجه **من قبل** اي من قبل هذا الوقت او من قبلك
ابراهيم واسحاق عطف بيان لابويك والتعبير عنهما بالاب مع كونهما ابا جده وابا ابيه للاشعار
بكمال ارتباطه بالانبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام وتذكير معنى الولد سر ابيه ليطمئن قلبه
بما اخبر به في ضمن التعبير الاجمالي لرؤياه والاقتصار في المشبه به على ذكر اتمام النعمة من غير
تعرض للاجتباء من باب الاكتفاء فان اتمام النعمة تقتضي سابقة النعمة المستدعية للاجتباء لا محالة
ان ربك استئناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة اي يفعل ما ذكر لانه **عليم** بكل شيء فيعلم من
يستحق الاجتباء وما يتفرع عليه من التعليم المذكور واتمام النعمة العامة في الوجه المذكور
حكيم فاعل كل شيء حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل جريا على سنن علمه وحكمته
والتعرض لعنوان الربوبية لتربية تحقق وقوع ما ذكر من الافاعيل ۝ [illegible] او قد يتبين في
تفسير الاية الكريمة اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك

ربك

ربك للنبوة والملك او لامور عظام ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة
حيث جعلهم في الدنيا انبياء وملوكا ونقلهم منها الى الدرجات العلى في الجنة كما اتمها على ابويك بالرسالة
فتامل ذلك والله الهادي **لقد كان في يوسف واخوته** اي في قصتهم والمراد بهم ههنا جميعهم لان بنيامين
ايضا من القصة او بنو علاته المعدودون فيما سلف اذ عليهم تدور رحاها **آيات** علامات
عظيمة الشان دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته البالغة **للسائلين** لكل من سال
عن قصتهم وعرفها او للطالبين للايات المعتبرين بها فانهم الواقفون عليها والمنتفعون
بها دون من عداهم ممن اندرج تحت قوله تعالى وكاين من آية في السموات والارض يمرون
عليها وهم عنها معرضون فالجمع [illegible] على ما هي عليه من غير [illegible] من احد ولا [illegible] من
[illegible] والمراد بها اقتصاصها والايات حينئذ للاشعار بان اقتصاصها كما طابقه من القصة
اية بينة كافية في الدلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم [illegible] في قوله تعالى [illegible]
على ان يكون عطف بيان لقوله تعالى آيات بيانات لما قبله من [illegible]
وقرا ابن كثير آية وفي بعض المصاحف عبرة ۝ وقيل انما قص الله تعالى على النبي صلى الله عليه
وسلم خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما راى من بغي قومه عليه ليتاسى به **اذ قالوا ليوسف واخوه**
اي شقيقه بنيامين وانما لم يذكروه باسمه [illegible] محبة اخيه ليوسف من الطرفين
الا ترى انهم كيف اكتفوا باخراج يوسف عليه السلام من البين من غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا
يوسف الاية **احب الى ابينا منا** وحد الخبر مع تعدد المبتدا لان افعل من لا يفرق فيه
بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث نعم اذا عرف وجب الفرق ۝ واذا اضيف
جاز الامران والفائدة في لام الابتداء في يوسف تحقيق مضمون الجملة وتاكيده **ونحن عصبة**
اي والحال انا جماعة قادرون على الحل والعقد احقاء بالمحبة والعصبة والعصابة العشرة من الرجال
فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم **ان ابانا** في ترجيحهما علينا بالمحبة مع فضلنا عليهما وكونهما
بمعزل من كفاية الامور بالصغر والقلة **لفي ضلال** اي ذهاب عن طريق التعدل اللائق
وتنزيل كل منا منزلته **مبين** ظاهر الحال روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من مخايل الخير
وكانت اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم
حتى حملهم على مباشرة ما قص عنهم **اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا** من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا
وقد قال بعض منهم مخاطبا للباقين بتقضية العصبة فكانهم رضوا بذلك روي ان القائل شمعون
او دان والباقون كانوا راضين الا من قال لا تقتلوا يوسف فجعلوا كانهم القائلون وادرج الخ
القول المسند الى الجميع اذ كل واحد منهم مخاطبا للبقية [illegible]
[illegible] رضا [illegible] ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران
نصبت نصب الظروف المبهمة **يخل** بالجزم جواب للامر **لكم وجه ابيكم** فيقبل عليكم
بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد فذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم
وتكونوا بالجزم عطفا على يخل وبالنصب على اضمار ان والواو بمعنى مع مثل قوله ولا تكتموا الحق وايا
الخطاب في كلكم وما بعده للاشعار [illegible] فان اعتناء المرء بامر نفسه [illegible]
[illegible] **من بعده** من بعد يوسف او من بعد الفراغ من امره او قتله او طرحه **قوما صالحين**

تائبين إلى الله فلا يبقى عليكم جناح أو صالحين مع أبيكم بإصلاح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه أو صالحين
في أمور دنياكم بانتظامها بعده بخلو وجه أبيكم قال قائل منهم هو يهوذا وكان أحسنهم فيه
رأيا وهو الذي قال فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي إلى آخره وقيل روبيل هو استيناف مبني
على سؤال من قال ثم قال اتفقوا على ما عرض عليهم من خصلتي العقد أو خالفهم في ذلك أحد فقيل
قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف أظهره في مقام الإضمار استجلابا لشفقتهم عليه أو استعظاما للقتل
وهو مع فائدة وهي أنه قال إن القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الأخرى وأحاله
على أولوية ما عرضه عليهم بقوله وألقوه في غيابة الجب أي في قعره وغوره سمي بها لغيبته
عن عين الناظر والجب البئر الذي لم تطو لأنه أرض جبت جبا من غير أن يزاد عليها شيء
وقرأ نافع في غيابات الجب في الموضعين وقرئ غيابات وغيبة يلتقطه يأخذه على وجه
الصيانة عن الضياع والتلف فإن الالتقاط أخذ شيء مشرف على الضياع بعض السيارة أي
بعض طائفة تسير في الأرض واللام في السيارة كما في الجب وما فيه في البعض من الإبهام
لتحقيق ما يتوخاه من ترويج كلامه بموافقته لغرضهم الذي هو تنائي يوسف عنهم بحيث لا يدرى
أثره ولا يروى خبره وقرئ تلتقطه على التأنيث لأن بعض السيارة سيارة كقوله
كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه قطعت بعض
أصابعه إن كنتم فاعلين بمشورتي لم يبت القول عليهم بل إنما عرض عليهم ذلك تأليفا لقلبهم
وتوجيها لهم إلى رأيه وحذرا من نسبتهم له إلى التحكم والافتيات أي إن كنتم فاعلين ما أزمعتم
عليه من إزالته من عند أبيه لا محالة ولما كان هذا مظنة لسؤال سائل يقول فما فعلوا بعد
ذلك هل قبلوا ذلك منه أم لا فأجيب بطريق الاستيناف على وجه أدرج في تضاعيفه
قبولهم له بما سيجيء من قوله وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب فقيل قالوا يا أبانا
خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيرا لرابطة الأخوة بينهم
وبين يوسف عليه السلام ليتسبب ذلك إلى استنزاله عليه السلام عن رأيه في حفظه
منهم لما أحس منهم بأمارات الحسد والبغي فكأنهم قالوا أنت أبونا ما لك أي أي شيء لك لا تأمنا
أي لا تجعلنا أمناء على يوسف مع أنك أبونا ونحن بنوك وهو أخونا وإنا له لناصحون
مريدون له الخير ومشفقون عليه وليس فينا ما يخل بالنصيحة والمقة والقراءة
المشهورة بالإدغام والإشمام وعن نافع ترك الإشمام ومن الشواذ ترك الإدغام
أرسله معنا غدا إلى الصحراء يرتع أي يتسع في أكل الفواكه ونحوها فإن الرتع
هو الاتساع في الملاذ ويلعب بالاستباق والانتضال تفرجا لهما لا يعنى
باب التأسي للهو وإنما عبروا عن ذلك باللعب لكونه على هيئته تحقيقا لما رأوا
من استعطاف يوسف عليه الصلاة والسلام يستعيرون تجويزه على حالة
السلامة وقرئ نرتع ونلعب بالنون وقرأ ابن كثير نرتع ونافع بالكسر والياء
في يلعب وقرئ يرتع من أرتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء
وإنا له لحافظون من أن يناله مكروه أكدوا مقالهم بأصناف التأكيد من إيراد الجملة
الاسمية وتحليتها بأن واللام وإسناد الحفظ إلى كلهم وتقديم له على الخبر احتيالا في تحصيل

مقصدهم

مقصدهم قال استيناف مبني على سؤال ناشئ من مقالهم فإذا قال يعقوب عليه السلام فقيل قال
إني ليحزنني اللام لام الابتداء كما في قوله عز وجل إن ربك ليحكم بينهم أن تذهبوا به لشدة
مفارقته علي وقلة صبري عنه ومنع ذلك وأخاف أن يأكله الذئب لأن الأرض كانت
مذأبة والحزن ألم القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك
أسند الأول إلى الذهاب به المفوت لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف والثاني إلى
ما يتوقع نزوله من أكل الذئب وقيل رأى في المنام أن عليه ذئبا وكان يحذره فقال ذلك
وقد لقنهم العلة وفي أمثالهم البلاء موكل بالمنطق وقرأ ابن كثير ونافع في رواية اليزيدي
بالهمز على الأصل وأبو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا وهو على اشتقاقه من
تذاءبت الريح إذا هاجت من كل جانب وقال الأصمعي رحمه الله الأمر بالعكس وهو الأظهر
لفظا ومعنى وأنتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب أو لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا
لئن أكله الذئب ونحن عصبة أي والحال أنا جماعة كثيرة جديرة بأن يعصب بنا الأمور
العظام وتكفى الخطوب بآرائنا وتدبيرنا واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم
وقوله إنا إذا لخاسرون جواب مجزئ عن الجزاء أي إنا لكون ضعفا وعجزا أو مستحقون
للهلاك إذ لا غناء عندنا ولا جدوى في حياتنا أو مستحقون لأن يدعى علينا بالخسار
والدمار ويقال خسرهم الله ودمرهم حيث أكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل
إن لم نقدر على حفظه وهو أعز شيء عندنا فقد هلكت مواشينا إذا وخسرناها وإنما
اقتصروا على جواب خوف يعقوب عليه السلام من أكل الذئب لأنه السبب القوي في
المنع دون الحزن لقصور مدته بناء على أنهم يأتون به عن قريب فلما ذهبوا به وأجمعوا
أي أزمعوا أن يجعلوه مفعول لأجمعوا يقال أجمع الأمر ومنه فأجمعوا أمركم ولا يستعمل
ذلك إلا في الأفعال التي قويت الدواعي إلى فعلها في غيابة الجب قيل هو بئر بأرض الأردن
وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام يجمعان أي
من نواحي الأردن كان مدين كذلك وإنما قال من أنها بين بيت المقدس ونحوه
فتعليل بالتقاط السيارة ومجيئهم أباهم عشاء لليوم فإن بين منزل يعقوب عليه
السلام وبين بيت المقدس مراحل وجواب لما محذوف إيذانا بظهوره وإشعارا بأن
تفصيله مما لا يحويه فلك العبارة ومجمله فعلوا به من الأذية ما فعلوا يروى أنهم لما
برزوا إلى الصحراء أخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث
فقال يهوذا أما عاهدتموني أن لا تقتلوه فأتوا به إلى البئر فتعلق بثيابهم فنزعوها من يده
فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه
بالدم احتيالا على أبيه فقال لإخوته ردوا علي قميصي أتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر
والأحد عشر كوكبا تؤنسك فدلوه فيها فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط
فيه ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا
أن يرضخوه فمنعهم يهوذا وكان يأتيه بالطعام كل يوم وروي أن إبراهيم عليه السلام حين
ألقي في النار وجرد عن ثيابه أتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه

ابن اسحاق الى اسحاق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف فجاءه جبريل عليه
السلام فاخرجه من التميمة فالبسه اياه واوحينا اليه عند ذلك تبشيرا له بما يؤول
اليه امره وازالة لوحشته وايناسا له قيل كان ذلك قبل ادراكه كما اوحي الى يحيى وعيسى
وقيل كان اذ ذاك مدركا • قال الحسن رحمه الله كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم
هذا اي لتتخلصن مما انت فيه من سوء الحال وضيق المجال ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون
بانك يوسف لتباين حاليك حالك هذا وحالك يومئذ لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك
عن اوهامهم • وقيل لبعد العهد المبدل للهيئات المغير للاشكال والاول ادخل في التسلية
روي انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على
يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف
وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم
اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس • ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بالايحاء على معنى
انا انسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة التي اورثوه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه وحيد
له فتوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وجاؤا اباهم عشاء اي اخر النهار وهو عشي
وهو تصغير عشي وعشي بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين
روي انه لما سمع يعقوب عليه السلام بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا
يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي متسابقين في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال
والتفاعل كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وتركنا يوسف عند متاعنا اي ما
نتمتع به من الثياب والازواد وغيرها فاكله الذئب عقيب ذلك من غير مضي زمان
يعتاد فيه التفقد والتعهد حيث لا يكاد يطرح المتاع عادة الا في مقام يؤمن فيه
الغوائل ولم يعد تركه عليه السلام من باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم لا سيما اذا لم
يبرحوا ولم يغيبوا عنه فكانهم قالوا انا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل
تركناه في مامننا ومجمعنا بمراى منا مع ان مبدا السباق لا يكون عادة الا
بحيث يتراءى غاياته وما فارقناه الا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان
ما كان وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا في هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا في امره ولو كنا
عندك وفي اعتقادك صادقين موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف
فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو في امثال هذه المواقع لبيان تحقق
ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة
له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه
ثبوته او انتفاؤه مع غيره من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي
فلان يتحقق مع غيره اولى • ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو
العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها
وقد مر تفصيله في سورة البقرة عند قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا
ولا يهتدون • وفي سورة الاعراف عند قوله تعالى اولو كنا كارهين وجاؤا

على قميصه محله النصب على الظرفية من قوله بدم اي جاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحمال
وعلى الحالية منه قدمت عليه لان تقدم الحال على المجرور وخاصة اذا لم يكن الحال ظرفا كذب مصدر وصف
به الدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اي مكذوب فيه او بمعنى ذي كذب اي ملابس بكذب
وقرئ كذبا بالنصب على انه حال من الضمير اي جاؤا كاذبين او مفعول له • وقرأت عائشة رضي الله عنها
كدب بالمهملة اي كدر وقيل طري • قال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج
على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه • روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل
عنهم ان يمزقوه • فلما سمع يعقوب بخبر يوسف عليه السلام صاح باعلى صوته وقال اين القميص
فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال والله ما رايت كاليوم ذئبا
احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه • وقيل كان في قميص يوسف عليه السلام
ثلاث ايات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة
يوسف عليه السلام حين قد من دبر قال استئناف مبني على سؤال • فكانه قيل فما قال يعقوب
عليه السلام هل صدقهم فيما قالوا ام لا فقيل قال لم يكن ذلك بل سولت لكم انفسكم
اي زينت وسهلت • قال ابن عباس رضي الله عنهما والتسويل تقدير معنى في النفس مع الطمع
في اتمامه • وقال الازهري كان التسويل تفعيل من سول الانسان وهو امنيته التي يطلبها
فتزين لطالبها الباطل وغيره واصله مهموز وقيل من السول وهو الاسترخاء امرا من
الامور منكرا لا يوصف ولا يعرف فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل • وفي
الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق والا فقد قال يعقوب عليه السلام
انما اشكو بثي وحزني الى الله • وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل
له ما هذا قال طول الزمان وكثرة الاحزان • فاوحى الله عز وجل اليه يا يعقوب اتشكوني
قال يا رب خطيئة فاغفرها لي • وقرئ فصبرا جميلا والله المستعان اي المطلوب
منه العون وهو انشاء منه عليه السلام للاستعانة المستمرة على ما تصفون في اظهار حال ما تصفونه
وبيان كونه كذبا او بيان سلامته فانه علم في الكذب • قال سبحانه سبحان ربك رب
العزة عما يصفون وهو الاليق بما سيجيء من قوله تعالى فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم
جميعا • وتفسيره المستعان عليه احتمال ما يصفون من هلاك يوسف عليه السلام
والصبر على الرزية ياباه تكذيبه عليه السلام لهم في ذلك ولا يساعده الصيغة فانها قد
غلبت في وصف الشيء بما ليس فيه كما اشير اليه وجاءت شروع في بيان ما جرى على يوسف
في الجب بعد الفراغ عن ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيه والتعبير بالمجيء بالنسبة الى
مكانهم لان كنعان ليس بحاجب المعتبر من مدين بل الى مكان يوسف عليه السلام لانبائه
على المرور والاتيان اوحى سابقا الى كونه عليه الصلاة والسلام في الكرامة والزلفى
عنه ملتبسا متقربه • والظاهر ان الجب كان في الاسماء السافلة المسافر في المحجة التي
السيارة مطلقا في قوله عز وجل وجاءت سيارة اي رفقة تسير من جهة مدين الى مصر
ووقوعه باعتبار مسيرهم المعتاد وهو الذي يقتضيه قوله تعالى فيما سلف يلتقطه
بعض السيارة • وقيل انه كان في قعر بئر من العمران لم يكن الا للرعاة فاخطؤا

الطريق فلو اتفق تقاعسه • وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف عليه السلام
فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان ذلك مالك ابن ذعر الخزاعي وانما لم يذكر
مبني الارسال ما لا ريب فيه كما في اعني الجب للايذان بان ذلك معهود لا يحتاج بعينه الى ذكر
صحيحا فادلى دلوه اي ارسلها الى الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فخرج قال
استيناف مبني على سؤال ينسحب عليه الحال يا بشراي هذا غلام كأنه نادى بها البشرى وقال
تعالى فهذا اوانك فان بغيته باردة واي نعمة مكان ما يوجد بها من الماء وقيل هو اسم
صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه • وقرأ غير الكوفيين يا بشراي واما فتحة الراء حمزة
والكسائي • وقرأ ورش بين اللفظين • وقرئ يا بشري بالادغام وهي لغة بشراي على
قصد الوقف واسروه اي اخفاه الوارد واصحابه عن بقية الرفقة • وقيل اخفوا
امره وجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه بمصر • وقيل
الضمير لاخوة يوسف • وذلك ان يهودا كان يأتيه كل يوم بطعام فأتاه يومئذ
فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه
منهم فسكت مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد بضاعة نصب على الحال اي اخفوه
حال كونه بضاعة متاعا للتجارة فانها قطعة من المال يبضع منه اي يقطع للتجارة
والله عليم بما يعملون وعيد لهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف وهو هو عرضة للابتذال
بالبيع والشراء وما دبروا في ذلك من الحيل وشروه اي باعوه والضمير للوارد واصحابه بثمن
بخس زيف ناقص العيار دراهم بدل من ثمن اي لا دنانير معدودة اي غير موزونة فهو
بيان لقلته ونقصانه مقدارا بعد بيان نقصانه في نفسه اذ المعتاد فيما لا يبلغ اربعين
العد دون الوزن • فعن ابن عباس رضي الله عنهما انها كانت عشرين درهما • وعن السدي
انها كانت اثنين وعشرين درهما وكانوا اي الباعون فيه في يوسف من الزاهدين من الذين
لا يرغبون فيما بايديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس وسبب ذلك انهم التقطوه والملتقط
للشيء متهاون به او غير واثق بامره يخاف ان يظهر له مستحق فينزعه منه فيبيعه من اول مساوم
باوكس ثمن ويجوز ان يكون معنى شروه اشتروه من اخوته على ما حكي وهم غير راغبين فيه ايضا
خشية ذهاب ما لهم لما ظن في ادائهم من الاباق والعدول عن صيغة الافتعال المنبئة عن
الاتخاذ لما يشعر من ان احدهم انما كان بطريق البضاعة دون الاجتياد الاقتناء وفيه متعلق
بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما زهدوا فيه ان جعلت موصولة • كأنه قيل
في اي شيء زهدوا فقيل زهدوا فيه لان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول وقال
الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائنه واسمه قطفير وبيان كونه من مصر
لترتيب ما سيتفرع عليه من الامور مع الاشعار بكونه غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر
من الثمن البخس وكان الملك يومئذ الريان ابن الوليد العمليقي وقد مات في حياة يوسف عليه
السلام بعد ان امن به فملك بعده قابوس ابن مصعب فدعاه الى الاسلام فابى • وقيل
كان الملك في ايامه فرعون موسى عليه السلام عاش اربعمائة سنة لقوله عز وجل
ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات • والمشهور ان فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف

عليه

عليه السلام والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء واختلف في مقدار ما اشتراه به
العزيز فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان • وقيل ادخلوه في السوق يعرضونه
فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا ووزنه ورقا ووزنه حريرا فاشتراه قطفير
بذلك المبلغ • وكان سنه اذ ذاك سبع عشرة سنة واقام في منزله مع ما مر عليه من مدة لبثه
في السجن ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة واتاه الله العلم والحكمة
وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة لامرأته راعيل او زليخا
وتبيانا لمهامهم الاول والثاني لبيعها واللام متعلقة بقال لا باشتراه اكرمي مثواه
اجعلي محل اقامته كريما مرضيا • والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر
به في مصالحنا او نتخذه ولدا اي نتبناه وكان ذلك لما تفرس فيه من مخايل الرشد والنجابة
ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استأجره وابو بكر
حين استخلف عمر رضي الله عنهما وكذلك نصب على المصدرية وذلك اشارة الى ما يفهم
من كلام العزيز وما فيه من معنى البعد لتفخيمه اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف
في الارض اي جعلنا له مكانا فيها مكنه فيه اي اثبته فيه ومكن له فيه اي جعل له فيه
مكانا ولتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الآخر • قال عز وجل وكم اهلكنا من قبلهم
من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي ما لم نمكن لكم فيها اي مكانا لهم في الارض الى
اجر والمعنى كما جعلنا له مثوى كريما في منزل العزيز او مكانا عليا ولعله حين امر امرأته دون
ثاني جعله ابتدأه باكرام مثواه جعلنا له مكانة ويعبده في ارض مصر ولعله عبادة عن جعله
وجعلنا قلوب اهلها كافة قلوبهم كانه كان في قلب العزيز لانه الذي يؤدي الى الغاية المذكورة
في قوله تعالى ولنعلمه من تأويل الاحاديث اي نوفقه لتعبير بعض المنامات التي عمدتها رؤيا
الملك وصاحبي السجن لقوله تعالى ذلكما مما علمني ربي سواء جعلنا • معطوفا على غاية مقدرة ينساق
اليها الكلام ويستدعيها النظام • كأنه قيل ومثل ذلك التمكين مكنا ليوسف في الارض
وجعلنا قلوب اهلها كافة محال محبته ليترتب عليه ما يترتب مما جرى بينه وبين امرأة
العزيز ولنعلمه بعض تأويل الاحاديث وهو تأويل الرؤيا المذكورة فيؤدي ذلك الى الرياسة
العظمى • ولعل ترك المعطوف عليه للاشعار مع كونه مرادا بالذات او جعلناه علة
لعلة محذوف • كأنه قيل ولهذه الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكين دون غيرها ما ليس له
عاقبة حميدة • ولا يخفى عليك ان الذي يتسارع اليه فهم الامور انما هو التمكين في جانب
العزيز • واما التمكين في جانب الناس كافة فما دعته الى ذلك انما هي باعتبار اشتماله على ذلك
التمكين فاذا الحق ان يكون ذلك اشارة الى المصدر من قوله تعالى مكنا ليوسف على ان يكون
عبارة عن التمكين في قلب العزيز او في منزله وكون ذلك تمكينا في الارض بملابسة انه
عزيز فيها لا عن تمكين اخر يشبه به كما في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وان ذلك
اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جملة اخرى يقصد تشبيه هذه الجملة به فالكاف
مقحم للدلالة على فخامة شأن المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها
ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل • وسكته ان ينبغي لتحقيق المقام • واما التمكين بمعنى جعله ملكا

يتصرف في ارض مصر بالامر والنهي فهو من آثار ذلك التمكين ونتائجه المتفرعة عليه كما عرفته •
لا من مباديه المؤدية اليه فلا سبيل الى حمله غاية له ولم يعهد منه عليه السلام في تعبيره
قضايا ما هي بموجب المنامات المنبهة على الحوادث مثل وقوعها بعد امتحانه حمله غاية لولا انه
مما وقع في التذكار الذي في امر السجين فانما هو عمل بموجب الرؤيا السابقة المعهودة • اللهم الا
ان يراد بتعليمها تاويل الاحاديث ما سبق من تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقائق سنن
الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيكون المعنى حينئذ مكناه في ارض مصر ليتصرف فيها
بالعدل فيقضي بها بين اهلها ولنعلمه تعليما اجماليا لتلك المعاني والاحكام وان كان ذلك
متاخرا عن تمكينه بل المعنى الآن لنعلمه كل معنى يتحقق في ضمن الحوادث والارشاد الى
الحق في كل نازلة من النوازل متاخر عن ذلك صالح لان يكون غاية له **والله غالب على امره**
لا يمتنع عليه امر ولا ينازعه شيء بل انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فيدخل في
ذلك شؤونه المتعلقة بيوسف دخولا اوليا او غالب على امر يوسف لا يكله الى غيره وقد اريد
به من الفتنة ما اريد مرة بعد مرة فلم يكن الا ما اراده الله من العاقبة الحميدة **ولكن اكثر
الناس لا يعلمون** ان الامر كذلك فيأتون ويذرون زعما منهم ان لهم من الامر شيئا وانى لهم
ذلك وان الامر كله لله عز وجل ولا يعلمون لطائف صنعه وخفايا فضله **ولما بلغ اشده**
اي منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين الى الاربعين • وقيل سن
الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم والاول هو الاظهر لقوله **آتيناه حكما وعلما** حكمة وهو العلم
المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وفقها ونبوة **وعلما** اي تفقها في الدين وتنكيرهما للتفخيم
اي حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما ما آتاه الله تعالى عند تكامل قواه
حتى كانا عبارة عن النبوة والحكم فيما بين الناس ذهب عنه • كيف لا وقد جعل اتيانهما جزاء
لعمله عليه السلام حيث قيل **وكذلك** اي مثل ذلك الجزاء العجيب **نجزي المحسنين** اي كل
من يحسن في عمله فيجب ان يكون ذلك بعد انقضاء اعماله الحسنة التي من جملتها معاناة
الاحزان والشدائد • وقد فسر العلم بعلم تاويل الاحاديث ولا صحة له الا ان
يخص بعلم رؤيا الملك فان ذلك حيث كان عند تناهي ايام لبثه في السجن اريد ان يعد ايتاؤه
من جملة الجزاء والاثار وبعد مناجي السجن فقد لبث عليه السلام بعد تعبيرهما في السجن
بضع سنين • وفي تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين اشعار بعلية الاحسان له وتنبيه على
انه سبحانه انما آتاه ما آتاه لكونه محسنا في اعماله متقنا في عنفوان امره هل جزاء الاحسان
الا الاحسان **وراودته التي هو في بيتها** رجوع الى شرح ما جرى عليه في منزل
العزيز بعد ما امر امرأته باكرام مثواه • وقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض الى
هنا اعتراض جيء به انموذجا للقصة ليعلم السامع من اول الامر ان ما لقيه عليه السلام
من الفتن التي ستحكى بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وانه عليه السلام
محسن في جميع اعماله لم يصدر عنه في حالتي السراء والضراء ما يخل بنزاهته عليه السلام •
ولا يخفى ان مدار حسن التخلص الى هذا الاعتراض قبل تمام الآية الكريمة انما هو التمهيد البالغ
المفهوم من كلام العزيز وادراج الاعتبار الناشئة من الاشارة بذلك في قوله تعالى وكذلك

مكنا

مكنا كما فعله الجمهور رمانا من التقريب فتامل والمراودة المطالبة من راد يرود اذا جاء وذهب
لطلب شيء ومنه الرائد لطالب الماء والكلأ وهي مفاعلة من واحد نحو مطالبة الدائن
ومماطلة المديون ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من احد الجانبين الفعل ومن
الآخر سببه فان هذه الافعال وان كانت صادرة عن احد الجانبين لكن لما كانت
اسبابها صادرة عن الجانب الآخر جعلت كأنها صادرة عنهما وهذا باب لطيف المسلك
مبني على اعتبار دقيق تحقيقه ان سبب الشيء يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما في قولهم
كما تدين تدان اي كما تجزي تجزى فان فعل البادي وان لم يكن جزاء لكنه لكونه سببا للجزاء اطلق
عليه اسمه • وكذلك ارادة القيام الى الصلاة وارادة قراءة القرآن حيث كانتا سببا للقيام
والقراءة عبر عنهما بهما • فقيل اذا قمتم الى الصلاة • واذا قرأت القرآن • وهذه
مطردة مستمرة • ولما كانت اسباب الافعال المذكورة فيما نحن فيه صادرة عن الجانب
المقابل لجانب فاعلها كانت مطالبة الدائن للمماطلة التي هي من جانب الغريم وهي منه للمطالبة
التي من جملة الدائن • وكذا مداواة الطبيب للمرض الذي هو من جانب المريض وكذلك
مراودتها فيما نحن فيه لجمال يوسف عليه السلام نزل صدوره عن محالها منزلة صدورها
سببا لها التي هي تلك الافعال بني الصيغة على ذلك وروعي جانب الحقيقة بان اسند
الفعل الى الفاعل واوقع على صاحب السبب فتامل • ويجوز ان يكون من الرود
وهو الرفق والتمحل وتعديتها بعن لتضمنها معنى المخادعة فالمعنى خادعته عن نفسه اي
فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن شيء يريد اخراجه من يده وهو يحتال ان يأخذه منه وهي عبارة
عن التمحل لمواقعته اياها والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة على الستر او للاستهجان
بذكره • وايراد الموصول لتقرير المراودة فان كونه في بيتها مما يدعو الى ذلك قيل
لواحدة ما حملك على ما انت عليه مما لا خير فيه قالت قرب الوساد وطول السواد ولاظهار
كمال نزاهته عليه السلام فان عدم ميله اليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصائه
عليها مع كونه تحت ملكتها ينادي بكونه عليه السلام في اعلى معارج العفة والنزاهة
وغلقت الابواب قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الافعال
وقيل للمبالغة في الايثاق والاحكام **وقالت هيت لك** بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء
وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت كجير اسم فعل معناه اقبل وبادر واللام للتبيين
اي لك اقول هذا كما في سقيا لك واللام صلة للفعل **قال معاذ الله** اي اعوذ بالله معاذا مما تدعينني
اليه وهذا اجتناب منه على اتم الوجوه واشارة الى التعليل بانه منكر هائل يجب
ان يعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذاك الا لانه عليه الصلاة والسلام قد شاهده بما
اراه الله تعالى من البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء
وقوله عز وجل **انه ربي احسن مثواي** تعليل للامتناع ببعض الاسباب الخارجية
مما عسى يكون مؤثرا عندها وادعى الى اعتباره بعد التنبيه على سببه الذاتي الذي
لا يكاد تقبله لما سولت له نفسها والضمير للشأن ومدار التعليل هو مضمون الجملة
عن ذكره • وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرير في

الذي فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا أن شأنه أمر له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن. فكأنه قيل إن الشأن الخطير هذا وهو ربي أي سيدي العزيز أحسن مثواي أي أحسن تعهدي حيث أمرك بإكرامي فكيف يمكن أن أسيء إليه بالخيانة في حرمه وفيه إرشاد لها إلى رعاية حق العزيز بألطف وجه. وقيل الضمير لله عز وجل وربي خبر إن وأحسن مثواي خبر ثان أو هو الخبر والأول بدل من الضمير والمعنى أن الحال هكذا فكيف أعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة. وفيه تحذير لها عن عقاب الله عز وجل. وعلى التقديرين ففي الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير تعرض لاقتضائها الامتناع عما دعته إليه إيذان بأن هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة على استحالته وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع أصلا. وقوله تعالى **إنه لا يفلح الظالمون** تعليل للامتناع المذكور غب تعليل والفلاح الظفر وقيل البقاء في الخير ومعنى أفلح دخل فيه كأصبح وأخواته والمراد بالظالمين كل من ظلم كائنا من كان فيدخل في ذلك المجازون للإحسان بالإساءة والعصاة لأمر الله تعالى دخولا أوليا. وقيل الزناة لأنهم ظالمون لأنفسهم وللمزني بأهله. **ولقد همت به** أي قصدت مخالطته إذ الهم لا يتعلق بالأعيان أي قصدتها وعزمت عليها عزما جازما لا يلويها عنه صارف بعدما باشرت مباديها وفعلت ما فعلت من المراودة وتغليق الأبواب ودعوته عليه السلام إلى نفسها بقولها هيت لك ولعلها تصدت هنالك لأفعال أخر من بسط يدها إليه وقصد المعانقة وغير ذلك مما اضطره عليه السلام إلى الهرب نحو الباب والتأكيد لدفع ما عسى يتوهم من احتمال إقلاعها عما كانت عليه بما في مقالته عليه السلام من الزواجر **وهم بها** أي مال إلى مخالطتها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب وقرمها ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لا أنه قصدها قصدا اختياريا. ألا ترى إلى ما سبق من استعصامه المنبئ عن كمال كراهيته له ونفرته عنه وحكمه بعدم إفلاح الظالمين وهل هو إلا تسجيل باستحالة صدور الهم منه عليه السلام تسجيلا محكما وإنما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه في صحبة همها بالذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به كما قيل. ولقد أشير إلى تباينهما حيث لم يلزا في قرن واحد من التعبير بأن قيل ولقد هما بالمخالطة أو هم كل منهما بالآخر وصدر الأول بما يقرر وجوده من التوكيد القسمي وعقب الثاني بما يعفو أثره من قوله عز وجل **لولا أن رأى برهان ربه** أي حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنا وسوء سبيله والمراد برؤيته لها كمال إيقانه بها ومشاهدته لها مشاهدة واصلة إلى مرتبة عين اليقين التي تتجلى هنالك حقائق الأشياء بصورها الحقيقية وتنخلع عن صورها المستعارة التي بها تظهر في هذه النشأة على ما نطق به قوله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات. وكان عليه الصلاة والسلام قد شاهد الزنا بموجب ذلك البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته أقبح ما يكون وأوجب ما يجب أن يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم بعدم إفلاح من يرتكبه وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام أي لولا مشاهدته برهان ربه في شأن الزنا لجرى على موجب ميله الجبلي ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان. وفائدة هذه الشرطية

بيان

بيان أن امتناعه عليه الصلاة والسلام لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعي الداخلية وترتب المقدمات الخارجية الموجبة لظهور الأحكام الطبيعية. هذا وقد نص أئمة الصناعة على أن لولا في أمثال هذه المواقع جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق كما في مثل قوله تعالى إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها فلا يتحقق هنالك هم. وقد جوز أن يكون وهم بها جواب لولا جريا على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم. فالهم حينئذ على معناه الحقيقي. فالمعنى لولا مشاهدته برهان ربه لهم بها كما همت به ولكنه حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه انتفى الهم رأسا. هذا وقد فسر همه عليه السلام بأنه حل الهميان وجلس مجلس الختان وبأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الأربع ورؤيته للبرهان بأنه سمع صوتا إياك وإياها فلم يكترث به حتى مثل له يعقوب عليه السلام عاضا على أنامله. وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله. وقيل بدت كف فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فلم ينجع. فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عليه السلام وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء. وقيل رأى تمثال العزيز. وقيل إن كل ذلك إلا خرافات وأباطيل تمجها الآذان وتردها العقول والأذهان. ويل لمن لاكها ولفقها أو سمعها وصدقها. **كذلك** الكاف منصوب المحل وذلك إشارة إلى الإراءة المدلول عليها بقوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه أي مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناه برهانا فيما قبل أو إلى التثبيت اللازم له أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه **لنصرف عنه السوء والفحشاء** على الإطلاق فيدخل فيه جناية السيد دخولا أوليا **والفحشاء** الزنا لأنه مفرط القبح وفيه آية بينة وحجة قاطعة على أنه عليه السلام لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه إليها قط وإلا لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء وإنما توجه إليه ذلك من خارج فصرفه الله تعالى عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتأمل. وقرئ ليصرف على إسناد الفعل إلى ضمير الرب **إنه من عبادنا المخلصين** تعليل لما سبق من مضمون الجملة بطريق التحقيق والمخلصون هم الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته بأن عصمهم عما هو قادح فيها. وقرئ على صيغة الفاعل وهم الذين أخلصوا دينهم لله سبحانه وعلى كلا المعنيين فهو منتظم في سلكهم داخل في زمرتهم من أول أمره بقضية الجملة الاسمية لا أن ذلك حادث له بعد أن لم يكن كذلك فانحسر احتمال صدور الهم بالسوء منه عليه السلام بالكلية. **واستبقا الباب** متصل بقوله ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه. وقوله كذلك إلى آخره اعتراض جيء به بين المعطوفين تقريرا لنزاهته عليه السلام كقوله تعالى وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض. والمعنى ولقد همت به وأبى هو واستبقا أي تسابقا إلى الباب البراني الذي هو المخلص ولذلك وحد بعد الجمع فيما سلف وحذف حرف الجر أو ضمن الفعل إلى المجرور ... الاستباق معنى الابتدار أو إسناد السبق في ضمن

الاستباق اليها مع ان مدار ما يجري منه يوسف عليه السلام هو الانجذاب الى الباب لا انها
لما رأته يسرع الى الباب ليتخلص منها اسرعت هي ايضا لتسبقه اليه وتمنعه من الفتح والخروج
او عبر عن اسراعها اثر ذلك مبالغة وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانشق طولا
وهو القد كما ان الشق عرضا هو القط وقيل في وصف علي كرم الله وجهه انه كان اذا اعتلى
قد واذا اعترض قط واسناد القد اليها خاصة مع انه لقوة يوسف وخلافها انما لانها الجزء الاخير
للعلة التامة واما لان قدها لقميصه في منعها عن الخروج وبذل مجهودها فيه لفوت المحبوب
او لخوف الافتضاح والفيا سيدها اي صادفا زوجها وهو العزيز ملكه ليوسف
عليه السلام مصطلح القبط يسمون الازواج سادة وقيل كان جالسا مع ابن عم المرأة لدى
الباب اي البراني كما مر وروى كعب انه لما هرب يوسف عليه السلام جعل فراش القفل
يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب قالت استئناف مبني على سؤال سائل يقول فما كان منهما حين
الفيا العزيز عند الباب فقيل قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا من الزنا ونحوه الا ان
يسجن او عذاب اليم ما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن او العذاب الاليم وقيل المراد به
الضرب بالسياط او استفهامية اي اي جزاء جزاؤه ذلك ولقد اتت في تلك الحالة التي تدهش
فيها الفطن حيث شاهدها العزيز على تلك الهيئة المريبة بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة
ساحتها مما يلوح به من ظاهر الحال واستنزال يوسف عليه السلام عن رأيه في استعصائه عليها
وعدم مواتاته على مرادها بالقاء الرعب في قلبه من مكرها طمعا في مواتاته لها كرها
عند يأسها من ذلك اختيارا كما قالت لئن لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ثم
انها جعلت صدور الارادة المذكورة عن يوسف عليه الصلاة والسلام امرا محققا مفروغا
عنه غنيا عن الاخبار بوقوعه وان ما هي عليه من الافاعيل لاجل تحقيق جزائها فهي تريد
ايقاعه حسبما يقتضيه قانون الايالة وفي ابهام المراد تهويل لشأن الجزاء المذكور بكونه قانونا
مطردا في حق كل احد كائنا من كان وفي ذكر نفسها بعنوان اهلية العزيز اعظام للخطب
واغراء له على تحقيق ما يتوخاه بحكم الغضب والحمية قال استئناف وجواب عما يقال
فماذا قال يوسف عليه السلام حينئذ فقيل قال هي راودتني عن نفسي اي طالبتني للمواتاة
لا اني اردت بها سوءا كما قالت وانما قاله عليه الصلاة والسلام تنزيها لنفسه عما اسندته اليه من الخيانة
وعدم معرفة حق السيد وعدم ودفع ما عرضته له من الامرين وفي التعبير عنها بضمير
الغيبة دون الخطاب واسم الاشارة مراعاة لحسن الادب مع الايماء الى الاعراض عنها
وشهد شاهد من اهلها قيل هو ابن عمها وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب
وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره وقد جوز ان يكون بعض اهلها قد بصر بها
من حيث لا تشعر فاغضبه الله تعالى ليوسف عليه الصلاة والسلام بالشهادة له والقيام
بالحق وانما القى الله سبحانه الشهادة الى من هو من اهلها ليكون ادل على نزاهته عليه السلام
وانفى للتهمة وقيل كان الشاهد ابن خال لها صبيا في المهد انطقه الله تعالى ببراءته
وهو الاظهر فانه روي ان النبي عليه الصلاة والسلام قال تكلم اربعة وهم صغار
ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم

عن

عن ابي هريرة رضي الله عنه وقال صحيح على شرط الشيخين ولكن لو كان كذلك لكفى البيان الواقع
ان لا تختلف الحال في بيان العودة بين كون الشاهد من اهلها او من غيرها ان كان قميصه
قد من قبل اي ان علم انه قد من قبل ونظيره ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل فان
معناه ان تعتد باحسانك الي فاعتد باحساني السابق اليك فصدقت بتقدير قد لانها
تقرب الماضي الى الحال اي فقد صدقت وكذا الحال في قوله فكذبت وفي ان لم يصرح
بانه اراد بها سوءا الا ان كلا منهما حيث كان واجب الدلالة عليه اسند اليها الصدق والكذب
بذلك الاعتبار فانهما كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه وبذلك
الاعتبار يعتريان الانشاءات وهو من الكاذبين وهذه شرطية حيث لا ملازمة عقلية ولا
عادية بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة في شيء وانما ذكرت توسيعا للدائرة وارخاء للعنان
الى جانب المرأة باجراء ما عسى يحتمله الحال في الجملة بان يقع القد من قبل بمدافعتها له عليه
الصلاة والسلام عن نفسها عند ارادته المخالطة والتكشف مجرى الظاهر الغالب الوقوع تقريبا
لما هو بالقاعدة الشهادة اعني مضمون الجملة الشرطية الثانية التي هي قوله عز وجل وان كان
قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين الى التسليم والقبول عند السامع لكونه
اقرب الى الوقوع وادل على الظاهر وان لم يكن بين طرفيها ايضا ملازمة وحكاية الشرطية
الاولى بعنوان الشهادة لكونها من مبادي الاقوال وتبعيد العقول اي تسمية قالها الى الاخر وتسميتها
شهادة انه لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لما وتسامحوهما بل لانها شهادة على الحكم
وحكم بعينه لكونها امارة على تحقيق كون الشاهد هو الصبي فظاهر اذ هو اخبار
من قبل علام الغيوب والتعبير بعنوان الشرطية للايذان بان ذلك ظاهر من لولا
اخفاه واما على تقدير كونه غيره فلان الظاهر ان صورة الحال معلومة له عما هي
عليه اما مشاهدة او اخبارا فهو متمكن من ان يحرر مقدم الشرطية الاولى ويحكم بوجود تاليها ويعدم
الشرطية الثانية ومن ضرورته الحكم بانتفاء تالي الاولى وبوقوع تالي الثانية واذن
هو اخبار بكذبها وصدقه عليه السلام لكنه ساق شهادته مساق ما هو من الخروج
والطعن حيث صورها بصورة الشرطية المترددة ظاهرا بين نفعها ونفعه واما حقيقته
فلا تردد فيها قطعا لان الشرطية الاولى تعليق لصدقها بما يستحيل وجوده من قده
المتمتع من قبل فيكون مردودا قطعا لان كل ما لا محالة ومن ضرورته تحقق كذبها
والثانية تعليق لصدقه عليه السلام بامر محقق الوجود وهو القد من دبر فيكون محققا
البتة ومثله الكناية فيمن قال لامرأة زوجيني نفسك فقالت لي زوج فكذبته في
ذلك فقالت ان لم يكن لي زوج فقد زوجتك نفسي فقبله الرجل فاذا لا زوج لها
فهو نكاح اذ تعليق الشيء بامر محقق تنجيز له وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا
عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف للتأنيث والعلمية
وقرئ بسكون العين فلما رأى قميصه قد من دبر اي فلما رأى زوجها او لم يرتب
فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال قال انه اي الامر الذي وقع فيه التشاجر وهو عبارة عما
ارادة السوء التي اسندته الى يوسف عليه الصلاة والسلام وتدبير عقوبته بقولها

تأمرا من اراد باهلك سوءا الى آخره لكن لا من حيث صدوره عنها بل من حيث تعلقه بالارادة والاسناد فيها بالمرة وقطع
النظر عن ذلك الى آخره • وقوله تعالى من كيدكن اي من حيلتكن ومكركن ايتها النساء
لا من غيركن من الافادة ونكتة التعقيبة وان لم يكن تحتمل عن الاضافة اليه الا انها الماصدق
بعبارة الحق افادة الحكم بكونه من كيد من اراد بظاهره فتامل وتعميم الخطاب للتنبيه
على ان ذلك خلق لهن عريق ولا تحسنا سند اليها المخدرة ومن هاهنا تجيبه نفسي كالغاية مستند •
وترجح العميقة في قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا فقطع مدول عن البحث عن ابتدائها ووقع فيه النزاع
من الارادة السوء من جانب المحبة عند سعيه من نفسه وتعاطيه للسوء والامر المحبة بمباعث
طمعها في يوسف عليه الصلاة والسلام باباه الخبر وان الكيد ينبغي ان يعتبر مع ذلك
بساق اخر من قبلها كما اشار اليه ان كيدكن عظيم فانه المطلق واعلق بالقلب وانسب بما ثبتا
في النفس • وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء ما لا اخاف من الشيطان فانه تعالى يقول
ان كيد الشيطان كان ضعيفا • وقال للنساء ان كيدكن عظيم • ولان الشيطان يوسوس
سارقة وهن يواجهن بها الرجال يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وكمال تفطنه للحديث
وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا اي عن هذا الامر وعن التحدث به واكتمه
فقد ظهر صدقك ونزاهتك واستغفري انت يا هذه لذنبك الذي صدر عنك وثبت
عليك انك كنت بسبب ذلك من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب او من جنسهم
يقال خطئ اذا اذنب متعمدا وهو تعليل للامر بالاستغفار والتذكير لتغليب الذكور على
الاناث وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وكان قليل الغيرة
وقال نسوة اي جماعة من النساء وكن خمسا • امراة الساقي • وامراة الخباز • وامراة صاحب
الدواب • وامراة صاحب السجن • وامراة الحاجب • والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتأنيثه
غير حقيقي كتانيث اللمة وهي اسم لجماعة النساء والمد وهي اسم لجماعة الرجال • ولذلك لم يلحق
فعله تاء التانيث في المدينة ظرف لقال اي اشعن الامر في مصر او صفة لنسوة امراة العزيز
اي الملك يردن قطفير واضافتهن لها اليه بذلك العنوان دون ان يصرحن باسمها او اسمه
ليس لقصد المبالغة في اشاعة الخبر بحكم ان النفوس الى سماع اخبار ذوي الاخطار اميل كما
قيل اذ ليس مرادهن تفضيح العزيز بل هي لقصد الاشاعة في لومها بقولهن تراود فتاها اي
تطالبه بموافقتها لها وتمحل في ذلك وتخادعه عن نفسه وقيل تطلب منه الفاحشة •
وايثار صيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة والفتى من الناس الشاب واصله
فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة وجمعه فتية وفتيان ويستعار للمملوك وهو المراد هاهنا
وفي الحديث لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي او فتاتي وتعبيرهن عن يوسف
بذلك مضافا اليها لا الى العزيز الذي لا تستلزم الاضافة اليه الهوان بل يلائم ما يغني عنه
لابانة ما بينهما من التباين البين الناشئ عن المالكية والمملوكية وكل ذلك لتربية ما مر
من المبالغة والاشاعة في اللوم فان من لا زوج لها من النساء او من لها زوج دني وقد
تعذر في مراودة الاخدان لا سيما اذا كان فيهم علو الجناب • واما التي لها زوج واي زوج
عزيز مثلها فمراودتها لغيرها لا سيما لعبدها الذي لا كفاءة بينها وبينه اصلا وتماديها في ذلك

غاية

غاية الغي ونهاية الضلال قد شغفها حبا اي شق حبه شغاف قلبها وهو حجابه او جلدة
رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل الى فؤادها • وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير
اذا هنأه فاحرقه بالقطران • ومن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما الشغف الحب القاتل
والشعف حب دون ذلك • وكان الشعبي رحمه الله يقول الشغف حب والشعف جنون
والجملة خبر ثان او حال من فاعل تراود او من مفعوله • وايا ما كان فهو تكرير للوم وتأكيد
للعذل ببيان اختلال احوالها القلبية كاحوالها القالبية وجعلها تعليلا لدوام المراودة
من حيث الابنية معيبا الى الاسناد لا الى نفسها لا يخفى ومن حيث اللمية اميل الى ان يتنبه
اليه من قبلها وليس بذلك المقام وانتصاب حبا على التمييز المنقول عن الفاعلية اذ الاصل
قد شغفها حبه كما اشير اليه انا لنراها اي نعلمها علما مناخما للمشاهدة والعيان فيما صنعت
من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة في ضلال اي في طريق الرشد والصواب او سنن
العقل مبين واضح لا يخفى كونه ضلالا على احد او مظهر لامرها فيما بين الناس والجملة مقررة لمضمون
الجملتين السابقتين المسوقتين للوم والتشنيع وتسجيل عليها باتيانها في امر حبها بخطأ عظيم وانما
لم يقلن انها لفي ضلال مبين اشعارا بان ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم وراي
مع التلويح بانهن متنزهات عن امثال ما هن عليه فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وسوء مقالتهن
وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني وهو مقتها وتسميته مكرا لكونه خفية
منهن كمكر الماكر وان كان ظاهرا لغيرها • وقيل استكتمتهن سرها فافشينه عليها وقيل
انما قلن ذلك لتريهن يوسف عليه الصلاة والسلام ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت
اربعين امراة منهن الخمس المذكورات واعتدت اي احضرت وهيات لهن متكأ
اي ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد او رتبت لهن مجالس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون
للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين • ولذلك نهي الرجل ان ياكل متكئا
وقيل متكأ طعاما من قولهم اتكانا عند فلان اي طعمنا • قال جميل •

• فظللنا بنعمة واتكانا • وشربنا الحلال من قلله •

وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كأن المعنى يعتمد بالسكين عند القطع لان القاطع يتكئ
على المقطوع بالسكين • وقرئ بغير همز • وقرئ بالمد باشباع حركة الكاف كمنتزاح في
منتزح وينباع في ينبع • وقرئ متكا وهو الاترج • وانشد

• فاهدت متكة لبني ابيها • تخب بها العثمثمة الوقاح •

او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكا من تكئ اذا اتكا وآتت كل واحدة منهن
سكينا لتستعملها في قطع ما يعهد قطعه مما قدم بين ايديهن وقرب اليهن من اللحوم والفواكه
ونحوها ومن متكأ وعرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع ايديهن وقالت ليوسف وهن
مشغولات بمعالجة السكاكين واعمالها فيما بايديهن من الفواكه والعطف بالواو يشير الى
ان قولها اخرج عليهن اي ابرز لهن لم يكن عقيب ترتيب امورهن ليتم غرضها من استغفالهن
فلما رأينه عطف على مقدر يستدعيه الامر بالخروج وينسحب عليه الكلام اي فخرج عليهن
فرأينه وانما حذف تحقيقا لمفاجاة رؤيتهن كانها تفوق عند ذكر خروجه عليهن كما حذف

لتوهين الرفعة في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفه
وتمهيد ايذان بنزاهته امثاله عليه السلام بامرها فلما اتاه معتبرة من الاقاويل اكبرنه
عظمنه وهبن حسنه الفائق الرائع الرائق فان فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة
البدر على سائر الكواكب • عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت يوسف عليه السلام ليلة
المعراج كالقمر ليلة البدر • وقيل يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء
وقيل يعني اكبرن حضن والهاء للسكت او ضمير راجع الى يوسف عليه السلام على حذف اللام
اي حضن له من شدة الشبق • كما قال المتنبي •
• خف الله واستر ذا الجمال ببرقع • فان لحت حاضت في الخدور العواتق •
وقطعن ايديهن اي جرحنها بما في ايديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات
جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتياد حتى لم يعلمن ما فعلن • وفي التعبير عن الجرح بالقطع
ما لا يخفى من الدلالة على كثرة جرحهن ومنه لك لم يبالين بما لكن وقلن حاش لله تنزيها له سبحانه
من صفات النقص والعجز وتعجبا من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع • واصله حاشا كما قرأه
ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التبرئة في باب
الاستثناء فلا يستثنى الا ما يكون موجبا للتنزيه فوضع موضعه فمعنى حاشا الله براءة الله
وبراءة الله من قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واللام للبيان المنزه والبدل كما في سقيا لك
واللام لتدل على وضعه موضع المصدر وقراءة ابي السمال حاشا بالتنوين • وقراءة ابي عمرو بحذف
الالف الاخيرة • وقراءة الاعمش بحذف الالف الاولى فان التصرف من خصائص الاسم يدل على
تنزيله منزلته وعدم التنوين لمراعاة اصله كما في قولك جلست من عن يمينه وفي قوله عذر مني
عليه منقلب الالف الى الياء في الغير • وقرئ حاش الله بسكون الشين اتباعا للفتحة الالف
في الاسقاط وحاشى الاله وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار
في ناحية من ان يقارف ما رمته به لطاعته او لمكانه او جانب المعصية لاجل الله •
ما هذا بشرا على اعمال ما بمعنى ليس وهي لغة اهل الحجاز لمشاركتها في نفي الحال • وقرئ بشر على
لغة تميم وبشرى اي بعبد يشترى اسندت عنه البشرية لما شاهدن فيه من الجمال العبقري الذي
لم يعهد مثاله في البشر وقصرنه على الملكية بقولهن ان هذا الا ملك كريم بناء على ما ركز في العقول
من ان لا حي احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك لا تزال يشبه بهما
كل متناه في الحسن والقبح وغرضهن وصفه باقصى مراتب الحسن والجمال قالت فذلكن
الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف بالعنوان الذي وصفنه به الان من الخروج
في الحسن والجمال عن المراتب البشرية والاقتصار على الملكية فاسم الاشارة مبتدأ والموصول
خبره والمعنى ان كان الامر كما قلتن فذلك الملك الكريم النائي عن المراتب البشرية هو الذي لمتنني
فيه اي عيرتنني في الافتتان به حيث قلتن في حقي ما قلتن وصفتن من كونه من المماليك
او بالعنوان الذي وصفنه به فيما سبق بقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني فهو خبر
لمبتدأ محذوف اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن وقلتن فيه وفي ما
قلتن فالآن قد علمتن من هو وما قولكن فيناه • واما ما يقال ان يعني انكن لم تصورنه بحق صورته

ولم

ولم تصورنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به فاللائق بالمقام فان مرادها بعذرهن وتمهيد
ما مهدته لهن تمكنهن ونيلهن في شأنه رغبتهن من اللوم وقد تمت ذلك بما لا مزيد عليه
وما ذكر من المقال في المقام بدل طعن ومعذرة له • وقد قيل في تعليل الملكية
ان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملكية ومن
ابينا لا يلائم قولها فذلكن الذي لمتنني فيه فان تعني ان العصمة ثانيا في مسيه من امها
لم يكن ما اقامت عليهن الحجة واوضحت لديهن عندها وقد اصابتها من قبله عليه السلام
ثانيا اصابتها بما هن منه سرها فقالت ولقد راودته عن نفسه حسبما قلتن وسمعتن
فاستعصم امتنع طالبا للعصمة وهو بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد
كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها كما في استمسك واستجمع الرأي ونظيره برهان
بين على انه لم يصدر عنه عليه الصلاة والسلام ما يخل باستعصامه بقوله معاذ الله من
الهم وغيره اعترفت لهن اولا بما كن يسمعنه من مراودتها له واكدته اظهارا للابتهاج بذلك
ثم زادت على ذلك انه اعرض عنها على ابلغ وجه ما يكون ولم يمل اليها فظاهره انها ادعت عليها
انها مستمرة على ما كانت عليه غير مرعوبة عنه لا بلوم العواذل ولا باعراض الحبيب فقالت
ولئن لم يفعل ما آمره فيما سيأتي كما فيما مضى فحذف الجار او وصل الفعل الى الضمير كما في امرتك
الخير والضمير للموصول او امري اياه اي موجب امري ومقتضاه فالضمير ليوسف
وعبرت عن مراودتها بالامر اظهارا لجريان حكومتها واقتضاء للامتثال بامرها ليسجنن
بالنون الثقيلة اثرت بنا الفعل للمفعول جريا على رسم الملوك او ايهاما بسرعة ترتب ذلك
على عدم امتثاله لامرها كأنه لا يدخل منها فعل فاعل وليكونا بالخفيفة من الصاغرين
الاذلاء في السجن وقد قرئ بالتشديد وهو مخالف لرسم المصحف لان النون كتبت
في المصحف الفا على حكم الوقف واللام الداخلة على حرف الشرط موطئة للقسم وجوابه
ساد مسد الجوابين • ولما انتهى بهذا الوعيد المبني على فنون التأكيد بمحضر منهن
ليعلم يوسف انها ليست في امرها على خفية وتخيفه من اخذ فتضيق عليه الحيل فيبعث به العقد
وينصحن له ويرشدنه الى موافقتها • ولما كان هذا الابراق والارعاد منها نطقت بنوال
شأنه بقول فالمسح يوسف جبينه • قيل قال مناجيا ربه عز سلطانه رب السجن
الذي وعدتني بالالتقائه • وقرأ يعقوب بالفتح في المصدر احب الي اي آثر عندي
لانه مشقة قليلة نافذة اثرها راحات جليلة ابدية مما يدعونني اليه من مواتاتها التي
تؤدي الى الشقاء والعذاب الاليم • ونسبة الدعوة منه عليه السلام مبني على ما مر من انكار
الحقائق لربه • وقوله لو دخل منهما يخفون تيا اللائقة بها ونسبته التعجيب لبيث على بيناه
ليس له شائبة مما دعته اليها وانما هو التعين شأن امورهما وافضى بها الى الايثار والسجن
والتعبير في الايثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة خوفا من الحبس والاقتصار
في ذكر السجن من حيث ان الصغار من فروعه ومستتبعاته • واسناد الدعوة اليهن جميعا
لان النسوة رغبته في مطاوعتها وخوفنه من مخالفتها • وقيل دعونه الى انفسهن •
وقيل انما ابتلي عليه السلام بالسجن لقوله هذا وكان الاولى ان يسأل الله تعالى المعافاة

ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر والا تصرف اي ان لم تصرف
عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه لدي بان تثبتني على ما انا عليه من العصمة والعفة
اصب اليهن اي امل الى اجابتهن او الى انفسهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا فزع
منه عليه السلام الى الطاف الله تعالى جريا على سنن الانبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات
والنجاة عن الشر على جناب الله عز وجل وسلب القوى والقدر عن انفسهم ومبالغة
في استدعاء لطفه في صرف كيدهن باظهار ان لا طاقة له بالمدافعة • كقول المستغيث ادركني
والا هلكت لانه يطلب الاجبار والالجاء الى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعوه الى
مواتية والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها بطبعها
وودها • وقرئ اصب من الصبابة وهي رقة الشوق واكن من الجاهلين
اي الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء او من السفهاء بارتكاب
ما يدعونني اليه من القبائح لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه دعاءه الذي تضمنه
قوله والا تصرف عني كيدهن فان فيه استدعاء لصرف كيدهن على ابلغ وجه والطفه
كما مر • وفي اسناد الاجابة الى الرب مضافا اليه عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف
فصرف عنه كيدهن حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة انه هو السميع لدعاء المتضرعين
اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم اي ظهر للعزيز واصحابه المتصدين للحل
والعقد وفيه اكتفوا بامر يوسف عليه السلام بالكتمان والاعراض عن ذلك من بعد
ما راوا الايات الصارفة لهم عن ذلك البدء وهي الشواهد الدالة على براءته عليه
السلام وفاعله اما مصدره او الراي المفهوم من السياق او المصدر المدلول عليه
بقوله ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء او راي او سجنه المحتوم قائلين والله ليسجننه فالقسم
المحذوف وجوابه معمول للقول المقدر حالا من ضميرهم وما كان ذلك الا باشارة المرأة
لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها تقوده حيث شاءت • قال
السدي انها قالت واما ان تاذن لي فاخرج فاعتذر الى الناس واما ان تحبسه فحبسه ولقد
ارادت بذلك ان تحقق وعيدها لتلين به عريكته وتنقاد لها قرونته لما انصرمت حبال رجائها
عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب بنفسها وباعوانها • وقرئ لتسجننه على صيغة الخطاب
بان خاطب بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم او خاطب به العزيز
ومن عنده من اصحاب الراي المباشرين للسجن والحبس حتى حين الى حين انقطاع القالة •
ونبذا ادعى الراي عند العزيز ودونه • واما عنده فما خفي ان ذلك السجن ويستمر لما يوجب
الناس انه الجرم • وقرئ عتى حين بلغة هذيل ودخل معه اي في صحبته السجن فتيان من
فتيان الملك ومماليكه احدهما شرابيه والاخر خبازه • روي ان جماعة من اهل مصر ضمنوا لهما
مالا ليسما الملك في طعامه وشرابه فاجابهم الى ذلك • ثم ان الساقي ندم ورجع عن ذلك ومضى
الخباز عليه فسم الخبز فلما حضر الطعام قال الساقي لا تاكل ايها الملك فان الخبز مسموم وقال
الخباز لا تشرب ايها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشربه فشربه فلم
يضره وقال للخباز كله فابى فجرب بدابة فهلكت فامر بحبسهما فاتفق ان ادخلا معه

وبليه

وتاخير الفاعل عن المفعول لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ليتمكن عنده
النفس حين وروده عليها فضل تمكن • وتقديم الظرف على المفعول الصريح في قوله تعالى
فاوجس في نفسه خيفة • وتاخير السجن عن الظرف لما مر ولعل ان يكون الظرف جماعة ما
على المبتدا او لكون الجملة حالا من فاعل ذلك فتامل قال احدهما استئناف مبني على سؤال
من يقول ما صنعا بعدما دخلا معه السجن فاجيب بانه قال احدهما وهو الشرابي اني اراني
اي رايتني والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة الماضية اعصر خمرا اي عنبا سماه بما يؤول
اليه لكونه المقصود من العصر • وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب • وفي قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه اعصر عنبا وقال الاخر وهو الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا
تاخير المفعول لعين الظرف لما مر غير مرة • وقوله تاكل الطير منه اي تنهش منه صفة لخبزا
او استئناف مبني على السؤال نبئنا بتاويله بتاويل ما ذكر من الرؤيين او ما روي باجراء
الضمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة يشار به الى متعدد • كما في قوله

• فيها خطوط من سواد وبلق • كانه في الجلد توليع البهق •

اي كان ذلك والرمز في المعبر الى اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة مع انه لا حاجة اليه في ابعد
تاويل المرجع بما ذكر او بما روي ان الضمير انما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض
لحال من احواله فلا ينبغي تاويله باحد الاعتبارين الا باجراء انه مجرى اسم الاشارة الذي
يدل على المشار اليه بالاعتبار الذي يجري عليه في الكلام • هذا اذا قالاه معا او قاله
احدهما من جهتهما معا • واما اذا قاله كل منهما اثر ما قص ما راه • فالخطاب المذكور ليس
عبارتهما ولا عبارة احد منهما من جهتهما ليعتد دال المرجع بل العبارة كل منهما نبئني بتاويله مشيرا
لما راه • وصيغة المتكلم مع الغير واقعة في الحكاية دون المحكي على طريقة قوله تعالى
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه
بصيغة مفردة خاصة به انا نراك تعليل لعرض رؤياهما عليه السلام من المحسنين الذين يحسنون
عبارة الرؤيا لما رايا بعض عليه بعض اهل السجن رؤيا فاولها لهم تاويلا حسنا • او من
العلماء لما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله او من المحسنين الى اهل السجن اي فاحسن
الينا بكشف غمتنا ان كنت قادرا على ذلك • روي انه عليه الصلاة والسلام كان اذا
مرض منهم رجل قام عليه • واذا ضاق عليه مكان اوسع له • واذا احتاج جمع له •
وعن قتادة رضي الله عنه كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول
ابشروا واصبروا تؤجروا • فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك
لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحاق
ابن خليل الله ابراهيم • فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك
فكن في اي بيوت السجن شئت • وعن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اني اراني
في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته
وقال الخباز اني اراني وفوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منه
قال لا ياتيكما طعام ترزقانه في منامكما حسب عادتكما المطردة الا نباتكما بتاويله

استئنافا مفرغ من اعم الاحوال اي لا يأتيكما طعام في حال من الاحوال الا حال ما نبأتكما بان بينت لكما ماهيته
وكيفيته وسائر احواله قبل ان يأتيكما واطلاق التأويل عليه اما بطريق الاستعارة فان ذلك
بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التأويل بالنظر الى ما روي في المنام وشبيه له واما
بطريق المشاكلة حسبما وقع في عبارتهما من قولهما نبئنا بتأويله • ولا يبعد ان يراد بالتأويل
من الاول الى المآل فانه في الاصل جعل شيء آيلا الى شيء آخر فكانما يجوز ان يراد
بالاول فالمعنى الا نبأتكما بما يؤول اليه من الكلام والخبر المطابق للواقع • وكان عليه
الصلاة والسلام يقول لهما اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كذلك • ومراده
عليه الصلاة والسلام بذلك بيان كل ما يهمهما من الامور المترقبة قبل وقوعها • واما تخصيص
الطعام بالذكر لكونه عريقا في ذلك بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص اليه
مما استعبراه من الرؤييين المتعلقين بالشراب والطعام وقد جعله الصفة لما فهما من لفظه
على معنى لا يأتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما الا اخبرتكما بتأويله فقصصتما قبل ان يأتيكما
ذلك الطعام الموقت فيراد به الاخبار بالاستعمال في التنبيه • وانت خبير بان النظم الكريم
ظاهر في تعدد اتيان الطعام والاخبار بالتأويل وتجددهما وان المقام مقام اظهار فضله
في فنون العلوم بحيث يدخل في ذلك تأويل رؤياهما دخولا اوليا • واما الذي يكتفي عليه السلام
بمجرد تأويل رؤياهما مع ان فيه دلالة على فضله لانهما لما نعتاه عن الاستظهار في سمة المحسنين
وانهما قد علما ذلك حيث قالا انا نراك من المحسنين فرام عليه السلام فيهما جزاء وتوجيها
الى قبول الحق فاراد ان يخرج اثر ذي اثير ما عهد به من دعوة الخلق منه قبل الخوض في
ذلك ليعتمد على تعظيم شانه وثقته بامره وتوقعا على طبقته في بدائع العلوم ورشده
بين لك التحقيق ما سمعتاه وقد تخلص اليهما من كلامهما فكانه قال تأويلهما قد حصلت على في
طرف الثمام حيث رأيتماه في المنام وانا ابين لكما كل جليل ودقيق من الامور المستقبلة
كما اشرنا اليه منه وان لم يكن مسئالي مقدمة المنام حتى ان الطعام الموقت الذي يأتيكما
قبل يوم ابينه لكما قبل اتيانه • ثم اخبرهما بان علمه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين
بل هو فضل الهي يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه من النبوة فقال ذلكما اي ذلك التأويل والاخبار
بالمغيبات ومعنى البعد في ذلك للاشارة الى علو درجته وبعد منزلته مما علمني ربي
بالوحي والالهام اي بعض منه او من ذلك الجنس الذي يحوم حول ادراكه العقول وفيه
دلالة على ان له علوما جمة ما سمعاه قطعة من جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين ان
نيل تلك الكرامة بسبب اتباع ملة آبائه الانبياء العظام وامتناعه عن الشرك
فقال اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من
قوله ذلكما مما علمني ربي وتعليل له لا للتعليم الواقع صلة للموصول لتأديته الى
معنى انه علمني ذلك لهذا السبب دون غيره ولا لمضمون الجملة الخبرية لان ما ذكر بعده
التعليل ليس علة لشيء لكون التأويل المذكور بعضا مما علمه ربه ولكونه من جنسه بل
تعليم ما علمه • كانه قيل لماذا علمك ربك تلك العلوم البديعة فقيل لاني تركت ملة
الكفرة اي دينهم الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان • والمراد بتركها

الامتناع

الامتناع عنها وانما عبر عنه كما يفصح عنه قوله تعالى ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء لا انه كان بعد ما لابسه
وانما عبر عنه بذلك لكونه ادخل بحسب الظاهر في اقتدائهما به عليه الصلاة والسلام •
والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسلب الايمان به للتنصيص على ان عبادتهم له تعالى مع عبادة
الاوثان ليس بايمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل كما مر في قوله تعالى انه عمل غير صالح وهم
بالآخرة وتأنيها من الجزاء هم كافرون على الخصوص وتكرير ضميرهم في اظهر في الكفر واتبعت
ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب يعني انما حاز هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات
بسبب انه اتبع ملة آبائه الكرام ولم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدأ والمعاد وانما قاله عليه
الصلاة والسلام ترغيبا لصاحبيه في الايمان والتوحيد وتنفيرا لهما عما كانا عليه من الشرك
والضلال وقدم ذكر تركه لملتهم على ذكر اتباعه لملة آبائه لان التخلية متقدمة على
التحلية ما كان اي ما صح وما استقام فضلا عن الوقوع لنا معاشر الانبياء لقوة نفوسنا
ووفور علومنا ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا عن الجماد البحت ذلك
اي التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء من فضل الله علينا اي
ناشئ من تأييده لنا بالنبوة وترشيحه ايانا للنيابة العامة في هدايتهم الى الحق وذلك
مع كونه من موجبات التوحيد ودواعيه نعمة جليلة وفضل عظيم علينا بالذات وعلى
الناس كافة بواسطتنا وحيث عبر عن ذلك بذلك العنوان عبر عن التوحيد الذي يوجبه
بالشكر فقيل ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يوحدون فان التوحيد مع كونه من آثار
ما ذكر من التأييد شكر لله عز وجل على تلك النعمة وانما وضع الظاهر موضع الضمير الراجع الى الناس
لزيادة توضيح وبيان ولقطع توهم رجوعه الى المجموع والمراد بهم من عدا من خصهم من غير الشاكرين بالبتة
وقيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب لنا ادلة ننظر فيها ونستدل بها على الحق وقد
نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس ايضا ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون بها
اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين وقيل ان تعود ذلك التوحيد من فضل الله علينا
حيث اعطانا عقولا ومشاعر نستعملها في دلائل التوحيد التي مهدها في الانفس والآفاق وقد
اعطى سائر الناس مثلها ولكن اكثرهم لا يشكرون اي لا يصرفون تلك القوى والمشاعر الى
ما خلقت هي له ولا يستعملونها فيما ذكر من ادلة التوحيد الآفاقية والانفسية والعقلية
والنقلية يا صاحبي السجن اي يا صاحبي في السجن كما تقول يا سارق الليلة ناداهما بعنوان الصحبة
في مدار الاشجان ودار الاحزان التي تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا
مقالته وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق اتضاح فقال أأرباب متفرقون
لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبدكما كل منهما حسبما اراده عبد مراغب المخزون مع عدم استقلاله
خير لكما ام الله المعبود بالحق الواحد المنفرد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يغالبه
احد وبعد ما بينهما على فساد تعدد الارباب بين لهما سقوط آلهتهما عن درجة الاعتبار رأسا
فضلا عن الالوهية فقال معمما للخطاب لهما ولمن على دينهما ما تعبدون من دونه اي من دون الله
شيئا الا اسماء فارغة لا مطابق لها في الخارج لان ما ليس فيه مصداق اطلاق الاسم عليه لا
وجود له اصلا فكانت عبادتهم لتلك الاسماء فقط سميتموها جعلتموها اسماء وانما لم يذكر

السميات تربية لما يقتضيه المقام من اسقاطها من مرتبة الوجود وايذانا بان تسميتهم في البطلان
حيث كان بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود انتم واباؤكم بمحض جهلكم وضلالكم
ما انزل الله بها اي بتلك التسمية المستتبعة للعبادة من سلطان من حجة تدل على صحتها
ان الحكم في امر العبادة المتفرعة على تلك التسمية الا لله عز سلطانه لانه المستحق لها بالذات
اذ هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك لامره امر استئناف مبني على سؤال ناشئ من قوله
ان الحكم الا لله فكانه قيل فماذا حكم الله تعالى في هذا الشان فقيل امر على لسنة الانبيا عليهم
الصلاة والسلام ان لا تعبدوا اي بان لا تعبدوا الا اياه حسبما يقتضيه قضية العقل ايضا
ذلك اي تخصيصه تعالى بالعبادة الدين القيم الثابت المستقيم الذي تعاضدت عليه البراهين
ولكن اكثر الناس لا يعلمون لا يعلمون ذلك لجهلهم وانما بينوها من تلقا انفسهم معرضين
عن البرهان العقلي والسلطان النقلي وبعد تحقيق الحق ودعوتهما اليه وبيانه لهما مقداره
الرفيع ومرتبة علمه الواسع شرع في تفسير ما استفسراه ولكونه بحثا مغايرا لما سبق فصله عنه
بتكرير الخطاب فقال يا صاحبي السجن اما احدكما وهو الشرابي وانما لم يعينه ثقة بدلالة
التعبير وتوسلا بذلك الى ابهام صاحبه حذرا من مشافهته بما يسوءه فيسقي ربه اي سيده
خمرا روي انه عليه الصلاة والسلام قال له ما رايت من الكرمة وحسنها الملك وحسن
حالك عنده واما القضبان الثلاثة فثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه
وقرا عكرمة فيسقي ربه على البنا للمفعول اي يسقى ما يروى به واما الاخر وهو الخباز فيصلب
فتاكل الطير من راسه روي انه عليه الصلاة والسلام قال له ما رايت من السلال ثلاثة
ايام ثم تخرج فتقتل قضي اي اتم واحكم الامر الذي فيه تستفتيان وهو ما يؤول اليه امر
الرؤيتين تعلقا لا ماله الذي هو عبارة عن نجاة احدهما وهلاك الاخر كما يوهمه اسناد القضا
اليه انما يكون عند الحادثة لا حكمها • وكذا الاستفتا لانه افتى فيه في الواقعة المتلاة
بكنهه او لابتدائه في حكمها او وجوابها بكون اقدامه علم في ذلك وقوله تعالى يا ايها الملأ افتوني
في رؤياي ومعنى استفتاهما فيه طلبهما تاويله بقولهما نبئنا بتاويله وانما عبر عن ذلك بالامر
وعن طلب تاويله بالاستفتا تهويلا لامره وتفخيما لشانه اذ الاستفتا انما يكون بالنوازل
المشكلة الحكم المبهمة الجواب • وايثار صيغة الاستقبال مع سبق استفتائهما في ذلك
لانهما بصدده الى ان يقضي عليه الصلاة والسلام من الجواب وطرح واسناد القضا اليه
مع انه من احوال ماله لانه في الحقيقة عين ذلك المال وقد ظهر في عالم المثال بتلك
الصورة واما توجيهه مع تعدد رؤياهما فوارده على حسب ما وحداه في قولهما نبئنا بتاويله
لا لان الامر ما اتهما به وسجنا لاجله من سم الملك فانهما لم يستفتيا فيه ولا فيما هو صورته
بل فيما هو صورة لماله وعاقبته فتامل • وقيل لما عبر رؤياهما جحداه قالا ما راينا شيا
فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما ولعل الجحود من الخباز اذ لا داعي الى جحود الشرابي الا
ان يكون ذلك لمرافقة صاحبه وقال اي يوسف عليه السلام للذي ظن انه ناج اوثر على
صيغة المضارع مبالغة في الدلالة على تحقق النجاة حسبما يفيده قوله تعالى قضي الامر الذي
فيه تستفتيان وهو الشرابي وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال للذي يخلص ناجيا

منهما

منهما من صاحبيه وانما ذكر بوصف النجاة تمهيدا لمناط التوصية بالذكر عند الملك وعنوان التقريب
المفهوم من التعبير المذكور وان كان ادخل في ذلك وادعا الى تحقيقها رمي به فكانه لم يرد فيه
تلويح بعلية الامتياز بينه وبين صاحبه المذكور بوصف الهلاك والظاهر هو يوسف عليه
الصلاة والسلام لا صاحبه لان التوصية المذكورة لا تدور على ظن الناجي بل على ظن يوسف
وهو بمعنى اليقين كما في قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه فان التعبير بالوحي كما ينبئ عنه قوله تعالى
قضي الامر الى اخره • وقيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد والحكم بتقضي الامر ايضا اجتهادي
اذكرني بما انا عليه من الحال والصفة عند ربك سيدك وصفني له بصفتي التي شاهدتها
فانساه الشيطان اي انسى الشرابي بوسوسته والقائه في قلبه اشغالا تعوقه عن الذكر والا
فالانسا في الحقيقة لله عز وجل والفا للسببية فان توصيته عليه الصلاة والسلام
المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه كانت باعثة لما ذكر من الانسا ذكر ربه اي ذكر الشرابي له
عليه الصلاة والسلام للملك والاضافة لادنى ملابسة او ذكر اخباره ربه فلبث اي
يوسف بسبب ذلك الانسا او القول في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع
من البضع وهو القطع والاكثر على انه لبث فيه سبع سنين • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة
بالعباد وان كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الانبيا عليهم السلام الاخذ بالعزائم وقال
الملك اي الريان اني ارى اي رايت وايثار صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية
سبع بقرات سمان جمع سمين وسمينة كالكرام في جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة
كرام ياكلهن اي اكلهن والعدول الى المضارع لاستحضار الصورة تعجيبا والجملة حال من
البقرات سبع عجاف اي سبع بقرات عجاف وهي جمع عجفا والقياس عجف لان افعل وفعلا
لا يجمع على فعال ولكن عدل به عن القياس حملا لاحد النقيضين على الاخر وانما لم يقل سبع
عجاف بالاضافة الى المميز موضوع لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك فلا
يقال ثلاثة ضخام واربعة غلاظ • واما قولك ثلاثة فرسان وخمسة ركبان فلجريان
الفارس والراكب مجرى الاسما • روي انه راى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس
وخرج عقيبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان وسبع سنبلات
خضر قد انعقد حبها واخر يابسات اي وسبعا اخر يابسات قد ادركت والتوت على الخضر
حتى غلبتها على ما روي ولعل عدم التعرض لذكر ذلك للاكتفا بما ذكر من حال البقرات يا ايها
الملأ خطاب للاشراف من العلما والحكما افتوني في رؤياي هذه اي عبروها وبينوا
حكمها وما يؤول اليه من العاقبة والتعبير عن التعبير بالافتا لتشريفهم وتفخيم امر
رؤياه ان كنتم للرؤيا تعبرون اي تعلمون عبارة جنس الرؤيا علما مستمرا وهي الانتقال
من الصور الخيالية الى ما هي صور وامثلة لها من الامور الافاقية والانفسية
الواقعة في الخارج من العبور وهو المجاوزة تقول عبرت النهر اذا قطعته وجاوزته ونحو
اولتها اي ذكرت مالها وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضي
والمستقبل للدلالة على الاستمرار واللام للبيان او لتقوية العامل

الوسن لرعاية الفواصل او لتضمين تعبرون معنى عمد تعدية باللام كانه قيل ان كنتم تعمدون
لعبارتها • ويجوز ان يكون للبيان كما يقال فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا
منه وتعبرون خبرا اخر قالوا استئناف مبني على السؤال • كانه قيل فماذا قال الملأ للملك فقيل
قالوا اضغاث احلام اي تخاليطها جمع ضغث وهو في الاصل ما جمع من اخلاط النبات وحزم
ثم استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من احاديث النفس ووساوس الشيطان وتريها في المنام
والاحلام جمع حلم وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها والاضافة بمعنى من اي هي اضغاث
من احلام اخرجوها من جنس الرؤيا التي لها عاقبة تؤول اليها ويعتنى بامرها وجمعوها وهي
رؤيا واحدة مبالغة في وصفها بالبطلان • كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم
لمن لا يملك الا فرسا واحدا وعمامة مفردة او لتضمنها اشياء مختلفة من البقرات السبع
السمان والسبع العجاف والسنابل السبع الخضر والاخر اليابسات فتأمل حسن موقع
الاضغاث مع السنابل فلله در شان التنزيل وما نحن بتاويل الاحلام اي المنامات
الباطلة التي لا اصل لها بعالمين لا لان لها تاويلا ولكن لا نعلمه بل لانه لا تاويل لها
وانما التاويل للمنامات الصادقة ويجوز ان يكون ذلك اعترافا منهم بقصور
علمهم وانهم ليسوا بنحارير في تاويل الاحلام مع ان لها تاويلا كما يشعر به عدم قولهم ما
وقع في كلام الملك من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال الى المدلول حيث
لم يقولوا بتاويل الاحلام او عبارتها اي التاويل المبني على التصرف والتكلف في ذلك
لما بين الاصل والمآل من البعد وبعيد تولد عز وجل انا انبئكم بتاويله وقال
الذي نجا منهما اي من صاحبي يوسف وهو الشرابي وادكر بغير المعجمة وهو الفصيح وعن
الحسن بالمعجمة اي تذكر يوسف عليه السلام وشؤونه التي شاهدها ووصيته بتقريب رؤيا
الملك واشكال تاويلها على الملأ بعد امة اي مدة طويلة • وقرئ امة بالكسر
وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان والجملة حال من الموصول
او من ضميره في الصلة • وقيل معطوفة على نجا وليس بذاك لان حق الصفة
والصلة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصول والموصوف عند المخاطب كما
عند المتكلم • ولذلك قيل ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم
بها صفات • وانت تدري ان تذكره بعد امة انما علم بهذه الجملة فلا مجال للنظم
نعم بجانبه المعلومة • وقيل في سلك الصلة انا انبئكم بتاويله اي اخبركم به بالتلقي
عمن عنده علمه لا من تلقاء نفسي ولذلك لم يقل انا افتيكم فيها وعقبه بقوله فارسلون
اي الى يوسف وانما لم يذكره لما تحقق من الملك وما لحق من قوله يوسف
ايها الصديق اي ارسلوه فاتاه فقال يا يوسف ووصفه بالمبالغة في الصدق
حسبما شاهد وذاق احواله وجربها لكونه بصدد اغتنام اثاره واقتباس انواره فهو
من باب براعة الاستهلال افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع
سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك وانما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة
ما سبق من معاملتهما او لان لاله مضمون الحادثة عليه من لا امكان لوقوعه في عالم

الشهادة

الشهادة اي بين لنا مآلها وحكمها وحيث عاين علو رتبته عليه الصلاة والسلام في الفضل
عبر عن ذلك بالافتاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه ولا نبئنا بتاويله وفي قوله افتنا مع
انه المستفتي اشعار بان الرؤيا ليست له بل لغيره ممن له ملابسة بامور العامة وانه
في ذلك معبر وسفير كما اذن في ذلك حيث قال لعلي ارجع الى الناس اي الملك ومن عنده
او الى اهل البلد ان كان السجن في الخارج كما قيل فانبئهم بذلك لعلهم يعلمون ذلك
ويعملون بمقتضاه او يعلمون فضلك ومكانك مما انت فيه من الحال فيتخلصونك منه وانما لم
يبت القول في ذلك مجاراة معه على نهج الادب واحترازا عن المجازفة اذ لم يكن على يقين
من الرجوع فربما اخترم دونه لعل المنايا دون ما تعده اي ولا من علمهم بذلك فربما
لم يعلموا قال استئناف مبني على السؤال • كانه قيل فماذا قال يوسف عليه الصلاة والسلام
في التاويل فقيل قال تزرعون سبع سنين دأبا اي بفتح الهمزة وسكونها وكلاهما مصدر
دأب في العمل اذا جد فيه وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل تزرعون اي دائبين او
تدأبون دأبا على انه مصدر مؤكد لفعل هو الحال اول عليه الصلاة والسلام البقرات السمان
والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة فاخبرهم بانهم
يواظبون سبع سنين على الزراعة ويبالغون فيها اذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو مصداق
البقرات السمان وتاويلها ودلهم على طريقة تبقى غلتهم فقال فما حصدتم اي في كل
سنة فذروه في سنبله ولا تذروه كيلا ياكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها
ولعله عليه الصلاة والسلام استدل على ذلك بالسنبلات الخضر وانما امرهم بذلك
اذ لم يكن معتادا فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة لم يامرهم بها وجعله امرا محققا
الوقوع وتاويلا للرؤيا ومصداقا لما فيها من البقرات السمان الا قليلا مما تاكلون
في تلك السنين وفيه ارشاد منه عليه الصلاة والسلام لهم الى التقليل في الاكل والاقتصار
على استيفاء المأكول دون البذر لكون ذلك معلوما من قوله تزرعون سبع سنين وبعد
اتمام ما امرهم به شرع في بيان بقية التاويل التي فيها صلاحهم المذكور فقال ثم ياتي
وهو عطف على تزرعون فلا وجه لجعله بمعنى الامر حثا لهم على الجد والمبالغة في الزراعة
على انه يحصل بالاستيلاء ذلك ابدا من بعد ذلك اي من بعد السنين السبع المذكورات وانما
لم يقل من بعدهن قصدا الى الاشارة الى وصفهن فان الضمير ساكت عن اوصاف المرجع
بالكلية سبع شداد اي سبع سنين صعاب على الناس ياكلن ما قدمتم لهن من الحبوب
المتروكة في سنابلها وفيه تنبيه على ان امره عليه الصلاة والسلام بذلك كان لوقت
الضرورة واسناد الاكل اليهن مع انه حال الناس فيهن مجازي كما هو في نهاره صائم وفيه
تلويح بانه تاويل لاكل العجاف السمان واللام في لهن ترشيح لذلك فكانه ما ادخروه للناس
بل لهن وقدم لهن كالذي يقدم للنازل والا فهو في الحقيقة مقدم للناس فيهن الا
قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم ياتي من بعد ذلك اي من بعد السنين
الموصوفة بما ذكر من الشدة واكل الغلال المدخرة عام لم يعبر عنه بالسنة تحاشيا
عن المدلول الاصلي لها من عام القحط وتنبيها من اول الامر على اختلاف الحال بينه

من السوابق **فيه يغاث الناس** من الغيث اي يمطرون يقال غيثت البلاد اذا امطرت في وقت الحاجة او من الغوث يقال اغاثنا الله تعالى اي امدنا بنفع المكاره حين اظلت **وفيه يعصرون**
اي من شانه ان يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها والتعرض لذكر العصر مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الغيث المستلزم له عادة كما اكتفي به
عن ذكر تصرفهم في الحبوب اما لان استلزام الغيث له ليس كاستلزامه للخصب اذ المذكورات تتوقف صلاحها على مبادي اخرى غير المطر واما لمراعاة جانب المستفتي باعتبار حالة الخاصة
به بشارة له وهي التي ندب عليه حسن تعلقه مع الناس في القراءة بالفوقانية وقيل معني يعصرون يحلبون الضروع وتحديدا ما للاشجار في اوقات ما يقع فيه من الغيث واما لان المقام
مقام تعداد منافع ذلك العام ولاجله قدم في الموضعين على الفعلين فان المقصود الاصلي بيان انه في نفع ذلك العام هذا النفع وذاك النفع لا بيان انهما يقعان في ذلك العام كما
يفيده التاخير ويجوز ان يكون التقديم للقصر على معنى ان غيثهم وعصرهم في ذلك السنين تمت له العدم بالنسبة الى غيرهم ذلك وان يكون ذلك في الاخير لمراعاة الفواصل وفي
الاول لرعاية حاله وقري يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو المناسب للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل ايضا منه كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون
اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة
اما بتضمين اعصرت معنى مطرت وتعديته بنفسه واما بحذف الجار وايصال الفعل
على ان الاسناد اعصرت عليهم واحكام هذا العام المبارك ليست مستنبطة من رؤيا
الملك وانما تلقاها عليه الصلاة والسلام من جهة الوحي فبشرهم بها بعد ما اول
الرؤيا بما اول واشبعهم بالتدابير اللائق في شانه ابانة لعلو كعبه ورسوخ قدمه في
العلم وانه محيط بما لم يخطر ببال احد فضلا عما يري في صورته في المنام على نحو قوله
لصاحبيه عند استفتائهما في منامهما لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله واتماما
للنعمة حيث لم يشاركه عليه الصلاة والسلام في العلم بوقوعها احد ولو بالرؤيا ما يدل
عليها في المنام **وقال الملك** بعد ما جاءه السفير بالتعبير وسمع ما سمع منه من نقير وقطمير
ائتوني به لما علم من علمه وفضله **فلما جاءه** اي يوسف **الرسول** واستدعاه الى الملك **قال
ارجع الى ربك** اي سيدك **فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن** اي فتشه عن
شانهن وانما لم يقل فاسأله ان يفتش عن ذلك حثا للملك على الجد في التفتيش ليتبين
براءته ويتضح نزاهته اذ السؤال مما يهيج الانسان على الاهتمام في البحث للتقصي عما توجه اليه
واما الطلب فانه مما يتسامح فيه ويتسامى ولا يبالي به وانما لم يتعرض لامراة العزيز
مع ما لقي منها ما لقي من مقاساة الاحزان ومعاناة الاشجان محافظة على مواجب الحقوق
واحترازا عن مكرها حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة واما النسوة فقد كان
يطمع في صدقهن بالحق وشهادتهن باقرارها بانها راودته عن نفسه فاستعصم وقد
اقتصر على وصفهن بتقطيع الايدي ولم يصرح بمراودتهن له وقولهن اطع مولاتك واكتفي
بالايماء الى ذلك بقوله **ان ربي بكيدهن عليم** مجاملة معهن واحترازا عن سوء قالتهن عند

الملك

الملك وانتصابهن للخصومة مدافعة عن انفسهن متي سمعن بنسبة لهن الى الفساد **قال**
استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال الملك اثر ما بلغه الرسول
الخبر واحضرهن **ما خطبكن** اي شانكن وهو الامر الذي يحق ان يخاطب المرء صاحبه
اذ راودتن يوسف وخادعته **عن نفسه** ورغبته في طاعة مولاته هل وجدتن فيه شائبة
سوء وريبة **قلن حاش لله** تنزيها له وتعجبا من نزاهته وعفته **ما علمنا عليه من سوء**
بالغن في نفي جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة من **قالت امراة العزيز** وكانت حاضرة
في المجلس وقيل اقبلت النسوة عليها يقررنها وقيل خافت ان يشهدن عليها بما قالت
لهن ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونا من
الصاغرين فاقرت قائلة **الآن حصحص الحق** اي ثبت واستقر وتبين وظهر بعد خفاء
قاله الخليل وقيل هو ماخوذ من الحصة وهي القطعة من الجملة اي تبين حصة الحق من
حصة الباطل كما يتبين حصص الاراضي وغيرها وقيل بان بثباته من حص شعره اذا استاصله
بحيث ظهرت بشرة راسه وقري على البناء للمفعول من حصحص البعير مباركه اي القاها
في الارض للاناخة قال

فحصحص في صم الحصا ثفناته ورام القيام ساعة ثم صمما

والمعنى اقر الحق في مقره ووضع في موضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهور ما ظهر بشهادتهن من
مطلق نزاهته عليه الصلاة والسلام فيما احاط به علمهن من غير تعرض لنزاهته في سائر
المواطن خصوصا فيما وقع فيه التشاجر ولا بحث عن حال نفسها وما صنعت في ذلك بل ارادت
ظهور ما هو متحقق في نفس الامر وثبوته من نزاهته عليه الصلاة والسلام في محل النزاع
وخيانتها فقالت **انا راودته عن نفسه** لا انه راودني عن نفسي **وانه لمن الصادقين** في
قوله حين افتريت عليه هي راودتني عن نفسي ارادت بالان زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان
شهادتهن فتامل ايها المنصف هل ترى فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصماء من
الشهادة بها والفضل ما شهدت به الخصماء انما تصدى عليه الصلاة والسلام لتمهيد
هذه المقدمة قبل الخروج لتظهر براءة ساحته عما قذف به لا سيما عند العزيز وقال في
عليه ما عقدوا كما يعرب عنه قوله عليه الصلاة والسلام لما رجع اليه الرسول واخبره
بكلامهن **ذلك** اي ذلك التثبت المؤدي الى ظهور حقيقة الحال **ليعلم** اي العزيز
اني لم اخنه بالغيب في حرمته كما زعمه لا اعلاما مطلقا فان ذلك لا يستدعي تقديم التفتيش على
الخروج من السجن بل يقتضي تاخيره حتي يظهر امره ولعله لمراعاة حقوق السيادة لانه
المباشر للخروج من حبسه فلم يظهر مع بطلان ما جعله سببا له وان كان ذلك بامر الملك
ما يوهم الاقدام على رايه واما ان يكون ذلك لئلا يتمكن من تقبيح امره عند الملك على الاقدام
ما دقتناه فلا يليق بشانه عليه السلام في الوثوق بامره والتوكل على ربه جل جلاله **بالغيب**
اي بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني
او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة واياما كان فالمقصود بيان كمال
نزاهته عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد اسبابها **وان الله** اي وليعلم انه

تعالى لا يهدي كيد الخائنين اي لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه او لا يهديهم في كيدهم
ايقاعا للفعل على الكيد مبالغة كما في قوله تعالى يتناجون قول الذين ظلموا اي يتناجون ثم فيه
تعريض بامرأته في خيانتها امانته حين ساعدها على حبسه بعد رؤيا آيات نزاهته عليه السلام
ويجوز ان يكون ذلك لتأكيد امانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله عز وجل امره وحسن
عاقبته وما ابرئ نفسي اي لا انزهها عن السوء قاله عليه الصلاة والسلام هضما لنفسه الكريمة
البريئة عن كل سوء وربابها عن التزكية والاعجاب بحالها عند ظهور كمال نزاهتها على اسلوب
قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وتحديثا بنعمة الله عز وجل عليه وابرازا
لسر المكنون في شأن افعال العباد اي لا انزهها عن السوء من حيث هي هي ولا اسند هذه
الفضيلة اليها بمقتضى طبعها بل بتوفيق من الله عز وجل ان النفس البشرية التي من جملتها نفسي
في حد ذاتها لامارة بالسوء مائلة الى الشهوات مستعملة للقوى والآلات في تحصيلها بل انما
ذلك بتوفيق الله تعالى وعصمته ورحمته كما يفيده قوله الا ما رحم ربي من النفوس التي يعصمها
عن الوقوع في المهالك ومن جملتها نفسي او في امارة بالسوء في كل وقت الا وقت رحمة ربي
وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع اي لكن رحمة ربي هي التي تصرف عنها السوء كما في
قوله تعالى ولا هم ينقذون الا رحمة ان ربي غفور رحيم عظيم المغفرة لما يعتري النفوس
بموجب طباعها ومبالغ في الرحمة لها بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك وايثار الاظهار في
مقام الاضمار مع التعرض لعنوان الربوبية لتربية مبادي المغفرة والرحمة وقيل هذا من
كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف عليه الصلاة والسلام اني
لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع وما ابرئ نفسي مع ذلك
من الخيانة حيث قلت في حقه ما قلت وفعلت ما فعلت ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم
ربي اي الا نفسا رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف عليه الصلاة والسلام ان ربي لغفور
لمن استغفر لذنبه رحيم له فلما هذه الكون ما سأله عليه السلام في الخروج عن السجن
لعدم رضاه عليه السلام بملاقاة الملك وامره بتحقيق ما فعل حتى يتبين نزاهته عليه
الصلاة والسلام وانه انما بقي بظلم عظيم مع ما له من الفضل ونباهة الشان ليتلقاه
الملك بما يليق به من الاعظام والاجلال وقد وقع وقال الملك ائتوني به استخلصه
احتبا له خالصا لنفسي اي خاصا بي فلما كلمه اي اتوا به فحذف للايذان بسرعة الاتيان
به فكانه لم يكن بين الامر باحضاره والخطاب معه زمان اصلا والضمير المستكن في كلمه
ليوسف والبارز للملك فلما كلمه يوسف اي شاهده فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد قال
انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة رفيعة امين مؤتمن على كل شيء واليوم ليس بمعيار
لمدة المكانة والامانة بل هو آن التكلم والمراد تحديد مبداهما احترازا عن احتمال كونهما
بعد حين روي انه عليه الصلاة والسلام لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لاهله
واغتسل ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ
بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان
فقال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب

منه

منه فقال احب ان اسمع منك رؤياي فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها كما راها
فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه
راعيل فوجدها عذراء وولدت له افرايم وميشا وتقديم ذلك انما كان لتعينه عليه الصلاة
والسلام لما عين له من امر الخزائن كما يعرب عنه قوله عز وجل قال اجعلني على خزائن الارض
اي ارض مصر اي ولني امرها من الايراد والصرف اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه
التصرف فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية اذا كان الطالب ممن يقدر على اقامة العدل
واجراء احكام الشريعة وان كان من يد الجائر او الكافر وعن مجاهد ان الملك
الملك اسلم على يده عليه الصلاة والسلام ولعل ايثاره عليه السلام لتلك الولاية
خاصة انما كان للقيام بما هو اهم امور السلطنة اذ ذاك من تدبير امر السنين حسبما فصله
في التاويل لكونه من فروع تلك الولاية لا لمجرد عموم الفائدة وجمع المنافع كما قيل وانما
لم يكن اجابة الملك الى ما سأله عليه الصلاة والسلام من جعله على خزائن الارض الا ان
ذلك انه لا مرد له غني عن التصريح به لا سيما بعد تقدم ما يندرج تحته احكام السلطنة
بحذافيرها من قوله انك اليوم لدينا مكين امين وللتنبيه على ان كل ذلك من الله عز وجل
وانما الملك في ذلك سبب وكذلك اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف اي جعلنا
له مكانا في الارض اي ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين وفي التعبير
عن الجعل المذكور بالتمكين في الارض مسندا الى ضميره عز سلطانه من تشريفه عليه السلام
والمبالغة في كمال ولايته والاشارة الى حصول ذلك من اول الامر لا انه حصل بعد السؤال
ما لا يخفى يتبوأ منها ينزل من بلادها حيث يشاء ويتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته على
التصرف فيها ودخولها تحت ملكته وسلطانه فكانها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله
وقرأ ابن كثير بالنون روي ان الملك توجه بتاجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له
سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال عليه الصلاة والسلام اما السرير فاشد
به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال
وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض اليه الملك
امره واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام في
السنة الاولى بالدنانير والدراهم وفي الثانية بالحلي والجواهر وفي الثالثة بالدواب ثم
بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقال ما راينا كاليوم ملكا اجل واعظم
منه ثم اعتقهم ورد اليهم اموالهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا
بين الناس نصيب برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء
مشيئة الحكمة الداعية الى المشيئة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفيه بكماله وفيه اشعار
بان مدار المشيئة المذكورة احسان من يصيب الرحمة المرقومة وانها اجر له ولدفع
توهم انحصار ثمرات الاحسان فيما ذكر من الاجر العاجل قيل على سبيل التوكيد ولاجر
الآخرة اي اجرهم في الآخرة فالاضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذي لا نفاد له خير
لهم اي للمحسنين المذكورين وانما وضع موضعه الذين آمنوا وكانوا يتقون تنبيها على ان المراد

بالاحسان التام في الايواء والانفاق الثبوتي المستفاد من جمع صيغتي الماضي والمستقبل وجاء
اخوة يوسف ممتارين لما اصاب ارض كنعان وبلاد الشام ما اصاب مصر وقد كان ارسلهم يعقوب
عليه السلام جميعا غير بنيامين فدخلوا عليه اي على يوسف وهو في مجلس ولايته فعرفهم لقوة
فهمه وعدم مباينة احوالهم السابقة لحالهم يومئذ لمفارقته اياهم وهم رجال وتشابه هيآتهم
وزيهم في الحالين ولكون همته معقودة بهم وبمعرفة احوالهم لا سيما في زمن القحط وعن
الحسن رحمه الله ما عرفهم حتى تعرفوا له وهم له منكرون اي والحال انهم منكرون له لطول
العهد وتباين ما بين حاليه عليه الصلاة والسلام في نفسه ومنزلته وزيه ولاعتقادهم
انه هلك وحيث كان انكارهم له امرا مستمرا في حالتي المحضر والمغيب اخبر عنه بالجملة الاسمية
بخلاف عرفانه عليه الصلاة والسلام اياهم ولما جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم من
الزاد وما يحتاج اليه المسافر واوقر ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة وقرئ بكسر الجيم قال
ائتوني باخ لكم من ابيكم لم يقل باخيكم مبالغة في اظهار عدم معرفته لهم ولعله عليه
الصلاة والسلام انما قال لهم ذلك لما قيل من انهم ناولوه عليه الصلاة والسلام عشرة فاذن لهم
على المعتاد لبنيامين فاعطاهم عشرة لذلك وشرطهم ان يأتوه به لا لما قيل من انهم رأوه وكلموه
بالعبرانية فقال لهم من انتم فما امركم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد
فجئنا نمتار فقال لهم لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ كبير
صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال
كم انتم هاهنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن الهالك
قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا وانما تقولون الحق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها
احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو
يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده اولا
ورود الامر بالاتيان به عند التجهيز ولا الحث عليه بايفاء الكيل ولا الاحسان في الانزال
ولا الاقتصار على منع الكيل على تقدير عدم الاتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لاجل
رجوعهم ولا عدتهم بالاتيان به بطريق المراودة ولا تعليلهم عند ابيهم ارسال اخيهم
بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على انه لو كان استبقوا شمعون لوقع لحكاية ذلك طامة يبقى
عندها كل شيء وقوله الا ترون اني اوفي الكيل اي اتمه لكم وايثار صيغة الاستقبال مع
كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك عادة له مستمرة وانا خير المنزلين
فيما سبق ولحق ولذلك اخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقله عليه الصلاة والسلام بطريق
الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما امرهم به والاقتصار في الكيل على ذكر الايفاء لان معاملته
عليه الصلاة والسلام معهم في ذلك كمعاملته مع غيرهم في مراعاة مواجب العدل
واما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم في ذلك بما شاء فان لم تأتوني به فلا كيل
لكم عندي من بعد فضلا عن ايفائه ولا تقربون بحذف الياء اي لا تقربوا بلادي فضلا عن الاحسان في
الانزال والضيافة وهو اما نهي او نفي معطوف على محل الجزاء وفيه دليل على انهم كانوا على
نية الامتيار مرة بعد اخرى وان ذلك كان معلوما له عليه الصلاة والسلام قالوا

سنراود

سنراود عنه اباه اي سنخادعه عنه ونحتال في انتزاعه من يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه
على عزة المطلب وصعوبة مناله وانا لفاعلون ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين او لقادرون
عليه لا نتعايا به وقال يوسف لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيته وهي
جمع قلة له اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل رجلا يعبي فيه بضاعتهم التي
شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعله عليه الصلاة والسلام تفضلا عليهم
وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به مرة اخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من
رجوعهم باخيه كما يؤذن به قوله لعلهم يعرفونها اي يعرفون حق ردها والتكرم في ذلك او
لكي يعرفونها وظاهره لتعلق بقوله اذا انقلبوا الى اهلهم فان معرفتهم لها مقيدة
بذلك لكن لما كان ابتداء المعرفة حينئذ لعلهم يرجعون حسبما امرتهم به فان التفضل عليهم
باعطاء البدلين ولا سيما عند اعواز البضاعة من اقوى الدواعي الى الرجوع وما قيل ان ما
فعله عليه الصلاة والسلام لما انه لم ير من الكرم ان يأخذ من ابيه واخوته ثمنا فكلام
حق في نفسه ولكن يأباه التعليل المذكور واما ان علة الجعل المذكور للرجوع من
حيث ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لانهم لا يستحلون امساكها فمداره حسبانهم
انها بقيت في رحالهم نسيانا وظاهر ان ذلك مما لم يخطر ببال احد اصلا فان هيئة التعبية
تنادي بان ذلك بطريق التفضل الا ترى انهم كيف جزموا بانه للتفضل حين رأوها وجعلوا ذلك
دليلا على التفضلات السابقة كما ستحيط به خبرا فلما رجعوا الى ابيهم قالوا قبل ان يشتغلوا
بفتح المتاع يا ابانا منع منا الكيل فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتيار
مرة بعد مرة معهودا فيما بينهم وبينه فارسل معنا اخانا بنيامين الى مصر وفيه ايذان بان
مدار المنع عدم كونه معهم نكتل بسببه من الطعام ما نشاء وقرأ حمزة والكسائي بالياء على
اسناده الى الاخ لكونه سببا للاكتيال او يكتل لنفسه مع اكتيالنا وانا له لحافظون
من ان يصيبه مكروه قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد
قلتم في حقه ايضا ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم وانما افوض امري
الى الله فالله خير حفظا وقرئ حافظا وانتصابهما على التمييز والحالية على القراءة الاولى
توهم تقييد الخيرية بتلك الحالة وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع
علي مصيبتين ومن الحماري ميل منه عليه الصلاة والسلام الى الاذن والارسال
لما رأى فيه من المصلحة ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم اي تفضلا وقد
علموا ذلك بما مر من دلالة الحال وقرئ بنقل حركة الدال المدغمة الى الراء كما قيل
وكيل قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا لابيهم ولعله
كان حاضرا عند الفتح يا ابانا ما نبغي اذا فسر البغي بالطلب فما اما استفهامية
منصوبة به فالمعنى ماذا نبغي وراء ما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرامه
الداعي الى امتثال امره والمراجعة اليه في الحوائج وقد كانوا اخبروه بذلك وقالوا
له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا
كرامته وقوله تعالى هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستأنفة موضحة لما دل عليه

الانكار من بلوغ اللطف غايته كانهم قالوا كيف لا و هذه بضاعتنا ردت الينا تفضلا من حيث لا ندري
بعدما من علينا من المنن العظام هل من مزيد على هذا فنطلبه و لم يريدوا به الاكتفا
به لان تخلفهم التباعد عن طلب نظاير ذلك او الاكتفا به في استيجاب الامتثال لامره
و الالتجا اليه في استجلاب المزيد كما اشرنا اليه ● و قوله تعالى ردت الينا حال
من بضاعتنا و العامل معنى الاشارة و ايثار صيغة البنا للمفعول للايذان بكمال الاحسان
الناشي عن كمال الاخفا المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به و لا بفاعله ● و قوله
عز و جل ونمير اهلنا اي نجلب اليهم الطعام من عند الملك معطوف على مقدر ينسحب عليه
رد البضاعة اي فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا من المكاره حسبما وعدنا فما نصيبه
من مكروه ونزداد اي بواسطته ذلك لك وسط الاخ باخذ حظه بين الاصل و المزيد
كيل بعير اي وسق بعير زايد على اوساق اباعرنا على قضية التقسيط ذلك اي ما يحمله
اباعرنا كيل يسير اي مكيل قليل لا يقوم باودنا فهو استيناف وقع تعليلا لما سبق
كانه قيل اي لا حاجة الى الازدياد فقيل ما قيل او ذلك الكيل الزايد كيل يسير
لا يضايقنا فيه الملك او سهل عليه لا يتعاظمه او اي مطلب نطلب من مهماتنا والجمل الاربع
تفاصيل توضيح و بيان لما يشعر به الانكار من كونهم فايزين ببعض المطالب او متمكنين من
تحصيله فكانهم قالوا بضاعتنا حاضرة نستظهر بها و نمير اهلنا و نحفظ اخانا فما يصيبه
شي من المكاره و نزداد بسببه غير ما نكتاله لانفسنا كيل بعير فاي شي نبتغي وراء هذه
المباغي ● و قري ما تبغي بالخطاب تعويلا على العلامة و اللام اي اي شي تبغي وراء هذه المباغي
المشتملة على سلامة اخينا و سعة ذات ايدينا او و اما تبتغيه بالملك من الاحسان
داعيا الى التوجه اليه و الجملة الاستينافية موضحة لذلك او اي شي تبتغي شاهدا على
صدق قولنا و وصفنا للملك من احسانه و الجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه
بفحوى الانكار و اما نافية فالمعنى ما نبتغي شيا غير ما راينا من احسان الملك في وجوب
المراجعة اليه او ما نبتغي غير هذه المباغي و قيل ما نطلب منك بضاعة اخرى و الجملة
المستانفة تعليل له ● و اما اذا فسر بالبغي بمجاوزة الحد فما نافية فقط و المعنى ما نبغي
في القول و ما نزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك و كرمه الموجب لما ذكر و الجملة
المستانفة لبيان ما ادعوا من عدم البغي ● و قوله و نمير اهلنا على ما نبغي لما ذكرنا من
امثاله و يحتمل احسانه فيجوز ان يكون كلاما مبتدا اي جملة اعتراضية تذييلية
على معنى و ينبغي ان نمير اهلنا و نشبه ذلك بقولك سعيت في حاجة فلان و يجب ان اسعى
و انت خبير بان شان الجمل التذييلية ان تكون مؤكدة لمضمون الصدر و مقررة له
كما في المثال المذكور ● و قولك فلان ينطق بالحق فالحق ابلج و ان قوله و نمير الى اخره و ال
ساعده فاني حمله على معنى ينبغي ان نمير اهلنا معرض لمن ذلك او ما ينبغي في الراي و ما نحن له
عن الصواب فيما نحن فيه بعدما عليك عن ارسال اخينا معنا و الجمل الى اخرها تفصيل و بيان له
لمن مريعهم و امثاله رايهم اي بضاعتنا حاضرة نستظهر بها و نمير اهلنا و نفتح كيت
و كيت فتامله قال لن ارسله معكم بعدما عاينت منكم ما عاينت حتى تؤتون موثقا

من

من الله اي ما اوثق به من جهة الله عز و جل و انما جعله موثقا منه تعالى لان تاكيده المعهود
به ماذون فيه من جهته تعالى فهو اذن منه عز و علا لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى
تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي الا ان تغلبوا فلا تطيقوا به او الا ان تهلكوا ●
و اصله من احاطة العدو فان من احاط به العدو فقد هلك غالبا و هو استثناء من اعم الاحوال
او العلل الا حال الاحاطة بكم ● و نظيره قولهم اقسمت لتفعلن و الا فعلت
اي ما اطلب منك الا فعلك و قد جوز الاول بان قوله لتأتنني به في تاويل لا تمتنعن على كل حال الا
حال الاحاطة بكم ● و انت تدري انه حيث لم يكن الاتيان به من الافعال الممتدة الشاملة
للاحوال على سبيل الاحوال كما في قولك لالزمنك الا ان تعطيني حقي و لم يكن مراده عليه
السلام مقارنته على سبيل البدل لما عدا الحالة المستثناة ● كما اذا قلت صل الا ان
تكون محدثا بل مجرد تحققه و وقوعه من غير اخلال به كما في قولك لاحجن العام الا اذا احصر
فان مرادك انما هو الاخبار بعدم منع ما سوى حال الاحصار عن الحج لا الاخبار بمقارنته لتلك
الاحوال على سبيل البدل كما هو مراده ان مثال الصلاة كان باعتبار الاحوال معنى من
حيث عدم منعها منه نال المعنى الى ان و قيل المذكور فلما اتوه موثقهم عهدهم من
الله حسبما اراد قال الله على ما نقول اي على ما قلنا في اثنا طلب الموثق و ايتائه من الجانبين
و ايثار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المؤدية الى تثبتهم و محافظتهم على ما قيل
و مراقبته وكيل مطلع رقيب يريد به عرض ثقته بالله تعالى و حثهم على مراعاة ميثاقهم
وقال ناصحا لهم لما ازمع على ارسالهم جميعا يا بني لا تدخلوا من باب واحد
نهاهم عن ذلك حذارا من اصابة العين فانهم كانوا ذوي جمال و شارة حسنة و قد
كانوا تجملوا في هذه الكرة اكثر مما في المرة الاولى و قد اشتهروا في مصر بالكرامة
و الزلفى لدى الملك بخلاف النوبة الاولى فكانوا مظنة لان يكون مطمح نظر كل ناظر و مطمح كل طامح
و اصابة العين بتقدير العزيز الحكيم ليست مما ينكر و قد ورد عنه صلى الله عليه وسلم
ان العين حق تدخل الرجل القبر و الجمل القدر ● و قد كان صلى الله عليه و سلم يعوذ
الحسن و الحسين رضي الله عنهما اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان و هامة و من
كل عين لامة و كان يقول كان ابوكما يعوذ بها اسماعيل و اسحاق عليهما السلام رواه
البخاري في صحيحه و قد شهدت بذلك التجارب و لما لم يكن عدم الدخول من باب
واحد من نوع اجتماع مصحح لوقوع الحذر قال و ادخلوا من ابواب متفرقة لبيان
ان المراد بالنهي المذكور لا تحقق شي و ما اغني عنكم اي لا انفعكم و لا ادفع عنكم بتدبيري
من الله من شي اي شيا ما قضي عليكم فان الحذر لا يمنع القدر و لم يرد به عليه السلام
المعالجة بالكلية كيف لا و قد قال عز قايلا و لا تلقوا بايديكم الى التهلكة و قال
خذوا حذركم بل اراد بيان ما و ما اسم به ليس مما يستوجبه المراد لا محالة بل هو تدبير
في الجملة و انما التاثير و ترتب المنفعة من العزيز الغفار و الا ذلك ليس الا
للعقد ربطه اي ما هو استعانة بالله تعالى و هرب منه اليه ان الحكم مطلقا الا لله
لا يشاركه احد و لا يمانعه في عليه لا على احد سواه توكلت في كل ما اتي و اذر

وعليه دلالة على ترتيب الأسباب مع التوكل وعليه دون غيره فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين
في عطف الجملة على الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص منه أولاً وعطف غيره على فعل غيره
في تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل نفسه وبالفاء السببية فعله لكونه سابقاً فعل غيره
من المقتدين بما وصاهم به من التدبير ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم من الأبواب
المتفرقة من البلد قيل كانت له أربعة أبواب فدخلوا منها وإنما اكتفى لاستلزامه الانتهاء
عما نهوا عنه ما كان ذلك الدخول يغني فيما سابق عنده وقوع ما وقع عنهم من الله أخليقين لأن
المعقود به أسند فاعل الاغناء عنهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لتحقيق المقارنة الواجبة
بين جواب لما ومدخوله فإن عدم الاغناء بالفعل إنما يتحقق عند نزول المحذور لا وقت الدخول
وإنما المتحقق حينئذ ما أفاده الجمع المذكور من عدم كون الدخول المذكور مغنياً فيما سيأتي
فتأمل من الله من جهته من شيء أي شيئاً مما قضاه عليهم مع كونه مظنة لذلك في بادي الرأي
حيث وصاهم به يعقوب عليه السلام وعملوا بموجبه واتفقوا عدوا من فضل الله تعالى
فليس المراد بيان سببية الدخول المذكور لعدم الاغناء كما في قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم
إلا نفوراً فإن مجيء النذير هناك سبب لزيادة نفورهم بل بيان عدم سببية الدخول المذكور
لعدم الاغناء كما في قوله تعالى لك فانع كونهما متوقعة في بادي الرأي كما في قولك حلف أن يعطيني
حقي عند حلول الأجل فلما حل الأجل لم يعطني شيئاً فإن المراد بيان عدم سببية حلول الأجل
للإعطاء مع كونه مرجو الوقوع بموجب الحلف لا بيان سببيته لعدم الإعطاء فالمآل بيان عدم ترتب
الغرض المقصود على التدبير المعهود مع كونه مرجو الوجود لا بيان ترتب عدمه عليه
ويجوز أن يراد ذلك أيضاً بناء على ما ذكر عليه الصلاة والسلام في تضاعيف وصيته
من أنه لا يغني عنهم من الله من شيء فكأنه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يفد ذلك شيئاً ووقع
الأمر حسبما قال عليه الصلاة والسلام فلقوا ما لقوا فيكون من باب وقوع المتوقع
فتأمل إلا حاجة استثناء منقطع أي ولكن حاجة وحزازة كائنة في نفس يعقوب قضاها
أي أظهرها ووصاهم بها دفعاً للخاطر غير معتقد أن للتدبير تأثيراً في تغيير التقدير
وقد جعل ضمير الفاعل في قضاها للدخول وفي حاجة في نفس يعقوب وهي إرادته
أن يكون دخولهم من أبواب متفرقة فالمعنى ما كان ذلك الدخول يغني عنهم من الله شيئاً
ولكن قضى حاجة حاصلة في نفس يعقوب بوقوعه حسب إرادته فالاستثناء منقطع أيضاً
وعلى التقديرين لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطر وأما إصابة العين فإنما لم تقع
لكونها غير مقدرة عليهم لا لأنها اندفعت بذلك مع كونها مقضية عليهم وإنه لذو علم
جليل لما علمناه لتعليمنا إياه بالوحي ونصب الأدلة حيث لم يعتقد أن الحذر يدفع
القدر وأن التدبير له حظ من التأثير حتى يتبين الخلل في رأيه عند تخلف الأثر أو حيث
بت القول بأنه لا يغني عنهم من الله شيئاً فكان الحال كما قال وفي تأكيد الجملة بأن واللام
وتنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند إلى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شأن
يعقوب عليه السلام وعلو مرتبة علمه وفخامته ما لا يخفى ولكن أكثر الناس لا يعلمون
أسرار القدر ويزعمون أنه يغني عنه الحذر وأما ما يقال من أن المعنى لا يعلمون إيجاب

الحذر

الحذر مع أنه لا يغني شيئاً من القدر فيأباه مقام بيان تخلف المطلوب عن المبادي ولما دخلوا على
يوسف آوى إليه أخاه بنيامين أي ضمه إليه في الطعام أو في المنزل أو فيهما روي أنهم
لما دخلوا عليه قالوا هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم وستجدون ذلك عندي
فأكرمهم وأضافهم وأجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيداً فبكى وقال لو كان أخي يوسف
حياً لأجلسني معه فقال يوسف بقي أخاكم فريداً فأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله
ثم أنزل كل اثنين منهم بيتاً فقال هذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه إليه
ويشم رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم
أخ لي هلك فقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخاً مثلك
ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام إليه وعانقه وتعرف له عند ذلك
قال إني أنا أخوك يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فإن الله
تعالى قد أحسن إلينا وجمعنا بخير ولا تعلمهم بما أعلمتك. قال ابن عباس رضي الله عنهما
وعن وهب أنه لم يتعرف إليه بل قال له أنا أخوك بدل أخيك المفقود ومعنى فلا تبتئس
لا تحزن بما كانت تلقاه منهم من الحسد والأذى فقد أمنتهم. وروي أنه قال له فأنا لا أفارقك
قال لقد علمت باغتمام الوالد بي فإذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أنسبك
إلى ما لا يجمل قال لا أبالي فافعل ما بدا لك قال أدس صاعي في رحلك ثم أنادي عليك بأنك
سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية
أي المشربة قيل كانت مشربة جعلت صاعاً يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال
بها الحبوب وكانت من فضة وقيل من ذهب وقيل من فضة مموهة بالذهب وقيل
كانت إناء مستطيلة تشبه المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه ويستعمله الأعاجم وقيل
كانت مرصعة بالجواهر في رحل أخيه بنيامين. وقرئ وجعل على حذف جواب لما
تقديره أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن مؤذن نادى مناد أيتها العير وهي الإبل التي
عليها الأحمال لأنها تعير أي تجيء وتذهب. وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل
قافلة عير كأنها جمع عير وأصلها فعل مثل سقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد
أصحابها. كما في قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي. روي أنهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف
حتى انطلقوا منزلا. وقيل خرجوا من العمارة ثم أدركهم فقال ذلك إنكم لسارقون
هذا الخطاب إن كان بأمر يوسف فلعله أريد بالسرقة أخذهم له من أبيه ودخول بنيامين
فيه بطريق التغليب وإلا فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه والأول هو الأظهر والأوفق
بالسياق. وقرئ إنكم لسارقون بلا لام. قالوا أي الإخوة وأقبلوا عليهم جملة حالية من ضمير
قالوا جيء بها للدلالة على انزعاجهم لما سمعوا لمباينته لحالهم ماذا تفقدون أي تعدمون
تقول فقدت الشيء إذا عدمته بأن ضل عنك لا بفعلك والمآل ماذا ضاع عنكم وصيغة
المستقبل لاستحضار الصورة. وقرئ تفقدون من أفقدته إذا وجدته فقيداً
وعلى التقديرين تغيير الكلام حيث لم يقولوا ماذا سرق منكم لبيان كمال نزاهتهم
بإظهار أنه لم يسرق منهم شيء فضلاً عن أن يكونوا هم السارقين له وإنما الممكن أن يضيع منهم شيء

نبيا لو نهم انه ماذا او فيه ارشاد لهم الى مراعاة حسن الادب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البراءة
الى ما لا خير فيه لا سيما بطريق التوكيد فلذلك غيروا الكلام حيث قالوا في جوابهم نفقد صواع
الملك ولم يقولوا سرقتموه او سرق وقرئ صاع وصوع بفتح الصاد وضمها مع الغين والعين
من الصياغة لم يقولوا سرقتموه لما تلقوه من قبلهم من ارادة الاعتقاد انه انما بقي في رحالهم اتفاقا
ولمن جاء به من عند نفسه مظهرا له قبل التفتيش حمل بعير من الطعام جعلا له على
نية تحقيق الوعد لمن يهم بامتناع وجود الشرط وعزمهم على ما لا يخفى من اخذ من وجد في رحله
وانا به زعيم كفيل اؤديه اليه وهو قول المؤذن قالوا تالله الجمهور على ان التاء بدل من الواو
ولذلك لا تدخل الا على الجلالة المعظمة او الرب المضاف الى الكعبة او الرحمن في قول
ضعيف • ولو قلت تالرحيم لم يجز وقيل من الباء وقيل اصل بنفسه • وايا ما كان
ففيه تعجب لقد علمتم علما جازما مطابقا للواقع ما جئنا لنفسد في الارض اي لنسرق
فانه من اعظم انواع الافساد او لنفسد فيها اي فساد كان فضلا عما نسبتمونا
اليه من السرقة ونفي المجيء للافساد وان لم يكن مستلزما لما هو مقتضى المقام من نفي
الافساد مطلقا لكنهم جعلوا المجيء الذي يترتب عليه ولو بطريق الاتفاق مجيئا لغرض الافساد
مفعولا لاجله ادعاء اظهارا لكمال قبحه عندهم وتربية لاستحالة صدوره عنهم كما في
قوله تعالى ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد الدال بظاهره على نفي المبالغة في الظلم
دون نفي الظلم ان الجملة الذي هو مقتضى المقام من ان المعنى اذ اعذب من لا يستحق التعذيب
كنت ظلاما مفرطا في الظلم فكانهم قالوا ان صدر عنا افساد كان مجيئنا لذلك مريدين به تقبيح
حاله واظهار كمال نزاهتهم عنه لعلمهم انه قد شاع بينكم من كرتي مجيئنا ما نحن عليه وقد كانوا في غاية
ما يكون من الديانة والصيانة فيما ياتون ويذرون حتى روي انهم دخلوا مصر وافواه رواحلهم
مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد وكانوا مثابرين على فنون الطاعات وعلمتم بذلك
انه لا يصدر عنا افساد وما كنا سارقين اي ما كنا نوصف بالسرقة قط وانما حكموا بعلمهم ذلك
لان العلم باحوالهم الشاهدة يستلزم العلم باحوالهم الغائبة وانما لم يكتفوا بنفي الامرين المذكورين
بل استشهدوا بعلمهم ذلك الزاما للحجة عليهم وتحقيقا للتعجب المفهوم من تاء القسم قالوا اي
اصحاب يوسف عليه السلام فما جزاؤه الضمير للصواع على حذف المضاف اي فما جزاء سرقته عندكم
وفي شريعتكم ان كنتم كاذبين لا في دعوى البراءة عن السرقة فانهم صادقون فيها بل في
ذلك من نفي كون الصواع فيهم كما يؤذن به قوله عز وجل قالوا جزاؤه من وجد اي اخذ من وجد
الصواع في رحله حيث ذكر بعنوان الوجدان في الرحل دون عنوان السرقة وان كان ذلك
مستلزما لها في اعتقادهم بناء على جريان العادة ولذلك اجابوا بان الاخذ والاسترقاق
سنة انما هو جزاء السارق دون من وجد في يده مال غيره كيف ما كان فتامل في جمل الكلام
كل فريق على ما لا يزاحم رايه فانه اقرب الى معنى الكيد وابعد من الافتراء وقوله فهو
جزاؤه تقرير لذلك الحكم اي فاخذه جزاؤه كقولك حق الضيف ان يكرم فهو حقه • ويجوز
ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر مقام المضمر
والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو على ان الاول لمن والثاني للظاهر الذي وضع

موضعه كذلك اي مثل ذلك الجزاء الاوفى نجزي الظالمين بالسرقة تاكيد للحكم المذكور غب
تاكيده وبيان لقبح السرقة ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها وهم عما فعل بهم غافلون
فبدأ يوسف بعدما رجعوا اليه للتفتيش باوعيتهم اي اوعية الاخوة العشرة اي بتفتيشها
قبل تفتيش وعاء اخيه بنيامين لنفي التهمة • روي انه لما بلغت النوبة الى وعائه قال ما اظن
هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا ثم استخرجها
اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه لم يقل منه على رجع الضمير
الى الوعاء او من وعائه على رجعه الى الاخ قصدا الى زيادة كشف وبيان • وقرئ بضم الواو
وبقلبها همزة كما في اشاح ووشاح كذلك نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة على فخامة المشار
اليه وكذلك ما في معنى البعد اي مثل ذلك الكيد العجيب وهو عبارة عن ارشاد الاخوة
الى الافتاء المذكور باجرائه على السنتهم وحملهم عليه بواسطة المستفتين من
حيث لم يحتسبوا فمعنى قوله عز وجل كدنا ليوسف صنعنا له ودبرنا لاجل تحصيل غرضه من
المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست كما في قوله تعالى فيكيدوا لك كيدا
فانها داخلة على المتضرر على ما هو الاستعمال الشائع وقوله تعالى ما كان لياخذ اخاه في دين الملك
استئناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه لا تفسير وبيان له كانه قيل لماذا فعل
ذلك فقيل لانه لم يكن لياخذ اخاه بما فعله في دين الملك في امر السارق اي في سلطانه قاله ابن
عباس رضي الله عنه او في حكمه وقضائه قاله قتادة الاية لان جزاء السارق في دينه انما كان
ضربه وتغريمه ضعف ما اخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب عليه السلام
التي نسبها اليه في حال من الاحوال الا ان يشاء الله اي الا حال مشيئته التي هي عبارة عن ارادته
لذلك الكيد او الا حال مشيئته للاخذ بذلك الوجه ويجوز ان يكون ذلك الكيد عبارة
عنه وعن مباديه المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف عليه السلام وقومه الى ما صدر
عنهم من الاقوال والافعال حسبما شرح مرتبا لكن لا على ان يكون الغرض المستفاد من تعليله
المجيء وما حوله بالنسبة الى الغرض منطلقا على معنى ذلك الكيد كذا لا كيد احد لا بمعنى
لتعليله بعجز يوسف عليه السلام عن اخذ اخيه في دين الملك في شان السارق قطعا اذ
لا ملابسة بين مطلق الكيد وبين الملك في دين السارق اصلا بل بالنسبة الى بعضه على
معنى منع ذلك الكيد البالغ الى هذا الحد كما له ولم يكتف ببعض من ذلك لانه لم يكن
ياخذ اخاه في دين الملك به الا حال مشيئته له باجراء الجزاء الصوري من العلة التامة
وهو ارشاد اخوته الى الافتاء المذكور • وعلى هذا ينبغي ان يحمل التفسير في تفسيره قوله تعالى
كدنا ليوسف بقوله علمناه واوحينا به اياه اي مثل ذلك التعليم المستتبع لما شرح مرتبا
علمناه دون بعض من ذلك فقط الى اخره وعلى كل حال فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز
ان يكون من اعم العلل والاسباب اي لم يكن لياخذ اخاه لعلة من العلل او بسبب
من الاسباب الا لعلة مشيئته تعالى او لسبب مشيئته تعالى وايا ما كان فهو متصل
لان اخذ السارق اذا كان ممن يرى ذلك ويعتقده دينا لا سيما عند رضاه وافتائه به
ليس مخالفا لدين الملك وفيه دليل على معنى الاستثناء الا ان يشاء الله اعتياده لذلك الحكم حكمه

اللطيف نفري ان المراد بدينه ما عليه حينئذ فتعيين محله بالاتصال وارادة مطلق ما يتدين
به اعرضه وبما حرر يبقى الى كون الاستثناء من قبيل التعليق بالمحال المعقود لبيان عجز يوسف عليه
السلام عن اخذ اخيه حينئذ ولا تعلق المشية بالحيلة المذكورة ان اراده عجزه مطلقا
تودي الى كون المراد فان استثناء حال المشية المذكورة من احوال العجز عليه الصلاة والسلام
ما يشعر بعدم الحاجة الى الحيلة المذكورة وقد تجوز الانقطاع اي لكن اخذه بمشية الله تعالى
واذنه في دين الملك نرفع درجات اي رتبا كثيرة عالية من العلم وانتصابها على المصدرية
او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات والمفعول قوله تعالى من نشاء اي نشاء رفعه
حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف • وايثار صيغة الاستقبال للاشعار
بان ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب
وفوق كل ذي علم من اولئك المرفوعين عليم لا ينال شأوه واعلم انه ان جعل الكيد
عبارة عن المعنيين الاولين • فالمراد برفع يوسف عليه الصلاة والسلام ما اعتبر فيه
بالشرطية او الظرفية من ارشاده عليه السلام الى دس الصواع في رحل اخيه وما
يتفرع عليه من المراتب المترتبة لاستبقاء اخيه مما يترتب من قبله والمعنى ارشدنا
اخوته الى الافتاء المذكور لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بدونه وارشدنا كلا منهم
ثم من اصحابه الى ما صدر عنهم ولم نكتف بما تم من قبل يوسف فقط لانه لم يكن متمكنا من اخذ
اخيه بذلك فقوله تعالى نرفع درجات الى قوله عليم توضيح لذلك لا على معنى ان الرفع المذكور
لا يوجب تمام مرامه اذ ليس ذلك بحيث لا يرد به من علمه بل انا نرفع حسب استعداده وفوق
كل واحد منهم عليم لا يبلغ ادراكه ولا يكتنه كنهه بل يرفع كلا منهم الى ما يليق به من
معارج العلم ومدارجه وقد رفع يوسف عليه السلام الى ما يليق به من الدرجات العالية
واعلم ان ما حواه ذلك مع علمه لا يفي بمرامه فارشد اخوته الى الافتاء المذكور فكان ما كان كانه
عليه الصلاة والسلام لم يكن فيما يبتني من صدور الافتاء المذكور عن اخوته وان كان
على طمع منه فان ذلك الى الله عز وجل وجودا وعلما والغرض توصيف العلم بتعيين جهة
الفوقية وفي صيغة المبالغة مع التنكير والالتفات الى الغيبة من الدلالة على فخامة
شانه عز وعلا وجلالة مقداره واحاطته ما لا يخفى • واما ان جعل عبارة عن التعليم
المستتبع للافتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك التعليم والافتاء وان لم يكن ذلك
عن ارادته عليه الصلاة والسلام لكنه كان ذلك عنه بواسطة الوحي والتعليم
والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الافتاء
الذي سيصدر عن اخوته اذ لم يكن متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك فقوله نرفع درجات من نشاء
توضيح لقوله كدنا وبيان لان ذلك من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم
ومدح ليوسف برفعه اليها • وقوله وفوق كل ذي علم عليم مؤكد له • قال ابن عباس
رضي الله عنهما فوق كل ذي عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تعالى • والمعنى ان اخوة يوسف
كانوا علماء الا ان يوسف عليه السلام افضل منهم • وقرئ درجات من نشاء بالاضافة
والاول انسب بالتذييل حيث نسب فيه الرفع الى من نسب فيه الفوقية لا الى درجة

ويجوز

ويجوز كون العليم في هذه المقالة عبارة عن الله عز وجل اي وفوق كل من اولئك المرفوعين
عليم يرفع كلا منهم الى درجته اللائقة والله اعلم قالوا ان يسرق فقد سرق
اخ له من قبل يعنون به يوسف عليه الصلاة والسلام وما جرى عليه من جهة عمته على
ما قيل من انها كانت تحضنه فلما شب اراد يعقوب عليه الصلاة والسلام انتزاعه منها وكانت
لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة ورثتها من ابيها اسحاق عليه السلام واحتالت لاستبقاء
يوسف عليه الصلاة والسلام عندها فعمدت الى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه ثم قالت
فقدت منطقة اسحاق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي
سلم افعل به ما اشاء فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت • وقيل كان لابي امه صنم يعبده
فكسره والقاه في الجيف • وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه
فدفنه فاسرها يوسف اي اكن الحزازة الحاصلة مما قالوا في نفسه الا انه اسرها لتحقق
اصحابه كما في قوله تعالى واسررت لهم اسرارا ولم يبدها لهم لا قولا ولا فعلا صفحا عنهم
وحلما وهو تأكيد لما سبق قال اي في نفسه وهو استيناف مبني على سؤال نشأ من الاخبار
بالاسرار المذكور • كانه قيل فماذا قال في نفسه في تضاعيف ذلك الاسرار فقيل قال
انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون اي عالم علما بالغا الى اقصى المراتب بان الامر ليس كما تصفون
من صدور السرقة منا بل انما هو امر اعلم به فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل
على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم قالوا عندما شاهدوا مخايل اخذ بنيامين مستعطفين
يا ايها العزيز ان له ابا ... وابتدأ بذلك الاخبار بان له ابا فان ذلك معلوم مما سبق وانما
ارادوا الاخبار بان له ابا شيخا كبيرا في السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علالة يتسلى
به عن شقيقه الهالك فخذ احدنا مكانه فانه اعز منزلة من الحجة والشفقة انا نراك
من المحسنين الينا فاتمم احسانك بهذه التتمة او المعهودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال
معاذ الله اي نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه مضافا
الى المفعول به بعد حذف الجار الا من وجدنا متاعنا عنده لان اخذ ذلك انما هو بفتيته
فتواكم فليس لنا الاخلال بموجبها وايثاره بصيغة التكلم مع الغير كون الخطاب مع
اخوته على التوحيد من باب السلوك الى سنن الملوك او للاشعار بان الاخذ والاعطاء
ليس مما يستبد به بل هو منوط بآراء اولي الحل والعقد وايثار من وجدنا متاعنا عنده
دون من سرق متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرام فانهم
لا يعلمون وجه ان الصواع في الرحل على انه عين السرقة انا اذا اي اذا اخذنا غير من وجدنا
متاعنا عنده ولو برضاه لظالمون في مذهبكم وما لنا ذلك وهذا المعنى هو الذي يتعلق
بالكلام في انه الجواب وله معنى باطن هو ان الله عز وجل انما امرني بالوحي ان اخذ لاما
لمصالح علمها الله في ذلك فلو اخذت غيره كنت ظالما وعاملا بخلاف الوحي فلما استيأسوا
منه اي من يوسف واجابته لهم اشد يأس بدلالة صيغة الاستفعال وانما حصلت لهم هذه
المرتبة من اليأس لما شاهدوه من عوذه بالله مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده في اقصى
مراتب الكراهة وانه مما يجب ان يحترز عنه ويعاذ منه بالله عز وجل ومن تسميته ظلما

بعد انا اذا لظالمون خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس نجيا اي ذوي نجوى نجيا ان يكون بمعنى
النجوى والتناجي او فوجا نجيا على ان يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والسامر
ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا • ويجوز ان يقال هم نجي كما يقال هم صديق لانه بمنزلة المصادر
من التي في الزنة قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في العقل وهو يهوذا او رئيسهم
وهو شمعون الم تعلموا كانهم اجمعوا عند التناجي على الانقلاب جملة ولم يرض به فقال منكرا
عليهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا يوثق به وهو حلفهم بالله تعالى
وكونه من الله تعالى لاذنه فيه وكون الحلف باذنه الكريم ومن قبل اي من قبل هذا ما فرطتم
في يوسف قصرتم في شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد قلتم وانا له لناصحون وما مزيدة
او مصدرية ومحل المصدر النصب عطفا على مفعول تعلموا اي الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا
وتفريطكم السابق في شان يوسف عليه الصلاة والسلام ولا ضير في الفصل بين العاطف
والمعطوف بالظرف وقد جوز النصب عطفا على اسم ان والخبر في يوسف اي من قبيل عطف معمولي
الم تعلموا ان تفريطكم السابق واقع في شان يوسف او ان تفريطكم الكائن او كائنا في شان يوسف
وقع من قبل وفيه ان مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك التفريط لا بكون تفريطهم
السابق واقعا في شان يوسف كما هو مفاد الاول ولا بكون تفريطهم الكائن في شانه واقعا
من قبل كما هو مفاد الثاني على ان الظرف المقطوع عن الاضافة لا يقع خبرا ولا صفة ولا
صلة ولا حالا عند البعض كما نص في موضعه وقيل محله الرفع على الابتداء والخبر من قبل
وفيه ما فيه • وقيل ما موصولة او موصوفة ومحلها النصب والرفع والحق هو النصب عطفا
على مفعول تعلموا اي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة • واما النصب عطفا على اسم
ان والخبر او الرفع على الابتداء فقد عرفت حاله فلن ابرح الارض تفريع على ما ذكر
اياسهم من ميثاق ابيه • وقوله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي فلن افارق ارض مصر جريا على قضية
الميثاق حتى ياذن لي ابي في البراح بالانصراف اليه وكان ايمانهم كانت معقودة على عدم
الرجوع بغير اذن يعقوب او يحكم الله لي بالخروج منها على وجه لا يؤدي الى نقض الميثاق
او بخلاص اخي بسبب من الاسباب روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك
لتردن الينا اخانا او لاصيحن صيحة لا تبقى بمصر حامل الا القت ولدها ووقفت كل شعرة
في جسده وخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لا يطاقون خلا انه اذا مس من غضب
واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه فقام فمسه فقال روبيل
من هذا ان في هذا البلد بذرا من بذر يعقوب وهو خير الحاكمين اذ لا يحكم الا بالحق
والعدل ارجعوا انتم الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ظاهر الحال وقرئ سُرِّق
اي نسب الى السرقة وما شهدنا علينا الا بما علمنا وشاهدنا من ان الصواع استخرج من وعائه
وما كنا للغيب اي باطن الحال حافظين فما ندري ان حقيقة الامر كما شاهدنا ام بخلافه
او ما كنا عالمين حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انا نصاب في هذا الامر او انك مصاب به كما اصبت
بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها اي مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي عندها اي
ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها اي اصحابها فان القصة معروفة

فيما

بينهم وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من صنعاء وانا لصادقون تاكيد في محل
القسم قال اي يعقوب عليه السلام وهو استئناف مبني على سؤال نشأ مما سبق فكأنه قيل
فماذا كان عند قول المتوقف لاخوته ما قال فقيل قال يعقوب عليه السلام عندما رجعوا اليه
فقالوا له ما قالوا وانما حذف للايذان بان مسارعتهم الى قبوله ورجوعهم الى ابيهم امر مسلم
غني عن البيان وانما المحتاج اليه جواب ابيهم بل سولت اي زينت وسهلت وهونت
لا عن صريح كلامهم فانهم صادقون في ذلك بل لما يتضمنه من ادعاء البراءة عن التسبب فيما نزل
به وان لم يعلموا بمصيرهم ما يؤدي الى ذلك من قولهم وفعلهم كانه قيل لم يكن الامر كذلك بل
زينت لكم انفسكم امرا من الامور فاتيتموه يريد بذلك فتياهم باخذ السارق بسرقته
فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا بيوسف
واخيه والمتوقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم الذي لم يبتلني الا لحكمة بالغة
وتولى اي اعرض عنهم كراهة لما سمع منهم وقال يا اسفى على يوسف الاسف اشد الحزن
والحسرة اضافه الى نفسه والالف بدل من الياء فناداه اي يا اسفا تعال فهذا اوانك
وانما تاسف على يوسف مع ان الحادث مصيبة اخويه لان رزيته كان قاعدة الارزاء وعمدتها
عنده وانما تقادم عهدها اخذ بمجامع قلبه لا ينساه ولانه كان واثقا بحياتهما عالما بمكانهما
طامعا في ايابهما واما يوسف فلم يكن في شانه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله تعالى وفضله
وفي الخبر لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد صلى الله عليه وسلم
الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع بل قال ما قال والتجانس بين لفظي الاسف
ويوسف مما يزيد النظم الكريم بهجة كما في قوله وهم ينهون عنه وينأون عنه • وقوله اثاقلتم
الى الارض ارضيتم وقوله اثاقلتم الى الارض • وقوله ثم كلي من كل الثمرات • وقوله وجئتك
من سبا بنبا يقين ونظائرها وابيضت عيناه من الحزن الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت
محقت سواد العين وقلبته الى بياض كدر • وقيل قد عمي بصره • وقيل كان يدرك ادراكا
ضعيفا • روي انه ما جفت عينا يعقوب من يوم فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على
وجه الارض اكرم على الله عز وجل من يعقوب عليه السلام • وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه سأل جبريل عليه السلام ما بلغ وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما
كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط • وفيه دليل على جواز
التاسف والبكاء عند النوائب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فانه قل من
يملك نفسه عند الشدائد • ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم
وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون
وانما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود والصدور
وشق الجيوب وتمزيق الثياب • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو
يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن ذلك البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء
وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح فهو كظيم مملوء
من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول به كقوله تعالى

مكظوم من كظم السقا اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل لقوله والكاظمين الغيظ من كظم البعير اذا اخذ عند اسنانه لكظم البعير جرته اذا ردها في جوفه **قالوا تالله تفتؤ** اي لا تفتؤ ولا تزال **تذكر يوسف** تفجعا عليه فحذف حرف النفي كما في قوله •

• فقلت يمين الله ابرح قاعدا • ولعدم الالتباس بالاثبات • فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات يكون على النفي البتة **حتى تكون حرضا** مشفيا على الموت • وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع والنعت منه بالكسر كدنف ودنف وقرئ به وبضمتين كجنب **او تكون من الهالكين** اي الميتين **قال انما اشكو بثي** اي همي الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره فكأنهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية والاشكاء فقال لهم اني لا اشكو اليكم ولا الى غيركم حتى تتصدوا للتسلية وانما اشكو همي **وحزني الى الله** ملتجئا الى جنابه متضرعا لدى بابه في دفعه وقرئ بفتحتين وضمتين **واعلم من الله ما لا تعلمون** من لطفه ورحمته فارجو ان يرحمني ويلطف بي ولا يخيب رجائي او اعلم وحيا او الهاما من رحمته ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل ان يعقوب رأى ملك الموت عليه السلام فسأله عنه فقال هو حي • وقيل علم من رؤيا يوسف عليه الصلاة والسلام انه سيخر له اباه واخوته سجدا **يا بني اذهبوا فتحسسوا** اي تعرفوا منه وتفحصوا من الحس • وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب **من يوسف واخيه** اي من خبرهما ولم يذكر الثالث لان غيبته اختيارية لا يعسر زوالها **ولا تيأسوا من روح الله** اي لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه • وقرئ بضم الراء اي من رحمته التي يحيى بها العباد ومنه الارشاد لهم الى بعض ما ابهم في قوله واعلم من الله ما لا تعلمون فانه رغبهم عن ترك العمل بموجب نهيه بقوله **انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون** لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط في حال من الاحوال **فلما دخلوا عليه** اي على يوسف بعدما رجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم وانما لم يذكر ذلك ايذانا بمسارعتهم الى ما امروا به واشعارا بان ذلك امر محقق لا يفتقر الى الذكر والبيان **قالوا يا ايها العزيز** اي الملك القادر **مسنا واهلنا الضر** الهزال من شدة الجوع **وجئنا ببضاعة مزجاة** مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وانما قدموا هذا ليكون ذريعة الى اسعاف مرامهم ببعث الشفقة وهز العطف والرأفة وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا **فاوف لنا الكيل** اي اتممه لنا **وتصدق علينا** برد اخينا قاله الضحاك وابن جريج وهو الانسب بحالهم نظرا الى امر ابيهم او بالايفاء او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها وانما سموه تصدقا فانه احسان وارادة والتصدق تفوق ما يعطيهم بالحق لما اخفى حرمة الصدقة نبينا صلى الله عليه وسلم وانما لم يبدوا بما امروا به استهلالا بالشفقة والرأفة ليبعثوا بما قدموا من رأفة الحال رقة القلب والتعويل لانما ساق الكلام

ذوو حجتين فان قولهم وتصدق علينا **ان الله يجزي المتصدقين** يحتمل الحمل على كل منهم من طلب المتصدقين ولعله عليه الصلاة والسلام حمله على المحمل الاول ولذلك **قال** عجبا مما عرضوه وضمنوه من طلب رد اخيهم **هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه** وكان الغاية ان تعرض لما فعلوا باخيه فقط وانما تعرض لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم له عن يوسف واذلاله بالذي كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اي هل تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه فهو سؤال عن الملزوم والمراد لازمه **اذ انتم جاهلون** بقبحه فلذلك اقدمتم على ذلك او جاهلون بعاقبته وانما قال ذلك نصحا لهم وحثا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا ويجوز ان يكون هذا الكلام منه عليه الصلاة والسلام منقطعا عن كلامهم وتنبيها له على ما حملهم ووظيفتهم من الاعراض عن جميع المطالب والتمحض في طلب يوسف بل يجوز ان يقف عليه السلام بطريق الوحي او الالهام على وصية ابيه وارساله اياهم للتحسس منه ومن اخيه فلما رآهم قد اشتغلوا عن ذلك قال لهم ما قال وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام وفيه من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحاق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي ابراهيم فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار فجعلها الله تعالى عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله • واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام • فلما قرأه لم يتمالك وعيل صبره وقال لهم ما قال وقيل لما قرأه بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا **قالوا ائنك لانت يوسف** استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام وقرأه ابن كثير على الايجاب وقيل انه بالايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها • وقرئ اينك او انت يوسف على معنى اينك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وفيه زيادة استغراب **قال انا يوسف** جوابا عن سؤالهم وقد زاد عليه قوله **وهذا اخي** من ابوي مبالغة في تعريف نفسه وتفخيما لشأن اخيه وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه حسبما يقتضيه قوله **قد من الله علينا** فكأنه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والاذلال فانا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا بالخلاص عما ابتليتم به والاجتماع بعد الفرقة والعز والعزة بعد الذلة والانس بعد الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم الصدقة على ما لا يخفى فانه اخي لا اختص بما وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستئناف التعليلي بقوله **انه من يتق** اي يفعل التقوى في جميع احواله او يتق الله بفعل ما يوجب حفظ الله تعالى وعنايته **ويصبر** على البلاء او على مشقة الطاعات او على المعاصي التي تستلذها النفس

فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي اجرهم وانما وضع المظهر مقام المضمر تنبيها على ان المحسنين
بالتقوى والصبر موصوفون بالاحسان قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا
بما ذكرت من النعوت الجليلة وان كنا وان الشان وانا كنا لخاطئين متعمدين للذنب اذ فعلنا بك
ما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا وفيه اشعار بالتوبة والاستغفار ولذلك قال لا تثريب اي
لا عتب ولا تأنيب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الرقيق الغاشي للكرش ومعناه
ازالته كما ان التجليد ازالة الجلد والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية
الهزال فضرب مثلا للتقريع الذي يذهب بالوجوه وقوله عز وعلا اليوم منصوب
بالتثريب او بالمقدر خبر لا اي لا تثريب مستقر عليكم اليوم الذي هو مظنة له
فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه حينئذ صفح عن جريمتهم وعفى عن جرائمهم
بما فعلوا من التوبة وهو ارحم الراحمين يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب بالقبول
ومن كرمه عليه الصلاة والسلام ان اخوته ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا
ونحن نستحيي منك بما فرط منا فيك فقال عليه السلام ان اهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون
الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم
الان وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم عليه السلام
اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه حينئذ وقيل هو القميص المتوارث الذي كان في
التعويذ امر جبريل عليه السلام بارساله اليه واوحى اليه ان ريح الجنة لا يقع على مبتلى
الا عوفي فالقوه على وجه ابي يات بصيرا يصر بصيرا او يات الي بصيرا ويشهد قوله واتوني
باهلكم اجمعين اي بابي وغيره ممن ينتظمه لفظ الاهل جميعا من النسا والذراري قيل
انما حمل القميص يهوذا وقال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل
حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما ثمانون فرسخا ولما فصلت العير خرجت من عريش
مصر يقال فصل من البلد يفصل فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه ه وقرئ ابن عباس
انفصل العير قال ابوهم يعقوب عليه السلام لمن عنده اني لاجد ريح يوسف اوجده
الله سبحانه ما عبق من القميص من ريح يوسف من ثمانين فرسخا حين اقبل به يهوذا لولا ان تفندون
اي تنسبوني الى الفند وهو الخرف وانكار العقل وفساد الرأي من هرم يقال شيخ
مفند ولا يقال عجوز مفندة اذ لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها وجواب
لولا محذوف اي لصدقتموني قالوا اي الحاضرون عنده تالله انك لفي ضلالك القديم
لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان
عنده انه قد مات فلما ان جاء البشير وهو يهوذا القاه اي القى البشير القميص على
وجهه اي على وجه يعقوب او القاه يعقوب على وجه نفسه فارتد عاد بصيرا لما انتعش
فيه من القوة قال الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف فالخطاب لمن كان عنده بكنعان
او قوله ولا تيأسوا من روح الله فالخطاب لبنيه وهو الانسب بقوله اني اعلم من الله ما لا
تعلمون فان مقصوده النبي المذكور انما هو العلم الذي اوتي يعقوب من جهة الله سبحانه وتعالى
ونحنا يتعذر الجواز ان يكون مقولا لقول اي الم اقل لكم حين ارسلتكم الى مصر وامرتكم

بالقميص

بالقميص عن البأس من روح الله تعالى اني اعلم من الله تعالى ما لا تعلمون من حياة يوسف روي انه سأل البشير كيف
يوسف قال هو ملك مصر فقال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن
تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق من اعترف بذنبه
ان يصفح عنه ويستغفر له فكأنهم كانوا على ثقة من عفوه عليه الصلاة والسلام ولذلك اقتصروا
على استدعاء الاستغفار اي الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الاجابة وقيل
اي اخره الى ان يستحل لهم من يوسف عليه السلام او يعلم انه قد عفا عنهم فان عفو المظلوم
شرط المغفرة ه ويعضده انه روي عنه انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن
وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل
عليه السلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وان
صح نبوتهم فانما صدر عنهم ما صدر قبل الاستنباء وقيل الاستمرار على الدعاء فقد
روي انه كان يستغفر في كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة ه وقيل قام الى الصلاة
في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر
لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين فلما دخلوا على يوسف
روي ان يوسف وجه الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه فاستقبله يوسف والملك
في اربعة الاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب عليه السلام وهو يمشي
متوكئا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك
فلما لقيه قال السلام عليك يا مذهب الاحزان ه وقيل قال له يوسف يا ابت بكيت علي حتى ذهب
بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل
ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وكانوا حين خرجوا مع
موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية
الف الف ومائتي الف اوى اليه ابويه اي اباه وخالته ونزلت منزلة الام وتنزيلها منزلة العم
منزلة الاب في قوله عز وجل واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق الاية او
لان يعقوب عليه السلام تزوجها بعد امه ه قال الحسين وابن اسحق وان كانت امه
في الحياة فلا حاجة الى التأويل ومعنى اوى اليه ضمهما اليه واعتنقهما وكان عليه السلام
ضرب في الملتقى مضربا فنزل فيه فدخلوا عليه واوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله
امنين من القحط واصناف المكاره قاطبة بالدخول على الامن ورفع ابويه عنده ولم يبعض
على العرش على السرير تكرمة لهما فوق ما فعله لاخوته وخروا له اي ابواه واخوته سجدا تحية
له فانه كان السجود عندهم جاريا مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل
اليد ونحوها من عادات الناس الناشئة في التعظيم والتوقير وقيل ما كان ذلك الا انحناء
دون تعفير الجباه وتأباه الخرور وقيل خروا لاجله سجدا لله شكرا وفيه نبو عن قوله تعالى
وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل التي رأيتها وقصصتها عليك من قبل في زمن
الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا واقعا بعينه والاظهر ان يعد يوسف له اشارة الكوكب وجعل
السلام حاق قوله ه التي اول من حينا لعلكم بعسف لا ينبغي وتأخر عن الرفع على العرش

ليس بنص في الأولية وذلك لأن الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي فلعل تأخيره
عنه ليتصل بما هو من تتمته من تعبير الرؤيا وما يتصل به من قوله وقد أحسن بي المشهور استعمال الإحسان
بإلى وقد يستعمل بالباء أيضا كما في قوله عز اسمه وبالوالدين إحسانا وقيل ضمن معنى اللطف
وهو الإحسان الخفي كما يؤذن به قوله تعالى إن ربي لطيف لما يشاء وبيّنه فائدته لا تخفى أي لطف
محسنا إليّ فعبّر عن الإحسان إذ أخرجني من السجن بعد ما ابتليت به ولم يصرح بقصة الجب
حذارا من تثريب إخوته لأن الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقيب خرورهم سجدا واكتفاء
بما يتضمنه قوله تعالى وجاء بكم من البدو أي البادية من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين
إخوتي أي أفسد بيننا بالإغواء وأصله من نخس الرائض الدابة وحملها على الجري يقال نزغه
ونسغه إذا نخسه ولقد بالغ عليه الصلاة والسلام في الإحسان حيث أسند ذلك إلى الشيطان
إن ربي لطيف لما يشاء أي لطيف التدبير لأجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب ما من
صعب وهو لا المشيئة إلا تتبع بهم سهل إنه هو العليم بوجوه المصالح الحكيم الذي يفعل
كل شيء بمقتضى الحكمة • روي أن يوسف أخذ بيد يعقوب عليه السلام فطاف به في خزائنه
فأدخله في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي والثياب وخزائن السلاح وغير ذلك
فلما أدخله خزائن القراطيس قال يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت إلي
على ثمان مراحل قال أمرني جبريل عليه الصلاة والسلام قال أوما تسأله قال أنت أبسط
إليه مني فسأله قال جبريل الله تعالى أمرني بذلك لقولك أخاف أن يأكله الذئب قال
فهلا خفتني • وروي أن يعقوب أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفن
بالشام إلى جنب أبيه إسحاق فمضى يوسف بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه
ثلاثا وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم تاقت نفسه إلى الملك الدائم الخالد فتمنى الموت
فقال رب قد آتيتني من الملك أي بعضا منه عظيما هو ملك مصر وعلمتني من تأويل الأحاديث
أي بعضا من ذلك كذلك إن أريد بتعليم تأويل الأحاديث تفهيم غوامض أسرار الكتب الإلهية
ودقائق سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فالترتيب ظاهر وأما إن أريد به تعبير
الرؤيا كما هو الظاهر فلعل تقديم إيتاء الملك عليه في الذكر لأنه بمقام تعداد
النعم الفائضة عليه من الله سبحانه والملك أعرف في كونه نعمة من التعليم المذكور
وإن كان ذلك أيضا نعمة جليلة في نفسه ولا يكن تثبيته منه الاعتبار فيما سبق لأن التعليم
سابق وارد على نهج العلة لإيتائه التمكين فإن حمل على معنى التمليك لزم تأخره عنه وأما
الواقع هنا فمجرد الناحية الذكرية والعطف بحرف الواو ولا يستدعي ذلك الترتيب في
الوجود فاطر السموات والأرض مبدعهما وخالقهما نصب على أنه صفة للمنادى أو منادى آخر وصفه
تعالى به بعد وصفه بالربوبية مبالغة في ترتيب مبادي ما يعقبه من قوله أنت وليي
مالك أموري في الدنيا والآخرة أو الذي يتولاني بالنعمة فيهما وإذ قد أتممت علي نعمة الدنيا
توفني أي اقبضني مسلما وألحقني بالصالحين من آبائي أو بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة
فأنا أنتظر النعمة بذلك • قيل لما دعا توفاه الله عز وجل طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر في
دفنه وتشاحوا في ذلك حتى هموا بالقتال ثم رأوا أن يعملوا له تابوتا من مرمر يجعلونه فيه

ودفنو

وقد شرع في البناء ليعمر عليه ثم نقلها إلى مصر ليكونوا مع إسحاق المتبرك به وولد له أفرائيم وميشا
ولأفرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى عليه السلام ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر
ولم تزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله تعالى موسى عليه
السلام ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الدلالة
على بعد منزلته أو لكونه بالانقضاء في حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ
خبره من أنباء الغيب الذي لا يحوم حوله أحد وقوله نوحيه إليك خبر بعد خبر أو حال من الضمير
في الخبر ويجوز أن يكون ذلك اسما موصولا ومن أنباء الغيب صلته ويكون الخبر نوحيه إليك
وما كنت لديهم أي لدى إخوة يوسف إذ أجمعوا أمرهم وهو جعلهم إياه في غيابة الجب وهم
يمكرون ويبغون له الغوائل حتى تقف على ظواهر أسرارهم وبواطنها وتطلع على سرائرهم طرا
وتحيط بما لديهم خبرا وليس المراد مجرد نفي حضوره عليه الصلاة والسلام في مشهد إجماعهم
ومكرهم فقط بل في سائر المشاهد أيضا وإنما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع القصة
وأخفى أحوالها كما ينبئ عنه قوله تعالى وهم يمكرون والخطاب وإن كان لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لكن المراد إلزام المكذبين والمعنى ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك إذ لا سبيل
إلى معرفتك إياه سوى ذلك إذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك
للكتب أمر لا يشك فيه المكذبون أيضا ولم يكن بين ظهرانيهم عند وقوع الأمر حتى تعرفه
كما هو فيه لعلة إليهم وفيه تهكم بالكفار فكأنهم يشكون في ذلك فيهم مع شكهم وفيه إيماء
إلى أن ما ذكر من النبأ هو الخبر الحق المطابق للواقع وما ينقله أهل الكتاب ليس على
ما هو عليه يعني أن مثل هذا التحقيق بلا وحي لا يتصور إلا بالحضور والمشاهدة وإذ ليس ذلك
بالحضور فهو بالوحي ومثله قوله وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وقوله
وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا الآية وما أكثر الناس يريد به العموم أو أهل مكة
ولو حرصت أي على إيمانهم وبالغت في إظهار الآيات القاطعة الدالة على صدقك بمؤمنين
لتصميمهم على الكفر وإصرارهم على العناد روي أن اليهود وقريشا سألوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن قصة يوسف وعدوا أن يسلموا فلما أخبرهم بها على موافقة التوراة
فلم يسلموا حزن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له ذلك وما تسألهم عليه أي على الإنباء أو على القرآن
من أجر من جعل كما يفعله حملة الأخبار إن هو إلا ذكر عظة من الله تعالى للعالمين كافة
لا أن ذلك يختص بهم وكأين من آية أي كأي عدد شئت من الآيات والعلامات الدالة
على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وحكمته غير هذه الآية التي جئت بها في
السموات والأرض أي كائنة فيهما من الأجرام الفلكية وما فيها من النجوم وتغير أحوالها
ومن الجبال والبحار وسائر ما في الأرض من العجائب الفائتة للحصر يمرون عليها أي يشاهدونها
ولا يعبأون بها • وقرئ برفع الأرض على الابتداء ويمرون خبرها وقرئ بنصبها على
معنى ويطوفون الأرض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والأرض يمشون عليها والمراد
ما يرون عليه من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من الآيات والعبر وهم عنها معرضون غير
ناظرين إليها ولا متفكرين فيها وما يؤمن أكثرهم بالله في إقراره بوجوده وخالقيته إلا وهم مشركون

بيادهم لغيره وباتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا او بقولهم باتخاذه تعالى ولدا سبحانه وتعالى
عن ذلك علوا كبيرا او بالنور والظلمة وهي جملة حالية اي لا يؤمن اكثرهم الا في حال شركهم
قيل نزلت الآية في اهل مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افأمنوا ان تأتيهم
غاشية من عذاب الله اي عقوبة تغشاهم وتشملهم او تأتيهم الساعة بغتة فجأة من غير
سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي وهي الدعوة
الى التوحيد والايمان والاخلاص وفسرها بقوله ادعو الى الله على بصيرة بيان وحجة
واضحة غير عمياء وهي حال من الضمير في سبيلي والعامل فيها معنى الاشارة انا تأكيد
للمستكن في ادعو او على بصيرة لانه حال منه او مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف
عليه وسبحان الله وما انا من المشركين مؤكد لما سبق من الدعوة الى الله وما
ارسلنا من قبلك الا رجالا لا ملائكة لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة نوحي اليهم كما اوحينا
اليك وقرئ بالياء من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء
والقسوة افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من
المكذبين بالرسل والآيات فليحذروا تكذيبك ولدار الآخرة اي الساعة او الحياة
الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا يعقلون فتستعملوا عقولكم فتعرفوا خيرية
دار الآخرة • وقرئ بالياء [illegible] حتى اذا استيأس الرسل غاية
لمحذوف دل عليه السياق اي لا يغررهم تمادي ايامهم فيما هم فيه من الدعة والرخاء فان من قبلهم
قد امهلوا حتى اذا استيأس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او من ايمانهم لانهماكهم في الكفر وتماديهم في الطغيان
من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون عليهم
او كذبهم رجاؤهم فانه يوصف بالصدق والكذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة
من الكفار وانتظار النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا
ان لا نصر لهم في الدنيا جاءهم نصرنا فجأة عن ابن عباس رضي الله عنهما وظنوا انهم قد اخلفوا
ما وعدهم الله من النصر فان صح ذلك عنه فلعله اراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه
الوسوسة وحديث النفس وانما عبر عنه بالظن مبالغة واما الظن الذي هو ترجيح
احد الجانبين على الآخر فلا يتصور ذلك من احاد الامة فما ظنك بالانبياء عليهم السلام
وهم هم ومعرفتهم بشأن الله عز وجل من ثبتهم • وقيل الضميران للمرسل اليهم • وقيل
الاول لهم والثاني للرسل • وقرئ بالتشديد اي ظن الرسل ان القوم كذبوهم فيما
وعدوهم • وقرئ بالتخفيف على بناء الفاعل على ان الضمير للرسل اي ظنوا انهم كذبوا فيما
حدثوا به قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا او على ان الاول لقومهم فنجي من نشاء
هم الرسل والمؤمنون بهم • وقرئ فننجي على لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد وقرئ
فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان لمن تعلق بهم المشيئة لقد
كان في قصصهم اي في قصص الانبياء واممهم ويعضده قراءة من قرأ بكسر القاف او في قصص
يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب الاوهام ما كان
اي القرآن المدلول عليه بما سبق دلالة واضحة حديثا يفترى ولكن كان تصديق

الذي

الذي بين يديه من الكتب السماوية • وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ولكن هو
تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء مما يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وهو
يستند الى القرآن بالذات او بالواسطة وهدى من الضلالة ورحمة ينال بها خير الدارين
لقوم يؤمنون اي يصدقونه لانهم المنتفعون به واما من عداهم فلا يهتدون بهداه
ولا ينتفعون بجدواه • عن النبي صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه اي
مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه
القوة ان لا يحسد • والله الموفق والهادي للصواب • واليه المرجع والمآب

سورة الرعد سبع واربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • المر اسم
للسورة ومحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه السورة مسماة بهذا الاسم
وهو اظهر من الرفع على الابتداء اذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مر مرارا • وقوله تعالى
تلك على الوجه الاول مبتدأ مستقل وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان او بدل من الاول
اشير به اليه ايذانا بفخامته • واما النعت فيتعذر هنا لتباين المعرفتين واذا كان
تلك مبتدأ الا اذا جعل المر مسرودا على نمط التعديد او بمعنى انا الله اعلم وارى على ما
روي عن ابن عباس رضي الله عنه والخبر قوله تعالى آيات الكتاب اي الكتاب
العجيب الكامل الغني عن الوصف به المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص
اسم الكتاب فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل حينئذ حسبما مر في مطلع سورة يونس
علمته الشأنه ان هو الثاني من مطلق الكتاب المستغني عن النعت وبه نطق ما اريد
من وصف الآيات بوصف ما اضيفت اليه من نعوت الكمال بخلاف ما اذا جعل
عبارة عن السورة فانها ليست بتلك المثابة من الشهرة في الاتصاف بذلك المغنية
عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع القرآن بما فيه من تعظيم حال تلك الآيات
الى كل واحدة منها وفيه ما لا يخفى من التعسف الذي [illegible] في سورة يونس والذي
انزل اليك من ربك اي الكتاب المذكور بكماله لا هذه السورة وحدها الحق الثابت
المطابق للواقع في كل ما ينطق به الحقيق بان يخص به الحقية لعراقته فيها وليس فيه ما
يدل على ان ما عداه ليس بحق اصلا مع ان حقيته حقية سائر الكتب السماوية لكونه مصدقا
لما بين يديه ومهيمنا عليه وفي التعبير عنه بالموصول واسناد الانزال اليه بصيغة
الانزال المبني للمفعول والتعرض لوصف الربوبية مضافا الى ضميره عليه السلام من
الدلالة على فخامة المنزل التابعة لجلالة شأن المنزل وتشريف المنزل اليه والايماء
الى وجه بناء الخبر ما لا يخفى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك الحق المبين لاخلالهم
بالنظر والتأمل فيه فعدم ايمانهم متعلق بعنوان حقيته لانه المرجع للتصديق والتكذيب
لا بعنوان كونه منزلا كما قيل ولانه وارد على طريقة الوصف دون الاخبار الله الذي رفع
السموات اي خلقهن مرتفعات على طريقة قولهم سبحان من كبر الفيل وصغر البعوض

لا ابد رتبهما بعد ان لم تكن كذلك والجملة مبتدأ وخبر لقوله وهو الذي مد الارض بغير
عمد اي بغير دعائم اي جمع عماد كاهاب واهب او هو ما يعمد به اي يسند يقال عمدت
الحائط اي ادعمته • وقرئ عمد على انه جمع عمود بمعنى عماد كرسل ورسول وايراد صيغة الجمع
جمع السموات لان المنفي عن كل واحدة منها عمد لا عماد ترونها استيناف استشهد
به على ما ذكر من رفع السموات بغير عمد • وقيل صفة لعمد جيء بها ايهاما لان لها عمدا غير
مرئية هي قدرة الله سبحانه ثم استوى اي استولى على العرش بالحفظ والتدبير
او استوى امره • وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة الله عز وجل بلا كيف • وايا ما كان فليس
المراد به القصد الى ايجاد العرش وخلقه فلا يتأدى الى جعل كلمة ثم للتراخي في الرتبة •
وسخر الشمس والقمر ذللهما وجعلهما طائعين لما اريد منهما من الحركات وغيرها كل من الشمس
والقمر يجري حسب ما اريد منهما لاجل مسمى لمدة معينة فيها يتم دورته كالسنة
للشمس والشهر للقمر او ان كلا منهما يجري على مقدار معين من المدارات اليومية التي
لهذه ينتهي فيها حركاتها ويخرج جميع ما اريد منها من القوة الى الفعل ولعله يتم عند
ذلك والجملة بيان لحكم تسخيرهما يدبر ما صنع من الرفع والاستواء والتسخير اي
يقضي ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الامر امر الخلق كله وامر ملكوته ورتبته
يفصل الايات الدالة على كمال قدرته وبالغ حكمته اي يأتي بها مفصلة وهي ما
ذكر من الافعال العجيبة وما يتلوها من الاوضاع الفلكية الحادثة شيئا فشيئا •
المستتبعة للاثار الغريبة في السفليات على موجب التدبير والتقدير فالجملتان
اما حالان من ضمير استوى وقوله وسخر الشمس والقمر من تتمة الاستواء واما مفسرة
ثان له والاولى حال منه والثانية من الضمير فيهما او كلاهما من خبر الافعال
المذكورة • وقوله كل يجري لاجل مسمى من تتمة التسخير وخبران من قوله الذي بعد
خبر والموصول صفة للمبتدأ جيء به للدلالة على تحقيق الوقوع الخبر وتعظيم شأنه
كما في قول الفرزدق •

• ان الذي سمك السماء بنى لنا • بيتا دعائمه اعز واطول •

لعلكم عند مشاهدتكم لها وتعمق ذكركم على تفاصيلها بلقاء ربكم بالاعادة للجزاء توقنون
فان من تدبر فيها ايقن ان من قدر على ابداع هذه الصنائع البديعة على كل شيء قدير
فان لهذه الكائنات عواقب وغايات لابد من وصولها وقد ثبت على السنة الانبياء
عليهم الصلوات والسلام ان ذلك اثابة المكلفين او جزاؤهم حسب اعمالهم فاذا لا
بد من الاتيان بالجزاء • ولما قرر الشواهد العلوية اردفها بذكر الدلائل السفلية
فقال وهو الذي مد الارض اي بسطها طولا وعرضا • قال الامام المد هو البسط الى
ما لا يدرك منتهاه فيه دلالة على بعد مداها وسعة اقطارها وجعل فيها رواسي
اي جبالا ثوابت في احيازها من الرسوخ وهو ثبات الاجسام الثقيلة ولم يذكر
الموصوف لاغناء غلبة الوصف بها عن ذلك والحصاد جيء بواحدها الراسي او الراسية في
وانما جمع في صفات العقلاء او اماني عندهم فلا يجيء ذلك امثاله • كما في قوله اياما

معدودات • وقوله الح اسم معدودات الى غير ذلك فلا حاجة الى ان يجعل مفرده صفة
جمع الثلاثة اعني اجبال وتعيينها في جمع الكثرة اعني جبالا لا انتظامها لطائفة من جموع
القلة ونية بل مع منها تتميز بمعرفة ما كما قيل على انه لا مجال لذلك لان جمعه كالمرء صيغة
الجمعين انما هي باعتبار الافراد التي تحتها لا باعتبار انتظام جمع القلة للافراد وجمع الكثرة
لمجموع القلة فكل منها جمع صالة لا ان جبالا لا جمع اجبال كما ان طوائف جمع طائفة وكلا التي
الى جبال الوصف المذكور بالغلبة في هذا الاطراد التي تجمع على فواعل كما ظن بل انه لا وجه له
لما ان الغالبة انما هي في الجمع دون المفرد والتعبير عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع
قرار الارض على ثباتها وانهارا مجاري واسعة والمراد ما يجري فيها من المياه وفي
نظمها مع الجبال في سلك مفعولية فعل واحد اشارة الى ان الجبال منشأ للانهار وبان لها
احوالا للجبال غير كونها حافظة للارض عن الاضطراب الخارج بثبات الاقدام ونحوه والحيوان
متفرعة على تمكنه وتقلبه وهي معيشته بالماء والكلا ومن كل الثمرات متعلق بجعل
في قوله عز وجل جعل فيها زوجين اثنين لا بما بعده ان المراد به ما اذ يطلق
الزوج على المجموع ولكن اسمه ذلك فالسبب اعتباره اي جعل من كل نوع من انواع الثمرات
الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين اما في اللون كالابيض والاسود او في الطعم كالحلو
والحامض او في القدر كالصغير والكبير او في الكيفية كالحار والبارد وما اشبه ذلك
ويجوز ان يتعلق بجعل الاول ويكون استينافا لبيان كيفية ذلك الجعل يغشي الليل
النهار استعارة تبعية مبنية على تشبيه ازالة نور الجو بالظلمة بتغطية
الاشياء الظاهرة بالاشياء اي يلبس النهار بالليل والتركيب وان احتمل العكس بالحمل
على تقديم المفعول الثاني على الاول فان معنى النهار ايضا الظلمة الليل الا انه
الانسب بالليل ان يكون هو الغاشي وعدم ذكر في تضاعيف الايات السفلية وان
كان تعلقه بالايات العلوية ظاهرا باعتبار ان ظهوره في الارض فان الليل انما هو ظلها
وفيما فوق موقع ظلها لا ليل اصلا ولان الليل والنهار لهما تعلق بالثمار من حيث
العقد والانضاج على انهما ايضا زوجان متقابلان مثلها • وقرئ يغشي من التغشية •
ان في ذلك اي فيما ذكر من مد الارض وايتادها بالرواسي واجراء الانهار وخلق الثمرات
واغشاء الليل النهار وفي الاشارة بذلك تنبيه على عظم شأن المشار اليه في بابه
لايات باهرة وهي اثار تلك الافاعيل منوطة بها ويجوز ان يشار به الى تلك الاثار
المدلول عليها بتلك الافاعيل فتجعل بعينه لقوم يتفكرون فان التفكر فيها يؤدي الى
الحكم بان تكون كل من ذلك على هذا النمط الرائق والاسلوب اللائق لا بد له من مكون
قادر حكيم يفعل ما يشاء ويختار ما يريد لا معقب لحكمه وهو الحميد المجيد وفي الارض
جملة مستأنفة مشتملة على طائفة اخرى من الايات اي بقاع كثيرة مختلفة في الاوصاف
من طيبة الى سبخة ومن كريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وغير ذلك قطع متجاورات اي
متلاصقات وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات اي جعل في الارض قطعا وجنات
من اعناب اي بساتين كثيرة منها وزرع من كل نوع من انواع الحبوب وافراده لمراعاة اصله

ولعل تقديم ذكر الجنات عليه مع كونه عمود المعاش لظهور حالها في اختلافها ومباينتها لسائرها ولان ذكر
ذلك فيه وتاخيره لقوله تعالى ونخيل لئلا يقع بينها وبين صفتها وهو قوله تعالى صنوان وغير
صنوان فاصلة والصنوان امثاله جمع صنو كقنوان وقنو وهي النخلة التي لها راسان واصلها
واحد وقرئ بضم الصاد على لغة بني تميم وقيس وقرئ جنات بالنصب عطفا على زوجين
وبالجر على كل الثمرات فلعل عدم التعرض لقوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات لما سلف
مع ان اختصاص كل من تلك القطع بما لها من الاحوال والصفات بحسب جعل الخالق الحكيم جلت
قدرته حين مد الارض ودحاها للايماء الى كون تلك الاحوال صفات راسخة لتلك القطع
وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات يسقى اي ما ذكر من القطع والجنات
والزروع والنخيل وقرئ بالتاء مراعاة للفظ الاول او قصدا لبيان اتحاد الكل
في حالة السقي بماء واحد لا اختلاف في طبعه سواء كان السقي بالامطار او بالانهار ونفضل
مع اسباب التشابه بحسب قدرتنا واختيارنا بعضها على بعض اخر منها في الاكل فيما يحصل
منها من الثمر والحب وقرئ بالياء على بناء الفاعل ردا الى قوله يدبر ويفصل ويغشي وعلى بناء المفعول
وفيه ما لا يخفى من الفخامة والدلالة على ان عدم احتمال اسناد الفعل الى فاعل اخر معين له
من بناء الفعل على الفاعل ان في ذلك الذي فصل من احوال القطع والجنان لايات كثيرة
عظيمة ظاهرة لقوم يعقلون يعملون على قضية عقولهم فان من عقل هذه الافعال العجيبة
لا يتلعثم في الجزم بان من قدر على ابداع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة في
الاشكال والالوان والطعوم والروائح في تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها
حدائق ذات بهجة قادر على اعادة ما ابداه بل هي اهون في القياس وهذه الاحوال وان
كانت من الايات التي لا نهاية لها الا انه قد جردت عنها امثالها لتعذر كونها ايات
في تحرير بيان مثلها في قوله لهم وفيها ذكر الجلد او المشار اليه في الاحوال الكلية والايات
اراد منها الحادثة شيئا فشيئا في الازمنة والحادثة الواقعة في الاقطار والامكنة المامة
لا مثلها في علم معناها وحيث كانت دلالة هذه الاحوال العلمية ولا اختصاص لها بما سبق
على كونها ايات مجرد التعقل ولذلك لم يتعرض لغير تفضيل بعضها على بعض في الاكل
الظاهر لكل عاقل متحقق في تلك الخواص والكيفيات مما يتوقف العثور عليه على نوع تامل
وتفكر كانه لا حاجة في دلالة الى التفكر ايضا وبعد تعريض بان المشركين عنها غافلين وان
تعجب يا محمد من شيء فعجب لا اعجب منه بان يقع عليه التعجب قولهم بعد ما شاهدوا ما
عدد من الايات الباهرة بانه تعالى على كل شيء قدير ءاذا كنا ترابا على طريقة الاستفهام
الانكاري المنبي لكمال الاستبعاد والاستنكار ومحله الرفع على البدلية من
قولهم على انه يعني المقول او في محل النصب منه على انه مقول فقد عجب على الاول فانهم
وعلى الثاني يحكم به ثم والعامل في اذا ما دل عليه قولهم ءانا لفي خلق جديد
وتوسيط اذ بعد وتقوية الظرف لتقوية الانكار بالبعث لتوجيهه اليه في حالة منافية
له وتكرير الهمزة في قولهم ءانا لتاكيد الانكار وليس مدار انكارهم كونهم بين في الخلق
الجديد بالفعل منه كونهم ترابا بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة

على

على عتوهم وتماديهم في الكفر ما لا يخفى وقيل ان تعجب من قولهم في انكار البعث فعجب قولهم
والمال واحد ان تعجب هذا التعجب في موضع التعجب وقيل وان تعجب من انكارهم البعث فعجب
قولهم والله اعلم بذلك نتامله وقد تجوز كون الخطاب لكل من يصلح له اي ان تعجب يا من
تنظر في هذه الايات من قدرة من هذه افعاله فازدد تعجبا ممن ينكر مع هذا قدرته
تعالى على البعث وهو اهون من هذه الافعال بقوله ويستعجلونك بالسيئة
قبل الاولى وقوله فعجب خبر قدم على المبتدا للقصر والتسجيل من اول الامر بكون
قولهم ذلك امرا عجيبا ويجوز ان يكون مبتدا لكونه موصوفا بالوصف المقدر كما اشير اليه
في المعنى وان يجب والتعجب الذي لا وراءه قولهم هذا فاعجب منه وعلى الاول فان تعجب
قولهم هذا اعجب لا عجب فوقه اولئك مبتدا والموصول خبره اي اولئك المنكرون لقدرته
تعالى على البعث هم الذين فصلت من الايات الباهرة الجلية ثم لا يؤمنون بها لو كانوا يبصرون
الذين كفروا بربهم وتمادوا في ذلك فان انكارهم لقدرته عز وجل كفر به واولئك مبتدا
خبره قوله الاغلال في اعناقهم اي مقيدون بقيود الضلال لا يرجى خلاصهم او يوم
القيامة واولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون
عنها وتوسيط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود بمنكري البعث خاصة بل بالجمع المذكور
عليه بقوله تعالى اولئك الذين كفروا بربهم ويستعجلونك بالسيئة بالعقوبة التي انذروا
وذلك حين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره
قبل الحسنة اي العافية والاحسان اليهم بالامهال وقد خلت من قبلهم المثلات
اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون ولا يحترزون من حلول مثلها والجملة
الحالية [illegible] في الاستعجال بطريق الاستهزاء اي يستعجلونك بها مستهزئين
بانذارك منكرين لوقوع ما انذرتهم اياه والحال انه قد مضت العقوبات النازلة على
امثالهم من المكذبين المستهزئين والمثلة بوزن السمرة العقوبة لما بينهما من التماثل
المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثال للقصاص وقرئ المثلات بضمتين باتباع الفاء
العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون
الثاء تخفيف المثلات والمثلات جمع كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة عظيمة
للناس على ظلمهم انفسهم بالمعاصي والذنوب ومحله النصب على الحالية اي ظالمين
والعامل فيه المغفرة والمعنى ان ربك لغفور للناس لا يعجل لهم العقوبة وان كانوا
ظالمين بل يمهلهم بتاخيرها وان ربك لشديد العقاب يعاقب من يشاء منهم حين يشاء
فتاخير ما استعجلوه ليس للاهمال وعنه صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا
لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا هم المستعجلون
اعتبارا ولم من الاضمار الى الموصول ذما لهم ونعيا عليهم كفرهم بايات الله التي
تخر لها صم الجبال حيث لم يرفعوا لها راسا ولم يعدوها من جنس الايات وقالوا لولا
انزل عليه اية من ربه مثل ايات موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام عنادا ومكابرة
والا فلدى اية انزل عليه صلى الله عليه وسلم كفت وغنيت لاولي الالباب انما

انما انت منذر مرسل للانذار من سوء عاقبة ما يأتون وما يذرون كدأب من قبلك من الرسل وليس
عليك الا الاتيان بما تعلم به نبوتك وقد حصل ذلك بالامر بها عليه ولا حاجة الى الزام
والقامهم الحجر لاتيان بما اقترحوا من الآيات ولكل قوم هاد معين لا بالذات بل بعنوان
الهداية يعني لكل قوم نبي مخصوص له هداية مخصوصة يقتضي اختصاص كل منهم بما اختص به حكم
لا يعلمها الا الله تعالى او لكل قوم هاد عظيم الشان قادر على ذلك هو الله سبحانه وما عليك
الا انذارهم فلا يهمنك عنادهم وانكارهم للآيات المنزلة عليك وازدياد مقترحهم فيه
معتد بالدليل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره المبنيين على الحكم والمصالح
تنبيها على ان تخصيص كل قوم بنبي وكل نبي بجنس معين من الآيات انما هو للحكم الداعية
الى ذلك اظهارا لكمال قدرته على بسط الحكم لاستبدي الامر تعالى بعد آية مثبتة
الثانية حكم انسانيتها فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي تحمله فما موصولة او ما بيد
ما في بطنها من حين العلوق الى زمن الولادة لا بعد تكامل الخلق فقط والعلم متعد الى
واحد اي او يحمل وعلى اي حال هو من الاحوال المتواردة عليه طورا وطورا او في استفهامية
معلقة للعلم وجملتها في محل ربه وما تغيض الارحام وما تزداد اي تنقصه وتزداد
في الجثة كالخداج والتام وفي المدة كالمولود في اقل مدة الحمل والمولود في اكثرها وفيما بينهما
قيل ان الضحاك ولد في سنتين وهرم بن حيان في اربع ومن ذلك سمي هرما وفي العدد
كالواحد فما فوقه يروى ان شريكا كان رابع اربعة او بتلم نقصه وازدياد ما
فيها فالفعلان متعديان كما في قوله تعالى وغيض الماء وقوله وازدادوا تسعا
وقوله وتزداد كيل بعير اولازمان وقد اسند الى الارحام مجازا وما لما فيها وكل شيء
من الاشياء عنده بمقدار بقدر لا يكن يجاوزه عنه لقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فان كل حادث
من الاعيان والاعراض له في كل مرتبة من مراتب التكوين ومباديها وقت معين وحال
مخصوصة يكاد يجاوزها والمراد بالعندية الحضور العلمي بل العلم الحضوري فان تحقق
الاشياء في انفسها في اي مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد لذلك علم له بالنسبة
الى الله عز وجل عالم الغيب اي الغائب عن الحس والشهادة اي الحاضر له عبر عنهما بهما مبالغة
وقيل المراد بالغيب المعدوم وبالشهادة الموجود وهو خبر مبتدأ محذوف او خبر بعد خبر
وقرئ بالنصب على المدح ومعنى الكلام لبيان على ما قبله من قوله الله يعلم الى آخره الكبير
العظيم الشان الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او المنزه عن نعوت
الخلق وقانه وبعدما بين سبحانه انه عالم بجميع احوال الانسان في مراتب وطرته واحاط بعالمي
الغيب والشهادة بين انه تعالى عالم بجميع ما يأتون وما يذرون من الاقوال والافعال
وانه لا فرق بين النسبة اليه وبين السر والعلن فقال سواء منكم من اسر القول
في نفسه ومن جهر به اظهره لغيره ومن هو مستخف مبالغ في الاختفاء كانه مختف بالليل
وطالب للزيادة وسارب بارز يراه كل احد بالنهار من سرب سروبا اذا برز وهو عطف
على من هو مستخف او مستخف ومن عبارة عن الاثنين كما في قوله
نكن مثل من يا ذئب يصطحبان ● فان عاهدتني لا تخونني ●

كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاستواء وان استند الى من اسر ومن
جهر والى المستخفي والسارب او الى الفاعل من حيث هو فاعل كما في قوله ولقد يمر الاسر ارو
والاستخفاء لا ظهار كمال علمه تعالى فكانه بالتعلق في الحقائق اقدم منه بالظواهر والا ففي
نسبته الى الكل سواء المعرفة انما له اي لكل من اسر او جهر والمستخفي والسارب معقبات
ملائكة يعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب
بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة
والمراد بالمعقبات الجماعات ● وقرئ معاقيب جمع معقب ومعقبة على تعويضها الياء من احدى
القافين من بين يديه ومن خلفه من جميع جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من
امر الله من بأسه حين اذنب بالاستمهال والاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون
احواله من اجل امر الله تعالى وقد قرئ به ● وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة
ثانية لمعقبات الحواس والحالات وقيل السلطان يحفظونه من امر الله تعالى في توهمه ان الله
الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بانفسهم من الاعمال الصالحة
او ملكاتها التي هي فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها الى اضدادها واذا اراد الله بقوم سوءا
لسوء اختيارهم واستحقاقهم لذلك فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب
وما لهم من دونه من وال يلي امرهم ويدفع عنهم السوء الذي اراده الله بهم بما قدمت ايديهم
من تغيير ما بهم وفيه دلالة على ان خلاف مراده تعالى محال وايذان بان ما هم بها شذوذ من
انكار البعث واستعجال السيئة واقتراح الآية من عدوا ما بانفسهم من الفطرة واستحقوا
لذلك حلول غضب الله سبحانه وعقابه هو الذي يريكم البرق خوفا من الصاعقة وطمعا
في المطر ووجه تقديم الخوف على الطمع ظاهر لما ان الخوف عليه النفس والرزق العتيد
والمطموع منه الرزق المرتقب ● وقيل الخوف ايضا من المطر لكن الخائف منه غير الطامع
فيه كالحراث والجران ولا يلائمه الترتيب اللهم الا ان يتكلف ما اشير اليه من الخوف عتيد
والمطموع فيه مرتقب وانتصابهما اما على المصدرية اي فتخافون خوفا وتطمعون طمعا او
على الحالية من البرق او المخاطبين باضمار ذوي او بجعل المصدر بمعنى المفعول او الفاعل
مبالغة وعلى العلية بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او بتأويل الاخافة والاطماع ليتحد
فاعل العلة والفعل المعلل وانما جعل المعلل من الرؤية التي يتضمنها الارادة على
طريقة قول النابغة ●
● وحلت بيوتي في يفاع ممنع ● يخال به راعي الحمولة طائرا ●
● حذارا على ان لا تنال مقادتي ● ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا ●
اي احللت بيوتي حذارا فلا تستبال اليه لانه مانع في نفس العلة الغائية لا سيما الخوف
لا يسع عنه لروبتهم وينشئ السحاب الغمام المنسحب في الجو الثقال بالماء وهي جمع ثقيلة
وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والى اجالة سحابة يقال سحابة ثقيلة وسحاب
ثقال كما يقال امرأة كريمة ونسوة كرام ويسبح الرعد اي سامعوه من العباد الراجين للمطر
متلبسين بحمده اي يصيحون سبحان الله والحمد لله واسناده الى الرعد مجاز فانه للذاوي

الرعد نفسه على ان تسبيحه عبارة عن دلالته على وحدانيته تعالى وفضله المستوجب لحمده • وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده • واذا اشتد يقول اللهم لا تقتلنا
بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك • وعن علي كرم الله وجهه سبحان من سبحت له
وعن ابن عباس رضي الله عنه ان اليهود سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك من الملائكة
موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب • وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس
بملك والملائكة اي ويسبح الملائكة من خيفته من هيبته واجلاله جل جلاله وقيل الضمير
للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه بذلك اي الكفرة المخاطبون في قوله
تعالى هو الذي يريكم البرق وقد التفت الى الغيبة ايذانا باسقاطهم عن درجة الخطاب
واعراضا عنهم وتعديد الجنايات لدى كل من يستحق الخطاب • كانه قيل هو الذي يفعل
امثال هذه الافاعيل العجيبة من اراءة البرق وانشاء السحاب الثقال وارسال الصواعق
الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من المومنين او الرعد نفسه او الملك
الموكل به والملائكة ويعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيبته تعالى
وهم اي الكفرة الذين حكيت سيئاتهم مع ظهور هذه الايات وحقارة شانهم يجادلون في الله
اي شانه تعالى حيث يفعلون ما يفعلون من انكار البعث واستعجال العذاب استهزاء واقتراح
الايات فالواو لعطف الجملة على ما قبلها من قوله تعالى هو الذي يريكم البرق الى اخره او على
قوله الله يعلم الى اخره • ثم انما العطف على قوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا انزل فان قوله
تعالى الله يعلم الى اخره استئناف لبيان بطلان قولهم ذلك وتعنتهم في استعجال
العذاب وانكار البعث قاطع لعطف ما بعده على ما قبله وقيل الحال فيصيب بالصواعق
من يشاء وهم في الجدال وقد اريد به ما اصاب اربد بن ربيعة اخا لبيد وانه اقبل
مع عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدانه الغوائل فدخلا المسجد وهو
صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الاصحاب رضي الله عنهم فاستشرفوا لجمال عامر فكان من اجمل
الناس وكان قد اوصى الى اربد انه اذا رآني اكلم محمدا صلى الله عليه وسلم فدر من خلفه
واضربه بالسيف فجعل يكلمه صلى الله عليه وسلم ودار اربد من خلفه وامر به بالسيف فجعل
يكلمه فاخترط من سيفه شبرا فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فراى
النبي صلى الله عليه وسلم الحال فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله عز وجل على اربد
صاعقة في يوم صحو صائف فاحرقته وولى عامر هاربا فنزل في بيت امراة سلولية فلما اصبح
ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه وجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز يا ملك الموت
وينشد الشعر ويقول واللات لئن اصحر لي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لانفذنهما برمحي فارسل
الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فاذراه في التراب فخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة فعاد
الى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه
فركبه فاجراه حتى مات على ظهره وقيل اريد به ما جرى روي عن الحسن رحمه الله انه كان رجل من
طواغية العرب فبعث النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من اصحابه يدعونه الى الله عز وجل فقال
اخبروني عما تدعوني اليه ما هو ومم هو من ذهب ام من فضة ام من حديد ام من نحاس ام

من در فاستعظموا مقالته فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا رجلا
اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبينما
هم عنده ينازعونه اذا ارتفعت سحابة فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحترق الكافر
فجاؤا يسعون ليخبروه صلى الله عليه وسلم بالخبر فاستقبلهم الاصحاب فقالوا احترق صاحبكم
فقالوا من اين علمتم قالوا اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو شديد المحال اي والحال انه شديد المماحلة
والمكايدة والمماكرة لاعدائه من محل فلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال
الحيل وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده
انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون
مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق اي الدعوة
الثابتة الواقعة في محلها المجابة عند وقوعها والاضافة للايذان بملابستها للحق واختصاصها
به وكونها بمعزل من شائبة البطلان والضياع والضلال كما يقال كلمة الحق • وقيل له
دعوة الله سبحانه الدعوة اللائقة بحضرته • كما في قوله عليه الصلاة والسلام من كانت هجرته
الى الله ورسوله والغرض من وصف الحق بها تحقيق معنى الاستجابة والاول هو الاول لقوله
تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال وتعلق الجملتين بما قبلهما من حيث ان اهلاك اربد
وعامر محال من الله تعالى واجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما ان كانت
الاية نزلت في شانهما او من حيث انه وعيد للكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحلول محاله بهم وتهديد لهم باجابة دعوته عليهم والذين يدعون اي الاصنام الذين
يدعوهم المشركون فحذف العائد من دونه من دون الله عز وجل لا يستجيبون لهم بشيء من
طلباتهم الا كباسط كفيه الى الماء اي الا استجابة كائنة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه
من بعيد فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر اعني لا يستجيبون
ويجوز ان يكون من المبني للمفعول ويضاف الى الباسط بناء على استلزام المصدر من المبني للفاعل
للمصدر من المبني للمفعول وجودا وعدما فكانه قيل لا يستجيبون لهم بشيء فلا يستجاب
لهم استجابة كائنة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء • كما في قوله •

• وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحت او مجلف •

اي لم يدع فلم يبق الا مسحت او مجلف ليبلغ اي الماء بنفسه من غير ان يؤخذ بشيء من الاناء ونحو
فاه وما هو اي الماء ببالغه ببالغ فيه ابدا لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا يبسط يديه اليه
فضلا عن الاستطاعة لما اراده من البلوغ الى فيه مشبه حال المشركين في عدم حصولهم
في دعاء الهتهم على شيء اصلا وركاكة رايهم في ذلك بحال عطشان هائل لا يدري ما يفعل
قد بسط كفيه من بعيد الى الماء يبغي وصوله الى فيه من غير ملاحظة التشبيه في جميع
مفردات الاطراف فان الماء في نفسه شيء نافع بخلاف الهتهم والمراد بنفي الاستجابة دائما
الا انه قد اخرج الكلام مخرج التهكم بهم فقيل لا يستجيبون لهم بشيء من الاستجابة الا
استجابة كائنة في مثل هذه الصورة التي ليس فيها شائبة تطلعاتهم في الحقيقة من باب
التعليق بالمحال • وقرئ تدعون بالتاء وكباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين

الا في ضلال الا في ذهاب وضياع وخسار ولله وحده يسجد يخضع وينقاد لا لشي غيره استقلالا
ولا اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد من في السموات والارض من الملائكة والثقلين
طوعا وكرها اي طائعين وكارهين او انقياد طوع وكره فان خضوع الكل لعظمة الله عز وجل
والانقياد لاحداث ما اراده الله تعالى فيهم من احكام التكوين والاحكام شاءوا او ابوا
وعدم مداخلة حارجية بتصرفه تعالى في تلك الشؤون ما لا يخفى على احد وظلالهم
اي يسجد له تعالى ظلال من له ظل منهم اعني الانس حيث تتصرف على مشيئته وتنقاد لارادته
في الامتداد والتقلص والفئ والزوال بالغدو والآصال ظرف للسجود المقدر او حال
من الظلال وتخصيص الوقتين بالذكر مع ان انقيادها متحقق في جميع الاوقات لوجوه
ظهور ذلك فيهما والغدو جمع غداة كقنى في جمع قناة والآصال جمع اصيل وقيل جمع
اصل وهو جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ
والايصال اي الدخول في الاصيل هذا وقد قيل ان المراد حقيقة السجود فان الكفرة
حال الاضطرار وهو المعنى بقوله تعالى وكرها يخضعون بالسجود له سبحانه قال الله تعالى فاذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين لا يبعد ان يخلق الله تعالى في الظلال افهاما وتوفيقا
بما يسجد لله سبحانه كما خلقها للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر فيها آثار التجلي كما قاله ابن
الانباري ويجوز ان يراد بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعا لاصحابها وانت
خبير بان اختصاص سجود الكافر بحالة الاضطرار والشدة بالله سبحانه لا يجدي في سجود ظلهم
لاستمرارهم على حالة الرخاء مع ان تقييد الجار والمجرور بالوجه حالا للسجود
على الانقياد لان تحقيق انقياد الكل في الابداع والاعدام له تعالى ادخل في التوبيخ
على اتخاذ اولياء من دونه من تحقيق سجودهم له تعالى وتخصيص انقياد العقلاء بالتكريم
كون عبادتهم ايضا كذلك لانهم العمدة والعبادة وانقياد الكل الا انقيادهم بين ذلك بقوله
عز وجل قل من رب السموات والارض فانه تحقيق ان خالقهما ومتولي امرهما مع ما فيهما
على الاطلاق هو الله تعالى وقوله قل الله امر بالجواب من قبله عليه الصلاة والسلام اشعارا
بانه متعين للجواب فهو والخصم في تقريره سواء او امر بحكاية اعترافهم ايذانا بانه امر لا
بد لهم من ذلك كانه قيل اعترفوا فبكتهم بما يلزمهم من الجحد والتقرير او امر بتلقينهم الجواب ان يتلعثموا
في الجواب حذرا من الالزام فانهم لا يتمالكون ان لا يلقنوه ولا يقدرون على انكاره قل
لهم تبكيتا افاتخذتم لتنكير فالهمزة لانكار الواقع كما في قولك اضربت اباك لا لانكار الوقوع
كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر بعد الهمزة اي اعلمتم ان ربهما هو الله الذي بيده
ازمة الامور فيهما كافة فاتخذتم من دونه اولياء عاجزين لا يملكون لانفسهم نفعا يستجلبونه
ولا ضرا يدفعونه عن انفسهم فضلا عن القدرة على جلب النفع للغير ودفع الضرر عنه لا يحتمل
ان يكون الانكار متوجها الى المعطوفين معا كما في قوله تعالى افلا تعقلون اذ المقدر
المعطوف عليه الا تستقبحون بل الى ترتيب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه
نقيضه والمعنى ابعد ان علمتم ان ربهما هو الله جعلتم له اتخذتم من دونه اولياء عجزة و
ان فضيلة العلم انما هو الاقتصار على تثنية توليه فعكستم الامر كما في قوله تعالى

كان

كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني ووصف الاولياء بهذه الصفة
المالكية لتحقيق الحق وترجيح الانكار وتأكيد لتنقيص الاتخاذ بها بالجملة الحالية اعني قوله
تعالى وهم لكم عدو فان كلا منهما ما يقوي الاتخاذ المذكور ويؤكد الانكار قل بعد ذلك تصويرا لآرائهم
الركيكة بصورة المحسوس هل يستوي الاعمى والبصير الذي هو المشرك الجاهل بالعبادة
ومستحقها والبصير الذي هو الموحد العالم بذلك او الاول عبارة عن المعبود الغافل
والثاني اشارة الى ان المعبود العالم بذلك ام هل تستوي الظلمات التي هي عبارة
عن الكفر والضلال والنور الذي هو عبارة عن التوحيد والايمان وقرئ بالياء وفي
ذلك النظم الكريم على ان الكفر فيما فعلوا من اتخاذ الاصنام اولياء من دون الله سبحانه اولياء
من الضلال المحض والخطا البين بحيث لا يخفى بطلانه على احد وانهم في ذلك كالاعمى الذي يسدد
في احواله ولكن لم يفد فيه الشبهة بحيث ان تكون منشا لغلطهم وخطائهم فضلا عن الحجة
اله ذلك فقيل ام جعلوا لله اي بل جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه سبحانه والهمزة
لانكار الوقوع لا لانكار الواقع مع وقوعه وقوله خلقوا كخلقه هو الذي يوجد الشبهة
الانكار واما نفس الجعل فهو واقع لا يتعلق به الانكار لهذا المعنى والمعنى انهم لم يجعلوا
لله تعالى شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم بسبب ذلك وقالوا هؤلاء خلقوا كخلقه
فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها ليكون ذلك منشا لخطائهم بل انما جعلوا له شركاء عاجزين
بحيث لا يخفى ذلك بالاطلاع وفيه ما لا يخفى من التعريض بركاكة آرائهم والتهكم بهم قل تحقيقا
للحق وارشادا لهم الى البين الله خالق كل شيء لا خالق سواه فيشاركه في استحقاق العبادة
وهو الواحد المتوحد بالالوهية المتفرد بالربوبية القهار لكل ما سواه فكيف يتوهم ان
يكون له شريك وبعد ما مثل المشرك والشرك بالاعمى والظلمات والموحد والتوحيد
بالبصير والنور مثل الحق الذي هو القرآن العظيم في فيضانه من جناب القدس على قلوب
خالية عنه متفاوتة الاستعداد وفي جريانه عليها ملاحظة وحفظا وعلى الالسنة مذاكرة
وتلاوة وفي ثباته فيها مع كونه ممدا لحياتها الروحانية وما يتلوها من الملكات السنية
والاعمال المرضية بالماء النازل من السماء السائل في اودية باقية لم يجر عادته ببقائه
سيالة نامية لما عندها ارتفعت الحكمة في احياء الارض وما عليها ابقافي بها حسب
ينه وعليه منافع الناس وفي كونه حلية تتجلى به النفوس وتصل الى البهجة الابدية
ومتاعا تتمتع به في المعاش والمعاد بالذهب والفضة وسائر الفلزات التي يتخذ منها
انواع الآلات والادوات وتبقى بها منتفعا مدة طويلة ومثل الباطل الذي ابتلي به
الكفرة لقصور نظرهم بما يظهر فيها من غير مداخلة له فيها والجلال بصفاتها من الزبد
الرابي وزبدها المضمحل سريعا فقيل انزل من السماء اي من جهتها ماء اي كثيرا او نوعا
منه وهو ماء المطر فسالت به اودية وانقة في مواقعه لا جمع الاودية والاطلاق
لا يستوعب الاقطار وهو جمع واد وهو منفرج بين تلال او جبال او اكام على الشذوذ
كنادى واندية وناج وانجية قالوا وجهه ان فاعلا يجي بمعنى فعيل كناصر ونصير وشاهد
وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع فعيل على افعلة كجريب واجربة جمع فاعل عليه

لمريب واجرية جمع فاعل ليشا فعل اعلاد فان اريد بها ما يسيل فيها مجازا فاسناد السيلان اليه
حقيقي وان اريد معناها الحقيقي فالاسناد مجازي كما في جري النهر وايثار التمثيل بها على الانهار
المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شانها وشان ما مثل بها كما سيأتي **بقدرها** اي بمقدارها
ملتبسة بمقدارها الذي عينه الله تعالى واقتضته حكمته في نفع الناس او بمقدارها المتفاوت
قلة وكثرة بحسب تفاوت محالها صغرا وكبرا لا بكونها مالئة لها منطبقة عليها بل بمجرد قلتها
بصغرها المستلزم لقلة موارد الماء وكثرتها بكبرها المستدعي لكثرة الموارد فان مورد
السيل الجاري في الوادي الصغير اقل من موارد السيل الجاري في الوادي الكبير وهذا
ان اريد بالاودية ما يسيل فيها اما ان اريد بها معناها الحقيقي فالمعنى سالت مياهها
بقدرها اي تلك الاودية اي جماعته ربما على نحو ما عرفته انفا او يراد بضميرها مياهها بطريق الاستخدام
ويراد بقدرها ما ذكر اولا من المعنيين **فاحتمل السيل** الجاري في تلك الاودية اي جماعته
زبدا اي غثاء ورغوة وانما وصف ذلك بقوله تعالى **رابيا** اي عاليا منتفخا فوقه بيانا
لما اريد بالاحتمال المحتمل لكون الحامل عن ظاهر كالاحجار الثقيلة وانما لم يدفع ذلك الاحتمال
بان يقال فاحتمل السيل فوقه للايذان بان تلك الفوقية مقتضى شان الزبد لا من
جهة المحتمل تحقيقا للمماثلة بينه وبين ما مثل به من الباطل الذي شانه الظهور في بادي
الراي من غير مداخلة في الحق **ومما توقدون عليه في النار** اي تفعلون الايقاد عليه
كائنا في النار والضمير للناس اضمر مع سبق الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب **ابتغاء حلية**
او متاع اي لطلب اتخاذ حلية وهي ما تتزين وتتجمل به كالحلي من الذهب والفضة او اتخاذ
متاع وهو ما يتمتع به من الاواني والالات المتخذة من الرصاص والحديد وغيرهما من الفلزات
زبد مثله اي مثل ما ذكر من زبد الماء في كونه رابيا فوقه فقوله زبد مبتدأ خبره الظرف
المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد كونه مبتدا وناشيا منه لا تبعيضية معربة عن كونه بعضا
منه كما قيل لاخلاله بالتمثيل وفي التعبير عن ذلك بالموصول والتعرض لما في حيز الصلة
من ايقاد النار عليه جري على سنن الكبرياء باظهار التهاون به كما في قوله تعالى فاوقد
لي يا هامان على الطين وايذان بكيفية حصول الزبد منه وانه بواسطة زيادة في
النار اشعارا بالمبالغة في الاحتمال للاذابة وحصول الزبد كما اشير اليه وعدم التعرض
لاخراجه من الارض لعدم مدخلية ذلك العنوان في التمثيل كما ان العنوان انزال الماء
من السماء دخلا فيه حسبما فصل فيما سلف بل له اخلال في ذلك **كذلك** اي مثل ذلك الضرب
البديع المشتمل على نكت رائقة **يضرب الله الحق والباطل** اي مثل الحق ومثل الباطل
والحذف للايذان بكمال التماثل بين الممثل والممثل به كان المثل المضروب عين الحق
والباطل وبعد تحقق التمثيل الاتي في تضاعيف ذلك الى وجوه المماثلة على ابدع وجه
والطفه حسبما اشير اليه في مواقعه بين عاقبة كل من المثلين على وجه التمثيل مع التصريح
ببعض ما به المماثلة من الذهاب والبقاء للغرض من التمثيل من الحث على اتباع الحق
الثابت والردع عن الباطل والزائل فقيل **فاما الزبد** من كل منهما **فيذهب جفاء** اي
مرميا به وقريحا لا يرى المغلي **واما ما ينفع الناس** منهما كالماء الصافي والفلز الخالص

فيمكث

فيمكث في الارض اي الماء يبقى بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون
والقني والابار واما الفلز فيصاغ من بعضه انواع الحلي ويتخذ من بعضه اصناف الالات والادوات
فينتفع بكل من ذلك انواع الانتفاعات مدة طويلة فالمراد بالمكث في الارض ما هو اعم
من المكث في نفسها ومن البقاء في ايدي المتقلبين فيها وتغيير ترتيب اللف الواقع في
الفذلكة الموافق للترتيب الواقع في التمثيل لمراعاة الملابسة بين حالتي الذهاب والبقا
وبين ذكريهما فان المعتبر انما هو بقاء الثاني بعد ذهاب الاول لا اتلافه **كذلك**
يضرب الله اي مثل ذلك الضرب العجيب **يضرب الامثال** في كل باب اظهارا لكمال اللطف
والعناية في الارشاد والهداية فيه تفخيم لشان هذا التمثيل وتاكيد لقوله كذلك يضرب
الله الحق والباطل اما باعتبار ابتنائه على التمثيل الاول او بجعل ذلك اشارة اليهما
وبعدما بين شان كل واحد من الحق والباطل حالا ومالا اكمل بيان شرع في بيان حال
اهل كل منهما حالا ومالا تكميلا للدعوة ترغيبا وترهيبا فقيل **للذين استجابوا لربهم**
اذ دعاهم الى الحق بفنون الدعوة التي من جملتها ضرب الامثال فانه الطف ذريعة
الى تفهيم القلوب الغبية واقوى وسيلة الى تسخير النفوس الابية كيف لا وهو تصوير
للمعقول بصورة المحسوس وابراز لاوابد المعاني في هيئة المانوس فاي دعوة اولى منه
بالاستجابة والقبول **الحسنى** اي المثوبة الحسنى وهي الجنة **والذين لم يستجيبوا له**
اي لدعائه والحق الجلي **لو ان لهم ما في الارض** من اصناف الاموال **جميعا** بحيث لم يشذ منه شاذ
في اقطارها او مجموعا غير متفرق بحيث الازمان **ومثله معه لافتدوا به** اي بما
في الارض ومثله معه جميعا ليتخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يلقاهم ما لا يحيط به البيان
فالموصول مبتدأ والشرطية كما هي خبره لكن لا على انها وضعت موضع السوى فوقعت
في مقابلة الحسنى الواقعة في القرينة الاولى لمراعاة حسن المقابلة فصار كانه قيل
والذين لم يستجيبوا له السوى كما توهم فان الشرطية وان دلت على كمال سوء حالهم
لكنها بمعزل من القيام مقام لفظ السوى مصحوبا باللام الداخلة على الموصول او ضميره
وعليه يدور حصول المرام وانما الواقع في تلك المقابلة سوء الحساب في قوله تعالى
اولئك لهم سوء الحساب وحيث كان اسم الاشارة الواقع مبتدأ في هذه الجملة عبارة
عن الموصول الاول مبتدأ في الجملة السابقة وكان خبرها اعني الجملة الظرفية خبرا عن
الموصول في الحقيقة ومبينا لانها خبر الشرطية الواقعة عنه اولا ولذلك ترك العطف
فصار كانه قيل والذين لم يستجيبوا له لهم سوء الحساب • وذلك في قوة ان يقال والذين
لم يستجيبوا لهم سوء الحساب مع زيادة تاكيد فتم حسن المقابلة على ابدع وجه واكمله
ترتيب مؤدي ذلك فقيل **وماواهم** اي مرجعهم **جهنم** وفيه نوع تاكيد لتفسير الحسنى
بالجنة **وبئس المهاد** اي المستقر والمخصوص بالذم محذوف • وقيل اللام في قوله
للذين استجابوا لربهم متعلقة بقوله يضرب الله الامثال اي الامثال السالفة وقوله
الحسنى صفة لمصدر اي استجابوا الاستجابة الحسنى • وقوله والذين لم يستجيبوا له
معطوف على الموصول الاول • وقوله لو ان لهم الى اخره كلام مستانف مسوق لبيان

ثم الله لغير المستجيبين من العذاب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين المستجيبين
والكافرين اي هما مثلا الفريقين وانت خبير بان عنوان الاجابة وعدمها لا مناسبة بينه
وبين ما يدور عليه امر التمثيل فان الاستعمال المستفيض دخول اللام على من تقيده
تذكير بالمثل له حسبما يستعمل في هذا المعنى ايضا كما في قوله سبحانه ضرب الله مثلا
للذين امنوا امراة فرعون وتطابق على ان بعض الامثال المضروبة ليس المثل الآخر
الموصول بالكلام بل ليس مثال الفريقين بل مثال الحق والباطل ولا مساغ لجعل الفريقين
معنونا بالاجابة وعدمها بان يجعل في حكم ان يقال كذلك يضرب الله الامثال للناس اذ لا
وجه حينئذ لتخصيصهم بالمستجيبين فتامل افمن يعلم انما انزل اليك من ربك من القرآن
الذي مثل ابالة المتقدم من الماء والابريز الخالص في النفع والجدوى الحق الذي لا حق وراءه
والحق الذي اشير اليه بالامثال المضروبة فيستجيب له كمن هو اعمى عمي القلب لا يشاهد
ولا يعرفه ولا يقدر قدره فهو في افضى مراتب العلو والعظم فيبقى حائرا في ظلمات
الجهل وغياهب الضلال او لا يتذكر بما ضرب من الامثال اي لمن لا يعلم ذلك الا الذين
زيادة تقبيح حاله والتعبير عنه بالاعمى وايراد الفاء بعد الهمزة لتوجيه الانكار الى ترتب
توهم المماثلة على ظهور حال كل منهما بما ضرب من الامثال بين المصير والمآل كانه
قيل ابعد ما بين حال كل من الفريقين وما لهما يتوهم المماثلة بينهما فيستويان فقيل
انما يتذكر بما ذكر من المذكورات فيقف على ما بينهما من التفاوت والتنافي اولو الالباب
اي العقول الخالصة المبرأة من مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد
الله بما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى وما عهد الله عليهم في
كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه على انفسهم وتناولوا من الايمان بالله وغيره من
المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص وفيه تأكيد للاستمرار
المفهوم من صيغة المستقبل والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة
المؤمنين والايمان بجميع الانبياء المجمعين على الحق من غير تفريق بين احد منهم ويندرج
فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل جميع ما يتعلق بهم من الهرة والدجاج ويخشون
ربهم خشية جلال وهيبة ورهبة فلا يعصونه فيما امر بهم ويخافون سوء الحساب
فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا وفيه دلالة على كمال فظاعته حسبما ذكر فيما قبل
والذين صبروا على كل ما تتكرهه النفس من الافعال والتروك ابتغاء وجه ربهم طلبا
لرضاه خاصة من غير ان ينظروا الى جانب الخلق رياء وسمعة ولا الى جانب النفس زينة
وعجبا وحيث كان الصبر على الوجه المذكور ملاك الامر في كل ما ذكر من الصلات
السابقة واللاحقة اورد على صيغة الماضي اعتناء بشأنه ودلالة على وجوب تحققه
فان ذلك مما لا بد منه اما في نفس الصلات كما في الصلة الاولى الى الرابعة والخامسة
او في اظهار احكامها كما في الصلات الثلاث المذكورات بعدها والذين استغنت عن الصبر
في انفسها حيث لا مشقة على النفس في الاعتراف بالربوبية والخشية والخوف لكن
اظهار احكامها والجري على موجبها عزيز حال عن الاحتياج اليه واقاموا الصلاة المفروضة

وانفقوا

وانفقوا مما رزقناهم اي بعضه الذي يجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال او لمن لا
يتهم بترك الزكاة او عند انفاقه واعطائه من منعه المنع من اخذ ظاهرا وعلانية
لمن لم يكن كذلك او الاول في التطوع والثاني في الفرض ويدرءون بالحسنة السيئة
اي يجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها وعن ابن عباس رضي الله عنه
يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن رحمه الله اذا حرموا
اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل
اذا راوا منكرا امروا بتغييره وتقديم المجرور على المنصوب لاظهار كمال العناية بالحسنة
اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة والملكات الجميلة وهو مبتدأ خبره الجملة الظرفية
اعني قوله لهم عقبى الدار اي عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة
وقيل الجار والمجرور خبر لاولئك وعقبى الدار فاعل الاستقرار وايا ما كان ففيه
وقد خفي ورد ان تعين ما في حيز الصلة للبشر من الغايات الجليلة احاطة لها بالموصول الى حسن
العاقبة والجملة خبر للموصولات المتعاطفة او استئناف لبيان ما استوجبوا بتلك
الصفات ان جعل الموصولات صفات لاولي الالباب على طريقة المدح من غير ان يقصد
ان يكون للصفات المذكورة مدخل في الخبر جنات عدن بدل من عقبى الدار
او مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الاقامة يقال عدن بالمكان اي اقام اي جنات
يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم جمع ابوي كل واحد منهم
فكانه قيل من آبائهم وامهاتهم وازواجهم وذرياتهم وهو عطف على المرفوع في يدخلونها
وانما ساغ ذلك للفصل بالضمير الآخر ومفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من
اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم تعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة
تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة
والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم وفي التقييد بالصلاح قطع للاطماع
الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الانساب والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة
بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذه الكرامة العظمى
بسبب صبركم او بدل لما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه والمعنى لئن تعبتم
في الدنيا لقد استرحتم الساعة وتخصيص الصبر بالذكر من بين الصلات السابقة لما في شأنه
من انه داخل في كل منها وله مزية زائدة من حيث انه ملاك الامر في كل منها وان شأنها لا يعتد
به الا ان يكون لابتغاء وجه الرب فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ بفتح النون والاصل
نعم فنقلت العين بنقل حركتها الى النون تارة وبدونها اخرى وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه كان يأتي قبور الشهداء على راس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى
الدار وكذا عن الخلفاء الاربعة رضوان الله عليهم اجمعين والذين ينقضون عهد الله
اريد بهم من يقابل الاولين ويقابلهم في الاتصاف بنقائض صفاتهم من بعد ميثاقه من
بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل من الانبياء

المجمعين على الحق حيث يؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الارحام وموالاة المؤمنين
وغير ذلك مما لا يراعون حقوقه من الامور المعدودة فيما سلف وانما لم يتعرض لنفي الخشية والخوف
صريحا لدلالة النقض والقطع على ذلك واما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور فلانه انما اعتبر
تحققه في ضمن الحسنات المعدودة لبعض معتدا به فلا وجه لنفيه عمن نفيت عنه الحسنات بعد
المشركين كما لا يخفى لوجود الصلاة والزكاة ممن لا يحوم حول اصل الايمان بالله تعالى فضلا
عن فروع الشرائع وان اريد بالانفاق التطوع فنفيه مندرج تحت قطع ما امر الله تعالى بوصله
ودرء الحسنة بالسيئة فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق ولحق فان من يجازي احسانه عز وجل
بنقض العهد ومخالفة الامر ويباشر الفساد حسبما حكيه قوله عز وعلا ويفسدون في
الارض اي بالظلم وتهييج الفتن كيف يتصور منه مجازاة الاساءة بالاحسان على ان ذلك يشعر
بان لذلك دخلا في العقوبة لانضمامه الى العقوبة التي ينبئ عنه قوله تعالى اولئك الى آخره
اي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح لهم بسبب ذلك اللعنة اي الابعاد من رحمة الله تعالى
مع ذلك ولهم سوء الدار اي سوء عاقبة الدنيا او عذاب النار فانها دارهم لان ترتيب الحكم
على الموصول مشعر بعلية الصلة له ولا يخفى انه لا دخل له في ذلك على اكثر التفاسير
فان مجازاة السيئة بمثلها او دون فيها ودفع الكلام السيء بالحسن وكذا الاعطاء عند
المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس مما يورث ما ذكر . واما ما اعتبر
اندراجه تحت الصلة الماسة من الاخلال ببعض الحقوق المندرجة فلا مرية في ذلك
لان اعتباره من حيث انه من مستتبعات الاخلال بالعزائم بالكفر ببعض الانبياء وعقوق
الوالدين وترك سائر الحقوق الواجبة وتكرير لهم للتأكيد والايذان باختلاف فيما
واستقلال كل منهما في الثبوت الله يبسط الرزق اي يوسعه لمن يشاء من عباده ويقدر
اي يضيقه على من يشاء حسبما تقتضيه الحكمة من غير ان يكون لاحد مدخل في ذلك ولا
تعلق بحكمته فربما يبسط للكافر املاء واستدراجا وربما يضيق على المؤمن زيادة لاجره
فلا تعيير ببسطه للكافر كما لا بسط بعزة المؤمن وفرحوا اي اهل مكة فرح اشر وبطر لا فرح سرور
بفضل الله تعالى بالحياة الدنيا وما بسط لهم من نعيمها وما الحياة الدنيا اي وما
يتمتعا من التمتع في الآخرة في جنب نعيم الآخرة الا متاع الا نزر يتمتع به كعجالة الراكب
وزاد الراعي والمعنى انهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة والحال ان ما
اشروا به في جنب ما اعرضوا عنه في قليل النفع سريع النفاد ويقول الذين كفروا اي
اهل مكة وايراد هذه الطريقة على وجه الاضمار مع ظهور ارادتهم عقيب ذكر فرحهم
بالحياة الدنيا لذمهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكي عنهم من قولهم لولا انزل عليه
آية من ربه فان ذلك في اقصى مراتب المكابرة والعناد كأن ما انزل اليه صلى الله عليه وسلم
من الآيات العظام الباهرة ليس بآية حتى اقترحوا ما لا تقتضيه الحكمة من الآيات المحسوسة
التي لا يبقى لاحد بعدها طاقة بعدم القبول ولذلك امر في الجواب بقوله تعالى قل ان الله
يضل من يشاء اضلاله مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليه اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره
الى تحصيله ويدعه منهمكا فيه لعلمه بانه لا ينجع فيه اللطف ولا ينفعه الارشاد لمن كان على

بل منهمكا في المكابرة والعناد وشدة الشكيمة والغلو في الكفر والفساد فلا سبيل له الى الاهتداء
ولو جاءته كل آية ويهدي اليه اي الى جنابه العلي الكبير هداية موصلة اليه لا دلالة مطلقة
الى ما يوصل اليه فان ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من تشريفهم ما لا يوصف من اناب اي اقبل
الى الحق وتأمل في تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحة وحقيقة الانابة الدخول في نوبة
الخير وايثار ايرادها في الصلة على ايراد المشيئة الاولى من المكابرة وفيه حث للكفرة
على الاقلاع عما هم عليه من العتو والعناد . وايثار صيغة الماضي للايذان الى استدعاء الهداية
السابقة الانابة كما ان ايثار صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على استمرار المشيئة
حسب استمرار مكابرتهم الذين آمنوا بدل من من اناب فان اريد بالهداية الهداية المستمرة
فالامر ظاهر لظهور كون الايمان مؤديا اليها وان اريد احداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين
صار امرهم الى الايمان . كما في قوله تعالى هدى للمتقين اي الصائرين الى التقوى والا فلا
لا يؤدي الى الهداية نفسها او خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين آمنوا او نصب على المدح
وتطمئن قلوبهم اي تستقر وتسكن بذكر الله بكلامه المعجز الذي لا ريب فيه كقوله
تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه . وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ويعلمون ان
لا آية اعظم منه فيقترحونها والعدول الى صيغة المضارع لافادة دوام الاطمئنان وتجدده
حسب تجدد الآيات وتعددها الا بذكر الله وحده تطمئن القلوب دون غيره من الامور
التي تميل اليها النفوس من الدنياويات وسائر الآيات ما سوى القرآن فانها قاصرة من حيث
انها ليست في افادة الطمأنينة بالنسبة الى من لم يشاهدها بمثابة القرآن المجيد فانه
معجزة باقية الى يوم القيامة يشاهدها كل احد وتطمئن بها القلوب كافة وفيه اشعار
بان الكفرة ليست لهم قلوب وافئدة فهم بمعزل عن الاطمئنان بذكر الله تعالى ولم يعدوه
آية وهو اظهر الآيات وابهرها . وقيل تطمئن قلوبهم بذكر رحمته ومغفرته بعد
القلق والاضطراب من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او بذكر
دلائله الدالة على وحدانيته او بذكره جل وعلا انسا به وتبتلا اليه فالمراد بالهداية
دوامها واستمرارها الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل من القلوب على حذف المضاف
حسبان من انابه اي قلوب الذين آمنوا وفيه ايماء الى ان الانسان انما هو القلب او مبتدأ
خبره الجملة الدعائية على التأويل اعني قوله طوبى لهم او خبر مبتدأ مضمر او نصب على المدح
فطوبى لهم حال وعاملها الفعل وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى والواو منقلبة من الياء
كموقن وموسر وقرئ طيبى لاعرابي يتبع اللبنة والمعنى اصابوا خيرا وجعلها النصب
كسلام الله او الرفع على الابتداء وان كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء كسلام عليك
يدل على ذلك القراءة في قوله تعالى وحسن مآب بالنصب والرفع واللام في لهم للبيان
مثلها في سقيا لك كذلك اي مثل ذلك الارسال العظيم الشأن المصحوب بهذه المعجزة الباهرة
ارسلناك في امة قد خلت اي مضت من قبلها امم كثيرة قد ارسل اليهم رسل
لتتلو لتقرأ عليهم الذي اوحينا اليك من الكتاب العظيم الشأن وتهديهم الى الحق
رحمة لهم وتقديم الجر على المنصوب من قبيل الابهام ثم البيان كما في قوله تعالى ووضعنا

منه وذلك وفيه ما لا يخفى من ترتب التنبيه على ما سيأتي وحسن قبولها لدعوتك وروده عليه وهم اي
والحال انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت كل شيء رحمته واحاطت بهم نعمته والعدول
الى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث ان الارسال ناشئ منها كما قال تعالى وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين فلم يعرفوا حق نعمته ولم يشكروا نعمه لا سيما ما انعم به عليهم بارسالك اليهم
وانزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية عليهم • وقيل نزلت
في مشركي مكة حين امروا بالسجود فقالوا وما الرحمن قل هو اي الرحمن الذي كفرتم به
وانكرتم معرفته ربي الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف
به مبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت اي خالقي ومبلغي الى مراتب الكمال وايراده
قبل قوله لا اله الا هو اي لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على ان استحقاق العبادة منوط
بالربوبية • وقيل ان ابا جهل سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فرجع
الى المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين فنزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن الاية عليه توكلت في جميع اموري لا سيما في النصرة عليكم لا على احد سواه •
واليه خاصة متاب اي توبتي امره صلى الله عليه وسلم بذلك ابانة لفضل التوبة
ومقدارها عند الله وانها صفة الانبياء وبعثا للكفرة على الرجوع عما هم عليه بابلغ وجه
والطفه فانه صلى الله عليه وسلم حيث امر بها وهو منزه عن شائبة اقتراف ما يوجبها
من الذنب وان قل فتوبتهم وهم عاكفون على انواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه
اصلا • وقيل فيه المتاب بمطلق الرجوع فقيل مرجعي ومرجعكم ولذا يحكم بيني وبينكم
وقيل فيثيبني على مصابرتكم فتأمل ولو ان قرآنا اي قرآنا ما وهو اسم ان والخبر
قوله تعالى سيرت به الجبال وجواب لو محذوف لانسياق الكلام اليه بحيث يتلقفه
السامع من التالي والمقصود اما بيان عظم شأن القرآن العظيم وفساد رأي الكفرة
حيث لم يقدروا قدره العلي ولم يعدوه من قبيل الآيات فاقترحوا غيره مما اوتي موسى
وعيسى عليهما الصلاة والسلام • واما بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم في
الضلال والفساد فالمعنى على الاول لو ان قرآنا سيرت به الجبال اي بانزاله او بتلاوته
علينا وزعزعت عن مقارها كما فعل ذلك بالطور لموسى عليه السلام او قطعت به
الارض او شققت وجعلت انهارا وعيونا كما فعل بالحجر لموسى عليه السلام بعصاه او جعلت
قطعا متصدعة او كلم به الموتى اي بعد ان احيى بقراءته عليها كما احيى لعيسى عليه
السلام لكان ذلك هذا القرآن لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب آثار قدرة
الله تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا
من خشية الله لا في الاعجاز اذ لا مدخل له في شأن الآثار ولا في الاذكار والافكار والتحريض
لاختصاصها بالعقلاء مع انه لا علاقة لها بتكليم الموتى واعتبار فيض العقول اليه
مخل بالمبالغة المقصودة وتقديم المجرور في المواضع الثلاثة على المرفوع لما مر غير مرة من
قصد الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر لان تقدم ما حقه التأخير يبقي النفس
مستشرفة ومترقبة الى المؤخر انه ماذا فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن وكلمة

او

او في الموضعين لمنع الخلو لا لمنع الجمع واقتراحهم وان كان متعلقا بمجرد ظهور مثل هذه الافاعيل
العجيبة على يده عليه الصلاة والسلام لا بظهورها بواسطة القرآن الكريم لكن ذلك للتنبيه على ان
مبنيا على فخامة شأنه في تعرضهم الخوارق بظهورها به مبالغة في بيان اشتماله عليها وانه
حقيق بان يكون مصدرا لكل خارق وابانة لركاكة رأيهم في شأنه الرفيع كانه قيل لو ان ظهور
امثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها هذا القرآن الذي لم يعدوه آية
وفيه من تفخيم شأنه العزيز ووصفهم بركاكة العقل ما لا يخفى بل لله الامر جميعا اي له
الامر الذي يدور عليه فلك الاكوان وجودا وعدما يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لما يدعو
اليه من الحكم البالغة وهو اضراب عما تضمنته الشرطية من معنى النفي لا بحسب منطوقه
بل باعتبار موجبه ومؤداه اي لو ان قرآنا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القرآن ولكن لم يفعل
بل فعل ما عليه الشأن الآن لان الامر كله له وحاصل الاضراب انه متوجه الى كون الامر
لله سبحانه بالنسبة الى ما يؤدي اليه ذلك من كون الشأن على ما كان لما تقتضيه الحكمة من بناء
التكليف على الاختيار افلم ييأس الذين آمنوا اي افلم يعلموا على لغة هوازن او قوم من النخع
او على استعمال اليأس في معنى العلم لتضمنه له • ويؤيده قراءة علي وابن عباس ومجاهد من
الصحابة والتابعين افلم يتبين بطريق التفسير والفاء للعطف على مقدر اي اغفلوا
عن كون الامر كله جميعا لله فلم يعلموا ان لو يشاء الله على حذف ضمير الشأن وتخفيف ان لهدى
الناس جميعا باظهار امثال تلك الآثار العظيمة فالانكار متوجه الى المعطوفين جميعا
او اعلموا كون الامر جميعا لله فلم يعلموا ما يوجبه ذلك العلم مما ذكر فهو متوجه الى ترتب
وتفرع المعطوف على المعطوف عليه اي تخلف العلم الثاني عن العلم الاول وعلى التقديرين
فالانكار انكار الوقوع كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا لا انكار الواقع كما في قولك
الم تخف الله حتى عصيته • ثم ان مناط الانكار ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط بل
عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها • كانه قيل الم يعلموا ان الله تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم
وانه لم يشأها وذلك لانهم كانوا يودون ان يظهر ما اقترحوا من الآيات ليجتمعوا على الايمان
وعلى الثاني لو ان قرآنا فعل به ما فعل من التعاجيب لما آمنوا به كقوله تعالى ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الاية فالاضراب حينئذ متوجه الى ما سلف من اقتراحهم
مع كونهم في العناد على شرح اي فليس لهم ذلك بل لله الامر جميعا ان شاء اتى بما اقترحوا وان
شاء لم يأت به حسبما يستدعيه داعية الحكمة من غير ان يكون لاحد عليه تحكم او
اقتراح واليأس بمعنى القنوط اي الم يعلم الذين آمنوا حال هؤلاء الكفرة فلم يقنطوا من ايمانهم
حتى احبوا ظهور مقترحاتهم فالانكار متوجه الى المعطوفين او اعلموا ذلك فلم يقنطوا
من ايمانهم فهو متوجه الى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه اي الى ان عدم القنوط عن
العلم المذكور والانكار على التقديرين انكار الواقع كما في قوله تعالى افأنت تسمع ونظائره
لا انكار الوقوع فان عدم قنوطهم مما لا مرد له • وقوله تعالى ان لو يشاء الله الخ متعلق
بمحذوف اي افلم ييأسوا من ايمانهم علما منهم او عالمين بانه لو يشاء الله لهدى الناس وانه
لم يشأ ذلك او بآمنوا اي افلم ييأس الذين آمنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا

فلا معنى لعلمهم بما هي من ابائهم الموسومين يحيون النطقية و تقدم تحقق معنى منها المستمعين من مخابرتهم
جميعا بحكمة كلمة لو قالوا صنعت المذكورين دواعي انكارنا سحر • وقيل ان ابا جهل و اضرابه قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فسير بقرانك الجبال عن مكة حتى يتسع و نتخذ فيها البساتين
و القطائع فقد سخرت لداود و لست باهون على الله منه ان كنت نبيا كما زعمت او سخر لنا به
الريح كما سخرت لسليمان عليه السلام فنتجر عليها الى الشام فقد شق علينا قطع الطوائف البعيدة
او ابعث لنا رجلين او ثلاثة ممن مات من ابائنا فنزلت فمعنى تقطيع الارض حينئذ قطعها بالسير
ولا حاجة الى الاعتذار في اسناد الافعال المذكورة الى القران كما احتيج اليه في الوجهين
الاولين • وعن الفراء انه متعلق بما قبله من قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما
اعتراض وهو بالحقيقة وان علا الوجه في المتقدم ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به
الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن و التغليب في كلم به الموتى لتغليب المذكر من
الموتى على غيره ولا يزال الذين كفروا من اهل مكة تصيبهم بما صنعوا اي بسبب ما
صنعوه من الكفر والتمادي فيه وعدم بيانه اما للتعدد او لتهويله او استهجانه وهو
تصريح بما اشعر به الحكم عن الموصول من علية الصلة له مع ما في صيغة الصنع من الايذان
برسوخهم في ذلك قارعة داهية تقرعهم وتقلقلهم وهو ما كان يصيبهم من انواع البلايا
والمصائب من القتل والاسر والسلب والنهب • وتقديم المجرور على الفاعل لما مر
مرارا من ارادة التشويق الى الاتيان لزيادة التقرير في الاحكام مع ما فيه من بيان ان
مدار الاصابة من جهتهم اثر ذي اثير او تحل تلك القارعة قريبا اي مكانا قريبا من دارهم
فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها شبهت القارعة بالعدو المتوجه اليهم فاسند اليها
الاصابة تارة والحلول اخرى ففيه استعارة بالكناية وتخييل وترشيح حتى ياتي وعد
الله اي موتهم او القيامة فان كلا منهما وعد محتوم لا مرد له وفيه دلالة على ان ما يصيبهم
عند ذلك من العذاب في غاية الشدة وان ما ذكر سابقا نفحة يسيرة بالنسبة اليهم
ثم حقق ذلك بقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد اي الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى
الولادة والتوثقة لاستحالة ذلك على الله سبحانه • وقال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بالقارعة
السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها وكانوا بين اغارة واختطاف وتخويف
بالهجوم عليهم في ديارهم فالاصابة والحلول حينئذ من احوالهم ويجوز على هذا ان يكون
قوله تعالى او تحل قريبا من دارهم خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مرادا به حلوله
الحديبية والمراد بوعد الله ما وعد به من فتح مكة ولقد استهزئ برسل كثيرة خلت من
قبلك فامليت للذين كفروا املاوة من الزمان في امن ودعة كالبهيمة في المرعى
وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما لقي من المشركين من التكذيب والاقتراح
على طريقة الاستهزاء به ووعيد لهم والمعنى ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر مطرد قد
فعل ذلك برسل كثيرة كائنة من قبلك فامليت الذين فعلوه بهم والعدول في الصلة
الى وصف الكفر ليس لان المراد غير المستهزئين بل لارادة الجمع بين الوصفين اي فامليت
للذين كفروا مع استهزائهم لا باستهزائهم فقط ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي

اي تركتهم

ايام

اياهم فيه من اللذات لا لذة فيما يناسبهم في البشارة والمقاطعة ما لا يخفى افمن هو قائم اي رقيب
مهيمن على كل نفس كائنة من كانت بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من ذلك ولا يفوت عنده شيء
كلا بحظه وهو الله سبحانه والخبر محذوف اي كمن ليس كذلك والكلام للانكار وادخال الفاء
الانكار الى توهم المماثلة عقيب ما علم مما فصل تعالى بالمستهزئين من الامهال والاملاء والاخذ
الشديد ومن كون الامر كله لله تعالى وكون ما يصيب الناس جميعا منوطة بمشيئته تعالى ومن
توالي القوارع على الكفرة الى ان ياتي وعد الله • كانه قيل الامر كذلك فمن هذا شانه كما ليس في
عداد الاشياء حتى تشركوه به فالانكار متوجه الى ترتيب المعطوف اعني توهم المماثلة على المعطوف عليه
المحذوف اعني كون الامر كما ذكر كما في قولك اتعلم الحق فلا تعمل به لا الى المعطوفين جميعا كما اذا قلت
الا تعلمه فلا تعمل به • وقوله تعالى وجعلوا لله شركاء جملة مستقلة جيء بها للدلالة على الخبر او
حالية اي افمن هذه صفاته كما ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريك له وحده معطوفة على الخبر
ان قدر ما يصلح لذلك اي افمن هذا شانه لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع المضمر
للتنصيص على وحدانيته ذاتا واسما والتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه
من الابهام البيان مع الابهام لزيادة موصولا لله لدلالة على التحقير • وقوله تعالى قل سموهم
تبكيت لهم اثر تبكيت اي سموهم من هم وماذا اسماؤهم او صفوهم وانظروا هل لهم ما يستحقون
به العبادة ويستاهلون الشركة ام تنبئونه اي بل اتنبئون الله بما لا يعلم في الارض اي بشركاء
مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
وقرئ بالتخفيف ام بظاهر من القول بل اتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون لهم
معنى وحقيقة كتسمية الزنجي كافورا كقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم وهذه الاساليب
البديعة التي وردت عليها الاية الكريمة منادية على انها خارجة عن قدرة البشر من كلام
القوي والقدر فتبارك الله احسن الخالقين بل زين للذين كفروا وضع الموصول موضع المضمر
ذما لهم وتسجيلا عليهم بالكفر مكرهم فتمويههم الاباطيل او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا
عن السبيل اي سبيل الحق من صده صدا وقرئ بكسر الصاد نقلا لحركة الدال اليها وقرئ
بفتحها اي صدوا الناس او من صده صدودا ومن يضلل الله اي يخلق فيه الضلال لسوء اختياره
او يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب شاق في الحياة الدنيا بالقتل والاسر
وسائر ما يصيبهم من المصائب فانها انما تصيبهم عقوبة على كفرهم ولعذاب الاخرة اشق
من ذلك بالشدة والمدة وما لهم من الله من عذابه المذكور من واق من حافظ يعصمهم منه ومن
الاولى صلة للوقاية والثانية مزيدة للتاكيد مثل الجنة اي صفتها العجيبة الشان التي هي
في الغرابة كالمثل التي وعد المتقون عن الكفر والمعاصي وهو مبتدا خبره محذوف عند
سيبويه اي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تعالى تجري من تحتها الانهار تفسير لذلك المثل
على انه حال من العائد المحذوف من الصلة العائد الى الجنة اي وعدها وهو الخبر عند غيره كقولك
شان زيد ياتي الناس ويعطيهم او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري الى اخره اكلها
دائم لا ينقطع ثمرها وظلها ايضا كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا تلك الجنة المنعوتة
بما ذكر عقبى الذين اتقوا الكفر والمعاصي اي مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار

لا يخفى ما فيه من اطماع المتقين واقناط الكافرين والذين آتيناهم الكتاب هم المسلمون من اهل
الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران
وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة يفرحون بما انزل اليك اذ هو الكتاب الموعود في
التوراة والانجيل ومن الاحزاب اي من احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف والسيد والعاقب اسقفي نجران واتباعهما
من ينكر بعضه وهو الشرائع الحادثة انشاء او نسخا واما ما يوافق ما حرفوه فلا ينكرونه والامر لا يعدو
دليلا من جنايات ايديهم • واما ما يوافق كتبهم فلم ينكروه وان لم يفرحوا به • وقيل يجوز ان يراد بالموصول
الاول عامتهم فرحا بينا يفرحون به لكونه مصدقا لما لديهم في الجملة غير مخالف فيكون قوله تعالى
ومن الاحزاب الى آخره تتمة بمنزلة ان يقال ومنهم من ينكر بعضه قل انما امرت ردا لانكارهم
انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اي شيئا من الاشياء او لا افعل الاشراك به والمراد قصر الامر
بالعبادة على الله تعالى لا قصر الامر مطلقا على عبادته خاصة اي قل لهم انما امرت فيما انزل
الي بعبادة الله وتوحيده وظاهر ان لا سبيل لكم الى انكاره لاطباق جميع الانبياء والكتب على
ذلك كقوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا
نشرك به شيئا فما لكم تشركون به عزيرا او المسيح • وقرئ ولا اشرك به بالرفع على الاستئناف اي وانا
لا اشرك به اليه اي الى الله تعالى خاصة على النهج المذكور من التوحيد او الى ما امرت به من التوحيد
ادعو الناس لا الى غيره او لا الى شيء آخر مما لم يطبق عليه الكتب الالهية والانبياء فاي وجه للانكار
واليه اي الى الله تعالى وحده مآب مرجعي للجزاء وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون
عنها محيصا امر صلى الله عليه وسلم بان يخاطبهم بذلك الزاما وتبكيتا لهم ثم شرع في رد انكارهم لفروع
الشرائع الواردة ناسخة او بدلا من الشرائع المنسوخة ببيان الحكمة في ذلك فقيل وكذلك
انزلناه اي مثل ذلك الانزال البديع وذلك اشارة الى مصدر انزلناه او انزل اليك ومحله النصب على المصدرية
اي مثل ذلك الانزال البديع المنتظم لاصول مجمع عليها وفروع متشعبة الى موافقة ومخالفة حسبما
تقتضيه الحكمة والمصلحة انزلناه حكما حاكما يحكم في القضايا والواقعات بالحق او
يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع ان بعضه ليس بحكم لتربية وجوب مراعاته
وتحتم المحافظة عليه عربيا مترجما بلسان العرب والتعرض لذلك للاشارة الى ان ذلك
احدى مواد المخالفة للكتب السابقة مع ان ذلك مقتضى الحكمة اذ بذلك سهل فهمه وادراك اعجازه
والاقتصار على اشتمال الانزال على اصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيده قوله تعالى قل انما امرت
ان اعبد الله الخ يأباه التعرض لاتباع اهوائهم وحديث المحو والاثبات وان لكل اجل كتابا فان
المجمع عليه لا يتصور فيه الاستتباع والاتباع ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها من
تقرير الامور المخالفة لما انزل اليك من الحق كالصلاة الى بيت المقدس بعدما حولت عنه بعد
ما جاءك من العلم العظيم الشأن الفائض من ذلك الحكم العربي او العلم بمضمونه ما لك من الله
من جنابه العزيز والالتفات من التكلم الى الغيبة • وايراد الاسم الجليل لتربية المهابة
قال الازهري لا يكون الولي معبودا حتى يكون خالقا ورازقا ومدبرا من ولي يلي
امرك وينصرك على من بغاك الغوائل ولا واق يقيك من مصارع السوء وحيث لم يستلزم

نفي الناصر على العدو نفي الواقي من نكايته اذ خلي في المعطوف حرف النفي للتأكيد كقولك ما لي دينار
ولا درهم او ما لك من بأس الله من ناصر ولا واق وامثال هذه القوارع انما
هي لقطع اطماع الكفرة وتهييج المؤمنين على الثبات في الدين لا لامكان من موطنه للعصمة
وما اللسان مستدرجا الى الزلق في القسم ولقد ارسلنا رسلا كثيرة كائنة من قبلك وجعلنا لهم
ازواجا وذرية نساء واولادا كما جعلناها لك وهو رد لما كانوا يعيبونه صلى الله عليه وسلم بالزوج
والاولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام الى آخره وما كان لرسول منهم اي ما صح
وما استقام ولم يكن في وسعه ان يأتي باية مما اقترح عليه وحكم مما التمس منه الا
باذن الله ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح التي عليها يدور امر الكائنات لا سيما مثل هذه
الامور العظام والآيات لما قدمنا وتحقيق مضمون الجملة بالايماء الى العلة لكل اجل اي
لكل مدة ووقت من المدد والاوقات كتاب حكم معين يكتب على العباد حسبما تقتضيه
الحكمة فان الشرائع كلها لاصلاح احوالهم المتغايرة حسب تغير الاوقات كاختلاف العلاج
حسب اختلاف احوال المرضى بحسب الوقت يمحو الله ما يشاء نسخه ويثبت بدله ما فيه الحكمة
او يبقيه على حاله غير منسوخ او يثبت ما يشاء اثباته مطلقا اعم منهما ومن الانشاء ابتداء
او يمحو من ديوان الحفظة الذين ديدنهم كتبة كل قول وعمل ما لا يتعلق به الجزاء او يثبت
الباقي او يمحو سيئات التائب ويثبت مكانها الحسنة او يمحو قرنا ويثبت آخرين او يمحو
الفاسدات من العالم الجسماني ويثبت الكائنات او يمحو الرزق ويزيد فيه او يمحو الاجل
او السعادة والشقاوة • وبه قال عمر وابن مسعود رضي الله عنهما والقائلون به يتضرعون
الى الله تعالى ان يجعلهم سعداء وبه رواه جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
والانسب تعميم كل من المحو والاثبات ليشمل الكل ويدخل في ذلك مواد الانكار دخولا اوليا
وقرئ بالتشديد وعنده ام الكتاب اي اصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شيء من الذاهب
والثابت الا وهو مكتوب فيه كما هو واما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى
الشرط ومن ثمة الحقت النون بالفعل بعض الذي نعدهم اي وعدناهم من انزال العذاب
عليهم والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او نعدهم وعدا متجددا حسبما
تقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفي ايراد البعض رمز الى اراءة بعض الموعود
او نتوفينك قبل ذلك فانما عليك البلاغ اي تبليغ احكام الرسالة باتمامها لا تحقيق مضمون
ما بلغته من الوعيد الذي هو من جملته وعلينا لا عليك الحساب محاسبة اعمالهم السيئة
والمؤاخذة بها اي كيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الدنيوي
او لم نرك فعلينا ذلك وما عليك الا تبليغ الرسالة فلا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه
ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية
ثم طيب نفسه عليه السلام بطلوع تباشيره فقال اولم يروا استفهام انكاري والواو
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انكروا نزول ما وعدناهم او شكوا او لم ينظروا
في ذلك ولم يروا انا نأتي الارض اي ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بان نفتحها على
المسلمين شيئا فشيئا ونلحقها بدار الاسلام ونذهب منها اهلها بالقتل والاسر والاجلاء

البين منها من ذلك ونسلبه قوله عن سلطانه ننقصها من اطرافها فهم الغالبون ۞ وقوله ننقصها حال من
فاعل او من مفعوله ۞ وقرئ ننقصها بالتشديد بدون نقط الاتيان الموزون بالاستواء المحتوي على الاستبعاد
والتطير من الخاصة ما لا يخفى ۞ كان قوله عز وجل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
والله يحكم ما يشاء كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعز والاقبال وعلى الكفر بالذل والادبار
حسبما يشاهد من المخايل الآثار وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الجليل
من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة ما لا
يخفى وهي جملة اعتراضية جيء بها لتأكيد فحوى ما تقدم ۞ وقوله تعالى لا معقب لحكمه
اعتراض في اعتراض لبيان علو شأن حكمه على جلاله وقيل نصب على الحالية كأنه قيل والله
يحكم نافذا في حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على رأسه اي حاسرا والمعقب من يكر على الشيء
فيبطله وحقيقته من يعقبه ويعتبه بالرد والابطال ۞ ومنه قيل لصاحب الحق معقب
لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم
في الآخرة بأفانين العذاب غب ما عذبهم بالقتل والاسر والاجلاء حسبما يرى ۞ وقال ابن عباس
رضي الله عنهما سريع الانتقام وقد مكر الذين من قبلهم من قبل كفار مكة
بانبيائهم والمؤمنين كما مكر هؤلاء ومنه التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لانه لا عبرة بمكرهم ولا تأثير بل لا وجود له في الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة
القصر المستفاد من تعليله اعني قوله تعالى فلله المكر اي جنس المكر جميعا لا وجود
لمكرهم اصلا اذ معناه عبارة عن ايصال المكروه الى الغير من حيث لا يشعر به وحيث كان جميع
ما يأتون وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته وانما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تأثير حسبما
بينه قوله عز وجل يعلم ما تكسب كل نفس ومن قضيته عصمة اوليائه وعقاب الماكرين بهم
توفية لكل نفس جزاء ما تكسبه ظهر ان ليس لمكرهم بالنسبة الى من مكروا بهم عين ولا اثر وان
المكر كله لله تعالى حيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث
لا يحتسبون او لله المكر الذي باشروه جميعا لا لهم على معنى ان ذلك ليس مكرا منهم بالانبياء
بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون فحيث لا يحيق المكر السيئ الا باهله وسيعلم
الكافر حين يقضي بمقتضى علمه فيوفي كل نفس جزاء ما تكسبه لمن عقبى الدار اي العاقبة الحميدة
من الفريقين وان جهلوا ذلك يومئذ ثم قيل السين للتأكيد وقوع ذلك وعلمهم به حينئذ
وقرئ سيعلم الكافر على ارادة الجنس وسيعلم الكافرون وسيعلم الكفر اي اهله ۞
وسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام اي سيخبر ويقول الذين كفروا لست مرسلا
قيل قاله رؤساء اليهود وصيغة الاستقبال للاستحضار وصورة كلمتهم الشنعاء تعجيبا منها
او للدلالة على تجدد ذلك واستمراره منهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه قد
اظهر على رسالتي من الحجج القاطعة والبينات الساطعة ما فيه مندوحة عن شهادة
شاهد اخر ومن عنده علم الكتاب اي علم القرآن وما عليه من النظم المعجز او من هو من علماء
اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته صلى الله عليه وسلم في كتبهم والآية
مدنية بالاتفاق او من عنده اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه اي كفى بالذي

يستحق العبادة فانه قد يحق كتابه بالدعوة الى عبادته وايده بانواع التأييد وبالذي
يعلم ما في اللوح من الآيات الكاشفة التي من جملتها رسالتي ۞ وقرئ ومن عنده بالجر وعلم
الكتاب على الاول مرتفع بالظرف المعتمد على الموصول او مبتدأ اخبر عنه بالظرف وهو
متعين على الثاني ومن عنده علم الكتاب بالجر وبناء المفعول ورفع الكتاب وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب
مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله ۞ والله الموفق

سورة ابراهيم عليه السلام احدى وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ الر ۞ الكلام
فيه وفي محله عين ما مر ۞ وقوله تعالى كتاب خبر له على تقدير كونه مبتدأ او لمبتدأ مضمر
على تقدير كونه خبرا لمبتدأ محذوف او مسرودا على نمط التعديد ۞ وجوز ان يكون خبرا
ثانيا لهذا المبتدأ المحذوف ۞ وقوله تعالى انزلناه اليك صفة له وقوله تعالى لتخرج
الناس متعلق بانزلناه اي لتخرجهم كافة بما في تضاعيفه من البينات الواضحة المفصحة
عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة عن العقائد الحقة ۞ وقرئ ليخرج الناس اي يخرج
به الناس من الظلمات من عقائد الكفر والضلال التي كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة
الى النور الى الحق الذي هو نور بحت لكن لا كيف ما كان فانك لا تهدي من احببت بل باذن
ربهم اي بتيسيره وتوفيقه وللايذان بكون ذلك منوطا باقبالهم الى الحق كما يفصح عنه
قوله تعالى ويهدي اليه من اناب استعير له الاذن الذي هو عبارة عن تسهيل الحجاب
لمن يقصد الورود واضيف الى ضميرهم اسم الرب المفصح عن التربية التي هي عبارة عن تبليغ
الشيء الى كماله المتوجه اليه وشمول الاذن بهذا المعنى للكل واضح وعليه يدور كون
الانزال لاخراجهم جميعا وعدم تحقق الاذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند الى
سوء اختيارهم غير مخل بذلك ۞ والباء متعلقة بيخرج او بمضمر وقع حالا من مفعوله اي
ملتبسين باذن ربهم وجعله حالا من فاعله يأباه اضافة الرب اليهم لا اليه وحيث
كان الحق مع وضوحه في نفسه وايضاحه لغيره موصلا الى الله عز وجل استعير له النور
تارة والصراط اخرى فقيل الى صراط العزيز الحميد على وجه الابدال بتكرير العامل
كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم واخلال الابدال او البيان بالاستعارة
انما هو في الحقيقة لا في المجاز ۞ كما في قوله تعالى حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
من الفجر ۞ وقد جوز ان يكون مستأنفا مبنيا على سؤال ۞ كأنه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز
الحميد ۞ واضافة الصراط اليه تعالى لانه مقصده او المبين له وتخصيص الوصفين بالذكر
للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الامن والعاقبة الحميدة الله بالجر عطف بيان للعزيز
الحميد لجريانه مجرى الاعلام الغالبة بالاختصاص بالمعبود بالحق كالنجم في الثريا ۞ وقرئ
بالرفع على هو الله اي العزيز الحميد الذي اضيف اليه الصراط الله الذي له ملكا
وملكا ما في السموات وما في الارض اي ما وجد فيهما داخلا فيهما او خارجا عنهما متمكنا

نبها لانه في ابية الكوكبي فنبه على القراءتين بيان لكمال فخامة شأن الصراط واظهار لتحتم سلوكه على
الناس قاطبة ويجوز الرفع على الابتداء او على الموصوف خبر ابتداء المقول عن هذه الثلاثة • وقوله
عز وجل وويل للكافرين وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور بالويل
وهو نقيض الوأل الذي هو النجاة واصله النصب كسائر المصادر ثم رفع بعضها للدلالة على الثبات كسلام
عليك من عذاب شديد متعلق بويل على معنى يولولون ويضجون منه قائلين يا ويلاه كقوله تعالى
دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون الحياة الدنيا اي يؤثرونها استفعال من المحبة فان المؤثر
للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من غيره على الآخرة اي
الحياة الاخروية الابدية ويصدون الناس عن سبيل الله التي بين شأنها والاقتصار على الاضافة
الى الاسم الجليل المنطوي على كل وصف جميل لزوم الاختصار دون صده صدا وقرئ
ويصدون من اصده المنقول من صد صدودا اذا نكب وهو غير فصيح كأوقف فان في
صده ووقفه مندوحة عن تكلف النقل ويبغونها عوجا اي يبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل
الى الضمير اي يطلبون لها عوجا اي زيغا واعوجاجا وهو ابعد شيء منهما اي يقولون لمن يريدون
صده واضلاله انها سبيل ناكبة وزائغة غير مستقيمة ومحل الموصول الجر على انه
بدل من الكافرين او صفة له فيعتبر كل وصف من اوصافهم بما يناسبه من المعاني المعتبرة
من الصراط فالكفر المنبي عن الستر بازاء كونه نورا واستحباب الحياة الدنيا الفانية المفضية
عن وخامة العاقبة بما ناله كون سلوكه محمود العاقبة والصد عنه بازاء كونه مأمونا
وفيه من الدلالة على تماديهم في الغي ما لا يخفى والنصب على الذم او الرفع على الابتداء والخبر
قوله تعالى اولئك في ضلال بعيد وعلى الاولين جملة مستأنفة وفيه مقابلة لما سبق من
لحوق الويل بهم تأكيد لما اشعر به بناء الحكم على الموصول اي اولئك الموصوفون بالقبائح
المذكورة من استحباب الحياة الدنيا على الآخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها
بالاعوجاج وهي منه بريئة في ضلال عن طريق الحق بعيد بالغ في ذلك غاية الغايات القاصية
والبعد وان كان من احوال الضال الا انه قد وصف به وصفه مجازا للمبالغة كجد جده
وداهية دهياء • ويجوز ان يكون المعنى في ضلال ذي بعد او فيه بعد فان الضال
قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل بعيدا وفي جعل الضلال محيطا بهم احاطة الظرف
بما فيه ما لا يخفى من المبالغة وما ارسلنا اي في الامم الخالية من قبلك كما سيذكر من رسول
الا ملتبسا بلسان قومه متكلما بلغة من ارسل اليهم من الامم المتفقة على لغة سواء بعث فيهم
اولا • وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش وبلسن بضمتين وضمة وسكون كعمد
وعمد ليبين لهم ما امروا به فيتلقوه منه بسرعة وسهولة ويعملوا بموجبه من غير حاجة
الى الترجمة ممن لم يؤمر به وحيث لم يكن مراعاة هذه القاعدة في شأن سيدنا صلى الله
عليه وسلم وعليهم اجمعين لعموم بعثته للثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد
نظم الكتاب المنزل اليه حسب تعدد السنة الامم ادعى الى التنازع واختلاف
الكلمة وتطرق ايدي التحريف مع ان استقلال بعض من ذلك بالاعجاز دون غيره مسببه
لقدح القادحين فيه واتفاق الجميع فيه امر قريب من الالجاء وحصل البيان بالترجمة

والتفسير

والتفسير اقتضت الحكمة اتحاد النظم المنبي عن العزة وجلالة الشأن المستتبعة لفوائد غنية
عن البيان على ان الحاجة الى الترجمة تتضاعف عند التعدد اذ لا بد لكل امة من معرفة توافق الكل
وتخالفه حذو القذة بالقذة من جهة المخالفة ولو في جملة فقط وانا مستجور ذلك بغيره للذين
عن الكل واحدا او متعددا وادعيه من النقص ما يلحق الامتناع ثم لما كان اشرف الاقوام
واولاهم بدعوته عليه السلام قومه الذين بعث اليهم ولغتهم افضل اللغات نزل الكتاب المبين •
بلسان عربي مبين وانتشرت احكامه فيما بين الامم اجمعين وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله
عليه وسلم فانه تعالى انزل الكتب كلها عربية ثم ترجمها جبريل عليه الصلاة والسلام
او كل من نزل عليه من الانبياء صلى الله وسلم عليهم بلغة من نزل عليهم ويرده قوله تعالى ليبين لهم
فانه ضمير القوم وظاهر ان جميع الكتب لم تنزل لتبين للعرب وفي رجعه الى قوم النبي • كانه قيل
وما ارسلنا من رسول الا بلغة قوم محمد صلى الله عليه وسلم ليبين الرسول لقومه الذين ارسل
اليهم ما لا يخفى من التكلف فيضل الله من يشاء اضلاله اي يخلق فيه الضلال لمباشرته اسبابه المؤدية
اليه او يخذله ولا يلطف به لما يعلم انه لا ينجع فيه الالطاف ويهدي بالتوفيق ومنح الالطاف
من يشاء هدايته لما فيه من الانابة والاقبال الى الحق والالتفات باسناد الفعلين الى الاسم
الجليل المنطوي على الصفات لتفخيم شأنهما لما وضحه في مثلها في قوله تعالى فقلنا اضرب
بعصاك البحر فانفلق • كما تقدم فيبينوا لهم فيضل الله من يشاء اضلاله لما لا يليق الا به ويهدي
من يشاء هدايته لاستحقاقه لها والحق في ذلك ان بيان مسارعة كل رسول الى ما امر به وجريانه
على سننه امر محقق غني عن الذكر والبيان والعدول
الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار بحسب تجدد
البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام • وتقديم الاضلال على الهداية اما لانه انما
كان على ما كان والهداية انشاء ما لم يكن او للمبالغة في بيان ان لا تأثير للتبيين والتذكير
من قبل الرسل فان مدار الامر انما هو مشيئته تعالى بايهام ان ترتيب الضلالة على ذلك
اسرع من ترتب الاهتداء وهذا محقق لما سلف من تقييد الاخراج من الظلمات الى النور
باذن الله تعالى وهو العزيز فلا يغالب في مشيئته الحكيم الذي لا يفعل شيئا من الاضلال
والهداية الا لحكمة بالغة وفيه ان ما فوض الى الرسل انما هو تبليغ الرسالة وتبيين
طريق الحق واما الهداية والارشاد اليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما
يريد ولقد ارسلنا موسى باياتنا شروع في تفصيل ما اجمل في قوله عز وجل وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الاية باياتنا اي ملتبسا بها وهي معجزاته
التي اظهرها لبني اسرائيل ان اخرج قومك يعني ان اخرج لان الارسال فيه معنى القول او بان
اخرج كما في قوله تعالى وان اقم وجهك فان صيغ الافعال في الدلالة على المصدر سواء
وهو المدار في صحة الوصل والمراد بذلك اخراج بني [illegible] فاخرج به
بعض الثمرات لتكون بعض رزقكم اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج بالمطر كل
الثمار ولا جعل كل المرزوق ثمرا او خروج الثمرات وان كان بمشيئته عز وجل وقدرته لكن
جرت عادته تعالى بافاضة صورها وكيفياتها على المواد الممتزجة من الماء والتراب

بعد مهلك فرعون من الظلمات من الكفر والجهالات التي اداهم الى ان يقولوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة
الى النور الى الايمان بالله وتوحيده وسائر ما امروا به وذكرهم بايام الله اي بنعمائه وبلائه
كما ينبي عنه قوله عليه الصلاة والسلام اذكروا نعمة الله عليكم بل بما جرى عليهم فيما بينهم
وعلى من قبلهم من الامم في الايام الخالية حسبما ينبي عنه قوله تعالى الم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم
الايات او بايامه المنطوية على ذلك كما يلوح به قوله اذ انجاكم والالتفات من التكلم الى الغيبة
باضافة الايام الى الاسم الجليل للايذان بفخامة شانها والاشعار بعدم اختصاص ما فيها من
المعاملة بالمخاطب وقومه كما يوهمه الاضافة الى ضمير المتكلم اي عظهم بالترغيب والترهيب
والوعد والوعيد ٭ وقيل ايام الله وقائعه وحروبها وملاحمها اي ايامه ووقائعه التي
وقعت على الامم الدارجة وقيل ٭٭ ما ينبغي له صلى الله عليه وسلم بعيد الانسب من التذكير
بكل من السراء والضراء او ما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما بين علينا ان في ذلك اي في التذكير
بها او في مجموع تلك النعماء والبلاء او في ايامها لايات عظيمة او كثيرة دالة على وحدانية
الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته فهي على الاول ظرفية عن الايام سوا اريد بها النعماء او ما
فيها من النعماء والبلاء ومعنى ظرفية التذكير لها كونه مناطا لظهورها وعلى الثاني
الثالث للنعماء ومعنى الظرفية ظاهر واما على الثاني ففي كل واحدة من تلك النعماء والبلاء والمنة
انه المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع او كله تجريدية في مثلها قوله تعالى لهم فيها دار
الخلد لكل صبار على بلائه شكور لنعمائه وقيل لكل مؤمن والتعبير عنه بذلك للاشعار بان الصبر
والشكر عنوان المؤمن اي لكل من يليق بكمال الصبر والشكر والايمان وتقديم امر البلاء لم بعض
منا بالنعل لانه تعليل للخصم بالتذكير المذكور السابق على التذكير المؤدي الى الثبات المرتبة
فان من تذكر ما افاض او ما نزل عليه وعلى من قبله من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة الصبر والشكر
والايمان لا يكاد يفارقهما وتخصيص الايات بهم لانهم المنتفعون بها لا لانها خافية عن غيرهم
فان التبيين حاصل بالنسبة الى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق
الصبر اعني البلاء على متعلق الشكر اعني النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر واذ قال موسى لقومه
شروع في بيان تصديه لما امر به من التذكير لاخراج المذكور واذ منصوب
على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وتعليق الذكر بالوقت مع ان
المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره مرارا اي اذكر لهم وقت قوله عليه
السلام لقومه اذكروا نعمة الله عليكم تنبيها عليه الصلاة والسلام بالترغيب لانه عنده
التفصيل فتدبر وهي اليه اسيل والظرف متعلق بنفس النعمة ان جعلت مصدرا او بمحذوف
وقع حالا منها ان جعلت اسما اي اذ انجاكم من ال فرعون اي اذكروا انعامه عليكم
وقت انجائه اياكم من ال فرعون او اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائه اياكم
منهم او بدل اشتمال من نعمة الله مرادا بها الانعام او العطية يسومونكم يبغونكم
من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب السوء
مصدر ساء يسوء والمراد به جنس العذاب السيء او استعبادهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة
والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه على انه مفعول ليسومونكم ويذبحون ابناءكم

الذكورين

الذكور بني وانما عطفه على يسومونكم اخراجا له من مرتبة العذاب وانما فعلوا ذلك لان فرعون
رأى في المنام او قال له الكهنة انه سيولد منهم من يذهب ملكه فاجتهدوا في ذلك فلم
يغن عنهم من قضاء الله شيئا ويستحيون نساءكم اي يبقونهن في الحياة مع الذل والصغار وذلك
من جملة البلاء والجملة حال من ال فرعون او من ضمير المخاطبين او منهما جميعا لان فيها ضمير
كل منهما وفي ذلكم اي فيما ذكر من افعالهم الفظيعة بلاء من ربكم اي ابتلاء منه لا ان البلاء
من تلك الافعال اللهم الا ان يجعل في مجرد التمكين نسبته الى الله تعالى اما من حيث الخلق او الاقدار
والتمكين عظيم لا يطاق ويجوز ان يكون المشار اليه الانجاء من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعمة
ومن الادب كما يلوح به التعرض لوصف الربوبية وعلى الاول يكون ذلك باعتبار المال
الذي هو الانجاء باعتبار ان ذلك المومن به لذلك واذ تأذن ربكم من جملة مقال موسى عليه
السلام لقومه معطوف على نعمة الله اي اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم
اي اذن ايذانا بليغا لا يبقى معه شائبة شبهة لما في صيغة التفعل من معنى التكلف المحمول
في حقه سبحانه على غايته التي هي الكمال ٭ وقيل هو معطوف على قوله تعالى اذ انجاكم اي اذكروا
نعمة الله تعالى في هذين الوقتين فان هذا التأذن ايضا نعمة من الله تعالى عليهم لما فيه من
مناجح الدنيا والاخرة ٭ وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واذ قال ربكم لئن شكرتم
عليه السلام او لانعامه تعالى عليهم من انجائهم من مهلكة ما اصابهم قبل ذلك من العذاب
لازيدنكم ثانيا بين كما جرى من الله سبحانه من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد
بالعذاب على تقدير الكفر والمراد بذلك الاوقات التي كانت فيها من الحوادث المشتملة
او محيطة بذلك فاذا ذكرت ذكرت ما فيها فانه مناسبة معالي لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما
خولتكم من نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك من النعم والالاء الفائتة للحصر وقابلتموه
بالايمان والطاعة لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ذلك وغمطتموه ان عذابي لشديد فعسى
يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد فما ظنك
باكرم الاكرمين ٭ ويجوز ان يكون المذكور تعليلا للجواب المحذوف اي لاعذبنكم
واللام في الموضعين موطئة للقسم وكل من الجوابين ساد مسد جوابي الشرط والقسم
والجملة اما مفعول تأذن لانه ضرب من القول او مفعول لقول مقدر كأنه قيل واذ
تأذن ربكم فقال الخ وقال موسى ان تكفروا نعمه تعالى ولم تشكروها انتم يا بني
اسرائيل ومن في الارض من الخلائق جميعا فان الله لغني عن شكركم وشكر غيركم حميد
مستوجب للحمد بذاته لكثرة ما يوجبه من اياديه وان لم يحمده احد او محمود تحمده الملائكة
بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده والجملة حال فكان مبالغة النعم وعن من
العقلاء فكان اذل على كماله سبحانه ومن تعليل لما حذف من جواب ان اي ان تكفروا
لم يرجع وباله الا عليكم فان الله تعالى لغني عن شكر الشاكرين ٭ ولعله عليه الصلاة
والسلام انما قاله عند ما عاين منهم دلائل العناد ومخايل الاصرار على الكفر والفساد
وتيقن انه لا ينفعهم الترغيب ولا التعريض بالترهيب او قاله عقيب تذكير ما ذكر من
قول الله سبحانه عز سلطانه تحقيقا لمضمونه وتحذيرا لهم من الكفران وترغيبا في الترهيب

به كي لا يجري على الأمور الحالية فقال ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم لتتدبروا ما أصاب كلا من حزبي المؤمنين
والكافرين فتقلعوا عما أنتم عليه من الشر وتتوبوا إلى الله تعالى • وقيل هو ابتداء كلام من الله سبحانه
خطابا للكفرة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لتحقيق تذكير موسى عليه الصلاة والسلام بما
اشتمل على أيام الله من النعماء والسراء والآلام الأيام الجارية عليهم فقط وفيه ما لا يخفى من البعد
والنبأ الإتيان حقيقة وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين هم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
بما أصاب أولئك المعدودين مع أن عذابهم أسوة لهم في الخلق قبل هوده قوم نوح بدل من
الموصول أو عطف بيان وعاد معطوف على قوم نوح وثمود والذين من بعدهم أي من بعد هؤلاء
المذكورين عطف على قوم نوح وما عطف عليه • وقوله تعالى لا يعلمهم إلا الله اعتراض أو الموصول
مبتدأ ولا يعلمهم إلا الله خبره والجملة اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم
إلا الله سبحانه • وعن ابن عباس رضي الله عنه بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون • وكان
ابن مسعود رضي الله عنه إذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون فإنهم يعني أنهم يدعون
علم الأنساب وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد جاءتهم رسلهم استئناف لبيان نبأهم بالبينات
بالمعجزات الظاهرة والبينات التي تبين كل رسول لأمته طريق الحق وهداهم إليه
ليخرجهم من الظلمات إلى النور فردوا أيديهم في أفواههم مشيرين بذلك إلى ألسنتهم وما
نطقت به من المقالة اعتناء منهم بشأنها وتنبيها للرسل على تلقيها والمحافظة عليها وإقناطا
لهم عن التصديق والإيمان بإعلام أن لا جواب لهم سواه وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به
أي على زعمكم وهي البينات التي أظهروها حجة على صحة رسالاتهم كقوله تعالى ولقد أرسلنا
موسى بآياتنا ومرادهم بالكفر بها الكفر بدلالتها على صحة رسالاتهم أو عضوها غيظا وضجرا مما جاءت
به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الأنامل من الغيظ أو وضعوها على أفواههم تعجبا منه واستهزاء
به كمن غلبه الضحك أو إسكاتا للأنبياء وأمرا لهم بإطباق الأفواه أو ردوها في أفواه الأنبياء
عليهم السلام يمنعونهم من التكلم تعنيفا أو تمثيلا أو جعلوا أيدي الأنبياء في أفواههم تعجبا
من عتوهم وعنادهم كما ينبئ عنه تعجبهم بقولهم أفي الله شك إلى آخره • وقيل الأيدي بمعنى
الأيادي جمع مواعظهم وحكمهم وشرائعهم التي هي من أجل النعم الدينية والدنياوية
لأنهم لما كذبوها فلم يقبلوها فكأنهم ردوها إلى حيث جاءت منه وإنا لفي شك عظيم مما تدعوننا
إليه من الإيمان بالله والتوحيد ولا ينافي شكهم في ذلك كفرهم القطعي بما أرسل به الرسل من البينات
فإنهم كفروا بها قطعا حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا فأتونا
بسلطان مبين • وقرئ تدعونا بالإدغام مريب موقع في الريبة من أرابه أو ذي ريبة
من أراب الرجل وهو قلق النفس وعدم اطمئنانها بالشيء قالت رسلهم استئناف مبني على
سؤال ينساق إليه المقال • كأنه قيل فماذا قالت لهم رسلهم فأجيب بأنهم قالوا منكرين
عليهم ومتعجبين من مقالتهم الحمقاء أفي الله شك بإدخال الهمزة على الظرف للإيذان بأن مدار
الإنكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك أصلا منقادين عن تطبيق الجواب
على كلام الكفرة بأن يقولوا أأنتم في شك مريب من الله تعالى مبالغة في تنزيه ساحة
السبحان عن شائبة الشك وتسجيلا عليهم بسخافة العقول أي أفي شأنه سبحانه من وجوده

ووحدته

ووحدته ووجوب الإيمان به وحده شك ما وهو أظهر من كل ظاهر وأجلى من كل جلي حتى يكونوا
من تلبيهم بشأنه منه مريب، وحيث كان مقصدهم الأقصى بالدعوة إلى الإيمان والتوحيد وكان
إظهار البينات وسيلة إلى ذلك لم يتعرضوا للجواب عن قول الكفرة إنا كفرنا بما أرسلتم به
واقتصروا على بيان ما هو الغاية القصوى ثم عقبوا ذلك الإنكار بالوجيه من الشواهد
الدالة على انتفاء المنكر فقالوا فاطر السموات والأرض أي مبدعهما وما فيهما من المصنوعات
على نظام أنيق شاهد بتحقيق ما أنتم عليه في شأنه وموجبة للشكر الجليل ورفع منه وشك
ثم تعتبر بالظرف لاعتماده على الاستفهام وجعله مبتدأ على أن الظرف خبره يقتضي الفصل
بين الموصوف والصفة بالأجنبي أعني المبتدأ أو الفاعل بل الأجنبي من رافعه ويجوز ذلك
إنما يدعوكم إلى الإيمان بإرساله إيانا لا أنا ندعوكم إليه من تلقاء أنفسنا كما يوهمه قولكم
مما تدعوننا إليه ليغفر لكم بسببه أو يدعوكم لأجل المغفرة كقولك دعوته لينصرني من
ذنوبكم أي بعضها وهو ما عدا المظالم مما بينهم وبينه تعالى فإن الإسلام يجب ما قبله قيل
ولعل في جميع القرآن في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين ولعل ذلك لما أن
المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على محض الإيمان وفي شأن المؤمنين مشفوعة بالطاعة
والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدلا من
ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إلى وقت سماه الله تعالى وجعله منتهى أعماركم على تقدير
الإيمان قالوا استئناف كما سبق إن أنتم أي ما أنتم إلا بشر مثلنا من غير فضل يؤهلكم
لما تدعون من النبوة تريدون صفة ثانية للبشر حملا على المعنى كقوله أبشر يهدوننا
أو كلام مستأنف أي تريدون بما تتصدون له من الدعوة والإرشاد أن تصدونا
بتخصيص العبادة بالله تعالى عما كان يعبد آباؤنا أي عن عبادة ما استمر آباؤنا على عبادته
من غير شيء يوجبه وإلا فأتونا أي إن لم يكن الأمر كما قلنا بل كنتم رسلا من جهة الله تعالى
كما تدعونه فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك المرتبة أو على
صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبده أبا عن جد ولقد كانوا أتوهم من الآيات
الظاهرة والبينات الباهرة ما تخر له صم الجبال ولكنهم إنما يقولون ما يقولون من العظائم
مكابرة وعنادا وإراءة لمن وراءهم أن ذلك ليس من جنس ما ينطلق عليه السلطان المبين
قالت لهم رسلهم مجاراة لهم في أول مقالتهم وإنما نسب القول إليهم جميعا لما أنهم بحيث أريد
إلزامهم عندما يسلفه من الكلام ووقع الشك في الله سبحانه فإن ذلك عام ورد إن اختص به ما
يعقبه إن نحن إلا بشر مثلكم كما تقولون ولكن الله يمن بالنبوة على من يشاء من عباده
يعنون أن ذلك عطية من الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان
من غير داعية توجبه قالوا التواضع وهضما للنفس وما نحن من الملائكة بل نحن بشر مثلكم
في الصورة أو في الدخول تحت الجنس لكن الله يمن بالفضائل والاستعدادات وأنكاها
على من يشاء منهم وما يشاء ذلك إلا لعلمه باستحقاقه لها وتلك الفضائل والاستعدادات
والكمالات هي التي تدور عليها فلك الاصطفاء للنبوة وما كان لنا وما صح وما استقام لنا
أن نأتيكم بسلطان أي بحجة من الحجج فضلا عن السلطان المبين بشيء من الأشياء وسبب من

الاسباب الا باذن الله فانه امر يتعلق بمشية الله تعالى ان شاء كان والا فلا وعلى الله وحده دون
ما عداه مطلقا فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين بالتوكل مقصود به حمل انفسهم عليه اثر ذي
بدء الا ترى الى قوله عز وجل وما لنا اي اي عذر لنا الا نتوكل على الله اي في ان لا نتوكل عليه والاظهار
لاظهار النشاط بالتوكل عليه والاستلذاذ بذكر اسمه تعالى وتعليل التوكل وقد هدانا والحال
انه تعالى قد فعل بنا ما يوجبه ويستدعيه حيث هدانا سبلنا اي ارشد كلا منا سبيله ومنهاجه الذي
شرع له واوجب عليه سلوكه في الدين وحيث كانت اذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب القادح
في التوكل قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة ولنصبرن على ما آذيتمونا بالعناد
واقتراح الآيات وغيرها مما لا خير فيه وعلى الله خاصة فليتوكل المتوكلون اي فليثبت
المتوكلون على ما احدثوه من التوكل والمراد هو المراد بما سبق من ايجاب التوكل على انفسهم والمراد بالمتوكلين
المؤمنون والتعبير عنهم بذلك لسبق ذكر اتصافهم به ويجوز ان يراد وعليه فليتوكل من يتوكل
دون غيره وقال الذين كفروا لعل هؤلاء القائلين بعض المتمردين من الغالين في الكفر من
اولئك الامم الكافرة التي نقلت مقالاتهم الشنيعة دون جميعهم كقوم شعيب واضرابهم ولذلك
لم يقل وقالوا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا لم يقنعوا بعصيانهم الرسل ومعاندتهم
الحق بعد ما راوا البينات الفائتة للحصر حتى اجترؤوا على مثل هاتيك العظيمة التي لا يكاد يحيط بها دائرة
الامكان فحلفوا على ان يكون احد الامرين والعود اما بمعنى مطلق الصيرورة او باعتبار تغليب المؤمنين
على الرسل فقد مر في سورة الاعراف وسياتي في الكهف فاوحى اليهم اي الرسل ربهم مالك امرهم
عند تناهي كفر الكفرة وبلوغهم من العتو الى غاية لا مطمع بعدها في ايمانهم لنهلكن الظالمين على
اضمار القول او على اجراء الايحاء مجراه لكونه ضربا منه ولنسكننكم الارض اي ارضهم وديارهم
عقوبة لهم بقولهم لنخرجنكم من ارضنا كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها الآية من بعدهم اي من بعد اهلاكهم وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء
اعتبارا لاوحى كقولهم حلف زيد ليخرجن غدا ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين
واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر محقق ثابت لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف
الذي يقف فيه العباد يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامي عليه وحفظي لاعماله
وقيل لفظ المقام مقحم وخاف وعيد وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار والمعنى
ان ذلك حق للمتقين كقوله تعالى والعاقبة للمتقين واستفتحوا اي استنصروا بالله على اعدائهم
كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح واستحكموا وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي
الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فالضمير للرسل وقيل للكفرة وقيل
للفريقين فانهم سألوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وهو معطوف على اوحى اليهم وقرئ بلفظ
الامر عطفا على لنهلكن الظالمين اي اوحى اليهم ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب اي
خسر وهلك كل جبار عنيد متصف بضد ما اتصف به المتقون اي نصروا عند استفتاحهم
وظفروا بما سالوا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون فالخيبة بمعنى مطلق الحرمان
دون الحرمان عن المطلوب او ذلك باعتبار انهم كانوا يزعمون انهم على الحق او استفتح الكفار على
الرسل فخابوا ولم يفلحوا وانما قيل وخاب كل جبار عنيد ذما لهم وتسجيلا عليهم بالتجبر والعناد لا ان

بعضهم

بعضهم ليس كذلك وانه لم يصبهم الخيبة او استفتحوا جميعا فنصر الرسل وانجز لهم الوعد وخاب كل عات
متمرد فالخيبة بمعنى الحرمان عن المطلوب وفي اسناد الخيبة الى كل منهم ما لا يخفى من المبالغة من ورائه
جهنم اي بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة وجوز ان
وحقيقته ما توارى اي غاب ويسقى عطف على مقدر جوابا عن سؤال سائل كانه قيل فماذا يكون اذا
فقيل يلقى فيها ويسقى من ماء مخصوص لا كالمياه المعهودة صديد وهو قيح او دم مختلط
بماء يسيل من الجرح كالصديد وغيره مما يسيل من اجساد اهل النار وهو عطف بيان لماء ابهم
اولا ثم بين بالصديد تهويلا لامره وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على انه من اشد
انواعه يتجرعه قيل صفة لماء او حال منه والاظهر انه استئناف مبني على السؤال كانه قيل
فماذا يفعل به فقيل يتجرعه اي يتكلف جرعه مرة بعد اخرى لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه
ولا يكاد يسيغه اي لا يقارب ان يسيغه فضلا عن الاساغة بل يغص به فيشربه بعد اللتيا
والتي جرعة غب جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش واخرى بشربه على تلك الحالة فان
السوغ انحدار الشراب في الحلق بسهولة وقبول نفس ونفيه لا يوجب نفي ما ذكر جميعا وقيل
لا يكاد يدخله في جوفه وعبر عنه بالاساغة لما انها المعهودة في الاشربة وهو حال من فاعل
يتجرعه او من مفعوله او منهما جميعا ويأتيه الموت اي اسبابه من الشدائد من كل مكان ويحيط
به من جميع الجهات حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت اي والحال انه ليس
بميت حقيقة كما هو الظاهر من مجيء اسبابه لا سيما من جميع الجهات حتى لا يتألم بما غشيه من اصناف
الموبقات ومن ورائه من بين يديه عذاب غليظ يستقبل كل وقت عذابا اشد واشق مما كان
قبله وفيه دفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما في عذاب الدنيا وقيل هو الخلود في
النار وقيل هو حبس الانفاس وقيل المراد بالاستفتاح والخيبة استسقاء اهل مكة في سنيهم
التي ارسلها الله تعالى عليهم بدعوته صلى الله عليه وسلم وخيبتهم في ذلك وقد وعد لهم بدله
بعد ذلك صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم اي صفتهم وحالهم العجيبة الشان
التي هي كالمثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه
مصون وماله منهوب او هو استئناف مبني على سؤال من قال ما بال اعمالهم التي عملوها في وجوه البر
من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفداء الاسارى واغاثة الملهوف وقرى الاضياف
وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل امرهم الى هذا المآل فاجيب بان ذلك كرماد اشتدت
به الريح حملته واسرعت الذهاب به في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به
زمانها مبالغة كقولك نهاره صائم وليله قائم وانما الشكور لريحها تشبيه صنائعهم المعدودة لابتنائها على
غير اساس من معرفة الله تعالى والايمان به وكونها لوجهه تعالى برماد طيرته الريح العاصفة
او استئناف مسوق لبيان اعمالهم للاصنام او مبتدأ خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم
مثلهم وقوله تعالى اعمالهم جملة مستانفة مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم
فقيل كيت وكيت سواء اريد بها صنائعهم او اعمالهم للاصنام وقيل اعمالهم بدل من مثل الذين
وقوله تعالى كرماد خبره لا يقدرون اي يوم القيامة مما كسبوا من تلك الاعمال على شيء ما اي لا يرون
له اثرا من ثواب او تخفيف عذاب كدأب الرماد المذكور وهو فذلكة التمثيل والاكتفاء ببيانه

ورؤية الاثر لاعمالهم للاصنام مع ان لها مثوبات ضائعة للتصايح ببطلان اعتقادهم وزعمهم انها تشفع
لهم عند الله تعالى وفيه تهكم بهم ذلك اي ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم
انهم على شيء هو الضلال البعيد عن طريق الحق والثواب الم تر خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة لقوله تعالى لئن شكرتم والرؤية رؤية القلب وقوله
تعالى ان الله خلق السموات والارض بالحق ساد مسد مفعوليها اي الم تعلم انه تعالى خلقهما بالحق
ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق ان يخلق عليه وقرئ خالق السموات والارض
ان يشأ يذهبكم يعدمكم بالمرة ويأت بخلق جديد اي يخلق بدلكم خلقا اخر مستانفا
لا علاقة بينكم وبينهم رتب ذلك على كونه تعالى خالق السموات والارض بل هذا النمط البديع
ارشادا الى طريق الاستدلال فان من قدر على خلق هذه الاجرام العظيمة كان على تبديل
خلق امثالهم اقدر ولذلك قال وما ذلك اي اذهابكم والاتيان بخلق جديد مكانكم
على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور
دون مقدور ومن هذا شانه حقيق بان يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه وبرزوا لله
جميعا اي يبرزون يوم القيمة وايراد صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه كما في قوله سبحانه
والمراد بروزهم من قبورهم لامر الله تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يظنون عند
ارتكابهم الفواحش سرا انها تخفى على الله سبحانه فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم
فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف والمراد ضعف الراي والاكتب بالواو على لفظ من يفخم الالف
قبل الهمزة للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا في الدنيا
لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغيب في جمع غائب او مصدر
نعت به مبالغة او على اضمار اي ذوي تبع فهل انتم مغنون دافعون عنا والفاء للدلالة
على سببية الاتباع للاغناء والمراد التوبيخ والعناد والتقريع والتبكيت للدلالة
على سببية الاتباع للاغناء والمراد من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع
الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله تعالى ويجوز
ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون عنا بعض العذاب بعض
الاغناء ويعضده الاول قوله تعالى فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قالوا اي المستكبرون
جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله اي للايمان ووفقنا له لهديناكم
ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة
من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا طريق الخلاص ولات
حين مناص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا في ذلك اي مستو علينا الجزع والصبر في
عدم الانجاء والهمزة وام لتاكيد التسوية كما في قوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم
والاسناد فينا ونسبوا الاستوا الى الضمير المنتظم للمتكلم والمخاطبين ايضا مبالغة في النهي
عن التوبيخ باعلامهم انهم شركاء لهم فيما ابتلوا به وتسلية لهم ويجوز ان يكون قوله سواء علينا
الى اخره من كلام الفريقين على منوال قوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه ويؤيده ما روي
انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون

كذلك

كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون ذلك ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا
جوابهم ببيان ان لا جدوى في ذلك فقالوا ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب
من حاص الحمار اذا عدل بالعدو وهو اسم مكان كالمبيت والمغيب او مصدر كالمغيب والمشيب
وهو جملة معترضة لا محل لها من الاعراب او حال
وقال الشيطان الذي اضل كلا الفريقين واستتبعهما عند ما ساءه ما قاله الاتباع للمستكبرين
لما قضي الامر اي احكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
خطيبا في محفل الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق اي وعدا من حقه ان
ينجز فانجز وعده وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم اي وعد الباطل
وهو ان لا بعث ولا حساب ولئن كان فالاصنام شفعاؤكم ولم يصرح ببطلانه لما دل
عليه قوله فاخلفتكم من عدي على حذف المفعول الثاني اي جعلته خالفا وعدم
كالاخلاف منه كانه كان قادرا على انجازه وانى له ذلك وما كان لي عليكم من
سلطان اي تسلط او حجة تدل على صدقي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليه وتسويلي
وهو وان لم يكن من باب السلطان لكنه ابرز في معرض على طريقة تحية بينهم
ضرب وجيع مبالغة في نفي السلطان عن نفسه كانه قال انما يكون لي عليكم سلطان
اذا كان مجرد الدعاء من بابه ويجوز كون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي فاسرعتم
اجابتي فلا تلوموني بوعدي اياكم حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر والالجاء
عليه الفاء وقرئ بالياء على وجه الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم ولوموا انفسكم حيث استجبتم لي باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل
بمجرد تزييني وتسويلي ولم تستجيبوا ربكم اذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات والحجج وليس
المراد التنصل عن توجه اللائمة اليه بالمرة بل بيان انهم احق بها منه وليس فيه دلالة
على استقلال العبد في افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفي في ذلك ان يكون لقدرته
الكاسبة التي عليها يدور فلك التكوين مدخل فيه فانه سبحانه انما يخلق افعاله حسبما
يختار وعليه تترتب السعادة والشقاوة وما قيل من انه يستدعي ان يقال فلا
تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه مبني على عدم الفرق بين مذهب
اهل الحق وبين مسلك الجبرية ما انا بمصرخكم اي بمغيثكم مما انتم فيه من العذاب
وما انتم بمصرخي مما انا فيه وانما تعرض لذلك مع انه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة
في بيان عدم اصراخه اياهم وايذانا بانه ايضا مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج الى الاصراخ
فكيف من اصراخ الغير ولذلك اثر الجملة الاسمية فكان ما مضى كان جوابا منه عن توبيخهم
وتقريعهم جميعا وهذا جواب عن استغاثتهم به في استدفاع ما دهمهم من العذاب وقرئ
بمصرخي بكسر الياء اني كفرت اليوم بما اشركتموني من قبل اي باشراككم اياي يعني تبرأت
منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم يعني ان اشراككم لي
سبحانه هو الذي يطمعكم في نصرتي عليكم لكم بان كان لكم علي حق حيث جعلتموني معبودا
وكنت اود ذلك وارغب فيه فاليوم كفرت بذلك ولم احمده ولم اقبله منكم بل تبرأت منه

ومنكر فلم يبق بيني وبينكم علاقة او كفرت من قبل حين ابيتما السجود لادم بالذي اشركتموني ده
الله عز وجل كان قوله من تحزن لنا نكون تعليلا لعدم اعراضه فان الذي بالله سبحانه يغني عن
الاعانة والاعانة سواء كان ذلك بالمدافعة او الشفاعة ۰ واما جعله تعليلا لعدم اصراخهم
اياه فان وجه له اذ لا احال له حتي يحتاج الى التعليل ولان تعليلا عدم اصراخهم بكفرهم يوم
انه يبين من ذلك لولا المانع من جهته ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء
كلام من جهة الله عز وجل وفي حكاية امثاله لطف للسامعين وايقاظ لهم حتي يحاسبوا انفسهم
ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها باذن ربهم اي بامره وتوفيقه وهذا ابتداء في التعرض لوصف الثواب بعد الاما فذلك
في بيان مرتبة اللطف بهم والمدخلون هم الملائكة عليهم السلام وقرئ على صيغة
التكلم فيكون قوله تعالى باذن ربهم متعلقا بقوله تعالى تحيتهم فيها سلام اي تحييهم
الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقيل لكل من
قوله تعالى كيف ضرب الله مثلا اي كيف اختاره ووضعه في موضعه اللائق به كلمة منصوب
بمضمر اي جعل كلمة طيبة هي كلمة التوحيد او كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار
والتوبة والدعوة كشجرة طيبة اي حكم بانها مثلها لا انه تعالى صيرها مثلها في الخارج
ومعنى تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس
ويجوز ان تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة
وان تكون اول مفعولي ضرب اجراء له مجرى جعل وقد اخرت ثانيهما اي مثلا لئلا
يبعد عن صفته التي هي كشجرة وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت اي ضارب
بعروقه في الارض ۰ وقرأ انس بن مالك كشجرة طيبة ثابت اصلها وقراءة الجماعة
اقوى سبكا وادخل في بيته اعني قوله تعالى وفرعها اي اعلاها في السماء في جهة العلو
ويجوز ان يراد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل
حين وقته الله تعالى لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها والمراد بالشجرة الموصوفة
اما النخلة كما روي مرفوعا او شجرة في الجنة ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون
لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني بصور المحسوسات ومثل كلمة
خبيثة هي كلمة الكفر والدعاء اليه او تكذيب الحق او ما يعم الكل اي كلمة قبيحة ۰
كشجرة خبيثة اي كمثل شجرة خبيثة قيل هي كل شجرة لا يطيب ثمرها كالحنظل والكشوث ۰
وعن تغيير الاسلوب للايذان بان ذلك غير مقصود العرب والبيان واما ذلك
استطراد يعرفه كل احد اجتثت استؤصلت واخذت جثته بالكلية من فوق الارض
لكون عروقها قريبة منها ما لها من قرار استقرار عليها يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت الذي ثبت في الحجة عندهم وتمكن في قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت
صفتها العجيبة في الحياة الدنيا فلا يزالون عنه اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى
وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا
سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم اهوال القيامة او عند سؤال القبر روي انه صلى

صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه
في قبره فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول الله ربي وديني الاسلام ونبيي محمد صلى
الله عليه وسلم فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين
امنوا بالقول الثابت وهذه امثال ايات الشجرة المذكورة اكلها كل حين ۰ قال الثعلبي في
تفسيره اخبرني ابو القاسم ابن حبيب في سنة ست وثلاثين وثمانمائة قال سمعت ابا
الطيب علي بن محمد الحناط يقول سمعت سهل بن عمار يقول رايت يزيد بن هارون في المنام
بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال اتاني في قبري ملكان فظان فقالا من ربك وما دينك
ومن نبيك فاخذت بلحيتي البيضاء فقلت لهما المثل يقال لي هذا وقد علمت الناس جوابكما
ثمانين سنة فذهبا ويضل الله الظالمين اي يخلق فيهم الضلال عن الحق الذي ثبت المؤمنين
عليه حسب ارادتهم واختيارهم والمراد به الكفرة بدليل ما يقابله ووصفهم بالظلم
اما باعتبار وضعهم بالظلم اما للشيء في غير موضعه واما باعتبار ظلمهم لانفسهم حيث بدلوا
فطرة الله التي فطر الناس عليها فلم يهتدوا الى القول الثابت او كل من ظلم نفسه بالاقتصار
على التقليد والاعراض عن البينات الواضحة فلا يثبت في مواقف الفتن ولا يهتدي الى الحق
فالمراد بالذين امنوا حينئذ المخلصون في الايمان الراسخون في الايمان كما ينبئ عنه النسبة
لكن بين يديهم كونه كلمة التوحيد اذ الثابت لا يمكن ايمان والحالة غير ما لا اقترانه في الحجة
المعنى قوله مثلا ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال اخرين حسبما يوجبه مشيئته
التابعة للحكم البالغة المقتضية لذلك وفي اظهار الاسم الجليل في الموضعين من
الفخامة وتربية المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من الايذان بان تفاوت في صفاته
التثبيت والاضلال فان مبدا صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفاته
العلى غير ما هو مبدا صدور الكل الاخر الم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل احد بما صنع الكفرة من الاباطيل التي لا تكاد تصدر عمن له ادنى ادراك اي الم
تنظر الى الذين بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة تعالى بان وضعوا موضعه كفرا عظيما
وغمطا لها او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبوها فصاروا مستبدلين بها
كفرا كاهل مكة حيث خلقهم الله سبحانه واسكنهم حرمه الامن الذي يجبى اليه ثمرات
كل شيء وجعلهم قوام بيته وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين
وقتلوا واسروا يوم بدر فصاروا اذلاء مسلوبي النعمة باقين بالكفر بدلها ومن
عمر رضي الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فكفيتموهم يوم بدر واما
بنو امية فمتعوا الى حين كانهم بينا ولا ان ما سبيله من قوله عز وجل قل تمتعوا الاية واحلوا
اي انزلوا قومهم بارشادهم اياهم الى طريقة الشرك والضلال وعدم التعرض لحلولهم
للدلالة الاحلال عليه اذ هو فرع الاحلال في الحلول لقوله تعالى يقدم قومه يوم القيمة
فاوردهم النار دار البوار دار الهلاك الذي لا هلاك وراءه جهنم عطف بيان لها
وفي الابهام ثم البيان ما لا يخفى من التهويل يصلونها حال منها او من قومهم اي داخلين
فيها مقاسين لحرها او استئناف لبيان كيفية الحلول او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم

والمراد بالاحلال المذكور حينئذ تعريضهم للهلاك بالقتل والاسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم
الى النار انسب بالتفسير الاول وبئس القرار فان المخصوص بالذم اي بئس المقر جهنم والمراد
بئس القرار قرارهم فيها وفيه بيان ان حلولهم وصليهم على وجه الدوام والاستمرار وجعلوا
عطف على احلوا وما عطف عليه داخل معهما في حيز الصلة وحكم التعجيب اي جعلوا في اعتقادهم
وحكمهم لله الفرد الصمد الذي ليس كمثله شيء وهو الواحد القهار اندادا اشباها في التسمية
او في العبادة ليضلوا الذين اتبعوهم حسبما ضلوا عن سبيله القويم الذي هو التوحيد
ويوقعوهم في ورطة الكفر والضلال اللام للعاقبة الترتيب مع ان مقتضى ظاهر النظر ان يكون
كفرانهم نعمة الله تعالى وكفرهم به الله تعالى باتخاذ الانداد زاجرا لهم لتوهمهم المؤدي
الى احلالهم دار البوار لتشبيهه التعجيب وتكونه والايذان بان كل واحد من وضع الكفر
موضع الشكر واحلال القوم دار البوار واتخاذ الانداد للاضلال امر تعجيبي منه العجب
والوصف النظم على نسق الوجود لزمانهم التعجيب من مجموع الهنات الثلاث كما في قصة البقرة
وقرئ ليضلوا بالفتح • واياما كان فذلك ليس غرضا حقيقيا لهم من اتخاذ الانداد اذ لكن لما كان
ذلك نتيجة له شبه بالغرض وادخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية قل تهديدا
لاولئك الضالين المضلين ونعيا عليهم وايذانا بانهم لشدة ابائهم قبول الحق وفرط
انهماكهم في الباطل وعدم ارعوائهم عن ذلك لا يحال احقا بان يضرب عنهم صفحا ويعطف عنهم
عنان العظة ويخلى وشانهم ولا ينهوا عنه بل يؤمروا بمباشرته مبالغة في التخلية والخذلان
ومسارعة الى بيان عاقبة حميدة ويقال لهم تمتعوا بما انتم عليه من الشهوات التي
من جملتها كفران النعم العظام واستتباع الناس في عبادة الاصنام فان مصيركم
الى النار بسبب ذلك لا لمحالة لكم من تعاطي ما يوجب ذلك ويقتضيه احوالكم بلا مرية في الحقيقه
صورته ذلك خطاب ومثال له حسبما يلوح به قوله سبحانه واحلوا قومهم دار البوار الى اخره
فهو تعليل للامر المامور وفيه من التهديد الشديد والوعيد الاكيد ما لا يوصف •
وقد جعل ذلك تمتعوا كالحمز او ونعتا لهم بالجنهم الى ذلك تمتعوا الدالة بانهم لفرط انهماكهم
في التمتع بما هم فيه من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم ماموروت بذلك من قبل امر
الشهوة منه عنوان بحكمه منقادون لامره كماب مامور زاغ في طاعة امر مطاع فقيل قوله
تعالى فان مصيركم الى النار حينئذ تعليلا للامر بل هو جواب شرط ينسحب عليه الكلام
كانه قيل فاذا فرغ حالكم فان دمتم عليه فان مصيركم الى النار وفيه التهديد والوعيد
لا يخفى قل لعبادي الذين امنوا خصهم بالاضافة اليه تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون
لوظائف العبودية الموفون لحقوقها وترك العطف بين الامرين للايذان بتباين حالهما باعتبار
المقول تهديدا وتشريفا والمقول ههنا محذوف دل عليه الجواب اي قل لهم اقيموا
وانفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم اي بعد ورود الجواب لك وفيه ايذان بكمال
مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم وغاية مسارعتهم الى الامتثال باوامره وقد
جوزوا ان يكون المقول يقيموا او ينفقوا بحذف لام الامر عنهما وانما حسن ذلك دون الحذف
في قول محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا • لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا

اقيموا

اقيموا وانفقوا اقيما مقامهما وليس بذلك سرا وعلانية منتصبان على المصدرية من الامر المقدر
لا من جواب الامر اي انفقوا انفاق سر وعلانية والاحب في الانفاق اخفاء التطوع واعلان
الواجب والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله سبحانه بالعبادة البدنية والمالية وترك
التمتع بمتاع الدنيا والركون اليها كما هو صنيع الكفرة من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال
فيبتاع المقصر ما لا يتلافى به تقصيره او يفتدي به نفسه والمقصود نفي عقد المعاوضة بالمرة
وتخصيص البيع بالذكر للايجاز مع المبالغة في نفي العقد اذ انتفاء البيع يستلزم انتفاء الشراء
على ابلغ وجه وانتفاؤه بما يقصد مع تحقق الايجاب من قبل البائع ولا خلال ولا مخالة فيشفع
له خليل او يسامحه بما يتلافى به تقصيره او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بما يبتغونه
من البيع والمخالة ولا انتفاع بذلك وانما الانتفاع والارتفاق فيه بالانفاق لوجه الله سبحانه
والظرف من متعلقة بانفقوا كما قال في ذلك اليوم لناتيه مغفونه كما في سورة البقرة
من حيث ان كلا منهما من الشفاعة وثانيها ما اريد به الشفاعة النفعية مفاوضته ونزعها
وانقطاع اثار البيع والخلال الواقعين في الدنيا وعدم الانتفاع بهما من اقوى الدواعي الى
الاتيان بما تبقى عوائده وتدوم فوائده من الانفاق في سبيل الله عز وجل او من حيث ان ادخار
المال وترك انفاقه انما يقع غالبا للتجارات والمهاداة فحيث لا يمكن ذلك في الاخرة فلا وجه لادخاره
الى وقت الموت وتخصيص التاكيد بذلك لميل الطباع الى المال وكونها مجبولة على حبه والضنة
به ولا يبعد ان يكون في ذلك المعنون الامر باقامة الصلاة ايضا من حيث ان تركها كثيرا ما يكون
للاشتغال بالمبايعات والمخالات • كما في قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها • وقرئ
بالفتح فيهما على ارادة النفي العام ودلالة الرفع على ذلك باعتبار خطابي هو وقوعه جوابا لسائل هل فيه
بيع او خلال الله مبتدا خبره الذي خلق السموات وما فيها من الاجرام العلوية والارض وما فيها
من انواع المخلوقات لما ذكر احوال الكافرين لنعم الله تعالى وامر المؤمنين باقامة مواسم الطاعة
شكرا للنعمه شرع في تفصيل ما يوجب على كافة الانام المثابرة على الشكر والطاعة من النعم العظام
والمنن الجسام حثا للمؤمنين عليها وتقريعا للكفرة المخلين بها المرتكبين موضعها الكفر والمعاصي
وفي جعل المبتدا الاسم الجليل والخبر الاسم الموصول بتلك الافاعيل العظيمة من خلق هذه
الاجرام العظام وانزال الامطار واخراج الثمرات وما يتلوها من الاثار البهية ما لا يخفى
من تربية المهابة والدلالة على قوة السلطان وانزل من السماء اي السحاب فان كل ما علاك سماء
او من الفلك فان المطر منه يبتدي الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه ظواهر النصوص
او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى الجو فينعقد سحابا ماطرا وايا ما كان
فمن ابتدائية ماء اي نوعا منه وهو المطر وتقديمه على المفعول اما باعتبار كونه مبدا
لنزوله او لتشريفه كما في قولك اعطاه السلطان من خزائنه مالا او لما مر مرارا من التشويق
الى المؤخر فاخرج به بذلك الماء من الثمرات المتنوعة للحصر ايمان الان حبة الجمع بمعاونة بعضها مع
بعض • واما لانه اريد بالمفرد الجماعة كالثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستان فلان رزقا لكم
تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل للمطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن للتبيين كقولك
انفقت من الدراهم الفا • ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من

اخرج لانه بمعنى رزق او للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات كانه قيل انزل من السماء بعض الماء
فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم اذ لم ينزل كل الماء ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا
جعل كل الرزق ثمرا وخروج الثمرات وان كان بمشيئته عز وجل وقدرته لكن جرت عادته تعالى
صور ثمار وكيفيات تمايل المواد المتحجرة من الماء والتراب او اودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة
يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ايجاد الاشياء بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب
ولكن له تعالى في انشائها مدرجا من طور الى طور صنائع وحكما يجدد فيها لاولي الابصار عبرا
وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ابداعها دفعة وقوله لكم صفة لرزقا ان اريد به
المرزوق ومفعول به ان اريد به المصدر كانه قيل رزقا اياكم **وسخر لكم الفلك** بان اقدركم
على صنعها واستعمالها بما الهمكم كيفية ذلك **لتجري في البحر** جريانا تابعا لارادتكم **بامره**
بمشيئته التي نيط بها كل شيء وتخصيصه بالذكر للتنصيص على ان ذلك ليس بمزاولة الاعمال واستعمال
الالات كما يتراءى من ظاهر الحال **وسخر لكم الانهار** ان اريد بها المياه العظيمة الجارية في الانهار
العظام كالفرات والنيل ونحوهما فتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها
جداول يسقون بها زروعهم وجنانهم وما اشبه ذلك وان اريد بها نفس الانهار فتسخيرها تيسيرها لهم
وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما واصلاحهما لما نيط بهما
من مصالحكم من المكونات **وسخر لكم الليل والنهار** يتعاقبان لمنامكم ومعاشكم ولعقد
الثمار وانضاجها ذكر سبحانه وتعالى انواع النعم الفائضة عليهم وافرد كل واحد منها في جملة
مستقلة تنويها لشانها وتنبيها على رتبتها وتنصيصا على كون كل منها نعمة جليلة مستوجبة
للشكر وفي التعبير عن التسخير المتعلق بما ذكر من الفلك والانهار والشمس والقمر والليل
والنهار بالتسخير للاشعار بما فيها من صعوبة المأخذ وعزة المنال والدلالة على عظم السلطان وشدة
المحال ما لا يخفى وتأخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما يتعلق منه بالامور المعهودة مع ما بينه وبين
خلق السموات من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكرها لذكر الارض المستتبعة لذكر انزال الماء منها
اليها الموجب لذكر اخراج الرزق الذي من جملته ما يحصل بواسطة الفلك والانهار او للتفادي
عن توهم كون الكل اي خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما مر في سورة البقرة
وآتاكم من كل ما سألتموه اي اعطاكم بعض جميع ما سألتموه حسبما تقتضيه مشيئته التابعة للحكمة
والمصلحة لقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد واتاكم من كل ذلك
ما احتجتم اليه ونيط به انتظام احوالكم على المقدار فكأنكم سألتموه او كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد
او كل ما سألتموه على ان من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شيء واتاه كل الناس
وعليه قوله عز وجل فتحنا عليهم ابواب كل شيء وقرئ بالاضافة واتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه
فحذف الثاني لدلالة ما ابقي وقرئ بتنوين كل على ان ما نافية وجملة ما سألتموه منصوب على الحالية
اي اتاكم من كل شيء غير سائليه **وان تعدوا نعمة الله** التي انعم بها عليكم **لا تحصوها** لا تطيقوا احصاءها
ولو اجمالا فانها غير متناهية واصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد
وضع حصاة ليحفظه بها فمعناه ايضا لا تبلغوا مرتبة تعتدون بها من مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها
ليس لاحد من فرد من افراد الناس وان كان في اقصى مراتب العقل والافهام فهو ابدا مناف

الغايات ومنال لا بوائق الرزايا فهو بحيث لو ملك الدنيا متقلبا في نعم لا تحصى ومنن لا تعد كانه فقد
اعلى علياته وان من النعماء احرز او حيطة الامكان وان كنت في ريب من ذلك فتحدثنا عمن ملك من
اقطار العالم ... انتهى الى اقصى الامم واذعنت لطاعته الرقاب وخضعت لهيبته رقاب العباد وفاز
بكل مرام ونال كل متمنى وحاز جميع ما في الدنيا من اصناف الاموال من غير مزاحم ولا
منازع ينازعه بل نقدر ان ما فيها من حجر ومدر ينقلب ذهبا وتعاليق دررا وتوفقت ارادته وقد وقع في
قهر مشروب او مطعوم في حالة تبلغ نفسه الحلقوم فهو يشتري في تلك الحال بجميع ماله
من الملك والاموال لقمة تنجيه من ردائه او شربة ترويه من ظمائه او غبار الحال لا بدله
الاموال والاملاك بغير ندم لا يبقى عليه ولا نفع يعود اليه كان بالتبذير لذلك كانه لم يكن له
الا ان كان ما كان وليس في صفقته ثمانية الخسران فاذا الملك اللقمة والشربة خير مما له
بالقدرة مع انها في طرف الثام بالمقايسة الى ما من الليالي والايام او قدرنا انه احتجب عليه
التنفس فانه داخل فيه ما خرج ولا خرج منه ما ولج والحي لحيان واتاه الموت من كل مكان
اما يعطي ذلك كله بمقابلة نفس واحد بل بعض ومن او بعض خامس فاذا هو خير من اموال الدنيا
بجملتها ومطالبها بمنتهاها مع انه قد ابيح له ما لا من انات الليالي والايام حال اليقظة والمنام
مدة ايام الظهور والخفاء بحيث لا يكاد يخفى على احد من العقلاء وان دقت العقول على حقيقته
الحق والوقوف على ما لها ماحك من الشروق فاعلم ان الانسان لا يستغني حقيقته الممكنة
بعد عن استحقاق الوجود ومما يتبعه من الكمالات اللائقة والملكات الرائقة بحيث لو انقطع
ما بينه وبين العناية الازلية من العلاقة لما استقر له القرار ولا اطمأن به الدار الا
في مطمورة العدم البوار ومهاوي الهلاك والدمار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس
شانه لا ينقطع في كل زمان بعينه وكل آن يمر وينقضي بانواع الفيوض المتعلقة ببنائه ووجوده
وسائر صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير ولا يعلمه
الا العليم الخبير وتوضيحه انه كما لا يستقل الوجود ابتداء لا يستقل به بقاء وانما ذلك من جناب
المبدأ الاول عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه لان الاحتراز
والله فاعل من خصائص الوجود الواجبي وانت خبير بان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية
التي هي علله وشرائطه وان وجب كونها متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن
الامور العدمية التي لها دخل في وجوده ليست كذلك اذ لا استحالة في دخول ما لا يتناهى تحت الوجود
فارتفاع تلك الموانع التي لا تتناهى اعني بقاؤها على العدم مع امكان وجودها في نفسها في آن
من آنات وجوده نعم غير متناهية حقيقة لا ادعاء وكذا الحال في وجود علله وشرائطه
الوجودية والعدمية ابتداء وبقاء وكذا في كمالاته التابعة لوجوده فاتضح انه يفيض عليه كل
آن نعم لا تتناهى ونحن في معرفتها حائرون وفي اقامة مراسم شكرها قاصرون نسأله
الهداية الى مناهج معرفتها والتوفيق لاداء حقوق نعمتها لا نحصي ثناء عليه لا اله الا هو
نستغفره ونتوب اليه **ان الانسان لظلوم** يظلم النعمة باغفال شكرها او بوضعه في غير
موضعه او يظلم نفسه بتعريضها للحرمان **كفار** شديد الكفران وقيل ظلوم
في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واللام في الانسان للجنس ومصداق

المراد بالظلم والكفران بعض من وجد فيه من افراده وبين حاله في ذلك الذي بدل نعمة الله كفرا الى
اخر ذكر قبلا او لبيانا واذ قال ابراهيم اي واذكر وقت قوله عليه الصلاة والسلام والمقصود من
تذكيره وتذكير ما وقع فيه من مقالاته عليه الصلاة والسلام على نهج التفصيل والمراد
به تاكيد ما سلف من تعجيبه عليه السلام ببيان ما تاخر من جناياتهم حيث كفروا بالنعم
الخاصة بهم بعد ما كفروا بالنعم العامة وعصوا اباهم ابراهيم عليه السلام حيث اسكنهم
بمكة شرفها الله تعالى لاقامة الصلاة والاجتناب من عبادة الاصنام والشكر لنعم الله تعالى
وسأله تعالى ان يجعله بلدا امنا ويرزقهم من الثمرات ويهوي قلوب الناس اليهم من كل اوب
سحيق فاستجاب الله سبحانه دعاءه وجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء فكفروا وابدلوا النعم
العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا لله اندادا وفعلوا ما فعلوا رب اجعل هذا
البلد يعني مكة شرفها الله تعالى امنا اي ذا امن او امنا اهله بحيث لا يخاف فيه على ما مر في سورة
البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا امنا ان المسؤول
هناك البلدية والامن معا وهاهنا الامن فقط حيث جعل هو المفعول الثاني للجعل وجعل
البلد صفة للمفعول الاول فان حمل على تعدد السؤال فلعله عليه الصلاة والسلام
سألهما اولا وكان الامن فاستجيب له في احدهما وتاخر الاخر الى وقته المقدر لما يقتضيه
من الحكمة الداعية مر كرر السؤال كما هو المعتاد في الدعاء والابتهال او كان المسؤول اولا
مجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب اليه اولا وثانيا الامن المعهود او كان
هو المسؤول فيه وقد اوجب اليه ايضا لكن السؤال الثاني للاستدامة والاقتصار
على ذلك لانه المقصود الاصلي او لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف
الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤول
كلا الامرين وقد حكي اولا واقتصر هاهنا على حكاية سؤال الامن لا لمجرد ان نعمة الامن
ادخل في استيجاب الشكر فذكره انسب بمقام تقريع الكفرة على اغفاله كما قيل بل لان سؤال
البلدية قد حكي بقوله فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم اذ المسؤول هويها اليهم بالمساكنة
معهم لا للحج فقط وهو عين سؤال البلدية قد حكي بعبارة اخرى وكان ذلك اول ما قدم
عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه انه عليه السلام
لما اسكن اسماعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول
الى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت الله امرك بهذا فقال نعم
قالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت
الاية وانما نصب ما بينهما تنبيها للامتنان وايذانا بان كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة لشكر
كثير كما في قصة البقرة واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعله منه في جانب
بعيد اي ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام والبعد عن عبادة الاصنام
وقرئ واجنبني من الافعال وهما لغة اهل نجد يقولون جنبني شره واما اهل الحجاز
فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بتوفيق
الله تعالى والظاهر ان المراد ببنيه اولاده الصلبية فلا احتجاج به لابن عيينة

دمي

رضي الله عنه على ان احدا من اولاد اسماعيل عليه السلام لم يعبد الاصنام اصلا وانما كان لكل
قوم حجر نصبوه قالوا هو حجر فكانوا يدورون به ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت
ولا يقال دار بالبيت وليت شعري كيف ذهب عليه ما في القران العظيم من قوارع سجلت على
قريش عبادة الاصنام على ان ذلك لكونها مادة مع رب انهن اي الاصنام اضللن كثيرا من الناس
اي تسببن له كقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا وهو تعليل لدعائه فانما صدره بالنداء اظهارا
لاعتنائه ورغبته في استجابته فمن تبعني منهم فيما ادعو اليه من التوحيد وملة الاسلام فانه مني
اي بعضي قاله عليه الصلاة والسلام مبالغة في بيان اختصاصه او متصل بي لا ينفك عني في امر
الدين ومن عصاني اي لم يتبعني والتعبير بالعصيان للايذان بانه عليه الصلاة والسلام
مستمر على الدعوة وان عدم اتباع من لم يتبعه انما هو لعصيانه لا لانه لم يبلغه الدعوة فانك
غفور رحيم قادر على ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد توبته وفيه ان كل ذنب فلله تعالى
ان يغفره حتى الشرك خلا ان الوعيد فرق بالفرق بينه وبين غيره ربنا اي عليه
السلام صيغة الجماعة لما قبله من تتمة مر ذكره وذكر بنيه والادعاء في قوله رب انهن الى
اخر بالطلان الدعاء المصدر بربي وما اورده بعده مقدمة لمبادي اجابته من قوله اني
اسكنت الاية متعلق بذريته فالتعرض لوصف ربوبيته تعالى لهم ادخل في القبول واجابة
المسؤول من ذريتي اي بعضهم او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو اسماعيل عليه السلام
كانت سارة وهبتها من ابراهيم عليه السلام فولدت له اسماعيل فغارت عليهما فناشدته
ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله تعالى عين زمزم بواد غير ذي زرع
لا يكون فيه زرع اصلا وهو وادي مكة شرفها الله سبحانه عند بيتك المحرم ظرف لاسكنت
كقولك صليت بمكة عند الركن لا انه صفة لواد او بدل منه اذ المقصود اظهار كون ذلك
الاسكان مع فقدان مباديه بالمرة لمجرد التقرب الى الله تعالى والالتجاء الى جواره الكريم كما
ينبئ عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملتجأ وعصمته عن المكاره في قوله تعالى المحرم
حيث حرم التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة في كل عصر او منع منه الطوفان
فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا وتسميته اذ ذاك بيتا ولم يكن له بناء وانما كان له
نشز مثل الرابية تاتيه السيول فتاخذ ذات اليمين وذات الشمال ليس باعتبار ما سيؤول
اليه الامر من بنائه عليه الصلاة والسلام فانه ينزع الى اعتبار عنوان الحرمة ايضا الا ان
يلتزم باعتبار ما كان من قبل فان تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وانما الاختلاف
في كيفيته وقد ذكرناه في سورة البقرة بفضل الله سبحانه ربنا ليقيموا الصلاة
متوجهين اليه متبركين به وهو متعلق باسكنت وتخصيصها بالذكر من بين سائر شعائر
الدين لفضلها وتكرير النداء وتوسيطه لاظهار كمال العناية باقامة الصلاة والاهتمام
بعرض ان الغرض من اسكانهم بذلك الوادي البلقع ذلك المقصد الاقصى والمطلب الاسنى
وما فيه من التمهيد لمبادي اجابة دعائه واعطاء مسؤوله الذي لا يتسنى ذلك الا به وايم
الاية ولذلك ادخل عليه الفاء فقال فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من افئدتهم
ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم وما

ما ذكر عليه من قولهم وجب البيوت والثمار فيه متاعب للمتاجر ان المسئول توجيه القلوب اليهم لا
محبتهم لا لتوجيهها الى البيت للحج والا لقيل تهوي اليه فانه عين الدعاء بالبلد فيه حكي ببيانه
اخرى كما مر او لانه الغاية كقولك القلب سبيلا اي لغيبة ناس وقرئ افئدة على القلب
كادر في ادوار على انه اسم فاعل من افدت الرحلة اي عجلت اي جماعة من الناس وافدة بطرح
الهمزة بين الامين او على اللغة من قد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووداد وقرئ على
البنا للمفعول من اهواه غيره وتهوى من باب علم اي تحب وتعديته بالي لتضمنه معنى الشوق والنزوع
واولنا لنا ربنا ما للعوع ما دعي انه مرت رفقة من جرهم يريد الشام فراوا الطير
تحوم على الجبل فقالوا ان هذا الطائر لعائف على الماء فاشرفوا فاذا هم بهاجر فقالوا لها ان شئت
كنا معك وآنسناك والماء ماؤك فاذنت لهم وكانوا معها الى ان شب اسماعيل عليه السلام وماتت هاجر
فتزوج اسماعيل منهم كما هو المشهور وارزقهم اي ذريتي الذين اسكنتهم هناك او مع من ينحاز
اليهم من الناس وانما لم يخص الدعاء بالمؤمنين منهم كما في قوله وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله
واليوم الآخر اكتفاء بذكر اقامة الصلاة من الثمرات من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى
يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه
الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى ووضعها
حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف
لدعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام لعلهم يشكرون تلك النعمة باقامة الصلاة وايتاء
الزكاة واداء سائر مواجب العبودية وقيل اللام في ليقيموا لام الامر والمراد بهم امرهم باقامة
الصلاة والدعاء من الله تعالى بتوفيقهم لها ولا يساعده الفاء في قوله تعالى فاجعل الخ وفي
دعائه عليه الصلاة والسلام من مراعاة حسن الادب والمحافظة على قوانين الضراعة
وعرض الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب الرأفة ما لا يخفى فانه عليه الصلاة
والسلام بين كون الوادي غير ذي زرع بيانا لكمال افتقارهم الى المسئول وبين كون اسكانهم عند
البيت المحرم اشارة الى ان جوار الكريم يستوجب افاضة النعم وعرض كون ذلك الاسكان
مع كمال اعوازه مراعاة المعاني لمحض اقامة الصلاة واداء حقوق البيت مهد جميع مبادي اجابة السؤال
ولذلك تقررت دعوته عليه الصلاة والسلام بحسن القبول ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن
من الحاجات وغيرها والمراد بما نخفي ما يقابل ما نعلن سواء تعلق به الاخفاء او لا اي تعلم ما نظهره
كان علمه تعالى متعلق بما لا يخطر ببالنا مما فيه من الاحوال الخفية فضلا عن اخفائه وتقديم
ما نخفي على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على ابلغ وجه فكان تعلقه بما
نخفي اقدم منه بما نعلن او لان مرتبة السر والخفاء متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء
يعلن الا وهو قبله خفي فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية ومقصده
عليه الصلاة والسلام اظهار هذه الحاجات وما هو من مباديها وتتماتها ليس لكونها غير
معلومة لك تعالى بل انما هو لاظهار العبودية والتخشع لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار
الى ما عندك والاستعجال لنيل اياديك وتكرير النداء للمبالغة في الضراعة والابتهال

وضمير

وضمير الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره وعلنه بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد
حققته بقوله على وجه الاعتراض وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لما انه العالم بالذات
فما من شيء يدخل تحت الوجود كائنا ما كان في زمان من الازمان الا ووجوده في ذاته
علم بالنسبة اليه سبحانه اليه تعالى وانما قال وما يخفى الخ دون ان يقول ويعلم ما في
السموات والارض تحقيقا لما عناه بقوله تعالى تعلم ما نخفي من ان علمه تعالى بذلك ليس على وجه
يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة الى علمه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة الى علوم المخلوقات وكلمة
في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء اي من شيء كائن فيهما اعم من ان يكون ذلك على وجه الجزئية
منهما او بحيز فيهما وتقديم الارض على السماء لتوسط الاتيان باعتبار القرب والبعد منا المستدعي
بالتفاوت بالنسبة الى علومنا والالتفات من الخطاب الى اسم الذات المستجمعة للصفات
لتربية المهابة والاشعار بعلية الحكم على نهج قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير والايذان بعمومه لانه ليس بشأن يختص به او بمن يتعلق به شأنه بجميع الاشياء المناسب
ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدأية الكل وقيل هو من كلام الله عز وجل وارد بطريق الاعتراض
لتصديقه عليه الصلاة والسلام كقوله سبحانه وكذلك يفعلون من الاستغراق في التوجه
الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي مع كبري ويأسي عن الولد قيد الهبة به استعظاما للنعمة
واظهارا لشكرها اسماعيل واسحاق روي انه ولد له اسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة
وولد له اسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة او مائة وسبع عشرة ان ربي ومالك امري
لسميع الدعاء لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا اعتد به وهي من ابنية المبالغة العاملة
عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله باسناد السماع الى دعاء الله تعالى مجازا وهو مع كونه من
تتمة الحمد والشكر اذ هو وصف له تعالى بان ذلك الجميل سنته المستمرة تعليل على طريقة
التذييل فاقترنت الهبة بقبول الدعوة للهبة المذكورة وفيه ايذان بتضاعف النعمة فيها
حيث وقعت بعد الدعاء بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة
وتوحيد ضمير المتكلم وان كان ذكره في ضمنهما لما ان نعمة الهبة فائضة عليه خاصة
وهما من النعم لا من المنعم عليهم رب اجعلني مقيم الصلاة مثابرا عليها معدلا لها
ضمير المتكلم مع ... دعوته لذريته ايضا حيث قال ومن ذريتي اي بعضهم من المذكورين ومن
يسير سيرتهم اولادهم وانما للاشعار بان المقتدي في ذلك ذريته اتباع له وان الاسم بطريق
الاستبداد والاصالة قوله ربنا اني اسكنت الخ ذات اسكانه مع عنه تحققه بالجملة
لمن اسكنه انما هو منهم بطريق التبعية للدعاء الذي هو مخصوص بذريته وانما خص هذا
الدعاء ببعض ذريته لعلمه تعالى ان بعضهم لا يكونون مقيمي الصلاة كقوله تعالى ربنا واجعلنا
مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ربنا وتقبل دعائي اي دعائي هذا المتعلق بجعل
وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلاة ثابتين على ذلك مجتنبين من عبادة الاصنام ولذلك جيء
بضمير الجماعة ربنا اغفر لي اي ما فرط مني من ترك الاولى في باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم
منه البشر ولوالدي وقرئ بالتوحيد ولابوي وهذا الاستغفار منه عليه السلام انما كان
قبل تبين الامر له عليه الصلاة والسلام وقيل اراد بوالديه آدم وحواء وقرئ

بشرط الاسلام وتبعه. قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه وقد مر في سورة التوبة نوع تحقيق للمقام
وسيأتي تمامه في سورة مريم بعون الله عز وجل وللمؤمنين كافة من ذريته وغيرهم وللدلالة على
الاشتراك في الدعاء بالمغفرة جيء بضمير الجماعة يوم يقوم الحساب اي يثبت ويتحقق محاسبة
المكلفين على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب
على ساق والمراد تثبيته وقيل اسند اليه قيام اهله مجازا او حذف المضاف كما في واسأل القرية
واعلم ان ما حكي عنه عليه الصلاة والسلام من الادعية والاذكار وما يتعلق بها ليس بصادر
عنه على الترتيب المحكي ولا على وجه المعية بل صدر عنه في ازمنة متفرقة حكمة ترتيب الدلالة
على سوء حال الكفرة بعد ظهور امره في الملة وارشاد الناس اليها والتضرع الى الله تعالى في مصالحهم
الدينية والدنيوية ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله عليه الصلاة
والسلام وتنبيه على ما كان عليه من عدم حسبانه عز وجل كذلك نحو قوله ولا تكونن من
المشركين ونظائره مع ما فيه من الايذان بكونه واجب الاحتراز عنه في الغاية حتى نهي عنه
من لا يمكن تعاطيه او نهيه عليه الصلاة والسلام عن حسبانه تعالى تاركا لعقابهم على طريقة العفو
والتعبير عنه بذلك للمبالغة في النهي والايذان بان ذلك الحسبان بمنزلة حسبانه تعالى غافلا عن
اعمالهم اذ العلم مستوجب لعقابهم لا محالة فتركه لو كان لكان للغفلة عما يوجبه من اعمالهم الجنية
وفيه تسلية لرسول الله عليه الصلاة والسلام ووعد له الخير ووعيد للكفرة وسائر
الظالمين شديد ولكل احد ممن يستعجل عذابهم او يتوهم اهمالهم الجميل بصفاته تعالى والاعتماد
بامهاله. وقيل معناه لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا بل معاملة من يحافظ
على اعمالهم ويجازيهم بها على النقير والقطمير والمراد بالظالمين اهل مكة ممن عد من مساويهم
من تبديل نعمة الله كفرا واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الانداد كما يؤذن به التعرض
لحكمة التأخير المبني عنه قوله تعالى فتمتعوا الاية او جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم
دخولا اوليا انما يؤخرهم يمهلهم متمتعين بالحظوظ الدنيوية ولا يعجل عقوبتهم حسبما يستحقونه
وهو استئناف وقع تعليلا للنهي السابق اي دم على ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلا
عن اعمالهم ولا تحزن بتأخيرها ليستوجبوا من العذاب الاليم ما هو اشد للتشديد والتغليظ او لا
تحسبنه تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تأخيرها لما ان ذلك لاجل معين او لا تحسبنه تعالى يعاملهم
معاملة الغافل ولا يؤاخذهم بما عملوا لما ترى من ان التأخير انما هو لهذه الحكمة. وقرئ بالنون
وايقاع التأخير عليهم مع ان المؤخر انما هو عذابهم لتهويل الخطب وتفظيع الحال ببيان
انهم متوجهون الى العذاب مرصدون لامر ما لا انهم باقون باختيارهم وللدلالة على ان
حقهم من العذاب هو الاستئصال بالمرة وانه لا يبقى منهم في الوجود عين ولا اثر وللايذان
بان المؤخر له من جملة العذاب وعنوانه ولو قيل انما يؤخر عذابهم الى اجل لما فهم ذلك ليوم
هائل تشخص فيه الابصار ترتفع ابصار اهل الموقف فيدخل في زمرتهم الكفرة المعهودة دخولا
اوليا اي تبقى مفتوحة لا تتحرك اجفانهم من اهوال ما يرونه واعتبار ... فراقها في اماكنهم
اما باعتبار الارتفاع الحسي بجرم الحدقة واما باعتبار الحقيقة من شخص من بلده الى بلد وشاذ في
ارتفاع مهطعين مسرعين الى الداعي مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع او مقبلين

بابصارهم

بابصارهم عليه لا يلتفتون الى شيء ولا يطرفون هيبة وخوفا وحيث كان ادامة النظر مناسبا
بالنظر الداعي قيل مقنعي رؤوسهم رافعيها مع ادامة النظر من غير التفات الى شيء قاله العيني
وابن قتيبة او ناكسيها وقيل الاقناع رفع الراس او طأطأته وبحسبهما فهو من الاضداد وهما حالان مما
دل عليه الابصار من اصحابها او الثاني حال من المستكن في الاول واضافته غير حقيقية
فلا ينافي الحالية لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم تحريك اجفانهم التي هي الة الطرف
فيكون اسناد الرجوع الى الطرف مجازيا وهو نفي الجفن قال العيوني ... الطرف العين
لا يجمع لانه مصدر في الاصل او اسم جامع للعين او لا يرجع نظرهم الى انفسهم فضلا عن ان يرجع
الى شيء اخر فيبقون مبهوتين ... الى اخره او ... والمعنى
لا يزول ما اعتراهم من شخوص الابصار وتاخيره عما هو من تتمة الاهطاع والاقناع مع ما بينه
وبين الشخوص المذكور من المناسبة لتربية هذا المعنى وافئدتهم هواء خالية من العقل
والفهم لفرط الحيرة والدهش كأنها نفس الهواء الخالي عن كل شاغل ومنه قيل للجبان والاحمق قلبه
هواء اي لا قوة ولا رأي فيه ولا اعتبار خلوها عن الخير لانه لا يناسب المقام وهو ايضا حال عاملها
لا يرتد مفيد لكون شخوص ابصارهم وعدم ارتداد طرفهم بلا اختيارهم ولا اختيار وجملة
مستقلة وانذر الناس خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعلامه ان تأخير عذابهم
لماذا امره بانذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفرة المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه
ظاهر اتيان العذاب والعدول اليه من الاضمار للاشعار بان المراد بالانذار هو الزجر
عما هم عليه من الظلم شفقة عليهم لا التخويف للانزعاج والايذاء فالمناسب عدم ذكرهم
بعنوان الظلم حيث او الناس جميعا فان الانذار عام للفريقين كقوله تعالى انما تنذر من
اتبع الذكر والاتيان يعمهما من حيث كونهما في الموقف وان كان لحوقه بالكفار خاصة اي انذرهم
وخوفهم يوم يأتيهم العذاب المعهود وهو الذي وصف بما لا يوصف من الاوصاف الهائلة
اعني يوم القيامة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى او يوم
هلاكهم بالعذاب العاجل وفيه نبوه العصر السابق فيقول الذين ظلموا اي فيقولون
والعدول عنه الى ما ذكر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بان ما لقوه
من الشدائد انما هو لظلمهم وايثار صيغة الفاعل حسبما ذكر وللايذان بان الظلم في
الجملة كاف في الافضاء الى ما ذكر من الاهوال من غير حاجة الى الاستمرار عليه كما ينبئ عنه
صيغة الفاعل على تقدير كون المراد بالناس من يعم المسلمين ايضا فالمعنى الذين ظلموا
منهم وهم الكفار او يقول كل من ظلم بالشرك والتكذيب من المنذرين وغيرهم من الامم
الخالية فان اتيان العذاب يعمهم كما يشعر به ذلك وعدهم باتباع الرسل
ربنا اخرنا ردنا الى الدنيا وامهلنا الى اجل قريب اي امد وحد من الزمان قريب نجب
دعوتك اي الدعوة اليك والى توحيدك او دعوتك ايانا على السنة الرسل ففيه ايماء الى انهم
صدقوهم في انهم مرسلون من عند الله تعالى ونتبع الرسل فيما جاؤوا به اي نتدارك ما
فرطنا فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل والجمع اما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد
وكون عصيانهم للرسل عليهم الصلاة والسلام عصيانا لهم جميعا عليهم السلام واما باعتبار

لاتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرسل عليهم السلام عصيانا لنا واما باعتبار الحكي كلام
طالبي الامهال جميعا فالمقصود بيان وعد كل امة باتباع رسولها **اولم تكونوا اقسمتم من قبل** على اضمار
القول معطوفا على فيقول اي فيقال لهم توبيخا وتبكيتا الم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا اقسمتم اذ ذاك
بالسنتكم بطرا واشرا وجهلا وسفها **ما لكم من زوال** مما انتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنيوية
او بالسنة الحال حيث بنيتم مشيدا واملتم بعيدا ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة
وفيه اشعار بامتداد زمان التاخير وبعد مداه او ما لكم من زوال من هذه الدار الى دار
اخرى للجزاء كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وصيغة الخطاب في جواب
القسم لمراعاة حال الخطاب في اقسمتم كما في قوله حلف بالله ليخرجن وهو ادخل في التوبيخ من
ان يقال ما لنا مراعاة لحال المقسم ذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله انه قال لاهل
النار خمس دعوات يجيبهم الله في اربع منها فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون
ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيجيبهم الله تعالى
ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون
ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء
يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ثم يقولون ربنا اخرنا الى
اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من
زوال ثم يقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير فيقولون ربنا
غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فيجيبهم الله تعالى اخسؤوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون
بعدها ابدا ان هو الا زفير وشهيق وعند ذلك انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في وجه
بعض واطبقت عليهم جهنم اللهم انا بك نعوذ وبكنفك نلوذ عز جارك وجل ثناؤك
ولا اله غيرك **وسكنتم** من السكنى بمعنى التبوء والايطان وانما استعمل بفي حيث قيل
في مساكن الذين ظلموا انفسهم جريا على الاصل لانه منقول عن مطلق السكون الذي حقه
التعدية بها او من السكون واللبث اي قررتم في مساكنهم مطمئنين سائرين سيرتهم في
الظلم بالكفر والمعاصي غير محدثين انفسكم بما لقيه الاولون بسبب ما اجترحوا من الموبقات
وفي ايقاع الظلم على انفسهم بعد اطلاقه فيما سلف ايذان بان غائلة الظلم آيلة الى صاحبه
والمراد بهم اما جميع من تقدم من الامم المهلكة على تقدير اختصاص الاستمهال والخطاب
السابق بالمنذرين واما اوائلهم من قوم نوح وهود على تقدير عمومهما للكل وسنذكر الخطاب
وما يتلوه باعتبار حال اواخرهم **وتبين لكم** بمشاهدة الآثار وتواتر الاخبار **كيف فعلنا
بهم** من الاهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد وكيف منصوب بما بعده من الفعل
وليس الجملة فاعلا لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله ما دلت هي عليه دلالة واضحة
اي فعلنا العجيب بهم كما في قوله تعالى ليسجننه ونحوه **وضربنا لكم الامثال**
اي بينا لكم في القرآن العظيم على تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين او على السنة الانبياء عليهم
الصلاة والسلام على تقدير عمومه لجميع الظالمين صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الامور التي

هي

هي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا وتقيسوا اعمالكم على اعمالهم ومآلكم على مآلهم
وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب الآجل فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر
والمعاصي او بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب والجمل الثلاث في موقع الحال من
ضمير اقسمتم اي اقسمتم بالخلود والحال انكم سكنتم في مساكن المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا
العجيب بهم ونبهناكم على جلية الحال بضرب الامثال وقوله عز وجل **وقد مكروا مكرهم**
حال من الضمير الاول في فعلنا بهم او من الثاني او منهما جميعا لاشتماله على ضميريهما او قوله تعالى وضربنا
لكم الامثال لنسبة ادنى ملابسة اي فعلنا بهم ما فعلنا والحال انهم قد مكروا في ابطال
الحق وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذي استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا فيه كل حد
معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم او وقد
مكروا مكرهم المذكور في ترتيب مبادي البقاء ومدافعة اسباب الزوال فالمقصود اظهار
عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارتها عند قدرة الله سبحانه وتعالى **وعند الله مكرهم**
اي جزاء مكرهم على الذي يعلمه على ان المكر مضاف الى فاعله او عنده تعالى على انه مضاف
الى المفعول والتسمية مكرا لكونه بمقابلة مكرهم وجودا وذكرا او لكونه في صورة المكر في
الاتيان من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما افاده قوله عز وجل كيف فعلنا
بهم لا امر آخر يجازيهم به والجملة حال من الضمير في مكروا اي مكروا وعند الله جزاؤه
او ما هو اعظم منه والمقصود بيان فساد رأيهم حيث باشروا افعالهم مع تحقق ما يوجب تركها
وان كان مكرهم في العظم والشدة **لتزول منه الجبال** اي وان كان مكرهم في غاية المتانة
والشدة وعبر عن ذلك بكونه معدا لازالة الجبال عن مقارها لكونه مثلا في
ذلك والجملة المصدرة بان الوصلية معطوفة على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء
مكرهم او المكر الذي يحيق بهم ان لم يكن مكرهم لتزول منه الجبال وان كان الى آخره
وقد حذف ذلك حذفا مطردا لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق
عند وجود المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان
الوصلية من التاكيد المعنوي والجواب محذوف دل عليه ما سبق وهو قوله تعالى
وعند الله مكرهم وقيل ان نافية واللام لتاكيدها كما في قوله تعالى وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم وينصره قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما كان مكرهم
فهو حينئذ حال من الضمير في مكروا لا من قوله تعالى وعند الله مكرهم اي مكروا مكرهم
[illegible] لكن مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال على انها عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعه
ومعجزاته الظاهرة على ايدي الرسل السالفة عليهم الصلاة والسلام التي هي بمنزلة
الجبال الراسيات في الرسوخ واما كونها عبارة عن امر النبي عليه الصلاة والسلام وامر
القرآن العظيم كما قيل فلا مجال له لما ان الماكرين هم المهلكون لا الذين في مساكنهم
المخاطبين وان خص الخطاب بالمنذرين وقيل هي مخففة من ان والمعنى انه كان مكرهم لتزول
منه الجبال اي ما هو كالجبال في الثبات مما ذكر من الآيات والشرائع والمعجزات وبالجملة هي
حال من ضمير كفروا ومكروا اي وقد مكروا مكرهم المعهود وان الشأن كان مكرهم

دون الایات والشرایع علی انه لم یصح ان یکون منهم مکر کذلک وکان شأن الایات والشرایع مثلها
من مباشرة المکر لانه وقف فی الکتاب لتزول بفتح اللام علی انها فارقة والمعنی تعظیم
مکرهم فالجملة حال من قوله تعالی وعند الله مکرهم ای عند الله جزاء مکرهم او المکر بهم والحال
ان مکرهم معد تزول منه الجبال او فی غایة الشدة • وقرئ بالفتح والتعبیر عن عظمه من بقیة الامر
لیه • وقرئ وان کان مکرهم عظیما بعد الذی تنشق منه النظر الکبیر وتنشق الیه الجبال السلیمة
دون ما قصدوا الیه من مکر المتقدمین والمراد بمکرهم ما افاده قوله عز وجل واذ یمکر بک الذین
کفروا لیثبتوک او یقتلوک او یخرجوک الایة ونحو من انواع مکرهم برسول الله صلی الله علیه
وسلم • ولعل الوجه حینئذ ان یکون قوله تعالی وقد مکروا الی اخره حالا من القول المقدر
ای فیقال لهم ما یقال والحال انهم مع ما فعلوا من الافتراء المذکور مع ما شاهدوه من التکون
فی مساکن المهلکین وتبین احوالهم وضرب الامثال قد مکروا امکرهم العظیم ای لم یترکوا العادة
منهم بجنس الافتراء الذی ویجازیه بالحق واغلب شامة العظیمة • قوله تعالی وعند الله
مکرهم حال من ضمیر مکروا وحسبان ذکرنا من قبل قوله تعالی وان کان مکرهم لتزول منه الجبال
مسوق لبیان عدم ترتب وهو الحال فی تحقق الجزاء بحق کون مکرهم قویا او ضعیفا کما هو شأن
وعلی تقدیر ان نافیة فهو حال من ضمیر کفروا مکروا والجبال عبارة عن امر النبی علیه السلام
ای مکروا والحال ان مکرهم ما کان لتزول منه ما تباع الشرایع والایات التی هی فی القوة
کالجبال وعلی تقدیر کونها من المخففة والمثقلة واللام مکسورة یکون حالا منه ایضا
یعنی ان ذلک المکر العظیم ثابت منهم لان هذا الغرض علی معنی انه لم یکن یصح ان یکون
منهم مکر بمثابة لما ان شأنه الشرایع اعظم من ان یمکر بها ماکر وعلی تقدیر فتح اللام فهو حال
من قوله تعالی وعند الله مکرهم کما ذکرنا من قبل فلما خلف **فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله**
لم یرد به والله سبحانه اعلمهم ما وعدهم بقوله تعالی انا لننصر رسلنا الایة • وقوله کتب الله لاغلبن
انا ورسلی لا قیل فائدته لا اختصاص له بالتعذیب لاسیما الاخروی بل ما سلف انفا من وعد
تعذیب الظالمین بقوله تعالی انما یؤخرهم لیوم الایة لما تعنی عنه الفا الداخلة علی النهی الذی
ارید تثبیته علیه الصلاة والسلام علی ما کان علیه من التعذیب بالله والیقین بانجاز وعد الله
المعرون بالامر بانذار اهم یوم اتیان العذاب المتضمن لذلک تعذیب الامم السالفة بسبب
کفرهم وعصیانهم وشکهم بغیرها وعدهم بذلک کما فصلت تفصیلا منهم بنازل القرآن العظیم
فکانه قیل واذ قد وعدنا ان نعذب الظالمین یوم القیامة اخبرناک بما یلقونه من الشدة
وبما یلوذون من الرد الی الدنیا وبما اجبناهم به وبخناهم بعدما ما ظهر من احوال من سبقهم من
الامم الذین اهلکنا ظلمهم بعدما وعدنا رسلهم بما کانوا فیه فدم علی ما کنت علیه من
الیقین بعدم اخلاف رسلنا وعدنا **ان الله عزیز** غالب لا یماکر وقادر لا یقادر **ذو انتقام**
لاولیائه من اعدائه والجملة تعلیل للنهی المذکور وتذییل له وحیث کان الوعد عبارة عما ذکرنا
من تعذیبهم خاصة لم یرسله بان قیل ان الله لا یخلف المیعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام
المشعرین بذلک والمراد بالانتقام ما اشیر الیه بالعذاب عرفته بالکل **یوم تبدل الارض**
غیر الارض ظرف لمضمرا ان نستحق عنه النهی المذکور ای ینجز یوم الی اخره ومعطوف

علیه نحو واذکروا وارتقب یوم تبدل الارض غیر الارض او للانتقام او مفعول یوم یأتیهم العذاب بعینه والحق له
احوال الجمعة بذکرها بالعنوان المخصوص والتقییده بمقدمه عن انتقامه الاوقات کلها للافصاح
عما هو المقصود به من تعذیب الکفرة المؤخر الی ذلک الیوم بموجب الحکمة الداعیة الیه وقیل
بدل من یوم یأتیهم العذاب وتعقب بانه اذ ذکرناه باعتبار لا غلبنه وعان یؤخرنه له الی اخره وقیل
ایضا ما فی الوجه الثالث من الحاجة الی الاعتذار ولا یجوز ان ینتصب بقوله مخلف وعده الی اخره
لان ما قبل ان لا یعمل فیما بعدها وقیل هو معمول بغیر مذکور لان قوله تعالی ان الله عزیز ذو انتقام جملة اعتراضیة
فلا یبالی بها فاصلة • واعلم ان التبدیل قد یکون فی الذات کما فی بدلت الدراهم دنانیر وعلیه
قوله عز وجل بدلناهم جلودا غیرها وقد یکون فی الصفات کما فی قولک بدلت الحلقة خاتما اذا
غیرت شکلها • ومنه قوله تعالی یبدل الله سیئاتهم حسنات علی بعض الاقوال والایة الکریمة لیست
نصا فی احد الوجهین • وعن علی کرم الله وجهه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب • وعن
ابن مسعود رضی الله عنه تبدل الارض بارض کالفضة بیضاء نقیة لم یسفک فیها دم ولم یعمل علیها
خطیئة • وعن ابن عباس رضی الله عنه هی تلک الارض وانما تغیر صفاتها • وانشد •
• وما الناس بالناس الذین عهدتهم • وما الدار بالدار التی کنت تعلم •
وتبدل السموات بانتشار کواکبها وکسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وکونها ابوابا
ویدل علیه ما روی ابو هریرة رضی الله عنه انه علیه الصلاة والسلام قال تبدل الارض
غیر الارض فتبسط وتمد مد الادیم العکاظی لا تری فیها عوجا ولا امتا **والسموات** ای وتبدل
السموات غیر السموات حسبما مر من التفصیل وتقدیم تبدیل الارض لقربها منا ولکون تبدیلها
اعظم اثرا بالنسبة الینا **وبرزوا** ای الخلائق او الظالمون المدلول علیهم بمعونة السیاق والمراد
بروزهم من اجداثهم التی فی بطون الارض او ظهور ما هم باعمالهم التی کانوا یعملونها سرا ویزعمون
انها لا تظهر او یعملون عمل من یزعم ذلک ولعل البروز الیهم مع انهم لا یظاهرون للذین انبئت
کل بانکال تناسبها او هو معطوف علی تبدل والعدول الی صیغة الماضی للدلالة علی تحقق وقوعه
او حال من الارض بتقدیر قد والرابط بینها وبین صاحبها الواو **لله الواحد القهار** للحساب
والجزاء والتعرض للوصفین لتهویل الخطب وتربیة المهابة واظهار بطلان الشرک وتحقیق الانتقام
فی ذلک الیوم علی تقدیر کونه ظرفا له وتحقیق اتیان العذاب الموعود علی تقدیر کونه بدلا من یوم یأتیهم
العذاب فان الامر اذا کان لواحد غالب لا یعاند وقادر لا یضاد ولا یغالب کان فی غایة ما یکون
من الشدة والصعوبة **وتری المجرمین** عطف علی برزوا والعدول الی صیغة المضارع لاستحضار
الصورة او لمعنی عطف علی ما ستمر او ما قبله من فهو فی الاسمیة فیه او علی تقدیر حالیة برزوا
فهو معطوف علی تبدل ویجوز عطفه علی عامل الظرف المقدر علی تقدیر کونه ظرف **یومئذ** ای
یوم اذ برزوا لله عز وجل ویوم اذ تبدل الارض ویوم اذ ینجز **مقرنین** قرن بعضهم مع بعض حسب
اقترانهم فی الجرائم واعمالهم او قرنوا مع الشیاطین الذین اغووهم او قرنوا مع ما اقترفوا من
العقائد الزائغة والملکات الردیئة والاعمال السیئة غب تصور کل منها وتشکلها بما
یناسبها من الصور الموحشة والاشکال الهائلة او قرنت ایدیهم وارجلهم الی رقابهم •
وهو حال من المجرمین **مقرنین** فی القیود والاغلال وهو اما متعلق بقوله تعالی مقرنین

او حال من ضميره اي مقرنين سرابيلهم اي قمصانهم من قطران جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب على
الحالية من المجرمين او من ضمير مقرنين رابطتها الضمير فقط كما في كلمته فوه الى فيّ او مستأنفة
لا محل لها من الاعراب والقطران ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق
الجرب بما فيه من الحدة الشديدة وقد تصل حرارته الى الجوف وهو اسود منتن يسرع فيه اشتعال
النار يطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الالوان الاربعة من
العذاب لذعه وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش والنتن على التفاوت بينه وبين
ما نشاهد وبين النارين لما يكاد يقادر قدره فكأن ما نشاهد منهما اساميها في الآخرة •
فبكرمه العميم نعوذ • وبحفنه الواسع نلوذ • ويحتمل ان يكون ذلك تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس
من الملكات الردية والهيئات الوحشية فتجلب اليها الآلام والغموم بل وان يكون القطران
عين ما لبسوه في هذه النشأة وجعلوه شعارا لهم من العقائد الجلية الباطلة والاعمال
السيئة المستجلبة لفنون العذاب قد تجسدت في النشأة الآخرة بتلك الصورة المستتبعة
لاشتداد العذاب عصمنا الله عن ذلك بمنه ولطفه • وقرئ من قطرآن اي نحاس مذاب
متناه حره وتغشى وجوههم النار اي تعلوها وتحيط بها النار التي تمس جسدهم المسربلة بالقطران
وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عمومه لسائر اعضائهم لكونها اعز الاعضاء الظاهرة واشرفها كقوله تعالى افمن يتقي
بوجهه سوء العذاب الى آخره ولكونها مجمع المشاعر والحواس التي خلقت لادراك الحق وقد اعرضوا
عنه ولم يستعملوها في تدبره كما ان الفؤاد اشرف الاعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملؤها
بالجهالات ولذلك قيل تطلع على الافئدة او لخلوها عن القطران المغني عن ذكر غشيان
النار لها ولعل تخليتها عنه ليتعارفوا عند انكشاف اللهب احيانا ويتضاعف عذابهم
بالخزي على رؤوس الاشهاد • وقرئ تغشى اي تتغشى بحذف احدى التاءين • والجملة نصب على
الحالية لا على ان الواو حالية لانه مضارع مثبت بل على انها معطوفة على الحال • قال ابو البقاء
ليجزي الله متعلق بمضمر اي يفعل ذلك بهم ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت من انواع الكفر
والمعاصي جزاء موافقا لعملها وفيه ايذان بان الجزاء من مناسب لاعمالهم او بقوله برزوا على تقدير
كونه معطوفا على تبدل والضمير للخلق • وقوله وترى المجرمين الى آخره اعتراض بين المتعلق
والمتعلق به اي برزوا للحساب ليجزي الله كل نفس مطيعة او عاصية ما كسبت من خير او شر
وقد اكتفى بذكر عقاب العصاة تعويلا على شهادة الحال لا سيما مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة
ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شأن عن شأن فيتمه في اعجل ما يكون من الزمان فيوفي الجزاء
بحسب او سريع المجيء يأتي عن قريب او سريعا ينتقم قال ابن عباس رضي الله عنه يريد قوله
تعالى وهو سريع الحساب هذا اي ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا الى قوله
سريع الحساب بلاغ كفاية في العظة والتذكير من غير حاجة الى ما انطوى عليه السورة الكريمة
او كل القرآن المجيد من فنون العظات والقوارع للناس للكفار خاصة على تقدير اختصاص
الانذار بهم في قوله تعالى وانذر الناس او لهم وللمؤمنين كافة على تقدير شموله لهم ايضا وان
كان ما شرع مختصا بالظالمين ولينذروا به عطف على مقدر واللام متعلق بالبلاغ اي
كفاية لهم في ان ينصحوا او ينذروا ومعنى ابلاغ لهم لينصحوا ولينذروا به على ان البلاغ بمعنى

الابلاغ

الابلاغ كما في قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ او متعلقه محذوف اي ولينذروا به انزل او تلي
وقرئ لينذروا من نذر به اذا علمه وحذره واستعد له وليعلموا بالتأمل فيما فيه من الدلائل
الواضحة التي هي امثال الامور واشكال اخرى منا كبير وغيرها مما سبق وختم انما هو اله واحد
لا شريك له وتقديم الانذار لان الداعي الى التأمل المؤدي الى ما هو غاية له من العلم المذكور
ذا التذكير في قوله تعالى وليذكر اولوا الالباب اي ليتذكروا ما كانوا يعلمونه من قبل من
التوحيد وغيره من شؤون الله عز وجل ومعاملته مع عباده فيرتدعوا عما يرديهم من الصفات
التي يتصف بها الكفار ويتدرعوا بما يحظيهم من العقائد الحقة والاعمال الصالحة وفي تخصيص
التذكر باولي الالباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على ان المشار اليه بهذا ما ذكرنا
من القوارع المسوقة فيه لا نهم لا كل السورة المشتملة عليها وعلى ما سبق للمؤمنين ايضا فان فيه
ما يغير بمعرفة ربك خدمة حديثة وحيث كان ما يفيده البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الاحكام
بالنسبة الى الكفرة امرا حادثا وبالنسبة الى اولي الالباب الثابت عبر عن الاول بالعلم
وعن الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه
اعلم ختمها الله بالسعادة والحسنى وقرنها العفو برضاته في الاولى والعقبى امين عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام
ومن لم يعبد

سورة الحجر تسعون وتسع ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر الكلام فيه وفي
محله في مطلع سورة الرعد واخواتها تلك اشارة اليه اي تلك السورة العظيمة الشان
ايات الكتاب الكامل المشهود بالغني عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق
باختصاص اسم الكتاب به على الاطلاق اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن
جميع القرآن او عن جميع المنزل اذ ذاك اذ هو المتبادر الى الفهم حينئذ عند الاطلاق وعليه
يترتب فائدة وصف الآيات بنعت ما اضيفت اليه من نعوت الكمال لا على جعله عبارة عن
السورة اذ هي في الاتصاف بذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى يستغنى عن التصريح بالوصف
على انها عبارة عن جميع اياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحد منها وفيه من التكلف
ما لا يخفى كما ذكر في سورة الرعد وقرآن اي قرآن عظيم الشان مبين مظهر لما في تضاعيفه
من الحكم والاحكام او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام •
والجمع بين وصفي الكتابية والقرآنية على طريقتين • احداهما
ولعل الحكمة في تقديم ... وصف الكتابية في الاولى ما بينهما • وفي الثانية طريقة كونه ممتازا عن غيره
اشتماله على صفات كما لحق الكتب الالهية في الثانية لما ان الاشارة الى
نسخ وجه نظمها في بابه خارجا عن دائرة البيان وانحرت الطريقة الثانية
امتيازه من سائر الكتب لعدد التنبيه على انطوائه على كل لان غيره من الكتب ادخل في المدح كتابه
بيّن مع من اول الامر ان امتيازه عن غيره لاستقلاله باوصاف خاصة به من غير اشتمال على
نعوت كمال سائر الكتب الكريمة وشكيبة الكلام في فاتحة سورة النمل خلا انه قدم فيها
القرآن على الكتاب على ما سيذكر ثمة • ولما بين كون السورة الكريمة بعضا من الكتب

والقرآن لترجيه المخاطبين الى حسن تلقي ما فيهما من الاحكام والقصص والمواعظ شرع في بيان ما تضمنه
فقيل ربما بضم الراء وتخفيف الباء المفتوحة • وقرئ بالتشديد وبفتح الراء مخففا وبزيادة
التاء مشددة وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحها مشددة ومخففة وبزيادة التاء ايضا مشددة ومخففة
والحرف جار لا يدخل الا على الاسم وما كافة مصححة لدخوله على الفعل وحقه الدخول على الماضي ودخوله
على قوله تعالى يود الذين كفروا لما ان المترقب في اخباره تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكانه
قيل ربما ود الذين كفروا والمراد كفرهم بالكتاب والقرآن وبكونه من عند الله تعالى لو كانوا
مسلمين منقادين لحكمه ومذعنين لامره • وفيه ايذان بان كفرهم كان بالجحود بعد ما علموا
كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة يوم القيمة او عند موتهم او عند معاينة حالهم وحال
المسلمين او عند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار • روي عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه
ان النبي عليه الصلاة والسلام قال اذا كان يوم القيمة واجتمع اهل النار في النار
ومعهم من شاء الله تعالى من اهل القبلة قال لهم الكفار الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى
عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا الى النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيغضب الله
سبحانه لهم بفضل رحمته فيامر بكل من كان من اهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ
يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين • وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال لا يزال
الرب يرحم ويشفع اليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون
الاسلام والحق ان ذلك محمول على ابتداء ودادتهم • واما نفس الودادة فليست بمختصة
بوقت دون وقت بل هي مستمرة مستمرة في كل آن يمر عليهم وان المراد بيان ذلك على ما هو من
الكثرة وانما جيء بصيغة التقليل جريا على سنن العرب فيما يقصدون به الافراط فيما يعكسون
عنه بتقليل لبعض فؤاد العشاق كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او
لا تعدم عندي فارسا وعنده مقانب جمة من الكتائب وقصده في ذلك التمادي في تكثير
فرسانه ولكنه يريد اظهار براءته من التزيد وابراز انه ممن يقلل كثير ما عنده
فضلا عن تكثير القليل • وسنن طريقه انما يسلك اذا كان الامر من الوضوح بحيث لا يحوم
حوله شائبة ريب فيصار اليه هضما للحق فذلك النظم الكريم على ودادة الكافرين للاسلام
لو كان من ايات اليوم الاخر وان ذلك من الظهور بحيث لا يشتبه على احد فيجيء به للايذان
بالحذر على هامة وعلى ان تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما يستقل بالنسبة الى جانب
الكثرة [illegible] لحقائق شأن الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه
من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى ذرهم [illegible]
بان من شأن العاقل اذا عن له امر يحتمل [illegible] الحمد او قليلا ما يكون كذلك ان لا يفارقه
ولا يتهاون في صنعه فكيف اذا كان متيقن الحمد كما في قولهم لعلك ستندم على ما فعلت وربما
ندم الانسان على ما فعل فان المقصود ليس بيان كون الندم مرجو الوجود بلا تيقن به او
قليل الوقوع بل التنبيه على ان العاقل لا ينبغي ان يباشر ما يرجى فيه الندم او يقل وقوعه فيه فكيف
بقطعي الوقوع وانه يكفي قليل الندم في كونه زاجرا عن ذلك الفعل فكيف بكثيره والمقصود
من سلوك هذه الطريقة اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالغرض بناء على ادعاء ظهوره

ظهوره

ظهوره والمعنى لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم ان لا يفارقوه فكيف وهم يودونه
كل آن ومن الاوفق بمقام استمرارهم على ما هم عليه من الكفر [illegible] دائما
ومقاما فيما طيبا واحدا اقتضى [illegible] المقام حيث قيل ذرهم دعهم عن النهي عما هم عليه بالقسر
والنصيحة اذ لا سبيل الى ارعوائهم عن ذلك وبالغ في تخليتهم وشانهم بل مرهم بتعاطي ما يتعاطونه
ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم وفي تقديم الاكل ايذان بان تمتعهم انما هو من قبيل تمتع البهائم
بالماكل والمشارب والمراد دوامهم على ذلك لا احداثه فانهم كانوا كذلك او تمتعهم بالاشياء
ما يستمتعون به من التجارة والرزق فان التمتع على ذلك الوجه امر حادث يمنعه ان يكون
مرتبا على تخليتهم وشانهم ويلههم ويشغلهم عن اتباعك او عن التفكر عما هم بصدده من البداية
من الايمان والطاعة فان الاعمال والتمتع ينبئان الى ذلك الامل والتنعم بطول الاعمار
وبلوغ الاوطار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة والمآل الا الحسنى فلا فعال
الثلاثة مجزومة على الجوابية للامر حسبما هو المتقضى بالترك للامر بناء على طريقة المجاز او
على ان يكون المراد بالافعال المجزومة مباشرتهم لها غافلين عن وخامة عاقبتها غير سامعين
لسوء مغبتها اصلا • ولا ريب في ترتب ذلك على الامر بالترك فان النهي عما هم عليه من ارتكاب
القبائح مما يشوش عليهم تمتعهم وينغص عليهم عيشهم • فامر عليه الصلاة والسلام بتركه
ليتمتعوا فيما هم فيه من حظوظهم فيه وهمهم مما بين ايديهم ومعرضين غافلون فسوف يعلمون سوء صنيعهم
او وخامة عاقبته او حقيقة الحال التي الجاتهم الى التمني المذكور حيث لم يعلموا ذلك من جهات
ومنع كونه وعيدا اياه وعيد [illegible] بتعليل الامر بالترك فان علمهم بذلك علة
لترك النهي والنصيحة لهم وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار اذ لا يتحقق الامر بالضد
الا بعد تكرر الانذار وتقرر الجحود والانكار وكذلك ما رتب عليه من الاكل والتمتع
والالهاء وما اهلكنا شروع في بيان سر تاخير عذابهم الى يوم القيمة وعدم نظمهم في سلك
الامم الدارجة في تعجيل العذاب اي ما اهلكنا من قرية من القرى بالخسف بها وباهلها
كما فعل ببعضها او باخلائها عن اهلها بعد اهلاكهم كما فعل باخرى الا ولها في ذلك الشان
كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراعاة بحيث لا يتصور تبديله لوقوعه حسب
الحكمة المقتضية له معلوم لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور عنه التخلف عنه بالتقدم والتاخر
فكتاب مبتدأ خبره الظرف والجملة حال من قرية فانها لعمومها لا سيما بعد ما كانت نكرة في حكم
الموصوفة كما اشير اليه • والمعنى ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا حال ان
يكون لها كتاب اي اجل [illegible] كتبناه لا نهلكها قبل بلوغه معلوم لا نغفل عنه
حتى يمكن مخالفته بالتقدم والتاخر او مرتفع بالظرف والجملة كما هي حال اي ما اهلكنا قرية
من القرى في حال من الاحوال الا وقد كان لها في حق هلاكها كتاب اي اجل مقدر مكتوب
في اللوح معلوم لا يغفل عنه او صفة لكن لا للقرية المذكورة بل المقدرة التي هي بدل من
المذكورة على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة اي ما اهلكنا قرية من القرى
الا قرية لها كتاب معلوم • كما في قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن • فان قوله تعالى
لا يسمن صفة لكن لا للطعام المذكور لانه ابدل على الحشا [illegible] الطعام الذي لا يسمن

دليس المراد ذلك بل ابطال الطعام المتقدم بعين الا اي ليس لهم طعام من شي من الاشياء الا طعام لا يسمن
فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة بكلمة الا كما توهم ■ واما توسيط الواو بينهما وان كان
الشايع عدمه فللايذان بكمال الالتصاق بينهما من حيث ان الواو شانها الجمع والربط فان
ما نحن فيه من الصفة اوفي لصوقا بالموصوف منها به في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا
لها منذرون فان امتناع انفكاك الاهلاك عن الاجل المقدر عقلي وعن الانذار عادي جري عليه
السنة الالهية ■ ولما تبين ان الامم المهلكة كان لكل منهم وقت معين لهلاكهم وان هلاكهم
لم يكن الا حينما كان مكتوبا في اللوح بين ان كل امة من الامم منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن
لم يكن الا حينما كان مكتوبا في اللوح بين ان كل امة من الامم منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن
التقدم عليه ولا التاخر عنه فقيل ما تسبق من امة من الامم المهلكة وغيرهم اجلها المكتوب
في كتابها الذي اي لا يجي هلاكها قبل مجي كتابها اي لا يجي قبل مجي اجلها فان السبق اذا كان واقعا
على زماني فمعناه المجاوزة والتخليف ■ فاذا قلت سبق زيد عمرا فمعناه انه جاوزه وخلفه
وراه واذا كان واقعا على زمان كان الامر بالعكس ■ والسر في ذلك ان الزمان يعتبر فيه
الحركة والتوجه الى المتكلم كما سبقه تحقق قبل تحققه ■ واما الزماني فانما يعتبر فيه الحركة
والتوجه الى المتكلم كما سبقه متحقق قبل تحققه والتوجه الى ما ياتي من الزمان لذلك
ما تقدم الى المقصد ■ وايراده بعنوان الاجل باعتبار ما يقتضيه من السبق كما ان ايراده
بعنوان الكتاب المعلوم باعتبار ما يوجبه من الاهلاك وما يستاخرون اي وما يتاخرون
وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له ■ وايثار صيغة المضارع في الفعلين
بعد ما ذكر نفي الاهلاك بصيغة الماضي لان المقصود بيان دوامهما واستمرارهما فيما بين الامم
الماضية والباقية واسنادهما الى الامة بعد اسناد الاهلاك الى القرية لما ان السبق
والاستيخار حال الامة دون القرية مع ما في الامة من العموم لاهل تلك القرية وغيرهم
مما اخرت عقوباتهم الى الاخرة تاخيرا ذكر عدم تاخرهم عن ذلك عند سبقهم مع كون المقام مقام المبالغة
في بيان تحقق عذابهم اما باعتبار تقدم السبق في الوجود واما باعتبار ان المراد بيان سر ■
تاخر عذابهم مع استحقاقهم لذلك وايراد الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى مع التغليب
ولرعاية الفواصل ولذلك حذف الجار والمجرور والجملة مبينة لما سبق والمعنى ان تاخير
عذابهم الى يوم القيامة حسبما اشير اليه ليس لان ودادتهم للاسلام اذ ذاك بالامن بتركهم دون
الى ان يعلموا حقيقة الحال انما هو لتاخر اجلهم المقدر لما يقتضيه من الحكمة البالغة ■ ومن جملتها
ما علم الله تعالى من ايمان بعض من يخرج منهم الى يوم القيامة ■ وقالوا شروع في بيان كفرهم
بمن انزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب وما يؤول اليه حالهم والقائلون مشركوا
مكة لغاية تماديهم في العتو والغي يا ايها الذي نزل عليه الذكر خاطبوا به رسول الله
عليه الصلاة والسلام لا تسليما لذلك واعتقادا له بل استهزاء به عليه الصلاة والسلام واشعارا
بعلة حكمهم الباطل في قولهم انك لمجنون كداب فرعون اذ قال ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون يعنون بان من يدعي مثل هذا الامر البديع الخارق للعادات انك ذاهب
تلك الدعوى او بشهادة ما يعتريك عند ما تدعي انه ينزل عليك لمجنون وتقديم الجار والمجرور

على

في القائم مقام الفاعل لان انكارهم متوجه الى كون النازل ذكرا من الله تعالى لا الى كون المنزل عليه رسول
الله بعد تسليم كون النازل منه تعالى ■ كما في قوله تعالى لولا انزل هذا القرآن على رجل من
القريتين عظيم ■ فان الانكار هناك متوجه الى كون المنزل عليه رسول الله وايراد الفعل
على صيغة المجهول لايهام ان ذلك ليس بفعل له فاعل او لتوجيه الانكار الى كون التنزيل عليه
لا الى اسناده الى الفاعل لو ما تاتينا كلمة لو تركبت مع ما كما تركبت مع لا لمعنيين
امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض خلا انه عند ارادته لا يليها الا افعال ظاهرة او مضمرة
وعند ارادة المعنى الاول لا يليها الا اسماء ظاهرة او معمولة لعامل المبتدأ والمراد هنا
هو الثاني اي هلا تاتينا بالملائكة ليشهدوا لك بصحة نبوتك ويعضدوك في الانذار
كقوله تعالى لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يعاقبونا على التكذيب كما اتى الامم
المكذبة لرسلهم ان كنت من الصادقين في دعواك فان قدرة الله تعالى على ذلك مما لا ريب
فيه وكذا احتياجك اليه في تمشية امرك فانا لا نصدقك بدون ذلك او ان كنت من
جملة تلك الرسل الصادقين الذين عذبت اممهم المكذبة لهم ما ننزل الملائكة بالنون
على بناء الفعل بصيغة الجلالة من التنزيل وعلى صيغة البناء للمفعول ومن المتعدي في احدى
التائين وماضيا منه ومن التنزيل ومن الثلاثي وهو كلام مسوق الى النبي عليه الصلاة والسلام
جوابا لهم عن مقالتهم المحكية ورد لاقتراحهم الباطل ولذلك اسند عاد ذلك للجواب فقدم
رده على ما هو جواب عن اولها اعني قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر الى آخره كما فعل في قوله تعالى
قال انما يأتيكم به الله فانه مع كونه جوابا عن قولهم فاتنا بما تعدنا قدم على قوله تعالى ولا ينفعكم
نصحي مع كونه جوابا عنه اولا لكلامهم الذي هو قولهم يا نوح قد جادلتنا لما ذكر من سنة
اقتضائه للجواب ولئلا يكون احد الجوابين مستغاثا بالسؤال وفي العكس يلزم انفصال
كل من الجوابين عن سؤاله والعدول عن تطبيقه لظاهر كلامهم بصيغة الاقتراح ونحو
ان يقال ما ناتيهم بهم للايذان بانهم قد اخطأوا في التعبير حسبما اخطأوا في الاقتراح
وان الملائكة لعلو رتبتهم اعلى من ان ينسب اليهم مطلق الاتيان الشامل للانتقال من جهة
الامكنة المتساوية الى الآخر منها بل من الاسفل الى الاعلى وان يكون مقصدهم
اولياء الكفرة وان يدخلوا تحت ملكوت احد من البشر وانما الذي يليق بشأنهم النزول
من مقاماتهم العالية وكون ذلك بطريق التنزيل بجناب الرب الجليل الا بالحق اي ملتبسا
بالوجه الذي يحق ملابسة التنزيل به مما تقتضيه الحكمة وتجري به السنة الالهية ■ كقوله
سبحانه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق والذي اقترحوه من التنزيل لاجل
الشهادة لديهم وهم هم ومنزلتهم في الحقارة والهوان منزلتهم لا يكاد يدخل تحت الصحة
والحكمة اصلا فان ذلك من باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يفتح على غير الانبياء الكرام من افراد
كمل المؤمنين فكيف على امثال اولئك الكفرة اللئام وانما الذي يدخل في حقهم تحت الحكمة
في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستئصال كما فعل باضرابهم من الامم السالفة ولو فعلنا
ذلك لاستئصلوا بالمرة وما كانوا اذا منظرين جزاء للشرط مقدر وفيه ايذان باقتضاء تعنتهم
لنفيض مطلوبهم كما في قوله تعالى ■ واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا ■ قاله صاحب النظم

لقطه اذان من كثبة بني اذو معاشر يعني الجن لقول ابيك انجيتني اي حين جيتني ثم ضمه اليه ان فطا دانا
ثم استعملوا الحرف تحضيضا ونحوها ما لحق لفظة ان ذ لتدل على اختصاصها دخل بعدهما والتعقيب وما كانوا اذا كان
ما طلبوه منظرين ● والمعنى لو نزلنا ما هو ما نزلوا لو اسرعنا بعذاب سائر الامم المكذبة المستهزئة
ومع استحقاقهم لذلك قد جرى قلم القضاء بتأخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اجمل في قوله تعالى
ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل الى الاجل وحال حايل بينهم وبين استيصالهم بالمرة
لتعلق العلم والارادة بازديادهم عذابا وبايلاد بعض ذراريهم ● واما تقرر ان بعضهم
في سمط الحكمة بناباه مقام بيان تماديهم في الكفر والفساد ● ولجاجهم في المكابرة والعناد
متى امتعالاهي تشبه عليه اعجاز التنزيل الجليل ● واما ما قيل في تعليله عدم موافقة
التنزيل للحكمة من انهم حينئذ يكونون مصدقين عن اضطرار فانه لا حكمة في التي بتكم
بعد تناسب ونحوها فانه لا نزل كما لا يكون الا وان انزال الملائكة لا يكون الا باحوجة
العناية ما بان الجمة ● وقد علم الله من حال هولاء الكفار انه لو انزل اليهم الملائكة لبقوا اصرين
على كفرهم فيصير انزالهم عبثا باطلا ولا يكون حجة مع اخلال كل من ذلك بمقتضية البناء فلا يلزم
من فرض وقوعه شيء من ذلك تعجيل العذاب الذي يستتبعه قوله تعالى وما كانوا اذا منظرين
معنا انه ايكون افترا حيهم لا تبيان الملائكة لاجل الشهادة امايما نعمي يكون ذلك لنصديقهم
فالمعنى انا ما ننزل الملائكة للتعذيب الا تنزيلا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة ونقيضه
المصلحة بحيث لا محيد عنه ● ولو نزلناهم حسبما اقترحوا ما كان ذلك التنزيل ملتبسا لتقتضي
الحكمة الموجبة لتاخير عذابهم الى يوم القيمة لا دعبابهم بحسبه بمدايتهم كما من قبل
وحيث كان في تنزيلهم للعذاب الى عدم موافقة الحكمة نوع ابهام لعدم استحقاقهم المعذ
عدل عما تقتضيه الظاهر الى ما عليه النظم الكريم فكانه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين
وذلك غير موافق للحكمة الموجبة لتاخير عقابهم ● وقيل المراد بالحق الحق الصادق ●
وقيل العذاب فتامل ● انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم تنزيله واستهزائهم برسول الله صلى
الله عليه وسلم بذلك وتسلية له اي نحن بعظم شاننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذي
انكروه وانكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك الى الجنون وعموا منزله حيث بنوا الفعل
للمفعول ايماء الى انه امر لا مصدر له وفعل لا فاعل له وانا له لحافظون من كل ما لا يليق
به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاوهم به دخولا اوليا فيكون وعيدا للمستهزئين به واما
الحفظ من مجرد التحريف والزيادة والنقص وامثالها فليس بمقتضى المقام فالوجه الحمل على
الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيته ويجوز ان يراد حفظه بالاعجاز
دليلا على التنزيل من عنده تعالى اذ لو كان من عند غير الله لتطرق عليه الزيادة والنقص
والاختلاف وفي سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة
شان التنزيل ما لا يخفى ● وفي ايراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ
والله سبحانه اعلم وقيل الضمير المجرور للرسول عليه الصلاة والسلام ● كقوله
تعالى والله يعصمك من الناس ● وتاخير هذا الكلام وان كان جوابا عن ذلك الخاطر
لما ذكر انفا ولارتباطه بما يعقبه من قوله تعالى ولقد ارسلنا اي رسلا وانما

لم يذكر لدلالة ما بعده عليه من قبلك متعلق بارسلنا او بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف
اي رسلا كائنة من قبلك في شيع الاولين اي فرقهم واحزابهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة
على طريقة ومذهب اسمه من شاعه اذا تبعه واضافته الى الاولين من اضافة الموصوف الى الصفة عند
الفراء ومن حذف الموصوف عند البصريين اي شيع الامم الاولين ومعنى ارسالهم فيهم جعل كل منهم
رسولا فيما بين طائفة منهم ليتابعوه في كل ما ياتي ويذر من امور الدين وما ياتيهم من رسول
المراد نفي اتيان كل رسول لشيعته الخاصة به لا نفي اتيان كل رسول لكل واحدة من تلك الشيع
جميعا او على سبيل البدل وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية
فان ما لا تدخل في الاغلب على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال ●
اي ما اتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها الا كانوا به يستهزؤن كما يفعله هولاء الكفرة
والجملة في محل النصب على انها حال مقدرة من ضمير المفعول في ياتيهم اذا كان المراد بالاتيان حدوثه ●
او في محل الجر على انها صفة باعتبار لفظه فيقضي الى زيادة من الاستغراقية في الاثبات ● ويجوز ان يكون
موصوفا على الوصفية بان يقدر الموصوف منصوبا على الاستثناء فان كان المختار الرفع على البدلية
وهذه الاية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان هذه عادة الجهال مع الانبيا عليهم
الصلاة والسلام وحيث كان الرسول مصحوبا بكتاب من عند الله تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالرسول
ذكر استهزائهم بالكتاب ولذلك قيل كذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام السابق من القاء الوحي
مقرونا بالاستهزاء اي مثل ذلك السلك نسلكه في قلوب اوليك المستهزئين برسلهم وبما
جاؤا به من الكتب نسلكه اي الذكر في قلوب المجرمين اي اهل مكة او جنس المجرمين ويدخل
فيه هولاء دخولا اوليا ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف او حال منه اي نسلكه سلكا
مثل ذلك السلك او نسلك السلك حال كونه مثله اي مقرونا بالاستهزاء غير مقبول لما
تقتضيه الحكمة فانهم من اهل الخذلان ليس لهم استعداد لقبول الحق وصيغة المضارع لكون
المشبه به مقدما في الوجود وهو السلك الواقع في الامم السالفة او للدلالة على استحضار
صورته وادخال السلك في اخر يقال سلكت الخيط في الابرة والرمح في المطعون لا يؤمنون
به اي بالذكر حال من ضمير نسلكه اي غير مؤمن به او بيان للجملة السابقة فلا محل لها وقد
جعل ضمير نسلكه للاستهزاء فيتعين الثانية الى ان جعلا ذلك المجرور حالا اما
مقدرة او مقارنة للايذان بان كفرهم مقارن للالقاء كما في قوله فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به وقد خلت سنة الاولين اي قد مضت طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم
حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء وهو استيناف جيء به تكملة للتسلية وتصريحا
بالوعيد والتهديد ولو فتحنا عليهم اي على هولاء المقترحين المعاندين بابا من السماء
اي بابا ما من ابوابها المعهودة كما قيل او بيرا لهم الرقى والصعود اليه فظلوا فيه في
ذلك الباب يعرجون بالة او بغيرها ويرون ما فيها من العجائب عيانا كما يفيده الظلول
او فظل الملائكة الذين اقترحوا اتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونه عيانا
مستوضحين طول نهارهم لقالوا لفرط عنادهم وغلوهم في المكابرة وتماديهم في قبول
الحق انما سكرت ابصارنا اي سدت من الاحساس من السكر الذي يدل عليه القراءة بالتخفيف

او حيرت كالمغمى قراءة من قولهم سكرت اي حارت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد عليه الصلاة والسلام
كما قالوا عند ظهور سائر الآيات الباهرة وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه
لا حقيقة له وانما هو امر خيل اليهم بالسحر وفي اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مسحوريتهم
واني اراد ما لغاية تسكير الابصار لبيان اشتكارهم بعين ما يرونه فان عروج كل ملك منهم الى السماء
الا لان من سائر العجب فهو معلوم له بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الابصار فهو يدعون ان
ذلك نوع اخر من السحر غير تسكير الابصار ولقد جعلنا في السماء بروجا يعني ابنية لها السيارات
وهي البروج الاثنا عشر المشهورة المختلفة الهيئات والخواص حسبما يدل عليه الرصد والتجربة
مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة السماء والجعل ان جعل بمعنى الخلق والابداع وهو الظاهر
فالظرف متعلق به وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعول ثان له متعلق بمحذوف اي جعلنا
بروجا كائنة في السماء وزيناها اي السماء بالبروج المختلفة الاشكال والكواكب سيارات
كانت او ثوابت للناظرين اليها معنى الزينة بين ظاهرة او للمتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك
في قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فترتيبها ان يتبينها على نظام بديع مستتبع للاثار الحسنة
وحفظناها من كل شيطان رجيم مرجوم بالنجوم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس الى اهلها
ويتصرف فيها ويقف على احوالها الا من استرق السمع محله النصب على الاستثناء المتصل ان
فسر الحفظ بمنع الشياطين عن التعرض لها على الاطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة والمنقطع
ان فسر ذلك بالمنع عن دخولها والتصرف فيها عن ابن عباس رضي الله عنه انهم كانوا لا يحجبون
عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات ولما ولد النبي عليه السلام منعوا
من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات
بما بينهم من المناسبة في الجوهر وبالاستدلال من الاوضاع فاتبعه اي تبعه ولحقه
شهاب لهب محرق وهي شعلة نار ساطعة وقد يطلق على الكواكب والسنان لما فيهما من البريق
مبين ظاهر امره قال معمر قلت لابن شهاب الزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية فقال
نعم قال ان النجم ينقض ويرمى به الشيطان فيقتله او يخبله لئلا يعود الى استراق السمع ثم
يعود الى مكانه قال افرايت قوله تعالى انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الاية قال غلظت
وشدد امرها حين بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام قال ابن قتيبة ان الرجم
كان قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام ولكن لم يكن في شدة الحراسة كما بعد مبعثه
عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضي الله عنه ان الشياطين يركب بعضهم بعضا
الى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا يخطئ ابدا فمنهم من يقتله
ومنهم من يحرق وجهه وجنبه ويده حيث شاء الله تعالى ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس
في البوادي قال القرطبي اختلفوا في ان الشهاب هل يقتل ام لا قال ابن عباس
رضي الله عنه يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل قال والاول
اصح والارض مددناها بسطناها ومهدناها والنصب على الحذف على شريطة التفسير ولم يقرأ
بالرفع لرجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية اعني قوله تعالى ولقد جعلنا الى اخره
وليوافق ما بعده من قوله تعالى والقينا فيها رواسي اي جبالا ثوابت وقد مر بيانه في اول

الرعد وانبتنا فيها اي في الارض او فيها وفي رواسيها من كل شيء موزون بميزان الحكمة ذاتا وصفة
ومقدارا او مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر من الذهب والفضة وغيرهما او من كل شيء مستحسن مناسب او ما
يوزن ويقدر من ابواب النعمة وجعلنا لكم فيها معايش ما تعيشون به من المطاعم والملابس
وغيرهما مما يتعلق به البقاء وهي بياء صريحة وقرئ بالهمزة تشبيها له بالشمائل ومن لستم
له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من
لستم برازقيه من العيال والمماليك والخدم والدواب وما اشبهها على طريقة التغليب وذكرهم
بهذا العنوان لرد حسبانهم انهم يكفلون مؤناتهم والتحقيق ان الله تعالى هو الذي يرزقهم
واياهم او وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شيء ان للنفي ومن زيدت
للتاكيد وشيء في محل الرفع على الابتداء اي ما من شيء من الاشياء الممكنة فيدخل فيها ما وجد
وجودا او لم يوجد الا عندنا خزائنه الظرف خبر للمبتدا وخزائنه مرتفع به على انه فاعله لاعتماده
او خبر له والجملة خبر للمبتدا الاول والخزائن جمع الخزانة وهي ما يحفظ فيه نفائس الاموال
لا غير غلب في العرف على ما للملوك والسلاطين ومن خزائن ارزاق الناس شبهت مقدوراته
تعالى الفائتة للحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم العالمين
ومصونة عن وصول ايديهم مع كمال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها وكونها مهيأة متأتية
لايجاده وتكوينه بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها وجدت بلا تاخر بنفائس الاموال
المخزونة في الخزائن السلطانية فذكر الخزائن على طريقة الاستعارة التخييلية وما ننزله اي
ما نوجد وما نكون شيئا من تلك الاشياء متلبسا بشيء من الاشياء الا بقدر معلوم اي الا
ملتبسا بمقدار معين تقتضيه الحكمة وتستدعيه المشيئة التابعة لها لا بما تقتضيه القدرة
فان ذلك غير متناه فان تخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عداه
مع استواء الكل في الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضي اختصاص
كل من ذلك بما اختص به ومنه البيان سعة قدرته تكوين الاشياء على وجه الكثرة حسبما يفي
في حيز الابداع وبينها ما عطف على ما قبله راي نزل له وما ننزله الا في حال او حال ما سبق
اي عندنا خزائن كل شيء والحال انا ما ننزله الا بقدر معلوم فالاول بيان سعة القدرة
والثاني بيان تابع الحكمة وحيث كان انشاء ذلك بطريق التفضل من العالم العلوي الى
العالم السفلي كما في قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وكان ذلك بطريق
التدريج عبر عنه بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وارسلنا
الرياح عطف على جعلنا لكم فيها معايش وما بينهما اعتراض لتحقيق ما سبق وترتيب ما لحق اي
ارسلنا الرياح لواقح اي حوامل شبهت الريح التي تجيء بالخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل
كما شبه بالعقيم ما لا يكون كذلك او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطوحات
في قوله ونخبط من يطيح الطوائح اي المهلكات وقرئ
وارسلنا الريح على ارادة الجنس فانزلنا من السماء ماء بعدما انشانا بتلك الرياح سحابا
ماطرا فاسقيناكموه اي جعلناه لكم سقيا ومياه لكم من سقياكم لما فيه من الدلالة لما
جعل المياه لهم سقيا به متى شاؤوا وما انتم له بخازنين نفي عنهم ما اثبته لجنابه بقوله

وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قيل نحن القادرون على ايجاده وخزنه في السحاب وانزاله وما انتم
على ذلك بقادرين • وقيل ما انتم بخازنين له بعد ما انزلناه في الغدران والآبار والعيون
بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع ان طبيعة الماء تقتضي الغور وانا لنحن نحيي بايجاد الحياة
في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها عنها وقد يعم الاحياء والاماتة لما يشمل الحيوان والنبات
وتقديم الضمير للحصر وهو اما تاكيد للاول واو مبتدا خبره الفعل والجملة خبر لان ولا يجوز
كونه ضمير الفصل لان اللام مانعة عن ذلك كما قيل فان النحاة جوزوا دخول لام التاكيد على
الفصل كما في قوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق بل لانه لم يقع بين اسمين ونحن الوارثون اي الباقون
بعد فناء الخلق قاطبة المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك المجازي الحاكمون في الكل اولا
واخرا وليس لهم الا التصرف الصوري والملك المجازي وفيه تنبيه على ان المتاخر ليس بوارث
للمتقدم كما يتراءى من ظاهر الحال ولقد علمنا المستقدمين منكم من تقدم منكم ولادة وموتا
ولقد علمنا المستأخرين من تأخر ولادة وموتا او من خرج من اصلاب الآباء ومن لم يخرج
بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تأخر في ذلك لا يخفى علينا
شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل
على علمه وفي تكرير قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى من الدلالة على كمال التاكيد • وقيل رغب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت • وقيل ان امرأة
حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض الناس لئلا ينظر اليها وتأخر
آخرون ليبصروها فنزلت والاول هو المناسب لما سبق وما لحق من قوله تعالى وان ربك
هو يحشرهم اي للجزاء وتوسيط ضمير العظمة للدلالة على انه هو القادر على حشرهم والمتولي
له لا غير لانهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه ويقولون من يحيي العظام وهي
رميم او هو يحشرهم لا غير وفي الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية اشعار بعلة الحكم
وفي الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام دلالة على اللطف به عليه السلام انه
حكيم بالغ الحكمة متقن في افعاله فانها عبارة عن العلم بحقائق الاشياء على ما هي عليه
والاتيان بالافعال على ما ينبغي عليم وسع علمه كل شيء ولعل تقديم صفة الحكمة للايذان
باقتضائها للحشر والجزاء ولقد خلقنا الانسان اي هذا النوع بان خلقنا اصله واول
فرد من افراده خلقا بديعا منطويا على خلق سائر افراده انطواء اجماليا كما مر تحقيقه
في سورة الانعام من صلصال من طين يابس غير مطبوخ يصلصل اي يصوت
عند نقره • قيل اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة
وقيل هو تضعيف صل اذا انتن من حمأ من طين تغير واسود بطول مجاورة الماء وهو
صفة لصلصال اي من صلصال كائن من حمأ مسنون اي مصور من سنة الوجه وهي صورته
او مصبوب من سن الماء صبه اي مفرغ على هيئة الانسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة
في القوالب وقيل منتن فهو صفة لحمأ وعلى الاول لابد ان يكون صفة لصلصال وانما
اخره عنه ... على الذاتية امسنونيته ليس في حال كونه صلصالا بل في كونه حمأ كأنه سبحانه
افرغ الحمأ فصور من ذلك تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صوت ثم غير الجوهر الى جوهر آخر

فتبارك

فتبارك الله احسن الخالقين والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر
من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس بأسره
مخلوقا منها • وقرئ بالهمزة وانتصابه بفعل يفسره خلقناه وهو اقوى من الرفع للعطف
على الجملة الفعلية من قبل من قبل خلق الانسان ومن هذا يظهر جواز كون المراد بالمستقدمين
احد الثقلين وبالمستأخرين الآخر والخطاب بقوله منكم للكل من نار السموم من نار الحر
الشديد النافذ في المسام ولا امتناع في خلق الحياة في الاجرام البسيطة كما لا امتناع في
خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي غالب اجزائها الجزء الناري فانها
اقبل لها من التي غالب اجزائها الجزء الارضي • وقوله تعالى من نار باعتبار الغالب كقوله
تعالى خلقكم من تراب وسياق الآية الكريمة كما هو للدلالة على ما يتوقف عليها امكان الحشر
وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك منصوب باضمار اذكر وتذكير الوقت لما مر
مرارا من انه ادخل في تذكير ما وقع فيه من الحوادث وفي التعرض لوصف الربوبية
المنبئة عن تبليغ الشيء الى كماله اللائق به شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام
اشعار بعلة الحكم وتشريف له عليه الصلاة والسلام اي اذكر وقت قوله تعالى للملائكة
اني خالق فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل البتة من
غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه بشرا اي انسانا ... ابلغ العبارة والجارية دق
الخطاب بذلك للملائكة ان يكون قد قيل لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر
عند الحكاية على الاسم وقيل لجسم كثيفا يلاقي ويباشر • وقيل خلقا بادي البشرة بلا
صوف ولا شعر من صلصال متعلق بخالق او بمحذوف وقع صفة لمفعوله اي بشرا
كائنا من صلصال كائنا من حمأ مسنون تقدم تفسيره ولا ينافي هذا ما في ظاهر قوله
تعالى في سورة ص من قوله تعالى بشرا من طين فان عدم التعرض عند الحكاية لوصف
الطين من التغير والاسوداد • ولما ورد عليه من آثار التكوين لا يستلزم عدمه فاذا
سويته اي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاءه بتعديل
طبائعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء
بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة
لها اي فاذا كملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من امري
فقعوا له امر من وقع يقع وفيه دليل على ان ليس المامور به مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا
له ساجدين تحية له وتعظيما او اسجدوا لله تعالى على انه عليه الصلاة والسلام
بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته • كقول حسان رضي الله عنه
• اليس اول من صلى لقبلتكم • واعلم الناس بالقرآن والسنن •
فسجد الملائكة اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم
يشذ منهم احد اجمعون بحيث لم يتأخر في ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة
هذا المعنى بالحالية والاصل في الخطاب ... التاكيد ...
الاشتقاق الواضح ... ان فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع لكن شاع استعماله

أكثيا وأقيمت مقام في افادة معنى الاحاطة من غير نظر الى الكمال فاذا أفيمت الاحاطة من لفظ اخر لم يكن بد من
مراعاة الاصل صونا عن الكلام عن الالغاء وقيل أكد بتأكيدين مبالغة في التعميم سنا فاما ان يجوز
معناه ليترتب على ماحكي من الامر التعليقي كما تقتضيه هذه الاية الكريمة والتي في سورة ص واما
في الامر التنجيزي كما يستدعيه ما في غيرهما فقد خرجنا به بما الله عز وجل من عهدة تحقيقه
في تفسير سورة البقرة ‌الا ابليس‌ استثناء متصل اما لانه كان جنيا مغمورا بالوف من الملائكة
فغلب منهم تغليبا واما لانه من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم وقوله تعالى ‌ابى ان يكون
مع الساجدين‌ استيناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان مطلق عدم
السجود قد يكون مع التردد وبه علم انه مع الاباء والاستكبار او منقطع فيتصل به ما بعده
اي لكن ابليس ابى ان يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رأيه حيث ادمج في معصية واحدة
ثلاث معاص مخالفة الامر والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام ومفارقة الجماعة والاباء
عن الانتظام في سلكهم او لبلغ المعزين الكرام ‌قال‌ استيناف مبني على سؤال من قال
فماذا قال تعالى عند ذلك فقيل قال ‌يا ابليس ما لك‌ اي اي سبب لك تكلمه اي غرض لك كما في قوله
تعالى ما منعك ‌ان لا تكون‌ في ان لا تكون ‌مع الساجدين‌ لآدم مع انهم هم ومنهم منزلتهم في الشرف
منزلتهم وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد تخلفه عنهم بل للكل من المعاصي الثلاث المذكورة قال
تعالى في سورة الاعراف • قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك • وفي سورة ص • قال يا ابليس
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي • ولكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه
اجترابا ذكر في موطن آخر واشعارا بان كل واحدة من تلك المعاصي الثلاث كافية في التوبيخ
واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا في سورة البقرة وسورة بني
اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه ‌قال‌ اي ابليس مؤبدا استيناف مبني على السؤال
الذي ينساق اليه الكلام ‌لم اكن لأسجد‌ اللام لتأكيد النفي اي ينافي حالي ولا يستقيم مني
مخلوق من اشرف العناصر واعلاها ان اسجد ‌لبشر‌ اي جسم كثيف ‌خلقته من صلصال
من حمأ مسنون‌ اقتصر هاهنا على الاشارة الاجمالية الى ادعاء الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما
صرح به حين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يكتف اللعين بمجرد
ذكر كونه عليه الصلاة والسلام من التراب الذي هو اخس العناصر واسفلها
بل تعرض لكونه مخلوقا منه في اخس احواله من كونه طينا متغيرا وقد اكتفي في سورة الاعراف
وسورة ص بما حكي عنه هاهنا واقتصر على حكاية تعرضه لخلقه عليه الصلاة والسلام
من طين • وكذا في سورة بني اسرائيل حيث قال أأسجد لمن خلقت طينا وفي جوابه دليل
على ان قوله تعالى ما لك ليس استفسارا عن الغرض بل هو استفسار عن السبب وفي عدوله
عن تطبيق جوابه على السؤال روم للتفصي عن المناقشة وانى له ذلك كأنه قال لم امتنع عن امتثال
الامر ولا عن الانتظام في سلك الملائكة بل عن السجود لما فيه من الخضوع للمفضول وقد
جرى فخذله الله تعالى في سنن قياس عقيم وزل عنه ان ما يدور عليه فلك الفضل
والكمال هو التحلي بالمعارف الربانية • والتخلي عن الملكات الرديه • التي اقبحها التكبر
والاستعصاء على أمر رب العالمين جل جلاله ‌قال فاخرج منها‌ اي من زمرة الملائكة

المعززين

المعززين لا من السماء فان وسوسته لآدم عليه السلام في الجنة انما كانت بعد هذا الطرد • وقوله
تعالى فاهبط منها ليس بنص في ذلك فان الخروج من بين الملأ الاعلى سقوط واي هبوط او من
الجنة على ان وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روي عن الحسن البصري رحمه الله •
او بطريق المشافهة بعد ان استأذن في دخولها او توصل اليه بالحية كما روي عن ابن عباس
رضي الله عنه ولا ينافي هذا الطرد في اوج لانه لما تقتضيه من الحكم البالغة ‌فانك
رجيم‌ مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب
وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فان من عارض النص بالقياس فهو رجيم ملعون
‌وان عليك اللعنة‌ الابعاد عن الرحمة وحيث كان ذلك من جهة الله سبحانه وان كان
جاريا على السنة العباد قيل في سورة الاعراف وان عليك لعنتي ‌الى يوم الدين‌ الى يوم
الجزاء والعقوبة وفيه اشعار بتأخير عقابه وجزائه اليه فان اللعنة مع كمال فظاعتها
ليست جزاء لفعله وانما يتحقق ذلك يومئذ وفيه من التهويل ما لا يوصف وجعل ذلك اقصى امد
اللعنة ليس لانها تنقطع هنالك بل لانه عند ذلك يعذب بما ينسى به اللعنة من افانين
العذاب فتصير كالزائل • وقيل اذ اضيف اليه لانه ابعد غاية تضربها الناس
كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وحيث امكن تأخير العقوبة مع الموت
كما في من اخرت عقوبته الى الآخرة من الكفرة طلب اللعين تأخير موته كما حكي عنه
بقوله تعالى ‌قال رب فانظرني‌ اي امهلني واخرني ولا تمتني والفاء متعلقة بمحذوف
ينسحب عليه الكلام اي اجعلني رجيما ‌الى يوم يبعثون‌ اي آدم وذريته للجزاء وبعد فنائهم
واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثأره وينجو من الموت لاستحالته
بعد يوم البعث ‌قال فانك من المنظرين‌ وورود الجملة الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض
لشمول ما سأله الآخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل على انه اخبار
بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه اي انك من جملة الذين
اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين والفاء ليست لربط الانظار بالاستنظار بل
لربط الاخبار بالمنظرين • كما في قوله • فان ترحموا فانك انت الرحيم • فانه
لا امكان لجعل الغافر لربط ما فيه تعالى من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة
الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها وان استنظاره كان طلبا
لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتأخير العقوبة كما قيل ونظمه في ذلك في سلك
من اخرت عقوبتهم الى الآخرة في علم الله تعالى ممن سبق من الجن والحي من الثقلين لا يلائم
مقام الاستنظار مع الحياة ولان ذلك التأخير معلوم من اضافة اليوم الى الدين
مع اضافته في السؤال الى البعث كما عرفته • وفي سورة الاعراف قال انظرني الى
يوم يبعثون قال انك من المنظرين بترك التوقيت والنداء والفاء في الاستنظار
والانظار تعويلا على ما ذكر هاهنا • وفي سورة ص • فان ايراد كل واحد في اساليب
متعددة على عدة في الكتاب العزيز • واما ان كل اسلوب من اساليب النظم الكريم
لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره • وانما حكي عن اللعين انما صدر عنه

عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة تماما لمجاوزة ان اقتضى احد الاساليب المذكورة فهو المطابق
لمقتضى الحال والبالغ الى طبقة الاعجاز وما عداه قاصر عن رتبة البلاغة فضلا عن الارتقا
الى معالم الاعجاز تقدم من حقيقته بيق نفى الله تعالى في سورة الاعراف الى يوم الوقت المعلوم
وهو وقت النفخة الاولى التي علم الله انه يصعق عنده من في السموات ومن في الارض الا من
شا الله تعالى • ويجوز ان يكون المراد بالايام واحدا والاختلاف في العبارات لاختلاف الاعتبارات
فالتعبير بيوم البعث لان غرض اللعين به تحقق وبيوم الدين لما ذكر من الجزاء وبيوم الوقت
المعلوم لما ذكر او لاستيثار الله تعالى بعلمه فلعل كان من هلاك الخلق جميعا وبعثهم
وجزائهم في يوم واحد يموت اللعين في اوله ويبعث في اواسطه ويعاقب في بقيته
يروى ان بين موته وبعثه اربعين سنة من سني الدنيا مقدار ما بين النفختين • ونقل
عن الاحنف بن قيس رضي الله عنه انه قال قدمت المدينة اريد امير المومنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فاذا انا بحلقة عظيمة وكعب الاحبار فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر
ادم عليه السلام الوفاة قال يا رب سيشمت بي عدوي ابليس اذا راني ميتا وهو منظر
الى يوم القيمة • فاجيب يا ادم انك سترد الى الجنة ويوخر اللعين الى النظرة فليذوق الم
الموت بعدد الاولين والاخرين • ثم قال لملك الموت صف كيف تذيقه الموت فلما وصف
قال يا رب حسبي فضج الناس وقالوا يا ابا اسحاق كيف ذلك فابى فالحوا فقال يقول الله سبحانه
وتعالى لملك الموت عقيب النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة اهل السموات السبع واهل
الارضين السبع واني البستك اليوم اثواب السخط والغضب كلها فانزل بغضبي وسطوتي
على رجيم ابليس فاذقه الموت واحمل عليه مرارة الاولين والاخرين من الثقلين اضعافا
مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون الفا قد امتلاوا غيظا وغضبا وليكن مع كل
منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من اغلالها وانزع روحه المنتن بسبعين الف كلاب
من كلاليبها وناد مالكا ليفتح ابواب النيران فينزل ملك الموت بصورة لو نظر اليها
اهل السموات والارضين لماتوا بغتة من هولها فينتهي الى ابليس فيقول قف لي يا خبيث
لاذيقنك الموت كم من عمر ادركت وقرون اضللت وهذا هو الوقت المعلوم قال
فيهرب اللعين الى المشرق فاذا هو بملك الموت بين عينيه فيهرب الى المغرب فاذا هو بين عينيه
فيغوص في البحار فتنزجر منه البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الارض ولا محيص له ولا
ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر ادم عليه السلام ويتمرغ في التراب من المشرق الى
المغرب ومن المغرب الى المشرق حتى اذا كان في الموضع الذي اهبط فيه ادم عليه السلام
وقد نصبت له الزبانية الكلاليب وصارت الارض كالجمرة احتوشته الزبانية وطعنوه
بالكلاليب ويبقى في النزع والعذاب الى حيث شاء الله تعالى ويقال لادم وحوا اطلعا
اليوم الى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان فينظران الى ما هو فيه من شدة العذاب
فيقولان ربنا اتممت علينا نعمتك قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية والجواب
لازينن لهم اي اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الارض اي في الدنيا التي هي
دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واقسامه بعزة الله المفسر بسلطانه وقهره لا

ينافي

ينافي اقسامه بعزة فانه فرع من قدرته وانا ارى منه آثارها فلعله اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه بهذا
واخرى بذلك او للسببية وقوله لازينن جواب قسم محذوف والمعنى بسبب تسبيبك لاغوائي
اقسم لافعلن بهم مثل ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بتزيين المعاصي وتسويلها لا بالحمل على الالجاء
او لولا الاغوا بالنسبة الى الغي اما التسبب لله بامره اياه بالسجود لادم عليه السلام او اعتذار
من امهال الله تعالى له وتسليطه له على اغوا بني ادم بانه تعالى قد علم منه ومن اتباعه انهم
يموتون على الكفر ويصيرون الى العذاب امهلوا او لم يمهلوا وان في امهاله تعريضا لمن خالفه
لاستحقاق مزيد الثواب ولاغوينهم اجمعين لاحملنهم على الغواية الا عبادك منهم المخلصين
الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرى بكسر اللام
اي الذين اخلصوا نفوسهم لله عز وجل قال هذا صراط علي اي حق علي ان اراعيه مستقيم
لا عوج فيه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخليص المخلصين من اغوائه او الاخلاص
على معنى انه طريق يودي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال والاظهر ان ذلك لما وقع في عبارة
ابليس حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن
ايمانهم وعن شمائلهم الاية • وقرى على من علو الشرف ان عبادي ذم المشار اليهم بالمخلصين
ليس لك عليهم سلطان تسلطا وتصرفا بالاغوا الا من اتبعك من الغاوين وفيه مع كونه
تحقيقا لما قاله اللعين تفخيم لشان المخلصين وبيان لمرتبتهم وانقطاع مخاطب الاغوا عنهم
وان اغواه للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسو اختيارهم وان جهنم
لموعدهم اي موعد المتبعين او الغاوين والاول انسب وادخل في الزجر عن اتباعه
وفيه دلالة على ان جهنم مكان الوعد وان الموعود لا يوصف في الفظاعة اجمعين
تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير المضاف او معنى
الاضافة ان جعلته اسم مكان لها سبعة ابواب يدخلونها لكثرتهم او سبع طبقات
ينزلونها بحسب مراتبهم في الغواية التابعة • وهي جهنم • ثم لظى • ثم الحطمة • ثم السعير •
ثم سقر • ثم الجحيم • ثم الهاوية لكل باب منهم من الاتباع او الغواة جزء مقسوم حزب
معين مفرز من غيره حسبما يقتضيه استعداده • فاعلاها للموحدين • والثانية لليهود •
والثالثة للنصارى • والرابعة للصابئين • والخامسة للمجوس • والسادسة للمشركين
والسابعة للمنافقين • وعن ابن عباس رضي الله عنه ان جهنم لمن ادعى الربوبية • ولظى
لعبدة النار • والحطمة لعبدة الاصنام • وسقر لليهود • والسعير للنصارى • والجحيم
للصابئين • والهاوية للموحدين ولعل حصرها في السبع لانحصار المهلكات في المحسوسات
بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية • وقرى بضم الزاي وبحذف
الهمزة والقا حركتها الى ما قبلها مع تشديد في الوقف والوصل ومنهم حال من
جزء او من ضمير في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان
المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرهم مكفر في جنات وعيون اي مستقرون
فيها خالدين لكل واحد منهم جنة وعين او لكل منهم عدة منها • كقوله تعالى ولمن خاف
مقام ربه جنتان • وقرى بكسر العين حيث وقع في القران العظيم ادخلوها على ارادة

القول بانه امن الله تعالى لهم بالدخول • وقرئ ادخلوها امرا منه تعالى للملائكة لادخالهم • وقرا الحسن
ادخلوها مبنيا للمفعول على صيغة الماضي من الادخال بسلام ملتبسين بسلام اي سالمين او مسلما
عليكم امنين من الافات والزوال ونزعنا ما في صدورهم من غل اي حقد كان في الدنيا • وعن
علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم رضي الله عنهم اخوانا حال من الضمير
في قوله تعالى جنات او حال من فاعل ادخلوها او من الضمير في امنين او الضمير المضاف اليه
والعامل فيها معنى الاضافة • وكذلك قوله تعالى على سرر متقابلين ويجوز كونهما صفتين
لاخوانا او حال من ضميره لانه بمعنى متصافين وكون الثاني حالا من المستكن في الاول • وعن
مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فهم متقابلون في جميع احوالهم لا يمسهم فيها نصب اي
تعب بان لا يكون لهم فيها ما يوجبه من الكد في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول كل ما يريدونه
من غير مزاولة عمل اصلا او بان لا يعتريهم ذلك وان باشروا الحركات العنيفة لكمال قوتهم
وهو استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين ابد الاباد
لان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي وهم الذين عبر عنهم بالمتقين اني انا الغفور الرحيم
وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير له وفي
ذكر المغفرة اشعار بان ليس المراد بالمتقين من يتقي جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي
وصف ذاته تعالى بها بالرحمة على وجه القصر وترك التعذيب ايذان بانهما مما يقتضيهما الذات
وان العذاب انما يتحقق بما يوجبه من خارج ونبئهم عطف على نبئ عبادي والمقصود اعتبارهم
بما جرى على ابراهيم عليه الصلاة والسلام من البشرى في تضاعيف الخوف وبما حل بقوم لوط
من العذاب ونجاته عليه السلام مع اهله التابعين له في ضمن الوعد والوعيد وتنبيههم على
اتصافه تعالى بما من الرحمة وعلمهم بان عذاب الله هو العذاب الاليم عن ضيف ابراهيم عن
ابن عباس رضي الله عنه انهم جبريل عليه السلام وملكان معه • وقال محمد بن كعب وسبعة معه
عليهم السلام • وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام • وقال الضحاك كانوا
تسعة • وعن السدي كانوا احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم • وعن مقاتل انهم
كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام • وانما لم يتعرض لعنوان رسالتهم لانهم لم يكونوا
مرسلين الى ابراهيم عليه السلام بل الى قوم لوط حسبما يأتي ذكره اذ دخلوا عليه نصب
بفعل مضمر معطوف على نبئ اي واذكر وقت دخولهم عليه او ظرف بضيف معنى مضاف الى الضيف اي خبر
ضيف ابراهيم حين دخولهم عليه او بنفس ضيف على انه مصدر في الاصل فقالوا عند ذلك
سلاما اي نسلم سلاما او سلمت سلاما قال انا منكم وجلون اي خائفون
فان الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه وقاله عليه الصلاة والسلام حين امتنعوا من الاكل لما
قربه اليهم من العجل الحنيذ لان العادة عندهم اذا نزل بهم ضيف فلم ياكل من طعامهم ظنوا انه
لم يجئ بخير لا عند ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم
خيفة فلا مجال لكون خوفه عليه السلام بسبب دخولهم بغير اذن ولا لغير وقت اذ لو كان
كذلك لما اجابوا به ولم يعتد عليه الصلاة والسلام لتقريب الطعام اليهم وانما لم
يذكر ههنا اكتفاء بما بين في غير هذا الموضع • الا ترى انه لم يذكر ههنا رده عليه السلام

السلام

سلامهم قالوا لا توجل لا تخف • وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله اي اخافه ولا تواجل بمعنى اوجله
انا نبشرك استئناف لتعليل النهي عن الوجل فان المبشر به لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا
حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه وبقاء اهله في عافية وسلامة زمانا طويلا بغلام هو
اسحاق عليه السلام لقوله تعالى فبشرناها باسحاق ولم يتعرض ههنا للبشارة بيعقوب
عليه السلام اكتفاء بما ذكر في سورة هود عليم اذا بلغ وفي موضع اخر حليم قال ابشرتموني
بذلك على ان مسني الكبر واثر في تعجب عليه السلام من بشارتهم بالولد في حال مباينة الولادة
وزاد في ذلك فقال فبم تبشرون اي باي اعجوبة تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه
عادة بشارة بغير شيء او باي طريقة تبشروني • وقرئ بتشديد النون المكسورة على ادغام
نون الجمع في نون الوقاية قالوا بشرناك بالحق اي بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا شبهة
فيه او بطريقة هي حق وهو امر الله تعالى وقوله فلا تكن من القانطين من الايسين من ذلك
فان الله تعالى قادر على ان يخلق بشرا بغير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر • وقرئ من
القنطين • وكان مقصوده عليه الصلاة والسلام استعظام نعمته تعالى عليه في ضمن التعجب
العادي المبني على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته
سبحانه كما ينبئ عنه قول الملائكة فلا تكن من القانطين دون ان يقولوا من الممترين ونحوه
قال ومن يقنط استفهام انكاري اي لا يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون
طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحمته وكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه
السلام لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومراده نفي القنوط عن نفسه على
ابلغ وجه اي ليس بي قنوط من رحمته تعالى وانما الذي اقول لبيان منافاة حاله
لتلك النعمة الجليلة • وفي التعرض لوصف الرحمة والربوبية ما لا يخفى
من الجزالة • وقرئ بضم النون وبكسرها من قنط بالفتح ولم يكن منه المفاوضة من
الملائكة عليهم السلام مع ابراهيم عليه السلام مخاصمة بل مع بشارة ادرجها خصتها
شرح في سورة هود لم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر ذلك هنا الثنا
بما ذكرهنا قال اي ابراهيم عليه السلام وتوسيطه بين قوله السابق وبين قوله فما
خطبكم اي امركم وشأنكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون
مشعر فان بينهما مقالة مطوية لهم اشير به الى مكانها • كان قوله فما لك الا ايجد من خلقت
طينا قال اي ابراهيم عليه السلام الذي ذكرت على الاية فان قوله الاخير ليس موصولا بقوله الاول بل
هو مبني على قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم وان توسط بينهما قوله لا الذي
اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غير خطابهم لم يعنونه بالرسالة بعد
ما كان خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تصديره بالفاء دليل على ان مقالتهم المطوية كانت
متضمنة لبيان ان مجيئهم ليس لمجرد البشارة بل لهم شأن اخر لاجله ارسلوا فكانه قال عليه السلام
ان لم يكن شأنكم مجرد البشارة فماذا هو والحاجة الى الاتكال الى ان علمه عليه السلام
بان كل المقصود ليس البشارة بسبب انهم كانوا ذوي عدد والبشارة لا تحتاج الى العدد
ولذلك اكتفى بالواحد في زكريا عليه السلام ومريم ولا الى انهم بشروه في تضاعيف

الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصد لابتدءوا بها فتأمل **قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين**
هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام وجيء بطريق التنكير ذمًا لهم واستهانة بهم **الا ال لوط**
استثناء متصل من الضمير في مجرمين اي الى قوم اجرموا جميعا الا ال لوط فالقوم والارسال
شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى انا ارسلنا الى قوم كلهم الا ال لوط لنهلك الاولين
وننجي الاخرين ويدل عليه قوله تعالى **انا لمنجوهم** اي ال لوط **اجمعين** اي مما يصيب
القوم فانه استئناف للاخبار بنجاتهم لعدم اجرامهم او لبيان ما فهم من الاستثناء منه
مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون لكونهم بين بين او لتعليله فان من تعلق
بهم التنجية يبقى من شمول العذاب او منقطع من قوم فقوله تعالى انا لمنجوهم متصل بال لوط
جار مجرى خبر لكن وعلى هذا فقوله تعالى **الا امرأته** استثناء من ال لوط او من ضميرهم
وعلى الاول من الضمير خاصة لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا
وقرئ بالتخفيف **قدرنا انها لمن الغابرين** الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرئ
قدرنا بالتخفيف والتعليق فعل التقدير مع اختصاصه بافعال القلوب لتضمنه معنى
العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار
غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله سبحانه لما لهم من القرب والاختصاص به
فلما جاء ال لوط المرسلون شروع في بيان كيفية اهلاك المجرمين وتنجية ال لوط
حسبما اجمل في الاستئناف وصدر بالتعليل نوع تفصيل ووضع المظهر موضع المضمر للايذان
بان مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا به من الاهلاك والتنجية وليس المراد به ابتداء مجيئهم بل مطلق
كينونتهم عند ال لوط فان ما حكي عنه عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى **قال**
انكم قوم منكرون انما قاله عليه الصلاة والسلام بعد اللتيا والتي حين ضاقت
عليه الحيل وعيت به العلل لما لم يشاهد من المرسلين عند مقاساته الشدائد
ومعاناته المكايد من قومه الذين يريدون بهم ما يريدون ما هو المعهود والمعتاد من
الاعانة والامداد فيما يأتي ويذر عند تجشمه في تخليصهم الكارثة لانهم له وتركهم نصرته
في مثل تلك المضايقة المعترية له بسببهم حيث لم يكونوا مباشرين معه لاسباب
المدافعة والممانعة حتى الجأته الى ان قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد
حسبما فصل في سورة هود لا انه قاله عند ابتداء ورودهم له خوفا ان يطرقوه بشر
كما قيل كيف لا وهم بمحاوره المحكي بقوله **قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون**
اي بالعذاب الذي كنت توعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك قد بشروا له العصا
ونبهوا له عليه الصلاة والسلام جلية الامر فاني يمكن ان يعتريه بعد ذلك المساءة
وضيق الذرع وليست كلمة بل اضرابا عن موجب الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكر
لاجله بل بما يسرك وتقر به عينك بل هي اضراب عما فهمه عليه السلام من ترك النصرة
له والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب
الذي كانوا يكذبونك حين كنت توعدهم به ولعل تقديم هذه المقالة على ما جرى
بينه وبين اهل المدينة من المجادلة للمسارعة الى ذكر بشارة لوط عليه السلام

بما كان من قومه وتنجيته الى عقيب ذكر بشارة ابراهيم عليه السلام وحيث كان ذلك مستتبعا
لبيان كيفية النجاة وترتيب مباديها اشير الى ذلك اجمالا ثم ذكر فعل القوم وما فعل بهم
ولم يبال بتغيير الترتيب الوقوعي ثقة بمراعاته في مواقع اخر ونسبة المجيء بالعذاب اليه
عليه الصلاة والسلام مع انه نازل بالقوم بطريق تفويض امره اليه لا بطريق نزوله عليه
كانهم جاءوه به وفوضوا امره اليه ليرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم به **واتيناك بالحق** اي باليقين
الذي لا مجال فيه للامتراء والشك وهو عذابهم عبر عنه بذلك تنصيصا على نفي الامتراء عنه او المراد
بالحق الاخبار بمجيء العذاب المذكور في قوله تعالى **وانا لصادقون** تاكيد له اي اتيناك فيما قلنا بالخبر
الحق اي المطابق للواقع وانا لصادقون في ذلك الخبر او في كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم
فيه وعلى الاول تاكيد اثر تاكيد وقوله تعالى **فاسر باهلك** شروع في ترتيب مبادي النجاة
اي اذهب بهم في الليل وقرئ بالوصل وكلاهما من السرى وهو السير في الليل وقرئ
فسر من السير **بقطع من الليل** بطائفة منه او من اخره قال
افتحي الباب وانظري في النجوم ۞ كم علينا من قطع ليل بهيم
وقيل بعد ما مضى منه شيء صالح **واتبع ادبارهم** وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع
على احوالهم ولعل ايثار الاتباع على السوق مع انه المقصود بالامر للمبالغة في ذلك اذ السوق
ربما يكون بالتقدم على بعض مع التاخر عن بعض ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتاخر والالتفات
المنهي عنه بقوله تعالى **ولا يلتفت منكم احد** غيره ما وراءه من الهول فلا يطيقه او يصيبه
ما اصابهم او لا ينصرف منكم احد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن
ذلك ليوطنوا انفسهم على المهاجرة وهو نهي عن ربط القلب بما خلفوه او هو للاسراع في السير
فان الملتفت قلما يخلو عن ادنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة عن الاسراء والالتفات
لا يستدعي عدم وقوعه فان ذلك كما عرفت من ان اللائق الاكتفاء بما ذكر في موضع اخر
وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله تعالى بالمضي اليه وهو الشام او مصر
وحذف الصلتين على الاتساع المشهور وايثار المضي الى ما ذكر على الوصول اليه
واللحوق به للايذان باهمية النجاة ولمراعاة المناسبة بينه وبين ما سلف من
الغابرين **وقضينا** اي اوحينا **اليه** مقضيا ولذلك عدي بالى **ذلك الامر** مبهم
يفسره **ان دابر هؤلاء مقطوع** على انه بدل منه وايثار اسم الاشارة على المضمر للدلالة
على اتصافهم بصفاتهم القبيحة التي هي مدار ثبوت الحكم اي دابر هؤلاء المجرمين وايراد
صيغة المفعول بدل صيغة المضارع لكونها ادخل في الدلالة على الوقوع وفي لفظ
القضاء والتعبير عن العذاب بالامر والاشارة اليه بذلك وتاخيره عن الجار والمجرور وابهامه
اولا ثم تفسيره ثانيا من الدلالة على فخامة الامر وفظاعته ما لا يخفى وقرئ
بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن اخرهم حتى لا يبقى منهم احد **مصبحين**
داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى
فان دابر هؤلاء بمعنى مدبري هؤلاء **وجاء اهل المدينة** شروع في حكاية ما صدر
عن القوم عند وقوفهم على مكان الاضياف من الفعل والقول وما ترتب عليه

ما اشير اليه ذلك لما لاحت امارات غلبته اي جاء اهل سدوم منزل لوط عليه السلام يستبشرون اي مستبشرين باضيافه عليه السلام طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي الضيف حيث كان مصدرا في الاصل اطلق على الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث واطلاقه على الملائكة بحسب اعتقاده عليه السلام لكونهم في زي الضيف والتاكيد ليس لانكارهم لذلك بل لتحقيق اتصالهم به واظهار اعتنائه بشانهم وتشميره لمراعاة حقوقهم وحمايتهم من السوء ولذلك قال فلا تفضحون اي عندهم بان تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا انه ليس لي عندكم قدر وحرمة او لا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله في مباشرتكم لما يسوؤني ولا تخزون اي لا تذلوني ولا تهينوني بالتعدي لمن اجرتهم الى تلك الفعلة الخبيثة وحيث كان التعرض لهم بعد ان نهاهم عليه الصلاة والسلام عن ذلك بقوله تعالى فلا تفضحون اكثر تاثيرا في جانبه عليه السلام واجلب للعار اليه اذ التعرض للجار قبل شعور المجير بذلك ربما يتسامح واما بعده الشعور به والمناصبة لحمايته والذب عنه فذاك اعظم للعار عبر عليه السلام عما يعتريه من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب لجاجهم ومجاهرتهم بمخالفته بالخزي وامرهم بتقوى الله في ذلك وانما لم يصرح بالنهي عن تلك الفاحشة لما كان يعرف انه لا يفيدهم ذلك • وقيل المراد تقوى الله تعالى في ركوب الفاحشة ولا يناسبه توسيطه بين النهيين عن امرين متعلقين بنفسه عليه السلام وكذلك قوله تعالى قالوا اولم ننهك عن العالمين اي من التعرض لهم بمنعهم عنا وضيافتهم والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر اي الم نتقدم اليك ولم ننهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون لكل احد من الغرباء بالسوء وكان عليه الصلاة والسلام ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عليه الصلاة والسلام عن ان يجير احدا فكانهم قالوا ما ذكرت من الفضيحة والخزي انما جاءك من قبلك لا من قبلنا اذ لولا تعرضك لما تتصدى له لما اعترتك تلك الحالة ولما رآهم لا يقلعون عما هم عليه قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم او بناته حقيقة اي فتزوجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعية المناكحة بين المسلمات والكفار وقد فصلناه في سورة هود ان كنتم فاعلين اي قضاء الوطر فيما احل لكم لعمرك قسم من الله تعالى بحيوة النبي عليه السلام او من الملائكة بحياة لوط عليه السلام والتقدير لعمرك قسمي وهي لغة في العمر يختص به القسم ايثارا للخفة لكثرة دورانه على الالسنة انهم لفي سكرتهم غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين الخطا والصواب يعمهون يتحيرون ويتمادون فكيف يسمعون النصح • وقيل الخطاب لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة اي الصيحة العظيمة الهائلة • وقيل صيحة جبريل عليه السلام مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها اي عالي المدينة او عالي قراهم وهو المفعول الاول لجعلنا • وقوله تعالى سافلها مفعول ثان وهو ادخل في الهول والفظاعة من العكس وامطرنا عليهم في تضاعيف ذلك قبل

تمام

تمام حجارة كائنة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب وقد فصلناه في سورة هود ان في ذلك اي فيما ذكر من القصة لآيات لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق للمتوسمين اي المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها اي المدينة او القرى لبسبيل مقيم اي طريق ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك اي فيما ذكر من المدينة او القرى او في كونها اي من الناس يشاهدونها في ذهابهم وايابهم لآية عظيمة للمؤمنين بالله ورسوله فانهم الذين يعرفون ان ما حاق بهم من العذاب نزل بديارهم لا وقع اتفاقا انما حاق بهم بسوء صنيعهم • واما غيرهم فيحملونه على الاتفاق والاوضاع الفلكية • وافراد الآية بعد جمعها فيما سبق لما ان المشاهد هنا بقية الآثار لا كل القصة كما فيما سلف وان كان ان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة وان الشان كان اصحاب الايكة وهم قوم شعيب عليه السلام والايكة والايك الشجر الملتف المتكاثف وكانت عامة شجرهم المقل وكانوا يسكنونها فبعثه الله تعالى اليهم لظالمين متجاوزين عن الحد فانتقمنا منهم بالعذاب • روي ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث سحابة فالتجأوا اليها يلتمسون الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه عليه السلام كان مبعوثا اليهما فذكر احدهما منبه على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم لما يؤتم به سمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم ولقد كذب اصحاب الحجر يعني ثمود المرسلين صالحا فان من كذب واحدا من الانبياء فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار وقيل المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون لخبيب بن عبد الله ابن الزبير واصحابه والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه وآتيناهم آياتنا وهي الآيات المنزلة على نبيهم او المعجزات من الناقة وسقيها وشربها ودرها او الادلة المنصوبة لهم فكانوا عنها معرضين اعراضا كليا بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لحسبانهم ان ذلك يحميهم منه • عن جابر رضي الله عنه انه قال مررنا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله عليه السلام راحلته فاسرع حتى خلفها فاخذتهم الصيحة مصبحين وقد مر في سورة هود وقيل صاح بهم جبريل عليه السلام وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء تموجا شديدا يفضي اليها كما مر في سورة هود فما اغنى عنهم ولم يدفع عنهم ما نزل بهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة بالاموال الوافرة والعدد المتكاثرة وفيه تهكم بهم والفاء

مقام الاغنا الحاصل بوقت نزول العذاب حسبما او بموجبه لاحكام الاغنا المطابق فانه امر مستمر
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة
والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار الفساد واستقرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة
اهلاك امثال هولاء وحسما لفسادهم وارشادا لمن بقي الى الصلاح او الا بسبب العدل والانصاف
يوم الجزاء على الاعمال كما ينبي عنه قوله تعالى وان الساعة لآتية فينتقم الله تعالى لك فيها ممن
كذبك فاصفح اي اعرض عنهم الصفح الجميل اعرض اعراضا جميلا وتحمل اذيتهم ولا تعجل
بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة بآية السيف ان ربك الذي
يبلغك الى غاية الكمال هو الخلاق للكل ولسائر الموجودات على الاطلاق العليم
باحوالك واحوالهم بتفاصيلها فالحقيق بما يجري بينك وبينهم فهو حقيق بان تكل
جميع الامور اليه ليحكم بينهم او هو الذي خلقكم وعلم تفاصيل احوالكم وقد علم
ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح فهو تعليل للامر بالصفح على التقديرين
وفي مصحف عثمان وابي رضي الله عنهما هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير والخلاق
مختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وعليه عمر وعلي وابن مسعود
وابو هريرة وابو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة رضي الله عنهم
وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابعتها سورة الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة
واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل يونس او الحواميم السبع • وقيل
الصحائف السبع وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع من التثنية وهي التكرير وان
كان المراد الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرر قراءتها في الصلاة واما تكرر قراءتها
في غير الصلاة كما قيل فليس بحيث يكون مدارا للتسمية ولانها تثنى بما يقرأ بعدها في الصلاة
واما تكرر نزولها فلا يكون وجها للتسمية لانها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها
الثاني اذ السورة مكية بالاتفاق • وان كان المراد غيرها فوجه كونها من المثاني ان كلا
من ذلك تكرر قراءته والفاظه او قصصه ومواعظه او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء
على الله تعالى واحدتها مثناة او مثنية صفة للآية • واما السور والاسباع فلما وقع
فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثنا على الله تعالى
كانها تثني عليه سبحانه بافعاله وصفاته الحسنى • ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن لما ذكر
او لانه مثنى عليه بالاعجاز او كتب الله كلها فمن للتبعيض على الاول وللبيان والقرآن العظيم
ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به
الاسباع او كل القرآن فهو عطف احد الوصفين على الآخر • كما في قوله •
• الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم •
اي ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك
طموح راغب ولا تدم نظرك الى ما متعنا به من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها
ازواجا منهم اصنافا من الكفرة فان ما في الدنيا من اصناف الاموال والذخائر بالنسبة
الى ما اوتيته مستحقر لا يعبأ به اصلا • وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن

فرأى

فرأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا • وروي انه وافت من بصرى واذرعات
سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة
فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله تعالى فقيل لهم
قد اعطيتم سبع آيات وهي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم حيث لم يؤمنوا
ولم ينتظموا في سلك اتباعك ليتقوى بهم ضعفاء المسلمين وقيل انهم المتمتعون به • ويأباه كلمة
على فان تمتعهم به لا يكون مدارا للحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين اي تواضع لهم
وارفق بهم والن جانبك لهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء وقل اني انا النذير المبين اي المنذر
المظهر لنزول عذاب الله وحلوله كما انزلنا على المقتسمين قيل انه متعلق بقوله تعالى ولقد آتيناك
الى آخره اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين اي قسموه
الى حق وباطل حيث قالوا عنادا او عدوانا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف
لهما او اقتسموه لانفسهم استهزاء حيث كان يقول بعضهم سورة البقرة لي وبعضهم يقول سورة
آل عمران لي وهكذا او قسموا ما قرأوا من كتبهم وحرفوه فاقروا ببعضه وكذبوا ببعضه وحمل
توسط قوله تعالى لا تمدن عينيك الخ اما على ما هو المراد بالكلام من التسلية وعقب ذلك
بانه حال المقتصر من التسلية فلعله اوتي عليه الصلاة والسلام ما لم يؤت احد قبله ولا
بعده مثله • وقيل انه متعلق بقوله تعالى وقل اني انا النذير المبين فانه في قوة الامر
بالانذار • كانه قيل انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على
بني قريظة والنضير بان جعل المتوقع كالواقع وقد وقع كذلك • وانت خبير بان
ما يشبه به العذاب المنذر لا بد ان يكون محقق الوقوع معلوم الحال عند المنذرين اذ
به يتحقق فائدة التشبيه وهي تأكيد الانذار وما نحن فيه ليس كذلك فان عذاب بني قريظة والنضير
مع عدم وقوعه اذ ذاك لا يتبين بوقوعه وعدمه فهم منه في غفلة محضة وشك مريب
وتنزيل المتوقع منزلة الواقع انما يحسن حيث يكون من الايجاز لكن اذا افاد مقاما يقتضيه
كما في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ونظائره على ان تخصيص الاقتسام باليهود مجرد
اختصاص العذاب المذكور بهم مع شركتهم للنصارى في الاقتسام المتفرع على الموافقة
والمخالفة • وفيه الاشارة يعني التخويف الشامل للكتابين بالتخصيص للعذاب المنذور
بهم مع كونهم من نتائج الاقتسام لليهود تخصيص من غير مخصص • وقيل جعل الموصول مفعولا اول
لا نذير اي انذر المعضين الذين يجزئون القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على
المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعد كل واحد
منهم في مدخل لينفروا الناس عن الايمان برسول الله عليه الصلاة والسلام يقول
بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر شاعر والآخر كذاب فاهلكهم الله تعالى
يوم بدر وقبله بآفات وفيه مع ما فيه من الاشتهار لما سبق في عدم كون العذاب الذي
شبه به العذاب المنذر واقعا ولا معلوما للمنذرين ولا موعود الوقوع انه لا داعي
الى تخصيص وصف التعضية واخراج المقتسمين من بينهم مع كونهم اسوة لهم في ذلك فان
وصفهم الى رسول الله عليه الصلاة والسلام بما هو منزه من الشعر والسحر والكذب متفرع

فجاوصنهم للقرآن بذلك وقيل هو الانتفاء التعضية ولا الى اخراجهم من حكم الانذار فلان ما
نزل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به عذاب غيرهم فلا يحصل ما هو الغاية لنظمه
الفريقين وغيرهم مع ان بعض المذكورين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود
ابن المطلب قد هلكوا قبل بدر انما هلك اكثر المقتسمين يوم بدر ولا الى تقديم المفعول الثاني
على الاول كما ترى وقيل انه وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم القاعدون
في مداخل مكة كما حرر وفيه مع ما مر ان قوله تعالى كما انزلنا صريح في انه من قول الله تعالى لا من
قول الرسول عليه الصلاة والسلام ولا عبرة بكون ذلك من باب ما يقوله بعض خواص الله
امرنا بكذا او ان كان الامر موالاة حسبما سلف في قوله تعالى قدرنا انها لمن الغابرين تعسف
لا يجدي وان اعمال الوصف الموصوف ما لم يجز عند البصريين فان بعض العرب الى مسائل الكوفيين او
الضمير الى حاله مفعولا غير صريح اي انا النذير المبين بعذاب مثل عذاب المقتسمين وقيل المراد
بالمقتسمين الرهط الذين تقاسموا ان يبيتوا صالحا عليه السلام فاهلكهم الله تعالى وانت
تدري ان عذابهم حيث كان محققا ومعلوما للمنذرين حسبما نطق به القرآن العظيم صلح
لان يقع مشبها به للعذاب المنذر لكن الموصول المذكور عقيبه حيث لم يكن كونه صفة للمقتسمين
حقيقية فان جعلناه مفعولا اول للنذير او لما دل هو عليه من الانذار لا يكون للتعرض
لعنوان التعضية نحو التحقيق وجه ولا لعنوان الاقتسام بالمعنى المذكور في جانب المفعول الثاني
فائدة فان ذلك انما يكون للاشعار بعلية الصلة والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف
فلا يكون هناك وجه شبه يدور عليه تشبيه عذابهم بعذاب هو خاصة لعدم اشتراكهم
في السبب فان التعضية بمعزل من التقاسم على التبييت الذي هو السبب لهلاك اولئك
كما ان اولئك بمعزل من التعضية التي هي السبب لهلاك هولاء ولا علاقة بين السببين
مفهوما ولا وجودا فتضح وقوع احدهما في جانب والاخر في جانب والاتفاق الروائي على مطلق
الاتفاق المفهوم من الاتفاق على الشر المخصوص الذي هو التبييت المدلول عليه بالتقاسيم
غير مفيد اذ لا دلالة لعنوان التعضية على ذلك وانما يدل على اقتسام المدلول اجلاء
وجعل الموصول مبتدا على ان خبره الجملة القسمية لا يليق بجزالة التنزيل وجلالة
شانه الجليل اذا عرفت هذا فاعلم ان الاقرب من الاقوال المذكورة انه متعلق
بالاول وان المراد بالمقتسمين اهل الكتابين وان الموصول مع صلته صفة مبينة لكيفية
اقتسامهم ومحل الكاف النصب على المصدرية وحيث جاء له المقام عن التشبيه من فواتح
النظم الجليل والمعنى لقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ايتاء مماثلا لانزال
الكتابين على اهلهما وعدم التعرض لذكر ما انزل عليهم من الكتابين لان الغرض بيان المماثلة
بين الايتاءين لا بين متعلقيهما والعدول عن تطبيق ما في جانب المشبه على ما في جانب المشبه
به بان يقال كما انزلنا على المقتسمين حسبما وقع في قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب الى اخره
للتنبيه على ان ما بين الايتاءين من التفاوت فان الاول على وجه التكرمة والامتنان ليس
بينه وبين الثاني ولا يقدح ذلك في وقوعه مشبها به فان ذلك انما هو لمسلميته عندهم
وتقدم وجوده على المشبه زمانا لا لمزية تعود الى ذاته كما في الصلوات الجليلة فان

التشبيه

التشبيه فيما ليس لكون رحمة الله تعالى الفائضة على ابراهيم عليه السلام وآله انزل واعلى
مما فاض على النبي عليه الصلاة والسلام وانما ذلك للتقدم في الوجود والتنصيص عليه في
القرآن العظيم فليس في التشبيه شائبة اشعار بافضلية المشبه به من المشبه فضلا عن
ايهام افضلية ما تعلق به الاول مما تعلق به الثاني وانما لم يقصد بعنوان الاقتسام انكارا
لاتصافهم به مع ما تحقق مما يقتضيه من الانزال المذكور وايذانا بانه كان من حقهم ان
يؤمنوا بالكل حسب ايمانهم بما انزل عليهم بحكم الاشتراك في العلة والاتحاد في الحقيقة
التي هي مطلق الوحي وتوسيط قوله تعالى لا تمدن الى اخره لكمال اتصاله بما هو المقصود من بيان
حال ما اوتي النبي عليه الصلاة والسلام وتعيين علو شانه ورفعة مكانه بحيث
يستوجب اغتباطه عليه الصلاة والسلام لمكانه واستغنائه به عما سواه ويمنعه من
الالتفات الى زهرة الدنيا وعبر عن ايتائها لاهلها بالتمتيع المنبي عن وشك زوالها عنهم
ثم نهي عن الحزن بعدم ايمان المنهمكين فيها وامر باغضاء المومنين والالتفات بهم عن غيرهم وباظهار
قيامه بمواجب الرسالة والنذارة اثر البدائع مساوية في تضاعيف ما اوتي من القرآن العظيم
ثم رجع الى كيفية ايتائه على وجه اوضح فيه ما يرجح شبه المنكرين وينشئ لهم من العناد من بيان
مشاركته لما لا ريب لهم في كونه وحيا صادقا فتامل والله عنده علم الكتاب هذا وقد قيل
المعنى فانا قل اني انا النذير المبين كما قد انزلنا في الكتب انك ستاتي نذيرا على ان المقتسمين اهل الكتاب
يريد ان ما في كما موصولة والمراد بالمشابهة المستفادة من الكاف الموافقة وهي مع ما في حيزه
في محل النصب على انه مفعول قل اي قل مثل هذا القول حال كونه كما انزلنا على اهل
الكتابين اي موافقا لذلك فالانسب حينئذ حمل الاقتسام على التحريف لتكون وصفهم
بذلك نعيا عليهم بما فعلوا من تحريفهم وكتمانهم نعت النبي عليه السلام وقوله تعالى عضين جمع
عضة وهي الفرقة اصلها عضوة فعلة من عضى الشاة تعضية اذا جعلها اعضاء وانما
جمعت جمع السلامة جبرا للمحذوف كسنين وعزين والتعبير عن تجزية القرآن بالتعضية
التي هي تفريق الاعضاء من ذي الروح المستلزم لازالة حياته وابطال اسمه دون مطلق
التجزية والتفريق اللذين ربما يوجدان فيما لا يضره التبعيض من المثليات للتنصيص على
قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة
العضة السحر بلسان قريش فنقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء **فوربك لنسألنهم**
اجمعين اي لنسألن يوم القيامة اصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع
عما كانوا يعملون في الدنيا من قول وفعل وترك فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية
دخولا اوليا ولنجزينهم بذلك جزاء موفورا وفيه من التشديد وتاكيد الوعيد ما لا
يخفى والفاء لترتيب الوعيد على اعمالهم التي ذكر بعضها وفي التعرض لوصف الربوبية مضافا
الى ضميره عليه السلام واظهار اللطف به عليه السلام **فاصدع بما تؤمر** فاجهر به من صدع
بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية
او موصولة والعائد محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع المسعودة في تضاعيف ما اوتيته
من المثاني السبع والقرآن العظيم **واعرض عن المشركين** اي لا تلتفت الى ما يقولون ولا

يبـ

يبالي بهم ولا يسعد للانتصار منهم إنا كفيناك المستهزئين بقمعهم وتدميرهم قيل كانوا خمسة من أشراف
قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحارث بن قيس بن الطلاطلة والأسود بن عبد يغوث
والأسود بن المطلب يبالغون في إيذاء النبي عليه السلام والاستهزاء به فنزل جبريل عليه السلام
فقال أمرت أن أكفيكهم فأومى إلى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لأخذه
فأصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات وأومى إلى أخمص العاص فدخلت فيه شوكة فقال لدغت لدغت
وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات وأشار إلى عيني الأسود بن المطلب فعمي وإلى أنف
الحارث فامتخط قيحا فمات وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل الشجرة فجعل ينطح
رأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات **الذين يجعلون مع الله إلها آخر** وصفهم
بذلك تسلية لرسول الله عليه الصلاة والسلام وتهوينا للخطب عليه بإعلام أنهم لم يقتصروا
على الاستهزاء به عليه السلام بل اجترؤوا على العظيمة التي هي الإشراك بالله سبحانه **فسوف يعلمون**
عاقبة ما يأتون ويذرون **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون** من كلمات
الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به وبك وتحلية الجملة بالتأكيد لإفادة تحقق
ما يتضمنه من التسلية وصيغة الاستقبال لإفادة استمرار العلم حسب استمرار متعلقه
باستمرار ما يوجبه من أقوال الكفرة **فسبح بحمد ربك** فافزع إلى الله تعالى فيما نابك من ضيق
الصدر والحرج بالتسبيح والتقديس ملتبسا بحمده وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة
إلى ضميره عليه السلام ما لا يخفى من إظهار اللطف به عليه السلام والإشعار بعلة الحكم
أعني الأمر بالتسبيح والتحميد **وكن من الساجدين** أي المصلين يكفك ويكشف الغم عنك أو
فنزهه عما يقولون متلبسا بحمده على أن هداك للحق المبين وعنه عليه الصلاة والسلام
أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة **واعبد ربك** دم على ما أنت عليه من عبادته تعالى
وإيثار الإظهار بالعنوان السالف آنفا لتأكيد ما سبق من إظهار اللطف به عليه السلام والإشعار
بعلة الأمر بالعبادة **حتى يأتيك اليقين** أي الموت فإنه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق وإسناد
الإتيان إليه للإيذان بأنه متوجه إلى الحي طالب للوصول إليه والمعنى دم على العبادة ما دمت
حيا من غير إخلال بها لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كتب له عشر
حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد عليه السلام

تم الجزء الأول من إرشاد العقل السليم تفسير
القرآن العظيم لسيدنا ومولانا الشيخ الإمام
العلامة الحبر أبي السعود نفعنا الله تعالى
ببركاته وبركات علومه في الدين
والدنيا والآخرة في يوم
السبت المبارك ثالث
شهر صفر الخير من
شهور سنة [illegible]
بعد الألف

كاتبه العبد الفقير إلى ربه الغني [illegible] محمد بن [illegible] غفر الله له ولوالديه

